مجلـــة
دراسات في التاريخ والآثار
مجلة علمية محكمة

رئيس التحرير :أ.د. رفاه جاسم حمادي

مدير التحرير : أ.د. عادل شابث جابر

اعضاء هيئة التحرير

ا.د. محمود عبد الواحد القيسي كليـــــة الآداب / جامعة بغداد

أ.د. بـاسمـــــة جليل عبـــد كليـــــة الآداب / جامعة بغداد

أ.د. أنعـــــام مهـــدي علي كليـــــة الآداب / جامعة بغداد

أ.د. سهيلـــــــة مـزبـــان كليـــــة التربية / ابن رشـــد

أ.د. سالـــم الحـاج محمـــود كلية التربيـــة / جامعة المستنصرية

أ.د.علي ياسيـــــن الجبـــوري كليـــــة الآثـار / جامعة الموصل

أ.م.د. فـــــاروق محمـــد علي كليـــــة الآداب / جامعة بغداد

ا.د. طـــــــارق منصـــــــور كليـة الآداب / جامعة عين شمس

أ.د. خـــديجـــــة نشـــــار معهـــــــــد الآثار / الجزائر

مجلة دراسات في التاريخ والاثار –جامعة بغداد – كلية الآداب – بغداد

العدد (٧٥) لشهر حزيران لسنة ٢٠٢٠

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٧٦٥) لسنة ٢٠٠٢

الترقيم الدولي : ISSN:2075-3047

البريد الالكتروني: jasha@coat.uobaghdad.edu.iq

مجلة دراسات في التاريخ والاثار – جامعة بغداد – كلية الآداب – بغداد
العدد (٧٥) لشهر حزيران لسنة ٢٠٢٠
عدد الصفحات : ٧٣٤ صفحة

تصميـــم واخـــراج
عـــلا صالح الحسنـــاوي

دار ومكتبة كلكامش للطباعة والنشر
بغداد – باب المعظم -شارع المكاتب
07729093707 – 07736558370
ola.algarah88@gmail.com

رئيس الهيئة الاستشارية

أ.د. طالب منعم حبيب / جامعة واسط – كلية الآداب

أعضاء الهيئة الاستشارية

أ.د. زكيـــــــة حسن إبراهيم	جامعـــــــــــة بغداد / كلية الآداب
أ.د. سعاد هادي حسن الطائي	جامعـة بغداد / كلية التربية / ابن رشد
أ.د. عادل تقـــــي البلداوي	الجامعـــــة المستنصرية/ كلية التربية
أ.د. سعد عبـــــــود سمار	جامعـــــــــــة بغداد/ كلية التربية
أ.د.علاء طـــــــــه ياسين	جامعـــــــــــة تكريت/ كلية التربية
أ.د. عبد الكريـــــم الياسري	جامعـــة بغداد / كلية التربية/ ابن رشد
أ.د. نوالـــــــه أحمد المتولي	جامعـــــــــــة بغداد / كلية الآداب
أ.م.د. كاظم عبد الله الشمري	جامعـــــة بغداد / كلية التربية للبنات

التصحيح اللغوي : م.د. عبد الحسين موسى

مسؤول الموقع الالكتروني والبريد الالكتروني : م.م. هدى هادي علوش

سكرتير تحرير المجلة : م. هدى هادي علوش

شروط النشر في المجلة

١. أن يكون متسماً بالجدة والموضوعية ويدخل ضمن الاختصاصات التي تختص بها المجلة .

٢. إعتماد الاسلوب العلمي في كتابة الموضوع سواء بما يتعلق بالهوامش أو الأمانة العلمية.

٣. سلامة البحث من الاخطاء اللغوية والمطبعية وخاضعاً للتقويم العلمي .

٤. أن تكون طباعة الهوامش في نهاية البحث .

٥. أن يكون حجم البحث معقولاً ولا يتجاوز الخمسين صفحة .

٦. أن لا يكون البحث مستلاً من رسالة أو اطروحة جامعية لغير طلبة الدراسات العليا .

٧. يقدم الباحث نسخة مطبوعة مع قرص مدمج للمادة المقدمة للنشر- مع مبلغ خمسين ألف دينار للباحثين داخل العراق ومائة دولار للباحثين من خارج العراق.

٨. يفضل أن يحتفظ الباحث بنسخة أخرى من القرص المدمج .

٩. يفضل أن ينتهي البحث بخلاصة باللغة الانكليزية .

١٠. المجلة غير مسؤولة عن إرجاع البحوث المنسوخة أو الاقراص المدمجة .

فهرس العدد (٧٥)

ت	اسم البحث	اسم الباحث	الصفحة
١.	الحَـدائِق في العِـراقِ القَـديم ومُعظِلَـةِ عِمـارَة الجَنـائِن المُعَلَّقَة ما بَينَ الواقِعِ الآثاري وخَيالِ المؤرِخينَ القُدَماء المَوضوعي	أ.م. أثير أحمد حسين	٣-٣٢
٢.	الفكر الصوفي عند ابي بكر الشبلي (ت ٣٤٤هـ / ٩٥٥م) من خلال كتاب تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ / ١٠٧٠م) دراسة تأريخيه	أ.م. د حيدر خضير رشيد	٣٣-٤٨
٣.	حادثة الغدير وبعض أخبار الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في كتاب فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ت ٢٤١هـ ومقارنتها مع مصادر جمهور المسلمين	م.د.محمد سعدون عبيد العكَيلي	٤٩- ٦٠
٤.	دور الدولة في نهضة المرأة الاماراتيه (١٩٧١-٢٠١٧م)	م.د. سوسن عادل ناجي	٦١- ٧٤
٥.	النشاط الاقتصادي لمدينة الموصل من خلال ما ذكرته مصادر البلدانيين وكتب الرحلات	م. د. قيس فتحي احمد	٧٥- ٩٤
٦.	فلسفة السياسة الامريكية في نهاية القرن العشرين	د. عبد حسين عبد محسن سوسه	٩٥-١٢٨
٧.	وليم الصوري (ت ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م) مؤرخاً لسيرة رينالد دي شاتيون (أرناط) – المرحلة المبكرة (٥٤٨–٥٥٥هـ/ ١١٥٣–١١٦٠م) من خلال كتابه (تاريخ الاعمال المنجزة فيما وراء البحر) – دراسة تاريخية تحليلية -	أ.م. د.كرفان محمد احمد	١٢٩- ١٥٢
٨.	زعامة صموئيل آدمز لحفلة شاي بوسطن عام ١٧٧٣	الباحثة: رواء حيدر صالح أ.د.هاشم صالح التكريتي	١٥٣- ١٦٤
٩.	إمارة الحج خلال عهد معاوية بن أبي سفيان(٤١-٦٠هـ)	د. فيصل بن فرحان العنزي	١٦٥- ١٧٨
١٠.	تحليل كفاءة التوزيع التاريخي لجغرافية الخدمات التعليم الابتدائي في قضاء بعقوبة المركز	م. م. تركي حومد علي	١٧٩- ١٩٦
١١.	دينار صلة نادر للخليفة المعتز بالله	م. لطيف تايه حسون	١٩٧- ٢١٠
١٢.	الدور العلمي لعلماء مدينة همذان خلال القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي شيرويه بن شهردار الهمذاني (ت٥٠٩ هـ / ١١١٥م) " أنموذجاً "	أ.م.د. لقاء غازي عبد الكريم	٢١١- ٢٤٢
١٣.	دور المرأة في المؤسسات السياسية الرسمية في مصر (١٩٨١ – ١٩٩٠)	أ.م.د. جبار درويش الشمري	٢٤٣- ٢٦٤
١٤.	قراءة في مجالس الداعي الحامدي من خلال كتاب "تنبيه الغافلين"	أ . د . غنية ياسر كباشي	٢٦٥- ٢٧٤

ت	اسم البحث	اسم الباحث	الصفحة
.١٥	الدبلوماسية البريطانية في أوروبا (١٧١٤ – ١٧٥٦)	أ. م. د. حسن زغير حزيم	٢٧٥- ٣١٦
.١٦	الشريف المرتضى نموذج الاعتدال في عصر الاختلاف	أ.م. د. نعمة ساهي حسن الموسوي	٣١٧-٣٤١
.١٧	أبعاد الحرية الفكرية لكرامة الإنسان عند أئمة أهل البيت (عليهم السلام)	م.م.حيدر جميل رشيد أ.د. فاضل جابر ضاحي	٣٤٢- ٣٦٩
.١٨	اصلاح الوزير علي بن عيسى لميزانية الخلافة العباسية	أ.د. جاسم صكبان علي	٣٧٠- ٣٨٤
.١٩	موقف القوى الدولية من الحرب الاثيوبية الصومالية (١٩٧٧-١٩٧٨)	أ.م.د. نصيرخيرالله محمد	٣٨٤-٤٠٦
.٢٠	نصوص التنبؤ والفأل للآلهة عشتار الأربيلية: مصدراً لدراسة تأريخ أربيل في العصر الآشوري الحديث الملك آسرحدون أنموذجاً	أ.د.أبتهال عادل ابراهيم د. زيار صديق رمضان	٤٠٧- ٤٢٠
.٢١	ابن شهر اشوب ومنهجه وموارده في كتابة معالم العلماء	أ.م.د.كاظم شاروخ محسن	٤٢١- ٤٥٤
.٢٢	الحُليّ في ضوء المصادر المدونة	بروج فالح مهدي الياقوت أ.م. د. فيحاء مولود علي	٤٥٥-٤٨٢
.٢٣	موقف الصحف العراقية من فكر الحركة الشيوعية ١٩٣٣ .١٩٤٥	حيدر علي طوبان أ.د.موسى محمد ال طويرش	٤٨٣-٤٩٢
.٢٤	العلاقات التجارية بين الدولة المصرية القديمة ومدينة جبيل الفينيقية (٣١٠٠-٢١٨٠ ق.م)	م.د. بشرى عناد محمد	٤٩٣- ٥٠٨
.٢٥	منهج الإمام الالوسي (ت ١٢٧٠هـ) (رحمه الله) في تفسيره لسورة العلق من تفسير روح المعاني في تفسير القران العظيم والسبع المثاني	بشرى هادي علوش خضير	٥٠٩- ٥٢٤
.٢٦	مسجد مدينة باجة (ميرتولا) في البرتغال	أ . د . رفاه جاسم حمادي ايمان سفاح كوري	٥٢٥- ٥٣٨
.٢٧	رحلات الآلهة الى المدن في العراق القديم على ضوء النصوص المسمارية والأعمال الفنية	د. سرود طالب محمد طاهر	٥٣٩- ٥٦٢
.٢٨	مظاهر العنف ضد المراة عند العرب قبل الاسلام	أ.م.د. حميد مصطفى ناجي الياسري	٥٦٣- ٥٩٤
.٢٩	مراكز الحركة الفكرية والعلمية في العراق في العصر البويهي	م.م.إيمان عبد الجبار محمود التميمي	٥٩٦- ٦١٨

ت	اسم البحث	اسم الباحث	الصفحة
.٣٠	**شارع الرشيد (١٩١٦-١٩٥٩) دراسة تاريخية**	**حيدر كامل عاجل** **أ.د. كريم مراد عاتي**	٦١٩-٦٣٤
.٣١	تأميم النحاس التشيلي عام ١٩٧١ وموقف الولايات المتحدة الأمريكية منه	م.م حسين علي عبد الله أ.م.د مأمون شاكر أسماعيل	٦٣٥-٦٥٦
.٣٢	**الاحاديث الصحيحة الواردة عن المهدي عليه السلام**	**د. مرفت نواف عبود**	٦٥٧-٦٧٦
.٣٣	**قلعة الموصل بين مخاطر الاهمال والصراعات المسلحة**	**أ. د .نوال ناظم محمود**	٦٧٧- ٦٨٨
.٣٤	كتابة التاريخ الاسلامي في المدينة والعراق مقارنة بين مدرستين	أ.م.د. طه جميل احمد النعيمي	٦٨٩-٧٠٢
.٣٥	**الاحكام الجنائية في الاديان السماوية الثلاثة**	**د. باسم محمد عبيس**	٧٠٣-٧٣٤

الحَدائِق في العِراقِ القَديم ومُعظِلَةِ عِمارَة الجَنائِن المُعَلَّقَة ما بَينَ الواقِعِ الآثاري وخَيالِ المؤرِخينَ القُدَماء المَوضوعي

أ.م. أثير أحمد حسين
جامِعة مَيّسان/ كُلية التَربية- قِسم التأريخ
athir.517@uomisan.edu.iq

الحَدائِق في العِراقِ القَديم ومُعظِلَةِ عِمارَة الجَنائِن المُعَلَّقَة ما بَينَ الواقِعِ الآثاري وخَيالِ المؤرِخينَ القُدَماء المَوضوعي

أ.م. أثير أحمد حسين

الملخص:

ساعَدَت وفرة المياه في العِراق القديم، وأرضِهِ السهلة المِعطاء، فضلاً عن جِبالهِ الغَنّاء، في إنماء العملية الزراعية، وزيادة المساحات المزروعة. لتصبح المزروعات وخضرتها، سِمةٍ مِنْ سِمات هوية العِراق القديم. وكانت الحَدائِق والبساتين، مِن بين تِلكَ المساحات المزروعة، مصدراً مهماً للتمتع بجمالِها، والإستفادة مِن منتوجاتِها، وذلِكَ ما أشارات إليه الكِتابات الملكية، والنصوص المِسمارية الأُخرى، في العِراق القديم، فضلاً عن المشاهد الفنية، التي صورت تِلكَ الحَدائِق، وقنوات المياه لِإروائِها، وذلِكَ هو الواقع الآثاري، بِما كشفته التنقيبات الأثرية. ليختلف نوعاً ما، عن صورة بعض الأحداث والمعالم، التي أشارَ إليها المؤرِخون القدماء(الكلاسيكيّون مِن يونان ورومان)، بِرؤى خيالية موضوعية(أي رؤية قريبة مِن الواقع، أو ما يُمكِن تَحقيقهُ على أرض الواقع)، ساعدَ على بلورتِها، إيحاء وإلهام المحيط البيئي والحضاري للعِراق القديم، والإنبِهار بِهِما. فكانت صورة الجَنائِن المُعَلَّقَة، التي تصورها المؤرِخون القدماء، ما هي في الحقيقة، إلا صورة مِنْ حدائق القصور الملكية الأرضية، وأغلب الأبنية المقدسة، لا سيما المعابد الرئيسة. إذ أنّ الجَنائِن المُعَلَّقَة، حَسبَ ما صورها المؤرِخون القدماء، مشروع خيالي عملاق مهيب، ببِنائِهِ وطريقة إقامتهِ، وإسلوب إرواء مزروعاتِهِ، ذلِكَ الإسلوب المجهول، أو المفترض مِنْ قِبَل بعض المؤرِخين القدماء، شغل مخيلة الباحثين في عِلم الآثار، مفترضين في ذلِكَ أكثر مِنْ طريقة لِلإرواء، حتى أصبحت طريقة الإرواء هي الشاغل والمُعضِلة، أكثر مِنْ عِمارة بِناء تِلكَ الجَنائِن، مع إنتِفاء وجود أي دليل تأريخي أثري لِوجودها، مِنْ مُدَّة الحدث(زمن إقامة الجَنائِن)، أو مِنْ مُدَّة قريبة مِنْها.

Absract:

The Gardens in Ancient Iraq and the Problem of the Architecture of the Hanging Gardens Between the Archaeological Facts and the Imagination of Ancient Historians

The water and generous land in ancient Iraq, helped to increase cultivated areas. gardens and orchards were among those cultivated areas. the Royal texts, as well as the artistic scenes, that depicted these gardens and the water channels, this is the archaeological reality, different from the image of ancient historians(Greek and Roman classics), which stemmed from a fictional vision. the image of the hanging gardens, which ancient historians envisioned, is in fact only a picture of the ground royal palace gardens. the hanging gardens are a imaginative project, with its construction and the method of irrigation, with absence of any historical evidence of the archaeologists of those outstanding structures.

- **المقدمة:**

تميزت أرض العِراق القديم، بِطيبِ تربتِها وخصوبتِها، مع وفرة المياه وغِنائِها، أثرت بشكل كبير في إتساع الأراضي المزروعة، وإنتشار المساحات الخضراء، على إمتداد الأنهار ومجاري المياه، لِذلك كانت ثقافة العِراقي القديم، لا سيما الملوك، ترتكز على حب الأرض، والإستمتاع بجمال خضرتِها، مع الإستفادة مِن ثَمراتِ الأشجار ومحاصيل المزروعات. وتُعَدّ الحَدائِق والبساتين، من الموجودات المهمة، في التشكيلات العِمارية، مِثل القصور الملكية والمعابد الرئيسة في المدن، وكانت الإشارة إلى الحَدائِق والأشجار، متأصلة في المنظور الفكري والثقافي للعِراقي القديم، إذ لا تخلو أغلب الكتابات مِنْ إسّطورية ودينية وأدبية، فضلاً عن الملكية والسياسية والحوليات مِنْ الإشارة للحديقة والبستان ورمزيتهما. وفضلاً عن الكتابات المِسمارية، كانت هناك المشاهد الفنية، التي صورت تِلكَ الحَدائِق ومتعة الجلوس فيها.

أثَّرَ المحيط البيئي، والظرف المناخي، والمشهد الثقافي، لِحضارةِ العِراق القديم، الذي أبهرَ عقول المؤرِخون القدماء(الكلاسيكيين من يونان ورومان)، في خلق رؤى خيالية، قريبة من الواقع، لِمضمون كتابات آولئك المؤرِخون، فبِصرف النظر عن نقلِ إشاراتِهِم التأريخية وإقتِباسِها، بعضِهم من بعض، عن أحداث ومعالِم العِراق القديم، إلا إنّهم قد أضافوا، على ما سَمِعوا من معلومات، صوراً قصصية خيالية لزيادة التفاصيل، من أجلِ التشويق وإكمال صياغة الحدث. حتى تميزت كِتاباتِهم، ببعض الخلط والتداخل في ما بينِها والمبالغة، وربما تكون الجَنائِن المُعَلَّقَة، من تِلكَ الأحداث المَرويّة، التي أخذَت صورتِها، مِن شكلٍ بسيط، وإشارةٍ ربما غير مقصودة، إلى شكلٍ معقدٍ مُبهِر صعب التصور، أضاف عليها كل مؤرِخ، إقتبس معلومَتها، ما إستطاع، مِمّا يملك من قدرة على الخيال، والتصور والثقافة. وبِإحتمال كبير، لا وجود لِتِلكَ الجَنائِن المُعَلَّقَة، بالصورة التي صورها آولئِك المؤرِخون، وإنّ كانَ في مَشهدِها رمز عظيم، فلا يقلل ذلِكَ من فَخرِنا بِرِفعَة حَضارَتِنا، إذ يكفينا فخراً إفتِخار الآخرين بِها، مِن مُختلفِ الأجناسِ واللغاتِ، حتى باتَت مَصدرَ إلهامٍ لِرؤاهِم وخيالِهِم. وهنا يكمن الفرق بين الأصول الآثاريّة، والمنقول التأريخي.

- **أهمية البحث:**

حاولنا في بحثِنا المتواضع، أن نسلط الضوء، في جزئية منه، على أهمية التحري والبحث العلمي في الآثار والتأريخ، مِن خِلال التفريق والتدقيق ما بين الأصول والمنقول، ومن ثم التخمين والإفتراض والإستنتاج. إذ تتميز الدِراسات الآثاريّة، بالمنهجية العِلمية، التي تقرُب مِن الدقة في التوثيق التأريخي، وفق المكتشفات والقرائن مِن الواقع الآثاري، الذي يتحدد بِالمكتشفاتِ الأثرية، المادية والمدونات والمشاهد الفنية المصورة، فضلاً عن المُشاهَدات الشخصية الموثقة، وهي تُعدّ من الأصول، التي يمكن للباحث من خلالِها، البحث والتخمين والإستنتاج والإفتراض، لا سيما مع عدم إكتِمال تفاصيل الأثر المادي أو النص الكتابي والمشهد الفني. مع وضع حد فاصل وخط مشكوك فيه، إتجاه المرويات والإشارات التأريخية

المنقولة(الأسلوب النقلي وليس المُشاهَدَة)، أي المنقول والمُجتَهَد، مِن قِبَل المؤرِخين القدماء[١]، وعدم إتخاذها يقين مسلم به، مع توقع ضعف الإسناد فيها، لا سيما مع وجود فترات زمنية فاصلة طويلة، ما بين مصدر المعلومة(الناقِل وليس المُشاهِد)، وفترة الحدث المُشار إليه، وبين مصدر المعلومة ومقتبِسها، إذ إتسمت تِلكَ المرويات، في بعضِ الأحيان، بالخيال الموضوعي والقصصي، مبعثه الإنبهار برؤية ما، ومحاولة تجميلها بمنظور خيالي قريب مِنْ واقع ومحيط تِلكَ الرؤية، ليس بِشكلٍ إسّطوري أو خرافي، إذ أنّ الخيال الموضوعي، هو صورة مِنْ مخيلة الكاتب، قريبة مِنْ الواقع المحيط بالمشهد المروي والمنقول، فضلاً عن المبالغة في تفاصيل المشهد المنقول، والحدث المروي، مع إضافة المشاهد المشوقة للأحداث. فضلاً عن وجود بعض الخلط والتداخل والإضافة، في المعلومات المروية والمقتبسة، ما بين المؤرِخين. ففي بعض الأحيان يدفع الواقع الحضاري والمحيط البيئي، لخلق صور خيالية موضوعية، كصورة الحوريات وأساطيرها في حضارة اليونان، التي إنتقلت مشاهدها إلى القصص العربية، ومحاولة إثبات وجودها بإفتراضات الباحثين. فضلاً عن بعض المعالم والمظاهر والظواهر، التي تُنسب عبر الزمن لشخصيات وهمية أو دينية، هي في الأصل لا وثيقة تأريخية لها، ولا أثر باق يثبت وجودها، قد تناقلت روايتها الناس مع تحريف تفاصيلها، لا سيما مع مرور فترات زمنية فاصِلة طويلة. لذلِك يتوجب التفريق والتحقيق بين الأصول والمنقول.

- **الحَدائِق والجَنائِن ما بَينَ التَسميةِ والمعنى.**

يُعَّد المحيط البيئي للعِراق القديم، مظهر جغرافي بديع، سِمَتهَ الأرض والماء والمروج الخضراء، مِنْ أشجار ومزروعات منوعة. فالعِراق القديم، هوية واضحة للأرض المِعطاء والزرع الوفير، ليمثل لوحةٍ لأرضٍ خضراء وسماءٍ زرقاء، تنوعت خُضرتِهِ، ما بين أشجار النخيل، والفاكِهة لا سيما العِنب(الكروم) والرُمّان، فضلاً عن الحبوب بِأنواعِها والمحاصيل الزراعية الأخرى[٢]. وكانت الحَدائِق والبساتين، لا سيما في القصور المَلكية والمعابِد، من أهم الإنجازات الجمالية والإقتصادية، إذ أُستُعمِلت ما مِنها للنزهة، لِأغراض التمتع بجمال الخضرة والطبيعة، ومِنها لغرض الإستثمار والإستفادة، فضلاً عن وجود الحقول لزراعة الحبوب والخضروات وغيرِها. وقد وردت تسميات عِدّة للتمييز بين تِلكَ المساحات المزروعة، في اللغة السومرية والبابِليّة، إذ سُمّيَت الحَدائِق(البستان)في اللغة السومرية بشكل عام، ومِنْها حدائق القصور الملكية، المستثمرة بمزروعاتِها مِنْ أشجار الفاكِهة والنخيل، بِمقطَعَي گيش كيري وگيش سار (GIŠ.KIRI$_6$, GIŠ.SAR)[٣]، ليقابِلها في اللغة البابِليّة، مفردة كيرو أو كيروم(kirum)[٤]، بصرف النظر عن مشابهة تِلكَ المفردة لكَلِمَة كروم(العنب) في اللغة العربية، كارانو(karanu) في اللغة البابِليّة[٥]. وقد أُطلِقَ على الحديقة الكبيرة المخصصة، للمتعة والإنشراح(المتنزه)، أو الحديقة الملكية، في

اللغة السومرية گيش سار(أو كيري)ماخ(GIŠ.SAR.MAḪ)، وفي اللغة البابِليّة تسمية كيري ماخو(kirimaḫu)[٦].

وتُعدّ كَلِمَة الجَنّة، مِنْ الكَلِمات المهمة، التي عَنَت معان عدة، مِنْها الحديقة المسورة، والحديقة الملكية، والفردوس الأرضي، والفردوس السماوي، حسب التطور الزمني والفكري، في السياق التأريخي للإنسان، ونرجح بِرجوع أصلها اللغوي إلى لغات العِراق القديم. إذ إنّ الإشارة إلى حقول الحبوب والأعشاب والخضروات(Fields)، في اللغةِ السومرية، كانت بِإستعمالِ مقطع گانا أو گنا [٧](GANA$_2$)، وهي قريبة الشبه مِنْ الكَلِمَة العربية جَنّة، وكذلِكَ مقطعي (GAN$_2$) و(A.ŠA$_3$)، التي تقابل مفردة إيقلو البابِليّة(eqlu)[٨]، وهي قريبة الشبه مِنْ كَلِمَة الحقل العربية، وربما أُستُعمِلَت كَلِمَة گانا السومرية، إقتِباساً في اللغة البابِليّة، لِتصبح مفردة گانو(ganu) بمعنى الحقل[٩]، وكذلِكَ مفردة گَنّاتو(gannatu)، التي تعود ربما إلى أصل آرامي وعَنَت حديقة نباتية، كما أشار المعجم الآشوري[١٠]، إذ أُستُعمِلَت على مستو محدود، فقد ذُكِرَت في أحد النصوص، حَسبَ ما أشار المعجم الآشوري، بصيغة گَانّاتي–gan–na) (ti[١١]، وهو النص الذي تَضمَنَ نحو ٦٧ إسم لِشجرةٍ ونباتٍ، تعود للحديقة الملكية، في قصر الملك البابِلي مَردوخ بِلادان الثاني(٧٢١–٧١٠ق.م)، في مدينة بابِل، وقد نظم اللوح، مردوخ شوما إيدين، الذي لقبَ نفسه عابد الإله مردوخ [١٢]، مع وجود أسماء لكثير مِنْ النباتات باللغة الآرامية، الغريبة عن منطقة جنوب العِراق القديم في ذلِكَ النص[١٣]، ربما قد أُستُزرِعَت في القصر، إذ إنّ إستزراع النباتات والأشجار الغريبة، عُرِفَ عِند الملوك الآشوريون، في مُدَّة سابقة. وكذلِكَ وردت التسمية في أحدِ نصوص الملك نَبوخُذنُصَّر الثاني(٦٠٤–٥٦٢ق.م) بصيغة(ga–an–na–tum)[١٤]، وهي تسمية ضمن تسميات كثيرة، ربما تعود إلى جرد مستودع ما في القصر. وبِإحتمال كبير، كانت كَلِمَة گَنّا السومرية، وگانو البابِليّة، هي أصل كَلِمَة ومعنى الجَنّة(جيناتو الآرامية). فقد وردت كَلِمَة الجَنّة في التوراة، بمعنى الحديقة المسورة، التي تقابلها في اللغة الآشوريّة، حَسبَ ما أشارت المعاجم العِبرية، كَلِمَة گينو أو گَنّاتو(ginu, gannatu)[١٥]. ومِنْها جَنّة عدن، التي صورتها التوراة في مناطق مرتفِعة، يرويها نهر يتفرع مِنْ بعدِها إلى أربعة أنهار، مِنْها نهري دجلة والفرات، وقد نَصَت((**وَغَرَسَ الرَّبُّ الإله جَنّة فِي عَدْنٍ شَرْقًا، وَوَضَعَ هناك آدَمَ الَّذِي جَبَلَه .وَأَنْبَتَ الرَّبُّ الإله مِنْ الأَرْضِ كُلَّ شَجَرَةٍ شهية لِلنَّظَرِ وَجَيِّدَةٍ لِلأَكْلِ، وَشَجَرَةَ الْحَيَاةِ فِي وَسَطِ الْجَنّة، وَشَجَرَةَ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ. وَكَانَ نهر يَخْرُجُ مِنْ عَدْنٍ لِيَسْقِيَ الْجَنّة، وَمِنْ هناك يَنْقَسِمُ فَيَصِيرُ أَرْبَعَةَ رُؤُوسٍ:اِسْمُ الْوَاحِدِ فِيشُونُ، وهو الْمُحِيطُ بِجَمِيعِ أَرْضِ الْحَوِيلَةِ حَيْثُ الذَّهب وَذَهب تِلكَ الأَرْضِ جَيِّدٌ . هناك الْمُقْلُ وَحَجَرُ الْجَزْعِ .اسْمُ النهر الثَّانِى جِيحُونُ، وهو الْمُحِيطُ بِجَمِيعِ أَرْضِ كُوشٍ. وَاسْمُ النهر الثَّالِثِ حِدَّاقِلُ، وهوَ الْجَارِي شَرْقِيَّ أَشُّورَ. والنهر الرَّابِعُ الْفُرَاتُ**))[١٦]. وبِصرف النظر عن منطقة وجود جنة عدن، التي قد تكون بِلاد بابِل(أرض شنعار في التوراة)[١٧]، فقد أصبحت كَلِمَة الجَنّة تُطلق أيضاً،

على حدائق قصور الملوك، في العديد من اسفار التوراة[١٨]، مِنْها ما جاء في سفر أستير ((**وَلِيمَةً سَبْعَةَ أَيَّامٍ فِي دَارِ جَنَّةِ قَصْرِ الْمَلِكِ**))[١٩]، وترجمتها في اللغة الآرامية(ginnat bitan hammelek)، التي عَنَت حديقة قصر(بيت) الملك[٢٠]. وكان السهل المزروع، يُسمى في اللغة السومرية، بمقطع إيدن(EDIN)، ويقابلها في البابِليّة، مفردة إيدنو(edinu)[٢١]، ونرى هنا قرب الشبه بينهما وبين كَلِمَة عدن الوارِدة في التوراة، وكذلِكَ يقابل كَلِمَة إيدن السومرية، كَلِمَة صيرو(ṣēru)البابِليّة، التي عَنَت السهل أو الحقل، أو الأرض والبِلاد الخلفية أو المفتوحة وغيرها[٢٢]. فضلاً عن ذلك أُشيرَ للسهل المزروع في اللغة السومرية بمقطع آگار($AGAR_2$)، ويقابله في اللغة البابِليّة مفردة أوگار(ugaru)[٢٣]، وهي قريبة الشبه مِنْ كَلِمَة عِقار العربية.

أمّا في الفترة التي تلت سقوط الدولة البابِليّة، وتسلط الدولة الفارسية على العِراق القديم، ومع إنتشار المؤسسات الإقتصادية الصغيرة، المتمثلة بالعوائل اليهودية، ومهمتها في البيع والشراء والإيجار والإقراض، لا سيما ما خَصَ الأراضي الزراعية والحقول، ومع إنتشار اللغة الآرامية، والفارسية القديمة فضلاً عن اللغة البابِليّة[٢٤]، ترد كَلِمَة باردیسو(pardēsu)، في الألواحِ المِسمارية، ومعناها الحديقة في اللغةِ الفارسية، التي دُوِنَت بالكتابة المِسمارية، بالمقاطع(par–de–su)[٢٥]. وقد وردت كَلِمَة براديس (paradis) في اللغة الإنكليزية، مقتبسة عن سابِقتِها، التي عَنَت الجَنّة أو الفردوس، عِلماً إنّ لفظة الجَنّة والجَنائِن، هي تعبير مِنْ قِبَل المؤرِخين العرب عن الحديقة، وهي الكَلِمَة التي ظهرت في ترجمات التوراة العربية للإشارة إلى الحديقة، ونحن أشرنا إلى رجوع أصولِها، بِإحتمال كبير، إلى مفردات العِراق القديم.

- **لغز الگيگونو(gigunu) ما بين القدسية وجمال الطبيعة:**

وردَت بعض المُصطلحات في مدونات العِراق القديم، التي لها أهميتِها، ربما مِنْ حيث اللفظ والمعنى، في جزئية بسيطة مِنْ البحث، وتستحق مزيداً مِن البحث والتحقيق مستقبلاً، مِنها كَلِمَة أو مصطلح گيگونو(gigunu) البابِليّة. التي عَنَت، حَسبَ ما أشار المعجم الآشوري، المبنى المقدس المرتفع، لا سيما الغرف المقدسة العالية في المعابد المتدرجة(الزقورات)، والغرف المقدسة للآلهة المشيدة فوق المصطبات، ويقابلها في اللغة السومرية مقاطع($GI.GU_3.NA$, $GI.GUN_4.NA$). إذ أُستُعمِلَت في إشارات تأريخية كثيرة، منذ العصر السومري القديم، حتى نهاية العصر البابِلي الحديث[٢٦]. وعَنَت الگيگونو كذلِكَ، حَسبَ ما أشار بعض الباحثين، الحَدائِق المزروعة بأشجار ونباتات عطرية، لِأجلِ المتعة والإنشراح، ومِنْها حدائق للحيوانات الغريبة. وربما هي بناء مِنْ القصب، يقام على مرتفع صناعي، عِلماً إن المعنى الحَرفي للمقاطع هو(قصب متعدد الألوان)[٢٧]. وقد عَنَت الكَلِمَة، مِنْ إشارات العصر السومري القديم(عصر فجر السلالات٢٩٠٠-٢٣٧٠ق.م)، مفهوم المصلى القصبي(Reed Shrine)، فضلاً عن الإشارة إلى البناء القصبي، في البستان المقدس للآلهة، ضمن نطاق المعبد، وهناكِ إشارات

كثيرة حول ذينك المعنيين، مِنْها إشارات إنتمينا أو إنميتنا(حاكم مدينة لگش في سلالتِها الأولى) (نحو ٢٦٠٠ق.م)، إذ أشار((**إنميتنا(En-metena) حاكم مدينة لگش، بنى "مُصلى القصب" الگيگونو للإله نينگيرسو**))[٢٨]. وكذلِكَ((**إنتمينا حاكم مدينة لگش، بنى "بيت القصب متعدد الألوان" الگيگونو في البستان المقدس للإلهة نينخُرساگ**))[٢٩]. وعلى غِرار تِلكَ الإشارتين، هنالِكَ الكثير. عِلماً إنّ ذلِكَ الگيگونو يختلف بِخصوصيتِهِ عن الحَدائِق العادية، إذ أشار الملك إنتمينا، ما نصه((**إنتمينا حاكم مدينة لگش بنى قصر(معبد) الأنتاسورا مِنْ أجل الإله نينگيرسو، وزينهُ بالذهب والفِضَة، وزرع مِنْ أجلِهِ حديقة(E.ŠA)، وحفرَ له بِئر مِنْ الآجر**))[٣٠]. وقد ورَدَت كَلِمَة الگيگون بمقطعي ($GI.GUN_4$)، في إشارات عِدّة للأمير الحاكم گوديا(أمير مدينة لگش في سلالتِها الثانية نحو ٢١٣٠ق.م تقريباً)، ومِن خَلَفِهِ في حكمِ السلالة، نَصَت على بِناء أو زراعة الگيگون بعطر أشجار الإرز، في معبد الخمسين إينينو($E_2.NINNU$)، للإله نينگيرسو(الإله الرئيس لِمدينةِ لگش)[٣١]. وربما المقصود مِنْها في كِتاباتِهِم المختصرة، زراعة حديقة، أو مساحة مِنْ مزروعات الأشجار العِطريّة، وربما بِناء غرفة مِنْ القصب، على مرتفع عال مِنْ التراب، في المنطقة المزروعة بتِلكَ الأشجار، التي تَميزت بِعِطرِها، شبيهاً بِعِطر أشجار الإرز مِنْ جِبالِ لبنان، لِأثر تِلكَ الأخشاب في أبنية العِراق القديم وأهميتِها.

كان لِلجَبلِ رمزية جميلة في الفكر العِراقي القديم، فقد مَثّلَ مِنْ الناحية التشبيهية، الإرتفاع الشاهق، والقوة، والشموخ والثبات، وذلك لحب العِراقي القديم، الشموخ والعِلو والمُرتَفَع وضخامة الحجم، كرموز للعظمة والبهاء والوجاهة والتميز والزهو، حتى أُستُعمِلَت كَلِمَة الجبل، كرمز تشبيهي في أغلبِ الإشاراتِ التأريخية لِملوكِ العِراق القديم، تَفاخُراً في وصفِ أعمالِهم وإنجازاتِهم العمارية. ومن تِلكَ الإشارات وفيما خَصَ ذِكر الحَدائِق، أشارة الأمير گوديا((**في معبد الإله نينگيرسو، الأريكة الحجرية(ربما العرش الإلهي)، تقوم مِثلَ جبلٍ مهيب على الأرض، سرير مِنْ الرصاص يقوم عالياً على مهدٍ مِنْ القصب، يرتفع مِثلَ جبلٍ مِنْ المرمر بوجهٍ عريض، الحديقة($GIŠ.KIRI_6$) وارِفة الظِلال على السهل، التي تمتد مِنْ المعبد، فيها تقوم جِبالٍ مِنْ الخمر وشرابٍ نقي**))[٣٢]. وقد إستمرت صيغة التشبيه برمزية الجبل، حتى نهاية العصر البابِلي الحديث. وربما كانت الإشارة إلى رمزية الجبل في الحَدائِق، لتنوع المزروعات والأشجار، وعطريتها، وربما كان القصد من تشبيه الحديقة بالجبل، الإشارة إلى إرتفاعِ وشموخ أشجارِها.

أما الملك السومري أورنَمو(٢١١٢-٢٠٩٥ق.م)، فقد أشارَ إلى بِنائِهِ معبداً، مِنْ أجل الإله آنو في مكان نقي، وحديقة عظيمة($GIŠ.ŠAR.MAḪ$)[٣٣]. وأشار أيضا إلى إعادة إعمار معبد الإله ننار، مُضيفاً زراعة قطعة مِنْ الأرضِ، لِتكون حديقة أمام المصلى[٣٤]. وفي ترنيمة للإله إنليل، مِن قِبَل الملك أورنمو، وردَ فيها((**الجبل ذو المدرجات الگيگونا(ربما قَصَدَ الزقورة)، لمقر سكن الجبل العظيم الإله إنليل**))[٣٥]. ووردَت مِن العصر البابِلي القديم، الإشارة إلى الگيگونا، لأكثر مِنْ مرة، لا سيما مِنْ ملوك

مدينة لارسا وبابِل، في أعادة إعمارِهِم الگيگونا لمعبد الإله شمش(إيبابار)في مدينة سبار(٦٠كم شمال مدينة بابِل)، وقد عَنى المعبد العالي الشامخ مثل الجبل[٣٦]، وربما كانَ المقصود زقورة مدينة سبار.

لم ترد كَلِمَة الگيگونو في الكتابات الملكية الآشوريّة، ما عدا إشارة للملك الآشوري آشوربانيبال (٦٦٨-٦٢٧ق.م)، لإعادتهِ إعمار إيگيگونو(Egigunu)، زقورة مدينة نفر[٣٧]. وهي تسمية الزقورة، التي ربما عَنَت بيت الضريح، حَسبَ ما أشار بعض الباحثين [٣٨]. وهناكَ إشارة للملك البابِلي نَبوخُذنُصَّر الثاني، لِبنائِه مبنى مرتفع، بين سوري المدينة، وجعله متدرجاً عالياً مِثلَ الجبل، وربما مِن عدم الصواب، أنّ يتخِذها بعضِ الباحثين، بوصفِها إشارة للجنائن المُعَلَّقَة، إذ نصت الفقرة((**أنا بنيت مبنى كومو گيگوناتم عالٍ(kummu gi-gu-na-a-tim)، بشكل واسع، مع مصطبات متدرجة كالجبل، بين سوري مدينة بابِل، وجعلتهُ مقراً لإقامتي الملكية**))[٣٩]. ومن الراجح إنّه يقصد مبنى خاص لهً قدسيتِهِ، في القصر المركزي أو الشِمالي. أو بِناء الگيگونو مع بِناء القصر. فقد ورد كذلِكَ مبنى الكومو گيگونو في كتابات الملك البابِلي نَبونَئيد، مرتبِطاً ببناء الزقورة[٤٠].

يدفعنا مصطلح الگيگونو للتساؤل عن ماهيتِهِ، إذ يرى بعض الباحثين، أنّ الگيگونو، قسم بنائي مهم، مِنْ ضمن التشكيل البنائي للمعبد[٤١]. فهل كانَ بناء مِنْ القصب للابنية المقدسة فقط؟ هل أُقيمَ مِنْ اجل ان يكون مصلى صيفي ربما او ليلي؟ هل هو المعبد العلوي في الزقورة؟ لذلك أصبح المصطلح ذو طابع رمزي، لكل مبنى مقدس أو مميز مرتفع.. هل كانَ محل للإنشراح والإرتياح الإلهي والإنعزال مِنْ أجل التأمل والغِذاء؟ لذلِكَ كانت له جماليتهِ وألوانِهِ، وأن يُقامَ على مرتفعٍ صناعي، ربما يرتقى إليه بِسلمٍ أو بمنحدرٍ، لِيعلو ما دونهِ للتجلي والرِفعة، وغالِباً ما يكون مزروعاً بمزروعات عطرية تزيد مِنْ بهجة وسرور الجالس، سهلة الإرواء، لِتندثر سريعاً وتذبل عند تركِها لمُدَّة ما. ربما الكثير مِنْ التساؤلات حول تِلكَ الجزئية البِنائية. فقد وردت مفردة الگيگونو في الكثير مِنْ الإشاراتِ التأريخية، دينية وسياسية وأدبية وإجتماعية وغيرها. وفي أغلبِ الإشارات، ترد تِلكَ الكَلِمَة وقد عَنَت بناء مرتفع، يُشَبَّه بِالجبلِ غالِباً، له قدسيتهِ وأهميتهِ، ضمن التشكيلات البنائية، لا سيما المعابد، ربما ضمن منطقة مزروعة بأشجار عطرية، أو دونَ زِراعة المنطقة المحيطة بِهِ. وربما كانَ لِكَلِمَة الگيگونو وكَلِمَة الگناتو، أثر كبير في بلورة مفهوم الجَنّة أو الفردوس الإلهي لاحِقاً. وهو موضوع مهم معروض للدراسة المقارنة والتحليل مستقبلاً ولا سيما مِنْ خِلال دراسة النصوص المِسمارية.

- **الحَدائِق في الكتابات الملكية الآشوريّة:**

إنتشرت الحَدائِق في العِراق القديم وكثرت الإشارة إليها، مِنْ خلال الكتابات المَلكية. وتنوعت ما بين حدائق المدن والمعابد، والحَدائِق الملكية في القصور، التي إهتم بِها الملوك الآشوريون. ومن الإشارات الملكية المهمة، ما أشارَ بها الملك الآشوري، تِجلات بِلسَر الأول(١١١٥-١٠٧٧ق.م)، إذ ورد

في أحدى كتاباتهِ((**بجانب تِلكَ المنصة، أنا زرعت حديقة مِنْ أجلِ راحتي الملكية، أنا حفرت قناة للمياهِ، مِنْ نهرِ الخوصر(ḫu-sir)، ووجهتها نحو الحديقة($GIŠ.KIRI_6$)، ووجهت باقي المياه، نحو أراضي المدينة(نينوى)، مِنْ أجلِ إروائِها.. في داخل(مع) تِلكَ الحديقة، أنا بنيت القصر على المنصة**))[٤٢].

ونرى أنّ الملك قد بنى قصره ضمن مزرعة أو حديقة ملكية كبيرة، للمتعة والجمال، إذ وجه لها قناة كبيرة لإروائها مِنْ نهر الخوصر، قرب مدينة نينوى. وأشارَ الملك آشور بيل كالا(١٠٧٤-١٠٥٧ق.م)، بِنصٍ تأريخي ورَدَ فيه((**القناة التي حفرها أبي الملك آشور دان(الأول)، قد إنهار مصدر مياهِها، ولم يجر الماء فيها منذ ثلاثين عام، أنا حفرت المصدر لِتِلكَ القناة، وجعلت الماء يجري فيها، وزرعت الحَدائِق**)) [٤٣]. أمّا الملك آشورناصربال الثاني(٨٨٣-٨٥٩ق.م)، فقد إهتم بزراعة الحَدائِق، وتنوع منتوجاتِها وجودتها، فضلاً عن محاولة إستزراع الأشجار والنباتات الغريبة، التي تنمو في مناطق خارجية، ربما مِنْ أجل تحقيق الإكتفاء الذاتي، والشعور بالزهو والفخر، بِأمتلاك كل ما مفقود في العواصم والمدن الآشوريّة، والنجاح في تحقيق ذلِكَ، إذ أشار في بعض مِنْ نصوصِهِ((**أنا حفرت قناة مِنْ نهر الزاب الأعلى(za-ba)، وأسميتها باتّي خيگالّي(Patti-ḫegalli)، وزرعت الحَدائِق والبساتين بمختلف أشجار الفواكه والعنب، كما هي في بيئتِها، أنا زرعت الأشجار مِنْ مدن، أنا أحتليتها سابِقاً، والجبال التي مررتُ بِها، الأشجار(عدد كبير مِنْ مسميات الأشجار مِنْها شجر الإرز والسرو)....، القناة كشلالات المياه التي تجر مِنْ فوق إلى الحَدائِق(في مدينة كالخو)، عبيرُها ينتشر في الممرات، وهي تروي حدائق المتعة والجمال(المتنزه الملكي)الملكية، التي تزينها أغصان العِنب وأشجار الرمان...آشورناصربال(الثاني) في حديقة الفواكه اللذيذة، إختار الفاكهة.....**))[٤٤].

كُثُرَت الإشارات إلى قنوات الإرواء والحَدائِق، في كتابات الملك الآشوري سنحاريب(٧٠٤-٦٨١ق.م) الذي إفتخر، بحفر قنوات المياه، لا سيما مِنْ المرتفعات الجبلية، وتوجيهِها نحو الأسفل، مِنْ إجل إرواء أراضي مدينة نينوى الزراعية، وحدائق القصر بالمياه. وربما يعود ذلِكَ، في جانب منه، إلى مشاهداتهِ الفطنة، لقنوات المياه ومجاريها، فضلاً عن الحَدائِق والأراضي الزراعية المزدهرة، في مدينة بابِل وبِلاد كالديا(المنطقة الوسطى والجنوبية مِنْ العِراق القديم)، كما ورد ذلِكَ في كتاباتِهِ، وربما سبب ذلِكَ، معايشتهِ لِتِلكَ المناطق، مِنْ خلالِ الحملات العسكرية، التي شنها لقمع التمردات، لا سيما في مدينة بابِل، وقضائهِ على الملك البابِلي الآرامي مردوخ بِلادان، فقد نصت إحدى كتاباتهِ((**حديقة كبيرة(متنزه)(kirimaḫu)يشبه جبل الأمانوس(kur ḫa-ma-nim)، بجانب قصري الملكي، القصر الذي لا مثيل له(في نينوى)، زرعتُ فيها كل انواع النباتات وأشجار الفاكهة...وأشجار..مثل تِلكَ التي تنمو في الجِبال(ربما قَصَدَ الأمانوس) وفي بِلاد كالديا(وسط وجنوب العِراق القديم)، وكذلِكَ الأشجار التي تحمل الصوف(ربما قَصَدَ القطن)، ولِأجل إرواء الأشجار والمزروعات، مِنْ حدود مدينة**

كيسيري(kisiri)(١٥كم شمال مدينة نينوى قرب نهر الخوصر)، إلى سهول مدينة نينوى، خِلال المناطق الجبلية(السفوح والوديان)، والمناطق السهلية، قناة لمسافة طويلة، أنا حفرت بفأسٍ مِنْ حديد، والمياه مِنْ نهر الخوصر، جعلتها تروي تِلكَ البساتين، تنساب في مجاري للمياه وقنوات عديدة))[٤٥].

نلحظ أثر مدينة بابِل، العاصمة القوية، للملك مردوخ بِلادن الثاني المتمرد، ومقر قصرِهِ المزدان بأشجار الحَدائِق، في نَص الملك سنحاريب. فضلاً عن تأثر الملك سنحاريب بأشجار الجبال(الأمانوس)، وأشجار التي تحمل الصوف(القطن)، التي تنمو في بِلاد مصر القديمة بشكل عام. ربما أراد الإشارة إلى إستزراعهِ أغلب الأشجار مِنْ الجهات الأربع وكل البِلاد البعيدة والمهمة. وتنص كتاباتهِ أيضاً**((أنا سنحاريب ملك بِلاد آشور، الأول مِنْ بين كل الأمراء، الذي مِنْ شروق الشمس لحين غروبِها....حفرت قنوات المياه، لتجهز مدينة نينوى، مع ضواحيها والحَدائِق وحقول العِنَب وكل الأنواع مِنْ .....التي تنمو في الجبال، الفواكه مِنْ كل البِلاد، أنا زرعتها، وجعلت المياه تنساب إلى الأراضي الجافة))**[٤٦]. وكذلِكَ**((أنا جلبت الأشجار مِنْ مناطق بعيدة وبِكثرة، مثل شجرة الدهن(الزيتون)، وجعلتها في قصري))**[٤٧]. **((الحَدائِق التي زرعتها حول معبد عيد رأس العامِ وجعلت مياه القنوات تسقيها، إثنين مِنْ قنواتِ الإرواء، أنا حفرتها حول جوانبِهِ، وأحطته بالحَدائِق والبساتين والنباتات الزاهية))** [٤٨]. وهناك نص للملك سنحاريب، أشارَ فيه بشكل واضح، إلى جمعهِ كل غريب مِنْ نبات وحيوان، لتكون حديقتِهِ محيط ومنتجع طبيعي وربما تكون أول محمية طبيعية في العالم. فقد نَصَت إشارتِهِ**((في الحَدائِق إلى جانب مزروعاتِها الطبيعية مِنْ بيئتها، مِنْ أشجار العِنب والفاكهة، زرعت أشجار السرو والتوت وكل انواع الأشجار التي تنمو بضخامة وتنتج أفرع كثيرة وأغصان، طيور السماء، طيور الإيگيرو(igiru)، التي موطِنها بعيد جداً، بَنَت أعشاشِها، في أجمات القصب المتشابكة، التي زرعتها، الوحوش الغريبة، والخنازير البرية، في المسطحات المائية(إبتداع شكل مِنْ أشكال المستنقعات أو ما يشبه الأهوار) التي عملتها، أشجار التوت والسرو، أنا قطعتها وزرعتها في قصوري الملكية، والأشجار التي تحمل الصوف، التي أستعملها في حياكة منسوجاتي، أنا حفرت نحوها القنوات، التي تأخذ مياهها مِنْ بعيد، مِنْ بين الجبال والسهول، مِنْ نهر الخوصر الذي قلت في مجاريه المياه، في مواسم الصيف، جعلتها وفيرة بعد ذلِكَ، وقد وسعت عيون المياه ومجاريها، في مراكز تجمع المياه الجبلية، وجمعتها في أحواض، وحفرت القنوات مِنْها بفأس مِنْ حديد بين الجبال والسهول، لِأرواء كل البساتين وحدائق مدينة نينوى))**[٤٩].

أمّا الملك أسرحدون(٦٨٠-٦٦٩ق.م)، فقد إرتبطت بعض مِنْ مشاريعِهِ، مع مدينة بابِل، مِنْ خِلالِ سعيهِ لِإعادة إعمار ما خَرِب، في المدينة، مِنْ جراءِ الحملات العسكرية، التي شنها أبيه الملك سنحاريب، ضد مدينة بابِل لقمع التمرد المستمر فيها، إبان حكم مَلِكِها مَردوخ بِلادان. وفيما خَصَ ذِكر الحَدائِق والبساتين في نصوصِهِ الملكية، إشارات نصت**((بين الأشجار والحَدائِق، مجاري وقنوات المياه.....لِمعبد**

إيكارزاگينّا(Ekarzaginna).....))[٥٠]، ويشار إلى إنّ معبد(مُصلى)إيكارزاگينّا، يعود للإله أيا، ضمن التشكيل العِماري لمعبد الإيساگيلا، معبد الإله مردوخ في مدينة بابِل[٥١]. وقد تَعددَت الإشارات لذلِكَ المعبد وحدائِقهِ مِنْها ما نصها((**من آشور لمدينة بابِل، أنا أخذت بيد الإله بيل(^{d}EN) والإلهة بيليتيا (^{d}Belitiya)، وجعلتهم يدخلون بفرح شوآنّا(Šuanna)(مِن المناطق الرئيسة في مدينة بابِل)، مدينتهم الموطن، دخلوا بين البساتين والحقول والحَدائِق والقنوات لمعبد إيكارزاگينّا**))[٥٢]. وهناك نص آخر للملك أسرحدون، شبيه بنصوص الملك سنحاريب، أشار فيه ما قامَ بهِ في قصرهِ في مدينة نينوى ((**أنا زرعت، على طولِ القصر، حديقة كبيرة(متنزه)(GIŠ.KIRI.MAḪ)، نسخة مِنْ جبل الأمانوس، مع كل أنواع النباتات والأشجار العطرية والفاكِهة، انا قمت بتوسيع ساحتِها، وجعلت مدخلها أكثر عَرضاً، أنا وجهت قناة للمياه نحوها، وكذلِكَ نحو أحواض شرب الخيول، وجعلت خرير الماءَ مسموعاً، في المجاري والقنوات**))[٥٣].

كان رغبة الملوك الآشوريين بجلب كل ما هو غريب مِنْ حيوانات ونباتات وأشجار مِنْ البلدان الغريبة الأجنبية والبعيدة، إلى بِلاد آشور. وكانت رؤية الملوك الآشوريين الجمالية والمعنوية، شق قنوات المياه وزراعة الحَدائِق الإستثمارية، والحَدائِق الملكية(المتنزه)، وإستزراع الأشجار الغريبة، مِنْ المناطق الأخرى، كمنظور فلسفي للوصول إلى الإكتفاء الذاتي، والتميز بالشمولية، وعدم الإحساس بوجود نقص ما، وربما إمتلاك كل شيء، ومن ثم التمتع برؤية الجمال والقوة. وربما يكون مبنى الگيگونو، مشابهاً نوعاً ما، لِمبنى البيتانو في القصور الآشوريّة، المذكور مِنْ العصر السرجوني، لا سيما من عهد الملكين سنحاريب وأسَرحَدون، إذ أشار أحد الباحثين، إلى ان البيتانو، هو مبنى مِنْ ضمن التشكيل البنائي للقصر، ضمن منطقة مزروعة تمثل حديقة، الغرض مِنْها راحة الملك ومتعتهِ، ومكان لمأكله وجلوسهِ مع العائلة، لا سيما في فصل الصيف، لِيمُثِل بيتٍ صيفي صغير ضِمن القصر. وأشار الباحث كذلك إلى أنّ البيتانو والحديقة الملكية الكبيرة للقصر(المتنزه)، ربما تكون مقتبسة مِنْ الجهات الغربية، حالها حال بيت خيلاني(المبنى المزين واجهتهِ بالأعمُدَّة)[٥٤]. عِلماً أنّ مِنْ سمة الملوك الآشوريين، هي الفخر بصدق أفعالِهِم، وهي سمة مِنْ سمات القبائل الجزرية، لذلِكَ لو كانت تِلكَ الحَدائِق ونظام البيتانو، مقتبساً مِنْ الجهة الغربية، أي ممالك بِلاد الشام الآرامية، لأشاروا إلى ذلِكَ، مِثلَ إشاراتِهِم، لبيت خيلاني، المقتبس حسب أقولِهِم، مِنْ بِلاد خاتي، بل أشاروا بشكل واضح، إلى جمال حدائق بِلاد كالديا وأشجارِها فضلاً عن أشجار جبال الأمانوس القوية ذات العطر. فضلاً عن حب الملوك الآشوريين لجمال الحَدائِق وبهجتها، والطبيعة الجبلية الغناء، لا سيما في مواسم الربيع وأعياد رأس العامِ(أكيتو)، فالمنظور النباتي والزراعي والمناطق العشبية الخضراء، هي مِنْ سمات أرض العِراق القديم، وروح ثقافة مجتمعِها، على الرغم مِنْ مشاغل الدولة، بِإقامة أقوى الممالك. فحب الحياة والتمتع بالجمال والبهجة، التي تضفي الحيوية والتجدد

على طبيعة العِراقي القديم، ولا سيما الشريحة الملكية، هي ثقافة المجتمع الرئيسة، ثقافة التمتع بِجمالِ الطبيعة الخضراء.

لم يشر الملوك الآشوريون في كِتاباتِهم، إلى أي شكل من أشكال الجَنائِن المُعَلَّقَة، أو الإجتهاد ببناء تشكيل خاص، بِعمارة جنائن أو حدائق ملكية، لها ميزتها وتفردها عن الحَدائِق الأرضية، حتى لم تكن هناك أيةِ إشارة لعملية إرواء أو إسلوب ميكانيكي او يدوي، يختلف عن طريقةِ الإرواء الطبيعي بقنوات المياه ومجاريها. وما منحوتاتِهِم الجدارية، التي ضمت الكثير مِن مشاهد الحَدائِق الملكية والجبلية، المزدانةِ بِالأشجار، لا سيما أشجار العِنَب[٥٥]، والرمان وغيرها، بشكل متناثر، في أرجاء اللوحة المنحوتة، لتمثل جزء من العناصر المرئية الأخرى، الزخرفية منها والرئيسة. فنرى تِلكَ الأشجار على الجبال، تحت مستوى المشهد الرئيس، أو في الجزء العلوي من المشهد، وهي تمثل حدائق القصر، ومنها على جدران القصور ومنصاتها وغير ذلك. فلم يرد من خِلالِها التعبير عن الصفة المكانية، لِتِلكَ الحَدائِق والأشجار، بقدر توزيع عناصر المشهد، توزيعاً عمودياً في اللوحة، لغياب منظور البعد الثالث في الفن العِراقي القديم، أي غياب مفهوم خط الأفق أو العمق، وبالتالي غياب الرسم الأفقي للمشهد، والرسم بِبُعدَّي الطول والعرض، مع إستعمال إسلوب الرسم العمودي للمشهد، ومبدأ مَلء الفراغ لسطح اللوحة، بكل العناصر الزخرفية، لجمالية المشهد الرئيس، فلم يكن هناك قصدية واقعية، في تحديد الموقع المكاني للمشهد أو العنصر الزخرفي، بل نثر فني جمالي على كامل سطح اللوحة، يتلائم مع روحية المشهد الرئيس.

- **مُعضِلة عِمارة الجَنائِن المُعَلَّقَة:**

تغنت الأجيال بِإحدى عجائب الدنيا السبع، وهي الجَنائِن البابِليّة المُعَلَّقَة، ومِمّا يؤسف له، لم يَستدِلَ الباحثين والمختصين، في الحضارة البابِليّة وآثارها، على أيةِ إشارةٍ تأريخية أو آثارية، لوجود مثل تِلكَ الجَنائِن في مدينة بابِل، مِنْ عصر الملك نَبوخُذنُصَّر الثاني، الملك البابِلي الكلدي الكبير، الذي نُسِبَت إليه إقامة تِلكَ الجَنائِن، على سطح قصرهِ أو مبنى بالقرب منه. وقد خضعت مسألة الجَنائِن المُعَلَّقَة، مِنْ جانبها التأريخي والفني، إلى دراسات وتخمينات وإفتراضات، للكثير مِنْ الباحثين، لا سيما في علمِ الآثار، بداية مع مُنقِب الآثار الأستاذ روبرت كولديفاي، ومحاولتِه في ترجيحِ ما سُمّيَ بِمبنى الأقبية، في القصر الجنوبي للملك نَبوخُذنُصَّر الثاني، كونهِ المبنى الذي أُقيمَت عليه الجَنائِن المُعَلَّقَة[٥٦]. وكذلِكَ المنقب هرمِز رَسام الذي أقر وجود تِلكَ الجَنائِن، بدلالة إكتشافهِ لِأربعة آبار[٥٧]. ومن بَعدِهم الكثير[٥٨]. إلا إنّ تِلكَ التخمينات والإفتراضات، ربما لا تُغني قناعات المختصين الآخرين بعلم الآثار، كونها إفتراضات بُنيَت على إشارات ضعيفة السند، وهي إشارات المؤرِخين القدماء.

تتحدد مُعضِلة الجَنائِن المُعَلَّقَة، بِإنتفاء وجود الدليل الأثري والوثائقي(التأريخي)، مِنْ مُدَّة إقامتها، ضمن العصر البابِلي الحديث. والإشارة إلى الجَنائِن المُعَلَّقَة، كانت مِنْ خِلالِ مُعضِلة ثانية، تتمحور في

إختلاف وتفاوت الرواية المنقولة، كمقتبسات مِنْ قِبَل المؤرِخين القدماء، والإشارة إلى تِلكَ الجَنائِن، مِنْ فترات متأخرة عن مصدر الإشارةِ الأولى، التي هي في الأصل مِنْ فترَةٍ متأخِرة عن مُدَّة الحدث(إقامة الجَنائِن المُعَلَّقَة)، فأغلب كُتُبْ المؤرِخون القدماء قد إختفت، ولم نتعرف إلى أسماء كثيرة، مِنْ آولئك المؤرِخين، إلا مِنْ خلال إشاراتٍ متأخِرة عَنهم، مِنْ مؤرِخين آخرين. فالمُعضِلة مزدوجة، فمِن الجانِب الأول، عدم القدرة على إثبات وجود مثل تِلكَ الجَنائِن مِنْ مُدَّة وجودها، مِن الناحية المادية، أي البقايا الآثاريّة، ومِن الناحية الوثائِقية، أي المصادر المِسماريّة، إذ إنّ الملك نَبوخُذنُصَّر الثاني، الذي أشار إلى جميع إعماله الإعمارية مفتَخِراً، لم يُشِر في أي نصٍ مِن نصوصِهِ، إلى إقامَة الجَنائِن المُعَلَّقَة، ذلِك العَمل الكبير، الذي أصبحَ في مخيلةِ المؤرِخون، مِنْ عجائِبِ الدُنيا السَبع. لا سيما وإنّ الجَنائِن أو الحَدائِق الأرضية، كانت من المُنجزات، التي تفاخَرَ بها الملوك الآشوريين في قصورِهِم وباقي العمائِر الأُخرى. ومِن الجانِب الثاني، عدم القدرة على تأكيدِ مصداقية الإشارة إلى تِلكَ الجَنائِن، ونسبتها بشكل موثوق إلى مصدرِها الاصلي، لغياب الكتب الأصلية، والإستناد إلى إشارات، مِنْ فتراتٍ متأخرة جداً، عن مُدَّة إقامة تِلكَ الجَنائِن، وحتى مِن مُدَّة الإشارة الأولى لها، التي تُعَدّ هي أيضاً مُتأخِرة عن مُدَّة الحدث. فالمُعضِلة تتمحور في ضعف الإسناد وعدم الدِقة، في كتاباتِ المؤرِخين القدماء، لا سيما وقد بهرت كل مِنْ الحضارة الآشوريّة والبابِليّة، مسامعهِم ومسامع الجميع، لتتسم كتاباتِهم بالمبالغة والخيال والإبتداع.

يُعدّ كل مِنْ المؤرِخ اليوناني هيرودتس*(Herodotus)*(نحو ٤٨٤–٤٢٥ق.م)[٥٩]، والمؤرِخ اليوناني ستيسياس الكندوسي(Ctesias of Cnidus)(نحو ٤٠٠ق.م)[٦٠]، مِنْ أهم المؤرِخين، الذين تناولوا في كتاباتهم وبشكل مسهب، تأريخ العِراق القديم، لا سيما بِلاد آشور وعاصمتِها مدينة نينوى، وبِلاد بابِل ومركزِها مدينةِ بابِل. وهما الأقدم مِنْ المؤرِخين القدماء، والأقرب زمناً مِنْ نهاية الدولة البابِليّة، بفارق بسيط نحو ١٠٠عامٍ تقريباً. ومع ذلِكَ لم يتطرق كل مِنهما، إلى توثيقِ وجود الجَنائِن المُعَلَّقَة، أو ما يشابهها، في كل مِنْ بِلاد آشور وبابِل. إذ ذكر هيرودوتس إنجازات مَلِكَتَي مدينة بابِل، وهما سميراميس(تسمية مبتدعة)[٦١]، ونيتوكريس(تسمية مبتدعة أيضاً)، دون ذكر أيةِ إشارة عن الجَنائِن المُعَلَّقَة[٦٢]، مع ذكر المؤرِخ ستيسياس الكندوسي، وَلع الملكة سميراميس بالحَدائِق والبساتين في المناطق السهلية، ومِنْها إشارتهِ، إلى أنّ الملكة سميراميس، بعد موت زوجها الملك الآشوري نينوس(لَقَد ذكر هيرودتس نينوس كأحد المِلوك الليديين)، حَكمَت في مدينةِ بابِل، بعد سقوط الدولة الآشوريّة. وبعد أنّ أكملت إنجازاتها في مدينة بابِل، قادت حملة كبيرة، إلى منطقة جبلية، ما بعد البِلاد الميدية، تسمى جبال باگيستانوس(Bagistanus)(ربما في باكستان الحالية)، وأقامت مخيمها، وبقربهِ أقامت حديقة محيطها

١٢ستاديا، على سهل غزير المياه، بينابيع الربيع، وذلِكَ لِإرواء أشجار الحديقة. وبعد مُدَّة خرجت لمدينة ميدية، رأت فيها صخرةٍ كبيرة في حجمِها على تلة، شيدَت في وسطِها بناية، إستطاعت مِنْها رؤية مخيم الجنود، وحديقتها في المنطقة السهلية[٦٣]. ونلحظ هنا الإشارة إلى أهمية المنطقة المزروعة كحدائق وبساتين، مِنْ أجل المتعة والإنشراح والجمال، وإنّ كانت منسوبة للملكة سميراميس(الملِكة الخيالية المبتدعة)، وإقامتها الحَدائِق كمتنزه في مناطق خارج العِراق القديم، فوجود الحَدائِق هو حدث متواتر مع الأحداث التأريخية، بوصفِهِ عنصر تكميلي مهم. علماً أنّ المؤرخ البابِلي بِرعَوشا(بيروسس في اللغة اليونانية)(Berosus)(نحو ٢٧٠ق.م تقريباً)[٦٤]، بعد فترة لاحقة، يلوم في إحدى كتاباتهِ المنقولة عنه، المؤرخين الأغريق، حول خطأ تفكيرهم وكتابتِهِم، عن حكم الملكة سميراميس، في مدينة بابِل، ونِسبِ الأعمال البنائية الكبيرة لها[٦٥].

أنَ أقدم إشارة، لذكر الجَنائِن المُعَلَّقَة كمنهجية علمية، أشار بها كل، مِنْ المؤرِخ اليوناني ميگاسثِنِس(Megasthenes)(٣٥٠-٢٩٠ق.م)[٦٦]، والمؤرِخ البابِلي بِرعوشا(بيروسُس)Berosus)إذ نقل المؤرِخ يوسيفوس فلافيوس(Josephus Flavius)(٣٧-١٠٠م)[٦٧]، حسب قولهِ، عن المؤرِخ بِرعوشا، مِنْ كتابهِ الثالث، مِن موسوعتِه تأريخ بِلاد كلديا، وعن المؤرِخ ميگاسثِنِس، مِنْ كتابهِ الرابع، مِنْ موسوعته تأريخ بِلاد الهند، إشارتهِما إلى الجَنائِن المُعَلَّقَة، ما نصها((**بيروسُس ذكر في كتابهِ الثالث مِنْ تأريخ بِلاد كلديا، بنى الملك نَبوخُذنُصَّر(الثاني)، قصراً آخر بجانب قصر أبيه، ودمجهما معاً، وعلى الرغم مِنْ إرتفاعهِ وروعتِهِ، فقد أكمله بمُدَّة خمسين يوماً، في ذلِكَ القصر أقام جدران ساندة مِنْ الحجر، وجعلها تماثل شكل الجبل(ربما يقصد متدرجة ومرتفعة)، وزرع عليها أشجاراً مِنْ كل نوع، وبنى ما يسمى بالحَدائِق المُعَلَّقَة، بسبب حُبِهِ لزوجتهِ التي جلبها مِنْ البِلاد الميدية، التي كانت في شوق لمحيط بِلادها... ميگاسثِنِس أيضاً ذكر تِلكَ الحقائق في الكتاب الرابع مِنْ تأريخ الهند**))[٦٨]. وقد أُشارَ المؤرِخ، إلى الجَنائِن المُعَلَّقَة بالمصطلح اليوناني(pensile paradise)، عِلماً إنّ كلِمة براديسوس مقتبسة من اللغة الفارسية. ونلحظ هنا إنّ الإشارة التأريخية، بشكل عام، منقولة مِنْ قِبَل المؤرِخ اليهودي الروماني يوسيفيوس فلافيوس، بعد مُدَّة طويلة عن تأريخ الحدث(تأريخ بِناء الجَنائِن أو الحَدائِق المُعَلَّقَة) بفاصل زمني نحو ٦٠٠ عامٍ تقريباً. وهي مُدَّة طويلة، مِنْ ناحية قوة السند التأريخي آنذاك، حتى إنّ وثقنا مِنْ نِسبتها، إلى المؤرِخ البابِلي بِرعوشا، فيجب أنّ نلحظ وجود مُدَّة زمنية فاصِلة بين تأريخ الحدث، وزمن

كتابة الحدث مِنْ قِبل بِرعوشا، تُقدَر بِنحو ٣٠٠ عامٍ تقريباً، وهي مُدَّة طويلة أيضاً آنذاك بغياب الوثائق التأريخية والآثاريّة(إستمرارية الإشارة) التي تؤكد ما أشارَ إليه.

وقد نَقَلَ كذلِكَ، عن المؤرِخين ميگاستِنِس وبِرعوشا إشارتِهما، المؤرِخ اليوناني ابيدينوس (Abydenus)(ربما نحو القرن الثاني ق.م)[٦٩]، مِنْ فترةٍ لاحقة عن المؤرِخين السابقين(لا يمكن تقدير مُدتِها). وقد أُشيرَ لِإشارات الجميع، كمقتطفات أو إقتباسات منقولة عنهم، مِنْ قِبَل المؤرِخ اليوناني يوسيبيوس القيصري(٢٦٣-٣٣٩م)، في كتابهِ التأريخي(أحداث العالم)(*Eusebius' Chronicle*) ، مِنْ فترةٍ متأخِرَة، لغياب كتابات أولئِك المؤرِخين. إذ أشار عن المؤرِخ ميگاستِنِس((**أنّ الملك نَبوخُذنُصَّر (الثاني) قد زينَ قَصرهِ بِالأشجارِ، سماها الحَدائِق المُعَلَّقَة.**»[٧٠]. وقد أشار بعد ذلِكَ عن المؤرِخ البابِلي بيرعوشا(بيروسُس)، بِما نصه((**أقام الملك نَبوخُذنُصَّر(الثاني) في قصرهِ ممرات عالية، إستندت على ركائز مِنْ الحجر، وحاول زراعتها بمختلف الأنواع مِنْ الأشجار، لكي تكون حدائق مُعلَقَة لتشبه البِلاد الجبلية، مِنْ أجل رِضى زوجتهِ الملِكة، كونها مِنْ البِلاد الميدية الجبلية**))[٧١]. ولم يذكر بِرعوشا، إسم الملِكة في تِلكَ الإشارة، إلا إنّه ذكرها في إشارةٍ أخرى لا ترتبط بالجَنائِن المُعَلَّقَة، بمقتطف آخر مِن كتاباتِهِ، منقولة عنه، مِنْ قِبل المؤرِخ يوسيبيوس، أشارَ فيها، إنّ إبنة الملك الميدي إستياجز (Astyages)، الأميرة أميتيس(Amytis)، تزوجت مِنْ الملك نَبوخُذنُصَّر(الثاني)[٧٢]. ونلحظ في إشارةِ المؤرِخين بِرعوشا وميگاستِنِس، بِفترتِهما المتأخرة بِنحو ٣٠٠عامٍ عن مُدَّة الحدث، تصور بسيط عن مشهد الجَنائِن المُعَلَّقَة، وهي بشكل ممرات مستندة على جدران حجرية مزروعة، في قصر الملك نَبوخُذنُصَّر الثاني، علماً إنّ إشارتِهما نُقِلَت، مِنْ قِبَل مؤرِخون متأخرين عنهما، بنحو أكثر مِنْ ٣٠٠عام أيضاً، أي إنّ الذي نقل الإشارة بشكل عام، كان مُتأخِراً ما يقارب بِنحو أكثر من ٥٠٠ عام عن مُدَّة الحدث، وربما هناك من يُشير إلى إنّ مثل تلك المدة الفاصِلة، ليست طويلة آنذاك، لكن مع غياب الدليل الأثري والتأريخي من فترة سابقة، قد يثير الكثير من التسآولات، لا سيما مع وجود صيغ المبالغة والتعظيم، في خصوصية الكتابات العراقية القديمة، وكذلك كتابات المؤرخين القدماء.

ويظهر أنّ تسمية أميتيس كانت شائِعة، أو على أقل تقدير، كان ذكر إبنة الملك الميدي إستياجز، له أهميتهِ عِند المؤرِخين القدماء، ربما لِأثرها آنذاك، وربما لِذكرها الأول مِنْ قِبَل المؤرِخ هيرودتس، له أثرهِ في كتابات المؤرِخين مِنْ بعدهِ. إذ ذكر المؤرِخ هيرودتس، كيف حلم الملك الميدي إستياجز، بِطوفان سيخرج مِنْ بطن إبنتهِ ماندانه(Mandane)، الذي سيغرق آسيا كلها، وكيف تزوجت مندانه، الملك الإخميني قمبيز الأول(٦٠٠-٥٥٩ق.م)، لِتُنجب بعد ذلِكَ الملك الإخميني كورش(الثاني)(٥٥٩-٥٣٠ق.م)[٧٣]. وهنا نرى إنّ إسم إبنة إستياجز ذُكِرَ لِأول مرة بصيغة مندانة، وقد وردت تسمية أميتيس، كإبنة للملك الميدي إستياجز، في كتابات المؤرِخ ستيسياس الكندوسي بكثرة، ومِنْها إشارتهِ إلى إنّها زوجة

الميدي سبيتاماس(Spitamas)، وقد تزوجها كورش الإخميني، بعد أنّ هزمَ أبيها إستياجز، وقتلهِ لزوجها سبتيماس، لِإخفائِهِم الملك إستياجز في قصرهِم، بعد هروبهِ مِنْ كورش الأخميني[٧٤]. وهنا يرى أي باحث بدراسة مقارنة، بعض الخلط والتخبط في سرد الروايات، مِمّا يضعف سندها، فضلاً عن المُدَّة الزمنية الطويلة، الفاصلة بين المعلومة المروية، وفترةِ حدوثِها، وطريقة نقل المعلومة مِنْ مؤرِخ إلى آخر، بطريقة السماع للروايات، دون ترك أثر للتحقيق والتساؤل، في مدى صِحة الرواية مِنْ ضعفِها.

كَتَبَ المؤرِخ ديودورس الصقلي(Diodorus Siculus)(١٤٠-٨٠ق.م)[٧٥]، عن الجَنائِن المُعَلَّقَة، بفترة لاحِقة، بنحو ٥٠٠عامٍ، عن مُدَّة الحدث. إذ نقلَ في إشارتهِ، ما سَمَعَ عنها، كما يبدو مِنْ سياق كتاباتهِ، مع إضفاء صورة مِنْ المبالغة والتخيل في مشهد تِلكَ الجَنائِن المُعَلَّقَة، بعد إنّ بدأت، في شكلِ إشارة بسيطة للمؤرِخين ميگاستِنِس وبِرعوشا، لتتطور بعد ذلِكَ، وتأخذ مجالاً كبيراً في تصوير مشهدها، مِنْ صيغ المبالغة والخيال، فضلاً عن الخلط والتداخل في المعلومات، إذ كَتبَ ديودورس ما نصه((**هناك ما يشبه الحَدائِق المُعَلَّقَة كما أسموها، قرب الحصن، لم تُبنى مِنْ قِبَل الملكة سميراميس، لكن مِنْ قِبَل أمير لاحق، يسمى كورش(Cyrus)، مِنْ أجل مجاملة حبيبتهِ، التي كانت فارسية، كما قالو، كونها ولِدَت بين المروج الخضراء الجبلية، دفع ذلِكَ الملك لزراعة صناعية، لتشبه بِلاد فارس الجبلية، مساحة تِلكَ الحديقة ٤٠٠قدم مربع، والصعود إليها كالصعود لقمة الجبل، وقد بُنّيَت بمدرجات كمدرجات المسرح، وقد إستندت تِلكَ المدرجات، على أقواس(عقود) بنائية، ترتفع الواحدة فوق الأُخرى بسلاسة ودقة، بمقاييس محسوبة، وكان إرتفاع القوس الأعلى، مِنْ الأقواس التي أُقيمَت عليها الحديقة، نحو ٥٠كيوبيت(نحو٢٥م)، وقد أُحيطَت الحديقة بما يشبه الحصن، والمزاغل القتالية، أمّا الجدران التي كانت تحمل الأقواس، فكانت قوية جداً، وبُنيَت بكلفة عالية، كانت بسمك ٢٢قدم(نحو٧م)، إذ وضِعت بين طبقاتِها، بمسافة كل ١٠أقدام، روافد مِنْ الخشب وقطع كبيرة مِنْ الحجر، وقد غُطيَ السقف فوق كل ذلِكَ(فوق العِقادات المقوسة)، بالقصب مع إضافة كميات كبيرة عليها، مِنْ مادة الكبريت(Brimston)(ربما يقصد القير)، وعليها وضِعَت أرضية مِنْ بلاطتين الواحدة فوق الأُخرى، جُمِعَت سوية مع ملاط سميك، وفوقها فُرِشَت صفائح مِنْ الرصاص، لتمنع مِنْ تسرب مياه إرواء التربة، إلى التشكيل البنائي، وعليها وضِعَت، كميات عظيمة مِنْ الأتربة، لتسمح بزراعة الأشجار الكبيرة، وكان في تشكيل الأقواس، غرف كثيرة، مِنْ كل الأنواع ولِأغراض مختلفة، ومِنْها واحدة كانت فيها مكائن ومحركات، لِتسحَب المياه مِنْ قنوات المياه التي يُغذيها النهر، لِتنتقِل مياه الإرواء بِوسائلِ نقلٍ، إلى منصة الحديقة، التي كما قلت سابقاً، إنّها بُنيَت في عصور متأخرة**))[٧٦]. ونلحظ هنا، إضافات المؤرِخ ديودورس، بِإسلوب الخلط بين المعلومات والروايات، بعد أنّ سمع بفكرة الجَنائِن المُعَلَّقَة، وقد نَسبَ إنجازها، إلى الملك كورش(الثاني) الإخميني، وليس لِسميراميس، ملِكة بابِل التي شيدت القصور

والأسوار في تصورهِ. فضلاً عن تخيل إسلوب بِناء الجَنائِن المُعَلَّقَة، بطريقة المصطبات المتدرجة، التي تعلو الواحدة فوق الأخرى، فوق مبنى عظيم، كمدرجات المسرح اليوناني القديم، المستندة على دعائم تحمل أقواس بنائية. وهي إشارة تشبه إشارة المؤرِخ هيرودتس، عن معبد الإله بيلوس(مردوخ) الذي يتشكل مِنْ سلسلة مِنْ طبقات الأبراج المتدرجة، كما أشار أحد الباحثين(٧٧). وربما أنّ تخيل وتصور، المؤرِخ ديودورس الصقلي الإفتراضي، لِعمارة الجَنائِن المُعَلَّقَة واضح جداً، إذ وردَت في كتاباتِهِ، ما يشبه رسم مشهد الجَنائِن المُعَلَّقَة الخيالية، بِتصوير بِناء الملكة سميراميس، لِقَصرَين متقابِلة على جانبي نهر الفرات، وقد رَبطَ بينهما، حسب كِتابة ديودورس، نفق من تحت الماء، قامت المِلكة ببنائهِ من الآجر والقير، مع إكساء كامِل البِناء، بعد ذلك بِملاط القير أيضا، منعاً لِتسرب المياه، ليُعد ذلِك النفق أقدم نفق مائي مذكور، بِصرف النظر، عن خيالية وعدم واقعية مشهد النفق، بِما يشبه مشهد الجَنائِن المُعَلَّقَة(٧٨). ولا ننسى بِأنّ ديودورس الصقلي، هو أول مَن أوردَ قصة المِلكة سميراميس، بشكلها الإسّطوري، منذ طفولتِها حتى وفاة زوجِها الآشوري نينوس، كما تصورَ ذلِك، إذ أرفق مع تِلك القصة، رؤية شكل الحورية ربما لِأول مرة(٧٩).

ومثل صورة التدرج في منصات الجَنائِن المُعَلَّقَة، كانت أشارة المؤرِخ سترابو (نحو ٥٤ق.م)، في كتابهِ السادس عشر مِنْ الموسوعة الجغرافية، إذ نَصَت((**هناك الحَدائِق المُعَلَّقَة(krematos kepos)، سُمّيَت واحِدة مِنْ عجائب العالم السبع، كانت بشكل رباعي، طول كل جانب مِنْها، أربعة بلِثرون (plethron)(كل بلِثرون نحو ٣٠،٨م)، تألفت مِنْ أقباء معقودة بِأقواس، تقع الواحدة بعد الإخرى تدرجاً، تحمل قواعد مربعة شبيهة بالمكعب، وقد جُوِفَت مِنْ داخِلِها، لتتسع لكميات هائِلة مِنْ الأتربة، كافية لِزراعة أعلى الأشجار وأكبرها حجماً، وقد شُيّدَت جميع تشكيلاتِها كالجدران والقواعد والأقواس مِنْ الآجر والقير. ويُرتَقى إلى سقف أعلى منصة، مِنْ خلال سلم مدرج، وعلى طول ذلِكَ السلم أو السلالم، أدوات(محركات) لولبية، مِنْ خلالِها يستمر الماء بالصعود إلى الحديقة، مِنْ نهر الفرات، وهو بعرض واحد ستاديوم، يجري في وسط المدينة، والحديقة على ضِفة النهر**))(٨٠). ولقرب المُدَّة الزمية بين المؤرِخين سترابو وديودورس، نلحظ كذلِكَ التشابه، بين روايتيهما حول طول اضلاع جوانب الجَنائِن، على الرغم مِنْ الاختلاف في إستعمال وحدة الطول، إذ كانت مساحة ٤٠٠قدم، كما أشار ديودورس، وعَنى طول كل ظلع مِنْها١٠٠قدم(نحو٣٠م) وهو يقارب ما جاء بهِ سترابو، بطول الظلع بلثرون واحد(نحو ٣٠،٨م)، وفضلا عن التأثر الواضح، للمؤرِخ سترابو، بِما خَصَ، مدرجات الجَنائِن وأضلاعِها، نرى التشابه بنقل الرواية مِنْ مؤرِخ لآخر، مع إضافة ما يتصوره مِنْ خيالهِ الخصب، وما يتلائم مع تفاصيل المعلومة المروية، وقدرة الكاتب على السرد. فقد أضاف سترابو مِنْ مخيلتهِ، مبتدعاً إسلوباً جميلاً لري تِلكَ الجَنائِن المُعَلَّقَة العالية، ولِأقصى إرتفاعٍ لها، بعد أنّ تأثر بفكرة المؤرِخ الذي سبقه ديودورس الصقلي،

بوجود محركات وأدوات لرفع المياه، بِتخيل طريقة، ربما شاهدها في مصر، التي عُرِفَت بِلولب أو مسمار أرخميدس اللولبي، الذي إبتدعه الرياضي اليوناني أرخميدس(٢٥٠ق.م)، كطريقة لِإرواء الأراضي في مصر في العهد البطلمي، وهو ما يسمى بِالطنبور(Tanbour) في الوقت الحديث[٨١]. أمّا مشهد السلالم، فكانت إضافة جديدة، تخيلها سترابو، بدافع مِنْ تصور ديودورس، حول الصعود إلى الجَنائِن كالصعود للجبل، أي الإرتقاء.

لقد وردت الإشارة إلى الجَنائِن المُعَلَّقَة، في كتابات سترابو، على إنّها مِنْ عجائب العالم السبع، بصيغة الماضي، بِإستعمال عبارة(سُمّيَت واحدة مِنْ العجائب)، إذ أُشيرَ إلى إنّ أول مِنْ عمل بِشأن الإشارة إلى عجائب البِلاد، كان المؤرِخ فيلو البيزنطي(Philo of Byzatum)(نحو١٤٦ق.م)، الذي كتب عن الهندسة العسكرية، والعجائب التي أوردها كانت، الجَنائِن المُعَلَّقَة، الأهرام، تمثال جوبتير(كبير آلهة الرومان)في معبد أولمبس في اليونان، أسوار بابِل، تمثال رودوس(يمثل الإله هيليوس في جزيرة رودس)، معبد الإلهة ديانا(أرتميس اليونانية) في مدينة إفسوس(من المدن التركية حالياً)، وأخيراً الضريح موزليوم[٨٢]. وقد أشار المؤرِخ الروماني بلينوس الأكبر(بليني)(نحو ٢٣-٧٩م)، في كتابهِ التأريخ الطبيعي أو الأصح تأريخ الطبيعة، بوجود مبان مميزة في بلدان عِدة، مِنْها السفنكس المصري(ابو الهول)، الاهرام، الحَدائِق المُعَلَّقَة(pensiles horti)، المدينة المُعَلَّقَة، معبد ديانا في إفسوس[٨٣].

وقد أشار المؤرِخ كوينتوس كورتيوس(القرن الأول الميلادي)، بِإسلوب ناقل المعلومة، أو مقتبس الرواية، لا سيما مِنْ المؤرِخ كليتارخوس(*Cleitarchus*)(من مؤرِخي حياة الإسّكندر المقدوني نحو ٣٠٠ق.م)، بمُدَّة فاصلة بينهما تزيد عن ٣٠٠عامٍ، وربما نسب كتابتهِ جزافاً إلى المؤرِخ كليتارخوس، معتمِداً على ما سَمِعهُ، وذلِكَ ما يظهر مِنْ سياق روايتهِ، إذ أشار إلى ((**وجود قصر في مدينة بابِل محصن بسور مساحته عشرون ستاديا، أُسسهِ وأبراجهِ بعمق ٣٠قدم في الأرض، وإرتفاع تحصيناتهِ أكثر مِنْ ٨٠قدم(نحو ٢٥م)، وعلى قمة الحصن حدائق معلقة عجيبة، إشتهرت عند كتاب الإغريق، كانت بِإرتفاع الأسوار العالية، وكانت ساحِرة بِضلال أشجارها الكثيرة، أعمُدَّة مِنْ الحجر وضِعَت لِإسناد كامل العمل، وعليها أُقيمَ مساحات مربعة مِنْ الأرضيات، وكانت قوية جداً، لتتمكن مِنْ حمل التراب بعمق كبير، وكميات المياه الوفيرة لسقي تِلكَ التربة، ولحمل أشجار مِنْ أحجام كبيرة، إذ تراوح حجم جذوعها نحو٨كيوبيت(٤م)، ويصل إرتفاع تِلكَ الأشجار إلى ٥٠قدم(نحو١٥م)، وتحمل مِنْ الفاكهة، كإنّها في موطنها الأصلي(يقصد بها أشجار مِنْ محيط بيئي جبلي)، لذلِكَ وبسبب ذلِكَ الحمل الكبير، فقد أُقيمَ مجمل البناء، على جدران متقاطعة(ربما يقصد بشكل صليبي) عرض كل مِنْها ٢٠قدم، وبمسافات فاصلة بينها نحو ١١قدم، وهناك مقولة، بِأنّ ملك سيريا(Syria)(ربما يقصد بها آشور)، الذي حكم في مدينة بابِل، أنجز ذلِكَ العمل بسبب حُبِهِ لِزوجتهِ التي جلبها مِنْ مناطق جبلية**))[٨٤]. وقد

أشار للجنائن أو الحَدائِق المُعَلَّقَة بالعِبارَة اللاتينية(pensiles horti)، التي تعني الحَدائِق المُعَلَّقَة. نلحظ هنا، إغفال ذكر العقود والأقواس البنائية، مِنْ قِبَل المؤرِخ كوينتوس، مع تصور إرتفاع الجَنائِن بِإرتفاع أسوار الحصن، كما هي الصورة عند المؤرِخ ديودورس. فضلاً عن ذلِكَ، نلحظ هنا الخلط في جمع الروايات المتداولة، مِنْ قِبَل المؤرِخ كوينتوس، مِنْها بناء تِلكَ الجَنائِن مِنْ أجل زوجة الملك، مع إضافة ملك بِلاد آشور، بدل ملك بِلاد بابِل، وربما قصد زوج الملكة سميراميس الآشوري، كما في المرويات، أو ملك بِلاد بابِل ذاته، إذ كان يطلق مصطلح بِلاد أسيريا على كل مِنْ بِلاد آشور وبابِل، في مُدَّة ما. مع إضافة رؤيتهِ حول أنواع الأشجار وأحجامها والمبالغة بذلِكَ جداً.

وقد وَردَت بعض الإشارات البسيطة، عن الحَدائِق في مدينة بابل وأشجارِها الباسِقة، ما بعد سقوط المدينة، ونهاية العصر البابِلي الحديث، إذ أشارَ المؤرِخ الروماني–اليوناني أرّيان(Arrian)(٨٦–١٦٠م)، كيف أنّ الملك الإسكندر المقدوني، حُمِلَ مِنْ القصر نحو الحديقة في الجانب الآخر مِنْ نهر الفرات بعدما إشتدَ المرض عليه، ضمن موسعتهِ عن حملات الإسكندر المقدوني وتأريخهِ، وهو متأخر عنه بما يقارب ٣٠٠عام. وقد أشارَ المؤرِخ الروماني–اليوناني بلوتارخ(Plutarchus)(٤٥–١٢٥م)، برجوع الإسكندر مِنْ الحديقة بعد عدة أيام عبرَ نهر الفرات(٨٥). وقد كَثُرَت الإشارات، لا سيما من أرشيفات بعض البيوتات اليهودية، في فترةِ ما بعد سقوط الدولة البابِليّة، حول وجود حديقة أشجار العرعر(من الصنوبريات والسرويات)، حول معبد الإيساگيلا، معبد الإله مردوخ في مدينة بابِل، وفي وسطِها أُقيمَ ما سُمّي ببيت المجلس(bit milki)(٨٦). ولا ننسى أنّ ذلِكَ قد تركَ أثرِه، في الحضارات الأُخرى، لا سيما القريبة مِن العِراق القديم، إذ تأثرَ الإخمينيون بطبيعة العِراق القديم الزراعية، لا سيما القسم الجنوبي والوسطي منه، أي بِلاد بابِل ومحيطها، كحال تإثُرِهِم بفنون وأدب العِراق القديم، حتى اشار بعض الباحثين إلى إقتباس الملك الإخميني دارا الثاني العديد مِن معالِم الدولة البابِليّة(٨٧).

- **إفتراض الجَنائِن المُعَلَّقَة الآشورية:**

سعى قِسم مِنْ الباحثين، في علم الآثار، لِتأكيد وجود الجَنائِن المُعَلَّقَة، كإنجاز قديم مُبهِر، وغريب يشبه إلى حدٍ ما حلم خيالي، بصرف النظر عن المنهجية العلمية، لذلِكَ كَثُرَت الإفتراضات بِشأنِها والنظريات لتأكيد وجود الجَنائِن المُعَلَّقَة، وإسلوب إروائِها، في مدينة بابِل. ولعدم ورود الإشارات التأريخية، والدلائل الأثرية المُقنِعة، وعدم الوصول إلى نتيجة مرضية، إتجهَت أنظار بعض الباحثين، للبحث عن تِلكَ الجَنائِن المُعَلَّقَة وإفتراض وجودِها، في مدن أخرى، لا سيما في مدينة نينوى(تل قوينجق). وكانَ الدافع الرئيس لِذلِكَ الإفتراض، تصوير بعض المشاهد الفنية، على المنحوتات الجدارية الآشورية، بالنحت البارز، التي كانت تزين جدران القصور الملكية، لا سيما إحدى المنحوتات الجدارية، التي تعود لقصر الملك آشور بانيبال(٦٦٨–٦٢٧ق.م)، في مدينة نينوى(تل قوينجق)(شكل–١)، وقد تبَنَت ذلِكَ الإفتراض

الباحِثة ستيفاني دالّي(دَلّي)[٨٨]، إذ صُورَ في تِلكَ اللوحة مشهداً لحدائق، مزروعة بِأنواع مختلفة مِنْ الأشجار، كانَ قد أطلق عليها الأستاذ جورج رولنصن، تسمية الجَنائِن المُعَلَّقَة(Hanging Garden)، بِشكل عَرَضي، لِأول مرة عِند إستعراضهِ لدِراسة المعابد الآشوريّة، دون ذِكر صِلتِها بجنائن بابِل المُعَلَّقَة، وقد أشار إلى إنّها مقامة، ضِمن مشهد اللوحة، على هيكل بنائي يقوم على ركائز بعقود جملونية الشكل، وكانت تِلكَ الجَنائِن تُسقى مِنْ خلال قنوات المياه، التي تُغذيها الأنهار أو الأمطار، النازلة مِنْ الجبال، إذ كانت بمستوى مبنى المعبد المجانب لها، المشيد على قمة إحدى التلال[٨٩]. وربما تأثرت الباحِثة ستيفاني دالي بِذلِكَ الطرح الجانبي للأستاذ رولنصُن، لتؤكد نظريتها، حول نفس اللوحة الجدارية، وهي وجود الجَنائِن المُعَلَّقَة، التي أشارَ إليها المؤرِخين القدماء، حسبَ تصورِها، في مدينة نينوى، وليس في مدينةِ بابِل، وإنّ تلك الجَنائِن أو الحَدائِق، أُقيمَت على تِلكَ الركائز البِنائية.

أشارَت الباحِثة ستيفاني دالي، بعد أنّ يَأست مِنْ إثبات وجود الجَنائِن المُعَلَّقَة في مدينة بابِل، إلى إحتمال وجودها في بِلاد آشور، لا سيما مِنْ خلال دراسة المنحوتة الجدارية في قصر الملك آشور بانيبال في مدينة نينوى، التي ضمت مشهدا لحدائق الملك سنحاريب، مِثلَ ما أشارت الباحِثة[٩٠]، وقد أشارَت أيضاً، إلى أنّ إسلوب إرواء تِلكَ الحَدائِق، كانَ بِالطريقةِ اللولبية، بِالإستناد على ما ذكره الملك الآشوري سنحاريب حول كَلِمَة آلاميتو alamittu(شجرة النخيل) ومحاولة ربط الكَلِمَة بمعنى ثان وهو الإسّطوانة، وإفتِراض قيام المِلك سنحاريب بِإختراع صب الإسطوانات اللولبية، ليسبق ذلِكَ، ما أبتكره العالم الرياضي اليوناني، أرخميدس بنحو ٤٠٠ عامٍ[٩١]، إذ بنت الباحثة ستيفاني دالي إفتراضها الضعيف، على إفتراض المؤرِخ سِترابو حول إسلوب الري، وهو في الأصل إفتراض ضعيف أيضاً، ربما لِتأثرِهِ بصورة أدوات الري وشكلها في مصر القديمة، التي ربما زارها بِإحتمالٍ كبير، ولم يَزُر العِراق القديم، لقربها مِنْ بِلادهِ مِنْ الناحية البحرية. وقد رفض فكرة الإرواء بِإسلوب لولب أرخميدس(٢٥٠ق.م) بعض الباحثين، بِصرفِ النظر عن إفتِراضِهِم لِطرقٍ أُخرى لِإرواء الجَنائِن المُعَلَّقَة[٩٢]. فضلاً عن ذلِكَ فقد أشارَت، الباحِثة كارين بولينغر، إلى موافقتِها، لِرؤية الجَنائِن المُعَلَّقَة في مدينة نينوى، كواحِدة مِنْ إبداعات الملك سنحاريب، لكن برؤية مختلِفة، وهو إسلوب رفع أو تعليق المزروعات، التي تنمو أو تعلق فوق مستوى نظر المشاهد، أي رسم مشهد الأشجار والنباتات في الأقسام العلوية مِن المشاهد، أو تعليق النباتات مِثل أشجار العِنَب بمستوٍ عال[٩٣]. وقد أشارَت الباحِثة باولينا البندا، إلى أنّ الركائِز الجملونية، المصورة على منحوتة الملك آشوربانيبال، ليس الهيكل البنائي، الذي أُشيرَ إلى أنّه المبنى، التي أُقيمَت عليه الجَنائِن المُعَلَّقَة، بل ربما هو الجِسر المُشيد، على ممر القناة المحفورة، مِنْ قِبَل الملك سنحاريب، الذي أشارَ إليهِ في كِتاباتِهِ[٩٤].

ولِتأكيد نظرية الرسم العمودي، ونثر العناصر الزخرفية والتشخيصية، بِشكلٍ عمودي، موضوعية كانت أو رمزية، مع ملء الفراغ، دون الإهتمام بمنظور العمق وخط الأفق. نلحظ بِما لا يَقبل الشك، مِن

خِلال رسم مشهد إسلوب إرواء الحَدائِق والأشجار، في منحوتة الملك آشوربانيبال الجدارية، إنّ مجرى المياه، تسبح فيها الأسماك صعوداً، وليس نزولاً، مع إنسيابِ تِلك القناة، إذا ما كانت مِن مستوٍ أعلى، وإنّما مجرى المياه كانَ مع مستوى الأرض، وهي تروي تِلكَ الحَدائِق على ضِفافِها، بِصرف النَظر عن تغذية تِلكَ القنوات، من خِلال الأنهار والروافد، أو مِن الينابيع الجبلية، التي تفاخر بها الملك سِنحاريب بإقامتها لإرواء المزروعات. لِذلِكَ نُشير، إلى إنّ تصور الجَنائِن المُعَلَّقَة، مِن قِبَل المؤرخون القدماء، في بِلاد آشور، بعيد عن الواقع، بِصرف النظر عن خيالية المشهد كُلِهِ. وكون إنّ تلك الجَنائِن، قد ذُكِرَت مرتبطة مع مدينة بابِل، والإشارة إليها، مِن قِبَل المؤرخ البابلي بِرعوشا، فضلاً عن بُعد بِلاد آشور وهَجرِها آنذاك بعد دمارها، لِتصبح مادةٍ تأريخية خيالية، للمؤرخينَ القدماء، بِدلالة إغفال ذِكرهِم لِما تبقى، مِن صروحِها ومعالِمها، وعَظمة منحوتاتِها، ومِنها الثيران والأسود المجنحة.

- **نموذج من التساؤلات والإفتراضات:**

قد يتسائل الباحِث كَثيراً، عِند رفض رؤية ما، عن السبب في ظهور تِلكَ الرؤية؟ لا سيما مِثلَ رؤية وجود جنائِن أو حدائِق معلقة عِملاقة، على سطح مبنى خُصِصَ لِإحتِمال ثقل مزروعاتِها وتداعياتِها الطبيعية، فهل إنّ تِلكَ الرؤية مِن خيال قِصصي مبتدع؟ أو مِن صورةٍ جميلة مُلهَمة من أرض الواقع، للتعبيرِ عنها بمشهدٍ مبالغ فيه، لزيادة جماليتهِ وأثرِهِ في الآخرين؟ فلا نجد مع رؤية الجَنائِن المُعَلَّقَة، إلا تأثر مخيلة المؤرخون القدماء، بِمنظورِ الواقع الطبيعي، لِأرض العِراق القديم، وإرتِقاء حضارتِهِ، وعَظَمة ملوكهِ، حتى تميزَت كِتاباتِهم، بِنوع من الخيال الموضوعي، الذي يقرب من الواقع، أو ما يُمكِن تحقيق رؤيتِهِم.

أنّ السدود الترابية العالية، التي إفتخر الملك نَبوخُذنُصَّر الثاني بِإقامتها على ضفاف الأنهار والقنوات، ليبقى أثرها في كتابات المؤرِخ اليوناني هيرودتس، ويُنسِبَ عَملها إلى سميراميس(المَلِكة البابِلية في رأيِهِ)، ربما كانت المكان الملائم، نتيجة المحيط البيئي الرطب، لِنمو النباتات والأشجار الباسِقة، لتظهر بشكل عال مرتفع، يبصره الجميع مِنْ مسافات بعيدة، علماً أنّ تِلكَ الجَنائِن، لم يذكرها هيرودتس، وزمنهِ الأقرب لِزمن إقامة الجَنائِن المُعَلَّقَة المفترضة، وهو الذي نقل الكثير مِنْ المعلومات، عن مدينة بابِل، ربما رواية وشفاه، عن طريق التجار والكهنة، وربما عن طريق اليهود الراجعين لِبلاد الشام، المنطقة التي ربما إستقر فيها.

ربما قام الملك نَبوخُذنُصَّر الثاني، بِزراعةِ بعض الاشجار البسيطة، في سطحِ القصر، بهدف التجمل والراحة والتمتع، ولسرورِ النفس والبهجة بمشهد لسياج أخضر في مبناه، ممكن سقايتها يدوياً، مِنْ قِبل مشرِفاً عل تِلكَ المزروعات، كصورة شبيهة، بِأواني المزروعات(السنادين)في الوقت الحاضر، لا سيما في فصل الصيف والجلوس بينها على شرفات القصر، لتكون تِلكَ الصورة، مبعثاً خيالياً لجنائن

مُعلَّقَة، بعد أنّ نقل صورتها، ربما بعض الرواة للمؤرِخ بِرعوشا، أو ربما كانت هناك مزروعات طبيعية، نبتت وإستمرت في الحياة بعد خراب القصر، إذ أخذت ديمومتها مِنْ رطوبة الأرض، التي تميز بها محيط مدينة بابِل البيئي، وبمساعدة الأمطار الشتوية.

كيف يمكن إقامة جنائن، مِنْ أشجار كبيرة على سطح بنائي لا مسامي، حسب إشارة المؤرخون القدماء، علماً إنّ المادة البنائية مِنْ اللبن أو الآجر، لا دوام لها مع المياه، وسرعان ما تنهار. وحسبَ ما هو معروف يجب أنّ يكون المزروع، على إتصال مع سطح التربة في الأرض، بسبب مسامية التربة لنفاذية المياه، إلى أعماق الأرض، وعدم تجمعِها في منطقة قريبة، من جذور المزروعات، لكي لا تؤدي إلى تلفها وتعفنِها، وذلك ما يخالف ما صوره المؤرِخون القدماء، بصلادة أرضية الجَنائِن المُعَلَّقَة، وتسويتها بشكل لا يمكن السماح بإنسياب المياه إلى الجدران وأسسها، وتِلكَ قلة خبرة لديهم في الشؤون الزراعية. فضلاً عن مُعضِلة ثانية، وهي دوام حياة النبات، مِنْ خلال الإرواء، أو وجود منفذ للمياه دائم، لا سيما بوجود محركات ميكانيكة، حسب ما مفترض لِأروائِها، فما هو الدليل على العِناية بِها، بعد سقوط مدينة بابِل، وتعرض المدينة في عهد السلطة الإخمينية، إلى الكثير من الحملات العسكرية المُخرِبة، نتيجة تمرد البابليون المستمر ضد الحكم الأجنبي، لا سيما وقد وردَ عن إنّ الملك الإخميني إحشويرش الأول(٤٨٥-٤٦٥ق.م)، قد دمر زقورة المدينة والمباني المقدسة فيها، حسب روايات المؤرِخين القدماء، ومنهم المؤرِخ بليني(بلينوس)[٩٥]، بصرف النظر عن عدم ذكر ذلِكَ التدمير، مِنْ قِبَل المؤرِخ هيرودتس، والإقتِصار على ذكر قيام ذلِكَ الملك بسلب تمثال الإله مردوخ الذهبي[٩٦]. فكيف لم يدمر الجَنائِن إنّ وجدت؟ ولم تتعرض إذ لم تدمر إلى الترك والذبول بعد فقدان وإهمال إسلوب السقي لها مِنْ الأسفل إلى مرتفعاتها، هل مِنْ الممكن أنّ تدوم مثل تِلكَ الجَنائِن دون إدامة وإعتناء بالمزروعات والأشجار، مِنْ خلال السقي، وهل مِنْ الممكن أنّ لا تتعرض للقطع والتدمير وإستغلال ما يمكن إستغلاله مِنْ خشب وخضرة مِنْ قِبل الناس والجيوش المتعاقبة، كونها لم تمثل رمز وطني بل رمز شخصي لشخص غريب وهي الملِكة أميتس المفترضة؟.. وهل مِنْ الممكن إغفال ذكرها مِنْ الجميع بداية مِنْ الملك نَبوخُذنُصَّر الثاني الذي أقامها، والملوك الذين خلفوه في الحكم، لا سيما الملك نبونئيد، اللذين إتخذوا القصر كمقر ملكي لهم؟.. علماً أنّ تِلكَ العجيبة كانت مِنْ الإنجاز ما يجب أنّ تكون فخراً وزهواً لمن يقيمها، إذ أنّ الملوك في العِراق القديم لم يتركوا شيئاً مِنْ إنجازاتهِم دون ذكرهِ بنصوص تكريسية أو تذكارية للفخر وللتوثيق التأريخي ولطلب المعونة والمباركة الإلهية.

الخاتمة:

تمتعت أرض العراق القديم، بظرف مناخي ومحيط بيئي، ساعدَ على إنتِشار المساحات الخضراء ونمائِها، بِشكلٍ طبيعي وزراعي، ومن بين تِلكَ المساحات الخضراء، كانت الحَدائِق والبساتين، التي سعى

إلى إقامتِها وزِراعتها، ملوك العِراق القديم، تمتعاً بِجمالِها وإبتهاجاً، فضلاً عن الإستفادة مِن إستثمار محاصيلِها، حتى أُقيمَت في القصور والمعابد، وكل الأمكِنة المتاحة لِزراعتِها، وربما من بين معالم الأبنية المقدسة، التي أُقيمَت بين المروج الخضراء أو الحَدائِق، هي غرف أو مقرات الگيگونو. حتى أصبحت طبيعة العراق القديم الغّناء، بِوفرةِ مياهِها، وكِثرةِ أشجارِها، ومزروعاتِها الخضراء، مصدَرَ إلهامِ لخيال المؤرخون القدماء، فضلاً عن إنبهارِهِم بتقدم الحضارة في العِراق القديم وإرتِقائِها، حتى جادت قرائحهِم بصورة الجَنائِن المُعَلَّقَة، في مدينة بابِل، وهي صورة جمالية، وخيال موضوعي قريب مِن الواقع أو ما يُمكِن تحقيقهِ، بدأت بشكل بسيط في كتابات مِنْ أشار إليها، ومِن ثم تطورت صورتها وتنامت، بِإضفاء مسحات الجمال والخيال الأوسع، على الصورة الأولى الخيالية بِشكِلها البسيط. عِلماً أنّ أكثر إشارات المؤرخون القدماء التأريخية، لِرؤية الجَنائِن المُعَلَّقَة، كانت منقولة ومقتبسة مِنْ مؤرِخ إلى آخر. وقد تميزَت تِلكَ الإشارات بِالخلطِ في المعلومات والتداخل، كونها معلومات مروية متناقلة، مع إضفاء صورة مِنْ المبالغة والخيال الشخصي لكل مؤرِخ على تِلكَ المعلومات المقتبسة، لتصبح فيها لمسة جمالية خيالية مشوقة، لِتأخذ المعلومة شكلاً قصصياً تأريخياً، مُحبباً للقارئ أو المستمع. إذ إنّ الكثير مِنَ الكتابات لا تنم عن مشاهدة أو تحقيق، وهي تخالف ما وصلت إلينا مِنْ آثار ووثائق كتابية مِنْ نفس العصر. لا سيما إغفال الملك نَبوخُذنُصَّر الثاني، لِذكرِ مثل ذلِكَ الإنجاز المهيب، فضلاً عن الملوك اللذين تبعوه، في حكم الدولة البابِليّة، وحكم الدولة الفارسية واليونانية، على الرغمِ مِنْ إتخاذِ بَعضِهِم، مدينة بابِل مركز لإدارة دولتِهم.

فقد ورد ذكر الجَنائِن المُعَلَّقَة، في كتابات المؤرِخون القدماء، ما بينَ القِرن الأول قبل الميلاد والقِرن الثالث الميلادي، أي بمُدَّة فاصلة عن مُدَّة وجود الجَنائِن بما يقارب أكثر مِنْ ٥٠٠ عام تقريباً، لا سيما في كتابات ديودورس الصقلي وسترابو ويوسيفوس فلافيوس ويوسيبوس القيصري، بصرف النظر، عن إشارة المؤرِخين الأخيرين، بِإقتباسِ معلوماتهِما، حول الجَنائِن المُعَلَّقَة، عن المؤرِخ البابِلي بِرعوشا(بيروسُس) وميگاستِنِس، الذي يفصلهما عن تأريخ الحدث، إنّ وافقنا على نِسبة المعلومات إليهما، مُدَّة زمنية تقارب٣٠٠عامٍ، وهي مُدَّة ليست ببسيطة، في المنظور العام للمجتمع قديماً. وبشكل عام تطورت صورة الجَنائِن المُعَلَّقَة في مخيلة المؤرِخون القدماء، بعد أنّ بدأت بصورة بسيطة، تتمثل في ممرات تعلو قصر ملك بابِل نَبوخُذنُصَّر الثاني، إلى مبنى عال كبير، ملحق بقصر الملك، يقوم على منصة كبيرة، رُفِعَت بِدعائِم جِدارية أو حَجرية، تعلوها عقود بنائية مقوسة، تتشكل بطريقة مدرجة، تشبه مدرجات المسارح اليونانية القديمة، وقد شَكَّلَت تِلكَ العقود البنائية، مع دعائِمها الكبيرة، غرف مفتوحة، أُستُعمِلَت لأغراض مختلفة، لتتدرج تِلكَ الغرف المعقودة إرتفاعاً حتى نهاية أعلى إرتفاع خُصِصَ لها، ليعلو تِلكَ الغرف المفتوحة المعقودة، أسطح مستوية محاطة بِأسيجة، كأنّها أحواض فارغة، لملئِها

بالأتربة، المخصصة لزرع أنواع مختلفة مِنْ الأشجار العملاقة، وكل ذلِكَ مِنْ أجل تكوين مشهد طبيعي مِنْ المزروعات، يشبه المحيط البيئي للجبال، لِتُسقى تِلكَ الجَنائِن، مِنْ خلال أدوات حركية(ميكانيكية)، لا سيما بشكل لولبي لرفع المياه حركياً(ديناميكياً) مِنْ نهر الفرات القريب مِنْ الجَنائِن والقصر، إلى أعلى سطح مزروع في تِلكَ الجَنائِن المدرجة.

مِما يؤسف له، إنّ الباحثين في مجال علم الآثار، عَدّوا الجَنائِن المُعَلَّقَة، حقيقة مسلم بها، على الرغم مِنْ عدم وجود الدليل الآثاري المادي، والتأريخي على وجودِها، والمذكورة فقط في كِتابات المؤرِخون القدماء، بفاصل تأريخي ما يقارب نحو ٥٠٠عامٍ عن مُدَّة وجودِها المزعوم. إذ سعى الباحِثون لِإثباتِها، بشتى السبل مِنْ الإفتراضات والنظريات، ومنهم مِنْ يَأس في إثبات وجودِها في مدينة بابِل، لِتتحول أنظارهِم إلى المدن والقصور الآشوريّة، مع إغفال الكِتابات الملكية الآشوريّة، لِذكر أي حدائق مُعلَقة، أو مميزة بِإبداع غريب، وقد كَثُرَت فيها الإشارة إلى حدائق القصور الأرضية(ليست معلقة)، وما أحاطَ بِالمعابدِ الرئيسة، كمنظور جمالي وإعتباري للملوك، وليس لغرض آخر. ولا ننسى هناك مشهد النفق المائي الخيالي، الذي تصوره المؤرِخ ديودورس الصقلي، الذي إبتدعَ المشهَد العِماري للجنائن المُعَلَّقَة بشكل موسع، فلماذ لم يأخذ ذلِكَ النفق، مكانتهِ في مخيلةِ الباحثين، ربما بسبب عدم ذكره المتكرر عند المؤرِخين القدماء، إذ ذُكِرَ لمرة واحِدة، ولا ننسى المبالغة والخلط والتداخل في أغلب مرويات المؤرِخون القدماء بالمقارنة مع الدراسات والتنقيبات الآثاريّة.

الأشكال:

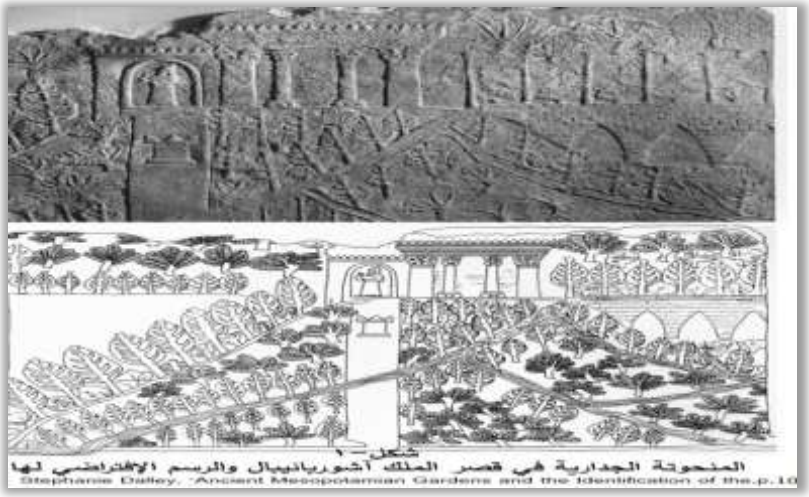

شكل (٢)
المنحوتة الجدارية في قصر الملك آشوربانيبال والرسم الإفتراضي لها
Stephanie Dalley, "Ancient Mesopotamian Gardens and the Identification of the..p.10

الهوامش:

(١) عُدَّت كتابات المؤرِخين القدماء، مِنْ أهم المصادر التأريخية، لدراسات الباحثين في القرن التاسع عشر الميلادي، حول الشرق الأدنى القديم، قبل حل رموز اللغات العِراقية القديمة كالسومرية والبابِليّة، فضلاً عن اللغة المصرية القديمة، وقد أصبحت كتابات المؤرِخين القدماء بعد ذلِكَ، إذا ما صح التعبير لي مُعضِلة، لا سيما في الإستناد عليها فقط، مِنْ أجل دراسة التأريخ القديم، إذ تتمحور المُعضِلة، في غياب الكتب أو المصادر الأصلية، لكثير مِنْ أولئك المؤرِخين، والإستناد إلى بعض الفقرات مِنْ كتاباتهم، مِنْ خلال مقتبسات مؤرِخين متأخرين عنهم، في كتبهم التأريخية، إذ جمع بعض المختصين في دراسة كتب المؤرِخين القدماء، تِلكَ الإقتباسات، أو الإشارات المنقولة، ما بين المؤرِخين القدماء، وأسموها(Ancient Fragments)، التي عَنَت كِسرات أو فقرات، وربما إنّ جاز لي التعبير تسميتها المقتطفات أو الإقتباسات القديمة، فضلاً عن إنّ تِلكَ الإشارات المقتبسة، قد تناولت أحداث قديمة تسبق زمن المؤرِخ، بفاصل مئات مِنْ السنين، وربما إعتمدت أغلبها على المرويات المنقولة، لِلمعلومات مِنْ مؤرِخ إلى آخر دون تدقيق وتمحيص، مع ما يمكن أنّ يضيفه المؤرِخ، لِتِلكَ المرويات المنقولة مِنْ تشويق، بالمبالغة والتحريف والخيال والإبتداع، أو صور جمالية متأثرة بواقع تِلكَ الحضارات، لتكون كتاباتهم تأريخية قصصية، أكثر مما هي تأريخية توثيقية، كون أنّ التأريخ الحقيقي هو وثيقة، أو مشاهدة حقيقية، أو رواية منقولة مع فاصل زمني بسيط عن مُدَّة الحدث المروي، لا سيما مع إنبهار أولئك المؤرِخين بأرقى الحضارات آنذاك، وهي كل مِنْ الحضارة الآشوريّة والبابِليّة، حتى أصبح مع صيغ المبالغة والزخرفة والخيال، المرافق للأحداث، دمج ما بين الأحداث التي تعود إلى الحضارة الآشوريّة والبابِليّة، كأنّهما حضارة واحدة، وبالتالي ستكون تِلكَ الإشارات ضعيفة الإسناد وهي مُعضِلة، إذا ما أُعتُمِدَت دون الدلائل أو الوثائق التأريخية الآثاريّة، مِنْ مُدَّة الحدث نفسها. إذ أنّ المنهجية العلمية في البحث التأريخي، تتطلب منا التأكيد على معادلة مهمة، تربط بين مُدَّة الحدث التأريخي وبين الوثيقة التأريخية أو الأثر المادي مِنْ نفس مُدَّة الحدث، أو مِنْ خلال المُشاهَدَة والرؤية أو السمع لِلمؤرِخ، على أنّ تكون المُشاهَدَة أو السماع، أمّا مِنْ نفس مُدَّة الحدث أو مِنْ مُدَّة لاحقة قريبة، لا سيما مع وجود الأثر المادي، أو مِنْ خلال الرواية المنقولة أو المقتبسة مِنْ مؤرِخ أقدم أشار لحدث ما، على أنّ تكون المُدَّة الزمنية الفاصلة ما بين الروايات المنقولة، قصيرة غير طويلة، لتحدد بعد ذلِكَ نسبة المصداقية في الإشارة التأريخية، مِنْ قوة أو ضعف الإسناد، مع ملاحظة ميول وإنتماءات المؤرِخين ناقلي الأحداث مِنْ الناحية السياسية والإجتماعية والعقائدية، ومدى إرتباط نوع المعلومة التأريخية مع تِلكَ الميول، ومقارنة مصداقية المعلومات التأريخية الأخرى للمؤرِخ، وقوة سندها مع المعلومة التأريخية، قيد التحقيق والفحص، وعلينا أنّ لا ننسى إنّ التأريخ الحقيقي هو وثيقة وأثر مادي أو مشاهدة صادقة أو نقلٍ موثوق.

(٢)للمزيد مِنْ التفصيل والإطلاع عن مسميات النباتات والمزروعات في العِراق القديم، يُنظَر:

Ebeling, “Garten” in Reallexikon der Assyriologie und Vorderasiatischen Archäologie (RLA), Vol3, Berlin ,1957-1971, pp. 148-149.

طه باقر،"دراسة في النباتات المذكورة في المصادر المِسمارية"،مجلة سومر،مج٩،ج١،بغداد،١٩٥٣،ص٥-٣٤. ؛ إلياس بيطَار، النّباتاتُ السَّومَريَّة والآشوريّة-البابِليّة: مُعجم ودِراسة مقارنة في ضوءِ العربيَّة، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان،٢٠١١.

(3)B. Hubner & A. Reizammer, Sumerisch Deutsches Glossar(SDG), Germany, 1980, p.71.

(4) CAD, K, pp. 411-415.

(5)Miguel Civil & Others, The Assyrian Dictionary of the Oriental Institute of the University of Chicago(CAD), K, p.202.

(6) CAD, K, p. 406. ; SDG, p. 160.

(7) SDG, p. 57.

(8) CAD, E, pp. 249-251.

رينيه لابات، قاموس العلامات المِسمارية،ترجمة الاب البير ابونا وآخرون،المجمع العلمي،بغداد،٢٠٠٤،ص٨٧،فقرة ١٠٥.

(9) CAD, G, p. 42.

(10) CAD, G, p. 41.

(11) CAD, G, p. 41.

(12)E. A. Wallis Budge, Babylonian Tablets in the British Museum (CT), Part 14, London, 1902, Pl. 50 :74.

(13)J. A. Brinkman, "Merodach Baladan II", in R. D. Biggs and J. A. Brinkman(ed), Studies Presented to A. Leo Oppenheim, University of Chicago Press, 1964, p. 37.

(14)Wolfram Von Soden, Akkadisches Handworterbuch(AHw), Band/1,Germany, 1985,p.280.

(15) Francis Brown, S. R. Driver, and Charles Briggs, A Hebrew and English lexicon of the Old Testament : with an Appendix Containing the Biblical Aramaic, Oxford, 1906, p. 171.

(١٦) تكوين، ٢: ٨-١٤.

(17)Francis Brown,"A Recent Theory of the Garden of Eden", the Old Testament Student, Vol. 4, No. 1, 1884, pp. 1-11.

(١٨) ملوك الثاني، ٢٥: ٤. أستير، ١: ٥. أستير، ٧: ٦-٩.

(١٩) أستير، ١: ٥. أستير، ٧: ٦-٩.

(20)A. Leo Oppenheim, "On Royal Gardens in Mesopotamia", Journal of Near Eastern Studies(JNES), Vol. 24, No. 4, Part Two, 1965, p. 328.

(21) CAD, E, p. 33.

(22) CAD, Ṣ, p. 138.

(٢٣)رينيه لابات، قاموس العلامات المِسمارية، ص٢١٧، فقرة ٥٠٠.

(٢٤) طه باقر، مقدمة في تأريخ الحضارات القديمة، ج١، ط٢، آفاق عربية، بغداد، ١٩٨٦، ص٥٤٨-٥٨٥.

(25) CAD, P, p.182.

(26) CAD, G, pp. 67-69.

(27) Douglas R .Frayn, Presargonic Period (2700 –2350 BC), the Royal Inscriptions of Mesopotamia Early Periods(RIME), Vol 1, Canada, 1998, p. 209.

(28) Ibid, p. 210.

(29) Ibid, p. 221.

(30) George A. Barton,The Royal Inscriptions of Sumer and Akkad, *Yale University*,1929,p.53.

(31) Dietz Otto Edzard, Gudea and His Dynasty, RIME3/1, Toronto University,1997, p.33.

(32) George A. Barton, The Royal Inscriptions of Sumer and Akkad, p.235.;RIME3/1, p.87.

(33) C.J.Gadd, Royal Inscriptions-Ur Excavations Texts(UET),Vol1,Oxford,1928,p.8, No.41.

(34) George A. Barton, The Royal Inscriptions of Sumer and Akkad, p. 365.

(35) S.N. Kramer,"Sumerian Hymns", in James B. Pritchard(ed), Ancient Near Eastern Texts (ANET), New Jersey, 1969, p.584.

(36) Douglas R. Frayne, Old Babylonian Period(2003-1595 BC), RIME/4, University of Toronto Press, 1990, pp. 166, 217, 219, 376.

(37) D. D. Luckenbill, Ancient Records of Assyria and Babylonia(ARAB), Vol 2, USA, 1927, p.390, No, 1019.

(38) H. V. Hilprecht, Explorations in Bible Lands During the 19th Century, Philadelphia, 1903, pp.461-2.

(39) CAD, G, p. 68.

(40) Ibid, p. 68.

(41) S.N. Kramer, "Lamentation Over the Destruction of Ur", ANET, p. 462, No. 95.

(42) A.Kirk Grayson, Assyrian Rulers of the First Millennia B.C I (1114-859 B.C), The Royal Inscriptions of Mesopotamia Assyrian Periods(RIMA), Vol 2, University of Toronto Press, 1991, p. 55.

(43) Ibid, p. 105.

(44) D. J. Wiseman,"A New Stela of Aššur-naṣir-pal II", Iraq, Vol. 14, No. 1,1952, p.33. ; J. V. Kinnier Wilson," Lines 40-52 of the Banquet Stele of Aššurnaṣirpal II", Iraq, Vol. 50, 1988, pp. 79-80. ; RIMA/2, p. 290.

(45) ARAB/2, p. 162. No, 368-369. ; OIP/2, p. 101.

(46) OIP/2, p. 80. ARAB/2, p. 150, No, 333.

(47) OIP/2, p. 116. ; ARAB/2, p. 173, No, 403.

(48) ARAB/2, pp. 184-185, No, 436-437. ; OIP/2, p. 137.

(49) OIP/2, pp. 114-115. ; ARAB, p. 172, No, 402.

(50) ARAB/2, p. 264, No, 687.

(51) A. R. Georg, Babylonian Topographical Texts, Orientaliste, Leuven, Belgium, 1992, pp.300-303.

(52) Erle Leichty, The Royal Inscriptions of Esarhaddon, King of Assyria(680-669 BC), Royal Inscriptions of the Neo-Assyrian Period(RINAP),Vol 4, Indiana, 2011, p.137.

(53) Ibid, p. 25.

(54) A. Leo Oppenheim, "On Royal Gardens in Mesopotamia", p. 331.

(55) Pauline Albenda," Grapevines in Ashurbanipal's Garden", Bulletin of the American Schools of Oriental Research, No. 215, 1974, pp. 5-14.

(56) Robert Koldewey,The Excavations at Babylon,Tr.Agnes S.J,London,1914,pp.93-100.

(57) *Hormuzd Rassam,* Asshur and the Land of Nimrod, New York, 1897, pp. 352-354.

(٥٨) للمزيد من التفصيل والإطلاع لِبعض الآراء والإفتِراضات حول الجَنائِن المُعَلَّقَة، يُنظَر:

Julian Reade, "Alexander the Great and the Hanging Gardens of Babylon", Iraq, Vol.62, 2000, pp. 195-217

أثير أحمد حسين، أبرز التشكيلات والمظاهر العمارية لمدينة بابِل الكِلدانيّة في ضوء التنقيبات، ص٢١٥-٢١٧.

(٥٩) هيرودتس، مؤرِخ يوناني ولِدَ ما بين ٤٩٠-٤٨٠ق.م، في مدينةِ هاليكارناسوس مِنْ أقليمِ كَاريا، جِنوبَ غرب ساحِل آسيا الصُغرى الغَربي، وقَضى أغلَبَ حياتهِ مُتنقلاً بينَ مراكِز الحَضارات القَديمة، ومُدنِها المَشهورة، إذ يُشارَ إلى إنّه قد زارَ بِلاد مِصرَ، حتى حدود أسوان في الجنوبِ، ومَناطِق العِراق القَديم وفِلسطين(بِلاد الشام)، والساحِلَ الشِمالي لِقارةِ أفريقيا، وأستقرَ في نهايةِ الأمر في إيطاليا، لِكتابة مؤلفهِ تَأريخَ هيرودتس. وعلى الرغمِ مِنْ، بعض الأحداث التي خَلَت مِنْ الواقعية، الواردة في مؤلفهِ، إلا أنه عُدَّ مِنْ أفضل مؤرِخي اليونان، للمزيد ينظر:

Aubrey De Sélincourt, *Herodotus* the Histories, Penguin Books, USA, 1954, p. 7.

(٦٠) يُعَدّ ستيسياس الكندوسي، مِنْ المؤرِخينَ اليونان القُدماء، الذي أسهبَ في كتاباتهِ عن تَأريخ العِراق القَديم، إذ عملَ طبيباً في القصرِ الفارسي، لمُدَّة سبعةَ عَشر عاماً، مِنْ مُدَّة المَلك الأخميني أرتحشِشتا الثاني(٤٠٤-٣٥٩ق.م)، وقد كتبَ موسوعة في تأريخِ بِلاد فارس باللغة الأيونية، أسماها بريسيكا(Presica)، في ٢٣ كتاب، أول سِتةَ كُتب مِنْها ، تَضمنَت تأريخ مَملكة بِلاد آشور، حتى تأسيس مَملكة بِلاد فارس، وإستندت مَعلوماتهِ على مصادرٍ مِنْ الشرق، مختلفاً في بعضها مع المؤرِخ هيرودتس. للمزيد ينظر:

William Smith, A New *Classical Dictionary of Greek and Roman* Biography, Mythology and Geography, Harper & Brothers, New York, 1884. p. 232. p. 232.

(٦١) تُعّد تسمية سميراميس، إحدى التَسميات المُبتدعة، مِنْ قِبَل المؤرِخ هيرودِتس، ربما مِنْ وحي الخيال، بِصرفِ النظر عن مشابهتِها، لِتسميةِ المَلكة الآشوريّة سَمورامات. ولِلمزيدِ عن المِلكَتان سَميراميس وسَمورامات ينظر:

A.T. *Olmstead, The History of Assyria, Chicago, 1923, pp.* 158-164.

طه باقر، مقدمة في تأريخ الحضارات القديمة، ج١، ص٥٠٨-٥١٠.

(٦٢) للمزيد من التفصيل حول إشارات المؤرِخ هيرودتس عن مدينة بابِل والملِكتين سميراميس ونيتوكريس، ينظر:

George Rawlinson, *The History of Herodotus*, Vol 1, Book 1, Ch, 179, 180, 181, London, 1909, pp. 175-177.

(63) Lloyd Llewellyn-Jones and James Robson, Ctesias' 'History of Persia': Tales of the Orient, Routledge, London-New York, 2010, p. 123.

(٦٤) يُعَدّ بيروسُس أو بِرعوشا(التَسمية الآرامية) أو بَعل رعيشو(الإله بَعل يَرعاه)، أحدَ كَهنةِ مَعبد الإله مَردوخ، في مدينةِ بابِل، ومؤرِخاً لِتأريخ العِراق القديم قديماً، ويُشارَ إلى أنّه عاشَ في مُدَّةِ حُكم الملك السلوقي أنطيوخِس الأول(٢٨١-٢٦١ق.م)، أو أنطيوخِس الثاني(٢٦١-٢٤٦ق.م)، وكَتب بِاللغةِ الأغريقية، تأريخ بِلاد بابِل في موسوعةٍ، مِنْ تِسعةِ كُتب، سُمّيَت بابيلونيكيا(Babylonicia)، وضحَ فيها صورة الحياة مِنذُ الخَليقة، مع وصفِ لِمدينة بابِل وشَعبِها، ولائحة مِنْ التعاقُب التأريخي لِلملوكِ، ومِنهم الآشوريون، حتى حُكم الملك الإخميني كورِش الثاني، وقد أشارَ إلى إقتباسِ معلوماتهِ، مِنْ أرشيفِ معبَد الإله مردوخ، إلا مِمّا يؤسف له، أنّ عملهُ الكبير مفقود، ونُسِبَت له مُقتَبسات ومُقتَطفات، مِنْ بَعضِ المؤرِخون المُتأخرين عنهُ، لا سيما المؤرِخ اليوناني يوسيبيوس القَيصري، للمزيدِ يُنظر:

William Smith, A New *Classical Dictionary of Greek and Roman*, pp. 142-143. ; Robert Drews, "The Babylonian Chronicles and Berossus", Iraq, Vol. 37, No.1, 1975, pp.39-55.

إبتهال عادل الطائي، "دراسة تحقيقية لمؤلفات بيروسس المؤرخ البابِلي"، مجلة آفاق التراث والثقافة، عدد٤٤، ٢٠٠٣، ص١٢٠-١٣٥.

(65) Robert Rollinger, "Berossos and the Monuments: City Walls, Sanctuaries, Palaces and the Hanging Garden", in Johannes Haubold &Others(ed), The World of Berossos, Classica et Orientalia, Band 5, Harrassowitz Verlag• Wiesbaden, Germany, 2013,p.142.

(٦٦) يُعَدّ ميگاستِنِس مِنْ المؤرِخين والكَتَبة اليونان، عملَ سفيراً في عهد الملك سلوقس(الأول) نيكاتور(٣١١-٢٨١ق.م)، كَتبَ تأريخ بِلاد الهند في أربعة كُتب، سُمّيَت أنديكا(Indica)، فُقِدَت جَميع كتبهِ، ولم يصل لِلباحثين غير مقتطفاتٍ، مِنْ كتاباتهِ، ومِنْها ما يَخصُ العِراق القَديم. للمزيد ينظر:

William Smith, A New *Classical Dictionary of Greek and Roman*, p. 493.

(٦٧) وِلَدَ المؤرِخ اليهودي يوسيفيوس فلافيوس، في مدينةِ أورشليم نحو٣٧م وماتَ نحو١٠٠م، كتبَ أعمالهِ التأريخية بِاللغةِ العِبرية، وأشهرها موسوعة العاديات اليهودية(Jewish Antiquities)، في عشرين كتاباً، للمزيد ينظر:

William Smith, A New *Classical Dictionary of Greek and Roman* Biography, p.408.

(68) *Ralph Marcus*, Josephus, with an English Translation, in Nine Volumes, Vol, VI, Jewish Antiquities, Books IX-XI, London, 1937, pp279-285.

(٦٩) لا يمكن تأكيد فترة وجود المؤرِخ أبيدينوسِ، إذ كتب عن التأريخ الآشوري، حسب ما يُشار، وقد نقل مِن أعمال المؤرِخ ميگاستِنِس والمؤرِخ بِرعوشا. وقد إقتبس مِن معلوماتِ أبيدينوس التأريخية ونَقلَ عنه، المؤرِخ اليوناني يوسيبيوس القيصري، في موسوعتهِ التي ضمت العديد من الكتب، التي سُميَت تأريخ الأحداث(Chronology)، للمزيد ينظر:

William Smith, A New *Classical Dictionary of Greek and Roman* Biography, p. 3.

(70)Isaac Preston Cory, The Ancient Fragments: Containing What Remains of the Writings of Sanchoniatho, Berossus, Abydenus, Megasthenes, and Manetho Also the Hermetic Creed, the Old Chronicle, the Laterculus of Eratosthenes, the Tyrian Annals, the Oracles of Zoroaster, and the Periplus of Hanno, London, 1828, p.41.

(71)Ibid, p. 35.

(72)Robert Rollinger, "Berossos and the Monuments: City Walls, p. 151.

(73) George Rawlinson, *The History of Herodotus*, Book 1, Ch, 107-108, pp. 117-118.

(74)Lloyd Llewellyn-Jones and James Robson, Ctesias' 'History of Persia': Tales of the Orient, Routledge, London-New York, 2010, pp. 88, 171. ; Stanley Mayer Burstein, "The Babyloniaca of Berossus", Sources from the Ancient Near East(SANE), Vol 1, Malibu, 1978, p. 25, No. 98.

(٧٥)يُعَدّ ديودورس الصقلي، مِنْ المؤرِخين اليونان القدماء، ويُشار إلى إنّهُ كان معاصِرا لمُدَّة حكم يوليوس قيصر(٤٩-٤٤ق.م)، وقسم مِنْ مُدَّة حكم أوكتافيوس أُغسطس(٢٧ق.م-١٤م)، كتب في التأريخ موسوعة كتب مهمة، سُمّيَت بالمكتبة التأريخية(Historical Library)، وقسمها إلى ثلاثة أقسام بأربعين كتاباً، القسم الأول مِنْها في ستة كتب، تبدأ مِنْ العصور الإسطورية حتى حرب طروادة(Trojan war)، وقد جمع مادتهِ التأريخية، مِنْ خلال أسفارهِ بين أوربا وآسيا، وقد عاش في مدينة روما لمُدَّة طويلة. للمزيد ينظر:

William Smith, A New *Classical Dictionary of Greek and Roman* Biography, p. 258.

(76)G. Booth Esq(Translated), The Historical Library of Diodorus the Sicilian: in Fifteen Books. to which are Added the Fragments of Diodorus, and those Published By H. Valesius, I. Rhodomannus, and F. Ursinus, Vol 1, London, 1814,, p. 108.

(77) *Austen Henry Layard*, Discoveries Among the Ruins of Nineveh and Babylon, New York, 1853, pp.498-499.

(78)G. Booth Esq(Translated), The Historical Library of Diodorus the Sicilian, p. 107.

(79)Ibid, pp. 102-103.

(80)T.E. Page & Others (ed), The Geography of Strabo with an English Translat by Horace Leonard Jones, in Eight Volumes, Vol 7, Book 16, London, 1917-33, pp. 198-199.

(81)Thomas V. Cech, Principles of Water Resources: History, Development, Management and Policy, USA, 2009, p. 6.

(82) William Smith, A New *classical Dictionary of Greek and Roman* Biography, p. 650.

(83)*H. Rackham, Pliny*: *Natural History*, with English Translation, in *Ten Volumes*, *Vol 1, London, 1944,* pp. 157-9.

(84) John C. Rolfe, Quintus Curtius, Vol 1, Books 1-V, London, 1946, pp. 338-339.

(85)T. Boiy, Late Achaemenid and Hellenistic Babylon, Orientalia Lovaniensia Analecta/136, Leuven, Belgium, 2004, p. 88.

(86) Ibid, pp. 84, 88.

(87) A. T. *Olmstead, History of Assyria, Chicago, 1923,* pp. 162-3.

(88)Stephanie Dalley, "Ancient Mesopotamian Gardens and the Identification of the Hanging Gardens of Babylon Resolved", Garden History, Vol.21, No.1, 1993,pp. 7-10.

(89)George Rawlinson, The Five Great Monarchies Of The Ancient Eastern World, or the History,Geography & Antiquites Of Chaldaea, Assyria, Babylon, Media, & Persia, Vol/1, Sec(ed), New York, 1870, pp. 310-311.

(90)Stephanie Dalley, "Ancient Mesopotamian Gardens and the Identification, pp.9-10.

(91)Stephanie Dalley "Nineveh, Babylon and the Hanging Gardens: Cuneiform and Classical Sources Reconciled", Iraq, Vol. 56, 1994, pp. 45, 50-53.

(92) D. W. W. Stevenson, "A Proposal for the Irrigation of the Hanging Gardens of Babylon", Iraq, Vol. 54, 1992, pp.48-50.

(93)Karen Polinger Foster, "The Hanging Gardens of Nineveh", Iraq, Vol. 66, 2004, p.209.

(94)Pauline Albenda, "Royal Gardens, Parks, and the Architecture Within: Assyrian Views", Journal of the American Oriental Society, Vol.138/1, 2018, p.115.

(95)E. J. Chinnock, The Anabasis of Alexander; or, the History of the Wars and Conquests of Alexander the Great. Literally Translated, with a Commentary, from the Greek of Arrian, the Nicomedian, London, 1884, pp. 402-3.

(٩٦) طع باقر، مقدمة في تأريخ الحضارات القديمة، ج١، ص٥٨٠.

الفكر الصوفي عند ابي بكر الشبلي (ت ٣٤٤هـ / ٩٥٥م) من خلال كتاب تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ / ١٠٧٠م) دراسة تأريخيه

The Sufi thought as adoped by Abu-Bakr Al-Shibly (D.344H-) as presented in the book "The History of Baghdad " by Al-Kateeb Al-Baghdadi (D.463H) – A historical study .

أ.م. د حيدر خضير رشيد

FAsst.prof .Haider khuder Rashid

جامعة ديالى/ كلية التربية للعلوم الإنسانية

Email: Hadar_yahoo.com

الفكر الصوفي عند ابي بكر الشبلي (ت ٣٤٤هـ / ٩٥٥م) من خلال كتاب تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ / ١٠٧٠م) دراسة تأريخيه

أ.م. د حيدر خضير رشيد

الملخص :

تناول البحث احد اعلام الفكر والتصوف الاسلامي في مدرسة بغداد ، ولعل الجهود التي قام بها المتصوفة المسلمون في ارساء جانب مهم من جوانب الحياة الروحية ووضع الاسس الفكرية والاتجاهات الاخلاقية المستمدة من الكتاب والسنه ، ومن واقع الحياة الروحية المتعددة الجوانب ، ومن اجل ابراز الجوانب الروحية تناول المبحث الاول سيرة المؤلف الخطيب البغدادي وكتابة تاريخ بغداد ، اما المبحث الثاني فتناول الفكر والمنهج الصوفي عند ابي بكر الشبلي من خلال كتاب تاريخ بغداد ومقارنته مع المصادر الاخرى مبينا فيها سيرة وحياة ابي بكر الشبلي ، وتعريف التصوف ونشأته ، ومن ثم بيان الفكر والمنهج الصوفي للشبلي ٠

Abstract:

This research –paper tackles one of the pillars of thought and Islamic Sufism in Baghdad school . It is worth mentioning that Moslem sufists had played a great effort in the establishment of everyday live aspects ,be they on the spiritual facet or even other aspects in general , They ,however, had based all their propositions on the holy Quran and the sacred sunna.to highlight spiritual aspects , they touched upon the biography of author Al-Kateeb Al-Baghdadi in the first part .As for the second part ,the mode of thought and the Sufi approach as adopted by Abo-Bakr Al-Shibli in the book " "The History of Baghdad' 'This is, however presented through a comparison with other sources as far as Abu-Bakr Al-Shibli's biography is concerned . Besides ,"Sufism" is defined as well as the thought and approach adopted by Al-Shibli

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) وعلى اله وصحبه وسلم وبعد:

من يتصدى لدراسة احداث التاريخ سيرى في تاريخ كل امه من الامم قاده وعلماء افذاذ اناروا الامه الاسلامية بعلمهم وفكرهم ، ولعل شخصية ابو بكر الشبلي (ت٣٤٤هـ/ ٩٥٥م) من الشخصيات البغدادية ومن مدرسة العراق التي انارت الفكر بالاتجاهات الأخلاقية والجوانب الروحية المستمدة من

الدين والشرع ، لذا تناول المبحث الاول ترجمة سيرة المؤلف الخطيب البغدادي وحياته ، اما المبحث الثاني فتناول الفكر والمنهج الصوفي عند ابي بكر الشبلي من خلال كتابه تاريخ بغداد ، مبينا من خلال ذلك حياة الشبلي وسيرته، وتعريف التصوف ونشأته بشكل مقتضب ، ومن ثم استعراض بعض الجوانب الصوفية للشبلي ٠

المبحث الاول : حياة الخطيب البغدادي وسيرته

١- اسمه :

هو احمد بن علي بن ثابت بن احمد بن مهدي [١] ٠

٢- لقبه ونسبه وكنيته :

لقب احمد بن علي بن ثابت بالبغدادي [٢] ، نسبه الى مدينة بغداد التي ولد فيها ، ولقب بالخطيب[٣] ، لان اباه ابا الحسن كان يتولى الخطابة في جامع القرية ، ويقال لها (درزيجان)[٤] ، اما كنيته الشائعة عند اغلب المصادر وكتب التاريخ هي ابا بكر[٥] ، نسبه الى احد ابنائه ٠

٣- ولادته وحياته الاولى (نشأته) ورحلاته بطلب العلم :

تتفق اغلب المصادر التاريخية عن سنة ولادة احمد بن علي بن ثابت البغدادي ولد بيوم الخميس لست بقين من جمادي الاخرة سنة (٣٩٢هـ /١٠٠١م)[٦] ، فقد نشأ في بيت من بيوت العلم والصلاح حيث كان اباه خطيبا بقرية (درزيجان) فتعلم القران وتفسيره واصول الدين وهو بعمر احد عشر سنه[٧] ، حيث كان اباه رجلا صالحا ومحبا للعلم لذا فعمل على تنشئة ابنه تنشئه علميه من صغره من خلال تعليمه قراءة القران واصول الدين ومن ثم بعد ذلك حلقات ومجالس العلماء في بغداد ، وقد ارتحل الى البصرة وهو بسن العشرين سنه والى نيسابور بسن الثلاث وعشرين سنه والى الشام ومكة وهو كهل وقد صنف وعلل وجرح وارخ عشرات الكتب[٨] ، حيث كان يجلس بحلقات العلم في وقت مبكر من عمره ، وقد اخذ العلم من علماء بغداد كالحديث والفقه والنحو ، وبعد صلابة عوده اخذ العلم من العلماء المقيمين خارج بغداد ، لذا كانت رحلته متعددة واهتم الخطيب بالرحلة ولذا نجده يقوم بأكثر من رحله في طلب العلم حتى الف كتابه في طلب العلم سماه (الرحلة في طلب العلم)[٩] ، الفه عند مكوثه في دمشق لفتره طويله من سنة (٤٤٥هـ) حيث كان يعقد مجالسه العلمية في الجامع الاموي بدمشق وكان يحدث بمصنفاته مما افاد علماء دمشق اكثر مما استفاد منهم وقد استقر بينهم بعد ان نضج علمه وتكاملت ثقافته[١٠] ، لذا نجده يؤلف بعلوم عديده منها علوم الحديث ، والفقه ، والمنطق ، وعلم الكلام ، والتاريخ وكتب التراجم ، والعقائد والفرق والرقائق والتصوف وغيرها[١١] ٠

٤- شيوخه وتلاميذه :

تتلمذ احمد بن علي بن ثابت البغدادي على يد مشايخ عصره ، فقد اخذ العلم والقران وتفسيره واصول الدين والحديث ، والتاريخ ، والادب ، والعقائد والفرق والتصوف من علماء عصره وممن روى عنهم في تاريخ بغداد امثال هلال بن عبدالله الطيبي(ت ٤٢٢هـ) ابي القاسم عبيد بن احمد الازهري والصيمري ، واحمد بن محمد الهروي الصوفي وغيرهم[١٢] ، وروى عنه محمد بن عبد الملك ، ومسعود بن الحسن الثقفي روى عنه بالإجازة[١٣] .

٥- ثقافته وثناء العلماء عليه:

لعل اهتمام الخطيب البغدادي بالحديث وعلومه اكثر من اهتمامه بالعلوم الاخرى ، كالفقه واصوله والادب والتاريخ مما حدى بالكثير من العلماء الى توثيقه لمكانته العلمية وخاصه من قبل معاصريه كأمثال ابن ما كولا (ت ٤٧٥هـ) والسمعاني (ت ٥٦٢هـ) والحافظ ابن عساكر (ت ٥٧١هـ) والسبكي (ت ٧٧١هـ) وغيرهم ، وقد اثنوا عليه هؤلاء العلماء لغزارة علمه ونوهوا بفضله حيث اعتبره الكثير منهم خاتمة الحفاظ[١٤] ، وقد ذكر لنا الحافظ ابي حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) قال ابن نفطه ((من انصف علم ان اهل الحديث بعد الخطيب عيال على كتبه))[١٥] ، وكان بحق الناس بعد الخطيب عيال عليه خاصه بعد تأليفه بعلوم الحديث[١٦] ، وكان الخطيب البغدادي على مذهب الاشعري في الاصول وللأشعري قولان في الصفات اولهما : التأويل ، وثانيهما : وهو المتأخر عدم التأويل والتعطيل وهو مذهب السلف ومذهب الامام احمد واهل الحديث[١٧]، وقد حاول خصومه الطعن في علمه كرميه بالتصحيف وكثرة اوهامه وخاصه بترجمته للأمام ابي حنيفة (ت ١٥٠هـ) رضي الله عنه خاصه ، ويتهمه ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) بتعصبه ضد الحنابلة واتهامه بالاحاديث الموضوعة في مصنفاته[١٨] .

٦- منهجه في التأليف وموارده :

يعد كتاب تاريخ بغداد من اهم واكبر مؤلفات احمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي فهو موسوعة ضخمه عنى بشكل كبير بتراث التاريخ العربي الاسلامي خاصه بتراجم الشخصيات ويعد من المصادر المهمة في كتب التراجم والطبقات ، حيث ضم هذا الكتاب (٧٨٣١) ترجمه للمحدثين بالحديث النبوي واصحاب العلوم الاخرى ورجالات الدولة والمجتمع ، فهو أذن يمثل تاريخ النخبة للعلماء ء لما حوى من فنون عده ولعل ما فيه من تراجم ربما لم نجدها في كتب اخرى[١٩]، ويظهر لنا كتاب تاريخ بغداد اهمية من ناحية مناهج العلماء وعلاقاتهم مع تلاميذهم ، وبين مدى انتشار مراكز التربية والتعليم خاصه المدارس في القرنيين الرابع والخامس الهجري وانتشار مجالس العلماء وحلقات التدريس العلمية في المساجد والمدارس[٣٠] ، ويعكس ايضا ما مدى نشاط المحدثين ببغداد حيث ترجم لحوالي خمسة الاف ترجمه من رجال الحديث وتضائل اصحاب العلوم والادب الاخرى خاصه في القرن الخامس الهجري حيث كان يقصده طلاب الحديث من اطراف المشرق والمغرب لاتصال بغداد بالمدن والاقاليم الاخرى لذا

نجد ازدهار الجانب الفكري والثقافي ببغداد وساعد ذلك على ازدهار المدارس والمكتبات خاصه بعلوم القران والحديث[٢١] ، وقد استخدم الخطيب البغدادي الاسناد الدقيق خاصه عند سرده لروايات سواء بالحديث ورجاله او بالعلوم الاخرى كالتاريخ والادب وغيره وبسبب فقدان معظم المصنفات التي اقتبس منها بل ان بعضها لم تشر اليها الكتب المختصة بأسماء المؤلفات لذا فأن اقتباساته عنها بأسانيده لها اهميه خاصه بالتعريف بكثير من المؤلفات المفقودة خاصه في الحديث والتاريخ لذا اصبح لها اهميه في دراسة التاريخ وتاريخ الحديث[٢٢] ، ولا بد من ذكر المصنفات التي بلغت (٤٤٦) كتابا جميعها الفت خلال القرن الثالث والرابع والخامس الهجري في علوم عده كعلوم القران والقراءات والعقائد والحديث وعلم الكلام وغيرها[٢٣] ، ولعل الرحلات التي قام بها الخطيب البغدادي كانت له العون في تأليفه للكتاب فيذكر عند الترجمة السنه التي وضع فيها الحادث ، اما بالنسبة الى موارده فكان اعتماده على علماء الاخبار وما جاء في القران الكريم والاحاديث النبوية وما تم مشاهدته ومعرفته من العلوم والاخبار خاصه من خلال معرفته بعلوم مختلفة[٢٤] ، لذا يعد كتابه يسمى بتاريخ النخبة من ارباب واصحاب الكفاءات والمبرزين في المجتمع[٢٥] .

٧- مؤلفاته :

ترك لنا احمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي اثار طيبه في فنون مختلفة كعلوم القران والتفسير والعقائد والفرق والتصوف وغيره ، وانتشرت كتبه خاصه تاريخ بغداد ، ولا بد من التنويه بأهمية تاريخ بغداد في ذكر اسماء العديد من المصنفات بلغت (٤٤٦) كتابا الفت جميعها خلال القرن الثالث والرابع والخامس الهجري[٢٥٦] .

٨- وفاته :

تشير لنا اغلب المصادر التاريخية الى ان الخطيب البغدادي توفي يوم الاثنين سابع عشر من ذي الحجه من سنة (٤٦٣هـ /١٠٧٠م) ودفن بباب حرب في بغداد بجنب قبر بشر الحافي[٢٧] .

المبحث الثاني : الفكر الصوفي عند ابي بكر الشبلي (ت٣٤٤هـ / ٩٥٥م)

تمهيد :

قبل الدخول في فكر ومنهج ابي بكر الشبلي لا بد من اعطاء نبذه مختصره عن التصوف من حيث تعريفه لغة واصطلاحا ونشأته وتطوره بشكل عام والتعريف بسيرة وحياة ابي بكر الشبلي ومن ثم الدخول في فكر ومنهج ابي بكر الشبلي .

تعريف التصوف لغة واصطلاحا نشأته وتطوره :

التصوف لغة : وهي كلمه مشتقة او مأخوذة من الصفاء او الصوف او من الصفة، ويعلل العلماء هذا القول بأن الصوفية تعني المعاني السامية والمبادئ العامة[٢٨] ، ولكن القشيري يخالف ذلك

قائلا: ((ولا يشهد لهذا الاسم اشتقاق من جهة العربية ولا قياس واشتقاقه من الصفاء او الصفة فبعيد من جهة القياس اللغوي))[٢٩] ، ويرجح ابن تيميه ان التصوف منسب الى من لبس الصوف قائلا ((كان اهل السلف يسمون اهل الدين والعلم والقراء فيدخل فيهم العلماء والنساك ٠٠٠ واسم الصوفي نسبه الى لباس الصوف وهذا هو الصحيح))[٣٠] ، وكلمة تصوف يتصوف الشخص أي صار صوفيا واتبع سلوك الصوفية وحالهم[٣١] ، وتصوف تعني ما يلبسه المريد من على يد شيخه الذي يدخل في ارادته ويتوب على يده[٣٢]، وتعني ايضا طريقه في السلوك تعتمد على التحلي بالفضائل وتزكية النفس سعيا الى مرتبة الفناء ورضى الله تعالى[٣٣] ، وتعني ايضا المبادي التي يتأدبون بها المتصوفة في مجتمعاتهم وخلواتهم[٣٤] ٠

اما تعريف التصوف من ناحية الاصطلاح ، فهنالك تعاريف كثيره وردت على السن العلماء ورجال العبادة هو الزهد في الدنيا والابتعاد عن مغريات الدنيا وملذاتها ، ويعرف لنا ابن خلدون التصوف قال ، وتعني العكوف للعبادة والانقطاع الى الله تعالى والابتعاد عن زخارف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة وحال ومن ثم الانقطاع للخلوة[٣٥] ،وسئل ابو سعيد الخراز عن الخلوة قائلا : ((اقوام اعطوا حتى بسطوا ومنعوا حتى فقدوا ثم نودوا من اسرار قريبه ٠٠٠))[٣٦] ، ويعرفه عبدالله التستري قائلا: ((الصوفي من صفا من الكدر وامتلا من الفكر وانقطع الى الله عن البشر))[٣٧] ، ويعرفه الجنيد البغدادي شيخ ابي بكر الشبلي قائلا : ((هو اجتماع مع استماع وعمل مع اتباع)) وله تعريف اخر له التصوف عنوة لا صلح فيها[٣٨] ٠

اما بالنسبة الى نشأة وتطور مفهوم التصوف فهو في مفهومه واصوله لم يكن متأخرا ففي القرن الاول الهجري والمعروف بعصر الرسالة وعصر الخلفاء الراشدين كان الزهد سائرا ولكن بعد دخول الاسلام بلدان واقاليم اخرى وظهور المدارس كمدرسة اهل العراق والمدارس الاخرى ظهرت تيارات واتجاهات فكريه جديده تمثلت بظهور نزعة التصوف على كثير من العلماء فاخذوا يدعون الناس الى الزهد يعني الانقطاع للعبادة والخلوة ومن ثم الابتعاد عن مغريات وملذات الحياة وقد اعتبره كثير من المؤرخين بأنه علما شرعيا كبقية العلوم الاخرى ، ويذكر لنا ابن خلدون بخصوص ذلك قائلا :((بان هذا العلم من العلوم الشرعية الحادثة في المله وان طريقة هؤلاء القوم عند سلف الامة وكبار حمايتها هي ٠٠٠ من بعدهم طريق الحق والهداية ، ومن اصلها العكوف للعبادة ومن ثم الاعراض عن زخرفة الدنيا وزينتها ٠٠٠ والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذه ومال وجاه ومن ثم الانفراد عن الخلق في الزهد والعبادة باسم الصوفية والمتصوفة))[٣٩] ، وعندما كتبت العلوم ودونت الف اصحابها في الفقه واصوله وعلم الكلام ، والتفسير وغيرها من رجال هذه الطريقة فمنهم من كتب في الورع ومحاسبة النفس كما فعله ابو الحارث المحاسبي (ت ٢٤٣هـ)[٤٠] ومنهم من كتب في ادأب الطريقة كما فعلة القشيري (ت ٤٦٥هـ)

رحمه الله في كتب الرسالة القشيرية والسهر وردي (ت ٦٣٢هـ) في كتاب عوارف المعارف ، والغزالي (ت ٥٠٥ هـ) حيث جمع بين امرين كأحكام الورع والاقتداء ، وبعد ذلك صار علما مدونا[٤١] ، ويمكننا ان نستنتج من كل ذلك ان التصوف كان في بدايته يتمثل في الزهد خاصه في فترة القرن الاول الهجري ، ولكن نجد بعد توسع وانتشار الاسلام في البلدان والاقاليم الاخرى ابتعد مفهوم التصوف عن معناه الحقيقي وهو الزهد أي الابتعاد عن الكتاب والسنه وهدي السلف الصالح حتى ال عند البعض من هؤلاء المتصوفة الى الالحاد والقول بوحدة الوجود والتحلل من الشرائع نعوذ بالله من ذلك ٠

حياة ابو بكر الشبلي وسيرته :

١- اسمه :

اختلفت الاقوال في اسمه عند المؤرخين ، فقيل : دلف بن جعفر ، وقيل : دلف بن جحدر ، وقيل : دلف بن جفره ، وقيل : دلف بن جعونة ، وقيل : جعفر بن يونس ، وقيل : جحدر بن دلف والرأي الارجح هو دلف بن جعفر [٤٢] ٠

٢- لقبه ونسبه وكنيته :

لقب ابو بكر الشبلي بالشبلي[٤٣] ، نسبة الى قرية الشبلية[٤٤] ، التي ولد فيها ، اما كنيته الشائعة عند اغلب المصادر وكتب التاريخ هي ابو بكر[٤٥] ، نسبة الى احد ابنائه ٠

٣- حياته الاولى ونشأته :

تتفق اغلب المصادر والتراجم والطبقات على سنة ولادة ابي بكر الشبلي فولد سنة (٢٤٧/ هـ٨٦١ م) بمدينة سر من رأى من مدينة سامرا ، وقد ولي خاله امرة امير امراء الإسكندرية ، وولي اباه حجابة الحجاب ومن ثم ولي ابو بكر حجابة الموفق ، ولما عزل الموفق من ولاية العهد حضر الشبلي يوما في مجلس خير النساج (ت ٣٢٢هـ) وقد تاب ابي بكر الشبلي في مجلسه[٤٦] ، وقال : ((انا كنت صاحب الموفق ، وكان ولأني بلدتكم فاجعلوني في حل ، فجعلوه في حل وجهدوا ان يقبل منهم سيئا فأبى وصار بعد ذلك واحد زمانه جالا ومالا ونفسا))[٤٧] ٠ وقد كان فقيها على مذهب الامام مالك بن انس أي كان مالكي المذهب[٤٨] ٠

٤- شيوخه وتلاميذه :

تتلمذ ابو بكر الشبلي على يد مشايخ عصره ، فقد اخذ يحضر مجالس العلم خاصه مجلس الشيخ خير النساج (ت٣٢٢هـ) فتاب على يده ومن بعده شيخه الجنيد البغدادي (ت٢٦٦هـ) وكان يحضر حلقاتهم الدراسية وقد سمع الحديث[٤٩] ، وقد روى عنه محمد بن عبدالله الرازي ، ومنصور بن عبدالله الهروي ، ومحمد بن الحسن البغدادي وغيرهم ، وله كلام مشهور في الكتب[٥٠] ٠

٥- شعره :

لقد كان ابو بكر الشبلي ينشد الشعر بألوانه المختلفة وله اشعار كثيرة منها قوله بالغزل والمحبة :

تغني العود فاشتقنا الى الاحباب اذعنا

وكنا حيث ما كانوا وكانوا حيث ما كنا[٥١]

وهنالك شعر له دخل شيخه الجنيد عليه وانشد له :

عودوني الوصال الوصل عذب ورموني بالضد والضد اصعب

زعموا حين عاتبوا ان ذنبي قر طبعي لهم وما ذاك اذنب[٥٢]

٦- وفاته :

تتفق اغلب المصادر التاريخية على وفاة ابو بكر الشبلي توفي يوم الجمعة في ٢٨ من ذي الحجه من سنة (٣٣٤هـ) وله سبع وثمانون سنه ، حيث اوصى خادمه اثناء مرضه ان يتصدق بماله ، واوصاه قبل وفاته ان يوضئة فوضاه وترك تخليل لحيته فرفع الشبلي يده وقد كان اعتقل لسانه فجعل يخلل لحيته ، وقد دفن بمقبرة الخيزران ببغداد[٥٣] .

فكر ومنهج ابي بكر الشبلي في التصوف

نجد ان لكل صوفي منهج وفكر خاص به وهذا نابعا من كلامه ، والمتصوفة كلهم يسيرون لهدف واحد وهو التوحيد والزهد ونجدهم يختلفون في الشكل ويتفاوتون في الطريق ومن هنا جاءت هذه الكلمة المأثورة (الصوفية) ، ويمثل ابو بكر الشبلي الصورة الجميلة لاهم زوايا التصوف متمثلة بحبة للخالق عز وجل بحيث نجده سار على نهج مستقيم فاحب الله الى درجة الهيام فكان له المنهج الصحيح الذي يسير علية[٥٤] ، لكل عمل يقوم به ، واذا كان التصوف هو الزهد في الحياة وترك السلطان ، فأن الشبلي يتجرد من كل ما تملك يداه من ملذات ومتاع الحياة الدنيا ، وقد ترك مجدا يتلألأ انواره ولو اخذنا التصوف في اعلى مراتبه وغاياته ، نعني التصوف الذي اساسة المحبة والشوق الى الله فأن الشبلي أقبل على مجالس العابدين يملأ افاقهم حبا وانسا حتى لقب بريحانة المؤمنين ، فكان احد الذين جمعوا بين التصوف وبين علوم الشريعة بل انه كان فقيها ومتصوفا[٥٥] ، وهنالك اقوال كثيرة عنه فعن علي بن محمد الجمال قال سمعت ابا بكر الشبلي يقول عن عطاء عن ابي سعيد قال : قال رسو الله صلى الله عليه وسلم لبلال ((الق الله فقيرا ولا تلقه غنيا)) قال يا رسول الله كيف لي بذلك قال : ((ما سئلت فلا تمنع وما رزقت فلا تحيا)) قال يا رسول الله كيف لي بذلك ؟ قال((هو ذاك والا فالنار))[٥٦] وهذه دلاله واضحه عن اقواله في الزهد ، وصحب الشبلي الجنيد البغدادي في اول سلوكه الى الطريق فقال لقد حدثوني عندك بجوهرة العلم الرباني الذي لا يظل صاحبه ولا يشقى ، فأما ان تمنع واما ان تبيع فقال الجنيد لا استطيع ان ابيعها لك فما عندك ثمنها وان فتحتها لك اخذتها رخيصة فلا تعرف قدرها واعلم ان طريق المجاهدين

الاخذين[٥٧] بقوله تعالى **((واللذين جاهدوا فينا لنهديهم سبلنا))** فاجعل هذه الآية نصب عينيك ،وقد عمل الشبلي بنصيحة شيخه الجنيد فكانت اول مجاهداته في اول امره فوق الحد فيقال ((انه اكتحل بكذا من الملح ليقتاد السهر ولا يأخذ النوم))[٥٩] ، وقيل سئل الشبلي وانا حاضر عن الاستغفار عن الحسين بن احمد الصفار قال: سئل الشبلي ((أي شيء اعجب قال قلب عرف ربه ثم عصاه))[٦٠] وقال الحسن بن بندار الاستراباذي :قال سمعت الشبلي يقول ((ما قلت الله قط الا واستغفرت من قولي الله))[٦١] ، ويتحدث ابو بكر عن استراحة القلوب عند دخول الايمان قال رجل الى الشبلي بماذا تستريح قلوب المحبين والمشتاقين الى الله؟ قال : ((الى سرورهم بمن احبوه وقد اشتاقوا اليه[٦٣] ، وعن احمد بن محمد بن عمران قال سمعت الشبلي يقول ما الفرق بين رق العبودية ورق المحبة ؟ فقال : كم بين عبدا اذا اعتق صار حرا وعبدا كلما اعتق ازداد رقا ثم قال : يوم الحساب وفيها حبكم علق))[٦٣] ، وبين ابو بكر الشبلي الفرق بين العبودية وبين المحبة ، وقد سئل ابو بكر عن التصوف فقال التصوف تريح القلوب بمراوح الصفاء وتجليل الخواطر بأردية الوفاء والتخلق بالسخاء والبشر في اللقاء[٦٤] ، وعن علي بن المثنى التيمي يقول دخلت على ابا جحدر بن خلف في داره يوما وهو يهيج وانشد قائلا :

على بعدك ما يصبر من عادته القرب ولا يقرب على حجبك من تيمه الحب[٦٥]

وكان الشبلي اذا دخل شهر رمضان جد في الطاعات ويقول هذا شهر عظمه ربي، ولهذا استحق الشبلي ان يقول عنه الجنيد لكل قوم تاج وتاج هؤلاء القوم الشبلي[٦٦] ، ويذكر لنا ابا جعفر حادثه عن الوعظ قال سمعت الجنيد : ((لا تنظروا الى ابي بكر الشبلي بالعين التي ينظر بعظكم الى بعض فأنه عين من عيون الله عز وجل[٦٧] ، وربما يعود تبجيل وتعظيم ابن مجاهد للشبلي الى قيام المناظرات بينهما وانتصار الشبلي ، ويروى ان الشبلي جاء الى مسجد ابي بكر بن مجاهد فدخل على ابي بكر فقام اليه ابو بكر بن مجاهد، وتحدث اصحابه بحديثهما وقالوا لابي بكر انت لم تقم لعلي بن عيسى الوزير وتقوم للشبلي ؟ فقال ابو بكر الا اقوم لمن يعظمه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال لي يا ابا بكر اذا كان في غد فسيدخل عليك رجل من اهل الجنة فاذا جاءك فاكرمه ، فقال ابن مجاهد فلما كان بعد ذلك بثلاثين او اكثر ... فقلت يا رسول الله بم استحق الشبلي هذا منك فقال هذا رجل يصلي كل يوم خمس صلوات ويذكر في اثر كل صلاة ويقرأ قوله تعالى : **((لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَاعَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ))**[٦٨] ، بفضل ذلك منذ ثمانين سنه افلا اكرم من يفعل ذلك[٦٩] ، واخبرنا علي بن جعفر السيد قال : دخلت انا وفقير على الشبلي فسلمنا عليه وقال لنا اين تريدان فقلنا له الى الباديه فقال لهم على أي حكم تسألون قال صاحبي على حكم الفقراء فقال احذروا الا تسبقكم همومكم ولا تتأخر فقال ابو الحسن السيرواني فجمع لنا العلم كله في هذه الكلمة[٧٠] ،وذكر لنا عيسى بن علي الوزير قال كان ابن مجاهد يوما عند ابي

فقال له الشبلي يدخل وكان بحلقة ابي عمران الاشيب فقال لابي فرح العكبري ما للناس قال حردوا من صيحتك فقام الشبلي وجاء الى ابي عمران فلما راه ابو عمران قام اليه واجلسهما فقال للصبي قم نم فقال الصبي اني انس برؤيتك واشتهي بالنظر اليك الى ان تنام ، فذكر له الشبلي قال ان جارتي قالت عددت عليك سته اشهر لم تنم فيها[٧١] ، وهذه دلاله واضحه لنا على مدى حب الناس الى مجالسته والانس به وبحلقاته العلمية، وذكر لنا ابن النقيب قال فيما كنت جالسا في باب الطاق أقرأ القران على رجل يكنى بابي بكر العيمش فاذا بالشبلي قد جاء على رجل من اهل العلم فسلم عليه واطال الحديث معه فاجتمع القوم وجلسوا بقربه بان يدعوا لنا ويرينا شيئا من آيات الله ٠٠٠ فاجتمع الناس بباب الطاق فرفع الشبلي يده الى الله ودعا بدعاء لم يفهم ، ثم شخص الى السماء فلم يطبق جفنا على جفن الى وقت الزوال[٧٢] ، وذكر لنا ابن مجاهد عن الشبلي قال : اين في العلم افساد ما ينتفع به له فاين قوله فطفق مسحا بالسوق والاعناق ، ولكن اين معك يا مقرئ القران ان المحب لا يعذب حبيبه[٧٣] ، وذكر لنا السلمي قال ابا بكر الشبلي الانبساط بالقول مع الله ترك الادب وتركه يوجب الطرد [٧٤] ، ونوه ايضا لنا الشبلي عن ذكر الله قال ذكر الله على الصفاء ينسي العبد مرارة البلاء[٧٥] ، وسئل الشبلي عن الزهد فقال : تحويل القلب من الاشياء الى رب الاشياء[٧٦] ، وقد كتب الحديث كثيرا وهو يقول على نفسه كتبت الحديث عشرين سنه ، وجالست الفقراء عشرين سنه ، ثم يذكر اعرف من لم يدخل في هذا الشأن أي التصوف حتى نجده انفق جميع ملكه ، وحفض ابا بكر الشبلي الموطأ[٧٦] ، وقد كان له يوم الجمعة نظره ومن بعدها صيحه فصاح يوما صيحه تشوش ما حوله من الحلقات الاخرى وكان بجنبه حلقة ابي عمران الاشيب فقال لابي الفرج ما للناس حردوا من صيحتك فقال الشبلي وجلس بجنب حلقة ابي عمران واراد بعض اصحاب ابي عمران ان يري للناس ان الشبلي جاهل فطرح سؤالا على الشبلي قال اذا اشتبه على المرآه دم الحيض يوم الاستحاضة كيف تصنع ؟ فأجاب بثمانية عشر جوابا فقام ابو عمران وقبل رأسه وقال يا ابا بكر اعرف منها اثني عشر وسته ما سمعتها قط[٧٧] ، وهذه دلاله واضحة على غزارة علمه واتقانه لا صول الفقه ، وذكر لنا الحصري انه خرج من ابا بكر الشبلي في ايام القحط يطلب شيئا لصبيانة فدخل على شخص فأعطاه دراهم كثيره قال فخرجنا من عنده ملئ من الدراهم فكلما لقينا شخص من الفقراء اعطاه منه حتى لم يبق الا القليل له قلت ياسيدي الصبيان في البيت جياع فقال ماذا اعمل وبعدها اشترى شيء مما بقى من الدراهم وحمله لصبيانة[٧٨] ، وقد كان الشبلي له معرفه خاصه في الزكاة والصدقات وقيل ان ابراهيم بن شيبان يرفض الذهاب الى الشبلي واستماع كلامه فقال له ذات يوم واراد ان يمتحنه فقال له كم في خمس الابل ؟قال شاة في واجب الامر فقال له ابراهيم الك في هذا الماكم قال نعم فأبوا بكر الصديق (رضي الله عنه) اذ خرج عن حاله كله ، فقال له النبي ما خلقت لعيالك فقال الله ورسوله فقام ولم ينه الناس بعد ذلك[٧٩] ، لذا نجد على هذا المبدأ كان التوكل عند

الشبلي هو التماس الرزق من الله وحده ، اما بالنسبة الى نظرة الشبلي الى تفسير الآيات القرآنية والاحاديث النبوية تختلف بعض الشيء عن نظرة الفقهاء حيث انهم يمعنون النظر اليها ويفسرونها تفسيرات باطنيه تختلف عن تفسيرات الفقهاء الظاهرية الجامدة ، لذا نجد الشبلي يعترف بأنه لم يستطع الانتهاء من درسه للقران مما يدل على اهتمامه البالغ بمعانيه ، ومما يوكد هذا الاتجاه ان ابا بكر بن مجاهد دخل على ابي بكر الشبلي فحادثه وسأله عن حاله فقال نرجو الخير فتختم في كل يوم بين يدي ختمتين وثلاثا فقال له الشبلي ايها الشيخ انت قد ختمت في تلك الزاوية ثلاث عشرة الف ختمه ان كان فيها شيء قبل فقد وهبته لك واني لفي درسه منذ ثلاث واربعين سنه ما انتهيت الى ربع القران[٨٠] وقد تناول الشبلي جزءا من تفسيرات لآيات القران لتبين منهجه في ذلك والذي يدل على ان آيات القران كان لها تأثير خاص في مجالس السماع وتثير نفسا في نفس المجتمع وسئل ابو علي المغازي الشبلي فقال ربما يطرق سمعي ايه من كتاب الله فتحذو بي الى ترك الاشياء والاعراض عن الدنيا ثم ارجع الى احوالي والى الناس فقال الشبلي ما اجتذبك اليه عطف منه عليك ولطف وما رددت الى نفسك فهو شفقه منه عليك لا نه لم يصح لك التبريء من الحلول والقوه في التوجه اليه[٨١]، وقد ذكر لنا الذهبي عما سئل عنه في قوله تعالى ((**لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا**))[٨٢] ، فقال في تفسير الآية لو اطلعت على الكل لوليت منهم فرارا الينا ، وسئل عن قوله تعالى ((**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ**))[٨٣] ، فقال لمن كان الله تعالى قلبه ثم انشد :

ليس من اليك قلب معنى كل عضو من اليك قلوب[٨٤]

وقال في معنى قوله تعالى : ((**إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**))[٨٥] ، ويعني ان قلب ابراهيم عليه السلام كان سالما من خيانة العهد ومن السخط على المقدور[٨٦] ، اما بالنسبة الى استنباطه في معاني الاحاديث النبوي فقد سئل الشبلي عن معنى قول النبي (صلى الله عليه وسلم) ، ((ان النفس اذا احرزت قوتها اطمأنت فقال اذا عرفت من يقودها اطمأنت ثم قرا قوله تعالى ((**وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا**))[٨٧] ، وسئل عن حديث النبي (صلى الله عليه وسلم) ((اذا رأيتم اهل البلاء فسئلوا ربكم العافية)) فقال اهل البلاء هم اهل الغفلة على الله تعالى[٨٨] ، وقد كان للشبلي شطحات خاصه في تفسير آيات القران الكريم ربما في بعض الاحيان يعطي لنفسه مقاما يزيد من مقام النبوة ، فقد روي انه قال ان الله سبحانه وقال تعالى : ((**وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى**))[٨٩] ، والله لا يرضى لمحمد وفي النار من امته احد ، ثم قال ان محمدا يشفع في امته وانا اشفع بعده حتى لا يبقى فيها احد[٩٠] ، ولكن نجد ابن الجوزي يرد هذه الدعوى على لسان ابن عقيل قال : الدعوى على النبي كاذبه ، فان النبي يرضى بتعذيب الفجار وقد لعن في الخمر عشره فدعوة الله ان لا يعذب الفجار دعوه باطله واقدام على جهله بحكم الشرع[٩١] ، ولا نريد الخوض في جوانب وشواهد اخرى لكن نقول بان الشبلي كان ينظر الى التصوف نظرة احترام وتبجيل

، وروي عنه انه قال لا هل مجلسه يوما انتم عين القلادة ينصب لكم منابر من نور تغيظكم الملائكة فقال رجل عن أي شيء تغيظهم الملائكة قال يتحدثون بهذا العلم وكان يقول : ((ما ظنك بعلم علم العلماء فيه تهمه))[٩٢] ، وسئل الشبلي عن حقيقة التصوف فقال : ((التصوف عندي ترويح القلوب بمراوح الصفاء وتجليل الخواطر باردية الوفاه والتخلق بالسخاء والبشر في اللقاء))[٩٣] ، ويروي لنا الشبلي عن تصويره لدنيا قال : ان اردت بان تنظر الى الدنيا بمجملها ، فانظر الى مزبلة فهي الدنيا واذا اردت ان تنظر الى نفسك فخذ كفا من تراب فانك منها خلقت وفيها تعود ومنه تخرج تارة اخرى ومتى اردت ان تنظر الى ما انت ، فانظر الى ما يخرج منك في دخولك الخلاء فمن كان حاله كذلك فلا يجوز ان يتطاول او يتكبر على من هو مثله[٩٤] ، وسئل الشبلي عن زهد الدنيا فقال ان تزهد فيما لك عند الله وترغب فيما الله عندك[٩٥] ، وهنالك اقوال واشعار وكرامات كثيرة يمكن الرجوع اليها من خلال كتب ومصادر التاريخ لابي بكر الشبلي يطول فيها الحديث عنه لعدم الإطالة في البحث لكن اقول بان الشبلي يمثل احد اعلام الفكر والتصوف الاسلامي في مدرسة بغداد٠

الاستنتاجات :

بعد ان انتهيت من الدراسة لا بد من تسجيل ما توصلت اليه البحث من نتائج

١- يعد الشبلي من اعلام الفكر والتصوف الاسلامي في مدرسة العرق بشكل عام ومدرسة بغداد بشكل خاص ٠

٢- تمثل اراءه وافكاره وتأويلاته الروحية جانبا مهما لدى كبار علماء المتصوفة ، وخاصه بتبني افكار شيخه الجنيد البغدادي ٠

٣- من خلال البحث ودراسة لكتب ومصادر التاريخ والفكر والتصوف تبين بان الشبلي يمثل لدى اغلب العلماء المتصوفة بانه تاج الصوفية ٠

٤- تبين من خلا ل الدراسة والبحث بان لدى الشبلي شطحات ذكرت بعضها خاصه بتفسيره لآيات القران الكريم والاحاديث النبوية ٠

٥- يعد الشبلي الزهد ومن ثم التوحيد لله الخالق من السمات التي يتحلى بها الصوفي او المتصوف وهذه من صفات التصوف والمتصوفة زهاد وعباد ٠

الهوامش:

١- الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد١/ ٤ ؛ الذهبي ، سير اعلام النبلاء، ١٨ / ٢٧٠ ؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ٧ / ١٩١ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ١١/ ١٠١- ١٠٣

٢- تاريخ بغداد ، ٥/١ ؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ٧/٢ ؛ الذهبي ، سير اعلام النبلاء ١٨/ ٢٧٠

٣- المصدر نفسه ، ٤/١ ؛ الذهبي ، سير اعلام النبلاء، ١٨ / ٢٧٠

٤- درزيجان : وهي قريه كبيرة تقع في جنوب غرب بغداد على دجله ، واصل الكلمة درزيندان فعربت الى درزيجان ٠ ياقوت الحموي، معجم البلدان ، ٢/ ٤٥٠

٥- السمعاني ، الانساب ، ١٥/ ١٥١ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ٨/ ٢٦٥

٦- ابن الجوزي ، المنتظم ، ٨/ ٢٦٥ ؛ الذهبي ، سير اعلام النبلاء، ١٨ /٢٦٥

٧- الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد١/ ٣٨ ؛ الذهبي ، سير اعلام النبلاء ١٣/ ٤١٩

٨- السمعاني ، الانساب ، ١٦٦/٥ ؛ الذهبي ، تذكرة الحفاظ ٢/ ١١٣٥

٩- الخطيب البغدادي ، الفصل للوصل المدرج في النقل ٣٨/١

١٠- الذهبي ، سير اعلام النبلاء، ١٢/١

١١- السمعاني ، الانساب ٢٣١/١ ؛ الذهبي ، سير اعلام النبلاء، ٢٣/١

١٢- الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد٥/١ ؛ ياقوت الحموي ، معجم الادباء ٢٤٦/١

١٣- الذهبي ، سير اعلام النبلاء، ٤٢٦/١٣

١٤- تاريخ بغداد ، ٣٩/١

١٥- الخطيب البغدادي ، الفصل للوصل المدرج في النقل ٣٩/١

١٦- المصدر نفسه ١/ ٤٠

١٧- تاريخ بغداد ١٣/١

١٨- المصدر نفسه ١٤/١

١٩- الذهبي ، سير اعلام النبلاء، ٢٢/١

٢٠- المصدر نفسه ٢٢/١

٢١- الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ؛ الذهبي ، سير اعلام النبلاء، ٢٢/١

٢٢- الذهبي ، سير اعلام النبلاء، ٢٢/١

٢٣- المصدر نفسه ٢٣/١

٢٤- الخطيب البغدادي ، الفصل للوصل المدرج في النقل ٣٩/١

٢٥- الذهبي ، سير اعلام النبلاء، ٢٢/١

٢٦- المصدر نفسه ، ٢٣/١

٢٧- المصدر نفسه ١٣/ ٤٢٦

٢٨- الجيلاني ، الفتح الرباني ، ص٢٠٧

٢٩- ابن خلدون ، المقدمة ، ٨/١

٣٠- قاسم ، فتاوي ابن تيميه ١٩٣/١١

٣١- عبد الحميد ، معجم اللغة العربية ١٣٣٦/٢

٣٢- المرجع نفسه ، ١٣٣٦/٢

٣٣- المرجع نفسه ١٣٣٧/٢

٣٤- ابراهيم مصطفى واخرون ، المعجم الوسيط ، ٥٣٩/١

٣٥- ابن خلدون ، المقدمة ٢٨٠/١

٣٦- القشيري ، الرسالة القشيرية ٤٤٢/٢

٣٧- الذهبي ، سير اعلام النبلاء، ٣٣٠/١٣

٣٨- القشيري ، الرسالة القشيرية ٤٤٢/٢

٣٩- المقدمة ٢٨٠/١

٤٠- ابن خلدون ، المقدمة ٢٨٢/١

٤١- المصدر نفسه ٢٨/٨

٤٢- السلمي ، طبقات الصوفية ، ص٢٥٨ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ٥٢/١٤

٤٣- المصدر نفسه ، ص٢٥٨

٤٤- الشبليه : وهي قريه من كور اسرو شنه بما وراء النهر من اعمال بخارى ٠ القزويني ، اثار البلاد ص٥٤٠

٤٥- ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٤/ ٥٢ ؛ الذهبي ، سير اعلام النبلاء، ٢٥/ ١٢٠

٤٦- الذهبي ، سير اعلام النبلاء، ٧/ ٦٨٧ ؛ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ٢١٥/١١

٤٧- الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ١٤/ ٣٩٦ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٤/ ٥٢

٤٨- الذهبي ، سير اعلام النبلاء، ٢٥ /٧٠

٤٩- السلمي ، طبقات الصوفية ، ص٢٥٨

٥٠- الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ٧/ ٦٨٧

٥١- الذهبي ، سير اعلام النبلاء، ٢٥ /٧٠

٥٢-اليافعي ، مرأة الجنان ، ٢/ ٢٣٩

٥٣- الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ١٦/ ٥٦٣ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ٧٠/٢٥ ؛ الذهبي ، سير اعلام النبلاء، ٢٥ /٧٠

٥٤- محمود ، تاج الصوفية ابو بكر الشبلي ، ص٧٠

٥٥- محمد جلال ، اعلام التصوف في الاسلام ، ص١٨٧-١٨٨

٥٦- الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ١٦/ ٥٦٣

٥٧- محمد جلال ، اعلام التصوف في الاسلام ، ص١٨٩

٥٨- سورة العنكبوت ،الآية ٦٩

٥٩- ابن خلكان ، وفيات الاعيان ٢/ ٢٧٣؛ الذهبي ، سير اعلام النبلاء، ٢٥ /٧٠

٦٠- الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ١٦/ ٥٦٤

٦١- المصدر نفسه ، ١٦/ ٥٦٤

٦٢- المصدر نفسه ، ١٦/ ٥٦٤

٦٣- المصدر نفسه ، ١٦/ ٥٦٥

٦٤- المصدر نفسه ، ١٦/ ٥٦٥

٦٥- المصدر نفسه ، ١٦/ ٥٦٦

٦٦- المصدر نفسه ، ١٦/ ٥٦٦

٦٧- المصدر نفسه ، ١٦/ ٥٦٦

٦٨- سورة التوبة ، الآية ١٢٨

٦٩- الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ١٦/ ٥٦٧

٧٠- المصدر نفسه ، ١٦/

٧١- المصدر نفسه ، ١٦/ ٥٦٧

٧٢- المصدر نفسه ، ٥٦٨/١٦

٧٣- المصدر نفسه ، ٥٦٩/١٦ ؛ الذهبي ، سير اعلام النبلاء، ٢٥ / ١٧

٧٤- الذهبي ، سير اعلام النبلاء، ٢٥ / ١٧

٧٥- الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ٥٦٩/١٦

٧٦- المصدر نفسه ٥٦٦/١٦ ؛ السلمي ، طبقات الصوفية ، ص٢٦٥

٧٧- المصدر نفسه ٥٦٧/١٦ ؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ٥٤/٦٦

٧٨- محمد جلال ، اعلام التصوف في الاسلام ، ص١٩٦

٧٩- المرجع نفسه ، ص١٩٧

٨٠- الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ٥٦٤/١٦

٨١- محمد جلال ، اعلام التصوف في الاسلام ، ص١٩٨

٨٢-سورة الكهف ، الآية ١٨

٨٣- سورة ق الآية ٣٧

٨٤- الشعراني ، الطبقات ، ١/ ٩٠

٨٥- سورة الشعراء ، الآية ٨٩

٨٦- الشعراني ، الطبقات ، ٩٠/١ ؛ محمد جلال ، اعلام التصوف في الاسلام ، ص ١٩٩

٨٧- سورة النساء الآية ٨٥

٨٨- الشعراني الطبقات ، ٩٠/١ ؛ محمد جلال ، اعلام التصوف في الاسلام ، ص٢٠٠

٨٩- سورة الضحى ، الآية ٥

٩٠- الشعراني ، الطبقات ، ٢٠٠/١

٩١- تلبيس ابليس ٢/ ٣٧٢- ٣٧٣

٩٢- محمد جلال ، اعلام التصوف في الاسلام ، ص٢٠٢

٩٣- الخطيب البغدادي ، المنتخب من كتاب الزهد والرقائق ٦٦/١٩

٩٤- المصدر نفسه ٦٢/١٣

٩٥- المصدر نفسه ١٣/ ٦٢

قائمة المصادر والمراجع :

- القران الكريم

١- ابن الجوزي ، ابو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ)
تلبيس ابليس ، ط ١ ، (القاهرة – ١٣٤٠ هـ)

٢- **المنتظم في تاريخ الامم والملوك** ، تحقيق : محمد عبد القادر ، ومصطفى عبد القادر ، الناشر : دار الكتب العلمية ، (بيروت -١٩٩٢)

٣- الجيلاني ، عبد القادر ، **الفتح الرباني** ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي ، (مصر – ١٩٧٩)

٤- الحموي ، شهاب الدين ابو عبدالله (ت ٦٢٦هـ)

معجم البلدان ، ط٢ ، الناشر : دار صادر ، (بيروت – ١٩٩٥)

٥- الخطيب البغدادي ، ابو بكر احمد بن ثابت (ت٤٦٣هـ)

تاريخ بغداد ، تحقيق: بشار عواد معروف ، الناشر : دار الغرب الاسلامي ، (بيروت – ٢٠٠٢)

٦- **الفصل للوصل المدرج في النقل** ، تحقيق: محمد بن مطران ، الناشر : دار الهجرة ، (د٠ م – ١٩٩٧)

٧- **المنتخب من كتاب الزهد والرقائق** ، تحقيق: عامر حسن صبري ، الناشر : دار البشائر الاسلامية ، (بيروت – ٢٠٠٠)

٨- ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (ت٨٠٨هـ)

المقدمة ، تحقيق: محمد بن تاويت ، الناشر : دار الكتب العلمية ، (بيروت – ٢٠٠٤)

٩- ابن خلكان ، ابو العباس شمس الدين بن احمد (ت ٦٨١هـ)

وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، تحقيق : احسان عباس ، الناشر : دار صادر ، (بيروت – ١٩٠٠)

١٠- الذهبي ، ابو عبدالله محمد بن شمس الدين (ت٧٤٨ هـ)

سير اعلام النبلاء ، الناشر: دار الحديث ، (القاهرة – ٢٠٠٦)

١١- **تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام** ، تحقيق: بشار عواد معروف ، الناشر : دار الغرب الاسلامي ، ط١، (د٠م – ٢٠٠٣)

١٢- **تذكرة الحفاظ** ، الناشر :ة دار الكتب العلمية ، ط١، (بيروت – ١٩٩٨)

١٣- السلمي ، محمد بن الحسين بن محمد (ت ٤١٢هـ)

طبقات الصوفية ، تحقيق: مصطفى عبد القادر ، الناشر : دار الكتب العلمية (بيروت –١٩٩٨)

١٤- السمعاني ، عبد الكريم بن محمد بن منصور (ت ٥٦٢هـ)

الانساب ، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى ، الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية ، (حيدر اباد – ١٩٦٢)

١٥- شرف ، محمد جلال ، **اعلام التصوف في الاسلام** ، الناشر : دار الجامعة العربية ، (القاهرة – ١٩٧٦)

١٦- الشعراني ، عبد الوهاب بن احمد ، **الطبقات الكبرى** ، ط١، (القاهرة – دت)

١٧- الصفدي ، صلاح الدين خليل بن آيبك (ت٧٦٤هـ)

الوافي بالوفيات ، تحقيق: احمد الأرناؤوط ، تركي مصطفى ، الناشر : دار احياء التراث العربي ، (بيروت- ٢٠٠٠)

١٨- عبد الحميد ، احمد مختار ، **معجم اللغة العربية** ، الناشر : عالم الكتب ، (د٠م – ٢٠٠٨)

١٩- ابن عساكر ، ابو القاسم علي بن الحسن (ت ٥٧١هـ)

تاريخ دمشق ، تحقيق: عمرو بن غرامه العمري ، الناشر : دار الفكر للطباعة ، (د٠م – ١٩٩٥)

٢٠- قاسم ، عبد الرحمن ، **فتاوي ابن تيميه** ، طبعة الرئاسة العامة للحرمين (د٠م – د٠ت)

٢١- القزويني ، زكريا بن محمد بن محمود (ت٦٨٢هـ)

اثار العباد واخبار العباد ، الناشر : دار صادر ، (بيروت – د٠ت)

٢٢- ابن كثير ، ابو الفداء اسماعيل بن عمرو (ت٧٧٤هـ)

البداية والنهاية ، دار الفكر ، (د٠م – ١٩٨٦)

٢٣- القشيري ، عبد الكريم بن هوازن (ت٤٦٥هـ)

الرسالة القشيرية ، تحقيق : عبد الحليم محمود ، الناشر :دار المعارف ، (القاهرة – د٠ت

٢٤- محمود ، عبد الحليم ، **تاج الصوفية ابو بكر** ، ط٢، (مصر- د ت)

٢٥- اليافعي ابو محمد عفيف الدين (ت ٧٦٨هـ)

مراه الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، الناشر : دار الكتب العلمية ، ط١، (بيروت- ١٩٩٧)

حادثة الغدير وبعض أخبار الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في كتاب فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ت ٢٤١هـ ومقارنتها مع مصادر جمهور المسلمين

م.د.محمد سعدون عبيد العكَيلي

الكلية التربوية المفتوحة / بغداد/ قسم التاريخ

Caas7942@gmail.com

حادثة الغدير وبعض أخبار الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في كتاب فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ت ٢٤١هـ ومقارنتها مع مصادر جمهور المسلمين

م.د.محمد سعدون عبيد العكَيلي

الملخص :

حديث الغدير يعتبر من ضمن الحجج التي ناشد بها الإمام علي عليه السلام بعض أصحابه ومن هم حضروا الحادثة بحجة الوداع سنة ١١هـ مع النبي صلى الله عليه وآله وجاء أحمد بن حنبل حيث ذكر روايات حادثة الغدير والكثير من أخبار وفضائل الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وتم لنا مقارنتها مع من ذكر تلك الروايات من مصادر جمهور المسلمين ، فمنهم من أتفق ومنهم من أختلف معه في ذكر نص ومضمون الروايات أو رجال سندها .

الكلمات المفتاحية : " النبي ، الإمام ، علي ، مناشدة ، عمر ، الغدير "

The hadeeth of al-Ghadeer is among the arguments that Imam Ali, peace be upon him, appealed to some of his companions and those who attended the incident under the pretext of farewell in the year 11 AH with the Prophet, may God bless him and his family. We have a comparison with those who mentioned these narrations from the sources of the Muslim public, some of them agreed and some of them disagreed with him regarding the text and content of the narrations or the men of their narrators.

Keywords: " The Prophet, Imam, Ali, Appeal, Omar, Al Ghadeerract "

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين حبيب إله العالمين وآل بيته الطيبين الطاهرين وأصحابه الغر المنتجبين .

مما لاشك فيه أن دين الإسلام هو خاتم للأديان السماوية والنبي محمد صلى الله عليه وآله هو خاتم النبيين والمرسلين ، وهو الدين الذي وصفه تعالى في كتابه الكريم : " **إن الدين عند الله الإسلام** "[1] وهل يعقل بأن مثل هكذا رسالة عظيمة لم يتم انزالها وإكمالها بشكل كامل من ناحية التشريعات ومن ناحية الإمتداد والأبعاد المستقبلية فضلاً عن الديمومة والإستمرارية بعد النبي محمد صلى الله عليه وآله وهو إنسان ونهاية كل إنسان الموت المقرر من الله ؟ ومن أهم المصاديق التي جاء بها الرسول الكريم صلى الله عليه وآله إنه لا يتكلم عن الهوى بل هناك وحي يوحى إليه ، يهتم بحثنا اليوم بذكر الروايات التي وردت لتؤرخ وتدون لنا تلك الحادثة والتي رواها أحمد بن حنبل توفي ٢٤١ هجري وهو الذي أنحدر من

بعده أجيال من طلابه ممن قالو بخلاف موضوع الغدير وتنصيبه خليفة وولي على جميع المسلمين ، فضلاً عن ايراد بعض أخبار الإمام علي عليه السلام ، تم للباحث مقارنة تلك الروايات التي جاء ذكرها بكتاب فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل مع العديد من المصادر المعتبرة لدى أهل السنة فوجد ما يتفق وما يختلف معه ، اقتضت طبيعة البحث تقسيمه الى محورين أولاً وضم مواضيع حادثة الغدير وما فيها من تفاصيل مثل مناشدة الإمام علي عليه السلام بعض الصحابة بإدراكهم الحادثة وتهنئة الخليفة الثاني عمر بن الخطاب للإمام علي بعد تنصيبه مولى لكل مؤمن ومؤمنه وتكرار قول النبي صلى الله عليه وآله لمقولته " من كنت مولاه فعلي مولاه " وأيضاً حديث الغدير والزيادات التي وردت عليه، أما المحور ثانياً جاء ببعض أخبار الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام حيث توثيق النبي صلى الله عليه وآله للإمام علي عليه السلام وعلاقة النبي بأهل بيته الكرام عليهم أفضل السلام وأيضاً مرويات الإمام علي عن النبي ما أخذ منه من تعاليم دينية عبادية كذلك زهد وعدل الإمام علي عليه السلام ، ثم الخاتمة وفيها ما توصل إليه الباحث من نتائج لبحثه قد وقف عليها خلال البحث والمقارنة والتحليل وقائمة للمصادر المستخدمة في البحث وثم الهوامش وقائمة للمحتويات .

أولاً : " روايات الغدير وماجاء فيها "

١ـ مناشدة الإمام علي " عليه السلام " بعض الصحابة :

روى أحمد بن حنبل[٢] وقال : " ... عن رياح بن الحارث ، قال : جاء رهط إلى علي بالرَحْبة[٣] فقالوا: السلام عليك يامولانا ، فقال : كيف أكون مولاكم وأنتم قوم عُرب ؟ قالوا سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم غدير خم[٤] : " من كنت مولاه فهذا مولاه " قال رياح : فلما مضوا اتبعتهم فسألت من هؤلاء ؟ قالوا : نفر من الأنصار فيهم أبو أيوب الأنصاري[٥] " .

ويتفق معه النسائي[٦] بنفس مضمون الرواية ولكن الإختلاف ورد بينهما أنه جمع علي الناس في الرحبة حيث يقول : " ... عن عامر بن وائلة قال : جمع علي الناس في الرحبة فقال لهم : أنشد بالله كل امرئ مسلم سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يوم غدير خم : ألستم تعلمون أني أولى المؤمنين من أنفسهم وهو قائم ثم أخذ بيد علي فقال : من كنت مولاة فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه . قال أبو الطفيل : فخرجت وفي نفسي منه شئ فلقيت زيد بن أرقم وأخبرنا فقال : تشك أنا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم واللفظ لأبي داود " .

روى ابن حنبل[٧] وقال : " ... عن زاذان أبي عمر قال : سمعت علياَ وهو في الرَحْبة وهو ينشد الناس : من سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم غدير خُمَ وهو يقول ماقال ، فقام ثلاثة عشر رجلاً فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول : من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم والِ من والاه وعادي من عاداه " .

ويتفق معه ابن أبي عاصم[٨] وقد روى الرواية نفسها فقال : " ... حدثنا زاذان قال : شهدت عليا بالرحبة فقال : أنشد الله امرءا سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم غدير خم لما قام ، فقام ثلاثة عشر رجلا فشهدوا أنهم سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم غدير خم فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه . ويختلف معه الهيثمي[٩] ، فيذكر أكثر مما ذكره ابن حنبل حيث روى وقال : " ... عن عمرو بن ذي مر وسعيد بن وهب وعن زيد بن بثيع قالوا سمعنا عليا يقول نشدت الله رجلا سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم غدير خم لما قام فقام ثلاثة عشر رجلا فشهدوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم قالوا بلى يا رسول الله قال فأخذ بيد على فقال من كنت مولاه فهذا مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وأحب من أحبه وأبغض من يبغضه وانصر من نصره واخذل من خذله " .

نلاحظ هنا ذكر لحب الإمام علي عليه السلام وما له من دعاء النبي صلى الله عليه وآله فضلاً عن ذكر من بغض الإمام علي عليه السلام جميع ذلك يوضح لنا مدى قرب الإمام علي من النبي قرب ليس بالدم فقط بل بالنسب ولكن قرباً روحياً معنوياً ، أيضا نستشف وجود مبغضين له كما له محبين يبدو أن الرسول صلى اله عليه وآله كان مدركاً جيد بما يحيط بخليفته ووصيه وابن عمه من مجتمع منشطر الى محب ومبغض . وهنا سؤال لماذا هذا الإنقسام بحب وبغض علي بن أبي طالب ؟ .

ونرى أن ابن حنبل[١٠] قد روى رواية بنفس الموضوع ولكن هناك اختلاف بمضمونها وهو عدد الرجال الذين أنشدهم الإمام علي عليه السلام وهم ثلاثون رجلاً عكس العدد الذي ذكره في الرواية السابقة حيث كان ثلاثة عشر رجل أيضا نجد إشارة الرسول صلى الله عليه وآله إلى الإمام علي عليه السلام بلفظ اسم الإشارة هذا ، فقال : " ... عن أبي الطفيل ، قال : جمع علي الناس في الرحبة ، ثم قال : أنشد بالله كل امرئ مُسلم سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم غَدِيْر خُمَ ماسمع ، لما قام فقام ثلاثون من الناس ، قال أبو نعيم : فقام أناس كثير ، فشهدوا حين قال للناس : أتعلمون إني أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ قالوا : نعم يارسول الله ، قال : من كنت مولاه فهذا مولاه ، اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه". ويتفق معه ابن عساكر[١١] وروى وقال : " عن أبي الطفيل قال جمع علي الناس في الرحبة ثم قال لهم أنشد الله كل امرئ مسلم سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم غدير خم ما سمع لما قام فقام ثلاثون من الناس وقال أبو نعيم فقام أناس كثير فشهدوا حين أخذ بيده فقال للناس أتعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم قالوا نعم يا رسول الله قال من كنت مولاه فهذا مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه قال فخرجت كأن في نفسي شيئا فلقيت زيد بن أرقم فقلت له إني سمعت عليا يقول كذا وكذا قال فما تنكر قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك له " .

روى ابن حنبل[١٢] وقال : " ... أتيت زيد بن الأرقم فقلت له : إن ختناً لي حدثني عنك بحديث في شأن علي يوم غدير خم فأنا أحب أن أسمعه منك ، فقال : إنكم معشر أهلِ العراق فيكم مافيكم فقلت له : ليس عليك مني بأس ، قال : نعم ، كنا بالجُحْفة[١٣] فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلينا ظهراً وهو واخذ بعضد علي فقال : أيها الناس ألستم تعلمون إني أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ قالوا : بلى ، قال : فمن كنت مولاه فعلي مولاه ، قال فقلت له : هل قال اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه ؟ قال : إنما أخبرك كما سمعت " . ويتفق معه بن عساكر[١٤] فقال : " ... عن عطية العوفي قال أتيت زيد بن أرقم فقلت له إن ختنا لي يحدثني عنك بحديث في شأن علي عليه السلام يوم غدير خم فأنا أحب أن أسمعه منك فقال إنكم معشر أهل العراق فيكم ما فيكم فقلت له ليس عليك مني بأس قال نعم كنا بالجحفة فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلينا ظهرا وهو اخذ بعضد علي فقال أيها الناس ألستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم قالوا بلى قال فمن كنت مولاه فعلي مولاه قال فقلت له هل قال اللهم وال من والاه وعاد من عاداه قال إنما أخبرك كما سمعت ".

نلاحظ هنا السؤال عن شئ مهم وهو دعاء الرسول صلى الله عليه وآله لمن يوالي عليا وبنفس الوقت يدعو على من يعاديه وهذا ما يثبت لنا مكانته لدى الرسول الأمين فضلاً عن فضل دعائه المستجاب .

٢_ تهنئة الخليفة الثاني عمر بن الخطاب للإمام علي عليه السلام :

روى أحمد بن حنبل[١٥] وقال : " ... عن البراء بن عازب ، قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فنزلنا بغدير خُمَ فنودي فينا : الصلاة جامعة ، وكسح لرسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرتين فصلى الظهر وأخذ بيد علي فقال : ألستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ قالوا : قال : فأخذ بيد علي ، فقال : اللهم من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه ، قال : فلقيه عُمر بعد ذلك ، فقال : هنيئاً لك يابن أبي طالب أصبحت وأمسيتَ مولى كل مؤمن ومؤمنه " . ويتفق معه ابن أبي شية الكوفي[١٦] ويعتبر شيخ مشايخ أهل السنة قال : " حدثنا عفان قال حدثنا حماد بن سلمة قال: أخبرنا علي بن زيد عن عدي بن ثابت عن البراء ، قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر، قال: فنزلنا بغدير خم قال : فنودي : الصلاة جامعة ، وكسح لرسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة فصلى الظهر فأخذ بيد علي فقال: " ألستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم قالوا : بلى ، قال : ألستم تعلمون أني أولى بكل مؤمن من نفسه، قالوا: بلى قال: فأخذ بيد علي فقال : الله من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه " ، قال : فلقيه عمر بعد ذلك فقال : هنيئا لك يابن أبي طالب : أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة " . ويختلف معه ابن عساكر[١٧] حيث يروي زيادة على مضمون نص الرواية وهي زوجات النبي امهات المؤمنين حيث قال : " ... عن البراء بن عازب قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع فكسح لرسول الله صلى الله عليه

وسلم تحت شجرتين ونودي في الناس إن الصلاة جامعة فدعا عليا وأخذ بيده فأقامه عن يمينه فقال ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم قالوا بلى قال ألست أولى بكل مؤمن من نفسه قالوا بلى وفي أحد الحديثين أليس أزواجي أمهاتكم قالوا بلى قال

هذا ولي وأنا مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه فقال له عمر هنيئا لك يا علي أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن " .

أمر الرسول بنصب عريش أو خيمة لعلي عليه السلام وأمر الصحابة بالدخول عليه وتهنئته وقال له عمر مهنئاً " بخ بخ "[١٨] ياابن أبي طالب[١٩] أصبحت مولاي ومولى كل مسلم .

٣_ تكرار النبي صلى الله عليه وآله لمقولة من كنت مولاه فعلي مولاه :

روى أحمد بن حنبل[٢٠] وقال : " ... عن أبي ليلى الكندي ، أنه حدثه قال : سمعت زيد بن أرقم يقول ونحن ننتظر جنازة فسأله رجل من القوم فقال : أبا عامر أسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم غدير خُم لعلي : من كنت مولاه فعلي مولاه؟ قال : نعم ، قال أبو ليلى ، فقلت لزيد بن أرقم : قالها رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم قد قالها له أربع مرات ؟ فقال : نعم " . من المؤكد تكرار القول يفيد للتأكيد سيما إذا تكرر قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لمقولة " من كنت مولاه فعلي مولاه " ، لم يجد الباحث من يختلف أو يتفق مع ابن حنبل في ايراد هذه الرواية فقط تم ايرادها متفرداً بها.

٤_ حديث الغدير والزيادة عليه :

روى ابن حنبل[٢١] وقال : " ... حدثني نعيم بن حكيم قال : حدثني أبو مريم ورجل من جلساء علي ، عن علي ، إن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم غدير خم : من كنت مولاه فعلي مولاه قال : فزاد الناس بعد اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه " .

ويتفق معه ابن كثير[٢٢] وقال : " وقال أحمد : حدثنا حجاج بن الشاعر حدثنا شبابة حدثنا نعيم بن حكيم حدثني أبو مريم ورجل من جلساء علي عن علي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم غدير خم : " من كنت مولاه فعلي مولاه " قال يوم غدير خم : " من كنت مولاه فعلي مولاه " قال فزاد الناس بعد " اللهم وال من والاه وعاد من عاداه " . وقد روي هذا من طرق متعددة عن علي رضي الله عنه ، وله طرق متعددة عن زيد بن أرقم".

وأيضاً يتفق ابن كثير[٢٣] مرة أخرى ا مع ابن حنبل ويكون قد ضاف في سنده عبد الله بن أحمد فقال : " وقال عبد الله بن أحمد : حدثني حجاج بن الشاعر، حدثنا شبابة ، حدثنا نعيم بن حكيم حدثني أبو مريم ورجل من جلساء على عن علي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم غدير خم : " من كنت مولاه فعلى مولاه " . قال : فزاد الناس بعد : " وال من والاه ، وعاد من عاداه " .

ثانياً : " بعض أخبار الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام " :

١ـ توثيق النبي محمد " صلى الله عليه وآله " للإمام علي " عليه السلام " :

روى أحمد بن حنبل[٢٤] وقال : " ...عن سلمان قال : سمعت حبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " كنا أنا وعلي نوراً بين يدي الله عز وجل قبل أن يُخلق آدم بأربعة عشر ألف عام ، فلما خلق الله آدم قسم ذلك النور جزءين فجزء أنا وجزء علي عليه السلام " .

ويتفق معه ابن أبي الحديد[٢٥] فقال : " ... كنت أنا وعلي نورا بين يدي الله عز وجل قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام ، فلما خلق آدم قسم ذلك فيه وجعله جزأين ، فجزء أنا وجزء على " .

وأيضاً يتفق معه الحنفي[٢٦] ويروي الرواية بشكل مطول فقال : " وروى ابن عباس رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : كنت انا وعلي نورا بين يدي الله من قبل ان يخلق آدم بأربعة عشر الف عام فلما خلق الله آدم سلك ذلك النور في صلبه ولم يزل الله ينقله من صلب إلى صلب حتى أقره في صلب عبد المطلب ثم أخرجه من عبد المطلب فقسمه قسمين قسما في صلب عبد الله وقسما في صلب أبي طالب فعلي مني وانا منه لحمه لحمي ودمه دمي فمن أحبه بحق أحبه ومن أبغضه فيبغضني أبغضه ... " .

يتضح لنا ومن خلال ماسبق من الروايات مدى العلاقة والقرابة بين الرسول صلى الله عليه وآله والإمام علي عليه السلام هذا من جانب ومن آخر نجد هذا التوثيق بحق الإمام علي عليه السلام هو من أصدق ما صرح به لأنه نابع من شخص الرسول الذي لاينطق عن الهوى بل هو وحي يوحى ، فضلاً عن ذلك نجد أتفاق المصادر السنية المذكورة على رواية هذه الرواية وهذا ما يجعل حجة الإمام علي عليه السلام وجميع مشايعيه ومحبيه قوية ودامغة تجاه من أجحف حقه بالسبق والقرابة والإختيار والتفضيل من الله سبحانه وتعالى .

٢ـ علاقة النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته الكرام عليهم السلام :

روى أحمد بن حنبل[٢٧] وقال : " ...عن شداد أبي عمار ، قال : دخلت على واثلة بن الأسقع وعنده قوم فذكروا علياً فشتموه فشتمته معهم ، فلما قالوا قال لي : لم شتمت هذا الرجل ؟ قلتُ : رأيت القوم شتموه فشتمته معهم فقال : ألا أخبرك بما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قلتُ: بلى ، فقال : أتيت فاطمة أسألها عن علي فقالت : توجه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلست أنتظره حتى جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه علي وحسن وحسين آخذاً كل واحد منهما على فخذه ، ثم لف عليهم ثوبه أو كساء ، ثم تلا هذه الآية : " **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا** "[٢٨] ، ثم قال : " اللهم هؤلاء أهل بيتي وأهل بيتي أحق " .

ويتفق معه ابن أبي شيبة الكوفي[٢٩] فقال : " حدثنا محمد بن مصعب عن الأوزاعي عن شداد أبي عمار قال : دخلت على واثلة وعنده قوم فذكروا فشتموه فشتمته معهم ، فقال : ألا أخبرك بما سمعت من

رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت : بلى ، قال : أتيت فاطمة أسألها عن علي فقالت : توجه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس ، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه علي وحسن وحسين كل واحد منهما آخذ بيده ، فأدنى عليا وفاطمة فأجلسهما بين يديه ، وأجلس حسنا وحسينا كل واحد منهما على فخذه ، ثم لف عليهم ثوبه أو قال : كساءه ثم تلا هذه الآية : " إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت " ثم قال : " اللهم هؤلاء أهل بيتي ، وأهل بيتي أحق " .

ويختلف معه ابو يعلى[٣٠] فقال : " عن واثلة بن الأسقع قال اقعد النبي صلى الله عليه وسلم عليا عن يمينه وفاطمة عن يساره وحسنا وحسينا بين يديه وغطى عليهم بثوب وقال اللهم هؤلاء أهل بيتي وأهل بيتي أتوا إليك لا إلا النار " .

يبدو لنا من هذا الإختلاف بذكر الرواية إن مضمونها واحد هو جمع النبي صلى الله عليه وآله أهل بيته عليهم السلام ووصف بـ أهل بيتي وهم فاطمة وعلي وحسن وحسين عليهم السلام وضمهم إليه وغطاهم برداء أو كساء ودعا لهم ووصف بالحق وذكر آية التطهير هذا من أكثر من طريق ومن مصادر جمهور المسلمين مايجعل مصداق حجتهم وحجة من أتبعهم بإحسان قوية ودامغة ، فلا سبيل للتشكيك بقربهم للنبي ولا سبيل للتشكيك بحبه لهم فهم أهل بيته وأودائه سلام الله عليهم أجمعين .

٣_ مرويات الإمام علي عليه السلام عن النبي محمد صلى الله عليه وآله :

روى أحمد بن حنبل[٣١] وقال : " ... عن عبد الله بن جعفر ، عن علي ابن أبي طالب ، أنه قال : لقاني رسول الله صلى الله عليه وسلم هؤلاء الكلمات وأمرني إن نزل بي كَرب أو شدة أن أقولها ، لا إله إلا الله الكريم الحليم سبحانه تبارك الله رب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين " وكان عبد الله بن جعفر[٣٢] يلقنها الميت وينفث بها على الموعوك ويعلمها المغتربة من بناته .

ويتفق معه النسائي[٣٣] وقال : " ... عن علي أنه قال لقاني رسول الله صلى الله عليه وسلم هؤلاء الكلمات وأمرني إن نزل بي كرب أو شدة أن أقولها لا إله إلا الله الكريم الحليم سبحانه تبارك الله رب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين فكان عبد الله بن جعفر يلقنها الميت وينفث بها على الموعوك ويعلمها المغتربة من بناته " . ويتفق معه النووي[٣٤] وقال : " ... عن علي رضي الله عنهم قال : لقنني رسول الله صلى الله عليه وسلم هؤلاء الكلمات ، وأمرني إن نزل بي كرب أو شدة أن أقولها: " لا إله إلا الله الكريم العظيم ، سبحانه ، تبارك الله رب العرش العظيم ، الحمد لله رب العالمين " . وكان عبد الله بن جعفر يلقنها وينفث بها على الموعوك ، ويعلمها المغتربة من بناته . قلت : الموعوك : المحموم ، وقيل : هو الذي أصابه مغث الحمى . والمغتربة من النساء : التي تزوج إلى غير أقاربها " .

٤ـ زهد وعدل الإمام علي عليه السلام :

روى أحمد بن حنبل[٣٥] وقال : " ... حدثني مُجمَع وهو التيمي ، أن علياً كان يأمر ببيت المال فيكنس ثم ينضح ثم يصلي رجاء أن يشهد له يوم القيامة أنه لم يحبس فيه المال عن المسلمين .

ويتفق معه ابن عساكر[٣٦] وقال : " ... حدثني مجمع ان عليا كان يكنس بيت المال ثم يصلي فيه رجاء أن يشهد له أنه لم يحبس فيه المال عن المسلمين " . وأيضاً يتفق الذهبي[٣٧] معهم ويزيد في ذيل الرواية فقال : " ... وقال أبو حيان التيمي : حدثني مجمع ، ان علياً كان يكنس بيت المال ثم يصلي فيه ، رجاء أن يشهد له أنه لم يحبس فيه المال عن المسلمين . وقال أبو عمرو بن العلاء ، عن أبيه قال : خطب علي فقال : أيها الناس ، والله الذي لا إله إلا هو ، ما رزأت من مالكم قليلاً ولا كثير، إلا هذه القارورة ، واخرج قارورة فيها طيب، ثم قال : أهداها إلي دهقان " . يبدو لنا ومن خلال ماورد في الروايات اعلاه مدى زهد وعدالة الإمام علي عليه السلام ومدى مخافته من الله بأصغر الأمور وأبسطها من بقاء أموال في بيت مال المسلمين وعدم توزيعها ، أيضا من ما ذكر بأنه يكنس أرض أو مكان الأموال وينضحه بالماء ويصلي فيه مايدل على تصفير الأرض وفراغها من أي شي مادي أو عيني ، وهنا السؤال أي دولة كانت في عهد أمير المؤمنين ؟ ! من المؤكد أنها دولة عدل وإحقاق الحقوق والإهتمام بالرعية.

الخاتمة :

١ـ ظهر لنا ومن خلال تتبع روايات الغدير في كتاب فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل أنه ذكر الحادثة ومن عدة طرق وبمضامين متعدده .

٢ـ وجدنا العديد من المصادر السنية التي اتفقت مع ابن حنبل على ايراد روايات الغدير ومنها من اختلف معه ولكن بشكل ليس بالعميق فأما بالسند أو بمضمون الرواية ولكن الصفة العامة هي الإتفاق .

٣ـ ثبت لدينا ومن خلال ماذكر بالمصادر التي يعد أغلب أصحابها من المخالفين لولاية الإمام علي عليه السلام وجود حادثة يوم الغدير ولكن السؤال هنا لماذا لم يتم الإقرار والأعتراف بها منهم ؟!

٤ـ الأغلب الأعم من مصادر جمهور المسلمين قد اتفقت مع ابن حنبل على ذكر أخبار الإمام علي عليه السلام ونجد منهم من يعتبر شيخ مشايخ أهل الكتاب والسنة ومثال على ذلك الحافظ ابن أبي شيبة الكوفي توفي ٢٣٥ هـ .

٤ـ يتضح لنا أن شخصية الإمام علي عليه السلام شخصية لايدخل الشك والريب بنزاهته وصدقه وسبقه والتزامه بتعاليم الله ورسوله صلى الله عليه وآله .

٥_ يبدو لنا مماسبق من روايات قارناها مع بعض أن الإمام علي عليه السلام هو الشخصية الثانية بعد شخصية رسول الله صلى الله عليه وآله وذلك لسبقه و شجاعته وزهده وعدله وتواضعه في المجتمع الذي كان لايخلو من اعداء يتربصون به ويشككون بعمله .

قائمة المصادر :

القرآن الكريم

١_ ابن حبان ، أبي حاتم محمد بن أحمد التيمي البستي (ت ٣٥٤هـ)
مشاهير علماء الامصار ، تحقيق : مرزوق علي ابراهيم ، ط١ ، دار الوفاء ، (مصر _ ١٤١١هـ) .

٢_ ابن حنبل ، أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن ادريس الشيباني (ت ٢٤١هـ)
فضائل الصحابة ، تحقيق : وصي الله بن محمد عباس ، ط٢ ، دار ابن الجوزي ، (المملكة العربية السعودية _ ١٤٢٠هـ ، ١٩٩٩م) .

٣_ ابن أبي الحديد ، عز الدين عبد الحميد بن هبة الله المعتزلي (ت ٦٥٦هـ)
شرح نهج البلاغة ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، د_ ط ، مؤسسة إسماعيليان ، (د_ م ، د_ ت) .

٤_ الحموي ، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي (ت ٦٢٦هـ)
معجم البلدان ، د– ط ، دار إحياء التراث العربي ، (بيروت – ١٩٧٩ م) .

٥_ الحنفي ، جمال الدين محمد بن يوسف بن الحسن بن محمد المدني (ت ٧٥٠ هـ)
نظم درر السمطين في فضائل المصطفى والمرتضى والبتول والسبطين ، ط١ ، مكتبة الإمام أمير المؤمنين ، (د_ م ، ١٣٧٧هـ) .

٦_ الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت ٧٤٨ هـ)
تاريخ الإسلام ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمرى ، ط١، دار الكتاب العربي ،(بيروت ، ١٤٠٧ هـ) .

٧_ الزبيدي ، محب الدين أبي فيض محمد مرتضى الحسيني الواسطي الحنفي (ت ١٢٠٥هـ)
تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق : علي شيري ، د _ ط ، دار الفكر ، (بيروت _ ١٤١٤هـ) .

٨_ ابن سعد ، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري (ت ٢٣٠هـ)
الطبقات الكبرى ، تحقيق: إحسان عباس ، د– ط ، دار صادر ، (بيروت _ د ، ت) .

٩_ الطريحي ، فخر الدين بن محمد علي بن أحمد بن علي الأسدي (ت ١٠٨٥هـ)
مجمع البحرين ، تحقيق: احمد الحسيني ، د– ط ، المكتبة المرتضوية ، (طهران _ ١٣٦٢ هـ).

١٠_ ابن أبي عاصم ، أبي بكر عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (ت ٢٨٧هـ)
السنة ، تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني ، ط٣ ، المكتب الإسلامي ، (بيروت –١٤١٣) .

١١_ أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي (ت ٥٧١هـ)
تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من

واريديها وأهلها، تحقيق: علي شيري ، ط١ ،دار الفكر، (بيروت – لبنان ، ١٩٩٦ م).
١٢_ ابن كثير ، أبي الفداء إسماعيل الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ)
البداية والنهاية ، تحقيق : علي شيري ، ط١ ، دار إحياء التراث العربي ،(بيروت _ ١٤٠٨ هـ) .
السيرة النبوية ، تحقيق: مصطفى عبد الواحد ، د _ ط ، دار المعرفة ، (بيروت – ١٣٩٥ هـ) .
١٣_ الكوفي ، ابن أبي شيبة عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان (ت ٢٣٥ هـ)
المصنف في الأحاديث والآثار ، تحقيق وتعليق : سعيد اللحام ، ط١ ، دار الفكر ، (بيروت _ ١٤٠٩) .
١٤_ ابن منظور ، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري (ت ٧١١هـ) ، لسان العرب ، د– ط ، نشر أدب الحوزة ، (قم _ ١٤٠٥هـ) .
١٥_ النسائي ، أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب (ت ٣٠٣هـ)
كتاب السنن الكبرى ، تحقيق:عبد الغفار سليمان، كسروي حسن ، ط١، دار الكتب العلمية ، (بيروت – لبنان ، ١٤١١ هـ – ١٩٩١ م) .
خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) ، تحقيق: محمد هادي الأميني ، د _ ط ، مكتبة نينوى الحديثة ، (طهران – د، ت) .
١٧_ النووي ، محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي (ت ٦٧٦هـ)
الأذكار النووية ، د_ط ، دار الفكر ، (بيروت – لبنان ، ١٤١٤ هـ ، ١٩٩٤ م) .
١٨_ الهيثمي ، نور الدين علي بن أبي بكر (ت ٨٠٧هـ)
مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، د– ط ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، ١٩٨٨م) .
١٩_ أبو يعلى ، أحمد بن علي بن المثنى التميمي الموصلي (ت ٣٠٧ هـ)
مسند أبو يعلى ، تحقيق : حسين سليم أسد ، ط١ ، دار المأمون للتراث ، (د_ م ، ١٤١٢هـ) .

الهوامش :

[١] _ سورة المائدة ، آية : ١٩ .

[٢] – أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن ادريس الشيباني (ت ٢٤١هـ) ، فضائل الصحابة ، تحقيق : وصي الله بن محمد عباس ، ط٢ ، دار ابن الجوزي ، (المملكة العربية السعودية _ ١٤٢٠هـ ، ١٩٩٩م) ، ج٢ ، ص٧٠٧ .

[٣] _ رحبة المسجد بالفتح : الساحة المنبسطة ، قيل هي مثل كلبة ، وجمعها رحبات ككلبات ، وقيل مثل قصبة وقصبات وقصب ، وهو أكثر . والرحبة محلة بالكوفة ، الطريحي ، فخر الدين بن محمد علي بن أحمد بن علي الأسدي (ت ١٠٨٥هـ) ، مجمع البحرين ، تحقيق : السيد احمد الحسيني ، د– ط ، المكتبة المرتضوية ، (طهران _ ١٣٦٢ش) ، ج٢ ، ص٦٩ .

[٤] _ وخَمٌّ : غَديرٌ معروف بين مكة والمدينة بالجُحْفةِ ، وهو غدير خَمّ ، وقال ابن دُرَيْدٍ : إنما هو خُمٌّ ، بضم الخاء ؛ قال مَعْنُ بن أَوْسٍ : عَفا وخَلا ممَّنْ عَهِدْتَ به خُمُّ ، وشاقَك بالمَسْحاء من سَرِفٍ رَسْمُ وورد ذكره في الحديث ، هو موضع بين مكة والمدينة تَصُبُّ فيه عين هناك ، وبينهما مسجد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : وفي الحديث ذكر خُمّى ، بضم الخاء وتشديد الميم المفتوحة ، وهي بئر قديمة كانت بمكة ، ابن منظور أبي الفضل جمال الدين بن مكرم الإفريقي المصري (ت ٧١١هـ) ، لسان العرب ، د– ط ، نشر أدب الحوزة ، (قم _ ١٤٠٥هـ) ، ج١٢ ، ص١٩١.

[٥] – واسمه خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة بن عبد بن عوف بن غنم وأمه زهراء بنت سعد بن قيس بن عمرو بن امرئ القيس بن مالك من بلحارث بن الخزرج وكان لأبي أيوب من الولد عبد الرحمن وأمه أم حسن بنت زيد بن ثابت بن الضحاك من بني مالك بن النجار وقد انقرض ولده فلا نعلم له عقبا وشهد أبو أيوب العقبة مع السبعين من الأنصار في رواية موسى بن عقبة ومحمد بن إسحاق وأبي معشر ومحمد بن عمر وآخى رسول الله عليه السلام بين أبي أيوب ومصعب بن عمير في رواية محمد بن إسحاق ومحمد بن عمر ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي أيوب حين رحل من قباء إلى المدينة وشهد أبو أيوب بدرا وأحدا و الخندق والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال محمد ابن سعد أخبرت عن شعبة قال قلت للحكم ما شهد أبو أيوب من حرب علي رضي الله تعالى عنه قال شهد معه حروراء ، وتوفي أبو أيوب عام غزا يزيد بن معاوية القسطنطينية في خلافة أبيه معاوية بن أبي سفيان سنة اثنتين وخمسين وصلى عليه يزيد بن معاوية وقبره بأصل حصن القسطنطينية بأرض الروم فلقد بلغني أن الروم يتعاهدون قبره ويرمونه ويستقون به إذا قحطوا ، ابن سعد ، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري (ت ٢٣٠هـ) ، الطبقات الكبرى ، تحقيق: إحسان عباس ، د– ط ، دار صادر ، (بيروت _ د ، ت) ، ج٣ ، ص٤٨٤ ومابعدها .

[٦] _ أبي عبد الرحمان أحمد بن شعيب النسائي الشافعي (٣٠٣ هـ) ، خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) ، تحقيق وتصحيح الأسانيد ووضع الفهارس : محمد هادي الأميني ، د _ ط ، مكتبة نينوى الحديثة ، (طهران – د، ت) ، ص١٠٠ .

[٧] _ فضائل الصحابة ، ج٢ ، ص ٧٢٤ .

[٨] _ أبي بكر عمرو بن أبي عاصم الضحاك بن مخلد الشيباني (ت ٢٨٧هـ) ، السنة ، تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني ، ط٣ ، المكتب الإسلامي ، (بيروت _ ١٤١٣هـ) ، ص٥٩٣ .

[٩] _ نور الدين علي بن أبي بكر (ت ٨٠٧هـ) ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، د– ط ، دار الكتب العلمية ، (بيروت _ ١٩٨٨م) ، ج٩ ، ص١٠٥ .

[١٠] _ فضائل الصحابة ، ج٢ ، ص٨٤٩.

[١١] _ أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي (ت ٥٧١هـ) ، تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها ، تحقيق : علي شيري ، ط١ ، دار الفكر ، (بيروت – لبنان ، ١٤١٧ هـ _ ١٩٩٦ م) ، ج٤٢ ، ٢٠٥ .

[١٢] – فضائل الصحابة ، ج٢ ، ص٧٢٤ _ ص٧٢٥ .

[١٣] _ الجُحْفة : بالضم ثم السكون ، والفاء : كانت قرية كبيرة ذات منبر على طريق المدينة من مكة على أربع مراحل ، وهي ميقات أهل مصر والشام إن لم يمروا على المدينة ، فإن مروا بالمدينة فميقاتهم ذو الحليفة ، وكان اسمها مهيعة وإنما سميت الجحفة لان السيل اجتحفها وحمل أهلها في بعض الأعوام ،الحموي ، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي معجم البلدان ، د– ط ، دار إحياء التراث العربي ، (بيروت – ١٩٧٩ م) ، ج٢ ، ص١١١ .

[١٤] _ تاريخ مدينة دمشق ، ج ٤٢ ، ص٢١٧ .

[١٥] _ فضائل الصحابة ، ج٢ ، ص٧٣٨– ص٧٣٩ .

[١٦] _ عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان ابن أبي بكر العبسي (ت ٢٣٥ هـ) ، المصنف في الأحاديث والآثار ، تحقيق وتعليق : سعيد اللحام ، ط١ ، دار الفكر ، (بيروت _ ١٤٠٩هـ) ، ج٧ ، ص٥٠٣ .

[١٧] _ تاريخ مدينة دمشق ، ج٤٢ ، ص٢٢٠ .

[١٨] _ معنى بَخْ بَخْ تعظيم الأَمر وتفخيمه ، وسكنت الخاء فيه كما سكنت اللام في هل وبل ، بَخٍ بَخٍ وبَه بَه بمعنى واحد وإبل مُبَخْبَخة يقال لها بَخٍ بَخٍ إعجاباً بها وقد عللنا قوله : حتى تجيء الخَطَبَه بإبلٍ مُخَبْخَبه ، ابن منظور ، لسان العرب ، ج٣ ،

ص٦ ؛ الزبيدي ، محب الدين أبي فيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الحنفي (ت ١٢٠٥هـ) ، تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق :علي شيري ، د _ ط ، دار الفكر ، (بيروت _ ١٤١٤هـ) ، ج٤ ، ص٢٥٨ .

[١٩] _ تاريخ مدينة دمشق ، ج٤٢ ، ص٢٣٤ .

[٢٠] _ فضائل الصحابة ، ج٢ ، ص٧٥٩.

[٢١] _ فضائل الصحابة ، ج٢ ، ص٨٧٨ .

[٢٢] _ أبي الفداء إسماعيل الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ) ، البداية والنهاية ، تحقيق : علي شيري ، ط١ ، دار إحياء التراث العربي ، (بيروت _ ١٤٠٨ هـ) ، ج٧ ، ص٣٨٥ .

[٢٣] _ السيرة النبوية ، تحقيق: مصطفى عبد الواحد ، د _ ط ، دار المعرفة ، (بيروت – ١٣٩٥ هـ) ، ج٤، ص٤٢١ .

[٢٤] _ فضائل الصحابة ، ج٢ ، ص٨٢٤ .

[٢٥] _ عزالدين عبد الحميد بن هبة الله المعتزلي (ت ٦٥٦هـ) ، شرح نهج البلاغة ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، د_ ط ، مؤسسة إسماعيليان ، (د_ م ، د_ ت)،ج٩، ص١٧١ .

[٢٦] _ جمال الدين محمد بن يوسف بن الحسن بن محمد الزرندي الحنفي المدني (ت ٧٥٠ هـ) ، نظم درر السمطين في فضائل المصطفى والمرتضى والبتول والسبطين ، ط١ ، مكتبة الإمام أمير المؤمنين ، (د_ م ، ١٣٧٧هـ) ، ص٧٩.

[٢٧] _ فضائل الصحابة ، ج٢ ، ص٧١٤ _ ص٧١٥ .

[٢٨] _ سورة الأحزاب ، آية :٣٣ .

[٢٩] _ المصنف ، ج٧ ، ص٥٠١ .

[٣٠] _ أحمد بن علي بن المثنى التميمي الموصلي (ت ٣٠٧ هـ) ، مسند أبو يعلى ، تحقيق : حسين سليم أسد ، ط١ ، دار المأمون للتراث ، (د_ م ، ١٤١٢هـ) ، ج١٣، ص٤٧١ .

[٣١] _ فضائل الصحابة ، ج٢ ، ص٨٢٠ .

[٣٢] _ عبد الله بن جعفر بن أبي طالب كنيته أبو جعفر وأمه أسماء بنت عميس بن كعب بن ربيعة الخثعمي ولدته بأرض الحبشة أول سنة من سنى الهجرة وكان يقال له قطب السخاء مات سنة ثمانين بالمدينة سنة سيل الجحاف الذي ذهب بالحاج من مكة وكان يصفر لحيته ، ابن حبان ، أبى حاتم محمد بن أحمد التميمي البستي (ت ٣٥٤ هـ) مشاهير علماء الأمصار ، تحقيق : مرزوق علي ابراهيم ، ط١، دار الوفاء ، (مصر _ ١٤١١هـ) ، ص٢٧ .

[٣٣] _ أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب (ت ٣٠٣هـ) ، كتاب السنن الكبرى ، تحقيق: عبد الغفار سليمان، كسروي حسن ، ط١، دار الكتب العلمية ، (بيروت – لبنان ، ١٤١١ هـ – ١٩٩١ م) ، ج٦ ، ص١٦٢ .

[٣٤] _ محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي (ت ٦٧٦هـ) ، الأذكار النووية ، د _ ط ، دار الفكر ، (بيروت – لبنان ، ١٤١٤ هـ ، ١٩٩٤ م) ، ص١٢١ .

[٣٥] _ فضائل الصحابة ، ج٢ ، ص٦٥٥ .

[٣٦] _ تاريخ مدينة دمشق ، ج٤٢ ، ص٤٧٨ .

[٣٧] _ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت ٧٤٨ هـ) ، تاريخ الإسلام ، تحقيق : عمر عبد السلام تدمرى ، ط١ ، دار الكتاب العربي ، (لبنان _ بيروت ، ١٤٠٧ – ١٩٨٧م) ، ج٣ ، ص٦٤٣ .

دور الدولة في نهضة المرأة الاماراتيه (١٩٧١-٢٠١٧م)

The Role of the State in the Rise of Emirati (Women (1971 - 2017

م.د. سوسن عادل ناجي

جامعة ديالى / كلية التربية الأساسية / قسم التاريخ

Email : www. Sawsan_adlil@hotmail.com

M.D. Sawsan Adel Naji

Diyala University / Faculty of Basic Education / History Department

دور الدولة في نهضة المرأة الاماراتيه (١٩٧١-٢٠١٧م)

(The Role of the State in the Rise of Emirati Women (1971 - 2017

م.د. سوسن عادل ناجي

الملخص :

تمكنت دولة الإمارات وفي فترة وجيزة من عمرها على إيجاد تشريعات متكاملة في جميع مناحي الحياة دون تمييز بين مواطنيها وأعطت المرأة حقوقها الخاصة والعامة من التشريعات إيماناً بأهمية دور المرأة في تنمية المجتمع . كما شاركت المرأة في جميع قطاعات العمل المختلفة في الدولة وبلغت نسبة مشاركتها نحو ٦٦% من أجمالي حجم قوة العمل في القطاع الحكومي من بينها ٣٠% في الوظائف القيادية ، و ٦٠% في الوظائف الفنية . وقد أدى الاتحاد النسائي العام دوراً كبيراً في تمكين المرأة ، من خلال الهيئات المتخصصة التي تتابع شؤون المرأة وتعمل على تلبية احتياجاتها ، ودورها البارز في رسم الخطط الاستراتيجية للنهوض بالمرأة .

Abstract

In a short period of its life, the UAE has been able to create integrated legislation in all aspects of life without distinction between its citizens and has given women their own public and private rights of belief in the importance of the role of women in the development of society. Women also participated in all the different labor sectors in the country and their participation rate reached about 66% of the total workforce in the government sector, including 30% in leadership positions and 60% in technical jobs. The General Women's Union has played a major role in the empowerment of women through specialized bodies that monitor women's affairs and address their needs, and their prominent role in the formulation of strategic plans for the advancement of women

المقدمة :

الرجل والمرأة عنصران مهمان في رقي أي مجتمع من المجتمعات ، وشكلت المرأة الحجر الأساس في بنية المجتمع الإماراتي ، وأنها عامل مؤثر للغاية في البناء الفكري لمجتمعها ، و أن مسألة تمكين المرأة أمراً في غاية الأهمية للوصول الى التنمية المجتمعية و إيجاد مجتمع متجانس يمتلك القدرة على التفاعل مع غيره من المجتمعات ، والمرأة الى جانب الرجل تسهم في أرساء مجتمع قائم على الشراكة . وأصبحت المرأة الإماراتية تتبوأ مكانة مرموقة على الصعيدين المحلي والدولي بفضل المساندة والدعم الذي توليه القيادة في دولة الإمارات للمرأة ، كما تبوأت المرأة أرقى المناصب بجدارة وأبدعت وأدركت التحديات الجمة التي تحيط بها ، فكانت انطلاقاتها نحو تعزيز مكانتها في مجتمعها ، وقد تمكنت

من الحفاظ على الموروثات الأصيلة التي تناقلتها الأجيال ، فاستطاعت أن تشيدَ جسور عبور الماضي بالحاضر برؤية واضحة .

التشريعات الخاصة بالمرأة في دولة الإمارات :

حظيت المرأة باهتمام خاص في دولة الأمارات ، وتجسد ذلك في إعطاء المرأة الإماراتية حقوقها الخاصة والعامة ، والاستفادة من قدراتها وطاقاتها للمشاركة الفاعلة في بناء المجتمع ، مما دفع بالمشرع الإماراتي لأن يعترف لها دستورياً بحقوقها الإنسانية وحرياتها الأساسية في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والمدنية ، ولصون تلك الحقوق اتخذت دولة الأمارات إجراءات تشريعية وقضائية وإدارية لتنفيذها [١] .

حقوق المرأة في الدستور :

الدستور في قمة الهرم القانوني للدولة ، فالدستور هو المرجعية الأساسية للقوانين والتشريعات، فالدستور ينص على حقوق الأفراد وحرياتهم السياسية والدينية والفكرية والمدنية . ويعمل الدستور كعقد اجتماعي ، يوضح الحقوق الاقتصادية والاجتماعية للأفراد [٢] .

ومن أبرز نصوص الدستور التي تضمن حقوق المرأة في دولة الإمارات المادة (١٤) التي أكدت على المساواة والعدالة الاجتماعية وتكافؤ لجميع المواطنين. والمادة (١٥) و (١٦) التي نصت على أن الأسرة أساس المجتمع ويكفل القانون كيانها ويحميها ، ويشمل المجتمع برعاية الطفولة والأمومة ويحمي القصر وغيرهم من الأشخاص العاجزين عن رعاية أنفسهم ، وتنظيم قوانين المساعدات العامة والتأمينات الاجتماعية . ونصت المادة (١٧) على أن التعليم هو إلزامي في مرحلة الابتدائية ومجاني في كل مرحلة داخل الاتحاد . وأكدت المادة (٣٠) على حرية الرأي والتعبير عنه بالقول والكتابة وسائر وسائل التعبير مكفولة في حدود القانون [٣]

وقد أكدت المواد (٢٠) و (٣٤) و (٣٥) على العمل كركن أساسي في تقدم المجتمع وتوفيره للمواطنين وتأهيلهم له ، وحرية اختيار العمل والمهنة وفي حدود القانون . والمساواة أمام الوظيفة العامة وباب الوظائف العامة مفتوح للجميع على أساس المساواة بينهم [٤] .

نستنتج من مواد الدستور حرص الدولة على صيانة حقوق المرأة من خلال تثبيتها في الدستور الذي يعد المرجعية الأساسية للقوانين والتشريعات .

الحقوق المدنية للمرأة :

تحظى المسائل المتعلقة بالأحوال الشخصية أهمية كبرى عند الحديث عن حقوق المرأة باعتبارها تنظم المسائل الأسرية المتصلة بالحقوق الشرعية والمالية الناجمة عن الزواج ، وفي دولة الإمارات هناك مجموعة من التشريعات المنظمة للأحوال الشخصية من بينها : القانون الاتحادي في شأن الأحوال الشخصية ، قانون تحديد المهر، قانون إنشاء صندوق الزواج، القرار الوزاري بشأن لائحة المأذونين .

أولاً: القانون الاتحادي رقم (٢٨) لسنة ٢٠٠٥ في شأن الأحوال الشخصية ، وهو مجموعة من القواعد القانونية التي تنظم علاقة الأفراد فيما بينهم من حيث صلة النسب والزواج وما ينشأ عنه من مصاهرة وولاية وحضانة وحقوق وواجبات وما قد يترتب عليه حقوق في النفقة والإرث والوصية ، والمرأة هي ذات العلاقة الأساسية وعليه فقد تم وضع قانون الأحوال الشخصية وقد تضمن (٣٦٢) مادة تناولت بشكل مفصل جميع الأمور التي تتعلق بالأحوال الشخصية .

ثانياً: القانون الاتحادي رقم (٢١) لسنة ١٩٩٧ في شأن تحديد المهر في عقد الزواج ومصاريفه [٥] . حرص المشرع في دولة الإمارات على التصدي لظاهرة الغلاء في المهور حيث صدر أول قانون اتحادي رقم (١٢) لسنة ١٩٧٣ في هذا المجال والذي نص على أن لا يزيد المقدم على (٤) آلاف والمؤخر (٦) آلاف، وقد تم تعديل القانون بصدور القانون الاتحادي رقم (٢١) لسنة ١٩٩٧ ليحدد كل من قيمة المهر وتكاليف الزواج [٦] .

ثالثاً: قانون الاتحاد رقم (٤٧) لسنة ١٩٩٢ في شأن إنشاء صندوق الزواج ، لتقديم الدعم المادي والمعنوي للمقبلين على الزواج .

رابعاً: القرار الوزاري رقم (٢٤٩) لسنة ٢٠٠٧ في شأن لائحة المأذونين ، بما يضمن حق المرأة في أبداء رأيها في عقد الزواج ، ولينظم المسائل الهامة في مجال الأحوال الشخصية[٧].

حظيت حقوق المرأة في الأحوال الشخصية أهمية كبيرة في التشريعات المنظمة للأحوال الشخصية على اعتبارها الأساس في تنظيم المسائل الأسرية . كما أن تسليط الضوء على التشريعات الخاصة بالمرأة يتيح الفرصة أمام المتعاملين في قضايا المرأة مراجعة السياسات المختلفة التي تتبناها مؤسساتهم وتبرز المستوى الحضاري التي وصلت اليه الدولة في التعامل مع قضايا المرأة .

المرأة الإماراتية والتعليم :

من المعروف أن مجتمع الإمارات قبل اكتشاف النفط كان مجتمع تقليدي في نظامه الاقتصادي والاجتماعي ، وكان البناء الاجتماعي قبلياً ، وكان التعليم محدوداً ففي عام ١٩٥٣ تم افتتاح أول مدرسة في الفجيرة [٨] .

وبعد نشأة الاتحاد عام ١٩٧١ أخذت الدولة على عاتقها التوسع في فتح المدراس . حيث أولت الدولة كل جهودها منذ نشأتها التعليم اهتماما بالغاً أذ أدركت أن الاستثمار في تعليم الأنسان أفضل أنواع الاستثمار . والتعليم ركيزة أساسية من ركائز العملية التنموية التي تستند في جوهرها إلى مجموعة متكاملة من القواعد التي تنعكس إيجاباً على الأفراد والمجتمع على حد سواء ، أذ يسهم في إطلاق الطاقات الكامنة التي تؤدي إلى تحقيق التقدم والازدهار[٩] .

كما أن المرأة المتعلمة هي الأقدر على بناء جيل المستقبل ، وقد أتسمت المسيرة التعليمية في دولة الإمارات بالكثير من المحطات الا أن الهدف ظل ثابتاً ، وهو الارتقاء بالمخرجات التعليمية حتى تواكب أرقى المستويات العالمية [١٠] .

حققت المرأة الإماراتية تطوراً ملحوظاً في أعداد الطالبات في المدارس الحكومية منذ عام ١٩٦٥ ولغاية ٢٠١٤ ويظهر ذلك بشكل واضح في المخطط التالي .

عدد الطالبات في المدارس الحكومية

١٩٦٥ – ٢٠١٤ [١١]

السنة	عدد الطالبات
٢٠١٤	٦٦٦٥٧
٢٠١٠	٦٥٨٣٦
٢٠٠٥	٦٤٨٧٦
٢٠٠٠	٧١٦٩٥
١٩٩٥	٦٢٥٩٧
١٩٩٠	٥٣٦٦٧
١٩٨٥	٣٥٣٣١
١٩٨٠	٢٠١٧٣
١٩٧٥	٩٩٠٣
١٩٧٠	٢٨٦٦
١٩٦٥	١٣٨

نلاحظ من خلال المخطط الزيادة في الطالبات الخريجات اللاتي سيسهم تعليمهن في زيادة مساهمة المرأة في معظم قطاعات العمل .

إنَّ تعليم المرأة منذ قيام الاتحاد أنعكس بشكل واضح على مدى مساهمتها في عملية التنمية ، فقبل قيام دولة الأمارات لم يكن في الأمارات عدد كاف من أبناءها لشغل الوظائف الإدارية أو الخدمية ، فقليلون الذين كانوا قد أنهوا تعليمهم وحصلوا على مؤهلات دراسية تمكنهم من شغل تلك المناصب ، غير أن السياسة التعليمية التي أتبعتها منذ قيام الاتحاد ، عملت على زيادة مخرجات العملية التعليمية من الكفاءات الوطنية [١٢] .

لقد استفادت المرأة الإماراتية من الفرص التعليمية المتعددة التي وفرتها لها الدولة ، وقد استطاعت المرأة الإماراتية من تسلم عدة مناصب قيادية في الدولة على مختلف المستويات [١٣].

عملت الدولة على القضاء على الآفات الاجتماعية الثلاث : الفقر ، الأمية ، والمرض من خلال فتح المدارس والمستشفيات وتوفير العمل [١٤] .

بلغت الأمية مستويات مرتفعة بين الأناس في بداية تأسيس دولة الأمارات فقد بلغت ٥٥,٣% وهي نسبة مرتفعة أذا ما قورنت بغيرها من المجتمعات وأذا ما قورنت بنسبة أمية الرجال والتي تبلغ ٣٣,٨% ويمكن أن يُرد هذا الارتفاع الى الاتجاهات الاجتماعية والاقتصادية ونظام القيم السائد في المجتمع والذي يهتم بتعليم وتأهيل الذكور أكثر، على الرغم من أن الأنظمة والقوانين لا تميز بين الذكور والإناث [١٥] .

وقد حققت الدولة خطوات كبيرة خلال مدة زمنية قصيرة في القضاء على الأمية ، أصبحت نسبة الأمية عام ١٩٩٠ ١٦% بين الذكور و ١٩,٣% بين الإناث [١٦] .

ومنذ بداية تأسيس الدولة حرصت الحكومة وعلى رأسها الشيخ زايد على نهضة المرأة ، فقد وجه في خطابه للمجلس الوطني الاتحادي في عام ١٩٧٢ الى تعلم المرأة بأنشاء مراكز لتعليم الكبار من النساء ولتوفير فرص التعليم لهن [١٧] .

وبلغت نسبة الأمية ١١,٤% و ٨,٨% لعامي ٢٠٠٥ و ٢٠١٠ على التوالي [١٨] . و ٣,٦% عام ٢٠١٦ [١٩] .

بدأت مسيرة التعليم العالي بافتتاح جامعة الأمارات عام ١٩٧٧ [٢٠] ، والتي حدد رسالتها وأهدافها الشيخ زايد نفسه ، وأكد على أنها جامعة عربية إسلامية تغرس القيم وتعزز ثوابت الأمة ، وتصقل قدرات الشباب وتكسبهم مهارات العصر وتؤهلهم لخدمة المجتمع [٢١].

بدأت الجامعة بأربع كليات هي الآداب والتي أصبحت تعرف بكلية العلوم الاجتماعية والإنسانية ، والعلوم، والتربية ، والعلوم الإدارية والسياسية ، وأصبحت تعرف بكلية العلوم الاقتصادية والإدارية ، وتبعها إنشاء كلية الشريعة والقانون في عام ١٩٧٨ ، وكلية الهندسة ، وكلية العلوم الزراعية عام ١٩٨٠ ، ثم كلية الطب والعلوم الصحية عام ١٩٨٦ . بلغ عدد خريجي الجامعة منذ الدفعة الأولى عام ١٩٨٠ – ١٩٨١ وحتى الدفعة الحادية والعشرون عام ٢٠٠٠-٢٠٠١ نحو (٢٩,٤٩٨) طالباً وطالبة ، وتشكل الإناث نسبة تزيد على ٧٥%[٢٢] .

وتأكيداً على أهمية المرأة ،تم إنشاء جامعة زايد عام ١٩٩٨ وهي مخصصة للمواطنات الإماراتيات فقط، وقد بدأت بقبول (٤٠٠) طالبة في مقرها بأبو ظبي و (١١٠٠) في فرعها في دبي ، وتضم الجامعة ست كليات وهي كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، وكلية علوم الإدارة ، وكلية الاتصال والأعلام ، وكلية نظم المعلومات ، وكلية التربية ، وكلية علوم الأسرة [٢٣] .

أزداد أقبال المرأة على التعلم العالي عاماً بعد عام ، حتى أصبحت أعلى نسبة من أقبال الذكور ، ويعود السبب الى أن متابعة المرأة لتعليمها الجامعي يلقى تشجيعاً من جانب المجتمع ، وفي الوقت نفسه تحرص المرأة على التخلص من الأمية . فقد بلغ عدد الطلاب (٢٦٢٦) والطالبات (٥٨٧٢) للعام الجامعي ١٩٨٩-١٩٩٠ ، وبلغت النسبة المئوية للطلاب ٣٠,٩% والطالبات ٦٩,١% [٢٤] .

وخرَّجَت كلية الطب والعلوم الصحية في جامعة الأمارات عام ١٩٩٧ (٣٦) طبية أخذنَّ موقعهن في مختلف المرافق الصحية ، بينما بلغ خريجي كلية التقنية منذ أنشائها عام ١٩٨٨، ولغاية عام ١٩٩٧ نحو (٤٤٨) خريجاً من بينهم (٣٧٥) خريجة [٢٥] .

نستنتج من خلال أعداد الخريجين والخريجات أنَّ عدد الخريجات فاق عدد الخريجين ليس في الكليات الإنسانية فقد بل العلمية كذلك ، وأدت هذه الزيادة الى أن تؤدي المرأة دوراً كبيراً في التنمية الاجتماعية والاقتصادية من خلال تواجدها في مختلف مواقع العمل .

الآليات المعنية بالمرأة :

أولاً: الاتحاد النسائي العام

بدأت الحركة النسائية في دولة الأمارات بتأسيس عدد من الجمعيات عامي ١٩٧٢، ١٩٧٣ وهي :

١. جمعية نهضة المرأة الظبيانية ومقرها أبو ظبي .
٢. جمعية الاتحاد النسائي ومقرها الشارقة .
٣. جمعية أم القوين النسائية ومقرها أم القوين .
٤. جمعية النهضة النسائية ومقرها دبي .
٥. جمعية أم المؤمنين النسائية ومقرها عجمان .

ونظراً لوحدة الأهداف للحركة النسوية في كافة الإمارات ، ورغبةً في توحيد التمثيل والتحدث الرسمي باسم الحركة النسائية في البلاد ، ولدى الاتصال بالحركات المماثلة في الخارج ، فقد اجتمعت ممثلات هذه الجمعيات في الثامن والعشرون من آب عام ١٩٧٥ في هيئة جمعيات تأسيسية ، بتأسيس اتحاد نسائي عام وسمي (الاتحاد النسائي) وتم انتخاب الشيخة فاطمة بنت مبارك رئيسة للاتحاد بالإجماع.[٢٦]

وتأسس الاتحاد النسائي العام بموجب القانون الاتحادي رقم (٦) لسنة ١٩٧٤، يمثل المرأة الإماراتية على مستوى الدولة ويضم في عضويته عدداً من الجمعيات النسائية الإماراتية [٢٧] ، وقد أنظمت جمعية نهضة المرأة برأس الخيمة الى الاتحاد النسائي العام عام ١٩٧٩ [٢٨] .

يتولى إدارة شؤون الاتحاد الأجهزة التالية :

مجلس الاتحاد ، الأمانة العامة ، المكتب التنفيذي .

أولاً: مجلس الإدارة :

يعتبر المجلس السلطة الإدارية العليا للاتحاد ، وبشكل برئاسة رئيسة الاتحاد وعضوية عدد يساوي ضعف عدد الجمعيات الأعضاء ، وتنتخب الجمعية العمومية أعضاء المجلس من بين المرشحات اللاتي ترشحهن مجالس إدارة الجمعيات الأعضاء ويحق لكل جمعية عضو أن ترشح عضوتين على الأقل وثلاثة على الأكثرية في انتخابات المجالس ، وتمثل كل جمعية بعضوتين فقط في المجلس [٢٩] .

ثانياً : الأمانة العامة :

تتكون الأمانة العامة من الأمينة العامة و أمينة الصندوق ورئيسات اللجان التي يشكلها مجلس الإدارة ، والجهاز التنفيذي للاتحاد وتقوم باقتراح السياسات والبرامج وعرضها على مجلس الإدارة لاتخاذ الإجراءات اللازمة لإقرارها .

ثالثاً: المكتب التنفيذي :

يعمل تحت أشراف الأمينة العامة ويتكون من أمينة الصندوق ، ومديرة المكتب وموظفون ومستشارون ، وفنيون .

وتتكون الجمعية العمومية للاتحاد من الجمعيات الأعضاء في الاتحاد ، ويمثل كل جمعية خمس عضوات يختارهن مجلس أدارة الجمعية من أعضائه [٣٠] .

عكس الاتحاد النسائي العام التوازن والتنسيق بين مختلف الجمعيات في مختلف الأمارات وعكس تمثيل تلك الجمعيات في الاتحاد تحقيق العدالة والمساواة ودون التمييز بين الأمارات الكبيرة أو الصغيرة .

تتكون الموارد المالية للاتحاد من رسم الاشتراك السنوي للعضوية والإعانات الحكومية ، والتبرعات والهبات والمساعدات التي لا تتعارض مع أهداف الاتحاد ، والإيرادات من المعارض والأسواق الخيرية وغيرها من الأنشطة التي تقيمها الاتحاد [٣١] .

أنجز الاتحاد النهائي العام منذ تأسيسه المئات من البرامج والندوات التي تهدف الى النهوض بالمرأة في جميع المجالات والوصول بخدماته الى جميع المناطق في الحضر والبوادي ، وعمل على أنشاء مراكز الصناعات اليدوية والتوسع في أنشاء فروع لها ، وأسهم في جميع أنشطة المجتمع في ميادين التوعية الصحية والاجتماعية والثقافية وأقام مراكز التأهيل المهني للمرأة ومراكز تعليم الكبار ومحو الأمية[٣٢] .

كما ساهم الاتحاد في تفعيل دور المرأة ومشاركتها في ثمانية ميادين رئيسة وهي التعليم والاقتصاد والأعلام والعمل الاجتماعي والصحة والتشريعات والبيئة ، بالإضافة الى المجال السياسي من خلال إزالة العراقيل والمعوقات التي تقف حاجزاً دون مشاركة المرأة الفاعلة في جميع الميادين، والتزامات الدولة أمام الاتفاقيات الدولية والعربية في مجال تمكين المرأة ، سيضمن الاستدامة في مسيرة تقدم المرأة الإماراتية وتمكنها في المجتمع [٣٣] .

وقد أدى الاتحاد دوراً كبيراً في تمكين المرأة ، فقد سعى الاتحاد الى تأسيس هيئات متخصصة من شأنها أن تتابع شؤون المرأة وتعمل على تلبية احتياجاتها ، كما أدى الاتحاد دوراً بارزاً على صعيد رسم الخطط الاستراتيجية للنهوض بالمرأة الإماراتية وتوظيف طاقاتها ، ومؤسسة التنمية الأسرية في أبو ظبي ، ومؤسسة تنمية المرأة في دبي ، والمجلس الأعلى للأسرة في الشارقة ، والمجلس الأعلى للأمومة والطفولة [٣٤] .

نلاحظ أن الاتحاد النسائي أسهم في توطيد أواصر الوحدة من خلال الأهداف والطموحات المشتركة التي تهدف الى النهوض بالمرأة ثقافياً واجتماعياً وتكون قادرة على المشاركة في النهضة الوطنية، كما أنه أسهم في نهضة المرأة دون تمييز بين إمارة وأخرى .

المجلس الأعلى للأمومة والطفولة

أُنشئ المجلس الأعلى بموجب المرسوم الاتحادي رقم (١) لسنة ٢٠٠٣ ، ويمثله رئيس المجلس الأعلى ويتبع مباشرةً رئيس الدولة، ويكون مقر المجلس في أبو ظبي ، ويهدف المجلس الأعلى الى الارتقاء بمستوى الرعاية ، ، والعناية والمتابعة لشؤون الأمومة والطفولة وتقديم الدعم في مختلف المجالات ، ومتابعة خطط التنمية والتطوير لتحقيق الرفاهية [٣٥] .

عكس المرسوم الاتحادي رقم (١) لسنة ٢٠٠٣ مدى اهتمام وحرص الدولة بالأمومة والطفولة وإدراكاً منها بأن الأم والطفل أساس المجتمع ، من خلال تبعيته المباشرة لرئيس الدولة .

يتولى أدارة المجلس الأعلى للأمومة والطفولة مجلس أدارة برئاسة رئيس المجلس الأعلى وعضوية كل من : نائب الرئيس ، ومديرة الاتحاد النسائي العام ، ووكيل وزارة العمل والشؤون الاجتماعية، ووكيل وزارة التربية والتعليم والشباب ، ووكيل وزارة مساعد من قطاع الشؤون الإسلامية والأوقاف بوزارة العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف ، أمين عام جمعية الهلال الأحمر ، سبع ممثلات للجمعيات النسائية في الدولة ، ممثل عن كل مجلس أو مركز من مراكز الأمومة والطفولة في كل أمارة ، مدير أدارة رعاية الأمومة والطفولة بوزارة الصحة [٣٦] .

أما الشؤون المالية للمجلس فتكون له ميزانية مستقلة تلحق بالميزانية العامة للدولة وتكون إيرادات المجلس من الاعتمادات السنوية المخصصة للمجلس الأعلى بميزانية الدولة ، مساهمة الجهات والهيئات والمؤسسات العامة والخاصة الاتحادية والمحلية فيها ، ريع الأموال الثابتة والمنقولة ، التبرعات والهبات والمنح والإعانات التي لا تتعارض مع أهداف المجلس ، كما يرفع مجلس الإدارة تقريراً سنوياً عن أنشطة المجلس و إنجازاته الى رئيس المكتب لعرضه على رئيس الدولة [٣٧] .

يظهر من خلال أعضاء مجلس الإدارة للمجلس الأعلى للأمومة والطفولة مشاركة واسعة من مختلف القطاعات التي لها صلة بالأم والطفل في أدارة المجلس ، والتي تؤدي الى التنسيق فيما بينها

لتحديد المشاكل التي تواجه أهم جزء في المجتمع ووضع الحلول لها بهدف الارتقاء بمستوى الرعاية والدعم ومتابعة وتقييم خطط التنمية والتطوير .

مجلس سيدات أعمال الأمارات

أُنشئ المجلس تحت أشراف وتبعية أتحاد غرف التجارة والصناعة بدولة الأمارات ، ويسعى المجلس الأعلى الى الارتقاء بمصالح الأمارات وتذليل الصعوبات التي تواجههُن في أعمالهن التجارية والصناعية والخدمية ، وتشجيع مشاركة المرأة في القطاعات الاقتصادية والصناعية والخدمية وتشجيع مشاركة المرأة في القطاعات الاقتصادية المختلفة وتعزيز دورها في المشاركة بالأنشطة الاستثمارية ، وتوفير البرامج والدراسات اللازمة لذلك ، أبداء الرأي وتقديم التصورات حول التشريعات والقوانين الاتحادية والمحلة ذات الصلة بممارسة المرأة للعمل التجاري والاستثماري ، تعزيز التعاون والعلاقات مع الهيئات المحلية والإقليمية والدولية للاستفادة من تبادل الخبرات لتطوير أنشطة سيدات الأعمال في القطاعات المختلفة. ويكون المركز الرئيس للمجلس في أمارة أبو ظبي [٣٨] .

الجمعية العمومية

تتكون الجمعية للمجلس من سيدات أعمال الأمارات المنتسبات للمجلس ممن تنطبق عليهن شروط العضوية التي تمنح لجميع المواطنات اللاتي يمتلكن أو يشاركن في أدارة مشاريع اقتصادية مرخصة ، كما تمنح العضوية لجميع الطالبات من مواطنات أو غيرها اللاتي يدرسن في تخصصات اقتصادية وتجارية لأغراض التدريب وتنمية سبل الانخراط بالعمل التجاري، كما تمنح عضوية فخرية للسيدات البارزات في المجتمع اللاتي يناصرن قضايا المرأة في أعمالها المختلفة . أما مجلس الإدارة فيتكون من خمسة عشر عضوة يكون من بينه سبع عضوات تعين كل واحدة منهن في أحدى الغرف التجارية والصناعية في الدولة أضافةً الى ممثلة دائمة يعينها الأمين العام لأتحاد الغرف ويتم انتخاب العضوات السبعة المتبقيات من قبل المرشحات أعضاء الجمعية العمومية المواطنات [٣٩] .

أدت المرأة دوراً كبيراً في المجال الاقتصادي ، فمع التطور الاقتصادي والثروة النفطية أزداد أهتمام المرأة الاقتصادي فبدأ نشاطها اكثر تطوراً ، وفي ظل الانفتاح الكبير على العالم ، وتوافر وسائل الاتصال والتكنولوجيا أصبح دور المرأة أكثر وضوحاً ، وقد تم تأسيس العديد من جمعيات سيدات الأعمال بحيث يوجد في كل أمارة مجلس لسيدات الأعمال الى جانب مجلس سيدات أعمال الأمارات ، وعدد عضواته (١٠٤٠٠) بينهن (٤٠٩٥) سيدة من دبي الى جانب (٢٧٠٠) في أبو ظبي ونحو (٣٠٠٠) في الشارقة أي نحو عشرة الأف سيدة يستثمرن (٣,٤) مليار دولار في العديد من الإنجازات لغاية عام ٢٠٠٦ [٤٠] .

إن الموارد المالية للمجلس هي هي الاموال التي يحصل عليها المجلس عن طريق رسوم العضوية ، التبرعات، عوائد الاستثمار لأموال المجلس في القطاعات المختلفة ، رسوم البرامج والندوات التدريبية ، عوائد بيع المطبوعات التي يصدرها المجلس [٤١] .

عكس إنشاء مجلس سيدات الأعمال مدى التطور والارتقاء بمصالح المرأة وتعزيز دورها في المشاركة في القطاعات الاقتصادية ، و إدامة هذا التطور من خلال عضوية الطالبات ، وبالتالي خلق أجيال من سيدات الأعمال القادرات عل تحقيق الريادة للمرأة .

المرأة الإماراتية والعمل :

أسهمت المرأة بدور بارز في عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية لما وجدته من دعم من الدولة، الذي أتاح امامها كل فرص التعليم والعمل الذي يتناسب مع طبيعتها ويحفظ كرامتها كأم وصانعة أجيال ، وتأكيداً على دعم الدولة فقد قال الشيخ زايد (إنَّ ما حققته المرأة في دولة الإمارات خلال فترة وجيزة يجعلني سعيداً ومطمئناً بأن ما غرسناه بالأمس بدأ يأتي ثماره ونحمد الله أن دور المرأة في المجتمع بدأ يبرز ويتحقق لما فيه خير أجيالنا الحالية والقادمة) [٤٢] .

وحول تطوير المرأة قال : (وقد عملنا على التركيز على تطوير دور المرأة في مختلف المجالات باعتبارها ركناً أساسياً للمجتمع تشارك في تطويره وتنميته بما يحقق تطلعات شعب الإمارات نحو حياة أفضل) [٤٣] .

شاركت المرأة في جميع قطاعات العمل المختلفة في الدولة وبلغت نسبة مشاركتها نحو ٦٦% من أجمالي حجم قوة العمل في القطاع الحكومي من بينها ٣٠% في الوظائف القيادية ، وحوالي ٦٠% في الوظائف الفنية وتشمل الطب والصيدلة والتمريض والتدريس، بالإضافة الى شغل المرأة حوالي ١٥% من هيئة التدريس بجامعة الإمارات، كما انخرطت في صفوف القوات النظامية في القوات المسلحة والشرطة والجمارك . [٤٤]

وفي المجال الاقتصادي تشير الإحصاءات الرسمية الى أن سوق أبو ظبي للأوراق المالية أصدر عام ٢٠٠٥ نحو (٢٦٧) ألف رقم مستثمر استحوذت النساء على ٤٣% منها[٤٥] .

وضعت الدولة مجموعة من التشريعات تضمن حقوق المرأة في العمل وتصون كرامتها ، وأهم التشريعات المنظمة لعمل المرأة هي : قانون الموارد البشرية الاتحادي الذي ينظم العمل في الوزارات والهيئات الاتحادية . قوانين الموارد البشرية المحلية ، حيث أن بعض الإمارات سنت تشريعاتها الخاصة . القانون المنظم للعمل في قطاع الشرطة . القانون المنظم للعمل في القوات المسلحة . أما حقوق المرأة في القطاع الخاص فيعتبر القانون الاتحادي رقم (٨) لسنة ١٩٨٠ ، وقانون العمل الإماراتي قانون شامل ينظم كافة نواحي علاقات العمل بين أصحاب العمل والموظفين [٤٦] .

ارتفعت نسبة الإماراتيات من مجموع القوى العاملة بشكل ملحوظ بين عامي ١٩٧٥و ٢٠١٥ من ٢,٢% الى ٣٢,٨% وارتفعت نسبة الإماراتيات العاملات من مجموع العاملين من ٢,٢% الى ٢٨,٧% بين عامي ١٩٧٥ و ٢٠١٥ .

التوزيع النسبي للقوى العاملة الإماراتية حسب النوع : [٤٧]

السنة	نسبة الإناث [٤٨]	نسبة الذكور
١٩٧٥	٢,٢	٩٧,٨
١٩٨٥	٤,٢	٩٥,٨
١٩٩٥	١٠,٥	٨٩,٥
٢٠٠٥	٢٠,١	٧٩,٩
٢٠١٤	٣٠,٩	٦٩,١
٢٠١٥	٣٢,٨	٦٧,٢
٢٠١٧	٣٥,٣	٦٤,٧

نلاحظ من خلال التوزيع النسبي للقوى العاملة الإماراتية ارتفاع نسبة الإناث بشكل ملحوظ فبعد أن كانت عام ١٩٧٥ (٢,٢%) أصبحت عم ٢٠١٧ (٣٥,٣%) على العكس من الذكور الذي شهد التوزيع الفني التراجع فبعد أن كانت النسبة ٩٧,٧% عام ١٩٧٥ ، أصبحت عام ٢٠١٧ (٦٤,٧%) .

وفي أطار دعم الدولة للمرأة ، خصصت دولة الأمارات سنوياً اعتمادات كبيرة لقطاع الرعاية الاجتماعية لتوفير الاستقرار الاجتماعي للمواطنين ، وقد اعتمدت الدولة على سبيل المثال في ميزانية العام ٢٠٠٠ أكثر من (٣ مليارات و ٣٠٨ ملايين و ١٤٠٠ألف درهم) لقطاع الخدمات والرعاية الاجتماعية ، وتهدف الى تحقيق المساوات والعدالة وتنمية المجتمع ورعاية الأسرة وحماية الطفولة وتوجيه الشباب وتأهيل المعاقين والعجزة والأرامل والمطلقات والأيتام، وذلك بمنحهم أعانات شهرية تكفي للوفاء بمتطلبات الحياة الكريمة لهم وحقاً لقانون الضمان الاجتماعي ، وقد أصدر رئيس الدولة في بداية العام ١٩٩٩ قانون المعاشات والتأمينات الاجتماعية للمواطنين ، وقانون الهيئة العامة للمعاشات والتأمينات الاجتماعية للمواطنين ، اللذان يوفران للمواطنين مضلة آمنة للضمان الاجتماعي [٤٩] .

كما سجلت المرأة الإماراتية تطوراً ملحوظاً كماً ونوعاً ، فقد تضاعفت عددياً أربعة وخمسين مرة منذ عام ١٩٦٠ وحتى عام ٢٠١٥ حيث وصل تعدادها الى ٢٦٠,٧٩١ بعد أن كانت ٤,٨٥٣ في عام ١٩٦٠ مشكلة بذلك ٤٨,٦% من المواطنين ، ويتميز التوزيع العمري للمرأة الإماراتية بالميل نحو الفئات العمرية الشابة حيث أن ٣٨,٤% تقل أعمارهن عن خمسة عشر عاماً ، في حين ٩٥,٤ في سن العمل والعطاء (١٥-٦٤سنة) [٥٠] .

إنَّ تحديد نسبة السكان خطوة أساسية لعملية التخطيط ورسم السياسات ووضع البرامج التنموية ، وتوفير فرص العمل والخدمات.

الإعلانات والاتفاقيات التي صادقت عليها دولة الإمارات العربية المتحدة :

أولاً: صادقت دولة الإمارات من خلال المرسوم الاتحادي رقم (٦) لسنة ٢٠٠٣ في شأن أنشاء منظمة المرأة العربية ، حيث صادقا على اتفاقية أنشاء المنظمة ، تأكيداً لأهمية التنسيق بين جهود وخطط الدول العربية الرامية لتطوير المرأة وتعزيز إسهاماتها .

ثانياً: الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر بقرار الجمعية العامة في العاشر من ديسمبر عام ١٩٤٨.

ثالثاً: الاتفاقية الدولية للقضاء على جميع أشكال التمييز العنصري عام ١٩٧٤.

رابعاً: اتفاقية حقوق الطفل عام ١٩٩٠ [٥١] .

خامسا: الاتفاقية الدولية للقضاء على جميع أشكال التمييز العنصري ضد المرأة لعام ١٩٧٩[٥٢].

سادساً: اتفاقية العمل ليلاً (النساء) المعدلة عام ١٩٤٨ .

سابعاً: الاتفاقية رقم (١٠٠) الخاصة بمساواة العمال والعاملات في الأجر لدى تساوي قيمة العمل التي أعتمدها المؤتمر العام لمنظمة العمل الدولية في عام ١٩٥١.

ثامناً: بروتوكول منع وقمع الإتجار بالأشخاص وخاصةً النساء والأطفال المكمل لاتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الجريمة المنظمة عبر الوطنية لعام ٢٠٠٠.

تاسعاً: الاتفاقية الدولية الشاملة والمتكاملة لحماية وتعزيز حقوق المعاقين وكرامتهم . [٥٣]

إنَّ مصادقة وتوقيع دولة الإمارات على الرغم من بعض التحفظات على بعض المواد الواردة في الإعلانات والاتفاقيات الدولية أنما عكس أيمان الدولة بحقوق الإنسان الأساسية وتساوي الرجال والنساء في الحقوق وعزمها على النهوض والتقدم .

الخاتمة :

تمكنت دولة الإمارات وفي فترة وجيزة من عمرها على إيجاد تشريعات متكاملة في جميع مناحي الحياة دون تمييز بين مواطنيها، واستطاعت من خلالها أن تخلق مجتمع يسوده المساواة في الحقوق والواجبات .

استطاعت المرأة الإماراتية ان تحقق العديد من الإنجازات تكتسب العديد من الحقوق في وقت قياسي ، ويعود الفضل في ذلك الى قناعة الادارة السياسية وحثها المستمر على ضرورة النهوض بأوضاع المرأة في مختلف المجالات ، وشاركت المرأة بفعالية في العملية التنموية متزودة بالمعارف والعلوم في شتى المجالات وتمكنت من أداء أدوارها في مختلف مناحي الحياة .

إنَّ إقبال المرأة الإماراتية على التعليم فتح لها أبواب المشاركة في كافة المجالات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية ، فالتعلم أحد أهم الثوابت في تنمية الإنسان وتأهيل الأجيال لمواكبة التطورات ، فدخلن سوق العمل بكفاءة وارتفعت مشاركتهن في القوى العاملة بشكل ملحوظ . كما أثبتت جدارتها وكفاءتها لخدمة وطنها ومجتمعها في كافة الميادين .

إنَّ تسليط الضوء على التشريعات الخاصة بالمرأة الإماراتية يبرز المستوى الحضاري الذي وصلت اليه الدولة في التعامل مع قضايا المرأة .

الهوامش:

(١)الاتحاد النهائي العام ، موسوعة تشريعات المرأة في دولة الإمارات العربية المتحدة ، مطبعة الاتحاد النهائي العام ، أبو ظبي ، ٢٠١٤، ص٢١.

(٢) خالد محمد القاسمي ، التاريخ السياسي والاجتماعي لدولة الإمارات العربية المتحدة ١٩٤٥-١٩٩١، المكتب الجامعي ، الاسكندرية ، ١٩٩٣، ص٤١٢.

(٣) عبد الرحيم عبد اللطيف الشاهين ، التعليم في الإمارات نحو استراتيجية لأنسان المستقبل ، مطبعة البيان، دبي، ١٩٩٩، ص١١٢.

(٤) عبد العزيز البسام ، السياسة التربوية في دولة الإمارات واقعها واتجاهها وتطويرها ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت، ١٩٨١، ص٥٠٤.

(٥) الاتحاد النسائي العام لموسوعة تشريعات ...، المصدر السابق، ص ٩٩.

(٦) المركز الوطني للإحصاء ، المرأة الإماراتية بين الأمس واليوم ٢٠١٧، إصدار المركز الوطني للإحصاء ، أبو ظبي ، ٢٠١٧، ص٢٥.

(٧) الاتحاد النهائي العام ، موسوعة تشريعات ...، المصدر السابق ، ص٩٩-١٠٠.

(٨) محمد رشيد الفيل ، التكامل الاجتماعي والسياسة المكانية الموحدة لدول الخليج العربي ، جامعة الكويت، ١٩٨٧، ص٤٠٢.

(٩) المركز الوطني للإحصاء ، المرأة الإماراتية بين الأمس واليوم ، ٢٠١٦، إصدار المركز الوطني للإحصاء ، ابو ظبي ، ٢٠١٦، ص٤٤.

(١٠) المصدر نفسه ، ص ٤٥.

(١١) المركز الوطني للإحصاء ، المرأة الإماراتية بين الأمس واليوم ٢٠١٧، إصدار المركز الوطني للإحصاء ، ابو ظبي، ٢٠١٧، ص ٤٥.

(١٢) مريم سلطان لوتان ، التعليم والتنمية في دولة الإمارات، ندوة الثقافة والعلوم، دولة الإمارات العربية المتحدة ، ١٩٩٥، ص٢٤٤.

(١٣) يوسف محمد المدفعي ، زايد والإمارات بناء دولة الاتحاد، هيئة ابو ظبي للثقافة والتراث ، ابو ظبي ، ٢٠٠٨، ص ٢٢٨.

(١٤) محمد رشيد الفيل ، المصدر السابق ، ص ٤٠٢.

(١٥) فخري رشيد خضير وآخرون، التربية في مجتمع الإمارات العربية المتحدة مكتبة المكتبة ، ايو ظبي، ١٩٩٨، ص ٢٦٥.

(١٦) سمير غوبية ، دولة الإمارات العربية المتحدة ، شركة ابو ظبي للطباعة والنشر ، ابو ظبي ، ٢٠٠١، ص ١٠٧.

(١٧) عبد الهادي محمد بكر، الأعمال التاريخية للشيخ زايد آل نهيان، مركز الراية للنشر، القاهرة، ٢٠١١، ص ١٤٩.

(١٨) المركز الوطني للإحصاء ، المرأة الإماراتية ..، ٢٠١٦، المصدر السابق ص ٥٧.

(١٩) المركز الوطني للإحصاء ، المرأة الإماراتية بين الأمس واليوم ، إصدار المركز الوطني للإحصاء ، ابو ظبي، ٢٠١٨، ص ٤٦.

(٢٠) عبد الله جمعة وآخرون ، دراسات في مجتمع الإمارات، جمعية الاجتماعيين ، الشارقة ، ١٩٩٣،ص١٣٧.

(٢١) جريدة الاتحاد ، ٣ نوفمبر، ٢٠٠٧، ص ٦.

(٢٢) وزارة الأعلام والثقافة ، دولة الإمارات حقائق وأرقام، مركز التوثيق، دولة الإمارات، ١٩٩١، ص ١٥٢.

(٢٣) يوسف محمد المدفعي ، المصدر السابق ، ص ٢٣٣.

(٢٤) صلاح عبد الحميد مصطفى ، التعليم الجامعي في دولة الإمارات العربية المتحدة ، مجلة دراسات في مجتمع الإمارات، جمعية الاجتماعيين الشارقة، ١٩٩٣، ص ١٦٠.

(٢٥) وزارة الأعلام والثقافة المتحدة ، الكتاب السنوي ١٩٩٧، شركة ترايدنت بريس ليمتد، دولة الإمارات، ص ٢٣٥.

(٢٦) الاتحاد النسائي العام ، موسوعة تشريعات المرأة ...، المصدر السابق ، ص١٩٣.

(٢٧)عبد الهادي محمد بكر ، الاعمال التاريخية للشيخ زايد آل نهيان، مركز الراية للنشر ، القاهرة ، ٢٠١١، ص ١٥١.

(٢٨) الاتحاد النسائي العام ، موسوعة تشريعات المرأة ...، المصدر السابق ، ص ١٣٩.

(٢٩)الاتحاد النسائي العام ، موسوعة تشريعات المرأة ...، المصدر السابق ص ١٩٣.

(٣٠) المصدر نفسه ، ص ١٩٤.

(٣١) الاتحاد النسائي العام ، مجلة اصداء اماراتية ، العدد ٢٥ رديسمبر، ص ١٥.، الاتحاد النسائي العام ، موسوعة تشريعات المرأة ، المصدر السابق، ص ٢٠٦.

(٣٢) وزارة الاعلام والثقافة ، الكتاب السنوي ١٩٩٩، نشر شركة ترايدنت بريس ليمتد، دولة الإمارات ، ١٩٩٩، ص ٢٣٧.

(٣٣) الاتحاد النسائي العام ، مجلة أصداء أماراتية، المصدر السابق، ص ١٤.

(٣٤) مجلة آفاق المستقبل، عدد خاص بمناسبة اليوم الوطني ٢١ لدولة الإمارات العربية المتحدة ، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ، ٢٠١٣، ص ١٠.

(٣٥)وزارة الاعلام والثقافة الكتاب السنوي ٢٠٠٤، نشر حركة ترايدنت برس ليمتد ، دولة الإمارات، ٢٠٠٤، ص ٣١٩.

(٣٦) الاتحاد النسائي العام ، موسوعة تشريعات المرأة ...، المصدر السابق، ص ٢٠٨.

(٣٧) المصدر نفسه، ص ٢١٢.

(٣٨) الاتحاد النسائي العام ، موسوعة تشريعات المرأة ...، المصدر السابق، ص ٢١٤.

(٣٩) المصدر نفسه، ص ٢١٧.

(٤٠) مركز الإمارات للدراسات والاعلام ، تقرير الإمارات الاستراتيجية ٢٠٠٦، مطابع مركز الإمارات للدراسة والاعلام، ابو ظبي ، ٢٠٠٧، ص ٧٩.

(٤١) الاتحاد النسائي العام ، موسوعة تشريعات المرأة ...، المصدر السابق، ص ٢٢٠.

(٤٢) عبد الهادي محمد بكر ، الاعمال التراخية للشيخ زايد آل نهيان، مركز الراية للنشر، القاهرةو ٢٠١١، ص ١٤٧.

(٤٣) دولة الإمارات العربية المتحدة ، مختارات من خطابات صاحب ورئيس الدولة للمجلس الوطني الاتحادي وردود المجلس عليها، دولة الإمارات، ١٩٩٦، ص ١٥٩.

(٤٤) عبد الهادي محمد بكر ، المصدر السابق ، ص ١٥٢.

(٤٥) مركز الإمارات للدراسات والاعلام ، المصدر السابق، ص ٧٢.

(٤٦) الاتحاد النسائي العام، موسوعة تشريعات المرأة ...، المصدر السابق، ص ١٠٣.

(٤٧) المركز الوطني للإحصاء ، مسح القوى العاملة ، إصدار المركز الوطني للإحصاء ، ابو ظبي ٢٠١٥ .

(٤٨) المركز الوطني للإحصاء المرأة الإماراتية بين الأمس واليوم ٢٠١٨، إصدار المركز الوطني للإحصاء ، ص ٦٤.

(٤٩) وزارة الاعلام والثقافة ، الكتاب السنوي ٢٠٠٠، نشر شركة ترايدنت بريس ليمتد، دولة الإمارات ، ٢٠٠٠، ص ٢٨٥.

(٥٠) المركز الوطني للإحصاء ، احصاءات السكان للمدة ١٩٦٠ –٢٠١٥، ابو ظبي ، ٢٠١٦.

(٥١) الاتحاد النسائي العام ، موسوعة تشريعات المرأة ...' المصدر السابق، ص ٢٤٥.

(٥٢) عبد الهادي محمد بكر ، المصدر السابق، ص ١٥٢.

(٥٣) الاتحاد النسائي العام ، موسوعة تشريعات المرأة، المصدر السابق، ص ٢٤٦، المركز الوطني للإحصاء ، المرأة الإماراتية بين الأمس واليوم ٢٠١٨، المصدر السابق ، ص ٦٤ .

النشاط الاقتصادي لمدينة الموصل من خلال ما ذكرته مصادر البلدانيين وكتب الرحلات

Economic activity of the city of Mosul, through what was mentioned by the sources of the city and travel books

م. د. قيس فتحي احمد

المديرية العامة لتربية نينوى

qfah1976@yahoo.com

النشاط الاقتصادي لمدينة الموصل من خلال ما ذكرته مصادر البلدانيين وكتب الرحلات

م. د. قيس فتحي احمد

الملخص العربي

لقد شكلت مصادر البلدانيين (المصادر الجغرافية الاسلامية) وكتب الرحلات مصدراً مهماً من مصادر المعرفة التي أغنت بما حوته من مادة علمية شغف الباحثين نظير ما قدمته من المعلومات ضمت العديد من الجوانب الحضارية للبلدان التي تم ذكرها، لذا كانت لها أسهماً فاعلاً في إذكاء جذوة البحث لدى الباحثين ، وكان من بين تلك المعلومات ما تم ذكره عن اوضاع الحضارية لمدينة الموصل والتي منها النشاط الاقتصادي الذي تميزت به.

وقد تضمن البحث بالإضافة الى المقدمة تبيان اهمية الموقع الجغرافي لمدينة الموصل واصل التسمية والفتح العربي الاسلامي لها، وطبيعة مناخها، وذكر وصف البلدانيين والرحالة للمدينة ، وطبيعة النشاط الاقتصادي من نشاط زراعي ومقدار خراج ارضها ودورها في التجارة من حيث صادراتها وارداتها ودور اسواقها في الحركة التجارية ثم ايضاح اهم استنتاجات البحث واخيراً ووضع الهوامش الخاصة بمادة البحث.

Abstract

The sources of the two countries (Islamic geographical sources) and the books of the trips formed an important source of knowledge that enriched the scientific material that it contained, the researchers 'passion for what it provided of useful information that included many civilized aspects of the countries mentioned, so it had an effective contribution in fueling the research. Among the researchers, and among the information that I provided was what was mentioned about the civilization conditions of the city of Mosul, including the economic activity that characterized it.

The research included, in addition to the introduction, an explanation of the importance of the geographical location of Mosul, the name and the Arab-Islamic conquest of it, the nature of its climate, and the description of the countrymen and travelers to the city, and the nature of economic activity from agricultural activity, the amount of land absenteeism and its role in trade in terms of its exports and imports and the role of its markets in the commercial movement then Clarify the most important research findings and, finally, the margins of the research subject.

المقدمة

يخطئ من يظن أن الموصل مجرد مدينة فحسب، الموصل حضارة ، تاريخ ، موقف والموصل هوية، وقد استعصت على الغزاة، وعلى جميع من حاول الانتقاص من دورها ، والتقليل من شانها ،والتأثير على دورها في بناء كيان العراق ، وقبل ذلك في بناء كيان الأمة العربية والإسلامية.

الموصل مدينة واسعة ، جليلة مشهورة ، تعد إحدى قواعد بلاد الإسلام قليلة النظير، كبراً وعظماً وعلماً منذ القدم، لذا ولأهميتها الكبيرة على كافة المجالات ارتئينا ان نبين إسهامها ودورها في ازدهار النشاط الاقتصادي من خلال المصادر الجغرافية وكتب الرحلات التي تعد بحق مصدراً مهماً من مصادر المعرفة نظير ما قدمته من المعلومات القيمة عن الجوانب الحضارية مختلفة، لذا عدت أحد أبرز المصادر المهمة لدراسة الواقع الاقتصادي لمدينة الموصل.

فالموصل مدينة تميزت بمقومات عدة جعلتها منذ القدم مركزاً اقتصادياً مهما، فالموقع الجغرافي ، والمياه الوفيرة والأرض الخصبة ساعدا في نموها وازدهارها الاقتصادي، وقد تناولنا بالبحث والدراسة من خلال المصادر الجغرافية والرحلات دراسة نشاطها الاقتصادي وتجاري وزراعي وصناعي بعد استعراض ما قيل في ذكر اسباب تسميتها وتاريخ فتحها في العصر الاسلامي وطبيعة مناخها وما ذكره الجغرافيين والرحالة في امرها وغير ذلك ، ولأهميتها الكبيرة اردنا تبيان نشاطها الاقتصادي وإسهاماتها في الازدهار الاقتصادي للدولة العربية الاسلامية.

اولاً : الموقع الجغرافي

تميزت الموصل بموقع جغرافي مهم كان له اثر كبير على المدينة وترتب عليه العديد الصفات التي اكتسبتها بفعل اهمية موقها ويمكن تبيانم ذلك من خلال ما يأتي:

١- اصل التسمية.

تعددت الآراء التي تناولت اصل تسمية الموصل واسباب تلك التسمية فمن ذلك ، ان اصل التسمّية جاءت لأنها وصلت بين الجزيرة [١] وبلاد الشام، وذكر ان سبب التسمية لأنها وصلت بين نهر الفرات ودجلة [٢] وقيل ان الموصل تسمت الموصل لأنها وصلت بين العراق والجزيرة وفي ذلك قيل:

وبصرة الأزد منا والعراق لنا ... والمَوصلان ومنا المصِر والحَرَمُ[٣]

كما قيل انها سميت بالموصل: لأنها وصلت الموصل والحديثة، ويذكر إن الملك الذي أحدثها كان يسمّى الموصل.[٤] ومنهم من ذكر ان سبب التسمية لأنها وصلت الموصل ومدينة سنجار[٥]

والمرجح ان سبب التسمية يعود لتوسطها بلاد العراق وبلاد الشام وكونها نقطة الوصل والعبور بينهما وكونها ممر التجارة الواصلة لكلا البلدين وهذا ما أكده ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م) بقوله : " ومنها يقصد إلى جميع البلدان فهي باب العراق ومفتاح خراسان [٦]، ومحط رحال الركبان ومنها يقصد إلى جميع البلدان ، وكثيرا ما سمعت أن بلاد الدنيا العظام ثلاثة: نيسابور[٧] لأنها باب الشرق، ودمشق لأنها باب الغرب، والموصل لأن القاصد إلى الجهتين قل ما لا يمر بها " [٨]

ومن اسمائها ايضاً انها سميت بالحدباء:تأنيث الأحدب سميت بذلك لاحتداب في دجلتها واعوجاج في جريانه، وذكر ذلك في الشعر [٩] من ذلك ما انشده أمين الدولة أبو إسحاق إبراهيم بن سعيد الشاتاني (ت٥٥٤هـ/١١٥٩م) عن الحدباء فقال:

بنَفْسي ورُوحي مَن يُرَجَّى لِقاؤه . . . وعذَّبَني هِجْرانه وجَفاؤُه
لَئِنْ كانتِ الحَدْباءُ رُوحاً لأهلها . . . لقد هاج للقلبِ الحزينِ عَياؤُه
ويا راكبَ الوَجْناءِ يُفْضي به السُّرى . . . إلى المَوْصل الفَيْحاء يُعْطى رَجاؤُه [١٠]

٢- فتح الموصل.

تناولت المصادر التاريخية احداث فتح مدينة الموصل فيذكر البلاذري(ت٢٧٩هـ/٨٩٢ م): " ولى عمر بن الخطاب(ﷺ) عتبة بن فرقد السلمي [١١] سنة عشرين (٢٠هـ /٦٤٠م) فقاتله أهل نينوى فأخذ حصنها وهو الشرقي عنوة وعبر دجلة فصالحه أهل الحصن على الجزية والإذن لمن أراد الجلاء بالجلاء، ووجد بالموصل ديارات فصالحه أهلها على الجزية ، ثم ان عمر بن الخطاب(ﷺ)عين هرثمة بن عرفجة البارقي[١٢] بعد عزل عتبة بن فرقد السلمي عن الموصل [١٣]

بينما يذكر قدامة بن جعفر(ت٣٣٧هـ/٩٤٨م) ان عياض بن غنم[١٤] " لما فتح بلداً أتى الموصل ففتح أحد الحصنين وبعث عتبة بن فرقد إلى الحصن الآخر فصالح أهله وكان الصلح على أن يفرض عليهم الجزية على الرجل بقدر أرضه فكان ما بين الخمسة آلاف والأربعة آلاف كلا حسب ارضه [١٥] وكان في الموصل عند فتحها حصن للنصارى ومنازل لهم ومحلة لليهود فمصرها هرثمة فأنزل العرب منازلهم واختط لهم ثم بنى المسجد الجامع" ، لذا يذكر البلاذري " أول من اختط الموصل وأسكنها العرب ومصرها هرثمة بن عرفجة البارقي" [١٦]

وتذكر المصادر التاريخية ، عندما تولى سعيد بن عبد الملك [١٧] الولاية على الموصل سنه (٦٥هـ / ٦٨٤م)، "عمرها وبنا سورها وفرشها بالحجارة " [١٨] وحفر النهر فيها[١٩] ولكثرة اعماله واصلاحه كان يسمى بسعيد الخير" لتلك الاعمال [٢٠]

وفي ولاية الحر بن يوسف الاموي [٢١] على الموصل سنة (١٠٦هـ/ ٧٢٤م)، شهدت المدينة ازدهار كبير، فقد نظم امورها وبنا فيها قصرا مزخرف بالحجارة والرخام والفصوص الملونة ولهذا كان يسمى بالمنقوشة، لكثره ما فيه من زخارف ملونة ، كما تم حفر نهر عرف باسم نهر الحر كان يستمد ماؤه من نهر دجله[٢٢] وعرف عن مروان بن محمد [٢٣] اخر الخلفاء الامويين كان له اهتمام خاص بالموصل فقد " وسعها وجعل لها ديوان واعتنا بها خير عناية والحقاها بالأمصار العظام" [٢٤] حيث امر ان تفرش الموصل بالحجارة وان يرمم سورها [٢٥]

٣- مناخ الموصل.

اشار الجغرافيون والرحالة الى طبيعة مناخ مدينة الموصل فأشاروا الى ان هوائها اصحّ هواء من سائر البلدان[٢٦] فهي معتدلة الهواء تربتها افضل واحسن تربة [٢٧] فيذكر الاصطخري:"وأما الموصل فهي مدينة صحيحة التربة والهواء"[٢٨] ففي الربيع يكون مناخها معتدل وهواؤها طيب[٢٩] وان ذلك يجلب الصحة والقوة لذا يعلل العديد من الجغرافيين على ذلك بالقول:" كثيرا ما وجدت العلماء يذكرون في كتبهم

أن الغريب إذا أقام في الموصل سنة وجد زيادة في قوة البدن والعقل، وما نعلم لذلك سببا إلا صحة هواء الموصل وعذوبة مائها"[٣٠]

اما صيفها فقد وصف بأنه شديد الحرة ، فيذكر ياقوت الحموي" ان الموصل شديدة الحرارة في الصيف" [٣١] لدرجة جعلت القزويني يصفه بقوله:" أما في الصيف فأشبه شيء بالجحيم لشدة حرارته" ولما كانت المدينة تستخدم الحجر في تشييد بنائها فأن ذلك كان له اثره على سكان المدينة وتأثير المناخ عليها، فإن المدينة بنية من مادة حجرية جصية وهذه المادة تؤثر فيها حرارة الصيف، لذا يتطرق القزويني الى تأثيرها عليها في الصيف والشتاء ايضاً فيقول:" ان مما زاد في حرارة منازل المدينة انها مبنية من الحجر و الجص وهذه المادة تكتسب الحرارة في الصيف بسرعة كبيرة وتفقدها سريعاً في فصل الشتاء، لذلك يلجا سكانها في الصيف هرباً من حره الى الارض ذات حصباء التي تظهر في الجانب الشرقي عند انتقاص ماء نهر دجلة، حيث يتخذ الناس عليها سرراً وقباباً من القصب في وسط الماء، يسمونها السواريق ويبيتون فيها ليالي الصيف" [٣٢]

اما شتاء الموصل فقد وصف بأنه كثير البرودة [٣٣] لدرجة جعلت القزويني لشدة برودته يصفه :" كالزمهرير" اما خريفها فقد وصف بأنه كثير الحمى حتى قيل بين سنة واخرى تصاب المدينة بالأوبئة مما يتسبب بموت الكثير من الناس [٣٤]

ثانياً: ما ذكره البلدانيين (الجغرافيين) والرحالة من ثناء عن مدينة الموصل.

اشتهرت الموصل لدى الجغرافيين والرحالة فوصفوها بأفضل الصفات، فقد كانت مركزاً اقتصادياً، تجارياً ، زراعياً وصناعياً، اضافةً الى كونها تعد من اهم المراكز العلمية والفكرية في الدولة العربية الاسلامية.

يذكر ابن حوقل (ت: بعد ٣٦٧هـ/ ٩٧٧م) عن الموصل : " وبها مسكن سلطان الجزيرة ودواوينها ومجتبى أموالها وارتفاعها ولها أقاليم ورساتيق[٣٥] ومدن كثيرة مضافة اليها وجبايات زادت على ما كانت عليه فى سالف الزمان " [٣٦]

وخصها المقدسي(ت٣٩٠هـ/٩٩٩م) بقوله " الموصل بلد جليل حسن البناء طيب الهواء صحيح الماء كبير الاسم قديم الرسم حسن الأسواق والفنادق كثير الملوك والمشايخ لا يخلو من إسناد عال وفقيه مذكور "[٣٧] وينقل البكري (ت٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م)، أنّ معاوية بن ابي سفيان سأل عن الموصل وما يميزها عن بقية المدن فقيل له : " الموصل قلادة وليدة فيها من كلّ خرز" [٣٨] وهذا ما يشير الى مكانتها الجليلة ومنزلتها الرفيعة.

اما الرحالة التطيلي(ت ٥٦٩هـ/ ١١٧٣م) الذي زار المدينة وصفها بقوله:" والموصل مدينة واسعة الأرجاء، قديمة البنيان، تتاخم بلاد العجم" [٣٩] وقال عنها الرحالة ابن الجبير:(٦١٤هـ/ ١٢١٧م):"هذه المدينة عتيقة ضخمة، حصينة فخمة، قد طالت صحبتها للزمن"[٤٠]

ووصفها ياقوت الحموي(ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م) بقوله:" المدينة المشهورة العظيمة إحدى قواعد بلاد الإسلام قليلة النظير كبرا وعظما وكثرة خلق وسعة رقعة "[٤١]

كما ذكرها القزويني(ت٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م) بالمدينة العظيمة فقال:" المدينة العظيمة المشهورة التي هي إحدى قواعد بلاد الإسلام، رفيعة البناء ووسيعة الرقعة محط رحال الركبان، وأهلها أهل الخير والمروءة والطباع اللطيفة في المعاشرة والظرافة، والتدقيق في الصناعات، وما فيهم إلا من يحب المختطين" قال الشاعر:

كتب العذار على صحيفة خدّه ... سطراً يلوح لناظر المتأمّل
بالغت في استخراجه فوجدته ... لا رأي إلاّ رأي أهل الموصل[٤٢]
وبصرة الأزد منا والعراق لنا ... والموصلان، ومنا الحل والحرم[٤٣]

ويصفها الرحالة ابن بطوطة(ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م) بقوله: (وهي مدينة عتيقة كثيرة الخصب، وقلعتها المعروفة بالحدباء عظيمة الشأن شهيرة الامتناع عليها سور محكم البناء مشيّد البروج، وتتّصل بها دور السلطان " [٤٤] وفي ضوء تلك الكتابات نجد ان جميع المصادر الجغرافية وكتب الرحلات قد اجمعت على اهمية ودور مدينة الموصل وعدوها من اهم مراكز وقواعد بلاد الاسلام المشهورة .

ثالثاً: النشاط الاقتصادي لمدينة الموصل في ضوء ما ذكرته المصادر البلدانيين (الجغرافية) والرحلات.

لقد تعددت الانشطة الاقتصادية التي ظهرت في مدينة الموصل وعرفت بتنوعها ويمكن لنا ان نبين تلك الانشطة الاقتصادية على النحو التالي.

١- النشاط الزراعي .

تميزت مدينة الموصل بخصب ارضيها وكثرة إمطارها ووجود نهر دجلة الذي كان له دور في سقاية المزارع والبساتين التي كانت تنتشر على ضفتي النهر لذا اشتهرت بإنتاجها الزراعي وتنوع محاصيلها المختلفة حتى ان العرب كانت تضرب المثل بها لخصوبة أرضها وغناها، ذكر الأصمعيّ(ت٢١٦هـ/٨٣١م): " كانت قريش تسأل في الجاهليّة عن خصب باعربايا وهي الموصل لقدرها عندهم، ولم ينلهم في خصبها شيء قطّ، وعن ريف الجزيرة وما يليها، لأنها تعدل في الخصب باعربايا، وفي التمر البصرة وفي السمك عمان" [٤٥]

ويذكر ابن حوقل ان مدينة الموصل تميزت بكثرة رساتيقها وانها كثيرة الخير والخصب [٤٦] فيذكر "وأمّا الموصل صحيحة التربة والهواء وفيها نهر يقطعها في وسطها" [٤٧]وكان اهل الموصل إذا نقص منسوب ماء نهر دجلة وظهرت الأرض فيه بادروا الى زراعتها انواع الخضار، ويعملون قرب النهر القباب مقثاة ويبقى ذلك إلى أول الشتاء[٤٨] وكذلك انتشرت المزارع على جانبي نهر الخوصر [٤٩] فعرفت ببساتينها النزهة التي وصفت بأنها في غاية الحسن والطيب[٥٠]

واكثر ما اشتهرت به الموصل كثرة زراعة القمح والشعير والقطن ايضاً ومما زاد من زراعتها لهما خصوبة الارض وكثرة الامطار التي تسقط في الشتاء وقد انتشرت زراعتهما في مختلف الرساتيق المحيطة بالمدينة [٥١] من ذلك رستاق نينوى ورستاق المرج اللذان عرفا بسعتهماورستاق باعذرا وهو أيضا كبير[٥٢] واغلب مناطق وتوابع الموصل اشتهرت بذلك، وعند زيارة ابن حوقل لمدينة الموصل سنة (٣٥٨هـ /٩٦٨م)، اشار الى غزارة محصول القمح والشعير في موسم الحصاد الذي صادف ان تكون زيارته مزامنة لموسم الحصاد فيها فقال : " وحضرت مدينة الموصل آخر دخلة دخلتها سنة ثمان وخمسين ، فألفيت ارتفاعها من الحاصل ستّة آلف كرّ[٥٣] حنطة وشعيرا قيمتها من الورق ثلاثة آلف ألف درهم ومن الحبوب والقطانى ثلاثمائة كرّ قيمتها من العين عشرة آلف دينار" [٥٤]

ومن ما اشتهرت به الموصل من المحاصيل ايضاً الكمثري والعنب [٥٥] و الكروم وغيرها من الفواكه والخضر[٥٦] ففي شرق الموصل مثلاً عرفت عدة قرى زراعية اشتهرت بكثرة محاصيلها منها ، قرية باصفوا التي كان يكثر بها البساتين والكروم [٥٧] وكذلك قرية العمرانية يكثر فيها ايضاً زراعة كروم[٥٨] وكانت الفاضليّة وهي قرية كبيرة شرق الموصل ايضاً يكثر بها الكروم والبساتين المتنوعة [٥٩] وكذلك قرية شرملة عرفت بزراعتها للرمان [٦٠]

كما كانت العديد من المحاصيل الزراعية تحمل اليها من سائر نواحيها الاخرى[٦١] فمن مدينة سنجار كان يجلب منها صنوف الزراعة كالسماق والجوز واللوز والزيتون والأترجّ ونارنج والسمسم والرمّان الكبير [٦٢] ومن باعشيقا[٦٣] التي تكثر فيها بساتين الزيتون والنارنج [٦٤]

واشتهرت الموصل بالعديد من النباتات الزراعية التي كان لها استخدامات طبية منها نبات الأقحوان والذي يعرف ايضاً بالبابونج، ففي مدينة الموصل الشيء كثير منه وهو نوعان جبلية تنبت في الجبال الباردة جداً والنوع الثاني يزرعونه في البساتين وفي البيوت ، وله رائحة طيبة كان يستخدم في علاج عدة امراض منها الحصا والربو وغيرها وكذلك نبات الحاج : وهو شجر مشوك يعرف بالعاقول كان أهل الموصل يستخرجون عصارته ويستخدمونها في علاج امراض العين ولاسيما جلو بياضها [٦٥]

٢- خراج ارض الموصل.

اشار الرحالة والبلدانيين (الجغرافيين) الى قيمة ما كانت عليه اموال خراج مدينة الموصل ففي عهد مروان بن محمد بن مروان اخر خلفاء الدولة الأموية كان خراج الموصل يبلغ أربعة آلاف ألف درهم [٦٦] ويذكر ابن خرداذبة (المتوفى: نحو ٢٨٠هـ)ان خراج الموصل كان في عهده الفى الف وسبع مائة الف وخمسين الف درهم [٦٧]

وينقل ابن حوقل (ت: بعد ٣٦٧هـ/ ٩٧٧م) ان خراج الموصل ارتفع كثيراً في عهده وبلغ نحو خمسين ألف دينار [٦٨] ويذكر الجغرافي المنجم، (ت. في القرن ٤هـ/ ١٠٠٩م) ان خراج الموصل في

عهده بلغ ستة آلاف ألف وثلاثمائة ألف [٦٩] واشار الثعالبي (ت ٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م)،ان خراج الموصل بلغ في عهده أربعة وعشرون ألف ألف درهم ومن العسل عشرون ألف رطل [٧٠]

وربما نجد فيما ذكرنا تفاوت في مقدار الخراج المتحصل من مدينة الموصل بين سنة واخرى ، وهذا امر طبيعي مرده ان الموصل كانت تتأثر بكمية الامطار التي تسقط، وهذا ما يؤثر في انتاجها من الحبوب ولاسيما القمح والشعير، فإذا كانت كمية الامطار التي تسقي الزرع جيد كان موسم الحصاد جيد وبالتالي خراج الارض جيد ايضاً، والعكس يكون ففي سنة الجدب وقلة الامطار تقل المحاصيل فبالضرورة يقل ما يتم استحصاله من خراج الارض ايضاً وهذا ما يفسر تذبذب مقدار الخراج المتحصل بين سنة واخرى.

٣- النشاط الصناعي والموارد الطبيعية

اشتهرت الموصل بالعديد من الحرف والصناعات التي تم ذكرها من خلال كتب البلدانيين (الجغرافية) والرحلات ومن تلك ،الصناعات الحديدية حيث يتم استخراج الحديد من منطقة قرب حصن هرور الواقع شمال الموصل [٧١] ويتم استخدم معدنه في العديد من الصناعات منها صناعة الاسطال والسكاكين والنشّاب ونعل الخيل، كما عرفت مدينة الموصل صناعة الدقيق والسكر والجبن [٧٢] والسلاسل [٧٣] كما اشتهرت بصناعة الرخام وعمل الفسيفساء وغيرها من الصناعات الاخرى [٧٤]

وقد ذكر الرحالة والجغرافيين الذين كتبوا عن الموصل وجود صناعة الطواحين الخاصة بطحن القمح حيث كانت تقام على نهر دجلة ، ووصفوا ما كانت عليها تلك الطواحين من موضع تشييدها و الية العمل فيها وكيف انتفع اهل الموصل من ذلك النهر وتوظيفه لخدمة اهل المدينة لأغراض عدة منها استغلال جريان ماءه لتحريك النواعير الخاصة لطحن القمح التي كانت يتم صناعتها من الخشب القوي والحديد.

وقد وصف ابن حوقل ، تلك النواعير والطواحين والية عملها فقال:" كان بالموصل فى وسط دجلة مطاحن تعرف بالعروب يقلّ نظيرها في كثير من الأرض لأنّها قائمة في وسط ماء شديد الجريان موثّقة بالسلاسل الحديد في كلّ عربة منها أربعة أحجار ويطحن كلّ حجرين في اليوم والليلة خمسين وقرا[٧٥] وهذه العروب من الخشب والحديد " [٧٦]

ويذكر القزويني :" أن وأهل الموصل انتفعوا بدجلة انتفاعاً كثيراً مثل شق القناة منها، ونصب النواعير على الماء يديرها الماء بنفسه، ونصب العربات وهي الطواحين التي يديرها الماء في وسط دجلة في سفينة، وتنقل من موضع إلى موضع "[٧٧] ويقال إذا أراد الطحان يوقف حجر الطحن يوقفه والماء يجري على حاله، ولا تدور الرحى حتى يفرغ الطحان من شغله، فإذا فرغ اعاد تشغيلها ، فشرع في الدوران" [٧٨]

ومما اشتهرت به الموصل وذاعت شهرتها به هو صناعة المنسوجات المختلفة حتى ضرب بها المثل لدقة وحرفية صناعها ومهارتهم العالية فيه لذا كانت تطلب منسوجاتها التي عرفت باسمها في بلاد عدة ونافست منسوجات بلاد الشام ومصر بل فاقتها [٧٩] كما اشتهرت الموصل بصناعة المسوح [٨٠] التي عرفت بجودتها ايضاً [٨١] وقد وصف القزويني دقت الصناعة الموصلية واشاد بها وبجودة صناعها[٨٢]

اما عن الثروة طبيعية التي وجدت في مدينة الموصل فقد عرفت عن الموصل انتشار مادة القير، التي اشتهرت بها منطقة القيارة الواقعة جنوب مدينة الموصل فكان يتم استخراجه من عدة عيون تفور مع الماء حار الذي يخرج من باطن الارض و يصب في نهر دجلة حيث صنعت احواض خاصة قرب مصبه يتم عندها جمع مادة القار [٨٣] الذي يكون اشبه بالصلصال أسود اللون أملس الملمس ، يلتصق بالإصبع لأول اللمس، وبعدها يترك ليجف ويبرد ثم يتم جمعه [٨٤] وينقل لنا ياقوت الحموي طريقة جمع القار فيذكر :" يتم جمع هذا القير ويغرفونه من مائه ويطرحونه على الأرض، ولهم قدور حديد مركبة على مستوقدات فيطرح القير في القدور وينحل له ويطرح عليه بمقدار يعرفونه ويوقد تحته حتى يذوب ويختلط بالرمل، وهم يحركونه تحريكا فإذا بلغ حد استحكامه صب على وجه الأرض"[٨٥] وبعد ان ينشف من رطوبته ، يتم تقطيعه على شكل قطراناً ويحملونه الى مناطق عدة من البلاد ولاسيما بلاد الشام وبخاصة المدن الساحلية منها عكا، وغيرها من المدن البحرية[٨٦] حيث يتم استخدمها على شكل كرات نارية ترمى بها سفن العدو فيتم حرقها بسبب احتوائها على مادة سريعة الاشتعال حتى الماء لا يطفئ نارها.

واضافة الى ذلك بأن اهل الموصل يقصدون عيون القير من اجل العلاج والشفاء من بعض الامراض الجلدية ، حيث يستحمون بذلك الماء الحار الكبريتي الذي يخرج مع القار " لأنه يقوم مقام الحمامات في قلع البثور وغيرها " [٨٧]

٣- النشاط التجاري .

لقد وصفت مدينة الموصل ومنذ القدم بأنها محطة للقوافل التجارية التي تصل اليها من مختلف البلدان اما لا آجل المتاجرة معها او لكونها مركز تجاري تمر منها القوافل التجارية المحملة بالبضائع الى مختلف البلدان ومن تلك الاهمية التجارية اطلق عليها اسم الموصل لأنها توصل بين الاقطار المختلفة كما ذكرنا سابقاً ، لذا قال عنها البلدانيين بأنها :" محط رحال الركبان ومنها يقصد إلى جميع البلدان"[٨٨]

وما زالت الى الان تعد واحدة من أهم المدن التجارية التي تضاهي كبريات المدن في العالم الاسلامي ، ومن اجل تبيان تلك الاهمية وسبب ذلك التفرد لابد من الاشارة الى ما ذكره ياقوت الحموي عن الموصل واهميتها بقوله : " فهي محط رحال الركبان ومنها يقصد إلى جميع البلدان فهي باب العراق ومفتاح خراسان ومنها يقصد إلى أذربيجان، وكثيرا ما سمعت أن بلاد الدنيا العظام ثلاثة: نيسابور لأنها

باب الشرق، ودمشق لأنها باب الغرب، والموصل لأن القاصد إلى الجهتين قل ما لا يمر به"[٨٩] وهذا ما يفسر تلك المكانة الكبيرة التي حظيت بها مدينة الموصل سابقاً وحالياً.

اما عن المحطات التي كانت تقف بها التجارة القادمة الى الموصل فنذكر من تلك المحطات محطة بلاباذ [٩٠] حيث تنزلها القوافل التجارية وتبيت في خان للسبيل فيها، ومحطة العقر[٩١] وهي أول حدود أعمال الموصل من جهة العراق [٩٢] ومحطة عند قرية جدال[٩٣] حيث يوجد عندها خان تنزله القوافل [٩٤]

أ - صادرات الموصل

كان التجار يحملون من الموصل ما ينتج فيها او ما يصل اليها من السلع والبضائع من غيرها من البلدان الى بغداد عبر السفن التي تبحر في نهر دجلة حيث تصل محملة بالعديد من تلك السلع فتصدر الموصل لبغداد الحبوب والعسل والفحم والشحوم والجبن والمنّ والسمّاق وحبّ الرمّان والقير والحديد والاسطال والسكاكين والنشّاب والطّريخ الفائق [٩٥] والدقيق والسكر والعسل والسمن ونعل للخيل [٩٦] والمسوح والدراج والسماني [٩٧] والسلاسل و اللوز والقصب ، والفواكه والموازين ، وكان يحمل لها ايضاً الصابون والزيت والأقلام، والقطن، والجوز واللوز والسفرجل ، والثياب الصوف والكتّان الروميّة [٩٨]

وكانت هذه السفن التجارية القادمة من الموصل والمحملة بالبضائع والسلع، تستقر قرب باب الشعير [٩٩] عند وصولها الى بغداد حيث يتم تفريغ حمولتها [١٠٠] ولأهمية الموصل ودورها في تمويل بغداد يقول المقدسي " الموصل منها ميرة بغداد واليه قوافل الرحاب "[١٠١] وينقل ابن تغرى بردي : " بغداد لا تمير أهلها فضلاً عن غيرهم لأن طعامها وأقوات ساكنيها من الموصل وأعماله والفرات وأعماله وديار مضر وربيعة" ويذكر ايضاً "وأما بغداد فإنها تميز نفسها أربعة أشهر، وتميرها الموصل أربعة أشهر، وتميرها واسط أربعة أشهر" [١٠٢]

وكانت الموصل تجهز مدينة سرى من رأى (سامراء) بما تحتاجه من البضائع المختلفة عن طريق السفن، حتى بلغت حجم تجارتها في أسواقها عشرة آلاف ألف درهم في السنة[١٠٣] كما اشتهرت بتصدير العسل الى أصفهان [١٠٤] حيث يجلب منها بكميات كبيرة[١٠٥]

كما كانت الموصل تصدر المنسوجات المختلفة التي عرفت باسمها الى العديد من البلدان ونافست منسوجات بلاد الشام ومصر بل فاقتها جودة وكثرة طلباً من البلدان ، ففي سنة (٨٣٢هـ /١٤٢٨م) ذكر المقريزي " أن التجارة الواردة إلى القاهرة من الموصل تربح فيما تجلبه من الثياب المنسوجة من القطن مالا كثيرا فألزم السماسرة أن لا تبيع لأحد من هذا الصنف شيئا بل يكون بأجمعه متجرا للسلطان (اي حكراً للسلطان المملوكي) فأخذ تاجر ومعه ثمانون ثوبا وأخذ آخر ومعه عشرة ثياب وقومت بأقل من ثمنها في بلادها وكتب إلى بلاد الشام بأن لا تمكن التجار من حمل شيء من ذلك إلى القاهرة فصادف قدوم قفل من الموصل إلى مدينة حماة بثياب موصلية فرسم عليهم حتى رحلوا من حماة، مما معهم

وعبروا إلى البرية عائدين إلى بلادهم، واحتج عليهم بأنهم ردوهم لأن طول الثياب نقص عن ثلاثين ذراعا كل ثوب وأنه لا يمكن أحد منهم أن يبيع ثوبا حتى يكون ثلاثين ذراعا في عرض ذراع ونصف وأن لا يكون فيها ثوب يغلو ثمنه فحل بالناس بلاء لا يمكن حكايته وخربت الموصل بعد ذلك وبطل عمل الثياب" [١٠٦]

ب- واردات الموصل

استوردت مدينة الموصل مختلف البضائع من بلدان عدا فقد كان المراكب البحرية تحمل اليها من جزيرة ابن عمر[١٠٧] العسل والسمن والمنّ والجبن والجوز واللوز والبندق والزبيب والتين الى غير ذلك من الأنواع [١٠٨] ومن مدينة سنجار اللوز وحبّ رمّان والقصب ، ومن نصيبين[١٠٩] شاه بلّوط وهو شيء أكبر من البندق وأطيب ليس بمدوّر والفواكه والموازين ، ومن مدينة الرقّة[١١٠] الصابون والزيت والأقلام، ومن حرّان[١١١] القبّيط [١١٢] وعسل النحل في ادنن والقطن والموازين ، ومن الجزيرة الجوز واللوز والسمن والخيل ، ومن الحسنيّة[١١٣] الجبن والقبج والفواكه المقدّدة والزبيب، ومن معلثايا[١١٤] الألبان والفحم والأعناب والفواكه الرطبة ومن بلد [١١٥] كان يجلب اللّبأ[١١٦] في القدور تحمل على الزوارق ، ومن الرّحبة[١١٧]السفرجل ، ومن آمد [١١٨] ثياب الصوف والكتّان الروميّة على عمل الصقليّ [١١٩] ومن بلاد شهرزور [١٢٠] التي تشتهر ببساتين الفاكهة من الرمّان وغيره فتحمل من فاكهتها الى الموصل وينادى عليه باسمها وربّما أبيع فاكهة غيرها باسمها لشهرتها بالجيّد[١٢١] ومن اشنه[١٢٢] والمراغة [١٢٣] ويجلب منها ومن سوادها الأغنام والدوابّ والعسل واللوز والجوز والشمع الى الموصل[١٢٤] ومن بسومة التي هي ناحية بين الموصل وبلد يجلب منها حجارة الأرحاء الخاصة بالطحن [١٢٥] وجميع ذلك كان يتم المتاجرة به ايضاً الى بغداد ومدينة وسرى من رأى وغيرهما من المدن كما اوضحنا سالفاً.

٤- اسواق الموصل.

وصفت اسواق الموصل بحسن التنظيم وجمال المنظر فيذكر ابن حوقل وصفا لما كانت عليه اسواق الموصل من نشاط فيقول " الموصل كثرة الضياع وعظمية المحلّ وغزر السكّان وأهل الأسواق إذ كانت أسواقها واسعة وأحوالها في الشرف والفخم ظاهرة، وكان بها لكلّ جنس من الأسواق الاثنان والأربعة والثلاثة ممّا يكون فى السوق المائة حانوت وزائد وبها من الفنادق والمحالّ والحمّامات والرحاب والساحات والعمارات ما دعت اليها سكّان البلاد النائية فقطنوها وجذبتهم اليها برخصها وميرها وصلاح أسعارها فسكنوها" [١٢٦] ويذكر ياقوت الحموي ما وجد من البضائع في اسواق الموصل فقال: " وقل ما عدم شيء من الخيرات في بلد من البلدان إلا ووجد فيها" [١٢٧] وكانت أكثر أسواق الموصل مغطّاة (مسقفة) تحمي الناس من حرارة الشمس صيفاً ومن الامطار شتاءً [١٢٨] لذا وصفت بأنها " أسواق حافلة عجيبة الترتيب مسقفة كلها بالخشب لا يزال أهلها في ظل بارد" [١٢٩] ويصف المقدسي اسواق الموصل

بأنها من الأسواق الحسنة التي تظم العديد من الفنادق [١٣٠] وهذا ما كان يسهل على التجار حرية الحركة والتبضع لقرب اماكن اقامتهم من الاسواق .

وقد اشتهرت قيساريات [١٣١] الموصل بجمالها وحسن تنظيمها وقد ذكر منها القيسارية التي أنشأها مجاهد الدين قيماز [١٣٢] داخل المدينة وهي قيسارية كبيرة وصفت بكونها " كأنها الخان العظيم" لسعت وكبر عمارتها [١٣٣] فقد كانت ابوابها تغلق بأبواب صنعت من الحديد، وبنا حولها مجموعة من الدكاكين والبيوت بعضها على بعض وقد وصفها الرحالة ابن جبير بقوله: " قد جلي ذلك كله في أعظم صورة من البناء المزخرف الذي لا مثيل له، فما أرى في البلاد قيسارية تعدلها "[١٣٤] واثنا عليها الرحالة ابن بطوطة ووصف حالها " بمليحة لها أبواب حديد ويدور بها دكاكين، وبيوت بعضها فوق بعض متقنة البناء " [١٣٥]

واسواق الموصل كانت عدة ولها تسميات و لها أوقات معلومة عند افتتحها او اغلاقها اذ يجتمع الناس وتنتشر البضائع والمتاع وسائر صنوف التجارة ومن تلك الاسواق المشهورة في المدينة سوق الطعام [١٣٦] وسوق يعرف بسوق الأربعاء كان يوجد داخلة فضاء واسع يجتمع اصحاب البضائع [١٣٧] وسوق يعرف بسوق الأحد يحضره الاكراد [١٣٨] وربما من خلال التسمية يتضح ان انعقاده يكون مخصص بيوم الاحد من كل اسبوع بدليل قوله ان الاكراد تنزل اليه والكرد لا ينزلون الى المدينة بصورة يومية لبعد المسافة.

الاستنتاجات :

بعد البحث والتقصي في موضوع النشاط الاقتصادي لمدينة الموصل من خلال ما اوردته المصادر كتب البلدان (الجغرافية) والرحلات توصل الباحث الى الاستنتاجات اوالنتائج التالية

١- الموصل احدى روافد العطاء في الحضارة العربية الإسلامية التي لا تقل في اهميتها عن الحواضر الإسلامية الأخرى. وكان لهم دور بارز في التاريخ الحضاري للامة العربية والاسلامية والنهوض بها في جميع المجالات ومنها المجال الاقتصادي.

٢- تميزت الموصل بمقومات عدة جعلتها منذ القدم مركزاً اقتصادياً مهما، فالموقع الجغرافي ، والمياه الوفيرة والأرض الخصبة ساعدوا في نمو وزدهار الانشطة الاقتصادية فيها.

٣- المصادر الجغرافية والرحلات بينت اهمية مدينة الموصل وكونها مركزاً اقتصادياً وتجارياً وزراعياً وصناعياً، اضافة الى كونها مركزاً علمياً وفكرياً مهم. لذا عدوها من امهات المدن الاسلامية و إحدى قواعد بلاد الإسلام قليلة النظير كبراً وعظماً وعلماً منذ القدم .

٤- عرف عن مدينة الموصل بخصب ارضيها وكثرة إمطارها ووجود نهر دجلة الذي كان له دور في ازدهارها وجعلها منطقة جذب للسكن والاقامةعلى ضفتي النهر ومنذو قديم الزمان فالموصل هبة

نهر دجلة وسبب وجودها لانتشار الزراعة وتنوع محاصيلها المختلفة حتى ان العرب كانت تضرب المثل بها لخصوبة أراضها.

٥- تميزت اسواق الموصل بالنشاط وكثرة ما وجد بها من اصناف السلع والبضائع المختلفة التي كانت تنتج داخل المدينة او تجلب من خارجها لذا كان التجار تحمل من الموصل تلك السلع الى مختلف المناطق والمدن المجاورة.

٦- تعد الموصل واحدة من أهم المدن الصناعية والتجاري التي تضاهي كبريات المدن في العالم الاسلامي .

الهوامش:

(١) **الجزيرة** : وهي الارض الواقعة بين نهر دجلة والفرات وتضم ديار مضر وديار بكر، وبها مدن وحصون وقلاع كثيرة، ومن ابرز مدنها الموصل حران والرها والرقة ورأس عين ونصيبين وسنجار والخابور وماردين وآمد وميافارقين وغير ذلك. ينظر: الاصطخري، أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الكرخي (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م)، المسالك والممالك، دار صادر، (بيروت: ٢٠٠٤م) ،ص٧١ ؛ ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، معجم البلدان، ط٢، دار صادر،(بيروت: ١٩٩٥م)، ١٣٤/٢.

(٢) ابن الفقيه، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق الهمداني (ت ٣٦٥هـ/ ٩٧٥م)، البلدان ، تحقيق: يوسف الهادي، ط١، عالم الكتب، (بيروت: ١٤١٦هـ /١٩٩٦ م)، ص ٨٤،١٧٦ ؛ البكري ، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (ت ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م)، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ط٣، عالم الكتب، (بيروت:١٤٠٣هـ)، ص١٠٩.

(٣) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد(ت ٥٣٨هـ/ ١١٤٣م)، الجبال والأمكنة والمياه، تحقيق: د/ أحمد عبد التواب عوض ، دار الفضيلة للنشر والتوزيع ،(القاهرة :١٣١٩هـ/ ١٩٩٩م)،ص ٣٢١.

(٤) البغدادي، صفيّ الدين عبد المؤمن بن عبد الحق بن شمائل (ت ٧٣٩هـ/١٣٣٨م)، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ط١، دار الجيل، (بيروت:١٤١٢هـ)،٣/ ١٣٣٣.

(٥) **سنجار**: مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة، بينها وبين الموصل ثلاثة أيام، مجاورة لجبل سنجار . ينظر: البغدادي ، مراصد الاطلاع ، ٧٤٣/٢.

(٦) **خراسان**: بلاد واسعة أول حدودها مما يلي العراق وآخر حدودها مما يلي الهند، يحيط بها من شرقيّها نواحى سجستان والهند الى حدود كابل وغربيّها صحراء الغزّيّة ونواحى جرجان وشماليّها ما بلاد وراء النهر وقسم من بلد الترك وجنوبيّها صحراء فارس و جبال الديلم ، بها مدن كبرى منها نيسابور وهراة ومرو، ، وبلخ وطالقان ونسا وأبيورد وسرخس وغيرها من المدن ، فتحت أكثر هذه البلاد في خلافة عمر بن الخطاب(ﷺ) في سنة(١٨هـ /٦٣٩م) واكمل فتح ما تبقى منها سنة (٣١ هـ /٦٥١م) في خلافة عثمان ابن عفان(ﷺ). ينظر: الاصطخري، المسالك والممالك، ص ٢٥٣؛ ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادي الموصلي، (توفى: بعد ٣٦٧هـ/٩٧٧م)،

صورة الأرض، دار صادر،(بيروت:١٩٣٨م)،٢/ ٤٢٦؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ،٢/ ٣٥٠- ٣٥٢؛ ابن عبد الحق البغدادي، مراصد الاطلاع ، ١/ ٤٥٥.

(٧) **نيسابور**: مدينة كبيرة تقع ضمن اقليم خراسان واسعة تضم العديد من النواحي منها نسا، وأبيور وطوس وغرها ، فتحها العرب المسلمون في أيام عثمان بن عفان، (ﷺ) سنة(٣١هـ/ ٦٥١م). ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان،٥/ ٣٣١، ٣٣٢؛ البغدادي، مراصد الاطلاع ، ٣/ ١٤١١.

(٨) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٥/ ٢٢٣.

(٩) البغدادي ، مراصد الاطلاع، ١/ ٣٨٥؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان ،٢/ ٢٢٧.

(١٠) الأصبهاني ، أبو عبد الله عماد الدين بن محمد بن صفي أبو الفرج محمد بن نفيس الدين (ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م) ، خريدة القصر وجريدة العصر – قسم شعراء بلاد الشام ، تحقيق : د. شكري فيصل، المجمع العلمي العراقي ، (العراق:١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م)،٩/ ٥٤٤.

(١١) **ابو عبدالله عتبة بن فرقد** بن يربوع بن حبيب بن مالك بن أسعد بن رفاعة السلمي شهد فتح خيبر، وذكر انه غزا مع رسول (ﷺ) غزوتين ، ولاه عمر بن الخطاب (ﷺ) ، فتح الموصل مع عياض بن غنم، لم اقف على سنة وفاته غير انها كانت في الكوفة. ينظر: ابن قانع ، أبو الحسين عبد الباقي بن قانع (ت ٣٥١هـ /٩٦٢م) ، معجم الصحابة ، تحقيق : صلاح بن سالم المصراتي ، مكتبة الغرباء الأثرية ، ط١، (المدينة المنورة : ١٤١٨هـ) ، ٢٦٨/٢، ٢٦٩؛ ابن الاثير، عز الدين بن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م) ، أسد الغابة في معرفة الصحابة ، تحقيق : عادل أحمد الرفاعي ، ط١، دار إحياء التراث العربي ، (بيروت : ١٤١٧هـ/١٩٩٦ م) ، ٥٨٨/٣؛ ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م)،الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، ط١، دار الكتب العلمية،(بيروت:١٤١٥هـ)، ٣٦٤،٣٦٥/٤.

(١٢) **هرثمة بن عرفجة** بن عبد العزى ابن زهير بن ثعلبة البارقي الأزدي من أهل البحرين شارك في الفتوح في صدر الإسلام ، وجهه أميرها العَلاَء ابن الحَضْرَمي غازيا في أيام عمر(ﷺ) ففتح جزيرة في البحر مما يلي بلاد فارس. ثم كتب عمر(ﷺ) إلى العلاء بأن يبعث عتبة بن غزوان ليشارك بفتح(الأبلة) ثم إنه تولى بعد ذلك فتح الموصل كانت وفاته بعد سنة (٢٠هـ/٦٤٠م). ينظر: البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م) ، فتوح البلدان، دار ومكتبة الهلال، (بيروت:١٩٨٨ م)، ص٣٢٣، ٣٢٥، ؛ الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الدمشقي ، الأعلام، ط١٥، دار العلم للملايين ،(بيروت:٢٠٠٢م)، ٨٢/٨.

(١٣) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣٢٣؛ ابن قدامة ، قدامة بن جعفر (ت٣٣٧هـ/٩٤٨م)، الخراج وصناعة الكتابة ، تحقيق : محمد حسين الزبيدي، ط١، دار الرشيد ، (العراق :)،١/ ٣٨١،٣٨٢.

(١٤) **أبو سعيد عياض بن غنم** بن زهير بن أبي شداد الفهري أسلم قبل الحديبية وشهدها مع رسول الله(ﷺ)وحضر فتح المدائن مع سعد بن أبي وقاص، وفتح العديد من مدن بلاد الشام والجزيرة، منها الرها وحران والرقة سنة (١٨هـ/٦٣٩م) ، عرف عنه انه كان سمحا يعطي ما يملك ، استخلفه أبو عبيدة بن الجراح لما احتضر على بلاد الشام كانت وفاته بالشام سنة (٢٠هـ /٦٤٠م) وهو ابن ستين سنة . ينظر: القرطبي، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري (ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧١م) ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط١ ، دار الجيل، (بيروت:١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م)،٣/ ١٢٣٤؛ ابن الجوزي، جمال الدين أبو

الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧هـ/ ١١٧٣م) ، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، ط١ ، دار الكتب العلمية، (بيروت:١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م)،٤/ ٣٠٣،٣٠٤؛ الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، ط١ ، تحقيق : عمر عبدالسلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، (بيروت : ١٤٠٧هـ)، ٢١٦/٣، ٢١٧.

(١٥) ابن قدامة ، الخراج ،١/ ٣٨٣ ؛ النويري ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب(ت ٧٣٣هـ/١٣٣٢م)، نهاية الأرب في فنون الأدب ، تحقيق : مفيد قمحية وجماعة، ط١، دار الكتب العلمية ، (بيروت : ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م)، ١٥١/١٩، ١٥٢.

(١٦) البلاذري، فتوح البلدان ، ص ٣٢٣؛ ابن قدامة ، الخراج ، ١/ ٣٨٢،٣٨١؛ الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت ٩٠٠هـ/ ١٤٩٤م)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، ط٢، مؤسسة ناصر للثقافة طبع على مطابع دار السراج،(بيروت :١٩٨٠م)، ص٥٦٤.

(١٧) **أبو محمد سعيد بن عبد الملك** بن مروان بن الحكم الأموي ويلقب بسعيد الخير. ولي غزو الروم في خلافة أخيه هشام وولي فلسطين للوليد بن يزيد وولي الموصل ،وكان حسن السيرة ، كانت وفاته في حدود سنة (١٢٦هـ /٧٤٣م). ينظر: الذهبي ، تاريخ الإسلام ،١١٤/٨، ١١٥. الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م)، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى ، دار إحياء التراث ، (بيروت:١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م) ، ١٥٠/١٥.

(١٨) البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٨٤ ، ٣٢٨.

(١٩) ابن الفقيه ، البلدان ، ص ١٧٧.

(٢٠) البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٨٤ ، ٣٢٨.

(٢١) **الحر بن يوسف** بن يحيى ابن الحكم بن أبي العاص بن أمية ، تولى العديد من الولايات منها ولاية مصر ثم الموصل وذلك في خلافة هشام بن عبد الملك، كانت وفاته في الموصل سنة (١١٣هـ /٧٣١م)،ودفن بمقابر قريش بالموصل، واستعمل هشام مكانه الوليد بن تليد العبسي. ينظر: ابن عساكر، أبي القاسم علي بن الحسن إبن هبة الله بن عبد الله الشافعي(٥٧١ هـ / ١١٧٦م) ، تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل ، تحقيق محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، دار الفكر ، (بيروت : ١٩٩٥م) ، ١٢/ ٣٥٦؛ ابن الاثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م)، الكامل في التاريخ ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط١، دار الكتاب العربي، (بيروت:١٤١٧هـ / ١٩٩٧م) ، ٢١١/٤.

(٢٢) ابن الاثير، الكامل، ٥ /١٣٣،٢٤١.

(٢٣) **هو أبو عبد الله مروان بن محمد** بن الحكم بن أبي العاص ، لقب بالجعدي لأن معلمه الجعد بن درهم فنسب إليه ، ولقب أيضاً حمار الجزيرة لشجاعته، بويع له بالخلافة في شهر صفر سنة (١٢٧هـ /٧٤٤م)، كان شجاعا صاحب دهاء ومكر ، وهو آخر خلفاء بني أمية، وعنه انتقلت الدولة إلى بني العباس، وكانت أيامه أيام فتن ، قتله بني العباس في قرية البوصير من قرى صعيد مصر، وذلك سنة (١٣٢هـ /٧٤٩م) ، كان عمر مروان لما قتل، اثنتين وستين سنة، وكانت مدة خلافته خمس سنين وعشرة أشهر ونصفاً. ينظر:ابن الطقطقي، محمد بن علي بن

طباطبا (ت ٧٠٩هـ/ ١٣١٠م) ، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، تحقيق: عبد القادر محمد مايو، ط١، دار القلم العربي، (بيروت: ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م)، ص١٣٥؛ النويري، نهاية الأرب ، ٣٠٩/٢١؛ ابن الوردي، أبو حفص، زين الدين عمر بن مظفر بن عمر بن محمد ابن أبي الفوارس (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م) ، تاريخ ابن الوردي ، ط١، دار الكتب العلمية ،(لبنان : ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م)، ١٨١/١.

(٢٤) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٢٢٣/٥.

(٢٥) البلاذري، فتوح البلدان ، ص٣٢٣؛ ابن الفقيه ، البلدان ، ص ١٧٧.

(٢٦) المقدسي ، محمد بن أحمد (ت٣٩٠هـ/٩٩٩م) ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق : غازي طليمات ، وزارة الثقافة والارشاد القومي ،(دمشق : ١٩٨٠م) ، ١٣٠/١.

(٢٧) الادريسي، محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني (ت٥٦٠هـ/١١٦٤م) ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ط١، عالم الكتب، (بيروت: ١٤٠٩هـ)،٢/ ٦٥٩؛ ابن الوردي، سراج الدين أبو حفص عمر بن المظفر الحلبي (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م)، خريدة العجائب وفريدة الغرائب، تحقيق : أنور محمود زناتي ، ط١ ، مكتبة الثقافة الإسلامية ، (القاهرة:١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٨ م)، ص ١١٢.

(٢٨) الاصطخري، المسالك ، ص٥٣٢.

(٢٩) القزويني، زكريا بن محمد بن محمود القزويني (ت ٦٨٢هـ/١٢٨٣م)، آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر، (بيروت : ١٩٦٠م)، ص٤٦١؛ المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ١٣٠/١.

(٣٠) ابن الفقيه ،البلدان، ص ٣٣٢؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان ، ٢٢٤/٥؛ مجهول (توفي: بعد ٣٧٢هـ/٩٨٢م)، حدود العالم من المشرق إلى المغرب، تحقيق وترجمة (عن الفارسية) : السيد يوسف الهادي، الدار الثقافية للنشر،(القاهرة: ١٤٢٣هـ)،ص: ١٦٢.

(٣١) ياقوت الحموي، معجم البلدان ،٢٢٤/٥.

(٣٢) القزويني، آثار البلاد ، ص٤٦٢.

(٣٣) ياقوت الحموي ، معجم البلدان، ٥/ ٢٢٤.

(٣٤) القزويني، آثار البلاد ، ص ٤٦١.

(٣٥) **الرستاق:** كلمة فارسية معربة جمعها الرساتيق وهي السواد ويقصد بها القرى والضياع الزراعية. ينظر: ابن منظور، أبو الفضل، جمال الدين محمد بن مكرم بن علي(ت ٧١١هـ /١٣١١م)، لسان العرب، ط٣، دار صادر ، (بيروت: ١٤١٤هـ)، ١٠/ ١١٦.

(٣٦) ابن حوقل ، صورة الأرض ،٢١٥/١، ٢١٧.

(٣٧) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ١٣٠/١.

(٣٨) البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد الأندلسي (ت٤٨٧هـ/١٠٩٤م)، المسالك والممالك، دار الغرب الإسلامي ، (بيروت:١٩٩٢ م)، ١/ ٤٩٢.

(٣٩) التطيلي ، بنيامين بن الرابي يونة التطيلي النباري اليهودي (ت٥٦٩هـ/١١٧٣م)، رحلة بنيامين التطيلي، ط١ ، المجمع الثقافي، (أبو ظبي: ٢٠٠٢ م)، ص: ٢٨٨.

(٤٠) ابن جبير، أبو الحسين محمد بن أحمد (ت ٦١٤هـ/١٢١٧م)، رحلة ابن جبير، دار ومكتبة الهلال، (بيروت: د. ت)، ص ١٨٨.

(٤١) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٥/ ٢٢٣.

(٤٢) القزويني، آثار البلاد ، ص ٤٦١، ٤٦٢.

(٤٣) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٥/ ٢٢٣.

(٤٤) ابن بطوطة ، أبو عبدالله محمد بن عبدالله الطنجي (ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م)، رحلة ابن بطوطة المسماة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، تحقيق : عبدالهادي التازي ، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية ، (الرباط : ١٩٩٧م). ٢/ ٨١.

(٤٥) ابن الفقيه،البلدان، ص١٨٢.

(٤٦) ابن حوقل ، صورة الأرض ،١/٢١٥، ٢١٧.

(٤٧) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ١/ ٢١٥.

(٤٨) القزويني، آثار البلاد ، ١/٢٢٤.

(٤٩) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ١٣٩.

(٥٠) القزويني، آثار البلاد ، ص ٤٦٢.

(٥١) الادريسي، نزهة المشتاق ،٢/ ٦٥٩؛ ابن الوردي، خريدة العجائب ،ص١١٢.

(٥٢) ابن حوقل ، صورة الأرض، ١/٢١٦، ٢١٧.

(٥٣) **الكر**: مكيال لأهل العراق يعادل ستة احمال حمار ويقدر بستون قفيزاً، والقفيز ثمانية مكاكيك، والمكوك صاع ونصف. ينظر: ابن منظور، ٥/١٣٧.

(٥٤) ابن حوقل، صورة الأرض، ١/ ٢١٧.

(٥٥) ابن الفقيه، البلدان ، ص ١٧٩.

(٥٦) ابن حوقل، صورة الأرض ،١/ ٢١٥.

(٥٧) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ١/ ٣٢٤.

(٥٨) نفسه، ٤/ ١٥٣.

(٥٩) البغدادي، مراصد الاطلاع ، ٣/ ١٠٣٨.

(٦٠) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٣/ ٣٣٨.

(٦١) الاصطخري، المسالك والممالك، ١/ ٧٣.

(٦٢) ابن حوقل، صورة الأرض ،١/ ٢٢٠؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٣/ ٢٦٢.

(٦٣) **باعشيقا**: وهي ناحية تابعة للموصل تقع شرقيها، لها نهر جار يسقي بساتينها. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان ،١/ ٣٢٤؛ البغدادي، مراصد الاطلاع ،١/ ١٥٤.

(٦٤) ياقوت الحموي، معجم البلدان ، ١/ ٣٢٤.

(٦٥) ابن البيطار ، ضياء الدين أبي محمد عبد اله بن أحمد الأندلسي المالقي (ت٦٤٦هـ / ١٢٤٨م) ، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ، دار الكتب العلمية ، (بيروت: ١٤٢٢هـ /٢٠٠١م)، ١/٦٦، ٢/ ٢٥٠.

(٦٦) ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت: نحو ٢٨٠هـ/٨٩٣م)، المسالك والممالك، دار صادر أفست ليدن،(بيروت:١٨٨٩ م)، ص٩٤؛ ابن الفقيه،البلدان، ص ١٧٩.

(٦٧) ابن خرداذبة، المسالك والممالك ، ص ٢٥١.

([٦٨]) ابن حوقل، صورة الأرض، ١/ ٢١٩.

([٦٩]) المنجم، إسحاق بن الحسين المنجم (المتوفى: ق ٤هـ)، آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان، ط ١، عالم الكتب، (بيروت: ١٤٠٨هـ)، ص ٦٣؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٥٦٤.

([٧٠]) الثعالبي، أبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (ت ٤٢٩هـ/١٠٣٧م) ، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، دار المعارف ، (القاهرة: د.ت) ، ١/ ٥٣٨.، ١/ ٥٣٨.

([٧١]) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٥/ ٤٠٣.

([٧٢]) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١١٢/١٨.

([٧٣]) المقدسي ، أحسن التقاسيم ،ص ١٤٥.

([٧٤]) ابن أبي جرادة ، كمال الدين عمر بن أحمد (ت٦٦٠ هـ / ١٢٦١م)، بغية الطلب في تاريخ حلب ، تحقيق : د. سهيل زكار، دار الفكر ، (دمشق: د.ت)، ٤٤٥/١.

([٧٥]) **الوقر**: وجمعه أوقار وهو الثقل يحمل على الظهر أو على الرأس، ويقد الوقر بحمل البغل أو الحمار . ينظر: الخوارزمي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الكاتب الخوارزمي(ت٣٨٧هـ/٩٩٧م)، مفاتيح العلوم ، دار الكتب العلمية ، (بيروت: د.ت)، ١١/١؛ ابن منظور ، لسان العرب ، ٥/ ٢٨٩.

([٧٦]) ابن حوقل، صورة الأرض ،١/ ٢١٩.

([٧٧]) القزويني، آثار البلاد ، ص ٤٧٢.

([٧٨]) نفسه ، ص٤٧٧.

([٧٩]) المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م)، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية ،(بيروت: ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م)،٧/ ١٨٦،١٩١.

([٨٠]) **المسوح**: نوع من البرود وقيل: بل هو العباءة المخططة. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ٢/ ٤٩٣.

([٨١]) الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ البصري (٢٥٥هـ/٨٦٨م)، التبصرة بالتجارة في وصف ما يستظرف في البلدان من الأمتعة الرفيعة والأعلاق النفيسة والجواهر الثمينة ، تحقيق : حسن حسني عبد الوهاب التونسي، ط٣، مكتبة الخانجي ، (القاهرة : ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م) ، ٣٣/١.

([٨٢]) القزويني، آثار البلاد ، ص ٤٦١، ٤٦٢.

([٨٣]) نفسه ، ص ٣٧١.

([٨٤]) الحميري، الروض المعطار، ص ٤٨٨.

([٨٥]) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٢/ ٥٢٩.

([٨٦]) الحميري، الروض المعطار ، ص ٤٨٨.

([٨٧]) البغدادي، مراصد الاطلاع ، ٣/ ١١٣٨.

([٨٨]) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٥/ ٢٢٣؛ القزويني، آثار البلاد ، ص ٤٦١، ٤٦٢.

([٨٩]) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٥/ ٢٢٣.

([٩٠]) **بلاباذ**: قرية في شرقي الموصل بين الموصل ونهر الزاب . ياقوت الحموي، معجم البلدان، ١/ ٤٧٦.

([٩١]) **العقر**: قرية بين تكريت والموصل تعد أول حدود الموصل من جهة العراق. ينظر: البغدادي، مراصد الاطلاع ، ٢/ ٩٥٠.

([٩٢]) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٤/ ١٣٦.

([٩٣]) **جدال**: قرية كبيرة، بينها وبين الموصل مرحلتان، على طريق نصيبين، وأكثر أهلها نصارى. ينظر: البغدادي، مراصد الاطلاع، ١/ ٣١٦.

([٩٤]) البغدادي، مراصد الاطلاع ،١/ ٣١٦.

([٩٥]) **طريخ** : صنف من السمك الصغير المعالج بالملح على قدر شبر يصاد ويجلب إلى بغداد. ينظر: ابن البيطار، الجامع لمفردات ، ١٣٨/٣.الزبيدي، ابو الفيض محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني(ت١٢٠٥هـ/١٧٩٠م)، تاج العروس من جواهر القاموس، ط١، دار الفكر ، (بيروت:١٤١٤هـ)، ٣٠٢/٧.

([٩٦]) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١١٢/١٨.

([٩٧]) الجاحظ ، التبصرة بالتجارة ، ٣٣/١.

([٩٨]) المقدسي، أحسن التقاسيم ، ص١٤٥.

([٩٩]) **باب الشعير**: محلة ببغداد يقع اعلى مدينة المنصور كان يعد مرفأ للسفن التي تصل من الموصل والبصرة. ابن الفقيه ، البلدان ، ص٢٩٧.

([١٠٠]) ياقوت الحموي ، معجم البلدان، ١/ ٣٠٨.

([١٠١]) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ١٣٠/١.

(١٠٢) ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف ببن عبدالله (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ،(مصر : ١٩٦٣م)، ١/ ٤٥.

([١٠٣]) الحميري، الروض المعطار، ص: ٣٠١.

([١٠٤]) **أصفهان**: مدينة من بلاد فارس تعد من اكبر مدنها ، اشتهرت بطيب مناخها وكثرة زراعتها وعذوبة مآءها ، تميزت بكثرة صناعتها حتى ان صناعهم فاقوا جميع الصناع، كما اشتهرت بكثرة علمائها . ينظر: القزويني: آثار البلاد ، ص ٢٩٦.

([١٠٥]) الثعالبي ، ثمار القلوب ، ١/ ٥٣٨.

([١٠٦]) المقريزي، السلوك ، ٧/ ١٨٦، ١٩١.

([١٠٧]) **جزيرة ابن عمر**:بلدة اعلى الموصل، بينهما مسافة ثلاثة أيام، يحيط بها دجلة من ثلاث جوانب فكان كالخندق لها. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٢/ ١٣٨؛ البغدادي، مراصد الاطلاع ، ١/ ٣٣٣.

([١٠٨]) ابن حوقل ، صورة الأرض، ١/ ٢٢٥.

([١٠٩]) **نصيبين**: وهي مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على طريق القوافل التجارية بين الموصل وبلاد الشام ، بينها وبين الموصل مسيرة ستة أيام. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٥/ ٢٨٨.

([١١٠]) **الرقة** : مدينة مشهورة على الفرات، تقع بين العراق وبلاد الشام تعد من بلاد الجزيرة. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٣/ ٥٩.

(١١١) **حران:** مدينة مشهورة من ارض الجزيرة الفراتية تعد مركز ديار مضر، وهي على طريق بين الموصل وبلاد الشام ، بينها وبين الرها يوم وبين الرقة يومان، كانت منازل الصابئة وهم الحرانيون بها. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٢/ ٢٣٥؛ البغدادي، مراصد الاطلاع ،١/ ٣٨٩.

(١١٢) **القبيط:** نوع من الحلواء يصنع من الجوز واللوز والفستق ويسمى الناطف ايضاً ، قال أبو نواس:

(يقول والناطف في كفه ... من يشتري الحلو من الحلو). ينظر: أنيس ، إبراهيم و عبد الحليم منتصر واخرون، المعجم الوسيط ،مجمع اللغة العربية ، مكتبة الشروق الدولية، (القاهرة : ٢٠٠٤م) ، ٢/ ٩٣١.

(١١٣) **الحسنية** : بلد في شرق الموصل على مسافة يومان ، تقع بين الموصل وبين جزيرة ابن عمر. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان،٢/ ٢٦٠.

(١١٤) **معلثايا:** بلدة صغيرة قرب جزيرة ابن عمر شمال الموصل. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٥/ ١٥٨؛ البغدادي، مراصد الاطلاع ، ٣/ ١٢٩٠.

(١١٥) **بلد:** مدينة شمال الموصل على دجلة، بينهما سبعة فراسخ. ينظر: البغدادي، مراصد الاطلاع،٢١٧/١.

(١١٦) **اللبأ:** نوع من الجبن يصنع من الحليب ويخزن بجلود صغار المعزى، حتى ييبس ويجمد، ثم يخرج فيباع كأنه الجبن، فإذا أراد الآكل أكله ازال عنه غشائه الذي طبخ فيه، ، وربما أكل بالعسل. ينظر: ابن منظور ، لسان العرب ،١٥/ ١٨٣.

(١١٧) **الرحبة:** مدينة على الفرات بين الرقة وعانة. ينظر: البغدادي، مراصد الاطلاع ،٢/ ٦٠٨.

(١١٨) **آمد:** وهي من اشهر مدن ديار بكر ، بناءها من الحجارة السود تقع على نهر دجلة محيطة به في وسط المدينة عيون وآبار وفيها بساتين ونهر يحيط بها السور. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ١/ ٥٦.

(١١٩) المقدسي، أحسن التقاسيم ، ص ١٤٥.

(١٢٠) **شهرزور:** كلمة شهر بالفارسية تعني المدينة، وهي منطقة واسعة في الجبال بين إربل وهمذان وأهل هذه النواحي كلهم أكراد، بهاوقرى فيها مدينة كبيرة وهي قصبتها . ينظر: القزويني، آثار البلاد ، ص ٣٩٨.

(١٢١) ابن حوقل ، صورة الأرض، ١/ ٢٤٦.

(١٢٢) **أشنه:** بلدة قرب أذربيجان من جهة إربل، بينها وبين إربل خمسة أيام، ذات بساتين، يحمل إلى جميع ما يجاورها من النواحي. ينظر: البغدادي، مراصد الاطلاع ، ١/ ٨٥.

(١٢٣) **مراغة:** مدينة كبيرة مشهورة من بلاد آذربيجان ، عظيمة القدر غزيرة الأنهار كثيرة الأشجار وافرة الثمار. ينظر: القزويني، آثار البلاد، ص٥٦٢؛ البغدادي، مراصد الاطلاع ، ٣/ ١٢٥٠.

(١٢٤) ابن حوقل ، صورة الأرض، ٢/ ٣٣٦.

(١٢٥) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ١/ ٤٢٣؛ البغدادي، مراصد الاطلاع ، ١/ ١٩٧.

(١٢٦) ابن حوقل ، صورة الأرض ١/ ٢١٥.

(١٢٧) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٥/ ٢٢٤.

(١٢٨) المقدسي، أحسن التقاسيم ، ص١٣٨.

(١٢٩) الحميري، الروض المعطار ، ص ١٩٢.

(١٣٠) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ١/١٣٠.

(١٣١) **القيسارية** : وهي تمثل نوعاً من أنواع الأسواق الكبيرة التي تضم عدداً من المحلات والحوانيت المتخصصة ببيع نوع معين من البضائع والسلع وهذه القيساريات لها شخص مسؤول عنها وبها حراسة وتغلق ليلاً وتكون ملكاً لشخص واحد وتسمى باسمه ، وفي كتب التاريخ ذكر للعديد منها.

(١٣٢) **أبو منصور مجاهد الدين قايماز** بن عبد الله الزيني من أهل سجستان أخذ منها صغيرا ، عمل في خدمة والد الملك المعظم مظفر الدين صاحب إربل فقدمه وجعله اتابك أولاده وفوض إليه أمور إربل في سنة (٥٥٩هـ /١١٦٣م) ، فأحسن السيرة وعدل في الرعية وكان كثير الخير والصلاح بنى بإربل مدرسة وخانقاه وأكثر وقفهما ثم أنتقل إلى الموصل في سنة (٥٧١هـ /١١٧٥م)، وتولى امور تدبيرها وفوض إليه الأتابك سيف الدين غازي بن مودود صاحب الموصل الحكم في سائر بلاده لما رآه من حسن تدبيره واعتمد عليه في جميع أحواله وكان نائبه وهو السلطان في الحقيقة ، بنى جامعا كبيرا ومدرسة وخانقاه وأوقف أملاكا كثيرة . ينظر: ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م) ، وفيات الأعيان و انباء أبناء الزمان ، تحقيق : احسان عباس، ، ط١، دار صادر، (بيروت:١٩٧١م)، ٤/ ٨٢.؛ ابن العماد الحنبلي ، عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري (١٠٨٩هـ/١٦٧٨م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، تحقيق : عبد القادر الأرنؤوط، محمود الأرناؤوط ، ط١ ، دار بن كثير ، (دمشق :١٤٠٦هـ) ، ٤/٣١٧.

(١٣٣) ابن جبير ، رحلة ابن جبير،ص١٨٨.

(١٣٤) نفسه ، ص١٨٩.

(١٣٥) ابن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة ، ٢/ ٨١، ٨٢.

(١٣٦) الهمذاني، أبو بكر محمد بن موسى بن عثمان (ت٥٨٤هـ/١١٨٨م)، الأماكن أو ما اتفق لفظه وافترق مسماه من الأمكنة، تحقيق: حمد بن محمد الجاسر، دار اليمامة للبحث ،(الرياض: ١٤١٥هـ)، ص ٦٣٧.

(١٣٧) المقدسي، أحسن التقاسيم ، ص١٣٨.

(١٣٨) ابن حوقل ، صورة الأرض، ١/ ٢١٧. الادريسي، نزهة المشتاق ،٢/ ٦٥٩، ٦٦٠.

فلسفة السياسة الامريكية في نهاية القرن العشرين

د. عبد حسين عبد محسن سوسه
جامعة الانبار-كلية الاداب
abd71soosa@gmail.com

فلسفة السياسة الامريكية في نهاية القرن العشرين

د. عبد حسين عبد محسن سوسه

المقدمة :

في نهاية الثمانينات ساد القلق الطبقة الحاكمة في الولايات المتحدة الامريكية ،ويمكن فهم ذلك من خلال نظرية فرانسيس فوكوياما التي تعود إلى الأعوام ١٩٨٩-١٩٩٢ ،إذ يرى فرانسيس فوكوياما أن للتاريخ إتجاهاً، وأن نقطة الوصول هي إنتشار الديمقراطية الليبرالية على مستوى العالم، لم يكن إنهيار الشيوعية سوى مرحلة تلتها مرحلة سقوط الأنظمة الشمولية في أوربا الشرقية، وتبدو ملاحظة فرانسيس فوكوياما لعام ١٩٨٩ تلوح لتأملات في طبيعة المستقبل. لقد إنحصر دور الولايات المتحدة الامريكية في الدفاع عن المبدأ الديمقراطي الغربي، الذي كانت تهدده النازية والنظام السياسي الياباني ثم الشيوعية الروسية والصينية، لقد ظهر دور الولايات المتحدة الامريكية خلال الحرب العالمية الثانية والحرب الباردة الدور التأريخي، وكان لهذا الدور أبعاداً خطيرة على راعيته نفسها((الولايات المتحدة الامريكية))!. فماإذا لو سادت الديمقراطية في كل مكان في العالم؟ إن النتيجة الحتمية شديدة الغرابة لهذا الأمر، إن الولايات المتحدة سوف تصبح كقوة عسكرية غير نافعة للعالم، وعليها أن تستسلم لواقع أنها أصبحت ديمقراطية بين الديمقراطيات الأخرى.

إن عدم فائدة الولايات المتحدة الامريكية للعالم أقلقت قادة واشنطن ومخططي السياسة الخارجية، ويقبل المفكر الاستراتيجي بريجنسكي[١] بالتحدي الضمني لمفارقة فرانسيس فوكوياما ،ويقترح منهاجاً دبلومآسياً وعسكرياً، من أجل الإحتفاظ بالسيطرة على العالم القديم، وأنه يلجأ إلى تقسيم الشعوب على أساس ديني واثني، ويرى أن معظمهم غير قادر بالطبيعة والفطرة على الإقتداء بالغرب. قسم البحث الى عدة محاور تناول **المحور الاول :التطور التاريخي للاستراتيجية الامريكية بينما تناول المحور الثاني : حملة الافكار في السياسة الخارجية الامريكية خلال الحرب الباردة.وختم البحث بالمحور الثالث : الغرب يصطدم بالاسلام.**

Philosophy of American politics in the End twentieth century

At the end of the 1980s, the ruling class in American was concerned from fukuyam's theory of 1989-1992.Fukuyama argues that history has a tendency and that the spread of liberal democracy globally.Totalitarian regimes in southern Europe. And Fukuyama's 1989 observations seems to ponder reflections on the nature of the future. American's cosmopolitan specialization has been limited to defending the democratic principle threatened by Nazism

and Japanese militarism, then Russian and Chinese communism, Both world war 11 and the cold war have played the historic role of American, which carries dangerous dimensions to its own patronage, In the world?

The unavoidable consequence of this is that the United States will become a military power that is useless for the world and must give in to the fact that it has become a democracy among other democracies.

American's uselessness to the world has alarmed Washington's leaders and foreign policy planners. Brzezinski accepts the implicit challenge of Fukuyama's paradox, proposes a diplomatic and military approach to retain control of the ancient world, and divides peoples on a religious and ethnic basis, following the example of the west .

المحور الاول :التطور التاريخي للاستراتيجية الامريكية

من المعروف ان لكل ظاهرة سياسية جذور تاريخية ساهمت في نشأتها وبلورة نماذج ادائها. والتعمق في تلك الجذور وظروفها وما لأحها من مؤثرات يُعد امرا ضروريا لاستيعاب جميع المتغيرات التي تحيط بالظاهرة في اشكالها المعاصرة[٢]. أن التطور التاريخي الذي اصاب الاستراتيجية الامريكية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية حتى الوقت الحاضر وسعي الولايات المتحدة الامريكية الى الاحتفاظ بمكانة متقدمة للقوة العسكرية في اطار هيكل القوة العالمي في عالم ما بعد الحرب الباردة دفعها لان تكون سياستها الدفاعية محكومة بدرجة كبيرة بتفكير مرحلة الحرب الباردة [٣] .

وتلك الاستراتيجية لم تكن قبل تلك الفترة تستند الى اسس ثابتة بل كانت مزيجا من الخطط العسكرية التي دافعت عن فكرة اقامة دولة فيدرالية توحد الولايات المشكلة لها تحت جناح دستور تم اقراره بالدستور الامريكي عام ١٧٨٧ تحت هيكل مؤسس للدولة الواحدة(الاتحادية)[٤]. لقد افرزت نهاية الحرب العالمية الثانية نتائج كارثية على الدول الاوربية والاتحاد السوفيتي واليابان والصين لا تقل مأساوية عما سببتها احداث الحرب ذاتها من كوارث لها، اذ خرجت تلك القوى من الحرب وهي محملة بأعباء جسيمة ، فقد تخلت المانيا واليابان مرغمه عن موقع الصدارة العالمية ، كما خرجت الدول الاوربية التي حسبت على الطرف المنتصر في الحرب وهي ذات مكانة دولية متدنية من جراء ما تكبدته من خسائر بشرية ومادية ومعنوية بابشع حرب عرفتها الانسانية في العصر الحديث.

وعلى الرغم من ان العبء الانساني في هذه الحرب قد وقع في معظمة على اطراف التحالف، وفي مقدمتها الاتحاد السوفيتي الذي ضحى بما يقرب من (٢٠ مليون) انسان، الا ان المنتصر الحقيقي والوحيد الذي نال بنتائج تلك الحرب كان يقبع في الجانب الاخر من الاطلسي الذي كان على الجميع ان يعترف بقيادته العالمية خاصة بعد ان دللت الولايات المتحدة على قدرتها بما اتخذته من قرارات غيرت مجرى الحرب، على صياغة النصر للحلفاء[٥]، وبذلك اصبحت قرارات الحرب التي تصدر من واشنطن

هي الاهم تأثيرا في حسم الموقف[٦].

أن ايجاد نظام عالمي تتزعمه الولايات المتحدة يعتمد على قوة عسكرية واقتصادية وسياسية أمريكية متفوقة وعلى قيم أمريكية جوهرها سياسة الهيمنة. ويعتقد أنصار الهيمنة أن على الولايات المتحدة أن تسعى إلى زيادة قوتها النسبية إلى أقصى حد (أي قوتها بالمقارنة مع قوة الدول الأخرى)، وتقوم إستراتيجية الهيمنة على افتراض أن الدول تكسب الأمن لا من خلال توازن القوى، بل عبر اختلال توازن القوى لمصلحتها (أي بسعيها إلى الزعامة). ففي العالم الذي تغلب عليه الخشونة والتنافس يعتمد أمن الدولة على القوة "الصعبة" (القوة العسكرية ودعاماتها الاقتصادية)، ومن الأفضل للدولة أن تكون هي الدولة رقم(١) بين الدول. ويرى أنصار هذه الإستراتيجية أن الاستقرار المنسَّق (غياب كل من الحرب والسباقات الأمنية وانتشار الأسلحة) مرتبط بقوة الولايات المتحدة العسكرية. كما تفترض إستراتيجية الهيمنة أن للولايات المتحدة مصلحة حيوية في الحفاظ على "الاستقرار" (وهو اصطلاح فضفاض ومبهم) في النظام الدولي[٧]. وهو ما روج له هنتنغتون" عندما أكد أنه: "في عالم لا يكون فيه للولايات المتحدة الأولوية، سيعرف هذا العالم العنف والفوضى أكثر، وديمقراطية أقل، ونمواً اقتصادياً أدنى، إلا إذا استمرت الولايات المتحدة، كما هو الحال اليوم، أن يكون لها نفوذ أكثر على الشؤون الدولية الشاملة، وأكثر من أي بلدٍ آخر، كما أن المحافظة على الأولوية للولايات المتحدة، أمر جوهري، ليس فقط من أجل مستوى العيش والأمن للأمريكيين، بل أيضاً من أجل مستقبل الحرية والديمقراطية والاقتصاديات المفتوحة والنظام الدولي"[٨].

المحور الثاني : حملة الافكار في السياسة الخارجية الامريكية خلال الحرب الباردة.

كانت النظرة في القرن العشرين الى العلاقات الدولية هي وصفها بأنها علاقات تحكمها الايدلوجية[٩]. وبما ان الافكار والايدلوجية تتواجد غالباً بشكل ثنائي، أي الواحدة في مقابل الاخرى[١٠]. فكانت طبيعة العلاقة بين الايديولوجيات هي طبيعة انقسامية، أُي: تقسيم العالم الى جهات أيدلوجية متصارعة الواحدة في مواجهة الاخرى، الليبرالية مقابل الشيوعية، الليبرالية مقابل الفاشية، الليبرالية مقابل الراديكالية الاسلامية، وقد وصف الرئيس الامركي (ريتشارد نيكسون–Richard Nixon) صراع الولايات المتحدة الامريكية مع الاتحاد السوفيتي بانه صراع بين الحرية والديكتاتورية الشمولية مستذكراً "لانريد نصراً على أمة اخرى أو شعب آخر، ولكنا نسعى إلى تحقيق انتصار الحرية وهزيمة الديكتاتورية الشمولية التي تنكر الحرية"[١١].اشارت وثيقة استراتيجية الامن القومي الامريكي في نهاية القرن العشرين بان الصراعات الكبرى للقرن العشرين بين الحرية والديكتاتورية انتهت بانتصار قوى الحرية وبقيام نموذج واحد للنجاح قابل للاستدامة، الحرية والديمقراطية والاعمال الحرة[١٢]، في الحقيقة كان الصراع بين الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتي في الأساس هو الصراع بين الرأسمالية والأشتراكية ويستند الصراع الى أسس فكرية وفلسفية، وقد لجأ العالم الغربي وعلى رأسه الولايات المتحدة الامريكية في الصراعات

الفكرية والايدلوجية الى استخدام ادوات رمزية لكسب المعركة فكريا، لان الافكار حسب قول (اوغوست كونت)[١٣] هي التي تحكم العالم[١٤].

وقد اكد صناع القرار السياسي في الدول الديمقراطية الغربية بأن قوة الافكار هي العلامة المميزة لليبرالية[١٥].

بما ان الحرب الباردة كانت صراعاً عقائدياً وتوتراً سياسياً وتصعيداً دبلوماسياً وحرباً نفسيةً ودعائيةً وضغوطاً اقتصادية، دون تصاعدها لتصل الى مستوى الحرب العسكرية العامة، على الرغم من استخدام الأدوات العسكرية فيها مثل: التحالفات العسكرية وسباق التسلح والحرب بالوكالة الا ان ادواتها ليست ادوات الحرب العسكرية فقط، فأدوات الحرب الباردة كانت بالدرجة الاولى هي اقتصادية واعلامية وايديولوجية ورمزية[١٦].

خلال الحرب الباردة قامت الولايات المتحدة الامريكية وقوى غربية اخرى، على الاخص المملكة المتحدة بتطوير بنية تحتية متينة لشن حرب الافكار ضد الايدلوجية الشيوعية المدعومة من قبل الاتحاد السوفيتي وحلفائه، وكانت الولايات المتحدة في العصر الذهبي للدعاية والدعاية المضادة، وللعمليات الدبلوماسية العامة، حيث نفذت الإدارة الامريكية سلسلة من الخطوات بهدف تفعيل الانشطة الرامية الى تشكيل الرأي العام ضد الاتحاد السوفيتي، ومما له دلالته على ذلك إرسال الرئيس ترومان في كانون الثاني ١٩٤٦ إلى وزير الخارجية جيمس بيرنز رسالة ذكر فيها:"ما لم تواجه روسيا بالقبضة الحديدية واللغة القوية فإن الحرب لاشك آتية إن هناك لغة واحدة يفهمها الروس هي كم فرقة عسكرية لديك؟ "[١٧]. لقد رأت الحكومة الأمريكية ضرورة إنتهاج ستراتيجية جديدة في تلك الفترة من خلال تركها للسياسة الإستعمارية القديمة المتمثلة في الإحتلال العسكري المباشر، وابتكر الرئيس ترومان وسائل إدارية جديدة لمواجهة تحديات الحرب الباردة في تموز ١٩٤٧،الأمر الذي دفعها إلى إنشاء مجلس الأمن القومي لتنسيق السياسات العسكرية والخارجية لمصلحة الدفاع والأمن القومي[١٨]، ومع تزايد مسؤوليات السياسة الخارجية وأتساع مفهوم الأمن القومي، بدأ رجال سياسة الولايات المتحدة يفكرون في إيجاد مؤسسة ترتبط بوزارة الخارجية وتكون مختصة بالأمن القومي،فتم تأسيس (مجلس الأمن القومي– National security council) من أجل توجيه النصح للرئيس فيما يتعلق بالسياسات الداخلية والخارجية والعسكرية، وأعضاء المجلس هم:الرئيس، ونائب الرئيس ووزير الخارجية ووزير الدفاع، ومديرو بعض المؤسسات الحيوية المرتبطة بالأمن القومي كمدير الإستخبارات المركزية وغيره من المستشارين[١٩].

وراء الستار الحديدي، داخل الاوساط الفكرية والثقافية الاوروبية وفي العالم النامي[٢٠].

ولقد كان لانطلاقة (أذاعة صوت امريكا) صدى كبير عام ١٩٤٢، إذْ كان الهدف من انشائها نشر الاخبار والمعلومات عن السياسات والمصالح الامريكية على المستوى العالمي، وذلك عن طريق الراديو واذاعة اوروبا الحرة وراديو الحرية التي شكلت اذاعات بديلة موجهة للأوروبيين في شرق أوروبا و روسيا

وهي دول يرجع الفضل اليها في المساعدة على كسب الحرب الباردة. وقد ظلت الولايات المتحدة تنفق اكثر من (٦٠٠) مليون دولار سنوياً على الاذاعات الدولية التي ترعاها الإدارة الامريكية[٢١]، وكان لدى الرئيس (ريتشارد نيكسون–Richarad Nixon) قناعة بان تكريس موارد اكثر للبرامج الاذاعية الاجنبية في منطقة اوروبا الشرقية يؤدي الى تطوير إتصال الولايات المتحدة بالشرق، وهذا يؤدي الى إزدياد إنفتاح الشرق على قوة المثال الغربي، وهي قوة يصعب على الصفوة الشيوعية ان تقاومها[٢٢].اضافة الى ذلك اهتمت الادارات الامريكية اثناء الحرب الباردة بالتبادلات الثقافية من خلال اختلاط الاكاديميين والسياسيين والصحافيين الاجانب بالمواطنين الامريكيين والتفاعل مع القيم والمؤسسات الامريكية، فقاعات المطالعة في القنصليات والسفارات الامريكية اعطت للأجانب جانب فرصة الحصول على الصحف والكتب والمجلات وغيرها من وسائل الاعلام، ودعمت الحكومة الامريكية (منظمة المؤتمر من اجل الحرية والثقافة) وكانت هي جمعية دولية خاصة بأبرز الفنانين والكتاب والعلماء المعارضين للايدلوجيات الشمولية[٢٣].

يقول البروفيسور (جوزيف ناي–Joseph Nye)[٢٤] بهذا الصدد "والحق ان الاتصالات الثقافية العالية كثيراً ما كانت تنتج قوة ناعمة للولايات المتحدة اثناء الحرب الباردة، فقد قامت عشرات المؤسسات غير الحكومية مثل المسارح والمتاحف وفرق الاوبرا بالعمل في الاتحاد السوفيتي"[٢٥]. ويشير إلى أنّه في "خمسينيات القرن العشرين قامت مؤسسة فورد ومجلس الجمعيات التعليمية، ومجلس بحوث العلوم الاجتماعية بدور هام في مجال تبادل اصحاب العقول والكفاءات، فقد زار الولايات المتحدة حوالي (٥٠٠٠٠) سوفيتي بين عامي ١٩٨٥–١٩٨٨ مابين كتاب وصحفيين وموظفين وموسيقيين ورياضيين واكاديميين، وذهب الى الاتحاد السوفيتي عدد من الاميركيين اكثر من ذلك"، حول تأثير هذه المبادلات قال (اوليغ كالوجين) من كبار مسؤولي (مكتب امن الدولة –GBK) الاتحاد السوفيتي "كانت التبادلات حصان طروادة الذي دخل الى الاتحاد السوفيتي، فقد لعبت دوراً هائلاً في تآكل النظام السوفيتي" وهكذا جاذبية القوة الناعمة في مرحلة الحرب الباردة قدمت اسهاماً في تحقيق اهداف السياسة الامريكية[٢٦].

وكان على الصعيد الاعلامي تأسيس الوكالة الامريكية للاعلام في مرحلة حرجة من مراحل الحرب الباردة بمثابة خطوة هامة نحو تحقيق مصالح الولايات المتحدة في عالم الاتصالات السريعة والدعاية المتطورة ومحاربة الخطاب الفكري الشيوعي[٢٧].في جانب آخر كان للاهتمام المتزايد بمسألة حقوق الانسان في خطاب السياسة الخارجية الامريكية، تأثيره الايجابي في حسم معركة الافكار لصالح الولايات المتحدة، ودفعت حملة حقوق الانسان على يد الرئيس جيمي كارتر وإمتزاجها مع الجاذبية الروحية للبابا يوحنا بولس الثاني لإظهار ان الأفكار الامريكية تستند الى عقيدة دينية في مواجهتها الاتحاد السوفيتي، وحصر الاتحاد السوفيتي أنْ يأخذ موقفاً ايدلوجياً دفاعياً[٢٨].

على الرغم من تأثير الخطاب الفكري والثقافي الشيوعي على نخبة المثقفين والسياسيين

والاعلاميين في الولايات المتحدة الامركية اثناء الحرب الباردة، وقد تجلى هذا التاثير في حرب فيتنام، بحيث لم تخسر الولايات المتحدة الامريكية الحرب في ارض المعركة، بل خسرت الحرب في قاعة الكونجرس، وفي غرف رؤساء تحرير الصحف وشبكات التليفزيون[٢٩]. الا انها في النهاية كسبت الحرب الباردة وهذا الى حد كبير بفضل حملة الافكار والصراع الايدلوجي واستخدام الادوات الرمزية في السياسة الخارجية الامريكية.

ان انتصار الولايات المتحدة الامريكية في الحرب الباردة يعود الى قوة الافكار والارادة والعزيمة ومن ثم الى العناصر الاخرى المكونة للقوة العسكرية الصلبة، وبالاحرى إنَّ انتصار الولايات المتحدة الامريكية في الحرب الباردة كان نتيجة لعناصر القوة الناعمة بالدرجة الاولى ثم امتزاج عناصر القوة الناعمة بعناصر ومكونات القوة الصلبة.

وفي عصرنا الحالي ظهر هناك ما يمكن تسميته عملية "التبعية الحضارية" ونعني بذلك الاكتساح الثقافي والمعرفي والاعلامي لمنظومة الاختراق المبشرة به والمتجسدة في اقوياء هذا العصر تجاه الشعوب والامم الأخرى والتي لا تملك قوة أو معرفة القوى المهيمنة على الساحة الدولية الأمر الذي يدفع بكثير من الأمم إلى التقوقع على نفسها ازاء فارق الامكانيات الأمر الذي يؤدي إلى مزيد من حالات الاضطراب والفوضى والتسيب وانفلات الأمن ، وهنا تبرز أهمية الحوار الحضاري الذي تحتاجه تلك الأمم والشعوب اليوم اكثر من أي وقت مضى والذي يجب ان يؤسس على عناصر معرفية وموضوعية تتيح اكتشاف الغايات والوسائل لقيم الحضارة الانسانية[٣٠].

ان استراتيجية الأمن القومي الامريكي ليست حالة ثابتة وجامدة وانما هي حالة حية متغيرة تتوقف على طبيعة المراحل والظروف التاريخية ونوعية التهديدات وتغيرها من عصر الى اخر في الدولة الواحدة [٣١]، وعلى هذا الأساس كانت استراتيجية الأمن القومي الأمريكي مابعد الحرب العالمية الثانية وفترة الحرب الباردة هي معاداة الشيوعية وانحصارها، وبعد انهيار الأتحاد السوفيتي تبدلت هذه الاستراتيجية الى حماية الأمن القومي الأمريكي من مايسمى بـ(الأرهاب الدولي)، اذن فالأمن القومي الأمريكي مفهوم شامل ومرن يجمع الأبعاد السياسية والاقتصادية والعسكرية والأجتماعية والثقافية والبيئية والصحية وتشمل مستويات مختلفة: فردية، وطنية وقومية واقليمية وعالمية: وهذا يؤدي الى اختلاف التصور الأمريكي لمفهوم الأمن القومي عن جميع الدول الأخرى ويرجع ذلك الى دمج الأمن القومي الأمريكي بامن العالم، وتحقيق الأمن القومي على حساب الأخرين حتى مع استخدام القوة العسكرية رغم ان استخدامها في كثير من الأحيان يأتي كتبرير أو ذريعة لتحقيق مصالحها الحيوية[٣٢].

ركزت استراتيجية الأمن القومي ما بعد الحرب الباردة على كل ما من شانه الحفاظ على مكانة الولايات المتحدة كقوة عظمى وحيدة في العالم، وتسعى لحماية هذا الامن من خلال اجراءات عديدة[٣٣] ، صيانة الأمن في الداخل والخارج، من خلال صياغة بيئة عالمية والتجاوب مع التهديدات والأزمات،

وتسعى الولايات المتحدة الى تشكيل وصياغة بيئة عالمية من خلال مجموعة من الوسائل بما في ذلك الأدوات العسكرية والدبلوماسية والتعاون الاقتصادي والمساعدات الدولية ومنع انتشار اسلة الدمار الشامل[٣٤]. وجاء في تقرير عن استراتيجية الأمن القومي الأمريكي صادر عن البيت الأبيض في شباط ١٩٩٦، ان حماية امن الامة الأمريكية، الشعب والأرض ونمط الحياة، هو في مقدمة مهام الأدارة الأمريكية وواجباتها الدستورية[٣٥].

المحور االثاني: مرحلة ما بعد الحرب الباردة

اولاً: صدام الحضارات [٣٦]

بعد انتهاء الحرب الباردة وقيام الولايات المتحدة الامريكية بدور عالمي النطاق احادي الجانب في النظام الدولي، وحل الكثير من الازمات في فترة التسعينيات من القرن العشرين(حقبة بيل كلينتون)[٣٧] ولعل في مقدمتها استخدام القوة العسكرية ضد (الصومال، هاييتي، السودان، العراق، كوسوفو،...) بدت هذه الامور كأشارات تسلط الاضواء على (التفوق الامريكي) المطلق بمثابة الإستراتيجية الكبرى التي تخدم المصالح الامريكية، وبرز بعدها المحافظون الجدد ليدعون الى العمل الاحادي مقاربة مع القوة الامريكية.

كانت الولايات المتحدة الامريكية تبحث عن خصم تقاتله ، لانها وجدت بالحروب ضالتها بالوصول الى الاهداف ، ويمكن القول انها لن تكون قوية بظروف سلام بلا حرب ، لذلك اخذ المفكرون ومنهم صموئيل هانتنغتون يبحثون عن مخرج لازمة اميركا الجديدة. و"صدام الحضارات" لـ(صموئيل هنتنغتون) صدام الحضارات ليس فكرة جديدة انفرد بها منظرو فلسفة التاريخ المعاصرون، بل تعود في اساسها الى ابعد من القرن العشرين لكنها لبست ثوبا جديدا واعتمدتها دوائر لها ثقل في صنع القرار المؤثر في العالم وبلباسها الجديد اعتمدت مقولة (الصدام The Clash) فقد منحها هنتنغتون قوة دلالية مضافة لتصبح اكثر تغييرا واتساعا فمن الصدام الحضاري الى الصدام الكوني ومن الصدام الجزئي، طرفين او ثلاثة، الى صدام كلي تشترك فيه مجمل القوى البشرية بمختلف تشكيلاتها.ويبدو ان برنارد لويس سبق ان استخدم مصطلح (صدام الحضارات) عام ١٩٦٤ اي قبل ثلاثة عقود من هنتنغتون وربطها الاول بالصراع العربي– الاسرائيلي بتلخيص شديد فان اطروحة هنتنغتون عن صدام الحضارات هي ان المصدر الجوهري للصراع في العالم بعد سقوط الشيوعية لن يكون ايديولوجيا او اقتصاديا بالدرجة الاولى بل سيكون حضاريا[٣٨].

طرح هنتنغتون فكرته التي تناقض فكرة فرانسيس فوكوياما على اساس القوه والمصلحة القومية ويرى ان المصدر الأساسي للنزاعات في العالم الجديد لن يكون مصدرها ايدلوجيا واقتصادي وانما ثقافي فالانقسامات الكبرى بين البشر ستكون ثقافية ويذكر ان النزاعات ستحدث بين امم ومجموعات لها حضارات مختلفة وعليه سوف تكون الفواصل بين الحضارات هي اسس النزاعات في المستقبل[٣٩] هذه

الفكرة هي رؤية مستقبلية للسياسة العالمية والتي تعكس رؤية واضحه للتفكير الاستراتيجي الامريكي[٤٠]فالولايات المتحدة وجدت في فكرة صدام الحضارات ما يناسب استراتيجيتها بالجانب الواقعي لتقسم العالم الى دول إرهابية واخرى متحضرة تعمل لصالح البشرية وحسب هذه الفكرة سيكون الصدام بين الحضارة الغربية و الحضارات الاخرى .ومن جانب أخر تبتغي الولايات المتحدة الامريكية الاطمئنان على مستقبل قدراتها التنافسية مع الخصوم الواعدين سواء من اوربا أم آسيا لضمان حماية اوضاعها ومكانتها الدولية من دون منغصات أو لتفادي ان تقع في قبضة الآخرين، اي ان الولايات المتحدة الامريكية لا ترغب ان تترك للاحتمالية مجالاً في هذا الموضوع عبر تحقيق هدف أستراتيجي عالمي هو التأكيد ولكل الاطراف في العالم أنها تأخذ الدور المهيمن الذي تنفرد به بعد انتهاء الحرب الباردة، وإنها كانت القوة الاكبر في القرن العشرين فإنها مصممة على ان تكون القوة الاوحد في القرن الحادي والعشرين[٤١].

ولعل ما يؤكد ذلك فضلاً عن تحقيق أهدافها وتطلعاتها الإستراتيجية الآنفة الذكر، أن هنالك تقريرين سريين أمريكيين، حول الإستراتيجية الأمريكية ومستقبلهـا على المدى المتوسط والبعيـد، والذي يحدده الأول تحت عنوان (السيناريوهات السبع القاتلة) المقدم من قبل وزارة الدفاع الأمريكيـة(البنتاغون) للرئيس بيل كلينتون في عام ١٩٩٣ والمتضمن خطة عسكرية مفصلة لما بعد الحرب الباردة والمواجهات المحتملة والتي تفرض على الولايات المتحدة الأمريكية لتخوضها خلال السنوات العشر القادمة وأهمها:[٤٢]

١- إن وزارة الدفاع اعطت تعليمات لقادتها العسكريين تهيئة القوات والاسلحة اللازمة الكافية لخوض حروب اقليمية ضد (العراق، ايران، كوريا الشمالية) .

٢- توقع مواجهة عسكرية في اوربا لمنع روسيا الاتحادية من التطلع لاهداف توسعية.

٣- على الولايات المتحدة الامريكية ان تكون جاهزة للرد على مفاجأة من نوع الانقلاب الذي وقع في الفلبين والذي هدد حياة (٥٠٠٠) مواطن امريكي.

٤- الرد على المحاولات الإرهابية والانقلابية.

٥- المحافظة على وضع القوة العسكرية الامريكية في شرق اسيا ليتسنى للولايات المتحدة الامريكية الاستمرار في المساهمة بالأمن الاقليمي والاستقرار بالتصرف كقوة توازن لمنع حدوث فراغ أو هيمنة اقليمية.

٦- ردع المنافسات العدائية أو اي تحالف عالمي ذي طابع أمني عدواني توسعي.

اما التقرير الثاني ذو الفقرة الإفتتاحية " تكامل اليابان والمانيا في نظام امني تقوده الولايات المتحدة الامريكية وخلق منطقة سلام ديمقراطية "، فقد اكد إستعداد البنتاغون لإستخدام قواته المسلحة لمنع إنتشار الأسلحة النووية وأسلحة الدمار الشامل، مجسداً حقيقة إنتشار الأسلحة النووية الذي قد يغري المانيا واليابان وغيرها من الدول الصناعية بالحصول على مثل هذه الأسلحة لردع

أعدائها الإقليميين مما قد يؤدي الى تنافس كوني مع الولايات المتحدة الأمريكية ونشوء أزمة مصالح قومية، وتهديدات عسكرية، وينتهي التقرير بالفقرة القائلة" تشكل قوتنا النووية رادعاً مهماً لاي تحدٍ أو تهديد كوني غير منظور، وفي الوقت نفسه تساعد على ردع أستخدام طريق ثالث لاسلحة الدمار الشامل"[٤٣].

ثانيا: البحث عن الاعداء:

جاءت ادارة كلينتون خلال عام (١٩٩٣-٢٠٠٠) لتكمل وتعالج ما ضعفت فيه الادارة السابقة(بوش الأب) في تحقيق الهيمنة الأمريكية العالمية ، اذ اطلق العبارات نفسها (بوش الأب) عن النظام العالمي الجديد ليفسر مفهوم توسع القمة الديمقراطية واقتصاد السوق الحر وقيادة الولايات المتحدة الامريكية العالمية.تعد وزيرة الخارجية الأمريكية الأسبق (مادلين أولبرايت) من أبرز المدافعين عن الدور الأمريكي العالمي حيث ترى بأن التقدم الديمقراطي بني بزعامة أمريكية ويجب أن تستمر هذه الزعامة اذ ((ما اريد حماية مصالحنا في العالم))[٤٤]. وكرر كلنتون عبارة (أولبرايت) بشكل حاسم((بأن الولايات المتحدة هي الدولة الأقوى والأغنى في العالم الذي لايمكن الاستغناء عنها ولا بد للولايات المتحدة الامريكية من قيادة العالم))[٤٥]. وعلى هذا المنوال أكد (أل غور) نائب الرئيس الأمريكي (كلنتون) بأن قدر أمريكا هو أن تقود، لا أن تنسحب))[٤٦].

قال المستشار السابق لكلنتون لشؤون الأمن القومي (أنطوني ليك)((الولايات المتحدة الامريكية تملك القدرة العسكرية الاعظم والاقتصاد الأكبر والمجتمع المتعدد. الأعراق الأكثر دينامية في العالم .... زعامتنا تحترم ويبحث عنها في أرجاء العالم الأربعة... مصالحنا ومبادؤنا لا تجبرنا فقط على الانخراط ولكن على القيادة ... يجب علينا تشجيع الديمقراطية واقتصاد السوق في العالم لأن ذلك يحمي مصالحنا وأمننا ولأنه انعكاس للقيم التي هي أمريكية وكونية في الوقت نفسه))[٤٧].

لقد وصف بيل كلينتون بانه أستاذ جامعي، مثقف لكن حياته السيكولوجية تتميز بالاضطراب كون طموحاته تتميز بالتناقض كونه يريد احتلال مكانة بين الرؤساء الأمريكيين وهي رغبة جامحة لديه في البيت الأبيض الشيء الذي جعله يدفع بعملية السلام في الشرق الأوسط مع إرادته تحقيق نصر عسكري في منطقة الخليج ، كما انه يريد احتواء الدول الاشتراكية السابقة بتوسيع الحلف الأطلسي ، أن الأهداف المتناقضة والطموحات التي سعى بيل كلينتون لتحقيقها جعلته يتقمص العديد من الشخصيات لأزاحة الضغوطات والمواقف التي يتعرض لها وكمخرج للإحباطات التي يتعرض إليها يضطر إلى الكذب، لذلك كانت المعلومات التي أدلى بها العديد من القضايا ومنها عملية السلام في الشرق الأوسط، اشارة الى سعي كلينتون لعرض عضلاته الرئاسية، والحكمة تطلبت منه العمل الهادئ على إعادة توجيه المصالح الأميركية بالاتجاه الصحيح[٤٨]. وقد اكد(الكسندر ادلر) أحد باحثي ومؤلفي كتاب (الحروب التي تهدد العالم/ رؤية مستقبلية) هذا التوجه الأستراتيجي الامريكي وتطلعات سيطرتها ومواجهتها للتهديدات، حينما

قال أن المنطقة الاكثر عرضه للنزاعات في المنظور المستقبلي القريب تتمثل في شرق اسيا (الصين + اليابان) اللتين ستصبحان قريباً من مصاف القوى العظمى العالمية. ثم يضيف ثلاث مناطق اخرى في العالم تبدو النزاعات فيها مؤكدة على المدى القريب وتمثل عواصف على بوابات الولايات المتحدة الامريكية وتشمل:[٤٩] امريكا الوسطى وتحديداً في كولومبيا، كوبا، فنزويلا، هاييتي، بيرو، بوليفيا ومنطقة الشرق الاوسط والتي تعد اخطر منطقة في الحسابات الامريكية والقارة الافريقية السوداء والتي ستكون منطقة لصراعات عديدة في السنوات المقبلة[٥٠]. ويدرك اخيراً (فرانسوا فويال) من مؤلفي الكتاب ذاته ايضاً إن الولايات المتحدة الأمريكية بقوتها العسكرية ستقود ثلاثة نماذج من الحروب المستقبلية وهي((الحروب الوطنية، والحروب التي تستهدف السيطرة على الموارد الاولية، والمواجهات على اساس بلوغ مزيد من القوة))[٥١]. وستكون الغايات الاساسية من هذه الحروب:

١ـ الامساك بزمام المسؤولية الدولية والاضطلاع بدور شرطي العالم، ومن ثّمّ تسخير المنظمات الدولية وعلى وجه الخصوص (الامم المتحدة)، لخدمة اغراضها. وبالرجوع الى وثيقة وضعها البنتاغون عام١٩٩٦ بعنوان (السياسة التوجيهية الدفاعية) يتوضح هذا الهدف[٥٢]، اذ تذكر الوثيقة " إن محاسن سيطرة قوة عظمى واحدة كبيرة .. مما تبغي رفض المفهوم الدولي الجماعي وهي الأستراتيجية التي ظهرت وتكونت بعد الحرب العالمية الثانية عندما فكر المنتصرون الخمسة بتأسيس الأمم المتحدة لفض المنازعات سلمياً والسيطرة على اعمال العنف". وكما ترى الوثيقة ان العمل الجماعي عن طريق الأمم المتحدة لا يُعدّ بديلاً للزعامة الامريكية، إلا إن هذا لا يعني عدم اهميتها، اذ إنها وسيلة مناسبة لخدمة الولايات المتحدة الامريكية كقوة عظمى وحيدة بتوفيرها الآليات الجوهرية لاضطلاع الدولة(القوة العظمى الوحيدة) بمهامها المستقبلية[٥٣]. وهذا ما دفع الولايات المتحدة الامريكية لتدشن النظام الحربي في العراق بصورة انفرادية بعيداً عن حاجتها للتحالف الدولي كما في افغانستان أو من خلال قرارات الأمم المتحدة.

٢ـ تحول قوة الولايات المتحدة الامريكية من العظمى الى الوحيدة عبر اسقاط نسق القيم الرأسمالية الليبرالية الغربية في الديمقراطية وحقوق الإنسان، وتحقيق حلم الفرد الامريكي وهو الامر الذي دأبت على ترديده النظريات والمقولات التي زامنت بوادر تفكك الاتحاد السوفيتي كنهاية التاريخ وصدام الحضارات والعولمة ... والتي لا تفعل بمزاعمها كافة سوى عقلنة العنصرية والحرب والاخضاع بالقوة اعتماداً على مشروعية تأكيد الذات في سياق المحرك الاساس للتاريخ وهو (السيكولوجيا) تسويغاً عملياً لأستراتيجية تدير فيها الولايات المتحدة الامريكية العالم والصراع في العلاقات الدولية على وفق أستخدام القوة العسكرية والتدخل لحماية امنها في اي مكان من العالم.[٥٤]

٣ـ حتمية قيادة العالم بالإنتشار الأفقي والعمودي، وتحديد المناطق التي تمثل خطراً على مصالح الولايات المتحدة الأمريكية وذلك بإحتلالها حيز خاصاً في التفكير الإستراتيجي الأمريكي، الأمر الذي يسوغ ان تظل الولايات المتحدة القوة العظمى الوحيدة في العالم على وفق تبرير عالمي لجهة إختلال

موازين القوة لصالحها. وقد أكدت وثيقة البنتاغون آنفة الذكر ضرورة ان تظهر الولايات المتحدة الامريكية زعامة حقيقية لاقامة وحماية نظام جديد وإقناع المنافسين المحتملين بأن لا يطمحوا للاضطلاع بدور اكبر أو يظهروا مواقف اكثر عدائية لحماية مصالحهم(٥٥).

واعلن صاموئيل بيرجر مستشار الامن القومي الامريكي عام ١٩٩٨، اهمية التركيز على القوة العسكرية الامريكية بقوله: ((كل شخص تقريباً يؤمن بأننا بحاجة لجيش قوي لحماية مصالحنا في عالم من المخاطر المستمرة والمتغيره في ظروفها ذلك ان الإجماع المسيطر المتعلق بالقوة العسكرية الأمريكية لا يفي ببساطة بحاجة الولايات المتحدة الامريكية الى (جيش قوي) بل يعني وجوب امتلاكها للامكانيات العسكرية التي تمكنها من التغلب على اي اتحاد محتمل بين الاعداء))(٥٦). مؤكداً ان الأستراتيجية التي تلائم هذه القوة العسكرية لا يمكن تصويرها على أنها دفاعية أو هجومية، لان ذلك يسيء لفهم الطبيعة التنافسية للسياسة، حيث إن اي أستراتيجية تستحق اسمها تهدف لحماية المصالح المهمة، لكنها تفعل اكثر من ذلك، كونها تهدف لدفع الاهداف المهمة الى الامام، وهي تحاول تحديد جهود المنافسين لزيادة قوتهم (٥٧).

وبينما تسير الولايات المتحدة بتلازم مع المبدأ الذي يحتم عليها العالمية والهيمنة والقائل حسب تعبير نعوم شومسكي في كتابه ((السعي الامريكي الى السيطرة على العالم الهيمنة أم البقاء، الولايات المتحدة الامريكية بوصفها طليعة تاريخية))، ((فالتاريخ له اتجاه ووجهة يمكن تمييزها، ومن بين سائر امم العالم، وحدها الولايات المتحدة، وبصورة استثنائية تعي غاية التاريخ وتجسدها))، وعليه فإن عالمية وهيمنة الولايات المتحدة الامريكية هي لتحقيق غاية التاريخ، وما تحققه هو من اجل الخير العام، بما هو ابسط الحقائق البديهية، ومعه لا يعود التقييم التجريبي ضرورياً، هذا إن لم نقل مخطئاً، وبذلك فالمبدأ الاول للسياسة الخارجية الضارب جذوره عميقاً في الولسونية المثالية(٥٨)، والذي اتبعه الرئيس كلينتون عندما قال:((يجب ان تؤدي الولايات المتحدة الامريكية رسالتها بصفتها طليعة تاريخية، وان تُغير النظام العالمي، ومن خلال هذا وذاك تديم هيمنتها، عملاً بحتمية التفوق العسكري الذي ينبغي الحفاظ عليه دائماً ومد خطوطه الى ارجاء العالم قاطبة))(٥٩).((وعليه وبحكم ادراكها وتجسيدها الفريد لغاية التاريخ، يحق للولايات المتحدة الامريكية لا بل هي مُلزمة في الواقع، بان تتزعم العالم، وتحدد عالميتها لما هو الشيء الافضل ولمنفعة الجميع، سواء افهم الاخرون ذلك أم لا.فضلاً عن محاولتها لاكتساب القوة ايضاً وتحقيق الردع))(٦٠).

نشر صموئيل هانتنغتون عام ١٩٩٦ كتابه صدام الحضارات واعادة تشكيل النظام العالمي the clash of civilization and the Remarking of world order ،الذي كان تفصيل لمقال له نشرته مجلةforeign Affairs عام ١٩٩٣.تسود الكتاب لهجة صريحة تورث الانقباض ،كما يخيل لقارئ الكتاب انه يقرا نصاً فيه تقليد استراتيجي لكتاب شبنغلر Spengler تراجع الغرب Declin de

poccident لقد ذهب هانتنغتون الى حد رفض الاعتراف بعالمية اللغة الانكليزية واوصى بانسحاب متواضع للولايات المتحدة الى حدود تحالفها مع الغرب الاوربي، تلك الكتلة الكاثوليكية –البروتستانتينية ،مقصياً الارذوثكس في شرق اوربا، وتاركاً اليابان واسرائيل الركيزتين الاساسيتين الاخريين للاستراتيجية الامريكية، لمصيرهما، بسبب تباينهما الثقافي[٦١].

وفي عام ١٩٩٦ جاء البروفسور (صموئيل هانتنغتون) بنظريته الجديدة حول "صدام الحضارات، التي رسم من خلالها صورة مستقبلية لإشكال الصراعات القادمة بين الأمم. إذ تنبئ بقيام صراع بين الحضارات الرئيسة وخاصة بين الحضارات الشرقية والغربية ورسم سيناريو التصادم المباشر بين الحضارة الكونفوشيوسية (الصينية) والغربية كأحتمال أقرب من التصادم مع الحضارة الأسلامية ولكن في الوقت نفسه حذر هنتنغتون من قيام تحالف بين الحضارة الصينية والاسلامية ضد الحضارة الغربية[٦٢].ومن الجدير بالذكر ،ان الفكر السياسي الاميركي منذ القرن السابع عشر كان يرى أن المعركة سوف تكون بين مجتمعات غير متكافئة فبين مجتمعات تعيش بظروف سيئة ومجتمعات متقدمة تريد أن تفرض خياراتها على العالم يدور صراع سيهدد مصالحها فالولايات المتحدة ترى أن الدول الفقيرة الضعيفة ستكون هي الخطر الاكبر عليها.ثمة مفاهيم ذات مساس مباشر بنظرية هنتنغتون وهي: مفهوم الحضارات، مسألة الحضارة الكونية، العلاقة بين القوة والثقافة، ميزان القوى المتغير بين الحضارات، التأصيل في المجتمعات غير الغربية، البنية السياسية للحضارات، الصراعات التي تولدها عالمية الغرب، العسكرية الاسلامية، التوازن والاستجابات المنحازة للقوة الصينية، اسباب حروب خطوط التقسيم الحضاري والعوامل المحركة لها، مستقبل الغرب وحضارات العالم .

وهذه المفاهيم تتمحور حول[٦٣]:النظام العالمي قائم على الحضارة وهي الحضارة الغربية وتشكل الولايات المتحدة المركز او دولة القيادة في هذه الحضارة ولا يستبعد هنتنغتون (حروب خطوط التقسيم الحضاري) وبخاصة بين الحضارتين الاسلامية والصينية من جهة والحضارة الغربية من جهة اخرى ينتج عنها (تجمع الدول المتقاربة) وخطر التصعيد على نطاق واسع ومن ثم لابد من جهود دول المركز لايقاف تلك الحروب. كانت لهذه النظرية صداها الواسع في نفوس النخب المؤطرة للاستراتيجية الأمريكية بشكل خاص وللساسة والأكاديميين والرأي العام العالمي بشكل عام "حتى أن معظم المواقف على مسرح الأحداث حاولت من منطلقات مختلفة أن تشرح موقفها من مسألة صدام الحضارات"[٦٤]. ولكن يبقى صدى هذه النظرية في التفكير الإستراتيجي الأمريكي مثيراً للاهتمام إذ استطاعت ايجاد او تسويق العدو المحتمل الذي باتت الولايات المتحدة تبحث عنه كبديل للعدو الشيوعي الذي من خلاله يتم تحديد مسار الإستراتيجية الأمريكية.

ومن كل ما تقدم، يتضح مدى اهمية نظرية صدام الحضارات في طرحها لشكل وطبيعة الصراع العالمي في المستقبل وماهي طبيعة المهددات وشكل الاعداء والمنافسين الذين يقفون بالضد من الهيمنة

الأمريكية في المستقبل، وبالتالي وضفت هذه النظرية لخدمة الإستراتيجية الأمريكية بواسطة الترويج لها لضمان انسياق اوربا التي تعد مهد الحضارة الغربية خلف الولايات المتحدة وربط مصيرها ومكانتها ودورها في إطار اشمل يضم الحضارة الغربية – الرأسمالية بشكل عام إذ تقوده الولايات المتحدة الأمريكية، وان اي تراجع للمكانة الأمريكية في النظام العالمي يمثل تراجعاً للحضارة الغربية بشكل عام، ومن هنا كانت اهمية تلك النظرية في البحث عن مستقبل الهيمنة الأمريكية.

ويرى هنتغتون ان اربعة عشر قرنا من التاريخ تقول عكس ذلك ويلاحظ لمدة ما يقارب من الف سنة ابتداءً من فتح المسلمين لاسبانيا حتى الحصار التركي الثاني لفيينا كانت اوربا تحت تهديد مستمر من الاسلام ويضيف "الاسلام هو الحضارة الوحيدة التي جعلت بقاء الغرب موضع شك وان المسلمين مشتركين في اعمال عنف داخل مجتمعاتهم اكثر من غيرهم وما بين ثلثي إلى ثلاثة ارباع عدد الصراعات بين الحضارات كان بين مسلمين وغير مسلمين ، حدود الاسلام دموية وان التوجه الاسلامي نحو الصراع العنيف تساعد عليه أيضاً درجة تسلح المجتمعات الاسلامية ، ففي الثمانينات كانت لدى الدول الاسلامية معدلات قوة نسبة العسكر لكل الف من السكان ومؤشرات دالة على جهد عسكري ، نسبة القوة إلى ثروة الدولة اكبر بكثير مما لدى الدول الأخرى بل ان معدلات القوة في الدولة الاسلامية كانت تقريبا ضعف نظيراتها لدى الدول المسيحية"[٦٥].

قال بعض الغربيين بما فيهم الرئيس الامريكي بيل كلينتون "ان الغرب ليس بينه وبين الاسلام أي مشكلة وانما المشكلات موجودة فقط مع بعض المتطرفين الاسلاميين"[٦٦] ثم يصل هنتغتون إلى تعميم غير دقيق حيث يقول "من الواضح جدا ان هناك صلة بين الاسلام وسياسة الاستعداد العسكري فالعنف والصراع واضحان في الدين الاسلامي وفي تاريخه وبالتالي فان المسلمين دعاة عنف إلى ابعد الحدود"[٦٧]. وضح هنتغتون الارقام الاحصائية لتاكيد ميل المسلمين إلى العنف في تاريخ علاقاتهم مع الاخرين وذكر:"ان الدول الاسلامية لديها ميل شديد إلى العنف في الازمات الدولية وقد استخدمت ذلك لحل ٧٦ من مجمل ١٤٢ أزمة كانت طرفا فيها بين عامي ١٩٢٨ و١٩٧٩ وفي ٢٥ حالة كان العنف هو الوسيلة الرئيسة للتعامل مع الأزمة وفي ٥١ حالة استخدام العنف إلى جانب وسائل أخرى وعندما كانت تستخدم العنف كانت الدول الاسلامية تستخدمه باعلى درجاته كما لجأت إلى حروب كاملة في ٤١% من الحالات التي استخدمته فيها واشتركت في صدامات في ٣٨% من الحالات السابقة"[٦٨]. وتاتي النظرة السلبية لهنتغتون التي ينظر بها إلى المسلم ،عبر وصفه باوصاف متعددة فهو واحد من خمسة فهو ١) بدوي معتد وبربري أو بائع يحاول المساومة والغش أو ٢) ملياردير مستهتر ومسرف أو ٣) قاذف قنابل وارهابي Bedouin Bazar Billionaire Bomber ويقول هنتغتون "العداء الاسلامي المتزايد للغرب يمكن مقارنته بالقلق المتزايد للغرب من الخطر الاسلامي المتمثل في التطرف انهم ينظرون إلى الاسلام كمصدر للانتشار النووي والارهاب والى المسلمين كمهاجرين غير مرغوب فيهم في

اوربا"[٦٩].

لذا لا يخطئ بيل كلينتون بقوله "إن السياسة الخارجية للولايات المتحدة تعبر عن نفسها بقوة الحوادث التي تجابهها "[٧٠]، فقد بنت الولايات المتحدة سياستها في مكافحة الإرهاب[٧١] على أساس اتهام سبق أن وجهته الولايات المتحدة للاتحاد السوفيتي السابق حينما نعتته بـ(إمبراطورية الشر) ثم استخدمت الاتهام نفسه تجاه ما سمتهم الدول المارقة ، أي الدول التي ترعى الإرهاب، وهو المصطلح الذي ظهر في عهد الرئيس كلينتون،كما لجأت الادارة الامريكية في عهد الرئيس كلينتون، الى ما عرف خصخصة السياسة الخارجية الامريكية ، هكذا حيلة لكي تضمن لنفسها عدم التورط في الحالات التي يكون فيها التدخل الدبلوماسي مثيراً للقلاقل، اذ تكتفي بان تدفع بشركائها الخصوصيين لكي يتولوا الترتيبات اللازمة بدلاً من الحكومة، على ان يتولى البنتاجون نفسه امر متابعة سير العمليات عبر خلية تعاون سرية،،لتنفيذ مخططاتها دون مساءلة قانونية او دستورية ويؤكد خبير استراتيجي اوربي هو ريشار لابيفيير في كتاب له بعنوان(دولارات الرعب) ان هذه الشركة وتدعى سوكوم[٧٢] لعبت دوراً مهماً في ادارة الصراع في منطقة البحيرات العظمى، وتدخلت في عام ١٩٦٩ في نحو ١٤٠ دولة بدعوى انها تقوم بمهام انسانية في الصومال والسودان وراواندا والكونغو ..او بحجة انها تزيل الغام الحروب الاهلية التي جرت في انجولا واريتريا ،وقامت الشركة نفسها بتدريب ضباط الرئيس لوران كبيلا في رواندا، بينما قامت شركة اخرى في ١٩٩٥ تحت ستار التدخل الانساني بتسليم دبابات ومتفجرات للقوات المتحاربة داخل رواندا، دون ان تابه لقرار مجلس الامن الخاص بحظر تسليح هذه المنطقة[٧٣].

ولكي تدور احداث يوغسلافيا عام ١٩٩٩في الاتجاه الذي يخدم المصالح الامريكية كان لابد ان تصل ذراع السياسة الخارجية الى هناك عبر شركات اخرى، وكانت احدها تضم نحو ٢٠٠ خبير من افضل الخبراء العسكريين في العالم، ولقد كانت مهمة هذه الشركات الخاصة في عام ١٩٩٥ مساعدة الكروات في الحرب الاهلية، وهكذا كانت الولايات المتحدة الامريكية اليد الطولى في منطقة البلقان عبر دعمهم للاطراف المتنازعة في يوغسلافيا، لكن المذهل في الامر ان برنامج تطوير وتدريب افراد احدى هذه الشركات قد بلغ في احدى الدورات ٤٠٠مليون دولار تكفلة بها دول اخرى غير الولايات المتحدة الامريكية مثل بروني وماليزيا ،وبعض دول الشرق الاوسط[٧٤].والذي يوضح جوهر القوة العسكرية الأمريكية بأنها تعني إستخدام قوى مشتركة خفيفة وأسهل حركة في الحرب، تدعمها المعلومات الاستخباراتية وقدرات القيادة والسيطرة بما في ذلك مضاعفات القوة الجوية، ويؤكد خبير استراتيجي اوربي هو ريشار لابيفيير في كتابه دولارات الرعب((إننا لسنا بحاجة لان نسرع على أقدامنا... إن ما نحتاجه هو إنجاز الاشياء خلال ساعات وايام بدلاً من الاسابيع والاشهر... وبأقل قدر من آثار اقدامنا على الارض))[٧٥]. ويتفق معه رئيس هيئة الأركان العامة المشتركة السابق الجنرال ريتشارد مايرز[٧٦] "عندما اوضح اعتماد افضل الوسائل لتحقيق الاهداف، وتزامن ذلك باعلان قرار مجلس الأمن رقم (١١٦٠)

في ٣١ أذار عام ١٩٩٨، إذ قال:((بأن جوهر هذه الطريقة الأمريكية في الحروب المستقبلية، هي القدرات الخدمية التي أصبحت افضل بكثير من خلال الفريق المشترك، وإزدادت مقدرتها بحلقة إتخاذ القرارات المعتمدة على القيادة والسيطرة، المعلومات الاستخبارية، الإشراف والمسح الشامل، وهذه الحلقة أثبتت سرعة قصوى وخفة في الحركة بحيث نكون دائماً في عقدة إتخاذ القرار لخصومنا، حتى لو كان يحاول خصمنا تهيئة المجال لتغيير المحيط)) [٧٧]، وهنا سيحل تعبير جديد في الحرب القادمة هو " فضاء المعركة" محل تعبير ساحة المعركة، من خلال الإشتراك والإرتباط الوثيق للغاية بين القِوى الجوية والارضية والبحرية والفضائية...[٧٨]

هذه الافكار تضع العدو مبرر بالنسبة للولايات المتحدة الامريكية، وهي فكرة قديمة في الاستراتيجية الامريكية فالرئيس الامريكي(ثيودور روزفلت)[٧٩] استغلها لتقسيم العالم عام ١٩٠٠الى قسمين القسم الذي ينعم بالحضارة الغربية المسيحية وعلى راسها الشعوب الناطقة بالانكليزية بالمقابل قسم يعاني البربريه والاستبداد لذا على الدول صاحبة الحضارة ان تفرض نفسها بالقوة في الجزء غير المتحضر من العالم[٨٠].طرح هنتغتون فكرة العدو الشامل الذي وجدته الولايات المتحدة ضروري بعد الفراغ الاستراتيجي الذي تركه الاتحاد السوفيتي بعد انهياره ، فهنتغتون أعتقد ان العدو الشامل يساعد على الانسجام بين الشعب الامريكي[٨١] ، وهذا ما تريده الولايات المتحدة من الداخل وحتى بين حلفاءها في الخارج فقد وجدت من فكرة هنتغتون حول الحد من القوة العسكرية للحضارات التي قد تمثل العدو المحتمل خصوصا الحضارة الكونفوشوسية والاسلامية وهذا الامر وجدته يطابق ما طرحه جورج كينانGeorge Kennan [٨٢] حول الاحتواء المزدوج ولكن تطبيقه باسلوب الحضارات ،فكينان يرى ان القضاء على النازية سبب ظهور الشيوعية وان الحل الامثل هو ليس اقامة الاحلاف العسكرية بل منع انتشارها ونفس الامر حدث فانهيار الشيوعية ليس نهاية المشاكل العالمية ، بل هنالك خطر سوف يتمثل بالحضارات ومن ثم فان هذا الخطر يجب انُ يحتوى كاحتواء الاتحاد السوفيتي[٨٣].فقد تحدث هنتغتون عن المستقبل وحذر من خطر المواجهة ودعا صراحة الى أخذ الحيطة والاستعداد للدفاع عن النموذج الحضاري الامريكي والدفاع عن المصالح التي يقوم عليها[٨٤].

كتب المحافظ (تشارلز كروثامر)قائلاً " الولايات المتحدة الامريكية تجاوزت العالم كجبار فمنذ ان دمر الرومان قرطاج لم تبلغ قوة الذرى حيث وصلنا " [٨٥]. وذهب كاتب آخر ابعد في المستقبل عندما قال " ان القرن الثامن عشر كان فرنسياً ، والقرن التاسع عشر كان انكليزياً والعشرين امريكياً والقادم سيكون من جديد امريكيا"[٨٦]

وبالرغم من إننا نعرف ان العنف يميز العلاقات الدولية كما تقول نظرية الواقعية السياسية التي ينتمي اليها هنتغتون وكما تبين الممارسة الدولية إلاّ ان هنتغتون يؤكد ان المسلمين يختلفون عن غيرهم في درجة استخدام العنف من خلال تحليله التالي: "وبينما لجأت الدول الاسلامية إلى العنف في ٥٣.٥%

من ازماتها لم تستخدم المملكة المتحدة العنف سوى في ١١.٥% والولايات المتحدة في ١٧.٩% والاتحاد السوفيتي السابق في ٢٥.٥% من الازمات التي كانوا اطرافا فيها"[٨٧]. إذا من خلال ما تقدم يخلص هنتغتون إلى خلاصة اساسية هي الميل الاسلامي إلى القتال والعنف الذي هو من حقائق اواخر القرن العشرين التي لا يستطيع ان ينكرها المسلمون أو غير المسلمين. لكن هنتغتون لم يوضح ما إذا كان هذا العنف الاسلامي هو من قبيل الفعل أم رد الفعل؟ وهل كانت الدول الاسلامية التي تمارس هذا العنف معتدية أم ضحية تدافع عن نفسها تماما؟ كما فعل عندما تكلم عن علاقة الدين بالهوية والتعصب فإذا به لا يذكر كلمة عن "اسرائيل" التي تعتبر من أهم الكيانات القائمة على أساس الدين كما يتضح فيه وصفها لنفسها بالدولة العبرية وسماحها بتطبيق قانون العودة الفوري لأي يهودي قادم من أقصى انحاء المعمورة لكي يستقر في الأرض الموعودة من دون أية رابطة بها سوى الدين وكذلك لم يذكر هنتغتون في معرض حديثه عن سيطرة القبلية على الإسلام دولا عربية إسلامية لم تقم على الأساس القبلي مثل المغرب ومصر وبلاد الشام فلماذا هذا الاستبعاد لعوامل تتعارض مع نظريته ولا تخفى حتى على غير المتخصص؟ فما بال بمفكر مثل هنتغتون يفترض بانه وصل إلى أعلى مراتب السلطة والهيبة العلمية في واحدة من اعرق الجامعات ليس فقط في الولايات المتحدة وانما على مستوى العالم تقريبا.

المحور الثالث : الغرب يصطدم بالاسلام.

كانت الولايات المتحدة بصفة خاصة هدفاً رئيساً للعديد من عمليات الإرهاب، سواء بسبب مكانتها كقوة عظمى وحيدة في عالم ما بعد الحرب الباردة أم بسبب ما تتسم به سياستها الخارجية من اختلالات وتحيزات صارخة أو بسبب تعقيد بيئتها الداخلية. وقد عانت الولايات المتحدة من نوعين من الإرهاب هما (الإرهاب الخارجي، والإرهاب الداخلي) فالإرهاب الداخلي هو ذلك الذي تقوم به جماعات مناوئة للحكومة الفيدرالية، مثال الجماعات اليمينة المتطرفة، والجماعات اليسارية المتطرفة وبعض المتطرفين ذوي المصالح الخاصة ، ومن أبرز العمليات الإرهابية التي قامت بها العناصر الداخلية، عملية أوكلاهوما[٨٨] التي قام بها تيموثي ماكفي. وتضم الولايات المتحدة الكثير من المجموعات الإرهابية والتي لا يزال كثير منها نشطاً اليوم كمنظمات كوكلوكس كلان والفهود السود والوثيرمين(Weathermen) وعصبة الجنوب والهوية المسيحية والأمم الآرية وكثير من الميلشيات اليمينية الخاصة[٨٩] التي قامت بالعديد من الهجمات في الداخل والخارج،[٩٠] من جهة آخر، ناهضت الولايات المتحدة باسم مكافحة الإرهاب الدولي معظم حركات التحرر العالمية وأخذت تدعم الحروب المعادية للثورة وفقاً لما أسماه الرئيس الأمريكي الأسبق ريتشارد نيكسون بـ(الحرب الصليبية للأمم المتحضرة ضد الإرهاب)[٩١].وتقوم بهذا النوع من الإرهاب ثلاثة أنواع من التنظيمات هي (منظمات إرهابية رسمية، وإرهاب مدعوم من دول، أو متطرفين فرديين أو غير منتظمين في هياكل تنظيمية متماسكة).

كما حاولت الولايات المتحدة الامريكية على الدوام تبرير سياستها الخارجية العدوانية بخلق عدوٍ مفترض في كل حقبة من حقب تاريخها السياسي وفقاً لما تمليه ظروف الحقبة التاريخية المعنية وحتميات النظام الدولي السائد وطبيعة المرحلة السياسية الراهنة[٩٢]. واطلقت الولايات المتحدة تسميات مختلفة على اعدائها ابتداءً من (محور الشر) ثم (الدول المارقة) ثم (الارهاب) ، وبإختلاف هذه التسميات ولكن الهدف واحد وفي الحالات كلها وهو تحطيم كل من يقف او يحاول الوقوف امام مصالح الولايات المتحدة الامريكية ، وعلى هذا الاساس فإن اعلانها الحرب ضد الارهاب ليس بالامر الجديد ، إذ سبق وان اعلن الرئيس الامريكي الاسبق (رونالد ريغان) الحرب ضد الارهاب الذي كان متمثلاً بالإتحاد السوفييتي بعدما سمي (امبراطورية الشر) و (وباء الارهاب الشرير)[٩٣]، فيما تغيرت سياسة الولايات المتحدة الامريكية منذ انتهاء حرب الخليج الاولى (الحرب العراقية – الايرانية) فسعت الى تحديد الدول الخارجة عن ارادتها وسمتها بأسماء مختلفة وصولاً الى عام ١٩٩٣ وكانت هذه الدول سبع هي (كوبا وايران والعراق وليبيا وكوريا الشمالية والسودان وسورية) وقد صنفت هذه الدول بالدول المارقة[٩٤]. فيما تغيرت سياسة الولايات المتحدة الامريكية منذ انتهاء حرب الخليج الاولى (الحرب العراقية – الايرانية) فسعت الى تحديد الدول الخارجة عن ارادتها وسمتها بأسماء مختلفة وصولاً الى عام ١٩٩٣ وكانت هذه الدول سبع هي (كوبا وايران والعراق وليبيا وكوريا الشمالية والسودان وسورية) وقد صنفت هذه الدول بالدول المارقة[٩٥]. ومع نهاية الحرب الباردة، اضطرت الولايات المتحدة إلى التعامل مع مخلفاتها التي أصبحت بدورها تشكل تهديداً للأمن القومي الأمريكي على صورة (تهديد إرهابي). فقد زودت الولايات المتحدة حلفائها في أفغانستان بالسلاح والمال بغية دعم مقاومة المجاهدين للاحتلال السوفيتي، وشجعت التيار الأصولي الإسلامي؛ لإخافة موسكو ولجعل الجنود السوفيتيين مدمني مخدرات التي عملت بجد على نشرها في البلد كما وفرت وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية مساعدة للأفغان العرب كأسامة بن لادن[٩٦] قدرت بملياري دولار بهدف تعويق استمرار الاحتلال السوفيتي لأفغانستان وجعلت من هذه العمليات الأكثر كلفة من بين العمليات التي التزمت بها وجندت الاستخبارات السعودية والأمريكية الإسلاميين فأعددتهم ومدتهم بالسلاح وتلاعبت بهم بفكرة الجهاد (الحرب المقدسة) ليحاربوا السوفيت بدلاً عنها. وفي عام ١٩٩٢ قامت الولايات المتحدة بإنزال في الصومال الواقعة تحت الانتداب منظمة الأمم المتحدة من اجل (استرداد الأمل Restore Hope)، والتي راح بعض القدماء الذين حاربوا في أفغانستان يطلقون النار في وجه الأمريكيين وشاركوا في عملية لاقى ١٨جندياً أمريكياً مصرعهم خلالها، وقد أُعلن بن لادن مسؤولاً عن الاشتباكات الدائرة فحزم الجيش الأمريكي أمتعته وتصور الجميع أن بن لادن هزم الأمريكيين بعد انتصاره على السوفيت[٩٧]. من جانب آخر أعلن بن لادن في مقابلة مع شبكة الاعلام البريطانية(ABC–TV) بأنه وأتباعه كانوا يستعدون لخوض نضال طويل في الصومال شبيه بما حدث للسوفيت في أفغانستان، لكن الولايات المتحدة هربت من الصومال بخزي وعار، وقد أشار

الى هزيمة الجيش السوفيتي كدليل على أن جيوش المسلمين قادرة على هزيمة دولة عظمى، وأشار بأنه لا يجد مفراً من نقل المعركة الى الأراضي الأمريكية[٩٨].

فقبل نهاية ولايته بقليل ارسل جورج بوش الاب الجنود الامريكيين الى الصومال ،الدولة الغارقة في الفوضى وكانت مهمتهم فتح الطريق امام قوة تابعة للامم المتحدة مكلفة بتامين نقل الغذاء بصورة منتظمة الى السكان الجياع لكن الصومال تحول ارثاً جديداً لحكومة كلينتون فالجهود الرامية الى اقامة حكومة ممثلة للشعب هناك باتت مشروع بناء دولة من الاساس ،ففي تشرين اول ١٩٩٣ واجه الجنود الامريكيين الذين ارسلوا لألقاء القبض على الضابط في الجيش الصومالي الجنرال عيديد، مقاومة شديدة غير متوقعة ففقدوا طائرة هليكوبتر هجومية و١٨ قتيل، ولم يتم القبض على الجنرال عيديد ، بل تم خلال الاشهر التالية سحب جميع الوحدات الامريكية المقاتلة، وجهة نظر الحكومة، انه من التعقل بكل بساطة انهاء التزام هامشي غير حكيم ،والتركيز على اولويات اخرى وقد بدى واضحا في ما بعد ان زعيم الحرب الصومالي تلقى المساعدة من منظمة القاعدة اسامة بن لادن، الذي عرف بتعصبه وعدائه للحضارة الغربية واشعر بانه مصيب باعتقاده بان الامريكيين لن يقاتلوا إذا ما هاجموا في تلك الاثناء كانت الولايات المتحدة قد احبطت هجوما من قبل المتطرفين الاسلاميين، واظهرت القاعدة قوتها عندما انفجرت قنبلة ضخمة في موقع للسيارات تحت الارض بتاريخ شباط ١٩٩٣ لاسقاط برجي مركز التجارة العالمي في منهاتن السفلى بنيويورك[٩٩].ومنذ بداية عقد التسعينيات من القرن العشرين اولت الولايات المتحدة الامريكية موضوع الارهاب الدولي اهمية قصوى وعدته التهديد الاكبر والاكثر خطورة في مرحلة ما بعد الحرب الباردة.

وعلى الرغم من أن الإدارات الأمريكية المتعاقبة أولت اهتماما فائقاً لمكافحة الإرهاب، فأن المسؤولين الأمريكيين أكدوا في العديد من المناسبات أنه ليست هناك مناعة كاملة في مواجهة الهجمات الإرهابية على الولايات المتحدة في ضوء التطور المتواصل في المستوى التكنولوجي للعمليات الإرهابية وتطوير التكتيكات الإرهابية ، فضلاً عن أن الجماعات الإرهابية باتت تبدي عزماً وتصميماً ومقدرة متزايدة على ضرب الأهداف الأمريكية ، بما في ذلك محاولة الجماعات الإرهابية الحصول على أسلحة الدمار الشامل[١٠٠]. والتي سبق وأشار الرئيس الأمريكي كلينتون لها ولاسيما، في ظل التطور التقني لوسائل الإرهاب لدى المواطنين داخل الولايات المتحدة[١٠١]. وقد زادت التفجيرات الإرهابية في الولايات المتحدة بوساطة الأمريكيين أنفسهم من ٢٠٩٨حادثة سنة١٩٩٠ إلى ٣١٩٩حادثة في سنة١٩٩٤ بنسبة زيادة قدرها ٥٢% وذلك قبل حدوث تفجير أوكلاهوما الشهير في ١٩٩٥[١٠٢]. ظهر تقرير في عام ١٩٩٥ تصف القيادة الاستراتيجية الاميركية STRTCOM الاسلحة النووية بانها الاثمن في الترسانة الاميركية لانه خلافا للاسلحة الكيمياوية والبيلوجية التدميرية الناجم عن تفجير نووي تدمير فوري ، وقليلة هي المخلفات التي تحد من اثاره ، لذلك فان الاسلحة النووية تلقي دائماً بظلالها على اية ازمة او صراع

،وتنصح دراسة للمجلس القومي الاميريكي بان "لا يعول المخططون انفسهم على انهم اناس عقلانيون ورابطو الجاش اكثر من اللازم، فان الامكانات ان تتقلب الولايات المتحدة الى دولة غير عقلانية ومتعطشة للانتقام، يجب ان تكون جزء من الشخصية القومية الاميركية" [١٠٣].

وتوالت الهجمات على المصالح الأمريكية وقواتها المسلحة والمنشآت الدبلوماسية الأمريكية، كتفجير القنابل في الرياض ١٩٩٥ وتفجير الخُبر في عام ١٩٩٦ وتفجير سفارتي الولايات المتحدة في نيروبي[١٠٤] – كينيا ودار السلام – تنزانيا عام ١٩٩٨ ،رداً على ذلك سمح الرئيس الامريكي كلينتون في ٢٠ اب ١٩٩٨ باطلاق صواريخ كروز على مخيم تدريب في افغانستان ،بعد ان اعلن وجود اسامة بن لادن فيه، مثلما سعى الرئيس ريغان الى اخراج معمر القذافي بعد تفجيره الطائرة بان آم في اثناء رحلتها ذات الرقم مئة وثلاثة لكن امل كلينتون بقتل بن لادن خاب[١٠٥].،ثم تلى ذلك تفجير المدمرة كول عام ٢٠٠٠[١٠٦]، ويلاحظ على هذه العمليات، والتي تنسب الى تنظيم القاعدة الآتية[١٠٧]:

إن الهجوم ضد السفارتين قد أدى الى خسائر بشرية و(معنوية) واسعة، إذ انه أسفر عن مقتل ٢٢٤ شخصاً وجرح اكثر من ٥٠٠٠ فرد بينما أدى الهجوم على المدمرة الى مقتل ١٧ من طاقمها وجرح أكثر من ٤٠ فرد وهي كلها أهداف تابعة لوزارتي الخارجية والدفاع الأمريكيتين كرموز سيادية.إن العمليتين قد نفذتا بأسلوب "الهجمات الانتحارية" التي تستخدم فيها سيارات أو قوارب ملغمة تحمل كميات كبيرة وهائلة من المتفجرات، على نحو يؤدي إلى تدمير الهدف تدميراً شبه كامل، وليس مجرد ألحاق أضرار به وربما كان مخططو عملية كول يستهدفون إغراقها.إن عملية السفارتين كانت تشير إلى قدرة غير عادية في التنسيق إذ تم استهداف سفارتين تعملان في دولتين متجاورتين بأسلوب (الهجمات المتزامنة أو المنسقة)، التي تشارك فيها عادة مجموعات متعددة تحت قيادة واحدة .يشير مجمل تلك العمليات إلى انتشار واسع لعناصر القاعدة في مناطق مختلفة من العالم بحيث توجد عناصر محلية تقوم بأدوار شديدة الأهمية بدون لفت الانتباه، على نحو ما توضح العمليات التي جرت في السعودية واليمن وكينيا وتنزانيا.

أثناء التحقيق في قضية الاعتداء على المنشآت العسكرية في الظهران في ٢٥ حزيران ١٩٩٦، الذي أدى إلى مقتل ١٩ جندياً أميركياً، زار مدير الاستخبارات الامريكية جون أونيل المملكة العربية السعودية شخصياً للحصول على مساعدة السلطات السعودية وتعاونها من الملك فهد. لكنه لم يفلح في إقناعه، فاستجوبت الاستخبارات السعودية المشتبه بهم البارزين في حين اكتفى مكتب التحقيقات الفدرالي بجمع الأدلة المادية كي يتقدم التحقيق في القضية. وفي ما يتعلق بالعلاقة بين منظمة القاعدة والسعودية، لم تفاجئه كلياً استنتاجات التقرير حول "المحيط الاقتصادي لأسامة بن لادن"[١٠٨].وخلال السنوات الست الأخيرة من نهاية القرن، كرّست الولايات المتحدة نفسها لمراقبة الإجراءات المختلفة المتخذة للضغط باسم طالبان، لاسّيما في الأمم المتحدة. ولم تنتهي نشاطاتها لحساب هؤلاء الزبائن، حتى بعد العام ١٩٩٦، حين أصبح زعيم الطالبان محمد عمر شخصاً لا ينبغي الاختلاط به بنظر الحكومة الأميركية (بعد

عمليات الاعدام من دون محاكمة). وفي شباط ١٩٩٨ أُعلن المنفي السعودي أسامة بن لادن والطبيب المصري أيمن الظواهري، من خلال جريدة عربية لندنية من أفغانستان، مقرهم الرئيس، بأن الولايات المتحدة أعلنت الحرب ضد الله ورسوله، ودعوا إلى قتل أي أمريكي في أي مكان على الأرض كواجب فردي على كل مسلم باستطاعته ذلك وفي أي بلد يمكنه ذلك، وبعد ثلاثة أشهر من ذلك أجرى بن لادن مقابلة مطولة مع ABC–TV قال فيها (إنه من المهم للمسلم قتال الأمريكيين أكثر من غيرهم، نحن نعتقد بأن أسوء سراق في العالم اليوم وأسوء إرهابيين هم الأمريكيون، ولا اختلاف بين المدنيين والعسكريين كلهم أهدافاً)[١٠٩]. وفي ٢٢تموز ١٩٩٨ أعلن الرئيس كلينتون أنه ينبغي للولايات المتحدة أن تواجه التحدي الجديد للإرهاب في القرن الحادي والعشرين "بنفس القوة والعزيمة التي واجهت بها أخطر تحديات الأمن في هذا القرن". ولهذا الغرض قام بتوقيع الأمرين الرئاسيين ٦٢،٦٣ لتحشيد الامكانات في الداخل الامريكي والخارج لمواجهة ما عرف ب(الارهاب) وعين منسقاً قومياً للأمن وحماية البنية الأساسية ومكافحة الإرهاب من أعضاء مجلس الأمن القومي[١١٠].ويمكن توضيح ما سلف، أن السياسة الامريكية تسير نحو السيطرة الشاملة سيما وانه بدت القوة الوحيدة بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، وان تنظيم القاعدة وبن لادن هما الأعداء الجدد للولايات المتحدة وهي من اخترعتهما لأشغال مواطنيها وايهامهم بأنهم يواجهون اعداء اقوياء، وذريعة لايجاد حروب لا ينتفع منها غير الولايات المتحدة الامريكية، وذلك ما اكدته الاحداث التاريخية، بدعم الادارة الامريكية لهذه التنظيمات، فقد كان برجنسكي يؤكد على أن واشنطن لابد من أن تكون أكثر تعاطفاً مع أولئك الأفغان الذين كانوا مصممين على الحفاظ على استقلال بلادهم لاخراج القوات السوفيتية [١١١].وظهر تساؤل في البنتاجون ما إذا كان الدعم الأمريكي السري للعصابات الإسلامية سوف ينجح في استخراج السوفيت إلى مستنقع شبه بفيتنام[١١٢]. وبتاريخ ٦نيسان ١٩٧٩ أعطت لجنة التنسيق الخاصة وهي مجموعة داخلية كان يرأسها بريجنسكي تعليماتها للمخابرات المركزية بوضع خطة شاملة لحرب سرية في أفغانستان مدعومة من الولايات المتحدة الأمريكية، تتراوح بين المساعدات المالية غير المباشرة للمتمردين والدعم بالسلاح، وبعد ثلاث أشهر وقع الرئيس كارتر قراراً يسمح للوكالة بالبدء في مساعدة المجاهدين الافغان[١١٣]، كما كان المتمردون المسلمون يطلقون على انفسهم، وذلك بواسطة الدعاية والمال والإمدادات غير العسكرية، وسرعان ما وضع الرئيس الباكستاني محمد ضياء الحق الذي تشترك بلاده مع أفغانستان في حدود طويلة ومفتوحة تقريباً جهاز استخباراته ISI في خدمة تهريب السلاح للعصابات المعادية للسوفيت المجاوره له.وبفضل المساعدات السرية من باكستان والولايات المتحدة كان المجاهدون مستعدون في نهاية ١٩٧٩ لمقاومة السيطرة[١١٤].وهكذا وضعت السياسة الامريكية ذرائع لتدخلها في مناطق العالم، من خلال ايجاد اعداء مناصرين لها، لتسيغ لنفسها الشرعية لتدخلها في كثير من اجزاء العالم سيما منطقة الشرق الاوسط. فضلاً عن ذلك ، لم تغب اجزاء اخرى من العالم عن انظار السياسة الامريكية ،فقد كان الرئيس كلينتون معنيا في قضية

الاضطرابات في ايرلندا الشمالية، ووفر كلينتون للانفصاليين اعترافاً اكثر من اي وقت سابق لكنه عمل ايضا من كثب مع الحكومات البريطانية برئاسة جون ميجور وتوني بلير والنتيجة النهائية، اي اتفاقات السلام الموقعة يوم الجمعة العظيمة ١٩٩٨ ،انشأت العملية السياسية لكنها تركت العديد من التفاصيل بحاجة الى العلاج وخلال السنوات التالية، اصبح وضع السلام والنظام افضل في ايرلندا الشمالية مما هو في الشرق الاوسط لكنه ضل غير مستقر واستمر الاتفاق النهائي على المفاوضين وجاءت مشكلة تفكك يوغسلافيا ما بعد الحرب الباردة الدولة المنقسمة اثنيا ودينيا بين الصرب والكروات والسولافيين والمسلميين البوسنيين والالبان الكوسوفا، لتتخذ طريقها الى واشنطن بعد ان فشلت الحكومات الاوربية في فرض النظام هناك وكانت حكومة بوش قد رفضت التدخل في العنف منذ البداية، لكن حكومة كلينتون فعلت ذلك في نهاية المطاف مع الكثير من التردد بعد ان طلب منها ذلك بالحاح حلفائها الاوربيون في سنة ١٩٩٥، رعت حكومة كلينتون المفاوضات التي ادت الى اتفاقات ديتون[١١٥] بولاية اوهايو الامريكية من اجل خلق مظهر سلمي في البوسنة وفي سنة ١٩٩٩ وبعد ارتكاب الصرب المجازر بحق سكان كوسوفو، قادت الولايات المتحدة حملة غارات جوية دامت ثلاث اشهر ضد الصرب[١١٦]. في تلك المرحلة، استعادت الولايات المتحدة أملها في السيطرة على طالبان. وفي ٤ تموز١٩٩٩، استقبل الرئيس بيل كلينتون رئيس الوزراء الباكستاني نواز شريف في زيارة رسمية، في حين أن نيودلهي وإسلام أباد تنازعان كشمير من جديد، وتناقش الرجلان في الموضوع فتوصلا إلى تفاهم معين، كما حصل شريف على مهلة ليأمر جيش بلاده بالانسحاب من جبال كشمير، حيث يقدم المساعدة والمشورة لمجموعات من المقاتلين الإسلاميين، الذين جندتهم ودربتهم الاستخبارات الباكستانية. وفي المقابل، سيطلب رئيس الحكومة من مدير هذه الاستخبارات، الجنرال خواجه زيولدين(KhawagaZiauldire)، التوجه إلى قندهار في أفغانستان للسعي إلى استرداد أسامة بن لادن[١١٧]. وبخلاف كل التوقعات، سار هذا التبادل على خير ما يرام؛ وفي ٥تشرين الأول، تمكّن زيولدين من مقابلة الملّا عمر، الذي أعرب عن استعداده للتعاون! وتتالت النجاحات في ذهن مستشاري بيل كلينتون، ففي ٧ تشرين الأول طلب رئيس الوزراء من الاستخبارات إغلاق كافة مخيمات تدريب الإسلاميين الأصوليين على الحدود الأفغانية– الباكستانية، لاسّيما في المنطقة المسماة "المنطقة القبلية))[١١٨]. وفي هذا الإطار، صوّت مجلس الأمن، في ١٥ تشرين الأول ١٩٩٩، على القرار رقم ١٢٦٧ الذي يطلب بموجبه من كابول تسليم أسامة بن لادن، وينصّ على عقوبات اقتصادية محددة. ويستمر الضغط، إنما لا يظهر أيّ غضب إلى العلن[١١٩]. عين أمين عام الأمم المتحدة كوفي أنان مسؤولاً جديداً لملف طالبان، وهو فرنشسك فندرل (FransescVendrell)، الذي حمل لقب الممثل الخاص للأمين العام في أفغانستان. وأصبح هذا الممثل محور المناقشات غير الرسمية مع طالبان، التي تهدف إلى تقديم أسامة بن لادن للمحاكمة. وفي خفايا سلطة الأمم المتحدة، لوحظ تزايد نفوذ المجموعة ٢+٦ . وقرر البيت الأبيض تشجيع النوايا الحسنة التي ظهرت أخيراً، فتم

تخصيص ١١٤ مليون دولار أميركي من المساعدات الإنسانية لأفغانستان، ومنح هذا المبلغ لهيكليات محلية تحت مراقبة طالبان والأمم المتحدة[١٢٠].

ومنذ تلك اللحظة، وللمرة الأولى منذ شهر آب ١٩٩٨، ساد التفاؤل. وتكررت المباحثات بين كابول ونيويورك، فيما عقدت مجموعة ٢+ ٦ اجتماعاتها للمرة الأولى في واشنطن. وفكر المشاركون في تشجيع قيام حكومة معدلة في كابول، تجمع بين طالبان وقادة تحالف الشمال. ووجهة الدعوات الى الطرفين العدوين إلى مشاركة في هذه المناقشات مباشرة منذ العام ٢٠٠٠[١٢١]. وحظيت المجموعة بتشجيع كافة أعضاء مجلس الأمن بما في ذلك الفرنسيين والبريطانيين[١٢٢].وقررت وزارة الخارجية من جهتها، أن تستأنف المفاوضات الثنائية مع كابول، خوفاً من أن تفقد سيطرتها على الوضع. وفي ٢٧ أيلول٢٠٠٠، لوحظ أن تحسن العلاقات بين الطرفين يرضي الجميع، ففي هذا اليوم ألقى مساعد وزير خارجية طالبان عبد الرحمن زاهد (٤٤) محاضرة في معهد الشرق الأوسط في واشنطن. خلال مداخلته، طالب زاهد الأمم المتحدة بالاعتراف بحكومته، أما بين الحضور فلم يتأثر أحد بهذا الضغط العلني. ولإرضاء الجميع، نقل المسؤول الأفغاني إلى محاوريه مواقف مشجعة حول مسألة أبن لادن. وأكد أن السلطات الدينية في بلاده شكلت لجنة تحقيق خاصة للتحقق من مسؤولية أسامة بن لادن عن الاعتداءات وللنظر في مسألة تسليمه المحتملة. وقد التقى منسق مكافحة الإرهاب في البيت الأبيض، مايكل شيحان، أحد أعضاء وفد طالبان، عبد الحكيم مجاهد لمناقشة هذه المسالة[١٢٣]. وبعد مرور شهر، وفي ١٨ تشرين الأول٢٠٠٠ تحديداً، اعترفت وزارة الخارجية بأعمال مجموعة ٢+٦ ، وبمتابعة المفاوضات مع طالبان باسم إرساء السلام في أفغانستان[١٢٤] . وبعد أسبوعين، بدأ وكأن المفاوضات توشك على الانتهاء بنجاح. وأعلن فندرل أن الطرفين المتنازعين في أفغانستان، أي طالبان واتحاد الشمال، درسا وللمرة الأولى، إمكانية التوصل إلى حل سلمي، تحت رعاية المجموعة ٢+٦ [١٢٥].لكن المفاوضات لم تجد لها تطبيق على الارض الواقع[١٢٦]. وباسم محاربة الارهاب ، لم تتردد الولايات المتحدة من استخدام كل ما يحقق سيطرتها العالمية ، وتعد شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) احد اهم مظاهر الهيمنة الامريكية العالمية ، فمن هناك انطلقت هذه الشبكة وبها بقيت كل مكوناتها الرئيسة وعن طريقها اصبح العالم ينقل معلوماته وبياناته ورسائله الى الحد الذي ذهبت معه(مادلين اولبرايت) وزيرة الخارجية الامريكية في عهد الرئيس بيل كلينتون في تصريحات لها عام ١٩٩٩ الى وصف شبكة الانترنت بأنها اضحت احد مرتكزات الدبلوماسية الامريكية الحديثة ، وكان مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية في واشنطن قد اصدر تقريراً عام ١٩٨٩ تحت عنوان (الدبلوماسية في عصر المعلومات) ذكر فيه " ان زعامة الولايات المتحدة الامريكية للعالم التي تمكنها من الحفاظ على الاستقرار الدولي تتوقف على قدرة وكالات الشؤون الخارجية لدينا على التغيير والتكيف مع ضرورات عصر المعلومات "[١٢٧].

فضلاً عن المراقبة التي تتيحها الاقمار الصناعية لوكالة الاستخبارات المركزية (CIA) فإنها تحاول ايضاً مد نفوذها الى شبكة المعلومات العالمية(الانترنت) حيث اعلنت الادارة الامريكية برئاسة (بيل كلينتون) في عام ١٩٩٨ عن خطة مثيرة للجدل تهدف الى تصميم برنامج مراقبة حاسوبي يشرف عليه مكتب التحقيقات الفيدرالية (FBI) يهدف الى حماية انظمة المعلومات الامريكية ، وهي تنص على ضرورة تطوير نظام برامجي معقد لمراقبة جميع الانشطة على الشبكات الحكومية غير العسكرية ، فضلاً عن تطوير نظام آخر لتتبع تلك الشبكات المستخدمة في العديد من الانشطة المهمة كأنظمة المصارف والاتصالات والنقل ، وفي هذا الصدد وجهت اتهامات عديدة الى شركة (مايكروسوفت) بأنها ساعدت السلطات الامنية الامريكية على اختراق عدداً من شبكات الحاسوب في انحاء العالم عبر تزويد برامجها بتقنيات تجسس خاصة[١٢٨] ، ومن اللافت للنظر ان الادارة الامريكية اتجهت صوب سياستين معاكستين في آنٍ واحد ، فبينما انتهجت سياسة كسر مبدأ الخصوصية لدى الافراد وجعلت حياتهم الخاصة ملكاً للمراقبة بدون اي ضابط او مانع ، انتهجت على الناحية المناقضة سياسة التستر على كل ما يخصها والتكتم عليه ، وكما يقول مكتب مراقبة المعلومات الامنية (Information Security Orersight Office) فإن الوكالات الفيدرالية مازالت تقدم اكثر من ٢٦٠ الف سراً رسمياً كل عام مع تصاعد هذا الرقم تدريجيا[١٢٩].

أكد نورمان بودوريتز احد الاباء المؤسسين لفكر المحافظين الجُدد على الإلتزام الأمريكي بمواجهة الإرهاب وقيادة العالم، وعلى الولايات المتحدة ان لا تنتظر حتى يتجمع الخطر ويقترب منها أو من حلفائها واصدقائها، لابل يجب ان تنقل الحرب لأرض العدو بتوجيه ضربات إجهاضية له والقضاء على اي خطر محتمل قبل ان يبزغ، وعلى الولايات المتحدة ألا تنتظر موافقة الدول الأخرى أو المنظمات الدولية حين تتصرف لمواجهة الأعداء، بل يجب ان تكون لها حرية التصرف بشكل فردي[١٣٠]. وتلبية لتوجه الهيمنة ، سعت الولايات المتحدة الامريكية الى تحشيد ائتلافات دولية؛ لمواجهة التهديدات والتحديات المشتركة ، وكما كتب المراقب البريطاني (سباستيانمالابي) في صحيفة (الواشنطن بوست) الصادرة بتاريخ ٣١كانون الثاني ١٩٩٩ " ان مفارقة القوة الامريكية عند نهاية هذه الالفية هي انها اعظم من ان تهددها اية دولة اخرى ، ومع ذلك فأنها ليست عظيمة بما يكفي لحل مشاكل مثل الارهاب العالمي وانتشار الاسلحة النووية ، فهي بحاجة الى مساعدة من الدول الاخرى "[١٣١]. وكاد القرن ينتهي واصوات الرعب تسمع، في ١٢ تشرين الاول ٢٠٠٠ قام انتحاريون بصدم مركب محمل بالقنابل المدمرة كول التابعة للبحرية الامريكية ،وكانت بحارة المدمرة انقذ المدمرة من الغرق لكن الهجوم قتل ١٧بحاراً وكان واضحاً ان بن لادن وراء الهجمات في المملكة العربية السعودية وافريقيا واليمن، لكنه كان ابعد ان يطاله احد ما لم تكن الحكومة الامريكية مستعده للغزو افغانستان بحثاً عنه[١٣٢]. وهذا التفوق كما يقول كيسنجر "أن الموقع الذي شغلته الولايات المتحدة في العقد ألاخير من القرن العشرين

جعلها المكون الذي لا غنى عنه للاستقرار الدولي فهي تعبر عن نفسها بانها مصدر المؤسسات الديمقراطية في العالم والضامن لها"[١٣٣]. وعليه وبحكم ادراكها وتجسيدها الفريد لغاية التاريخ، يحق للولايات المتحدة الامريكية لا بل هي مُلزمة في الواقع، بان تتزعم العالم، وتحدد عالميتها لما هو الشيء الافضل ولمنفعة الجميع، سواء افهم الاخرون ذلك أم لا تبدو التحاليل التي يقدما بعض ممثلي النظام القائم ،اكثر قربا من الحقيقة وفيما يتجاوز كل التباينات،نجد ان عند كل من بول كنيدي وصموئيل وبريجنسكي وكسنجر، النظرة المعتدلة لاميركا ليس الولايات المتحدة غير قابلة للهزيمة، وعليها ان تتولى قيادة قوتها النسبية، المتناقصة في عالم يتزايد عدد سكانه كما يتصاعد مستوى التنمية فيه[١٣٤].

ان تحليل القوة الاميركية متنوعة: فهي اقتصادية لدى بول كنيدي، وثقافية ودينية لدى هانتتغون، ودبلوماسية وعسكرية لدى كيسنجر وبريجنسكي .ولكنا كلها تضعنا امام القلق من صورة قوة اميركا، التي يبدو ان سلطانها على العالم هش ومهدد، تعوز كيسنجر، هذه الايام فيما يتجاوز وفاء لمبادئ الواقعية الاستراتيجية، والاعجاب الذي يحمله لذكائهما الشخصي، النظرة الشاملة. في كتابه ،هل تحتاج اميركا الى سياسة خارجية Dos ammerica need foreign policy[١٣٥]،لا يعدو ان يكون تحجيم للقضايا المحلية.غير اننا نجد في كتاب بول كنيدي، صعود وسقوط الدول العظمى the Rise and fall of Great powers ،الذي نشر عام ١٩٨٨ ،تقديم مفيد جداً لنظام اميريكا مهدد بالامتداد الامبراطوري المفرط imperial overstresh ،الذي ينجم توسعه الدبلوماسي، والعسكري بصورة تقليدية، عن انحسار نسبي للقدرة الاقتصادية .

الـــــخاتمـــــة:

كانت الإدارات الأمريكية المتعاقبة وطيلة القرن التاسع عشر تتجه نحو العزلة التي كانت ترى فيها أفضل الاستراتيجيات التي تكفل الأمن القومي الأمريكي وتوفر لها فرصة التركيز على مسؤوليات التنمية والبناء الاقتصادي، وقد أقترن خيار العزلة تاريخياً بـ(مبدأ مونرو) والذي أصبح حجر الزاوية في السياسة الخارجية الأمريكية طيلة القرن التاسع عشر. ومهما يكن الأختلاف الاكاديمي حول تاريخ بداية الهيمنة الأمريكية، لكن يكاد الرأي يتفق على ان الولايات المتحدة الأمريكية دخلت القرن الحادي والعشرين بموقع القوة المهيمنة على اصقاع العالم كافة. ويكاد الرأي يتفق ايضاً بإن الولايات المتحدة لم تصل الى ما وصلت اليه دفعة واحدة، أو انها وجدت نفسها كذلك فجأة بلا منافس، او في نوبة شرود الفكر، بل وصلت اليها عقب مراحل زمنية ، وباقواس جغرافية، بإرادة جامحة، مصحوبة بتفكير إستراتيجي جعل من الهيمنة جوهره وفحواه والدليل المرشد للإستراتيجية الأمريكية منذ استقلال الولايات المتحدة نهاية القرن الثامن عشر وصولاً الى دخولها القرن الحادي والعشرين الذي تطمح ان يكون أمريكيا ايضا.لقد حققت الولايات المتحدة ما حققته من مكانة دولية لم يكن لها مثيل في الماضي والحاضر، باتباع أسلوب واحد لم يتغير طوال القرن العشرين، وهو مد النفوذ والسيطرة، اعتماداً على سياسة (المراحل)، وانتهاز الفرص كلما

سنحت لها لتنفيذ طموحها الإمبراطوري وإمكانياتها مستخدمة الأساليب العلمية في التفكير الأستراتيجي والتخطيط والتنفيذ ايضاً. لذلك كان حرياً بنا ونحن نتتبع مكانة الهيمنة في التفكير الأستراتيجي ان نثبت رسوخها وعلوها في التفكير الأستراتيجي الأمريكي منذ النشوء والأستقلال وبقت هكذا، وهذه المرحلة يمكن ان نحددها منذ مطلع القرن العشرين حتى نهاية الحرب العالمية الثانية، حيث شهدت الولايات المتحدة وثبه كبيرة وخطت خطوة مهمه لتؤكد حضورها ووجودها كقوة عظمى في معادلة ميزان القوى العالمي، وشهدت هذه المرحله اختباراً حقيقياً لمدى قدراتها القيادية في استغلال الفرص التي اتيحت لها، بل ومن خلال خلقها للفرص، ودليل ذلك دخول الحرب العالمية الاولى والثانية ، فقد دخل العالم حرب عالمية ثانية بعد الاولى ،وبالمشهد نفسه ايضاً، تكرر الفعل الاستراتيجي الأمريكي، لاغتنام الفرصة التي اصبحت سانحه لوثبة ادركها صانع القرار الامريكي في تلك الحقبة، لا بل كان يترصدها وينتظرها، فنجح في استغلالها بشكل تام. ومثلت هذه الخطوة تدعيم لإستراتيجية الفرصة التي ظلت تمثل المدرك الرئيس للإستراتيجية الكونية الأمريكية، وهذا النجاح لا يعود إلى أختيار اللحظة الزمنية (الزمان) للدخول بالحرب، وأنما بالنظرة الثاقبة باختيار المكان ايضاً، دخل النظام الدولي الجديد قواميس السياسات الخارجية لمعظم دول العالم منذ أب ١٩٩٠ ، بعد أن أعلن بوش (الأب) أمام الكونغرس أن هذا النظام سيبدأ بالتكوين مباشرة بعد انتهاء أزمة الخليج وقد أثار هذا الشعار ولا زال يثير العديد من النقاشات والتحفظات في واشنطن نفسها كما في العالم بأسره والجميع يتساءل عن مضمون هذا النظام ، خطوطه العريضة ، تركيبته ودور الولايات المتحدة فيه وقد حاول بوش في مناسبات متعددة إعطاء بعض التفسيرات لما يعنيه شعار (النظام الدولي الجديد) إلاّ أنه لم يتجاوز العموميات كما يقول دأن ايرودروف في الواشنطن بوست الصادرة بتاريخ ٢٦أيار ١٩٩١ وهذا ما حدا بالسيدة جين كيرك باتريك مندوبة الولايات المتحدة الأسبق في الأمم المتحدة بالقول في سياق انتقادها لسياسة بوش (الأب) الخارجية : "إن الرئيس الأميركي يواجه مشكلة أساسية فيما يتعلق بالسياسة الخارجية وهي نفس المشكلة التي تطال أكثر من جانب من جوانب الإدارة الحالية أنها تتعلق بالفشل بالإفصاح عن الهدف المراد تحقيقه" كما اكدته جريدة الواشنطن بوست بتاريخ ١٦ آذار ١٩٩١. ولكن هذا الفشل في الإعلان عن الهدف لا ينبع من عدم معرفة ما يريده بوش (الأب) أو ضبابيته. فقد اضطرت الإدارة الأميركية أن تفصح عن بعض ما تريده أمام الكونغرس وذلك لتأمين الموازنة اللازمة لمشروع النظام الدولي الجديد الذي تشكل في ذهن القيادة الأميركية مع انتهاء الاتحاد السوفيتي.وتم ترسيخ مبدا القرن الامريكي في عهد الرئيس الامريكي بيل كلينتن عام ١٩٩٦ لرسم خريطة العالم للاعوام ٢٠١٥-٢٠٢٠.

الهوامش:

(١) بريجنسكي : ولد في وارسو في بولنده عام ١٩٢٨ ، كان استاذ في علم السياسة و مستشار الرئيس كارتر لشؤون الامن القومي ، تلقى تعليمه في جامعتي هارفرد و ماكفيل ، هاجر الى الولايات المتحدة عام ١٩٣٨ ، وحصل على الجنسية الامريكية عام ١٩٤٩، اصبح عضو في مجلس التخطيط في وزارة الخارجية ١٩٦٦ – ١٩٦٨، كان منتقد لسياسة كيسنجر في الخارجية والامن القومي اصبح مستشار للامن القومي ١٩٧٧، له مؤلفات عدة منها(تقرير بروكينغز) و(الولايات المتحدة الامريكية بين عصرين)، عبد الوهاب الكيالي،الموسوعة السياسية،ص٥٣٧ – ص٥٣٨؛ ينظر عبد حسين عبد محسن سوسه،مجلة زانكو جامعة صلاح الدين،العراق اربيل ،العدد الخامس ،٢٠١٥،ص١٢٨–١٣٠.

(٢) د. اسماعيل صبري مقلد، العلاقات السياسية الدولية، دراسة في الاصول والنظريات، منشورات ذات السلاسل، الكويت، ط٥، ١٩٨٧، ص١٤.

(٣) مالك عوني، صناعة الدفاع واستراتيجية الولايات المتحدة الامنية، السياسة الدولية، العدد ١٣٨، السنة ١٩٩٩،، ص٧٩.

(٤) لان نيفز وهنري ستيل كوماجو، موجز تاريخ الولايات المتحدة ، ترجمة محمد بدرالدين خليل ، الدار الدولية للنشر و التوزيع ، القاهرة ، ط١ ،١٩٩٠ ، ص٣٦٥.

(٥) لقد كانت هذه القرارات مفتاحا لصياغة القيادة الامريكية للعالم الرأسمالي . للمزيد انظر : منعم العمار ، الهيمنة الامريكية وجدلية المواجهه ،مجلة دراسات دولية ،سلسلة دراسات استراتيجية، مركز الدراسات الدولية،جامعة بغداد، العدد(٤٢)، ٢٠٠٢،ص٢٣ .

(٦)د. ابراهيم ابو خزام، العرب وتوازن القوى في القرن الحادي والعشرين، مكتبة طرابلس العلمية، طرابلس، ١٩٩٧، ص٩٦.

(٧) كريستوفر لين، إعادة صياغة الإستراتيجية الأمريكية الكبرى، المصدر السابق، ص٢٧–٣٠.

(٨) نقلاً عن، موسى الزعبي، دراسات في الفكر الإستراتيجي والسياسي، إتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠١، ص٨٧.

(٩) د. علاء ابو عامر، العلاقات الدولية الظاهرة والعلم الدبلوماسية والاستراتيجية، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الاولى، ٢٠٠٤، ص٤٧.

(١٠) د. ريمون حداد، العلاقات الدولية، دار الحقيقة بيروت، الطبعة الاولى، ٢٠٠٠، ص٥٥٠.

(١١) ريتشارد نيكسون، ١٩٩٩،نصر بلا حرب، تقديم وترجمة: المشير محمد عبدالكريم ابو غزالة، مركز الاهرام للترجمة والنشر، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٨٩، ص٣؛للمزيد ينظر:د.عبدحسين عبد محسن سوسه:وكلاء امريكا،مجلة زانكو،جامعة صلاح الدين،العدد الخامس ،٢٠١٦،ص ١٢٨–١٣٠.

(١٢) . ZbignewBrzeeinski , The NSCS Midife Crisis , Foreign Policy , Winter 1987–1988

(١٣) هو الاب المؤسس لعلم الاجتماع ولد في التاسع عشر من شهر يناير ١٧٩٨ في باريس عمل كسكرتير لدى الكاتب الاشتراكي، توفي سنة ١٨٥٧في باريس www.uae7. com ; https://mawdoo3.com /vb/t16591;mawdoo3.com.

(١٤) ستيفن بوشيه و مارتن رويو ، مراكز الفكر ادمغة الحرب الافكار ، ترجمة: د.ماجد كنح، مؤسسة محمد بن راشد أل مكتوم ، دار الفارابي ، بيروت ، الطبعة الأولى ،٢٠٠٩، ص٨.

([15]) Jhon Blundell, Waging the War of Ideas: Why There Are No Shortcuts, http://www. Atlasnetwork .org/wp-content/up/oads/2009/01/chapte-2-waging-the-war-of-ideas-blundell-march-20-2007-final-pdf

([16]) د. محمد منذر، مباديء في العلاقات الدولية من النظريات الى العولمة، المؤسسة الجامعية لدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الاولى ٢٠٠٢، ص١٥٤.

[17]Tracey J. Kinney ,Confilct and cooperation Documents on Modern Global History,Canada,2006.,P.213.

[18]Norman Graeder,An uncertain Trdition:American Secretaries of state in the Twentien century ,New York,McGraw-Hill,1981,p.160.

[19]Wanamaker,Temple,AmericanForignPolicyToday,BatamBooks,NewYork,N.D,p24

([20]) Dr. William Rosenau, Waging The War of Ideas http://www.rand.org/pubs/reprints /Rp1218 /8/03/2010.

([21]) ادوارد ب. د جيريجيان، الخطر والفرصة، ترجمة د. السيد عليوة، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٩، ص٢٨٤.

([22]) ريتشارد نيكسون، المصدر السابق، ص١٦٣.

([23]) Dr. William Rosenau,op,cit .

([24]) استاذ وعميد سابق لكلية كيندي بجامعة هارفار ، وشغل منصب وزير الدفاع المساعد لشؤون الامن الدولي، ورئيس مجلس الاستخبارات الوطنية ،وكان نائب وكيل وزارة الخارجية الامريكية ،صاحب المؤلفات القوى القيادية ، ومستقبل القوة ، والقيادة الرئاسية ، ومؤلف كتاب القوى الناعمه، https;//dubaipolicyreview.ae/ar/person.

([25]) جوزيف ناي، القوة الناعمة وسيلة النجاح في السياسة الدولية ، ترجمة: د. محمد توفيق البحرمي، العبيكان للنشر، الرياض، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧، ص٧٨.

([26]) المصدر نفسه، ص٧٩.

([27]) مجموعة من الباحثين، تغيير العقول فوز بالسلام اتجاه استراتيجي جديد للدبلوماسية العامة للولايات المتحدة في العالم العربي والمسلم، معهد جيمس أ. بيكر، للسياسة العامة ، شباط٢٠٠٤، ص٢٧.

([28]) زبغنيو بريجنسكي، الفرصة الثانية، المصدر السابق، ص٢٥.

([29]) د. حسين شريف، السياسة الخارجية الامريكية، المصدر السابق، ص٢٧٦.

([30]) د. حميد حمد السعدون ، الغرب والاسلام والصراع الحضاري ، دار وائل للطباعة والنشر ، عمان ٢٠٠٢ ، ص٣٧.

([31]) د. وائل اسماعيل العبيدي، رؤية في الأمن القومي الأمريكي، المركز الاستراتيجي للبحوث والدراسات، المصدر السابق ،ص٥٦

([32]) فريدون صالح حمة، تحليل السياسة الخارجية الأمريكية، المصدر السابق، ص١٥٨.

([33]) د. وائل اسماعيل العبيدي، رؤية في الأمن القومي الأمريكي، المصدر السابق ،ص٧٨.

([34]) استراتيجية الأمن القومي للولأيات المتحدة الأمريكية (نص التقرير الذي وجهه الرئيس جورج بوش (الأبن) الى الكونغريس) في ٢٠ / ايلول / سبتيمبر ٢٠٠٢.

(٣٥) مالك عوني، الاستراتيجية الأمريكية وموقعها في السياسة الخارجية الأمريكية، مجلسة السياسة الدولية، مركز الأهرام، العدد (١٢٧)، القاهرة، ١٩٩٧، ص ٩٤.

(٣٦)ظهرت نظرية (صِدام الحضارات) لأول مرة في مقال للباحث الاميركي صاموئيل هنتنغتون ضمن عدد لمجلة (شؤون خارجية Foreign Affairs) صيف ١٩٩٣ ، قبل ان يطورها وينشرها في كتاب صدر له سنة ١٩٩٦ . وقد حاول الكاتب من خلال آرائه تحديد ملامح الصراع الدولي الذي ابتدأ نهاية الحرب الباردة . وفي قراءة لخلاصة ارائه النظرية المثارة ، يرى الكاتب ان الصراعات الدولية القادمة ستكون صراعات بين الامم والمجموعات الثقافية والحضارية المختلفة وليس بين الدول . وهو بذلك يؤكد على العنصر الثقافي بوصفه محوراً أساسياً للانقسامات بين الشعوب وبخاصة مع تنامي بروز الهوية الثقافية امام ما يشهده العالم من تحديث وعولمة اقتصادية ، الامر الذي يمكن ان يعمق الخلافات ويزيد من الصراعات القائمة على أسس ثقافية .ينظر:صاموئيل هنتنغتون : صدام الحضارات واعادة بناء النظام العالمي ، نقله الى العربية : د. مالك عبيد ابو شهيوة وآخرون ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلام ، ليبيا ، ط١ ، ١٩٩٩ ، ص١٢٧.

(٣٧) بيل كلينتون الرئيس الديمقراطي الثاني والأربعون ١٩٩٣-٢٠٠١ ولد في عائلة معمدانية في مدينة هوب في اركانساس في ١٩ اب ١٩٦٤ باسم وليم جيفرسون بليت الثالث وليس كلينتون ،سافر عام ١٩٧٣ إلى اركانساس بصفته أستاذ قانون بعد أن حصل على أفضل علامة في القانون من جامعة بيل ، تزوج من صديقته هلاري عام ١٩٧٦ وعين مدعي عام في السنة ذاتها ، ثم حاكم لولاية اركانساس لمدة خمس سنوات ، هزم كلينتون منافسه الجمهوري جورج بوش في إنتخابات ١٩٩٢ ونال على ثلاثمئة وسبعين صوتاً مقابل مئة وثمانية وستين صوتاً للجمهوري جورج بوش.:

Stephanopoulos, George ,All too Human Boston,Little Brown, 1999,p.61,74,77; Campaign to Destroy Bill and Hillary Clinton, New York, st Martin's press,2000,Clinton,Bill, my life New York knopf 2004.p.368.

(38) http://www.alsabaah.com/paper.php

(٣٩)صموئيل هنتغتون ، الصدام بين الحضارات ،مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق، لبنان، د ت ،ص١٧.

(٤٠)محمد سعدي، الجنوب في التفكير الاستراتيجي الامريكي نموذج اطروحة (صدام الحضارات)، مجلة المستقبل العربي ع(٢٣٦)،١٩٩٨،ص٦٤ .

(٤١)محمد حسنين هيكل ، من نيويورك الى كابول وبالعكس ، القاهرة : مجلة وجهات نظر،ع(٣٥)، ديسمبر ٢٠٠١ ،ص(١٠).

(٤٢) التقريران منشوران على موقع وزارة الدفاع الامريكية على الانترنيت:
http://www.dtic.mil\armylink\news\may1997\a199705162dr3.html

(٤٣) المصدر نفسه ، موقع وزارة الدفاع الامريكية.

(٤٤) كوثر عباس عبدالربيعي،الأمن القومي الامريكي والصراع العربي-(الاسرائيلي) في التسعينات:دراسة تحليلية ،أطروحة دكتوراه(غيرمنشورة)،معهد القائد المؤسس للدراسات القومية ، بغداد ،١٩٩٩، ص ٣٣.

(٤٥) اندرو باسيفيتش،الامبراطورية الامريكية حقائق وعواقب الدبلوماسية الأمريكية:ط١(بيروت:الدار العربية للعلوم،٢٠٠٤)،ص ٧٥.

(٤٦) المصدر نفسه ، ص ٧٦.

(٤٧) نقلاً عن:غسان العزي، سياسة القوة :مستقبل النظام الدولي والقوى العظمى :ط١(بيروت :مركز الدراسات الدولية والاستراتيجية والبحوث والتوثيق ،٢٠٠٠) ، ص ١٦٦.

(٤٨) التحليل النفسي لرئيس بيل كلينتون ، في موقع :
www.mostakbalia.com\mostakbaliat.com\link51.html

(٤٩) الكسندر ادلر واخرون ،الحروب التي تهدد العالم ، عرض الكتاب: جريدة البيان الاماراتية ، ايلول ، ٢٠٠٢ .

(50)John S.Badeau, the American Approach to the Arab world,New York ,1968.p.21.

(٥١) المصدر نفسه.

(٥٢) طاهر شاش،"العلاقات الأمريكية مع العالم العربي"بحث منشور في الإمبراطورية الأمريكية صفحات من الماضي والحاضر، الجزء ألاول، مكتبة الشروق،القاهرة،ص٣٠٢.

(٥٣) رشيد ابو غيدا (مترجم) ، فوكوياما يحلل تقرير البنتاغون ، المصدر السابق، ص ٢٠ – ٢٢ .

(٥٤) عدنان سليمان ، ادارة الصراع العربي . الاسرائيلي ، مجلة الرسالة ، العدد١٢،السنة الثالثة ، نيسان ١٩٩٩،ص٦-٧.

(٥٥) رشيد ابو غيدا ، المصدر السابق ، ص ٢٢ .

(٥٦) اندرو باسيفيتش ،الأمبراطورية الأمريكية، المصدر السابق ، ص ١٦٨ .

(٥٧) نعوم تشومسكي، الهيمنة أم البقاء، ترجمة: سامي الكعكي،دار الكتاب العربي بيروت، ٢٠٠٤، ص٥٥.

(٥٨)كان الرئيس توماس وودرو ويلسون(١٨٥٦-١٩٢٤) ، الرئيس الثامن والعشرون للولايات المتحدة عن الحزب الديمقراطي ،حكم لفترتين(١٩١٣-١٩٢١)،كان أكاديمياً في مقتبل حياته حتى صار رئيساً لجامعة برنستون عام١٩٠٩، ثم حاكما لولاية نيو جيرسي(٩١١-١٩١٣)،وعرف بنقاطه الأربعة عشر للسلم ، وهو أول من أعطى الحمامة كرمز للسلم، وكان له الدور البارز في إنشاء عصبة الأمم . وقد حصل على جائزة نوبل للسلام عام ١٩١٩. وتظهر النقاط الأربعة عشر الشهيرة لودرو ولسون كجسر إدخال المثالية الأمريكية إلى جسد السياسة الجغرافية الأوربية وكان ودرو ويلسون يتفق مع مبدأ ضرورة أن تتمثل الأمم الأخرى بالقيم الأمريكية من خلال منظومة كونية، فالمبرر الذي بموجبه وافق ويلسون على المشاركة في الحرب العالمية الأولى كان إعادة تشكيل العالم على صورة أمريكا. ينظر: رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية منذ ١٧٨٩حتى اليوم، دار الحكمة، لندن، ٢٠٠٦،ص ٤٨؛محمد السيد سعيد وأحمد إبراهيم،الفوضى والإستقرار في النظام الدولي. التقرير الإستراتيجي العربي لعام ١٩٩٥،مركز الأهرام للدراسات الستراتيجية،القاهرة،١٩٩٦،ص٦٨.

(٥٩) نعوم تشومسكي، الهيمنة أم البقاء، المصدر السابق، ص ٥٥.

(٦٠)اندرو باسيفيتش ،الأمبراطورية الأمريكية، المصدر السابق ، ص ١٢٠ .

(61)EamanuelTodd,Apr'esL'cmpire, EssaisarLad'ecompsition du systeme, americain, Editions Gailimard,2002.p.32.

(٦٢)صموئيل هنتنغتون، صدام الحضارات، المصدر السابق، ص٣٤- ٤٠.

(63)http://www.alsabaah.com/paper.php

(٦٤)احمد عياش، صدام الحضارات وسيناريو الحرب العالمية المقبلة، جريدة النهار اللبنانية، ٢٢ تشرين أول٢٠٠١، ص٣.

(٦٥)صاموئيل هنتغتون ، زمن حروب المسلمين ، مجلة نيزويك العربية ، العدد ٨١ ، ٢٥ كانون الاول٢٠٠١ ، ص٤٨-٥٣.

(٦٦) فواز جرجس ، امريكا والاسلام السياسي – صدام الحضارات أو تضارب المصالح ، الهيئة العامة للاستعلامات ، سلسلة كتب مترجمة ، ع٨٤٠ ،د م، ٢٠٠٠ ، ص ٥٨.

(٦٧) فواز جرجس ، امريكا والاسلام السياسي ،المصدر السابق، ص٥٦.

(٦٨) د. عبد الخالق عبد الله ، العولمة جذورها وفروعها ، عالم الفكر ، الكويت ، العدد الثاني ، اكتوبر ١٩٩٩، ص ٦٧.

(٦٩) فواز جرجس ، امريكا والاسلام السياسي ،المصدر السابق ، ص٧٣.

(٧٠)منعم صاحي العمار، صناعة العدو في السياسة الخارجية الأمريكية:دراسة في عملياتية الإرهاب، مجلة قضايا عراقية، ع١، مركز حمورابي للدراسات والبحوث الإستراتيجية، بابل،٢٠٠٨، ص ٦-١٠.

(٧١)ظهرت كلمة إرهاب (Terreur) لأول مرة في اللغة الفرنسية في عام ١٣٥٥ ، وجاءت من اللغة اللاتينية (Terror) ، ولها ما يقابلها في جميع اللغات الأوربية وهي تعني في الأصل ، خوفاً او قلقاً متناهياً من تهديد غير مألوف وغير متوقع.للتفصيل ينظر: عبد الغني عماد ، المقاومة والإرهاب في الإطار الدولي لحق تقرير المصير، المستقبل العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية،ع ٢٧٥، بيروت ، كانون الثاني ٢٠٠٢،ص٢٥ . ويعرفهُ قاموس اكسفورد بأنهُ مصطلح سياسي يرجع إلى جماعة اليعقوبيين التي عرفت بأعمالها الإرهابية العنيفة ابان الثورة الفرنسية مابين عامي ١٧٩٣-١٧٩٤.ينظر:

A.S . Hornby , Oxford Advanced Leaner's Dictionary ; ed , Sally Wehmeier , Oxford University Press , 2000, P.396 .

(٧٢) تأسست هذه الشركة في (١٠ أب ١٨٨٢) في نيويورك باسم ستاندرد أويل كومبني نيويورك ثم أدمجت مع شركة فاكوم في (تموز ١٩٣٠) وأطلق عليها سكوني – فاكوم كوربوريشن (Scony –Vacom Corporatio) ثم تغير اسمها في(٢٩ نيسان ١٩٥٥) إلى (Scony –Mabi Oil Co.) وأخيراً في (١٨ نيسان ١٩٦٦) أصبح اسمها موبيل أويل (Mobil Oil Corporation)

National Archives of the United States,,Roll.32,Record group.30,Q.42/21/3,Reports,May,1919-1920,Oriental questions; F.R.U.S, 1919, Vol.II, No.24, Lansing, Washington to Paris,July.25,1919,P.454.

(٧٣)د. سعيداللاوند، امريكا في مواجهة العالم، مطبعة نهضة، القاهرة،دت،ص٤١-٤٢.

(٧٤) المصدر نفسه ،ص٤٣.

(٧٥) برادلي أ. تايلر، السلام الأمريكي والشرق الاوسط، المصدر السابق، ص٢٤- ٢٥ .

(٧٦) ضابط امريكي ولد ١ مايس ١٩٤٢ في كنساس سيتي في الولايات المتحدة الامريكية تقاعد من مهامه في الجيش الامريكي بتاريخ ٢٠٠٥/١/٢ www.alriyadh.com

(٧٧) جريدة نيويورك تايمز ، ٢٦ اذار ، ١٩٩٥ ، الصفحة الاولى .

(78)Gen. Richard B. myers, Charirman Joint Chiefs of staff, Interimet: http//:www.dtic.mil/jcs/chairman.navy-league-media-htm. 2003.

(٧٩) ثيودور روزفلت(١٨٥٨-١٩١٩) ولد ثيودور روزفلت في نيويورك يوم السابع والعشرين من تشرين الأول عام ١٨٥٨ ،هو الرئيس السادس والعشرون للولايات المتحدة (١٩٠١-١٩٠٩) ينتمي إلى الحزب الجمهوري ، عرف بنشاطه ومهارته وخلال حياته اعتبر مؤلفًا ومشرعًا وجنديًا وصيادًا ودبلومآسيا ومحافظًا على البيئة، ومن المتحمسين للقوة البحرية. صانع سلام ومصلح اقتصادي، ولإنجازاته الكثيرة ودوره الكبير أثناء وجوده في البيت الأبيض ، يعد روزفلت عادة من الرؤساء الأمريكيين العظام . حصل على جائزة نوبل للسلام عام١٩٠٦ لدوره في الوساطة لإنهاء الحرب الروسية اليابانية١٩٠٤-١٩٠٥ ، وهو والد سيدة الولايات المتحدة الأمريكية فيما بعد اليانور روزفلت التي تزوجت من الرئيس الأمريكي فرانكلين روزفلت.

The Encyclopedia Americana , op,cit, P.684. وسنرمز لها من الآن فصاعداً E. A..

File ://H:Theodor Roosevelt – Wikipedia the Free Encyclopedia- htm -61-3-2009.

,Volume 18, U.S.A,1996 ,p266.;

(٨٠)دانيال وارنر ، السياسة الخارجية الاميركية بعد انتهاء الحرب الباردة ، العدد١٥ ، مركز الامارات للدراسات الاستراتيجية (ابوظبي) ، ٢٠٠٢ ،ص٣٦.

(٨١)محمد سعدي، الجنوب في التفكير الاستراتيجي الامريكي ،المصدر السابق ،ص ٧٠٠.

(٨٢) جورج كينان: ١٩٠٤ ، عين رئيس قسم الحفظ السياسي في وزارة الخارجية الأمريكية ، وهو من اقترح سياسة الإحتواء الأمريكية لوقف خطط الإتحاد السوفيتي التوسعية بعد الحرب العالمية الثانية، لذلك عين مستشاراً لوزير الخارجية للشؤون السوفيتية .:

Julius ,Wpartt ,A History of United States Foreign Policy,Third edition ,New Jersey . 1972,P.140,كما وضع عام ١٩٤٧ سياسة مواجهة روسيا في ميادين نشاطها بنشاط مضاد لها .وعمل سفيرا لديها ١٩٥٢ ، ولكن الحكومة السوفيتية طلبت استدعاءه فاعتزل من منصبه عام ١٩٥٣.

Allen Weinstein and David Rubel,The Story America Freedom and Crisis from Settlement to Super power ,New York,2002.p.234.

(٨٣)رضوان زيادة ، صدام الحضارات ،هاجس الصراع، وخطاب النفي مجله شؤون الاوسط ،العدد (١.٤) مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق لبنان ،د ت ، ص ٢١٦ -٢١٧.

(٨٤)محمد عابد الجابري، قضايا في الفكر المعاصر ،مركز دراسات الوحدة العربية بيروت ،١٩٩٧ ،ص٨٤.

(85)Charles Krauthamer , " The Unipolar Moment " , Foreign Affairs , America And The World 1990-1991 , Vol. 10 , No.2 , 1991 ,P.24 . http//: www. Foreign Affairs . org .

(86)Mortine Zuckerman, " Asecond American Century" , Foreign Affairs , May –June , 1998 .

(٨٧) جراهام أي ، فوللر ، ايان اوليسر ، الاسلام والغرب بين التعاون والمواجهة ، ترجمة شوقي جلال ، مركز الاهرام للترجمة والنشر ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٧ ، ص٥٦.

(٨٨) في منتصف نيسان عام ١٩٩٥،تم تفجير قنبلة تدمر المبنى الإتحادي في أوكلاهوما سيتي، فتقتل ١٦٨ شخصاً وتجرح أكثر من ٥٠٠ شخص، (تيموثيماكفي) يدان وينفذ فيه حكم الإعدام في ٢٠٠١.ينظر:

محمد قدري سعيد، إرهاب بدون قيادة العالم والإرهاب الجديد، التقرير الإستراتيجي العربي ٢٠٠٤-٢٠٠٥، مركز الأهرام للدراسات السياسية والستراتيجية، القاهرة، ٢٠٠٥.http://acpss.ahram.org.eg/ahram

(٨٩)على سبيل المثال ، تتألف فيالق مليشيا وولفيتز (الذئاب) في ولاية ميتشغان من جيش قوامه ١٥ألف فرد حرصت الإدارات الأمريكية المتعاقبة على تجنب إزعاجها.

(٩٠)بما في ذلك مركز التجارة العالمية قبل ١١أيلول/سبتمبر ٢٠٠١ .للتفصيل ينظر: جيف سيمونز، استهداف العراق: العقوبات والغارات في السياسة الأمريكية، مركز دراسات الوحدة العربية، ط٢، بيروت، ٢٠٠٤،ص٣٧.

(٩١)مالك أبو زيد، الإرهاب الدولي بين الواقع والتشويه، المصدر السابق، ص٧٢.

(٩٢)سوسن اسماعيل العساف ، الثابت والمتغير في السياسة الخارجية الأمريكية " أوراق دولية ، بغداد ، العدد (١٢٠) ، آذار ٢٠٠٣، ص٤.

(٩٣)نعوم تشومسكي ،السيطرة على الاعلام ،الانجازات الهائلة للبروباجندا ، ترجمة اميمة عبد اللطيف ، ط ١ ،القاهرة : مكتبة الشروق الدولية ، ٢٠٠٣، ص ٣٨.

(٩٤)محمد جواد علي ، النظام الدولي الجديد وامكانية اصلاح الامم المتحدة ، سلسلة دراسات استراتيجية ، العدد ٧٤ ، جامعة بغداد، مركز الدراسات الدولية، ٢٠٠٥، ص ٣٣.

(٩٥)محمد جواد علي ، النظام الدولي الجديد وامكانية اصلاح الامم المتحدة ، سلسلة دراسات استراتيجية ،العدد٧٤، مركز الدراسات الدولية،جامعة بغداد،٢٠٠٥ ، ص ٣٣.

(٩٦)نيفين مصدق أحمد، الحرب على الحرية: كيف ولماذا تم الهجوم على أمريكا في ١١سبتمبر ٢٠٠١، الدار الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٢، ص٥٣.

(٩٧)تيري ميسان،١١أيلول ٢٠٠١:الخديعة المرعبة، ترجمة سوزان قازان ومايا سلمان، دار كنعان، ط١، دمشق٢٠٠٢،ص٨٤-٨٦.

(٩٨)Thomas H. Kean and others، THE 9/11 COMMISSION REPORT، p.48.

(٩٩)مكتب برامج الاعلام الخارجي، موجز التاريخ الامريكي، المصدر السابق،ص٣٣٠ .

(١٠٠)أحمد إبراهيم محمود، الإرهاب الجديد: الشكل الرئيسي للصرع المسلح في الساحة الدولية، مجلة السياسة الدولية، العدد(١٤٧)، مركز الأهرام، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٤٦.

(١٠١)وائل محمد إسماعيل ألعبيدي، الهجمات على الولايات المتحدة: رؤية تحليلية في ضوء الأسباب والنتائج الأمنية، مجلة قضايا سياسية، المجلد٢، العدد٢، كلية العلوم السياسية، جامعة صدام، ص١٣٧.

(١٠٢)محمد قدري سعيد، إرهاب بدون قيادة العالم والإرهاب الجديد، التقرير الإستراتيجي العربي ٢٠٠٤-٢٠٠٥، مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية، القاهرة، ٢٠٠٥.http://acpss.ahram.org.eg/ahram

(١٠٣)نعوم تشومسكي ، الهيمنة ام البقاء، المصدر السابق،ص ٢٥٧.

(١٠٤) وعندما فجر عملاء اسامة بن لادن سفارات الولايات المتحدة في كينيا وتنزانيا في ٧اب١٩٩٨بعد ستة اشهر ليقتلوا ٢٢٤ فردا اطلقت ادارة البنتاجون صواريخ موجه الى معسكرات القاعدة في افغانستان مخلفة ثقوب في الجبال لكنها عجزت عن ارسال قوات لاستئصال البنية التحتية للارهاب ينظر:

Bowden,Yossef.BinLaden,the Man who Declared war on America,Roseville, Calif,prima publishing,1999,p231-232;p283-287.

(105)Nigel Hamilton,American Caesars,op,cit,p.643.

(١٠٦)سميح فرسون، جذور الحملة الأمريكية لمناهضة الإرهاب، مجلة المستقبل العربي، العدد(٢٨٤)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٢، ص١٨.

(١٠٧)أحمد عبد الحليم، الإستراتيجية العالمية للولايات المتحدة، مجلة السياسة الدولية، العدد(١٤٧)،مركز الأهرام، القاهر،ة،٢٠٠٢، ص٢٠٤.

(108)Jean Charles Brisard g Guillaume Dasquie, BEN LADEN La Verite Interdite,p,3.

(109)Thomas H. Kean and others، THE 9/11 COMMISSION REPORT، p47.

(١١٠)أشتون ب. كارتر و ويليام ج. بيري، الدفاع الوقائي، المصدر السابق، ص١٤٥.

(111)Brzezinski ,power and principle,cit,op,p.444-445

(112)Gates Robert M.from the shadows,the ultimate Insider's story of five presidents and how they won the cold war,Newyork,simon and schuster,1999,p144-145.

(113)Ibid,p.143-144

(114)Brzezinski ,power and principle ,op,cit,p.59-62.

(١١٥)أهتمت إدارة الرئيس كلينتون إهتماماً قليلاً بحل المشكلة البوسنية في العامين الأولين من عملها، ورفض كلينتون خطة السلام الرئيسية الأولى التي جرت بوساطة وزير الخارجية الأمريكي الاسبق(سيروس فانس) في عام ١٩٩٣، ولكن عاد أخيراً فأيد إجراء مفاوضات أمريكية تلك التي أنتهت مسودة خطتها الى إتفاقية مشابهة لإتفاقية فانس ولكن هذا بعد عامين عقدت في مدينة ديتون، وكان شغف الولايات المتحدة بإستخدام القوة الجوية مصدراً رئيسياً للخلاف بين إدارة كلينتون والأمم المتحدة .وكانت الأمم المتحدة مسؤولة عن سلامة القوات الأرضية التي تخدم تحت سلطاتها ، وإن استخدام قوات جوية يزيد من التعقيدات على مهمة الأمم المتحدة ، أن القصف الجوي بالنسبة لإدارة الرئيس كلينتون كان طريقاً أمناً ورخيصاً لإظهار قوته أما هذا القصف بالنسبة لقوات الأمم المتحدة الموجودة هناك يعتبر خطراً مادياً يضاعف إحتمالات وقوع هذه القوات في الأسر على يد الصرب المسلحين بسهولة .

Misha Glenny, The full of Yugoslavia Balkan war, 3rd edition, New York , 1996

(١١٦)مكتب برامج الاعلام الخارجي،موجز التاريخ الامريكي،المصدر السابق،ص٣٢٩-٣٣٠.

(١١٧)عالم المعلومات (Le Mond du Renseignement) ، رقم ٣٦٨، ٢١ تشرين الأول ١٩٩٩.

(١١٨) دافيد راي غريفين ، تقرير لجنة ٩/١١ التجاهلات والتحريفات ، ترجمة : بسام شيحا ، الدار العربية للعلوم ، بيروت ، الطبعة الاولى ، ٢٠٠٦ ، ص ١٢.

(119)Jean – Charles Brisard ,op ,cit,p21.

(١٢٠) شهد العام ٢٠٠١ ، زيارة في حجم المساعدات المقدمة لأفغانستان ، وقد بلغ حوالي ١٢٤ مليون دولار . أعطى هذه الأرقام وزير الخارجية كولين باول في مؤتمر صحفي ، في ١٧ أيار ٢٠٠١ ، اعتباراً من تموز ١٩٩٨، علق الاتحاد الأوروبي كافة المساعدات للحكومة الأفغانية اعتراضاً على طبيعة النظام في البلاد ينظر:أرشيف الأمم المتحدة ، ١٧ كانون الثاني ٢٠٠٠.

(١٢١) وقد أظهر تقرير لأمين عام الأمم المتحدة، كوفي أنان، مؤرخ في ١٧ آب أغسطس ٢٠٠١، أن مجموعة ٢+ ٦ لم تقطع مفاوضاتها مع طالبان ،تقرير الأمين العام المقدم إلى مجلس الأمن . وثيقة الأمم المتحدة رقم : A/ 55/ 1028

789 /2001 /5 –، وتحمل العنوان التالي : " الوضع في أفغانستان وانعكاساته على السلم والأمن العالميين " The Situation in Afghanistan and its Implications for international peace and security.

(١٢٢)د.عبدحسين عبد محسن سوسه: مبدا كارتر وسياسته تجاه الاتحاد السوفيتي، مجلة كلية الامام الكاظم،المجلد الثالث،العدد الاول،٢٠١٩،ص٢٤٦-٢٥١.

(123)Jean – Charles Brisard ,cit,op,p23.

(١٢٤) جاء هذا الاعتراف على لسان توماس بيكرنغ ، مساعد وزير الخارجية للشؤون السياسية ، أثناء زيارة له إلى موسكو. وفي هذه المناسبة، وخلال مؤتمر صحفي عقده في ١٨ تشرين الأول في سبازو (MaisonSpaso) في موسكو، فصل فحوى مناقشاته مع فياشسلا فبنيكوف، مساعد وزير الخارجية الروسي، حول أعمال المجموعة ٢+٦.

(١٢٥) بيان مجلس الأمن في الأمم المتحدة في ٣ تشرين الثاني ٢٠٠٠. وثيقة أمين عام الأمم المتحدة في ١٧ آب ٢٠٠١ تتحدث عن نص مفاوضات حرر في ٢ تشرين الثاني٢٠٠٠.

(١٢٦)وليام بلوم ، الدولة المارقة دليل الى دولة العظمى الوحيدة في العالم ، ترجمة : كمال السيد ، المجلس الاعلى للثقافة ، القاهرة ، الطبعة الاولى ، ٢٠٠٢ .ص٢١٢-٢١٧.

(١٢٧)أمن الشبكات (البعد السياسي) ، ١١ / ٣ / ٢٠٠٨ ، http://www.samharalali@hotmail.com

(١٢٨) المصدر نفسه.

(١٢٩)جيمس بي شتاينبرج وماري جرهام واندرو ابجرز ، رشاقة الاستخبارات تهدد الحريات ، عرض وتحرير : شيرين حامد فهمي ، ٢٠ كانون الاول ٢٠٠٤ ، على شبكة الانترنت : http://www.islamonline.net

(١٣٠)محمد كمال، الفكر المحافظ والسياسة الخارجية لادارة بوش الثانية، المصدر السابق، ص٤٠ .

(١٣١)سباستيانمالابي ، اضحوكة في اعين العالم ، الواشنطن بوست، ع(٣١) ، كانون الثاني ١٩٩٩، القسم B ، ص٥ .

(١٣٢)مكتب برامج الاعلام الخارجي،موجز التاريخ الامريكي،المصدر السابق،ص٣٣١.

(١٣٣)هنري كيسنجر ، هل تحتاج أمريكا الى سياسة خارجية، نحو دبلوماسية للقرن الحادي والعشرين ، ترجمة عمر ألايوبي، دار الكتاب العربي، بيروت ، ٢..٢ ص ٧ .

(134)EamanuelTodd,Apr'esL'cmpire, EssaisarLad'ecompsition du systeme, americain, Editions Gailimard,2002.p.31.

(135)Henry Kissinger, Does America Need a foreign policy,simon and Schuster,New York.2001.

وليم الصوري (ت ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م) مؤرخاً لسيرة رينالد دي شاتيون (أرناط) – المرحلة المبكرة (٥٤٨–٥٥٥هـ/ ١١٥٣–١١٦٠م)

من خلال كتابه (تاريخ الاعمال المنجزة فيما وراء البحر)

– دراسة تاريخية تحليلية –

أ.م.د.كرفان محمد احمد

جامعة دهوك

كلية التربية الاساسية / اميدي

karavan.ahmed@uod.ac

وليم الصوري (ت ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م) مؤرخاً لسيرة رينالد دي شاتيون (أرناط) – المرحلة المبكرة (٥٤٨–٥٥٥هـ/ ١١٥٣–١١٦٠م) من خلال كتابه (تاريخ الاعمال المنجزة فيما وراء البحر) – دراسة تاريخية تحليلية –

أ.م.د.كرفان محمد احمد

ملخص الدراسة:

تتصدى هذه الدراسة، لسيرة واحد من امراء العسكر الصليبيين، الا وهو (رينالد دي شايون) (ت ٥٨٣ هـ م ١١٨٧م)، والمعروف في المصادر التاريخية العربية والاسلامية باسم (أرناط)، من خلال المعرفة التاريخية، للمؤرخ اللاتيني المشرقي، وليم الصوري – **William of Tyre** (ت ٥٨٠ هـ /١١٨٤م)، وذلك خلال الفترة المبكرة من سيرة ارناط اي المرحلة الزمنية الواقعة بين (٥٤٨–٥٥٥هـ/ ١١٥٣ – ١١٦٠م) – لان سيرة ارناط تنقسم الى مرحلتين ماقبل الاسر وبعدها، وهذه المرحلة هي الاولى لان الثانية تبدا بعد سنة (٥٧٢هـ/ ١١٧٤م) والمرحلة الاولى نستطيع ان ندعوها بالانطاكية لان المرحلة الثانية هي المرحلة الكركية نسبة الى امارته لحصن الكرك – وابراز اهم الجوانب السياسية والعسكرية في حياة ذلك الامير الصليبي، الذي اشتهر بالقسوة وكسر المباديء والقوانين الحربية، اثناء المعارك، وعدم الالتزام، بالعهود والمواثيق المعقودة بين الاطراف المتحاربة في اوقات السلم. كل ذلك سنقف عليه اولا من خلال الرؤية الصليبية لرينالد دي شاتيون، حسب رواية وليم الصوري الذي مثل وجهة النظر المسيحية، ومع ذلك لاتعدم اراءه الصواب عندما يسجل ويروي اخبار دي شاتيون، وعلى الرغم من ان الاخير يتوفى بعد وليم الصوري بسنة واحدة ولم يشهد الصوري مقتله على يد السلطان صلاح الدين الايوبي، الا انه عاصر مرحلة طويلة من حياته السياسية والعسكرية ودوّن الكثير من المعلومات عنه في كتابه (تاريخ الاعمال المنجزة فيما وراء البحر) او كما يعرف ب (تاريخ الحروب الصليبية)، لانجد لمروياته مثيلا في المصادر المعاصرة الاخرى.

Abstract

William of Tyre (d. 580 AH / 1184 CE) chronicling the biography of Reynald de Chatillon (Arnat) - early stage (548-555 AH / 1153-1160 AD)
Through his book (The History of Deeds done Beyaond the sea) **Historical and analytical study**

Research summary:

This study focus on the biography of one of the Crusaders' princes of the military, namely (**Reynald de Chatillon**) (D. 583 AH 1187 CE), known in the Arab and Islamic historical sources as (Arnat), through historical knowledge, for the Latin Oriental historian, William of Tire - William of Tire (D. 580 AH / 1184 AD), highlighting the most important political and military aspects in the life of that Crusader prince during the early stage of his life (548-555 AH / 1153-1160 AD), who was famous for the cruelty and breaking of principles and laws of war, during battles, and lack of commitment to the agreements and covenants between the warring parties in times of peace. All of this will stand on him first through the Crusader vision of Reynald de Chatillon, according to the novel by William the Pictorial who represented the Christian viewpoint, yet his views are not correct when he records and narrates the news of De Châtillon, although the latter dies after William the Pictorial, one year and the William of Tire did not witness his death at the hands of Sultan Salah al-Din al-Ayyubi, but he lived a long period of his political and military life and wrote a lot of information about him in his book (The History of the Completed Works Beyond the Sea) or as he is known as (The History of the Crusades).

The boundaries of this study are the contemporary era of William the Pictorial to Reynald De Chatillon until his death in the year 580 AH / 1184 A.D. And the spatial boundaries, they are centered specifically in the Levant, where its cities were the center of the political and military conflict between the Ayyubids and the Crusaders, in addition to that Reynald de Chatillon, that ruled both Antioch and Karak between in two different periods. The study consists of an introduction and a conclusion, as well as two other sections as follows:
The first part: Introducing Pulim Al-Suri and a summary of his book (History of work done beyond the sea).
The second part: William Al-Suri dating for Renault de Chatillon - the stage of growing and families (548-555 AH / 1153-1160 AD).

الكلمات المفتاحية: (وليم الصوري ، شاتيون ، ارناط الصليبي ، الاعمال المنجزة)

أهمية الدراسة:

تأتي اهمية هذه الدراسة من خلال ما يأتي:

١– تضمن مؤلف وليم الصوري (تاريخ الحركة الصليبية او تاريخ الاعمال المنجزة فيما وراء البحر)، على الكثير من النصوص التاريخية المتعلقة برينالد دي شاتيون، قلما نعثر على مثلها، في بقية المصادر التي تصدت للحديث عن الحروب الصليبية.

٢– الموضوعية التي سجل بها وليم الصوري، معلوماته عن رينالد دي شاتيون، بحيث لم يابه بان المتحدث عنه، هو واحد من كبار الامراء الصليبيين وله علاقات واسعة مع الملك الصليبي وبقية الامراء من ذوي السلطة، بل عكف على تدوين اغلب الجوانب السلبية والايجابية ان وجدت له.

٣– ان رينالد دي شاتيون كانت حالة عسكرية خاصة بين القادة الصليبيين، كون انه قد يكون الوحيد او من القلة الشاذة التي كانت لاتتمسك بمباديء السلم والحرب خلال حقبة الصراع السياسي والعسكري في بلاد الشام بين المسلمين والصليبيين. وفق ماصرح به وليم الصوري في العديد من المناسبات التي كان دي شاتيون يخرق العهود.

اهداف الدراسة :

١– ابراز الرؤية التاريخية لمؤرخ لاتيني عاش في الشرق الاسلامي، عن واحد من اشهر الامراء الصليبيين خلال العصور الوسطى وتحديدا، معاصرته لعهد كل من السلطانين نورالدين محمود زنكي والسلطان صلاح الدين الايوبي، الا وهو رينالد دي شاتيون.

٢– التعرف على شخصية رينالد دي شاتيون المضطربة، والتي كان يعتريها الكثير من القلق، بسبب المد العسكري الزنكي الذي كان بعد سنة (٥٤٩هـ/ ١١٧٩م) اصبح يهدد اغلب الاراضي الصليبية، ولاسيما امارة انطاكية حيث كان يحكم دي شاتيون.

٣– اهتمام وليم الصوري بنقل الكثير من الاخبار المتعلقة بوليسم الصوري والوقوف على تفاصيلها، ولاسيما فيما يتعلق بعلاقة ارناط ببطريرك انطاكية وجزيرة قبرص وهي المعلومات التي تغافل عن ذكرها المؤرخون المسلمون المعاصرين له.

٤– الوقوف على كيفية تعامل وليم الصوري، مع التعديات التي سطرها دي شاتيون، في بلاد الشام خلال فترة حكمه في كل من انطاكية، والكرك تواليا.

٥– تسليط الضوء على التوافق والاختلاف بين مرويات الصوري وبقية المؤرخين المسلمين من الذين تصدوا لاحداث تلك الحقبة، من خلال الموازنة بين نصوص الطرفين.

اشكالية الدراسة:

هناك تساؤلات عدة تطرح حول الموضوع ياتي في مقدمتها:

١– الى اي مدى كان وليم الصوري، موضوعيا في تحليل شخصية رينالد دي شاتيون.

٢– هل وفق الصوري في نقل الصورة المبتغاة عن رينالد دي شاتيون، ام ان الظروف المحيطة به داخل المجتمع الصليبي، اثرت على رؤيته كما ينبغي ان تكون؟

٣– لم كان رينالد دي شاتيون يتصرف بلا رزانة وتهور في العديد من المواقف التي تطلبت الروية في اتخاذ القرار، حسب منظور وليم الصوري.

٤– كيف اثرت مواقف رينالد دي شاتيون على زعزعة السلام بين المسلمين والصليبيين من خلال نصوص كتاب تاريخ الاعمال المنجزة للصوري؟

حدود الدراسة:

حدود الدراسة الزمنية، هو حقبة معاصرة وليم الصوري لرينالد دي شاتيون حتى وفاته سنة (٥٨٠هـ/ ١١٨٤م)، اما الحدود المكانية، فهي تتمحور في بلاد الشام تحديدا حيث كانت مدنها مركزا للصراع السياسي والعسكري بين الايوبيين والصليبيين، فضلا عن ان رينالد دي شاتيون، كان قد حكم كلا من انطاكية والكرك بين فترتين مختلفتين.

خطة الدراسة:

تتالف الدراسة من مقدمة، وخاتمة، فضلا عن مبحثين اثنين كما يلي:

المبحث الاول: التعريف بوليم الصوري ونبذة عن كتابه (تاريخ الاعمال المنجزة فيما وراء البحر)

المبحث الثاني: رينو دي شاتيون مرحلة التكوين والامارة الاولى حتى الاسر (٥٤٨–٥٥٥هـ/ ١١٥٣– ١١٦٠م)

منهج الدراسة:

اتبعت الدراسة كغيرها من الدراسات الانسانية، ولاسيما في حقل التاريخ، المنهج التاريخي السردي والتحليلي النقدي، في عرض الاراء وتمحيصها، وموازنتها مع بعضها البعض. وتثبيت الرواية الاصح وفق الوقائع والاحداث التاريخية المنقولة من وليم الصوري ومعاصريه من المؤرخين العرب والمسلمين.

صعوبات الدراسة:

صعوبة الحصول على بعض المصادر اللاتينية المتعلقة بالفترة المبكرة من حياة رينو دي شاتيون، واسرته في فرنسا قبل الانتقال الى بلاد الشام، والانخراط في في خدمة ملوك بيت المقدس، والعمل من اجل التدرج والارتقاء في المناصب والحصول على الاقطاعات.

المقدمة:

تعد الجروب الصليبية، صفحة معقدة وشائكة في تاريخ العلاقات السياسية والعسكرية، وحتى الحضارية بين المسلمين والصليبيين، تلك الحروب التي افرزت الكثير من النتائج السلبية والايجابية على التوالي بالنسبة للجانبين، ولاسيما اذبان قيام المؤسسة المسيحية الدينية المتمثلة بكنيسة روما بتبني مهمة استعادة الاراضي المقدسة في بلاد الشام بحجة تعرضها لظلم واعتداء المسلمين المتواصل على الاماكن المقدسة المسيحية، وهكذا في نهايات القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، بدات تلك الحروب بالحملة الاولى، وهاجمت المشرق الاسلامي بقسوة واسفرت عن تاسيس ثلاث امارات صليبية فضلا عن مملكة بيت المقدس، ولكن بعد فتح الرها سنة (٥٣٩هـ / ١١٤٥ م) من قبل عمادالدين زنكي.

عملت البابوية كل جهدها لتوحيد جهود الصليبيين من اجل استعادة تلك المدينة المقدسة عندهم، فجمعت كبار قادة الصليبيين اوانئذ، لكنهم بدلا من ان يتوجهوا لتحقيق هدف الابوية في الحملة الثانية، غيروا مسار مصالحهم الشخصية الى محاولة الهجوم على مدينة دمشق، املين في زيادة اقطاعاتهم واضافة امارة جديدة الى اماراتهم ؛ لكن تلك المحاولة باءت بالفشل وسقطت كل طموحاتهم امام صمود اهل دمشق وقيادة امرائها، فباءت تلك الحلة ايضا بالفشل، وفي خضم كل تلك المجهودات التي كان يصرفه الصليبيون من اجل تمكين السيطرة على الاراضي في بلاد الشام ن كان هناك دائما شخصيات سياسية وعسكرية تظهر بين اونة واخرى، حاولت ان يكون لها صدى في سير الاحداث الجارية ببلاد الشام، وكان رينو دي شاتيون (ارناط) واحدا من تلك الشخصيات الطموحة التي ارادت ان ترتقي الى المراكز والمناصب السياسية والعسكرية الصليبية باية وسيلة كانت، غير ابهة بما ستؤول اليه نتائج مشاريعه غير المنظمة. تلك المشاريع التي سببت الكثير من القلق السياسي ليس للمسلمين وحدهم بل حتى لبني جلدته من الصليبيين.

الشيء الجدير بالاشارة، ان هذا الامير الصليبي عاصره واحد من ابرز مؤرخي العصور الوسطى ولاسيما المرحلة الواقعة بين احداث الحملة الثانية والثالثة الصليبية، الا وهو وليم الصوري، الذي عايش معظم محطات حياة رينو دي شاتيون، وارتقائه من المراتب الصغيرة الى مرتبة امير على انطاكية ومن ثم اسره وتحريره وصولا الى استلامه لمنصب امير الكرك، فسجل وليم الصوري صورة واضحة عن شخصية ذلك الامير، مبينا احيانا اراءه الخاصة تجاهه، واراء المعارضين لسياسة ينو دي شاتيون من الصليبيين في الوقت نفسه، خلال المرحلتين الرئيسيتين من سيرة (ارناط)، المرحلة التي سبقت انطاكية ومرحلة

امارتها الى وقوعه في الاسر النوري، وصولا الى مرحلة تحريره من السجن افتداء، وامارته لقلعة الكرك، وماسببها من تعقيدات سياسية وعسكرية على الساحة الشامية للايوبيين والصليبين على حد سواء.

المبحث الاول التعريف بوليم الصوري[١]ونبذة عن كتابه

أولا – سيرة وليم الصوري:

ولد وليم الصوري في بيت المقدس سنة (٥٢٦هـ/ ١١٣٠م) (بارنز،١،١٩٤٤/١١١؛ الحويري،١٩٧٩، ١٠)، وتذكر اغلب المصادر انه توفي في المدينة نفسها، لكنها تختلف حول سنة وفاته، فمنهم من ذكر بانه توفي سنة (٥٧٩هـ/ ١١٨٣م) (عوض، ١٩٩٩،٦٧ ؛ kostick,2004,p.353) (واشار اخرون الى وفاته سنة (٥٨٠هـ/ ١١٨٤م) (الجنزوري، ٢٠٠١،١٥ ؛ الحريري، ٢٠٠١، ٨٠)، في حين ارجع بعضهم وفاته الى سنة (٥٨١هـ / ١١٨٥) (زكار،١٩٩٥،5 ؛ عمران،١٨،٢٠٠٠) في الوقت الذي قال احدهم بانه توفي سنة (٥٨٧هـ / ١١٩٣ م) (بارنز،١/١١١)، بينما صاحب كتاب (المؤرخون المعاصرون لصلاح الدين الايوبي)، ذكر بانه شهد معركة حطين[٢] وخسارة الصليبيين، فسار مسرعا الى اوربا سنة (٥٨٣هـ / ١١٨٧ م)، وهناك عبأ وليم الصوري القوى الاوربية للحملة الصليبية الثالثة، وشارك في الاجتماع الصليبي الكبير سنة (٥٨٤هـ / ١١٨٨) وهي السنة التي يتوفى فيها وليم الصوري(سعداوي، ١٩٦٢، ٤٣) وهي رواية بعيدة نوعا ما عن الوقائع التاريخية وان كان هناك راي يرى بانه توفي سنة (٥٨٢هـ /١١٨٦ م) (السيد،٢١،٢٠٠٦ ؛ Handyside,2012,p.3؛ عطية،١٩٨٩، هامش١٧،٣٦).

من خلال الوقوف على مجمل تلك التواريخ التي ذكرها الباحثون عن وفاته، فاننا وبالرجوع الى اخر روايتين ذكرها وليم الصوري في كتابه تاريخ الحركة الصليبية تعود الى سنة (٥٧٩ هـ / ١١٨٣م) (الصوري، ١٩٩٥، ٣٤٧/٤)،الاولى وهي المتعلقة بهجمات جي دي لوزينان على عرب الداروم، وهي الرواية التي اثبتها ايضا في السنة نفسها مؤلف البرق الشامي، واغفل اسم امير الحملة (عمادالدين الاصفهاني، ١٩٨٧، ١٣٧/٥–١٣٨،١٤٢) ووافقه ايضا، صاحب مفرج الكروب في اخبار بني ايوب، ولكن دون ان يصرح باسم القائد الصليبي الذي قاد تلك الغزوة (ابن واصل،د/ت، ١٤٠) بينما يتجاهل ابن الاثير الاشارة الى تلك الغزوة في حوادث سنة (٥٧٩هـ/١١٨٣م) (ابن الاثير، ٢٠٠٢، ١٠/ ١٢١–١٢٥)، والثانية مختصرة جدا حيث يتحدث فيها عن اختيار ريموند طرابلس وصيا على المملكة وبعد ذلك يتوقف وليم الصوري عن الكتابة نهائيا (الصوري،٤/ ١٩٩٥، ٣٤٧).

ذكر رنسيمان بانه كتب الصفحات النهائية من مصنفه في روما (رنسيمان، ١٩٩٤، ٥٠٣/٢ /هامش ٩)، اي انه نقل تلك المعلومات من الوافدين اليه، لذا اتت مختصرة وعابرة، ولكنه لايستبعد ان يكون البطريرك هرقليوس بطريرك بيت المقدس الجديد قد دس له السم بواسطة بعض اتباعه في روما

فمات هناك, ولكنه لم يحدد سنة وفاته بالضبط (رنسيمان،٢،١٩٩٤/٤٨٣)؛ وعلل سبب موته بان وليم الصوري لم يكن موافقا على تعيينه في ذلك المنصب لسوء سلوكه وتصرفاته البعيدة عن الدين (رنسيمان، ٢،١٩٩٤/٤٨٢،٣٦٦)، ويعتقد هانديساید ؛ بانه ربما ظل على قيد الحياة الى سنة (٥٨٢هـ / ١١٨٦ م) مع عدم امتلاكه لاي دليل يثبت صحة قوله (Handyside,2012,3)، وعلى الارجح انه مات في سنة (٥٨٠هـ /١١٨٤م) كون انه ارخ لحملة جاي دي لوزينان على الداروم، ومسالة البحث عن وصي موثوق به لعرش المملكة، في شهر تشرين الثاني من عام (٥٧٩ هـ / ١١٨٣ م) (الصوري، ٤،١١٩٥/٢٣٢) في حين انه انهى كتابه بعد ذلك باشهر وتصدرت مسالة الخلاف بين الملك وامير يافا دي لوزينان روايته تلك التي اختتمها بالاشارة الى رضى الجميع عن تكليف ريموند الثالث كونت طرابلس بالوصاية على عرش المملكة لحين بلوغ الصبي (بلدوين الخامس) (ت ٥٨٢ هـ/١١٨٦م) السن القانونية (الصوري، ١٩٩٥، ٤/٢٤٧) وعلى اغلب الظن في روما عندما كان مسافرا للحصول على الدعم العسكري لمملكة بيت المقدس بعدما تنامت قوة صلاح الدين الايوبي اكثر فاكثر وبات يهدد المملكة مباشرة (الصوري ،٤،١٩٩٥/٣١٩–٣٢١).

لم يصرح الصوري باصوله الاثنية، مع ان بعض الاراء ترجح كونه من اصل فرنسي (المصري، ٢٠١٩، ٢٦)، وكان اجداده من المشتركين في الحملة الصليبية الاولى وفق بعض الاقوال (سعداوي، ١٩٦٢، ٤٠)، وان كان حسن حبشي، يشير الى ان كونه ايطاليا هو الاقرب للواقع التاريخي، ويعلل رايه هذا بكثرة الاشارات التي كان يدونها وليم الصوري عن ايطاليا ويثني على تاريخها ويفصل في الحديث عن مدنها (وليم الصوري، ١٩٩٨، ١/١٦–١٧)، بل ان بعض الباحثين يؤكدون على اصوله الايطالية دون ان ادلة مقنعة تثبت ذلك الراي (العريني،١٩٦٢، ١٠٢ ؛ المغربي، ٢٠٠٤، ٣٣).

مهما يكن من الامر، فقد ولد ونشا وتربى صاحب الترجمة في بيت المقدس وتعلم هناك الاصول العامة للقراءة والكتابة ولاسيما في مدارس غربي القدس (العريني، ١٩٦٢، ١٠٤)، وفي الخامسة عشرة من عمره سافر الى اوربا (عبدالرزاق، ١٩٩٢، ١٧)، لكي يتعلم المزيد من العلوم، وينهل من المضان الرئيسية للمعرفة في مدارس وكليات اوربا خلال المدة (٥٤١ – ٥٦٠هـ / ١١٤٦ – ١١٦٥ م) حيث امضى هناك حوالي عشرين عاما كطالب علم (قاسم، ٢٠٠١، ٣٤ ؛ عوض، ١٩٩٩، ٦٥) .

جدير بالذكر، انه تعلم في اوربا انواعا عديدة من العلوم، ياتي في مقدمتها، الاداب والفنون الحرة[٣]، حيث تعلمها من اهل الاختصاص وذوي الخبرة ومن المشهودين لهم بالعلم والكفاءة (عوض،٢٠١٦، ٢١٥)، وتميز الصوري بالصبر وتحمل المشاق من اجل الاستزادة في العلم، ورحل الى عدة دول اوربية، مثل فرنسا وايطاليا (Spojaric,2008,5) ومن ثم الامبراطورية البيزنطية لاحقا

(الحويري،٢٠٠١،٨٣)، ودرس الفقه واللاهوت والقانون الكنسي والمدني ايضا (عوض، ٢٠١٦،٢١٥–٢١٦ ؛ سمالي د/ت، ١٤٢,151–krey,1941,149).

أتقن وليم الصوري العديد من اللغات، من ابرزها اللاتينية والفرنسية والانجليزية والعربية (زكار، ١٩٩٥،٤ ؛المصري، ٢٠١٩،٢٦)، فضلاً عن اللغة اليونانية (الجنزوري، ٢٠٠١،١٥)، وهذا وان دل على شيء فانه يدل على ان الصوري، ناهيك عن حبه للعلم،كان يعد نفسه لمنصب كبير في المملكة الصليبية، وكان له من الطموحات الشيء الكثير واعلاها ان يكون في بطريركا لبيت المقدس (الحويري، ٢٠٠١، ٨٣؛عبدالرزاق،١٩٩٢، ٤٧). وينبغي الاشارة الى انه استفاد من معرفته لتلك اللغات –بعد ذلك– في حياته الكنسية والعلمية ولاسيما في تدوين كتابه تاريخ الحركة الصليبية من خلال الاطلاع على مصادر ونصوص متنوعة.

لا نعرف الشيء الكثير عن حياته الاجتماعية سوى ان امه ماتت سنة (٥٧٦ هـ/ ١١٨٠م)، وان احد اخوته عرف برالف،وكان احد الموثوقين من شهود العدول في المسائل التجارية (العريني، ١٩٦٢، ١٠٣)، وفيما عدا ذلك، لم يصرح الصوري باية معلومات اخرى عن طبيعة حياته الاسرية واقاربه، ومعارفه في المستوطنات الصليبية في بلاد الشام، مع العلم أنه أطنب في ذكر أصول العديد من الاسر والشخصيات الاخرى من التي عاصرها (الصوري، ٣/ ١٩٩٤، ٩٢–١٢٩،١١٨،٩٣–١٣٠،٤٢٤).

عندما رجع الصوري الى بلاد الشام، كان مؤهلا لان يتبوأ اي منصب كهنوتي في الكنيسة، فتم تعيينه قسيسا في كنيسة صور مسقط راسه سنة (٥٥٨هـ/ ١١٦٣م) (زكار، ١٩٩٥، ٤/٧؛ عوض،٢٠١٦، ٢١٧)، بعدها التقى ملك بيت المقدس عموري (املريك الاول ت ٥٦٩ هـ / ١١٧٤ م)، فاطلع الاخير على مؤهلاته فقربه وجعله من المقربين منه، حتى رقاه في النهاية الى منصب قاضي القضاة ومن ثم مستشارا للملك سنة(٥٧٠هـ/ ١١٧٤م) (سمالي، د/ت، ١٤٢؛ سلامة، ٢٠٠٢، هامش ١، ١٠)، وجعله الملك مربيا لابنه بلدوين الرابع (صبار،٢٠١٣، ١٥ ؛ عبدالقوي، ١٩٩٦، ٢٠)، وفي الوقت نفسه كان مسؤولا عن ديوان انشاء المملكة (الحويري، ١٩٧٩، ١٠) وبعد موت املريك الاول تم تعيينه رسميا من قبل الملك بلدوين الرابع، رئيسا لاساقفة مدينة صور سنة (٥٧٠هـ/ ١١٧٥م) (العريني، ١٩٦٢، ١١٥؛ البيشاوي،١٩٩٠، ٤٩)، مع وجود اشارات تدل على انه كان صديق الطفولة للملك بلدوين الثالث[٤]، شقيق الملك املريك الاول، لهذا نراه يثني ويطنب الحديث على بلدوين الثالث عندما اختير لعرش مملكة بيت المقدس سنة (٥٣٨هـ/١١٤٣م) (الصوري، ١٩٩٤، ٣/٢٣٠–٢٣٤،٣٠٧).

نتيجة لدراية وليم الصوري بفكر الرجال ومعرفته لعدة لغات، اختير اكثر من مرة من قبل الملك موفدا وسفيرا الى الامبراطورية البيزنطية، في مسائل اختصت بالناحية الاجتماعية واخرى متعلقة بالناحية

السياسية لمملكة بيت المقدس، وفي كل تلك السفارات كان وليم الصوري، يترك اثرا طيبا لدى الملك (الصوري، ١٩٩٥، ٤/ ٢٥٦-٢٥٧).

ثانياً– كتابه (تاريخ الاعمال المنجزة فيما وراء البحر):

ألف وليم الصوري عددا من المصنفات التاريخية والدينية لكن اغلبها قد فقدت، حتى لم يبق منها معروفا لدى الناس سوى ثلاثة مختصة بالتاريخ الفها كلها بناء على رغبة الملك املريك الاول ملك بيت المقدس، الاول هو (تاريخ الامراء الشرقيين) (سلامة، ٢٠٠٢، هامش ١٨، ٢٥) حيث ضاع هذا لكتاب ولم يتبق منه سوى فقرات متفرقة في كتابات وليم الطرابلسي (عطا، ١٩٩٤، ٢٠)، وكتاب (اعمال الملك عموري) (عمران، ٢٠٠٠، ١٨)، بعدها جمع محتويات الكتابين في كتاب مفصل سنة (٥٧٣هـ/ ١١٧٨ م) (عوض، ١٩٩٩، ٦٨) مع اضافته نصوصا اخرى من مشاهداته اليها، وكتب كتابه التاريخي الاكثر اهمية الا وهو (كتاب الاعمال المنجزة فيما وراء البحر– The History of Deeds done Beyaond the sea) موضوع الدراسة(٥).

بقدر تعلق الامر بمصنفه الاخير، المكون من ثلاثة وعشرين كتابا، بدا بها في التاريخ الذي انتهى اليه مؤرخ الحملة الصليبية الاولى فوشيه الشارتري سنة (٥٢١هـ/ ١١٢٧م)، حيث استقى موارده في الاجزاء الخمسة عشر الاولى من بعض المصنفات المدونة التي استخدمها في كتابة تاريخه واكثرها لاتينية (زكار،٧،١٩٩٥/٣؛ handyside,2012,1-3)، مع الاعتماد على بعض المصادر العربية التي اتاحها له الملك املريك من مكتبته واغلب اظن كما يقول بعض الباحثين انها تلك التي كان الملك بلدوين الثالث قد استولى عليها من غرق السفينة الاسلامية والتي كانت الكثير من كتب اسامة بن منقذ(٢) موجودة عليها(عطية، ١٩٨٩، هامش ١٩، ٣٦)، مع بعض الروايات الشفوية لاناس ادركوا وقته.

لكن عند الوصول الى تدوين الكتاب السادس عشر من تاريخه وتحديدا عصر بلدوين الثالث (٥٣٧هـ/ ١١٤٢م) فانه استند الى مصدرين اساسيين وهما، الرواية الشفوية والمشاهدات العيانية للبعض من رواته الموثوقين وما شاهده هو بام عينيه، اذ اشار الى ذلك بنفسه قائلا: ((لقد تنسى لنا ان جمع الاخبار التي نسوقها في الكتاب الحالي حتى وقتنا هذا مما رواه الاخرون الذين مازالت ذاكرتهم تعي اخبار الازمنة السالفة وعيا صادقا ولقد كابدنا اكبر المشقة في الحصول على الاخبار الموثوق بصحتها، وعلى التاريخ الصحيح وتوالي الحوادث التي بلغتنا عن طريق تلك الروايات ذاتها الى جانب ماراياه بعيني راسنا وشاهدناه بانفسنا، وعلمنا ببعضه الاخر عن طريق العلاقة الوثيقة باناس كانوا شهود عيان لها حين وقوعها، ومن ثم فاننا سوف ندرج في يسر وامانة... بقية هذا التاريخ اعتمادا منا على هذين المصدرين)) (الصوري، ١٩٩٤، ٣/٢٢٩-٢٣٠)، لهذا ذكر احدهم بان، كتابه يعد اصيلا اعتبارا من تدوينه لمرويات الحملة الصليبية الثانية (باركر، ١٩٦٧، ١٩٤).

أما اكثر اجزاء كتابه ثقة عند الباحثين هي تلك التي كتبها خلال المدة (٥٦٣–٥٨٠هـ/ ١١٦٧–١١٨٤م)، كونه اعتمد بصورة مباشرة على الوثائق الرسمية للمملكة كونه كان مستشارا للملك، ناهيك عن كونه شاهد عيان حاضرا للاحداث (الصوري، ١٩٩٥،٤/٢٢٧،٢٢٩)، كتب وليم الصوري كتابة باللغة اللاتينية (الحويري، ٢٠٠١،٨٤) المبسطة والسلسة، وترجم بعد ذلك الى اللغات الفرنسية والالمانية والانجليزية.

يعد كتاب وليم الصوري مصدرا اساسيا لتاريخ الحروب الصليبية، ابتدا من الحملة الاولى حتى السنة التى توفي فيها، ومايميز منهجه التاريخي انه اعتمد البحث عن الحقيقة والموضوعية في تسجيل مروياته (عوض، ١٩٩٨،٢١، بارنز، ١٩٤٤، ١/١١١)، ولم يتاثر في احكامه بعمله الكنسي وقربه من اصحاب القرار كثيرا بل كان ينتقد الملوك والامراء والساسة الصليبيين عندما يلاحظ منهم التقصير او السلبيات في اعمالهم وقراراتهم (الصوري، ١٩٩٥، ٤/ ٢٧٨–٣٢٤،٢٨٤،٢٧٩)، وان كان يؤخذ عليه تفسيراته الدينية للعديد من الاحداث (الصوري، ١٩٩٤، ٣/٤١٨، ٤/١٣٠، ٢٣٥)، اسهب في عرض الكثير من الموضوعات وفي الوقت نفسه لازم الاختصار في البعض الاخر (الصوري، ١٩٩٥، ٤/٩٦–٩٧، ١٠٤–١٠٩)، ويمثل كتابه معجما تاريخياً للعديد من المصطلحات الاجتماعية والادارية والاقتصادية التي سادت عصره (Kostick,2004,353–355) و((كشف عن فهم حقيقي لعلاقة السببية في الحوادث التاريخية، فقد كتب موضحا ان الصليبيين لم يكونا جميعا يتصرفون بوازع ديني، اذ شارك البعض في هذه الحركة مجاراة لاصدقائهم، وتظاهرا بالشجاعة حتى لايتهمهم الناس بالتخاذل والجبن)) (قاسم، ٢٠٠١، ٣٤)، الى جانب انه مصدرنا الرئيسي عن تاسيس هيئة الفرسان الاسبتارية[٦] في بلاد الشام (مقامي، ١٩٩٤،٦).

ونستشف من كلام احدى الباحثات ان هذا المؤرخ اللاتيني المشرقي، كان لا يال جهدا في سبيل الوصول الى اصح الروايات التاريخية، فاشارت قائلة: ((وكان مايصل اليه من نتائج، انما يستخلصها بعد مقارنة مصادر عديدة، فاذا حدث بينها تعارض فاما ان ياخذ بحكمه ورايه، واما ان يورد الروايات المختلفة)) (عطا، ١٩٩٤، ٢١).

كما ان الدارس لكتابه يشعر بانه امام موسوعة صغيرة للشخصيات والمواقع الجغرافية لبلاد الشام، حيث ترجم للعديد من تلك الشخصيات التي برزت خلال الاحداث وضبط كتابة اسمائها (الصوري، ١٩٩٥، ٤ /١٧–١٩،٢٠، ٢٧) كما هي في المصادر الاسلامية ويبدو انه استفاد من اتقانه للغة العربية في توثيق تلك الاسماء (Griffith,1980,12)، وعرف المواقع الجغرافية بدقة (الصوري،٥٦،٥١،٣٤،١٩٩٥–٥٧،٥٩،٦٨)، لهذا اطلق عليه احد الباحثين بانه (اب التاريخ في عصره وهو جدير بذلك اللقب لحسن نظامه وتنسيقه ومعالجته الفنية للموضوع، وتمتعه بفن السرد الحيوي

للحوادث)) (المغربي،٢٠٠٤،٣٣)، وان كان سمايلي لايعد عمله راقيا مثل عمل المؤلف المجهول) كتاب اعمال الفرنجة) (سمالي، د/ت، ١٤٢)، مع ان البعض الاخر من الباحثين اثنوا كثيرا على عمله وعد رائدا في مجال كتابات تاريخ العصور الوسطى ولاسيما، الحروب الصليبية (الشقيرات،٢٠١٩،١٢٢ ؛عمران، د/ت، ١٨؛ زكار،١٩٩٥، ٤/٧).

مهما كانت الاراء والاحكام الصادرة في هذا الكتاب من قبل المؤرخ وليم الصوري، فانها تمثل وجهة النظر المسيحية – الصليبية في العصور الوسطى ولاتقلل من شان هذا السفر التاريخي، الذي امدنا بتفاصيل ونصوص تاريخية مختصة بمملكة بيت المقدس، لم نكن لنقف عليها، الا من خلال هذا الكتاب عوضا عن بعض تلك النصوص المتعلقة بتاريخ الزنكيين والايوبيين على حد، وعلي سبيل المثال لا الحصر، اننا لانقرا الكثير عن التاريخ المبكر لنجم الدين ايوب[١] في المصادر الاسلامية، الا ان وليم الصوري قد اورد نصين على قدر كبير من الاهمية تتعلق بشخصية والد صلاح الدين ودوره في دمشق خلال فترة الصراع مع مملكة بيت المقدس (الصوري، ١٩٩٤، ٣/٤٣٧–٤٣٨) كذلك فيما يتعلق بصفات اسدالدين شيركوه[٧] الخلقية والعامة، فاننا لانجد ما يوازي وصفه له، في المصادر الاسلامية (الصوري، ١٩٩٥، ٤/٧٤).

المبحث الثاني: وليم الصوري يؤرخ لرينو دي شاتيون – مرحلة التكوين وألاسر (٥٤٨– ٥٥٥هـ/ ١١٥٣–١١٦٠م)

يعد وليم الصوري، رائدا في مجال تدوين الاخبار المتعلقة برينو دي شاتيون، خلال المرحلة المبكرة من حياته، ولانكاد نعثر على مايضاهي المعلومات التي سجلها لنا عنه في المصادر التاريخية العربية – الاسلامية الا القليل النادر، كون ان وليم الصوري عاصر تلك المرحلة من حياة دي شاتيون غيابيا، كونه كان موجودا في اوربا طلبا للعلم ولكنه من خلال الموثوقين من الرواة تمكن من رصد احداث تلك الحقبة من حياة الامير الصليبي وتتبع اخباره بدقة بعد ذلك.

على الرغم من كل ذلك، فان الصوري لايمنحنا مساحة كافية للتعرف على اصول دي شاتيون وتاريخ مولده ولكننا من خلال احدى الدراسات الحديثة نتعرف على ان اصوله فرنسية وهو ابن لعائلة ميسورة كان ابوه يدعى جيوفرى كونت ولوردشاتيلون (رنسيمان، ١٩٩٤، ٤/ ٣٩٩) ونعلم اعتمادا على المصادر الاسلامية انه قتل على يد السلطان صلاح الدين الايوبي سنة (٥٨٣هـ / ١١٨٧م) (ابن الاثير ،١٠،٢٠٠٣/١٤٨) اثر اسره بعد معركة حطين وكان السلطان قد نذر دمه بسبب تجاوزاته المستمرة ضد القوافل التجارية وقوافل الحجاج المسلمين وغاراته المتكررة على السكان العزل، فضلا عن محاولاته غزو مكة والمدينة (ابن كثير ، ١٤،٢٠١٥/٣٢٩،٣١٤). وصف احد الباحثين كتاب وليم الصوري بقوله، بانه تفوح منه رائحة ((الغم والحزن والكابة)) (قاسم، ٢٠٠١، ٣٤)، بسبب ان الاحوال العامة للصليبيين كانت

سيئة، في مملكة بيت المقدس، وربما كان مصيبا في قوله نتيجة لصعود قوة المسلمين من الزنكيين ومن بعدهم الايوبيين، وفي المقابل كانت القوة الصليبية اخذة في الانهيار، حيث تزعزت الثقة بين مملكة بيت المقدس وبقية الامارات الصليبية، ولاسيما عند مجيء الملوك الاطفال بوصاية امراء اخرين مما احدث شقاقا في وحدة الصف الصليبي لعدم موافقة الامراء لبعضهم البعض في قبول مثل تلك الوصايات الملكية (الصوري، ١٩٩٥،٤/ ٣٣٠ –٣٣١).

إن أول نص مدون عنه من قبل الصوري، يعود الى سنة (٥٤٨ هـ / ١١٥٣)، اثناء حصار الملك بلدوين الثالث لمدينة عسقلان[٨]، وشارك معه في عملية الحصار تلك عدد كبير من القادة والامراء، كان من بينهم رينو دي شاتيون، وولتر دي سنت (اومير) فذكر الصوري قائلا: ((وكان هذان الاخيران، من العاملين بالخدمة في جيش الملك باجر يجريه عليهما)) (الصوري، ١٩٩٤، ٣/٣٥١)، اي ان رينو دي شاتيون، عمل منذ بداية حياته كمرتزقة في جيش الملك، واشار بعض الباحثين انه كان من المغامرين الفرنسيين الذين وفدوا الى الشرق خلال الحملة الصليبية الثانية (الزيدي، ٢٠٠٥،٢٠٥).

لا نجد مايذكر عن صفات رينو عند الصوري سوى انه، بعدما اطلع على الكثير من تجاوزاته غير الانسانية واللامدروسة يصفه ب (ارناط[٩] الاحمق) (الصوري، ١٩٩٤، ٣/٤٣٩) وفي مكان اخر يصفه بالامير الطاغية (الصوري، ١٩٩٤، ٣/٣٨٠)، في الوقت الذي نرى امثلة مشابهة لتلك الصفة كان المؤرخين المسلمون قد اطلقوها على ارناط، فهذا ابن الاثير يصفه بهذه الكلمات: ((البرنس ارناط كان من شياطين الافرنج ومردتهم واشدهم عداوة للمسلمين)) (ابن الاثير، ٢٠٠٢، ١٠ /١٠٥)،وفي موضع اخر يقول في حقه: ((من اعظم الفرنج واخبثهم)) (ابن الاثير، ٢٠٠٢، ١٠ / ١٤٢)، في حين فصل ابو شامة في وصفه قائلا: ((كان ابرنس ارناط اغدر الفرنجية واخبثها، وافحصها عن الردى والرداءة وابحثها)) (ابوشامة، ١٩٩٧، ٣/٢٧٤).

لكن من الملاحظ ان رينو دي شاتيون، كان على قدر من الشجاعة والرجولة بين افراد قومه، في الوقت الذي كان اكثر الامراء الصليبين خوفا من السلطان نورالدين محمود زنكي (ت ٥٦٩ هـ/١١٧٤م) (الناصري، ١٩٩٣، ٤١٥)، ومع ذلكٍ تمكن ان يستميل اليه ابنة خالة الملك المدعوة (كونستانس) ارملة ريموند امير انطاكية الذي قتل في معركة انب سنة (٥٤٤هـ /١١٤٩م) (الصوري، ١٩٩٤، ٣/٣٤٥) وكانت اما لاربعة اطفال اكبرهم بوهيمند في الخامسة من العمر (سميث، ١٩٨٩،٣١ –٣٢)، فعلى الرغم من رغبة العديد من امراء المملكة وغيرها من الامارات في الاقتران بها لكنها كانت تجابه طلباتهم بالرفض، وعلى حد قول الصوري، انها اختارت من بين الجميع رينو دي شاتيون، ((واتخذنه لها بعلا، لكنها ابقت زواجها هذا سرا مكتوما حتى تاخذ مقاليد السلطة في يدها)) (الصوري، ١٩٩٤، ٣/ ٣٥٩)، وجاهدت من اجل الحصول على موافقة الملك بلدوين الثالث، ومن اجل الاسراع بانتقال السلطة اليها والى

رينو دي شاتيون، فان الاخير قد توجه مسرعا الى عسقلان وحصل على موافقة الملك بالارتباط بها، فعاد الى انطاكية وريثة المدينة وتزوج بالاميرة كونستانس (الصوري، ١٩٩٤، ٣/ ٣٥٩)، وعلل احدهم موافقة الملك على زواج ارناط، بان الاخير جندي شجاع، وفي الوقت نفسه قد خلص الملك بلدوين الثالث من مشاكل امارة انطاكية ومسؤولية الوصاية عليها (رنسيمان، ١٩٩٤، ٢/٤٠٠).

تلك الخطوة التي ذكر الصوري بانها لم تعجب الكثيرين من قادة وامراء المملكة لانها كانت زوجة فارس وامير معروف في اوساط المملكة ومن اسرة شهيرة، في حين ان ارناط لم يكن فارسا مشهورا، بل يصفه الصوري بالقول: ((حثالة الفرسان)) (الصوري، ١٩٩٤، ٣/ ٣٥٩)، وبتلك الزيجة اصبح الفارس المغمور، اميرا على مدينة انطاكية (رنسيمان، ١٩٩٤، ٢/٤٠٠) ويرى احد الباحثين بان ارتباطه ب كونستانس لم يكن ((الا زواج مصلحة من وريثة امارة انطاكية)) (زابوروف،١٩٨٦، ١٩٠) .

على اية حال، فان الصوري، على الرغم من كونه رجل دين الا انه لم يعدم الموضوعية في نقل صورة الحال التي كانت عليها العلاقة بين ارناط وبطريرك انطاكية الذي كان في كل مناسبة عامة او خاصة، ينتقد ارناط واعماله، ويراه غير مناسب للاميرة كونستانس، وكانت مثل تلك الاقاويل تصل الى رينو دي شاتيون فيثور غضبا (الصوري، ١٩٩٤، ٣/٣٧٩)، ومما زاد الطين بلة ان من حولهما من الانصار كانوا يؤججون للكراهية بين الرجلين حتى انتهى الامر بان قبض ارناط على البطريرك واهانه بصورة مزرية، مما دعا ذلك الى ان يتدخل ملك بيت المقدس بينهما، وارسل لجنة للتحقيق في الامر، مما اسفرت الامور في النهاية الى ان يطلق ارناط سراحه، فغادر البطريرك انطاكية الى بيت المقدس ليقيم هناك (الصوري، ١٩٩٤، ٣/٣٨٠).

المحطة التاريخية الاخرى التي وقف عندها الصوري مروياً لاخبار أرناط، ولم تشر اليها النصوص العربية والاسلامية، هي امتثاله لامر الامبراطور البيزنطي مانويل[١٠]، بالوقوف في وجه أحد الامراء الارمن المدعو (ثوروس)، الذي كان دائم التجاوز على ممتلكات الامبراطورية البيزنطية مثل طرسوس[١١] والمصيصة[١٢] وغيرها (الصوري، ١٩٩٤، ٣/ ٤٢٩)، ولقرب تلك الممتلكات من إمارة انطاكية فقد ندب الامبراطور ارناط لمساعدته في درء خطر ثوروس مبديا استعداده لتزويد ارناط بالمال اللازم اذا ما احتاج اليه لتنفيذ تلك المهمة، وبالفعل نجح رينو دي شاتيون في القضاء على خطر الارمن، وتامين الممتلكات الامبراطورية المتاخمة لامارة انطاكية (الصوري، ١٩٩٤، ٣/ ٤٠١– ٤٠٢).

يستطرد الصوري، في روايته عن علاقة ارناط بالامبراطور البيزنطي، قائلا بان ماحصل عليه رينو من الامبراطور من مكافات لم تعجبه وجدها لاتوازي ماتقدمه من خدمات له، لذا وبناء على مشورة بعض الامقربين منه هاجم جزيرة قبرص التي كانت من ممتلكات بيزنطة او التابعين لها، واستولى عليها بالقوة

ودمر الكثير من المدن والقرى والحصون وسلب الكثير من الاموال والمجوهرات، واباح الجزيرة لجنده عدة ايام وبعدما حصلوا على بغيتهم ابحروا ثانية، وعادوا محملين بالغنائم الى انطاكية (الصوري، ١٩٩٤، ٤٠٢/٣ – ٤٠٣).

إلا ان هذا التجاوز من قبل ارناط لم يعجب الامبراطور مانويل البيزنطي، الذي سرعان، ماوصل بجنده الى كيليكا، لمعاينة الاراضي التي كان ثوروس قد استولى عليها وتاكيد ضمان حمايته لها، وعندما سمع رينو دي شاتيون بالخبر، هاله الامر، وعلم بان الامبراطور سيعاقبه جراء ما اقترفته يداه في قبرص، وبدا في التوسط لدى اهل الخبرة والمشورة فيما عساه ان يفعله ليرضي الامبراطور، فالتمس المثول امام مانويل في مدينة المصيصة، وقد تذلل كثيرا، ونزل عن كبريائه، واظهر ندمه، هذا الموقف المشين من ارناط دفع بوليم الصوري الى القول: ((وكسف مجد اللاتين الذي استمال بفعلته هذه معرة ونقيصة، وكان ارناط رجلا مطبوعا على الاندفاع في خطاياه، اندفاعه في توبته على السواء)) (الصوري، ١٩٩٤، ٤٣١/٣)، في حين يفهم من اشارة احد المختصين بالتاريخ البيزنطي، ان ارناط كان قد تذلل كثيرا للامبراطور البيزنطي، لانه عندما دخل الامبراطور مانويل الاول انطاكية دخل معه ارناط ممسكا بلجام فرسه وهو مجرد من السلاح (الناصري، ١٩٩٣، ٤١٥–٤١٦).

يبقى وليم الصوري هو المصدر الوحيد الذي امدنا بتلك الروايات عن حياة واعمال ارناط في تلك الحقبة، ولكننا عندما نصل الى المدة الممتدة بين السنوات (٥٥٢ –٥٥٣ هـ / ١١٥٧ – ١١٥٨ م)،فاننا نقف على مايدعم راويات الصوري ولاسيما عند المؤرخ الدمشقي ابن القلانسي (ت ٥٥٥ هـ /١١٦٠ م).

فذكر في حوادث سنة (٥٥٢هـ / ١١٥٧ م)، بان الصليبيين تجمعوا في انطاكية بناء على رغبة ارناط الذي حثهم على استغلال فرصة مرض نورالدين محمود وبالتالي مهاجمة قلعة شيزر، وفي الوقت نفسه تحالفوا مع الامير الارمني ثوروس امير كيليكا، وبعدما اكتمل عدد الحلفاء في انطاكية سار بهم الملك بلدوين الثالث ورينو دي شاتيون نحو شيزر[١٣]، وحاصروا القلعة وبداوا برميها بالات الرمي وكان كل قائد يرغب في احتلال المدينة اولا، ورغب الملك بان يقطعها لكونت فلاندرز، في حال الاستيلاء عليها لكن ارناط رفض تلك الفكرة، وبين بان شيزر هي نم اعمال انطاكية ويجب ان تعود اليها او ان من يتسلمه عليه ان يقطع يمين الولاء له فرض تييري كونت فلاندرز ان يتعهد لارناط، وهذا الامر حال دون اتفاق التحالف الصليبي، ففشلت حملتهم عليها (الصوري، ١٩٩٤، ٤١٩/٣–٤٢٠)، ومصداق تلك الحملة نجدها عند ابن القلانسي في حوادث تلك السنة اذ قال مانصه: ((فلما مضت ايام من شهر رمضان سنة ٥٥٢ عرض للملك العادل نورالدين (ت٥٦٩هـ / ١١٧٣م) ابتدا مرض حاد فلما اشتد به خاف على نفسه... وانزعجت القلوب فتفرقت جموع المسلمين واضطربت الاعمال وطمع الافرنج فقصدوا مدينة شيزر

وهجموها وحصلوا فيها فقتلوا واسروا وانتهبوا وتجمع من عدة جهات خلق كثير من رجال الاسماعيلية[١٤] وغيرهم فاستظهروا عليهم وقتلوا منهم واخرجوهم من شيزر)) (ابن القلانسي، ١٩٠٨، ٣٤٩).

ونظرة على النصين الظاهرين اعلاه لكل من الصوري وابن القلانسي، نقف على مايلي:

١– اتفاقهما على سنة وقوع حادثة غزو ومحاصرة شيزر.

٢– اتفاق المؤرخين على ان المحاصرين قد ضايقوا المدينة كثيرا.

٣– ان المدينة سقطت بيد الصليبيين واستباحوها لجندهم، فعملوا فيها قتلا واسرا ونهبا، وفق راي المؤرخين.

٤– اهمل ابن القلانسي الاشارة الى دور قلعة شيزر في حفظ ارواح الاهالي وعساكر المسلمين الذين انسحبوا من مواجهة الصليبيين بعد سقوط المدينة وارباعها بايديهم ن في حين ان وليم الصوري اكد بان قلعة المدينة لم تسقط بل ظلت صامدة في وجه هجمات الصليبيين، الذين كانوا قابوا قوسين او ادنى من الاستيلاء عليها ؛لكن المشاكل الداخلية بين صفوفهم حالت دون تحقيق ذلك.

٥– وليم الصوري كعادته كان يتقصى ويتمحص ادق التافصيل في رواياته لذا نراه قد اكد كثيرا على اسماء الامراء والقادة المشاركين في تلك الحملة حتى اثبت بان سبب فشلها كان رينو دي شاتيون امير انطاكية، في حين ان رواية ابن القلانسي كانت عرضية نوعا ما، اهمل فيها الاشارة الى اسماء المشاركين في عملية الحصار او حتى المدافعين عن المدينة وربضها من المسلمين، مكتفيا بذكر وصول مدد من رجال الاسماعيلية في المناطق القريبة من المدينة ودافع اؤلئك بقوة عنها مما اجبر التحالف الصليبي عن الانسحاب.

٦– لكن الشيء الاهم اننا من خلال متابعة رواية ابن القلانسي،نستشف بان تلك الحملة على شيزر سبقت تعرضها، للزلزال الذي دمر المدينة نفسها في تلك السنة، حيث ضبط ابن القلانسي تاريخ الهجوم الصليبي في اواخر شهر شوال من تلك السنة، بينما ادرج الصوري الحدث في متفرعات سنة (٥٥٢هـ/ ١١٥٧م)، وتاكيدا للامر فان صاحب مفرج الكروب في احداث السنة ذاتها ذكر بانه بعد الزلزال المذكور اضاف نورالدين شيزر وعمالها الى ممتلكاته (ابن واصل، ١٩٥٣، ١٢٨/١).

اما الرواية الثانية التي نجد صدى لها عند ابن القلانسي، دون غيره من المؤرخين المسلمين، هي تلك المتعلقة، بهجوم الصليبيين على احد الحصون القريبة من انطاكية، فذكر وليم الصوري، بان الحلفاء الصليبيين كانوا موجودين في انطاكية، وعلى الرغم من وجود بعض الخلافات بينهم لكن امير انطاكية رينو دي شاتيون تمكن من اقناعهم بضرورة الاستيلاء على

الحصن القريب من امارته بمسافة لاتبعد اكثر من اثنا عشر ميلا[١٥]، فاتفق الجمع الصليبي على مهاجمة (الحصن)، من كل

الجوانب وخصصوا لكل، منطقة حوله قائدا مهمته الضغط على المدافعين واجبارهم على الاستسلام، وبعد الهجمات الشديدة، اضطرت حاميتها الى طلب الاستسلام والامان، فتم تسليم القلعة الى الصليبيين حيث استلمها ارناط امير انطاكية، لانها كانت رسميا تابعة له قبل ذلك (الصوري، ١٩٩٤، ٤٢١/٣ –٤٢٣)، وبذلك حقق رينو دي شاتيون امن وسلامة امارته (عطية، ١٩٨٩، ١٥٤).

بينما نلاحظ بان رواية ابن القلانسي جاءت مختصرة ولكنه اهتم كثيرا بضبط تواريخ الهجوم الصليبي، فقال بان الاخبار القادمة من جانب الفرنجة الشاميين، انهم هاجموا حصن حارم[١٦] في اوائل المحرم سنة (٥٥٣هـ / ١١٥٨م) وضايقوه واستمروا في رميه بحجارة المجانيق[١٧] (المنجنيق)، الى ان اضعف الحصن، ومن ثم ملكت بالسيف (ابن القلانسي، ١٩٠٨، ٣٥٠).

استقراء للروايتين السابقتين، نلاحظ نقطتين تمثلان مصدر الاختلاف بينهما:

١– ان وليم الصوري اغفل الاشارة الى اسم الحصن المذكور بل ذكره علما باسم (الحصن).في حين ان ابن القلانسي صرح باسمه وانه كان حصن (حارم)

٢– اختلف الاثنان حول كيفية تسليم اهل المدينة، فذكر الصوري بانهم استسلموا بالامان، بينما قال ابن القلانسي بانه ملك بالسيف، والرواية الثانية هي الاكثر ترجيحا لانه من خلال متابعة اعمال وسلوك رينو دي شاتيون مع سكان المناطق التي كان يهاجمها، لانجد الا نادرا بانه وافق على الاستسلام المشروط، بل كان في كل مرة يعمل السيف في اهالي تلك القلاع والحصون، وان كان وليم يريد ان يظهر بني جلدتهم بحفظ المواثيق والعهود، لانه حسب قول احدهم: ((فقد كانت وحشية رينالد القاسية سيئة بما فيه الكفاية ؛ ولكن عدم مسؤوليته الكلمة كانت اسوأ)) (بردج، ٢٠١٤، ١٨٥).

استغل وليم الصوري كل مناسبة ليظهر، عدم رضاه من تصرفات رينو دي شاتيون امير انطاكية، بسبب سلوكه غير السوي، ذلك السلوك الذي اضر بمستقبل الصليبيين في بلاد الشام، ففي حوادث سنة (٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م) ، يسدل الستار على المرحلة التكوينية لشخصية ارناط ن المغامر الصليبي، فقد اشار وليم الصوري من خلال نص له قيمة تاريخية من الناحية السياسية والنفسية، كيف ان رينو دي شاتيون كان يترصد الاخبار والمعلومات التي تخص السكان المسلمين وتنقلاتهم الموسمية، وراء قطعانهم من الابل والاغنام بحثا عن الماء والكلاء، فرصد بعض كشافته بعضا من اؤلئك الرعاع فضلا عن المزارعين الذين يتجولون في الارجاء ولاسيما في المنطقة القريبة بين مرعش[١٨]، فاستغل ارناط وجود اؤلئك هناك وهجم عليهم فنهب وسلب، وبعد انتهاء غارته تلك، حاول العودة من حيث اتى محملين بانواع

المتاع الذي نهبوه (الصوري،١٩٩٤، ٤٣٩/٣) ؛لكن انباء غارته تلك وصلت الى نائب حلب (مجدالدين ابن الداية)[١٩]، فكمن له عند رجوعه ولما علم ارناط بخطة ابن الداية شاور اصحابه في الاحتفاظ بالغنائم ام القتال ن لكنهم اثروا في النهاية القتال ففاجاهم القوات الحلبية بسهامهم ورماحهم، ففر اغلب الجند واسر البعض الاخر اما عن ارناط فقال الصوري بحقه: ((وكفر الامير ارناط عن جميع اخطائه وجرائمه التي اقترفها فقد وقع في اسر العدو الذي كبله بالقيود وسار به الى حلب على اقبح صورة)) (الصوري،١٩٩٤، ٤٤٠/٣).

وبذلك خلت امارة انطاكية من امير يدير شؤونها، واصبح على الملك ان يجد بديلا لادارتها، بعد سقوط رينو دي شاتيون بيد الجيش الزنكي، وبقي في الاسر لمدة ستة عشر سنة، لم يطلق سراحه الا في سنة (٥٧١هـ/ ١١٧٦م) (ابن واصل، ١٩٥٧، ٣٨/٢). وعندما عاد التحق بخدمة الملك بلدوين الرابع المجذوم (ت ٥٨١ هـ/١١٨٥م)، فعينه اميرا لقلعة الكرك[٢٠]، ومن هناك كان لايال جهدا في قطع الطرق والتجاوز على القوافل المارة ونقض العهود (ابن الاثير، ٢٠٠٣، ١٤٢/١٠ ؛سبط ابن الجوزي،٨،١٩٥١/٣٨٩)، لذا حاصر صلاح الدين الأيوبي قلعته اكثر من مرة، بقصد فتحها وتأمين المسلمين من شره (بهاءالدين ابن شداد، ١٩٦٤، ٦٣،٦٦ ،٧٤؛ الذهبي، ١٩٩٦، حوادث وفيات ٥٧١–٥٨٠، ٦٣)، حتى آل مصيره في النهاية الى القتل على يد السلطان (ابن الاثير، ١٠،٢٠٠٣/١٤٨؛ بهاءالدين ابن شداد، ١٩٦٤، ٧٨)..

الخاتمـــة :

في خاتمة هذه الدراسة تم التوصل الى النقاط التالية:

١– اثبت البحث ان المعرفة العلمية والادبية والدينية التى تحلى بها وليم الصوري ساعدته كثيرا، على ان يبدع في مسالة التاليف ولاسيما التدوين التاريخي، وبالتالي ساعدته معرفته باللغات الاخرى، في الاطلاع على محتويات مصنفات الاخرين ولاسيما التاريخية وترجمة ما يحتاج اليه من نصوص.

٢– ظهرت من خلال الدراسة، ان ثقافة وليم الصوري الواسعة، واطلاعه على تواريخ الامم السابقة، قد ساعدته في التقرب من مركز القرار في مملكة بيت المقدس ولاسيما الملك، مما جعله يرتقي في المناصب تدريجيا، ضمن حاشية الملك واصبح من المعول عليهم في اتخاذ الكثير من القرارات التي تخص المملكة، فضلا عن اعتماد الملك عليه في ارساله كموفد شخصي الى الامبراطورية البيزنطية وغيرها من الدول والاقاليم.

٣– بفضل تلك المؤهلات التي كان يحملها وليم الصوري، اسند اليه ملك بيت المقدس املريك الاول مهمة تاليف كتاب خاص بعهده، وعهود ملوك الشرق الاخرين، ليستفيد منه خلفائه عند الاطلاع على الخارطة السياسية التي كان عموري قد اعتمدها في تسيير امور المملكة، وكيفة التعامل مع خصومه

المسلمين في بلاد الشام ومصر، ناهيك عن العلاقة مع الامبراطورية البيزنطية وبقية الامارات الصليبية الموجودة في بلاد الشام.

٤– اكدت الدراسة ان كتاب وليم الصوري (تاريخ الاعمال المنجزة فيما وراء البحر)، يعد مصدرا اساسيا لمن اراد التصدي لمعرفة احوال الشرق الاسلامي خلال الحملة الصليبية الاولى والثانية، فضلا عن التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والادراية لمملكة بيت المقدس، على عهد الملك املريك الاول، كونه كان شاهد عيان من الدرجة الاولى، لعهد الملك املريك الاول وكبير قضاته، ومؤرخه الشخصي.

٥– ظهر من خلال الدراسة، ان رينالد دي شاتيون (ارناط)، لم يكن من الفرسان ذوي الشهرة الحربية الكبيرة، بل كان فارسا مغمورا، مغامرا، ينتهز الفرص من اجل تغيير مصيره الى الافضل، فاجتهد كثيرا ورافق الحملة الصليبية الاولى، حيث اكتسب المزيد من الخبرة، وكان جنديا لايعرف الخوف ولايهاب الصعاب، وهذا مما ساعده في قبول ملك بيت المقدس على ان ينخرط في عسكره، كمرتزق لقاء اجر متفق عليه.

٦– تميز ارناط بالدهاء والدبلوماسية، فاستغل تلك الصفتين في التقرب من وريثة امارة انطاكية، حيث استمالها ورغبها في الزواج به، على الرغم من كل المعارضة الخاصة والعامة لسكان المملكة، كون ان ارناط، لايمت بصلة رسمية الى صليبيي بلاد الشام وليس له مكانة عالية، لكنه في النهاية تزوج من الاميرة وارتقى الى عرش امارة انطاكية.

٧– عرف أرناط بالتهور والطيش واللامبالاة وعدم احتساب اي تقدير للاخرين، ولاسيما من الساسة والقدة الصليبيين، متجاوزا على ممتلكات الغير دون وجه وحق، كما حصل عند مهاجمته لجزيرة قبرص التابعة لبيزنطة، ناهيك عن تعامله السيء مع رجال الدين المسيحيين، مما فتح عليه جبهات عديدة كان عليه معرفة كيفية التعامل معها كلها، مثل الامبراطورية البيزنطية ومملكة بيت المقدس والبابوية.

٨– من جانب اخر بيَّنت الدراسة ان ارناط ووفق رؤية وليم الصوري، كان يتصف بالحمق والسذاجة في التصرف بلامسؤولية وتصديق ماينقل اليه من الاخبار، وعدم الاليتزام بالعهود والمواثيق التي وقعت مع الجانب الاسلامي، وتلك التصرفات والافعال هي التي اودت به في النهاية الى ان يقع اسيرا بيد جند حلب،سنة (٥٥٥هـ /١١٦٠ –١١٦١م).

٩– المستخلص المستوحي من نصوص وليم الصوري عن رينو دي شاتيون (ارناط)، انه لم يكن مؤهلا لتبوأ منصب الامير، لا في امارة انطاكية ولا في امارة الكرك، لانه لم يكن يتحلى بالصبر والتصرف كنبيل في الكثير من المواقف المعقدة التي كان هو نفسه من خلقها، لتعنته وسوء تدبيره للامور، واهماله لامر من حوله من الامراء والمستشارين، بل على العكس يذكرنا بما كان يفعله السلطان

توران شاه الايوبي (ت٦٤٨ هـ م ١٢٥٠ م) اخر سلاطين الدولة الايوبية عندما كان يسرح المؤهلين واصحاب الخبرة من خدمته، ويقرب الشباب الصغار ممن ليس لديهم اية خبرة في ادارة امور الدولة.لذا سقط ارناط اولا اسيرا وفي المرة الثانية سقط قتيلا، بفعل تلك الساسية الخاطئة التي اتبعها في تدبير اموره.

قائمة المصادر والمراجع:

– ابن الاثير، ابو الحسن عزالدين علي بن ابي الكرم بن محمد الجزري (ت٦٣٠ هـ / ١٢٣٢م)

١– الكامل في التاريخ، تحقيق محمد يوسف الدقاق، ط٤، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢.

- احلام، لغريب

٢– اسرى الحروب الصليبية (دراسة تاريخية)، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط، كاية العلوم الانسانية والاجتماعية – جامعة ٨ ماى ١٩٤٥ قائمة، الجزائر، ٢٠١٨.

- بهاء الدين بن شداد، ابوالمحاسن يوسف بن رافع الاسدي (ت ٦٣٢هـ /١٢٣٤م)

٣– النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق جمال الدين الشيال، ط١، الدار المصرية للتاليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٩٤.

- باركر،ارنست

٤– الحروب الصليبية، نقله الى العربية السيد الباز العريني، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٧.

- بارنز، هاري بالمر

٥– تاريخ الكتابة التاريخية، ترجمة محمد عبدالرحمن بدج، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٤٤.

- بردج، انتوني

٦– تاريخ الحروب الصليبية، نقلها الى العربية احمد غسان سباتو ونبيل الجيرودي، دار قتيبة للطباعة والنشر، دمشق، ٢٠١٤.

- الجنابي، طلب صبار

٧– امارة انطاكية دراسة في علاقتها بالقوى السياسية، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، الموصل،٢٠١٣.

- الجنزوري، علية عبدالسميع

٨– امارة الرها الصليبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،٢٠٠١.

- الحويري، محمود محمد

٩– الاوضاع الحضارية في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر من الميلاد (عصر الحروب الصليبية)، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٩.

١٠– منهج البحث في التاريخ، المصرية لتوزيع المطبوعات، القاهرة، ٢٠٠١.

- الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ / ١٣٤٨م)

١١ – تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام (حوادث سنة ٥٧١–٥٨٠ هـ)، تحقيق عمر عبدالسلام تدمري، ط١، دار الكتاب العربي، دمشق، ١٩٩٦.

- رنسيمان، ستيفن

١٢– تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة نورالدين خليل، ط٢، د. م، ١٩٩٨.
- زابوروف، ميخائيل
١٣– الصليبيون في الشرق، ترجمة الياس شاهين، دار التقدم، موسكو، ١٩٨٦.
- زكار، سهيل
١٤– الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية، دمشق، ١٩٩٥.
– الزيدي، مصعب حماد نجم
١٥ – الاستيطان الصليبي قي بلاد الشام مملكة بيت المقدس نموذجا، اطروحة دكتوراه غ.م، جامعة الموصل – كلية الاداب، الموصل،٢٠٠٥.
– سبط ابن الجوزي، ابو المظفر شمس الدين قزاوغلي التركي (ت٦٥٤ هـ / ١٢٥٦م)
١٦ – مراة الزمان في تاريخ الاعيان، ط١، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر ابان – الدكن، ج٨– ق١، ١٩٥١.
- سعداوي، نظير حسان
١٧ – المؤرخون المعاصرون لصلاح الدين الايوبي، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٢.
- سلامة، ابراهيم خميس ابراهيم
١٨ – دراسات في تاريخ الحروب الصليبية (جماعة الفرسان الداوية)، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ٢٠٠٢ م.
- سمالي، بيريل
١٩– المؤرخون في العصوؤ الوسطى، ترجمة قاسم عبدة قاسم، ط٢، دار المعارف، القاهرة.
– سميث، جوناثان رايلي
٢٠ – الاسبتارية فرسان القديس يوحنا في بيت المقدس وقبرص، ترجمة صبحي الجابي، ط١، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ١٩٨٩.
- السيد، عبداللطيف عبدالهادي
٢١ – الحركة الصليبية عصر بلدوين الثالث ١١٤٣ – ١١٦٢ م، ليبيا، ٢٠٠٦.
- ابو شامة، شهاب الدين عبدالرحمن اسماعيل المقدسي الدمشقي (ت ٦٦٥هـ /١٢٦٦م).
٢٢ – كتاب الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق ابراهيم الزيبق، ط١،مؤسسة الرسالة، دمشق، ١٩٩٧.
- الشقيرات، حسين رجا
٢٣ – مؤرخو الحروب الصليبية ومصادرهم، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، المجلد الثالث، العدد الاول، يناير، الاردن، ٢٠١٩.
- الطرسوسي، مرضي بن علي بن مرضي (ت٥٨٩ هـ /١١٩٣ م)
٢٤ – تبصرة ارباب الالباب في كيفية النجاة من الحروب والاسواء، تحقيق كلود كاهن، بيروت، ١٩٤٨.
- عبدالرزاق، ناصر
٢٥– صلاح الدين في الدراسات الاستشراقية الانجليزية والامريكية، رسالة ماجستير غير منشور، جامعة الموصل – كلية الاداب، الموصل، ١٩٩٢.

- عبدالقوي، زينب عبدالحميد
٢٦ – الانجليز والحروب الصليبية، ط١، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، القاهرة، ١٩٩٦.
- عثمان، مرفت
٢٧– التحصينات الحربية وادوات القتال في العصر الايوبي بمصر والشام زمن الحروب الصليبية، ط١، القاهرة، ٢٠١٠.
- العريني، السيد الباز
٢٨ – مؤرخو الحروب الصليبية، مطبعة لجنة البيان العربي، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٢.
- عطا، زبيدة محمد
٢٩ – الشرق الاسلامي والدولة البيزنطية زمن الايوبيين ط٢، دار الامين للطباعة، القاهرة، ١٩٩.
- عطية، حسين محمد
٣٠ – امارة انطاكية الصليبية والمسلون، ط١، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ١٩٨٩.
- عكاوي، رحاب
٣١ – الحشاشون حكام الموت نشاتهم وتاريخهم، ط١، دار الحرف العربي – دار المناهل، د/م، ١٩٩٤ .
- عمران، محمود سعيد
٣٢ – تاريخ الحروب الصليبية، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ٢٠٠٠.
- عوض، محمد مؤتس احمد
٣٣ – الحروب الصليبية دراسات تاريخية ونقدية،ط١، دار الشروق، عمان، الاردن.
٣٤ – الحروب الصليبية، دراسات في الجغرافيا والتاريخ (الفصل التاسع عشر من كتاب وليم الصوري تاريخ الاعمال – مترجم من قبل عوض)، القاهرة، ٢٠١٦.
٣٥ – في الصراع الاسلامي الصليبي السياسة الخارجية للدولة النورية، ط١، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، القاهرة، ١٩٩٨.
- قاسم، عبدة قاسم
٣٦ – الحملة الصليبية الاولى نصوص ووثائق تاريخية، ط١، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، القاهرة، ٢٠٠١.
- ابن القلانسي، ابو حمزة يعلى (ت ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م)
٣٧ – ذيل تاريخ دمشق، مطبعة الاباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٨.
- مولر، فولفغانغ
٣٨ – القلاع ايام الحروب الصليبية، ترجمة محمد وليد الجلاد، ط٢، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٤.
- ابن كثير، عمادالدين ابوالفدا اسماعيل الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٥ م)
٣٩ – البداية والنهاية، طبعة خاصة، وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية، قطر، ٢٠١٥.
- لسترنج،كي
٤٠ – بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد،ط٢، منشورات مؤسسة الرسالة، بيروت،١٩٨٥.
- لويس، برنارد

٤١ – الحشيشية، ترجمة سهيل زكار، ط٢، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق،٢٠٠٦.

- المغربي، محمد عبدالشافي

٤٢ – العصور الوسطى الاوربية، ط١، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية،٢٠٠٤.

– المصري، اكرم عاطف محمد

٤٣ – انتهاكات الصليبيين لحقوق الانسان في بلاد الشام، رسالة ماجستير غ.م، الجامعة الاسمية – كلية الاداب، غزة، ٢٠١٩.

- مقامي، نبيلة ابراهيم

٤٤ – فرق الرهبان الفرسان في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، القاهرة، ١٩٩٤.

- ياقوت الحموي، شهاب الدين ابو عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي (ت٦٢٦هـ / ١٢٢٩م)

٤٥ – معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧.

ثانيا – المراجع الاجنبية

– Giriffith, Hugh,Clifton.

46 – The Second and Third Crusades:Their Justification and Goals as Seen by the Clergy, Masters thesis of Arts not published, Western Michigan University, Mishigan,1980.

- Handyside,Philip,david,

47 -The old French translation of William of Tyre (Phd thesis not published) , Cardiff University , School of History , Cardiff,2006.

- Kostick,Conor.

48 – William of Tyre,Livy and the Vocabulary of class,Journal of the History of Ideas, published by University of Pennsylvainia Press, Vol.65,Number 3,july,2004.

- Krey.A,C.

49 – William of Tyre; The Making of an Historian in the Middle Ages , Speculum a journal of Medieval Studies, The University of Chicago press on behalf of Medieval Acaemy of Americ a, Vol.16, No.2, apr,1941.

- Spoljaric, Luka.

50- William of Tyre and the Byzantine Empire ;The Constraction of an image , , Masters thesis of Arts not published, Centiral Europian University, Budapest,2008.

الهوامش:

(١) الصوري، نسبة الى مدينة صور التي تقع في جنوب لبنان حاليا، وللمزيد عن تلك المدينة وتاريخها القديم وتطوراتها السياسية والاجتماعية والعمرانية في العصور الوسطى، حقبة تاريخ الحروب الصليبية، ينظر: وليم الصوري، الحروب الصليبية، ترجمة حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة، ١٩٩٤)، ٣/١٤–٣٤.

(٢) حول معركة حطين ينظر: عماد الدين الاصفهناني، الفتح القسي في الفتح القدسي، تحقيق محمد محمود صبح، (القاهرة:١٩٦٥)، ص ص٨١–٨٨؛ البنداري، سنا البرق الشامي، تحقيق رمضان ششن، مركز الابحاث في التاريخ والفنون والثقافة الاسلامية، (استانبول: ٢٠٠٤)، ص ص٣٧٤–٣٧٨؛ مهدي صالح سليفاني، الايوبيون في كتابات

المؤرخين السريان، ط١، مطبعة موكرياني، (اربيل:٢٠١٢)، ص ص١٠٣–١١٤؛ سهيل زكار، حطين مسيرة التحرير من دمشق الى القدس، ط١، (دمشق:١٩٨٤)، ٢٥–٦٧، ٧١–٨٠.

(٣) الفنون الحرة، وهي تشمل نوعين من المواد التي كانت الكنيسة فبي العصور الوسطى تسمح بتدريسها، وتشمل المجموعة الثلاثية وهي تضم (الحساب والهندسة والفلك، والمجموعة الرباعية وتضم (الموسيقى والطب، والتاريخ والمنطق)، للمزيد ينظر، قاسم عبدة قاسم، الحملة الصليبية الاولى نصوص ووثائق تاريخية، ط١، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، (القاهرة: ٢٠٠١)، ص٣٤.

(٤) عن حياة وعصر بلدوين الثالث، ينظر: عبداللطيف عبدالهادي السيد، السياسة الخارجية لمملكة بيت المقدس الصليبية في عهد بلدوين الثالث (١١٤٦–١١٦٢م)، (ليبيا: ٢٠٠٦)، صفحات متفرقة لا على التعيين

(٥) للمزيد حول تفاصيل كتاب وليم الصوري وطبعاته، ينظر، السيد الباز العريني، مؤرخو الحروب الصليبية، مطبعة لجنة البيان العربي، دار النهضة العربية، (القاهرة: ١٩٦٢)، ص ص١٢٤–١٣٥؛ نظير حسان سعداوي، المؤرخون المعاصرون لصلاح الدين الايوبي، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة: ١٩٦٢)، ص ص٤٥–٤٧.

(٦) نجم الدين ايوب: هو والد السلطان صلاح الدين، ولادته غير معروفة، ويكنى بابي الملوك وابي الشكر، لقب بالملك الافضل، وبه عرفت الدولة الايوبية، وهو كردي الاصل، حكم تكريت ثم تركها الى الموصل فولاه عمادالدين زنكي بعلبك، بعدها انتقل الى دمشق، فساعد نورالدين محمود مع اخيه شيركوه ليستولي على دمشق، واصبح نائبا عنه فيها، سار الى القاهرة سنة ٥٦٥ هـ، عرف بالكرم والجود، وكان خبيرا بتدبير الامور، وتوفي في مصر في كنف ابنه سنة (٥٦٨هـ/ ١١٧٢م)، للمزيد عنه ينظر، ابن العديم، زبدة الحلب في تاريخ حلب، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت:١٩٩٦)، ص٣٥٧؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان في انباء ابناء الزمان، تحقيق احسان عباس، ط٢، دار صادر، (بيروت ك١٩٧٧)، ١/٢٥٥–٢٥٩؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في اخبار من ذهب، تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا،ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت: ١٩٩٤)، ٤/٤٠٩.

(٧) حول سيرة اسدالدين شيركوه، ينظر، ابن الاثير، التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية، تحقيق عبدالقادر احمد طليمات، دار الكتب الحديثة،(القاهرة: د/ت) ص ص ١١٩، ١٢٠، ١٢٢، ١٣٢، ١٤٠ – ١٤٨ ؛الكامل في التاريخ، تحقيق محمد يوسف الدقاق، ط٤، دار الكتب العلمية، (بيروت:٢٠٠٣)،٩ / ٤٦٥ – ٤٦٧، ١٠/٣–٥، ١١ – ١٦ ؛ متى الرهاوي، تاريخ متى الرهاوي، ترجمة وتحقيق محمود محمد الرويض وعبدالرحيم مصطفى، مؤسسة حمادة للدراسات، (اربد: ٢٠٠٩)، ص ص ٣٦٩–٣٧٠ ؛

(٨) مدينة عسقلان: مدينة بالشام من اعمال فلسطين، تقع على ساحل البحر بين غزة وبيت جبرين، مثلها مثل دمشق عرفت بعروس الشام، استولى عليها الصليبيون سنة (٥٤٨هـ/ ١١٥٣م) ثم حررها السلطان صلاح الدين الايوبي سنة (٥٨٣هـ/١١٨٧م)، وبعد اربع سنوات خربها (٥٨٧هـ/١١٩١م)، لئلا تسقط بيد الصليبيين مثل عكا.للمزيد ينظر، ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، (بيروت:١٩٧٧)، ٤/١٢٢.

(٩) استخدم وليم الصوري صيغتي الاسم (رينو وارناط) على التوالي في مروياته، ينظر، الحروب الصليبية، ٣/ ٣٧٩–٣٨٠، ٤/٤٠١–٤٠٢.

(١٠) الامبراطور مانويل البيزنطي، هو مانويل الاول كومنين، ولد سنة ٥١٤ هـ /١١٢٠ م، حكم خلال المدة (٥٣٨ – ٥٦٧ هـ / ١١٤٣ – ١١٨٠ م) تميز حكمه بالتعسف الداخلي وتعقيد العلاقات الخارجية مع البلغار والامبراطورية

الرومانية المقدسة ومسالة المشاركة في الحروب الصليبية. للمزيد عن عصره ينظر، عبدالقادر احمد اليوسف، الامبراطورية البيزنطية، منشورات المكتبة العصرية، (صيدا – بيروت، ١٩٦٦)، ص ص ١٥٠ – ١٥١ ؛ محمود سعيد عمرا، الامبراطورية البيزنطية وحضارتها، ط١، دار النهضة العربية، (بيروت:٢٠٠٢)، ص ٢٧٥.

(١١) طرسوس: مدينة تعد من ثغور الشام، بين انطاكية وحلب وبلاد الروم وهي تشرف على الباب الجنوبي لدرب ابواب كيليكة، للمدينة سوران ويحيط بها خندق كبير ولها ستة ابواب ويمر عبرها نهر، بينها وبين ادنة (٦فراسخ = ٣٦ كم)، استولى عليها نقفور الامبراطور البيزنطي سنة (٣٥٤هـ / ٩٦٥م) وظلت بايديهم فترة طويلة. ينظر، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٤/٢٨–٢٩ ؛ كي لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، نقله الى العربية بشير فرنسيس وكوركيس عواد، ط٢، مؤسسة الرسالة، (بيروت:١٩٨٥)، ص ص ١٦٤–١٦٥.

(١٢) المصيصة: مدينة من مدن الثغور الشامية، على الحدود بين بلاد الشام وانطاكية وبلاد الروم، تقع على نهر جيحان (بيراميس) فتحها الامويون وبنوا حصنها، وشحنوه بالجند واسرهم، وهي مشهورة ببساتينها، ولها سور وخمسة ابواب، عمرها الخليفة المنصور العباسي، سنة (١٣٩هـ /٧٥٦م)، ثم استولى عليها الارمن في حقبة لاحقة. ينظر، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٥/١٤٥ ؛ لسترنج، بلدان الخلافة، ١٦٣.

(١٣) قلعة وحصن شيزر: وهي قلعة تشتمل على كورة بالشام، تقع قرب المعرة بينها وبين حماة يوم في وسطها نهر وعيه قنطرة، وهي تتبع كورة حمص ومن اعمالها ولقلعتها ثلاثة ابواب وعلى جسر المدينة حصن سمي بحصن الجسر. ينظر، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٣/٣٨٣ ؛ مرفت عثمان، التحصينات وادوات القتال في العصر الايوبي بمصر والشام زمن الحروب الصليبية، ط١، دار العالم العربي، (القاهرة:٢٠١٠) ص ص ١٨٨– ١٨٩.

(١٤) الاسماعيلية: عن الاسماعلية ونشاتهم وعقيدتهم وعلاقاتهم مع القوى المعاصرة لهم خلال العصور الوسطى، يراجع، برنارد لويس، الحشيشية، ترجمة سهيل زكار، ط٢، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، (دمشق:٢٠٠٦)، ص ص٥٣–١٠٧، ١٧٩ – ٢٦٧ ؛ رحاب عكاوي، الحشاشون حكام الموت نشاتهم وتاريخه، ط١، دار الحرف العربي ودار المناهل، (د/م: ١٩٩٤)، ص ص ٣١ – ٨٩ ؛ فرهاد دفتري . الاسماعيليون في العصر الوسيط، ترجمة سيف الدين القصير، ط١، دار المدى للثقافة والنشر، (دمشق:١٩٩٩)، ص ص ٣٥–١٠٥.

(١٥) الميل،من وحدات قياس الطول وهو نوعان بري وبحري، والربي يوازي (١٦٠٩ م) بينما البحري يوازي (١٨٥٢م)، ينظر، احمد صدقي شقيرات، مقاييس الطول والمساحة العثمانية، ط١، دار الكندي للنشر والتوزيع، (اربد: ٢٠٠٧)، ص ٦٠.

(١٦) حارم: تعد من القلاع الحصينة في شمالي بلاد الشام وتقع غرب مدبنة حلب، بالقرب من انطاكية. للمزيد عنها ينظر، عثمان، التحصينات وادوات القتال ص ص ١٧٥–١٧٦.

(١٧) المجانيق: ومفردها منجنيق، وهي الة حربية يستخدمها المهاجمون لضرب حصون وقلاع العدو، ويرمى بها، الاخشاب والاحجار وغيرها من المواد، وهي انواع منها المنجنيق العربي والفارسي – التركي والمنجنيق الرومي – الافرنجي، وكل من هذه الثلاثة انواع تختلف الواحدة عن الاخرى من حيث التركيب والصنع وحجم وشكل القاعدة، للمزيد ينظر، مرضي بن علي بن مرضي، تبصرة ارباب الالباب في كيفية النجاة من الحرب والاسواء، تحقيق كلود كاهن، (بيروت ك١٩٤٨)، ص ص ١٦ – ١٧.

(١٨) مرعش: مدينة ثغرية بين بلاد الشام وبلاد الروم (بيزنطة) لها سوران وخندق، وفي وسط المدينة حصن عليه سور، عرف بالمرواني نسبة الى مروان بن محمد اخر الخلفاء الامويين، ثم عمر الرشيد العباسي المدينة باكملها، ولها ربض يعرف بالهارونية. ينظر، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ١٠٥/٥.

(١٩) مجدالدين ابن الداية: كان من اقرب الامراء الى نورالدين محمود، كونه رضيعا له في الصغر، وذا منزلة تفوق منزلة بقية امراء دولته، اقطع له نورالدين زنكي مدينة حلب وحارم ولما توفي في شهر رمضان من سنة ٥٦٥هـ، منح اقطاعه لاخيه شمس الدين ابن الداية (المرضعة)، وكان لمجدالدين ثلاثة اخوه اخرين كلهم مقربين من نورالدين محمود واسهاماتهم مشهورة في الحروب الصليبية. للمزيد ينظر، ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ٢٧/١٠ ؛ بهاءالدين ابن شداد، النوادر السلطانية، ص٨٣ ؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ١٩١/١.

(٢٠) قلعة الكرك: حول تاريخ قلعة الكرك وتطورها ودورها السياسي خلال الحروب الصليبية ينظر، فولفغانغ مولر – فنر،القلاع ايام الحروب الصليبية، ترجمة محمد وليد الجلاد، ط٢، دار الفكر، (دمشق:١٩٨٤)، ص ٥٥ ؛ عثمان، التحصينات الحربية وادوات القتال، ص ص ١٦٥ –١٧٠.

زعامة صموئيل آدمز لحفلة شاي بوسطن

عام ١٧٧٣

الباحثة: رواء حيدر صالح
أ.د.هاشم صالح التكريتي
كلية الاداب –جامعة بغداد

زعامة صموئيل آدمز لحفلة شاي بوسطن عام ١٧٧٣

الباحثة :رواء حيدر صالح

أ.د.هاشم صالح التكريتي

المقدمة :

تعد حفلة شاي بوسطن من بين اهم الحوادث في التاريخ الامريكي بل واكثرها شهرةَ، حتى ان بعض المصادر الامريكية عدتها من العوامل الرئيسة لقيام حرب الاستقلال الامريكية . ولطالما جاء ذكر تلك المصادر اليها ، مقترنا بذكر اسم زعيمها الثوري صموئيل آدمز[١] (Samuel) Adams) . ولاجل التعرف على دور آدمز فيها، لابد من اعطاء نبذة تعريفية عن اسبابها وحيثيات وقوعها.

عد الشاي المشروب الأكثر شعبية لدى سكان المستعمرات الأمريكية ، إذ تصل نسبة استهلاكهم السنوي منه قرابة (١,٢٠٠,٠٠٠) رطل اي بمعدل ثلاثة أرباع الرطل للفرد الواحد. لاجل ذلك وادراكاً من الحكومة البريطانية لما تشكله المتاجرة به من مصدر مهم للدخل فقد واظبت خلال القرن الثامن عشر على فرض الرسوم الجمركية على استيراده و بيعه ، وكان اخرها الرسوم المفروضة عليه بموجب قوانين تاونشيند ، والتي قابلها آدمز وغيره من القادة الوطنيين بتصعيد حملاتهم لمقاطعته حتى غدت الاسواق الامريكية شبه خالية من الشاي الانجليزي في منتصف عام ١٧٦٩[٢] .

اثرت السياسة التي اتبعتها الحكومة البريطانية وما قابلها من حملات للمقاطعة على الواردات المتأتية عن مادة الشاي لشركة الهند الشرقية البريطانية[٣] من المستعمرات الامريكية ، لاسيما بعد ان وجدت نفسها في منافسةً مريرة مع الشاي الهولندي الذي كان يجري تهريبه الى هناك من قبل التجار الامريكيين والذي كثيرا ما انخفض سعره بمقدار نصف سعر الشاي الانجليزي . تضافرت تلك العوامل مع عوامل اخرى تتعلق بتراجع ايرادات الشركة من البنغال وبسوء الادارة والفساد المستشري بين مؤسساتها ، لتدخل في ضائقة مالية اوصلتها الى حافة الافلاس، بعد ان احتوت مخازنها على فائض من الشاي يقدر بحوالي(١٧,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠) رطل[٤]. ولاجل انقاذ شركة الهند الشرقية واسترداد ماعليها من ديون مستحقه للحكومة البريطانية[٥]اصدرت وزارة اللورد نورث[٦](Lord North) في السابع والعشرين من نيسان عام ١٧٧٣ قانون الشاي، وبموجبه مُنحت الشركة حق المتاجرة المباشرة مع المستعمرات من خلال وكلاء تتولى اختيارهم بنفسها هناك ، وعلى الرغم من ان هذا الاجراء قد وفر للشركة مبالغ طائلة كانت تنفقها على وسطائها من تجار لندن ، إلا أنه كان بمثابة الصاعقة بالنسبة للتجار الامريكيين، إذ عنى احتكار الشركة لعملية توزيع الشاي وبيعه في المستعمرات من خلال وكلائها[٧] .

اعفى القانون ايضاً شركة الهند الشرقية البريطانية من رسوم تصدير الشاي الى المستعمرات الامر الذي اتاح لها امكانية بيعه باسعار تنافسية بل واقل بكثير من تلك التي يدفعها الامريكيون لشراء الشاي الهولندي المهرب . وهذا ماهدد بدوره ايضاً تجارة التهريب التي حقق من خلالها التجار الامريكيون ولسنوات عدة ارباحاً هائلة[٨] .والاهم من هذا وذاك بالنسبة لآدمز هو ذلك البند من القانون المتعلق بإبقاء ضريبة الثلاثة بنسات المفروضة على رطل الشاي المباع في امريكا بموجب قوانين تاونشيند[٩].إذ اعتقد اللورد نورث أن مثل هذا المبلغ الرمزي للضريبة من شأنه ان لا يشكل شيئاً يذكر إزاء اسعار الشاي المنخفضة ، إلا أن الامر بالنسبة لآدمز لم يكن متعلقاً بمقدار الضريبة بقدر ما هو متعلق بما تعنيه عملية دفعها من تأكيد لسلطة البرلمان البريطاني في فرض الضرائب على المستعمرات[١٠].

ارسلت شركة الهند الشرقية في اطار خطتها الجديدة سفناً محملة بـ (٢٠٠٠) رطل من الشاي إلى أربعة موانئ أمريكية ، اذ خصصت السفن دارتموث(Dartmouth) واليانور(Eleanor) وبيفر (Beaver) ووليم (William) لميناء بوسطن، والسفينة نانسي(Nancy) الى ميناء نيويورك، والسفينة بولي (Polly) الى ميناء فيلاديفيا، واخيراً السفينة لندن الى ميناء تشارلستون[١١].

دور آدمز في التصدي لعملية انزال الشاي في ميناء بوسطن :

استقبلت المستعمرات الامريكية قانون الشاي بمعارضةً شديدة ومنذ منتصف تشرين الاول وحتى اوائل كانون الاول عام ١٧٧٣، تمكن ابناء الحرية في كلً من فيلاديفيا ونيويورك من اقناع وكلاء الشاي في مستعمراتهم بتقديم استقالتهم قبل وصول سفن الشاي إليها [١٢]. كما تبنت مستعمرة فيلاديفيا عزائم عدة ، عدت من خلالها اي شخص يقوم بإنزال الشاي الى الميناء او نقله من سفينة الى اخرى ، او تأجير منزله او قبوه لتخزين الشاي أو يساهم باي شكل من الأشكال في بيعه وشرائه عدواً للحريات في أمريكا[١٣].

اما في بوسطن فقد كان الوضع مختلفاً إذ ارتبط وكلاء الشاي هناك بشخص حاكم المستعمرة توماس هتشنسون [١٤] (Thomas Hutchinson) ، فاثنان منهم كانا ابناه توماس(Thomas) واليشا(Elisha) هتشنسون ، بينما ارتبط ريتشارد كلارك(Richard Clarke) معه بعلاقة مصاهرة ، اما باقي الوكلاء فكانوا اصدقاء له ، الامر الذي جعل مهمة ابناء الحرية في اقناعهم بتقديم استقالتهم في غاية الصعوبة. لاجل ذلك عقد آدمز وابناء الحرية الاجتماعات المتواصلة في إطار من السرية، وضعت خلالها الخطط المختلفة لتحقيق استقالة وكلاء الشاي في بوسطن اسوةً بالمستعمرات الاخرى[١٥] .

وجاءت محاولتهم الاولى يوم الاول من تشرين الثاني من العام نفسه ، عندما استيقظ وكلاء الشاي في فجر ذلك اليوم ، ووجدوا عند ابواب منازلهم رسائل من ابناء الحرية تدعوهم للحضور ظهيرة يوم الاربعاء المصادف الثالث من الشهر نفسه عند شجرة الحرية لتقديم استقالتهم علناً من وظيفتهم

وكلاء لبيع الشاي . وفي الوقت نفسه نشرت إشعارات مطبوعة في مدينة بوسطن ، تدعو سكانها وسكان المدن المجاورة للاجتماع في المكان نفسه ، ليشهدوا مراسيم الاستقالة . وفي اليوم المحدد ، ترأس آدمز وهانكوك الاجتماع الذي حضره قرابة الخمسمائة شخص ، ولما تغيب الوكلاء عن الحضور ، عُينت لجنة برئاسة وليم مولنيوكس (William Molineux) مساعد آدمز ، لتتولى مهمة الذهاب إليهم في متاجرهم وسؤالهم تقديم استقالتهم ، وصل مولنيوكس الى متجر ريتشارد كلارك وقرأ عليه قرار اجتماع المدينة بضرورة تقديمه استقالته ، وكان رد الاخير بالرفض(١٦).

سرعان ما أخذ آدمز زمام المبادرة في اجتماع آخر للمدينة عقد في الخامس من الشهر نفسه بسؤاله المجتمعين عن ما اذا كانوا سيعتمدون عزائم فيلادليفيا السابقة الذكر ، فجاء جوابهم مدويا بـ "نعم" ، وهكذا اقرت البلدة ثمانية عزائم مستنبطة من عزائم فلادليفيا عرفت بعزائم بوسطن، أبرز ماجاء فيها التأكيد على حق الملكية الخاصة باعتباره حقاً طبيعياً يتمتع به مواطنو جميع الدول الحرة ، وبالتالي لايمكن اخذ ملكية اي شخص على شكل ضريبة او غيرها دون موافقته ، كما وينبغي ان يكون الغرض من فرض الضريبة على الأمريكيين هو دعم حكومتهم المحلية، لا إقامة حكومة تعسفية تمارس جورها عليهم(١٧) .

واخيراً عدت العزائم قانون الشاي بمثابة محاولةً واضحة من قبل الوزارة البريطانية للهجوم على الحريات في أمريكا ، لذلك فان اي شخص يبادر للمساعدة في وضعه موضع التنفيذ من خلال تفريغه لشحنات الشاي او بيعها يعد عدواً لأمريكا(١٨). كما وتقرر خلال الإجتماع ارسال اللجان الى وكلاء الشاي مرة اخرى لمطالبتهم بالاستقالة ، فتولى آدمز ترؤس اللجنة الموفدة الى ابني هتشنسون اللذين كانا قد فرا مع والدهما الى منزله الريفي في بلدة ميلتون(Milton) التي تبعد مسافة سبعة اميال عن بوسطن ، وعلى الرغم من ذلك تمكن آدمز ولجنته من تعقبهما وحصلوا منهما على اجابة مماثلة لاجابة كلارك برفضهم الاستقالة(١٩).

امام اصرار وكلاء الشاي على عدم الاستقالة ، رأى آدمز أن بوسطن يجب ان لا تقف في محنتها لوحدها ، فوجه من خلال لجنة بوسطن للمراسلة الدعوة الى لجان مراسلات كلٍ من شارلستون وكامبريدج وبروكلين وروكسبري ودورتشستر للاجتماع يوم الثاني والعشرين من الشهر نفسه ، بهدف تقديم المشورة ، وتحديد الأسلوب الأكثر فعالية لمنع تفريغ الشاي وبيعه . وفي اليوم المقرر طرح آدمز امام اللجان تساؤلاً عن مدى استعدادهم لمساعدة هذه البلدة ، وقد جاءت اجابتهم بالايجاب(٢٠). ثم قررت اللجان المجتمعة ارسال تعميم باسمها الى مدن المستعمرة الأخرى تلتمس فيه موافقتها بهذا الشأن(٢١). وعن هذا الاجتماع اشار هتشنسون الى دارتموث(٢٢)(Dartmouth) وزير المستعمرات الجديد بالقول "**دُعي لعقد اجتماع للبلدة بأسرها عن طريق الإشعارات المطبوعة ، والرجل الذي تكلم نيابة عن السلكتمن كان آدمز ، حتى انني لم اعرف من هو سلكتمن ذلك الاجتماع** "(٢٣).

تولى آدمز صياغة التعميم الذي دعا من خلاله مدن المستعمرة الى ضرورة التعاون بالقول "**أيها السادة نعتقد ان من واجبنا استخدام مساعينا الحثيثة لدرء الشر الوشيك ، خطر الشاي الذي يأتي الينا الان أكبر من خطر الطاعون وغيره من الأوبئة ، ففي حين يمكن لهذه الاخيرة تدمير اجسامنا الهالكة ، إلا انها لم تستعبدنا ، الخسائر في الارواح افضل بكثير من فقدان الرجل لحريته**"[٢٤] ، ومن ثم استعرض آدمز سلسلة من الحجج لمعارضة قانون الشاي لعل من ابرزها، حجته المعتادة في فرض البرلمان البريطاني للضرائب على المستعمرات دون موافقتها ، فضلاً عن المخاطر المترتبة على وضع قانون الشاي موضع التنفيذ من احتكار تجارة المستعمرات ، وتصريف ما فيها من عملة نقدية مقدراً انفاقها لما يقارب من (٣٦٠,٠٠٠) جنيه استرليني على شراء ارطال الشاي سنوياً . ثم اضاف الى حججه السابقة حجة جديدة مفادها ، ان شركة الهند الشرقية وبسبب تراجع مبيعاتها في امريكا حاولت في بداية الامر إلغاء رسم تاونشيند المفروض على الشاي ، إلا أن الوزارة البريطانية اصدرت بدلاً من ذلك قانون الشاي ، وبالتالي اذا ما نجحت البلدات في منع الشركة من جني الارباح التي تتوقعها ، ستصر الاخيرة على الإلغاء الكلي للضريبة وعندها ستمتثل الوزارة لمطلبها[٢٥]. سرعان ما اعلنت مدن ماساتشيوستس تضامنها مع ما جاء في التعميم ، واستعدادها للقبول باي اجراء تتخذه لجنة بوسطن لانقاذ المستعمرة وابنائها. وقد واظب آدمز على نشر اجابات المدن على تعميمه في صحيفة بوسطن كازيت، فضلاً عن نشره الإجراءات المتخذة بحق قانون الشاي في المستعمرات الآخرى ليبين ان القضية مشتركة[٢٦].

لم يكد الشهر ينقضي حتى وصلت السفينة البريطانية دارتموث بعد رحلة استغرقت تسعة أسابيع من لندن الى ميناء بوسطن ، وذلك في الثامن والعشرين من تشرين الثاني من عام ١٧٧٣ وهي محمله بمائة وأربعة عشر صندوق من الشاي. وكانت هذه اول شحنة شاي تصل من شركة الهند الشرقية البريطانية الى المستعمرات الامريكية في اطار خطتها الجديدة[٢٧].

اجتمعت لجنة المراسلات بزعامة آدمز في ذلك اليوم وحصلوا على وعد من فرانسيس روتش(Francis Rotch)، قائد السفينة دارتموث، بعدم ادخال سفينته دائرة الجمارك وذلك للحفاظ على إمكانية إعادة الشاي إلى بريطانيا دون دفع الضريبة المفروضة عليه ، ثم طلبوا منه جلب سفينته من قلعة وليم حيث رست هناك في اول الامر الى مرفأ غريفين(Griffin's Wharf) احد مرافئ ميناء بوسطن، للحيلولة دون اقدام هتشنسون على تفريغ بضاعتها تحت حماية الاسطول البريطاني المتواجد في القلعة[٢٨].

اعلن آدمز في اليوم التالي وخلال اجتماعاً للمدينة حضره قرابة الستة آلاف شخص ان بلدته وبعد استشارتها بلدات المستعمرة الاخرى قررت بذل اقصى جهودها لمنع انزال الشاي وبيعه ، ومن ثم طرح مقترحه الخاص بضرورة ارسال الشاي الى بريطانيا دون دفع الضريبة، وان يتم ذلك على متن السفنية

نفسها التي جاءت به ، لضمان عدم ملامسته لارض الميناء فيصبح واجب الضريبة [٢٩]. إذ اقتنع صموئيل آدمز وغيره من القادة الوطنيين أنه وبمجرد انزال الشاي على الارض فان وكلاء الشركة سيدفعون الضريبة المقررة عليه وبالتالي سرعان ما سيجد طريقه إلى السوق الامريكية ، وللحيلولة دون حصول ذلك ، عين الاجتماع خمسة وعشرين شخصاً لحراسة السفينة ليلاً ، ومنع أي محاولة من جانب روتش أو الوكلاء لتفريغ حمولتها من الشاي . وأتُخذ الاجراء نفسه مع سفينتي الشاي اليانور وبيفر اللتين وصلتا بوسطن في أوائل كانون الاول من العام نفسه ، إذ نقلتا ايضاً إلى مرفأ غريفين وخضعتا للحراسة[٣٠]. إلا أن هذا الحل الذي اوجده آدمز وزملاؤه لم يتعد كونه حلاً وقتياً ، فموجب قانون الجمارك ، فان اي سفينة لاتقوم بدفع الرسوم الجمركية تكون عرضةً للمصادرة بعد انقضاء مدة عشرين يوماً على وصولها الميناء . مما يعني ان السفينة دارتموث ستكون عرضة للاستيلاء عليها من قبل موظفي الجمارك يوم السابع عشر من كانون الاول، وهؤلاء سيبادرون بلا شك الى تفريغ شحنتها واجبة الضريبة وعرضها في السوق الامريكية في مزاد علني[٣١] .

ازداد حماس آدمز لإيجاد حل للازمة كلما قاربت مدة العشرين يوماً على الانقضاء ، ففي الوقت الذي ترأس فيه اجتماعات شبه يومية للجنة بوسطن للمراسلة، استُدعي خلالها وكلاء الشاي وطلب منهم مجدداً تقديم استقالتهم والعمل على إعادة الشاي الى لندن[٣٢]. عقد ايضاً اجتماعات سرية مع رفاقه السياسيين وابناء الحرية بهدف إعداد خطة بديلة في حال فشلت المناشدات السلمية في تحقيق اهدافها ، وتستند المصادر في تأكيد ذلك الى رسالة كان قد بعث بها الى آرثر لي قبل اسابيع عدة من حفلة شاي بوسطن ، كتب فيها " **أتمنى ان يعلم اللورد دارتموث أن الناس هنا قد تحملوا القمع لمدة طويلة ، وإذا كان لديه خطة للمصالحة، عليه ان يقدمها دون تأخير ، على ان يراعي حصولها على رضى الامريكيين ... لا يمكن للمرء أن يتوقع الأحداث ، ولكن في جميع الاحوال استطيع ان أوكد لك ان رسالتي المقبلة لن تحتوي على موضوع تافه [عبثي]** "[٣٣].

اصر وكلاء الشاي على ان مسألة اعادة الشاي الى لندن لا تقع ضمن اطار صلاحياتهم، وقدموا حلاً بديلاً يقضي بتخزين الشاي لحين انتهاء الازمة ، لكن ذلك لم يرض آدمز ، فترأس الاخير في الرابع عشر من كانون الاول من العام نفسه لجنة مؤلفة من عشرة اشخاص مهمتها مرافقة روتش الى منزل مسؤول الجمارك ريتشارد هاريسون(Richard Harrison)، بهدف الحصول على ترخيص منه بمغادرة السفينة دون دفع الضريبة ، إلا أن هذه المحاولة ايضاً لم يكتب لها النجاح بعد ان اصر هاريسون على ان ذلك يتعارض مع واجبه[٣٤].

آدمز يعطي الضوء الاخضر لبدء حفلة شاي بوسطن :

مع بقاء يوم واحد على انقضاء مدة العشرين يوماً ، ترأس آدمز اجتماعا اخيراً للمدينة عقد في قاعة فانيويل في السادس عشر من كانون الاول من العام ١٧٧٣ ، حضره قرابة(٧٠٠٠) شخص من بوسطن

و شارلستون، وكامبريدج، وبروكلين وروكسبري ودورتشستر . ومع تزايد اعداد الحاضرين ، جرى نقله وكما جرت العادة في مناسبات مماثلة الى دار الاجتماعات في كنيسة الجنوب القديمة ، وخلال الاجتماع صوت الحضور بالإجماع على إرسال قائد السفينة روتش الى حاكم المستعمرة هتشنسون للحصول منه على رخصة الابحار كمحاولة اخيرة لاعادة الشحنة لبريطانيا. ولان الحاكم كان بمنزله الريفي في ميلتون، فقد استغرقت رحلة روتش إليه ساعات عدة ، ألهب خلالها آدمز وغير من القادة الوطنيين مشاعر الحضور بإلقائهم الخطب والشعارات الوطنية(٣٥). عاد روتش مع حلول المساء ، وابلغ الحضور رفض الحاكم منحه الرخصة ، عندها ارتقى آدمز المنبر واطلق الكلمات التي علم مسبقاً انها ستكون كفيلة بتغيير مصيره ومصير مستعمرته الى الأبد دون امكانية العودة الى الوراء اذ ابلغ الحضور "هذا الاجتماع لا يمكنه ان يفعل شيئاً أكثر لحفظ البلاد! "(٣٦). وقد بدت هذه الكلمات اشارةً واضحةً منه الى ما يقارب الاربعين الى الخمسين رجلاً كانوا قد تجمعوا عند ابواب القاعة وهم يرتدون زي الهنود الحمر و يلطخون اجسادهم بالطلاء، ويحملون الفؤوس بأيديهم للتوجه الى مرفأ غريفين حيث ترسوا سفن الشاي الثلاثة ، وبدء حفلة شاي بوسطن(٣٧) .

بدت حفلة شاي بوسطن عملية في غاية التنظيم ، واثبت حسن تنظيمها حقيقة الاعداد المسبق لها من قبل آدمز وزملائه الوطنيين ، فعند وصول الرجال المتنكرين بزي الهنود الحمر الى مرفأ غريفين وجدوا بانتظارهم ثلاثة من القادة الذين لم يجر التعرف على اسمائهم بسبب السرية الكبيرة التي احيطت بالعملية ، ثم قام هؤلاء القادة بتقسيمهم الى ثلاث مجموعات ، كل مجموعة تولت مهمة الصعود على متن سفينة من سفن الشاي الثلاثة وإلقاء حمولتها في المياه بشكل متزامن . وفي غضون ثلاث ساعات تم القاء (٣٤٠) صندوقاً من الشاي في المياه ، تقدر قيمتها بحوالي (٩,٠٠٠) جنيه استرليني(٣٨).

جانب آخر يعكس مستوى التنظيم التي اتسمت به حفلة الشاي ، و بعدها كل البعد عن العشوائية ، هو عدم مرافقتها لاي من اعمال الشغب المتمثلة في نهب لممتلكات السفن الآخرى او تخريبها او حتى ايذاء الاشخاص المتواجدين على متنها(٣٩). وهذا ما اوضحه آدمز في رسالة بعث بها في اليوم التالي الى بلدة بليموث ذكر فيها " **نود أبلاغكم ان كل صناديق الشاي على متن السفن الثلاثة في هذه المدينة قد دمرت الليلة الماضية دون أقل خسائر في الممتلكات... يجب أن يعترف أعداؤنا بأن هؤلاء الناس قد تصرفوا بناءً على مبادىء نقية ومستقيمة** " (٤٠).

كان للحشود المجتمعة على رصيف الميناء لمشاهدة الحدث ، دور كبير في الحيلولة دون تدخل البحرية البريطانية ومهاجمتها للقائمين بالحفلة ، وهذا ما اوضحه مونتاجو قائد الاسطول البريطاني ، الذي ذكر في وقت لاحق انه كان بإمكانه وبسهولة توجيه الاوامر لاسطوله باطلاق النار على المتمردين ، ولكنه كان سيعرض بذلك حياة العديد من الناس الأبرياء المتواجدين هناك للخطر(٤١) . إلا أن الامر لم يخل ايضاً من بعض السلبيات ، منها محاولة البعض من هؤلاء المجتمعين حمل كميات صغيرة من

الشاي في قبعاتهم وجيوب معاطفهم ، وهو الامر الذي تمت معالجته من قبل منظمي العملية بتجريد الشخص المعني من ملابسه واخراج ما لديه من الشاي وركله الى خارج السفينة ليكون عبرةً لغيره . وحتى في اليوم التالي للحفلة عندما تم اكتشاف كميات كبيرة من الشاي طافية على سطح الماء ، تولت قوارب صغيرة للبحارة عملية تفريقها وتنقيعها بالمياه باستخدام المجاذيف بهدف اتلافها[٤٢].

على الرغم من السرية التي احيطت بهويات اعضاء حفلة شاي بوسطن ، ألا أن معظم المصادر قد اتفقت على ان اغلب المشاركين فيها كانوا من العمال والحرفيين والتجار والشباب ممن هم في أوائل العشرينيات ، ورجحت ايضاً مشاركة الحراس الذين تولوا مهمة حراسة السفن ليلاً ، لما امتلكه هؤلاء من إحاطة بطوابق سفن الشاي ومحتوياتها. اما من أبرز الزعماء الوطنيين الذين تأكدت مشاركتهم فعلياً في عملية اغراق الشاي فهم بول ريفير ومولنيوكس وتوماس يونغ(Thomas Young) ، اما صموئيل آدمز فعلى الرغم مما تذهب إليه بعض المصادر من تأكيد وجوده على متن سفن الشاي وتزعمه لعملية إفراغها ، إلا أن بعضها الآخر تنفي تواجده فعلياً على متن تلك السفن ، وتؤكد ان زعامته لحفلة شاي بوسطن قد جاءت من خلال اعداده المسبق لها ، ومن خلال اعطائه الضوء الاخضر لأبناء الحرية المتنكرين بزي الهنود الحمر للتوجه نحو سفن الشاي وإفراغ حمولتها [٤٣] . كما لم تقتصر المشاركة في حفلة شاي بوسطن على البوسطنيين انفسهم ، إذْ تتحدث المصادر عن وجود مشاركين من مين(Maine) التي جاء منها وطنيون وضباط متقاعدون امثال ديفيد كيننيسون(David Kinnison) وآدم كولسون(Adam Colson) [٤٤].

اتهم هتشنسون فيما بعد آدمز بالتخطيط لحفلة الشاي منذ اللحظات الاولى لدخول أول سفينة محملة به وهي دارتموث الى مياة خليج ماساتشيوستس ، بدليل استدعائه ولجنة المراسلات لقائد هذه السفينة ومطالبته بنقلها من قلعة وليم الى ميناء بوسطن ، وبالتالي فانها وبمجرد دخولها الأخير اصبحت بضاعتها واجبة الضريبة على العكس من بقائها في قلعة وليم حيث كانت امكانية اعادتها الى لندن دون دفع الضريبة اكبر بكثير[٤٥].وعند سؤاله عن سبب عدم تكليفه لاحدى الافواج البريطانية بمهمة حراسة السفن في الميناء ، أشار الى ما حدث عام ١٧٧٠ عندما تمكن الشعب بعد مذبحة بوسطن من إجبار فوجين من القوات البريطانية على مغادرة المدينة. الامر الذي جعل تولي تلك القوات مهمة حراسة السفن امراً محفوفاً بالمخاطر[٤٦].

دافع آدمز من جانبه عن قضية بلاده بالقول انه وغيره من الوطنيين لم يلجأوا لحفلة شاي بوسطن إلا بعد ان استنفذوا جميع الخيارات السلمية للحيلولة دون انزال الشاي واجب الضريبة وبيعه في المدينة ، وبعد ان اصر هتشنسون وموظفو الجمارك على وضع العقبات التي تحول دون تحقيق ذلك ، من خلال رفضهم لجميع الحلول التصالحية ، على الرغم من أن الحل التصالحي الوحيد المقبول لدى آدمز وغيره من الوطنيين كان عودة الشاي إلى بريطانيا [٤٧]. وضمن هذا السياق كتب آدمز بعد بضعة ايام من

الحادث إلى جيمس وارن من بلدة بليموث "**قرارات الرجال العقلاء في السلطة هي المسؤولة عن تدمير الشاي، فعنادهم جعل ذلك ضرورياً**"[٤٨]، معتقداً بذلك انه قد وضع عدوه في الخطأ. ويشارك فرانسيس برنارد[٤٩] (Francis Bernard) الحاكم السابق لماساتشيوستس آدمز في وجهة نظره السابقة ولكنه عبر عنها باسلوبه الخاص، إذ كتب في الاول من كانون الثاني عام ١٧٧٤" **بعد ان حاول مغتصبو الحكومة بكل الطرق إعادة الشاي الى بريطانيا، ولكن من دون جدوى، تركوا ما يدعونه اجتماعهم القانوني وتوجهوا الى مرفأ غريفين، وفي غضون ساعتين أو ثلاث ساعات دمروا ثلثمائة وأربعين صندوق من الشاي** ". ويواصل "**إذا ما كان هناك لوم فيجب أن يقع على عاتق الحاكم ، الذي رفض منح السفن تراخيص المرور** "[٥٠]. كما لم ينس آدمز إضفاء الطابع الديني على الاحداث، ففي الإشارة الى مصير السفينة وليم وهي سفينة الشاي الرابعة التي كان من المقرر وصولها الى بوسطن، ذكر آدمز" **السفينة الوحيدة المتبقية والتي كان من المتوقع ان تصل بتلك السلعة البغيضة قذفت بواسطة تدخلات السماء الحكيمة على الشاطئ في خليج كود** "[٥١].

كانت لاخبار حفلة شاي بوسطن اصداؤها في جميع انحاء المستعمرات الامريكية التي استقبلتها بحماس شديد ، وبفضلها واجه الوطنيون في كلٍ من نيويورك و فيلادليفيا ، القليل من الصعوبة في اقناع قادة سفن شايهم بإعادتها مع حمولتها إلى لندن. اما في مدينة تشارلستون في ولاية كارولينا الجنوبية ، فقد تم تخزين الشاي ولكن لم يسمح ببيع رطلاً واحداً منه [٥٢].

- **الخاتمة واهم الاستنتاجات**

اثبت البحث ان حفلة شاي بوسطن لم تكن بالحادثة العشوائية او العرضية ، وانما كانت عملية في غاية التنظيم والاتقان وقد اثبت حسن تنظيمها حقيقة الاعداد المسبق لها ، كما اثبت ايضا ان زعامة آدمز لحفلة شاي بوسطن ، لم تأت من خلال صعوده شخصياً على متن سفن الشاي وإلقائه ما بحوزتها من صناديق في مياه البحر ، وانما كانت من خلال اعداده المسبق لها ، ومن خلال اعطائه الضوء الاخضر لأبناء الحرية المتنكرين بزي الهنود الحمر للتوجه صوب سفن الشاي. اذ جاء ذلك منسجما مع ما اتسمت به تلك الشخصية من تفضيلها للعمل من وراء الستار ، وتوجيهها الاحداث بدلاً من المشاركة فعلياً بها .

الهوامش:

(١) ولد في ١٦ / ايلول / ١٧٢٢ في مدينة بوسطن ، في مستعمرة ماساتشيوستس ، تخرج من كلية هارفرد عام ١٧٤٠ ، نال على درجة الماجستير في الاداب عن رسالته الموسومة " ما اذا كان مشروعاً مقاومة الحاكم الاعلى ، اذا اصبح من غير الممكن الحفاظ على الكومنولث بخلاف ذلك" . آدى دورا مهما في الاعداد للثورة الامريكية حتى

وصفته المصادر بـ" ابي الثورة " ، وفي الدفع ببلاده نحو اعلان استقلالها في تموز عام ١٧٧٦ من خلال تمثيله لماساتشيوستس في المؤتمرين القاريين الاول والثاني .كما اسهم في كتابة بنود الاتحاد الكونفدرالي وفي صياغة دستور ولاية ماساتشيوستس عام ١٧٨٠ . شغل منصب نائب حاكم ماساتشيوستس ونائبا للولاية للمدة (١٧٨٩-١٧٩٧). توفي في ٣/ تشرين الاول / ١٨٠٣. انظر :

William Vincent Wells , The Life and Public Services of Samuel Adams: Being A Narrative of his Acts and Opinions and of his Agency in Producing and Forwarding the American Revolution With Extracts from his Correspondence State Papers and Political Essays , Little and Brown Company, Boston , Vol.1,Vol.2,Vol.3,1865.

([2]) Benjamin W. Labaree, Catalyst for Revolution The Boston Tea Party 1773 , Bicentennial Commission Publication, Massachusetts,1973,PP.5-7.

([3]) تأسست هذه الشركة عام ١٧٠٩ نتيجة اندماج شركتين الاولى شركة الهند الشرقية في لندن، التي تأسست في ١٦٠٣ [كذا] (التاريخ الصحيح في ٣١/كانون الاول/١٦٠٠)، وتمتعت باحتكار التجارة الإنجليزية إلى الشرق الأقصى ، والثانية شركة الهند الشرقية الإنجليزية الجديدة التي تأسست ١٦٩٠ ، المنافسة بين الشركتين هددت بتدميرهما ، وتركت تجارتهما عرضة للإختراق من قبل الشركات التجارية التابعة للدول الأخرى ، لذلك قررتا الاتحاد ، تحت تسمية الشركة المتحدة للتجارة الى جزر الهند الغربية ، منحت الشركة حقوق الاحتكار لجميع أنواع التجارة الإنجليزية ما وراء رأس الرجاء الصالح ، وفي غضون القرن الثامن عشر نمت الشركة حتى اصبحت من بين المؤسسات المالية الأقوى في بريطانيا العظمى. للتفاصيل انظر :

Benjamin W. Labaree , The Boston Tea Party , Northeastern University Press , Boston ,1964,P.58.

([4]) Labaree, Catalyst...,P.6,9.

([5]) بلغت نسبة ديون الشركة الى الحكومة البريطانية (١,٠٠٠,٠٠٠) جنيه استرليني .

Labaree , The Boston..., P.61.

([6]) سياسي بريطاني ، ولد في ١٣ / نيسان / ١٧٣٢ في لندن ، درس في كلية إيتون وفي كلية ترينيتي في جامعة أكسفورد إذ حصل عام ١٧٥٠ على درجة الماجستير . اصبح عضواً في البرلمان البريطاني في نيسان عام ١٧٥٤. وعين عام ١٧٥٩ وزيراً للخزانة ، وفي ظل وزارة وليم بت (William Pitt) الثانية عين مديراً للمرتبات كما واصبح مستشار الملك الخاص .وفي كانون الاول عام ١٧٦٧، تولى وزارة الخزانة ورئاسة مجلس العموم البريطاني. اصبح رئيساً لوزراء بريطانيا في ٢٨ / كانون الثاني / ١٧٧٠ وفي عهده اندلعت الحرب الثورية الامريكية عام ١٧٧٥ ، وقدم استقالته من منصبه في ٢٠ / اذار / ١٧٨٢ ، في اعقاب وصول أنباء استسلام قوات الجنرال كورنواليس. تقلد في نيسان عام ١٧٨٣ منصب وزير الداخلية . توفي في ٥/ آب / ١٧٩٢.انظر:

I.R.C., "Frederick North ", Encyclopaedia Britannica, Vol.16, 1966, P.587.

([7])Benjamin H. Irivn, Samuel Adams Son of Liberty Father of Revolution, Oxford University Press, 2002,P.105.

(٨) كفاح احمد محمد احمد نجار ، توماس جيفرسون ودوره السياسي في التاريخ الامريكي حتى عام ١٨٠١، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الاداب، جامعة بغداد ، ٢٠١١، ص١٠٣.

(9) Steven C. Bullock, The American Revolution: A History in Documents, Oxford University Press ,2003, P.34.

(10) Labaree, Catalyst...,P.9 ; Irvin ,Op.Cit.,P.106.

(11) Labaree , The Boston..., PP.76,79.

(12) William M . Fowler , ,Samuel Adams (Radical Puritan),Oscar Handlin (Ed.), An Imprint of Addison Wesley Longman ,New York ,1997,P.122.

(13) Bullock,Op.Cit.,P.36.

(١٤) توماس هتشنسون : تاجر ومؤرخ وسياسي امريكي ، ولد في ٩/ ايلول / ١٧١١ في بوسطن ، تخرج من كلية هارفرد عام ١٧٢٧. دخل ميدان السياسة عام ١٧٣٧ عندما انتخب في اجتماع المدينة لوظيفة السلكتمن، وقد عارض بشكل علني الاستمرار في اصدار العملة النقدية الورقية . وفي عام ١٧٤٢ انتخب هتشنسون عضواً في المحكمة العامة ، إذْ خدم في منصبه هذا حتى ١٧٤٩. واصبح بعدها عضواً في مجلس الحاكم ، ومن ثم نائباً لحاكم المستعمرة فرانسيس برنارد (Francis Bernard) عام ١٧٦٠ ومن ثم حاكماً ملكياً لها للمدة (١٧٦٩-١٧٧٤) ، جمع عدداً كبيراً من الوثائق التاريخية الخاصة بالمدة الاستعمارية ، وكتب من خلالها تاريخ مستعمرة ماساتشيوستس في ثلاثة مجلدات غطت مدة حكمه للمستعمرة ونشرت بعد وفاته عام ١٧٨٠. للتفاصيل انظر :

"Thomas Hutchinson" , The Encyclopedia Americana, Vol.14,1949, PP.529-532; James K. Hosmer, The Life of Thomas Hutchinson :Royal Governor of the Province of Massachusetts Bay ,Houghton Mifflin and Co., New York,1896.

(15) Fowler, Op.Cit.,PP.122-123.

(16)Albert W. Mann , Walks & Talks About Historic Boston , Puritan Linotype, Boston , 1917,PP.151-152.

(17) Resolutions of The Town of Boston,5/ Nov./1773 , The Writing of Samuel Adams 1773-1777 ,1907, Vol.,3,PP.68-69(Hereafter Cited as the Writing 1773-1777); Mark Puls, Samuel Adams Father of the American Revolution ,Palgrave Macmillan ,New York ,2006, P.145.

(18) Resolutions of The Town of Boston,5/ Nov./1773 , Op.Cit.,P.68.

(19) Labaree,The Boston... , P.112.

(20) Fowler, Op.Cit.,P.126.

(21) John Stetson Barry , The History of Massachusetts, His General Agent Henry Barry ,Boston , 1857,PP.469-470.

(٢٢) دارتموث: رجل دولة بريطاني ، ولد في ٢٠ / حزيران / ١٧٣١ في بريطانيا ، تلقى تعليمه في كلية ترينيتي في جامعة أوكسفورد، اصبح عضواً في مجلس اللوردات في ايار عام ١٧٥٤ ، وشغل منصب رئيس مجلس التجارة

للمدة (١٧٦٥-١٧٦٦) وقد عارض خلالها قانون الطابع ، وعمل على إلغائه . تولى منصب وزير الدولة لشؤون المستعمرات عام ١٧٧٢ حاول في بداية الامر اتباع سياسة توافقيه مع المستعمرات ، ولكنه و بعد حفلة شاي بوسطن سعى إلى إعادة فرض رقابة صارمة على المستعمرات الامريكية ، استقال من منصبه في تشرين الثاني عام ١٧٧٥ . وتوفي في ١٥ / تموز / ١٨٠١ ، عن عمر ناهز ٧١ عاماً .انظر:

"Dartmouth ",Encyclopaedia Britannica,1966,Vol.7, P.82.

(23) Quoted In : William Vincent Wells , The Life and Public Services of Samuel Adams: Being A Narrative of his Acts and Opinions and of his Agency in Producing and Forwarding the American Revolution With Extracts from his Correspondence State Papers and Political Essays , Little and Brown Company, Boston , 1865,Vol.2,P.105.

(24) Quoted In :Ibid.

(25) Labaree,The Boston... , P.117.

(26) Barry,Op.Cit.,P.470; Wells, Op.Cit.,Vol.2 ,P.108.

(27) Labaree, Catalyst..., P.13.

(28) Charles Knight , Popular History of England from the Accession of George I. 1714 to the Close of the American War 1783,Bradbury Evans & Co., London , Vol.6,P.337; Labaree,The Boston... , P.130.

(29) James K. Hosmer ,American Statesman Samuel Adams ,Houghton Mifflin and Company , Boston and New York ,1899,PP.247-248.

(30) Labaree, Catalyst..., P.13.

(31) William E. Barton, When Boston Braved the King A Story of Tea Party Times, W. A. Wilde & Company ,Boston and Chicago,1899,P.277.

(32) Barry,Op.Cit.,P.472.

(33) Massage to Arthur Lee , 9/Nov./1773, The Writing (1773-1777),P.70.

(34) Mann ,Op.Cit.,P.155.

(35) James K. Hosmer, Samuel Adams The Man of the Town-Meeting , John Murphy & Company , Baltimore ,1884,PP.46-47.

(36) William E. Barton , When Boston Braved the King A Story of Tea Party Times, W. A. Wilde & Company , Boston and Chicago ,1899,PP.301-302.

(37) Ibid.

(38) Bullock,Op.Cit.,P.37.

(39) Irivn,Op.Cit.,P.110.

(40) The Committee of Correspondence of Boston to the Committee of Plymouth, 17/Dec./1773, The Writing (1773-1777),PP.71-72.

([41]) Labaree, The Boston... , P.145.

([42]) Bullock,Op.Cit.,P.38.

([43]) Labaree, Catalyst..., PP.15-17.

([44]) Henry C. Watson, The Boston Tea Party and Other Stories of the American Revolution, Lee and Sheppard Publishers, Boston ,1888,PP.10-13.

([45]) Labaree, The Boston... , PP.127-128.

([46]) Ibid ,P.147.

([47]) Puls, Op.Cit.,P.145; Labaree,The Boston ..., PP.147-148.

([48]) Massage from Samuel Adams to James Warren , 28/ Dec. / 1773 , Warren – Adams Letters (Being Chiefly A Correspondence Among John Adams ,Samuel Adams and James Warren(1743-1777) , The Massachusetts Historical Society 1917, Vol.1,P.20.

([49]) فرانسيس برنارد : سياسي ورجل دولة بريطاني ، ولد في ١٢/ تموز/١٧١٢ في بلدة برايتويل (Brightwell) في بريطانيا ، نال درجة الماجستير في الاداب من جامعة اكسفورد عام ١٧٣٦ . شغل منصب حاكم مستعمرة نيوجرسي عام ١٧٥٨، وفي عام ١٧٦٠ تولى منصب حاكم مستعمرة ماساتشيوستس، تسببت سياساته المتشددة وأساليبه القمعية ومحاولاته تطبيق الضرائب التي فرضها البرلمان البريطاني على المستعمرة باستخدام القوة ، في زيادة غضب سكانها وتصاعد روحهم الثورية ، وفي نهاية الامر تمت اقالته من منصبه في آب عام ١٧٦٩ بناءً على طلب تقدمت به جمعية ماساتشيوستس التشريعية الى الحكومة البريطانية .عين بعد عودته الى بريطانيا مستشاراً لرئيس الوزراء البريطاني اللورد نورث(Lord North) في ما يتعلق بشوؤن المستعمرات ، وبقي متبنياً لمواقفه المتشددة ذاتها. توفي عام ١٧٧٩، بعد نوبة صرع.انظر :

"Francis Bernard ",The Encyclopedia Americana, Vol.3, 1948, PP.569-570.

([50]) Quoted In :Bernhard Knollenberg, Did Samuel Adams Provoke the Boston Tea Party and the Clash at Lexington?, Publisher by: Literary Licensing ,N.D. 2011, P.5.

([51]) Quoted In : Ira Stoll , Samuel Adams: A Life ,Free Press ,New York ,2008, P.117.

([52]) Labaree, Catalyst..., P.19.

إمارة الحج خلال عهد معاوية بن أبي سفيان (٤١-٦٠هـ)

د. فيصل بن فرحان العنزي

كلية الآداب- جامعة حفر الباطن

إمارة الحج خلال عهد معاوية بن أبي سفيان
(٤١-٦٠هـ)

د. فيصل بن فرحان العنزي

الملخص:

الحج هو الركن الخامس في الإسلام لمن استطاع إليه سبيلا، وقد استوجب القيام به القدرة المادية والجسدية من أبناء المسلمين، ونظراً لصعوبة السفر إلى مكة المكرمة في العصور السابقة، لما قد يرافق ذلك من أخطار محدقة بضيوف الرحمن، تطلب الأمر تنظيم الحجاج عبر قوافل خاصة أعدت لتلك الغاية، أشرف على تنظيمها أمير مكلف من قبل الخليفة عُرف بأمير الحج.

وسوف نحاول في هذا البحث تسليط الضوء على تلك الإمارة وشروط من يتولاها، والواجبات المترتبة على أميرها. ومن تولى إمارتها خلال عصر الخليفة معاوية بن أبي سفيان(٤١-٦٠هـ)، وما هي الأسس التي على ضوئها تم اختيار أولئك الأمراء.

Abstract:

Hajj is the fifth pillar of Islamic religion and all Muslims who are capable financially and physically are obliged to perform at least once in their life. However, performing hajj in the past proved to be difficult and risky, which made it necessary to for pilgrims to have their trips organized in the form of parades led by who used to be called "Emir al-Hajj".

This paper will focus on Emirate of al-Hajj and its responsibilities. It also spots light on who were the Emirs of those parades during the era of Muawiya ibn abi Sufyan.

تمهيد:

الحج إلى بيت الله الحرام هو الركن الخامس في الإسلام، قال تعالى:" وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق"[١]. كما قال تعالى:" ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا "[٢]. كما قال المصطفى صلى الله عليه وسلم:" بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت من استطاع إليه سبيلا "[٣].

واستجابة لذلك النداء وقياماً بهذا الركن العظيم كانت قوافل الحج تسير قاصدة البيت الحرام على شكل أفواج وجماعات، ونظراً لأهمية قيادة تلك القوافل وتسييراً لشؤونها وشؤون المرافقين لها كان لزاماً وجود متصرف يدير شؤون تلك القوافل، وانطلاقا من وجود تلك الحاجة وامتثالاً لقول الرسول صلى الله

عليه وسلم:" إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم"[٤]، استوجب ذلك كله وجود قائد أو متصرف بشؤون تلك القوافل والذي أشتهر بلقب أمير الحج.

تعريف الإمارة:

الأمير: هو الآمر ذو الأمر، أي صاحبه ومنه يقال ائتمر القوم وآمروا إذا أمر بعضهم بعضاً، فالإمرة من الولاية والتأمير هو تولية الإمارة[٥]، بناء عليه فيمكن تعريف إمارة الحج –كما أشار لذلك المفهوم بعض الباحثين– بأنها أحدى المناصب الهادفة الى تنظيم أمر حجاج بيت الله، وتيسير شؤونهم عن طريق تذليل الصعاب أمامهم منذ خروجهم من بلدانهم حتى وصولهم الى مكة المكرمة ثم عودتهم مرة أخرى الى مواطنهم[٦].

ويتطلب تنظيم قوافل الحج تعيين أمير عليهم للقيام بهذا الأمر لتحقيق الهدف المنشود. وهذه الولاية وفق ما أشارت اليه المصادر على نوعين فيقول الماوردي[٧]:" الولاية على الحج ضربان: أحدهما أن تكون على تسيير الحجيج، والثاني على إقامة الحج، فأما تسيير الحجيج فهو ولاية سياسية وزعامة وتدبير والشروط المعتبرة في المولى: أن يكون مطاعاً ذا رأي وشجاعة وهيبة وهداية".

يتضح مما سبق أن إمارة الحج تنقسم إلى إمارتين هما : إمارة الركب وإمارة الموسم[٨]. كما أشار كمال إلى نوع ثالث من أنواع الإمارة في الحج وهو تعيين متولي لأحداث الموسم واستند في ذلك لبعض الإشارات الواردة في بعض المصادر التاريخية [٩]. لكن الخالدي لا يتفق مع هذا الرأي إذ يرى أن ذلك ربما يكون مجرد إطلاق مسمى آخر جديد لأمير الحج – خاصة أنه لم يرد إلا متأخراً في المصادر أي في حوادث سنة ٢٣٠ هـ –[١٠].

ونظراً لأهمية هذه الولاية أقتضى فيمن يتولاها عدد من الشروط الواجب توافرها فيه، والتي من أبرزها إضافة الى الإسلام والبلوغ ، أن يكون صاحبها ذا شجاعة وهداية وصاحب رأي سديد وهيبة وقوة لكي يكون مهاباً مطاعاً من الجميع[١١]. كما يلزم أمير الحج في المقابل بعدد من الواجبات وهي:

١- جمع الناس والحرص على عدم تفرقهم في المسير، وفي ذلك حفظ لهم حتى لا يتفرقوا أو أن يتيه بعضهم في الصحراء أو يكون مطمعاً للاعتداءات ممن قد يتربصون بهم، فكثرتهم وفق مجموعات هي أمان وحماية لهم.

٢- الإعداد وتنظيم قيادة الحجاج من خلال تقسيم الحجاج الى مجموعات ووضع قائد لكل مجموعة ، وذلك لكي يسهل على أمير الحج تنظيم قافلة الحج من خلال ارتباطه بأولئك القادة لكونهم مسئولين من قبله عمن يتبعهم.

٣- الرفق بالحجاج أثناء الطريق، وذلك من خلال منحهم الفرصة الكافية قبل المسير وإعلامهم بذلك حتى يتسنى لهم ترتيب أوضاعهم، كما يجب عليه مراعاة ضعيفهم وكبيرهم ودوابهم أثناء المسير.

٤- ارتياد الطرق الواضحة السهلة الخصبة والبعد عن الطرق الوعرة، وفي ذلك تسهيل لهم نظراً لان وعورة التضاريس تلحق الضرر والمشقة بهم وبدوابهم.

٥- ارتياد مواطن المياة والمراعي في الطريق، وذلك لحاجة القافلة الماسة الى الماء والمرعى فأميرهم يجب أن ينزل بهم على مواطن المياة للتزود بها أثناء مسيرهم.

٦- تأمين الحماية للحجيج.

٧- مدافعة من يعترض طريق الحجيج، وذلك لكون القوافل قد تكون هدفاً لقطاع الطرق فيكون أمير الحج ومعاونيه مستعدين لدرء أي خطر قد يحيط بهم.

٨- الإصلاح بين الحجيج في الخصومات والمنازعات، لكون الخصومات أمر وارد بين البشر أنفسهم فعلى الأمير دور الإصلاح فيها متى ما وقعت أثناء مسيرهم.

٩- تأديب ومعاقبة من يصدر منه ما يوجب العقاب من الحجيج.

١٠- مراعاة سعة الوقت حتى يتحقق للحجيج أداء الحج دون تعجيل أو تأخير[١٢].

وعلاوة على ذلك فإن أمير الحج يكون ملتزماً بمن معه من الحجيج من صدورهم من بلدانهم حتى عودتهم اليها مرة آخرى بعد انقضاء موسم الحج[13].

وأما فيما يتعلق بأمير موسم الحج فولايته على إقامة الحج ذاته[١٤]. وبذلك يتبين أن إمارته مقصورة فقط على موسم الحج، ولذا حددت بسبعة أيام فقط تكون بدايتها من صلاة ظهر اليوم السابع من ذي الحجة وحتى اليوم الثالث عشر من الشهر نفسه. كما يشترط فيمن يتولاها الشروط المعتبرة لإمامة الصلاة علاوة على كونه عالماً بمناسك الحج ومواقيته[١٥].ويترتب عليه من الواجبات ما يلي:

١- اشعار الناس بمواقيت احرامهم.

٢- ترتيب المناسك لكونه متبوعاً من الحجيج.

٣- تقدير المواقيت.

٤- اتباعه على الأذكار المشروعة.

٥- إمامته لهم في الصلوات.

ومن ناحية أخرى فقد اختلف الفقهاء حول بعض الواجبات التي يقوم بها أمير الحج مثل: معاقبته للحجيج أو الفصل بينهم، أو حتى حملهم على إتباع مذهبه[١٦].

ونظراً لما سبق تتبين أهمية منصب إمارة الحج بنوعيها سواء إمارة الركب أو الموسم وعظم شأنها وشرف ومكانة من يتولاها، ولذا يقول الحنبلي:" فيجب على ولي الأمر البحث عن المستحقين للولايات، خصوصاً إمرة الحاج، فإنه منصب جليل، ومحل مقداره نبيل، يجتمع فيه العلماء والفقهاء، والأولياء والصلحاء، والقوي والضعيف، والعاجز والسخيف، والنساء والصبيان، والأتباع والغلمان، فقد تعين حينئذ

على ولي الأمر أن لا يولي على وفد الله تعالى إلا من علم استقامة أحواله واختبره في دينه وفعاله ومقاله"[١٧]. وخلاصة القول أن إمارة الحج بنوعيها هي إمارة مؤقتة محددة الوقت.

إمارة الحج خلال العصرين النبوي والراشدي:

بعد فتح مكة في السنة الثامنة من الهجرة استخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية على مكة وقد أقام لهم عتاب الحج في تلك السنة[١٨].وكان الحج في تلك السنه حجاً جاهلياً يشترك فيه حتى المشركون وترتكب فيه العديد من المخالفات من التعرى بالطواف وغير ذلك، وعندما أصبح الحج ركناً من أركان الدين الإسلامي في السنه التاسعة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بنبذ جميع تلك المخالفات، فأرسل توجيهاته صلى الله عليه وسلم لتعلن للجميع يوم النحر وقد اشتملت تلك التوجيهات على أن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان[١٩]. فأول أمير للحج في الإسلام كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه وقد أوكله رسول الله صلى الله عليه وسلم بإمارة الحج والمسير مع الحجيج من المدينة الى مكة المكرمة في السنة التاسعة من الهجرة[٢٠]. وفي السنة العاشرة كانت حجة الوداع والتى أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم الحج للمسلمين. ومروراً بعهد الخلفاء الراشدين تولى إمارة الحج عدد من الخلفاء أنفسهم أو من الصحابة[٢١].

نبذة مقتضبة عن معاوية بن أبي سفيان:

وهو أول خلفاء الدولة الأموية معاوية بن صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، وقد أعلن إسلامه عام الفتح، كما أصبح كاتباً للرسول صلى الله عليه وسلم، وقد قدم خدمات جليلة للدولة الإسلامية خلال العهد الراشدي، وبعد طاعون عمواس ووفاة أخيه يزيد بن أبي سفيان جعله عمر بن الخطاب رضي الله عنه أميراً مكانه، ثم أقره عثمان بن عفان رضي الله عنه على ولاية الشام كلها، وعندما وقعت الفتنة الكبرى والتى انتهت بمقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه وما آلت إليه أوضاع الدولة الإسلامية من حروب لاحقة لتنتهي تلك الأحداث بمقتل الخليفة الراشد الرابع علي بن أبي طالب رضي الله عنه على يد أحد الخوارج، ثم تنازل أبنه الحسن بن علي عن الخلافة لمعاوية في عام ٤١هـ/٦٦١م والذي عُرف بعام الجماعة فكان ذلك بمثابة انتقال للخلافة الى بني أمية ولتصبح دمشق عاصمةً للخلافة منذ ذلك الوقت، وقد استمرت خلافة بنو أمية حتى عام ١٣٢هـ/٧٥٠م.

وقد عرف معاوية بن أبي سفيان بالعديد من الصفات القيادية والتى دونت في العديد من المصادر التاريخية ودلت على حسن تدبيره في التعاطي مع أمور الخلافة وشؤونها السياسية و قدرته على سياسة الرعية أيضاً. وقد توفي الخليفة معاوية بن أبي سفيان في رجب سنة ٦٠هـ/٦٨٠[٢٢]

أمراء الحج خلال عهد معاوية:

تناوب على إمارة الحج في عهد معاوية بن أبي سفيان عدد من أبناء البيت الأموي، وقد اعتمدت على ذكرهم في أول سنة يتولون إمارة الحج فيها كما أشرت الى السنوات الأخرى والتى تولوا فيها تلك الإمارة في نفس الترجمة لهم بدلاً من تكرار أسمائهم لاحقاً.

- عتبة بن أبي سفيان: وهو أبو الوليد عتبة بن صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس، كان مولده على عهد الرسول (ﷺ) وقد ولاه عمر بن الخطاب رضى الله عنه الطائف[٢٣]. كما تولى فيما بعد المدينة ومكة[٢٤]، ولما توفي عمرو بن العاص عينه الخليفة مكانه والياً على مصر[٢٥]. وقد فقئت عينه يوم الجمل كما كان عتبة من أفصح بني أمية و أخطبهم[٢٦].
- وقد تولى إمارة الحج في عهد معاوية بن أبي سفيان لأكثر من مرة، فقد كان أميراً للحج في المرة الأولى سنة ٤١هـ[٢٧]، كما تولاه أيضاً سنة ٤٦هـ[٢٨].
- عنبسة بن أبي سفيان: وهو أبو الوليد عنبسة بن صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس، كان معاوية قد استعمله وولاه على مكة[٢٩].

وقد تولى إمارة الحج في عهد معاوية بن أبي سفيان لأكثر من مرة، فقد كان أميراً للحج في المرة الأولى سنة ٤٢هـ[٣٠]، كما قيل أنه قد تولى الحج أيضاً سنة ٤٧هـ[٣١].

- مروان بن الحكم: وهو الخليفة الأموي أبو عبدالملك مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، وقد استكتبه عثمان بن عفان رضي الله عنه[٣٢]، ولما آلت الخلافة الى بني أمية استعمله معاوية بن أبي سفيان على المدينة ومكة والطائف[٣٣].

وقد تولى إمارة الحج في عهد معاوية بن أبي سفيان لأكثر من مرة، فقد كان أميراً للحج في المرة الأولى سنة ٤٣هـ[٣٤]، كما أنه تولى إمارة الحج أيضاً سنة ٤٥هـ[٣٥]، ثم تولاها ثالثة في سنة ٤٨هـ[٣٦]، وتولاها للمرة الرابعة في عام ٥٤هـ[٣٧]. وكانت الإمارة الخامسة له على الحج في عام ٥٥هـ[٣٨].

- معاوية بن أبي سفيان: من الثابت أنه حج سنة ٤٤هـ[٣٩]، كما أنه أقام الحج مرة آخرى في سنة ٥٠هـ[٤٠].
- سعيد بن العاص: وهو سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس، وكان كثير الجود والسخاء، وقد استعمله معاوية بن أبي سفيان على المدينة بعدما عزل مروان بن الحكم[٤١].

وقد ولاه معاوية بن أبي سفيان إمارة الحج في عهده لأكثر من مرة، فقد كان أميراً للحج في المرة الأولى سنة ٤٩هـ[٤٢]، كما تولاها لمرتين متتاليتين في عام ٥٢و ٥٣هـ[٤٣].

- يزيد بن معاوية: وهو الخليفة الأموي الثاني يزيد بن معاوية بن صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس، وقد ولاه والده إمارة الحج سنة ٥١هـ[٤٤].

- الوليد بن عتبة: وهو الوليد بن عتبة بن صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس، وكان معاوية بن أبي سفيان قد عزل سعيد بن العاص عن ولاية المدينة في سنة ٥٧هـ ليعين مكانه الوليد بن عتبة ولم يزل عليها حتى وفاة معاوية بن أبي سفيان[٤٥].

وقد تولى إمارة الحج في عهد معاوية بن أبي سفيان لثلاثة مواسم متتالية، فكان أميراً للحج خلال الأعوام ٥٦و ٥٧ و٥٨هـ[٤٦].

- عثمان بن محمد بن أبي سفيان: وهو عثمان بن محمد بن صخر بن حرب بن أمية بن عبد مناف. وقد تولى الحج في سنة ٥٩هـ[٤٧].

ومن الجدير بالذكر أن الخليفة معاوية بن أبي سفيان جعل أمر الحج من أولوياته وأهتم به وبمرافقه فكان يرسل كسوتين للكعبة المشرفة في شهر محرم ورمضان من كل سنه، كما يرسل الطيب والخلوق كذلك لتطيب بهما مرتين خلال السنة، وأجرى معاوية الزيت لقناديل المسجد من بيت المال كما خصص للكعبة عبيداً مفرغين لخدمتها لتكون تلك سنة لمن بعده من الخلفاء[٤٨].

كما اهتم معاوية بن أبي سفيان أيضاً بتوفير المياة للحجاج فأمر عماله بذلك، وقد وجه مروان بن الحكم بأن يجري المياة لهم فأجرى لهم عين الزرقاء. والى جانب ذلك حرص معاوية أيضاً على تقديم الطعام فقد أوردت المصادر بأنه أشترى داراً عرفت بدار المراجل تحوي قدوراً لطبخ الطعام وإعداده للحجاج وزوار البيت سواءً أثناء الحج أو في شهر رمضان[٤٩].

الخاتمة:

بعد هذا العرض التاريخي لأمراء الحج خلال عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان توصلت الدراسة إلى بعض النتائج يمكن تلخيصها فيما يلي:

- نال أمير الحج مكانة مرموقة في المجتمع الإسلامي نظراً لعظم المهمة الكبيرة التي كلف بها. فقد كان عليه واجبان أحدهما: الإشراف على تسيير الحجيج، والآخر إقامة الحج.
- إن إمارة الحج في بداياتها كانت واحدة ثم أصبحت هنالك إمارة للركب وإمارة لموسم الحج وشعائره وكلا الإمارتين وقتية ومحددة إما بزمن واضح محدد الوقت كإمارة الموسم أو بعودة الحجيج الى ديارهم.
- يحتاج أمير الحج الى عدد كبير من المعاونين له في قيادته لقوافل الحج وذلك في مختلف المهام فمنهم من يكون لحماية القافلة ومنهم الأدلاء الذين يرشدونه الى أسهل الطرق وأقلها مشقة مع توفر المياه في تلك الطرقات بالإضافة الى معاونين آخرين في مختلف المجالات التي قد تحتاج لها القافلة.
- يعد أمير الحج نائباً عن الخليفة في إقامة الحج، فإذا تعذر خروج الخليفة مع الحج كان في الغالب ينيب عنه أحد أفراد البيت الأموي للقيام بهذه المهمة الجليلة، وخاصة ممن وثق بهم، مثل بعض أبنائه كيزيد – وكان وقتذاك ولياً للعهد – أو بعض إخوانه مثل: عتبة وعنبسة أو حتى بعض أبناء العمومة ممن اتصفوا بالقدرة وحسن الكفاءة على الإدارة، وممن لديهم صلة بالحجاز ومعرفة بأحوالها. وبالذات ممن تولوا إدارة المدينة المنورة أو مكة المكرمة، حيث تولى بعضهم إمارة الحج أكثر من مرة. مثل: مروان بن الحكم، وسعيد بن العاص، والوليد بن عتبة .

ملحق: جدول بأمراء الحج في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان(٤١-٦٠هـ)					
م	السنة	أمير الحج	قرابته من الخليفة	ملحوظات	المصدر
١	٤١	عتبة بن أبي سفيان	أخاه		ابن خياط ، تاريخ ، ص٢٠٥ ؛ ابن حبيب ، المحبر ، ص٢٠ ؛ الطبري ، تاريخ ، جـ٥، ص١٧١
٢	٤٢	عنبسة بن أبي سفيان	أخاه		ابن خياط ، تاريخ ، ص٢٠٥ ؛ ابن حبيب ، المحبر ، ص٢٠ ؛ الطبري ، تاريخ ، جـ٥، ص١٨٠ .
٣	٤٣	مروان بن الحكم	من أبناء عمومته	وكان واليا على المدينة .	ابن خياط ، تاريخ ، ص٢٠٦ ؛؛ ابن حبيب ، المحبر ، ص٢٠ ؛ الطبري ، تاريخ ، جـ٥، ص٢١١
٤	٤٤	معاوية بن أبي سفيان	الخليفة نفسه		ابن خياط ، تاريخ ، ص٢٠٧ ؛ ابن حبيب ، المحبر ، ص٢٠ ؛ الطبري ، تاريخ ، جـ٥، ص٢١٥
٥	٤٥	مروان بن الحكم	من أبناء عمومته	وكان واليا على المدينة .	ابن خياط ، تاريخ ، ص٢٠٧ ؛ ابن حبيب ، المحبر ، ص٢٠ ؛ الطبري ، تاريخ ، جـ٥، ص٢٢٦
٦	٤٦	عتبة بن أبي سفيان	أخاه		ابن خياط ، تاريخ ، ص٢٠٨؛ ابن حبيب ، المحبر ، ص٢٠ ؛الطبري ، تاريخ ، جـ٥، ص٢٢٨
٧	٤٧	عنبسة بن أبي سفيان	أخاه	وفي رواية أخرى عتبة بن أبي سفيان وقيل مروان بن الحكم	ابن خياط ، تاريخ ، ص٢٠٨ ؛ ابن حبيب ، المحبر ، ص٢٠ ؛ الطبري ، تاريخ ، جـ٥، ص٢٣٠
٨	٤٨	مروان بن الحكم	من أبناء عمومته	وكان واليا على المدينة . وفي رواية أخرى سعيد بن العاص	ابن خياط ، تاريخ ، ص٢٠٨؛ ابن حبيب ، المحبر ، ص٢٠ ؛ الطبري ، تاريخ ، جـ٥، ص٢٢٦
٩	٤٩	سعيد بن العاص	من أبناء عمومته	وكان واليا على المدينة.	ابن خياط ، تاريخ ، ص٢٠٩؛ ابن حبيب ، المحبر ، ص٢٠ ؛ الطبري ، تاريخ ، جـ٥، ص٢٣٣
١٠	٥٠	الخليفة معاوية بن أبي سفيان	الخليفة نفسه	اختلفت الراويات التاريخية فيمن حج هذا العام فبعضها ذكر	ابن خياط ، تاريخ ، ص٢٠٩؛ ابن حبيب ، المحبر ، ص٢٠ ؛ الطبري ، تاريخ ، جـ٥، ص٢٤٠؛ الفأسي،شفاء الغرام،ج٢،١٩٦

				الخليفة معاوية بينما ذكرت روايات أخرى ابنه يزيد	
١١	٥١	يزيد بن معاوية بن أبي سفيان	ابنه	اختلفت بعض المصادر التاريخية فيمن حج هذا العام ، فابن حبيب ذكر فالطبري ذكر يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بينما يذكر ابن خياط والده الخليفة معاوية ، وفي رواية أخرى وردت في المحبر سعيد بن العاص .	ابن خياط ، تاريخ ، ص٢١٨؛ ابن حبيب ، المحبر ، ص٢٠ ؛ الطبري ، تاريخ ، جـ٥، ص٢٨٦ .
١٢	٥٢	سعيد بن العاص	من أبناء عمومته	وكان واليا على المدينة وفي رواية أخرى وردت في المحبر الخليفة معاوية بن أبي سفيان	ابن خياط ، تاريخ ، ص٢١٨ ؛ ابن حبيب ، المحبر ، ص٢٠ ؛ الطبري ، تاريخ ، جـ٥، ص٢٨٧
١٣	٥٣	سعيد بن العاص	من أبناء عمومته	وفي رواية أخرى وردت في المحبر مروان بن الحكم	ابن خياط ، تاريخ ، ص٢٢٢ ؛ ابن حبيب ، المحبر ، ص٢٠ ؛ الطبري ، تاريخ ، جـ٥، ص٢٩٢
١٤	٥٤	مروان بن الحكم	من أبناء عمومته	وكان واليا على المدينة وفي رواية أخرى سعيد بن العاص	ابن خياط ، تاريخ ، ص٢٢٣ ؛ ابن حبيب ، المحبر ، ص٢٠ ؛ الطبري ، تاريخ ، جـ٥، ص٢٩٨
١٥	٥٥	مروان بن الحكم	من أبناء عمومته	وفي رواية أخرى وردت في المحبر عتبة بن أبي سفيان	ابن خياط ، تاريخ ، ص٢٢٣؛ ابن حبيب ، المحبر ، ص٢٠ ؛ الطبري ، تاريخ ، جـ٥، ص٣٠٠
١٦	٥٦	الوليد بن عتبة بن أبي سفيان	ابن أخيه	وكان واليا على المدينة.	ابن خياط ، تاريخ ، ص٢٢٤ ؛ ابن حبيب ، المحبر ، ص٢٠ ؛ الطبري ، تاريخ ، جـ٥، ص٣٠١
١٧	٥٧	الوليد بن عتبة بن أبي سفيان	ابن أخيه	وفي رواية أخرى وردت في المحبر	ابن خياط ، تاريخ ، ص٢٢٥ ؛ ابن حبيب ، المحبر ، ص٢٠

				عتبة بن أبي سفيان	
١٨	٥٨	الوليد بن عتبة بن أبي سفيان	ابن أخيه	وفي رواية أخرى وردت في المحبر عثمان بن محمد بن أبي سفيان	ابن خياط ، تاريخ ، ص٢٢٥ ؛ ابن حبيب ، المحبر ، ص٢١ ؛ الطبري ، تاريخ ، جـ٥، ص٣١٤ .
١٩	٥٩	عثمان بن محمد بن أبي سفيان	ابن أخيه	وفي رواية أخرى وردت في المحبر الوليد بن عتبة ، بينما يذكر ابن خياط محمد بن أبي سفيان	ابن خياط ، تاريخ ، ص٢٢٧ ؛ ابن حبيب ، المحبر ، ص٢١ ؛ الطبري ، تاريخ ، جـ٥، ص٣٢١

الهوامش:

[١] سورة الحج، آية ٢٨

[٢] سورة آل عمران، آية ٩٧

[٣] النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، مراجعة: هيثم الطعيمي، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٣هـ، ٣٣

[٤] السجستاني، سليمان بن الأشعث، السنن، المكتبة العصرية، بيروت، ٣، ٣٦

[٥] ابن منظور، لسان العرب، بيروت: دار صادر،١٤١٤هـ، ٤، ٢٧،٢٩،٣١

[٦] سليمان صالح كمال، إمارة الحج في العصر العباسي من سنة ١٣٢-٢٤٧هـ، رسالة ماجستير، ١٤٠٨هـ، ٢٦؛ خالد الخالدي، تنظيمات الحج وتأثيراته في الجزيرة العربية خلال العصر العباسي، الجمعية التاريخية السعودية، الرياض، ١٤٢٧هـ، ٤٠

[٧] الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق: أحمد البغدادي، دار ابن قتيبة، الكويت، ١٤٠٩هـ، ١٣٩

[٨] الخالدي، ٤١،٤٥

[٩] تاريخ الرسل والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م، ٥، ٢٧٩؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ٧، ١٨؛ كمال، ٣٦

[١٠] الخالدي، ٦١

[١١] الماوردي، ١٤١؛ الفراء، محمد بن الحسين، الأحكام السلطانية، تعليق: محمد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١١١

[١٢] الماوردي، ١٣٩-١٤٠؛ الفراء، ١٠٩-١١٠؛ الحنبلي، عبدالقادر بن محمد، الدرر الفرائد في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، تحقيق: محمد اسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، ١، ١٣٥-١٣٦

[١٣] الماوردي، ١٤١؛ الفراء، ١١١

[١٤] الماوردي، ١٤١

[١٥] الماوردي، ١٤١؛ الفراء، ١١٢

[١٦] للمزيد الماوردي، ١٤١-١٤٤؛ الفراء، ١١٢-١١٤

[١٧] الحنبلي، ١، ١٢٩

[١٨] الدرر الفرائد، ج١، ١٢٩

[١٩] النيسابوري، صحيح مسلم، ٤٨٩؛ ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق: طه سعد، دار الجيل، بيروت،٥، ٢٣٢

[٢٠] ابن هشام، السيرة النبوية، ٥، ٢٢٩؛ ابن سعد، محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عطا، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م،٣، ١٣٢؛ ابن خياط ، خليفة بن خياط، تاريخ خليفة ، تحقيق: اكرم العمري، ط٢، دار طيبة، الرياض، ٩٣

[٢١] الرشيدي، أحمد، حسن الصفا والابتهاج، تحقيق: ليلى أحمد، مكتبة الخانجي، مصر، ١٩٨٠م، ٩١-٩٢؛ بدري محمد فهد، تاريخ أمراء الحج، مجلة المورد، دار الجاحظ، بغداد، المجلد التاسع، العدد الرابع، ١٨٠

[٢٢] الطبري، تاريخ ، ٣، ٢٦١؛ ابن خياط، تاريخ، ٢٣٠

[٢٣] ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: علي معوض وعادل عبدالموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ، ٣، ٥٥٤؛ ابن عبدالبر، يوسف بن عبدالله، الاستيعاب في معرفة الأصحاب،دار الجيل، بيروت، ٣، ١٠٢٥؛ ابن عبدربه، احمد بن محمد، العقد الفريد، تحقيق: مفيد قمجة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ، ١، ٤٧

[٢٤] ابن تغري بردي، يوسف الظاهري، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١ دار الكتب، مصر، ١٢٢؛ الفأسي، محمد بن احمد، شفاء الغرام باخبار البلد الحرام، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢، ١٩٤

[٢٥] ابن عساكر ، علي بن الحسن، تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو العمروي، دار الفكر، ٣٨، ٢٦٨؛ الكندي، محمد بن يوسف، الولاة والقضاة، تحقيق: محمد اسماعيل واحمد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ، ١، ٢٩؛ ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم، المعارف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،١٩٩٢م،٣٤٥؛ ابن عبدالحكم، عبدالرحمن بن عبدالله، فتوح مصر والمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، ١٤١٥هـ، ٢٠٧

[٢٦] ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٣٨، ٢٦٥؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ٣، ٥٥٤؛ ابن تغري بردي، ١، ١٢٣

[٢٧] الطبري، تاريخ ، ٣، ١٧٢؛ البغدادي، المحبر، ١،٢٠؛ ابن خياط، تاريخ، ٢٠٥، ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٣٨،٢٦٦

[٢٨] الطبري، تاريخ ، ٣، ٢٠٣؛ البغدادي، المحبر، ١،٢٠؛ ابن خياط، تاريخ، ٢٠٨؛ ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد ومصطفى عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ٥، ٢١٧؛ االبداية والنهاية، ٨، ٣٤

[٢٩] العسقلاني، احمد بن علي، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل عبدالموجود وعلي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ٥، ٥٦؛ تهذيب التهذيب، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ١٣٢٦هـ، ٨، ١٦٠، ابن عساكر، تاريخ دمشق، ١١، ٤١٥

[٣٠] الطبري، تاريخ ، ٣، ١٧٧؛ البغدادي، المحبر، ١،٢٠؛ ابن خياط، تاريخ، ٢٠٥، ابن عساكر، تاريخ، ٣٨،٢٦٦

[٣١] الطبري، تاريخ، ٣، ٢٠٤؛ ابن خياط، تاريخ، ٢٠٨؛ اليافعي، عبدالله بن أسعد، مرآة الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١، ٩٩؛ كما ذكر غيرهم أن من تولى الحج تلك السنة هو عتبة بن أبي سفيان وليس عنبسة ومن هؤلاء ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٣٨، ٢٦٧؛ الرشيدي،حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولي إمارة الحاج، ٩٣ وقد كان الأخير قد ذكر الاسم عقبة وربما مرد ذلك لخطأ مطبعي لم ينتبة له المحقق أيضاً.

[٣٢] النووي، يحي بن شرف، تهذيب الأسماء واللغات، دار الكتب العلمية، بيروت،٢، ٨٧

[٣٣] ابن الأثير، أسد الغابة، ٥، ١٣٩؛ النووي، تهذيب، ٢،٨٧

[٣٤] الطبري، تاريخ ، ٣، ١٩٣؛ البغدادي، المحبر، ١،٢٠؛ ابن خياط، تاريخ، ٢٠٦؛ ابن كثير، اسماعيل بن كثير،البداية والنهاية، دار المعرفة، بيروت، ١٤٢٢هـ، ٨، ٢٨

[٣٥] الطبري، تاريخ ، ٣، ٢٠١؛ البغدادي، المحبر، ١،٢٠؛ ابن خياط، تاريخ، ٢٠٧، ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٣٨،٢٦٧

[٣٦] الطبري، تاريخ ، ٣، ٢٠٥؛ البغدادي، المحبر، ١،٢٠؛ ابن الجوزي، المنتظم، ٥، ٢٢٣؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ٨، ٣٦؛ وقد ذكر خليفة بن خياط أن من تولاها في هذه السنة هو سعيد بن العاص، تاريخ، ٢٠٩

[٣٧] الطبري، تاريخ ، ٣، ٢٤٤؛ ابن خياط، تاريخ، ٢٢٣

[٣٨] الطبري، تاريخ ، ٣، ٢٤٦؛ البغدادي، المحبر، ١،٢٠؛ ابن خياط، تاريخ، ٢٢٣

[٣٩] الطبري، تاريخ ، ٣، ١٩٥؛ البغدادي، المحبر، ١،٢٠؛ ابن خياط، تاريخ، ٢٠٦؛ الرشيدي،حسن الصفا والابتهاج ، ٩٣ ؛ المقريزي، احمد بن علي، الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك، تحقيق: جمال الدين الشيال، مصر: مكتبة الثقافة، ١٤٢٠هـ، ٥٣

[٤٠] الطبري، تاريخ ، ٣، ١٩٥؛ البغدادي، المحبر، ١،٢٠؛ ابن خياط، تاريخ، ٢٠٦؛ المقريزي، الذهب المسبوك، ٥٣؛ الرشيدي،حسن الصفا والابتهاج، ٩٣ ؛ كما يرى ابن خياط والرشيدي وغيرهم بانه قد حج بهم أيضاً في عام ٥١هـ

[٤١] ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٥، ٢٨؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ٢، ٣٢٨-٣٢٩

[٤٢]الطبري، تاريخ ، ٣، ٢٠٦؛ البغدادي، المحبر، ١،٢٠؛ ابن خياط، تاريخ، ٢٠٩

[٤٣] الطبري، تاريخ ، ٣، ٢٣٧،٢٤٠؛ ابن خياط تاريخ،، ٢١٨، ٢٢٢؛ الرشيدي،حسن الصفا والابتهاج ، ٩٣

[٤٤] الطبري، تاريخ ، ٣، ٢٣٦؛ البغدادي، المحبر، ١، ٢٠

[٤٥] ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٥، ٢٨؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٦٣، ٢٠٨

[٤٦] الطبري، تاريخ ، ٣، ٢٤٧،٢٥٥؛ ابن خياط ، تاريخ، ٢٢٤، ٢٢٥؛ الرشيدي،حسن الصفا والابتهاج ، ٩٣

47 الطبري، تاريخ، ٣، ٢٥٩؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٤٦،

48 الفأسي، شفاء الغرام ، ج٢، ٤٩٧؛ أحمد عطار، الكعبة والكسوة منذ أربعة آلاف سنة حتى اليوم، مكة المكرمة،١٩٧٧، ١٣٩-١٤٠؛ السيد محمد الدقن، كسوة الكعبة المعظمة عبر التاريخ، ط١، ١٩٨٦، ٢٩

49الأزرقي، محمد بن عبدالله، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق: رشدي ملحس، دار الأندلس، بيروت، ج٢، ٢٦٢،٢٣٧؛ الفاكهي، محمد بن إسحاق، أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، تحقيق: عبدالملك دهيش، ط٢،١٤١٤هـ، ج ٣،٢٥٤

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

ابن الأثير(علي بن محمد الجزري ت ٦٣٠هـ)

الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت

أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: علي معوض وعادل عبدالموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ

الأزرقي (محمد بن عبدالله ت ٢٥٠هـ)

أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق: رشدي ملحس، دار الأندلس، بيروت

ابن تغري بردي (أبو المحاسن يوسف الظاهري ت ٨٧٤هـ)

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب، مصر

ابن الجوزي(عبدالرحمن بن علي الجوزي ت ٥٩٧هـ)

المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد ومصطفى عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م

ابن حبيب(محمد بن حبيب البغدادي ت٢٤٥هـ)

المحبر، تحقيق: إيلزة ليختن، دار الآفاق، بيروت

الحنبلي(عبدالقادر بن محمد ت ٩٧٧هـ)

الدرر الفرائد في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، تحقيق: محمد اسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، ١، ١٣٥-١٣٦

الخالدي(خالد عزام)

تنظيمات الحج وتأثيراته في الجزيرة العربية خلال العصر العباسي، الجمعية التاريخية السعودية، الرياض، ١٤٢٧هـ

ابن خلكان (شمس الدين أحمد بن محمد ت ٦٨١هـ)

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت

ابن خياط (خليفة بن خياط العصفري ت٢٤٠هـ)

تاريخ خليفة بن خياط، ط٢، تحقيق: أكرم ضياء العمري، دار طيبة، الرياض، ١٩٨٥م

الدقن (السيد محمد) كسوة الكعبة المعظمة عبر التاريخ ، ط ، ٩٨٦ م

الرشيدي(أحمد)

حسن الصفا والابتهاج، تحقيق: ليلى أحمد، مكتبة الخانجي، مصر، ١٩٨٠م

السجستاني ،(سليمان بن الأشعث ت ٢٧٥هـ)

سنن أبي داود، المكتبة العصرية، بيروت

ابن سعد(محمد بن سعد ت ٢٣٠هـ)

الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عطا، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت

ابن عبدالبر(يوسف بن عبدالله ت ٤٦٣هـ)

الاستيعاب في معرفة الأصحاب،دار الجيل، بيروت

ابن عبدربه(احمد بن محمد ت ٣٢٨هـ)

العقد الفريد، تحقيق: مفيد قمجة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ

ابن عساكر (علي بن الحسن ت ٥٧١هـ)

تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو العمروي، دار الفكر

العسقلاني (احمد بن علي ت٨٥٢هـ)

الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل عبدالموجود وعلي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ

تهذيب التهذيب، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ١٣٢٦هـ

الفأسي (محمد بن احمد ت ٨٣٢هـ)

عطار (أحمد) الكعبة والكسوة منذ أربعة آلاف سنة حتى اليوم ، مكة المكرمة ، ١٩٧٧ م

شفاء الغرام باخبار البلد الحرام، دار الكتب العلمية، بيروت،١٤٢١هـ

الفاكهي (محمد بن إسحاق ت ٢٧٩هـ)

أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، تحقيق: عبدالملك دهيش، ط٢،١٤١٤هـ

الفراء(محمد بن الحسين ت ٤٥٨هـ)

الأحكام السلطانية، تعليق: محمد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت

ابن قتيبة (عبدالله بن مسلم ت ٢٧٦هـ)

المعارف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١،القاهرة،١٩٩٢م

ابن كثير(اسماعيل بن كثير ت ٧٧٤هـ)

البداية والنهاية، دار المعرفة، بيروت، ١٤٢٢هـ

كمال (سليمان صالح)

إمارة الحج في العصر العباسي من سنة ١٣٢-٢٤٧هـ، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، ١٤٠٨هـ

الكندي (محمد بن يوسف ت بعد ٣٥٥هـ)

الولاة والقضاة، تحقيق: محمد اسماعيل واحمد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ

الماوردي (علي بن محمد ت ٤٥٠هـ)

الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق: أحمد البغدادي، دار ابن قتيبة، الكويت، ١٤٠٩هـ

المقريزي(احمد بن علي ت ٨٤٥هـ)

الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك، تحقيق: جمال الدين الشيال، مصر: مكتبة الثقافة، ١٤٢٠هـ

ابن منظور(محمد بن مكرم ت ٧١١هـ)

لسان العرب، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ

النووي (يحي بن شرف ت ٦٧٦هـ)

تهذيب الأسماء واللغات، دار الكتب العلمية، بيروت

النيسابوري(مسلم بن الحجاج ت ٢٦١هـ)

صحيح مسلم، مراجعة: هيثم الطعيمي، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٣هـ

ابن هشام(عبدالملك بن هشام المعافري ت ٢١٣هـ)

السيرة النبوية، تحقيق: طه سعد، دار الجيل، بيروت

تحليل كفاءة التوزيع

التاريخي لجغرافية الخدمات التعليم الابتدائي في قضاء بعقوبة المركز

Analysis of the efficiency of the historical geography of primary education services in the Baquba district center

م. م. تركي حومد علي

وزارة التربية العراقية المديرية العامة لتربية ديالى

جغرافية الخدمات

تحليل كفاءة التوزيع التاريخي لجغرافية الخدمات التعليم الابتدائي في قضاء بعقوبة المركز

م. م. تركي حومد علي

المستخلص

تعد دراسة واقع حال خدمات التعليم الابتدائي في قضاء بعقوبة المركز لعام ٢٠١٩ من الدراسات المهمة ، و يشمل وحدتين اداريتين ، الاولى وسط بعقوبة المركز ، والثانية أطراف بعقوبة المركز ،لذا تم تطبيق عدد من مؤشرات الكفاءة لمعرفة بيان درجة كفاءتها ، وقد تضمنت الدراسة جانبين :الأول التوزيع الجغرافي لمؤسسات التعليم الابتدائي في منطقة الدراسة ، بينما تناول الجانب الثاني كفاءة تلك المؤسسات والخدمات التي تؤديها وكفاءتها بالنسبة للتلاميذ وفق المعايير المحلية والعالمية .

الكلمات المفتاحية : التوزيع ، التعليم ، الابتدائي ،الخدمات

Abstract

The study aims at analyzing and diagnosing the reality of primary education services in the district of center Baquba in2019, which includes two administrative units, the first in the center of Baquba, and the second in the center of Baquba, through a number of efficiency indicators and their application to determine the degree of their efficiency. The geographical distribution of the institutions of primary education in the study area, while the second aspect dealt with the efficiency of these institutions and the services they perform and their efficiency for students according to local and international standards .

المقدمة :-

تعد الخدمات التعليمية احدى ملامح التحضر كونها من الخدمات الاساسية لتقدم وتطور المجتمعات المعاصرة ، حيث اكدت جميع الدراسات التخطيطية على انها من المواضيع الحيوية والمهمة لدراسة واقع المدينة. ولقد أدى ارتفاع مستوى التحضر على مستوى العالم الى زيادة الاهتمام بنمط توزيع الخدمات العامة وخاصة الخدمات التعلمية .

يعد التعليم الابتدائي إحدى المراحل التعليمية والركيزة الأساسية في سلم التعليم ،فهي النواة الرئيسة التي تعتمد عليها الأمم في نهضتها وتقدمها اقتصاديا واجتماعيا عن طريق ترسيخها للوعي الوطني بين أبنائها و إ رساء أسس المعرفة العلمية التي تسهم في بناء الحضارة الأساسية .

لقد اكتسب موضوع الخدمات اهمية كبيرة وخاصة بعد دخول التقنيات الجغرافية في منهجها العلمي؛ كونها تستطيع اخراج نتائج دقيقة وتحليلات مكانية تجعل عملية فهم كفاءة الخدمات التعليمية اكثر

وضوحا، فضلا عن كونها أداة اثبتت قدرتها العلمية والتحليلية في مجال التنمية والتخطيط الاني والمستقبلي.

الموقع الجغرافي لمدينة بعقوبة

تعد مدينة بعقوبة مركز محافظة ديالى ، وهي مركز قضاء بعقوبة الذي يقع في الجزء الجنوبي من محافظة ديالى ، وتحتل مدينة بعقوبة موقعاً جغرافياً يقع في الجزء الشمالي من القضاء ،اذ تقع على جانبي نهر ديالى وجدول سارية، أي إن نهر ديالى يمر في وسطها مشكلا للمدينة شرق النهر وغرب النهر، فهي تقع فلكياٍ بين خطي طول (¯35ْ.٤٤ْ و ¯40ْ.٤٤ْ) شرق خط كرينتش ، وبين دائرتي عرض

(¯39ْ.٣٣ْ و ¯47ْ.٣٣ْ) شمال خط الاستواء ، يحدها من الشمال ، ناحية العبارة ومن الشرق والجنوب الشرقي ، ناحية كنعان ومن الجنوب والجنوب الغربي ، ناحية خان بني سعد، ينظر الخريطة (١) .

خريطة (١)

موقع منطقة الدراسة بالنسبة للعراق ومحافظة ديالى

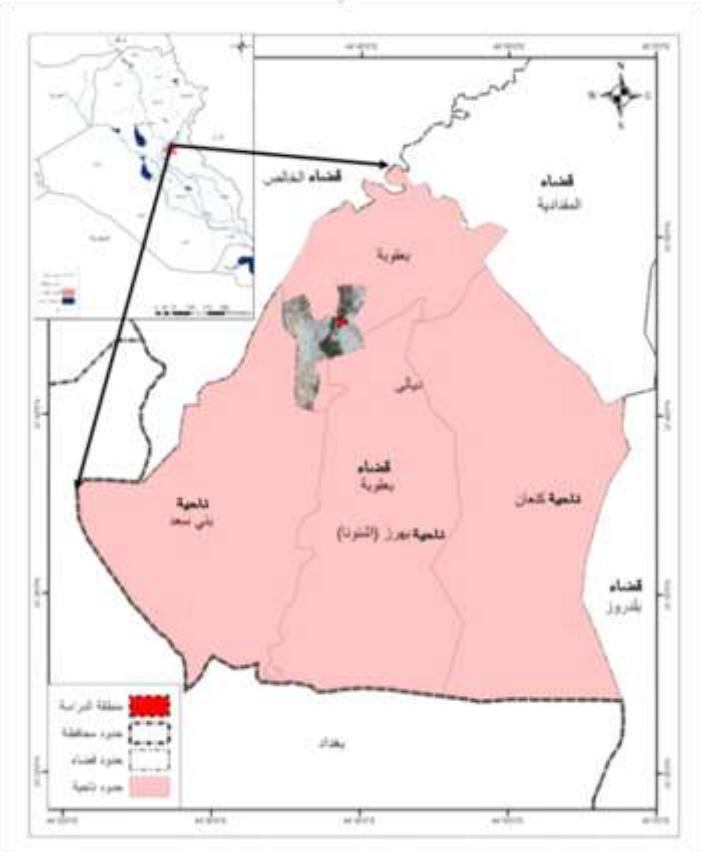

المصدر : من عمل الباحث اعتماداً على خريطة العراق وديالى الادارية بمقياس٥٠٠٠٠٠ : ١.

الحدود المكانية

اقتصرت الدراسة على مدينة بعقوبة ضمن حدودها البلدية ، البالغة (٤٢٩٣) هكتار ،والمقسمة الى (أولاً) وسط بعقوبة المركز و(ثانياً)أطراف بعقوبة المركز .

الهكتار = ١٠٠٠٠ م

الحدود الزمانية

تتمثل بالمدة الزمنية (٢٠١٨ – ٢٠١٩)

مشكلة البحث

تتلخص المشكلة بالاتي:

- هل يتناسب التوزيع الجغرافي للمدارس الابتدائية مع حجم السكان ومناطق تركزهم في قضاء بعقوبة المركز.
- ما هو مستوى كفاءة خدمات التعليم الابتدائي في قضاء بعقوبة المركز .
- هل تتفق الكثافة الطلابية مع عدد الشعب حسب التوزيع الجغرافي للمدار س الابتدائية في القضاء.

فرضية البحث

إن مؤسسات التعليم الابتدائي غير متوازنة في قضاء بعقوبة المركز مع حجم السكان وتركزهم على مستوى الأحياء السكنية ، مما ادى الى تدني مستوى كفاءة التعليم الابتدائي ، وأثر على كثافة اعداد الطلبة والنقص الكبير في اعداد المدارس والبنايات .

أهداف البحث

- لدراسة الوضع الحالي عليه تقديم صورة عن خدمات التعليم الابتدائي في قضاء بعقوبة المركز وعلاقتها بالسكان ونصيب الفرد من الخدمة .
- تحديد الصعوبات والمشكلات التي تواجه خدمات التعليم الابتدائي في القضاء .
- تحليل كفاءة ونشاط خدمات التعليم الابتدائي في القضاء .
- معرفة الايجابيات والسلبيات عند التعرف على التوزيع الجغرافي لخدمات التعليم الابتدائي.
- اختيار المواقع الأمثل عند إنشاء المدارس الجديدة وذلك بمساعدة الجهات ذات العلاقة بتخطيط خدمات التعليم الابتدائي في القضاء

أهمية البحث

يهتم البحث في التقصي لمعرفة كفاءة خدمات التعليم الابتدائي في قضاء بعقوبة المركز من خلال معرفة سلبيات وايجابيات هذه الخدمات ،علاوة على معرفة التوزيع الجغرافي لمدارس التعليم الابتدائي وتناسبها مع حجم السكان في القضاء.

منهجية البحث

اعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي لتحقيق أهداف البحث الذي يقوم على دراسة وتحليل الظاهرة الجغرافية ومعرفة أسبابها ،وذلك عن طريق دراسة التطور التاريخي لخدمات التعليم الابتدائي وتوزيعها الجغرافي وعلاقتها بالسكان ومدى الحاجة الى تلك الخدمات مستقبلا حسب متوسط نصيب الفرد من الخدمة ،كما استخدم البحث الاسلوب الكمي لتحليل كفاءة ونشاط مؤسسات التعليم الابتدائي بالاستعانة بالبيانات التي تم الحصول عليها من الجهات التربوية المسؤولة لاستخلاص النتائج واقتراح التوصيات، لذا سوف يتناول البحث المواضيع الاتية :

أولاً- التطور التاريخي للمدارس الابتدائية في بعقوبة

شهدت المؤسسات التعليمية نشاطًا ملموسًا في تنظيم التعليم في العراق في العصر المعاصر وأسست مديرية المعارف (التربية) في عام ١٩٤٣م بموجب الإدارة الملكية المرقمة(١٤) وعين لها أول مدير لها الأستاذ جواد الجصاني بموجب الإدارة الملكية المرقمة (٢٧٥) في عام ١٩٤٣.

و أسست مدرسة خريسان (بعقوبة) الابتدائية في عام ١٨٩٦ م ، و أول مدير لها الأستاذ محمد أمين أفندي تسمى الآن مدرسة بعقوبة الابتدائية ، وقد تم إدخالها في نظام البكلوريا في عام ١٩٢٤ كأول مدرسة في بعقوبة تدخل في هذا النظام.

و أسس أول مركز لمكافحة محو الأمية في ديالى في عام ١٩٤٣ بلغ عدد الدارسين فيه ١١٦ دارس عند سنة التأسيس.

كما أسس دار المعلمين الريفية في بعقوبة في عام ١٩٤٤ وتقبل فيه خريجي الدراسة الابتدائية ومدة الدراسة فيه خمسة سنوات[١] .

و أسست أول رياض أطفال في ديالى في مدينة بعقوبة في عام ١٩٥١ بلغ عدد الأطفال المسجلين عند سنة التأسيس ٣٦ طفل.

و أسس دار للمعلمات في بعقوبة في عام ١٩٥٦ مدة الدراسة فيه ثلاثة سنوات بعد الدراسة المتوسطة وأسس معهد الفنون البيتية في بعقوبة في عام ١٩٥٨وتقبل خريجات الدراسة الابتدائية ومدة الدراسة فيه خمس سنوات .

لم يكن في مدينة بعقوبة في تلك الحقبة من الحكم الملكي في منتصف العقد السادس من القرن العشرين من المدارس الابتدائية سوى اربعة مدارس هي ، مدرسة بعقوبة الابتدائية، ومدرسة ابتدائية ثانية ، هي مدرسة فيصل الثاني والتي تسمى باللهجة الدارجة (الدبة) الابتدائية، و مدرسة ثالثة افتتحت عام ١٩٥٥ اسمها مدرسة الخالدية الابتدائية ، و مدرسة رابعة أفتتحت عام ١٩٥٧ اسمها مدرسة ألأمين.

كان النشاط الفني في المدارس آنذاك، أي في أيام الملكية، ينحصر في تعلم اناشيد تمجد الملك في درس اسمه "النشيد و الموسيقى" (و لكن للأسف دون موسيقى طبعا في أغلب الأحيان).

و في درس الرسم يترك التلامذة ليرسموا في مواضيع يطلبها منهم معلم ليس مختصا، بل و قد لا تكون له، في الغالب، أية علاقة بهواية الرسم، و لكنه يكلف في الغالب بالقيام بمهمة معلم الرسم، أما بسبب هو شخصيا محبا للرسم، أو كأن يكون ساما فطريا، أو لإسقاط فرض اكمال نصابه القانوني من الدروس و يستعمل المعلم المذكور درس الرسم عادة كمحطة استراحة له من دروسه الأساسية ، يخرج التلامذة في أغلب الأحيان الى حديقة المدرسة بحجة رسم منظر طبيعي و يضع له كرسيا في شمس أو فيء ليستريح.

وهذا ينطبق أيضا إلى حد كبير على درس النشيد و الموسيقى([٢]).

و من هنا، كانت قدرات التلامذة و مواهبهم الفنية تنمو عفويا دون موجه أو خبير يهتم بهذه المواهب، ما يعني من جانب آخر أن أغلب تلك المواهب كانت، دون ريب، تذهب هدرا، و ربما ما تزال مع وجود معلمين مختصين [٣].

و ينطبق هذا إلى حد كبير على ما كان يجري، بهذا الصدد، في مراحل الدراسة التي أعلى من الابتدائية في مدرسة ثانوية بعقوبة (تأسست في أربعينيات القرن العشرين)، مع فارق هو وجود خريج من معهد الفنون الجميلة يتكفل بتدريس مادة الرسم (هنا أيضا يأتي واجبه إسقاطا للفرض و ليس حبا بما يقوم به لأنه في الغالب لم يكن من أهل المدينة، بل من بغداد العاصمة فهو برأيه يأتي غالبا ليقضي خدمة إجبارية ، يعيدونه بعد سنة أو ينيف من حيث أتى وأذكر منهم الفنان التشكيلي الصوفي المعروف شاكر حسن آل سعيد الذي خدم في ثانوية بعقوبة لمدة سنة في أواسط الخمسينيات)، و يسري هذا على مدرسة متوسطة بعقوبة التي تأسست أواسط الخمسينيات، فضلا عن دار المعلمين الابتدائية التي تكفلت بتخريج المعلمين، لتلبية الحاجة للمعلمين في مدارس بات عددها يتزايد بوتيرة سريعة. و هنا علينا أن نثبت حقيقة تاريخية، تخص دار المعلمين ، هو الغياب التام تقريبا لما يعد دورا تربويا فنيا و ثقافيا لهذه الدار، بموجب المفهوم الذي ذكرناه آنفا، كان بإمكانه أن يوسع لتلك الدار إطارها المهني التعليمي إلى فضاء أرحب يبوئها مكانة ثقافية و فنية مرموقة.

و ظل الحال هكذا في مدارس مدينة بعقوبة و القرى المحيطة بها (الهويدر، خرنابات، و شفتة ، و بهرز) حتى سقوط الملكية في تموز ١٩٥٨.

كانت مدينة بعقوبة، أواسط الخمسينيات، تمور نارها السياسية تحت الرماد، حالها حال بغداد العاصمة و مدن العراق ألأخرى ، و كان للأحزاب السياسية السرية (الحزب الشيوعي العراقي و حزب البعث العربي الاشتراكي و الحزب الوطني الديمقراطي و ربما غيرها) دور خفي في تنمية حب قراءة الأدبيات و

المنشورات الحزبية غايته تنمية ثقافة جماهيرها سياسيا، فجاء الاهتمام بالثقافة عموما حصيلة جانبية لهذا الاهتمام بالسياسة [٤] .

و هنا يمكن الاستطاعة بالجزم بوجود قاعدة من القراء النشطين(بإقبالهم على قراءة كتب السياسة و الفلسفة و العلم و الرواية و القصة و الشعر و المسرح) في بعقوبة ذاك الزمان ذات العشرين ألف نسمة ، يفوق عددهم على عدد القراء فيها حاليا و هي تضم ما يزيد على نصف مليون نسمة .

في مدينة بعقوبة مكتبة متخصصة ببيع القرطاسية و صاحبها الحاج "فاضل حسين رجيبة" كانت توجد مكتبتان متخصصتان لا لبيع القرطاسية، و إنما متخصصتين ببيع الكتب الثقافية التي تأتي من كل حدب و صوب، و دكان آخر صغير صاحبه المرحوم الحاج "جاسم بدي" يبيع فيه كتبا و مجلات قديمة .

بعد الاطاحة بالنظام الملكي في ثورة (١٤ تموز ١٩٥٨) واعلان الجمهورية ، فكان للثورة ارث كبير وتركة ثقيلة من التخلف في المجتمع ، اذ كانت العادات والتقاليد مسيطر على اغلب افراد المجتمع ، والامية منتشرة بينهم [٥] .

في هذه المدة اخذ التعليم الحكومي بالاتساع نوعاً وعدداً ، فكانت مطالب المواطنين لتعليم ابنائهم وبإلحاح ، ووضعت دراسات عديدة لمناقشة ظروف التعليم ومن ثم تسليط الضوء على أبرز المشكلات الموجودة ، وايجاد الحلول لمعالجتها [٦] .

لقد تأثرت مناطق العراق ومنها لواء ديالى في تلك الاجراءات ، وخاصة قضاء بعقوبة مركز اللواء، فحدثت تغيرات جديدة للمحاولة في اصلاح الحركة التعليمية، تمثلت باللجان والمؤتمرات والندوات ، وصدرت العديد من الانظمة والقوانين ، الغاية منها تنظيم عمل وزارة المعارف (التربية) والحصول على تطور ورقي واقع التعليم [٧] .

وجرى فتح باب التعيين لنسب كبيرة من المعلمين ، وفي عام (١٩٥٨-١٩٥٩) شهد لواء ديالى زيادة ملحوظة في اعداد السكان ، وفي نفس الوقت زيادة في اعداد الدارسين ، مما زاد للحاجة لتوفير الخدمات التعليمية وتحسين السكن الملائم ، والطرق واماكن تواجد تلك المؤسسات من حيث الموقع الجغرافي وحجم السكان .

افتتحت في قضاء بعقوبة لوحدها (٤٦) مدرسة ابتدائية في المدة (١٩٥٨ – ١٩٦٨) م ، أي قرابة ثلث المدارس الابتدائية التي فتحت في لواء ديالى ،وكذلك جرى افتتاح معهد اعداد المعلمين في بعقوبة بمنطقة التحرير عام (١٩٦٣) ، ومدة الدراسة فيه ثلاث سنوات ، وفي العام نفسه جرى استحداث معهد معلمات في بعقوبة بمنطقة التكية ، ومدة الدراسة فيها ثلاث سنوات ايضاً ، وجاء استحداث المعهدين هو لسد النقص الحاصل في الملاكات التعليمية بسبب زيادة اعداد الطلبة والشعب ، واصبح عدد المعاهد في بعقوبة لغاية عام (١٩٦٨م) هو اربعة معاهد لإعداد المعلمين والمعلمات[٨] .

وعلى الرغم من ذلك شهدت هذه المدة صراعاً سياسياً عميقاً ، مما أثر في العملية التعليمية ، وعرقل كل الجهد والخطط المراد تنفيذها في مكافحة الامية ، والتغذية المدرسية ، وجعل التعليم الالزامي في المرحلة الابتدائية شاملة للذكور والاناث ، فضلا عن الحالة الاجتماعية والاقتصادية التي ظلت على حالها لا سيما المستوى المعاشي ، حتى بلغ الصراع ذروته فوصل الى الهيئات التعليمية مما اثر على المعلمين أنفسهم [٩] .

ومما يجدر ذكره ان التعليم في قضاء بعقوبة في المدة (١٩٥٨ – ١٩٦٤) م شهد أوج نشاطه في التوسع من حيث ازدياد عدد المدارس والملاكات التعليمية والتلاميذ ، وفي المدة (١٩٦٤ – ١٩٦٨) م ، اصيب بفتور وذلك المشكلات السياسية والصراع الحزبي ، وتوجه الحكومة المركزية نحو دعم المؤسسات العسكرية وتحول نظر الحكومة الى انجاز مشاريع اخرى .

ومن جانب أخر اهتمت الحكومة في المدة (١٩٥٩ – ١٩٦٨) م بمكافحة الامية ، اذ قامت بفتح مراكز محو الامية في انحاء العراق كافة اذ ازدادت اعداد الدارسين اذا ما قورنت بالعهد الملكي ، ثم اخذت الاعداد بالتناقص التدريجي عام (١٩٦٧ – ١٩٦٨) م ويعود ذلك الى غياب الوعي ، وضعف الاساليب المستعملة في عملية محو الامية [١٠] .

ولقد اضطربت الاوضاع في أواخر الحكم العارفي واخيراً انعكس بضلاله على مختلف جوانب الحياة ومنها الاجتماعية ، وتطور التعليم في ارجاء العراق في سبعينيات القرن الماضي ، وقضاء بعقوبة واحداً من اقضية العراق التابع لمحافظة ديالى ، حيث تم تشييد مئات المدارس حتى كان للريف والقصبات نصيب كبير منها ، وكان العراق يعد من الدول المتقدمة في قطاع التعليم في العقود الثلاثة الاخيرة من القرن العشرين .

واصدرت الدولة دستوراً مؤقتاً أشارت المادة السابعة والعشرين (أ) بالتزام الدولة بمكافحة الامية وكفلت حق التعليم المجاني في مختلف مراحله وللمواطنين كافة ، وعملت الحكومة على جعل التعليم الزامياً[١١].

ثانياً– خدمات التعليم الابتدائي في قضاء بعقوبة المركز

تعد عملية التعليم بانها حالة النهوض والتطور في شخصية الفرد لتهيئته بأن يكون الشخص المثقف والمناسب في المشاركة في بناء الوطن ، والتعليم الابتدائي بأنه أول مرحلة من مراحل التعليم العام وتختلف سن القبول والسن الذي تنتهي فيه هذه المرحلة التعليمية تبعا لنظام التعليم المتبع في الدولة ،ولا تقل أهمية هذه المرحلة عن مرحلة رياض الأطفال بل على العكس من ذلك فقد اهتمت الدولة بهذه المرحلة التعليمية كونها تمثل القاعدة الأساسية التي تستند عليها مراحل التعليم اللاحقة [١٢]،فضلاً عن إنها تضم فئة من الأعمار تشكل نسبة كبيرة من السكان عند مقارنتها بمراحل التعليم الآخر، وقد نتج عن ذلك الاهتمام تطبيق قانون التعليم الإلزامي لهذه المرحلة وزيادة عدد المدارس الخاصة بهذه المرحلة من التعليم مقارنة بالمراحل التعليمية الأخرى ،وتأتي أهمية التعليم الابتدائي في كونه يستقبل الأطفال ذي الفئة

العمرية (٦ ١١) سنة ، وتعتبر هذه المرحلة هي مرحلة بناء شخصياتهم ،فضلا عن انه يضم اكبر عدد من التلاميذ ، والتي ينصهر فيها جميع أبناء الشعب وعلى اختلاف أوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية ، ولما كان التعليم الابتدائي يمثل قاعدة الهرم للمراحل الدراسية المختلفة وأوسعها انتشارا ما بين المؤسسات التعليمية ،فمن الطبيعي أن تستحوذ على اكبر نسبة من الموارد المخصصة للاستثمار في التعليم [١٣] ،خاصة في الدول المتقدمة على العكس من الدول النامية التي لا تنفق من ميزانيتها الا القليل ، خاصة في الدول التي تعاني من مشكلة الأمية والزيادة السكانية ، مما يجعلها أمام تحديات كبيرة ، كما هو الحال في العراق وفقا للظروف التي مر بها من أحداث كحروب وما أعقبها من حصار اقتصادي في ظل إلزامية التعليم .

ثالثاً- التوزيع الجغرافي لمدارس التعليم الابتدائي في منطقة الدراسة

تهدف دراسة توزيع الخدمات التعليمية للمرحلة الابتدائية في قضاء بعقوبة المركز الى تحليل ومعرفة واقع النظام الهرمي لهذه المؤسسات في القضاء ، ومن ثم معرفة كفاءتها الوظيفية ،ومن المؤكد ان لهذه المرحلة انتشارها لأنها تمثل قاعدة الهرم التعليمي التي تستند اليها كافة المراحل التعليمية الأخرى ،وتقوم عليها عملية بناء الأجيال [١٤].

وقد نالت دارسة توزيع هذه الخدمات وخصائص هذا التوزيع وكفاءته وأنماطه اهتماما كبيراً من قبل الباحثين الجغرافيين، والواقع أن الدراسة الجغرافية لهذه الظاهرة تنبع من أن الخدمات تقدم للسكان وترتبط بالمكان، ولهذا يسعى الباحثين الجغرافيين الى تحديد الأماكن المناسبة لمواقع تلك الخدمات والتوزيع يمثل نقطة البداية الحقيقية لدارسة أي ظاهرة جغرافية ، وذلك من اجل إبراز الاختلافات المكانية خاصة ما يتعلق بالخدمات في محاولة توفير المعلومات الضرورية للمخططين حول كفاءة التوزيع أو إعادة النظر في أنشاء المزيد من المؤسسات التعليمية المطلوبة، إن دراسة توزيع الخدمات التعليمية تمكن الباحثين من التعرف على عدالة توزيع تلك الخدمات وإظهار التباين في توزيعها وبالتالي التعرف على الأنماط التوزيعية لمواقع تلك الخدمة ،وهل هي موزعة بطريقة تخدم السكان في سن التعليم، مما يساعد دارسة التوزيع بما يتلاءم مع توزيعهم الجغرافي[١٥].

جدول (١)

التوزيع العددي والنسبي لمدارس التعليم الابتدائي في منطقة الدراسة لسنة ٢٠١٩

الوحدات الادارية	المدارس		السكان لكل الفئات العمرية		السكان فئة(٦-١١)	
	العدد	النسبة %	العدد	النسبة%	العدد	النسبة %
وسط بعقوبة المركز	٥٨	٥٩,٢	١٥٢٢٠٠	٥٦,٦	٣٠٣٥٩	٥٤,٧
أطراف بعقوبة المركز	٤٠	٤٠,٨	١١٦٨٠٠	٤٣,٤	٢٥٠٩٦	٤٥,٣
المجموع	٩٨	١٠٠	٢٦٩٠٠٠	١٠٠	٥٥٤٥٥	١٠٠

المصدر: من عمل الباحث اعتماداً على بيانات المديرية العامة لتربية ديالى ، الاحصاء والتخطيط التربوي ،الكراس الاحصائي لسنة ٢٠١٨ – ٢٠١٩ ، ص٣٠٩ ٣١٠.

خريطة (٢)

التوزيع العددي والنسبي لمدارس التعليم الابتدائي في منطقة الدراسة لسنة ٢٠١٩

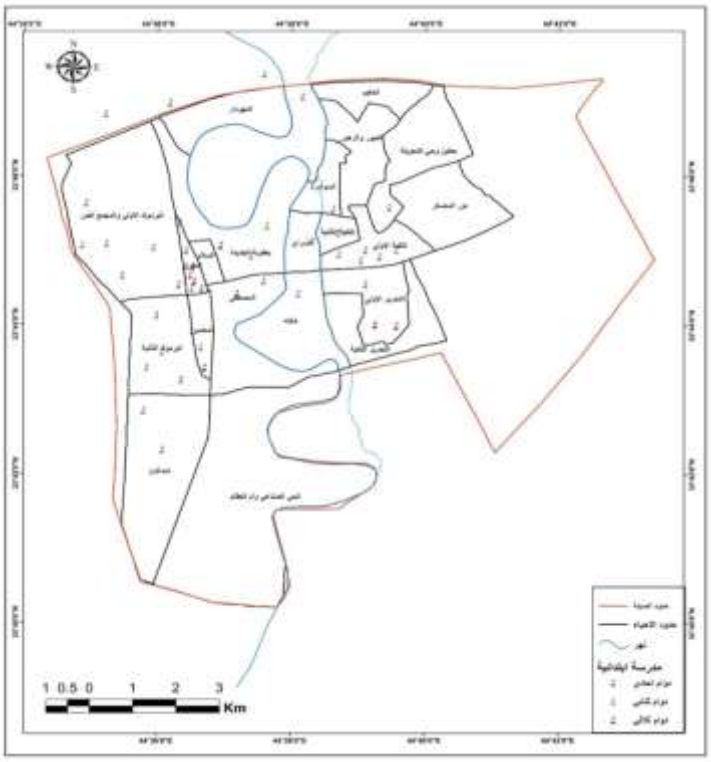

المصدر : من عمل الباحث بالاعتماد على خريطة محافظة ديالى الإدارية ، باستخدام برنامج Arc Gis

شكل(١)

التوزيع العددي والنسبي لمدارس التعليم الابتدائي في منطقة الدراسة لسنة ٢٠١٩

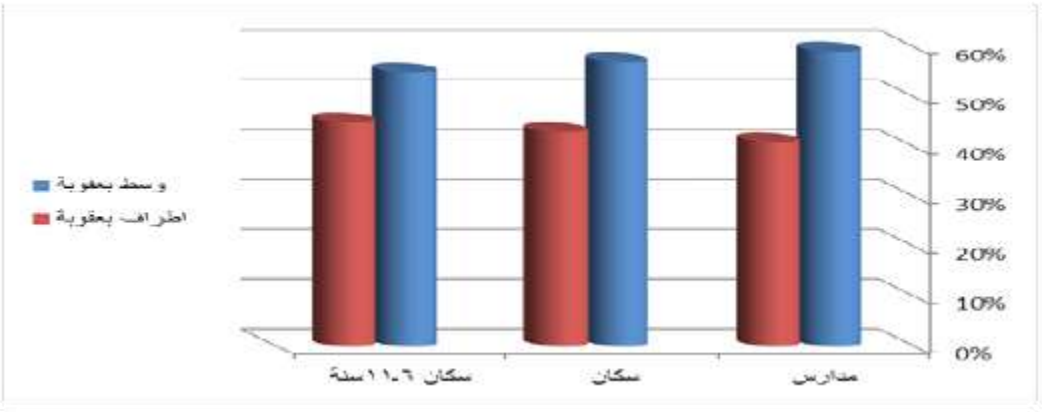

المصدر : من عمل الباحث اعتمادا على بيانات الجدول (١)

نستنتج من الجدول (١)والشكل (١) يمكن الملاحظة إن وسط بعقوبة المركز يضم حوالي(١٥٢٢٠٠)نسمة ، وتشكل نسبة (٥٦.٦%) من سكان منطقة الدراسة البالغ (٢٦٩٠٠٠)نسمة ، كما ان فئة من هم في سن المرحلة التعليمية(٦١١) سنة ، الذين عددهم(٣٠٣٥٩) نسمة ، يشكلون

نسبة (٥٤.٧%)، وكانت بالمرتبة الاولى حيث إن هذا النمط من المدارس يكون توطنها قرب الوحدات السكنية في المدينة.

جاءت اطراف بعقوبة المركز بالمرتبة الثانية ، حيث ان عدد سكانها (١١٦٨٠٠) نسمة ، وبنسبة (٤٣.٤%) من سكان منطقة الدراسة البالغ (٢٦٩٠٠٠) نسمة ، كما

ان فئة من هم في سن المرحلة التعليمية (٦ ١١)سنة والذين عددهم(٢٥٠٩٦) نسمة ، ويشكلون نسبة مقدارها (٤٥.٣%) .

عند التمعن لبيانات مدارس التعليم الابتدائي في منطقة الدراسة ، نلاحظ ارتباط توزيع تلك المدارس بالمكان ، خاصة مناطق الاحياء السكنية ، وهذا يدل على وجود علاقة ارتباط طردية بين نمو السكان وانشاء المدارس .

رابعاً- تباعد مؤسسات التعليم الابتدائي في منطقة الدراسة

لتحديد المسافة الفاصلة بين كل مدرستين فهي من المعايير المهمة ، وكما هو معروف فان العلاقة عكسية بين عدد المدارس ومرتبة التعليم وبالتالي علاقة طردية مع معدلات التباعد [١٦] ،

حيث تمثل شبكة مدارس التعليم الابتدائي وهي أدنى المراتب التعليمية وأكثر الشبكات من حيث الانتشار واقلها تباعدا ولكن في بعض الأحيان تحاول العديد من الأسر استخدام وسائل نقل مختلفة في توصيل أبناءها مما قد يساعد على ظهور شبكة مدارس تتباعد مدارسها بدرجة اكبر وبالاستعانة بمعادلة التباعد الآتية : $\sqrt{(ع/م)}$

حيث ع =عدد المدارس ،م =المساحة.

وبتطبيق المعادلة تبين أن متوسط تباعد مدارس التعليم الابتدائي في وسط بعقوبة المركز (٠.١٥) كم ،وهذا معدل جيد مقارنة بالبلاد حيث وصل معدل التباعد على مستوى العراق الى ٨.٦ كم ، في حين بلغ هذا المعدل (٠.٤٠)كم في أطراف بعقوبة المركز ، فان لعدد المدارس والمساحة اثر كبير في معدل التباعد.

خامساً- التوزيع الجغرافي لتلاميذ التعليم الابتدائي في منطقة الدراسة

لتحديد التوزيع الجغرافي لتلاميذ التعليم الابتدائي في مدينة بعقوبة المركز ، يمكن التعرف عليه من مؤشرات على مناطق تركز الطلاب من خلال بيانات الجدول (٢) والشكل(٢) .

جدول (٢)

التوزيع العددي والنسبي لتلاميذ التعليم الابتدائي في منطقة الدراسة لسنة ٢٠١٩

الوحدات الادارية	التلاميذ		التلاميذ	
	ذكور	النسبة %	اناث	النسبة %
وسط بعقوبة المركز	١٥٨٢١	٥٥,٧	١٤٥٣٥	٥٣,٧
أطراف بعقوبة المركز	١٢٥٧٩	٤٤,٣	١٢٥٢٠	٤٦,٣
المجموع	٢٨٤٠٠	١٠٠	٢٧٠٥٥	١٠٠

المصدر : من عمل الباحث اعتماداً على ،المديرية العامة لتربية ديالى ،الاحصاء والتخطيط التربوي ، الكراس الاحصائي لسنة ٢٠١٨ /٢٠١٩، ص٣٣٦.

هناك تقارب في التوزيع الجغرافي للتلاميذ بين وسط بعقوبة المركز واطرافها ، وذلك لتقارب اعداد التلاميذ في المنطقتين . وجاء توزيع التلاميذ الذكور في مدارس وسط بعقوبة المركز ،حيث كان اعدادهم (١٥٨٢١) تلميذ شكلوا نسبة مقدارها(٥٥.٧%) ، أما في مدارس الأطراف فكانت أعداده(١٢٥٧٩) تلميذ شكلوا نسبة قدرها (٤٤.٣%) ، أما التلميذات الاناث في مدارس وسط بعقوبة المركز ، اذ كان عددهن (١٤٥٣٥) تلميذة ، بينما شكلن نسبة مقداره (٥٣.٧%)، أما في مدارس الاطراف فكان اعداد التلميذات(١٢٥٢٠) تلميذة، اذ شكلن نسبة مقدارها (٤٦.٣%) .

للمقارنة بين التوزيع النسبي للسكان والتلاميذ في مرحلة التعليم الابتدائي فقد اتضح هناك تقارب نسبي بينهما ،وهذا يعني ان كلما زاد عدد السكان ،زادت اعداد التلاميذ ، والعكس صحيح ، وهذا يفسر قلة التباين في حجم التلاميذ بين الوحدات الادارية .

شكل(٢)

التوزيع العددي والنسبي لتلاميذ التعليم الابتدائي في منطقة الدراسة لسنة ٢٠١٩

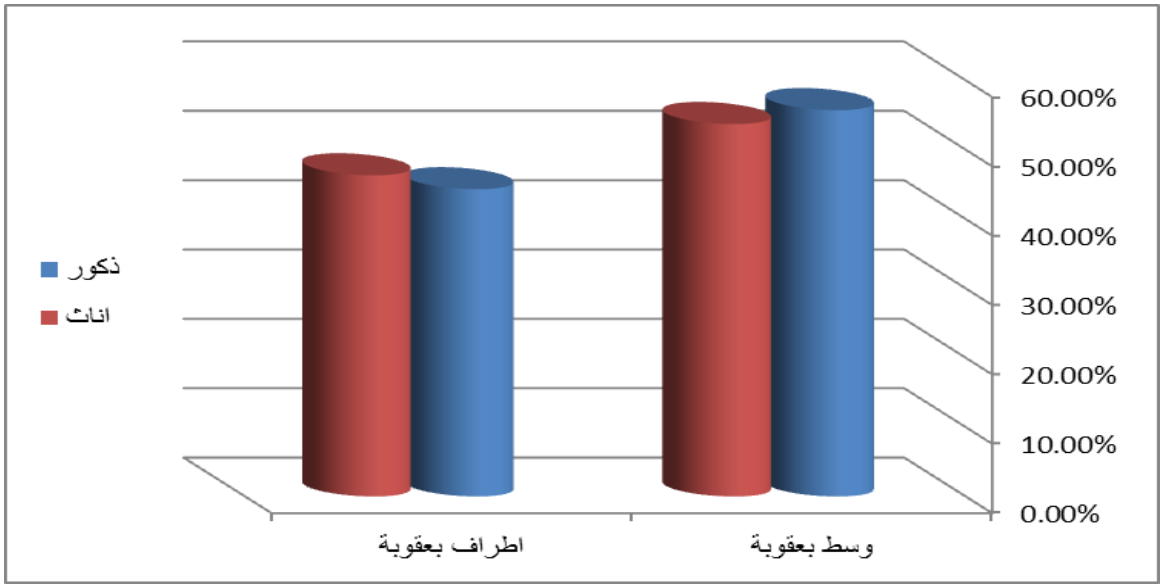

المصدر : من عمل الباحث اعتمادا على بيانات الجدول (٢)

خامساً- التوزيع الجغرافي للكادر التعليمي لمرحلة التعليم الابتدائي

تعد شريحة المعلمين من العناصر المهمة في العملية التعليمية الاساسية ، فهو العنصر الثاني من هذه العملية [١٧]، وقد حرص البحث في توضيح هذه العلاقة بين التوزيع العددي والنسبي لتلاميذ التعليم الابتدائي في منطقة الدراسة لسنة ٢٠١٩ وبقية عناصر الخدمات التعليمية ،والجدول (٣) والشكل(٣) يبينا التوزيع الجغرافي لمعلمي مرحلة التعليم الابتدائي في بعقوبة المركز.

كان عدد كادر المدارس الابتدائية في وسط بعقوبة المركز من الذكور(٣٢٨) معلم ، اذ يشكلون نسبة مقدارها (٥١.٧%) ،اما عدد كادر المدارس الابتدائية في أطراف بعقوبة المركز من الذكور بلغ (٣٠٦) معلم ، بلغت نسبتهم مقدارها (٤٨.٣%) .

كان عدد كادر المدارس الابتدائية في وسط بعقوبة المركز من الاناث (١٧٦٤) معلمة ، اذ يشكلن نسبة مقدارها (٦٨.٤%) ، اما عدد كادر المدارس الابتدائية في أطراف بعقوبة المركز بلغ (٨١٥) معلمة، ويشكلن نسبة مقدارها (٣١.٦%)

جدول (٣)

التوزيع الجغرافي للكادر التعليمي لمرحلة التعليم الابتدائي في منطقة الدراسة لسنة ٢٠١٩

الوحدات الادارية	الكادر التعليمي			
	ذكور	النسبة %	اناث	النسبة %
وسط بعقوبة المركز	٣٢٨	٥١,٧	١٧٦٤	٦٨,٤
اطراف بعقوبة المركز	٣٠٦	٤٨,٣	٨١٥	٣١,٦
المجموع	٦٣٤	١٠٠	٢٥٧٩	١٠٠

المصدر : من عمل الباحث اعتماداً على ،المديرية العامة لتربية ديالى ،فرع بعقوبة ، الاحصاء والتخطيط التربوي ، الكراس الاحصائي لسنة ٢٠١٨ / ٢٠١٩، ص١١٩.

شكل(٣)

التوزيع الجغرافي للكادر التعليمي مرحلة التعليم الابتدائي في منطقة الدراسة لسنة ٢٠١٩

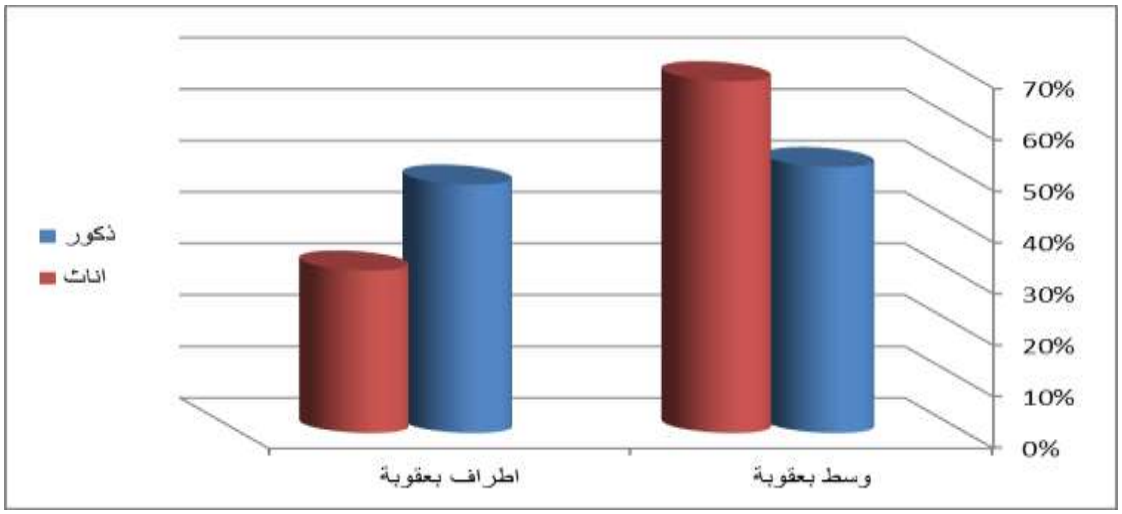

المصدر : من عمل الباحث اعتمادا على بيانات الجدول (٣)

سادساً – التوزيع الجغرافي للشعب في مدارس التعليم الابتدائي

يعد التوزيع الجغرافي للشعب في مدارس التعليم الابتدائي من المؤشرات التي تعكس العملية التربوية ومدى نجاحها [١٨] ،أظهرا الجدول(٤) والشكل(٤) اجمالي الشُعب في مدارس التعليم الابتدائي في وسط بعقوبة المركز بلغ (٥٨٨) شُعبة ، وشكلت نسبة مقدارها(٦٠.٩%) ، بينما كان إجمالي الشُعب لمدارس التعليم الابتدائي في اطراف بعقوبة المركز فكانت (٤٠٨) شُعبة ، وقد شكلت نسبة مقدارها (٣٩.١%) ، وكانت شُعب المدارس المختلطة في وسط مركز بعقوبة اكثر من شُعب مدارس اطراف بعقوبة المركز ،مما يدل على وجود علاقة طردية ، يعني كلما زاد عدد المدارس ازداد عدد الشُعب ، وقد تأثر توزيع الشُعب بنظام الفترات الدراسية

جدول(٤)

التوزيع الجغرافي للشعب في مدارس التعليم الابتدائي في منطقة الدراسة لسنة ٢٠١٩

الوحدات الادارية	الشعب							
	ذكور	النسبة%	اناث	النسبة%	مختلطة	النسبة%	اجمالي	النسبة%
وسط بعقوبة المركز	١٨٥	٦٢,٣	١٢٠	٦٨,٢	٢٨٣	٥٥,٨	٥٨٨	٦٠,٩
اطراف بعقوبة المركز	١١٢	٣٧,٧	٨٨	٣١,٨	٢٠٨	٤٤,٢	٤٠٨	٣٩,١
المجموع	٢٩٧	١٠٠	٢٧٧	١٠٠	٤٧١	١٠٠	١٠٤٥	١٠٠

المصدر : من عمل الباحث اعتماداً على ،المديرية العامة لتربية ديالى ،فرع بعقوبة ، الاحصاء والتخطيط التربوي ، الكراس الاحصائي لسنة ٢٠١٨ / ٢٠١٩، ص١٨٧.

شكل (٤)

التوزيع الجغرافي للشعب في مدارس التعليم الابتدائي في منطقة الدراسة لسنة ٢٠١٩.

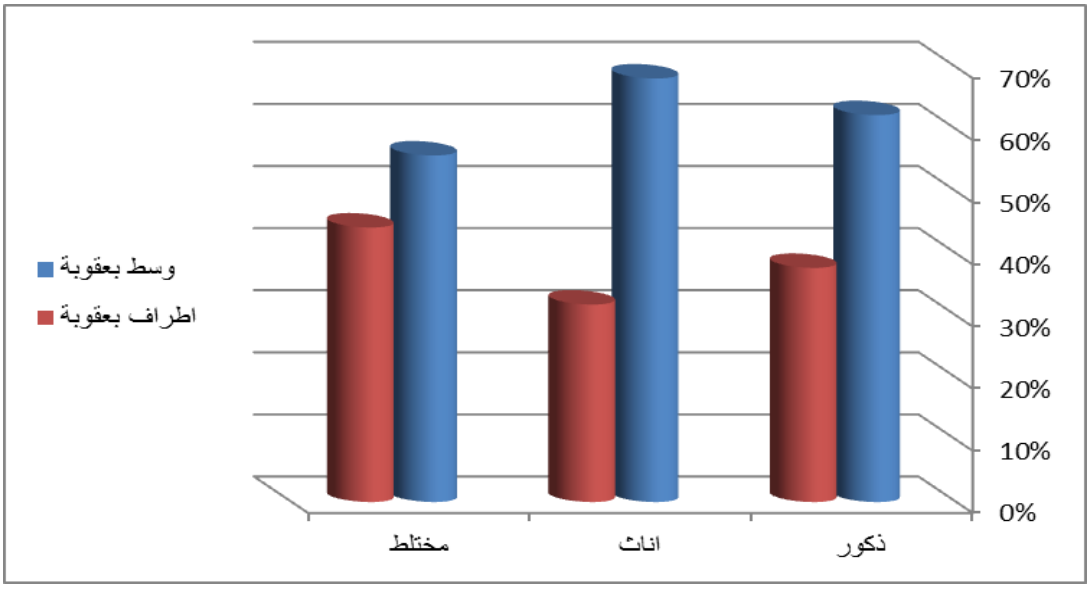

المصدر : من عمل الباحث اعتمادا على بيانات الجدول (٤)

سابعاً –كفاءة الخدمات التعليمية بمرحلة التعليم الابتدائي في منطقة الدراسة

تعد الخدمات من المفاهيم الاساسية التي يُعتَمد عليها في رسم برنامج تعليمي ناجح، ويتطلب المحافظة عليها وصيانتها وعدم هدرها ، ولها دور كبير في تخطيط وتوسيع المؤسسات التعليمية ، إن الغرض من وجود الكفاءة ،هو لتقويم بعض المؤسسات الوظيفية ومنها المؤسسات التعليمية ، من خلال بعض المسارات التعليمية والتخطيطية لتقدير مدى كفاءتها وتوزيعها الجغرافي مع الكثافة السكانية والنمو العمراني للمدينة ،وبيان واقع الحال لهذه الخدمات من خلال المرحلة المعاصرة من اجل تحسين واقعها الحالي ،ورفع درجة الكفاءة فيها ،ولا يتم ذلك إلا عن طريق عملية تخطيط ناجحة من خلال التوزيع

المنظم للمؤسسات التعليمية ، ولهذا سوف تتم مناقشة كفاءة نظام التعليم الابتدائي في قضاء بعقوبة المركز من خلال عدة مؤشرات ومعايير تربوية من خلال الاعتماد على عدة مصادر لجمع البيانات ، منها الإحصاء التربوي في محافظة ديالى ،واستمارة الاستبانة والتي تم من خلالها استخدام العينة العشوائية لعدد من تلاميذ المدارس في القضاء ، ومن اجل التعرف على مستوى الخدمات التعليمية المقدمة بمرحلةالتعليم الابتدائي بمنطقة الدراسة ومدى كفاءتها ومعرفة المشكلات والظواهر التي تؤثر على مستوى وكفاءة الخدمات التعليمية لهذه المرحلة بمنطقة الدراسة [١٩].

ثامناً – مؤشرات الكثافة الطلابية :

١– معدل تلميذ/شُعبة

هو معدل تحليل أعداد التلاميذ بأعداد الشُعب على مستوى المدرسة ، هو التحليل الواقعي لقياس مدى توافر الخدمات التعليمية على مستوى الوحدات الإدارية لمنطقة الدراسة ، فإذا ازدادت أعداد التلاميذ عن أعداد الشُعب ارتفعت كثافة الشُعبة، فذلك يشير الى زيادة الطلب على الخدمات التعليمية ، عما يتوفر من شُعب ، وبالتالي عدم قدرتها على استقبال المزيد من التلاميذ ،مما يساهم في ظهور العديد من المشكلات مثل استغلال المبنى المدرسي لأكثر من فترة دراسية وازدحام التلاميذ في الشُعبة الواحدة مما يؤثر سلباً على التحصيل العلمي للتلاميذ وغيرها من السلبيات الأخرى التي تؤثر على كفاءة الخدمات التعليمية [٢٠].

وبتحليل دراسة كثافة الشعبة في مرحلة التعليم الابتدائي في مدارس وسط بعقوبة المركز يلاحظ وكما في الجدول (٥) أن الكثافة الطلابية (٥٠) تلميذ /شُعبة ، وهو أكثر من المعيار العراقي ب (٢٠) ، والمعيار العالمي ب (١٨) .

جدول (٥)

تحليل معيار تلميذ / شُعبة ، التعليم الابتدائي في منطقة الدراسة لسنة ٢٠١٩

الوحدات الادارية	تلميذ	شُعبة	تلميذ/ شُعبة	معيار محلي (٣٠)	معيار عالمي (٣٢)
وسط بعقوبة المركز	٣٢٤٤٨	٦٣٧	٥٠	-٢٠	-١٨
اطراف بعقوبة المركز	٢٣٠٠٧	٤٠٨	٥٦	-٢٦	-٢٤
المجموع	٥٥٤٥٥	١٠٤٥	٥٣	-٢٣	-٢١

المصدر: من عمل الباحث اعتماداً على :

(١) وزارة التخطيط، هيئة التخطيط العمراني، التصاميم الاساسية للمدن، بغداد، ١٩٨٣، ص٣٤.

(٢) من عمل الباحث اعتماداً على المصدر: المديرية العامة لتربية ديالى، الاحصاء والتخطيط التربوي، الكراس الاحصائي لسنة ٢٠١٨ – ٢٠١٩، ص٢٣٩.

وبالانتقال الى أنماط كثافة الشُعبة بين المدارس الابتدائية في أطراف بعقوبة المركز ،بلغت الكثافة الطلابية هي (٥٦) تلميذ / شعبة ، وهي أكثر من المعيار العراقي ب (٢٦) والمعيار العالمي ب (٢٤) ،ولهذا تكون شُعب المدارس الابتدائية مزدحمة في منطقة الدراسة، خصوصاً في اطراف بعقوبة المركز .

٢- تحليل معدل تلميذ /مدرسة

اتضح من الجدول (٦) معدل تلميذ / مدرسة، وهو معدل مرتفع عن مستوى المعيار المحلي، اذ بلغ (٥٤٠) تلميذ/ مدرسة في وسط بعقوبة المركز ، مما يشير الى مدى ازدحام المدارس بالتلاميذ ، أما في اطراف بعقوبة المركز فكان معدل تلميذ / مدرسة عالي جداً بلغ مقداره (٦٠٥) ، وهذا دلالة على الحاجة لبنايات إضافية يمكن التخفيف من الزخم الحاصل.

جدول (٦)

تحليل معيار تلميذ / مدرسة ، التعليم الابتدائي في منطقة الدراسة لسنة ٢٠١٩

الوحدات الادارية	تلميذ	مدرسة	تلميذ/مدرسة	المعيار المحلي (٣٦٠) تلميذ/مدرسة
وسط بعقوبة المركز	٣٢٤٤٨	٦٠	٥٤٠	-١٨٠
اطراف بعقوبة المركز	٢٣٠٠٧	٣٨	٦٠٥	-٢٩٠
المجموع	٥٥٤٥٥	٩٨	٥٦٥	-٢٠٥

المصدر : من عمل الباحث اعتماداً على المصدر :

(١) وزارة التخطيط ، هيئة التخطيط العمراني ،التصاميم الاساسية للمدن ،بغداد ، ١٩٨٣، ص٣٤.

(٢)المديرية العامة لتربية ديالى، الاحصاء والتخطيط التربوي، الكراس الاحصائي لسنة ٢٠١٨/٢٠١٩ ،ص٢٤٩ ٢٥٠..

لقد أثرت مجموعة من العوامل في هذه المعدلات منها كثافة وحجم السكان الذين هم في سن هذه المرحلة الدراسية والتوزيع الجغرافي للمدارس بين قرى وأحياء منطقة الدراسة فضلاً عن نفوذ بعض المدارس الذي يمتد الى مناطق خارج حدود القرية أو الحي السكني[٢١].

الاستنتاجات :

١- ارتبط توزيع مدارس التعليم الابتدائي في القضاء ارتباطاً مباشرا بتوزيع السكان الذي تباين بين الوحدات الادارية للقضاء بحكم تباين المساحة ونمط استخدام الارض .

٢- بينت الدراسة أن متوسط تباعد مدارس التعليم الابتدائي في وسط بعقوبة المركز بلغ (٠,١٥) كم ، اما في اطراف بعقوبة المركز، فمتوسط التباعد هو (٠.٤٠) كم ، وهو اقل بكثير من معدل التباعد على مستوى العراق والمحدد ب (٧,٦) كم، مما يظهر تقارب مدارس التعليم الابتدائي في منطقة الدراسة .

٣- أظهرت الدارسة وجود توازناً بين التوزيع النسبي للمعلمين من الذكور والاناث والسكان على مستوى منطقة الدراسة .

٤- بينت الدراسة ان معدلات الالتحاق بمرحلة التعليم الابتدائي في منطقة الدراسة بلغت نسبتها (٣٩ %)وهي نسبة عالية وتدل على مكانة التعليم بمنطقة الدراسة.

٥-اتضح من الدراسة أن معدل نصيب التلميذ من الشعبة بلغ (٥٣) تلميذ/شعبة وهو أعلى من المعيار المحلي المحدد ب (٢٣) تلميذ/شعبة، وعلى المعيار العالمي ب (٢١) تلميذ/ شُعبة ،مما يدل على ازدحام التلاميذ بالشعبة الواحدة.

٦-أوضحت الدراسة أن نصيب التلاميذ من المدرسة بلغ معدلها في منطقة الدراسة (٥٦٥) تلميذ/ مدرسة وهو معدل مرتفع عن مستوى المعيار المحلي المحدد ب (٣٦٠) تلميذ/مدرسة مما يشير الى زيادة فترات الدوام الدراسي.

٧- بينت الدراسة أن حصة المعلم الواحد من التلاميذ بلغ معدلها (١٧)تلميذ/معلم وهو معدل اقل من المعيار ب (٣) تلميذ مما يدل على عدم وجود النقص في كادر التعليم.

التوصيات

١ – توفير عدد كاف من الابنية المدرسية يمكن أن تساهم في تخفيف الاختناقات والدوام المزدوج.

٣-يجب إعادة النظر في توزيع مواقع المدارس الابتدائية في نواحي وقرى القضاء بما يتناسب والمعايير التخطيطية.

٤- ضرورة تحديد المساحات المخصصة لاستعمال التعليم الابتدائي ضمن مخططات المدينة وحسب حجم السكان في المكان.

٥- ضرورة توفير الخدمات في مدارس التعليم الابتدائي في القضاء من ماء وكهرباء ودورات المياه.

٦ العمل على تطوير الكادر التعليمي عن طريق إقامة دورات وندوات وورش علمية تهدف الى رفع كفاءة المعلمين.

٧-يجب الاهتمام بالوسائل الحديثة في طرق التدريس كالوسائل السمعية والمرئية.

٨ وضع إعداد خطط مستقبلية لاستيعاب الزيادة السنوية من الملتحقين من التلاميذ في هذه المرحلة وزيادة عدد الشعب بالمدارس .

٩ – تخطيط وإنشاء مؤسسة عامة لنقل التلاميذ ممن لم تتوفر لا سرهم وسائل نقل .

المصادر :

ابو شنب ، سهير خليل محمد ،التحليل المكاني للخدمات التعليمية في محافظة رفح ،الجامعة الاسلامية ، كلية الآداب ،قسم الجغرافية ،غزة، ٢٠١٥.

ابو الفتوح ،رضوان ، وآخرون ، المدرس في المدرسة والمجتمع ، المطبعة الفنية الحديثة ،مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ،١٩٧٣ .

ابراهيم ،محمد أحمد ، جامعة ديالى ونشاطها الفكري والثقافي وتأثيرها في محيطها المحلي (١٩٩٩ – ٢٠٠٨) ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، كلية التربية للعلوم الانسانية ، جامعة ديالى ،٢٠١٩ .

البياتي ، فلاح محمود خضير ، العراق تحت الحكم العثماني ، جامعة بابل ، كلية التربية الاساسية ، قسم التاريخ ، المرحلة /٢ ، محاضرة الفصل الثاني ، ٢٠١١.

حسين ، غصون مزهر ، التطورات الاقتصادية والاجتماعية في العراق (١٩٥٨ – ١٩٦٨) ، اطروحة دكتوراه (غير منشورة) ، كلية التربية ، جامعة بغداد ، (٢٠٠٥) .

الحقيل ،سليمان عبدالرحمن ، نظام وسياسة التعليم في المملكة ، مكتبة الملك فهد الوطنية ،الرياض ، ط١٢، ١٩٩٩ .

الخشالي ، ندى جميل مهدي ، الوظيفة التعليمية لمدينة بعقوبة ،رسالة ماجستير (غير منشورة) ، الجامعة المستنصرية ، كلية التربية ، ٢٠٠٤.

درجال ،وسام عبود ،جغرافية التعليم في محافظة ميسان ، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية التربية ، الجامعة المستنصرية ،٢٠٠٣ .

الدليمي، أحمد حسن عواد ،التحليل المكاني للخدمات التعليمية في مدينة الرمادي ،اطروحة دكتوراه (غير منشورة)، الجامعة المستنصرية ، كلية التربية ،٢٠٠٤.

الدليمي ، طه هاشم ، تاريخ لواء ديالى ، بدون سنة نشر .

سرحان ، بسام عبد العزيز ، المعايير التخطيطية في تطوير المدارس (حالة دراسية لمحافظة رام الله والبيرة ، رسالة ماجستير، جامعة النجاح ، نابلس،٢٠٠٢.

طاهر، جمعه طاهر ،التحليل المكاني للخدمات التعليمية في مدينة نابلس ، رسالة ماجستير(غير منشورة) ،جامعة النجاح ، كلية الدراسات العليا ، فلسطين ، ٢٠٠٧.

عبد العال ، أحمد محمد ، جغرافية التنمية (مفاهيم نظرية وأبعاد مكانية ، ملتقى الخامس للجغرافيين العرب في دولة الكويت ، جامعة الكويت ،٢٠٠٨ .

العجمي ،محمد عبدالسلام ، الحارثي ، سعاد فهد ، المدرسة الابتدائية في المملكة العربية السعودية ، مكتبة الرشد ،٢٠٠٥.

العلواني ، نعيم جاسم محمد ، طبيعة الادارة البريطانية في العراق ١٩١٤م – ١٩٢٠م ، جامعة بابل ، كلية التربية للعلوم الانسانية ، قسم التاريخ ، المرحلة/٣ ، محاضرة الكورس الثاني ، ٢٠١٩.

المديرية العامة لتربية ديالى ، الاحصاء والتخطيط التربوي ،الكراس الاحصائي لسنة ٢٠١٨ – ٢٠١٩ .

جمهورية العراق ،المديرية العامة للتربية في محافظة ديالى ،كراس قسم التخطيط والاحصاء السنوي ،٢٠٠٣.

الهوامش:

(١) ندى جميل مهدي الخشالي ، الوظيفة التعليمية لمدينة بعقوبة ،رسالة ماجستير (غير منشورة) ، الجامعة المستنصرية ، كلية التربية ، ٢٠٠٤ ، ص٣٦.

(٢) ندى جميل مهدي الخشالي ، الوظيفة التعليمية لمدينة بعقوبة ، مصدر سابق ، ص٣٧.

(٣) طه هاشم الدليمي ، تاريخ لواء ديالى ، بدون سنة نشر ، ص٦٦.

(٤) طه هاشم الدليمي ، مصدر سابق ، ص٦٨.

(٥) غصون مزهر حسين ، التطورات الاقتصادية والاجتماعية في العراق (١٩٥٨ – ١٩٦٨) ، اطروحة دكتوراه (غير منشورة) ، كلية التربية ، جامعة بغداد ، (٢٠٠٥) ، ص٢٠٦.

(٦) سالم خلف عبيد ، المجتمع الريفي ، دار الكتب للطباعة والنشر ،الموصل ،١٩٩٢ ، ص ١٨٩ – ١٩٠.

(٧) محمد أحمد ابراهيم ، جامعة ديالى ونشاطها الفكري والثقافي وتأثيرها في محيطها المحلي (١٩٩٩ – ٢٠٠٨) ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، كلية التربية للعلوم الانسانية ، جامعة ديالى ،٢٠١٩ ص٣٣.

(٨) جمهورية العراق ،المديرية العامة للتربية في محافظة ديالى ،كراس قسم التخطيط والاحصاء السنوي ،٢٠٠٣.

(٩) غصون مزهر حسين ، مصدر سابق ، ص٢٠٦.

(١٠) المصدر نفسه ، ص٢١٢ – ٢١٣.

(١١) رحيم حسن الشامي ، تطور التعليم في العراق (١٩٦٨ – ١٩٧٩) م ،اطروحة دكتوراه (غير منشورة) ، كلية الآداب ،جامعة الكوفة ،٢٠١٤ ،ص١١٩ – ١١٩.

(١٢)سليمان عبدالرحمن الحقيل ، نظام وسياسة التعليم في المملكة ، مكتبة الملك فهد الوطنية ،الرياض ، ط١٢، ١٩٩٩ ،ص١١٨.

(١٣)وسام عبود درجال ، جغرافية التعليم في محافظة ميسان ، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية التربية ، الجامعة المستنصرية ،٢٠٠٣ ،ص٢٣.

(١٤)رضوان ابو الفتوح ، وآخرون ،المدرس في المدرسة والمجتمع ، المطبعة الفنية الحديثة ،مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ،١٩٧٣،ص٢٥.

(١٥)أحمد محمد عبد العال ، جغرافية التنمية (مفاهيم نظرية وأبعاد مكانية ، ملتقى الخامس للجغرافيين العرب في دولة الكويت ، جامعة الكويت ،٢٠٠٨، ص٢٤.

(١٦)بسام عبد العزيز سرحان ، المعايير التخطيطية في تطوير المدارس (حالة دراسية لمحافظة رام الله والبيرة ، رسالة ماجستير، جامعة النجاح ، نابلس،٢٠٠٢، ص٧٣.

(١٧) طاهر جمعه طاهر ،التحليل المكاني للخدمات التعليمية في مدينة نابلس ، رسالة ماجستير(غير منشورة) ،جامعة النجاح ، كلية الدراسات العليا ، فلسطين ، ٢٠٠٧ ، ص٢٧.

(١٨)سليمان عبدالرحمن الحقيل ، نظام وسياسة التعليم في المملكة ، مصدر سابق ، ص١٢٢.

(١٩)أحمد حسن عواد الدليمي، التحليل المكاني للخدمات التعليمية في مدينة الرمادي ،اطروحة دكتوراه (غير منشورة)، الجامعة المستنصرية ، كلية التربية ،٢٠٠٤، ص١٣٤ .

(٢٠)سهير خليل محمد ابو شنب، التحليل المكاني للخدمات التعليمية في محافظة رفح ،الجامعة الاسلامية ، كلية الآداب ،قسم الجغرافية ،غزة، ٢٠١٥، ص٣٦.

(٢١)محمد عبدالسلام العجمي ، سعاد فهد الحارثي ، المدرسة الابتدائية في المملكة العربية السعودية ، مكتبة الرشد ،٢٠٠٥ .ص٦٦.

دينار صلة نادر للخليفة المعتز بالله

م. لطيف تايه حسون

كلية الاثار/ جامعة القادسية

Lateef.hasson@qu.edu.iq

دينار صلة نادر للخليفة المعتز بالله

م. لطيف تايه حسون

Abstract

Coins are documents that cannot be appealed, It made Islamic coins from the first year of their Arabization, and continued to be issued annually, Islamic coins immortalized important events such as the assumption of caliphs and ministers In addition, we were able to know the cases of economic prosperity and state prosperity or deflation and lack of resources, Some also bear the names of the cities where they were made, Sometimes she bore the names of the ministers or those responsible for the role of minting, In addition to that, he made another type, which is the coins of relevance and occasions that differ from the official money, as it differs with the texts and expressions that he carries, It also struck on certain occasions, especially since some of them carried human or animal images, and they struck to be given to those close to, poets and the poor on special occasions such as the assumption of the caliphs or their governors or the occasions of marriage and circumcision, Among these coins is the golden dinar of the Caliph Al-Mu'tazz Allah, who bears the date (255 AH / 869AD).

المقدمة :

تعد المسكوكات وثائق لا يمكن الطعن بها، فقد ضربت المسكوكات الإسلامية منذ السنة الأولى لتعريبها، واستمر إصدارها سنوياً، وقد خلدت المسكوكات الاسلامية الاحداث المهمة في الدولة مثل تولي الخلفاء وولاة عهودهم، فضلاً عن ذلك امكننا معرفة حالات الرخاء الاقتصادي وازدهار الدولة او الانكماش وشح الموارد، كما حمل بعضها أسماء المدن التي ضربت فيها، واحيانا حملت أسماء الوزراء او القائمين على دور السك، وبالإضافة الى ذلك ضرب نوع اخر وهي مسكوكات الصلة والمناسبات تختلف عن النقود الرسمية بانها تختلف بالنصوص والعبارات التي تحملها، كما تضرب في مناسبات معينة لاسيما وان بعضها حمل صوراً أدمية او حيوانية وهي تضرب ليتم وصل بها المقربين والشعراء والفقراء بمناسبات خاصة مثل تولية الخلفاء او ولاة عهودهم او مناسبات الزواج والختان، ومن هذه المسكوكات الدينار الذهبي للخليفة المعتز بالله والذي يحمل تاريخ (٢٥٥هـ/٨٦٩م).

الخليفة المعتز بالله

يُعد الخليفة المعتز بالله الخلفية العباسي الحادي عشر، هو أبو عبد الله بن الخليفة المتوكل بن الخليفة المعتصم بالله [١] ، وأمه رومية تسمى قبيحة زوجة الخليفة المتوكل على الله، واختلف المؤرخون في اسمه فمنهم من يسميه محمد وآخرون يرون إن اسمه الزبير[٢]، لكنهم ذكروا صفاته فكان ابيضاً، اسود الشعر، حسن الوجه والعينين، حسن الجسم طويلاً[٣]، ولد في مدينة سامراء سنة (٢٣١هـ/٨٤٧م) تولى الخلافة بعد عزل الخليفة المستعين بالله سنة (٢٥٥٢هـ/٨٦٦م)، تولى الخلافة وعمره تسع عشرة سنة[٤].

ويذكر ان الخليفة المعتز عمل ولياً للعهد في عهد الخليفة المتوكل على الله لكن الخليفة المنتصر بالله عزله من ولاية العهد بتأثير من القادة الترك، وبعد تولي المستعين وكره الأتراك له وقرارهم بإجباره بالتنازل عن الخلافة، وقع الاختيار على المعتز بالله بتولي الخلافة[٥].

وبعد حصاره لمدينة بغداد وقضاءه على الخليفة المستعين تولى الخلافة، فعمل على عزل أخيه المؤيد من ولاية العهد[٦]، ويظهر من خلال الروايات التاريخية إن الخليفة المعتز عمل للقضاء على القادة الأتراك وتصفيتهم، وتطهير الدولة العباسية من تسلطهم، وفعلاً تمكن الخليفة من القضاء على وصيف وقتل بغا احد القادة الأتراك في سامراء وحرقه لجثته ومصادرة أمواله، هذه الاعمال أثارت غضب الأتراك بعد معرفتهم نوايا الخليفة بالحد من نفوذهم والقضاء عليهم[٧].

شجع الخليفة المعتز الخلاف الذي نشب بين الفرق التي تسكن سامراء مثل الأتراك والمغاربة والشاكرية والغوغاء، وفعلاً تمكن من ذلك لكن سرعان ما انقلبت الأمور ضد الخليفة[٨]، فسوء الأوضاع السياسية وظهور بعض الثوار والمعارضين للخلافة العباسية وضعت الخليفة العباسي المعتز بالله أمام اختبار صعب، فضلاً عن ذلك توحد الشعور لدى الفرق التي تسكن من سامراء وشعورهم بالخطر ونمو الفكر العربي عند هذا الخليفة الشاب جعلهم يعيدون حساباتهم، وفعلاً توحد الفرق التي تقطن سامراء من الأتراك والمغاربة، وعدو العدة للقضاء على الخليفة وتنصيب شخص آخر محلة يكون أكثر طاعة لهم[٩].

ومن الأمور التي أدت إلى ضعف الخلافة العباسية هي تردي الأوضاع السياسية وانشغال القادة في تثبيت مراكزهم ونشوب الخلافات بين العساكر، فضلاً عن ذلك حاجة الخليفة إلى الأموال لإكمال ما خطط له، لكن ضعف واردات الدولة من الأموال بسبب تردي الزراعة وتدهور التجارة ، كل هذه الأمور حدت من إمكانيات الخليفة ووضعته تحت رحمة القادة الترك مرة أخرى، وانتهت الأمور بالقضاء على هذا الخليفة وقتلة بطريقة بشعة [١٠].

ونترك الجانب التاريخي ونتناول جانب المسكوكات ، وكما هو معروف إن العرب تعاملوا بالمسكوكات قبل الإسلام ، وكانت على نوعين أولهما الدنانير الذهبية البيزنطية وكانت نصوصها كما يلي مركز الوجه: صورة الملك البيزنطي هرقل لوحده أو على جانبية ولديه هرقليوناس وقسطنطين وقد

امسك كلاً منهما صليباً وفوقه صليب اصغر حجماً، إما مركز الظهر فقد حمل الصليب قائماً على مدرجات أربعة، تحيط به عبارات دعائية، ونصوص تذكر مكان السك بالحروف اللاتينية[١١].

إما الدراهم السائدة عند العرب قبل الإسلام فكانت الدراهم الفضية الساسانية والتي هي عبارة قطعة معدنية من الفضة نقش على احد وجهيها صورة جانبية لرأس الملك الساساني، في حين حمل الظهر دكة النار المجوسية ويقف على جانبيها حارسان مدججان بالسلاح لإيقاد النار[١٢]، وكانت على نوعين أولهما السود الوافية (البغلية) والنوع الآخر الدراهم الطبرية (العتق)[١٣]، فضلاً عن ذلك كانت هناك دراهم يمنية وقد أقر الرسول (ص) التعامل بهذه النقود مع إجراء بعض التغييرات على أوزان بعض الدراهم[١٤].

وفي عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان (٦٥-٨٦هـ/٦٨٥-٧٠٥م) جرى تعريب المسكوكات وأصبحت تحمل عبارات إسلامية خالصة [١٥]، ففي سنة (٧٧هـ/٦٩٥م) تم تعريب الدنانير الإسلامية وأصبحت نصوصه كما يلي:

لا اله إلا

مركز الوجه : الله وحده

لا شريك له

الطوق : محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله

الله احد الله

مركز الظهر : الصمد لم يلد

ولم يولد

الطوق : بسم الله ضرب هذا الدينر في سنة سبع وسبعين [١٦] .

وفي سنة (٧٨هـ/٦٩٦م) أمر الخليفة عبد الملك بن مروان بتعريب الدراهم الإسلامية وأصبحت خالية من الصور والرمز الساسانية وأصبح وزن الدرهم الإسلامي (٢,٩٧غرام)[١٧]، وضربت الدراهم الإسلامية المعربة في العديد من المدن الإسلامية، لا سيما وان ضربها كان من صلاحية حكام المدن المهمة، إما الدنانير فكانت تضرب في العاصمة وتحت إشراف الخليفة نفسه[١٨]، وكانت نصوص درهم سنة (٧٨هـ) كما يلي:

لا اله إلا

مركز الوجه : الله وحده

لا شريك له

الطوق : محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

الله احد

الله الصمد لم

مركز الظهر : يلد ولم يولد

ولم يكن له

كفواً احد

الطوق : بسم الله ضرب هذا الدرهم بأرمينية سنة ثمان وسبعين [١٩]

استمر إصدار المسكوكات طلية العصر الأموي مع إجراء بعض التغييرات البسيطة عليها، وفي العصر العباسي جرى تغيير على نصوص المسكوكات، إذ حملت الدراهم العباسية الآية الكريمة (قل لا اسئلكم عليه من أجراً إلا المودة في القربى) وهي شعار الدعوة العباسية[٢٠]، وكانت نصوص الدينار العباسي المضروب سنة (١٣٢هـ/٧٤٩م) مكونة من :

لا اله إلا

مركز الوجه : الله وحده

لا شريك له

الطوق : محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله

محمد

مركز الظهر : رسول

الله

الطوق : بسم الله ضرب هذا الدينر سنة اثنين وثلثين وميه [٢١] .

إما نصوص الدراهم العباسية فكما ذكرنا فقد تغيرت بعض نصوصه وأصبحت كما يلي:

لا اله إلا

مركز الوجه : الله وحده

لا شريك له

الطوق : بسم الله ضرب هذا الدرهم بالهاشمية [٢٢] سنة تسع وثلثين وميه

محمد

مركز الظهر : رسول

الله

الطوق : محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون[٢٣].

استمر إصدار المسكوكات الذهبية والفضية طلية العصر العباسي حتى تولي الخليفة المعتز بالله الخلافة، وصدرت الدنانير الذهبية قبل توليه الخلافة فظهرت مجموعة من الدنانير تحمل سنة (٢٥١هـ/٨٦٥ م)، اذ كان الخليفة المعتز حربه ضد المستعين في بغداد فأصدر دنانير ذهبية قبل توليه

الخلافة في شهر محرم من سنة (٢٥٢ هـ / ٨٦٦ م)[٢٤]، وكانت نصوص الدينار الإسلامي في خلافته كما يلي :

لا اله الا

مركز الوجه : الله وحده

لا شريك له

الطوق الأول : بسم الله ضرب هذا الدينر بسر من رأى سنة احدى وخمسين ومايتين

الطوق الثاني : لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله

الله

محمد

مركز الظهر : رسول

الله

المعتز بالله

امير المؤمنين

الطوق : محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون[٢٥].

واستمر اصدار الدنانير حتى السنة الأخيرة من خلافته وكان نصوص دينار سنة (٢٥٣هـ/٨٦٧م) كما يلي:

لا اله الا

مركز الوجه : الله وحده

لا شريك له

الطوق الأول : بسم الله ضرب هذا الدينر بسر من رأى سنة اثنين وخمسين ومايتين

الطوق الثاني : لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله

الله

محمد

مركز الظهر : رسول

الله

المعتز بالله

امير المؤمنين

الطوق : محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون[٢٦].

استمر اصدار الدنانير الذهبية على هذا الطراز مع بعض التغيرات الطفيفة[٢٧]، والدينار الذي نحن بصدده يختلف عن الدنانير السابقة ، أذ لا يمكن استخدامه في العملية التجارية سواء في البيع او الشراء كونها من مسكوكات الصلة والمناسبات كما ذكرنا[٢٨]، وتضرب هذه المسكوكات من الذهب او الفضة او تكون نحاسية، لتخلد مناسبة خاصة مثل تولي احد الخلفاء الخلافة او تنصيب ولياً للعهد او زواج احدهم او ختان اولادهم وكثيراً منها حمل عبارات وادعية او تنقش عليها صور ادمية او صور حيوانات او طيور او مشاهد أخرى[٢٩]، وتتميز هذه المسكوكات بعدم التزامها بالوزن الشرعي للدينار والدرهم كونها ضربت لوصل المقربين منهم او الشعراء والفقراء او احياناً تنثر في الهواء[٣٠]، فضلاً عن ذلك فقد حمل بعضها نصوصاً تتضمن عبارات دعائية للخليفة او ابيات شعرية، فضلاً عن أسماء الخلفاء والقابهم وأسماء ولاة عهدهم، وعلى الرغم من الأهمية الاثارية والتاريخية لهذه المسكوكات، الا انها تعتبر مدرسة مهمة من مدارس التصوير الاسلامي، كذلك عاصرت تطور الخط العربي في مراحله المختلفة[٣١].

اما الدينار الذي نحن بصدده فظهر في احد المزادات العالمية في لندن[٣٢]، والدينار يحمل تاريخ سنة (٢٥٥هـ) وهي السنة الأخيرة من خلافة الخليفة المعتز بالله اذ يذكر المؤرخون ان الجنود الاتراك في هذه السنة ثاروا على الخليفة وطالبوه بالأموال لكن الخليفة لم يجد طريقة لتحقيق مطالبهم، مما حدا بهم الى اجباره على التنازل عن الخلافة وقتله بعد أيام قليلة[٣٣].

والدينار هذا مضروب من الذهب وحمل تاريخ (٢٥٥هـ) كما ذكرنا، وكانت نصوصه كما يلي:

مركز الوجه : صورة طير بري في وضعية المشي

الطوق : المعتز بالله امير المؤمنين نصرة الله

مركز الظهر : صورة ارنب في وضعية الركض وهو يقضم عنقود من الثمار

الطوق :سنة خمس وخمسين ومايتين [٣٤]

ويظهر على وجه الدينار طائر بري نفذ بوضعية المسير، وله منقار طويل وعرف يصل لمنتصف ظهره، وجناحاه وذيله قصيران، وبعد البحث عن هذا الطائر في كتب الفن الإسلامي والمخطوطات المصورة، ظهر ما يماثله على احد الرسوم الجدارية في مدينة سامراء[٣٥]، وتبين انه طائر الدراج الذي كان منتشراً في رسوم سامراء الجدارية[٣٦].

اما ظهر الدينار فقد نقش عليه صورة ارنب بوضعية الجري وهو يقضم ثمار عنقود من ثمار الأشجار، ويظهر رأس الارنب بشكل كروي واذنين طويلتين ورفيعتين وجسم رشيق وهذا النوع من الارانب البرية الذي يسمى (Hare) وهو بري سريع الركض بالمقارنة مع الارانب الأخرى وظهر ما يماثله على احدى الدراهم الفضية التي تعود الى عهد الخليفة المقتدر بالله[٣٧]، اما العنقود الذي نقش في المسكوكة فكما هو معروف فأن الارانب البرية تعتمد في غذائها على الحشائش والاعشاب وثمار بعض الأشجار مثل شجرة التوت، وهي تمتاز بأمعائها الغليظة التي تساعدها على هضم الالياف الموجودة في

الحشائش[٣٨]، ويظهر هذا الارنب وهو يقضم عنقود من ثمار التوت التي كثيراً ما تعتمد عليه الارانب في غذائها.

وقبل ان نختم كلامنا لا بد لنا ان نرجح المناسبة التي خلدتها هذه المسكوكة، فيبدو انها ضربت لتخلد احدى رحلات الصيد التي كان كثيراً ما يقوم بها الخلفاء العباسيين، اذ يذكر المؤرخون ان الخلفاء العباسيين كانوا مولعين برحلات الصيد البرية لترويح عن انفسهم والتسلية[٣٩].

ويمكن ان نظيف سبباً اخر لسك هذا الدينار هو ما ترويه كتب التاريخ من استيلاء يعقوب بن الليث الصفار على مدينة كرمان[٤٠]، سنة (٢٥٥هـ/٨٦٩م)، بعد عجز الطاهرين من حكمها واستيلاء طوق بن مغامس عليها فبعث علي بن الحسين والي بلاد فارس يعقوب بن الليث الصفار لكرمان ايضاً ليوقع بينهما وينفرد بهم، وبعد شهرين تمكن يعقوب بن الليث الصفار من دخول كرمان وقضاءه على طوق بن مغامس بعد انهماكه بالشرب واللهو[٤١]، وتذكر المصادر ان يعقوب بن الليث بعث الى الخليفة المعتز بالله مجموعة من الهدايا من الدواب والطيور البرية والمسك وهدايا أخرى بمناسبة دخوله لكرمان[٤٢]، ولا يستبعد الباحث ان تكون هذه المسكوكة هي من ضمن الهدايا التي اهديت للخليفة او ان الخليفة المعتز امر بضربها بعد اعجابه بالهدايا التي أرسلت اليه.

وختاماً فقد ذكرت المصادر التاريخية ان سبب عزل الخليفة هو عجزه عن سداد المبالغ التي طالب بها القادة الاتراك وشح والدته بإعطائه خمسين الف دينار، ونحن لا نميل لهذا الرأي فقد ذكرت المصادر التاريخية ان الخليفة المعتز هو من احدث ركوب الخيل المحلات بالذهب بعد ان كان الخلفاء الذين سبقوه يستخدمون الفضة في تزيين خيولهم[٤٣].

الخلاصة

تناولنا فيما مضى دراسة مختصرة لأحدى مسكوكات الصلة والمناسبات، وبعد تقديمنا لمحة مختصرة عن المسكوكات العربية الإسلامية والنصوص التي حملتها المسكوكات منذ تعريبها على يد الخليفة عبد الملك بن مروان سنة (٧٧هـ) بالنسبة للدينار وسنة (٧٨هـ) بالنسبة للدراهم، فضلاً عن المسكوكات العباسية والتغيرات التي طرأت عليها حتى عهد الخليفة المعتز بالله لغرض اطلاع الباحثين على نصوص المسكوكات الإسلامية ومقارنتها مع نصوص هذه المسكوكة، وتبين ان الخليفة المعتز بالله ضرب الدنانير قبل توليه الخلافة سنة (٥٥١هـ) عندما اعلن حربه على الخليفة المستعين ببغداد، وظهر من خلال البحث ان هذه المسكوكة هي احدى مسكوكات الصلة والمناسبات ، لكن مما يؤسف له عدم ذكر المدينة التي ضربت فيها هذه المسكوكة، على الرغم من ذكرها على المسكوكات الذهبية والفضية التي ضربت في حينها، لكن كونها ضربت لغرض الصلة فلم يذكر اسم المدينة، فضلاً عن ذلك فهي تميزت باختلاف النصوص التي حملتها وكانت مغايرة للنصوص السائدة على المسكوكات، فضلاً عن حملها لصور الطيور والحيوانات، ورجحنا سبب ضربها قد يكون تخليداً لأحدى رحلات الصيد التي كثيراً

ما كان الخلفاء الامويين والعباسيين يقوم بها، او تكون ضربت تخليداً لانتصار احد القادة وهو يعقوب بن الليث الصفار على طوق بن مغامس الذي تسلط على مدينة كرمان، وارساله للخليفة مجموعة من الهدايا الثمينة التي لا نستبعد ان يكون من ضمنها نقود صلة، ونترك الباب مفتوحاً لما تكشف عنة التنقيبات الاثرية او الكتابات التاريخية في قادم الزمن لكشف المناسبة التي ضربت بها هذه المسكوكة.

المصادر والمراجع

١. ابن الأثير، أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، تحقيق محمد يوسف الدقاق، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٧.
٢. ابن الجوزي، أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت٥٩٧م)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، بدون تاريخ.
٣. ابن الساعي، علي بن أنجب (ت٦٧٤هـ)، مختصر أخبار الخلفاء، مصر، المطبعة الاميرية ببولاق ١٣٠٩هـ.
٤. ابن سلام، أبي عبيد القاسم (ت٢٢٤هـ)، كتاب الأموال، القاهرة، دار الشروق، ١٩٨٩.
٥. ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، بيروت، دار المعارف،١٩٩١م.
٦. أبي الفدا، عماد الدين إسماعيل (ت٧٣٢هـ)، المختصر في أخبار البشر، مصر، المطبعة الحسينية، الطبعة الحجرية، بدون تاريخ.
٧. بروكلمان، كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٦٨.
٨. البكري، مهاب درويش،" شعار الدعوة العباسية على النقود المضروبة في إيران"، مجلة المسكوكات، بغداد، الهيئة العامة للآثار والتراث، المجلد٢٤، ١٩٦٨.
٩. البلاذري، أبو الحسن احمد بن يحيى، فتوح البلدان، القاهرة، ١٩٢٣.
١٠. الجيار، عماد، تربية الارنب، غزة، مركز العمل التنموي، ٢٠٠٩.
١١. حسون، لطيف تايه، نقود الصلة والمناسبات الى نهاية العصر العباسي ٦٥٦هـ/١٢٥٨م، رسالة ماجستير (غير منشورة) مقدمة الى قسم الاثار، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠١٢.
١٢. ـــــ، "نوادر من دراهم الصلة"، مجلة المسكوكات، بغداد، الهيئة العامة للآثار والتراث، العدد١٩، ٢٠١٨.
١٣. حقي، ممدوح، الصيد والطرد عند العرب، بيروت، دار النشر للجامعيين، ١٩٦١.

١٤. حلاق، إحسان، تعريب النقود والدواوين في العصر الأموي، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٩٧٨.
١٥. الحموي، شهاب الدين ابي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (ت٦٢٦هـ)، معجم البلدان، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، بيروت، دار الكتب العلمية، بدون تاريخ.
١٦. الزهراء، موجاري فاطمة، دراسة تأثير كلوريد الالمنيوم على بعض المعايير البولية واوزان أعضاء الارانب المحلية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم، جامعة العربي بن مهيدي ام البواقي، الجزائر، ٢٠١٤.
١٧. السامرائي، رفاه جاسم حمادي، مدرسة سامراء في التصوير العربي الاسلامي، رسالة ماجستير (غير منشورة)، قسم الاثار، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٨٥.
١٨. سلمان، عيسى، "المسكوكات المصورة في مجموعة عبد الله الصراف"، مجلة المسكوكات، بغداد، الهيئة العامة للآثار والتراث، العدد الثاني، ١٩٦٩.
١٩. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ)، تاريخ الخلفاء، بيروت، دار المناهج، ٢٠١٣م.
٢٠. الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٥.
٢١. عبد الرزاق، ناهض، المسكوكات، الكويت، دار السياسة، ١٩٨٢.
٢٢. ـــــــ، المسكوكات وكتابة التاريخ، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٨.
٢٣. العش، أبو الفرج والجندي، عدنان وزهري، بشير، المتحف الوطني بدمشق، دمشق، دار الحياة، ١٩٦٩.
٢٤. العميد، طاهر مظفر، بغداد مدينة المنصور المدورة، النجف، مطبعة النعمان، ١٩٦٧.
٢٥. العيداوي، علي حسين، مسكوكات الخلافة العباسية في العراق من عصر سامراء (٢٢١-٢٧٩هـ)، رسالة ماجستير (غير منشورة)، مقدمة لقسم الاثار، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٩١.
٢٦. محمد، عبد الرحمن فهمي، النقود العربية ماضيها وحاضرها، القاهرة، دار القلم، ١٩٦٤.
٢٧. المسعودي، ابي الحسن علي بن الحسين بن علي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق كمال حسن مرعي، بيروت، المكتبة العصرية، ٢٠٠٥.
٢٨. النقشبندي، ناصر محمود والبكري، مهاب درويش، الدرهم الأموي المعرب، بغداد، منشورات وزارة الإعلام، ١٩٧٤.

(الشكل رقم ١)

(الشكل رقم ٢)

(الشكل رقم ٣)

(الشكل رقم ٤)

(الشكل رقم ٥)

(أ) (ب)

(الشكل رقم ٦)

الهوامش:

١- الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٥م، جـ ٩، ص٣٤٨.

أبي الفدا، عماد الدين إسماعيل (ت٧٣٢هـ)، المختصر في أخبار البشر، مصر، المطبعة الحسينة، الطبعة الحجرية، بدون تاريخ، ص٤٣.

[٢] – ابن الساعي، علي بن أنجب (ت٦٧٤هـ)، مختصر أخبار الخلفاء، مصر، المطبعة الاميرية ببولاق، ١٣٠٩هـ، ص٦٨.

السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ)، تاريخ الخلفاء، بيروت، دار المناهج، ٢٠١٣م، ص٥٥٧.

[٣] – ابن الأثير، أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، تحقيق محمد يوسف الدقاق، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٧م، جـ٦، ص٢٠٠.

[٤] – ابن الجوزي، أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت٥٩٧م)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، بدون تاريخ، جـ١٢، ص٥٥.

[٥]– ابن الساعي، المصدر السابق، ص ٦٨.

[٦] – ابن الجوزي، المصدر السابق، جـ١٢، ص٥٥.

[٧] – ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، بيروت، دار المعارف،١٩٩١م، جـ١١، ص١٢–١٤.

[٨] – الطبري، المصدر السابق، جـ٩، ص٣٩٦.

[٩] – بروكلمان، كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٦٨، ص ٢١٤.

[١٠] – بروكلمان، المصدر السابق، ص ١٤.

[١١] – عبد الرزاق، ناهض، المسكوكات، الكويت، دار السياسة،١٩٨٢، ص٣١.

[١٢] – العش، أبو الفرج والجندي، عدنان وزهري، بشير، المتحف الوطني بدمشق، دمشق، دار الحياة، ١٩٦٩، ص٢٠٧–٢٠٨.

[١٣] – عبد الرزاق، ناهض، المسكوكات وكتابة التاريخ، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٨، ص١٩.

[١٤] – ابن سلام، أبي عبيد القاسم (ت٢٢٤هـ)، كتاب الأموال، القاهرة، دار الشروق، ١٩٨٩، ص٥٢٥.

[١٥] – حلاق، إحسان، تعريب النقود والدواوين في العصر الأموي، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٩٧٨، ص١٣.

[١٦] – رقم الدينار في المتحف العراقي (مس١٣٦١٤) ويزن مثقال واحد (٤,٢٥غرام) انظر (الشكل١).

[١٧] – النقشبندي، ناصر محمود والبكري، مهاب درويش، الدرهم الأموي المعرب، بغداد، منشورات وزارة الإعلام، ١٩٧٤، ص٢٥.

[١٨] – محمد، عبد الرحمن فهمي، النقود العربية ماضيها وحاضرها، القاهرة، دار القلم، ١٩٦٤، ص٤٢–٤٦.

[١٩] – المتحف العراقي (١٢٤٧٢مـس) وزنه (٢،٩٧غرام) وقطره (٢٠ملم) انظر (الشكل٢).

[٢٠] – البكري، مهاب درويش، " شعار الدعوة العباسية على النقود المضروبة في إيران"، مجلة المسكوكات، بغداد، الهيئة العامة للآثار والتراث، المجلد٢٤، ١٩٦٨، ص١٢٠–١٢١.

[٢١] – المتحف العراقي (١٣٦٧٣مس) وزنة (٢١غرام) وقطره (١٩ملم).

[٢٢] – الهاشمية: ورد اسم هذه المدينة في عدة مواضع، لكن أبرزها تلك المدينة التي بناها الخليفة العباسي الأول أبو العباس السفاح وبنى فيه قصراً سماه الهاشمية وانتقل إليها سنة (١٣٤هـ/٧٥١م)، وتوفي فيها سنة (١٣٦هـ/٧٥٣م)، ثم سكنها بعده الخليفة أبو جعفر المنصور لكنه كره السكن فيها. للمزيد ينظر: البلاذري، أبو الحسن احمد بن يحيى، فتوح البلدان، القاهرة، ١٩٢٣، ص٢٨٥. والعميد، طاهر مظفر، بغداد مدينة المنصور المدورة، النجف، مطبعة النعمان، ١٩٦٧، ص١١٤.

[٢٣] – مجموعة خاصة وزنه (٢,٨٧غرام) وقطره (٢٢ملم) (انظر الشكل٣).

[٢٤] – العيداوي، علي حسين، مسكوكات الخلافة العباسية في العراق من عصر سامراء (٢٢١–٢٧٩هـ)، رسالة ماجستير (غير منشورة)، مقدمة لقسم الاثار، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٩١، ص٧٣.

[٢٥] – المتحف العراقي (١٧٨٨٤مس) وزنه (٤،١٥ غرام) وقطره (٢١ملم) عن العيداوي .

[٢٦] – المتحف العراقي (١١٦٢٥مس) وزنه (٤،٢٠غرام) وقطره (٢١ملم) انظر (الشكل٤).

[٢٧] – للمزيد ينظر: العيداوي، المرجع السابق، ص٧٥–٨٦.

[٢٨] – حسون، لطيف تايه، نقود الصلة والمناسبات الى نهاية العصر العباسي٦٥٦هـ/١٢٥٨م، رسالة ماجستير (غير منشورة) مقدمة الى قسم الاثار، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠١٢، ص١١.

[٢٩] – سلمان، عيسى، "المسكوكات المصورة في مجموعة عبد الله الصراف"، مجلة المسكوكات، بغداد، الهيئة العامة للآثار والتراث، العدد الثاني، ١٩٦٩، ص١٩.

[٣٠] – حسون، لطيف تايه، "نوادر من دراهم الصلة" ، مجلة المسكوكات، بغداد، الهيئة العامة للآثار والتراث، العدد١٩، ٢٠١٨، ص١٦٠.

[٣١] – حسون، نقود الصلة والمناسبات، المرجع السابق، ص٢١٤–٢١٦.

١– عرض في مزاد سوثيبيز في معرض ابيكروز فينور في لندن بتاريخ ٢٠١٩/٥/٢.

[٣٣] – ابن الساعي، المصدر السابق، ص٦٩. وابي الفدا، المصدر السابق، جـ٢، ص٤٥–٤٦.

[٣٤] – وزنة (٤,٥غرام) وقطره (٢٢ملم) (انظر الشكل٥).

[٣٥] – انظر (الشكل٦).

[٣٦] – السامرائي، رفاه جاسم حمادي، مدرسة سامراء في التصوير العربي الاسلامي، رسالة ماجستير (غير منشورة)، قسم الاثار، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٨٥، ص٨٢.

[٣٧] – حسون، نقود الصلة والمناسبات، المرجع السابق، ص١٤٩.

[٣٨] – الزهراء، موجاري فاطمة، دراسة تأثير كلوريد الالمنيوم على بعض المعايير البولية واوزان أعضاء الارانب المحلية، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية العلوم، جامعة العربي بن مهيدي ام البواقي، الجزائر، ٢٠١٤، ص١٤–١٥. والجيار، عماد، تربية الارنب، غزة، مركز العمل التنموي، ٢٠٠٩، ص١٧.

[٣٩] – حقي، ممدوح، الصيد والطرد عند العرب، بيروت، دار النشر للجامعيين،١٩٦١، ص٨.

[٤٠] – كرمان: وهي مدينة مشورة وعامرة لها مدن واسعة وقرى كبيرة، تقع بين فارس ومكران وسجستان وخرسان في بلاد فارس. للمزيد ينظر: الحموي ، شهاب الدين ابي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (ت٦٢٦هـ)، معجم البلدان، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، بيروت، دار الكتب العلمية، بدون تاريخ، جـ٤، ص٥١٥–٥١٦.

[٤١] – الطبري، المصدر السابق، جـ٩، ص٣٨٢–٣٨٤. وابن الاثير، المصدر السابق، جـ٦،ص١٩٧.

[٤٢] – الطبري، المصدر السابق، جـ ٩، ص١٩٩. وابن الاثير، المصدر السابق، جـ٦، ص٣٨٦.

[٤٣] – المسعودي، ابي الحسن علي بن الحسين بن علي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق كمال حسن مرعي، بيروت، المكتبة العصرية، ٢٠٠٥، جـ٥، ص٩٠. والسيوطي، المصدر السابق، ص٥٥٧.

الدور العلمي لعلماء مدينة همذان خلال القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي شيرويه بن شهردار الهمذاني (ت٥٠٩ هـ / ١١١٥م) " أنموذجاً "

أ.م.د. لقاء غازي عبد الكريم
كلية التربية الاساسية / الجامعة المستنصرية

الدور العلمي لعلماء مدينة همذان خلال القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي شيرويه بن شهردار الهمذاني (ت٥٠٩ هـ / ١١١٥م) " أنموذجاً "

أ.م.د. لقاء غازي عبد الكريم

الملخص

تعد مدينة همذان من المدن التاريخية القديمة والموغلة بالقدم ، والمليئة بالاحداث السياسية المهمة، فمن خلال بحثنا عن المدينة وتاريخها واهميتها فقد وجدنا انها ترجع بتاريخها الى عصر الامبراطورية الميديه ، واستمرت على امتيازها بكونها مركزاً للسلاطين والاسر والملوك ، وهذا ان دل على شيء فانما يدل على اهميتها الحضارية والتاريخية ومكانتها بين المدن الاخرى. وفضلاً عن تاريخها العريق فقد تميزت بموقعها الجغرافي الستراتيجي فوقوعها على (طريق الحرير) او ما يعرف (بطريق خراسان) او (طريق الحجاج) جعلها محط انظار القوى المتصارعة على السلطة والنفوذ فيما بينها ، ولذلك للحصول على هذه المدينة واستغلال امتيازاتها وخيراتها ، ونتيجة لذلك فقد عانت هذه المدينة الكثير من الويلات والمحن التي ساعدت وبشكل كبير على ان تكون ملجاء للثوار وللحركات المناوئة للخلافة ، وهذا ما سنوضحه من خلال ثنايا البحث. اما فيما يخص موضوع بحثنا فقد سلطنا الضوء وبشكل عام على الاهمية العلمية والدور العلمي والثقافي والحضاري لعلماء مدينة همذان واهمية مؤلفاتهم ونتاجاتهم العلمية التي تناولوا فيها الكثير من العلوم الانسانية والعلوم الصرفة. وقد تميز بحثنا بكونه يختص بدراسة احدى شخصيات البيت العلمي المعروف بهمذان ببيت شيرويه بن شهردار الديلمي الهمذاني، حيث يعد شيرويه من افذاذ العلماء المتقنين للعلم والباحثين عنه والراحلين لطلبه الى الكثير من البلاد، مما جعله قمة من قمم العلم والمعرفة يشد اليه الرحال من كل حدب وصوب للأخذ عنه والتتلمذ بين يديه.

Summary

The city of Hamadan is an ancient historical city and full of old, and full of important political events, through the search for the city and its history and importance, we found that it dates back to the era of the Medieval Empire, and continued to privilege it as a center for the sultans, families and kings, and this, if anything indicates that its importance Cultural and historical status among other cities.In addition to its long history, it was characterized by its strategic geographical location and its location on the (Silk Road) or the so-called (Khorasan Road) or (the road of success) made it the focus of attention of the conflicting powers on power and influence among them, and therefore to obtain this city and the exploitation of its privileges and goods, as a result This city suffered many woes and tribulations that helped greatly to be a refuge for revolutionaries and anti-Caliphate movements, and this is illustrated through the folds of research. As for the subject of our research, we have highlighted in general the importance of scientific and scientific and cultural and cultural role of the scientists of the city of Hamadan and the importance of their literature and scientific outputs, which dealt with a lot of humanities and pure sciences. Our research was distinguished by the fact that it is concerned with the study of one of the personalities of the scientific house known as the House of Shirwayh bin Shahrdar al-Dailami al-Hamdhani, where Shirwayh is one of the most proficient scientists scientists, researchers and departing students to his request to much of the country, making it a top of science and knowledge draws him from all sides and towards To take him up and disciple in his hands.

التمهيد : نبذة عن جغرافية مدينة همذان

تعد مدينة همذان [١] او همدان[٢] من المدن التاريخية القديمة ، حيث يرجع بها التاريخ الى قرون عدة قبل الميلاد ، وقد ذكرت المصادر التاريخية[٣] ان همذان قد ذكرت في الكتابات المسمارية وباللغة الاشورية وذلك في عصر الملك الاشوري تيكلات بلاصر الاول (١١١٥-١١٠٢ق.م)،كما ورد في مصادر[٤] اخرى انها بنيت في عهد الملك الميدي دايكو (٧٠٨ – ٦٥٥ ق.م) اما ما يذكره الحموي [٥] عن بناءها بقوله : " ان اول من بنى همذان هو جم بن نوجهان بن شالخ بن ارفخشت بن سام بن نوح (عليه السلام) وسماها ساور ويعرب فيقال ساروق".

وما ان جاءت الفتوحات العربية الاسلامية حتى عرفت همذان بتسمية اخرى وهي ماه البصره ولعل هذه التسمية جاءت لما كان يحمل من خراج همدان الى البصرة ويعطى كأعطيات لاهل البصرة[٦].

والمهم هنا ان لهذه المدينة تاريخ عريق يمتد بجذوره الى ما قبل الميلاد ، وهذا ان دل على شيء فانما يدل على حضارة وعراقة واهمية هذه المدينة.

اما عن اسماء همذان ، فقد أطلقت عليها العديد من الاسماء خلال العصور التاريخية المتعاقبة فمنها على سبيل المثال لا الحصر اسم (اقباتان) او (اكبتان)[٧] ، وقيل انها عرفت بـ (هكمثانا)[٨] ، في اللغة الاخمينية.

اما في اللغة الميدية فقد عرفت بـ (هانك متانا)[٩] ، وعرفت عند اليونان بـ (اكباتانا همذان)[١٠] ، ووردت عند المؤرخين امثال هيرودوتس باسم (اكتبانا)[١١] وتعني محل او مكان للتجمع او مكان لبيع البضائع في مفترق الطرق[١٢].

اما عن موقع المدينة وحدودها ، فقد صنفت وحدد موقعها ضمن خطي الطول (٧٣ درجة) والعرض (٣٦ درجة) ، اي في اواخر الاقليم الرابع[١٣] ، وعرفت همذان كما ذكرها القزويني[١٤] بكونها احدى المدن المشهورة غرب أقليم الجبال [١٥].

ويرى ابو الفداء[١٦] ان همذان تحدها من الجانب الغربي مدينة الدينور[١٧] ، ويحدها من الشمال مدينة نهاوند[١٨].

ومن الشرق قوميسيسن ومن الجنوب تحدها بروجرد [١٩] وقد وصفها حوقل[٢٠] بقوله " همذان مدينة كبيرة مقدارها فرسخ[٢١] في مثله ، محدثة اسلامية ، ولها سور وربض وللمدينة اربعة ابواب حديد وبنائهم من طين" ، وقد تكاتفت العديد من العوامل التي ساعدت على منح هذه المدينة الاهمية التاريخية ، والاقتصادية والاستراتيجية فقد وصفها العديد من المؤرخين بقولهم[٢٢] " تميزت همذان بكثرة امطارها وثلوجها ، ولكونها تقع في غربي اقليم الجبال ، ففيها الكثير من العيون والانهار والينابيع ولكن انهارها

صغيرة وقصيرة ولا تجري السفن فيها لان المنطقة جبلية يغلب عليها الجبال ، وعلى الرغم من كونها صغيرة وقصيرة الا انها دائمة الجريان طوال السنة ، وهو مصدراً رئيسياً للشرب وللزراعة".

وقد احتوت المدينة كغيرها من المدن على عدداً من المدن الكور[٢٣] والنواحي[٢٤] حيث كان أهمها مدينة اسد اباد[٢٥] ، كما احتوت على الجبال المهمة أمثال جبل الوند[٢٦].

المبحث الاول: نبذة عن الجانب السياسي والعلمي لمدينة همذان منذ الفتح العربي الاسلامي حتى نهاية القرن السادس الهجري

ما ان بدأت الفتوحات العربية الاسلامية لبلاد المشرق حتى كان لمدينة همذان نصيب منها ، فبعد ان وقعت احداث معركة نهاوند[٢٧] سنة (٢١هـ / ٦٤١م) او ما تعرف بمعركة (فتح الفتوح) ، حتى دخل العرب المسلمين الى بلاد المشرق حيث كانت مدينة همدان تابعة للدولة الساسانية انذاك [٢٨] ، وقد واجهت المدينة وسكانها العرب المسلمون مواجهة عدائية ورافضة للتواجد العربي فيها ، فقد شاركت بجيش قوامه عشرة الالف مقاتل وقف الى جانب المدن الساسانية ضد المسلمين [٢٩]، الا ان العرب تمكنوا من المدينة ودخلوها قرابة سنة (٢٢هـ/٦٤٢م) بعد ان فر أليها اعداد كبيرة من الجيش الساساني المهزوم امام العرب المسلمين فواصل العرب اللحاق بهم وتكبيدهم خسائر كبيرة وفتح المدينة.[٣٠] ، دخلت مدينة همذان واهلها الاسلام الا انها سرعان ما نقضت عهدها وصلحها مع العرب المسلمين ، فارسل اليها الخليفة عمر بن الخطاب (رض الله عنه) ، القائد نعيم بن مقرن [٣١] ، على رأس جيشاً قوامه اثنا عشر الفاً من جند لواء الكوفه ، فدخل المدينة سنة (٢٢هـ / ٦٤٢م) وهو الفتح الفعلي لمدينة همذان[٣٢] ، واصبحت همذان بذلك جزءاً من الدولة العربية الاسلامية ، وتابعاً للعراق ادارياً خلال فترة الخلافة الراشدة ، ثم انفصلت عنه وعين لها عاملاً تابعاً لوالي العراق[٣٣].

وما ان حل عصر الخلافة الاموية (٤١-١٣٢هـ/ ٦٦١ – ٧٥٠م) حتى شهدت مناطق غرب أقليم الجبال عامة ومدينة همذان خاصة ظهور الكثير من الحركات المعارضة والمناوئه للخلافة الاموية آنذاك ، فقد كان للموقع الجغرافية دوراً كبيراً في استقطاب الكثير من هذه الحركات التي وجدت في هذه المدن ضالتها امثال حركة المختار الثقفي[٣٤] (٦٦هـ /٩٨٧م) ، كذلك حركة مطرف بن المغيرة[٣٥] ، سنة (٧٧هـ – ٦٩٦م) ، وكان لمدينة همذان مشاركة كبيرة في الحركة الاخيرة والسبب في ذلك هو لتعسف الولاه ضد اهالي المدينة [٣٦]، وقد ساهم الاكراد من سكان همذان مساهمة فعلية واستمر الحال لمنطقة غرب اقليم الجبال باستقطاب هذه الحركات وخاصة في عهد الخليفة مروان بن محمد وهو اخر الخلفاء بني امية (١٢٥-١٢٣هـ / ٧٤٣-٧٥٠م)[٣٧] ، وبحلول العصر العباسي (١٣٢-٢٤٧هـ / ٧٥٠-٨٦١م) لم يتغير من احوال مدينة همذان شيئاً فقد استمرت ملاذ للحركات المناوئة للخلافة العباسية التي وجدت فيها الناصر لها فقد اشارت الروايات التاريخية [٣٨] الى مساندة اهالي همذان ومشاركتهم لهذه

الحركات ضد الخلافة العباسية امثال حركة سنباذ [٣٩] ، حركة بابك الخرمي [٤٠] ، الذي دخل بمعارك كبيرة مع جيش الخلافة الى ان تمكنت الاخيرة من القضاء عليه [٤١]، وقد عانت همذان كغيرها من مدن الاقليم من التعسف والظلم والجور ، وقد ساعد ضعف وتدهور الخلافة العباسية الى الدخول بمشاكل كبيرة مع النفوذ التركي.

الذي بسط نفوذه وسيطرته منذ عام (٢٤٧-٣٣٤هـ/٨٦١-٩٤٦م) فساعد هذا التدهور على انفصال البلاد البعيدة عن نفوذ الخلافة كما هو الحال بانفصال غرب اقليم الجبال وقيام الامارة الزيارية[٤٢] (٣١٦-٤٣٣هـ/٩٢٨-١٠٤١م) التي اسسها مرداويج بن زيار الديلمي حيث اصبحت منطقة غرب اقليم الجبال تابعة له وتحت نفوذه وسطوته [٤٣].

وعانت همذان خلال فترة الحكم البويهي (٣٣٤-٤٤٧هـ / ٩٤٥-١٠٥٩م) فما ان حل البويهين حتى اصبحت همذان حلبه للصراع بينهم وبين السامانيين وقد برزت همذان وسكانها في عصر السلطان السلجوقي طغرل بيك[٤٤] ، (٤٢٩-٤٥٥هـ/١٠٣٧-١٠٦٣م) بدورها المتميز بالوقوف الى جانبه ضد الحركات المناوئة والمعارضة لحكمة التي ظهرت في مناطق غرب اقليم الجبال[٤٥] ، وما ان حلت الدولة الخوارزمية[٤٦] (٥٩٠-٦١٧هـ/١١٩٥-١٢٢٠م) حتى عانت المنطقة من الكثير من المأسي والمشاكل على يد الخوارزميين الى ان تمكن الخليفة الناصر لدين الله (٥٧٥-٦٢٢هـ/١١٧٩-١٢٢٥م) من بسط نفوذه على المدينة الا انها ما لبثت ان تغيرت الاوضاع لصالح الخوارزميين وعانت المدينة معاناة كبيرة من الطرفين الخوارزمي والعباسي على حداً سواء ، فقد كانت للمناوئات والاضطرابات بين الطرفين ما يكبد المدينة واهلها خسائر كبيرة وبقيت المدينة تحت سطوة الخوارزمين وباءت محاولات الخليفة العباسي بالفشل بضمها تحت لواءه وبقيت همذان ومدن اقليم غرب الجبال تحت سيطرة خوارزم شاه علاء الدين تكش[٤٧] الى ان توفي سنة (٥٩٦هـ/١٢٠١م)[٤٨].

الدور الثقافي والعلمي لعلماء مدينة همذان خلال القرن السادس الهجري :

برزت مدينة همذان بشكل كبير وملحوظ وعلى جميع الاصعدة السياسية منها والاقتصادية والاجتماعية والثقافية خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، حيث كان لها صدى واسع في مجال العلوم كافة ، وقد نالت شهرة واسعة بين البلاد الاسلامية فكان يشد اليها الرحال من جميع الاصقاع حتى بلغت مرتبة عالية ومكانة علمية مرموقة ، وقد اشار الى ذلك البلداني ابن حوقل[٤٩] بقوله : " فيهم ادب وفضل ومروءة ".

وقد ساعد على ازدهارها من الناحية العلمية الكثير من العوامل والمؤثرات المباشرة وغير المباشرة ، فأنتشار الاسلام ، ودخول اهل همذان فيه ساعد على اهتمامهم وبشكل كبير وكغيرهم من المدن المشرقية بالعلوم الدينية ودابوا على تأليف الكثير من المصنفات في شتى مجالات العلوم الدينية التي ذاع صيتها

وصيت مؤلفيها وجذب انظار طلاب العلم اليها، فقد برز العديد من علماء همذان في علم التفسير والقراءات وعلى سبيل المثال لاالحصر : ابي القاسم الهمذاني الحسن بن الفتح (ت: ٥٠٠هـ/ ١١٠٦م) حيث كان عالماً بالتفسير وله الكثير من المؤلفات امثال كتاب " البديع عن غوامض القرآن" [٥٠] ، كما كان لعلماء همذان في علم الحديث دوراً كبيراً في دراسته ونقله والبحث والتنقل لجمعه والتأليف فيه وفي مقدمتهم على سبيل المثال المحدث ابو الفتح محمد بن محمد الطائي الهمذاني (ت:٥٥٥هـ/١١٦٠م) حيث حدث عن الكثير من الشيوخ وتتلمذ على يده الكثير من طلاب العلم ، وأملى قرابة ٤٠ حديثاً من مسموعاته عن ٤٠ شيخاً وله العديد من المصنفات منها كتاب " الاربعين في ارشاد السائرين الى منازل المتقين" [٥١].

كما كان لعلماء همذان في علم الفقه عنوان فقد برز عدد كبيراً منهم في علم الفقه امثال العلامة الفقيه يوسف بن ايوب الهمذاني ، الذي طاف البلاد تفقهاً بالدين وعقد مجالس للوعظ في بغداد سنة (٥١٥هـ/١١٢٠م) في المدرسة النظامية لبغداد . وفي العلوم العربية كاللغة والنحو الأدب والشعر فقد برز عدد كبير ايضاً أمثال : ابن قيلان الهمذاني (ت:٥٧٣هـ/١١٧٧م) الذي يعد من علماء النحو واللغة فيها[٥٢].

وفي مجال التاريخ والجغرافية فقد برع الكثير منهم وفي مقدمتهم شيرويه بن شهردار (ت:٥٠٩هـ /١١١٥م) وهو موضوع بحثنا وله الكثير من المؤلفات سنوردها في ثنايا البحث وكذلك المؤرخ محمد بن عبد الملك الهمذاني (ت: ٥١٢هـ/١١٢٧م) وله كتاب " التاريخ " وكتاب "عيون السير في محاسن البدو والحضر" ، وكتاب " الذيل على تاريخ الطبري " .... وغيرها [٥٣].

اما العلوم العقلية كالطب والفلك فقد كان لهما نصيباً حيث برع في هذا المجال عدداً كبير من اهل همذان امثال ابن قيلان المذكور انفاً برعه في الطب ورحل وجاب البلاد الكثيرة لتعلمه وتعليمه ثم عاد الى همذان لممارسة مهنته الانسانية المهمة[٥٤] .

كما اشتهر علماء همذان بمنح الاجازات العلمية للعلماء وهذا بدوره برز كفاءة علماء المدينة وساعد على استقطاب العديد من طلاب العلم ورجاله لقصدها والتتلمذ على يد علماءها امثال ابي بكر هبة الله الهمذاني (ت:٥٤٢هـ / ١١٤٧م) اجازة الى عبد الخالق النشتيري[٥٥] ، اضف الى ماذكر من اسباب ازدهار العلم في همذان فقد كان الموقع الجغرافي المتميز على مر العصور اثراً واضحاً في ازدهار الجوانب العلمية بشكل خاص ، فوقوعها على طريق خراسان التجاري وطريق الحجاج ساعد في نقل المؤلفات من والى بلاد المسلمين فعلى سبيل المثال ما نقل من مصنفات العالم ابي العلاء الهمذاني (ت:٥٦٩هـ/١١٧٣م) التي نقلت الى خوارزم ، والى الشام، فكان ذلك عاملاً من عوامل التلاقح الفكري والعلمي بين مدينة همذان والمدن الاخرى.

اما الرحلات العلمية فقد كانت لها هي الاخرى اثراً بالغاً وواضحاً على همدان من خلال تجديد العلاقات و الالتقاء بكبار علماء المسلمين والتجاذب الثقافي في الدين والعلم واصوله امثال الامام الحافظ ابي العلاء الحسن بن احمد العطار الهمذاني (ت:٥٦٩هـ/١١٧٣م)

الذي جاب البلاد من بغداد الى اصفهان[٥٦] ، ونيسابور[٥٧] وخراسان[٥٨] ثم عاد الى بلاده همذان[٥٩]اما المؤسسات التعليمية كالمدارس فدورها واضح ومهم جداً في ترسيخ العلم وتثبيت قواعد الاسلام امام كل ما يهدد امن وسلامة المجتمع الاسلامي امثال مدرسة طغرل بن محمد بن ملكشاه، (ت ٥٢٨هـ/١١٣٣م) الذي دفن فيها بعد وفاته[٦٠] ، وكذلك المدرسة الحاجبية التي بنيت قبل سنة (٦٠٠هـ/١٢٠٣م) لابي الفضل العراقي القزويني [٦١] ، والكتاتيب ومنازل العلماء والاربطة والخانقاهات وغيرها من المؤسسات التعليمية التي نالت تشجيع واستحسان السلاطين آنذاك.

المبحث الثاني:السيرة الذاتية للحافظ والمؤرخ شيرويه بن شهر دار الديلمي الهمذاني (ت:٥٠٩هـ / ١١١٥م)

أسمه ونسبه ونسبته :

ورد ذكر اسمه بشيء من الاختلاف ، فبعض المصادر اتفقت على سلسلة نسبه وبعضها الاخر فصل بشكل دقيق في نسبه وغيرها اختصره بشكل ملحوظ ، ونحن بدورنا قمنا بذكرها كما وردت في المصادر التاريخية لكي يتسنى لنا معرفة هذه الشخصية التاريخية المهمة التي تعد مؤسسة لاحدى اهم البيوتات العلمية في مدينة همذان الا وهو بيت شيرويه بن شهردار الهمذاني.

فقد ذكره السمعاني[٦٢] بعد ان ساق اسم شيروية ابو منصور بقوله : " شهردار بن شيرويه بن شهردار بن شيرويه بن فاخره بن خسركان بن استنب بن زينونه بن خسرو الديلمي الهمذاني من اهل همذان) وقد ذكر اسم الجد بشيء من التفصيل تارة او الاختصار تارة اخرى ، فمنها من ذكره بهذا السياق بقولهم (شيرويه[٦٣] بن شهردار بن شيرويه بن فناخسرو[٦٤])[٦٥] ، وبعضها يذكر النسب نفسه باختلاف بسيط بأسم الجد الرابع فيذكره (فناخسره)[٦٦] ، في حين تذكره مصادر تاريخية [٦٧] اخرى ، بقولها : " شيرويه بن شهردار بن شيرويه " وبعضهم ساق نسبه بقوله : " شيرويه بن شهر دار بن شيرويه بن فناخسره بن خسركان " [٦٨] ، وطابقه البعض من المؤرخين بذكر (فناخسرو) [٦٩] وقد ذكره صاحب العقد المذهب[٧٠] بشكل مغاير لما ورد في المصادر التاريخية فقد ذكر نسبه بقوله هو : (سيرويه) اي ذكره بحرف السين بدل الشين ، اما ابن باشا البغدادي[٧١] فقد ساق نسبة على نحواً ولفظاً مغايراً وهو على ما نعتقد قد يكون خطاء وقع فيه النساخون ، او خطاء المصنفين ، فقد ذكره بقوله : " شيرويه بن شهردار بن بشروية ابن فناخسرو ... " ويذكره بكتابه الاخر[٧٢] " شيرويه بن شهردار بن فناخسرو".

اما صاحب الذريعة[٧٣] فذكره بقوله : " شيرويه بن شهردار بن الملك شيرويه بن فناخسرو " وهي اشارة الى جده وهو احد ملوك بلاد فارس ، بينما اكتفى الاخرون بذكر اسمه فقط بقولهم[٧٤] " شيرويه بن شهردار ".

اما ما ساقه الذهبي[٧٥] عند حديثة في ترجمة ابنه ابو منصور فقد كانت ترجمته كاملة للاسم والنسب فذكره بقوله : " شهردار بن شيرويه بن شهردار بن شيرويه بن فناخسرو بن خسركان بن رينويه بن خسرو بن زرود بن ديلم بن الدباس بن لشكري بن راجحي بن كيوس بن عبد الرحمن بن عبد الله ابن صاحب رسول الله (صل الله عليه وآله وسلم) الضحاك بن فيروز الديلمي ".

اما نسبته : فهو ينسب الى همذان كما ورد عند البعض بقولهم (الديلمي الهمذاني)[٧٦] او همدان بقولهم (الدليمي الهمداني)[٧٧].

ولادته :

على الرغم من الاختلاف في نسبه عند اغلب المصادر التاريخية الا انها تتفق في سنة ولادته وهي سنة (٤٤٥هـ / ١٠٥٤م)[٧٨]

كنيته وألقابة :

كنية شيرويه بن شهردار بأبي شجاع وذاع صيته بين الناس بتلك الكنية[٧٩] ، وكما عرف بالهمذاني[٨٠] نسبه الى مدينة همذان كما اسلفنا وعرف بالديلمي [٨١]

حياته الاسرية :

نشأ شيرويه بن شهردار نشأة علمية ودينية ، حيث نشأ في كنف احد الاسر العلمية في مدينة همذان وبيت من بيوتها المعروفه بالعلم والفضل والصلاح ، فذاع صيتهم في الحديث والتاريخ والادب وانحدر منهم العديد من العلماء والمؤرخين الذين كان لهم اثراً واضحاً في المسيرة العلمية في مدينة همذان ، من خلال ما ألفوه من الكتب والمؤلفات العلمية ومن خلال من تتلمذه على يدهم من طلاب العلم حيث اصبحوا فناراً يقصدوه طالب العلم من كافة مدن العالم الاسلامي ، كما كان لهم الرحلة الى جميع المدن الاسلامية لجمع الحديث والاخذ عن كبار المشايخ والمحدثين ،ألفوا واجازوا للعلماء ولطلاب العلم بمؤلفاتهم ومن بين اهم من ظهر من بيت شيروية من اولاده واحفاده واسباطه الذين كان لهم دوراً كبيراً في استكمال المسيرة العلمية لهذا البيت وهم:

شهردار بن شيرويه بن شهردار بن شيرويه (ت : ٥٥٨هـ / ١١٦٣م) :

ويلقب بأبي منصور [٨٢] ، كان مولده في همذان ، سنة (٤٨٣هـ /١٠٩١م)[٨٣] ، تتلمذ على يد والده شيرويه وسار على نهجه واثره في طلبه للحديث وسماعه وكتابته ، كما تتلمذ على يد كبار شيوخ وعلماء عصره الاجلاء في مدينة همذان وخارجها ، كان رجلاً عالماً وعارفاً بالحديث وحافظاً له ، وعارفاً

بالادب لقب بالحافظ [٨٤] ، وذكره ابو سعد السمعاني [٨٥] بقوله : " كان حافظاً ، عارفاً بالحديث ، فهما ، عارفاً بالادب ، ظريفاً ، خفيفاً ، لازماً لمسجده " .

له العديد من التلاميذ الذين تتلمذوا على يده ، رحل الى الكثير من البلاد من بينها اصبهان وزنجان [٨٦] ، ومن اهم مؤلفاته جمع كتاب والده وخرج اسانيده في اربعة مجلدات واطلق عليه اسم (مسند الفردوس) حيث جمعه ورتبه ترتيباً عجيباً وحسناً [٨٧] ، توفي رحمه الله سنة (٥٥٨ هـ / ١١٦٣م)[٨٨]

ابو الغنائم شيرويه بن شهردار بن ابي شجاع (ت: ٥٩٨هـ / ١٢٠١م) :

ولد ابو الغنائم في مدينة همذان سنة (٥١٨ هـ / ١١٢٤م) [٨٩] ،درس على يد والده وهو شهردار بن شيرويه فسمع منه وسار على نهجه [٩٠]، قيل فيه انه رجلاً ثقة، وصحيح السماع،[٩١] ومسند جليل [٩٢] ، تتلمذ بهمذان على يد كبار شيوخ عصره وتتلمذ على يده الكثير ، حدث بالكثير وسمع (مسند ابي يعلى الموصلي)[٩٣] ،كما اجاز للكثير ومنهم ابو الفرج الحراني الحنبلي [٩٤] ، وقيل توفي سنة (٥٩٨هـ / ١٢٠١م)[٩٥] ، وقيل انه توفي سنة (٦٠٠هـ / ١٢٠٣ م) عن عمراً ناهز (٨٢ عاماً) اثنان و ثمانون عاماً .[٩٦]

احمد بن شيرويه بن شهردار بن شيرويه (ت ٦٢٥هـ / ١٢٢٧م) :

هو ابو مسلم ، احمد بن ابي الغنائم شيرويه بن ابي منصور شهردار بن الحافظ أبي شجاع شيرويه بن شهردار[٩٧] ،ولد سنة (٥٤٦هـ /١١٥٢م)[٩٨] ، سار على نهج والده وعرف بأتقانه للحديث فسمع من جده شيرويه بن شهردار ومن والده ومن كبار رجال عصره ومشايخهم [٩٩] ، قيل عنه شيخ ثقة مكثر للحديث [١٠٠]، صحيح السماع[١٠١]، تميز بورعه وعلمه وتقواه ، لقب بـ(شيخ)[١٠٢] توفي عن عمر يناهز تسع وسبعون عاماً فكانت وفاته في شعبان سنة (٦٢٥هـ / ١٢٢٧م)[١٠٣] وعرف بكونه من بيت الحديث والرواية [١٠٤] .

ونكتفي بهذا القدر لان بقية علماء بيت شهردار ليس من ضمن فترة الدراسة.

المبحث الثالث : حياته العلمية

علومه والقابه العلمية :

برز ابو شجاع الهمذاني بالعديد من العلوم والمعارف ونال فضلاً كبيراً ومنزلة عالية بين اقرانه وعلماء عصره ، حيث عرف بالعلم والفضل والصلاح ، كما عرف بانحداره من اسرة علمية مرموقة وعريقة لها ثقلها ومكانتها العلمية والاجتماعية في همذان ، وهذا جانب من ابرز العلوم التي عرف بها شيرويه و ذاع صيته من خلالها.

اولاً : علم الحديث :

وعلم الحديث كما هو معروف يعد من ابرز واهم العلوم الدينية بعد علوم القرآن الكريم ، فهو من اشرف العلوم حيث يعتمد عليه في العديد من الاحكام الشرعية المبنية عليه والمستنبطة منه ، ومن خلاله برزت العديد من العلوم كعلم الرجال وعلم الطبقات والاسانيد وغيرها وقد يتصف من يتقنها بألقاب علمية لها اهميتها في الحياة العلمية ، والمكانة الاجتماعية بين الناس.

وقد عرفت مدينة همذان كغيرها من المدن الاخرى بأزدهار علم الحديث فيها وبرز العديد من العلماء الاجلاء في هذا المجال حيث برعوا في كتابة المؤلفات وتسابقوا في الرحلة لطلبة من كافة انحاء المعمورة للأخذ عن شيوخ الحديث وكبار رجاله وقد اشاد المقدسي [١٠٥] بعلو شأن همذان واهلها في طلب الحديث بقوله : " همذان واجنادها اصحاب الحديث ".

ونتيجة لما برع فيه شيرويه بن شهردار في مجال علم الحديث فقد عرف واشتهر بين علماء عصره بعدد من الالقاب العلمية التي ما ان دلت على شيء فانما تدل على علميته وفضله وصلاحه ومن اهم تلك الالقاب التي عرف بها هو لقب (الحافظ)[١٠٦] حيث وصفه احد الباحثين [١٠٧] بكونه : " من متأخري اهل الحديث المشهورين الموصوفين بالحفظ " ، كما وصف بكونه احد " اعلام الحديث " [١٠٨] ، وكذلك لقب بـ " المحدث الحافظ "[١٠٩] ، كما عرف بـ " المحدث العالم ، الحافظ المؤرخ ". [١١٠]

كما وصفة ابن السمعاني بقوله: " كان حافظاً عارفاً بالحديث فهماً عارفاً بالاداب ظريفاً خفيفاً "[١١١] ، وقيل فيه " حافظ مشهور "[١١٢] ، وعرف كذلك بـ " الحافظ المحدث "[١١٣] ، و " الامام المحدث الحافظ"[١١٤] ولقب بـ " العلامة ".[١١٥]

ثانياً: التاريخ :

برزت همذان كغيرها من المدن بأمتلاكها لعدد من المؤرخين والبلدانيين الذين كان لهم دور كبير ومهم في مجال التاريخ الجغرافية على حد سواء وكان من بين ابرز من ظهر فيها من علماء التاريخ مما ألفوا فيه وأجادوا وكان لهم من المؤلفات ما يشار اليها بالبنان أمثال كتابه " تاريخ همدان وواردیها "[١١٦] ... وغيرها ، كما سنوضح في مؤلفاته لاحقاً وقد عرف بالعديد من الالقاب العلمية حيث قيل فيه (محدث ، حافظ ، مؤرخ) [١١٧] ، وكما وصف بـ " مؤرخ همدان "[١١٨] ، وقيل " مؤرخ من العلماء بالحديث "[١١٩] ، ووصف بـ " المحدث المؤرخ سيد حفاظ زمانه "[١٢٠] ، ومن هذا كله يتبين لنا انه كان رجلاً وعالماً وديناً ورعاً موسوعياً لاتقانه اكثر من علم كالحديث، والادب ، والتاريخ.

كما لقب بـ " محدث همدان "[١٢١] ، و " مفيد همدان ومصنف تاريخها" [١٢٢] ، وقيل " مفيد همدان"[١٢٣] كما لقب بـ " إلكيا " [١٢٤] ، ، وعرف بـ " الشافعي " [١٢٥] ، وهذ اللقب دله دلالة واضحة على مذهبة.

وقيل فيه بأنه " كان من اوعية العلم "[١٢٦] ، وعرف بـ " الحافظ البارع "[١٢٧].

شيوخه واساتذته :

تتلمذ ابو شجاع الديلمي على يد الكثير من شيوخ وعلماء عصره ، حتى قال فيه ابن الصلاح[١٢٨] ، في ذلك " يسئم ذكرهم " بعدما عدد جزءاً منهم ، ولعل ما وصل اليه من منزله علمية كبيرة وما تلقب به من القاب علمية عالية لها اهمية كبيرة في الجانب العلمي لمدينة همذان دليلاً واضحاً وجلياً على ذلك ، فقد ذكر ابن نقطة [١٢٩] وغيره من المؤرخين[١٣٠] : أن ابا شجاع قد تتلمذ وسمع بهمدان على يد كبار المشايخ والعلماء ومنهم على سبل المثال لاالحصر :

ابي الفرج علي بن محمد بن علي بن عبد الحميد الهمذاني الجريري البحلبي (ت: ٤٦٨هـ /١٠٧٦م) .

عرف ابي الفرج بعلمه ونسبه وحسن سيرته فقد كان من بيت الامارة والعلم وكان ثقة وصدوق وقد وثقه شيروية بقوله (ثقة وصدوق) ، حدث بهمدان عن ابي بكر احمد بن لال الفقيه الهمداني بكتاب السنن لأبي داود السحبتاني وكذلك عدد من مؤلفاته ومصنفاته ابن لال الاخرى ، اقام في مدينة بخارى[١٣١] وتوفي فيها وقيل في مدينة بلخ [١٣٢] توفي فيها سنة (٤٦٨هـ/١٠٧٦م) [١٣٣].

ويذكر ابن نقطة [١٣٤]، أنه سمع من اصحاب ابي بكر بن لال الهمداني [١٣٥] ، ومن جماعة من شيوخ الغربة ببغداد وباصبهان[١٣٦] ، وقزوين [١٣٧] ، والجبل ، وذكر انه قدم عليهم اصبهان ، وسمع من جده كتاب التوحيد[١٣٨].

ابو الفضل محمد بن عثمان بن احمد القومساني (ت : ٤٧١هـ / ١٠٧٩م) [١٣٩]:

عرف بابن زيرك وكان قد ولد سنة (٣٩٩هـ / ١٠٠٩م) سمع الكثير وحدث عن الكثير ومن اهمهم والده ، وعمه ابو منصور محمد ، ويوسف بن كج الفقيه ، وسمع منه شيرويه الكثير حيث ذكره بقوله: " اكثرت عنه ، وكان رجلاً ثقة وصدوقاً له شأن كبير وحشمة وكان له دراية في علم التفسير فقيهاً ، ادبياً ، متعبداً" ، توفي رحمه الله في شهر ربيع الاخر من سنة (٤٧١هـ/١٠٧٩م).

ابو الفضل احمد بن عيسى بن عباد الدينوري (ت: ٤٧٨هـ / ١٠٨٦م)[١٤٠]:

عرف ابو الفضل بلقب (ابن الاستاذ) ، حدث عن الكثير واولهم والده ، وعن ابي بكر بن لال ، وعن احمد بن تركان ... وغيرهم ويذكره ابن شيرويه بقوله : سمعت منه بهمذان ، والدينور. عرف بصدقه وفيما يذكر شيرويه انه ولد سنة (٣٨١هـ/٩٩٢م) وتوفي بالدينور سنة (٤٧٨هـ / ١٠٨٦م).

ابو علي الحسن بن الحسين الدينارآباذي (ت: ٤٨٥هـ /١٠٩٣م)[١٤١] :

عرف ابو علي باسم دينار اباذ بلفظ الدينار وهو يعني المثقال ، وأضيف اليه آباذ من قرى همذان تقع بالقرب من آسد اباد ورد الى همذان لعدت مرات ، روى عنه الكثير ومنهم القاضي ابي محمد بن عبد الله بن محمد التميمي الاصبهاني ... وغيره ، قال شيروية سمعت منه بهمذان وبدينار اباذ ، وعرف بكونه شيخ ثقة وصدوقاً ومتديناً، توفي في شهر شعبان من سنة (٤٨٥هـ / ١٠٣٩م).

ابو الفتح عبد وس بن عبد الله بن محمد بن عبدوس الهمداني (ت: ٤٩٠هـ/١٠٩٧م)[١٤٢]:

هو الامام ابو الفتح الروذباري الفارسي ، عرف بكونه اكبر اهل همذان واعلاهم اسناداً ، ولد سنة(٣٩٥هـ/١٠٠٥م) سمع عن الكثير ومن ابرزهم والده وعن محمد بن احمد بن حمدون ، ويذكره شيرويه بقوله " سمعت منه وكان صدوقاً متقناً فاضل ذا حشمة وصيت ، وحسن الخط ، وحلو المنطق "، توفي في جماد الاخر ، سنة (٤٩٠هـ / ١٠٩٧م) بعد ان كف بصره واصم في اخر ايامه.

ابو حامد بن الحسين الفقيه الهمذاني (ت: ٥٩١هـ/١١٩٥م) [١٤٣]:

قال فيه شيرويه : سمعت منه وكان من مشايخ البلد ومفتيه ، وكان احد الائمة الشافعية المهمين ، روى عن ابيه وعن محمد بن عيسى ... وغيرهم ، توفي سنة (٤٩١هـ/١٠٩٨م) في السادس من شهر صفر.

ابو غالب احمد بن محمد بن احمد محمد القارئ الهمداني (ت:٥٠٦هـ/١١١٣م) [١٤٤]:

وهو احد العلماء الاجلاء ، وشيخ العدل المعمر ، ويعد مسند همذان وجد سماعه في اصول المحدثين ، حدث عن ابي سعيد عبد الرحمن بن شبانه ، وغيره ، وحدث عنه كلاً من ابو طاهر السلفي ، وشهردار بن شيرويه ، ويعد من اهل الشهادات واليه التزكيه فيمن يشهد ، توفي سنة (٥٠٦هـ / ١١١٣م).

ابو الفضل محمد بن طاهر بن علي بن احمد المقدسي (ت:٥٠٧هـ/١١١٤م)[١٤٥]:

عرف ابو الفضل بابن القيسراني الشيباني ، العالم الحافظ العابد المحدث الجوال من مدينة همذان ، كان ثقة بالحديث وسمع الكثير وصنف الكثير عرف بتجواله طلباً للعلم فنزل مكة ونيسابور ، ومصر ، وهراة ، ودمشق وغيرها من مؤلفاته كتاب (اسامي) اشتمل عليه الصحيحان ، وكتاب (اطرف سنن النسائي) وكتاب (الافصاح عن المعجم من ايضاح الغامض والمبهم) ، يذكر شيرويه بأنه اكثر من الاخذ عنه ، توفي سنة (٥٠٧هـ /١١١٤ م).

كما سمع من الكثير من الشيوخ كما اسلفنا ولا مجال لنا لذكرهم لاننا نكتفي بذكر اسماءهم والاشاره اليهم وفاءً لجهودهم التي بذلت في خدمة العلم والعلماء ومنهم الشيخ يوسف بن محمد بن يوسف المسئملي ، وشعبان بن الحسين بن فنجويه ، وعبد الحميد الفقاعي ، وغيرهم الكثير[١٤٦] اما في مدينة قزوين كما ذكرهم القزويني[١٤٧] الاستاذ الشافعي بن داود المقرئ سنة (٤٨٠هـ/١٠٨٨م) حيث سمع منه سنن (ابي عبد الله بن ماجه) ، وسمع أبازيد العراقي ابن الخليل بقراءته لهذا التاريخ حديثه عن ابيه ، وكذلك سمع من ابي منصور عبد الباقي العطار ، وابا القاسم البسري[١٤٨] ... وغيرهم.

تلاميذه وطلابه :

امتاز العالم الجليل والمؤرخ والمحدث الفاضل ابي شجاع شيرويه بن شهردار بكثرة طلابه ومحبيه والدارسين على يده والسائرين على نهجة وسيرته ، والمرابطين بمجالسة العلمية سواء كان ذلك في همدان ام في المدن التي رحل وارتحل اليها ، فقد ثبت جدارته وكفاءته وثقته ومصداقيته في علمه مما حذا بالكثير من طلاب العلم لشد الرحال اليه حيث كان ذا قبول وحضور بين مجالسية وشيوخه وتلاميذه فقد تتلمذ على يد كبار الشيوخ والعلماء الافاضل كما مر بنا وأخذ منهم ونهل من نهلهم الصافي وتعلم السير على خطاهم مما جعله محط أعجاب وتقدير بين علماء عصره واشياخهم ولذلك نجد ان اعداد طلابه كبيره ولا مجال لذكرها جميعاً ولكن سوف نقتصر الحديث عن البعض منهم كما اوردهم الذهبي[١٤٩] وهم على سبيل المثال لاالحصر.

ابو عبد الله الحسين بن ابراهيم الجورقاني الهمذاني (ت:٥٤٣هـ/١١٤٩م)[١٥٠] :

سمع ابو عبد الله من الكثير من الشيوخ والعلماء ومن بين ابرزهم كان الشيخ عبد الرحمن بن احمد الدوني ، ويحيى بن احمد الفضائري ، وشيرويه بن شهردار الديلمي وحمد بن نصر ... وغيرهم الكثير صنف كتاب اسماه " الاباطيل " وتوفي سنة (٥٤٣هـ / ١١٤٩م) رحمه الله.

ابو بكر محمد بن موسى بن عثمان الحازمي الهمذاني (ت:٥٨٤هـ / ١١٨٩م)[١٥١] :

عرف ابي بكر المولود سنة (٥٤٨هـ/١١٥٤م) بلقب الحافظ وهو يعد من اهم الالقاب العلمية وله منزلة كبيرة بين علماء عصره.

سمع من الكثير من الاساتذة والعلماء أمثال ابي الوقت السجزي ، وسمع من شهردار بن شيروية الديلمي ، وابي العلاء العطار وغيرهم كان عالماً وفقيهاً وزاهداً وورعاً حافظاً للمتون والاسانيد صنف الكثير في علم الحديث حيث برع فيه واجاد اجاده كبيرة رحل الى الكثير من البلاد منها بغداد حيث ذكره علماءها واشادوا به اشادة كبيرة كونه حافظاً للكثير من الكتب ، ومما قيل فيه قول ابي عبد الله بن النجار مشيداً به كان الحازمي من الائمة الحفاظ العالمين بفقه الحديث ومعانيه ورجاله ، الف كتاب الناسخ والمنسوخ ، وكان رجلاً ثقة وحجه نبيلا كثير التضيف ونشر العلم.

ومن اهم مؤلفاته كتاب (الفيصل في مشتبه النسب) ، (وكتاب ما اتفق لفظة واختلف مسماة ...) وغيرها ، توفي شاباً في شهر جماد الاولى سنة ٥٨٤هـ وله من العمر ست وثلاثون عاماً.

مؤلفاته وآثاره العلمية :

صنف ابي شجاع الهمذاني الكثير من المصنفات والمؤلفات ، وخاصة فيما برز وبرع فيه من علوم كالتاريخ والحديث والادب ، فقد صنف كتاب عرف بـ (طبقات الهمذانين)[١٥٢] ، وله كتاب اخر يسمى بـ (تاريخ همدان)[١٥٣] وورد بحرف الذال بأسم (تاريخ همذان)[١٥٤] ،وكتاب (رياض الانُس لعقلاء الانِس) [١٥٥] ، وكتاب (فردوس الاخبار بمأثور الخطاب)[١٥٦] ، وقيل ان مصنف (كتاب الفردوس) [١٥٧] ووردت اشارة لاحد الباحثين أن (كتابه الفردوس) في الحديث [١٥٨] ،جامع حديثي ، اورد منه حوالي عشرة آلاف حديث، رتبها المؤلف على حروف المعجم ، مجردة من الاسانيد ، ووضع علامات مخرجه بجانبه ، وعدد رمزوه عشرون [١٥٩] ، وقد نسب احد المؤرخين له كتاب (مسند الفردوس)[١٦٠] وهو لأبنه ابو منصور صاحب كتاب (الفردوس وتاريخ همذان)[١٦١] ، وذكر ابن الصلاح[١٦٢] له كتاب (تاريخ همذان و واردیها) ، وله كتاب اخر في (حكايات المنامات)[١٦٣]، وله كتاب (تاريخ الخلفاء) في مجلد واحد[١٦٤] ، وكانت لتصانيفه شهرة كبيرة وواسعة كشهرته ، فقد اشار بها احد المؤرخين بقوله " صنف تصانيف اشتهرت "[١٦٥] ، ولعل من الجدير بالذكر ان لأبنه واخته وحفيده دور كبير في نشر مصنفاته وكذلك لتلاميذه داخل همذان والمدن التي رحلوا اليها ورحل هو اليها في العالم الاسلامي .

فقد رحل ، وسمع ، وجمع الكثير حتى تمكن من تصنيف هذه المصنفات والمؤلفات المهمة حتى قال عنه احد المؤرخين بأنه : " تعب في الجمع "[١٦٦].

آراء المؤرخين فيه :

كان لعلو شأنه وعلمه ومكانته الاجتماعية والعلمية المرموقة بين اقرانه وعلماء عصره وتلامذته وشيوخه فقد وصفه المؤرخون وقالوا فيه الكثير ومنهم ابن منده [١٦٧] مادحاً بقوله " شاب كيس حسن الخلق والخلق ذكي القلب صلب في السنة قليل الكلام".

وقيل انه أتصف بالقناعة بما رزقه الله من ريع املاكه[١٦٨] ، كما ذكر الذهبي [١٦٩] ، كلام تناقله بعض المؤرخين عنه بقوله " هو حسن المعرفة وغيره اتقن منه " ، وقال " متوسط الحفظ وغيره ابرع منه واتقن " ، كما جاء ذكره في تاريخ الاسلام[١٧٠] ، بقوله " متوسط المعرفة ليس بالمتقن "،

اما صاحب شذرات الذهب [١٧١] وصفة قائلاً: " وغيره اتقن منه " كما اشار ابن قاضي شهبه[١٧٢] ان ابن الصلاح ذكره فقال : " كان محدثاً واسع الرحلة حسن الخلق دينياً صلباً في السنة قليل الكلام ".

وهنا نلاحظ ان أغلب المؤرخين نقلوا وصف أبن منده له ، وتناقلها المؤرخون الذين جاءوا بعده اما فيما وصفه الذهبي ، بذلك فقد يكون لعدم ذكره الأسانيد لهذا الكتاب.

وقيل كان له معرفة بالحديث على الرسم[١٧٣].

وفاته :

كانت وفاته (رحمه الله) سنة (٥٠٩هـ/١١١٥م) [١٧٤] وله من العمر اربع وستون عاماً[١٧٥] ، اما الذهبي[١٧٦] فقال انه توفي عن عمر اربع وسبعين عاماً ، وهو مخطأ في هذا التاريخ او الرواية التاريخية ، وقد ذكر هذه السنة ابن باشا البغداد[١٧٧] انها سنه ولادته وهو على ما اعتقد سهواً او خطأ مطبعي بقوله " ولد سنة ٥٠٩هـ تسع وخمسمائة " فقد اورد في كتابه الاخر ان سنة ٥٠٩هـ هي سنة وفاته[١٧٨].

الخاتمة :

وبعد انتهاء رحلة البحث عن شخصية الحافظ شيروية بن شهردار الهمداني توصلنا الى عدداً من الاستنتاجات والمعلومات المهمة والدقيقة لبعض التفاصيل ، حيث كانت دراستنا لمدينة همذان في المبحث الاول من حيث الموقع الجغرافي والمكان والمناخ والناحية التاريخية وجدنا انفسنا نقف امام مدينة مهمة ، ولها تاريخ عريق وقديم على مسرح الاحداث السياسية ، حيث كانت مدينة للملوك والاكاسرة وتاريخها يرجع بالقدم الى ما قبل التاريخ لها حضارة كبيرة وواسعة انطوت تحت لوائها العديد من المدن وتعرضت خلال هذه القرون موضع البحث للعديد من الغزوات والتدمير الا انها سرعان ما تنهض وتعود الى الحياة من جديد.

كما وجدنا انها مدينة تحتوي على خليط اجتماعي وسكاني تتميز به عن باقي المدن الاخرى فقد سكنها من العرب والفرس واليهود والكرد.

اضف الى ذلك وجدنا ان مدينة همذان تمتعت بازدهار كافة العلوم فيها من العلوم الانسانية والدينية الى العلوم العقلية الصرفة ، حيث برز العديد من العلماء الهمذانيين كان لهم الاثر الواضح في المسيرة العلمية للمدينة.

اما عن شخصية البحث وهو الحافظ شيروية بن شهردار فقد كشف البحث باختلاف مصادره التاريخية على اختلاف ذكر اسمه ونسبه الا انها اتفقت على انه من مدينة همذان ولادته واقامته ووفاته ، حيث نشأ نشاه علمية وانحدر من اسرة علمية عرفت وذاع صيتها بين الاوساط الهمذنية بكونها احد البيوتات العلمية في همذان وهي بيت شيروية بن شهردار فقد تميز اغلب افراد اسرته بالعلمية واشتهرت جهودهم في بودقة واحدة لخدمة العلم والعلماء في المدينة وفي خارج المدينة ، وذلك من خلال المؤلفات العلمية في مجال اختصاصهم ورحلاتهم العلمية التي جاءت في خدمة العلم والعلماء والمسيرة العلمية لهم ، وكذلك منحهم للاجازات العلمية عن مؤلفاتهم او ما سمعوه وكذلك حصولهم على الاجازات العلمية من كبار علماء عصرهم.

برز شيرويه بعدد من العلوم في مقدمتها علم الحديث والتايخ والادب مما جعله جدير بتلقيبه بعدد من الالقاب العلمية كالحافظ ومؤرخ همذان .... وغيرها.

من الالقاب العلمية التي ما ان دلت على شي فانما تدل دلالة واضحة على علمية ومكانة شيرويه.

درس وتتلمذ على يد كبار المشايخ والعلماء انذاك داخل بلده وخارجه وتتلمذ على يده العديد من طلاب العلم والباحثين فيه فقد قصده طلاب العلم من الكثير من مدن العالم الاسلامي ينهلوا من علمه الوافر فكانوا مناراً للعلم وحصل العديد منهم على الاجازات العلمية.

الف شيروية العديد من المؤلفات في مجال اختصاصه في الحديث والتاريخ وكان لها شهره واسعة وصداً كبيراً بين مؤلفات اقرانه.

مدحه الكثير من العلماء ووصفوه بالكثير من الاوصاف العلمية التي تدل دلالة واضحه على سعه علمه ومقدرته الفذة ومكانته الاجتماعية المرموقة بين الناس.

واخيراً توفي في همذان سنة (٥٠٩هـ / ١١٥٠ م) رحمه الله واسكنه فسيح جناته.

الهوامش:

(١) همذان: بالهاء والميم المفتوحتين والذال المنقوطة بعدها، والذال معجمة، واخره نون، وهي مدينة تقع في الجبال، ينظر السمعاني: يوسف عبد الكريم بن محمد بن منصور (٥٦٢هـ / ١١٦٦م)، الانساب، تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي، الطبعة الاول مطبعة دار الجنان للطباعة والنشر، (بيروت، لبنان، ١٩٨٨م)، ج٥، ص٦٥٠، ابن الاثير: محمد بن محمد الشيباني (ت: ٦٣٠هـ / ١٣٣٢ م)، اللباب في تهذيب الانساب، بلا . طبعة، مطبعة دار صادر (بيروت، لبنان، بلا. تاريخ)، ج٣،ص٣٩١.

(٢) اختلفت المصادر بذكر كلمة همذان تارة وهمدان تارة اخرى فقد كان لفظ الاسماء يتغير بتغير الزمن، فقد كان الفرس يلفظون حرف (الذال) (ز) مثل كلمة اذربيجان يلفظونها ازربيجان، واحيان اخرى يلفظون حرف (الذال) (دالاً) فيقولون همدان وقد وجدنا ان المصادر الفارسية تجمع على ذكرها للفظة (همدان)، ينظر: الدوسكي: ادريس محمد حسين همدان من الفتح الاسلامي الى سقوطها بيد المغول، (٢٢- ٦١٨) بلا طبعة، مطبعة اتحاد نقابات العمل،(دهوك، ٢٠٠٦م)، ص٣٩.

(٣) اسرافيل: شيرين صور فرش همدان، فرهنك وارشاد اسلامي انسان همدانية جاب (سيدة است) نصران، ١٣٧٥ هـ، ش ٤٩، الهمداني اية الله صابري، تاريخ مفصل همدان، مؤسسة فرهنكي، انتشارات، قم، ١٩٨١ م)، جلد اول . ص ٢٥.

(٤) نهجيري: عبد الحسين، جغرافياي تاريخ اشهررها، وزارت اموزش الاسلامي، ص ٢٩.

(٥) شهاب الدين بن عبد الله الرومي البغدادي (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨م)، معجم البلدان، بلا طبعة، مطبعة دار احياء التراث العربي، (بيروت، ١٩٧٩م)، ج١، ص٤٨٣

(٦) اليعقوبي: احمد ابي يعقوب بن واضح الكتاب (ت ٢٩٢هـ -٩٠٤م) كتاب البلدان، بلا طبعة، مطبعة دار احياء التراث العربي، (بيروت، ١٩٨٨) ص٤١، الدوسكي، همدان من الفتح الاسلامي، ص٤٠.

(٧) بور: حقاق بابك رياحي: مطبعة دائرة المعارف بزك زرين، (تهران،١٣٨٠ هـ)، ج٢، ص١٧٤٦.

(٨) بيات: عزيز الله، كليات حغرافي طبيعي وتاريخي ايران، مؤسسة انتشارات امير كبير (تهران، ١٣١٧هـ)، ص ١٤٠.

(٩) اسرافيل، فرش همدان،ص ٤٩؛ ميرزا: احمد، غربي اقليم الجبال في صدر الاسلام حتى (١٣٢هـ - ٧٤٩م) دراسة في التاريخ السياسي، رسالة ماجستير، كلية الاداب، (جامعة صلاح الدين، اربيل، ١٩٩٥) ص٣٩.

(١٠) كريستنسن: آرثر، ايران في عهد الساسانين، ترجمة يحيى الخشاب، مراجعة عبد الوهاب عزام، بلا طبعة، مطبعة نخبة التأليف والترجمة، (القاهرة، ١٩٥٧م)، ص ٢٩٩.

(١١) بيات، كليات جغرافياي، تاريخ ايران، ص ٤١٠؛ نهجيري: جغرافياي، ص٢٢٧.

(١٢) نهجري، جغرافياي تاريخي شهرها، ص ٢٢٥؛ بيان، كليات جغرافي، ص ٤١١.

(١٣) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص٤١٠.

(١٤) زكريا بن محمد بن محمود (ت: ٦٨٢ هـ - ١٢٨٣ م)، اثار البلاد واخبار العباد، بلا طبعة، مطبعة دار صادر، (بيروت،١٩٦٠) ص٤٨٣.

(١٥) اقليم الجبال: وبلاد الجبال هي التي تسمى عراق العجم كأصبهان والري وما معها من البلاد، ينظر: ابن واصل: محمد بن سالم بن نصر الله ابو عبد الله المازني (ت: ٦٩٧ هـ/١٢٩٨)، مفرج الكروب في اخبار بني ايوب، تحقيق: جمال الدين الشيال، بلا - طبعة، المطبعة الاميرية، نشر دار الكتب والوثائق القومية (القاهرة، ١٩٥٧)، ص ٢ - ص ٥.

(١٦) عماد الدين اسماعيل بن علي (ت:٧٣٢هـ ١٣٣١م)، تقويم البلدان، اعتنى تصحيحه وطبعه رينود والبارون فاك كوكين ديسلان، بلا طبعة، مطبعة دار الطباعة السلطانية، (باريس، ١٨٥٠م)، ص٤١٧

(١٧) الدينور: وهي مدينة من اعمال الجبل تقع بالقرب من مدينة قوميسين، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٥٤٥

(١٨) نهاوند: وهي مدينة تقع جنوب جبال زاكروس فتحها المسلمون سنة (٢١هـ - ٦١٤ م)، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٣١٣.

(١٩) بروجرد: وهي بلدة بالقرب من همدان، طيبة وخصبة كثيرة الانهار والاشجار ويقدر طولها مقدار نصف الفرسخ ارضها تنبت الزعفران، ينظر: القزويني، اثار البلاد واخبار العباد، ج١، ص١٢٣.

(٢٠) ابن حوقل: ابو القاسم النصيبي (ت٣٦٧ هـ - ٩٧٧م)، صورة الارض، بلا - طبعة، بلا - مطبعة، (بيروت، ١٩٧٩)، ص٣٠٨.

(٢١) الفرسخ: يساوي ٣ اميال عربية، والميل العربي = ٤ الالف ذراع وطول الفرسخ يعادل حوالي ٦كم، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٣٥، ص ٣٦؛ هنتس، فالنتر: المكاييل والاوزان وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة كامل العسلي، دليل الاستشراق، منشورات الجامعة الاردنية، المجلد الملحق، الكراس ١.

(٢٢) الاصطخري: ابو اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي (ت بعد ٣٤٦هـ - ٩٥٧ م)، المسالك والممالك، تحقيق: محمد جابر عبد العال، بلا طبعة، وزارة الثقافة والارشاد القومي، (القاهرة، ١٩٦١)، ص٢٠٤، ص٢٠٥)؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٨؛ ص٤٨٣؛ نهجيري، جغرافياى تاريخي شهرها، ص٢٨٨ - ص٢٢٩.

(٢٣) الكور: ومفردها كورة وهي صقع يشتمل على عدة قرى وغالباً ما يكون لتلك القرى قصبه او مدينة او نهر يجمع اسمها مثل كورة خراسان، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٣٦.

(٢٤) الناحية: تعبير قديم وهي اصغر من الكورة.

(٢٥) اسد اباد: وهي من اهم مدن همذان وتقع الجهة الغربية من جبل الوند، تتميز بمناخها المعتدل والماء البارد والجو البارد شتاءً والصيف المعتدل وتعني كلمة اسد اباد باللغة الفارسية (معمرة الاسد)، كما اطلق عليها المقدسي اسم اسد آوباد، وقد اتسعت هذه المدينة بعد الفتوحات العربية الاسلامية وازدحمت بالسكان وبنية فيها القصور والمساجد والاسواق واشتهرت بالكثير من المحاصيل الزراعية، ينظر: ابن رسته: ابو علي احمد بن عمر (ت ٣١٠هـ بعد ٩١٢م)، الاعلاق النفسية، بلا طبعة، مطبعة دار احياء التراث العربي، (بيروت، ١٩٨٨ م)، ص ١٤٧؛ ابن حوقل، صورة الارض، ص٣٠٨؛ ابن الاثير، اللباب في تهذيب الانساب، ج١، ص٥٢، ابو الفداء، تقويم البلدان، ص٤١٧.

(٢٦) جبل الوند او (اروند): وهو من اشهر جبالها حيث يقع جنوب همذان ويصل ارتفاعه الى ٥٦٥٩ قدم او ما يعادل (٣٥٧٣م) ويقع على بعد (١٨كم) من شمال همدان وفيه الكثير من المعادن المهمة مثل الكرافيت والكرانيت.. وغيرها، ويعد من الجبال الخضراء والنزهة، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص١١، ميرزا؛ غربي اقليم الجبال، ص٢٨؛ اسرافيل، فرش همدان، ص ١٠؛ نهجيري، جغرافياى، تاريخي شهرها، ص٢٣٠.

(٢٧) معركة نهاوند: وهي من معارك الحاسمة في التاريخ وقعت احداثها سنة (٢١ هـ / ٦٤١م) في عهد الخليفة عمر بن خطاب (رضي الله عنه) وسميت بفتح الفتوح لان المسلمين حققوا نصراً حاسماً على الجيش الساساني انذك، للمزيد ينظر: الطبري: محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ / ٩٢٢م)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، طبعة (بيروت، ١٩٦٧)، ج٤، ص١٣٨.

(٢٨) البلاذري: ابو الحسن احمد بن يحيى بن جابر البغدادي (ت٢٧٩هـ ٨٩٢م) فتوح البلدان، مراجعة وتعليق، رضوان محمد رضوان، بلا طبعة، بلا، مطبعة (بيروت، ١٩٩١م)، ص٢٥٦.

(٢٩) خليفة بن خياط: ابو عمرو خليفة بن خياط ابن هبير العصفوري (ت،٢٤٠هـ / ٨٥٤ م)، تاريخ خليفة بن خياط، مراجعة مصطفى نجيب خياط وحكمت كشلي فواز، بلا، طبعة، بلا، مطبعة، (بيروت، ١٩٩٥م ص١٨٣؛ ابن اعثم الكوفي: ابو محمد احمد بن عثمان الكندي، (ت: ٣١٤ هـ/ ١٩٢٦م)، كتاب الفتوح، بلا، طبعة، بلا، مطبعة (بيروت، ١٩٨٦م)، ج٢، ص٢٨٦.

(٣٠) ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص١٣٣؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، بلا، طبعة، مطبعة دار بيروت للطباعة والنشر (بيروت،١٩٨٢م) ج٣، ص١٧؛ خطاب، محمود شيت، قادة فتح بلاد فارس (ايران)، بلا طبعة، مطبعة دار الفتح للطباعة، (بيروت، ١٩٦٥م)، ص ١٠٥ – ص١١٢.

(٣١) نعيم بن مقرن: هو نعيم بن مقرن المزني، اخو النعمان كان واخوته من جلة الصحابة وهو من خلف اخاه بعد ان استشهد في معركة نهاوند واخذ الراية ودفعها الى حذيفة ثم كانت فتوح فارس على يده، ينظر: ابن حجر العسقلاني: شهاب الدين ابي الفضل احمد بن علي، (ت: ٨٥٢هـ/١٤٤٨م)، الاصابة في معرفة الصحابة، بلا طبعة، مطبعة مكتبة المثنى، (بغداد، بلا تاريخ)، ج٣، ص١٩٩.

(٣٢) ينظر: الطبري، تاريخ الرسل الملوك، ج٤، ص ١٤٧؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص٣٠٧.

(٣٣) الراوي: ثابت اسماعيل الراوي، العراق في العصر الاموي، الطبعة الثانية، بلا، مطبعة (النجف الاشرف، ١٩٧٥)، ص٢٣

([٣٤]) حركة المختار الثقفي: هو المختار بن ابي عبيد بن مسعود الثقفي، كان والده من جله الصحابة، ولد المختار عام الهجرة قيل في رمضان سنة (٦٧هـ/٦٨٧م) على يد مصعب بن الزبير، ينظر: الكتبي: محمد بن شاكر (ت:٧٦٤هـ / ١٣٦٢م)، فوات الوفيات، تحقيق احسان عباس، الطبعة الاولى، مطبعة دار صادر (بيروت، ١٩٧٤م)، ج٤، ص١٢٣.

([٣٥]) مطرف بن المغيرة: هو مطرف بن المغيرة بن شعبة، رجل ثائر من اتقياء الولاة والاحراء، ولاه الحجاج لنبله وشرفه على المدائن ثار على الحجاج وجمع اصحابه اليه وما ان سمع بأمرهم الحجاج حتى بعث اليهم من يقاتلهم في نواحي اصبهان وقتل سنة (٧٧هـ / ٦٩٦م) قبل ان يستفحل امره، ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص١٠٦، وما بعدها؛ الزركلي، خير الدين (ت: ١٤١٠هـ)، الاعلام، بلا، مطبعة، بلا مطبعة، الناشر دار العلم الملايين، (بيروت، لبنان، ١٩٨٠)، ج٧، ص١٥١.

([٣٦]) ينظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص٤٣٤

([٣٧]) ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٣٠٣؛ ابن الاثير الكامل في التاريخ، ج٣٢٧،٥.

([٣٨]) ينظر: المسعودي، ابو الحسن علي بن الحسين بن علي الشافعي، (ت: ٣٦٤ هـ /٩٥٦م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: مفيد محمد قميحه، بلا طبعة، مطبعة دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٩٨٦م) ج٣، ص٣٥٣؛ حسن: حسن ابراهيم، تاريخ الاسلام السياسي والاجتماعي والاقتصادي، الطبعة السابعة، بلا مطبعة، (القاهرة، ١٩٦٤م)، ج٢، ص٣٢

([٣٩]) سنباذ، هو رجل مجوسي الديانة من اهالي قرية آهن في نيسابور كان من الموالين لأبي مسلم الخراساني، ثار سنة (١٣٧هـ / ٧٥٥م) في خراسان غضبا لمقتل ابي مسلم دخل الكثير من المدن واحتلها مثل نيشابور وقومس والري الا انه قتل بطبرستان واستمرت ثورته قرابة ٧٠ يوماً، ينظر: المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص٢٢٠؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص٤٩٥ – ص٤٩٧؛ الدوري: عبد العزيز، العصر العباسي الاول دراسة في التاريخ السياسي والاداري والمالي، الطبعة اثالثة، مطبعة دار الطليعة للطباعة، (بيروت، ١٩٤٥م)، ص٦٩

([٤٠]) بابك الخرمي: ظهرت حركته في غربي اقليم الجبال سنة(٢٠١ هـ/ ٨١٦م) حيث كان تتبع جاويذان بن سهيل بن صاحب البذ، ادعى انه روح جاوبذان قد دخلت فيه قوى بذلك الكثير من اتباع جاويذان ونال تأييدهم، استمرت حركته فترة طويلة كلفت الخلافة العباسية الكثير من الوقت والجهد والمال أرسل اليها الخلفية المعتصم جيشاً كبيراً لعدة مرات ودخلو معه بمعارك يخرج منها بخسائر الى ان تمكن سنة (٢٢٢هـ/٨٢٧م) من القاء القبض عليه وارساله الى المعتصم حيث امر بقتله سنة(٢٢٣هـ / ٨٢٨م)، اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٣،ص٢٠٠؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص٢٣٣ – ص٢٣٤.

([٤١]) ينظر: الطبري، تاريخ الرسل، والملوك، ج٨، ص٥٥٦؛ كرديزى، ابو سعيد عبد الحي بن ضحاك بن محمود (ت: بعد سنة ٤٤٥هـ)، تاريخ الكرديزى (زين الاخبار)، تصحيح وتحشيه وتعليق، عبد الحي حبيبى، جايخانة ارمغان، (تهران: ١٣٦٣ هـ.ش)، ص١٧٥.

([٤٢]) الامارة الزيارية: وهي الامارة التي انفصلت عن الدولة العباسية حيث اسست سنة (٣١٦-٤٣٣هـ/٩٢٨-١٠٤١م) علي يد مؤسسها مرداويج بن زياد الديلمي وتقع في غربي اقليم الجبال حيث بسطت نفوذ على مدن الري وقزوين واصفهان وغيرها، ينظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص١٩٦؛ حسن، تاريخ الاسلام، ج٣، ص٢٦.

(٤٣) للمزيد ينظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ ج٨، ص١٩٦؛ متز: آدم، الحضارة الاسلامية، ترجمة محمد عبد الهادي ابو ريده، الطبعة الرابعة، بلا مطبعة، (بيروت، ١٩٦٧) ج١، ص٥٠.

(٤٤) طغرل بيك: ابو شجاع محمد بن ميكائيل بن سلجوق اول من دخل من السلاجقة الى بغداد وخراسان والجبال، كما تمكن من دخول خواررزم وفتح مدنه ثم فتح الجرجانية سنة،(٤٣٤هـ/١٠٤٢م) توفي سنة (٤٥٥هـ / ١٠٦٣م)، للمزيد: ينظر: ابن خلكان : ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد (ت: ٦٨١هـ / ١٢٠٨م) ، وفيات الاعيان و ابناء الزمان ، تحقيق احسان عباس، بلا طبعة ، مطبعة دار صادر ، (بيروت ، لبنان ، ١٩٧٧م)، ج٥ ، ص٦٣ .

(٤٥) للمزيد: ينظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٩، ص٦٤٠؛ الراوندي: محمد بن علي بن سليمان (ت بعد ٦٠٧ هـ / ١٢١١م)، راحة الصدور واية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية، نقله للعربية ابراهيم امين الشواري واخرون، راجعه ونشر مقدمته، فؤاد عبد المعنى الصياد، بلا، طبعة، بلا، مطبعة (بلا مكان، ١٩٦٠م)، ص١٧٠.

(٤٦) الدولة الخوارزمية (٤٩٠-٦٢٨هـ/١٠٩٦-١٢٣٠م) يعود نسب هذه الامارة الى خوارز شاه بن نوشتكين واستمرت الامارة الخوازرمية بالحكم حتى تمكن المغول من القضاء عليها وعلى اميرها جلال الدين منكبرتي الذي فر الى مدينة ميافارقين وتوفي فيها سنة (٦٢٨هـ/١٢٣٠م) للمزيد، ينظر: ابن الاثير الكامل في التاريخ، ج٩، ص١٠- ص١١؛ و ج١٠، ص٤٠٦، ص٤١٧.

(٤٧) علاء الدين تكش: وهو ابن ايل ارسلان بن اتسز تولى الامارة بعد صراع طويل مع اخيه سلطان شاه بعد وفاة والده حيث انصرف الى الاهتمام بشؤون الدولة، استولى على مدينة الري و اقليم الجبال وواصل زحفه الى همدان واستولى عليها بالكامل توفي سنة (٥٩٦هـ/١٢٠١م)، للمزيد ينظر، ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج١٢، ص١٠٨ – ص ١٥٣

(٤٨) ينظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ،ج١٢، ص١١٢، ص١٢٥؛ الراوندي، راحة الصدور، ص٣٨٥

(٤٩) صورة الارض، ص٣٠٦

(٥٠) ينظر: الاسنوي: ابو محمد جمال الدين بن الحسن بن عمر الاموي القريشي، (ت:٧٧٢ هـ /١٣٧٠م) طبقات الشافعية، تحقيق: كمال يوسف الحوت، بلا طبعه، مطبة دار الكتب العلمية (بيروت، ١٩٨٧)، ج٢، ص٢٩٩، كحاله: عمر رضا، معجم المؤلفين،بلا طبعة، مطبعة مؤسسة الرسالة، (بيروت، ١٩٩٣م)، ج١، ص٥٧٧.

(٥١) ينظر: الذهبي: شمس الدين ابو عبد الله محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز (ت:٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، سير اعلام النبلاء، تحقيق بشار عواد، يحيى هلال سرحان، الطبعة التاسعة،مطبعة مؤسسة الرسالة (بيروت، ١٩٩٣م)، ج٢٠، ص٣٦٠، ص٣٦١، الزركلي، الاعلام، ج٧، ص٢٤.

(٥٢) السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر (ت: ٩١١هـ / ١٥٠٥م) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنجاة تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، بلا، طبعة، مطبعة عيسى البابي، (مصر، ١٩٦٤)، ج١، ص١٩٧.

(٥٣) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٦٤٨

(٥٤) ينظر: السيوطي، بغية الوعاة، ج١، ص ١٠١

(٥٥) ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢٠، ص١٦٣-ص١٦٤

(٥٦) اصفهان: مدينة عظيمة وجليلة، وواسعة وهي من نواحي الجبل، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١،ص١٦٧

(٥٧) نيشابور: وتعرف بابر شهر، وهي احد ارباع اقليم خراسان لها حدود واسعة ورساتيق عامرة ولها قهندز وربض ومسجد وجامعها في ربضها، ينظر: ابن حوقل، صورة الارض، ص٤٣١

(٥٨) خراسان: هي بلاد واسعة تقع ضمن الاقليم الرابع اداريا الى اربعة ارباع مهمه وهي (مرو وبلخ ونيشابور وهراة)، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٣٥٠؛ الحديثي، قحطان عبد الستار، التواريخ المحلية لأقليم خراسان، بلا طبعة، مطبعة دار الحكمة، (البصرة، ١٩٩٠م)،ص٥٦، ص٥٧

(٥٩) ينظر: ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج٧، ص٧٨–ص٧٩.

(٦٠) البنداري: قوام الدين الفتح بن علي بن محمد الاصفهاني (ت:٦٤٣هـ/١٢٤٥م) تاريخ الدولة ال سلجوق، الطبعة الثانية، مطبعة دار الافاق الجديد، (بيروت، ١٩٧٨م)، ص١٥٩–ص١٦٠.

(٦١) ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج٣، ص٢٥٨؛ معروف: ناجي، علماء النظاميات ومدارس المشرق الاسلامي، بلا، طبعة، مطبعة الارشاد، (بغداد، ١٩٧٣)،ص١٠٦

(٦٢) ينظر: التحبير في المعجم الكبير، تحقيق منيرة ناجي سالم، الطبعة الاولى، بلا مطبعة، الناشر رئاسة ديوان الاوقاف، (بغداد، ١٩٧٥م) ج١، ص ٣٢٨.

(٦٣) شيرويه (بكسر الشين المعجمة بعدها ياء ساكنة معجمة من تحتها باثنتين وراء مضمومة) ينظر: ابن نقطة: محمد بن الغني بن ابي بكر الحنبلي البغدادي (ت: ٦٢٩هـ / ١٢٣٢م) اكمال الاكمال (تكملة) لكتاب الاكمال لابن ماكولا) تحقيق: د. عبد القيوم عبد ريب النبي، الطبعة الاولى مطبعة، الناشر، جامعة ام القرى، (مكة المكرمة، ١٤١٠هـ) ج١، ص٢٩١.

(٦٤) فناخسرو: (بفاء ونون وخاء معجمة وسين وراء مهملتين بعدهما) ينظر: ابن قاضي شهبه: ابو بكر بن احمد بن محمد الاسدي الدمشقي(ت: ٨٥١هـ / ١٤٤٨م) طبقات الشافعية، تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان، الطبعة الاولى، مطبعة دار النشر عالم الكتب، (بيروت، ١٤٠٧هـ)، ج١، ص٢٨٥

(٦٥) القزويني: عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم، ابو القاسم الرافعي (ت: ٦٢٣ هـ / ١٢٢٦م) التدوين في اخبار قزوين تحقيق عزيز الله العطاردي، بلا طبعة، الناشر: دار الكتب العلمية، (١٩٨٧)، ج٣، ص٨٥؛ الصفدي، صلاح الدين خليل بن ابيك (ت: ٧٦٤هـ / ١٣٦٣م)، الوافي بالوفيات، تحقيق واعتناء الارناووط وتركي مصطفى، بلا طبعة، دار احياء التراث العربي، (بيروت، ٢٠٠٠م)، ج١٦،ص١٢٨؛ ابن العماد الحنبلي: عبد الحي بن احمد بن محمد بن العماد العكري النخبلي (ت: ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م)، شذرات الذهب في اخبار من ذهب، تحقيق: محمود الارناؤوط، خرج احاديثه: عبد القادر الارناؤوط، الطبعة الاولى، الناشر: دار ابن كثير، (بيروت، ١٩٨٦م)، ج٦، ص٣٦؛ الزركلي.

(٦٦) ينظر: ابن نقطة التغيير لمعرفة رواة السنن والمساند، تحقيق: كمال يوسف الحوت، الطبعة الاولى، الناشر، دار الكتب العلمية،(بلا مكان، ١٩٨٨ / ص ٢٩٦) . السبكي: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي (ت: ٧٧١هـ / ١٣٦٩م)، طبقات الشافعية، الكبرى، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، د. عبد الفتاح محمد الحلو، بلا، طبعة، هجر للطباعة والنشروالتوزيع، (بلا مكان، ١٤١٣)،ج٧،ص١١٠؛ السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن ابن ابي بكر (ت: ٩١١هـ/١٥٠٥م) طبقات الحفاظ، الطبعة الاولى، الناشر دار الكتب العلمية، (بيروت، لبنان، ١٤٠٣هـ).

(٦٧) الذهبي، العبر في خبر من غبر، تحقيق: فؤاد سيد، بلا طبعة، مطبعة حكومة الكويت، الناشر: التراث العربي، (الكويت، ١٩٦١)، ج٢، ص٣٩٣؛ ابن طاووس: السيد (ت: ٦٦٤هـ/١٢٦٦م) فتح الابوب، تحقيق: حامد الخفاف، الطبعة الاولى، مطبوعة مؤسسة ال البيت (عليهم السلام) لاحياء التراث (بيروت، لبنان، ١٩٨٩)،ص٨٠؛ ابن

الغزي: شمس الدين ابو المعالي محمد بن عبد الرحمن (ت:١١٦٧هـ/١٧٥٤م)، ديوان الاسلام، تحقيق: سيد كسروي حسن، بلا طبعه، الناشر: دار الكتب العلمية، (بيروت، لبنان، ١٩٩٠م) ج٢، ص٢٨٨.

(٦٨) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج١٩، ص ٢٩٤

(٦٩) ابن الصلاح: عثمان بن عبد الرحمن (ت: ٦٤٣هـ / ١٢٤٦م)، طبقات الفقهاء الشافعية تحقيق: محي الدين علي نجيب، الطبعة الاولى، الناشر: دار البشائر الاسلامية، (بيروت، ١٩٩٢م)، ج١، ص٤٨٦؛ ابو الفداء، طبقات الشافعين، ص٥٢٣

(٧٠) ابن الملقن: سراج الدين ابو حفض عمر بن علي بن احمد (ت: ٨٠٤هـ/١٤٠٢م)، العقد المذهب في طبقات حملة المذهب، تحقيق: ايمن نصر الازهري، سيد مهني، الطبعة الاولى، بلا مطبعة، الناشر: دار الكتب العلمية، (بيروت، لبنان، ١٩٩٧م)، ص٢٨٠

(٧١) اسماعيل، (ت:١٣٣٩هـ / ١٩٢١م)، هدية العارفين اسماء المؤلفين وآثار المصنفين، بلا طبعة، مطبعة دار احياء التراث العربي، (بيروت، لبنان، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية، (استانبول، سنة ١٩٥٥)، ج١، ص٤٢٠

(٧٢) ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون تصحيح، رفعت بيلكه الكليسي، محمد شرف الدين بالتقايا، بلا، طبعة، مطبعة دار احياء التراث العربي، (بيروت،لبنان، بلا تاريخ) ج١، ص٥٩٩.

(٧٣) اغا بزرك الطهراني: محسن، الذريعة الى تصانيف الشيعة، الطبعة الثالثة، مطبعة دار الاضواء، (بيروت، لبنان، ١٩٨٣)، ج١، ص١٦٤

(٧٤) المرعشي: السيد (ت:١٤١١هـ)، شرح احقاق الحق، اهتمام، السيد محمود المرعشي، بلا طبعة، مطبعة صدر، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، بلا طبعة، بلا مطبعة، (قم، ايران، ١٤٣١هـ)،ج٢٧، ص٧٢؛ الريشهري، محمد الحج والعمرة في الكتاب والنسة الطبعة الاولى، مطبعة دار الحديث، الناشر: دار الحديث، (بلا مكان، بلا تاريخ)، ص ٣٩٥، والصلاة من كتاب السنة، ص ٢٤٩.

(٧٥) الذهبي، تاريخ الاسلام، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، الطبعة الاولى، مطبعة دار الكتاب العربي، (بيروت، لبنان، ١٩٨٧)، ج٣٨،ص٢٤٩

(٧٦) ابن نقطة، اكمال الاكمال، ج١، ص٢٩١-٢٩٢؛ التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد، ص٢٩٦؛ الذهبي، سير علام النبلاء، ج١٩، ص٢٩٤.

(٧٧) ابن طاووس، فتح الأبواب، ص٨٠؛ ابن الملقن، العقد المذهب في طبقات حمله المذهب، ص٢٨٠.

(٧٨) ابن نقطة، اكمال الاكمال، ج١، ص٢٩٢؛ والتفسير لمعرفة رواة السنن المساند، ص٢٩٦؛ ابن الصلاح، طبقات الشافعية، ج١، ص، ٤٨٧؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج١٩، ص٢٩٤؛ السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج٧، ص١١١؛ ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج٢١، ص٢٨٥.

(٧٩) ينظر: ابن نقطة، اكمال الاكمال، ج١، ص٢٩١، ص٢٩٢؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٢١٩.

(٨٠) ينظر: ابن نقطة، اكمال الاكمال، ج١، ص٢٩١، ص٢٩٢؛ ابن طاووس، فتح الابواب، ص٨٠ . ص٨١؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج١٩، ص٢٩٤.

(٨١) ينظر: ابن طاووس، فتح الابوب، ص٨٠، ص٨١؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج١٩، ص٢٩٤.

(٨٢) ينظر: السمعاني: التحبير في المعجم الكبير، ج١، ص٣٢٧؛ ابن عساكر، معجم الشيوخ، ج١، ص٤١٦.

([٨٣]) ابن الصلاح، طبقات الفقهاء الشافعية،، ج١، ص٤٨٥؛ البغدادي، هدية العارفين، ج١، ص٤١٩.

([٨٤]) السمعاني، التحبير في المعجم الكبير، ج١، ص٣٢٧؛ الصفدي، الوافي والوفيات، ج١٦، ص١١٣؛ البغدادي هدية العارفين، ج١، ص٤١٩؛ كحاله، معجم المؤلفين، ج٤، ص٣٠٩.

([٨٥]) التحبير، في المعجم الكبير، ج١، ص٣٢٧.

([٨٦]) ابن الصلاح، طبقات الفقهاء الشافعية، ج١، ص٤٨٥؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج٣٨، ص ٢٥٠.

([٨٧]) الذهبي، تاريخ الاسلام، ج٣٨، ص٢٥٠؛الزركلي، الاعلام، ج٣، ص١٨٣.

([٨٨]) السمعاني التحبير في المعجم الكبير، ج١، ص٣٣٠؛ ابن الملقن، العقد المذهب، ص٢٨٠.

([٨٩]) ينظر: الذهبي، تاريخ الاسلام، ج٤١، ص٤٣٦؛ المختصر من تاريخ ابن الدبيثي، ١٩٨.

([٩٠]) ابن نقطة، التقييد، ص٢٩٦؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج٤٢، ص٤٣٦.

([٩١]) ابن نقطة، التقييد، ص ٢٩٦؛ اكمال الاكمال، ج١، ص٢٩٢؛ الذهبي، تاريخ الاسلام.

([٩٢]) ابن نقطة، التقييد، ص ٢٩٦؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٤٢، ص٤٣٦.

([٩٣]) ينظر: الذهبي، تاريخ الاسلام، ج٤٢، ص٤٣٦؛ سير اعلام النبلاء، ص١٩، ص٢٩٥.

([٩٤]) ابن نقطة، اكمال الاكمال، ص٢٩٦

([٩٥]) الذهبي: المختصر تاريخ ابن الدبيثي، ص١٩٨

([٩٦]) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ١٩، ص٢٩٥

([٩٧]) ابن نقطة، اكمال الاكمال، ج١، ص٢٩٨

([٩٨]) ينظر: الذهبي، تاريخ الاسلام، ج٤٥، ص٢١٨

([٩٩]) ابن نقطة، اكمال الاكمال، ج١، ص ٢٩٨؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج٤٥، ص٢١٨

([١٠٠]) ابن نقطة، التقييد، ص١٤٣؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٢٢، ص٢٦٠

([١٠١]) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٢٢، ص٢٦٠؛ تاريخ الاسلام، ج٤٥، ص٢٠١٨

([١٠٢]) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٢٢، ص ٢٦٠

([١٠٣]) ابن نقطة، التقييد، ص ١٤٣؛ اكمال الاكمال، ج١، ص٢٩٨.

([١٠٤]) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٢٢، ص ٢٦١؛ تاريخ الاسلام، ج٤٥، ص٢١٨.

([١٠٥]) المقدسي، احسن التقاسيم، ص٣٩٥

([١٠٦]) ابن نقطة، اكمال الاكمال، ج١، ص٢٩٢؛ التقييد لمعرفة رواة السنن والمساند، ص٢٩٦؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٦، ص١٢٨.

([١٠٧]) القزويني، التدوين في اخبار قزوين، ج٣، ص٨٥

([١٠٨]) ابن طاووس، فتح الابوب، ص٨٠

([١٠٩]) الذهبي، تذكره الحفاظ، ج٤، ص١٢٥٩

([١١٠]) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج١٩، ٢٩٤١

([١١١]) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج٧، ص ١١٠

([١١٢]) ابن ناصر الدين: عبد الله بن ابي بكر (ت: ٨٤٢هـ / ١٤٣٩م)، توضيح المشتبه في ضبط اسماء الرواة وانسابهم والقابهم وكناهم، تحقيق: محمد نعيم العرقوسي، بلا طبعة، مؤسسة الرسالة، (بيروت، ١٩٩٣)، ج١، ص٥٣٤

([١١٣]) السيوطي، طبقات الحفاظ، ص٤٥٧

([١١٤]) الغزي، ديوان الاسلام، ج٢، ص٢٨٨

([١١٥]) المرعشي، شرح احقاق الحق، ج٧، ص٧٢

([١١٦]) ابن صلاح، طبقات الفقهاء الشافعية، ج١، ص٤٨٧

([١١٧]) كحاله، معجم المؤلفين، ج٤، ص٣١٣

([١١٨]) الذهبي، تاريخ الاسلام، ج٣٥، ص٢١٩، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٦، ص١٢٨

([١١٩]) الزركلي، الاعلام، ج٣، ص١٨٣

([١٢٠]) الرسالة، المستطرفة، ص٧٥

([١٢١]) الذهبي، ذكر من يعتمد قوله في الجرح والتعديل (مطبوع ضمن كتاب (أربع رسائل في علم الحديث)، تحقيق: عبد الفتاح ابو غده، الطبعة الرابعة، دار البشائر، (بيروت، ١٩٩٣م)، ص٢١٥.

([١٢٢]) الذهبي، تذكره الحفاظ، ج٤، ص١٢٥٩؛ السيوطي، طبقات الحفاظ، ص٤٥٧.

([١٢٣]) عز الدين الصنعاني: محمد بن اسماعيل بن صلاح الحسني (ت:١١٨٢هـ ١٧٦٩م)، التنوير شرح الجامع الصغير، تحقيق:د.محمد اسحاق محمد ابراهيم، الطبعة الاولى، نشر مكتبة دار السلام، (الرياض، ٢٠١١م)، ج١، ص١٢٧.

([١٢٤]) ابن الصلاح، طبقات الفقهاء الشافعية، ج١، ص٤٨٦.

([١٢٥]) الغزي، ديوان الاسلام، ج٢، ص٢٨٨

([١٢٦]) ابن تغري بردي: يوسف بن تغري بردي بن عبد الله، (ت: ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، بلا طبعة، وزارة الثقافة والارشاد القومي، دار الكتب، (مصر، بلا تاريخ) ج٥، ص٢١١.

([١٢٧]) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٥، ص٢١١

([١٢٨]) طبقات الفقهاء الشافعية، ج١، ص٤٨٧

([١٢٩]) اكمال الاكمال، ج١، ص٢٩٢

([١٣٠]) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج١٩، ص٢٩٤؛ تذكره الحفاظ، ج٤، ص١٢٥٩؛ السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج٧، ص١١١.

([١٣١]) بخارى: هي من اعظم مدن بلاد ما وراء النهر واجملها، لها قصور وبساتين ولها سور وابواب كثيرة، للمزيد: ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٣٥٣ – ص٣٥٦.

([١٣٢]) بلخ: تعد مدينة بلخ البهية.. وغيرها، قيل انها من امهات مدن خراسان وهي من اقدم البلاد واخصبها بالملوك. للمزيد ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٣١٣.

([١٣٣]) ابو بكر البغدادي: محمد عبد الغني (ت: ٦٢٩هـ/١٢٣٢م) التقييد، تحقيق كمال يوسف الحوت . الطبعة الاولى، مطبعة دار الكتب العلمية، (بلا مكان، ١٤٠٨هـ)، ج١، ص٤١٤.

([١٣٤]) اكمال الاكمال، ج١، ص٢٩٢؛ التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد، ص ٢٩٦

([١٣٥]) ابي بكر بن لآل الهمداني:هو العطية الشافعي الهمداني له كتاب مكارم الاخلاق ،وكتاب السنن..وغيرها .توفى سنة (٣٩٨هـ/ ١٠٠٨م). ينظر: ابو اسحاق الشيرازي: ابراهيم بن علي بن يوسف(ت: ٤٧٦هـ/ ١٠٨٤م)، طبقات الفقهاء،

تحقيق: خليل الميس، بلا ط، دار القلم للنشر، (بلا، مكان، بلا تاريخ)، ج١، ص١٢٦؛ ابن الاثير: الكامل في التاريخ، ج١٨، ص٥١.

(١٣٦) اصبهان: هي مدينة عظيمة ومشهورة تعد من نواحي الجبل، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١،ص٢٠٦.

(١٣٧) قزوين: وهي مدينة مشهورة تقع ضمن الاقليم الرابع، هي اول مدينة استحدثها سابور ذو الاكتاف تبعد عن الري ٢٦ فرسخاً. ينظر: الحميري: محمد بن عبد المنعم الصنهاجي (ت: ٧١٠هـ/١٢٠٩م)، الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق: احسان عباس، الطبعة الاولى، بلا مطبعة، (بيروت، ١٩٧٥م)، ج٥، ص٣٢. ٣٣؛ مستوفي قزويني: محمد عبد الله بن ابي بكر(ت: ٧٣٠هـ/١٣٣٠م)، نزهة القلوب، تحقيق: محمد دبيرسباقي، كتابخانه طوري، (طهران، ١٩٤٦م)، ص٦١. ٦٢.

(١٣٨) ابن نقطة، اكمال الكمال، ج١، ص٢٩٢؛ التقييد لمعرفة رواة السنن والمساند، ص٢٩٦

(١٣٩) للمزيد ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٤١٤؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج١٨، ص٤٣٤

(١٤٠) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج١٨، ص٥٨٤

(١٤١) ينظر: السمعاني، الانساب، ج٢٢، ص٥٢٩

(١٤٢) ينظر: الذهبي، المعين في طبقات المحدثين، تحقيق د، همام عبد الرحيم سعيد، الطبعة الاولى، مطبعة دار الفرقان، (عمان، بلا تاريخ)، ج١، ص١٤٣؛ سير اعلام النبلاء، ج١٩، ص٩٧.

(١٤٣) ينظر: السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج٤، ص٧.

(١٤٤) السلفي: ابو طاهر احمد بن محمد (ت:٥٧٦هـ / ١١٨١م)، معجم السفر، تحقيق: عبد الله البارودي، بلا طبعة، دار النشر المكتبة التجارية، (مكة المكرمة، بلا تاريخ)، ج١، ص٥٦، الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج١٩، ص٢٧٢؛ ابن العماد الحبلي، شذرات الذهب، ج٣، ص١٣

(١٤٥) للمزيد: ينظر: ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج١، ص ٦١٦، الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج٤، ص١٢٤٢.

(١٤٦) الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج٤، ص١٢٥٩؛ سير اعلام النبلاء، ج١٩، ص٢٩٤؛ السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج٧، ص١١١.

(١٤٧) التدوين في اخبار قزوين، ج٣، ص٨٥.

(١٤٨) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج٤، ص١٢٥٩

(١٤٩) ينظر: تذكرة الحفاظ، ج٤، ص١٢٥٩؛ سير الاعلام النبلاء، ج١٩، ص٢٩٤؛ السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج٧، ص١١١.

(١٥٠) للمزيد: ينظر الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج٤٢، ص١٢٨١؛ سير اعلام النبلاء، ج٢٠، ص١٧٨؛ السيوطي، طبقات الحفاظ، ج١، ص٤٧١.

(١٥١) ينظر: ابن خلكان، وفيات الاعيان،ج٤، ص٢٩٤؛ الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج٤، ص١٣٦؛ سير اعلام النبلاء، ج٢١، ص١٦٨.

(١٥٢) ابن نقطة، اكمال الاكمال، ج١، ص٢٩٢؛ التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد، ص٢٩٦، ووردت عند القزويني بـ (طبقات الهمدانيين)؛ التدوين في اخبار قزوين، ج٣، ص٨٥

(١٥٣) ابن طاووس، فتح الابواب، ص٨٠؛ اليافعي، مراة الجنان، ج٣، ص١٥١.

([١٥٤]) الذهبي، العبر في تاريخ من غبر، ج٢، ص٣٩٣؛ سير اعلام النبلاء، ج١٩، ص٢٩٤؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٦، ص٣٩.

([١٥٥]) ابن طاووس، فتح الابواب، ص٨٠، ولقد فصل ابن باشا البغدادي بقوله: له كتاب هو " رياض الانس لعقلاء الانس في معرفة احوال البنى (صلى الله علية واله وسلم) " ينظر: هدية العارفين، ج١، ص ٤٢٠؛ وكذلك ايضاح المكنون، ج١، ص٥٩٩.

([١٥٦]) ابن طاووس، فتح لابواب، ص٨٠، كما فصل ابن باشا البغدادي بقوله: وله كتاب " فردوس الاخبار بمأثور الخطاب " المخرج على كتاب الشهاب في الحديث ينظر: هدية العارفين، ج١، ص٤٢٠؛ كحالة، معجم المؤلفين، ج٤، ص٣١٣ وقد ذكره بعنوان (الفردوس بمآثور الخطاب) شرح احقاق الحق، ج٧، ص٧٢، كما قبل ان هذا الكتاب مطبوع ينظر: الريشهري، الحج والعمرة من الكتاب والسنة، تحقيق السعيد بن بسيوني زغلول، الطبعة الاولى، دار الكتب العلمية (بيروت، ١٤٠٦هـ)، ص١٥٨، ويذكره اغا بزرك الطهراني، الذريعة، ج١٦، ص١٦٤، بقوله: (فردوس الاخبار بمآثور الخطاب المخرج على كتاب الشهاب) وفيه عشرة الالف حديث بحذف الاسناد، ثم جمعه ابنه الحافظ شهردار (ت:٥٥٨ هـ)، اسانيده في اربع مجلدات سماه (مسند الفردوس) وقد اشار الزركلي الى روؤيته كتاب (فردوس الاخبار بمآثورالخطاب على كتاب الشهاب)، ينظر الاعلام، ج٣، ص١٨٣، كما ذكر ان جزء منه ٢٢٢ ورقة ومنه المجلد الاول في خزانه الرباط (١٣١) اوقاف رائيه واسمه عليه (الفردوس بمآثور الخطاب).

([١٥٧]) القزويني، التدوين في اخبار اقزوين، ج٣،ص٨٥؛ ابن الصلاح، طبقات الفقهاء الشافعية، ج١، ص٤٨٦؛ الذهبي، تذكره الحفاظ، ج٤، ص١٢٥٩؛ سير اعلام النبلاء، ج١٩، ص٢٩٤.

([١٥٨]) ينظر: الغزي، ديوان الاسلام، ج٢، ٢٨٨.

([١٥٩]) ينظر: ابن طاووس، فتح الابواب، ص٨٠، ومن الجدير بالذكر ان الشيخ الكوراني اشار الى كتاب (الفردوس بمأثور الخطاب) بدار الكتب العلمية بيروت، مكون من خمسة مجلدات من القطع المتوسطة في ٢٦٠٣ صفحة، وله طبعة اخرى نقلت عنها ايضاً، دار الكتاب العربي، بيروت، في خمسة مجلدات، ايضاً ومن القطع المتوسط ينظر: طبقات الفقهاء الشافعية، ج٢، ص٤٨٢

([١٦٠]) عز الدين الصنعاني، التنوير شرح الجامع الصغير، ج١، ص١٧١.

([١٦١]) خليفة، مدرسة الحديث في مصر، ص٢٧٥

([١٦٢]) طبقات الفقهاء الشافعية، ج١، ص٤٨٧

([١٦٣]) ابن الصلاح، طبقات الفقهاء الشافعية، ١، ص٤٨٧؛ ابن قاضي شهبه، طبقات الشافعيه، ج١، ص٢٨٥

([١٦٤]) ابن باشا البغدادي، هدية العارفين ج١، ص٤٢٠؛ ايضاح المكنون، ج١، ص٥٩٩؛ الزركلي، الاعلام، ج٣، ص ١٨٣.

([١٦٥]) ابن قاضي، شهبه، طبقات الشافعية، ج١، ص٢٨٥.

([١٦٦]) القزويني، التدوين في اخبار قزوين، ج٣، ص٨٥

([١٦٧]) ابن منده، تاريخ اصبهان، ص٧٢؛ الذهبي، تذكره الحفاظ، ج٤، ص١٢٥٩؛ سير اعلام النبلاء، ج١٩، ص٢٩٥

([١٦٨]) القزويني، التدوين في اخبار قزوين، ح٣، ص٨٥

([١٦٩]) تذكرة، الحفاظ، ج٤، ص١٢٥٩؛ سير اعلام النبلاء، ج١٩، ص٢٩٤، السيوطي، طبقات الحفاظ، ص٤٥٧

([١٧٠]) الذهبي، ج٣، ص٢٢٠؛ سير اعلام النبلاء، ج١٩، ص٢٩٥

([١٧١]) ابن العماد الحنبلي، ج٦، ص٣٦

([١٧٢]) طبقات الشافعية، ج١، ص٢٨٥

([١٧٣]) ابن الصلاح، طبقات الفقهاء الشافعية، ج١، ص٤٨٦، ٤٨٧

([١٧٤]) ابن نقطة، اكمال الاكمال، ج١، ص٢٩٢؛ والتقييد لمعرفة اداة السنن والمسانيد، ص٢٩٦؛ ابن طاووس، فتح الابواب، ص٨٠؛ ابن الصلاح، طبقات الشافعية، ج١، ص٤٨٧؛ الذهبي، تذكره الحفاظ، ج٣، ص١٢٦٠؛ سير اعلام النبلاء، ج١٩، ص٢٩٥؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٦، ص ١٢٨؛ اليافعي، مرآة الجنان، ج٣، ص١٥١؛ السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج٤، ص١١١؛ ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج١، ص٢٨٥؛ السيوطي، طبقات الحفاظ، ص٤٥٧؛ كحاله، معجم المؤلفين، ج٤، ص٣١٣.

([١٧٥]) ابن طاووس، فتح الابواب، ص٨٠؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج١٩، ص٢٩٥

([١٧٦]) العبر في خبر من غبر، ج٢، ص٣٩٤؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٦، ص٣٩

([١٧٧]) هدية العارفين، ج١، ص٤٢٠

([١٧٨]) ايضاح المكنون، ج١، ص٥٩٩

قائمة المصادر الاولية :

- ابن الاثير : عز الدين ابو الحسن علي بن ابي بكر الجزري (ت: ٦٣٠هـ/١٢٣٢م).

١- اللباب في تهذيب الانساب ، بلا طبعة ، مطبعة دار صادر ، (بيروت ، بلا تاريخ).

٢- الكامل في التاريخ ، بلا طبعة ، مطبعة دار بيروت للطباعة والنشر ، (بيروت ،١٩٨٢).

- ابو اسحاق الشيرازي : ابراهيم بن علي بن يوسف (ت: ٤٧٦هـ/١٠٨٤م).

٣- طبقات الفقهاء ، تحقيق : خليل الميس ، بلا طبعة ، مطبعة دار القلم للنشر (بلا مكان ، بلا تاريخ).

- الاسنوي : ابو محمد جمال الدين بن الحسن بن عمر الاموي القرشي (ت:٧٧٢هـ/١٣٧٠م)

٤- طبقات الشافعية ، تحقيق : كمال يوسف الحوت ، بلا طبعة ، مطبعة دار الكتب العالمية ، (بيروت ، ١٩٨٧م).

- الاصطخري : ابو اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي (ت: بعد سنة ٣٤٦هـ/٩٥٧م).

٥- مسالك الممالیك، تحقيق : محمد جابر عبد العال ، بلا طبعة ، مطبعة وزارة الثقافة والارشاد القومي ، (القاهرة ، ١٩٦١م).

- إبن أعثم الكوفي : ابو محمد احمد بن عثمان الكندري (ت: ٣١٤هـ/٩٢٦م).

٦- كتاب الفتوح ، بلا طبعة ، بلا مطبعة ، (بيروت ، ١٩٨٦م).

- البلاذري : ابو الحسن احمد بن يحيى بن جابر البغدادي (ت: ٢٧٩هـ/٨٩٢م)

٧- فتوح البلدان ، مراجعة وتعليق : رضوان محمد رضوان ، بلا طبعة ، بلا مطبعة ، (بيروت ، لبنان ، ١٩٩١م).

- البنداري : قوام الدين الفتح بن علي بن محمد الاصفهاني (ت:٦٤٣هـ/١٢٤٥م)

٨- تاريخ دولة ال سلجوق ، الطبعة الثانية ، مطبعة دار الافاق الجديدة ، (بيروت ،١٩٧٨م)

- ابو بكر البغدادي : محمد بن عبد الغني (ت: ٦٢٩هـ/١٢٣٢م).

٩- التقييد ، تحقيق كمال ابو يوسف الحوت ، الطبعة الاولى ، دار الكتب العلمية ، (بلامكان ، ١٤٠٨هـ).

– ابن تغرى بردي : جمال الدين ابي المحاسن يوسف بن تغرى بردي (ت:٨٧٤هـ/١٤٦٩م).
١٠– النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، تحقيق : محمد عبد القادر حاتم ، بلا طبعة ، مطبعة وزارة الثقافة والارشاد القومي ، (القاهرة ، ١٩٦٢م).
– ابن الجوزي : ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد القرشي (ت: ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م)
١١– المنتظم في التاريخ الملوك والامم ، دراسة وتحقيق : محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا ، مراجعة وتصحيح نعيم زرزور ، الطبعة الثانية ، مطبعة دار الكتب العلمية ، (بيروت ،١٩٩٥م).
– ابن حجر العسقلاني : شهاب الدين احمد علي بن محمد ، (ت : ٨٥٢هـ/١٤٤٨م).
١٢– الاصابة في تميز الصحابة ، بلا طبعة ، مطبعة مكتبة المثنى ، (بغداد ، بلا تاريخ)
– الحميري : ابو عبد الله محمد بن عبد المنعم الصفهاجي (ت: ٧١٠هـ/١٧٠٩م).
١٣– الروض المعطار في خير الاقطار ، تحقيق : احسان عباس ، الطبعة الثانية ، بلا مطبعة ، (بيروت ، ١٩٨٤م).
– ابن حوقل : ابو القاسم عبيد الله بن عبد الله الخرساني (ت٣٦٧ هـ –٩٧٧م).
١٤– صورة الارض ، بلا ، طبعة ، بلا ، مطبعة ، (بيروت ، ١٩٧٩).
– ابن خلكان : ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد (ت:٦٨١هـ/ ١٢٨١م)
١٥– وفيات الاعيان وانباء أبناء الزمان ، تحقيق احسان عباس ، بلا طبعة ، مطبعة دار صادر، (بيروت ، ١٩٧٧م).
– خليفة بن خياط : ابو عمرو خليفه بن خياط بن ابي هبيرة العصفري (ت:٤٢٠هـ/١٨٥٤م).
١٦– تاريخ خليفه بن خياط ، مراجعة: مصطفى نجيب خياط وحكمت كشلي مواز ، بلا ، طبعة ، بلا، مطبعة (بيروت ، ١٩٩٥م).
– الذهبي: شمس الدين ابو عبد الله محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز (ت:٧٤٨هـ/١٣٤٧م)
١٧– سير اعلام النبلاء ، تحقيق بشار عواد ، د.محي هلال سرحان ، الطبعة التاسعة ،مطبعة مؤسسة الرسالة (بيروت ، ١٩٩٣م).
١٨– تذكرة الحفاظ ، بلا ، طبعة ، مطبعة دار احياء التراث العربي ، (بيروت ، لبنان ، بلا تاريخ).
١٩– العبر في خبر من غبر ، تحقيق : فؤاد سيد ، بلا طبعة ، مطبعة حكومة الكويت ، الناشر التراث العربي ، (الكويت ، ١٩٦١م)
٢٠– تاريخ الاسلام ، تحقيق : د. عمر عبد السلام تدمري ، الطبعة الاولى ، مطبعة دار الكتاب العربي ، (بيروت ، لبنان ، ١٩٨٧م).
٢١– ، ذكر من يعتمد قوله في الجرح والتعديل (مطبوع ضمن كتاب (الربع رسائل في علم الحديث) ، تحقيق : عبد الفتاح ابو عنده ، الطبعة الرابعة ، دار البشائر ، (بيروت ،١٩٩٣م).
٢٢– المعين في طبقات المحدثين ، تحقيق د، همام عبد الرحيم سعيد ، الطبعة الاولى ، مطبعة دار الفرقان ، (عمان ، بلا تاريخ).
– الراوندي : محمد بن علي بن سليمان (ت بعد ٦٠٧ هـ / ١٢١١م).
٢٣– راحة الصدور واية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية ، نقله للعربية ابراهيم امين الشواري واخرون ، راجعه ونشر مقدمته ، فؤاد عبد المصطفى الصياد ، بلا طبعة ، بلا مطبعة (بلا مكان ، ١٩٦٠م) .

– ابن رسته : ابو علي احمد بن عمر (ت بعد ٣١٠هـ/٩١٢م) .
٢٤– الاعلاق النفسية ، بلا طبعة ، مطبعة دار احياء التراث العربي ، (بيروت ، ١٩٨٨ م).
– السبكي : تاج الدين عبد الوهاب بن تقي (ت: ٧٧١هـ / ١٣٦٩م)
٢٥– طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق : د. محمود محمد الطناحي واخرون ، بلا طبعة ، مطبعة هجر للطباعة والنشر والتوزيع ، (بلا مكان ، ١٤١٣هـ) .
– السليفي : ابو طاهر احمد بن محمد (ت:٥٧٦هـ / ١١٨١م).
٢٦– معجم السفر ، تحقيق : عبد الله البارودي ، بلا ، طبعة ، دار النشر المكتبة التجارية ، (مكة المكرمة ، بلا ، تاريخ).
– السمعاني : أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي (٥٦٢هـ / ١١٦٦م)
٢٧– الانساب ، تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي ، الطبعة الاولى ، مطبعة دار الجنان للطباعة والنشر ، (بيروت ، لبنان ، ١٩٨٨م)
٢٨– التحبير في المعجم الكبير ، تحقيق منيرة ناجي سالم ، الطبعة الاولى ، بلا ، مطبعة ، الناشر رئاسة ديوان الاوقاف ، (بغداد ، ١٩٧٥م)
– السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر (ت: ٩١١هـ / ١٥٠٥م).
٢٩– طبقات الحفاظ ، الطبعة الاولى ، الناشر دار الكتب العلمية ، (بيروت ، لبنان ، ١٤٠٣هـ).
٣٠– بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم، بلا ، طبعة ، مطبعة ، عيسى البابي ، (مصر ، ١٩٦٤م).
– الصفدي : صلاح الدين خليل بن ايوب بن ابيك (ت: ٧٦٤هـ / ١٣٦٣م).
٣١– الوافي بالوفيات ، تحقيق واعتناء الارناؤوط وتركي مصطفى ، بلا طبعة ، دار احياء التراث العربي ، (بيروت ، بلا تاريخ).
– ابن الصلاح : عثمان بن عبد الرحمن (ت: ٦٤٣هـ / ١٢٤٦م).
٣٢– طبقات الفقهاء الشافعية ، تحقيق : محي الدين علي نجيب ، الطبعة الاولى ، الناشر دار البشائر الاسلامية ، (بيروت ، ١٩٩٢م).
– ابن طاووس : السيد (ت: ٦٦٤هـ/١٢٦٦م).
٣٣– فتح الابوب ، تحقيق : حامد الخفاف ، الطبعة الاولى ، مطبوعة مؤسسة ال البيت
(عليهم السلام) لاحياء التراث (بيروت ، لبنان ، ١٩٨٩م) .
– الطبري : محمد بن جرير الطبري (ت : ٣١٠هـ / ٩٢٢م).
٣٤– تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، الطبعة الثانية ، بلا ، مطبعة (بيروت ، ١٩٦٧م).
– عز الدين الصنعاني : محمد بن اسماعيل بن صلاح الحسني (ت:١١٨٢هـ ١٧٦٩م). ٣٥– التنوير بشرح الجامع الصغير ، تحقيق :د.محمد اسحاق ابراهيم ، الطبعة الاولى ، نشر مكتبة دار السلام ، (الرياض ، ٢٠١١م).
– ابن العماد الحنبلي : ابو الفلاح عبد الحي بن احمد بن محمد(ت: ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م).

٣٦- شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، تحقيق : محمود الانارؤوط ، خرج احاديثه : عبد القادر الارناؤوط ، الطبعة الاولى بلا ، طبعه ، الناشر : دار ابن كثير ، (بيروت ، ١٩٨٦م).

- ابن الغزي : شمس الدين ابو المعالي محمد بن عبد الرحمن (ت:١١٦٧هـ / ١٧٥٤م).

٣٧- ديوان الاسلام ، تحقيق : سيد كسروي حسن ، بلا طبعة ، الناشر دار الكتب العلمية ، (بيروت ، ١٩٩٠م)

- ابو الفداء : عماد ابن اسماعيل بن علي (ت: ٧٣٢هـ / ١٣٣١م).

٣٨ تقويم البلدان ، اعتنى بتصحيحه وطبعه رينود والبارون فاك كوكين ديسلان ، بلا طبعة ، مطبعة دار الطباعة السلطانية ، (باريس ، ١٨٥٠م).

- ابن قاضي شهبه : ابو بكر بن احمد بن محمد الاسدي الدمشقي(ت: ٨٥١هـ / ١٤٤٨م). ٣٩- طبقات الشافعية ، تصحيح وتعليق : د. الحافظ عبد العليم خان ، الطبعة الاولى ، مطبعة دار النشر عالم الكتب ، (بيروت ، ١٤٠٧هـ).

- القزويني : زكريا بن محمد بن محمود (ت : ٦٨٢ هـ - ١٢٨٣ م) .

٤٠- اثار البلاد واخبار العباد ، بلا طبعة ، مطبعة دار صادر ، (بيروت ،١٩٦٠م).

- القزويني : عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم ، ابو القاسم الرافعي (ت: ٦٢٣هـ/١٢٢٦م).

٤١- التدوين في اخبار قزوين ، تحقيق : عزيز الله العطاردي ، بلا، طبعة ، الناشر : دار الكتب العلمية ،(بلا ، مكان، ١٩٨٧م).

- الكتبي : محمد بن شاكر (ت:٧٦٤هـ / ١٣٦٢م)

٤٢- فوات الوفيات ، تحقيق احسان عباس ، الطبعة الاولى ، مطبعة دار صادر(بيروت ، ١٩٧٤م).

- مستوفي قزويني : محمد عبد الله بن ابي بكر(ت:٧٣٠هـ/١٣٣٠م).

٤٣- نزهة القلوب ، تحقيق : محمد دبير سياقي، كتابخانة طوري ، (طهران ، ١٩٤٦م).

- المسعودي ، ابو الحسن علي بن الحسين بن علي الشافعي ، (ت : ٣٦٤ هـ/٩٥٩م).

٤٤- ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق : مفيد محمد قميحه ، بلا طبعة ، مطبعة دار الكتب العلمية ، (بيروت ، ١٩٨٦م).

- ابن الملقن : سراج الدين ابو حفص عمر بن علي بن احمد (ت: ٨٠٤هـ/١٤٠٢م).

٤٥- العقد المذهب في طبقات حملة المذهب ، تحقيق : ايمن نصر الازهري ، سيد مهني ، الطبعة الاولى ، بلا مطبعة ، الناشر : دار الكتب العلمية ، (بيروت ، لبنان ، ١٩٩٧م).

- ابن ناصر: محمد بن عبد الله بن أبي بكر (ت: ٨٤٢هـ / ١٤٣٩م).

٤٦- توضيح المشتبه في ضبط اسماء الرواة وانسابهم والقابهم وكناهم ، تحقيق : محمد نعيم العرقوسي ، بلا طبعة ، مؤسسة الرسالة ، (بيروت ، ١٩٩٣م).

- ابن نقطة : محمد بن الغني بن ابي بكر الحنبلي البغدادي (ت: ٦٢٩هـ / ١٢٣٢م).

٤٧- اكمال الاكمال (تكملة لكتاب الاكمال لابن ماكولا) تحقيق : د. عبد القيوم عبد النبي ، الطبعة الاولى ، بلا ، طبعة، مطبعة ، الناشر ، جامعة ام القرى ، (مكة المكرمة ، ١٤١٠هـ).

٤٨- التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد ، تحقيق : كمال يوسف الحوت ، الطبعة الاولى ، بلا مطبعة ، الناشر دار الكتب العلمية (بلا مكان ، ١٩٨٨م).

– ابن واصل : محمد بن سالم بن نصر الله ابو عبد الله المازني (ت : ٦٩٧ هـ/١٢٩٨م).
٤٩– مفرج الكروب في اخبار بني ايوب ، تحقيق : جمال الدين الشيال ، بلا – طبعة ، المطبعة الاميرية ، نشر دار الكتب والوثائق القومية (القاهرة ، ١٩٥٧م).
– ياقوت الحموي : شهاب الدين بن عبد الله الرومي البغدادي (ت :٦٢٦ هـ / ١٢٢٨م).
٥٠– معجم البلدان ، بلا طبعة ، مطبعة دار احياء التراث العربي ، (بيروت ، ١٩٧٩م) .
– اليعقوبي : احمد بن أبي يعقوب بن واضح الكاتب (ت : بعد ٢٩٢هـ –١٢٩٨م).
٥١– كتاب البلدان ، بلا طبعة ، مطبعة دار احياء التراث العربي ، (بيروت ، ١٩٨٨م).

المصادر الثانوية :

– اغا بزرك الطهراني : محسن
١– الذريعة الى تصانيف الشيعة ، الطبعة الثالثة ، مطبعة دار الاضواء،(بيروت ، لبنان ، ١٩٨٣م).
– بارتولد : فاسيلي فلاديميروفتش.
٢– تركستان من الفتح العربي الى الغزو المغولي ، نقل عن الروسية صلاح الدين عثمان ، الطبعة الاولى، بلا – مطبعة ، (الكويت ، ١٤٠١هـ)
– البغدادي : ابن باشا اسماعيل.
٣– هدية العارفين واسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، بلا طبعة ، مطبعة دار احياء التراث العربي ، (بيروت ، لبنان ، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية ، (استانبول ، سنة ١٩٥٥م).
٤– ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عند اسامي الكتب والفنون ، تصحيح رفعت بيلكه الكليسي ، محمد شرف الدين بالتقايا ، بلا ، طبعة ، مطبعة دار احياء التراث العربي ، (بيروت ،لبنان، بلا تاريخ).
– حسن : حسن ابراهيم
٥– تاريخ الاسلام السياسي والاجتماعي والاقتصادي ، الطبعة السابعه ، بلا مطبعة ، (القاهرة ، ١٩٦٤م).
– الحديثي ، قحطان عبد الستار.
٦– التواريخ المحلية لأقليم خراسان ، بلا طبعة ، مطبعة دار الحكمة ، (البصرة ، ١٩٩٠م).
– الدوري : عبد العزيز.
٧– العصر العباسي الاول دراسة في التاريخ السياسي والاداري والمالي ، الطبعة الثالثة ، مطبعة دار الطليعة للطباعة ، (بيروت ، ١٩٤٥م).
– الراوي : ثابت اسماعيل.
٨ العراق في العصر الاموي ، الطبعة الثانية ، بلا ، مطبعة (النجف الاشرف ، ١٩٧٥)
– الريشهري : محمد
٩ الحج والعمرة في الكتاب والنسة ، الطبعة الاولى ، مطبعة دار الحديث ، الناشر : دار الحديث ،(بلا ، مكان ، بلا ، تاريخ).
– الزركلي ، خير الدين (١٤١٠هـ)

١٠- الاعلام ، بلا طبعة ، بلا مطبعة ، الناشر دار العلم للملايين ، (بيروت ، لبنان،١٩٨٠م).
- كحاله : عمر رضا.
١١- معجم المؤلفين ، بلا، طبعة ، مطبعة مؤسسة الرسالة ، (بيروت ، ١٩٩٣م).
- كريستنسن : آرثر
١٢- ايران في عهد الساسانين ، ترجمة يحيى الخشاب ، مراجعة عبد الوهاب عزام ، بلا طبعة ، مطبعة نخبة التأليف والترجمة ، (القاهرة ، ١٩٥٧م).
- لسترنج ، كي.
١٣- بلد ان الخلافة الشرقية ، نقله الى العربية واضاف اليه التعليقات بلدانية وتاريخية واشرته ووضع فهارسه ، بشيرفرنسيس وكوركيس عواد ، الطبعة الثانية ، مطبعة مؤسسة الرسالة ، (بيروت ، لبنان ، ١٩٨٥م)
- ، متز : آدم
١٤- الحضارة العربية الاسلامية ، ترجمة محمد عبد الهادي ابو ريده ، الطبعة الرابعة ، بلا مطبعة، (بيروت ، ١٩٦٧م).
- مرعشي : السيد (١٤١١هـ).
١٥- شرح احقاق الحق ، اهتمام ، السيد محمود المرعشي ، بلا طبعة ، مطبعة ، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي ، (قم ، ايران ، ١٤٣١هـ).
- معروف : ناجي.
١٦- علماء النظاميات ومدارس المشرق الاسلامي ، بلا ، طبعة ، مطبعة الارشاد ، (بغداد ، ١٩٧٣م).
- هنتس ، فالنتر
١٧- المكاييل والاوزان الاسلامية وما يعادلها في النظام المتري ، ترجمة كامل العسلي ، بلا ،طبعة،بلا، مطبعة ، منشورات الجامعة الاردنية ، المجلد الملحق.

الرسائل والاطاريح :

- الدوسكي : ادريس محمد حسين.
١- همذان من الفتح الاسلامي الى سقوطها بيد المغول ، (٢٢- ٦١٨هـ) ، مطبعة اتحاد نقابات العمال ،(دهوك ، ٢٠٠٦م).
- ميرزا : احمد
٢. غربي اقليم الجبال في صدر الاسلام حتى (١٣٢هـ - ٧٤٩م) دراسة في التاريخ السياسي ، رسالة ماجستير ، كلية الاداب ، (جامعة صلاح الدين ، اربيل ، م١٩٩٥) .

المصادر الفارسية :

- اسرافيل : شيرين صور.
١- فرش همدان ، فرهنك وارشاد اسلامي استان همذان جاب سيده است تهران ،١٣٧٥هـ،ش.
- بور.
٢- حقاق بابك رياحي : دائرة المعارف بزرك زرين ، (تهران ،١٣٨٠ هـ) .

- بيات : عزيز الله
٣- كليات جغرافي طبيعي وتاريخي ايران ، مؤسسة انتشارات امير كبير، (تهران ، ١٣١٧هـ).
- نهجيري : عبد الحسين
٤- جغرافياى تاريخي شهرها ، وزارت اموزش ويرورش ، (تهرن ، ١٣٧٠هـ).
- الهمداني اية الله صابري
٥- تاريخ مفصل همدان ، مؤسسة فرهنكي ، انتشارات ،(قم ، ١٩٨١ م)

دور المرأة في المؤسسات السياسية الرسمية في مصر
(١٩٨١ – ١٩٩٠)

أ.م.د. جبار درويش الشمري
الجامعة المستنصرية ـ كلية التربية ـ قسم التاريخ
Iraq_human_rights@yahoo.com

دور المرأة في المؤسسات السياسية الرسمية في مصر (١٩٨١ – ١٩٩٠)

أ.م.د. جبار درويش الشمري

الملخص العربي

شهدت السبعينيات والثمانينيات من القرن العشرين اهتماماً ملحوظاً بالمرأة وقضاياها وضرورة دمجها في عمليات التنمية، خاصة مع إعلان العقد من عام ١٩٧٥ حتى عام ١٩٨٥ عقداً عالمياً للمرأة لزيادة الوعي بقضية المرأة والتنمية والعمل على تحسين اوضاعها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية وخاصة في الدول النامية، لان المرأة تمثل نصف الموارد البشرية المتاحة فلايمكن تركها من دون اعداد وتخطيط وتأهيل، إن الارتقاء بمكانة ووضع المرأة عامل أساسي وضروري لضمان سرعة التنمية بأبعادها المختلفة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية في اي مجتمع .

Abstract

The seventies and eighties of the twentieth century witnessed a remarkable interest in women and their issues and the need to integrate them into development processes, especially with the announcement of the decade from 1975 to 1985 a global decade for women to increase awareness of the issue of women and development and work to improve their political, social, economic and cultural conditions, especially in developing countries, because women represent half The human resources available cannot be left without preparation, planning and rehabilitation. Improving the status and status of women is an essential and necessary factor to ensure rapid development in its various social, political, economic and cultural dimensions in any society.

المقدمة

يعود الاهتمام بدور المرأة المصرية في المؤسسات السياسية الى أوائل القرن العشرين وبالتحديد مع قيام ثورة ١٩١٩، أذ شاركت المرأة المصرية فيها مشاركة سياسية فعالة، ثم في ثورة ١٩٥٢ والتي مثلت نقطة التحول الثانية في مشاركة المرأة في الحياة السياسية في مصر من خلال اعتراف دستور ١٩٥٦ اعترافاً صريحاً بحق المرأة في التصويت والترشيح لاول مرة في تاريخ مصر، وعليه تعد فترة السبعينيات امتداداً للانجازات المظهرية والكمية والفردية التي حصلت عليها المرأة بقوة تشريعات وقرارات ثورة ١٩٥٢ والتي بموجبها نالت المرأة المصرية حقها السياسي، وبعد حرب حزيران ١٩٦٧ وحرب اكتوبر ١٩٧٣ اصبحت مشاركة المرأة في الحياة السياسية في مصر اكثر عمقاً وخبرة وتطور .

وبالنظر الى المجتمع المصري يحاول البحث رصد بعض التطورات السياسية في وضع المرأة في البرلمان المصري والتغيرات التي طرأت على هذا الوضع والادوار التي تؤديها المرأة ، أذ لعبت تلك

التغيرات دوراً له بصماته على أوضاع المرأة في مصر بشكل عام، ولعل أهم تلك التغيرات هي تطبيق سياسة الانفتاح الاقتصاي عام ١٩٧٤ في عهد الرئيس انور السادات حتى الوقت الراهن، فضلاً عن دور الاحزاب السياسية التي ساهمت في تنمية الوعي السياسي لدى المرأة المصرية بصفة خاصة، وما واكب ذلك من اهتمام كبير من قبل الامم المتحدة ومنظماتها بقضايا المرأة ، وماصاحب ذلك من التحولات السياسية امام المرأة، ومحاولات الاصلاح التي أثرت بدورها على وضع المرأة المصرية ومكانتها ودورها في المؤسسات السياسية، مع الوقوف على أهم التحديات التي تحول دون قيام المرأة بدورها السياسي .

اعتمد البحث على مصادر متنوعة تأتي في مقدمتها الوثائق العربية غير المنشورة وهي محاضر مجلس الشعب، فضلاً عن الرسائل والاطاريح الجامعية والكتب العربية والاجنبية والدوريات العربية والصحف المصرية .

اولاً : دور المرأة في السلطة التشريعية

١. مجلس الشعب

تعد المشاركة السياسية مؤشراً هاماً من مؤشرات النمو الاجتماعي من ناحية ، وفاعلية الشرائح والفئات المختلفة من ناحية اخرى[١]، حيث يشارك المواطنون في مسؤوليات التفكير والعمل لصالح مجتمعهم، ويكون لديه الفرصة لأن يشارك في وضع الاهداف العامة للمجتمع وافضل الوسائل لتحقيق هذه الاهداف، ويمكن القول انه كلما زاد مشاركة المواطن بالحياة السياسية زاد اندماجاً بالنسق السياسي لمجتمعه[٢]، وعلية فالمشاركة السياسية ليست مجرد تمثيل نيابي ولاتقتصر على عملية الانتخابات والترشيح ، بل هي كافة القرارات التي يتخذها الانسان في رحله حياته ، والاختيارات والقيم التي يعكسها قولاً وسلوكاً ، فكل قرار يتخذ هو قرار يشكل الحاضر والمستقبل[٣]. تبعاً لذلك ان المشاركة السياسية للمرأة مرتبط بوضع المرأة في المجتمع وبالدور الذي تؤديه في الحياة العامة والذي يعد احد المؤشرات الدالة على الوضع الديمقراطي اولاً ووعي النظام السياسي ثانياً وتوجه التنمية البشرية ثالثاً والاقتناع بقدرات المرأة السياسية رابعاً[٤].

بعد تولي انور السادات[٥] منصب رئاسة الجمهورية أعلن في الثالث من اب ١٩٧١ أطلاق أسم مجلس الشعب[٦] بدلاً من مجلس الامة[٧] بقرار جمهوري رقم ٢٢٨٠ لعام ١٩٧١ ، فتولى هذا المجلس وضع الدستور الجديد لمصر الذي قدمه انور السادات في التاسع من ايلول ١٩٧١ وسمي بـ " دستور مصر الدائم "[٨] مؤكداً في مواده على المساواة بين المواطنين في الحقوق والواجبات [٩]حيث تضمنت المادة (٤٠) على ان "**المواطنون لدى القانون سواء، وهم متساوون في الحقوق والواجبات العامة، لاتميز بينهم بسبب الجنس أو الاصل أو اللغة أو الدين أو العقيدة** "، وتعد المشاركة السياسية للمرأة وتمثيلها في الاجهزة التشريعية دلالة على التطور السياسي وتغير النظرة التقليدية لدورها كربة منزل فحسب[١٠]، فضلاً عن ذلك ضمن الدستور الحقوق السياسية للمرأة في الترشيح والانتخاب وابداء الراي في

الاستفتاء على قدم المساواة مع الرجل[١١] في المادة (١١) على ان " **تكفل الدولة التوفيق بين واجبات المرأة نحو الاسرة وعملها في المجتمع ومساواتها بالرجل في ميادين الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية، دون اخلال باحكام الشريعة الاسلامية**"[١٢]، انعكس جو الثقة الذي اشاعه الدستور على المرأة في التقديم للترشيح لعضوية مجلس الشعب في اول انتخابات برلمانية في عهد الرئيس انور السادات في السابع والعشرين من تشرين الاول ١٩٧١[١٣]، ارتفع عدد المقيدات في جداول الانتخابات الى ٩٥٦١٩٥ سيدة يمثلن ١٢% من جملة المقيدين عام ١٩٧٢[١٤]، وقد فازت ثماني سيدات[١٥] بالانتخاب في هذا المجلس بنسبة ٢,٢%[١٦].

أستغرق ***الفصل التشريعي الاول*** لمجلس الشعب خمس سنوات من عام ١٩٧١ وحتى عام ١٩٧٦، أثيرت فيه العديد من القضايا الداخلية والخارجية من قبل النائبات[١٧]. أما ***الفصل التشريعي الثاني*** لمجلس الشعب من الفترة الحادي عشر من تشرين الثاني ١٩٧٦ الى الحادي والعشرين من نيسان ١٩٧٩، واجريت الانتخابات العامة للاعضاء في الثامن والعشرين من تشرين الاول ١٩٧٦ فاز في أنتخابات هذا المجلس ٣٧٠ عضواً ، منهم ٣٦٠ بالانتخاب وعشرة معينين بقرار جمهوري ، ومثلت المرأة بست عضوات اربع منهن بالانتخاب واثنتان بالتعيين ، وتمثل ١,٦% فقط من عضوية المجلس بعد ان كانت ٢,٢% في مجلس الشعب[١٨].

في حين شهد ***الفصل التشريعي الثالث*** الذي امتد من الثالث والعشرين من حزيران ١٩٧٩ وحتى ٢٠ اذار ١٩٨٤ وفاة الرئيس انور السادات وتولي محمد حسني مبارك[١٩] رئاسة الجمهورية، ومثلت المرأة في هذا المجلس ثلاث وثلاثين عضوة كما عينت عضوتان بقرار جمهوري[٢٠]، ويرجع زيادة نسبة تمثيل المرأة في هذا الفصل التشريعي الى تعديل قانون الانتخاب رقم ٣٨ لعام ١٩٧٢ بالقانون رقم ٤١ لعام ١٩٧٩ [٢١]الذي تم بمقتضاه تخصيص ثلاثين مقعداً من مقاعد مجلس الشعب للنساء كحد ادنى[٢٢]، وسمح القانون للنساء ان تتنافس مع الرجال على جميع المقاعد الاخرى ، مع عدم السماح للرجال بالتنافس على المقاعد المخصصة للنساء، بالاضافة الى حق رئيس الجمهورية في تعيين عشرة اعضاء لمجلس الشعب من بينهم سيدتان على الاقل[٢٣]، كما عدلت المادة الرابعة من قانون مباشرة الحقوق السياسية بالقرار بقانون رقم ٤١ لعام ١٩٧٩ واصبح بموجبه قيد المراة في جداول الانتخاب لكل من له مباشرة الحقوق السياسية من الذكور والاناث دون تفرقة ، اي أن قيد المرأة أصبح اجبارياً وليس أختيارياً[٢٤]، والجدير بالذكر أن السيدة جيهان السادات[٢٥] كانت ورا صدوره من خلال حث القيادات السياسية على أتخاذ الخطوات الحقيقية من اجل زيادة مشاركة المرأة في المجالس التشريعية [٢٦].

اهم مايذكر لهذا الفصل التشريعي هو موافقة المجلس على قرار رئيس الجمهورية رقم ٣٤٥ لعام ١٩٨١ والخاص بالاتفاقية الدولية الخاصة بالحقوق السياسية للمرأة والتي اقرتها الجمعية العامة للامم

المتحدة في الحادي والثلاثين من اذار ١٩٥٣، وكذلك توقيع مصر في كوبنهاجن على اتفاقية القضاء على كافة اشكال التمييز ضد المرأة عام ١٩٨٠[٢٧]. أذ عرضت هذه الاتفاقية على مجلس الشعب المصري ، وقد كان من المفترض ان تكون هذه المناسبة فرصة جيدة من اجل مناقشة اوضاع التمييز ضد المرأة المصرية ، الا ان مناقشات النائبات انحصرت على مدى اتفاق وعدم اتفاق هذه الاتفاقية مع الشريعة الاسلامية، وبالفعل وافقت النائبات في هذا الشأن على الاتفاقية وفق التحفظات التي وردت في القرار الجمهوري على بعض نصوصها[٢٨]، استندت النائبات في تاييدهن على الاتفاقية الى العديد من المبررات وذلك لانها تتفق مع ما جاء في الاسلام من حقوق للمرأة، وان انضمام مصر اليها سوف يؤدي الى ابراز وجه مصر الحضاري امام العالم ، وانه لاداعي من التخوف لتصديق مصر على الاتفاقية ؛ لانه من الناحية القانونية اذا تعارض نص قانوني دولي مع مبادئ متصلة بالنظام العام فإن الذي يعمل به في هذه الحالة هو القواعد العامة المتصلة بالنظام العام داخل الدولة، ولما كانت الشريعة الاسلامية تعتبر من اهم مبادئ النظام العام ، فإن اي حكم تتضمنه الاتفاقية يتعارض مع الشريعة الاسلامية لن تلتزم به مصر قانونياً[٢٩].

امتد ***الفصل التشريعي الرابع*** لمجلس الشعب من الثالث والعشرين من حزيران ١٩٨٤ وحتى الثالث عشر من تشرين الثاني ١٩٨٧، وقد جاء هذا الفصل على اثر صدور القانون رقم ١١٤ لعام ١٩٨٣ القاضي بتعديل بعض احكام القانون رقم ٣٨ لعام ١٩٧٢ بشأن انتخابات مجلس الشعب[٣٠]، ليلغي الانتخابات الفردية بالاغلبية المطلقة ويحل محلها الانتخابات بالقائمة النسبية [٣١]، وقد أسفر ذلك عن زيادة المشاركة النسائية في انتخابات عام ١٩٨٤[٣٢]، إذ بلغ عدد العضوات في هذا المجلس خمس وثلاثون عضوة وتم تعيين عضوة واحدة بقرار من رئيس الجمهورية[٣٣]، بناء على ذلك مثلت المرأة في هذا المجلس بستة وثلاثين مقعد بنسبة ٧,٩% من إجمالي مقاعد المجلس البالغ عددهم ٤٥٨ مقعداً[٣٤].

على الرغم من وجود ٣٦ نائبة في هذا الفصل لكنه اتسم بضعف مناقشة قضايا المرأة ، أذ توجهت النائبة كريمة العروسي[٣٥] بسؤال واحد فقط الى رئيس الوزراء حول منح المرأة العاملة اجازة بنصف أجر، كما تقدمت النائبة فاطمة عنان[٣٦] باقتراح مشروع قانون بتعديل بعض احكام قانون الاحوال الشخصية رقم ٢٥ لعام ١٩٢٩، بينما شاركت النائبة الفت كامل[٣٧] في طلبات الاحاطة لوزراء الداخلية حول تكرار حوادث الخطف والاغتصاب ، ومن جانب اخر شاركت تسعة عشر نائبة من اصل ٣٦ في مناقشة بعض القضايا القومية منها مشكلات الاسكان حيث طالبت النائبات بضرورة رسم سياسة سكانية قومية تقوم على دراسة علمية وعملية واعادة توزيع السكان على خريطة مصر، تعاونيات البناء ، بدائل الطوب الأحمر، خطة الوزارة لاستكمال الطاقة بالمفاعلات النووية ، دراسة الزلازل في علاقتها بنسب المياه في بحيرة السد العالي ، ومناقشة قضايا الإدمان وخطط مواجهتها ، وحالة المستشفيات الصحية، والمكاتب الطبية بالخارج

، وكذلك شاركت النائبات في مناقشة السياسة التعليمية والمشكلة السكانية والسياسة التموينية والسياسة الزراعية وتنمية السياحة وتنشيطها ، وأساليب ربط العاملين بالخارج ببلدهم ، وأسهام راس المال الاجنبي في مشروعات التطوير المحلية[٣٨]، وطالبت النائبات بتجديد الاحياء الشعبية وترميم المساجد وتحسين حالة قطارات السكك الحديدية ، كما شاركن في المطالبة بتعديل العلاقة بين المالك والمستاجر في قانون الاصلاح الزراعي وتعمير الساحل الشمالي ، وتحديث التعليم في مصر من خلال استحداث خطط فعلية لمحو الامية، وتنشيط السياحة الداخلية والخارجية من خلال اعادة ترميم الاثار، ووجوب زيادة ميزانية وزارة الصحة وتوفير الدواء ، لكن من القضايا المحلية التي لم يشاركن فيها ما دار من مناقشات حول الثروة السمكية ودور الرقابة الفنية ونشر الثقافة بين المواطنين هذا بالنسبة للمحور الخدمي[٣٩]. كذلك شاركت العضوات في مناقشة قضايا الهجرة ، والتقدم باقتراح عدة مشروعات قوانين مثل قانون بشأن سلطة الصحافة وتعديل بعض احكام قانون التامين الاجتماعي وقانون بشأن زيادة المعاشات واصدار قانون بإنشاء اكاديمية طبية عسكرية[٤٠].

يلاحظ ارتفاع نسبة العضوات اللاتي شاركن في مجالس سابقة حيث وصل عددهن الى ٢٣ عضوة بينما بلغ عدد الوجوه الجديدة في البرلمان المصري ١٣ عضوة على الرغم من وجود هذا العدد من النائبات لاول في البرلمان المصري ، لكن مشاركتهن في مناقشة قضايا المرأة كانت ثانوية واقتصرت على ثلاث نائبات من اصل ٣٦ نائبة ، ولا تستنكر مشاركتهن في مناقشة بعض القضايا القومية ، ربما يعود ذلك الى رغبتهن في اثبات انفسهن انهن قادرات على التصدي للقضايا التي يتصدى لها النواب الرجال ، لكن هذه المشاركة جاءت من حوالي نصف النائبات فقط .

ينبغي ان نشير هنا ، انه خلال الفصل التشريعي الرابع انعقد مؤتمر للامم المتحدة في نيروبى عاصمة كينيا من ١٥–١٦ تموز ١٩٨٥ ، والحق انه كان هناك مؤتمران لامؤتمر واحد الاول وهو على المستوى الرسمي لوفود الحكومات برأسة السيدة سوزان مبارك[٤١] ، ولقد جاء في كلمة الوفد المصري الدعوة الى عقد عالمي ثان للمرأة من اجل تعميق ماتحقق من انجازات وزيادة التعاون بين نساء العالم على المستويين الاقليمي والدولي ، أذ ابرزت كلمة مصر تجربة المرأة المصرية ودورها في الحياة السياسية والاجتماعية ، وكيف أن المرأة المصرية حققت مركزاً مرموقاً في المجتمع واصبح لها حق الانتخابات ، وأن البرلمان المصري اصبح يضم اكثر من ٣٠ نائبة ، وان المرأة المصرية ممثلة بنسبة تصل الى ٢٠% في مجالس الحكم المحلي ، كذلك بدأت كلمة مصر بأن المرأة المصرية نالت حقوقها في التعليم ، واصبحت الفتيات تشكل مايقارب من ٤٥% من عدد الطلبة في المدارس والجامعات ، اما المؤتمر الثاني للهيئات غير الحكومية الذي عقد في الفترة من ١٠–١٩ تموز ١٩٨٥ شارك فيه وفد مصري ، اذ حضره اكثر من ١٢ الف سيدة وبعض الرجال من اجل مناقشة اكثر من ١٠٠٠ بحث حول قضايا المرأة

ومساهمتها في التنمية، حيث قام الوفد المصري بالتنسيق وتوحيد الجهود وخرج العرب من هذا المحفل بصورة مشرفة[٤٢].

والجدير بالذكر ، ان قانون رقم ١١٤ لعام ١٩٨٣ بشأن الانتخاب بنظام القائمة النسبية لم يسلم من النقد ، اذ طعن بعض المستقلين بعدم دستورية هذا القانون لانه يحرم غير المنضمين الى احزاب من الترشيح وهو مايمثل إخلالا بالحقوق العامة المقررة للمواطنين بمقتضى الدستور، كما أستندوا في الطعن الى القانون رقم ٤١ لعام ١٩٧٩ بشأن انفراد المرأة بمقاعد واعتبروا خرق لمبدا المساواة وتكافؤ الفرص أمام المستقلين ، ونظراً لجدية الطعن اصدار الرئيس حسني مبارك قراراً بإصدار القانون رقم ١٨١ لعام ١٩٨٧، والذي بمقتضاه تم الجمع بين نظام الانتخاب الفردي والانتخاب بالقائمة النسبية وتخصيص مقعد للمستقلين يتنافسون عليه في كل دائرة ، وكذلك تم الغاء المقاعد المخصصة للمرأة بموجب قانون رقم ٤١ لعام ١٩٧٩، على الرغم من ان القانون كان متسقاً مع أحكام الاتفاقية الدولية للقضاء على كافة اشكال التمييز ضد المرأة والتي صادقت عليها مصر في كوبنهاجن عام ١٩٨١ ، حيث أن هذه الاتفاقية نصت على اتخاذ اجراءات خاصة تساعد على النهوض بوضع المرأة في مرحلة انتقالية الى أن تتحقق المساواة[٤٣]، وبذلك حرمت المرأة من الميزة النسبية التي كانت تتمتع بها في ظل تخصيص ثلاثين مقعد لها في ظل قانون الانتخاب الفردي بالاغلبية المطلقة وقانون الانتخاب بالقائمة النسبية ، وكان عليها الاعتماد على تعيين رئيس الجمهورية لها في مجلس الشعب وفقاً للحق الذي خوله له الدستور في المادة ٨٧ للتغلب على اختلال نسبة تمثيل النساء [٤٤]، وقد انعكس الغاء المقاعد المخصصة للمرأة في مجلس الشعب على عدد السيدات في المجلس في ***الفصل التشريعي الخامس*** والذي امتد من الثاني والعشرين من نيسان١٩٨٧ وحتى الثامن من حزيران ١٩٩٠ والتي لم تتعدى ثماني عشرة سيدة[٤٥] – اربعة منهن معينات – واربعة عشر بالانتخاب – بنسبة ٣,٩% من اجمالي عدد اعضاء ٤٥٨ عضواً [٤٦] .

إستمر تطبيق القانون رقم ١٨١ لعام ١٩٨٦ الخاص بالغاء المقاعد المخصصة للمرأة حتى صدر القانون رقم ٢٠١ لعام ١٩٩٠ الذي اخذ بنظام الانتخاب الفردي ، الامر الذي أنعكس سلباً على نسبة تمثيل المرأة في ***الفصل التشريعي السادس[٤٧]***، مقارنة بالعمل بنظام القوائم الحزبية التي ظلت المرأة في إطارها محتفظة بوضع متميز لاتجاه بعض الاحزاب الى تضمين قوائمها الحزبية بعض المرشحات من النساء، أذ شاركت المرأة في هذا الفصل بعشر عضوات فقط بنسبة ٢,٢% من أجمالي الاعضاء[٤٨].

على الرغم من أنخفاض عضوية المرأة في مجلس الشعب وعدم توليها رئاسة البرلمان ، إلان العديد من السيدات في مصر تولن رئاسة اللجان النوعية بالمجلس ومن أهمها اللجنة التشريعية ورأستها الدكتورة فوزية عبد الستار[٤٩] ولجنة العلاقات الخارجية رأستها الدكتورة ليلى تكلا [٥٠] ولجنة الثقافة والاعلام

ترأستها الدكتورة سهير القلماوي[٥١] في الفترة (١٩٧٩-١٩٨٤) ، ولجنة المرافق والاسكان رأستها الدكتورة الفت كامل ، ولجنة الشؤون العربية كانت امتثال الديب [٥٢]ونائبتها في الفترة (١٩٨٤-١٩٩٠)[٥٣].

مما لاشك فيه كان للمرأة المصرية دوراً كبيراً وبارزاً في مجلس الشعب وخاصة عندما صدر قانون رقم (٤١) لعام ١٩٧٩ الذي خصص للمرأة بموجبه ٣٠ مقعداً وعدم منافسة الرجال على تلك المقاعد حيث استطاعت النائبات في هذا المجلس في ترأس العديد من اللجان المهمة واخذن يدافعن عن حقوق المرأة المصرية اثناء مناقشات القوانين داخل مجلس الشعب .

٢. مجلس الشورى

يعتبر مجلس الشورى هيئة أستشارية وليست تشريعية صدر بعد اخر تعديل للدستور، وفي التاسع عشر من نيسان عام ١٩٧٩ وافق الشعب المصري في استفتاء عام على انشاء مجلس الشورى ، وبناء على ذلك تم تعديل الدستور في الاستفتاء الذي اجري في الثاني والعشرين من ايار عام ١٩٨٠، وتم تشكيل مجلس الشورى بالقانون رقم ١٢٠ لعام ١٩٨٠ واخذ تشكيله بنظام الانتخاب بالقائمة لستة وعشرين دائرة انتخابية ، ويختلف عدد الاعضاء عن كل محافظة طبقاً لحجمها[٥٤]، وأضيف بموجب هذا التعديل باب جديد الى الدستور تضمن الفصل الاول منه بيان الاحكام الخاصة بمجلس الشورى ، وعقد اول اجتماع له في اول تشرين الثاني عام ١٩٨٠[٥٥].

شهد دور ***الانعقاد الاول والثاني والثالث*** خلال الفترة الممتدة من ١٩٨٠ وحتى ١٩٨٢ سبعة عضوات بنسبة ٣,٣% [٥٦] ،هن (امينة احمد السعيد، صفية زكي المهندس، همت مصطفى الخواص، شفيقة صالح نصر ، ايزيس حبيب المصري، نبيلة محمد عطية الابرشي ونهوت محمود عبدالله)[٥٧]. وقد زاد عدد عضوات مجلس الشورى في دور ***الانعقاد الرابع والخامس والسادس*** خلال الفترة من ١٩٨٣ وحتى ١٩٨٥، اذ ارتفع الى ثماني عضوات **هن** (امينة احمد السعيد، صفية زكي المهندس، همت مصطفى الخواص، شفيقة صالح نصر ، إنجيل بطرس غالي ، فرخندة حسن صالح)[٥٨].

لكن عدد العضوات انخفض في دور ***الانعقاد السابع والثامن والتاسع*** خلال الفترة من ١٩٨٦ وحتى ١٩٨٨ الى خمس عضوات بنسبة ١,٩% [٥٩]وهن (شفيقة صالح نصر ، إنجيل بطرس غالي ، فرخندة حسن صالح ، زينب عبد الحميد رضوان ، نبيلة محمد عطية الابراشي)[٦٠]. ثم ارتفع في عدد العضوات الى اثنى عشر في دور ***الانعقاد العاشر والحادي عشر والثاني عشر*** خلال الفترة من ١٩٨٩ وحتى ١٩٩١ وهن (امينة احمد السعيد ، أمينة محمد رزق ، سلوى عبد العزيز فهمي ، حبيبة محمد سحلب ، سهير حسن جلبانة ، كريمة العروسي ، عائشة عبد الهادى عبد الغني ، زينب السبكي ، حمدية محمود زهران ، سامية مصطفى فهمي ، سميحة مصطفى القليوبى، فايزة محمد محمود)[٦١] .والجدير بالذكر، أن

كل السيدات في مجلس الشورى معينات من قبل الدولة، ولم تنجح اي سيدة في كسب مقاعد عن طريق الانتخاب[٦٢].

اما عن التنظيم الرئيسي للمجلس فانه يشتمل على كل من مكتب المجلس ولجانه، ويضم مكتب المجلس الرئيسي والوكلاء والمراقبين ، علاوة على السكرتارية ، أما عن وضع المرأة داخل لجان المجلس ، أذ توجد المرأة داخل لجان الخدمات بنسبة ٥٦% والعلاقات الخارجية ١٤% ولجنة المرأة ١٤% واللجنة السياسية ١٤%، ولاتوجد امرأة ترأس اي من هذه اللجان[٦٣].

٣. المجالس المحلية[٦٤]

أصبحت المرأة المصرية لأول مرة عضواً في مجلس الاحياء في تموز عام ١٩٦٩، حيث عينت عضوتين في مجلس حي وسط الاسكندرية ، وفي عام ١٩٧٥ دخلت المرأة المجالس المحلية المنتخبة للمحافظات والتي أجريت انتخاباتها وفي تشرين الاول ١٩٧٥، وأنتخبت السيدة جيهان السادات رئيسة للمجلس المحلي لمحافظة المنوفية ، وانتخب سبع سيدات في محافظة الدقهلية وثلاثة في القليوبية وواحدة في الجيزة واربعة في المنوفية واربعة في الاسكندرية وثلاثة في الشرقية وواحدة في دمياط واثنان في الاسماعيلية، وفي انتخابات منطقة القاهرة فازت خمس سيدات لمجالس المحافظة(سميرة كرارة، عائشة الكردى، ثريا لبنة، زينب صادق وسعاد محمد علي)، كما فازت ثلاث سيدات من الاحياء بالمحافظة (عائشة مصطفى، فوزية سعيد وصفاء متولى)[٦٥].

بعد اجراء اول انتخابات في ظل قانون الحكم المحلي الجديد رقم ٤٣ لعام ١٩٧٩ الذي نص على تخصيص مقاعد للمرأة في المجالس المحلية بتشكيلاتها المختلفة ، فقد فازت بعضوية مجلس المحليات ٢٤.٩ سيدة من اصل ٢٣٩٤٧ عضواً غلى مستوى الجمهورية[٦٦]، ولقد واكب هذا التخصص النص على تشكيل المحليات بالنظام الفردي وهو النظام الذي استمر حتى عام ١٩٨٣ ليحل محله نظام القائمة الحزبية المطلقة حتى عام ١٩٨٨ عندما تم الاخذ بكلا النظامين (النظام الفردي والقائمة الحزبية) حتى عام ١٩٩٢[٦٧].

شهدت مشاركة المرأة السياسية على مستوى المحليات نفس نمط التراجع الذي شهدته خريطة المشاركة السياسية لها في مجلس الشعب ويلاحظ أن مشاركة المرأة المصرية في المجالس المحلية على مستوى المحافظات والمراكز والمدن والاحياء والقرى [٦٨]، قد تفاوتت بصورة كبيرة بين عام ١٩٧٩ بصدور قانون بتخصيص مقاعد للمرأة في تلك المجالس كما ذكرنا وعام ١٩٨٦ بعد الغاء هذا القانون ، حيث انخفضت نسبة مشاركة المرأة في هذه المجالس من ١٧,٨% في عام ١٩٧٩ الى ١,٣% في عام ١٩٩٢[٦٩] ، كما هو موضح في الجدول الاتي:[٧٠]

السنة	نسبة مشاركة المرأة في المجالس المحلية
١٩٧٩	%١٧,٨
١٩٨٣	%١٥,٢
١٩٨٨	%١,٧
١٩٩٢	%١,٣

على سبيل المثال تقلصت نسبة مشاركة النساء في المجلس الشعبي المحلي لمحافظة القاهرة منذ عام ١٩٧٩ وحتى عام عام ١٩٩٢ ، حيث بلغت نسبتهن ٢٠% عام ١٩٧٩ ثم أنخفضت الى ١٨,٢% في عام ١٩٨٣ ثم الى ٨,٥% في عام ١٩٨٨ ثم الى ٧,٥% عام ١٩٩٢، ونفس التراجع يمكن ملاحظته بالنظر الى نسبة النساء العضوات في المجالس الشعبية لمحافظات مصر في نفس سنوات المقارنة ، حيث انخفضت نسبتهن من ١٨,٥% عام ١٩٧٩ الى ١٥% عام ١٩٨٣ ثم الى ٥,٩% عام ١٩٨٨ حتى وصلت الى ٤,٤% عام ١٩٩٢، كما امتد تراجع مشاركة المرأة المصرية الى المجالس المحلية للمراكز التي انخفضت من ١٧,٨% الى ١٥,٢% ثم الى ١,٧٦% حتى وصلت الى ١,٣% عام ١٩٩٢[٧١] ، ويمكن ارجاع اسباب انخفاض مشاركة المرأة في المجلس المحلية في مصر الى عدة اسباب في مقدمتها سيطرة التقاليد والاعراف التي تقلص الى حد كبير من اداء المرأة لدورها في الحي او المدينة[٧٢]، فضلاً عن افتقادها للدعم من جانب المسؤولين من الرجال [٧٣]، فضلاً عن عدم استغلال المرأة لقدراتها وخبرتها في المجالس المحلية لادارة النقاش الامر الذي يؤثر على عدم سماع صوتها داخل او خارج الجلسات والاجتماعات ، وايضاً عدم مشاركتها في بعض اللجان منها لجان الاستثمار – الاصلاح الزراعي – المرافق العامة – الشؤون الديني[٧٤].

ثانياً : دور المرأة في السلطة التنفيذية

تشكلت وزارة الشؤون الاجتماعية في مصر منذ اواخر ثلاثينيات القرن الماضي لمراقبة عمل الجمعيات النسائية ثم توسعت مهامها في عهد جمال عبد الناصر[٧٥] لتشمل تنظيم الاسرة ورعاية الاطفال والمسنين وتوفير الخدمات الاجتماعية ، وبعد اعلان الميثاق الوطني عام ١٩٦٢ والذي اكد على المساواة بين الرجل والمرأة في المشاركة السياسية ، أعلنت الوزارة تعيين اول وزيرة مصرية وهي حكمت ابو زيد[٧٦] عام ١٩٦٢ [٧٧]، الا أن التوصيات والقرارات واعمال الوزارة لم تحدث تحت أشرافها وانما تحت اشراف الوزراء[٧٨]. وفي عام ١٩٧١ تولت عائشة راتب[٧٩] ذات المنصب وذلك عندما دخلت عائشة راتب عضواً في اللجنة المركزية التي ناقشت مواد مشروع دستور ١٩٧١ [٨٠]، أعترضت في احدى الجلسات على توسيع أختصاصات رئيس الجمهورية وظلت تردد "**لايجوز ولا يليق**" وهي مصرة على الرفض ، فأرسلو اليها ورقة مدون فيها "**أرحمينا يا عائشة**" ، وكان الرئيس محمد انور السادات موجوداً في الطابق العلوي

يتراس أجتماعات اللجنة المركزية وقتها[٨١]. ولقد سمعت عائشة راتب بعد ذلك من اعضاء اللجنة المركزية في اجتماعات السياسات واللجنة الوزارية بان الرئيس انور السادات قال للوزراء : " **إانتو عارفين أنا جبت عائشة وزيرة لية ؛ لانها في اللجنة المركزية جلست تناقش اختصاصات رئيس الجمهورية في وجودي ، فقررت تعينها وزيرة** "، واشادت ان الرئيس السادات ليس له مثيل قائلة : " **تخيلوا عندما يسمع رئيس الدولة من تطالب بتقليص اختصاصاته ولا يغضب ، وإنما يعجب بشجاعتها الادبية ويقرر تعينها وزيرة** "، بناء على ذلك ادت اليمين امام الرئيس محمد انور السادات في مكتبه بمجلس الشعب في الثاني عشر من تشرين الثاني ١٩٧١[٨٢]، وكانت قضية الاحوال الشخصية من القضايا التي تصدت لها د. عائشة راتب وهي وزيرة التأمينات الاجتماعية لذلك قامت بتشكيل لجنة لتغيير قوانين الاحوال الشخصية ،لانها كانت تمثل هماً كبيراً بالنسبة لها ولسيدات مصر[٨٣] حتى صدر قرار رئيس الجمهورية بالقانون رقم (٤٤) لعام ١٩٧٩[٨٤] بتعديل احكام القانون رقم (٢٥) لعام ١٩٢٠ ورقم (٢٥) لعام ١٩٢٩ المسمى بـ " **قانون جيهان السادات** " والذي منح المرأة المصرية حقوقاً كثيرة وشكل قفزة نوعية مقارنة بالقانون السابق[٨٥] على الرغم من ان هذا القانون امتداد لقانون رقم (٢٥) لعام ١٩٢٩[٨٦] لكنه احدث ضجة كبيرة عند صدوره سواء من ناحية الشكل الذي به القانون او من ناحية قواعده الموضوعية[٨٧]. لتخفيف من حملة الاعتراض العارمة التي قامت بها القوى الدينية من خلال تواجدها المكثف في البرلمان ضد التعديلات التي حدثت في قوانين الاحوال الشخصية عام ١٩٧٩ قد نجحت في الغاء تعديلات عام ١٩٧٩[٨٨].

اما الوزيرة الثالثة هي امال عثمان[٨٩] التي تولت وزارة الشؤون الاجتماعية لمدة عشرين عاماً من الفترة ١٩٧٧ وحتى١٩٩٧[٩٠]، حققت خلال فترة توليها حقيبة وزارة التأمينات والشئون الاجتماعية طفرة في مجال التأمينات الاجتماعية من خلال التشريعات التأمينية التي صدرت تباعا بهدف تطوير أنظمة التأمين الاجتماعي المختلفة مما ترتب عليه رفع الحد الأدنى لمعاش الأجر الأساسي واستخدام نظم المعلومات ومضاعفة الحقوق الإضافية في حالات الوفاة واستحداث مكافأة نهاية الخدمة[٩١]، فضلاً عن انها مثلت مصر في العديد من مؤتمرأت المرأة التي نظمتها الامم المتحدة، كما مثلت مصر في الاتحاد النسائي الديمقراطي، وفي مؤتمرات القانون الجنائي وعلم الاجرام التي نظمتها الامم المتحدة والجمعية الدولية لقانون العقوبات والجمعية العامة للدفاع الاجتماعي ، كما مثلت مصر في مؤتمرأت المكسيك وبرلين ، كذلك حضرت مؤتمرات بالعراق[٩٢].

اما مشاركة المرأة في وزارة الخارجية التي تمثل جهاز الدولة الرئيسي في تنفيذ السياسية الخارجية للدولة واتخاذ القرارات السياسية العليا بشأن إدارة علاقاتها مع الدول الاخرى[٩٣]، واخذ عمل المرأة في وزارة الخارجية بالتزايد في منتصف السبعينيات بسبب الانفتاح الاقتصادي والسياسي للمجتمع المصري

على العالم الخارجي ، حيث بلغت نسبة مساهمة المرأة الدبلوماسية في المستويات الوظيفية القيادية والاشرافية العليا حوالي ٧% في عام ١٩٨١ ثم وصلت الى ١٤% في عام ١٩٩٣[٩٤] و ٢٠% في عام ٢٠٠١[٩٥] لقد عملت المرأة المصرية كسفيرة لمصر في روما وطوكيو وفيينا ولشبونة واستراليا وجنوب افريقيا ونيبال وغيرها من عواصم العالم، وكان الفضل لحرم الرئيس مبارك السيدة سوزان مبارك التي استعانت بعدد من النساء لمساعدتها في وظائفها الدبلوماسية وفي مشاركتها في المؤتمرات الدولية المتعلقة بالمرأة [٩٦].

بالرغم من زيادة اعداد النساء في السلك الدبلوماسي ومواقع صنع القرار في الجهاز الاداري بالدولة الا ان لازالت هناك بعض الوظائف حكراً على الرجال ، منها منصب رئيس الجامعة ومنصب العميد وكذلك منصب المحافظ اذ لم يتم تعين المرأة محافظاً لاي من محافظات مصر على الاطلاق [٩٧].

الخاتمة

مماتقدم يمكن ان نستنتج من البحث الأتي :-

١. كان للمرأة المصرية تاريخ طويل من الكفاح من اجل نيل حقوقها السياسية ، التي تم تتويجها في دستور عام ١٩٥٦ الذي اعطاها لاول مرة حق الترشيح والانتخاب، الا ان نسب تواجدها في البرلمان بقيت ضئيلة بين صعود وهبوط، على الرغم قلة عدد العضوات في بعض الفصول التشريعية الا ان هذا لم يمنعها من المشاركة الفعالة في مناقشة بعض القضايا التي تخص الحياة العامة، لكن الاداء ونوعه فإن الملامح العامة للاداء هو التركيز على الاداء الرقابي اكثر من التشريعي والسياسي.
٢. لكن نسبة مشاركة المرأة في البرلمان بدات في الارتفاع منذ نهاية السبعينيات بسبب صدور قانون رقم ٢١ لعام ١٩٧٩ والذي خصص ثلاثون مقعداً للمرأة في عضوية مجلس الشعب، لكن عادت وانخفضت نسبة تمثيل المرأة في مجلس الشعب عام ١٩٨٤ بسبب الضجة الكبيرة التي احدثها هذا القانون من قبل المستقلون مما ادى الى صدور القانون رقم ٢٩٣ الذي الغى المقاعد الثلاثون المخصصة للمرأة، وعليه بدأت المرأة ترشح نفسها في الانتخابات دون ضمان مقاعد لها، اذ مثلت المرأة في هذا الفصل ١٩٨٧ – ١٩٩٠ ثمانى سيدات فقط بعد ان كانت ٣٦ سيدة.
٣. يشكل الفصل التشريعي الرابع ١٩٧٩ – ١٩٨٤ من اهم الفصول علة صعيد قضايا المرأة وتطور أوضاعها في مصر، حيث تمت فيه مناقشة واقرار الاتفاقية الدولية الخاصة بالحقوق السياسية للمرأة واتفاقية القضاء على كافة اشكال التمييز ضد المرأة والتي كان لها اهمية خاصة ، حيث اكدت في موادها على ضرورة المساواة بين المرأة والرجل في جميع الميادين السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية ، وتدعو الى سن التشريعات الوطنية التي تحرم التمييز ضد المرأة .
٤. توضح الدراسة ان نسبة المنتخبات في مجلس الشعب تفوق نسبة المعينات على مدار السنوات كلها، الا ان النسبة ارتفعت في مجلس الامة حيث دخل المجلس اثنتان فقط بالانتخاب، وفي الفصل

التشريعي الاول ١٩٧١ – ١٩٧٦ دخلت سبع عضوات بالانتخاب الى البرلمان وواحدة بالتعيين، وفي الفصل التشريعي الثاني ١٩٧٦ – ١٩٧٩ فازت اربع سيدات بالانتخاب واثنتان بالتعيين ، ثم وصل عدد المنتخبات الى ٣٢ عضوة من اجمالي ٣٤ عضوة في فترة التخصيص في الفصل التشريعي الثالث عام ١٩٧٩ – ١٩٨٤، الا ان نسبة المنتخاب اخذت بالتناقض بسبب الغاء التخصيص في الفصل التشريعي الخامس مما انعكس سلباً على المرأة.

٥. ارتفاع نسبة العضوات اللاتي لديهن خبرات سابقة في دورات برلمانية اخرى ، يلاحظ تواجد النائبات (الفت عزيز كامل ، كريمة العروسي ، نوال عامر ، فايدة كامل) في الدورات البرلمانية من عام ١٩٧١ وحتى عام ١٩٩٠، اما النائبة (امال عثمان) يلاحظ تواجدها في الفصل التشريعي الثالث ١٩٧٩–١٩٨٤ وحتى الفصل التشريعي الخامس ١٩٧٨ – ١٩٩٠.

٦. اما عن وضع المرأة في المناصب القيادية في مجلس الشعب نجد أن المرأة لم تتولى رئاسة المجلس او منصب وكيل الا في الفصل التشريعي السابع عام ١٩٩٥ حيث انتخبت امال عثمان وكيلاً للمجلس عن الفئات ، الا ان العضوات ترأسن عدد لاباس به من اللجان الرئيسية بمجلس الشعب .

٧. كان للرئيس انور السادات وزوجته السيدة جيهان السادات الفضل الكبير في تغير وضع المرأة المصرية بشكل عام ، لانه كان يرى ان " المرأة هي نصف المجتمع والمجتمع الذي يكون نصفه عاطل لايستطيع مواجهة الحياة " ، فاكد في اكثر من بيان وخطاب ايمانه التام بضرورة المساواة بين الرجل والمرأة في العمل السياسي والاجتماعي، وقد ترجم كل ذلك عند قرر اقامة تنظيم نسائي لاول مرة والاهم اصدار القانون رقم ٢١ لعام ١٩٧٩ وقانون الاحوال الشخصية رقم ٤١ لعام ١٩٧٩ على الرغم من الضجة الكبيرة التي احدثها القانونين والمعارضة لهم ، لكن بعد وفاته وتولي الرئيس حسني مبارك رئاسة الجمهورية نلاحظ التراجع الكبير في نسبة تمثيل المرأة في البرلمان بعد ان كانت نسبة تمثيلها عام ٣٦ عضوة تراجعت الى ٨ عضوات فقط بعد قيامه الغاء القانون رقم ٢١ لعام ١٩٧٩ والقانون رقم ١١٤ لعام ١٩٨٣ واصداره قانون رقم ١٨١ لعام ١٩٨٧ .

٨. اما في مجلس الشورى نلاحظ أن نسبة تمثيل المرأة فيه كانت بين ارتفاع وانخفاض كما في مجلس الشعب، ففي دور الانعقاد الاول والثاني والثالث مثلت المجلس سبع عضوات، ثم ارتفعت الى ثماني عضوات في دور الانعقاد الراب والخامس والسادس ، ثم انخفض الى خمس عضوات في دور الانعقاد الاول السابع والثامن والتاسع .

٩. كانت نسبة المعينات في مجلس الشورى تفوق نسبة المنتخبات على عكس مجلس الشعب، أذ اوضحت الدراسة ان جميع العضوات في مجلس الشورى معينات من قبل الدولة، حيث لم تتمكن اي سيدة من النجاح في كسب مقاعد عن طريق الانتخاب .

١٠. أشتراك عضوات مجلس الشعب ومنهن (زينب السبكي، كريمة العروسي) في عضوية مجلس الشورى، لكن لم تترأس المرأة داخل مجلس الشورى والمجالس المحلية اللجان على عكس مجلس الشعب، أذ استطاعت النائبات في هذا المجلس ترأس الكثير من اللجان المهمة.

١١. نجد انه كلما ارتفع مستوى المنصب تقل فيه نسبه تمثيل المراة ، لذلك لم تتولى منصب وزيرة سوى ثلاثة خلال مده البحث، لكن وضعها الدبلوماسي قد بلغ درجة عالية من التطور اذ عملت المرأة كسفيرة لمصر في العديد من عواصم العالم .

١٢. وبشكل عام كان لسيطرة العادات والتقاليد والاعراف على المجتمع المصري اثرها الكبير في انخفاص مستوى مشاركة المرأة في عضوية مجلس الشعب ومجلس الشورى والمجالس المحلية ، لكن العامل المباشر كان الخوف الذي مازال مسيطر عليها في ادارة النقاش اسوء بالرجل، لانها عاشت في مجتمع يمنعها منذ الصغر في ابداء رائيها بحرية، والتعلم والوصول الى مراتب عليا حالها حال الرجل، حيث تربت على ان تكون ام وربة بيت مكانها البيت فقط لذلك تجد من الصعب عليها الخروج من هذا النمط التقليدي وممارستها لادوار متعددة (ام ، زوجة ، عاملة ، موظفة) .

الهوامش:

(١) ايناس محمد فتحي غزال ، الوعي السياسي لدى المرأة المصرية " دراسة مقارنة بين المرأة في الريف والحضر " ، رسالة ماجسير غير منشورة ، كلية الاداب ، جامهة المنوفية ، ١٩٩٢ ، ص ٢٠٠-٢٠٢.

(٢) عبد الهادي الجوهري ، المشاركة الشعبية " دراسة في علم الاجتماع السياسي " ، مكتبة نهضة الشروق ، القاهرة ، ١٩٨٤ ، ص ١٥ ؛ ابراهيم إبراشي ، علم الاجتماع السياسي ، دار الشروق ، فلسطين ، ١٩٩٨ ، ص ٢٣٥.

(٣) كلمة السيدة سوزان مبارك ، المشاركة السياسية ، المنتدى الفكري الثاني الذي يعقده المجلس القومي للمرأن ، المجلس القومي للمرأة ، القاهرة ، ٢٠٠٠ ، ص ٢؛ عبد الغفار رشاد ، دور النخبة السياسية ، اطروحة دكتوراة غير منشورة ، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، جامعة القاهرة ، ١٩٨٧ ، ص ٨٢.

(٤) للتفاصيل اكثر عن المشاركة السياسية بصورة عامة ينظر : حامد ربيع ، أبحاث في النظرية السياسية ، مكتبة القاهرة الحديثة ، القاهرة ، ١٩٧١ ؛ محمد طه بدوى وليلى مرسى ، النظم والحياة السياسية ، كلية التجارة ، جامعة الاسكندرية ، ١٩٩١؛ عبد الهادي الجوهري ، اصول علم الاجتماع السياسي ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٩٦ ؛
Gary K. Bertsch and Other, Comparing Political Systems "Power and Policy in three Worlds, Collier Macmillan , New York , 1986 .

(٥) انور السادات : ولد عام ١٩١٨ في قرية ميت ابو الكوم بمحافظة المنوفية ، تلقى تعليمه الابتدائي بمدرسة الاقباط الابتدائية عام ١٩٢٥، ثم انتقل الى مدرسة السلطان حسين ونال شهادة الابتدائية منها عام ١٩٣٠، والثانوية عام ١٩٣٦، تخرج في الكلية الحربية عام ١٩٣٨ وعين بسلاح الاشارة، تم اعتقاله اكثر من مرة بسبب نشاطه السياسي وتم استبعاده من الجيش وأعيد عام ١٩٥٠، عين وزيراً للدولة عام ١٩٥٤، ثم سكرتيراً للاتحاد القومي عام ١٩٥٩، تم أنتخابه رئيساً لمجلس الامة من عام ١٩٦٠ حتى ١٩٦٨، تم تعينه نائباً لرئيس الجمهورية عام ١٩٦٩، وفي عام

١٩٧٠ خلف جمال عبد الناصر في رئاسة الجمهوية، أغتيل عام ١٩٨١. للتفصيل ينظر : ابو مسلم يوسف ، موسوعة حكام مصر، المجلد ٢، د.ن ، د.ت ، ص ٦٠٧ ؛ منصور عرابي ، محمد انور السادات ، ط١ ، دار الفاروق للاستثمارات الثقافية ، الجيزة ، ٢٠١٢ ، ص ٩–١٣ ؛ أنيس الدغيدي ، اعترافات جيهان السادات ، مكتبة جزيرة الورد ، المنصورة ، ٢٠٠٤ ، ص ٣٦٣ .

(٦) ينتخب مجلس الشعب لمدة خمس سنوات ويضم ٣٥٠عضواً منتخباً وعشرة أعضاء يعينهم الرئيس وينتخب نائبين في كل دائرة، ويكون النائب الاول أما عاملاً (المناطق المدينية) اوفلاحاً (المناطق الريفية) ويكون النائب الثاني ممثلاً لمجموعة منظمة (اتحاد، تنظيمات جماهيرية الخ)، ويجرى التصويت على القوانين من قبل مجلس الشعب واي أعتراض لهذه القرارات من قبل الرئيس يمكن ابطاله بأغلبية ثلثي الاصوات وتناوب على رئاسته الاستاذ حافظ بدوي وبعد وفاته خلفه سيد مرعي ، ويستطيع الرئيس حل المجلس لكن هذا القرار يجب أن يوافق عليه باستفتاء شعبي . للمزيد ينظر : "الطليعة " (مجلة) ، مصر ، العدد ٧ ، تموز ١٩٧١ ، ص ٩٥ – ٩٦.

(٧) يتكون مجلس الامة من مجلسين هما مجلس النواب والاعيان، وله وظيفتان الاولى تشريعية تتمثل في صياغة مشاريع القوانين ومناقشتها ومن ثم اصدارها، اما الوظيفة الثانية رقابية على اعمال السلطة التنفيذية من ناحية أدائها لاختصاصاتها المخولة لها بحكم الدستور، فرئيس الوزراء والوزراء مسؤولون أمام مجلس الامة مسؤولية مشتركة عن السياسة العامة، وصدر قانون عضوية مجلس الامة في ١١ حزيران ١٩٥٦ لانتخاب مجلس مؤلف من ٣٥٠ عضواً بدلاً من مجلس الشيوخ والنواب وحدد سن العضوية بثلاثين سنة على الاقل وصدرت تعليمات لعدد من الضباط بترشيح أنفسهم في دوائر معينة، وقد انتخب عبد اللطيف البغدادي رئيساً لمجلس الامة وانور السادات وكيلاً له في عام ١٩٥٧. للتفصيل ينظر : حميد شهيد حسين العرداوي ، التطورات الدستورية في مصر(١٩٥٢–١٩٧٠) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة الكوفة ، ٢٠١٣ ، ص ١٠٤ – ١٠٦.

(٨) د. ع. و. ، ملف العالم العربي ، نظام الحكومة ، م_ ٢/ ١١٠١ ، في ١٩ ايلول ١٩٧٩، رقم الوثيقة ١٣٧٧.

(٩) امل عبد الحميد فرج ، الحماية القانونية للمرأة في بيئة العمل في ضوء المخاطر التي تتعرض لها ، معهد الدراسات والبحوث البيئية ، جامعة عين شمس ، القاهرة ، ٢٠٠١ ، ص ٤٤.

(١٠) وسيم حسام الدين الاحمد ، التمكين السياسي للمرأة العربية ، مركز الابحاث الواعدة في البحوث الاجتماعية ودراسات المرأة ، د.م ، ٢٠١٦ ، ص٢٤٥.

(١١) عفاف عبد المعطي ، المرأة والسلطة في مصر " الواقع السياسي والادبي" ، دار الهلال ، القاهرة ، ٢٠٠٨ ، ص ١٠٧ .

(١٢) مها حلمي شريف ، واقع وافاق مشاركة المرأة العربية في الحكم المحلي ، مطبعة الاجيال ، الاردن ، ٢٠٠٨ ، ص ٤٤

(١٣) زيدان عبد الباقي ، المرأة بين الدين و المجتمع ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٧ ، ص ٢٨٦.

(14) Mervat Hatem , Review of Woman Islam and the State , Published by : Journal of woman in Culture and Social , Vol. 19 , No. 2 , Winter 1994 , P. 235 .

(١٥) الاعضاء هن (الفت عزيز كامل، فايدة كامل، مفيدة عبد الرحمن، كريمة العروسي، نوال عامر، رزقة عبد المجيد البلشي، فاطمة عبد المنعم عنان وزهرة رجب وواحدة بالتعيين بقرار من رئيس الجمهورية وهي ليلى تكلا) . للتفصيل

اكثر ينظر : محمد المصري ، نائبات الامة تحت القبة قصة كفاح المرأة المصرية لدخول البرلمان ، ط١ ، المجلس القومي للمرأة ، مصر ، ٢٠١١، ص ٤٩.

(١٦)عزة وهبي ، نظام الحصص كألية لتفعيل دور المرأة برلمانياً ، مركز الدرسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام ، القاهرة ، ١٩٩٩ ، ص ٤٣ .

(١٧) للتفاصيل اكثر عن نشاط النائبات في هذا الفصل ينظر : محاضر مجلس الشعب ، الجلسة رقم (٣٠) في ٨ كانون الثاني ١٩٧٣ ، ص ٤٧٤٢ – ٤٧٤٦؛ محاضر مجلس الشعب ، الجلسة رقم (٣٨) في ١٢ شباط ١٩٧٣ ، ص ٥٢٣٥ ؛ محاضر مجلس الشعب ، الجلسة رقم (٣٣) في ٢٨ كانون الثاني ١٩٧٣ ، ص ٤٩٦٥؛ محاضر مجلس الشعب ، الجلسة رقم (٣٣) في ٢٦ ايار ١٩٧٤ ، ص ٢٦٢٥ .

(١٨) الاعضاء هن (فايدة كامل، كريمة العروسي، نوال عامر ، رزقة البلشي، ليلى ابراهيم تكلا، امال عثمان). للمزيد ينظر : نادية حامد قورة ، تاريخ المرأة في الحياة النيابية في مصر من ١٩٥٧ الى ١٩٩٥ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٦ ، ص ٣٢-٣٤.

(١٩) محمد حسني مبارك : ولد عام ١٩٢٨ في المنوفية ، وتخرج في الكلية الحربية عام ١٩٤٩ وفي كلية الطيران عام ١٩٥٢، عمل طياراً في القوات الجوية المصرية حتى تعيينه من قبل جمال عبد الناصر في عام ١٩٦٩ رئيساً لاركان حرب القوات الجوية حتى عام ١٩٧٢، عمل قائداً عاماً للقوات الجوية قبل تعيينه من قبل السادات نائباً له في عام ١٩٧٥، اصبح رئيساً لمصر خلفاً للسادات نائباً الخامس عشر من تشرين الاول ١٩٨١. للمزيد من التفاصيل ينظر : توحيد مجدي ، مبارك الطريق الى عرش مصر ، دار اخبار اليوم ، القاهرة ، د.ت .

(٢٠) الاعضاء هن (عائشة محمد حسنين، عصمت محمد كمال الدين، سماء الحاج أدهم، روحية محمد احمد، سعدية حسن حسنين، امال محمد عبد الكريم، نعمة اسماعيل، اسعاد حمزة ، حميدة ابو جبل، جليلة عواد، سهير محمد سعد، الفت عزيز كامل، امال عثمان ، نوال عامر، سهير القلماوي، امتثال الديب، فرخندة حسن، عقيلة حلمى، بثينة الطويل، جليلة سحلب، علية رفعت، سوسن ابراهيم السيد، بهية برادة، فاطمة عثمان، فاطمة الجمال، سهير القطب، عنايات يوسف، صفية حجازي، وجيهة الزلباني، فايدة كامل، زينب السبكي و كاملة احمد). نقلاً عن : سعدية عبد الحكيم ، المرأة والتغيير الاجتماعي (١٩٤٥-١٩٧٩) ، اطروحة دكتوراة غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة الزقازيق ، ٢٠٠٤ ، ص ٢٤٨-٢٥٠.

(٢١) عدلي ابو طاحون ، حقوق المرأة ، المكتب الجامعي الحديث ، الاسكندرية ، ٢٠٠٠ ، ص ٣٠٧ .

(٢٢) المجلس القومي للمرأة ، المرأة والمشاركة السياسية (الطموحات والتحديات) ، القاهرة ، ٢٠٠٠ ، ص ٥؛ جريدة " الاهرام " المصرية ، العدد ٣٣٧٣٧ ، ٢٤ نيسان / ابريل ١٩٧٩ ؛

Soha Abdel Kader , Egyptian Woman in a Society (1899 – 1987) , Lynne Renner Publishers , Boulder , 1987, P. 138.

(٢٣) منى مصطفى عبد الرؤوف ، دور المرأة في الحياة السياسية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التجارة ، جامعة الاسكندرية ، ٢٠٠٤ ، ص ١٠١ .

(٢٤) سعاد الشرقاوي وعبدالله ناصف ، نظم الانتخاب في العالم وفي مصر ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨٤ ، ص ١٩٣–١٩٥ ؛ نادية حامد قورة ، المصدر السابق ، ص ٣٣ .

(٢٥) جيهان السادات : ولدت عام ١٩٢٦ بجزيرة الروضة بالقاهرة، تلقت تعليمها الاول في مدرسة الارسالية المسيحية، ثم درست بمدرسة الجيزة الثانوية، وفي ٢٩ ايار تزوجت من محمد انور السادات بعد خطوبة دامت بضعة اشهر، وفي عام ١٩٧٠ اصبح انور السادات رئيساً للجمهورية لتبدا رحلتها، اذ بدا نجمها يسطع بعد حرب اكتوبر ١٩٧٣، وفي سن ٤١ حصلت على اللسانس من جامعة القاهرة عام ١٩٧٣، ثم حصلت على الماجستير في الادب العربي، شاركت في المؤتمر الاول للمرأة العربية والافريقية، رأست ٣٠ منظمة وجمعية خيرية، وأنشات مركزاً للعناية بالمعوقين عام ١٩٧٢، حصلت على الدكتوراة، أصدرت كتابها بعنوان "سيدة من مصر". للمزيد من المعلومات ينظر: احمد منصور، جيهان السادات شاهدة على عصر السادات ، الدار العربية للعلوم ، بيروت ، ٢٠٠٢ .

(26) Jehan al sdat , A women Of Egypt , Scimon and Shuster , 1987 , p.364.

(٢٧) نادية حليم واخرون ، فاعلية الاداء البرلماني للمرأة المصرية ١٩٥٧ – ٢٠٠٠ ، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية ، القاهرة ، ٢٠٠٦ ، ص ٤٥ .

(٢٨) الامم المتحدة ، تقرير المؤتمر العالمي لعقد الامم المتحدة للمرأة (المساواة ، التنمية ، السلم) كوبنهاجن ١٤–٣٠ تموز / يوليو ١٩٨٠ ، نيوريوك ، ١٩٨١ ، ص ٦ – ٧ .

(٢٩) محاضر مجلس الشعب ، الجلسة (٩١) في ١٢ اب ١٩٨١ ، ص ٨١٧٣ – ٨١٧٨ .

(30) Najma J.Chowdhury and other , Women and Politics World , Yale University , London , N.D , P.237.

(٣١) اشرف حسين ، المشاركة السياسية والانتخابات البرلمانية ، مركز البحوث العربية ، القاهرة ، ١٩٩٠ ، ص ٤٢ .

(٣٢) عواطف عبد الرحمن ، ايام الديمقراطية (النساء المصريات وهموم الوطن) ، المركز المصري العربي ، القاهرة ن ١٩٩٧ ، ص ١٠ .

(٣٣) الاعضاء هن (زينب قرنى ، نور محمد القاضي ، ام كلثوم شلبي ، زينب رمضان ، يسرية دوريش ، ليلى محمد يوسف ، فردوس الاودن ، ليلى قورة ، زينب فايزى ، وفاء الحادقة ، سكينة احمد عامر ، ناهد علاء الدين ، ثريا لبنة ، فايدة كامل ، الفت عزيز كامل ، نوال عامر ، امال عثمان ، كريمة العروسي ، رزقة البلشي ن امتثال الديب ، علية محمد رفعت ، فاطمة عنان ، ثريا خليفة ، عنايات ابو اليزيد ، وجيهة الزلباني ، سوسن الكيلاني ، راوية عطية ، عائشة ابو القاسم ، سماء عليوة ، روحية بكر ، امال خوجة ، إسعاد حمزة ، نعمة اسماعيل يارم ن جليلة عواد ، سهير جلبانة ، جانييت كامل سعد) نقلاً عن : زكريا محمد عبد الله ، البرلمان المصري (١٩٧٦–١٩٩٥) ، مركز المحروسة ، القاهرة ، ١٩٩٨ ، ص ١١٣.

(٣٤) بثينة محمود الديب وأخرون ، تطور أوضاع المرأة في عهد مبارك (١٩٨١–٢٠٠٢) ، القاهرة ، د.ت ، ص ٢٣٣؛ Nelson Barbara J. Chowdhury , Women and Politics World Wide , Yale University , London , P.237.

(٣٥) كريمة العروسي : ولدت في الثالث والعشرين من نيسان / ابريل ١٩٢٨ باب الشعرية ، حصلت على دبلوم تجاري عالي عام ١٩٥٩، ثم بكالوريوس تجارة القاهرة، نجحت في انتخابات مجلس الشعب عام ١٩٧١ عن دائرة عابدين

الموسكى، عينت بالمؤسسة التعاونية الاستهلاكية عام ١٩٦٣ بالقاهرة، ثم مدير لادارة الراي العام ومراقبة الاخبار بالتلفزيون، ثم مدير للعلاقات العام بمؤسسة السلع الغذائية عام ١٩٧٢، ثم اصبحت رئيس جمعية ناصر لرعاية الاسرى بالقاهرة عام ١٩٧٣، عضو الجبهة التاسيسية لدولة الوحدة بين ليبيا ومصر١٩٧٣، وفي عام ١٩٧٥ رائست لجنة المرأة في مجلس الشعب، اصبحت مسؤولة التنظيم النسائي في محافظة القاهرة. للمزيد من المعلومات ينظر : محمد المصري ، المصدر السابق، ص ١٠٠ .

(٣٦) فاطمة عنان : ولدت عام ١٩١٩ في قرية دموة بالدقهلية ، حصلت على بكالوريس في التربية وعلم النفس، عملت بالتدريس واصبحت مديرة بالثانوية ثم وكيل وزارة، أول سيدة يتم أنتخابها في مجلس نقابة المعلمين ولمدة خمسة وعشرين عاماً ثم وكيل المجلس، ورئيس التنظيم النسائي بالاتحاد الاشتراكي (١٩٥٥– ١٩٦٣)، ثم عضو بمجلس الشعب (١٩٧١– ١٩٧٦)،ووكيل لجنة التعليم والبحث العلمي (١٩٧٩– ١٩٨٤)، منحت لقب أم المعلمين عام ١٩٧١، ووسام الجمهورية من الدرجة الثانية عام ١٩٧٢، فازت برئاسة المجلس الاقليمي للمرأة لمحافظة الدقهلية عام ٢٠٠٠. للتفصيل اكثر ينظر : احمد رجائي ، موسوعة ١٠٠٠شخصية نسائية مصرية ، ترجمة : هديل شرف واخرون ، دار الجمهورية للصحافة ، القاهرة ، ٢٠٠٤، ص ٨٢ .

(٣٧) الفت عزيز كامل : ولدت في السابع عشر من تشرين الاول / اكتوبر ١٩٢٢ ، عضو بالاتحاد القومي عام ١٩٥٩، والاتحاد الاشتراكي عام ١٩٦٣، انتخبت عضو بمجلس الامة عام ١٩٦٤ واعيد انتخابها عام ١٩٧٤، وكانت رئيسة للجنة الاسكان، شاركت في تأسيس حزب الاحرار، ثم أنضمت لحزب الوفد واصبحت عضواً عن الحزب في مجلس الشعب عام ١٩٨٤، رئيس مؤسس لجمعية تنمية المرأة، رئيس أتحاد الاسرة والطفولة، مثلت مصر في المؤتمر النسائي في الهند، نائب رئيس مجلس ادارة جمعية تنظيم الاسرة، حصلت على الميدالية الفضية من وزراة الشئون الاجتماعية ونيشان من المانيا الشرقية. ينظر : احمد رجائي ، المصدر السابق ، ص ١٢.

(٣٨) نادية حليم واخرون ، المصدر السابق ، ص ٤٨ – ٤٩.

(٣٩) منى مصطفى عبد الرؤوف ، المصدر السابق ، ص ١٠٧ .

(٤٠) محمد الطويل ، المرأة والبرلمان (تقييم التجربة البرلمانية للمرأة المصرية) ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٣ ، ص ٢٠٣ – ٢١٠.

(٤١) سوزان مبارك : بكالوريوس في العلوم السياسية عام ١٩٧٧ ، ثم ماجستير في علم الاجتماع من الجامعة الامريكية بالقاهرة عام ١٩٨٢ ، نائب رئيس المجلس العربي للطفولة ، رئيس اللجنة الفنية الاستشارية للمجلس القومي للامومة والطفولة ، أسفرت جهودها عن اعلان وثيقة عقد الطفل والذي خصص السنوات العشر (١٩٨٩–١٩٩٩) لحماية الطفل المصري ورعايته ، مؤسسة ورئيسة مجلسي الرعايا المتكاملة عام ١٩٨٠ وجمعية خدمات حي مصر الجديدة ، رئيسة الجمعية العالمية لخريجي الجامعة الامريكية (١٩٨٢–١٩٨٤) ، اختارها اليونسكو لتكون رئيسة اللجنة الدولية لانشاء مكتبة الاسكندرية ، وفي عام ١٩٨٩ اختيرت رئيسة دولية لعام القارئ الصغير، وفي عام ١٩٩٠ رئيسة وفد مصر في مؤتمر قمة الطفولة العالمي في نيويورك ، رئيسة اول مجلس قومي للمرأة عام ٢٠٠٠. للمزيد من المعلومات ينظر : احمد رجائي ، المصدر السابق ، ص ٦–٧.

(٤٢) عفاف عبد العليم ابراهيم ناصر ، الحركة النسائية وتاثيرها على الادوار المتغيرة للمرأة في المجتمع المصري ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة الاسكندرية ، ١٩٨٧ ، ص ٤٥٦ – ٤٦٠.

(٤٣) المجلس القومي للمرأة ، الحقوق القانونية للمرأة المصرية بين النظرية والتطبيق ، القاهرة ، ١٩٩٢ ، ص ٣١.

(٤٤) غادة علي موسى ، التعددية السياسية والانفتاح الاقتصادي وأثرهما على المشاركة السياسية للمرأة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، جامعة القاهرة ، ١٩٩٦ ، ص ١٨٩ .

(٤٥) عضوات البرلمان في هذا الفصل هن (الفت عزيز كامل ، امال عثمان ، امتثال الديب ، ثريا خليفة ، ثريا لبنة ، جليلة عواد ، عنايات ابو اليزيد يوسف ، فاطمة عنان ، فايدة كامل ، فردوس الاودن ، ليلى محمد يوسف ، نوال عامر ، هيام عبد اللطيف محمد ، سماء الحاج ابراهيم ، فوزية عبد الستار ، ليلى تكلا ، سوسن الكيلاني ، جانييت كامل سعد) نقلا عن : زكريا محمد عبدالله ، المصدر السابق ، ص ١١٦ .

(٤٦) علي الدين هلال ، انتخابات مجلس الشعب ١٩٨٧ ، مركز الدراسات السياسية والاستيراتيجية بالاهرام ، القاهرة ، ١٩٨٨ ، ص ١١٧.

(٤٧) نادية حليم واخرون ، المصدر السابق ، ص ٥٣.

(٤٨) الاعضاء في هذا الفصل هن (منى مكرم عبيد ، فوزية عبد الستار ، حورية مجاهد ، امال عثمان ، ثريا لبنة ، جليلة عواد ، فايدة كامل ، سوسن الكيلاني ، وداد شلبي ووجيهة الزلباني) نقلاً عن : زكريا محمد عبد الله ، المصدر السابق ، ص ١١٨ .

(٤٩) فوزية عبد الستار : ولدت في السابع والعشرين من ايار ١٩٣١ في الاسكندرية ، ليسانس حقوق جامعة القاهرة عام ١٩٥٧ ، ثم ماجستير حقوق عام ١٩٦٧ ، دكتوراة في القانون الجنائي ١٩٦٧، اصبحت معيدة بحقوق القاهرة عام ١٩٦٣، أستاذة في القانون الجنائي ١٩٧٧ ، عينت عضو بمجلس الشعب عام ١٩٨٧ ، رئيسة للشعبة القانونية بامانة المرأة بالحزب الوطني ، أول سيدة تعين وكيلة لشؤون التعليم والطلاب عام ١٩٨٨، أعيد تعينها في مجلس الشعب عام ١٩٩٠، اول سيدة تعين رئيسة للجنة التشريعية بالمجلس ١٩٩٠، ثم عضو بالامانة العامة للحزب الوطني عام ١٩٩٣ ، ثم عضو في لجنة الحوار الوطني عام ١٩٩٤ ، لديها العديد من المؤلفات منها : علم الاجرام والعقاب ، شرح قانون العقوبات ، وفي عام ٢٠٠٠ عضو في المجلس القومي للمرأة . للمزيد ينظر : احمد رجائي ، المصدر السابق ، ص ٨٦.

(٥٠) ليلى تكلا : ولدت في السادس من كانون الاول / ديسمبر ١٩٣٢ في القاهرة ، حصلت على اليسانس في الحقوق من جامعة القاهرة عام ١٩٤٤، ثم دبلوم دراسات اجتماعية ، ثم ماجستير عن محاكم الاحداث من جامعة كاليفونيا عام ١٩٥٧، رشحت قاضية احداث في روما عام ١٩٥٨، حصلت على الدكتوراة في الفنون والادارة من جامعة نيويورك عام ١٩٦٣، قامت بالتدريس بجامعة نيويورك، عينت عضواً بجلس الشعب، وانتخبت رئيس للجنة العلاقات الخارجية عام ١٩٧٥، وفي عام ١٩٧٦ اصبحت رئيسة لجمعية الصداقة المصرية الفلندية، واول سيدة تنتخب لعضوية المجلس التنفيذي للاتحاد البرلماني الدولي، وفي عام ٢٠٠٠ تم اختيارها عضواً بالمجلس القومي للمرأة . للتفصيل ينظر: المصدر نفسه ، ص ٩٦.

(٥١) سهير القلماوي : ولدت عام ١٩١١ في القاهرة ، تلقت تعليمها العالي في كلية البنات الامريكية، وهي اول فتاة التحقت بالجامعة عام ١٩٢٩، واول فتاة تحصل على الماجستير من السوربون بباريس والدكتوراة في الاداب عام ١٩٣٧، وهي رئيسة قسم اللغة العربية بكلية الاداب جامعة القاهرة عام ١٩٥٨، وهي عضو المجلس لرعاية الفنون والاداب والعلوم

الاجتماعية، مثلت مصر في العديد من المؤتمرات العالمية، توفيت عام ١٩٩٧. للمزيد ينظر: أنيس منصور وسيد علي اسماعيل، موسوعة المرأة عبر العصور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، ٢٠٠٤ ، ص١٢٧ .

(٥٢) امتثال الديب : ولدت في الحادي عشر من تموز ١٩٣٦ في الاسكندرية ، ليسانس اداب قسم فلسفة واجتماع جامعة الاسكندرية عام ١٩٥٨، ماجستير في العلوم السياسية عام ١٩٦٤ تدرجت وظيفيا لمراقب عام الخدمات الاجتماعية بهيئة المواصلات بالثغر ، ثم عضو باللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي عام ١٩٧٥، عضو مجلس الشعب (حزب وطني) عن دائرة الرمل عام ١٩٧٩، رشحت مرة اخرى عام ١٩٨٤، اختيرت امينة للمرأة بالاسكندرية عام ١٩٨٤، عضو نقابة اللاسلكي والنقابة العامة للبريد والبرق ، اختيرت وكيلاً للجنة الشؤون العربية في المجلس عام ١٩٨٤، عضو مجلس ادارة جمعية سيدات الثغر وجمعية مكافحة السرطان والجمعيةالنسائية لتحسين الصحة . للتفاصيل اكثر ينظر : احمد رجائي ، المصدر السابق ، ص ١٥.

(٥٣) غادة علي موسى ، المصدر السابق ، ص ١٩٤.

(٥٤) سعاد الشرقاوي وعبد الله ناصيف ، المصدر السابق ، ص ٢٣٧.

(٥٥) المجلس القومي للمرأة ، المرأة تحت قبة مجلس الشورى ، القاهرة ، ٢٠٠٠ ، ص ١٦ – ١٨.

(٥٦) نادية مصطفى عبدة المصري ، دور الاتصال في المشاركة السياسية للمرأة المصرية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاعلام ، جامعة القاهرة ، ٢٠٠٠ ، ص ١٠٧؛ عدلي ابو طاحون ، المصدر السابق ، ص ٣٠٧.

(٥٧) المجلس القومي للمرأة ، المرأة والسياسة في مصر، القاهرة ، ٢٠٠١ ، ص ١٣ .

(٥٨) منى مصطفى عبد الرؤوف ، المصدر السابق ، ص ١٣٩ .

(٥٩) نادية مصطفى عبدة المصري ، المصدر السابق ، ص ١٠٧ .

(٦٠) منى مصطفى عبد الرؤوف ، المصدر السابق ، ص ١٤٠.

(٦١) المصدر نفسه ، ص ١٤١ .

(٦٢) منال عبد السلام بدوى ، دور المرأة في الجمعيات الاهلية (دراسة ميدانية لعينة من الجمعيات الاهلية النسائية) ، اطروحة دكتوراة غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة عين شمس ، ٢٠٠٣ ، ص ١٥٩.

(٦٣) سامية خضر صالح ، ديناميكية البيئة الاجتماعية والمشاركة السياسية للمرأة المصرية ، اطروحة دكتوراة غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة المينا ، ١٩٨٦ ، ص ٣٠٥.

(٦٤) صدر في الثالث والعشرين من ايلول ١٩٧١ القانون رقم ٥٧ لعام ١٩٧١ بشان الحكم المحلي، الذي نص على تشكيل المجالس الشعبية واختصاصاتها والمجالس التنفيذية واختصاصاتها، وطبقاً لهذا القانون يشكل المجلس الشعبي للمحافظة من اعضاء لجنة الاتحاد وامناء المراكز والاقسام وممثلين اثنين عن كل من الشباب والنساء، ويختص المجلس بمتابعة خطط تنفيذ برنامج العمل الوطني في المحافظة ودعم الدفاع عن ارض الوطن، واقتراح انشاء المرافق المختلفة بالنسبة للخدمات والانتاج. ينظر: طارق البشرى ، دراسات في الديمقراطية المصرية ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٨٧، ص ٢٤٣.

(٦٥) عفاف عبد العليم ابراهيم ناصر ، المصدر السابق ، ص ٤٢٣ .

(٦٦) عبد الله هدية ، دور المرأة السياسي في المجتمع المصري ، المجلس الاعلى للثقافة ، الاسكندرية ، ٢٠٠١ ، ص ٢٨ .

(٦٧) سلوى شعراوي جمعة ، تمثيل المرأة في المجالس المنتخبة (الفرص والاشكاليات) ، مركز استشارات الادارة العامة ، القاهرة ، ٢٠٠٠ ، ص ١٧٦.

(٦٨) فاطمة محمد منير محمد اللمعي ، دور المؤسسات غير الحكومية في تنمية المرأة في مصر في ضور خبرات بعض الدول ، اطروحة دكتوراة غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة طنطا ، ٢٠٠٦، ص ٦٤.

(٦٩) رفيقة حمود سليم حمود ، المرأة المصرية مشكلات الحاضر وتحديات المستقبل ، دار الامين للنوزيع والنشر ، القاهرة ، ١٩٩٧ ، ص ٧٨.

(٧٠) الجدول مقتبس من : نادية مصطفى عبدة المصري ، المصدر السابق ، ص ١٠٨ .

(٧١) غادة علي موسى ، المصدر السابق ، ص ٢٠٣ .

(٧٢) جيهان محمود ثروت بدوى ، الادراك المتغير للدور الاجتماعي للمرأة في المجتمع المصري ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب ن جامعة المنصورة ، ٢٠٠٥ ، ص ٢٣٠-٢٣١.

(٧٣) حورية مجاهد ، المرأة المصرية في المجالس النيابية (مجلس الشعب والشورى والمجالس المحلية) ، المجلس القومي للطفولة والامومة ، القاهرة ، ١٩٩٤ ، ص ١٢.

(٧٤) نادية مصطفى عبدة المصري ، المصدر السابق ، ص ١٠٨ .

(٧٥) جمال عبد الناصر : ولد عام ١٩١٨ في الاسكندرية، درس الابتدائية في مدرسة الخطاطبة ومدرسة النحاسين في الجمالية في القاهرة، درس الثانوية في مدرسة حلوان، بعد تخرجه في الثانوية التحق بالكلية الحربية عام ١٩٣٧، أصبح ضابطاً في الجيش المصري، ثم عين مدرساً بالكلية الحربية، شارك في حرب فلسطين ١٩٤٨، رقي الى رتبة رائد صاغ في عام١٩٥٢، عمل على تاسيس " تنظيم الضباط الاحرار"، قاد معركة الفالوجة، بالاضافة الى ثورة ٢٣ يوليو، وفي عام ١٩٥٤ اصبح رئيساً للوزراء، ثم رئيساً للجمهورية، توفي عام ١٩٧٠. للمزيد ينظر : بثينة عبد الرحمن ياسين التكريتي ، جمال عبد الناصر نشاة وتطور الفكر الناصري ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ٢٠٠٠.

(٧٦) حكمت ابو زيد : ولدت عام ١٩٢٢ في قرية الشيخ داود بصعيد مصر، أهتم والدها بتعليمها تلقت دراستها الإبتدائية بمدرستي سوهاج وأسوان الإبتدائية ثم التحقت بمدرسة حلوان الثانوية، التحقت حكمت بكلية الاداب جامعة فؤاد الاول(جامعة القاهرة) قسم التاريخ، حصلت على الماجستير من جامعة سانت اندروزا باسكتلندا عام ١٩٥٠، ثم دكتوراة في علم النفس من جامعة لندن عام ١٩٥٥، عملت أستاذاً بكلية البنات جامعة عين شمس، ومن أبحاثها التكيف الاجتماعي في الريف، التربية الاسلامية وكفاح المرأة، ووضعت اول خطة لتنمية الاسرة، اذ أعدت مشروع الرائدات الريفيات تمهيداً للأسر المنتجة، ووضعت عام ١٩٦٤ قانون (٦٤) وهو اول قانون ينظم عمل الجمعيات، ونظمت جمع الزكاة، وفي عام ١٩٦٩ أشرفت على مشروع تهجير اهالي النوبة بعد تعرضها للغرق، أستمرت في الوزارة ثلاث سنوات . للمزيد ينظر : احمد رجائي ، المصدر السابق ، ص ٣٢ .

(٧٧) عزة الابياري ، المرأة المصرية ، الهيئة العامة للاستعلامات ، القاهرة ، ٢٠٠١ ، ص ٥٠.

(78) Laura Kathryn Landolt , Woman and Democratization in Egypt (1919-1981) ,Thesis Master of Arts , Department of Political Science , University of Texas , 1996 , P.69 – 70 .

(٧٩) عائشة راتب : ولدت في الثاني والعشرين من شباط ١٩٢٨ ، حصلت على الثانوية العامة من مدرسة الاميرة فوزية بشبرا عام ١٩٤٥، ثم التحقت بكلية الاداب قسم اللغة الانكليزية ، ثم التحقت بكلية الحقوق جامعة القاهرة وتخرجت فيها عام ١٩٤٩، وكانت اول معيدة بقسم القانون الدولي عام ١٩٥٠، ثم حصلت على دبلوم في القانون العام ١٩٥٠ ودبلوم في القانون الخاص عام ١٩٥١، سافرت في عام ١٩٥٥ الى فرنسا لدراسة الدكتوراة، اول سيدة عضو في مجلس كلية الحقوق عام ١٩٧٠، وفي الحادي عشر من تشرين الثاني ١٩٧١ تقلدت منصب وزير الشؤون الاجتماعية، ثم عضو في لجنة العمل للاتحاد الاشتراكي ١٩٧٢، ساهمت في وضع مشروع قانون الاحوال الشخصية ، ثم اصبحت سفيرة بوزارة الخارجية عام ١٩٧٨، اشرفت على العديد من الرسائل العلمية ، توفيت عام ٢٠١١. للتفاصيل اكثر ينظر : حنان محمد عبد الرحيم ، دور المرأة في مصر المعاصرة عائشة راتب نموذجاً (١٩٥٥–٢٠١١) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية البنات للاداب والعلوم والتربية ، جامعة عين شمس ، ٢٠١٨.

(80) Huda Elsadda and Emad Abu-Ghazi, Significant Moment in the History of Egyptian Women,Volume1, National Council For Women , Cairo ,2003, p.149.

(٨١) جريدة " المصري اليوم " المصرية ، العدد ١٤٧٩ ، في ٢٥ اب ٢٠٠٨ .

(82) Earl Sullivan , Woman in Egyptian Public Life , Syracuse University Press , Syracuse , 1986 , P. 175.

(83) Jehan Al.sadat , OP.Cit , P.365 .

(84)(Arlene Elowe Macleod , Accommodating Protest (Working Women , the New Veiling Change in Cairo) , Columbia University Press , New York , 1991 , P.55 ؛ Jone Alden Williams , A Return to the Veil in Egypt , in the Middle East Review , Vol. 11 , No. 3 , Spring 1979 , P.49-55؛

((٨٥)) اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي اسيا ، الحركة النسائية في العالم ، الامم المتحدة ، نيويورك ، ٢٩ تشرين الثاني الثاني / نوفمبر ٢٠٠٥ ، ص ٨٧ .

(86) Enid Hill , Law and Courts in Egypt (Recent Issues and Event Concerning Islamic Law In The Political Economy of Contemporary Egypt , Center for Contemporary Arab Studies , Georgetown University , 1990 , P. 249 -250.

(87) Kevin Dwyer , Arab Voices (The Human Rights Debate in the Middle East. Comparative Studies on Muslim Societies Series , Berkeley : University of California press, 1991 , P. 186 .

(88) Nadia Hijab , Women & Work in the Arab World , Women in the Middle Series , No.3 , Washington DC : MERIP , July 1994 , P. 31 .

(٨٩) امال عثمان : ولدت في الثالث عشر من شباط ١٩٣٢ بحي الزيتون بالقاهرة، حصلت على الليسانس في الحقوق من جامعة القاهرة عام ١٩٥٥، ماجستير في القانون الجنائي ودراسة حول الاحزاب في امريكيا وانكلترا، ثم دكتوراة في القانون الجنائي جامعة القاهرة عام ١٩٦٤، عملت بعد تخرجها في المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، تزوجت من الدكتور يسر انور استاذ القانون وعميد كلية الحقوق بجامعة عين شم ، في عام ١٩٧٤ اصبحت امينة مساعدة للمرأة باللجنة المركزية بالاتحاد الاشتراكي، اختيرت وزيرة للشؤون الاجتماعية لمدة عشرين

عاماً، عضو في هيئة مستشاري رئيس الجمهورية عام ١٩٨١، ثم انتخبت رئيساً للمنظمة الافريقية الاسيوية للانعاش الريفي عام ١٩٩٦، لها العديد من المؤلفات في القانون الجنائي. للمزيد ينظر: فادية خطاب، المرأة ورواد التنمية، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ٢٠٠٧ ، ص ٤٧.

(٩٠) زينب ابراهيم الغربي ، تغيير الدور الاجتماعي للمرأة الريفية ومصاحباتها على الاسرة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية البنات ، جامعة عين شمس ، ١٩٨٧ ، ص ٢٦٩ .

(91)Laura Kathryn Landolt , OP.Cit , P.75.

(٩٢) زينب محمد عبد الحميد سلمان ، المرأة المصرية ودورها السياسي والبرلماني (١٩٥٦-١٩٧١) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة طنطا ، ٢٠١٣ ، ص ٢٥٣.

(٩٣) منير زهران ، الممارسة الدبلوماسية للمرأة المصرية ، المجلس القومي للمرأة ، القاهرة ، ٢٠٠٣ ، ص ٢٤.

(94) The National for Childhood and Motherhood , Women in Egypt ,Asummary of Egypt's Report Presented at the fourth International Conference on Women , 1995 , P. 11-15.

(٩٥) بثينة محمود الديب واخرون ، المصدر السابق ، ص ١٩٨ .

(٩٦) حمدي عبد الرحمن ، المشاركة السياسية للمرأة ، مركز دراسات المستقبل الافريقي ، القاهرة ، ٢٠٠١ ، ص ٢٠٦.

(٩٧) المصدر نفسة ، ص ٢٠١.

قراءة في مجالس الداعي الحامدي من خلال كتاب "تنبيه الغافلين"

أ . د . غنية ياسر كباشي
جامعة بغداد – كلية التربية
أبن رشد للعلوم الانسانية

قراءة في مجالس الداعي الحامدي من خلال كتاب "تنبيه الغافلين"

أ . د . غنية ياسر كباشي

ملخص

من أشهر دُعاة الدعوة الاسماعيلية في اليمن في عهد الدولة الصليحية في اليمن، كان له دورا في نشر الدعوة الطيبية في اليمن إذ التف حوله العديد من القبائل والاتباع وانتشرت الدعوة الطيبية بفضله في اماكن عديدة من العالم الاسلامي ، ومنها انتقلت بعد ذلك الى الهند. لذا أرتأيت البحث في أبرز مؤلف لهذه الشخصية الا هو كتاب "تنبيه الغافلين" اذ حوى العديد من مجالسه التي عقدها في اليمن ، لذا قسمت البحث الى عدة محاور هي أولاً : مكانته يالدعوة ، ثانياً : تطور عقد المجالس الاسماعيلية في عهد الدولة الفاطمية ،ثالثا : قراءة في كتاب تنبيه الغافلين **ويتضمن : –** تخلق المومن بالاخلاق العالية والصفات الحسنة،– طاعة اولياء الدعوة ، – مجلس في الستر على المؤمن ، – كلام في فضل المؤمن ، – رسالة كيفية عشرة اخوان الصفا وخلان الوفا – بقاء النفس وصلاح حالها بعد تلف الاجساد ، وأخيراً خاتمة البحث .

المقدمة

يعد كتاب "تنبيه الغافلين " للداعي حاتم بن أبراهيم بن الحسين المعروف بالحامدي ، الداعي المطلق الثالث في سلسلة الدعاة الطيبية الذي أعقب وفاة الامام والخليفة الامر بأحكام الله الفاطمي ، من بين أبرز مؤلفاته في العقيدة الاسماعيلية، أذ عرض فيه بعضا لهذه العقائد يشكل مبسط لها ،لتكون واضحة للداخلين في المجلس ، وعلى مايبدوا من خلال عرضه ، عقد مجلسه لعامة الناس ، لانه كما هو معروف عن مجالس الاسماعيلية تشمل عدة انواع ، كما سنوضح ذلك لاحقا بالبحث ،فقد جسد الداعي تلك العقائد بصورة تأويلية تناسب المستوى العام للحاضرين لمجلسه، والتي لابد أن يلم بها الداخل في الدعوة الاسماعيلية ، وقد ترقى الداعي في أعلى درجات الدعوة والتي تؤهله لعقد مثل هذه المجالس ،لذا كان علينا أن نعطي تعريف موجز لدور الداعي في نشر المذهب الاسماعيلي في اليمن ، ومن ثم البحث في عملية تطور عقد المجالس الاسماعيلية خلال عهد الخلافة الفاطمية ، لندخل بعد ذلك في عرض أهم وأبرز الصور التأويلية التي طرحها الداعي في مجلسه ، ومن ثم نصل الى خاتمة البحث .

اولا :مكانته بالدعوة

الداعي حاتم بن أبراهيم بن الحسين الحامدي الهمذاني الداعي المطلق الثالث في سلسلة الدعاة الطيبيه في دور الستر الثاني[١] الذي أعقب وفاة الأمام الامر بأحكام الله[٢] وأستتار ولده الأمام الطيب بن

الامر ،كان عالما وفقيها كثير الاطلاع والتاليف والانتاج ، وقد التف حوله العديد من الاتباع والقبائل في اليمن ،وجعل في كل بقاع اليمن مأذونا[٣] ، فواصله اتباع الدعوة في السند والهند وغيرها من المناطق الاخري في العالم الاسلامي أنذاك .أستمر بعمله حتى حدوث الانقسامات السياسيه باليمن ، فلم يستطع الداعي من حماية الدعوة بالدولة كما الحال في أيام الدولة الصليحية (١٠٤٧ م- ١١٣٨ م)[٤]، اذ وجد نفسه امام عقبات كثيرة لاسيما بعد دخول بني أيوب اليمن بقيادة طغتكين[٥] حيث قضوا على جميع الممالك و الامارات هناك لاسيما وان الايوبين هم من انها حكم الخلافة الفاطمية ذات المذهب الاسماعيلي بمصر مقر حكمهم على يد صلاح الدين الايوبي[٦] ، لذلك خيرا فعل الداعي الحامدي بأنسحابه وتفرغه للتأليف ، له العديد من المؤلفات من أهمها : كتاب تنبيه الغافلين ، رسالة النقد على أهل المخاط فيما أرتكبوا من الفسق والخباط ، كتاب المجالس كتاب جامع الحقائق كتاب المفاخر والماثر، حيث عمل ع نشر الدعوة وعلومها من كهف يقع تحت حصن الحطيب ، وأستمر على ذلك حتى وفاته في الحصن سنة (٥٩٦ هـ/ ١١٩٩م)[٧] .

ثانيا : تطور عقد المجالس الاسماعيلية في عهد الدولة الفاطمية

لقد عمل الفاطميون على نشر دعوتهم بالحجة العقلية والنقلية لاستمالة اتباعهم وانصارهم فيما اعتمدوا عقد المجالس* وكانت عندهم على نوعين:

أ – مجالس المناظرة والحوار والجدل مع المذاهب الاخرى .

ب- مجالس تنظيم الاتباع والمريدين (مجالس الدعوة التنظيمية).

أ- مجالس المناظرة والحوار والجدل مع المذاهب الاخرى:

الراجح ان مجالس المناظرة كانت على جانب كبير من النشاط في السنوات الاولى لنشأة الدولة في بلاد المغرب (٢٩٦-٢٩٨ هـ/٩٠٩ -٩١١ م) لاستمالة المغاربة الذين كانوا على مذهب المالكية[٨] ، وانطلاقاً من هذه الفكرة كانت هذه المجالس تقوم على ثلاثة اركان مهمة ، هي الشخص الذي يدير المجلس ، وعمق الموضوع الذي يتناوله ، ومرجعية الامام في الاحاطة بالعلوم والمعارف التي يقتضيها سياق المجلس ومناظراته .

والملاحظ أن هناك اختلافاً ين المؤرخين في عدد هذه المجالس، فقد ذكر لنا (الخشني) [٩] في طبقاته انها اربعة مجالس فقط، اما (الصنهاجي) [١٠] فيذكر أنها كانت اربعين مجلساً.

ونحن نرجح العدد اربعين بدلاً من اربعة ، وان نقل لنا (الخشني) وقائع اربعة مجالس ولم يذكر لنا (الصنهاجي) ما ذكره من عدد الاربعين ، اما سبب ترجيحنا للعدد اربعين فيعود الى ان التبشير لقيام دولة جديدة تقوم على عقائد فقهية مغايرة لما هو سائد يحتاج الى جهد متواصل ومتكرر لايومنه الاكثرة المجالس في بيئة افريقية تسكنها قبائل ذات طبيعة اعرابية من البربر صعبة المراس ، كانت قد ارتدت عن الاسلام .

أما ابرز من عقد هذه المجالس من المشارقة (الفاطميين) تحت رعاية الخلفاء الفاطميين فهو أبو عبد الله الشيعي (ت٢٩٩هـ/٩١١م) وابو العباس المخطوم(ت٢٩٩هـ/٩١١م) ، ثم عبد الله المهدي (ت٣٢٢هـ/٩٣٤م) ، وابو جعفر البغدادي* اما من المغاربة فقد اشتهر أبن الحداد** وكذلك القمودي***وقد حفظ لنا (الخشني) اربعة من هذه المجالس التي دارت بين الفاطميين وخصومهم من الفقهاء الاخرين[١١] ، وأكثر ما يسترعي انتباه الدارس لتلك المناظرات ان الموضوع الاساسي لها على اختلاف مصادرها هو الولاية (ولاية الامام علي)(عليه السلام) ، على اعتبار انها افضل دعائم واركان الاسلام السبع عند المشارقة (الفاطميين) [١٢].

ومن الجدير بالذكر ان المجالس التي عقدها ابو عبد الله الشيعي الداعي الفاطمي الاول (ت٢٩٩هـ/٩١١م) لم تقتصر على الرجال فقط بل شملت النساء أيضاً ، والحقيقة ان رسالة الدعوة كانت تنتقل الى النساء ، وهي من الأولويات الرئيسية بالنسبة للفكر الاسماعيلي الفاطمي [١٣] .

فيذكر ان الداعي الاول ابو عبد الله الشيعي كان يفرغ نفسه يومياً لعقد هذه المجالس ليوضح فيها مبادئ واصول الدعوة الجديدة[١٤].

وبعد وفاة الداعي ابي عبد الله الشيعي توقفت هذه المجالس ، ولم تعقد حتى انتقل الخليفة المهدي الى مدينة المهدية التي انشائها عام (٣٠٨هـ/٩٢٠م) [١٥].

يتضح لنا من خلال الفترة السابقة التي سعى لها ابو عبد الله الشيعي لنشر الدعوة وعقد مجالسه ، قوة شخصية هذا الداعي الذي استطاع نشر الدعوة بهذه الطريقة السلمية يؤازره اخيه ابي العباس في عقد هذه المجالس والمناظرات مع المناهضين لمذهبهم ، ثم سياسة الاقناع والمناظرة التي اتبعها هذا الداعي في مجالسه كان لها الاثر الاكبر في نشر دعوته في المغرب ، وقد يكون انضمام ابي بكر القمودي دليلاً على ذلك ، بعد ما كان يناظرهم مع ابن الحداد .

لابد لنا هنا من التطرق الى مجالس الدعوة[١٦] لقد رتب الفاطميون لدعوتهم نظاماً دقيقاً محكماً، يكاد لا يوجد له مثيلاً في تاريخ الدول والدعوات حتى عصرنا الحاضر فيه للدعاية اثرها وقدرها ومكانتها، ولعل الفاطميين هم أول من أقام للدعاية مناصب رسمية في دولتهم[١٧]، وان كان للعباسيين نقباء يدعون لهم قبل أن يستولوا على الحكم، لكن هؤلاء النقباء لم يظهر لهم شأن بعد ان تم الامر للعباسيين[١٨]، كما كان للمعتزلة دعاة يدعون لآرائهم في الاقطار الاسلامية، ولكن لم يكن لهم كيان سياسي أو دولة[١٩]. إما الفاطميون فكان لهم نظم لدعوتهم قبل ظهور دولتهم على مسرح السياسة، ولا تزال هذه النظم متمثلة الى اليوم في بعض فرق الفاطميين بين من ورث الدعوة وهم المعرفون بالبهرة أو الاسماعيلية الأغاخانية[٢٠].

فكما هو معروف كان الفاطميون اسماعيلي المذهب ، وهو مذهب مغاير لمذاهب اسلامية الاخرى الموجودة في العالم الاسلامي آنذاك ، أذ اعترفوا بموت اسماعيل وأن الامامة انتقلت بعده الى محمد بن اسماعيل ثم في أولاده من بعده ، وهم في رأي (الشهرستاني) [٢١] الإسماعيلية الباطنية التعليمية

المشهورة في الفرق ، فيما قال غيرهم من الإسماعيلية وهم الواقفية ان الامام بعد جعفر اسماعيل نص عليه باتفاق من أولاده الا انهم اختلفوا في موته في حال حياة أبيه ، فمنهم من قال لم يمت الا انه اظهر موته تقية من خلفاء بني العباس وعقد محضراً واشهد عليه عامل المنصور بالمدينة[٢٢]، ومنهم من قال الموت صحيح والنص لا يرجع قهقري والفائدة في النص بقاء الامامة في اولاد المنصوص عليه دون غيره ، فالأمام بعد اسماعيل محمد بن اسماعيل وهؤلاء يقال لهم المباركية المنسوبون الى مبارك مولى جعفر بن محمد[٢٣]. لذلك اكد الداعي الحامدي على ضرورة استيعاب المذاهب الاخرى دون التعصب للمذهب الاسماعيلي ،اذ انه يعتقد بان المذهب الاسماعيلي يستغرق المذاهب كلها ويجمع العلوم كلها ، وهو النظر في جميع الموجودات بأسرها الحسيه والعقليه من أولها الى أخرها وظاهرها وباطنها "نظريه المثل والممثول "[٢٤] لأنها من معدن واحد وعالم واحد ونفس واحدة محيطه بجميع جواهرها واجناسها المتباينة . المودودات معانيها[٢٥] ويرد الداعي علوم الاسماعيلية الى اربعة مصادر الا وهي : الكتب المنزلة التي جاء بها الانبياء عليهم السلام مثل التوراة والانجيل والفرقان وغيرها من صحف الانبياء ، ثم كتب المصنفة على ألسنه الحكماء والفلاسفة ، والثالث الكتب الطبيعية وهي صور وأشكال الموجودات بما هي عليه الان من تراكيب الافلاك ، واقسام البروج ،وحركات الكواكب ومقاديرها ، وتصاريف الزمان ، واستماله الاركان ، وفنون الكائنات من الحيوان والمعادن والنبات ، وأصناف المصنوعات على أيدي البشر ، كل هذه صور وكائنات لها دلالات على معاني لطيفة وأسرار دقيقة يرون الناس ظاهرها ولا يعرفون معانيها وهى من لطيف صنع الله . اما النوع الرابع الكتب الالهية التي لا يمسها الا المطهرون وهي كتب الائمة وعلماء الدعوة العارفين بأسرار العلم[٢٦] . وحسب العقيدة الاسماعيلية فأن لائمة هم وارثوا علم النبوة وهم الاعلم بهذه الاسرار الخفية التي يصعب على الانسان العادي معرفتها ..

ثالثا :كتاب تنبيه الغافلين

تحدث الداعي في مجالسه التي وجدناها في هذا المؤلف ، في الأخلاق والصفات العالية التي يتحلى بها المؤمن سيما الداخلين في الدعوة الأسماعيلية ،أذ أكد على مجموعة من الصفات ، منها نبذ التحاسد والتباغض ، وكذلك وجدنا رسالتين في كتابه من رسائل أخوان الصفا ، كما وجدنا رسالتين من رسائل أخوان الصفا في أداب ألأخوان وحسن المعاشرة ، وفضلا من مجلس العزيز بالله الفاطمي . سنتطرق الى أبرز ماذكره الداعي أهمها:

- **تخلق المومن بالاخلاق العالية والصفات الحسنة**

اكد الداعي على التخلق بالاخلاق العاليه والصفات الحسنه لاسيما بعد دخول المؤمن الدعوة ،فكل شخص يكون بينه وبين الاخرين في الدنيا مشاعر مثل الكره والحسد والغيبه وغيرها ،وهنا يؤل الداعي ذلك بأن يكون احدهما على حق والاخر باطل ويصف الداعي بان المعتدي على اخيه ليس هو

من شيعة الائمه بل من اعدائهم لذلك فهما لايتفقا ، وان ولي الائمه هو المؤمن الموالى لاخيه وجميع اخوانه بالدعوة ثم يختم الداعي كلامه بعدد من الاحاديث للرسول الكريم واهل بيته بأهمية[٢٧] .

- **طاعة اولياء الدعوة**

اكد الداعي على مجموعة حقوق للمؤمن بالدعوة تجاه وليه صاحب الدعوة لارخصه له في تركها وهي : " ان يراعي نصيحة وليه ويلبي دعوته ، ويحسن معونته ، ويرد غيبته، ويقبل عثرته ...."[٢٨] . ثم يستشهد بعد ذلك بدعاء مولاه الخليفة المستنصر بالله الفاطمي[٢٩] . اذا كان يدعوا بعد كل صلاة في القصر بالدعوة الصالحه من غفران المؤمن ذنب اخيه والصلة الدائمه بين اصحاب الدعوة وغير ذلك ، لذا يدعوا الداعي الئ الامتثال بكلام ولي الدعوة قائلا: فانظر ياخي اذا كان هذا كلام مولاي ومولاك وتأكيده على الاخ في حق اخيه ودعائه له بظهر الغيب ....فمن اين يجوز لولي ان يخون وليه او يؤذيه[٣٠] .

- **مجلس في الستر على المؤمن**

اكد الداعي على ستر المؤمن لأخيه المؤمن واقالة عثراتهم مالم ينهكوا في المعاصي ، مستشهدا باحاديث عن قاضي الدعوة النعمان بن محمد[٣١] ، عن امام الدعوة الخليفة المعز لدين الله[٣٢] ، موكدا على الامتثال بذلك[٣٣] .

- **كلام في فضل المؤمن**

يؤكد الداعي في هذا الباب على اهمية ستر المؤمن لاخيه المؤمن والعمل جاهدا على اشاعة الاصلاح بين الاخوان ومؤالفة اهل الايمان الملتزمين بامام الزمان واجتناب طاعة الشيطان مفرق اهل الايمان ، والمؤمن لايغتاب اخيه المومن ولايتهمه ولايخذله ولايتبرا منه ويتمس له العذر[٣٤] . ويضيف الداعي قائلا:

"أعلم ايها الاخ بأن الخطاء يحدث من كثير من الناس لان ليس بمعصوم من الخطاء والزلل الا النطقاء والاوصياء ولائمه والابواب .....وحدودهم التابعين ...."[٣٥]

ويحث الداعي الداخلين في الدعوة الاسماعيلية على التخلق بأخلاق الرسول عليه الصلاة ولائمة من بعده ، باعتبارهم الحدود العليا للدعوة وكيف يكون حال من دخل الدعوة في العهد الكريم وصار من جملة اهل الايمان المتمسكين بولايةامام الزمان حسب قول الداعي[٣٦] .

- **رسالة كيفية عشرة اخوان الصفا وخلان الوفا**

يتطرق الداعي هنا الى اهم الوصايا التي جاءت في هذه الرسالة التي الفها الامام الاسماعيلي ،الا وهي ضرورة اجتماع اهل الدعوة حيثما كانوا في البلاد الاسلامية، بان يكون لهم مجلس خاص يجتمعون فيه في اوقات معلومه لايدخل فيها غيرهم ، ويتذاكرون فيه علومهم ويتحاورون فيه اسرارهم في مختلف العلوم والمعارف فضلا عن التذاكر في الرياضيات والهندسه وغيرها من العلوم الرياضية[٣٧] . وفي ذلك رد على من يحاول تشويه الدعوة بان اكثر من دخلها هم من الجهال وعديمي المعرفة .

- **بقاء النفس وصلاح حالها بعد تلف الاجساد**

لقد تطرق الداعي الحامدي في احد فصول كتابه الى بقاء النفس بعد الموت وهو ما يعتقده الانبياء[٣٨] ، وكذلك اهل البيت لذا ضحوا بأنفسهم بتسليم أجسادهم الى القتل في يوم كربلاء ، فلم يرضوا ان ينزلوا على حكم يزيدوابن زياد وصبروا على العطش و والطعن والضرب ، حتى فارقت نفوسهم أجسادها ، فلوا لم يكونوا مستيقنيين ببقاء نفوسهم بعد مفارقة أجسادهم لما خاضوا المعركة ، باعتقاد الداعي[٣٩] .

الخاتمة

بعد ان أكملت موضوع البحث بفضل من الله ، توصلت الى مجموعة نتائج منها :

- يُعد الداعي الحامدي من أشهر سلسلة الدُعاة الطيبية في دور الستر،وكان لهُ دور كبير في نشر الدعوة الاسماعيلية في هذه الفترة في اليمن والتفت حوله العديد من الاتباع والقبائل وبدأت تنتشر الى مناطق العالم الاسلامي الاخرى .
- تميز أسلوبه في العرض ببساطة تأويله لبعض العقائد التي طرحها، محاولة منه لغرسها في نفوس الحاضرين لمجلسه من خلال ربطها بالايات القرأنية والاحاديث النبوية الشريفة ، وأحاديث أهل البيت،
- ركز الداعي على أهمية التمسك بطاعة ألاولياء وألائمة ، الذين هم نجاة للمؤمن الاسماعيلي ، لذك ركز على أهمية ألامتثال لكلام الدعاة ،
- عزز طرحه بأحاديث داعي الدعاة القاضي النعمان، عن أمام الدعوة الخليفة او الامام المعز لدين الله الفاطمي ، ودعاة الامام الاسماعيلي الخليفة المستنصر بالله الفاطمي .
- أراد الداعي أن يغرس في نفوس الحاضرين للمجلس أقوال ووصايا الائمة من اهل البيت ، من خلال التخلق بأخلاق أهل البيت وألائمة الاسماعيلية من بعدهم ، بأعتبارهم الحدود العليا لهرم الدعوة الاسماعيلية ، ليصبحوا من جملة أهل الايمان المتمسكين بولاية أمام الزمان لدى الاسماعيلية حسب قول الداعي .

قائمة المصادر والمراجع

١) البغدادي ، عبد الرزاق ، الرسالة الدامغة للرد الفاسق ، مخطوطة محفوظة في المركز الوطني للمخطوطات تحت رقم (٦١٧١) .

٢) الحامدي ، حاتم بن ابراهيم (ت ٥٩٦هـ /١١٩٩م) ، كتاب تنبيه الغافلين ، تح :عمرو بن معد يكرب الهمذاني ، (اليمن : مطبعة الدار المحمدية الهمذانيه للدراسات والابحاث ، ٢٠١٣) .

٣) الصفدي ، صلاح الدين خليل بن ايبك (ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م) الوافي بالوفيات ، ط١، تح : محمد بن الحسين بن عبد الله ومحمد بن عبد الله الشبلي ، (بيروت : دار احياء التراث العربي ، ٢٠٠٠م) .

٤) الصنهاجي ، ابو عبد الله محمد (ت٦٢٦هـ/١٢٣٠م) أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ، تحقيق : جلول احمد البدوي ، (الجزائر : المؤسسة الوطنية للكتاب ، د.ت) .

٥) القاضي النعمان ، ابو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور بن احمد بن حيون التميمي(ت٣٦٣هـ/٩٧٣م) ، رسالة افتتاح الدعوة – رسالة في ظهور الدعوة العبيدية (الفاطمية) ، ط١، تح : وداد القاضي ، (بيروت : دار الثقافة ، ١٩٧٠م) .

٦) المقريزي ، تقي الدين احمد بن علي (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م) . اتعاظ الحنفاء بأخبار الائمة الفاطميين الخلفاء ، تح : د. جمال الدين الشيال، (القاهرة : ١٩٩٦م) .

٧) المقريزي ، تقي الدين احمد بن علي (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار المعروف بالخطط المقريزية ، (القاهرة: د.ت).

٨) المؤيد في الدين الشيرازي ، المجالس المؤيدية، تلخيص : حاتم بن ابراهيم، تح: د. محمد عبد القادر عبد الناصر، (القاهرة : دار الثقافة للطباعة والنشر، ١٩٧٥م) .

٩) الوزير السراج ، محمد بن محمد الاندلسي (ت١١٤٩هـ/١٧٣٦م)، السلسلة السندسية في الاخبار التونسية ، تح :محمد الحبيب ، (تونس : الدار التونسية للنشر ، ١٩٧٠م) .

١٠) ثامر ،عارف، تاريخ الإسماعيلية ،ط١ ، (لندن : مطبعة رياض الريس للكتب والنشر، ١٩٧٠م) .

١١) عبد المولى ، محمد احمد ، القوى السنية في المغرب من قيام الدولة الفاطمية الى قيام الدولة الزيدية (٢٧٦-٣٦١هـ/٩٠٩-٩٧٢م) ، (القاهرة :دار المعرفة ، ١٩٥٨م) .

١٢) غالب ، مصطفى ،تاريخ الدعوة الاسماعيلية منذ اقدم العصور حتى عصرنا الحاضر، ط٢،(بيروت : دار الاندلس، د.ت) .
١٣) الهمداني، حسين بن فيض الله . الصليحيون الحركة الفاطمية في اليمن، (٢٦٨هـ الى سنة٦٢٦ هـ)،(القاهرة : مطبعة الرسالة ، ١٩٥٥م) .
١٤) الحدراوي ، وسيم عبود ، الحاكم بأمر الله (٣٨٦-٤١١هـ/٩٩٦-١٠٢٠م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، (جامعة الكوفة : ٢٠٠٤م) .
١٥) كباشي ، غنية ياسر ، المكونات الثقافية في الدولة الفاطمية (٢٩٧-٥٦٧هـ/٩٠٩-١١٧١م)، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، (جامعة بغداد ، ٢٠٠٧م) .

الهوامش:

(١) الستر الاول : هو الذي أعقب أعلان الخلافة الفاطمية بالمغرب سنة (٢٩٧ هـ / ٩٠٩م) على يد الامام الاسماعيلي عبدالله : اشتهر باسم عبيد الله ، وأول من لاحظ ذلك الباحث التونسي الدكتور حسن حسني عبد الوهاب ، حيث قال : " من غريب ما يلاحظ في شأنها ان اسمه يأتي دائماً بصيغة (عبد الله) ولم يعثر على واحد منها يحمل اسم (عبيد الله) بصيغة التصغير كما هو معروف " ، وكذلك نلاحظ ان (القاضي النعمان) الفقيه والمشرع الاسماعيلي الفاطمي في كتابه الذي تناول فيه قيام الدولة الفاطمية في المغرب على يد المهدي الخليفة الفاطمي الاول (٣٢٢هـ/٩٣٤م)، يذكره باسم (عبد الله) . ابو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور بن احمد بن حيون (ت٣٦٣هـ/٩٧٣م) ، رسالة افتتاح الدعوة – رسالة في ظهور الدعوة العبيدية (الفاطمية) ، تح : وداد القاضي ،ط١ ، (بيروت : دار الثقافة ، ١٩٧٠م) ، ص٥٢ وما بعدها ؛ الوزير السراج ، محمد بن محمد الاندلسي (ت١١٤٩هـ/١٧٣٦م)، السلسلة السندسية في الاخبار التونسية ، تح :محمد الحبيب ، (تونس : الدار التونسية للنشر ، ١٩٧٠م) ، ص٤٥٦؛ عبد الوهاب ،حسن حسني ، ورقات عن الحضارة العربية بأفريقيا ، (تونس : ١٩٦٦م) ، ج١، ص٤٣٨ ، وبعض الباحثين يرى ان هذه التسمية اطلقها جماعة من المؤرخين المناوئين للفاطميين وذلك للانتقاص منهم ، فاطلق عليهم بالدولة العبيدية . عبد المولى ، محمد احمد ، القوى السنية في المغرب من قيام الدولة الفاطمية الى قيام الدولة الزيدية (٢٧٦-٣٦١هـ/٩٠٩-٩٧٢م) ، (القاهرة :دار المعرفة ، ١٩٥٨م) ، ج١، ص٢٩٣-٢٩٤ ؛ الحدراوي ،وسيم عبود ، الحاكم بأمر الله (٣٨٦-٤١١هـ/٩٩٦-١٠٢٠م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، (جامعة الكوفة : ٢٠٠٤م) ، ص١٨ .

(٢) الخليفة الامر بأحكام الله : هو ابو علي منصور بن احمد ابن الخليفة المستعلي بويع بالخلافة في ٩ صفر سنة ٤٩٥هـ/١١٠١م ، وكان له من العمر خمس سنوات ، فأتاح ذلك المجال للوزير امير الجيوش بن بدر الجمالي فرصة الاحتفاظ بالسلطة ، وبعد ان بلغ الامر بأحكام الله سن الرشد اظهر انه لم يكن اداة طيعة بيد امير الجيوش الافضل بن بدر الجمالي فكان كثيراً ما يعارضه . المقريزي ، تقي الدين احمد بن علي (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار المعروف بالخطط المقريزية ، (القاهرة: د.ت) ، ج٢، ص١٧٢ ؛ ثامر ،عارف، تاريخ الإسماعيلية ،ط١ ، (لندن : مطبعة رياض الريس للكتب والنشر، ١٩٧٠م) ج٣، ص٢٢٦.

(٣) رتبه من مراتب الدعوة ضمن التنظيم الداخلي لجهاز الدعوة ، لمتابعة نشر الدعوة وكل ما يتعلق بها وله مرتبة اخذ العهد والميثاق للداخلين للدعوة . غالب ، مصطفى ،تاريخ الدعوة الاسماعيلية منذ اقدم العصور حتى عصرنا الحاضر، ط٢،(بيروت : دار الاندلس، د.ت) ، ص ٤٣-٤٤.

(٤) الدولة الصليحية :سلالة اسماعيلية المذهب تدين بالولاء اسميا للفاطميين بمصر ، مؤسسها محمد علي بن محمد الصليحي عام ٤٢٩ هـ . لمزيد من المعلومات ينظر: الهمداني، حسين بن فيض الله. الصليحيون الحركة الفاطمية في اليمن، (٢٦٨هـ الى سنة٦٢٦ هـ)،(القاهرة : مطبعة الرسالة ، ١٩٥٥م) ، ص ٥ وما بعدها .

(٥) طغتكين : طغتكين بن أيوب بن شاذي بن مروان (ت٥٩٤هـ /١١٩٧م)، أخ صلاح الدين الايوبي تولى اليمن ولقب بظهير الدين وسيف الاسلام . الصفدي ، صلاح الدين خليل بن ايبك (ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م) الوافي بالوفيات ، ط١، تح : محمد بن الحسين بن عبد الله ومحمد بن عبد الله الشبلي ، (بيروت : دار احياء التراث العربي ، ٢٠٠٠م) ج١٦ ص٢٥٨.

(٦) في احداث سنة (٥٦٧هـ/١١٧٠م) ذكر المقريزي ، أن نجم الدين والد صلاح الدين نزل بجماعة الى الجامع وأمر الخطيب الا يذكر العاضد الخليفة الفاطمي وقال أن ذكرته ضربت عنقك ، وهكذا لم يخطب للخليفة العاضد في الجمعة الثانية ولا التي بعدها ، حتى خطب في الجمعة الاولى من شهر محرم سنة (٥٦٧هـ/١١٧٠م) للخليفة العباسي ، وبذلك قُطعت الخطبة للفاطميين ولم تعد الى اليوم . تقي الدين احمد بن علي (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م) . اتعاظ الحنفاء بأخبار الائمة الفاطميين الخلفاء ، تح : د. جمال الدين الشيال، (القاهرة : ١٩٩٦م) ، ج٣ ، ص ٣٢٥ .

(٧) لمزيد من المعلومات عن الداعي ينظر : الحامدي ، حاتم بن ابراهيم (ت ٥٩٦هـ /١١٩٩م) ، كتاب تنبيه الغافلين ، تح :عمرو بن معد يكرب الهمذاني ، (مطبعة الدار المحمدية الهمذانية للدراسات والابحاث ، اليمن ، ٢٠١٣) ، مقدمة الكتاب ، ص ١١- ٢٢ .

* المجالس : جمع مجلس ، والمجلس في الاصل مكان الجلوس ، وقد كانت وظيفة الداعي الفاطمي تقتضي ان يجلس الى اتباع الدعوة في وقت معلوم من الاسبوع بالاضافة الى جلوسه اليهم في المناسبات والاعياد الخاصة بهم ليعضهم ويبصرهم بمذهبهم ، فسمي الدرس مجلس باسم المكان الذي القي فيه .المؤيد في الدين الشيرازي ، المجالس المؤيدية، تلخيص : حاتم بن ابراهيم، تح: د. محمد عبد القادر عبد الناصر، (القاهرة : دار الثقافة للطباعة والنشر، ١٩٧٥م)، المقدمة ص١٢ .

(٨) عبد المولى ، محمد احمد . القوى السنية في المغرب ، ج١، ص٢٣٣.

(٩)محمد بن الحارث بن اسد (ت٣٦١هـ/٩٧١م)، طبقات علماء افريقية، تح: احمد بن محمد الطلمنسكي، (بيروت : دار الكتاب اللبناني، د.ت)، ص ١٩٩- ٢١٣ .

(١٠) الصنهاجي ، ابو عبد الله محمد (ت٦٢٦هـ/١٢٣٠م) أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ، تحقيق : جلول احمد البدوي ، (الجزائر : المؤسسة الوطنية للكتاب ، د.ت) ، ص١١١-١١٢ .

* ابو جعفر البغدادي: هو ابي جعفر محمد ابن احمد بن هارون (ت٣٤٠هـ/٩٥١م)، اديب وداعية من دعاة الفاطميين في العراق فرَّ من بغداد نجاةً بنفسه من القتل ولحق بالمهدي بسجلماسة قبل ان يظهر أمره فنصحه باللجوء الى الاندلس الى حين قيام دولته . ابن عذارى، ابو عبد الله محمد بن محمد المراكشي (توفي في نهاية القرن السابع الهجري /الثالث عشر الميلادي) ، البيان المغرب في اخبار المغرب – قسم المغرب ، تح : ليفي بروفنسال ، (لبنان : دار الثقافة ، د.ت)، ج ١ ، ص ٢٢٤- ٢٢٥ ؛ عبد المولى، القوى السنية ، ج١، ص٢٣٥.

** ابن الحداد: هو ابو عثمان سعيد بن محمد بن الحداد الشهير بأبن الحداد الغساني(ت٣٠٢هـ/٩١٥م)، من كبار المتكلمين في افريقية في عصره، درس أول مرة العلوم الدينية وأخذ عن الامام سحنون (ت٢٤٠هـ/٨٣٨م) وغيره، ثم مال الى العلوم الفلسفية، وأتقن علم الكلام والجدل أتقاناً كاملاً ، وتتلمذ على يديه جماعة كبيرة من صغار معاصريه فإقتدوا بسلوكه وأرائه، فكان هو رأس المدرسة الكلامية في القيروان، وكان مذهبه النظر والقياس والاجتهاد، وقد عظمت شهرته في البلاد بعدما ناظر الدعاة الفاطميين في رقادة. الخشني، طبقات، ج٦، ص١١٩ومابعدها؛ الصنهاجي، اخبار ملوك بني عبيد، ص ١١١-١١٢؛ عبد الوهاب، ورقات ، ج١، ص ٢٠٠.

*** القمودي: ابو بكر (٣٢٤هـ/٩٣٥م) المشهور بالفلسفة اصله من قمودة، وهي ناحية بالوسط الغربي من تونس، تربى في القيروان، وبها قرأ وتخصص في الجدل والمناظرة ودرس كتب الفلسفة، فكان حاد الذهن بصيراً بوجوه الكلام ، صحب ابن الحداد في مناظرة الدعاة الفاطميين فناظر أبا العباس مناظرة افحمه فيها،فجعل ابي عبد الله الشيعي يحرك اصبعه قائلاً " انك لتظهر لاهل البيت ما أرى منك من البغضاء"، فأضطر الرجل للاعتذار خوفاً، ثم أنضم بعد ذلك لدعوة الفاطميين، فتولى رياسة دار الضرب

في رقادة مدة عبد الله المهدي، ثم انقطعت أخباره، ومن المحتمل انه توفى في خلافة المهدي الفاطمي في رقادة او في المهدية. طبقات، ص٢١٤-٢٢٢؛ ابن عذارى، البيان المغرب، ج١، ص١٥٨،١٤٨؛ عبد الوهاب، ورقات،ج١، ص٢٥١-٢٥٢.

(١١) الخشني، طبقات، ج٦، ص١٩٩-٢١٣، وللتفصيل عن هذه المجالس ومادار فيها من مناظرة في الامور الفقهية ينظر: عبد المولى،القوى السنية ، ج١، ص٢٣١ وما بعدها.

(١٢) وقد وصف لنا الاسود بن الهيثم (الذي كان حياً في حدود سنة ٢٩٠هـ) المجالس والمناظرات التي جرت بين الداعي ابي عبد الله الشيعي وابي عبد الله جعفر بن احمد بن الهيثم ،احد المناظرين في هذه المجالس .وللتفصيل ينظر: ، الاسود بن الهيثم ، كتاب المناظرات، (لندن :٢٠٠٤م) ، ص٣ وما بعدها .

(١٣)البغدادي ، عبد الرزاق ، الرسالة الدامغة للرد الفاسق ، مخطوطة محفوظة في المركز الوطني للمخطوطات تحت رقم (٦١٧١) ، ورقة ١١؛ هالم ، هاينز ، الفاطميون وتقاليدهم في التعليم ، ط١، ترجمة : سيف الدين القصير ، مراجعة : د.مجيد الراضي ،(سوريا : مطبعة المدى ، ١٩٩٩م)،ص٤٨.

(١٤)القاضي النعمان، رسالة افتتاح الدعوة، ص ١٤٠.

(١٥) عبد الوهاب ، ورقات ، ج١، ص٢٠٦ .

([١٦]) مجالس الدعوة : وهي مجالس خاصه بالمذهب الاسماعيلي تكتب فيها دروس الدعوة لتلقى على المؤمنين بالمذهب الفاطمي، وكان داعي الدعاة يعد هذه المجالس ويوقع عليها الخليفة لاعتمادها، ثم تدفع الى الدعاة لتلاوتها في الايام المحددة، لذلك كانت المجالس تتفاوت في محتويتها تبعاً لتفاوت من تكتب لهم ، رجالاً أو نساءً من قدماء او مستجدين للدعوة . المقريزي ، اتعاظ الحنفاء، ج١، ص١٠٣.

(١٧) حسين ، محمد كامل . أدب مصر الفاطمية ، (مصر : دار الفكر العربي ، د.ت) ، ص ٣٨ .

(١٨) للتفصيل ينظر: عطوان، حسين، الدعوة العباسية مبادئ واساليب ،(بيروت: دار الجيل، د.ت) ، ص٣٠١؛ عمر، فاروق، طبيعة الدعوة العباسية(٩٨هـ / ٧١٦ م- ١٣٢ هـ/٧٤٩ م)،(بغداد: د.ت)، ص١٧٦.

(١٩) الحسني، هاشم معروف، الشيعة بين الاشاعرة والمعتزلة،ط٣،(بيروت :دار الملاك،٢٠٠١م)،ص١٤٢ ومابعدها.

(٢٠) كباشي ، غنية ياسر ، المكونات الثقافية في الدولة الفاطمية (٢٩٧-٥٦٧هـ/٩٠٩-١١٧١م)، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، (جامعة بغداد ، ٢٠٠٧م) ص ٩٦.

(٢١) ابو الفتح محمد بن عبد الكريم بن ابي بكر احمد(ت٥٤٨هـ/١١٥٣م)، الملل والنحل ، تح : امير علي مهنا و علي حسن فاعود ، (بيروت : دار المعرفة ، ١٩٩٢م) ، ج٢ ، ص ٥ .

(٢٢) م ، ن ، ج٢، ص٢٨ .

(٢٣) النوبختي ، ابو محمد الحسن بن موسى (ت٢٨٨هـ/٩٠٠م) ، فرق الشيعة ،تعليق :السيد محمد صادق بحر العلوم ، (النجف : د.ت).، ص ٨٠ .

([٢٤]) وتعني أستخلص الباطن من الظاهر أي تفسير الامور العقلية غير المحسوسة بما يقابلها من الامور الجسمانية المحسوسة ، واعتمدوا في ذلك على قوله تعالى (وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) الزمر ، اية ٢٧ ، لقد جعلوا لكل ظاهر باطن ، وسموا الاول مثلاً ، والثاني ممثولاً وعليها تبنى نظرية التأويل الدينية والفلسفية ، فما ظهر من امور الدين من العبادة العملية التي أوضحها القرآن معاني يفهمها العامة ، ولكل فريضة من فرائض الدين تأويلاً باطناً لا يعلمه الا الائمة وكبار الحجج وابوابهم ودعاتهم . المؤيد في الدين الشيرازي ، هبة الله بن ابي عمران موسى بن داود (٤٧٠هـ/١٠٧٧م) ، ديوان المؤيد في الدين ، تح : محمد كامل حسين ، (القاهرة : دار الكتاب المصري ، ١٩٤٩م)، ص ١٠٦ -١٠٧ ؛ السبحاني ، جعفر ،المذاهب الاسلامية – الملل والنحل ، ط١، (بيروت :مؤسسة التاريخ العربي ، د.ت) ، ص٢.

([٢٥]) الحامدي ، ص ٧٧ .

([٢٦]) الحامدي ، ص ٧٩-٨٠ .

([٢٧]) الحامدي ، ص ٣٩ .

([٢٨]) الحامدي ، ص ٤٨ .

([٢٩]) المستنصر بالله : ابو تميم معد بن الخليفة الظاهر بالله تولى الخلافة بعد وفاة ابيه (٤٢٧-٤٨٧هـ/١٠٣٥-١٠٩٤م) وهو في السابعة من عمره ، استمرت خلافته ستين سنة ، مرت خلالها مصر بأدوار شتى من القوة والضعف . ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج٥ ، ص٢٢٩ وما بعدها ؛ حسن ، علي ابراهيم ،مصر في العصور الوسطى من الفتح العربي الى الفتح العثماني ، (مصر : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٤٧م)، ص١١٠-١١١.

([٣٠]) الحامدي ، ص ٤٩ .

([٣١]) القاضي النعمان : تنتسب أسرة النعمان الى ابي القاضي أبي حنيفة النعمان أبن أبي عبد الله محمد بن منصور بن حيون التميمي المغربي ، ويعرف في تأريخ الدعوة الفاطمية باسم القاضي النعمان تميزاً له عن تسمية أبي حنيفة النعمان(١٥٠هـ/٧٦٧م) كما يسمونه أحياناً سيدنا الاوحد وأحيانا القاضي الاجل ، ويعرف عندهم بأبي حنيفة الشيعي. الحر العاملي ، محمد بن الحسن (ت١١٠٤هـ/١٦٩٢م) ، امل الامل ، تح :السيد احمد الحسيني ، (بغداد : مكتبة الاندلس ، د. ت)، ص٣٣٥ .

([٣٢]) المعز لدين الله الفاطمي : المعز لدين الله الفاطمي : هو أبو تميم معد بن اسماعيل المنصور بالله بن محمد القائم بأمر الله بن عبد الله المهدي الفاطمي، ولد في مدينة المهدية سنة ٣١٩هـ/٩٣١م .المقريزي ،اتعاظ الحنفاء،ج١،ص٩٣.

([٣٣]) الحامدي ، ص ٥١- ٥٣ .

([٣٤]) الحامدي ، ص ٥٤ – ٥٨.

([٣٥]) الحامدي ، ص ٥٩

([٣٦]) الحامدي . ص ٧٢ .

([٣٧]) الحامدي ، ص ٥٧ وما بعدها .

([٣٨]) الحامدي ، ص ١٥٢ وما بعدها .

([٣٩]) الحامدي ، ص ١٦٨ .

الدبلوماسية البريطانية في أوروبا
(١٧١٤ – ١٧٥٦)

أ. م. د. حسن زغير حزيم
كلية التربية / الجامعة المستنصرية – قسم التاريخ
الإيميل hasan1975.edbs@uomustairiyah.edu.iq

الدبلوماسية البريطانية في أوروبا (١٧١٤ – ١٧٥٦)

أ. م. د.حسن زغير حزيم

الملخص:

انتهجت بريطانيا منذ انتهاء حربها مع فرنسا نهاية القرن السابع عشر، لمدة خمسة وأربعين سنة، دبلوماسية جديدة، إذ أصبح الحكم على الأحداث لا يلتزم بالمبادئ والقيم الأخلاقية بل تنظر إلى مصلحة بلاد، واستندت العلاقات الدولية الأوروبية إلى مبدأ التوازن الدولي، الذي لا يسمح لأي دولة أنْ تصبح من القوة يصعب مواجهتها من قبل الدول الأُخرى، وهو يُفسر الدبلوماسية البريطانية الجديدة، التي سعت للتوجيه والاستفادة من الصراع على النفوذ في أوروبا بين أُسرة آل بوربون الحاكمة في فرنسا وأُسرة آل هابسبرغ الحاكمة في النمسا ليصبّ في مصلحة بريطانية. طرأ على هذا الصراع تطوُّر بانتقاله للسيطرة على التجارة وطرقها مع المستعمرات الأمريكية للحصول على ثروتها. لذا بات تطبيق مبدأ التوازن الدولي مهماً لمنع الدول المنافسة لبريطانيا (فرنسا وإسبانيا والنمسا وروسيا وبروسيا وهولندا والبرتغال) من فرض نفوذها في أوروبا بالقوة والظرف بالمناطق الاستراتيجية في المستعمرات للهيمنة على تجارتها، وضمنت لنفسها الهيمنة على التجارة مع المستعمرات.

قسمت معاهدة أوترخت الدول الأوروبية بشكلٍ متوازن ومتكافئ لمنع تفوق إحداها على الأُخرى ولإرغامها جميعاً. كما حافظت بريطانيا على حاجة تلك الدول لمساعدتها المالية والعسكرية. فقدت فرنسا الأمل بالتوسُّع في ممتلكات إسبانيا، وقطعت إسبانيا علاقتها بشكلٍ تامٍّ بالتاج الفرنسي، وفقدت فرنسا الأمل بالتوسُّع في المستعمرات الإسبانية في أمريكا الجنوبية.

Since the end of its war with France at the end of the seventeenth century, for a period of forty-five years, Britain pursued a new diplomacy, as the judgment on events became not bound by the principles and moral values but rather looked at the interest of a country, and European international relations were based on the principle of international balance, which does not allow any country To become a force that is difficult to confront by other countries, and he explains the new British diplomacy, which sought to direct and benefit from the struggle for influence in Europe between the Bourbon family and the Habsburg family to serve a British interest.

This conflict evolved as he moved to control trade and its ways with the American colonies to obtain its wealth. Therefore, the application of the principle of international balance has become important to prevent the competing countries of Britain from imposing their influence in Europe by force

and circumstance in the strategic regions in the colonies to dominate their trade, and it secured for itself the domination of trade with the colonies.

The Treaty of Utrecht divided the European states in a balanced and equal way to prevent one from leaving one against the other and to compel them all. Britain also maintained the need of these countries for their financial and military assistance. France lost hope of expanding Spain's possessions, Spain completely cut off its relationship with the French crown, and France lost hope of expanding Spanish colonies in South America.

المقدمة:

تُعد الدبلوماسية نشاط الحكومة بالخارج لحماية مصالح بلادها أو إقامة علاقات صداقة وتعاون بالمجالات كافة مع الدول الأخرى أو لمواجهة الأزمات التي تهدد الأمن والسلام أو تهدد سلامة مواطنيها في أي دولة أخرى ونجاح الدبلوماسية للدولة يثبت قدرتها على التأثير خارج أراضيها. ازداد احتياج بريطانيا لاتباع الدبلوماسية في النصف الأول من القرن الثامن عشر بسبب تزايد النفوذ الفرنسي في أوروبا وتفاقم الصراع بين فرنسا وبريطانيا حول المستعمرات والتجارة الخارجية في المستعمرات الامريكية لتحقيق مصالحها.

لم تتبع بريطانيا دبلوماسية ثابتة أنما كانت عرضه للتغيير دائماً بسبب توتر العلاقات بين الأسر الأوروبية الحاكمة أو حدوث التطورات الداخلية في الدول الأوروبية أو حدوث أزمات اقتصادية في أي الدول، فقد عقدت الدبلوماسية البريطانية معاهدة أوترخت في عام ١٧١٣ لمنع أنهيار مبدأ التوازن الدولي لأن الأرشدوق النمساوي شارل المرشح للعرش الإسباني أصبح الوريث الوحيد للعرش الإمبراطوري، الأمر الذي ترفضه بريطانيا.

لعبت الدبلوماسية البريطانية دور كبير في توازن الدول الأوروبية عبر استخدام طريقة جديدة فريدة ومعقدة بعقد سلسلة معاهدات سياسية لمنع الدعم الدول الأوروبية أسرة آل ستوارت المطالبة بالعرش لبريطاني وضمان مصالح بريطانيا في أوروبا وتوسيع التجارة الخارجية والتوسع بالمستعمرات. تحالفت بريطانيا مع الدول (فرنسا في عام ١٧١٥ والنمسا وهولندا وبروسيا في عام ١٧١٧ وروسيا والسويد في عام ١٧١٨ وإسبانيا في عام ١٧١٩) لم يمنع الاختلاف الأيديولوجي مع الدول الأوروبية بريطانيا للتحالف معها للمحافظة على مبدأ التوازن الدولي الأوروبي.

لا تثق الدول الأوروبية بقوة تأثير بريطانيا لعدم امتلاكها جيش بري كبير، بيد أن ذلك أثبتت الدبلوماسية البريطانية عدم صحتها وفرضت بريطانيا نفوذها وتأثيرها وتجارتها وسيطرتها في أوروبا والمستعمرات الامريكية. لم تتوقع الدبلوماسية البريطانية قيام حلف أسر آل بوربون ضدها في عام ١٧٣٣. تمكنت الدبلوماسية البريطانية في عهد وربنسون (وزير خارجية بريطانيا مسؤول دائرة الجنوب)

من عقد عدة معاهدات سياسية منها معاهدات بريسلاو وفويسين وهانوفر ودريسدن، إذ نصحت الدبلوماسية البريطانية ماريا تيريزا لعقد معاهدة دريسدن في عام ١٧٤٢ مع الملك فردريك الثاني والتنازل له عن مقاطعة سيليزيا وحصن غلاتز للقضاء على تحالفه مع فرنسا وتبديد أحلامها بالتوسع على حساب ممتلكات أسرة آل هابسبورغ في الأراضي الإيطالية والمنخفضة النمساوية بسبب غياب التفاهم بين الدول الأوروبية. عكست المعاهدات والاتفاقيات السياسية والتجارية جهود فوضوية غير منظمة من قائد الدبلوماسية البريطانية لتحقيق التفاهيم الدولي الأوروبي لاجتناب حدوث حرب جديدة.

الفصل الأول: مشاركة إنكلترا بحرب الوراثة الاسبانية حتى العام ١٧١٣:

المبحث الأول: التزام إنكلترا بمبدأ التوازن الدولي في أوروبا:

تتبع إنكلترا سياسة خارجية لمتابعة مصالحها وعلاقاتها الدولية في المجالات كافة مع الدول الأخرى أو للحصول دعم الدول لمواجهة أي خطر أو أزمة تواجه مصالح تلك الدولة أو لممارسة الضغط السياسي والاقتصادي والعسكري على دولة أو أكثر لأجبارها انتهاج سياسة تلك الدولة أو دعم السلام أو احترام حقوق الإنسان ... الخ، وفق عدة طرق وخطوات تسمى دبلوماسية ونجاح الدبلوماسية لإنكلترا يثبت قدرتها على التأثير خارج أراضيها[١].

لم تضع إنكلترا خطط واضحة لسياستها الخارجية، إذ كانت تتعامل دول أخرى وفقاً للأحداث التي تطرء على الساحة الدولية دون وجود خطة واضحة لسياستها الخارجية. تُعد الدبلوماسية من أهم وسائل تنفيذ السياسة الخارجية باستخدام القوة الناعمة تجذب الدول الأخرى لسياسة تلك الدولة[٢].

استخدمت الدبلوماسية الإنكليزية عدة طرق لإيصال رسالتها، منها المخاطبات المباشرة مع البعثات الدبلوماسية للدول والنقابات المهنية والأحزاب السياسية والمنظمات المجتمع المدني والمؤسسات الخاصة والحكومية، لكسب الرأي العام الدولي عبر وسائل الأعلام أو المنح الدراسية والاقتصادية والعسكرية لتحقيق أهداف سياسة إنكلترا الخارجية[٣].

تُعد إنكلترا محمية بالبحار يحرسها أسطول قوي، لذا لم يكن لديها ما يقلقها من تطور الأحداث الأوروبية، التي تدخلت مباشرةً فيها لرعاية مصالحها وضمان نفوذها في اوروبا[٤]. أتبعت إنكلترا في عهد ملكها شارل الثاني (١٦٦٠ – ١٦٨٨) سياسة خارجية تعتمد على التدخل المباشر العسكري لمنع توسع فرنسا على حساب جيرانها مما يهدد مبدأ التوازن الدولي[٥]. شكلت إنكلترا حلف ثلاثي في أيار عام ١٦٦٨ ضد ملك فرنسا لويس الرابع عشر (١٦٨٤ – ١٧١٥) ضم السويد وهولندا. اضطر الأخير لوقف تقدمه في الأراضي المنخفضة الإسبانية وقبول الصلح مع إسبانيا. ثم أجرت الدبلوماسية الانكليزية مفاوضات سرية مع فرنسا والسويد وأمير بافاريا وأمير براندنبرغ في عام ١٦٧٢ ضد هولندا بسبب منافستها التجارية لإنكلترا. استطاع رئيس جمهورية هولندا وليم أورنج (١٧١١ – ١٧٥١) عقد صلحاً مع

شارل الثاني في شباط عام ١٦٧٤ وتكوين الحلف لأعظم في لاهاي ضم أمراء برنزويك وبراندنبرغ وهيس والإمبراطورية الرومانية المقدسة وملك الدانمارك وملك الإسباني وملك ضد فرنسا. حققت فرنسا، رغم ذلك، انتصار على هولندا وحلفائها فاضطروا لعقد صلح نمويجن للمدة من (٦ آب عام ١٦٧٨ لغاية ٩ شباط عام ١٦٧٩) زاد من نفوذ فرنسا في أوروبا، للحد الذي جعل فرنسا تتدخل بالشؤون الداخلية لأنكلترا وتساند الملك الكاثوليكي جيمس الثاني (١٦٨٨ – ١٦٨٩) ضد البرلمان الإنكليزي[٦].

كونت هولندا حلف أوجزبرغ في عام ١٦٨٦ ضد فرنسا ضم السويد والإمبراطورية الرومانية المقدسة وإسبانيا وبافاريا وسكسونيا والبلاتينات وسوابيا وفرانكفورت. ثم أنضمت سافوي والبابوية في عام ١٦٨٧ اشتركت إنكلترا بالحلف في عام ١٦٨٩ للمحافظة على بنود معاهدة نمويجن. فاندلعت الحرب بين قوات الحلف وفرنسا انتهت بهزيمة فرنسا وتوقيعها صلح روزويك ١٦٩٧. اعترف الملك لويس الرابع عشر بوليم الثالث William III (١٦٨٩ – ١٧٠٢) ملك لإنكلترا وتنازلت فرنسا عن كل الأراضي التي استولت عليها بعد معاهدة نمويجن عدا ستراسبورغ[٧].

ادعى الملك لويس الرابع عشر عدم دفع ملك إسبانيا شارل الثاني (١٦٦٥ – ١٧٠٠) مبلغ خمسمائة ألف جنيه إسترليني التي نصت عليه الاتفاقية الموقعة معه سابقاً وطالب ملك فرنسا بأحقية حفيده فيليب دوق انجو لوراثة العرش الأسباني[٨]. ثم أجرى ملك فرنسا مفاوضات سرية مع الملك وليم الثالث في أذار عام ١٧٠٠ انتهت بعقد اتفاقية لندن نصت تقسيم ممتلكات الإسبانية بين فرنسا والإمبراطورية النمساوية عند وفاة ملك إسبانيا. بيد ان الملك لويس الرابع عشر تنصل عن تعهداته، بعد وصية الملك الإسباني في شهر تشرين الأول من السنة بالعرش لحفيد ملك فرنسا فيليب، ورفض الملك لويس الرابع عشر تنفيذ بنود معاهدة لندن[٩].

وافقت إنكلترا بذلك، بيد أن الملك لويس الرابع عشر أتخذ عدة خطوات تصعيدية، أعلن حق حفيده بوراثة عرش فرنسا ودمجه مع العرش الاسباني. واحتلت قواته الأراضي الإسبانية لتنصيب حفيده فيليب على عرش إسبانيا بإسم فيليب الخامس (١٧٠٠ – ١٧٤٦) وحصلت فرنسا على امتيازات تجارية في المستعمرات الإسبانية في أمريكا الجنوبية. وزحفت القوات الفرنسية نحو الأراضي المنخفضة الأسبانية لاحتلالها[١٠].

رفضت إنكلترا توسع نفوذ فرنسا لأنه يتجاوز مبدأ التوازن الدولي الاوروبي، وبذل الملك وليم الثالث جهود كبيرة في عام ١٧٠١ لتشكيل الحلف الأعظم مع هولندا والنمسا والإمبراطورية الرومانية المقدسة ضد فرنسا لمنعها من توسيع نفوذها في أوروبا[١١].

يطلق على الدبلوماسية الإنكليزية في النصف الأول من القرن الثامن عشر بالمتاهة المعقدة، إذ اهتمت الدبلوماسية بمبدأ التوازن الدولي الأوروبي وبذلت جهود لتقوية الحلف الأعظم، فأجرت مفاوضات سرية مع البرتغال توصلت لانضام الأخيرة الى صفوف الحلف بعد توقيع الدولتين معاهدة ميتوين في عام

١٧٠٢. نصت على تخفيض الرسوم الكمركية الإنكليزية على الخمر البرتغالي مقابل حصول الأخيرة على امتيازات تجارية في البرازيل واشتركت البرتغال بالحلف الأعظم وابتعدت عن فرنسا. وتحولت لشبونة إلى محطة تجارية إنكليزية(١٢).

تحدى الملك لويس الرابع عشر الحلف الأعظم، اعترف بحق جيمس أدوارد (ابن الملك جيمس الثاني) من أسرة آل ستيوارت لتولي عرش إنكلترا. فطالب وليم الثالث في ١٣ أذار البرلمان الإنكليزي الاعتمادات المالية اللازمة لدعم حلفائه بالحرب. لكنه توفي في السنة نفسها. تولت الملكة آن (إبنة الملك جيمس الثاني) (١٧٠٢ – ١٧١٤) العرش واشتركت في الحرب ضد فرنسا بشكل غير مباشر ووسعت الحلف بانضمام سافوي إليه(١٣). استطاعت قوات الحلف الأعظم الحاق هزيمة بالقوات الفرنسية وهددت العاصمة الفرنسية فرساي بشكل مباشر. بيد ان بريطانيا لا تهدف لاحتلال أراضي فرنسا وانما تهدف لمنع توسيع نفوذها(١٤).

لم تملك إنكلترا جيش كبير لأن عدد سكانها نحو (٥.٨٢٦.٠٠٠) نسمة في عام ١٧٠٢. لكنها تملك اسطول كبير يتكون من (١٥٠) بارجة حربية كبيرة بالإضافة لفرض إنكلترا على أسطول حليفتها هولندا تقديم المساعدة للأسطولها لمواجهة التنافس الفرنسي لها، مما يؤثر إيجاباً على سير المعارك في أوروبا. بالمقابل تمتلك فرنسا جيش كبير يبلغ نحو (١٢٥) ألف جندي و (٧,٠٠٠) من الفرسان لأن عدد سكانها كبير يبلغ (١٨.٥٠٠.٠٠٠) نسمة بالعام نفسه(١٥).

جعل إنكلترا تتبع طريقة خاصة لتحقيق مصالحها عبر اتباع دبلوماسية جديدة للمحافظة على مبدأ التوازن الدولي الاوروبي، واستنزاف فرنسا من جرها للحرب اقتصرت مشاركة بريطانيا فيها بواسطة تقديم الدعم والمساعدات المالية لحلفائها وتقديم الأسطول البريطاني الدعم لقوات الدول الحليفة لبريطانيا، دعمت إنكلترا ولي عهد النمسا الأرشيدوق شارل لتولي عرش إسبانيا لمنع فرنسا من التوسع على حساب جيرانها مما يهدد مصالح إنكلترا في أوروبا والمستعمرات الإسبانية الأمريكية. هاجم الأسطول الإنجليزي في ٧ نيسان عام ١٧٠٥ مينائي برشلونة وطولون. وناشد دوق مانشستر (سفير إنكلترا في البندقية) البابا بإعلان الحرب ضد فرنسا وهدده باحتلال الأسطول الإنجليزي لمدينة روما إذ رفض ذلك. ونقل الأسطول الإنكليزي القوات النمساوية إلى الأراضي البرتغالية وأنزل جزء منهم في إقليم كاتالونيا الإسباني في عام ١٧٠٥ تم احتلاله وزحفت هذه القوات مع الجماهير الشعب الإسباني نحو العاصمة مدريد، فانتشرت الاضطرابات والحرب الأهلية في إسبانيا اضطرت الملك فيليب الخامس للهرب الى فرنسا(١٦).

عقدت الدبلوماسية الإنكليزية سلسلة معقدة من المعاهدات والاتفاقيات السياسية والعسكرية تحالف بموجبها مع بعض الدول الأوروبية لضمان مصالحها في أوروبا، كلفت هذه الدبلوماسية الحكومة الإنكليزية عبئاً ثقيلاً نتيجة المتابعة المستمرة لتطور الأحداث الأوروبية(١٧).

استخدمت الدبلوماسية الإنكليزية شبكات التجسس المتطورة والشفرات السرية لتأمين سرية مراسلات بعثاتها الدبلوماسية، إذ تخشى الدبلوماسية الإنكليزية تمكن الاستخبارات الأوروبية فك شفرات رسائلها الدبلوماسية. كانت الدبلوماسية الإنكليزية تتنصل على مراسلات البعثات الدبلوماسية الأجنبية في لندن وبقية العواصم الأوروبية، إذ نمت الدبلوماسية الإنكليزية عملية جمع المعلومات الاستخباراتية وطبقت النظرية العلمية في عمل جهازها الدبلوماسي. كذلك قدمت الدبلوماسية الإنكليزية الدعم المادي لحلفاء إنكلترا لتجهيز جيوشها للاستعداد لإي مواجهة عسكرية مع فرنسا[١٨].

قدمت الدبلوماسية الإنكليزية الرشاوي لتنصيب حليفها على عرش الإمبراطورية الرومانية المقدسة في ٣ حزيران. كذلك ارتشاء السفراء الأوروبيين، إذ كونت الدبلوماسية الإنكليزية شبكة فريدة من التحالفات مع الدول الأوروبية باستغلال علاقاتها الجيدة بالسفراء الإوروبيين في لندن [١٩].

تأثرت الدبلوماسية الإنكليزية بشدة بالخلافات الشخصية التي تحدث بين الوزراء ومستشارين البلاط والشركات التجارية الإنكليزية بسبب طبيعة مصالح هؤلاء الأشخاص المؤثرين بسياسة إنكلترا الخارجية في ضوء النظام الأوليجاركي الذي يحكم البلاد. ولعبت الخلافات الحزبية دور كبير في تنصيب الدبلوماسيين البريطانيين وعزلهم مثلما أشار توماس روبنسون (سفير إنكلترا في لاهاي) الى زميله أندروستون (وزير خارجية إنكلترا مسؤول دائرة الجنوب) بأنهما يعتبران من رجال الدوق نيوكاسل[٢٠].

كانت الملكة عادةٍ ما تكلف الدبلوماسيين الإنكليز بمهام سرية لدعم الطموحات القومية لدى مكونات شعوب الدول الأوروبية، مثلما ذكر جورج ستيبني (سفير بريطانيا في فيينا) في ٧ أيار عام ١٧٠٧ أنه تلقى أوامر من لندن تطالبه بدعم جدي لطموحات المجر القومية بالاستقلال عن الإمبراطورية النمساوية، التي أحتجت على ذلك وطلبت منه مغادرة أراضيها[٢١].

شجعت معاهدة فينكنشتاين التي عقدت بين فرنسا وبلاد فارس في ٣ تموز الدبلوماسية البريطانية لإقامة علاقة متينة مع أسرة آل هابسبورغ للحصول على دعمها في مواجهة الأطماع الفرنسية بمصالح المملكة المتحدة لبريطانيا العظمى[٢٢] في أوروبا والمستعمرات الأمريكية بواسطة الارتباط الدبلوماسي الفعال مع الإمبراطورية النمساوية للضغط على فرنسا[٢٣].

اتجهت الدبلوماسية البريطانية لمواجهة سياسة فرنسا العدوانية تجاه أسرة آل هابسبورغ لنهب ممتلكاتها في أوروبا والسعي لتوسيع المستعمرات الفرنسية في أمريكا الشمالية، لتمتد من كندا شمالاً حتى لويزيانا جنوباً عبر إقليم أوهايو، عبر اعتبار الحكومة والملكة البريطانية فرنسا العدو الأخطر على مصالحها في أوروبا والمستعمرات الإسبانية الأمريكية[٢٤]. فتمسكت بريطانيا بسياستها الخارجية التقليدية لتقديم المساندة للنمسا لمواجهة الأطماع الفرنسية في الممتلكات البريطانية والتصدي للتنافس الفرنسي للمصالحها في أوروبا[٢٥].

عانى الشعب البريطاني من الحرب بسبب تكاليفها المالية البالغة خمسين مليون جنيه إسترليني، فصوت الشعب لصالح حزب التوري المعارض للحرب، في الانتخابات البرلمانية التي جرت في مطلع أيار عام ١٧١٠. واقرت الملكة آن تشكيل حكومة جديدة للتفاوض مع فرنسا لأنهاء الحرب. فاستدعت الحكومة البريطانية الجديدة دوق ملبرا (قائد قوات الحلفاء) من المعركة. طالبت الدبلوماسية البريطانية من فرنسا أرسال سفيرها الى لندن للتفاوض. بيد أن فرنسا رفضت ذلك واستمرت بالحرب. مما أدى لاستقالة الحكومة البريطانية وشكل حزب الويغز حكومة جديدة[٢٦].

اتخذت الدبلوماسية البريطانية برئاسة روبرت والبول استراتيجية جديدة في ٨ حزيران بشن هجوم عسكري على المستعمرات الفرنسية في أمريكا (نوفاسكوشيا ونيوفوندلان) وأهملت الاستيلاء على كوبيك، في الوقت الذي امتدت سيادة بريطانيا على كل مستعمرة كندا[٢٧].

حذر جوناثان سويفت (عضو جمعية الماء الأزرق المطالبة بتوسيع التجارة البريطانية في المستعمرات) في عام ١٧١١ من الاستراتيجية البريطانية، التي تشارك في الحرب الأوروبية، من تبديد ثروات الأمة البريطانية دون تحقيق نتائج تذكر. وطالب سويفت بالاستيلاء على السفن الإسبانية القادمة من المستعمرات الامريكية وغزو أمريكا الجنوبية بدلاً من استمرار بلاده بالمشاركة في الحرب بأوروبا التي تكلف بريطانيا مبالغ كبيرة لدفع رواتب (١٧١) ألف ضابط بالحلف الأعظم إضافة للمساعدات المالية التي تقدمها بريطانيا للدول الأعضاء في الحلف دون تحقيق النصر. فيما أكدت الحكومة البريطانية على أهمية مشاركتها الغير مباشرة بالحرب في أوروبا للمحافظة على مصالح بلادها هناك والقضاء على عدوتها فرنسا لزيادة نشاط بريطانيا التجاري في اوروبا والمستعمرات الإسبانية الامريكية[٢٨].

المبحث الثاني: دور الدبلوماسية البريطانية بعقد معاهدة اوترخت:

تغير الموقف في أوروبا بشكل مفاجئ، إذ تمكن القيصر الروسي بطرس الأول (١٦٨٢ – ١٧٢٥) من إقامة حلف ضم دوقية براندنبروغ ومملكة الدانمارك وناخب ساكسونيا (ملك بولندا) في ٦ كانون الثاني عام ١٧١١ ضد السويد[٢٩]. ساندت بريطانيا حليفها ملك السويد شارل الثاني عشر في حرب الشمال ضد روسيا وحليفاتها، إذ نقل الأسطول البريطاني القوات السويدية الى الأراضي الدانماركية، مما ساعد السويد على تحقيق انتصار ساحق فيها. ثم تحالفت الدبلوماسية البريطانية مع الدانمارك ضد روسيا[٣٠].

سعت الدبلوماسية البريطانية توجيه اهتمام الدول الأوروبية نحو أوروبا الشرقية وأجرت مفاوضات سرية مع فرنسا في ٧ كانون الثاني لعقد صلح بينهما. وأجرت الدبلوماسية البريطانية مفاوضات مع هولندا والنمسا انتهت بالاتفاق على إقامة تحالف بينهم في ١٢ نيسان بموجب معاهدة لاهاي. ألزمت الدول الموقعة عليها بعدم السماح لروسيا وحليفاتها بإجراء أي تغيير للوضع القائم في شمال شرق أوروبا. وبدأت الدبلوماسية البريطانية بالتقرب من فرنسا بشكل واضح في ٢٠ نيسان عام ١٧١١ وطالبتها بإجبار

الدولة العثمانية لأعلان الحرب ضد روسيا. فأعلنت الدولة العثمانية الحرب على روسيا في السنة نفسها[٣١].

أعطت وفاة الإمبراطور النمساوي جوزيف الأول (١٧٠٥ – ١٧١١) في ٢٦ نيسان عام ١٧١١ الفرصة للدبلوماسية البريطانية للإعلان عن رغبتها للانسحاب من الحرب لان الأرشدوق شارل المرشح النمساوي لعرش إسبانيا أصبح الوريث الوحيد لعرش الإمبراطورية النمساوية، مما يهدد مبدأ التوازن الدولي الأوروبي، الذي تخشاه بريطانيا وقاتلت أسرة آل بوربون لمنع توحيد عرشي فرنسا وإسبانيا. لذلك فضلت بريطانيا تولي حفيد الملك الفرنسي فيليب الخامس عرش إسبانيا وأبلغت فرنسا بالموافقة على ذلك. وأوقفت بريطانيا وهولندا عملياتها العسكرية ضد فرنسا في ٩ أيلول عام ١٧١٢. فجرت مفاوضات لأنهاء الحرب بين بريطانيا وفرنسا في ١٧ تشرين الأول، توصلت الى اتفاق مبدئي لشروط الصلح[٣٢].

أكدت الأحداث عدم وجود أعداء دائميين أو أصدقاء دائميين لبريطانيا بل يوجد مصالح دائمة تسعى للمحافظة عليها من خلال مواجهة الأحداث التي تؤثر على مبدأ التوازن الدولي الأوروبي التي جعلتها تتحول لعقد حلف مع أعدائها السابقيين. ولم تبقى بريطانيا ملتزمة بأهداف الحلف الأعظم وارادت تأسيس نظام دولي جديد يضمن السلام في أوروبا[٣٣].

سعت الدبلوماسية البريطانية لإيقاف الحرب بين أسرتي هابسبورغ وبوربون عن طريق إجراء المفاوضات المباشرة لأفساح المجال أمام الدبلوماسية البريطانية لأخضاع جميع الدول الأوروبية عدا فرنسا لنفوذها بواسطة وضع الحواجز أو المناطق الفاصلة بينها. واتفقت بريطانيا وفرنسا على منح الهولنديين مقاطعة الفلاندرز التابعة للأراضي المنخفضة النمساوية. ووضع مقاطعة نيوشاتيل تحت الاحتلال البروسي. ومنحت إمارات بيدمونت وسكسونيا والبلاتينات لدوق بافاريا[٣٤].

حقق الحلف الأعظم بزعامة بريطانيا النصر على فرنسا بعد حرب طويلة، إذ اشترطت الدبلوماسية البريطانية على ملك فرنسا التنازل عن سافوي مقابل الموافقة على تولي الملك فيليب الخامس عرش إسبانيا. تضمنت معاهدة أوترخت التي عقدت عام ١٧١٣ هذه البنود وقضت المعاهدة على مبدأ التوازن الدولي الأوروبي. واستطاعت الدبلوماسية البريطانية حرمان إسبانيا من ممتلكاتها في الأراضي الإيطالية (دوقية ميلانو وساردينيا ومملكة نابولي) والأراضي المنخفضة الإسبانية وأصبحت ملكاً للامبراطور النمساوي وتنازل الأخير عن مملكة صقيلية لدوق سافوي[٣٥].

قسمت معاهدة أوترخت الدول الأوروبية بشكلٍ متوازن ومتكافئ لمنع تفوق إحداها على الأُخرى ولإرغامها جميعاً لطلب المساعدة المالية والعسكرية من بريطانيا. وأقرت المعاهدة حدود فرنسا ضمن الحدود التي وردت في معاهدة روزويك، فقدت فرنسا الأمل بالتوسُّع في ممتلكات إسبانيا باوروبا. وقطعت إسبانيا علاقتها بشكلٍ تامٍّ بالتاج الفرنسي. وفقدت فرنسا الأمل بالتوسُّع في المستعمرات الإسبانية الامريكية. وتوقف عمل الشركة التجارية الفرنسية–الإسبانية المشتركة[٣٦].

رغبةً لتأخير تحرُّك الجيوش في حال اندلاع حربٍ بين النمسا وفرنسا ولإفساح المجال لتدخُّل بريطانيا، أقامت معاهدة أوترخت حواجز بينهما من مدن محصنة أسندت حمايتها إلى دولةٍ ثالثة فاصلة، مثل منح الفلاندرز إلى الهولنديين ومنح حاجز نوشاتيل وفالنجين إلى بروسيا ومنح إمارات سافوي وبيدمونت وساردينيا والبلاتينات لدوق بافاريا. كانت المدن الحاجز أو الفاصلة والدول التي تسيطر عليها ضعيفة بحاجة إلى مساعدة مالية وعسكرية من بريطانيا، فتوفرت لبريطانيا وسيلة للتدخل الدائم باسم حماية الضعفاء. اوجدت المعاهدة مبررات للتدخل البريطاني في الشؤون الأوروبية بحجة حماية الضعفاء[٣٧].

رفض الإمبراطور النمساوي التوقيع على معاهدة أوترخت، فدخلت الدبلوماسية البريطانية في مفاوضات مضنية معه نجحت في التوصل الى عقد معاهدة رشتادت في عام ١٧١٤ اعترف الإمبراطور ببنود معاهدة أوترخت[٣٨].

تحول الأسطول البريطاني بموجب معاهدة أوترخت إلى أعظم أسطول دون منافس له بالبحار والمحيطات لأن الحرب أضعفت فرنسا وإسبانيا والنمسا لدرجة كبيرة، بلغت خسائر فرنسا بالحرب نحو مليارين وخمسمائة مليون ليفر (وحدة نقدية فرنسية تبلغ ٩٥ % من الفرنك مصنوعة من الفضة) وهو مبلغ يساوي (٣٢) مرة ضعف واردات فرنسا السنوية. فأستاء الشعب الفرنسي من حكم الملك لويس الرابع عشر[٣٩].

حققت بريطانيا نصراً كبيراً إثر حرب الوراثة الإسبانية، إذ فرضت بريطانيا سيطرتها على الأوضاع السياسية والتجارية في أوروبا بدعوى المصلحة العليا للمحافظة على مبدأ التوازن الدولي الأوروبي. أزدادت تجارة بريطانيا الخارجية وارتفعت أرباحها. ومنعت بريطانيا أي دولة لزيادة نفوذها في أوروبا عبر لعب الدبلوماسية البريطانية دوراً في عظمة بريطانيا لتكون أسماً بحق "بريطانيا العظمى"، فعقدت سلسلة معاهدات واتفاقيات سياسية وتجارية والعسكرية مع مختلف الدول الأوروبية وأخضاع كل القارة عدا فرنسا للنفوذ البريطاني وقبول تحكيمها[٤٠]. فأبقت بريطانيا على مبدأ التوازن الدولي الأوربي ضمنت لنفسها بقاء جميع الدول الأوروبية دون قوتها للهيمنة على التجارة مع المستعمرات الامريكية.

فرضت بريطانيا هيمنتها على الطرق الملاحة الأوروبية، إذ هيمن الأسطول البريطاني على البحر المتوسط عندما احتل مضيق جبل طارق. هيمنت بريطانيا على ممر جزيرة صقيلية باحتلال جزيرة مينورقة. فتباينت مصالح العائلة المالكة في سافوي والعائلة المالكة في النمسا، الامر الذي وفر لبريطانيا الفرصة لفرض هيمنتها عليهما. حققت بريطانيا السلام والاستقرار للبحر المتوسط أنطلاقاً من القاعدة التي أنشأتها في مضيق جبل طارق وجزيرة مينورقة الاستراتيجية[٤١].

ضمنت بريطانيا نفوذها السياسي والعسكري في دول البحر المتوسط من خلال فرض مراقبة الأسطول البريطاني على الأسطولين الفرنسي والإسباني في البحر المتوسط أنطلاقاً من قاعدتها الجديدة

فيه[٤٢]. كانت السفن التجارية الفرنسية تتعرض للقراصنة البريطانيين، الذين يقدمون خدماتهم لملك بريطانيا، في البحر المتوسط مما جعلها عاجزة عن الأبحار فيه بشكل طبيعي[٤٣].

سارعت الدبلوماسية البريطانية لزيادة نفوذ بريطانيا داخل الدولة العثمانية على حساب فرنسا، إذ ازداد التبادل التجاري بين بريطانيا والدولة العثمانية. أسست بريطانيا شركة تجارية مع الدول العثمانية. حققت أرباحاً ماليةً كبيرةً من احتكار التجارة بين الدولة العثمانية والموانئ الإيطالية وشمال أفريقيا وغرب آسيا، حرمت الفرنسيين منها[٤٤].

لم توفر معاهدة أوترخت السلام النهائي في أوروبا لأنها تضمنت بنود سببت قيام الصراع والتنافس بين الدول الموقعة عليها، إذ حصلت النمسا على الأراضي المنخفضة الأسبانية، مما جعلها عدوة تقليدية لفرنسا الطامعة بممتلكات أسرة آل هابسبورغ الذي يهدد مبدأ التوازن الدولي الأوروبي وبالتالي مهدد للمصالح البريطانية في أوروبا، فعدت الدبلوماسية البريطانية فرنسا العدو الوحيد لها وأرسلت جزءاً من قواتها البرية الى مقاطعة هانوفر للدفاع عنها وثم نشرت بريطانيا جزء من أسطولها على طول السواحل البريطانية الجنوبية والشرقية لمواجهة أي عدوان فرنسي، لقرب ساحل دونكيرك Dunrik الساحل البريطاني لمسافة ستة عشر ميل فقط عن ساحل مارداياك Mardyk الأوروبي، مما يجعلها منطقة رخوة تهدد أمن بريطانيا[٤٥]. مما حرم بريطانيا من إشراك جميع أسطولها في الصراع مع فرنسا حول المستعمرات الإسبانية الأمريكية.

حصلت بريطانيا على امتيازات تجارية بالمستعمرات الأسبانية الامريكية بموجب عقد اتفاقية اسينتو، نصت على أرسال بريطانيا سفينة واحدة سنوية محملة بالبضائع والعبيد الى المستعمرات الأسبانية في أمريكا الجنوبية. واستولت بريطانيا على جزر نيوفوندلاند ونوفا سكوشيا وخليج هدسن في المستعمرات الفرنسية في أمريكا الشمالية[٤٦].

انتقل الصراع حول التجارة والتوسع بالمستعمرات الامريكية بين بريطانيا وفرنسا، أصبح نشاط التجار والبحارة البريطانيين بالمستعمرات الامريكية يؤثر على الأوضاع السياسية في أوروبا، مما يدفع الدبلوماسية البريطانية للتدخل لصالحهم. وكانت المدن الصناعية البريطانية الناشئة (برمنجهام ومانجستر وليدز) تعتمد على المواد الأولية التي تأتي من المستعمرات الامريكية[٤٧]. وأصبحت الموانئ الأوروبية تحصل على الكثير من الأرباح اعتماداً على البضائع المستعمرات الامريكية التي تنقل على متن السفن التجارية البريطانية[٤٨]، مما زاد من النفوذ البريطاني في أوروبا.

الفصل الثاني: الدبلوماسية البريطانية في عهد اسرة هانوفر:

المبحث الأول: قيادة ستانهوب للدبلوماسية البريطانية:

لم تشترك الدبلوماسية البريطانية بالحرب التي أندلعت بين النمسا وحلفائها (إمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدسة وأمراء البندقية ونابولي وسكسونيا) ضد الدولة العثمانية في ٨ حزيران عام ١٧١٤ لتحالف الأخيرة مع فرنسا وأنتظر الساسة البريطانيين طلب الدولة العثمانية المساعدة من بلادهم لفرض شروطهم عليها. وكان لوفاة الملكة آن دون وريث إثر بعدم مشاركة بريطانيا بالحرب. فأتصل قادة حزب التوري ومنهم بولينبروك (وزير خارجية بريطانيا مسؤول دائرة الجنوب) بجميس أدوارد الكاثوليكي (ابن الملك جيمس الثاني) يدعوه لاعتناق المذهب الأنكلكاني لتولي العرش. بيد أن حزب الويغز دعا جورج بن الأميرة صوفيا حفيدة الملك جيمس الأول (١٦٠٣ – ١٦٢٥) لتولي العرش[٤٩].

تولى جورج العرش البريطاني في ١٢ آب بإسم جورج الأول (١٧١٤ – ١٧٢٧)، فانتقل العرش الى أسرة هانوفر الألمانية. كلف الملك لطاونسيند (زعيم حزب الويغز) لتشكيل حكومة جديدة رغم عدم امتلاكه أغلبية مقاعد مجلس العموم البريطاني. وأصبح قائد الدبلوماسية الأول لأيرل جيمس ستانهوب[٥٠] Stanhope (وزير خارجية بريطانيا مسؤول دائرة الجنوب) [٥١] في ٣ أيلول[٥٢].

شنت الحكومة البريطانية حملة قاسية ضد أعضاء حزب التوري واتهموا بالتآمر لتنصيب جيمس أدوارد على عرش البلاد. مما اضطر أغلبهم للهرب إلى الدول الأوروبية. حصد حزب الويغز الأغلبية بالانتخابات البرلمانية التي أجريت في ١٠ كانون الثاني عام ١٧١٥. وشكل الحزب حكومة جديدة وهيمن على المقاليد السياسية البريطانية لمدة نصف قرن تقريباً بدعم اسرة هانوفر انتشر الاستقرار السياسي في بريطانيا، مما ساعد الحكومة لتنفيذ دبلوماسيتها [٥٣].

شجعت فرنسا جيمس أدوارد لشن حملة على اسكتلندا في ٣ شباط عرفت ثورة اليعاقبة لاستعادة العرش البريطاني، بيد ان جيمس أدوارد فشل في حملته بسبب حرمانه من الدعم الفرنسي لوفاة الملك لويس الرابع عشر[٥٤].

استطاعت الدبلوماسية البريطانية عقد معاهدة حلف مع فرنسا في كانون الثاني عام ١٧١٦، اعترف الملك لويس الخامس عشر (١٧١٥ – ١٧٧٤) بحق أسرة هانوفر بتولي عرش بريطانيا وتعهد بعدم دعم جيمس أدوارد. اعترفت بريطانيا بوراثة التاج الفرنسي وفقاً لما جاء في معاهدة أوترخت. شكل هذا التحالف ثورة دبلوماسية كبيرة لأنه تجاوز نظام ثنائي الأقطاب لخلق نظام دولي جديد يسيطر على الوضع الراهن في أوروبا، منع أي عدوان أجنبي على بريطانيا لان معاهدة التحالف تضمنت بند يمنع دخول السفن الحربية والجنود لجميع الدول في المنطقة المقابلة لساحل دونكيرك البريطاني لضمان السلام بين بريطانيا وفرنسا[٥٥].

عُدت الاتفاقية الأخيرة بغير صالح بريطانيا التي تعتبر فرنسا عودتها تنافسها على النفوذ والتجارة في أوروبا والمستعمرات الامريكية، فعارض طاونسيند المعاهدة، فقدم استقالته. فعين الملك جيمس ستانهوب بدلاً عنه في رئاسة الحكومة البريطانية(٥٦).

يرجع السبب الذي دفع الدبلوماسية البريطانية إلى التحالف مع فرنسا، لأخذ قسط من الراحة للاهتمام بالقضايا الداخلية. يُمد الحلف خطوة جديدة لتطوير الدبلوماسية البريطانية، التي تحالفت مع فرنسا عدوتها في نظام دولي جديد جمع بين الدول المتصارعة والمتناقضة، فسعت بريطانيا لأثارة العداوة بين فرنسا وإسبانيا. واتفقت بريطانيا وفرنسا في تشرين الثاني عام ١٧١٦ لمواجهة أطماع ملك إسباني بالعرش الفرنسي بالقوة العسكرية(٥٧).

حرض الملك فيليب الخامس الشعب الفرنسي لمحاربة النمسا. بيد ان الدبلوماسية البريطانية تمكنت من القضاء على المؤامرة، إذ قدمت بريطانيا مساعدات مالية الى الشعب الفرنسي ونقل الأسطول البريطاني جيش فرنسي بري وتم أنزاله بالموانئ الأسبانية. قدمت الدبلوماسية الفرنسية والجيش الفرنسي الدعم والمساعدة للبحارة البريطانيين في أوروبا ساعد على تمتين العلاقات الفرنسية – البريطانية، إذ لم تتعرض المصالح البريطانية في أوروبا للعدوان أو الخطر لمدة خمسة عشر سنة(٥٨).

تحول التحالف الأنجلو – الفرنسي إلى تحالف ثلاثي بعد موافقة هولندا الانضمام إليه بموجب عقد هذه الدول معاهدة تحالف لاهاي. ظل هذا التحالف الأساس الذي ترتكز عليه الدبلوماسية البريطانية في العقد الثاني من القرن الثامن عشر. وتعهد فرنسا وبريطانيا بالضغط كل منهما على حليفته (النمسا وإسبانيا) لتنفيذ بنود معاهدة التحالف الثلاثي. تمكنت تلك المعاهدة من سد ثغرات التي تضمنتها معاهدة أوترخت واتفقت الدول الأعضاء بالتحالف على استمرار تحالفهم لمدة عشر سنوات قابلة للتجديد والاستمرار في مناقشة الوضع السياسي في أوروبا فيما بينهم(٥٩).

نجحت الدبلوماسية البريطانية بتوحيد بين قوة الأسطول البريطاني والهولندي مع الجيش البري الفرنسي القوي. فيما رفض الإمبراطور شارل السادس وملك إسبانيا فيليب الخامس الانضمام للتحالف الثلاثي بسبب رفض بريطانيا توحيد عرشي النمسا وإسبانيا في أسرة آل هابسبورغ ورفض توحيد عرشي إسبانيا وفرنسا. فتخلت بريطانيا عن التحالف مع النمسا فيما أجبر ملك فرنسا لويس الخامس عشر الملك فيليب الخامس على عدم المطالبة بالعرش الفرنسي(٦٠).

استغلت الدبلوماسية البريطانية حاجة إسبانيا لاستعادة ممتلكاتها السابقة في الأراضي المنخفضة والأراضي الإيطالية، التي أصبحت مُلك للنمسا، وعداء إسبانيا لفرنسا والإمبراطور النمساوي لتقارب بريطانيا من إسبانيا، فأجرت الدبلوماسية البريطانية مفاوضات مع إسبانيا للتحالف بين البلدين. فاتفقت بريطانيا وإسبانيا في ١٥ كانون الأول على توقيع معاهدة تحالف، تنازلت الأخيرة لحليفتها عن الكثير من الامتيازات التجارية بمستعمراتها في أمريكا الجنوبية(٦١).

تعاظمت التجارة البريطانية في نهاية العقد الثاني من القرن الثامن عشر، إذ أصبحت التجارة الأولى عالمياً. وحل التجار البريطانيين محل التجار الهولنديين والفرنسيين وأمنوا نقل البضائع لحساب بلدان أخرى. وارتفعت كمية التجارة البريطانية للضعف ثم استمرت بالزيادة حتى بلغت (٩٠%) من حجم التجارة الخارجية للدول الأوروبية. توسعت تجارة بريطانيا الخارجية في المستعمرات الامريكية، حصلت بريطانيا على امتياز تصدير العبيد في المستعمرات الإسبانية الامريكية. كما حصلت بريطانيا على ميزة الدولة الأولى بالرعايا من البرتغال، بأرسال سفينة محملة بالمنتجات البريطانية واحدة الى موانئ المستعمرات البرتغالية في أمريكا الجنوبية[٦٢].

عقدت بريطانيا وإسبانيا اتفاقية تجارية ثانية بين البلدين في ٢٠ كانون الأول عام ١٧١٦، أعادت للبريطانيين مركزها السابق في شبه الجزيرة الأيبرية بحصول بريطانيا على حق الرعايا الأولى في المملكة الإسبانية. ترك موقف الكاردينال البيروني Alberoni Carrdinal (وزير خارجية إسبانيا) من جيمس أدوارد، رفض الوزير الإسباني إقامته في بلاده، انطباعاً جيداً لدى سفير بريطانيا في مدريد اعتبر ذلك اعتراف بحق الملك جورج الأول بالعرش البريطاني[٦٣].

نجحت الدبلوماسية البريطانية بإعادة العلاقة مع النمسا، إذ أقر الملك جورج الأول في ٢٢ كانون الأول عقد اتفاقية ويستمنستر مع النمسا تعهد البلدان بالدفاع المشترك عن ممتلكاتهما في أوروبا. استمر تحالف بريطانيا والإمبراطورية النمساوية لمدة أربعين سنة دون اشتراكهما بحرب ضد بعضهما البعض[٦٤].

اشترك الأسطول البريطاني في ١٢ آب عام ١٧١٧ بدعم روسيا والدانمارك في حربهما ضد السويد. حصلت بريطانيا على امتيازات تجارية من الدانمارك. اثارت غضب القيصر بطرس الأول فاحتل دوقية مكلامبورغ. رفض الملك البريطاني ذلك وأتهم القيصر بدعم ثورة اليعاقبة، فأرسل الأسطول البريطاني لمساعدة السويد في ٣ أيلول ضد روسيا. حصلت بريطانيا امتيازات تجارية في بحر البلطيق. دفعت روسيا لأقامة حلف مع بولندا وبروسيا ضد بريطانيا في ٣ تشرين الأول[٦٥].

اضطرت بريطانيا لدعم الدانمارك في حربها مع روسيا وحليفتيها بولندا والسويد، نجحت الدبلومسية البريطانية بعقد معاهدة سوند مع الدانمارك نصت على تخفيض الرسوم المالية المفروضة على السفن التجارية البريطانية التي تمر عبر مضيق سوند وتنازلت الدانمارك عن هوليشتاين لبريطانيا. ثم أجرت الدبلوماسية البريطانية مفاوضات مع بروسيا في ٥ تشرين الثاني، لابعادها عن حليفتها روسيا، انتهت بالتوقيع على معاهدة حصلت بريطانيا على أعفاءات كمركية لتجارتها مع بروسيا مقابل تنازل بريطانيا لها عن مقاطعة هوليشتاين. كما تعهد بروسيا بالدفاع عن مقاطعة هانوفر والتنازل لها عن أراضي بريمن وفردان[٦٦].

تمكنت الدبلوماسية البريطانية من التصالح مع السويد بعقد معاهدة ستوكهولم في بداية ١٥ نيسان عام ١٧١٨. تخلت السويد بموجبها عن مقاطعة شلسفيغ الى الدانمارك حليفة بريطانيا وخسرت

السويد هيمنتها على بحر البلطيق وتفوقت التجارة البريطانية في بحر البلطيق، وتحولت السويد الى دولة ضعيفة. اعطى الفرصة لروسيا للتوسع في أراضي دول المطلة على بحر البلطيق، فاضطرت بريطانيا لمساندة الدانمارك لتطوير جيشها لمواجهة روسيا(٦٧).

سعت الدبلوماسية البريطانية لضم بولندا للتحالف الثلاثي، فالتقى الملك جورج الأول مع ملك بولندا أغسطس الثاني في ١٦ أيار عام ١٧١٨ بمقاطعة هانوفر. واتفق الملكين على عقد معاهدة تحالف بين البلدين والانضمام الى التحالف الثلاثي ليتحول الى تحالف رباعي. ساهم اجتماع هانوفر في سيطرة الدبلوماسية البريطانية على الشؤون الأوروبية. لكنه اثار خوف القيصر الروسي الذي قاد قواته واحتل الأراضي البولندية. وشكل القيصر الروسي التحالف الفيدرالي الشمالي مع السويد في ٧ حزيران ضد بريطانيا، خشية من شن ملك بولندا بمساعدة بريطانيا، حرب ضد روسيا. أسرع دوبواس الآبي Abbe Dubois (وزير خارجية فرنسا) (١٧١٥ – ١٧٢٣) على الفور للإعلان أخلاص فرنسا للتحالف الرباعي مع بريطانيا(٦٨).

بذلت الدبلوماسية البريطانية جهود كبيرة لكسب ود الكاردينال دوبواس الآبي ولم تتوانى لتقديم الرشى له لتحقيق أهدافها، إذ منحت سفارة بريطانيا في فرساي دوبواس الآبي مبلغ (٦٠٠) ألف جنيه استرليني من الحكومة البريطانية مقابل تنسيق المواقف بين البلدين والعمل معاً لمواجهة التحالف الفيدرالي الشمالي لعدم انتهاك مبدأ التوازن الدولي الأوروبي(٦٩).

لم تكن الدبلوماسية البريطانية في الأعوام الماضية أكثر نشاطاً وأكثر براغماتية (أنتهازية) أيضاً، بل تُعد دبلوماسية ماكيافيللية جديدة لمواجهة علاقات ملك بريطانيا المتوترة مع العواهل الأوروبية، كل طرف منهما متلهف لأن يسبق الآخر لينتقم منه بدلاً من إقامة علاقات بين رجال دول يتشاورون فيما بينهم في الشؤون شعوبهم وبلدانهم(٧٠).

استمرت جهود الدبلوماسية الإسبانية للتقارب من فرنسا، إذ أعلنت إسبانيا الحرب ضد الإمبراطورية النمساوية وامارة توسكانيا والدولة العثمانية في ٥ تموز. فشلت الدبلوماسية البريطانية في إقناع ملك إسبانيا فيليب الخامس لوقف الحرب التي شنها ضد الأراضي الإيطالية النمساوية مقابل منح دون كارلوس (إبن ملك إسبانيا) حق وراثة أراضي توسكانيا وبارما وبلاسينتا Palcentia. طالب الكاردينال البيروني بتنازل بريطانيا عن مضيق جبل طارق للموافقة على ذلك(٧١).

قدمت بريطانيا الدعم للنمسا في حربها ضد إسبانيا، فهاجم الأسطول البريطاني في ١١ آب موانئ رأس باسارو (قرب مسينا) في البحر المتوسط. إذ شارك الأسطول البريطاني بتدمير الأسطول الإسباني في ١٦ آب. الأمر الذي دفع إسبانيا لدعم جيمس أدوارد بالأسطول الإسباني ومجموعة من الجنود لغزو بريطانيا في ٢١ آب(٧٢).

نجحت الدبلوماسية البريطانية في أقناع الإمبراطور شارل السادس بالتنازل عن ممتلكاتها في الأراضي الإيطالية لدون كارلس والاعتراف بتولي الملك فيليب الخامس عرش إسبانيا مقابل ضمان وراثة العرش الإمبراطوري لأبنته ماريا تيريزا[٧٣]. اعترف الإمبراطور النمساوي بالتنازل عن ملكية إمارات توسكانيا وبارما وبلاسينتا إلى الأمير الإسبانية دون كارلوس بشرط بقاء ميناء ليغورن Leghorn ميناءاً حراً. وتم الاتفاق على خضوع الممرات السويسرية لسيطرة ملك إسبانيا لكي يتمكن الأمير دون كارلوس في ترسيخ سيطرته على ممتلكاته الجديدة. فيما تنازل ملك إسبانيا عن مطالبته بامتلاك دوقية ميلان والأراضي المنخفضة النمساوية[٧٤].

تمكنت الدبلوماسية البريطانية من أنهاء الحرب بين إسبانيا والنمسا في ٢٩ آب عام ١٧١٨ وعقد صلح باساروبتز Passarowitz. ووقعت الدبلوماسية البريطانية اتفاقية مع الإمبراطور شارل السادس في ٣٠ آب لأنضمام إلى التحالف الرباعي ليمتد إلى الحدود النمساوية الشرقية وضم صربيا وولاشيا وليتحول للتحالف الخماسي للمحافظة على السلام الأوروبي[٧٥].

طلبت الدبلوماسية البريطانية بعد أنضمام الإمبراطور النمساوي للتحالف الرباعي في نهاية شهر آب، من فيليب أورليان (الوصي على العرش الفرنسي) معاقبة ملك إسبانيا لإجبارها على التصالح مع فرنسا والانضمام للتحالف الخماسي. فاعلنت فرنسا، بعد تردد، الحرب في منتصف شهر أذار عام ١٧١٩ على إسبانيا. فاضطر ملكها للاستسلام والانضمام للتحالف الخماسي ليتحول إلى التحالف السداسي. يرجع تشكيل هذا التحالف إلى دهاء قائد الدبلوماسية البريطانية ستانهوب وأصرار الكاردينال البيروني للبقاء مع بريطانيا للانتقام من فرنسا[٧٦].

أنضمت النمسا إلى التحالف الفيدرالي الشمالي (الذي ضم روسيا والسويد) في عام ١٧٢٠، وتكون حلف النسور الثلاثة لرعايا مصالح أعضاء الحلف في بولندا. فانسحبت النمسا من التحالف السداسي بعد ذلك. حاول القيصر بطرس الأول استمالة فرنسا للانضمام التحالف الفيدرالي الشمالي[٧٧].

المبحث الثاني: قيادة والبول للدبلوماسية البريطانية:

واجه ستانهوب حملة من قبل حاشية الملك الألمان في البلاط البريطاني وبغض منافسي ستانهوب داخل حزب الويغز، الذي خدمه كثيراً داخل البلاد وخارجها، فتم الأطاحة به في ٣ أذار عام ١٧٢١ بتهمة الفشل لعقد التحالف مع النمسا. وجاء بدلاً عنه السير روبرت والبول[٧٨] (رئيس حكومة بريطانيا ووزير خارجيتها مسؤول دائرة الجنوب) (١٧٢١ – ١٧٤٢) بالمنصب المقرب من الملك جورج الأول. يذكر ان الكاردينال البيروني واجه المصير نفسه، فقد حمله الملك الإسباني مسؤولية التباعد عن فرنسا، فتم طرده من قيادة الدبلوماسية الإسبانية. ورفض البابا كليمنت الحادي عشر Clememy XI[٧٩] طلب البيروني بالتوسط لدى ملك إسبانيا. وخلف البيروني مساعده جان وليم ريبيردا Ripperda المقرب من البلاط الإسباني[٨٠].

انتهجت الدبلوماسية البريطانية في عام ١٧٢١ طريقة جديدة للمحافظة على النفوذ البريطاني في أوروبا ولضمان تفوق التجارة البريطانية بالمستعمرات الامريكية اعتمدت الدبلوماسية البريطانية مبدأ فرق تسد[٨١] بين الدول الأوروبية. اعتقد الساسة البريطانيين ضرورة مراقبة خصومهم الأوروبيين لمنعهم من فرض هيمنتهم على الدول الأخرى وقيام بريطانيا بدور الحامي للسلام في أوروبا عبر تنبيه تلك الدول بالمخاطر التي تواجهها للتحالف مع بريطانيا.

اجرت الدبلوماسية البريطانية مفاوضات الصلح مع إسبانيا وفقاً الشروط التي وضعها التحالف السداسي، اضطر ملك إسبانيا الموافقة على تلك الشروط وعقد معاهدة نيستادت في ٣٠ نيسان عام ١٧٢١ مع بريطانيا. أقرَّت إسبانيا تسوية مسائل الأراضي الإيطالية كما رسمها التحالف السداسي، وبنى السلام في أوروبا. أنقذت الدبلوماسية البريطانية أوروبا من كارثة معاهدة أوترخت[٨٢].

أزداد توتر العلاقات البريطانية – النمساوية في نهاية شهر آب بسبب أنشاء الإمبراطور النمساوي شركة أوستاند للتجارة بين النمسا والأراضي المنخفضة النمساوية والأراضي الإيطالية، الامر الذي أثار بريطانيا لأنَّها تنافس تجارتها في أوروبا. شن الأسطول البريطاني هجوم على السفن التجارية النمساوية في الموانئ الإيطالية. شجعت تلك الاحداث أسرة آل بوربون للتصالح، إذ تم عقد إتفاق الصلح بين فرنسا وإسبانيا أكد على أنهاء الخلافات بينهما في الأراضي الإيطالية. دفعت الاحداث الإمبراطور النمساوي للموافقة على حلّ شركة أوستند بسبب اعتراض بريطانيا[٨٣].

استمرت العلاقات البريطانية – الفرنسية متذبذبة في عهد والبول الذي حرص على المحافظة على السلام في أوروبا للتفرغ لمعالجة الأوضاع الداخلية في بريطانيا. شهدت الأوضاع في أوروبا تطور تمثل بانهيار الحلف الفيدرالي الشمالي أثر وفاة الملك السويدي. بذل القيصر الروسي جهود كبيرة في تنصيب ملك سويدي موالي لروسيا. أثار غضب بريطانيا، فطالب الملك جورج الأول في عام ١٧٢٢ من وزير الخزانة زيادة واردات بلاده للحصول على الأموال اللازمة لمنع القيصر بالقوة العسكرية من التدخل في تنصيب ملك جديد للسويد. وفرت الحكومة البريطانية الأموال التي طلبها الملك. وأمل والبول ان لا يتم الحاجة لها أبداً وقال: "سياستي هي الأبقاء أحرار عن أي التزامات دولية"[٨٤].

حرص الوصي على العرش الفرنسي فيليب الاورياني والكاردينال دي فليوري Cardinal De Fleury[٨٥](وزير خارجية فرنسا) (١٧٢٣ – ١٧٤٣) على استمرار السلام في أوروبا، لمواجهة الخلاف في عائلة آل بوربون بين فرنسا وإسبانيا. استمر السلام بين بريطانيا وفرنسا دون تعرضه لأي تهديد لمدة عشرة سنوات نتيجة انبثاق تفاهم بين والبول والكاردينال دي فليوري، كان رئيسا الدبلوماسية البريطانية والفرنسية متعاونين فيما بينهما، وكلاهما رافضين لاندلاع حرب بين البلدين ومهتمين بالشؤون الاقتصادية لبلادهما[٨٦].

لم يثق كلاهما بالسياسيين المتطرفين وآمنا بتسوية المشاكل التي تواجه البلدين بالطرق الدبلوماسية، لقيت العلاقات الودية للرجلين دعماً كبيراً من هوريس[٨٧] والبول (سفير بريطانيا في فرساي) أخو السير روبرت والبول الذي وصف بدقة قابليات الكاردينال دي فليوري، الذي استمر بالتواصل مع الدبلوماسيين الأجانب حتى عندما تم عزله لفترة قصيرة. ومنح البلاط الفرنسي لهوريس تفويضاً مطلقاً للتواصل مع الحكومة الفرنسية مما ساعده على تحقيق النجاح في تعامله معها[٨٨].

إتفقت الدبلوماسية البريطانية مع نظيراتها الفرنسية والنمساوية والهولندية على عقد مؤتمر دولي للدبلوماسيين الأوروبيين في ٨ كانون الثاني عام ١٧٢٤ بمدينة كامبرية لتسوية المشاكل التي تواجه الدول الأوروبية الموقعة على معاهدة أوترخت في الأراضي الإيطالية[٨٩].

أجرى والبول مفاوضات مع مختلف وزراء خارجية الدول الأوروبية توصلت إلى عقد عدة إتفاقيات خفضت الرسوم الكمركية المفروضة على المنتجات البريطانية في عدد من الدول الأوروبية. إتفقت بريطانيا مع بعض الدول الأوروبية على تخفيض الرسوم الكمركية المفروضة على المواد الخام التي تستوردها بريطانيا. دفعت تلك الإتفاقيات الملك الفرنسي لويس الخامس عشر لإجراء مفاوضات سياسية مباشرة مع عدد من الدول الأوروبية دون علم الدبلوماسية الفرنسية، مما سبب لها الكثير من الإرباك والأخفاقات وزادت من الخلافات بين فرنسا وبريطانيا حول بالمستعمرات الامريكية[٩٠].

واجهت الدبلوماسية البريطانية قيام نشاط معادي لها في أوروبا، فقد أستطاع ريبيردا أقناع الملك فيليب الخامس ليرسله الى فينا في ٣ شباط عام ١٧٢٤ للتفاوض معها لأقامة حلف بين العدوين إسبانيا والنمسا. نجح ريبيردا في عقد معاهدة حلف بينيلوب Penelope بين البلدين معادي لبريطانيا في ١٦ أذار عام ١٧٢٥. سرعان ما تطور إلى إتفاق مصاهرة بين الأسرتين الحاكمتين مقابل تنازل النمسا لإسبانيا عن الأراضي الإيطالية النمساوية (امارة توسكانيا ودوقية بارما). عدت الدبلوماسية البريطانية الحلف يشكل تهديد جديد لمبدأ التوازن الدولي الأوروبي[٩١].

ساهم الحلف الإسباني – النمساوي بتغيير شكل العلاقات الدولية في أوروبا برمتها، فقد أنهى الحلف المنافسة بين المملكة الإسبانية والإمبراطورية النمساوية واعترف الملك فيليب الخامس بالمرسوم العملي Pragmati Sanction [٩٢] في ٣٠ نيسان بالمصادق عليه في مدريد[٩٣].

حدثت تطورات جديدة بالعلاقات الدولية الأوروبية شكلت مفاجئة للدبلوماسية البريطانية، المهملة والمرتبكة، التي لم تتوقع تمثلت بتحسن العلاقات الإسبانية – الفرنسية، إذ تمكنت الدبلوماسية الإسبانية من التوصل إلى إتفاق للصلح مع فرنسا، بعد انقطاع بعلاقات البلدين دام أكثر من عشر سنوات. إذ عقد ريبيرا مع دي فليوري معاهدة أشبيلية في شهر حزيران عام ١٧٢٦، أكدت على شروط معاهدة فينا السابقة، شكلت معاهدة أشبيلية الخطوة الأولى في طريق لأقامة التحالف الإسباني – الفرنسي. أصبح دي فليوري وبعض الشخصيات البريطانية تعمل لأنهاء حلف هانوفر وقطع العلاقات الفرنسية – البريطانية،

الأمر الذي أدى إلى انهيار التحالف الفرنسي – البريطاني. ساعد فرنسا لاتخاذ مواقف ترفضها بريطانيا في الشؤون الأوروبية والمستعمرات الامريكية[٩٤].

كانت شخصية ريبيرا فريدة، لقدرته الفائقة على الأقناع ووضوح الهدف لديه، جعلته من الشخصيات الكبيرة في زمانه. فإن ذكر المرسوم العملي في المعاهدة الإسبانية – النمساوية يربط ريبيردا بالأحداث التي تركت آثارها الكبيرة على العلاقات الدولية الأوروبية. منح ملك إسبانيا ريبيردا لقب دوق مكافئة له وعينه رئيس للحكومة الإسبانية [٩٥].

غابت الدبلوماسية البريطانية كلياً عن التطورات السياسية الأوروبية خلال المدة (١٧٢٤ – ١٧٢٧)، إذ أرسلت الحكومة الفرنسية يوهان دانيال سكوفلن في ١٢ أذار عام ١٧٢٧ إلى لندن لإجراء مفاوضات سرية مع الحكومة البريطانية لتجديد التحالف الثنائي بين البلدين، الذي ينتهي بعد عام. انتهت المفاوضات بالإتفاق على احياء حلف هانوفر مجدداً، الذي يضم بريطانيا وفرنسا وهولندا[٩٦].

بدء والبول، مثلما عمل ستانهوب مع البيروني، يتعاون مع ريبيردا في حل المشكلات الدولية الأوروبية. كان هدف والبول الوحيد هو بقاء بريطانيا أقوى دولة في أوروبا عن طريق انتهاج دبلوماسية مع الدول الأوروبية. يُعد المشاركة بالأحلاف المباشرة أو عقد تفاهم ثنائي مع دول أخرى جزء من هذه الدبلوماسية للمحافظة على مصالح بريطانيا في أوروبا والاهتمام بالتجارة الخارجية في المستعمرات الأمريكية واستغلال ثرواتها لتطوير بريطانيا[٩٧].

كلفت الدبلوماسية البريطانية التي انتهجها والبول، لمواجهة توسع النفوذ الفرنسي والمحافظة على مصالح بريطانيا في أوروبا، أموال كبيرة جداً. اضطرت الحكومة البريطانية لفرض ضرائب جديدة على المواطنين الأثرياء (التجار والصناعيين) إضافة إلى ضريبة الأرض البالغة أربع شلنات التي فرضت على كبار ملاك الأراضي لتوفير الأموال اللازمة لتنفيذ تلك الدبلوماسية، مما أثار استياء الشعب البريطاني من حزب الويغز، المسيطر على الحكومة والبرلمان البريطاني بسبب أقرار تلك الضرائب الجديدة لتغطية نفقات تلك الدبلوماسية[٩٨].

أتسمت الدبلوماسية البريطانية التي اتبعها والبول بالمناورة السياسية لأستيعاب معارضيه في البرلمان وتمكنه من تحقيق الأهداف التي يصبوا إليها ليعيد توحيد حزب الويغز والقضاء على انتقادات أعضائه للدبلوماسية بسبب كلفتها الاقتصادية الكبيرة[٩٩]. تعد الدبلوماسية البريطانية ضرورة تامة لضمان مصالح بريطانيا في أوروبا لمواجهة النفوذ الفرنسي وتوسع الصراع في المستعمرات الامريكية[١٠٠].

لم تعمل الدبلوماسية البريطانية لخلق مراكز قوى أوروبية محايدة، فلم يشجع والبول البابوية والإمبراطورية الرومانية المقدسة للعب دور في ضمان السلام الأوروبي من خلال القيام بجهود دبلوماسية للتوسط بين الدول المتحاربة، رغم حاجة بريطانيا لضمان السلام لتحقيق التفوق الدبلوماسي لبريطانيا في أوروبا بل حرصت على استمرار حلف هانوفر[١٠١].

استخدمت الدبلوماسية البريطانية دبلوماسيين الأجانب المقربين منها لإيصال رسائل الوساطة إلى النمسا لانهاء توتر علاقاتها مع بريطانيا، فقد أرسلت بريطانيا الدبلوماسيين البرتغاليين والهولنديين في ٢٧ أذار إلى فينا. تمكن الدبلوماسيين الوسطاء من إعادة العلاقات البريطانية – النمساوية وعينت بريطانيا اللورد والد جريف مبعوثاً لها في فينا في ٦ نيسان. تعد الدبلوماسية البريطانية النمسا أحد القطبين اللذين يؤثران على سلامة النظام الدولي الأوروبي(١٠٢).

لعب اللورد والد جريف دور كبير في التواصل مع الأمير أوجين (رئيس الحكومة النمسا) إلى إتفاق في ٨ أيار لتحسن العلاقات بين البلدين. لعبت العلاقات الشخصية دور كبير في نجاح مهمة الدبلوماسي البريطاني دون الاهتمام للمعايير الدبلوماسية(١٠٣).

استطاعت الدبلوماسية البريطانية تجديد التحالف بين بريطانيا وهولندا ضمن حلف هانوفر، إذ عد هودلي (سفير بريطانيا في لاهاي) في ٢ حزيران الحلف يشكل منعطفاً حقيقياً بالتوازن الدولي الأوروبي. واتفق البلدان على الدفاع عن مصالحهما في أوروبا بشكل مشترك والسعي لكسب حلفاء جدد لتقليل الالتزامات العسكرية المفروضة على كلا الحليفين. سعت الدبلوماسية البريطانية لتكوين أئتلاف دولي، وعدم الاكتفاء بالتحالف مع هولندا، لمواجهة الحلف الإسباني – النمساوي(١٠٤).

اصطدم الحلف الإسباني – النمساوي بحلف هانوفر، فانهار الحلف الإسباني – النمساوي في ٧ تموز عام ١٧٢٧ عند بداية النزاع الذي أثارته إسبانيا ضد بريطانيا لاستعادة جبل طارق منها. اثار استاء الملك جورج الثاني (١٧٢٧ – ١٧٦٠) من الامتيازات التجارية التي منحها ملك إسبانيا إلى النمسا. اضطر ملك إسبانيا للخضوع لشروط بريطانيا وفرنسا لفك حصاره عن مضيق جبل طارق مقابل توقيعهما على معاهدة برشلونة مع إسبانيا في ١٥ تموز، التي تسمح لإسبانيا باحتلال حصون توسكانيا وبارما وبلاسينتا لتنفيذ المعاهدة السابقة(١٠٥).

تحسنت العلاقات البريطانية – الروسية في ٤ آب أثر تولي القيصر بطرس الثاني (١٧٢٧ – ١٧٣٠) العرش، إذ عقد البلدين إتفاقية تجارية بينهما بسبب عدم وجود مصالح لبريطانيا في أراضي أوروبا الشرقية، اصطدم التوسع الروسي في شرق أوروبا بالنفوذ الفرنسي هناك. لم تهتم الدبلوماسية البريطانية بروسيا سابقاً بسبب ضعفها وتخلفها. ولا يوجد مصالح لروسيا في المستعمرات الامريكية التي تطمع بها بريطانيا(١٠٦).

فيما توترت العلاقات البريطانية – البروسية في ١٦ أذار عام ١٧٢٩ أثر تعيين الملك فردريك وليم الأول(١٠٧) اللورد مارشال الأسكتلندي، المعارض لملك بريطانيا، مبعوثاً خاص لبروسيا في فرساي. استطاعت الدبلوماسية البريطانية تحسين العلاقات الثنائية مع بروسيا، وعقد معاهدة حلف بين البلدين في ٧ أيار. تعهدت الأخيرة بالدفاع عن الممتلكات البريطانية في مقاطعة هانوفر. فيما تعهدت بريطانيا بمنح بروسيا مساعدات مالية(١٠٨).

أعلنت فرنسا وإسبانيا تحالفهما في ١٦ حزيران. وشنت القوات الفرنسية والإسبانية في ٣ تموز هجوم على الأراضي الإيطالية، لم يهاجم الجيش الفرنسي أراضي الإمبراطور النمساوي حتى لا تثير قلق بريطانيا وهولندا، انتهى الهجوم بتنازل الملك فكتور عمانوئيل (ملك سردينيا) عن سافوي لفرنسا مقابل حصوله على ميلانو(١٠٩).

استطاعت الدبلوماسية البريطانية إجراء مفاوضات مع فرنسا وإسبانيا تم الإتفاق على عقد حلف دفاعي بين الدول الثلاثة في ٣ أب. أنضمت هولندا له بموجب عقد معاهدة سيفيل Seville في نهاية كانون الثاني عام ١٧٣١ مع فرنسا وإسبانيا سميت معاهدة فينا الثانية ساعدت على حسم مسألة مضيق جبل طارق وانهاء مطالبة إسبانيا به. والقضاء على الخلافات بين بريطانيا وإسبانيا بشأن التجارة البريطانية في المستعمرات الإسبانية في امريكا الجنوبية. تعهدت الدول الموقعة على معاهدة سيفيل بإلغاء معاهدة فينا الأولى والامتناع عن القيام بأي عمل يسبب أخلال مبدأ التوازن الدولي الأوروبي. لم تضع معاهدة سيفيل أساساً ثابتاً في العلاقات الدولية الأوروبية، بل أنها استندت إلى عدة تدابير إقليمية غير واقعية، بغض النظر عن الشعور القومي، غيرت الموقف الدولي في أوروبا(١١٠).

الفصل الثالث: موقف الدبلوماسية البريطانية من اندلاع الحروب الأوروبية:

المبحث الأول: موقف الدبلوماسية البريطانية من حرب الوراثة البولندية:

فقدت بريطانيا في عام ١٧٣٣ نفوذها المتفوق في أوروبا، إذ أطمأن الساسة البريطانيون لقوة بلادهم وأنشغلوا بالخلافات الداخلية مع والبول ولم يلتفتوا لتغير السياسة الخارجية الفرنسية التقليدية تجاه النمسا، إذ فضلت فرنسا أنهاء العداء التاريخي بين أسرة آل بوربون وأسرة آل هابسبورغ بسبب زوال خطرها عن فرنسا. اثار تدخل فرنسا بحرب وارثة العرش البولندي، بعد وفاة ملكها أوغست الثاني في ٣ أيلول عام ١٧٣٣ وترشيح ستانسلاس لكزينسكي (صهر ملك فرنسا الذي تم خلعه سابقاً من عرش بولندا). فيما رشحت النمسا منتخب ساكسونيا أوغست الثالث (إبن شقيق الإمبراطور النمساوي) بدعم روسيا. تم أنتخاب الأول، بفضل المال الفرنسي، في ١٥ أيلول ملكاً لبولندا(١١١).

رفضت النمسا وروسيا ذلك وادخلت قواتهما للأراضي البولندية وتم طرد ملكها وتنصيب أوغست الثالث بدلاً عنه. مما أعاد الخلاف الفرنسي – النمساوي من جديد، إذ تحالفت النمسا وروسيا والدولة العثمانية والسويد ضد فرنسا وحليفاتها (بافاريا وإسبانيا وممكلة سردينيا). وحققت فرنسا وحليفاتها النصر على النمسا وحليفاتها في ممتلكات النمسا بالأراضي الإيطالية(١١٢).

سعت الدبلوماسية البريطانية عدم المشاركة في الحرب، اتخذ والبول دبلوماسية الحياد لحماية مصالح بلاده في أوروبا دون الاشتراك في حرب الوراثة البولندية في نهاية عام ١٧٣٣. سعت بريطانيا لأنهائها،

إذ عقدت بريطانيا معاهدة صداقة مع إسبانيا[١١٣]. مكنت بريطانيا توظيف إمكانياتها العسكرية للتوسع في المستعمرات الإسبانية والفرنسية في أمريكا وزيارة تجارتها معها[١١٤].

انتهى التقارب البريطانيا – الفرنسي بجهود جيرميذ لوي شوميلين (وزير خارجية فرنسا) المعارض لبريطانيا وتعاون مع إسبانيا في ١٧ تشرين الثاني ضد بريطانيا، إذ عقدت فرنسا مع إسبانيا معاهدة حلف لم الشمل العائلة ضد بريطانيا للدفاع عن الأملاك الإسبانية في أوروبا والمستعمرات الامريكية[١١٥].

توترت العلاقات البريطانية – البروسية في العام نفسه، بسبب حصافة والبول وثباته بدبلوماسية عدم التدخل بالتعقيدات الأوروبية، دفع بروسيا للانضمام إلى حلف فرنسا. أخذت بريطانيا بتحريض النمسا ضد حلف فرنسا وإسبانيا، التي اتحدت في حلف واحد ضد بريطانيا بسبب تلك الدبلوماسية[١١٦].

أعلنت النمسا تمسكها بأملاكها بالأراضي الإيطالية واستعدادها للدفاع عنها. فشنت فرنسا وإسبانيا في ١٤ كانون الأول الحرب ضد النمسا لاستعادة أملاك أُسرة بوربون في نابولي. قررت بريطانيا تقديم الدعم المالي للنمسا، التي منيت بهزائم عدة اضطرت للانسحاب من الأرضي الايطالية التي سيطرت عليها سابقاً[١١٧].

واجه والبول انتقادات حادة من حزب الويغز وحزب التوري، الذي انتقد التخلي عن الحلف مع فرنسا. فيما نجحت الدبلوماسية البريطانية، التي لم تتأثر بالمعارضة الداخلية، بإبقاء بريطانيا بعيدة عن الاشتراك بالحرب الوراثة البولندية والقيام بجهود وساطة لأجراء مفاوضات الصلح بين الدول المتحاربة تكللت بالنجاح في مطلع تشرين الأول عام ١٧٣٥ بالإتفاق على عقد معاهدة سلام فينا. نصت على سيطرة إسبانيا على نابولي ومقاطعات سردينيا ونوفارا Novara وتورتونا Tortona. وأصبح إقليم اللورين ملك لفرنسا. وعوض الأمير فرانسيس Francis دوق اللورين (زوج ماريا تيريز) عن أمارته ومُنح دوقية توسكانيا Tuscany. بذلك تسببت دبلوماسية والبول باتساع نفوذ أسرة آل بوربون، الذي أصبح مصدر مخاطر تهدد المصالح البريطانية في أوروبا[١١٨]. وأصبحت مهمة القضاء على سطوة أسرة آل بوربون التي حصلت عليها بموجب معاهدة سلام فينا بطرق دبلوماسية جديدة.

توترت العلاقات البريطانية – الإسبانية في نهاية العام نفسه بسبب اختلاف البلدين حول حدود الامتياز الذي جاء في معاهدة أسيانتو السابقة واختلافهما حول حدود المستعمرة البريطانية في جورجيا، فشن الأسطول الإسباني والفرنسي حملة قرصنة ضد السفن التجارية البريطانية والتمثيل بالبحارة البريطانيين في المحيط الأطلسي. مما تسبب بردود فعل غاضبة داخل الشعب والبرلمان البريطاني[١١٩].

شنت الدولة العثمانية حرب ضد النمسا في عام ١٧٣٦، بتحريض من فرنسا التي قدمت عن طريق فيلنوف (سفير فرنسا في أسطنبول) استشارات للعثمانيين مكنتهم من تحقيق النصر على النمسا. ولم تتخذ الدبلوماسية البريطانية أي موقف لمواجهة تزايد النفوذ الفرنسي بالدولة العثمانية. اضطرت النمسا للموافقة

على إتفاق صلح بلغراد في عام ١٧٣٨ تنازلت عن بعض الأراضي للدولة العثمانية. واضطرت روسيا للتراجع عن أراضي الدولة العثمانية[١٢٠].

واصل والبول دبلوماسيته المحايدة بعناد ونجح في إقناع إسبانيا بالتوقيع على معاهدة تعويضات مع بريطانيا في ١٤ كانون الثاني عام ١٧٣٩، نصت على دفع إسبانيا تعويضات قدرها خمس وتسعون الف جنيه إسترليني عن الخسائر التي تعرض لها التجار والبحارة البريطانيين بسبب اعتداءات الأسطولين الإسباني والفرنسي[١٢١].

رفض الشعب والبرلمان البريطاني المعاهدة في ١٢ أذار وطالب بعزل والبول لتضحيته بمصالحه. أتبعت الدبلوماسية البريطانية طريقتها السابقة وعقد معاهدة حلف مع النمسا في ٣ أب. اضطر والبول في ٢ تشرين الأول لإعلان الحرب ضد إسبانيا. سارعت فرنسا وأعلنت مساندتها للأخيرة. وساندت بروسيا فرنسا ضد بريطانيا بالحرب، التي اندلعت لفرض النفوذ على المستعمرات الأمريكية[١٢٢]. وحصل رجال الأعمال وتجار وبحارة بريطانيين على ثروات طائلة نتيجة توسع ممتلكات بريطانيا في المستعمرات الامريكية[١٢٣].

المبحث الثاني: موقف الدبلوماسية البريطانية من حرب الوراثة النمساوية:

حدث تطور كبير اخر أثر على العلاقات الدولية الأوروبية، إذ توفي الإمبراطور النمساوي شارل السادس في ٢٠ تشرين الأول عام ١٧٤٠ دون وريث ذكر. فتولت أبنته ماريا تيريزا العرش. عارضت بافاريا وفرنسا وبروسيا وإسبانيا تولي ماريا تيريزا العرش. سعت فرنسا للقضاء على النمسا لتكون صاحبة الهيمنة بالقارة الأوروبية، فساندت مطالب أمير بافاريا بالتاج الإمبراطوري. عقدت فرنسا معاهدة حلف نيغنبورغ مع بروسيا في ١٠ كانون الأول عام ١٧٤٠ لدعم وراثة منتخب بافاريا للتاج الإمبراطوري. أنضمت بافاريا وإسبانيا وأمير سكسونيا إلى هذا الحلف[١٢٤].

شن ملك بروسيا فردريك الثاني[١٢٥] في ٢٣ كانون الأول حرب ضد النمسا. وحقق فرديك الثاني النصر عليها بمعركة مولويتز Molleitz في ٨ نيسان عام ١٧٤١ واحتلت القوات البروسية مقاطعتي سيليزيا وغلاتز النمساوية. طالبت ماريا تيريزا الدعم المالي من بريطانيا. وقعت الأخيرة معاهدة غير متكافئة مع النمسا في ١١ تموز للمحافظة على مصالح بريطانيا في هانوفر. ووقفت بريطانيا إلى جانب النمسا بتقديم لها المال والسلاح للمحافظة على حياد مقاطعة هانوفر، لأن بريطانيا ترى أهمية تقوية علاقاتها مع أسرة آل هابسبورغ لمواجهة توسع النفوذ الفرنسي في أوروبا[١٢٦].

احتلت فرنسا وبافاريا بوهيميا في ٦ تشرين الأول. قدم اللورد كارتيريت[١٢٧] Cartert (سفير بريطانيا في فينا) النصح إلى ماريا تيريزا للتصالح مع بروسيا مقابل التنازل لها عن مقاطعتي سيليزيا وغلاتز لوقف الحرب بينهما. اضطرت الإمبراطورة ماريا تيريزا للموافقة المقترح البريطاني ووقعت مع فردريك الثاني في ٩ تشرين الأول أتفاق صلح كليان – شنيلاندورف، نص على تنازل النمسا عن

مقاطعتي سيليزيا وغلاتز لبروسيا مقابل أنسحاب الأخيرة من الحرب وعدم تقديم الدعم لفرنسا فيها[١٢٨]. عبر فردريك الثاني عن رضاه لما حصل عليه وقال :"ربحت جولتي وأرسيت أمني وسلامي" [١٢٩].

حرصت النمسا للحصول على دعم بريطانيا وهولندا لتحقيق انتصار على فرنسا ومنعها من احتلال الأراضي المنخفضة النمساوية لعدم الأخلال بمبدأ التوازن الدولي الأوروبي[١٣٠]. فيما احتلت بافاريا ميونيخ. وأنتخب شارل البرت، بدعم فرنسا، في ٥ كانون الثاني عام ١٧٤٢ إمبراطوراً للإمبراطورية الرومانية المقدسة[١٣١].

تدخلت بريطانيا بالحرب الأوروبية بشكل مباشر لمساندة النمسا عسكرياً ضد فرنسا، إذ قاد الملك جورج الثاني في ٣ شباط قوات مرتزقة ألمان نحو الأراضي المنخفضة النمساوية. وعقدت الدبلوماسية البريطانية في ١٣ أذار معاهدة حلف مع النمسا وبروسيا وأمير ساكسونيا سميت معاهدة فورمز الأولى، نص على استرجاع سكسونيا مقاطعتي الألزاس واللورين من فرنسا ودفع مساعدات مالية لنمسا بشرط تنازلها النهائي عن مقاطعتي سيليزيا وغلاتز إلى بروسيا مقابل أنسحابها من الحرب[١٣٢].

شجعت معاهدة فورمز الأولى الحكومة البريطانية لتكليف السير توماس روبنسون Sir Thomas Robinson (وزير خارجية بريطانيا لشؤون دائرة الجنوب) لتحفيز ماريا تيريزا للتصالح التام مع ملك بروسيا. اضطرت الإمبراطورة ماريا تيريزا في ٢٨ تموز لعقد معاهدة برسلاو Breslau مع فردريك الثاني، حصل الأخير بموجبها على مقاطعتي سيليزيا وغلاتز مقابل ذلك أنسحبت بروسيا بشكل كامل من الحرب[١٣٣]. فنهار التحالف الفرنسي – البروسي، رغبت فرنسا بتشكيل تحالف آخر بعد مواجهتها صعوبات عديدة[١٣٤].

تأثرت علاقة الملك البريطاني مع والبون بسبب استمراره بتنفيذ دبلوماسيته المحايدة وعدم مثابرته لمواجهة تجاوزات الأسطولي الإسباني والفرنسي وعقده معاهدة مهينة مع إسبانيا على الرغم تجاوزاتها على المصالح البريطانية بالمستعمرات الامريكية. وعين الملك جورج الثاني بدلاً عنه سبنسر كومبتون Compton Spencer (زعيم حزب التوري) لرئاسة الوزراء البريطاني. وقاد كارتيريت الدبلوماسية البريطانية مسؤول دائرة الجنوب[١٣٥].

زداد نفوذ البرلمان البريطاني على الدبلوماسية البريطانية بسبب تكاليف الحرب التي اندلعت بين بريطانيا وإسبانيا، التي اتسعت باشتراك بريطانيا بالحرب ضد فرنسا في ١٤ آب عام ١٧٤٢ بالأراضي المنخفضة النمساوية. اضطرت الحكومة بسبب حاجتها للأموال الطلب من البرلمان اصدار التشريعات لفرض ضرائب جديدة على الشعب البريطاني والمصادقة على القروض التي اقترضتها الحكومة البريطانية من الخارج، التي اغرقت البلاد بالدين العام. شجع ذلك البرلمان على طلب الاطلاع على المفاوضات الدبلوماسية التي تجريها الحكومة مع الدول الأخرى واخضاعها لمصادقة البرلمان البريطاني قبل ان تدخل المعاهدة او الإتفاقية حيز التنفيذ مقابل إقرار البرلمان الضرائب الضرورية التي تحتاجها الحكومة[١٣٦].

أسرع كارتيريت باتباع دبلوماسية جديدة ترضي ملكه في إسلوب إدارته للدولة وأفكاره السياسية، قدم كارتيريت أفكار متناقضة مع تعقيدات العلاقات الدولية الأوروبية، فقد نصح الملك بضرورة التقرب من النمسا لعقد حلف حقيقي معها مفيد لبريطانيا أفضل من غيرها(١٣٧).

تولى الكاردينال تينسين Cardinal Tencin منصب وزير خارجية فرنسا خلفاً لدي فليوري في نيسان عام ١٧٤٣، وكان أشد معارضتاً للبريطانيين. وشجع تينسين الملك الفرنسي في ١٩ حزيران على التوسع بممتلكات النمسا بالأراضي الإيطالية. استطاعتت القوات المرتزقة البريطانية تحقيق النصر على فرنسا وحلفائها في ١٥ تموز في معركة ديتنفن اضطر الجيش الفرنسي للانسحاب من الأراضي الإيطالية إلى داخل الأراضي الفرنسية. لم يرغب ملك بريطانيا بالهجوم المباشر على الأراضي الفرنسية لأن بريطانيا لا ترغب بالدخول في حرب مباشرة مع فرنسا إلا بكون بريطانيا حليفة النمسا(١٣٨).

رغبت بريطانيا أن تقدم النمسا تنازلات في ممتلكاتها الإيطالية لملك سردينيا. شعرت النمسا بالمرارة وتوترت العلاقات البريطانية – النمساوية لأصرار كارتيريت على ضرورة تنازل النمسا عن ممتلكاتها في الأراضي الإيطالية لملك سردينيا شارل عمانوئيل مقابل الحصول على دعمه هناك. فاضطرت النمسا للتوقيع على معاهدة فورمز الثانية في ١٣ أيلول مع شارل عمانوئيل(١٣٩).

أعلنت فرنسا الحرب في ١٥ أذار عام ١٧٤٤ ضد بريطانيا في أوروبا. ثم أعلنت فرنسا الحرب ضد النمسا في ٢٩ أذار. شجعت الاحداث ملك بروسيا للتوقيع على معاهدة تحالف جديدة مع فرنسا في ٥ نيسان. ثم عقد ملك بروسيا معاهدة تحالف مع ملك سردينيا وامير بافاريا في ٢٧ أيار في مدينة فرانكفورت. اشتركت دول أخرى بالمعاهدة وهي فرنسا وإسبانيا والسويد وروسيا وبلغاريا ومقاطعة البلاتينات ومقاطعة هيس الألمانية عرف بحلف فرانكفورت قسم ممتلكات النمسا وهولندا فيما بينهم. ثم وقعت بروسيا معاهدة سرية مع فرنسا في ٥ حزيران بالعاصمة فرساي لاحتلال أراضي هولندا وهانوفر(١٤٠).

عزل الملك جورج الثاني الحكومة البريطانية وكلف كارتيريت لتشكيل حكومة جديدة. أجرى رئيس الحكومة البريطانية مفاوضات مع سفير النمسا في لندن. توصلت بتوقيع البلدين في ١١ تموز عام ١٧٤٤ على معاهدة لندن. تعهدت بريطانيا بدفع مبلغ ١٥٠ ألف جنيه إسترليني إلى النمسا واتفق البلدين على مساندة كل منهما للحلف الآخر. اضطرت المعاهدة ملك بروسيا لتجديد الحرب في ٨ آب تجاه النمسا، خشية من تمكنها للانتقام منه فاحتل بوهيميا(١٤١).

ساهمت الدبلوماسية الفرنسية السرية بتعقيد الأوضاع الدولية الأوروبية، إذ أعلنت فرنسا في ١١ آب المشاركة بالحرب البريطانية – الإسبانية الجارية في المستعمرات الامريكية، تأخرت فرنسا عن المشاركة بالحرب بسبب انشغالها بحرب الوراثة النمساوية في أوروبا. اتبعت بريطانيا طريقة لمواجهة فرنسا، استخدمت فيها الأسطول البريطاني لفرض الهيمنة البريطانية على إقليم اوهايو (الواقع بالمستعمرات الأمريكية). اصطدم التوسع البريطاني بمحاولات فرنسا للتوسع في الإقليم نفسه، إذ نشطت

فرنسا لربط مستعمراتها في كندا مع مستعمراتها في إقليم لويزيانا عن طريق الأقليم. أصبح الفرنسيين يضايقون البريطانيين في المستعمرات الامريكية الشمالية. رد البريطانيون بالمثل مما سبب اتساع الحرب بينهما في ٢١ آب هناك(١٤٢).

أشتركت بريطانيا في عدة معارك ضد فرنسا لأضعاف نفوذها في أوروبا، بيد ان بريطانيا تعرضت لهزمة في معركة فونتينوي أمام القوات الفرنسية في ١٩ كانون الثاني عام ١٧٤٥(١٤٣). حدث تطور جديد أثر على تعقيد العلاقات الدولية الأوروبية، إذ توفي الإمبراطور شارل السابع (إمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدسة) في ٢٠ كانون الثاني. فتولى جوزيف فرانسيس عرش الإمبراطورية في ٢١ كانون الثاني. عارض الملك فردريك الثاني ذلك وقرر الاستمرار بالحرب ضد النمسا. اقنعت الدبلوماسية البريطانية النمسا بتشكيل حلف وارشو في ٢٨ كانون الثاني ضم بريطانيا والنمسا وهولندا وناخب سكسونيا (ملك بولندا) تعهدت الدول المشتركة في الحلف بالتعاون المشترك فيما بينهم بكل ما تملك في حالة اشتراك أحد أعضاء الحلف في حرب مع دولة آخرى. كما دعم ناخب سكسونيا النمسا لاستعادة مقاطعتي سيليزيا وغلاتز(١٤٤).

خشي ملك فرنسا من حلف وارشو فحرض شارل أدوارد (إبن جيمس أدوارد) للمطالبة بالعرش البريطاني، إذ وصل شارل أدوارد بدعم فرنسا إلى اسكتلندا في ٧ أذار واحتل العاصمة أدنبرة، كانت بريطانيا منشغلة بالحرب مع فرنسا في الأراضي المنخفضة النمساوية، فسحبت بريطانيا قواتها من أوروبا. وواجه الدوق كامبري (ابن الملك جورج الثاني) زحف شارل ادورد نحو لندن بشجاعة وتمكن من الانتصار عليه واضطراره للهرب إلى فرنسا(١٤٥).

اقامة اليهود البريطانيين علاقات سرية لدعم ثورة اليعاقبة في بريطانيا، إذ شكل رجل الأعمال اليهودي البريطاني فرناندیز كارفاجال شبكة من العلاقات. ونجح باختراق دي سوز (سفير البرتغال في لندن) واتخذ منزله المحصن دبلوماسياً مقراً للتخطيط للتآمر ضد أسرة هانوفر وتوفير الدعم المعنوي لحركة اليعاقبة في بريطانيا. واشتركت بهذه الشبكة سفارات بعض الدول الأوروبية (فرنسا وإسبانيا والنمسا) للتأمر والتجسس ضد بريطانيا(١٤٦).

لم تبق الدبلوماسية البريطانية متفرجاً لانها تخشى توسع الحرب بانضمام بروسيا وبافاريا الحرب إلى جانب فرنسا وإسبانيا، فسعت الدبلوماسية البريطانية لعزل بروسيا وبافاريا عن حليفيتهما فرنسا وإسبانيا بدلاً من أنهاء الحرب. ونجحت الدبلوماسية البريطانية أقناع بروسيا بالتوقيع على معاهدة هانوفر السرية مع بريطانيا في ٢٦ أذار عام ١٧٤٥ بسبب قيام تمرد ثورة اليعاقبة للتفرغ لمواجهته لضمان سلامة مقاطعة هانوفر. كما اقنعت الدبلوماسية البريطانية بافاريا لتعليق مشاركتها بالحرب وموافقتها في ٢٢ نيسان على معاهدة فوسين Fuessen بينها وبين النمسا. نصت معاهدتي هانوفر وفوسين على ما جاء في معاهدة دريسدن بتولى فرانسيس العرش الإمبراطوري وضم بروسيا لسيليزيا وغلاتز لممتلكاتها(١٤٧).

رعت الدبلوماسية البريطانية مفاوضات بين ماريا تيريزا وملك بروسيا، بعد تحقيقه الانتصار على النمسا في معركة هوهنفريدبيرغ، في ٥ حزيران لعقد الصلح بين البلدين. وافقت بروسيا على شروط الصلح. لكن النمسا رفضت توقيعه. فارسلت الحكومة البريطانية وزير خارجيتها توماس روبنسون إلى فينا لإقناع ماريا تيريزا بعقد الصلح، وذكر الوزير البريطاني الإمبراطورة بأن بلاده زودت النمسا بمبلغ 1,078,733 جنية إسترليني خلال العام الماضي فقط للمحافظة ممتلكات إمبراطورية هابسبورغ وطالبها بضرورة عقد الصلح مع بروسيا. بيد ان ماريا تيريزا رفضت ذلك(١٤٨).

اضطرت النمسا للتوقيع على معاهدة درسدن Dresden في ١٥ كانون الأول مع بروسيا. أقرت ما جاء في معاهدة بريسلاو بتنصيب فرانسيس جوزيف إمبراطوراً للإمبراطورية الرومانية المقدسة مقابل التأكيد على تنازل النمسا لبروسيا عن مقاطعتي سيليزيا وغلاتز. تمت المعاهدة بنصيحة وضغط من الدبلوماسية البريطانية، التي تسعى للتخلص من الالتزامات الثقيلة بسبب تدخلها بالشؤون الداخلية للدول الأوروبية(١٤٩).

تخشى النمسا قيام بريطانيا بقطع المساعدات المالية التي تحصل عليها، لكنها أستاءت من بريطانيا لدرجة كبيرة لانها أجبرت ماريا تيريزا على التنازل عن أراضيهامما سبب توتر العلاقات البريطانية – النمساوية(١٥٠).

بدد دخول روسيا للحرب إلى جانب بريطانيا حلم فرنسا بالتوسع في الأراضي المنخفضة النمساوية، إذ نجحت المفاوضات التي قامت بها الدبلوماسية البريطانية مع القيصرة الروسية اليزابيث (١٧٤١ – ١٧٦٢) بعقد إتفاق بين بريطانيا وروسيا في ٢٢ أيار عام ١٧٤٦ لتأجير ثلاثين ألف جندي روسي. وتم نقلهم عن طريق الأسطولي البريطاني والهولندي إلى الأراضي المنخفضة النمساوية في ٩ تموز للمشاركة بالحرب ضد فرنسا وإسبانيا، للدفاع عن ممتلكات بريطانيا في هانوفر، لأن بريطانيا تعتبرها جبهة الدفاع الأولى عن سواحلها(١٥١).

استطاعت الدبلوماسية البريطانية من التقارب مع إسبانيا، الذي لم ترغب به الملكة اليزابيث فارنيس Elizabeth Farnese (زوجة الملك فيليب الخامس الثانية) وترغب بالدخول في صراع مع بريطانيا بسبب وفاة الملك في ٩ تموز. فأسرع الملك الإسباني الجديد فرديناند السادس (ابن الملك فيليب الخامس من زوجته الأولى آنا ماريا) بالموافقة على عقد إسبانيا معاهدة تجارية مع بريطانيا في عام ١٢ تموز مقابل اعتراف بريطانيا بتوليه عرش إسبانيا. أستعادت بريطانيا الامتيازات التجارية التي تمتعت بها سابقاً في المستعمرات الإسبانية الامريكية(١٥٢).

تمكنت الدبلوماسية البريطانية اجراء مفاوضات مع الدول هولندا والنمسا ومملكة سردينيا توصلت في ٢٦ كانون الثاني عام ١٧٤٧ لعقد إتفاقية حلف لاهاي الثانية بين بريطانيا وهذه الدول. نصت على تزويد هولندا لحلفائها أربعون ألف جندي واثنتا عشر سفينة للاشتراك مع الأسطول البريطاني في مهاجمة السفن

التجارية الفرنسية في المحيط الأطلسي. وتعهدت بريطانيا بتوفير أربعون ألف جندي وتخصيص ثلاثون سفينة لشن الحرب ضد فرنسا بالأراضي المنخفضة النمساوية ومنحت بريطانيا مساعدة مالية قدرها أربعمائة ألف جنيه إسترليني للنمسا. وتعهدت بريطانيا بمنح مملكة سردينيا مبلغ ثلاثمائة ألف جنيه إسترليني. وتعهدت النمسا بتجهيز ستون ألف جندي بالحرب ضد بروسيا(١٥٣).

اصرت الدبلوماسية البريطانية على استمرار رعايتها لأُسرة آل هابسبورغ، فقد أرسلت وزارة الخارجية البريطانية اللورد جون إريل هايندفورد في ٣ أذار إلى فينا لأقناع ماريا تيريزا باستمرار التعاون الحكيم مع بريطانيا لتولي أبنها الدوق جوزيف العرش الإمبراطورية خلفاً لأبيه الإمبراطور فرانسيس جوزيف. بيد ان النمسا شعرت بالحنق الشديد تجاه بريطانيا، ولم تعطي أي وعد لبريطانيا (١٥٤).

سعت الدبلوماسية الفرنسية لاخراج هولندا من الحلف، فأجرت السفارة الفرنسية في لاهاي مفاوضات سرية مع هولندا في ١٧ نيسان لوقوف الأخيرة على الحياد بالحرب. بيد ان السفير الفرنسي فشل في اقناع هولندا للتخلي عن تحالفها المعادي لفرنسا. الامر الذي دفع فرنسا في ١٩ نيسان لأعلان الحرب ضد هولندا، احتلت القوات الفرنسية الأراضي الهولندية. اسرعت القوات البريطانية والنمساوية للدفاع عليها وحقق الجيش الفرنسي النصر في ٢ تموز بمعركة لاوفيلد على قوات الحلفاء. فشن الأسطول البريطاني في مطلع شهر تشرين الأول بحملة قرصنة ضد السفن التجارية الفرنسية بالمحيط الاطلسي(١٥٥).

أرادت الحكومة البريطانية زيادة عدد قواتها، فأعلن رئيس الوزراء البريطاني في ٥ تشرين الأول عن السماح لجميع الأسكتلنديين الراغبين بخدمة جلالة الملك البريطاني للالتحاق بالجيش البريطاني، بعد ان كانوا يسمح لهم سابقاً بالعمل بالتجارة والزراعة دون الاشتراك بالجيش البريطاني(١٥٦).

رغبت الدبلوماسية البريطانية تحفيز روسيا لمشاركة المزيد من جنودها بالحرب، فأجرت بريطانيا مفاوضات مع روسيا في ٣٠ تشرين الثاني تم الإتفاق على توقيع معاهدة تنص على قيام بريطانيا بتقديم مساعدة مالية لروسيا مقابل قيام روسيا بارسال سبع وثلاثون ألف جندي روسي للدفاع عن أراضي هولندا ضد العدوان الفرنسي. وتم نقل الجيش الروسي على متن السفن الروسية في ٩ كانون الثاني عام ١٧٤٨ إلى الأراضي البولندية. وطلبت هولندا من بريطانيا في ٣ شباط للحصول على مساعدات مالية وهددت بالانسحاب من الحرب إذ رفض البرلمان البريطاني منحها القرض. لم يكن بمقدور بريطانيا الاستمرار بالحرب دون هولندا، لذا وافقت على القرض المالي الذي طلبته. وارسلت الدبلوماسية البريطانية في ٣٠ نيسان اقتراح إلى فرنسا لعقد هدنة لوقف الحرب. وافق ملك فرنسا على المقترح البريطاني. وتم وقف اطلاق النار بين البلدين(١٥٧).

اقتنعت الدول المشاركة في الحرب بصعوبة تحقيق أمنياتها، فاتفقت على معاهدة عقد صلح أكس لاشابيل في تشرين الأول عام ١٧٤٨، نصت على الاعتراف بتولي ماريا تيريزا عرش النمسا وتنازلها عن مقاطعتي سيليزيا وغلاتز لبروسيا. وتنازل النمسا عن أراضيها الإيطالية لإسبانيا وسردينيا وتولي فرنسيس

جوزيف عرش الإمبراطورية وتولي الأمير بافاريا عرش إقليم اللورين الذي يتحول بعد وفاته لملك فرنسا. تخلت فرنسا عن كل الأراضي التي استولت عليها في الأراضي المنخفضة النمساوية وسافوي ونيس[١٥٨].

لم تعلم الدبلوماسية البريطانية بعقد معاهدة لم الشمل بين البلاطين الفرنسي والإسباني المعادي لبريطانيا. يُعد جزء من السياسة الخارجية الفرنسية والإسبانية السرية التي وحدت دبلوماسية المملكتين الموجه ضد بريطانيا دون علم ساستها وقادة دبلوماسيتها. كان بريستول Bristol (سفير بريطانيا في مدريد) جاهلاً بكل المفاوضات الدبلوماسية الفرانكو – إسبانية، وكان عملاءه السريين غافلين عن اكتشاف ذلك[١٥٩].

ظلت الدبلوماسية البريطانية متيقنة من إخلاص إسبانيا في علاقتها مع بريطانيا، إذ أرسلت الحكومة البريطانية اللورد تايراولي Tyrawley (ضابط بالأسطول البريطاني) مبعوثاً خاصاً إلى لشبونة للعمل على منع اندلاع حرب بين إسبانيا والبرتغال. لكن الأخير فشل في مهمته. وأتهم السير جون نوريس John Naris (سفير بريطانيا في لشبونة) السبب وراء ذلك مما تسبب بعزله[١٦٠].

حققت بريطانيا ثروات كبيرة من التجارة الخارجية، إذا ازدادت صادرات بريطانيا للضعف في عام ١٧٤٩، بلغت صادرات بريطانيا إلى مستعمرات أمريكا الشمالية (٥٢٤) ألف جنيه إسترليني قبل الحرب ارتفعت الى مليون ومائة ألف جنيه إسترليني في العام نفسه. وبلغت صادرات بريطانيا إلى المستعمرات الإسبانية في أمريكا الجنوبية قبل الحرب (٤٧٣) ألف جنيه إسترليني ارتفعت إلى (٧٣٢) ألف جنيه إسترليني بعد الحرب. وازدادت صادرات بريطانيا إلى الهند من (١١٢) ألف جنيه إسترليني قبل الحرب إلى (٥٢٢) ألف جنيه إسترليني بعد الحرب. واستمر التنافس البريطاني الفرنسي للهيمنة على المستعمرات الامريكية ولم تزيل معاهدة أكس لاشابيل شيئاً منه[١٦١].

اصبحت النمسا تشك بحليفتها بريطانيا لتنظيمها في العام نفسه عصبة معادية للنمسا تضم (فرنسا وهولندا وإسبانيا). فيما كانت بريطانيا مهتمة بالتوسع في التجارة الخارجية والمستعمرات الامريكية، لم تكن مصالحها المشتركة مع النمسا كبيرة هناك. سعى الدوق نيوكاسل (وزير خارجية بريطانيا لشؤون دائرة الجنوب)، لاقامة حلف الأنكلو – نمساوي في العام نفسه بالدعوة إلى انتخاب جوزيف (إبن ماريا تيريزا) إمبراطوراً خلفاً لوالده. لم تساهم هذه الدعوة في عودة العلاقات الودية بين البلدين[١٦٢].

اقتنع الفرنسيون بأهداف بريطانيا للمحافظة على تجارتها الخارجية والتوسع في المستعمرات الامريكية، فاتخذت فرنسا سياسة لمواجهة النشاط البريطاني هناك. لم تشعر فرنسا بالثقة من الملك فردريك الثاني، الذي يمكن الانقلاب عليها إذ احتلت بروسيا أراضي نهر الراين. أجرت فرنسا مفاوضات سرية في فرساي مع سفير النمسا لإعادة رسم خريطة التحالفات الأوروبية. ورغبت النمسا بعزل فرنسا عن حليفتها بروسيا، أجرى كارنتز (مستشار الإمبراطور النمساوي) خلال زيارته إلى فرساي في عام ١٧٥٣

مفاوضات سرية لعقد معاهدة حلف بين البلدين. لكنها فشلت بسبب خشية ملك فرنسا أن يسبب التحالف مع النمسا في إشتراك بلاده في الحرب ضد بروسيا(١٦٣).

اختلف اهتمام بريطانيا في حزيران عام ١٧٥٥ عما سبق، إذ دخلت في صراع محموم مع فرنسا بالمستعمرات الامريكية. استولى الأسطول البريطاني في حزيران ١٧٥٥ على (٣٠٠) سفينة فرنسية تحمل (٨٠٠٠) بحار فرنسي(١٦٤).

ساند اللورد روبرت دراسي Robert Dracy (وزير خارجية بريطانيا لشؤون دائرة الجنوب) جهود الدوق نيوكاسيل (رئيس الوزراء البريطاني) لتجديد الحلف الإنكلو–نمساوي، لكن دراسي كان أضعف من سلفه. كذلك فشل روبرت كيث Robert Keith (سفير بريطانيا في فينا) في تقوية علاقات بريطانيا مع أصدقاءها النمساويين أو كسب ثقة الإمبراطورة النمساوية، لعدم امتلاك السفير صفات الذكاء والانتباه في عمله(١٦٥).

لم تستهن الإمبراطورة ماريا تيريزا بعلاقاتها مع بريطانيا، لكنها رأت أنَّ تحالف بلادها مع بريطانيا لا يستطيع الصمود أمام أي أزمة دولية جديدة. واعتقدت الإمبراطورة بأنَّ الهدف الحقيقي للدبلوماسية البريطانية تجاه النمسا هو القضاء على نفوذ أُسرة آل بوربون في أوروبا، لذلك أرجأت الإمبراطورة إعلان موقفها من استمرار التحالف مع بريطانيا حتى تتغير الأوضاع الدولية في أوروبا(١٦٦).

توجهت الدبلوماسية البريطانية لتمتين علاقاتها مع القيصرة الروسية اليزابيث، فعقدت بريطانيا في ٢٨ شهر أيلول معاهدة حلف مع روسيا. نصت على حصول روسيا على مساعدات مالية من بريطانيا لتدريب وتسليح خمسة آلاف وخمسمائة جندي روسي والاستعدادهم للدفاع عن مقاطعة هانوفر ضد أي عدوان فرنسي أو بروسي. ونصت المعاهدة أن يتم نقل الجيش الروسي بواسطة الأسطول البريطاني إلى مقاطعة هانوفر(١٦٧).

أثارت المعاهدة هذه ملك بروسيا فردريك الثاني وأجبرته لعقد معاهدة حلف ويستمنستر Westminster مع بريطانيا في ١٤ كانون الثاني عام ١٧٥٦ تم التحالف بين البلدين. كانت بريطانيا بحاجة إلى التحالف مع دولة قوية في أوروبا للمحافظة على ممتلكاتها في مقاطعة هانوفر لتكون قاعدة لتوزيع التجارة البريطانية في شمال أوروبا وتوجيه القوات الفرنسية نحو البر الأوروبي. فاتفقت بريطانيا مع بروسيا للمحافظة على حياد الأراضي الألمانية في أي صراع بروسي – فرنسي أو صراع بريطاني – فرنسي. وتعهد ملك بروسيا عدم تقديم مساعدة لفرنسا في أي حرب تشنها ضد بريطانيا(١٦٨). لم ترغب بريطانيا بالتحالف مع النمسا الضعيفة التي تنازلت عن أراضيها سابقاً، واختارت بروسيا القوية لتكمل شكل تحالفاتها إلى جانب هولندا وروسيا.

برهنت تطور الأحداث ضعف مهارات ممثل الدبلوماسية البريطانية في فينا بالمقارنة مع ممثل الدبلوماسية الفرنسية في العاصمة النمساوية. لم يتوقع كيث تحالف ماريا تيريزا مع فرنسا بسبب غيابه عن

النمسا للمدة طويلة للتفاوض مع ملك بروسيا أو لمتابعة المصالح البريطانية بالدولة العثمانية. قاد الإهمال الدبلوماسي البريطاني حليفتها الإمبراطورة ماريا تيريزا للتحالف مع فرنسا(١٦٩).

اقترحت الإمبراطورة ماريا تيريزا، فور معرفتها بالمعاهدة الأخيرة، على السفير الفرنسي في فينا، بإقتراح من هنري فوكس Henry Fox (وزير خارجية النمسا)، في ١٨ أذار عام ١٧٥٦ لإقامة تحالف نمساوي– فرنسي للانتقام من بروسيا(١٧٠).

أثارت معاهدة حلف ويستمنستر الفرنسيون فاهتموا المقترح النمساوي الجديد، فاجرى رويلي Rouille (وزير خارجية فرنسا) مفاوضات مع فرانسوا دي بيريز بيرنز France de Pierres Bernis (سفير النمسا في فرساي) توصل البلدين في الأول من أيار إلى إتفاق لعقد معاهدة فرساي الأولى. تعهد الطرفين بالمشاركة بأربع وعشرين ألف جندي في أي حرب إلى جانب حليفها وتعهد النمسا بالوقوف على الحياد عند اشتراك فرنسا في حرب ضد بريطانيا. وتعهدت فرنسا بمساعدة النمسا في حالة اشتراكها في حرب ضد بروسيا. ثم تحالفت النمسا مع إسبانيا وبافاريا وساكسونيا وبعض الإمارات الألمانية(١٧١).

يُعد التحالف الفرنسي – النمساوي أكثر التطورات الدبلوماسية الأوروبية مفاجئة لمواجهة أعدائهما، بريطانيا عدوة الأولى وبروسيا عدوة الثانية. يؤمن تحالفهما التعاون في أي حرب ضد أحد أعدائهما أو مجتمعين في أوروبا(١٧٢). وقّع معاهدة فرساي الأولى عن الجانب الفرنسي رويلي، فيما وقعها عن النمسا بيرنز. التقى السفير البريطاني في فينا بالإمبراطورة ماريا تيريزا وسألها عن أسباب هجرت بريطانيا، ردَّت الإمبراطورة لأنَّ وزراء الملك البريطاني فرضوا عليها التنازل عن أراضي النمسا في مقاطعتي سيليزيا وغلاتز(١٧٣).

انتهى التحالف الفرنسي– البروسي بعقد التحالف الفرنسي – النمساوي، إذ لم يسامح الملك لويس الخامس عشر انتهازية الملك فردريك الثاني، ورحب الملك الفرنسي بالتحالف مع النمسا لمواجهة معاهدة حلف ويستمنستر لتحقيق الأهداف المشتركة لفرنسا والنمسا. وافقت فرنسا على دعم النمسا ضد بروسيا بشرط عدم غزوها هولندا(١٧٤).

توترت العلاقات الروسية – البريطانية، أثر عقد الأخيرة معاهدة حلف مع بروسيا. لم يَبقَ أمام الدبلوماسية البريطانية الآن لتحقيق أهدافها إلَّا إغداق المال البريطاني على روسيا، فقدمت الحكومة البريطانية المساعدات المالية الضخمة إلى الحكومة الروسية عن طريق بيستوشوف Bestuchoff (سفير روسيا في لندن) ضمنت موافقة القيصرة إليزابيث للإنضمام روسيا إلى معاهدة حلف ويستمنستر(١٧٥)، وقعت روسيا في ١٢ أب معاهدة حلف مع بريطانيا وبروسيا(١٧٦).

انقسمت الدول الأوروبية ما بين حليف لبريطانيا أو لفرنسا، مما هدد بإدخال القارة في حربٍ جديدة تشترك فيها الدولتين وحلفائهما. كانت قوة الطرفين غير متكافئة تقريباً، بريطانيا تملك (١٢٠) سفينة حربية كبيرة و(١٠٤) بارجة حربية في النصف الثاني من العام نفسه. بينما تملك فرنسا حوالي (٥٧) سفينة

حربية كبيرة و(٤) بارجة حربية في العام نفسه. فيما تملك إسبانيا نحو (٣٣) سفينة حربية و(٧٢) بارجة حربية في العام نفسه. بالتالي يمتلك تحالف فرساي الأولى نفس عدد سفن الأسطول البريطاني تقريباً[١٧٧]، بيد ان حلفاء بريطانيا يتفوقون بامتلاك الأسطول العسكري بإضافة سفن الأسطول الهولندي إليهم، الذي يتفوق على اعداد سفن الأسطول الإسباني.

بالإضافة إلى امتلاك فرنسا والنمسا وإسبانيا جيش بري كبير جداً ، لا يوازيه جيش بروسيا وروسيا، يستطيع غزو الجزر البريطانية شرط تمكنه من عبور القناة الإنكليزية. فاضطرت بريطانيا ان تبقي جزء من قواتها واسطولها للدفاع عن حدودها. فاضطرت بريطانيا لمنح حليفتيها بروسيا وروسيا مساعدة مالية كبيرة لتطوير جيشهما والاهتمام بالأوضاع الاقتصادية في بلادهما[١٧٨].

غزا ملك بروسيا أراضي سكسونيا في ٢٢ آب عام ١٧٥٦، استطاعت الأخيرة الصمود حتى وصول الدعم من القوات النمساوية. لم يكن باستطاعة فرنسا التوسع في الأراضي المنخفضة النمساوية أو التوسع في أراضي نهر الراين خشية بروسيا[١٧٩].

اضطرت فرنسا لعقد معاهدة فرساي الثانية مع النمسا في الأول من أيلول. تعهدت فرنسا بالإبقاء على (١٠٥) ألف جندي من قواتها قرب الحدود مع النمسا ودفع مساعدات مالية كبيرة قدرها ثلاثون مليون ليفر لدعم النمسا في حربها مع بروسيا في الأراضي الألمانيا مقابل تنازلها لفرنسا عن أربع مدن في الأراضي المنخفضة النمساوية. وأكدت المعاهدة على مشاركة فرنسا إلى جانب النمسا لاسترجاع مقاطعتي سيليزيا وغلاتز من بروسيا[١٨٠].

أعلنت فرنسا في ٢٩ أيلول الحرب ضد بريطانيا، فاشتركت فرنسا في الحرب الأوروبية في الوقت الذي كانت فيه منشغلة في حرب آخرى مع بريطانيا بالمستعمرات الامريكية. تكبدت بريطانيا عدة هزائم في أوروبا والمستعمرات الامريكية، فاضطر الدوق نيوكاسل (رئيس الوزراء البريطاني) في نهاية شهر تشرين الأول لتقديم استقالة الحكومة البريطانية. وكلف الملك البريطاني الدوق وليم كافنديش لتشكيل حكومة جديدة في ٢١ تشرين الثاني. بيد ان الحكومة البريطانية سرعان ما انهارت بعد أربعة أشهر من تشكيلها. وشكل الدوق وليم بث (جاثام) حكومة ائتلافية مع الدوق نيوكاسل في ٢٩ حزيران عام ١٧٥٧. احتل الجيش الفرنسي في ١٥ آب مقاطعة هانوفر. لكنه تم محاصرته من قبل الجيش البريطاني والجيش البروسي، فاضطر الفرنسيون للاستسلام في ١٢ أيلول[١٨١].

الخاتمة:

ازداد احتياج بريطانيا لإتباع دبلوماسية جديدة في النصف الأول من القرن الثامن عشر بسبب سياسة فرنسا لفرض نفوذها في أوروبا والتنافس الفرنسي للمصالح البريطانية في المستعمرات الامريكية، فانتهجت بريطانيا بعد عقد معاهدة اوترخت عام ١٧١٣، دبلوماسية جديدة فريدة، أصبح الحكم على الأحداث لا يلتزم بالمبادئ والقيم الأخلاقية بل تنظر إلى مصلحة البلاد، التي سعت للتوجيه والاستفادة من الصراع على النفوذ في أوروبا بين أُسرة آل بوربون وأُسرة آل هابسبورغ ليصبّ في مصلحة بريطانيا.

استندت الدبلوماسية البريطانية لتطبيق مبدأ التوازن الدولي لمنع الدول العدوة لبريطانيا والدول الحليفة (فرنسا وإسبانيا والنمسا وروسيا والسويد وبروسيا وهولندا والدانمارك والبرتغال والدولة العثمانية) من فرض نفوذها بالقوة في أوروبا او بالمناطق الاستراتيجية في المستعمرات الامريكية.

خلال تتبعنا لدراسة الدبلوماسية البريطانية للمدة (١٧١٤ – ١٧٥٦) توصلتُ للاستنتاجات التالية:

أولاً: لم تكن الدبلوماسية الإنكليزية في نهاية القرن السابع عشر أكثر نشاطاً وانعداماً للضمير مثلما كانت في العقد الأول من القرن الثامن عشر. واتّبعت إنكلترا دبلوماسية سُميّت الميكيافيللية الجديدة، كانت علاقات ملك إنكلترا متوترةً مع ملوك الدول الأوروبية، وكل منهم متلهّف لأنْ يسبق زميله للأعتداء على بلاده بدلاً من إقامة علاقات رجال دول يتشاورون بشأن شؤون شعوبهم وبلدانهم.

ثانياً: التزمت الدبلوماسية الإنكليزية بالعقد الأول من القرن الثامن عشر بسياستها التقليدية بعدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأوروبية، بشرط عدم انتهاك مبدأ التوازن الدولي أو المصالح البريطانية في أوروبا بسبب الصعوبات التي واجهتها الحكومة البريطانية وانعدام التنظيم الدبلوماسي البريطاني وعدم مسؤولية الجهاز الدبلوماسي، الذي يتكون من وزيرين أحدهما مسؤول دائرة الشمال والثاني مسؤول دائرة الجنوب تتبعهما السفارات البريطانية في دول أوروبا، أمام البرلمان البريطاني وكانوا مسؤولين أمام الملك البريطاني فقط.

ثالثاً: تغيير هذا النظام وأصبح وزيرا الخارجية البريطانية مسؤولين أمام البرلمان، فضلاً عن كونهما مسؤولين أمام الملك منذ عام ١٧١٤، وازدادت أهمية الدبلوماسية البريطانية في عهد ملكي أُسرة هانوفر.

رابعاً: تخبُّطت الدبلوماسية البريطانية في التعامل مع العواهل الأوروبية، يمكن تعقب آثار الكثير من حالات التخبُّط والإرباك والإخفاق للدبلوماسية البريطانية في علاقاتها مع الملك لويس الخامس عشر والإمبراطور شارل السادس والملك فردريك الثاني والملك فيليب الخامس بسبب عدم فعالية السلطتين التشريعية والتنفيذية البريطانية في العقد الثاني من القرن الثامن عشر.

خامساً: كانت الدبلوماسية البريطانية مضطربة ومتناقضة، هي استجابة للأحداث والظروف، تجاه فرنسا في العقد الثاني من القرن الثامن عشر. لم تكن جهود قادة الدبلوماسية البريطانية قادرة على منع تحقيق الدبلوماسية الفرنسية أهدافها، إذ التزمت الدبلوماسية البريطانية بدعم ممتلكات الإمبراطورية

النمساوية مالياً وعسكرياً ضد توسُّع النفوذ الفرنسي. التزمت الدبلوماسية البريطانية بخطة للقضاء على عدوتها فرنسا لحماية أملاك أُسرة آل هابسبورغ لا لخدمة مصالح بريطانيا ولرعاية مصالح النظام الأوليغاركي الحاكم في بريطانيا، إذ استخدم الملك جورج الأول وزيرا خارجيته بوصفهما خدماً لأُسرة آل هانوفر لأجل إرسال التوجيهات إلى ممثليهم خارج بريطانيا للقيام بمهام سرية تتنافى مع أهداف الدبلوماسية البريطانية.

سادساً: تأثرت الدبلوماسية البريطانية بشدة بالخلافات الشخصية بين الساسة البريطانيين أنفسهم أو بين الشركات التجارية البريطانية والدول الأوروبية الذي يحدد موقف الحكومة البريطانية من تطور الأحداث في أوروبا. تكررت حالات التدخلات الشخصية لسياسيين ومستشارين غير مسؤولين عن الشؤون الخارجية بكثرة في عمل الدبلوماسية البريطانية، ترتبط مصالح هؤلاء الأشخاص في تطور الأحداث الخارجية في العقد الثالث من القرن الثامن عشر، فشكل التأييد الملكي ضامن أساسي لتحقيق ذلك الطموح، وأمكن ضمانه بسهولة من خلال تدخل السيدات المقرَّبات من الأُسرة المالكة البريطانية، وحصل كارتيريت على منصبه عن طريق إحدى شخصيات البلاط الملكي التي تأخذ الذهب والمجوهرات. كان كارتيريت وطاونسيند وزيرا خارجية بريطانيا في حكومة والبول متنافسَين على تولي قيادة الدبلوماسية البريطانية يكره أحدهما الآخر ولا يثق أحدهما بالآخر إلى حد لا أحد منهما يسمح للملك جورج الأول أنْ يكون بمنأىً عن الأنظار للحظة مع زميله. لذلك حينما ذهب ملكهما إلى هانوفر، أصرَّ كلاهما على مرافقته. ساعد غيابهما نجاح دبلوماسية والبول. وحين اشتدت الخلافات بين الشخصين، عزل والبول كارتيريت وعيَّن بدلاً عنه الدوق نيوكاسل بمنصب وزير خارجية بريطانيا مسؤول دائرة الجنوب، الذي أسرع بتعيين فرانس سفيراً لبريطانيا في فرساي، إلَّا أنَّ طاونسيند اعترض على حق زميله في إدارة تلك السفارة. أثَّر نزاع الوزيرين سلباً على الدبلوماسية البريطانية خلال العقد الثالث من القرن الثامن عشر.

سابعاً: كانت الدبلوماسية البريطانية مشوشة في النصف الأول من القرن الثامن عشر، بسبب تكرار حالات سفر الملك ووزرائه إلى هانوفر، إذ قضى الملك جورج الأول خمس سنوات من حكمه في أملاك أُسرة هانوفر الألمانية خلال مدة حكمه البالغة ثلاثة عشر عاماً، وقضى ولده الملك جورج الثاني نصف مدة حكمه البالغة ثلاثة وثلاثين عاماً خارج بريطانيا، وكان يرافقه دائماً أحد وزيري الخارجية، كان الوزير الذي بقي في البلاد يحقد ضد زميله الذي رافق الملك، سيلزم الوزير المرافق للملك الحكومة البريطانية تنفيذ أفكاره التي اقتنع بها الملك، مما جعل الدبلوماسية البريطانية متذبذبة. كره الدوق نيوكاسل (وزير خارجية بريطانيا مسؤول دائرة الجنوب) السفر للخارج لأسباب شخصية غير مهنية، ورأى عدم ملائمة الشخص الذي يقوم بذلك للخدمة العامة.

ثامناً: تولى مهمة الدبلوماسية البريطانية بعض الشخصيات لا يمتلكون أدنى مستوىً من الحكمة والتخطيط الدقيق ويتحكم بهم أعداءهم السياسيين في بريطانيا. عاش السفراء بسفاراتهم في الدول

الأوروبية عيشة الكفاف للقسم الأعظم منهم، تُدفع رواتبهم في مواعيدها، لكن مخصصات الطعام والإنفاق الجانبي يتأخر صرفها وتتم مطالبة الخزينة لأشهر عديدة وحتى لسنوات قبل أنْ تتم تسوية هذه الديون.

تاسعاً: اتسمت الدبلوماسية التي اتبعها والبول خلال العقد الرابع من القرن الثامن عشر بالمناورة السياسية بهدف استيعاب معارضيه لتحقيق أهداف دبلوماسيته المحايدة لتعزيز موقفه داخل حزب الويغز والبرلمان البريطاني. استمر والبول بسياسة عدم التدخل بالمشاكل الداخلية للدول الأوروبية وإبعاد الحرب عن بريطانيا، لكنه لم يتوقع قيام حلفٍ بين مملكتي فرنسا وإسبانيا، إذ فشلت الدبلوماسية البريطانية التي اتّبعها والبول. كما فشل والبول في اتّباع دبلوماسية جديدة لمواجهة ذلك، مما أدى إلى فقدان بريطانيا لمركزها المتفوّق في أوروبا بتوحُّد أُسرة آل بوربون ضد المصالح البريطانية في أوروبا والمستعمرات الامريكية.

عاشراً: عدم التزام الدبلوماسية البريطانية بالدفاع عن الإمبراطورية النمساوية، اثار إجبار الإمبراطورة ماريا تيريزا على التنازل عن أراضي مقاطعتي سيليزيا وكلاتز النمساوية حقد شديد لدى الإمبراطورة ضد بريطانيا.

حادي عشر: ازداد نفوذ البرلمان البريطاني على الدبلوماسية البريطانية منذ عام ١٧٤٢ بسبب تكاليف الحرب بين بريطانيا وإسبانيا واتساعها في عام ١٧٤٤ بأنضمام فرنسا إلى جانب إسبانيا، مما اضطر الحكومة للطلب من البرلمان اصدار التشريعات الجديدة لفرض ضرائب جديدة على الشعب البريطاني او المصادقة على القروض التي اقترضتها الحكومة البريطانية من الخارج، مما أغرق البلاد بالدين العام. وشجع البرلمان على الطلب الاطلاع على المفاوضات التي تجريها الحكومة مع الدول الأخرى واخضاعها لمصادقته قبل ان تدخل حيز التنفيذ مقابل إقرار الضرائب الضرورية التي تحتاجها الحكومة.

اثنتا عشر: انتقلت مسؤولية قيادة الدبلوماسية البريطانية إلى أشخاص اتبعوا سياسة خارجية فاعلة مع الأوضاع التي تمرّ بها أوروبا، إذ نجحت الدبلوماسية البريطانية في عهد روبنسن في عقد معاهدة بريسلاو ومعاهدة فويسين ومعاهدة هانوفر ومعاهدة دريسدن. وكذلك نجحت الدبلوماسية البريطانية في عهد اللورد دراسي بتغيير شكل التحالفات بعقد معاهدة حلف ويستمنستر وبعقد معاهدة فرساي الأولى المواجهة لها، التي سببت تغيُّر الوضع الدبلوماسي في أوروبا.

ثالث عشر: تخلَّت الدبلوماسية البريطانية في عام ١٧٥٦ عن حليفتها النمسا وتحالفت مع عدوتها بروسيا. دفع النمسا إلى التحالف مع فرنسا ضد بريطانيا وبروسيا.

رابع عشر: أضطرت الدبلوماسية البريطانية لإغداق الأموال البريطانية لضمان انضمام روسيا للتحالف البريطاني – البروسي في عام ١٧٥٦.

الهوامش:

(١) علي محمد أمنيف الرفيعي، القوة الناعمة وأثرها في مستقبل الهيمنة الأمريكية، بيروت، دار السنهوري، ٢٠١٦، ص٥٩.
(٢) المصدر نفسه، ص ٦٠..
(٣) المصدر نفسه، ص٦١.
(٤) ماثيو أندرسون، تاريخ القرن الثامن عشر في أوروبا، ترجمة: نور الدين حاطوم، الطبعة الثانية، بيروت، دار الفكر، ١٩٩٦، ص٢٢٧.
(٥) التوازن الدولي: يمنع أي دولة من التوسُّع على حساب دولة أُخرى، ممَّا يجعلها لا يمكن مواجهتها من الدول الأُخرى. انظر: إبراهيم أبو خزام، الحروب وتوازن القوى، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠٠٩، ص٥٦.
(٦) زين العابدين شمس الدين نجم ، تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، عمَّان، دار المسيرة، ٢٠١٢، ص ص٢٢٥-٢٢٦.
(٧) عبد الحميد البطريق وعبدالعزيز نوار، التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى أواخر القرن الثامن عشر، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٨٤، ص ص٢٢٧-٢٢٨؛ رولان مورسنييه وآخرون، تاريخ الحضارات العام (القرن الثامن عشر)، ترجمة: يوسف أسعد داغر و فريد م. داغر، بيروت، عويدات للنشر، ٢٠٠٣، ج٥، ص٢١٨.
(٨) جيفري برون، تاريخ أوروبا الحديث، ترجمة: علي المرزوقي، عمَّان، الأهلية للنشر، ٢٠٠٦، ص١٩٤.
(٩) المصدر نفسه، ص٣٠١؛ جلال يحيى، التاريخ الأوربي الحديث والمعاصر حتى الحرب العالمية الأُولى، الاسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، ١٩٨٣، ص٧٤.
(١٠) عبد المجيد نعنعي، أوروبا في بعض الأزمة الحديثة والمعاصرة ١٤٥٣-١٨٤٨، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٨٣، ص١٥١.
(١١) المصدر نفسه، ص١٥٢؛ برون، المصدر السابق، ص٢٩٠؛ عبدالحميد البطريق وعبدالعزيز نوار، المصدر السابق، ٢١٩.
(١٢) برون، المصدر السابق، ص٣٠٣؛ رولان موسنييه وآخرون، المصدر السابق، ص٧٤.
(١٣) نجم، المصدر السابق، ص ص٢٢٨-٢٢٩؛ يحيى، المصدر السابق، ص٧٤.
(١٤) يان دوبراتشينسكي، أوروبا والمسيحية (زمن المسيحيين الفاترين)، ترجمة: كبرو لحدو، دمشق، دار الحصاد، ٢٠١٨، الجزء الخامس، ص٢٠٨.
(١٥) هاشم صالح التكريتي، موجز تاريخ أوربا في القرن الثامن عشر، بغداد، مكتبة عدنان، ٢٠١٧، ص٢١؛ برون، المصدر السابق، ص٢٩٠.
(١٦) لورانس جيمس، شروق الامبراطورية البريطانية وغروبها، ترجمة: عبدالله عبدالرزاق إبراهيم، القاهرة، المركز القومي للترجمة، ٢٠١٦، ص١٠٥؛ التكريتي، المصدر السابق، ص١٣٧.
(١٧) مايكل شيهان، توازن القوى التاريخ والنظرية، ترجمة: أحمد مصطفى، القاهرة، مركز المحروسة للنشر، ٢٠١٥، ص١٢٨.
(١٨) جيريمي بلاك، تاريخ الدبلوماسية، ترجمة: أحمد علي سالم، أبو ظبي، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، ٢٠١٣، ص١٧٩.
(١٩) برون، المصدر السابق، ص٣٠٣؛ عبدالمجيد نعنعي، المصدر السابق، ص١٥٣.
(٢٠) الدوق نيوكاسل: رجل دولة بريطاني. وُلِدَ في عام ١٦٩٣. وَرِث لقب دوق في عام ١٧١٢ عن بيلهام. أصبح عضو مجلس العموم البريطاني. عمل مستشاراً للملك جورج الأول. أصبح وزيراً للخارجية البريطانية مسؤول دائرة الجنوب في عام 1753. أصبح رئيساً للوزراء في عام ١٧٥٤ واستمر لغاية عام ١٧٥٦، ثم اشترك بوزارةً ائتلافية في عام ١٧٥٧ استمرت حتى العام ١٧٦٢. توفي في عام ١٧٦٨. انظر:

The New Encyclopedia Britannica, Vol.16, Chicago, University of Chicago, 1986, pp.425 – 326.

(٢١) بلاك، المصدر السابق، ص ص١٧٢-١٩١.

(٢٢) تم توحيد عرشي اسكتلندا وإنكلترا في عام ١٧٠٧ بعرشٍ واحد تحت أُسرة استيوارت باسم المملكة المتحدة لبريطانيا العظمى (سيرد الأسم بالبحث بأسم بريطانيا اختصاراً)، إذ تم رشوة النبلاء الاسكتلنديين مقابل دفع إنكلترا مبلغ ٤٠٠,٠٠٠ جنيه إسترليني من الديون الاسكتلندية. انظر: إيمي شوا، عصر الامبراطورية، ترجمة: منذر محمود صالح محمد، الرياض، العبيكان للنشر، ٢٠١١، ص٢٩٠.

(٢٣) بلاك، المصدر السابق، ص٢١١.

(٢٤) يحيى، المصدر السابق، ص١٣٥.

(٢٥) المصدر نفسه، ص١٣٨؛ شيهان، المصدر السابق، ص٨٧.

(٢٦) عبد الفتاح حسن أبو علية، تاريخ أوربا الحديث والمعاصر، الرياض، دار المريخ للنشر، ٢٠٠٧، ص١٩٥.

(٢٧) تألَّفت المستعمرات الفرنسية في أمريكا الشمالية من كندا واقتطعت معاهدة أوترخت عام ١٧١٣ قسماً كبيراً منها ضم اكاديا وجزيرة الأرض الجديدة وخليج هدسون وجزر نوفاسكوشيا ونيوفوندلاند. واقتصرت المستعمرات الفرنسية على وادي نهر السانت لورانس وكوبيك ومونتريال وجزيرة سان-جان وجزيرة رأس بريطانيا. لم تهتم فرنسا بهذه المستعمرات في النصف الأول من القرن الثامن عشر ممَّا وفَّر لبريطانيا الفرصة للتوسُّع فيها. انظر: أ.ل. راوس، التاريخ الإنجليزي، ترجمة: محمد مصطفى زيادة، القاهرة، ١٩٦٥، ص١٤١؛ رولان موسنييه وآخرون، المصدر السابق، ص٣٥٠.

(٢٨) جيمس، المصدر السابق، ص٦٨.

(٢٩) نعنعي، المصدر السابق، ص١٥٣؛ نجم، المصدر السابق، ص٢٢٩.

(٣٠) التكريتي، المصدر السابق، ص ص٢٧٣-٢٧٤.

(٣١) المصدر نفسه، ص٢٨٢.

(٣٢) برون، المصدر السابق، ص٣٠٥؛ زهرة زين العابدين زينل، حرب الوراثة النمساوية، رسالة ماجستير (غير منشورة)، الجامعة المستنصرية، كلية التربية، ٢٠١٧، ص١١.

(٣٣) شيهان، المصدر السابق، ص١٢٩.

(٣٤) رولان موسنييه وآخرون، المصدر السابق، ص ٢١٩ .

(٣٥) أندرسون، المصدر السابق، ص ص٣٠٣-٣٠٤؛ موسوعة بهجة المعرفة، مسيرة الحضارة، المجلد الثاني، الكويت، الشركة العامة للنشر، ١٩٧٦، الجزء الرابع، ص٢٨٨.

(٣٦) رولان موسنييه وآخرون، المصدر السابق، ص٢١٨.

(٣٧) المصدر نفسه ، ص ٢١٩ .

(٣٨) نجم، المصدر السابق، ص٢٣١.

(٣٩) التكريتي، المصدر السابق، ص٤٨.

(٤٠) رولان موسنييه وآخرون، المصدر السابق، ص٢١٧.

(٤١) المصدر نفسه، ص٢١٨؛ عصام خليل محمد الصالحي، نشأة العلاقات الدولية وتطورها (١٦٤٨-١٧١٣)، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، كلية الآداب، جامعة بغداد، العدد(٣٧)، ٢٠١٣، ص٤٥٨.

(٤٢) سحر أحمد ناجي الدليمي، سياسة بريطانيا الخارجية تجاه فرنسا في أوربا (١٧٥٦-١٨١٥)، أُطروحة دكتوراه (غير منشورة)، جامعة بغداد، كلية الآداب، ٢٠١١، ص٤؛ راوس، المصدر السابق، ص١٤١؛ عبد الوهاب عباس القيسي وطارق نافع الحمداني، تاريخ إنكلترا الحديث والمعاصر، بغداد، د.ط، ١٩٨٥، ص٦٧.

(٤٣) ثريا فاروقي، الدولة العثمانية والعالم المحيط بها، ترجمة: حاتم الطحاوي، بيروت، دار المدار الإسلامي، ٢٠٠٨، ص٢٥٢.

(٤٤) تعرضت الدولة العثمانية لهزيمة كبيرة، خسرت أراضي المجر وكرواتيا وسلوفينيا. تولت الدبلوماسية البريطانية دور في الوساطة لعقد الصلح، الذي تم الإتفاق على معاهدة باساروفتز في ٢١ تموز عام ١٧١٨.

انظر: محمد كمال الدسوقي، الدولة العثمانية والمسألة الشرقية، القاهرة، دار الثقافة للطباعة، ١٩٧٦، ص١٠٠؛ دوبراتشينسكي، المصدر السابق، ص ٢١٧.

(٤٥) عبد العزيز سليمان نوار ومحمود محمد جمال الدين، التاريخ الأوروبي الحديث من عصر.النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأُولى، القاهرة، دار الفكر العربي، ٢٠٠٥، ص٢٥٥؛ Edward P. Cheyney, A Short History of England, London, Guinn & Company, 1904, p.542.س

(٤٦) أبو علية، المصدر السابق، ص١٩٦؛ نجم، المصدر السابق، ص ص٢٢٩-٢٣٠.

(٤٧) علي حيدر سليمان، تاريخ الحضارة الأوربية الحديثة، بغداد، دار واسط للدراسات والنشر، ١٩٩٠، ص١٤٧.

(٤٨) اتبعت بريطانيا تجارة المثلثة للتجارة في المستعمرات الأمريكية والأفريقية وأوروبا، إذ تنقل السفن التجارية البريطانية منتجات المستعمرات الأمريكية إلى موانئ القارة الأوروبية، ثم تنقل السفن التجارية البريطانية منتجات أوروبا إلى موانئ القارة الأفريقية الغربية، فيتم استبدالها بالعبيد، ثم تعود السفن التجارية البريطانية محمَّلة بالعبيد والمنتجات التي تحتاجها المستعمرات الأمريكية الجنوبية لتبادل العبيد بمنتجات تلك المستعمرات (السكر والتبغ والقطن، ... إلخ) التي تنقل إلى بريطانيا لأنَّها ضرورة لصناعاتها، ومن ثم تنقل البضائع البريطانية إلى أوروبا، وهكذا تتكرَّر المراحل. علماً أنَّ الأسطول التجاري البريطاني هيمن على التجارة في المحيط الأطلسي والبحر المتوسط وبحر البلطيق وغرب وشرق أفريقيا وجنوب شرق آسيا. انظر: موسوعة بهجة المعرفة، المصدر السابق، ص٣٩٠.

(٤٩) رولان موسنييه وآخرون، المصدر السابق، ص ٢٢٣.

(٥٠) جيمس ستانهوب: رجل دولة بريطاني، ينتمي لأُسرة نبيلة من مقاطعة نورثاميتونشاير. عمل بالسلك العسكري، ثم انتقل إلى السلك الدبلوماسي، الذي يعمل به والده يعمل. عمل مبعوثاً لبلاده في هولندا. وأصبح سفيراً لبلاده في بيدمونت ولشبونة ومدريد وفينا وبرلين. ثم أصبح عضو مجلس اللورات. ثم أصبح مستشاراً لخزانة الدولة. انظر: محمد محمد صالح، تاريخ أوربا من عصر.النهضة وحتى الثورة الفرنسية ١٥٠٠-١٧٨٩، بغداد، مطبعة دار الجاحظ لطباعة، ١٩٨٢، ص٤٥١؛ نجم، المصدر السابق، ص١٩٦.

(٥١) احتوت الحكومة البريطانية على وزيرا للخارجية الأول مسؤول دائرة الجنوب يختص بشؤون الدول الأوروبية (فرنسا وإسبانيا والبرتغال والنمسا). فيما كان وزير دائرة الشمال يختص بالدول الأوروبية (روسيا والسويد والدنمارك والنرويج وهولندا والأراضي الألمانية). تم توحيد الوزيرين في عام ١٧٨٢ في وزير دولة واحد لشؤون الخارجية. انظر: اوى خالد علي مصطفى، وليم بت والسياسة البريطانية ١٧٨٣ – ١٨٠٦، أطروحة دكتوراه (غيرمنشورة)، الجامعة المستنصرية، كلية التربية، ٢٠٠٧، ص ١٠.

(52) T.H.S. Escott, The Story of British Diplomacy: Its Makers and Movements, London, T.Fisher Unwin, 1908, p.62.

(٥٣) صالح، المصدر السابق، ص٤٥٢.

(٥٤) ثورة اليعاقبة: هي الحركة التي طالبت بحق أُسرة استيوارت بعرش بريطانيا. قادها جيمس إدوارد ابن الملك جيمس الثاني (ملك إنكلترا) (١٦٨٥ – ١٦٨٨) والذي يُسمى باللاتينية جاكوبي. أبحر جيمس إدوارد من فرنسا في عام ١٧١٥ إلى استكتلندا واحتل مدينة ادنبرة، لكنه فشل بالتقدُّم نحو بريطانيا في عام ١٧١٦، فعاد إلى فرنسا. تكررت الحركة في عام ١٧٤٥ مستغلةً انشغال القوات البريطانية بالحرب في أوروبا، فقاد شارل إدوارد (أبن جيمس إدوارد) حملةً إلى اسكتلندا، التي احتلها، ثم زحف باتجاه بريطانيا، لكن الدوق كامبري (أبن الملك جورج الثاني) تمكَّن من هزيمته، واضطر للهرب إلى فرنسا. انظر: جان بيرنجيه وآخرون، أوروبا منذ بداية القرن الرابع عشر.وحتى نهاية القرن الثامن عشر، بيروت، منشورات عويدات، ١٩٩٥، الجزء الثاني، ص٦٦٦.

(٥٥) يحيى، المصدر السابق، ص٢٥٢.

(٥٦) صالح، المصدر السابق، ص٤٥٣؛ الدليمي، المصدر السابق، ص ص٥-٦؛ شيهان، المصدر السابق، ص١٣١.

(٥٧) نجم، المصدر السابق، ص١٩٧.
(٥٨) رولان موسنييه وآخرون، المصدر السابق، ص٢٢٣؛ أندرسون، المصدر السابق، ص٣١٠؛ محمد مظفر الأدهمي، تاريخ أوربا الحديث (عصر النهضة – الثورة الفرنسية)، بغداد، د.ط، ١٩٨٩، ص١٠٦.
(58) Escott, op .cit, p.62.
(٥٩) يحيى، المصدر السابق، ص١٣٨؛ شيهان، المصدر السابق، ص١٣٢؛ زينب عصمت راشد، تاريخ أوروبا الحديث (من مطلع القرن السادس عشر-إلى نهاية القرن الثامن عشر)، القاهرة، دار الفكر العربي، د.ت، الجزء الأول، ص ص٢٧٣-٢٧٤.
(٦٠) يحيى، المصدر السابق، ص١٣٨؛ شيهان، المصدر السابق، ص١٣١.
(61) Escott, op . cit, p . 65.
(٦٢) رولان موسنييه وآخرون، المصدر السابق، ص ص١٨٨-١٨٩.
(63) Ibid, p .66.
(٦٤) صالح، المصدر السابق، ص٤٥٣؛ الدليمي، المصدر السابق، ص ص٥-٦؛ شيهان، المصدر السابق، ص١٣١.
(٦٥) التكريتي، المصدر السابق، ص٢٧٤؛ أندرسون، المصدر السابق، ص ص٢٥٠-٣١٠؛ الادهمي، المصدر السابق، ص١٠٦.
(٦٦) شيهان، المصدر السابق، ص ص٩٩-١٠٢؛ K.B. Smellie, Great Britain Since 1688: A Modern History, NewYork, The university of Michigan press, 1962, p.48.
(٦٧) رولان موسنييه وآخرون، المصدر السابق، ص ص٢١٩-٢٢٤.
(٦٨) التكريتي، المصدر السابق، ص١٨٤؛ أندرسون، المصدر السابق، ص٤٢٠.
(٦٩) رولان موسنييه وآخرون، المصدر السابق، ص٢٢١.
(70) Hugh Edward Egerton, A Short History of British Colonial Policy 1606-1909, London, Methuen & Co, LTD, 1971, p.123; Smellie, Op. Cit, p.26.
(٧١) أندرسون، المصدر السابق، ص ٣١٢ .
(٧٢) المصدر نفسه ، ص ٣١٣ ؛ يحيى، المصدر السابق، ص١٤٠.
(٧٣) ماريا تيريزا: ولدت في عام ١٧١٧. ابنة الإمبراطور النمساوي شارل السادس. تزوجت من دوق اللورين فرانسيس ستيفن. تولّت العرش النمساوي في عام ١٧٤٠. واجهت أطماع الأوروبيين بحزم. اضطرت للتنازل عن جزء من امبراطوريتها لتتمكّن من الحصول على اعتراف الدول الأوروبية بتولّي زوجها المنصب الإمبراطوري. توفيت في عام ١٧٨٠. انظر: احمد محسن عبد سعود البديري، السياسة الخارجية للنمسا خلال حكم ماريا تيريزا (١٧٤٠-١٧٨٠)، أُطروحة دكتوراه (غير منشورة)، جامعة القادسية، كلية التربية، ٢٠١٦، ص ص٦٠-١٠٦.
(74) Smellie, Op. Cit, , p . 35.
(75) Egerton , Op. Cit, p. 34.
(٧٦) شيهان، المصدر السابق، ص١٣٢؛ يحيى، المصدر السابق، ص١٣٨.
(٧٧) أندرسون، المصدر السابق، ص٣١٣؛ شيهان، المصدر السابق، ص١٣٣.
(٧٨) روبرت والبول: رجل دولة بريطاني. وُلِدَ في عام ١٦٧٦ بمدينة هوتان من عائلة نبيلة. درس في جامعة كامبردج. حصل على لقب الايرال لمنطقة أورفورد. أصبح عضو بمجلس العموم البريطاني في عام ١٧٠١. تولى مناصب تنفيذية عدّة، منها وزير الحربية في عام ١٧٠٨، تولى مسؤول مالية البحرية البريطانية في عام ١٧١٠. ثم أصبح وزيراً للخزانة البريطانية في عام ١٧١٤ أصبح رئيساً للوزراء وشغل منصب وزير للخارجية في عام ١٧٢١. توفي في عام ١٧٤٥. أنظر: The New Encyclopedia Britannica, Chicago, University of Chicago, 1986, Vol.5, p.194؛ طالب محيبس حسن الوائلي وفهد عويد البهيجي،

السير روبرت والبول ودوره السياسي في بريطانيا ١٧٤٢-١٧٧٦، مجلة لارك للفسلفة والعلوم الاجتماعية، جامعة واسط، العدد(٢٥)، ٢٠١٧، ص ص٣٥٥-٣٥٦.

(٧٩) البابا كليمنت الحادي عشر: هو جيان فرنسيسكو. تولّى المنصب البابوي في عام ١٧٠٠ باسم كليمنت الحادي عشر.إثر وفاة البابا إينوسينت الثاني عشر. دعم طلب الملك الفرنسي. لويس الرابع عشر.لتولي حفيده فيليب الخامس عشر.عرش إسبانيا، ممَّا أثار الإمبراطور النمساوي واحتلت قواته أراضي الدولة البابوية في مدينة روما أثناء حربه مع فرنسا. وتفاقمت العلاقات بين البابا والنمسا في عهد الإمبراطور جوزيف في عام ١٧٠٥ الذي طالب بخضوع رجال الدين لسلطته، واحتلت قواته مدينة روما عام ١٧٠٩. بيد ان البابا اعترف بمرشح النمسا شارل لعرش إسبانيا، ممَّا وتَّر علاقة البابا مع الملك فيليب الخامس، الذي قطع كل الدعم المادي عن مدينة روما والملك الفرنسي، الذي منع البابا من حضوره مفاوضات معاهدة أوترخت عام ١٧١٣. توفي البابا في عام ١٧٢١. أنظر: دوبراتشينسكي، المصدر السابق، ص ص٢١٨-٢١٩.

(80) (Ludwing Dehio, The precarious Balance: The politics of power in Europe 1494-1945, London, Chatto & Windus, 1963, p.87.

(٨١) سياسة فرق تسد : هي السياسة التي تحاول الابقاءعلى حالة الركود الاقتصادي والتفكك والانقسام الداخلي للدول المنافسة لاحدى الدول التي تسعى لخلق الثغرات والأزمات للنفاذ منها للتدخل بالشؤون الداخلية للدول المنافسة لها. أنظر: رولان موسنييه واخرون ، المصدر السابق، ص ٢٢ .

(٨٢) الدليمي، المصدر السابق، ص٧؛ شيهان، المصدر السابق، ص١٣٢؛ يحيى، المصدر السابق، ص١٣٨.

(٨٣) أندرسون، المصدر السابق، ص٢٥٦؛ رولان موسنييه وآخرون، المصدر السابق، ص٢٢٤.

(84) (Escott, Op. Cit, p . 66 .

(٨٥) دي فليوري: رجل دولة فرنسي. ولد في عام ١٦٥٣. تدرَّج في السلك الكنسي حتى وصل إلى مرتبة الكاردينال في عام ١٧٢٦. عمل مربي لابن ملك فرنسا لويس الثالث عشر، ثم أصبح رئيس وزراء فرنسا في عام ١٧٢٣ لغاية عام ١٧٢٦. توفي في عام ١٧٤٣. انظر:

The New Encyclopedia Britannica, Chicago, University of Chicago, 1965, Vol.5, p.342.

(86) (Albert Guerard, France: A Modern History, NewYork, The University of Michigan press, 1959, p.192.

(٨٧) هوريس والبول: رجل دولة بريطاني. ولد في عام ١٧١٧. درس في جامعة أُكسفورد. أصبح عضواً في مجلس اللوردات البريطاني. تنازل لأخيه روبرت والبول عن لقب اللورد. أصبح سفيراً لبلاده في فرساي. توفي في عام ١٧٩٧. انظر: The New Encyclopedia Britannica, Chicago, William Benton, 1965, Vol.12, p.476.

(٨٨) صالح حسن عيسى العكيلي، الوجه الآخر للنهضة الأوروبية، محاضرات في تاريخ أوروبا في عصر النهضة ١٤٥٣-١٧٨٩، بغداد، دار الوراق، ٢٠٠٦، ص ١٦٠ .

(٨٩) شيهان، المصدر السابق، ص١٣٢.

(٩٠) التكريتي، المصدر السابق، ص٥٣.

(٩١) بلاك، المصدر السابق، ص١٧٣.

(٩٢) المرسوم العملي: أصدره الإمبراطور شارل السادس في عام ١٧١٣، تضمَّن التأكيد على حق ابنته ماريا تيريزا في وراثة العرش بعد وفاته. أنظر: زينل، المصدر السابق، ص١٩.

(٩٣) أندرسون، المصدر السابق، ص ص٣١٣-٣١٤.

(٩٤) يحيى، المصدر السابق، ص١٤٠.

(95) (Escott, Op. Cit, p.67.

(٩٦) بلاك، المصدر السابق، ص١٧٣.

([97]) (Escott, Op. Cit, p.71; I. Tenen M.A., A History of England from the Earliesttimes to 1932, London, Macmillan and Co. Limited, 1946, Vol.V, p.345.

([98]) (Escott, Op. Cit, p.72.

([٩٩]) موسى محمد آل طويرش، التطور الديمقراطي في بريطانيا ١٠٦٦-١٩٠١، بغداد، مكتبة عدنان، ٢٠١٣، ص١٨٤.

([100]) (Egerton, Op. Cit. pp. 115-117; Escott, Op. Cit, p.72.

([١٠١]) العكيلي، الوجه الاخر للنهضة الأوروبية، ص١٦٠.

([١٠٢]) التكريتي، المصدر السابق، ص٥٤.

([١٠٣]) شيهان، المصدر السابق، ص٧٣.

([104]) (Escott, Op. Cit, p.74 .

([١٠٥])العكيلي ، الوجه الاخر ، ص ١٥٩ .

([١٠٦]) أندرسون، المصدر السابق، ص٢٥٦؛ رولان موسنييه وآخرون، المصدر السابق، ص٢٢٤.

([١٠٧]) فردريك وليم الأول: ملك بروسيا، ابن الملك فردريك الأول. ولد في عام ١٦٨٨ ببرلين. اهتم بتطوير الجيش البروسي وجعل الخدمة فيه الزامية. تولى عرش بروسيا في عام ١٧١٣. قام بإصلاحات إدارية واقتصادية. توفي في عام ١٨٤٠. انظر: The New Encyclopedia Britannica, Vol.4, p. 959.

([١٠٨]) بلاك، المصدر السابق، ص ص١٦٦-١٦٧؛ أندرسون، المصدر السابق، ص٢٨٤.

([١٠٩]) رولان موسنييه وآخرون، المصدر السابق، ص٢٢٥.

([110]) (Escott, Op. Cit, p.75.

([١١١]) رولان موسنييه وآخرون، المصدر السابق، ص٢٢٥.

([١١٢]) شيهان، المصدر السابق، ص ص١٣٤-١٣٥؛ زينل، المصدر السابق، ص ص١٩-٢٠؛ صالح حسن عيسى العكيلي، بولندا ١٧٣٣-١٧٩٥ (دراسة في التاريخ السياسي)، أُطروحة دكتوراه (غير منشورة)، جامعة بغداد، كلية التربية ابن رشد، ١٩٩٩، ص ص٤٨-٥٢.

([١١٣]) الدليمي، المصدر السابق، ص٨.

([١١٤]) المصدر نفسه، ص٨.

([١١٥]) التزمت السفن الفرنسية والإسبانية بالتعدي على السفن التجارية البريطانية. تم تجديد المعاهدة في الأعوام ١٧٤٣ و١٧٦١ و١٧٧٣. أنظر: المصدر نفسه، ص٨.

([١١٦]) رولان موسنييه وآخرون، المصدر السابق، ص ص٢٨٣-٢٨٤.

([١١٧]) دوبراتشينسكي، المصدر السابق، ص٢١٩.

([118]) (Escott, Op. Cit, p.76

([١١٩]) الدليمي، المصدر السابق، ص ص٨-٩؛ يبيانوف فيدوسوف، تاريخ الاتحاد السوفيتي، موسكو، دار التقدم، د.ت، ص٢٠٨.

([١٢٠]) رولان موسنييه وآخرون، المصدر السابق، ص٢٢٦؛ التكريتي، المصدر السابق، ص٥٥.

([١٢١]) الدليمي، المصدر السابق، ص ص٨-٩؛ مروة مرزة حمزة ناصر، وليم إيرل شاثام ودوره السياسي في بريطانيا ١٧٣٥-١٧٧٨، رسالة ماجستير (غير منشورة)، الجامعة العراقية، كلية الآداب، ٢٠١٩، ص٤٩؛ Smellie, Op. Cit, p.57.

([١٢٢]) جيمس، المصدر السابق، ص١٠٩.

([١٢٣]) التكريتي، المصدر السابق، ص ص٣٠-٣١.

([١٢٤]) رولان موسنييه وآخرون، المصدر السابق، ص٢٢٨؛ زينل، المصدر السابق، ص ص٤٢-٤٤.

([١٢٥]) المصدر نفسه، ص ص ٤٥ – ٤٦.

([١٢٦]) الأدهمي، المصدر السابق، ص١٠٨؛ أندرسون، المصدر السابق، ص ص٢٨٦-٢٨٧؛ زينل، المصدر السابق، ص٥٠؛ عبدالحميد البطريق و عبدالعزيز نوار، المصدر السابق، ص٢٦٨.

(١٢٧) جون كارتيريت: رجل دولة بريطاني. ولد في عام ١٦٩٠. أصبح وزير الخارجية البريطاني مسؤول دائرة الجنوب. ثم أصبح رئيس وزراء بريطانيا في عام ١٧٤٤. توفي في عام ١٧٦٣. انظر: The New Encyclopedia Britannica Chicago, University of Chicago, 1986, vol. 5 , p . 427.

(١٢٨) أندرسون، المصدر السابق، ص٢٨٧.

(١٢٩) جان بيرنجيه وآخرون، المصدر السابق، ص٦٧٣.

(١٣٠) سليمان، المصدر السابق، ص١٤٠.

(١٣١) أندرسون، المصدر السابق، ص٢٨٧.

(١٣٢) رولان موسنييه وآخرون، المصدر السابق، ص٢٢٩؛ عبدالحميد البطريق و عبدالعزيز نوار، المصدر السابق، ص٢٦٩.

(١٣٣) أندرسون، المصدر السابق، ص ص٢٨٨-٢٨٩؛ نجم، المصدر السابق، ص٦٤؛ زينل، المصدر السابق، ص٧٤؛ ميلاد أ. المقرحي، تاريخ أوروبا الحديث ١٤٥٣-١٨٤٨، بنغازي، منشورات جامعة قان يونس، ١٩٩٦، ص٢٥٦.

(١٣٤) العكيلي، الوجه الاخر للنهضة الأوروبية، ص١٦٠.

(١٣٥) أندرسون، المصدر السابق، ص٢٨٦؛

A.J. Grant, Outline of European History, London, William Clowes and Sons Limited, 1958, p.356.

(١٣٦) أندرسون، المصدر السابق، ص١٦١؛ زينل، المصدر السابق، ص١٢٢.

(١٣٧) أندرسون، المصدر السابق، ص٢٨٨؛ دوبراتشينسكي، المصدر السابق، ص٢٢٨؛ زينل، المصدر السابق، ص٩٠.

(١٣٨) اندرسون، المصدر السابق، ص٢٨٩؛ زينل، المصدر السابق، ص٩٩.

(١٣٩) الدليمي، المصدر السابق، ص ص٩-١١؛ Guerard, Op. Cit, p.193.

(١٤٠) زينل ، المصدر السابق ، ص ص ٩٤ -٩٦ .

(١٤١) نجم، المصدر السابق، ص١٩٨؛ صالح، المصدر السابق، ص٤٥٨.

(١٤٢) نجم، المصدر السابق، ص١٩٨.

(١٤٣) زينل، المصدر السابق، ص ص١٠٨-١١٥؛ Escott, Op. Cit, p.85.

(١٤٤) أندرسون، المصدر السابق، ص١١٦؛ زينل، المصدر السابق، ص١٣٥.

(١٤٥) أندرسون، المصدر السابق، ص٢٥٧؛ جيمس، المصدر السابق، ص١١٦.

(١٤٦) وليام فاي كار، أحجار على رقعة الشطرنج، ترجمة: سعيد جزائري، بيروت، دار النفائس، ٢٠٠٠، ص٦٤.

(١٤٧) زينل، المصدر السابق، ص ١١٥ .

(١٤٨) التكريتي، المصدر السابق، ص٨٤.

(١٤٩) جيمس، المصدر السابق، ص ص١١٦-١١٧؛ زينل ، المصدر السابق ، ص ص ١٠٥ - ١٠٦ .

(١٥٠) أندرسون، المصدر السابق، ص٢٩٠؛ دوبراتشينسكي، المصدر السابق، ص٢٢٨؛ نجم، المصدر السابق، ص٢٦٤؛ رولان موسنييه وآخرون، المصدر السابق، ص٢٢٩؛ زينل، المصدر السابق، ص١٢٠.

(١٥١) بلاك، المصدر السابق، ص١٤٥.

(١٥٢) الادهمي، المصدر السابق، ص١٠٨؛ رولان موسنييه وآخرون، المصدر السابق، ص٢٢٩.

(١٥٣) زينل ، المصدر السابق،ص ١٣٩.

(154) Escott, Op. Cit, p.105.

(١٥٥) زينل، المصدر السابق، ص ص ١٤٠- ١٤٤.

(١٥٦) المصدر نفسه، ص ٢٩٢.

(١٥٧) المصدر نفسه، ص ١٤٥.

(١٥٨) المصدر نفسه، ص١٧٠.

(١٥٩) أندرسون، المصدر السابق، ص٢٩١.
(١٦٠) عبدالعزيز نوار و محمود محمد جمال الدين، المصدر السابق، ص٢٦٣.
(١٦١) رولان موسنييه وآخرون، المصدر السابق، ص٢٣٠.
(162) George H. Hanna (Translated), Outline History of the U.S.S.R., Moscow, Foreign Languages publishing House, 1960, p.102.
(١٦٣) أندرسون، المصدر السابق، ص٢٩٢.
(١٦٤) يحيى، المصدر السابق، ص١٤٥؛ أندرسون، المصدر السابق، ص٢٩٣؛ برون، المصدر السابق، ص٣١٨؛ عبدالعزيز سليمان نوار و محمود محمد جمال الدين، المصدر السابق، ص٢٦٣.
(١٦٥) شيهان، المصدر السابق، ص١٣٨.
(١٦٦) أندرسون، المصدر السابق، ص٢٩٣.
(١٦٧) ميشيل دوفيز، أوروبا والعالم في نهاية القرن الثامن عشر، ترجمة: إلياس مرقص، بيروت، دار الحقيقة، ١٩٧٠، ص٣٣.
(١٦٨) جيمس، المصدر السابق، ص ص١٢٠-١٢١.
(169) Escott, Op. Cit, p.88.
(170) Joel H. Wiener (Edited), Creat Britain Foreign Policy and the Span of Empire(1689-1971): A documentary history, NewYork, Chelsea House publishers, 1972, Vol.1, p.152; Escott, Op. Cit, p.86.

(١٧١) عبدالعزيز سليمان نوار و محمود محمد جمال الدين، المصدر السابق، ص٢٦٥.
(١٧٢) الدليمي، المصدر السابق، ص١٩.
(173) Escott, Op. Cit, p.86.
(174) Smellie, Op. Cit, p.80.
(175) Ibid, p.85.
(176) Escott, Op. Cit, p.88.

(177) Ibid, p. 89.
(178) Smellie, Op. Cit, p . 82 .
(١٧٩) الدليمي، المصدر السابق، ص١٩.
(١٨٠) نوار و جمال الدين، المصدر السابق، ٢٦٥.
(١٨١) الدليمي، المصدر السابق، ص ص ٢٦ – ٢٧.

الشريف المرتضى نموذج الاعتدال في عصر الاختلاف

أ. م. د. نعمة ساهي حسن الموسوي

جامعة ميسان– كلية التربية – قسم التاريخ

Nehme – sahi@uomisan.edu.iq

الشريف المرتضى نموذج الاعتدال في عصر الاختلاف

أ. م. د. نعمة ساهي حسن الموسوي

ملخص البحث

يصدر البحث عن فكرة ما تتحمله النخب الدينية والسياسية والثقافية من مسؤولية كبرى في تحقيق عنصر التوازن والاعتدال في المواقف والطروحات، سيما في ظروف ومآلات التصادم والانقسام على المستوى السياسي والمذهبي والفكري. فآثر أن يسلط الضوء على شخصية الشريف المرتضى في ارساء ثقافة الاعتدال في عصر مليء بالتقاطع والاختلاف على المستويات المذكورة. فكان بحق إحدى العلامات البارزة والفارقة في ذلك العصر سواء عبر سلوكه السياسي والاجتماعي أو عبر زعامته الدينية وتراثه الثقافي بشتى حقوله. فهو غالباً ما كان عاملاً للإسهام في تخطي المجتمع العراقي لإشكالات السياسة والاختلاف المذهبي وبناء جسور الثقة وثقافة التعايش السلمي بين أبناء المذاهب الإسلامية في عصره.

The study proceeds with the notion that cultural , political and religious elites have the responsibility of achieving the element of balancing and tolerance in worldviews and attitudes , more specifically ,in the circumstances of clash and division on the epistemic , etheric and political levels . therefore , The study has shed light on AL- Sharif AL- Murtadha who set the cultural of tolerance in an age full of crossroadsand divergences on the ata . He is , in reality , the brand mark of that age by and through his social and political behavior and , in addition , through his religious and cultural heritage . He has often contributed to make the Iraqi society skip over the sectarian and political problems and to bridge gaps of confidence and spread the peaceful settlement among the Islamic teams in his time .

المقدمة:

عاش الشريف المرتضى(٣٥٥-٤٣٦هـ). في عصر تصاعدت فيه وتيرة الاختلافات المذهبية والعقائدية والسياسية، إذ نشأت دولتان كان لهما كبير الأثر في العالم الإسلامي حيث قامت دولة الفاطميين في المغرب ومصر[١]، وفرض البويهيون[٢]سيطرتهم على بلاد فارس منذ عام(٣٢٠هـ). ودخلوا بغداد عام(٣٣٤هـ)في عهد الخليفة المستكفي العباسي(٣٣٣-٣٣٤هـ)[٣]. وكانت السلطة البويهية موزعة بين الأخوة الثلاثة:

١/ الأخ الأكبر أبو الحسن علي بن بويه الملقب **بعماد الدولة**، وهو يحكم الجزء الجنوبي من بلاد فارس. وهو أيضاً السلطان العام للدولة البويهية كلها.

٢/ الأخ الأوسط أبو علي الحسن بن بويه، الملقب **بركن الدولة**، وهو يحكم الجزء الشمالي من بلاد فارس. أي بلاد الجبل والري وطبرستان.

٣/ الأخ الأصغر أبو الحسين أحمد بن بويه، الملقب **بمعز الدولة**، وهو يحكم اقليم العراق مضافاً للأهواز[٤].

وقد لقب الأمراء البويهيين بهذه الألقاب من قبل الخليفة المستكفي(٣٣٣-٣٣٤هـ)بالله العباسي، عندما سيطر أحمد بن بويه على بغداد عاصمة الخلافة العباسية[٥]. وقد بقي البويهيون مسيطرين على الحكم في تلك الأقاليم حتى سقوطهم على أيدي السلاجقة عام(٤٤٧هـ)[٦]. فكانت هذه المرحلة مرحلة انهيار وضعف شديد في مؤسسة الخلافة، حتى بات الخليفة فيها ألعوبة بيد الأمراء و الأمراء البويهين. وفضلاً عن النزاع السياسي الذي رافق نشوء هاتين الدولتين، وتداخل علاقاتها ومصالحها في بغداد والعراق بشكل عام، فقد حدث نزاع شديد في الجوانب الاجتماعية والسياسية ، زاد من تركيزه وتفعيله ارتباط الحكام بمؤسسة السلطة، فالفاطميون يريدون التمدد على حساب مؤسسة الخلافة في بغداد، معولين في ذلك على الانسجام المذهبي بينهم وبين السلطة البويهية[٧].

رسُم لنا المؤرخ **ابن الأثير الجزري**(٦٣٠هـ)في أحد نصوص تاريخه معالم ذلك العصر، وما أَلَّمَ بمؤسسة الخلافة من ضعف وتبدد في السلطان فقال: **لم يبق للخلفاء العباسيين من الأمر شيء البتة، وكانوا قبل ذلك يُراجَعون ويُؤخذ أمرهم فيما يُفعل، والحرمة قائمة لهم بعض الشيء، فلما كانت أيام معز الدولة البويهي(٣٣٤-٣٥٦هـ)زال ذلك جميعه، بحيث إن الخليفة العباسي لم يبق له وزير وإنما كان له كاتب يدبر أقطاعه وأملاكه وشؤونه المالية، وذلك دلالة على انتقاض سلطانه السياسي. وصارت الوزارة للأمير البويهي معز الدولة يستوزر لنفسه من يريد.....، حتى لقد بلغني أن معز الدولة استشار جماعة من خواص أصحابه في إخراج الخلافة من العباسيين، والبيعة للمعز لدين الله العلوي الفاطمي(٣٤١-٣٦٥هـ)أو لغيره من العلويين، فكلهم أشار عليه بذلك عدا بعض خواصه فإنهم قالوا له: ليس هذا برأي فإنك اليوم مع خليفة تعتقد أنت وأصحابك أنَّه ليس من أهل الخلافة، ولو أمرتهم بقتله لقتلوه مستحلين دمه، ومتى أجلست بعض العلويين خليفة كان معك من تعتقد أنت وأصحابك صحة خلافته، فلوا أمرهم بقتلك لفعلوا فأعرض عن ذلك . وتسلم معز الدولة العراق بأسره، ولم يبق بيد الخليفة منه شيء البتة، إلا ما أقطعه معز الدولة مما يقوم ببعض حاجته"**[٨].

وبالمقابل كانت الخلافة العباسية ضعيفة وعاجزة أمام السلطة البويهية مما فعها للاستسلام للأمر الواقع؛ إذ أصبح البويهيون هم المتحكمين في السلطة ومجمل شؤون الدولة، وغدا ما يفعلونه ويقرونه أمراً نافذاً بنفوذ سلطتهم. وقد أبرز **الذهبي**(٧٤٨هـ) مدى الضعف الذي كان عليه الخليفة قبالة السلطة البويهية،

سيما في عهد الخليفة المطيع لله العباسي(٣٣٤-٣٦٣هـ)فقال:" **كان تحت يد معز الدولة البويهي وليس له معه حل ولا ربط..، وانحطت رتبة الخلافة جداً**"[٩]. وقال **ابن الطقطقي(٧٠٩هـ)**يصف حال الضعف والتردي للخلافة العباسية في الأيام الأخيرة من حكم المستكفي(٣٣٣-٣٣٤هـ)وبداية خلافة المطيع:" "**ثم اضطربت أحوال الخلافة، ولم يبق لها رونق ولا وزارة، وتملك البويهيون، وصارت الوزارة من جهتهم والأعمال إليهم، وقرر للخلفاء شيء طفيف برسم إخراجاتهم..، ثم ملك المطيع..، وكان أمره ضعيفاً**"[١٠]. وقال **أبو الفداء(٧٣٢هـ)**:" **وازداد أمر الخلافة إدباراً، ولم يبق له من الأمر شيء، و تسلم نواب معز الدولة العراق بأسره، ولم يبق في يد الخليفة غير ما أقطعه معز الدولة للخليفة مما يقوم ببعض حاجته**"[١١].

وبطبيعة الحال كانت السيطرة السياسية البويهية مع الاختلاف الفكري بينها وبين السلطة العباسية، تعني بالنتيجة ومن جهة أخرى، إبراز التوجهات البويهية التي يتبنونها، والتي كانت محضورة وممنوعة ومغيبة طيلة الفترة السابقة جراء التهميش والاقصاء السياسي والفكري، ولذا كانت هذه المرحلة علامة فارقة في رسم معالم الخارطة الفكرية في العراق، وكانت مما توخى رصده **ابن الأثير** حين ذكره لبعض حوادث عام**(٣٥٢هـ)**إذ قال:" **في هذه السنة وفي العاشر من المحرم أمر معز الدولة البويهي الناس أن يغلقوا دكاكينهم، ويبطلوا الأسواق والبيع والشراء، وأن يظهروا النياحة، ويلبسوا قبابا عملوها بالسواد، وأن يخرج النساء منشرات الشعور مسودات الوجوه، قد شققن ثيابهن يدرن في البلد بالنوائح، ويلطمن وجوههن على الحسين بن علي رضي الله عنهما، ففعل الناس ذلك.**"[١٢].

ومع إن البويهيين كانوا قد منحوا حريات واسعة لمختلف الطوائف والمذاهب، بممارسة عقائدها وطقوسها. إلا إن هذه الممارسات كانت لاشك ستجابه بالرفض والمقابلة من قبل بعض الناس . ولما لم تستطع الخلافة العباسية الوقوف بوجه هذه المراسيم والطقوس، فإنهم عملوا على مقابلتها بمناسبات خاصة بهم، فأقاموا ما يمكن أن يكون بإزاء يوم عاشوراء، فجعلوا بعده بثمانية أيام يوماً نسبوه إلى قتل مصعب بن الزبير، وزاروا قبره في منطقة مسكن[١٣]، كما كان يزار قبر الحسين(ع)بكربلاء. وكذلك عملوا بإزاء يوم عيد الغدير، وتحديداً بعده بثمانية أيام أذ ادعوا أنه اليوم الذي دخل فيه النبي(ص) مع أبي بكر في الغار، وعملوا في هذا اليوم ما يفعله الشيعة في يوم عيد الغدير، وكان أول ما عمل هذا عام (٣٨٩هـ)[١٤].

ولكن سياسة التسامح هذه، كانت بما تحمله من ايجابيات ومحاسن، فإنها من جانب آخر أضحت مطية للكثير من المتشددين والمتطرفين سيما من المذاهب الإسلامية الأخرى، فأحدثوا العديد من الفتن والاضطرابات والاعتداءات والنزاعات والاقتتال بين أبناء الطوائف الإسلامية وغير الإسلامية. وقد رصد المؤرخون عدداً غير قليل منها ولكننا ولخصوصية البحث سنشير إلى ما حدث منها خلال تولي الشريف المرتضى لمهام نقابة الطالبيين.أي ما وقعت منذ عام(٤٠٦هـ)فصاعداً، باعتبار تحقق التمكن السياسي والاجتماعي والديني لشخصية البحث عبر ما تولاه من المسؤوليات الإدارية التي ورثها عن أسرته. وكذلك

سنشير إلى ما وقع من تلك الفتن في العراق تحديداً ولا سيما في بغداد ، وإلا فهناك فتن كثيرة في العراق بين الأتراك والعيارين وغيرهم ، فضلاً عن الفتن والنزاعات المذهبية في أمصار الدولة الإسلامية الأخرى. وسيعمد لتقصي ذلك عبر محاور ثلاثة، يهتم **الأول** منها بالبيئة الأسرية للشريف المرتضى ودورها في تكوين شخصيته العلمية والثقافية والسياسية. ويبين المحور **الثاني** واقع وعصر التصادم الفكري والسياسي ومن ثم دوره في وأد بعض الفتن، ومحاولاته الجادة لردم الفجوة المذهبية بين أبناء المجتمع العراقي. أما المحور الثالث فسيلقي الضوء على مساحة الاعتدال الفكري والثقافي التي مثلها الشريف المرتضى عبر تراثه الديني والأدبي وكيف أنه كان انموذجاً للاعتدال في عصر الاختلاف للإسهام في تخطي المجتمع لإشكالات السياسة وبناء جسور الثقة وثقافة التعايش السلمي بين أبناء الدولة الإسلامية.

المحور الأول: البيئة الأسرية للمرتضى وأثرها في تكوين شخصيته

مع ما كان يحمله هذا العصر من طابع مضطرب على المستوى السياسي، كان من جانب آخر يشهد تطوراً علمياً وثقافياً واسعاً، سيما وأن البويهيين بما منحوه من حريات اجتماعية وعقائدية واضحة، وما كانوا عليه من حب للعلم والعلماء والثقافة والأدب، وما وفروا من الأجواء والمناخات اللازمة لنمو الحركة العلمية والفكرية والثقافية في البلاد الإسلامية، هيأوا كافة العوامل والأسباب اللازمة لتميز ذلك العصر بتطوره الثقافي والحضاري.

ولعل خير دليل على ذلك أن المستشرق الألماني(*Adam Mes*=**آدم متز.ت١٩١٧م**)[١٥] اختار هذا العصر تحديداً ليكون مجال بحثه ودراسته في كتابه القيم(**الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري**). بل إن هذا الكتاب جاء بالألمانية بعنوان(*Die Renaissance Des Islams*= نهضة الإسلام) وهي عبارة مختصرة للدلالة على حضارة عصر النهضة في الإسلام كمقابل لما كتب عن حضارة عصر النهضة في أوربا[١٦].

ومما ميز هذا العصر أن كثيراً ممن تولوا الحكم وإدارة شؤون البلاد فيه كانوا من ذوي الثقافات العالية، والاهتمام الملحوظ بالأدب والثقافة والعلم والحركة الفكرية عموماً، ومنهم **عضد الدولة البويهي** الذي وصفه **أبو منصور عبد الملك الثعالبي**(ت٤٢٩هـ)في كتابه(**يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**)قائلاً: **كان على ما مكن له في الأرض، وجعل إليه من أزمة البسط والقبض، وخص به من رفعة الشأن، وأوتي من سعة السلطان، يتفرغ للأدب، ويتشاغل بالكتب، ويؤثر مجالسة الأدباء على منادمة الأمراء، ويقول شعراً كثيراً، يخرج منه ما هو من شرط هذا الكتاب من الملح والنكت، وما أدري كم فصل بارع، ووصف رائع، قرأته للصاحب في وصف عضد الدولة.** وذكر بعضاً من أوصاف الأديب والوزير الصاحب بن عباد لشعر عضد الدولة البويهي، ونماذج تدل على هذه الحقيقة من شعره[١٧]. ومن شخصيات ذلك العصر البارزة أيضاً **عز الدولة بختيار بن معز الدولة** وهو الآخر كان شاعراً مميزاً وله شعر جيد، ذكر له الثعالبي بعض

الأبيات[١٨]. وكذلك **تاج الدولة بن عضد الدولة** وهو أكثر آل بويه معرفة بالأدب والشعر، وقد ذكر الثعالبي بعضاً من أشعاره[١٩]. وقد أسهب المستشرق **آدم متز** في كتابه سالف الذكر بيان مجمل صفات وأحوال أمراء البيت البويهي[٢٠].

كما كان بعض وزراء **بني بويه** هم الآخرين من أبرز الشخصيات الأدبية والعلمية والثقافية في ذلك الوقت وفي طليعتهم **محمد بن الحسين المعروف بابن العميد**(ت٣٦٠هـ)[٢١]و**الصاحب بن عباد** (ت٣٨٤هـ)[٢٢]الذي أنشأ أكاديمية ضخمة في بغداد[٢٣]. والوزير البويهي **أبو نصر سابور بن أردشير**(ت٤١٦هـ)[٢٤]وزير بهاء الدولة، الذي اشترى داراً في جانب الكرخ وعمرها وبيضها وسماها **دار العلم** وجعلها وقفاً لأهل العلم، ونقل إليها كتباً كثيرة، كان جمعها واشتراها على حسابه الخاص ،وعمل لهذه المكتبة فهرساً بأسماء الكتب والمؤلفات الموجودة فيها لتسهيل عملية المطالعة والبحث كما عين بعض الأشخاص للنظر في أمور هذه الدار العلمية ومراعاتها والعناية بها وتوفير الأجواء والاحتياجات اللازمة لطلبة العلم والمعرفة الوافدين إليها[٢٥]. وفي عهدهم انتشرت ظاهرة المناظرات والجدل العلمي في المجالس، سيما في علم الكلام والعقائد والفقه وغيرها من ميادين الفكر والمعرفة الإسلامية.

في هذا العصر المضطرب سياسياً والمتوقد علمياً وثقافياً ولد الشريف المرتضى، ومثل انموذجاً حياً للعالم والفقيه والأديب والمفكر المعتدل. ولم يكن هذا الاعتدال والاتزان الفكري والعلمي متأت من فراغ، وإنما كان لأسرته النبيلة الشريفة النسب أثر كبير في بناء وصقل شخصيته الفكرية والعلمية فهو **أبو القاسم علي بن الشريف أبي أحمد الحسين نقيب الطالبيين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن الإمام موسى بن جعفر**[٢٦]. وأمه وأم أخيه الرضي هي: **فاطمة بنت أبي محمد الحسن الناصر الصغير بن أبي الحسين أحمد بن محمد الناصر الكبير الأطروش بن علي بن الحسن بن علي الأصغر بن عمر الأشرف بن الإمام زين العابدين**[٢٧].وقد لقب الشريف المرتضى بعدة ألقاب منها: **الشريف المرتضى، وذو المجدين وعلم الهدى**. وقد درس هو وأخوه الرضي عل أيدي كبار علماء عصرهم كالشيخ **المفيد**[٢٨]و**ابن نباته السعدي**(ت٤٠٥هـ)وهو على حد تعبير الثعالبي:"**من فحول شعراء العصر وآحادهم، وصدور مجيديهم، وافرادهم الذين أخذوا برقاب القوافي، وملكوا رق المعاني..**"[٢٩].

وقد ورثت أسرة الشريف المرتضى الزعامة الدينية والسياسية للعلويين في القرن الرابع الهجري، وكان جده لأمه الناصر الكبير أو الأطروش(ت٣٠٤هـ)أحد أشهر الأمراء والدعاة العلويين في بلاد الديلم وطبرستان، وكان لمكانته وجلالة قدره أن أولاده هناك أصبحوا الامراء بطبرستان وجيلان وجرجان ومازندران وسائر ممالك الديلم، فملكوا تلك الأصقاع١٣٠ سنة، وضربوا الدنانير والدراهم بأسمائهم، وخطب لهم على المنابر، وحاربوا الملوك السامانية، وكسروا جيوشهم[٣٠]. أما أبوه الشريف أبو أحمد الحسين بن موسى(٣٠٤-٤٠٠هـ)فهو الآخر قد جمع بين الزعامة الدينية والدنيوية، وكان يلقب **بالطاهر وذي المناقب والأوحد**، وخاطبه بهاء الدولة البويهي **بالطاهر الأوحد**، وولاه قضاء القضاة ولم يمكنه القادر العباسي من

ذلك، و تولى نقابة العلويين والحكم فيهم خمس مرات، كانت الأولى منها خلال المدة(٣٥٤-٣٦٠هـ) وتوفي وهو نقيب للعلويين للمرة الخامسة، كما تولى إمارة الحج[٣١]. وكان سيداً عظيماً مطاعاً، وكانت له هيبة أشد من هيبة الخلفاء[٣٢].وعندما ولي نقابة الطالبيين والنظر في المظالم وإمارة الحج عام (٣٨٠هـ)نُص في عهد البيعة الذي كتب له أن يخلفه بهذه المناصب ولداه الشريف المرتضى و الشريف الرضي[٣٣].

وبعد وفاة والده تولى هذه المهام والمناصب أخوه الشريف الرضي(٣٥٩-٤٠٦هـ)وهو الآخر كان له من الهيبة والفضل والشرف والرفعة ما تضيق هذه الصفحات عن الإحاطة به، وقد لقبه بهاء الدولة البويهي **بذي الحسبين**، وكان عالماً بالفقه والفرائض والشعر والأدب، حتى قال الثعالبي:"**إنه أبدع أبناء الزمان، وأنجب سادة العراق..، ثم هو أشعر الطالبين من مضى منهم ومن غبر على كثرة شعرائهم المفلقين، ولو قلت انه أشعر قريش لم أبعد عن الصدق**"[٣٤]. وقد وصف بالعفة و التدين وسعة الكرم وعلو الهمة، وقد مدحه الشعراء المعاصرين له، وجرى له مع الخليفة القادر العباسي(٣٨١-٤٢٢هـ)خلاف بسبب اعترافه بالنسب العلوي للخلفاء الفاطميين في مصر، وعدم الاكتراث بنقمة القادر من ذلك، إذ كتب في ذلك:

أألبس الذل في ديار الأعادي وبمصر الخليفة العلوي
من أبوه أبي ومولاه مولاي إذا ضامني البعيد القصي
لف عرقي بعرقه سيدا الناس جميعاً محمد وعلي

فغضب عليه القادر، وبعث رسله إلى والد الشريف الرضي يعاتبه في ذلك، ويطلب منه أن ينفي الشريف الرضي هذه الابيات عن نفسه بكتابة أبيات مناقضة لها تفند النسب العلوي للفاطميين، فرفض الشريف الرضي ذلك، وأنكر أن تكون هذه الأبيات من قوله[٣٥]. وكان عالي الهمة، إذ خاطب الخليفة القادر بالقول:

عطفاً أمير المؤمنين فإننا في دوحة العلياء لا نتفرق
ما بيننا يوم الفخار تفاوت أبداً كلانا في المعالي معرق
إلا الخلافة ميزتك فإنني أنا عاطل منها وأنت مطوق[٣٦]

ثم انتقلت تلك المهام الإدارية والدينية للشريف المرتضى في يوم السبت(٣صفر/٤٠٦هـ)بعد وفاة أخيه الرضي، فتولى إمارة الحج والنظر في المظالم ونقابة الطالبيين، وجميع ما كان لأخيه الرضي، وجمع الناس لقراءة عهد توليته من قبل الخليفة القادر بحضور القادة والأشراف والقضاة والفقهاء والشخصيات المهمة في الدولة، وكان مما جاء فيه:" **هذا ما عاهد أبو العباس أحمد الإمام القادر بالله أمير المؤمنين إلى علي بن موسى العلوي حين قربته إليه الأنساب الزكية، وقدمته لديه الأسباب القوية، واستظل معه بأغصان الدوحة الكريمة، واختص عنده بوسائل الحرمة الوكيدة، فقلد الحج والنقابة..**"[٣٧].

ولا شك أن تولي الشريف المرتضى لهذه المناصب يدل على علو المكانة العلمية والاجتماعية التي كان يتمتع بها، وتميزه بما كان يمتلكه من قدرات ومواهب شخصية، **فولاية الحج** هي منصب سياسي وديني وإداري في الوقت نفسه، يتولى صاحبها مهمة إقامة الحج وتسييره ورعاية الحجيج وتوجيههم وحل مشاكلهم.

ولأهمية هذا المنصب فإنه يقتضي بمن يتولاه أن يكون بمنزلة الإمام الشرعي والزعيم المجتهد، وأن يكون مطاعاً ذا رأي وشجاعة وهيبة وهداية. وقد أطنب الماوردي (ت٤٥٠هـ)في أحكامه السلطانية ببيان أهمية هذا المنصب وصفات متوليه وما يقوم به[٣٨] .

أما **ولاية النظر في المظالم** فهي الأخرى بحسب الماوردي:" **تعني قود المتظالمين إلى التناصف بالرهبة، وزجر المتنازعين عن التجاحد بالهيبة، ومن شروط الناظر فيها أن يكون جليل القدر، نافذ الأمر، عظيم الهيبة، ظاهر العفة، قليل الطمع، كثير الورع، لأنه يحتج في نظره إلى سطوة الحماة وثبت القضاة..، وأن يكون بجلالة القدر نافذ الأمر في الجهتين. كالخلفاء أو من فوض إليه الخلفاء نظراً في الأمور العامة كالوزراء والأمراء**"[٣٩]. وأما **ولاية النقابة:" فموضوعة على صيانة ذوي الأحساب الشريفة عن ولاية من لا يكافئهم في النسب ولا يساويهم في في الشرف؛ ليكون عليهم أحبى وأمره فيهم أمضى، وهي تصح من إحدى ثلاث جهات: إما من جهة الخليفة المستولي على كل الأمور، وإما ممن فوض الخليفة إليه تدبير الأمور، كوزير التفويض وأمير الإقليم..، فإذا أراد المولى أن يولي على الطالبيين نقيباً أو على العباسيين نقيباً، يتخير منهم أجلهم بيتاً، وأكثرهم فضلاً، وأجزلهم رأياً، فيولى عليهم، لتجتمع فيه شروط الرياسة والسياسة فيسرعوا إلى طاعته**"[٤٠].

إذن الشريف المرتضى قد استجمع كافة أسباب المجد والعلا والرفعة والتميز، فهو ينحدر من أشرف الأنساب واسرته من أشرف الأسر، وقد تربى في بيت علم وعلماء وثقافة وأدب وسياسة وإدارة، وتتلمذ على يد كبار علماء عصر وفقهاءهم وأدباءهم، ومنح منذ مراحل عمره المتقدمة، فرص الاحتكاك بالشخصيات العلمية والسياسية والأدبية والفكرية في أوساط المجتمع العراقي، فتوثقت علاقته بالخلفاء والأمراء البويهيين، ورجالات الأدب والفكر والوجهاء. حتى أنه كان من أوائل الشخصيات البارزة التي تحضر في المناسبات السياسية المهمة كمبايعة الخلفاء[٤١]، أو منح عهود التولية واستقبال الوفود السياسية[٤٢].

وبلغ من علو منزلته أن كانت داره مقراً يلجأ إليها الحاكم البويهي ووزراءه حين يثور عليهم الجند أو تضطرب بهم الأحوال[٤٣].هذا مضافاً لما كان عليه المرتضى من النعمة ويسر الحال وما كان عليه محيطه الأسري من اهتمام بالعلم والأدب والثقافة وما كان ينتظم في بيئته الاجتماعية من نشاط فكري وثقافي متواصل. إذ كان بحسب **ابن حجر العسقلاني(ت٨٥٢هـ): أول من جعل داره مقراً للعلم والمناظرة. وأنه حصل على رياسة الدنيا في العلم، وأنه كان لا يؤثر على العلم شيئا مع البلاغة وفصاحة اللهجة**[٤٤]. وكان له مجلس خاص يتردد عليه كثير من رجال العلم والفكر والثقافة والأدب، أمثال الشاعر الفيلسوف **أبو العلاء المعري(ت٤٤٩هـ)**، وإمام النحو واللغة **عثمان بن جني(ت٣٩٣هـ)**[٤٥]. كل هذه العوامل أسهمت وبشكل ملحوظ في صياغة الشخصية المعرفية والعلمية والأخلاقية للشريف المرتضى، والارتقاء بها وبمكانتها الاجتماعية، الأمر الذي أدى إلى أن ذاع صيته وشهرته بين الخاصة والعامة، ارتكازاً على تلك المقومات وما كان يتمتع به من اريحية الخلق وسعة الأفق ورجاحة العقل، والقدرة الفائقة على الانسجام

والتصالح مع فئات المجتمع بمختلف أصوله وطوائفه وانتماءاته، فأصبح محل التبجيل والاحترام عند موافقيه ومعارضيه في العقيدة والرأي على حد سواء[٤٦]. ولذلك كان الشريف المرتضى مثال ونموذج الاعتدال في عصر الاختلاف.

المحور الثاني: الفتن ودور الشريف المرتضى في وأدها:

سيتناول البحث في هذا المحور نقطتين أساسيتين، الأولى تبين واقع التصادم و الانقسام المذهبي وحدوث الفتن وأسبابها، والثانية تسلط الضوء على دور الشريف المرتضى في وأد تلك الفتن والتعامل معها وفق مستوى عالٍ جداً من الاعتدال والتهدئة، مع بيان أنه في هذا الموقف كان يصدر من تمكن المقتدر أو المؤثر على أقل تقدير، لا من موقع الضعف وعدم القدرة على إحداث التغيير:

اولاً- الفتن – احصاء ونظرة في الأسباب:

مع ما سلفت الإشارة إليه من اضطراب للوضع السياسي في العراق وضعف مؤسسة الخلافة وانتقاض سلطانها، كان لابد للاضطرابات والفتن أن تتنازعها عوامل وأسباب عدة، تتباين وتمتزج بين السياسي والاجتماعي والديني ، وهو ما سنحاول إيجازه عبر رصد هذه الفتن وأسبابها المباشرة وغير المباشرة كواقع لتداخل تلك الأسباب.

وبداية لابد من الإشارة إلى أننا في رصدنا ومتابعتنا لتلك الفتن، سواء ما سنشير إليه في البحث أو ما سنتجاوزه، بحسب ما قدمناه من ضابطة زمانية لما سنشير إليه منها أي ما حدث منذ عام(٤٠٦هـ)فصاعداً، وجدناها تهاجم منطقة **الكرخ** وهي منطقة سكن الشريف المرتضى وعموم أتباعه في بغداد. وكان مفتعلوا تلك الفتن مرة تلو الأخرى يحاولون استغلال أي اضطراب أمني أو هياج مجتمعي وسياسي للهجوم على أتباع الشريف المرتضى في الكرخ، وهو ما يدل على أن المتشددين – سيما الحنابلة منهم- هم من كانوا يفتعلون تلك الفتن ويهاجمون أتباع أهل البيت (ع) في مناطق سكناهم. وقد رسم لنا المستشرق الألماني(*Adam Mes*=**آدم مِتز.ت ١٩١٧م**)خارطة ديموغرافية لسكان بغداد في القرن الرابع الهجري فقال: **كان الشيعة يسكنون بنوع خاص حول سوق الكرخ في الجانب الشرقي من دجلة. في حين كان السُّنة وأنصار السلطة العباسية، سيما الحنابلة المتشددون منهم وكانوا من أشد أعداء الشيعة يسكنون في الجانب الغربي منها سيما حول باب البصرة. وكان الجانب الغربي من دجلة مركزاً لتجمع السُّنة عموماً.** ونقل عن **ياقوت الحموي أن أهل محلة باب البصرة كلهم سنة حنابلة، وعن يسار الكرخ وفي جنوبها كانت مأهولة بالسكان السنة. أما الكرخ نفسها فأهلها كلهم شيعة إمامية لا يوجد فيهم سُني البتة. وكان باب الشعير غربي شاطئ دجلة من أكبر مراكز أهل السنة**[٤٧]. ومن أبرز الأمثلة على ذلك فتنة عام(٣٦١هـ)[٤٨]،وفتنة عام(٣٦٣هـ)[٤٩]وفتنة عام(٣٨١هـ)[٥٠]،وفتنة عام (٣٩٨هـ)[٥١]. وفيما يلي رصدٌ

لأبرز الفتن التي حدثت بحسب الضابطة الزمنية التي اعتمدها البحث، وبيان دور الشريف المرتضى في وأدها:

١/ في سنة(٤٠٦هـ)ابان عهد الخليفة القادر(٣٨١-٤٢٢هـ)وسلطنة أبو شجاع سلطان الدولة بن بهاء الدولة (٤٠٣-٤١٥هـ)، وهي السنة التي تولى بها الشريف المرتضى مهام منصب نقابة العلويين والحج والمظالم بعد موت أخيه الشريف الرضي **وقعت فتنة ببغداد بين أهل الكرخ وأهل باب الشعير، وانتشر النهب فتدخل الوزير فخر الملك والشريف المرتضى، بتسكين الفتنة بأن منعوا أهل الكرخ من النوح يوم عاشوراء ومن تعليق السواد**[٥٢].

٢/ عام(٤٠٨هـ)في عهد الخليفة القادر وسلطنة ابو شجاع **تفاقمت الفتنة بين سكان بغداد في بغداد، وقتل عدد كبير من الطرفين، وأحرقت الدكاكين.** ..... وقد بعث الخليفة العباسي **حاجبه وصاحب شرطته أبو مقاتل مع الشرطة، ليدخل الكرخ فمنعه أهلها والعيارون الذين فيها وقاتلوه، فأحرق الدكاكين والمحلات على أطراف نهر الدجاج حتى صارت تلولا، ولم يتهيأ له الدخول**[٥٣].

٣/**عام(٤١٥هـ)**في عهد الخليفة القادر وسلطنة ابو شجاع **وقعت فتنة بالكوفة بين العلويين و العباسيين قتل فيها ستة من العباسيين، بسبب النزاع بين أبي علي المختار بن عبيد الله العلوي وأبي الحسن علي بن أبي طالب بن عمر، على منصب نقيب العلويين في الكوفة، وتغلب الأخير عليه. فأمر الخليفة الشريف المرتضى بصرف ابن أبي طالب عن نقابة الكوفة وردها إلى المختار**[٥٤].

٤/**عام(٤٢٠هـ)في عهد الخليفة القادر وسلطنة أبو كاليجار البويهي بن سلطان الدولة (٤٠٧ - ٤٤٠هـ). حدثت فتنة في جامع براثا، إذ كتب الخليفة القادر بالله كتاباً طويلاً جداً، فيه ذكر أبي بكر وعمر وفضلهما، وقرأ على القضاة والفقهاء والوعاظ وغيرهم في دار الخلافة. وكان ذلك في يوم الخميس(٢٠/شعبان)،ثم أمر الخليفة في يوم الجمعة باستبدال الخطيب الذي يخطب بجامع براثا، وعلى آثر ذلك حدثت مشاكل بين الخطيب الجديد والمصلين، وأوقفت إقامة صلاة الجمعة في مسجد براثا حتى شهر ذي الحجة، فذهب الشريف المرتضى مع مجموعة من كبار أتباع أهل البيت (ع) ومشايخهم في الكرخ إلى دار الخلافة، وطلبوا منه إعادة الصلاة والخطبة في مسجد براثا، فعين الخليفة خطيباً آخر للمسجد، على أن يلتزم بالخطبة التي تعينها وتكتبها له دار الخلافة، فأعيدت الصلاة في مسجد براثا في الجمعة الثانية من شهر ذي الحجة. أي بعد توقف امتد لما يقرب من أربعة أشهر**[٥٥].

٥/عام(٤٢١هـ). **في ليلة عاشوراء أغلق أهل الكرخ أسواقهم، وعلقوا السواد على دكاكينهم كعادتهم في شعائر يوم عاشوراء، فاعترض على ذلك بعض أهالي بغداد ووقع القتال بينهم، وقتل بعض**

الأشخاص من الفريقين وخربت بعض الدكاكين، فتدخل الشريف المرتضى وحال دون تواصل تلك الفتنة وامتدادها[٥٦]. وفي هذه السنة أيضاً حدثت منازعة بين أحد الاتراك النازلين بباب البصرة في بغداد وبعض الهاشميين، فاجتمع الهاشميون في جامع المدينة ورفعوا المصاحف، واجتمع عدد كبير من أتباعهم في الكرخ وغيرها، وضجوا بالاستغفار من الأتراك وسبهم، فركب جماعة من الأتراك وجاءوا نحوهم، فلما رأوهم يرفعون المصاحف رفع الأتراك الصليب وترامى الفريقان بالنشاب والحجارة، فقتل عدد من الأشخاص ثم أصلح بينهم[٥٧].

٦/عام(٤٢٢هـ)**في يوم الجمعة تجددت الفتنة بين سكان بغداد واشتدت بشكل كبير؛ بسبب استفزاز أحد القادة وجنوده لأهل الكرخ عندما مر بهم وهو يريد التوجه إلى الغزو، فوقعت الفتنة بينهم وبين أهل الكرخ ومنعت الصلاة في مسجد براثا، ونُقبت دار الشريف المرتضى فخرج منها منزعجاً مرتاعاً، فجاء جيرانه الأتراك ودافعوا عنه، ونهبت الدور في الكرخ سيما دور اليهود الذين اتهموا بمساعدة أتباع أهل البيت(ع). وفي اليوم الثاني تجمع بعض أهالي بغداد ، وانضم معهم الأتراك وتوجهوا نحو الكرخ فأحرقوا الدور والأسواق وهدموها، وأصاب أهل الكرخ ضرر كبير وقتل عدد من الأشخاص. وبعد مرور شهر واحد على هذه الحادثة هجم جماعة على مسجد براثا ونهبوا ما فيه من المفروشات والسجاد، وقلعوا شباكه الحديدي فعادت الفتنة من جديد**[٥٨]. وفي أول شهر ذي الحجة من هذا العام اشتعلت فتنة أخرى بين أهالي بغداد وحدث قتل شديد على القنطرتين العتيقة والجديدة في بغداد. وكان سبب هذه الفتنة هو اعترض جماعة من أهل بغداد المقيمين في باب البصرة لجماعة من الزوار القادمين من مدينة قم لزيارة المراقد في بغداد والنجف وكربلاء، وقتلوا منهم ثلاثة أشخاص وجرحوا آخرين، فاشتعلت الفتنة ومنعت على أثر ذلك زيارة مشهد الإمامين الكاظمين[٥٩].

ثانياً- دور الشريف المرتضى في وأد الفتن:

تبين المصادر التاريخية أن كل الفتن التي مر البحث على ذكرها، والتي هوجمت فيها منطقة الكرخ ، كان الابتداء بالفتنة أو اشعالها من قبل المتشددين سيما الحنابلة، وغالباً ما كانت الأسباب تتمحور حول معارضتهم لإقامة شعائر العزاء في يوم عاشوراء أو الاحتفال بعيد الغدير أو إحدى المناسبات الدينية الأخرى، أو بسبب استفزاز لأتباع أهل البيت(ع) عبر خطباء المساجد أو من خلال المرور بمناطق سكناهم ورفع الشعارات ضدهم أو القيام بسلوكيات استفزازية أخرى. ولعل خير دليل على ذلك أن مسجد براثا هدم وسوي بالأرض عام (٣١٣هـ) بأمر من الخليفة العباسي، بحجة أن المصلين يجتمعون فيه ويسبون الصحابة، وبقي المسجد مهدوماً لمدلة(١٥سنة)حتى بناه القائد وأمير الأمراء توزون التركي عام(٣٢٨هـ)وأفتتح للصلاة عام(٣٢٩هـ)ولكن بعد تحويل ملكيته. بل أكثر من ذلك، فحتى قبور الأئمة(ع)قد

هدمت وسويت بالأرض، بسبب التطرف الطائفي والتعصب المذهبي والحقد الأعمى للحكام وفقهاء التطرف والتعصب، وخير مثال على ذلك قبر الإمام الحسين(ع)الذي هدمه المتوكل العباسي عام(٢٣٦هـ). وبقي مهدوماً حتى بناه عضد الدولة البويهي[٦٠]. وكان المتشددون سيما الحنابلة منهم ينظرون إلى ما يتمتع به أتباع أهل البيت(ع) من حرية الاعتقاد وممارسة الشعائر في ظل السلطة البويهية على أنه بدع في الدين، وكفر وزندقة وإلحاد يجب القضاء عليه، فكانوا يدبرون تلك الفتن، ويختلقون الأعذار الواهية لإشعالها، مستندين في ذلك لدعم زعمائهم المتشددين، والأطراف الأخرى التي يستعينون بها كجند الخلافة وحرسها من الأتراك. وبالمقابل كان أتباع أهل البيت(ع) وفي مقدمتهم الشيخ المفيد والشريف المرتضى عامل تهدئة وتطويق وإخماد لتلك الفتن المذهبية، وتعامل باتزان تام مع الأطراف المعتدية بالرغم من سوء فعلها، وهو ما يمكن أن نسجله في النقاط التالية:

١/في الفتنة التي حدثت عام(٤٠٦هـ) وهي السنة التي تولى بها **الشريف المرتضى** مهام نقابة العلويين والحج والمظالم، بين أهل الكرخ من أتباع أهل البيت(ع) وأهل باب الشعير ، وانتشر النهب والسلب والتخريب، بعث الوزير **فخر الملك أبو غالب الشريف المرتضى** وجماعة معه، فحال دون استفحال تلك الفتنة وتطورها، **بأن أوعز لأهل الكرخ وأمرهم أن لا يعلقوا السواد ولا يقيموا مآتم العزاء في ذلك اليوم**[٦١].

وهذه الخطوة بحد ذاتها دليل واضح على التعامل المعتدل، الذي يميل فيه **الشريف المرتضى** مع ما له من المنزلة عند السكان في عموم العراق[٦٢]سيما وأنه نقيب الطالبيين حينها، وله ما له من الرفعة والمكانة والقدرة على تحريك أتباع أهل البيت(ع) ، الذين تحملوا مصادرة حقوقهم، في ظل السلطة التي يفترض أنها أقرب إليهم في توجهاتها المذهبية. مع كل ذلك، ومع المقدرة على مواصلة إقامة تلك الشعائر والفعاليات، وحتى فرضها بالقوة، نجد **الشريف المرتضى**، يدعوا أتباع أهل البيت(ع) لعدم ممارسة تلك الشعائر تسكيناً للفتن والاضطرابات، وللحيلولة دون توسعها وامتدادها.

٢/ في فتنة عام(٤٠٨هـ)التي تدخل بها **رئيس شرطة الخلافة المقدام أبو مقاتل** ، وهاجم أتباع أهل البيت(ع) في الكرخ وأحرق الدكاكين وخرب الممتلكات[٦٣]. لاشك كان بإمكان **الشريف المرتضى** تغيير شيء من الواقع من خلال علاقته بالسلطة البويهية أو الدعوة للتمرد أو الثورة أو طلب مساعدة الخلافة الفاطمية، ولكنه آثرا عدم التعامل مع الآخرين بنفس الطريقة المتطرفة التي يتعاملون بها، وأن يتعامل بروحية التسامح حفاظاً على عدم تشتت المسلمين وتناحرهم بأكثر مما كان واقعهم حينها.

٣/ في الفتنة التي حدثت عام(٤٢٠هـ)بسبب تدخل الخليفة بفرض الخطيب الذي يتولى الخطابة والوعظ في جامع براثا. واستدعى **الشريف المرتضى** ومعه جماعة واتهمهم **بأن مسجد براثا يجمع الكفرة والزنادقة ومن قد تبرأ الله منه..**، وأوقف الصلاة فيه لمدة أربعة شهور[٦٤]. وايضاً كان بإمكان **الشريف المرتضى** استغلال ما توفر له من أسباب علو الشأن والرفعة والقرب من الأمراء البويهيين في الإيقاع بالخصوم أو

الانتقام والانتصار عليهم. أو على أقل تقدير كان بإمكانه الرد بالمثل، ودعوة أتباعه لتصعيد التمرد والثورة، وإصدار توجيهات لاسترداد حقوقهم بأي وسيلة كانت وبأي شكل من الأشكال.

٤/في الفتنة التي حدثت في السنة اللاحقة عام(٤٢١هـ) كان **الشريف المرتضى** حاضراً لنزع فتيل الأزمة بين اهالي بغداد في ليلة عاشوراء على أثر اعتراض بعض السكان على إقامة مراسم العزاء في محرم ، فتدخل واحتوى تلك الفتنة وحال دون امتدادها[٦٥].

٥/في الفتنة التي وقعت في العام اللاحق(٤٢٢هـ)بسبب استفزاز أحد القادة وجنوده لأهل الكرخ وما حدث في الكرخ على اثرها، وكيف كانت تلك الأفعال تحظى بمساندة الجند الأتراك بنحو ما مرت الإشارة له[٦٦]. وكما هو تصرفه في ما سبق من الفتن لم يحاول الشيخ المرتضى تصعيد الموقف، ومثلما لم يكن يحاول رد الإساءة بمثلها فيما سبق من فتن فإنه لم يعر اهتماماً يذكر لهجوم مفتعلي هذه الفتنة على داره ومهاجمته مع عائلته ، ومن ثم نهب وحرق دور أتباعه في الكرخ ومحالهم في الأسواق وقتل عدد منهم[٦٧].

إذن في الوقت الذي نجد الخلافة العباسية ساكتة دون حراك أمام التجاوزات التي يقوم بها المتشددين، بمساعدة الأتراك[٦٨]، ويصل بهم الأمر إلى مهاجمة دار **الشريف المرتضى** نفسه وترويع عائلته وإحراق بعض ممتلكاته، لا نجده يلجأ لتحريض أتباعه أو الإسهام في هذه الفتنة، أو اللجوء للسلطة البويهية اعتماداً على التقارب المذهبي، على الرغم من انزعاجه الشديد من تلك الفتنة وتأثره بما نجم عنها، وهو ما دفع جيرانه من الأتراك للدفاع عنه، وربما اشترك معهم بعض اليهود، فكان أن شملهم هجوم المتشددين، فأحرقوا ممتلكاتهم. ولو لم ير أولئك الأتراك واليهود مقدار الظلم والحيف الذي وقع على **الشريف المرتضى**، ولو لم يرو منه من طيب الخلق والمعاشرة الحسنة لما تطوعوا للدفاع عنه.

وهنا لابد من الالتفات أنه في كل هذه الفتن، لم يكن الشريف المرتضى يتصرف بهذا الشكل من منطلق موقف الضعف!، وإلا فهو يملك ما يملك من الهيبة ونفوذ الكلمة في الأوساط السياسية والشعبية حينها ولذا كان يطلب منه التدخل لإخماد تلك الفتن. ولعل مما يشير إلى ما كان يتمتع به مكانة سياسية أنه كان يُدعى من قبل الخليفة أو من قبل الحاكم البويهي لحضور المناسبات السياسية الهامة كالبيعة لخليفة جديد أو لتولية حاكم أو والي معين أو لاستقبال وفد سياسي على مستو عال أو للتشاور في بعض القضايا السياسية والاجتماعية، وكان هذا الحضور مما يعتد به[٦٩]. وكان من علو شأنه ونفوذه واحترامه أن كانت داره حرماً يلجأ إليها الحاكم البويهي ووزراءه عندما يثور عليهم الجند أو يقعون في فتنة مع رعاياهم[٧٠]. وهذا ما يدل على سعة النفوذ والهيبة والاحترام المهيمن في جميع الأوساط. وكان الملك بهاء الدولة البويهي أصدر كتاباً رسمياً بتلقيبه **بذي المجدين** اعترافاً منه بما كان للشريف المرتضى من مكانة مميزة ومقام كبير وهيبة في النفوس[٧١].

وقد أبان الشريف المرتضى في عدد من قصائده ما كان يحظى به من منزلة ووجاهة بين كبار المسؤولين في الدولة ورجال السياسة في عصره، وما كان له من سداد الرأي ونفاذ الكلمة، ودور في القضايا السياسية الكبيرة. ومنها القصيدة التي بين فيها التجاء السلطة له لتهدئة ثورة حدثت في البصرة آنذاك، وكان قال فيها:

ومُقامي من الخلائفِ في يـو ... م اجتماع الوفود خيرُ مقامِ
ما لغيري مثل الذي لي منهم ... من صنوف الإعظام والإكرامِ
لم يزالوا ولن يزالوا مُشيديـ ... ـن محلّي ومُجْزِلي أقسامي
ومهيبين بي وقد عنت الشّو ... رى إلى الرأي في الأمور الجسامِ
وإذا ما حكمتُ في الأمر سدّوا ... طُرُقاتِ الخروج عن أحكامي
وتخصصت بالملوك يلبو ... ن نِدائي ويسمعون كلامي
وإذا ما ذممتُ يوما عليهم ... في عظيم أمضوا هناك ذمامي
ومتى أعْضلت خُطوبٌ صِعابٌ ... أو وَهى للملوك سِلْكُ نظامِ
جعلوني دليلهم في ضلال ... مُوقَدٍ أو صباحَهمْ في ظلامِ
قد رأوا يوم هيجوا ملك البصـ ... ـرة كَفّي له عن الإقدامِ
بعد أن أزمع اللقاءُ وأهوى ... لاقتناصِ الطُّلى هَوِيَّ القَطامي
وتراءَت للناسِ شَنعاءُ صَما ... ءُ تجوبُ الدُّجى بغير خِطامِ
قلدوني إصلاحها ورموا بي ... طلبَ السلم في صعابِ المرامي
فتلافَيتُ دَرْأَها باعتدالي ... ودعمْتُ اعوجاجَها بدِعامي
وأَعَدْتُ الصَّفاءَ من بعدِ أنْ كا ... نَ مَسوقّاً من قبضةِ المُستامِ[٧٢].

وقال في ذات اللحاظ في موضع آخر:

من ذا يعاليني وقد ... ساندني الصخر الأصم
سقياً لفخر الملك من ... مغتفر ومنتقم
ومن أطاعت أمره ... عرب الفيافي والعجم[٧٣].

وهذه الأبيات ومثيلاتها لا تعلن فقط عن اعتزاز المرتضى بنفسه وافتخاره بنسبه، وبما رأى أنه متصف به من أصالة الرأي والهيبة والعزة وجلالة الشأن ونفاذ الكلمة في الوسط السياسي والاجتماعي، إنما تعبر أيضاً عما كان يراه في نفسه من أفضلية في سياسة البلاد وإدارة الدولة على من تولى شؤونها آنذاك. وهذا الاعتقاد بالتأكيد لا ينطلق من غرور أو ادعاء فارغ ودعوى باطلة، بل ينطلق من الحيثيات الواقعية لمكانته ودوره في تلافي كثير من الاشكالات والمعضلات السياسية فضلاً عن الفتن المذهبية مارة الذكر، ولذا كان دائماً ما يركز ويؤكد على أن الملوك و ومتولي إدارة شؤون الدولة كانوا إذا ما ألمت بهم الخطوب

واظلمت الدنيا في أعينهم لجأوا إليه، ليكون هو المسدد والمقوم لسياستهم، والمساهم في حفظ النظام وتهدئة الواقع المجتمعي المضطرب والثائر(٧٤). وإذا ما وضعنا هذه الإمكانية والحظوة السياسية والشعبية والقدرة على تحريك أو تهدئة المجتمع قبالة الفتن والاعتداءات المارة الذكر يتضح لنا المستوى العالي من الاتزان والتحلي بضبط النفس وكظم الغيظ عند الشريف المرتضى، وما مثله من دور بارز في تطويق تلك الفتن المذهبية والحد من آثارها وامتداداتها، فكان بحق انموذجاً للاعتدال في عصر الاختلاف.

المحور الثالث: الاعتدال في تراث الشريف المرتضى:

ترك الشريف المرتضى تراثاً أدبياً وفكرياً حافلاً، يشهد على ما كانت تتميز به تلك الشخصية من اعتدال مع خصومه، حتى في الوقت الذي لم يلتزم به أولئك الخصوم بمراعاة قواعد الانصاف في العلاقة والتعامل معه، بل وحتى في الوقت الذي يساء فيه إليه!. ففي الوقت الذي صرح به بعدم شرعية الخلافة والسلطة العباسية القائمة، إلا أنه راعى التعامل بالحسنى، والتعايش والتعامل الودي والسلمي الذي كان يفرضه الواقع السياسي والاجتماعي، وهو عندما كان يمدح الخليفة الفلاني أو الوزير الفلاني المختلف معه مذهبياً وعقائدياً فليس ذلك من باب الخضوع أو التملق لهذا الشخص أو ذاك وإنما هو من باب رد التحية بأحسن منها ومن باب التجاوب الودي والصادق مع الآخرين. وإلا فهو لم يداهن أو يتجنب التصريح بمتبنياته الفكرية والعقائدية، ومن أمثلة ذلك ما نجده في قصيدته التي نضمها بمناسبة عيد الغدير ومنها قوله:

و طارت بما نلناه أجنحة الورى ... وسارت به في الخافقين الركائبُ
وقال أناس هالهم ما رأوا لنا ... ألا هكذا تأتي الرجال المواهبُ
ظفرتم بما لم نحظ منه بنهلة ... ولذت لكأم دون الأنام المشاربُ
فلما مضى من كان أمّرنا لكم ... أَتتنا كما شاء العَقوقُ العجائبُ
فقل لأُناس فاخرونا ضلالةً ... وهم غرباءٌ من فخارٍ أجانبُ
متى كنتم أمثالنا ومتى استوت ... بنا وبكم في يوم فخرٍ مراتبُ
فلا تذكروا قربى الرسول لتدفعوا ... مُنازعكم يوماً فنحن الأقاربُ
ولو أَنَّنا لم نُنْهَ عنكُم أَتَتكُمُ ... سِراعاً بنا مقانبٌ وكتائبُ
فإن دُوَلٌ منكُم مشينَ تَبختُراً ... زماناً فقد تمشَّى الطُّلاَحُ اللواغِبُ(٧٥)
فلا تأمنوا من نام عنكم ضرورةً ... فمُقْعٍ إلى أن يُمكنَ الوثبَ واثبُ(٧٦).

إذن الشريف المرتضى يبين بوضوح تام، حراجة وخصوصية الواقع السياسي الذي كان يعيشه، وهو مع ذلك يخاطب العباسيين بهذه النبرة التي تدل على توجع المقتدر وكاظم الغيظ، على التجاوز الذي جرى عليه

وعلى أهل بيته، وسلبهم حقهم بالخلافة والسلطة التي لابد ستسترد في يوم من الأيام، ويعود الحق إلى أهله ونصابه. وهكذا هي جل قصائده التي تنضم في مناسبات مراثي أهل البيت أو الاحتفال بمناسباتهم.

ويتضح في تراث الشريف المرتضى دعوته لإعمال الفكر والعقل في تحصيل المعرفة، وترحيبه بالمنافسة والتحاور العلمي الهادف والانفتاح الفكري والثقافي الحر، وصولاً لتقليص مسافات الاختلافات العقائدية المؤدية للعداء وقطع التواصل بين المذاهب الإسلامية، وعلى الرغم من الخلافات العارضة حول المسائل الإجتهادية وما ينشأ حولها من نقاش أو جدل. وقد تجلت هذه الروحية المتزنة في الطرح، وسعة الصدر، ورحابة الفكر، ونبذ روح التعصب والعداء لأي طائف من الطوائف الإسلامية– مادام هناك اتفاق على الأصول– في رسائله المليئة بالردود والمناقشات الهادئة والهادفة في المواضيع الفقهية والعقائدية المطروحة، إذ كان يعالج الأمور بتعقل واتزان واضح، وموضوعية وتجرد كبير، وسلوك يغلب فيه العقل على العاطفة والانفعال في محاورة الخصم ومحاورة الطرف الآخر، وهذا يرجع بدرجة كبيرة إلى الانفتاح على هذا الآخر ومحاورته محاورة الصديق لا الخصم(٧٧).

وهو في رسائله تلك عادة ما يبدأ باستعراض اقوال الآخرين وأدلتهم ثم يناقشها، ويبين مفاصل الضعف فيها ومن ثم يدلي برأيه في المسألة دون تجريح للآخر أو طعن فيه أو تحامل عليه، فمثلاً نجده في معرض الحديث عن ظاهرة الخلاف والاختلاف بين أبناء المذاهب الإسلامية، يحدد الخطوط العريضة لاعتقاده ولمنهجه في المناقشة والرد بالقول:" **إن الله ربنا ومحمد نبينا والاسلام ديننا والقرآن إمامنا والكعبة قبلتنا والمسلمون إخواننا، والعترة الطاهرة من آل رسول الله(ص) وصحابته والتابعين لهم بإحسان سلفنا وقادتنا، والمتمسكون بهديهم من القرون بعدهم جماعتنا وأولياؤنا، نحب من أحب الله، ونبغض من أبغض الله، ونوالي من والى الله، ونعادي من عادى الله، ونقول فيما اختلف فيه أهل القبلة بأصول نشرحها ونبينها**"(٧٨). وقال في مقدمة كتابه **تنزيه الأنبياء**، الذي يناقش موضوعة كلامية عقائدية مهمة، تعد محل خلاف كبير بين مذهب أتباع أهل البيت(ع) والمعتزلة وباقي المذاهب الاخرى، أنه يبدأ" **بذكر الخلاف في هذا الباب، ثم بالدلالة على المذهب الصحيح من جملة ما يذكره من المذاهب، ثم بتأويل ما تعلق به المخالف من الآيات والأخبار التي اشتبه عليه وجهها، وظن أنها تقتضي وقوع كبيرة أو صغيرة من الأنبياء والأئمة**"(٧٩).أي أنه وفي أعقد المسائل وأهمها كان يناقش بهدوء تام، دون التجاوز على الآخر المختلف أو الطعن به أو تجريحه، صادراً بذلك عن المنهج العلمي الذي يُعمل أدوات العقل الحوار الجادة والأدلة العقلية المنطقية والفكر الحر الخالي من العقد والتراكمات. وهو ما دفع البعض للقول بأنه كان يتبنى مذهب الاعتزال أو أنه كان متأثراً بطريقة ومنهج المعتزلة في المحاورة والنقاش. وحقيقة الحال أنه في كتبه ورسائله يعارضهم معارضة علمية وفكرية صريحة، ويخالف مبانيهم الفقهية والعقائدية بشكل واضح(٨٠).

يمكن أن نلمس تلك الروح المعتدلة والهادئة في الطرح الفكري من خلال ردوده على زعيم المعتزلة الأبرز القاضي **عبد الجبار الأسدآبادي**(ت٤١٥هـ)(٨١)في كتابه(**الشافي في الإمامة**) مقابل التشدد الواضح

في طرح القاضي على الرغم من أنه من المعتزلة المعروفين بإعمال المنهج العقلي في الاستدلال والطرح. وكان القاضي **عبد الجبار** قال في كتابه(**المغني في أبواب العدل والتوحيد**) في الجزء المخصص لمناقشة موضوعة **الإمامة** ما نصه:"**إعلم إن من غلا في الإمامة رجلان: أحدهما جعل لها حكم الإله وهم الغلاة، وفيهم المفوضة الذين قالوا في الأئمة إنهم يخلقون ويثيبون ويرزقون ويعاقبون، وإنه فوض إليهم هذه الأمور التي إذا قاموا بها شاركوا القديم تعالى في أسمائه وما يستحقه من عباده. وقال بعضهم: بل هم الإله، لأنه يظهر بهم ويحتجب فيهم، وربما شاركوا النصارى في لفظ الاتحاد، وفي علتهم وطريقتهم. وفيهم من يعم بذلك كل الأئمة، وفيهم من يخص البعض، وفيهم من يسوي بينهم وبين الأنبياء، وفيهم من يخص، وفيهم من يتعدى الانتقال، من يجعله بابا للإمام وفيهم من لا يتعدى ذلك. وجملة أمرهم أنهم لما غلوا بالإمامة، وانتهوا بها إلى ما ليس لها من العدد، ذهبوا من الخطأ كل مذهب، ومن هذه الفرق نتجت الثنوية في جملة من أظهر الملة، وأصحاب التناسخ والباطنية لأنهم جعلوا الإمام باطناً وظاهراً، جعلوه طريقة في القرآن وغيره. وأهل الإباحة من الخرمية وغيرهم يدخلون في هذه الفرقة. والأصل فيهم الإلحاد لكنهم يستترون بهذه المذاهب...،فأما الثاني من الغلاة في هذا الباب، فإنهم نزلوا على هذه الطريقة، لكنهم انتهوا بالإمام إلى صفة النبوة، وربما زادوا ونقصوا، وهم الذين يوجبون الحاجة إلى الأئمة، من حيث لا يتم التكليف ولا حال المكلفين إلا بهم**[٨٢].

فكان رد الشريف المرتضى في كتابه(**الشافي في الإمامة**)أن قال إن هذا:"**سباب وتشنيع على المذهب بما لا يرتضيه أهله من قول الشذاذ منهم، ومن أراد أن يقابل هذه الطريقة المذمومة بمثلها، واستحسن ذلك لنفسه فلينظر في كتب ابن الراوندي**[٨٣]**في فضائح المعتزلة، فإنه يشرف منها على ما يجد به على الخصوم فضلا كثيرا لو أمسكوا معه عن تعيير خصومهم لكان أستر لهم، وأعود عليهم، وقل ما يسلك هذه الطريقة ذو الفضل والتحصيل**"[٨٤].والمرتضى هنا لا يلتزم الدفاع عن غلاة أتباع أهل البيت(ع)، وإنما يرفض من القاضي **عبد الجبار** طريقته المذمومة في الحكم، و يطالبه بأن يبتعد عن السباب والتشنيع والتعميم في الوصف، لأنها طريقة لا يسلكها ذو الفضل والتحصيل. فلو اتبعت هذه الطريقة المذمومة في الاحتجاج والتجريح في الاستدلال، لوجد في مذهب المعتزلة من الفضائح والأخطاء ما يُسكت القاضي ويرد عليه الحجج بحجج أقوى وأكثر منها[٨٥]. ومن الجدير بالذكر هنا، أن الشريف المرتضى كانت له علاقة مع القاضي **عبد الجبار** المعتزلي[٨٦]. وبسبب ذلك وبسبب منهجه العقلي في المناقشة والاستدلال ادعى البعض أنه من المعتزلة[٨٧].

ويلحظ ذلك الاعتدال في كتابه **الإنتصار**، الذي يبدو أنه حاول فيه مد الجسور والتقريب بين المذاهب الإسلامية،من خلال نفي التهم الموجهة لمذهب أتباع أهل البيت(ع)، والشبهات والتشنيع عليه من قبل الجهلاء والمتجاهلين، عبر الإقناع والتحرك في محيط المسلمات والمتبنيات المتشابهة بين المذاهب الإسلامية المختلفة، فنجده ينص على أنه سيبين في هذا الكتاب:" **المسائل الفقهية التي شُنع بها على**

مذهب أتباع أهل البيت(ع) ، وادعي عليهم مخالفة الإجماع، وأكثرها موافق فيه غيرهم من العلماء والفقهاء المتقدمين أو المتأخرين وما ليس لهم فيه موافق من غيرهم فعليه من الأدلة الواضحة والحجج اللائحة ما يغني عن وفاق الموافق، ولا يوحش معه خلاف المخالف"(٨٨).

ونص على اعتماده على الحجة والبرهان والدليل المقنع، وعدم الالتفات إلى الأقاويل والأهواء والعصبيات، والكلام غير المستند للأدلة المقنعة والحجج الراجحة فقال:" **أن الشناعة إنما تجب في المذهب الذي لا دليل عليه يعضده ولاحجة لقائله فيه؛ فإن الباطل هو العاري من الحجج و البينات، البري من الدلالات، فأما ما عليه دليل يعضده وحجة تعمده فهو الحق اليقين، ولا يضره الخلاف فيه، وقلة عدد القائل به، كما لا ينفع في الأول الاتفاق عليه، وكثرة عدد الذاهب إليه، وإنما يسأل الذاهب إلى مذهب عن دلالته على صحته، وحجته القائدة له إليه، لا عمن يوافقه فيه أو يخالفه**"(٨٩).

وهكذا هو **الشريف المرتضى** تجده في جميع جنبات تراثه الفكري، معتدلاً في طروحاته، متزناً في آرائه، لا ينتقص من طروحات الغير وآرائهم، بل يوردها ويناقشها، ويبين اتفاقه معها في بعض الحالات، ومخالفته لها في حالات أخرى، اعتماداً على تبيان الحجج والأدلة التي تشير لتوهم أو اشتباه الآخرين في هذه الآراء والطروحات. ولم يقتصر حضور هذا التعامل على تراثه العقائدي أو الديني، وإنما شمل أيضاً تراثه الأدبي سيما في كتبه: **شرح القصيدة المذهبة** و**الشهاب في الشيب والشباب وطيف الخيال**(٩٠).

ونتيجة لهذا الاتزان والاعتدال والروح العلمية المتوقدة والموضوعية، نجد عدداً كبيراً من الأدباء والعلماء المعاصرين واللاحقين للشريف المرتضى يذكرونه بأجل عبارات المدح والإطراء، إذ قال فيه **الثعالبي**(ت٤٢٩هـ):"**أنه أبدع أبناء الزمان، وأنجب سادة العراق، يتحلى مع محتده الشريف، ومفخره المنيف، بأدب ظاهر وفضل باهر، وحظ من جميع المحاسن وافر. ثم هو أشعر الطالبين من مضى منهم ومن غبر على كثرة شعرائهم المفلقين، ولو قلت انه أشعر قريش لم أبعد عن الصدق**"(٩١). وقال **ابن أبي الطيب الباخرزي**(ت٤٦٧هـ):"**هو وأخوه في دوح السيادة ثمران، وفي فلك الرياسة قمران، وأدب الرضي إذا قرن بعلم المرتضى، كان كالفرند(الذهب)في متن الصارم المنتضى**"(٩٢).وقال **ابن بسام الشنتريني**(ت٥٤٢هـ):"**إمام أئمة أهل العراق بين الاختلاف والإتفاق ، إليه فزع علماؤها، وعنه أخذ عظماؤها، صاحب مدارسها، وجماع شاردها وآنسها، ممن سارت أخباره، وعرفت به أشعاره، وحمدت في ذات الله مآثره وآثاره، إلى تواليفه في الدين، و تصانيفه في أحكام المسلمين، بما يشهد أنه فرع تلك الأصول، ومن أهل ذلك البيت الجليل**"(٩٣). وقال **ياقوت الحموي**(ت٦٢٦هـ)أنه:"**مشهور بالعلم، معروف بالفهم. توحد في علوم كثيرة، مجمع على فضله، مقدم في العلوم، كعلم الكلام والفقه والأصول والأدب والنحو والشعر واللغة وغير ذلك**(٩٤). وعلى الرغم من أن **ابن حجر العسقلاني** أساء للشريف المرتضى في ترجمته، **واتهمه نقلاً عن ابن حزم بأنه من كبار المعتزلة، ونعته بالرافضي، وأنه هو من وضع نهج البلاغة لما فيه من سب الصحابة، والحط من منزلة أبي بكر وعمر، وما فيه من التناقض والركاكة..**، إلا

إن **ابن حجر** اعترف **بمشاركته القوية في العلوم، وأنه أول من جعل داره داراً للعلم وقدرها للمناظرة، وأنه حصل على رياسة الدنيا في العلم مع العمل الكثير والمواظبة على تلاوة القرآن وقيام الليل وإفادة العلم، وأنه كان لا يؤثر على العلم شيئا مع البلاغة وفصاحة اللهجة**[٩٥].

نتائج البحث :

١/كانت شخصية الشريف المرتضى مثالاً للوسطية التي أرساها أئمة أهل البيت(ع)في الانفتاح على الآخر المختلف، والتعامل معه بأريحية واحترام ومودة بعيداً عن الاستفزاز والطعن والانتقاص، أو القدح المؤدي إلى النزاع والقطيعة. وقد اسهمت البيئة الأسرية التي نشأ فيها فضلاً عما اكتسبه من اساتذته ومعلميه في بناء شخصيته المتميزة وتعميق مساحة الاعتدال في وعيه ثقافته. وقد مر البحث على عدد من الأمثلة والعينات التطبيقية التي تثبت ذلك. وقد استمر حضور هذه الروحية في متبنيات التعامل مع الآخر من قبل علماء وفقهاء الشيعة في مجمل الميادين الفكرية على امتداد المساحة الزمنية وصولاً للوقت الراهن.

٢/ كان الشريف المرتضى يصدر في تعاملاته تلك من موقع المقتدر المتمكن لا من موقع المغلوب على أمره أو الضعيف وفاقد القدرة. ودليل ذلك أنه لم يلجأ للاستقواء بالسلطة البويهية في دعم طائفته تجاه الآخر المختلف على الرغم من قدرته على ذلك وسهولة تحقيقه. ومع ما أبداه الآخر من استقواء بسلطة الخليفة تارة أو قوة الجند الاتراك تارة أخرى، كان موقف المرتضى ثابتاً ولم يحاول تأزيم المواقف والاستفادة من التوافق المذهبي بينه وبين السلطة البويهية، أو توسيع هوة الخلاف والنزاع عبر تثوير أبناء طائفته ودفعهم لمقابلة الإساءة بمثلها، أو الاتيان بفعل مضاد انتصاراً لسمعته ومكانته الدينية والدنيوية، وإنما كان على الدوام عنصراً فاعلاً في احتواء الأزمات وتطويقها، وعدم الزج بأبناء الطوائف والمذاهب الإسلامية للتناحر فيما بينهم، على الرغم من أن حوادث الفتن قد سجلت تعدياً صريحاً مسنوداً بسلطة مؤسسة الخلافة أو من يرتبط بها، عبر منع الشعائر الخاصة بمذهب أتباع أهل البيت(ع) تارة وغلق مسجد براثا وفرض الخطيب الذي يمثل توجه السلطة وتعيين نوعية الخطبة التي تلقى في المسجد تارة أخرى. أو عبر غيرها من الأسباب المفتعلة. وكان التزام الشريف المرتضى بهذه الطريقة من التعاطي والتعامل الهادئ صادراً عن حرصه البالغ في منع المزيد من حالة التشرذم التي تأكل الجسد الإسلامي بشكل عام.

٣/ حفل منجز الشريف المرتضى، وفي شتى الميادين التي طرقها بمزيد من سلوك وروح الاعتدال والانفتاح على الآخر عبر الحوار الهادئ والهادف فقرن القول بالفعل. وهو مع ذلك لم يتوانى عن التعبير عن معتقداته واستحقاق أهل البيت المسلوب في الخلافة، وعن أهليته هو شخصياً لإدارة

شؤون السياسة في الدولة، وقد بدا ذلك جلياً في قصائده التي كان ينظمها في المناسبات الدينية أو المواقف السياسية والاجتماعية.

الهوامش:

(١) بدأت الدعوة لها عام ٢٨٨هـ، وقامت عام ٢٩٦- ٢٩٧هـ.المقريزي:اتعاظ الحنفا،١/٥٥-٦٦.

(٢) عن إسلام بلاد الديلم وتشيع البويهيين ينظر.وفاء محمد علي: الخلافة العباسية في عهد تسلط البويهيين، ١٢- ١٦.

(٣) للتفاصيل عن أصلهم وتكون دولتهم ينظر. ابن مسكويه: تجارب الأمم،٥/١٥٧-١٦٨،١٦٢-١٧٤، ١٨٢-١٨٣،١٩٨-٢٠٣،٢٥٣-٢٦٣،٢٦٨-٢٧٦؛ابن الجوزي:المنتظم،١٤/٤٢؛ابن الأثير:الكامل،٨/ ٢٦٤-٢٨٦،٣٢٤-٣٢٦،٣٤٠-٣٤٣،٣٥٩-٣٦٣،٣٦٩-٤١٢،٤٤٤- ٤٥٠؛ابن الطقطقا:الفخري،٢٧٧- ٢٨٠. وعن مجمل أحوالهم منذ نشأتهم حتى سقوط دولتهم ينظر كتاب: الخلافة العباسية في عهد تسلط البويهيين. للمؤلف: وفاء محمد علي.

(٤) تنظر وفاء: الخلافة العباسية،١٦-٣٦.

(٥) ابن الأثير:الكامل،٨/٤٥٠.

(٦) عن أصلهم وتكون دولتهم ينظر الحسيني: صدر الدين أبو الحسن علي:أخبار الدولة السلجوقية،١- ٢٢؛ ابن الأثير:الكامل،٩/٣٧٧- ٣٩١، ٤٧٣- ٤٨٩، ٤٩٥- ٥١٢، ٥٠٤- ٦١١؛ابن كثير:البداية والنهاية، ١٢/٦٠- ٦١، ٦٨، ١١١- ١١٢؛١٢/١٨٩-١٩٠.

(٧) خير من تحدث عن ذلك. داعي الدعاة الفاطمي هبة الله المؤيد الشيرازي في كتابه: سيرة المؤيد في الدين داعي الدعاة. وهو معاصر للسيد المرتضى.

(٨) ابن الأثير:الكامل،٨/٤٥٢- ٤٥٣. بتصرف بسيط.

(٩) الذهبي: دول الإسلام،١٨٨.

(١٠) الفخري في الآداب السلطانية،٢٨٨-٢٨٩.

(١١) المختصر في أخبار البشر،٢/٩٤.

(١٢) ابن الأثير:الكامل في التاريخ،٨/٥٤٩.

(١٣) وهي منطقة قريبة من نهر الدجيل. وهناك حدثت الحرب بين عبد الملك بن مروان ومصعب بن الزبير في سنة(٧٢هـ)فقتل مصعب ، ودفن هناك وقبره هناك معروف. وقد رثاه عبيد الله بن قيس الرقيات فقال:

إن الرزيــة يــوم مسكن * والمصيبة والفجيعة
يا بن الحــواري الـــذي * لم يعده يوم الوقيعة
غدرت به مضر العراق * فأمكنت منه ربــيعة.

ياقوت الحموي: معجم البلدان،٥/١٢٧.

(١٤) ابن الجوزي:المنتظم،١٤/١٥.

(١٥) تنظر ترجمته عند: عبد الرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين،٥٤٤.

(١٦) تنظر مقدمة المترجم،١٢/١. وقد تحدث المؤلف نفسه عن مميزات هذا العصر في الفصل الأول الذي جاء بعنوان المملكة الإسلامية،١٩/١ وما بعدها.

(١٧) ٢٥٧/٢- ٢٥٩.

(١٨) يتيمة الدهر،٢٦٠/٢.

(١٩) يتيمة الدهر،٢٦١/٢- ٢٦٤.

(٢٠) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري،٥٣/١- ٦٧.

(٢١) عن شخصيته العلمية والأدبية وتراثه الفكري ينظر.الثعالبي: يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر،١٨٣/٣- ٢١٣.

(٢٢) عن شخصيته العلمية والأدبية وتراثه الفكري ينظر.الثعالبي: يتيمة الدهر،٢٢٥/٣- ٢١٣-٣٣٧.

(٢٣) أحمد المعتوق:الشريف المرتضى،١٨.

(٢٤) عنه ينظر. الثعالبي:يتيمة الدهر،١٤٥/٣- ١٥٣؛ ابن خلكان:وفيات الأعيان،٣٥٤/٢- ٣٥٦.

(٢٥) ابن الجوزي:المنتظم،٣٦٦/١٤.

(٢٦) ابن عنبة:عمدة الطالب،٢٠٢- ٢٠٧؛الخوانساري: روضات الجنات،٢٨٤/٤.

(٢٧) ابن عنبة:عمدة الطالب،٢٠٥؛الخوانساري:روضات الجنات،٢٨٤/٤.

(٢٨) الخوانساري: روضات الجنات،٢٨٥/٤ .

(٢٩) يتيمة الدهر،٤٤٧/٢.

(٣٠) ابن أبي الحديد:شرح نهج البلاغة،٢٨٥/١٥- ٢٨٦.

(٣١) ابن الجوزي:المنتظم،٧١/١٥- ٧٢؛ابن عنبة: عمدة الطالب،٢٠٣- ٢٠٤.

(٣٢) ابن تغري بردي:النجوم الزاهرة،٢٢٤/٤.

(٣٣) ابن الجوزي:المنتظم،٣٤٤/١٤.

(٣٤) يتيمة الدهر،١٥٥/٣.

(٣٥) ابن الجوزي:المنتظم،١١٤/١٥- ١١٩.

(٣٦) ابن خلكان: وفيات الأعيان،٤١٥/٤؛اليافعي: مرآة الجنان،١٥/٣.

(٣٧) ابن الجوزي:المنتظم،١١١/١٥- ١١٢.

(٣٨) الماوردي: الأحكام السلطانية،١٣٩وما بعدها.

(٣٩) الماوردي: الأحكام السلطانية،١٠٢.

(٤٠) الماوردي: الأحكام السلطانية،١٢٦.

(٤١) ابن الجوزي:المنتظم،٢١٧/١٥.

(٤٢) ابن الجوزي:المنتظم،٢٢٦/١٥.

(٤٣) ابن الجوزي:المنتظم،١٥/٢٣٤- ٢٣٥.

(٤٤) لسان الميزان،٤/٢٢٣.

(٤٥) المعتوق:الشريف المرتضى،٥٥.

(٤٦) المعتوق:الشريف المرتضى،٣٥- ٣٦.

(٤٧) آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري،١/ ١٣٣-١٣٤. بتصرف طفيف.

(٤٨) ابن الأثير:الكامل في التاريخ،٨/٦١٨-٦١٩.

(٤٩) ابن الأثير:الكامل في التاريخ،٨/٦٣٢.

(٥٠) ابن الجوزي:المنتظم،١٤/٣٥٦؛الذهبي: تاريخ الإسلام،٢٧/٩.

(٥١) ابن الجوزي:المنتظم،١٥/٥٨- ٥٩؛الذهبي:تاريخ الإسلام،٢٧/٢٣٧- ٢٣٨.

(٥٢) ابن الجوزي:المنتظم،١٥/١١١؛ابن الأثير:الكامل في التاريخ،٩/٢٦٣.

(٥٣) ابن الجوزي:المنتظم،١٥/١٢٥، ١٦٧.

(٥٤) ابن الأثير:الكامل في التاريخ،٩/٣٣٦.

(٥٥) ابن الجوزي:المنتظم،١٥/١٩٧- ٢٠١؛ابن الأثير:الكامل في التاريخ،٩/٣٣٦.

(٥٦) ابن الجوزي:المنتظم،١٥/٢٠٤.

(٥٧) ابن الجوزي:المنتظم،١٥/٢٠٨.

(٥٨) ابن الجوزي:المنتظم،١٥/٢١٣- ٢١٤.

(٥٩) ابن الجوزي:المنتظم،١٥/٢١٦.

(٦٠) آدم متز:الحضارة الإسلامية،١/١٤٠.

(٦١) ابن الجوزي:المنتظم،١٥/١١١.

(٦٢) ابن الجوزي:المنتظم،١٥/١٥٧.

(٦٣) ابن الجوزي:المنتظم،١٥/١٢٥- ١٢٦.

(٦٤) ابن الجوزي:المنتظم،١٥/١٩٧- ٢٠١؛ابن الأثير:الكامل في التاريخ،٩/٣٣٦.

(٦٥) ابن الجوزي:المنتظم،١٥/٢٠٤.

(٦٦) ابن الجوزي:المنتظم،١٥/٢١٣- ٢١٤.

(٦٧) ابن الجوزي:المنتظم،١٥/٢١٣- ٢١٤.

(٦٨) ابن الجوزي:المنتظم،١٥/٢٠٨.

(٦٩) ينظر ابن الجوزي: المنتظم،١٥/٢٢٦-٢٢٧، ٢٤١، ٢٥٣-٢٥٤.

(٧٠) ينظر ابن الجوزي: المنتظم،١٥/٢٣٤-٢٣٦.

(٧١) المعتوق: الشريف المرتضى،٣٩.

(٧٢) ديوان الشريف المرتضى، ٣/٣٥٨-٣٦٠.

(٧٣) ديوان الشريف المرتضى، ٢١١/٣.

(٧٤) المعتوق: الشريف المرتضى،٤٠-٤١.

(٧٥) الطلاح مفردها الطلح وهو البعير الهزيل، واللواغب مفردها اللاغب وهو المتعب. والمعنى: فلا تمشوا في الأرض متبخترين فرحاً، فالبعير الهزيل يستطيع المشي مع تعبه. ديوان الشريف المرتضى،٨٢/١.

(٧٦) ديوان الشريف المرتضى، ٨٠/١- ٨٣. والمقعي هو الجالس على مؤخرته مع نصب الفخذين تحفزاً وتهيؤاً للوثب. ديوان الشريف المرتضى،٨٣/١.

(٧٧) المعتوق:الشريف المرتضى،٥١- ٥٢.

(٧٨) رسائل المرتضى،١٨٧/٢.

(٧٩) تنزيه الأنبياء،١٥.

(٨٠) ينظر. المعتوق: الشريف المرتضى،٥٢-٥٥.

(٨١) عنه ينظر ابن المرتضى: طبقات المعتزلة،١١٢- ١١٣.

(٨٢) المغني في أبواب العدل والتوحيد،١٣/٢٠- ١٤ .

(٨٣) أحمد بن يحيى بن إسحاق، عرف بالإلحاد والزندقة. وكان من الشخصيات المعروفة بعلم الكلام في عصره، وله من الكتب المصنفة نحو ١١٤ كتابا، منها كتاب **فضيحة المعتزلة**. ابن كثير:البداية والنهاية ٣٨٢/١٠.وللاستزادة ينظر ابن الجوزي:المنتظم،١٠٨/١٣- ١١٧.

(٨٤) الشافي في الإمامة،٣٨/١.

(٨٥) المعتوق:الشريف المرتضى،٥٣- ٥٤.

(٨٦) المعتوق: الشريف المرتضى،٥٠.

(٨٧) ابن حجر: لسان الميزان، ٢٢٣/٤.

(٨٨) الانتصار،٧٥.

(٨٩) الانتصار،٧٦.

(٩٠) ينظر. المعتوق: الشريف المرتضى،٩٢- ١٠٦، ١٨٠-٣٤٠. فقد ذكر أمثلة عديدة للتعامل بتلك المنهجية في تراثه الأدبي النقدي.

(٩١) يتيمة الدهر،١٥٥/٣.

(٩٢) دمية القصر،٢٩٩.

(٩٣) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة،٤٦٥/٤- ٤٦٦.

(٩٤) معجم الأدباء،٣٢٨/٤.وينظر: السيوطي:بغية الوعاة،١٦٢/٢.

(٩٥) لسان الميزان،٢٢٣/٤. بتصرف بسيط.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً- المصادر الأولية:

- ابن الأثير: عز الدين أبى الحسن علي بن أبي الكرم. ت(٦٣٠هـ/١٢٣٢م).

١/ الكامل في التاريخ(دار صادر: بيروت-لبنان ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م).

- ابن بسام: أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني(ت٥٤٢هـ/١١٤٥م).

٢/ الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة. تحقيق: إحسان عباس(ط١،دار الثقافة: بيروت-لبنان١٤١٧هـ/١٩٩٧م).

- ابن تغري بردي: جمال الدين أبو المحاسن يوسف. ت(٨٧٤هـ/١٤٦٩م).

٣/النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. تقديم وتعليق: محمد حسين شمس الدين(ط١،دار الكتب العلمية: بيروت- لبنان ١٤١٣هـ/١٩٩٢م).

- الثعالبي: أبو منصور عبد الملك النيسابوري(ت٤٢٩هـ/١٠٣٧م).

٤/ يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر. شرح وتحقيق: مفيد محمد قميحة(ط١،دار لكتب العلمية: بيروت- لبنان١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).

- ابن الجوزي: ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد(ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م).

٥/ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم. دراسة وتحقيق: محمد ومصطفى عبد القادر عطا، مراجعة: نعيم زرزور.(ط١،دار الكتب العلمية : بيروت-لبنان ١٤١٢هـ/١٩٩٢م).

- ابن حجر: أحمد بن علي العسقلاني. ت(٨٥٢هـ/١٤٤٨م).

٦/ لسان الميزان(ط٢،مؤسسة الأعلمي للمطبوعات: بيروت- لبنان ١٣٩٠هـ/١٩٧١م).

-ابن أبي الحديد، عز الدين ابو حامد بن هبة الله محمد. ت(٦٥٦هـ/١٢٥٨م).

٧/ شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم(ط١،دار احياء الكتب العربية: القاهرة- مصر ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٩م).

-ابن خلكان: أبو العباس أحمد بن محمد بن ابراهيم. ت(٦٨١هـ/١٢٨٢م).

٨/ وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس(دار الثقافة: بيروت-لبنان د.ت).

-الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان. ت(٧٤٨هـ/١٣٤٧م).

٩/تاريخ الإسلام. تح: عمر عبد السلام تدمرى(ط١،دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).

١٠/ دول الإسلام.(ط١،مؤسسة الأعلمي: بيروت- لبنان١٤٠٥هـ/١٩٨٥م).

-السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر محمد. ت(٩١١هـ/١٥٠٥م).

١١/ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة. تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم(ط١،المكتبة العصرية: بيروت–لبنان١٩٦٤م).

- الشريف المرتضى: أبو القاسم علي بن الحسين بن موسى. ت(٤٣٦هـ/١٠٤٤م).

١٢/ ديوان الشريف المرتضى. شرح:محمد التونجي(ط١،دار الجيل:بيروت–لبنان ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م).

١٣/ رسائل المرتضى. تقديم وإشراف:أحمد الحسيني(دار القرآن الكريم: قم– إيران ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م).

- ابن الطقطقي: محمد بن علي بن طباطبا(٧٠٩هـ/١٣٠٨م).

١٤/ الفخري في الآداب السلطانية(ط١، دار صادر: بيروت– لبنان١٩٠٠م).

- ابن عنبة: جمال الدين أحمد بن علي الحسيني(ت٨٢٨هـ/١٤٢٤م).

١٥/عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب. تحقيق وتصحيح: محمد حسن آل الطالقاني(ط٢، المطبعة الحيدرية: النجف الأشرف ١٣٨٠هـ/١٩٦١م).

- أبو الفدا: عماد الدين إسماعيل بن علي صاحب حماة. ت(٧٣٢هـ/١٣٣١م).

١٦/ المختصر في أخبار البشر: تاريخ أبي الفداء(ط١،المطبعة الحسينية المصرية: مصر ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م).

–القاضي عبد الجبار: أبو الحسن الأسدآبادي(ت٤١٥هـ/١٠٢٣م).

١٧/المغني في أبواب التوحيد والعدل.تحقيق: محمود محمد قاسم(ط١، مصر١٩٥٨م).

–ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل الدمشقي. ت(٧٧٤هـ/١٣٧٢م).

١٨/ البداية والنهاية في التاريخ. تح: علي شيري(ط١،دار إحياء التراث العربي: بيروت– لبنان ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م).

–الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب(ت٤٥٠هـ/١٠٥٠م).

١٩/ الأحكام السلطانية والولايات الدينية(ط٢،دار التعاون: مكة المكرمة– المملكة السعودية ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م).

–ابن المرتضى: أحمد بن يحيى بن المرتضى الزيدي(ت٨٤٠هـ/١٤٣٧م).

٢٠/طبقات المعتزلة. تحقيق ونشر: مؤسسة ديفلد فلرز(ط٣، بيروت– لبنان١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).

–مسكويه: أبو علي الرازي(ت٤٢١هـ/١٠٢٩م).

٢١/ تجارب الأمم.تحقيق: قاسم إمامي(ط٢، دار سروش: طهران– ايران١٤٢٢هـ/٢٠٠١م).

–المقريزي: تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد. ت(٨٤٥هـ/١٤٤١م).

٢٢/ اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا. تح: جمال الدين الشيال(ط٢،المجلس الأعلى للشئون الإسلامية: لجنة إحياء التراث الإسلامي: القاهرة- مصر ١٤١٦هـ/١٩٩٦م).

-المؤيد في الدين: هبة الله بن موسى الشيرازي(ت٤٧٠هـ/١٠٧٨م)

٢٣/ سيرة المؤيد في الدين داعي الدعاة- السيرة المؤيدية. تقديم وتحقيق: محمد كامل حسين (ط١،دار الكتاب المصري: القاهرة- مصر ١٩٤٩م).

-اليافعي: أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان. ت(٧٦٨هـ/١٣٦٦م).

٢٤/ مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان. وضع حواشيه: خليل المنصور(ط١،دار الكتب العلمية: بيروت- لبنان ١٤١٧هـ/١٩٩٧م).

-ياقوت الحموي: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله. ت(٦٢٦هـ/١٢٢٨م).

٢٥/معجم الأدباء:إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب. تح:إحسان عباس(ط١،دار الغرب الإسلامي: بيروت- لبنان ١٤١٤هـ/١٩٩٣م).

٢٩/ معجم البلدان(دار إحياء التراث العربي: بيروت- لبنان ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م).

المصادر الثانوية:

- آدم متز.

٣٠/ الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الميلادي- عصر النهضة في الإسلام. ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريدة(ط٥، دار الكتاب العربي: بيروت- لبنان١٩٦٧م).

-بدوي: عبد الرحمن.

٣١/ موسوعة المستشرقين(ط٣، دار العلم للملايين: بيروت- لبنان١٩٩٢م).

- الخوانساري: ميرزا محمد باقر الموسوي.

٣٢/روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات(ط١، الدار الإسلامية: بيروت- لبنان ١٤١١هـ/١٩٩١م).

- وفاء محمد علي.

٣٣/الخلافة العباسية في عهد تسلط البويهيين(ط١،دار المكتب الجامعي الحديث: الاسكندرية- مصر ١٤١١هـ/١٩٩٠م).

-المعتوق: أحمد محمد.

٣٤/الشريف المرتضى:حياته، ثقافته، أدبه ونقده(ط١، المؤسسة العربية للنشر والدراسات: بيروت - لبنان٢٠٠٨م).

أبعاد الحرية الفكرية لكرامة الإنسان
عند أئمة أهل البيت (عليهم السلام)

م.م.حيدر جميل رشيد
أ.د. فاضل جابر ضاحي

أبعاد الحرية الفكرية لكرامة الإنسان عند أئمة أهل البيت (عليهم السلام)

م.م.حيدر جميل رشيد

أ.د. فاضل جابر ضاحي

Abstract

There is no doubt that society is the surrounding milieu of whole human, religious, political and cultural activities and operations. However, Islamic Sharia has given great importance to protect this milieu from any negative impact that would have its effect on whole human activities and operations. The protection has represented by unforfeit his rights into its free will for life style that allows man to practice his social rights without compulsion or coercion and to live under the social system allows a man to be a affective factor in society, regardless his/her color, gender and religious doctrine, and nationality that s/he believes it. Therefore, the importance this field in one side out Iraqi society and Arab society in other side, so that our research entitled Dimensions of IdeologicalFreedom for Human Dignity upon Imams of Ahlulbayt (Alyhm Al-Salam)) to shed light on the thought and attitudes of Ahlulbayt's Imams (Alyhm Al-Salam) from freedom of thought in the light of preserving the human dignity of all mankind about difference their ideological adoptions and their diversity, their beliefs and their races.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وبعد٠

لا ريب إن المجتمع هو البيئة الحاضنة لجميع نشاطات وفعاليات الإنسان الدينية والسياسية والثقافية، لذلك أولت الشريعة الإسلامية أهمية كبيرة لحماية تلك البيئة من أي تأثير سلبي من شأنه أن ينصرف تأثيره على جميع نشاطات وفعاليات الإنسان، وقد تمثلت تلك الحماية في عدم مصادرة حقه في حرية اختياره لطريقة عيشه الأمر الذي يسمح للإنسان بممارسة حقوقه الاجتماعية من دون جبر أو أكراه والعيش في ظل نظام اجتماعي يسمح للإنسان بان يكون عنصراً فاعلاً في المجتمع بغض النظر عن جنسه ولونه وعقيدته الدينية التي يؤمن بها وقوميته التي ينتسب اليها، ولاهمية هذا الجانب في حياة مجتمعنا العراقي بشكل خاص ومجتمعنا العربي بشكل عام، لذلك جاء موضوع بحثنا الموسوم((**أبعاد الحرية الفكرية لكرامة الإنسان عند أئمة أهل البيت (عليهم السلام)**)) ليسلط الضوء على فكر ومواقف أئمة أهل البيت من حرية الفكر في ضوء حفظ الكرامة الإنسانية لجميع البشر على أختلاف متبنياتهم

الفكرية وتنوعهم عقائدهم واعراقهم، وقد أقتضت طبيعة المادة أن يقسم البحث الى ثلاثة مباحث، تضمن المبحث الأول موقف أئمة أهل البيت **((مع الموالي والعبيد))** أما المبحث الثاني فقد تضمن موقف أئمة أهل البيت **((مع أهل الذمة))** وجاء المبحث الثالث ليسلط الضوء على موقف أئمة أهل البيت **((مع عامة المسلمين))** سواء من كان يواليهم أو مع حتى من لا يعتقد بإمامتهم، فضلاً عن خاتمة أجملنا فيها أغلب النتائج التي توصل اليها البحث وقائمة بالمصادر والمراجع.

وختاماً نسأل الله سبحانه وتعالى إن يوفقنا في أداء هذا العمل المتواضع الذي لا ندعي فيه الكمال فالكمال لله سبحانه وتعالى وحده ولكتابه الكريم، والله ولي التوفيق.

المبحث الأول: مع الموالي والعبيد

امتاز منهج أهل البيت في التعامل مع الموالي والعبيد بالضد من سياسة التمييز العنصري والعرقي، وكان منهجهم يقوم على اساس المساواة والعدل بين الناس وكسر جميع القيود التي تصادر حرية الانسان ورفض كل اشكال التمييز والمفاضلة بين بني البشر، وقد مثل تلك النظرة الامام علي (ع) في وصيته لمالك الاشتر حينما ولاه على مصر، إذ وصف الناس بانهم صنفان **((إما أخ لك في الدين، وإما نظير لك في الخلق))**[١] فالناس وفق هذه النظرة يكونون متساوون في حق الحياة وحرية الممارسة لكامل حقوقهم الاجتماعية في الحد الذي لا يتعارض مع تعاليم الدين الاسلامي ولا يتعارض مع حريات الآخرين، لقد أكد اهل البيت على وحدة الخلق والحريات الاجتماعية لجميع البشر بصرف النظر عن اللون والعرق، وهم متساوون في الحقوق وقد ساوى الامام علي (ع) في توزيع العطاء بين الموالي والصليبة[٢] فروي ان بعض المسلمين العرب جاءوا يطالبون من الامام علي بتفضيلهم على الموالي باعتبارهم يمثلون طبقة اجتماعية اعلى من باقي الطبقات فرفض الامام تفضيلهم وصعد المنبر وخطب فيهم فقال:**((أيها الناس...من استقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا وآمن بنبينا وشهد شهادتنا ودخل في ديننا أجرينا عليه حكم القرآن وحدود الاسلام، ليس لأحد على أحد فضل إلا بالتقوى...))**[٣] ويبين الامام في ضوء هذا النص ان التمايز والتفضيل الطبقي مرفوض بكل صوره واشكاله وان المعيار الاساس هو التقوى، والذي اكد عليه القرآن الكريم، وقد ذكر بن ابي الحديد ان من اسباب تقاعد العرب عن أمير المؤمنين عليه السلام أمر المال، فإنه لم يكن يفضل شريفا على مشروف ولا عربيا على عجمي، ولا يصانع الرؤساء وأمراء القبائل، كما يصنع الملوك، ولا يستميل أحدا إلى نفسه. وكان معاوية بخلاف ذلك، فترك الناس علياً والتحقوا بمعاوية[٤] ان منهج الامام وسياسته كانت تقوم على اساس المساواة والعدل بين الناس حتى اذا توقف على ذلك مصلحة لتحقيق نصر سياسي آني، إذ روي إن طائفة من أصحاب الامام علي (ع) قالوا له :**((يا أمير المؤمنين أعط هذه الأموال وفضل هؤلاء الأشراف من العرب وقريش على الموالي والعجم ومن تخاف خلافه من الناس))**[٥] فقال لهم (ع) **((أتأمروني أن أطلب النصر بالجور؟ ! والله لا أفعل ما طلعت شمس وما لاح في السماء نجم، والله لو كان مالهم لي لواسيت بينهم فكيف**

وإنما هي أموالهم))[٦] ان عدالة الامام في توزيع العطاء تنبثق من خلال نظرته لتلك الحقوق، فهو يرى ان هذه الاموال هي حق من حقوق البشر وان وظيفته تنحصر في العدل بينهم في توزيعها، دون إن يكون له فضل على احد، وعلى الرغم من ان سياسة المساواة في توزيع العطاء قد تسببت باعتراض الكثير الا انه وقف بوجه تلك المطالبات وبين موقفه منها فروي **((إن امرأتين أتتا عليا – عليه السلام – عند القسمة إحداهما من العرب والأخرى من الموالي، فأعطى كل واحدة خمسة وعشرين درهما وكرا من طعام، فقالت العربية : يا أمير المؤمنين إني امرأة من العرب وهذه امرأة من العجم؟ ! فقال علي – عليه السلام – : [إني] والله لا أجد لبني إسماعيل في هذا الفيئ فضلا على بني إسحاق))**[٧] وهنا يبين الامام (ع) لا وجود لأي فرق بين الموالي والعرب في أي وجه من الاوجه، وبذلك نجد الامام يقف بالضد من كل النظريات والفلسفات العرقية التي تمجد بعض الاعراق على اعراق اخرى ٠

وقد اكد اهل البيت في تعاملهم بعدم التمييز بين مختلف الناس موالي كانوا ام عرب، وهذا ما كانت عليه مجالس الامام الصادق (ع) والتي كانت تحفل بمختلف الطوائف من دون تمييز لأي منهم، فروي عن أبي الربيع الشامي قال : **((دخلت على أبي عبد الله (عليه السلام) والبيت غاص بأهله فيه الخراساني والشامي ومن أهل الآفاق فلم أجد موضعا أقعد فيه فجلس أبو عبد الله (عليه السلام) وكان متكئا ثم قال : يا شيعة آل محمد اعلموا أنه ليس منا من لم يملك نفسه عند غضبه ومن لم يحسن صحبة من صحبه ومخالقة من خالقه ومرافقه من رافقه ومجاورة من جاوره وممالحة من مالحه، يا شيعة آل محمد اتقوا الله ما استطعتم ولا حول ولا قوة إلا بالله))**[٨] ولا شك ان هذه الوصية تشير إلى درس تربوي في مجال التعايش مع الآخر من دون فوارق طبقية أو اجتماعية، ولعد هذا الاسلوب يشير إلى هدف في اعداد نخبة صالحة تؤمن بالتعايش السلمي من دون طبقية أو تعصب٠

ان من اهم الحقوق الاجتماعية التي وهبها الله للبشر هي حرية الاقامة والتنقل والعيش في المكان الذي يتناسب مع طبيعة وحاجة الانسان اليه، لذلك تصدى اهل البيت (ع) الى سياسة النعرات الجاهلية القائمة على اساس التمييز العرقي ودعوا الى رفض سياسة التهجير القسري بحق الموالي، فلما طلب أحد الذين يمتازون بالعنصرية من الامام علي (ع) تهجير الموالي من الكوفة فقد رفض (ع) وبشدة ذلك الاجراء، إذ روي ان الاشعث بن قيس[٩] قال للامام علي(ع) **((يا أمير المؤمنين غلبتنا هذه الحمراء على وجهك فغضب فقال علي عليه السلام: من يعذرني من هؤلاء الضياطرة يقيل أحدهم يتقلب على حشاياه، ويهجر قوم لذكر الله ؟ ! فيأمرني أن أطردهم فأكون من الظالمين؟ والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لقد سمعت محمدا صلى الله عليه وآله يقول: ليضربنكم والله على الدين عودا كما ضربتموهم عليه بدءا))**[١٠] ولا شك ان هذه الرواية تبين مدى النظرة العنصرية للاشعث بن قيس ضد الموالي من جهه، وتبين مدى اهتمام الامام بالموالي ومنحهم حرية الاقامة في المدينة التي يشاؤون سكنها من جهه أخرى، لذلك كان تعامل الامام علي مع الموالي تعامل قائم على اساس الرفق واللين والمساواة حتى قد

نجد بعض المسلمين ليصف الامام علي بانه اقرب للموالي من غيرهم من العرب فروي عن المغيرة بن شعبه انه قال ((**كان علي عليه السلام أميل إلى الموالي وألطف بهم**))[١١].

وعلى الرغم من مكانة اهل البيت (ع) التي خصهم الله بها الا انهم كانوا لا ينظرون نظرة تعالي على الخق وانما ينظرون لانفسهم متساوون مع البشر حتى في رجاء رحمة الله ورضوانه، إذ روي ان الامام السجاد كان يدعو الله عز وجل بدعاء فخر مغشياً عليه فلما افاق قال له طاووس بن كيسان الخولاني[١٢] ((**يا ابن رسول الله، ما هذا الجزع والفزع ؟ ونحن يلزمنا أن نفعل مثل هذا ونحن عاصون جافون ! أبوك الحسين بن علي ، وأمك فاطمة الزهراء ، وجدك رسول الله صلى الله عليه وآله !**))[١٣] فقال الامام زين العابدين (ع) ((**هيهات هيهات طاووس، دع عني حديث أبي وأمي وجدي، خلق الله الجنة لمن أطاعه وأحسن ولو كان عبدا حبشيا، وخلق النار لمن عصاه ولو كان ولدا قرشيا . أما سمعت قوله تعالى : " فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون**))[١٤] وكان (ع) يقول ((**لا يفخر أحد على أحدٍ فإنكم عبيد الله والموالى واحدُ**))[١٥].

لقد عمل ائمة اهل البيت (ع) على التصدي لظاهرة أحتقار الموالي والعبيد وتصحيح ذلك الانحراف الذي حصل في المجتمع لا سيما في أيام حكم بنو أميه[١٦] إذ عمل اهل البيت على مجالسة الموالي وتقريبهم في الوقت الذي كانوا فيه يتعرضون للاحتقار والاهانة، إذ روي ان نافع بن جبير رأى الامام زين العابدين يجالس بعض الموالي فعاب ذلك على الامام وقال ((**انك تجالس أقواما دونا**))[١٧] فقال له الامام :((**اني أجالس من أنتفع بمجالسته في ديني**))[١٨] ان اقدام الامام على مجالسة الموالي في الوقت الذي كانت فيه سياسة الدولة المتمثلة ببني امية تقوم على اساس التعصب للعرب والحط من كرامة الموالي والعبيد انما تستهدف اعلان المعارضة لتلك السياسة والسعي الى تصحيح تلك النظرة داخل المجتمع إذ ان مجالسة الامام للموالي وامام الناس سوف يكون منهج يقتدى به وكتصحيح لسياسة بني امية الجائرة ان سيرة الامام السجاد (ع) كانت مليئة بالمواقف التي تشير الى احترام تلك الطبقات المضطهدة إذ كان (ع) يسعى الى عدم امتهانهم او الحط من كرامتهم بشتى السبل إذ روي عن الامام الصادق (ع) انه قال ((**كان علي بن الحسين عليه السلام لا يسافر إلا مع رفقة لا يعرفونه ويشترط عليهم أن يكون من خدم الرفقة فيما يحتاجون إليه فسافر مرة مع قوم فرآه رجل فعرفه، فقال لهم : أتدرون من هذا ؟ قالوا: لا، قال : هذا علي بن الحسين عليه السلام فوثبوا فقبلوا يده ورجله وقالوا: يا بن رسول الله أردت أن تصلينا نار جهنم لو بدرت منا إليك يد أو لسان أما كنا قد هلكنا آخر الدهر فما الذي يحملك على هذا فقال: إني كنت قد سافرت مرة مع قوم يعرفونني فاعطوني برسول الله (ص) ما لا أستحق فاني أخاف أن تعطوني مثل ذلك، فصار كتمان أمري أحب إلى**))[١٩] ان إقدام الامام (ع) على اخفاء صفته ومكانته أمام الناس يشير الى ان الامام كان يرفض كل مظاهر التقديس والاحترام الزائد ويدعوا الى التعايش بين الناس على اساس وحدة الخلق والتجرد عن كل ما من شأنه ان يضفي عليه التقديس، بل بلغ به الواضع

واحترام جميع الناس حتى في مسيره فكان لا يطلب من احد ان يفرغ له الطريق، فروي عن الامام الباقر (ع) انه قال **((كان علي بن الحسين إذا سار على بغلته في سكك المدينة لم يقل لأحد الطريق وكان يقول الطريق مشترك ليس لي أن أخلي أحدا عن الطريق))**[٢٠].

عمل اهل البيت على معاملة مواليهم وعبيدهم معاملة لائقة تتناسب وحفظ كرامتهم الانسانية من خلال الاحسان لهم والاكل معهم على مائدة واحدة فروي ان الامام الرضا (ع) كان في سفر إلى خراسان فدعا يوما بمائدة الطعام فجمع عليها مواليه من السودان وغيرهم فقال له أحد اصحابه**((جعلت فداك لو عزلت لهؤلاء مائدة ؟))**[٢١] فقال منكراً لتلك النظرة المتعالية (ع) :**((مه إن الرب تبارك وتعالى واحد والام واحدة والأب واحد والجزاء بالاعمال))**[٢٢] لقد امتاز اسلوب أهل البيت بالتواضع للناس من دون تمييز بين فقرائهم واغنيائهم فروي ان الامام الرضا (ع) **((مر برجل من أهل السواد دميم المنظر، فسلم عليه ونزل عنده وحادثه طويلا، ثم عرض (ع) عليه نفسه في القيام بحاجة ان عرضت له. فقيل له : يا بن رسول الله أتنزل إلى هذا ثم تسأله عن حوائجه وهو إليك أحوج؟ ! فقال (ع): عبد من عبيد الله، وأخ في كتاب الله، وجار في بلاد الله، يجمعنا وإياه خير الآباء : آدم (ع) وأفضل الأديان: الاسلام ولعل الدهر يرد من حاجاتنا إليه فيرانا – بعد الزهو عليه))**[٢٣] ويبدو من خلال الرواية ان الإمام كان يريد ان يزرع الثقة بداخل هذا الشخص من خلال معاملته باحترام وتقديره له كباقي البشر، فضلاً عن إن اقدام الامام على هذا التصرف امام الناس فيه درس تربوي لهم، لا سيما وان نظرة الفوارق الطبقية كانت قد ترسخت في نفوس البعض حتى من الموالين للامام انفسهم.

لقد دعا اهل البيت الى التواضع في التعامل مع مختلف الطبقات الاجتماعية والابتعاد عن التفاخر بالانساب والاحساب إذ روي إن عقبة بن بشير الأسدي[٢٤] قال : **((قلت لأبي جعفر (عليه السلام): أنا عقبة بن بشير الأسدي وأنا في الحسب الضخم من قومي قال : فقال : ما تمن علينا بحسبك؟ إن الله رفع بالايمان من كان الناس يسمونه وضيعا إذا كان مؤمنا ووضع بالكفر من كان الناس يسمونه شريفا إذا كان كافرا، فليس لأحد فضل على أحد إلا بالتقوى))**[٢٥] لقد دعا أئمة أهل البيت اتباعهم للتواضع والاقتداء بسيرتهم فروي عن الامام السجاد (ع) انه قال **((لا حسب لقرشي ولا لعربي إلا بتواضع ولا كرم إلا بتقوى ولا عمل إلا بالنية ولا عبادة إلا بالتفقه ألا وإن أبغض الناس إلى اللّه من يقتدي بسنة إمام ولا يقتدي بأعماله))**[٢٦].

وعلى الرغم من ان الشرع الاسلامي لم يلغي نظام العبيد والاسترقاق الا انه دعى معاملتهم معاملة حسنة بما يكفل لهم حفظ كرامتهم كبشر لهم حق الحياة وممارسة كامل حقوقهم الاجتماعية بعيداً عن سياسة الاستعباد ومصادرة الحريات ودعى الى تحريرهم وعتقهم[٢٧] لذلك عمل اهل البيت على وضع برنامج عمل يقوم على اساس اعداد العبيد وتدريسهم وتعليمهم ومن ثم عتقهم واخراجهم الى المجتمع كعنصر يمكنه العيش بكرامة واحترام فقد شهدت سيرة الامام السجاد عتقه المستمر للعبيد لاسيما بعد ان

زاد عدد العبيد بشكل كبير ايام بنو امية بسبب كثرة الفتوحات فكان يشتري العبيد ويعلمهم ويمنحهم العطايا والهبات حتى لا يخرجوا الى المجتمع معوزين لا يجدون من يكفل لهم عيشهم ومن ثم يقوم بعتقهم فكان لا يستخدم أحداً فوق الحول وكان إذا ملك عبدا في أول السنة أو في وسط السنة ،إذا كان ليلة الفطر أعتقهم واستبدل سواهم في الحول الثاني[٢٨] وما من سنة إلا وكان يعتق فيها في آخر ليلة من شهر رمضان ما بين العشرين أو يزيدون، وكان يقول : **((إن الله تعالى في كل ليلة من شهر رمضان عند الافطار سبعين ألف ألف عتيق من النار كلا قد استوجب النار فإذا كان آخر ليلة من شهر رمضان أعتق فيها مثل ما أعتق في جميعه، وإني لأحب أن يراني الله وقد أعتقت رقابا في ملكي في دار الدنيا رجاء أن يعتق رقبتي من النار))**[٢٩] وكان يشتري العبيد ومن دون حاجة إليهم ويأتي بهم إلى عرفات فإذا أفاض أمر بعتق رقابهم وجوائز لهم من المال[٣٠] ولا شك ان اسلوب الامام مع العبيد وعتقهم في اماكن عامة وفي مواسم الحج والاعياد انما يشير الى محاولة منه الى ان يجعل من نفسه قدوة يقتدى به في هذا المجال خاصة وان الناس تنظر الى الامام على انه سليل النبوة والامامة، وقد امتاز اسلوب (ع) بالرفق في معاملتهم والتجاوز عن اخطائهم على الرغم من تشخيصه لتلك الاخطاء في خطوة منه لتعليمهم وتاديبهم ومن ثم عتقهم،[٣١] وقد وردت كثير من الروايات تشير الى المواقف التي الامام السجاد (ع) يعتق فيها للعبيد والاماء وفي مناسبات مختلفة[٣٢] فكان يتحيّن الفرص لعتقهم، وكان يستغل حتى الزلّة الصغيرة التي تصدر من أحد العبيد ليهب له الحريّة، فكان يكافيء الإساءة بالإحسان ليكون أعذب عند الذي يعتق، وأركز في خلده[٣٣] إذ روي ان جارية للامام السجاد(ع) كانت تسكب الماء عليه، فسقط الإبريق من يد الجارية على الامام فشج جبهته ، فرفع الإمام رأسه إليها، فقالت الجارية :**((إن الله عز وجل يقول:**(وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ)[٣٤] **فقال لها: قد كظمت غيظي، قالت:** (وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ)[٣٥] **قال : قد عفا الله عنك. قالت :** (وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤)[٣٦] **قال : اذهبي فأنت حرة))**[٣٧] والرواية تحمل جملة من الابعاد المهمة التي يمكن ان نشير اليها والتي في مقدمتها ان الجارية من خلال الحوار الذي دار بينها وبين الامام يكشف عن مستوى ثقافتها ومعرفتها الجيدة لآيات القرآن الكريم والاستشهاد بها بشكل دقيق، ولا شك ان هذه الثقافة القرآنية متأتية من التربية والتعليم التي حصلت عليها خلال وجودها في بيت الامام (ع)، هذا من جانب ومن جانب آخر ان الامام (ع) بعد استماعه لحديثها ادرك ان الجارية بلغت من العلم والمعرفة مكانة كبيرة وتستحق لإجلها العتق لانها بمثابة المكافئة لها.

وقد أكد الامام السجاد (ع) على ان العلاقة بين المملوك وسيده قائمة على وحدة الخلق عبر تاكيده على حق المملوك باعتباره انسان كباقي البشر جعله الله أمانة عند سيده ومالكه بقوله **((وأما حق مملوكك، فأن تعلم أنه خلق ربك، وابن أبيك وأمك، ولحمك ودمك لم تملكه لأنك صنعته دون الله، ولا خلقت شيئا من جوارحه، ولا أخرجت له رزقا، ولكن الله عز وجل كفاك ذلك، ثم سخره لك، وائتمنك عليه، واستودعك إياه، ليحفظ لك ما تأتيه من خير إليه فأحسن إليه كما أحسن الله إليك، وإن كرهته**

استبدلت بـه، ولـم تعذب خلـق الله، ولا قـوة إلا بـالله))[٣٨] والإمـام (ع) من خـلال هذا النص يبين ان المملوك والعبد هو انسان خلقه الله له كرامته مثله مثل سيده بل هو اخوه من ناحية وحدة الخلق وليس لاي انسان ان يسلب حقوقه، وان وجوده لدى السيد هو بمثابة الامانه التي استودعها الله لدى الانسان ولا شك ان هذا النص يعد بمثابة دعوى من الامام لتصحيح المنظومة الفكرية الاجتماعية لما كان يعانيه العبيد من اضطهاد في تلك الفترة ويبدو ان الموالي والعبيد كانوا يستشعروا الدور الكبير الذي كان يقوم به الامام السجاد من اجل حمايتهم واحترامه لذلك اشارت الروايات الى انهم كانوا يهبون الى مناصرة الامام وحمايته ما ان يتعرض للاساءة من قبل شخص ما، فقد روي ان الامام السجاد (ع) كان خارجا من المسجد، فلقيه رجل فسبه ، فثارت إليه العبيد والموالي ، فقال الامام : **((مهلا عن الرجل، ثم أقبل عليه، فقال: ما ستر الله عليك من أمرنا أكثر، ألك حاجة نعينك عليها ؟))**[٣٩] فقضى الإمام حاجته وأمر له بألف درهم، فكان الرجل بعد ذلك يقول : **((أشهد أنك من أولاد الرسل))**[٤٠].

كان أسلوب أهل البيت في التعامل مع العبيد ينم على مدى احترامهم والرفق بهم وعدم تحميلهم ما لا يطيقوه وفوق طاقتهم، فقد روي ان الامام الصادق (ع) **((بعث غلاما له في حاجة فأبطأ، فخرج أبو عبد الله (ع) على أثره لما أبطأ، فوجده نائما، فجلس عند رأسه يروحه حتى انتبه، فلما تنبه قال له أبو عبد الله (ع): يا فلان والله ما ذلك لك، تنام الليل والنهار، لك الليل ولنا منك النهار))**[٤١] ان عبارات الامام مع هذا العبد انما تنم عن مدى الرفق والرأفه به وعدم تأنيبه بشكل يحط من كرامته وروي عن ياسر الخادم انه قال: **((قال لنا أبو الحسن عليه السّلام إن قمتم على رؤوسكم وأنتم تأكلون فلا تقوموا حتى تفرغوا وربما دعا بعضنا فيقال له هم يأكلون فيقول دعهم حتى يفرغوا))**[٤٢] وكان اهل البيت لا يحمّلون خدمهم فوق طاقتهم ويوصون الناس بضرورة مداراة الخدم وعدم تحميلهم ما لا طاقة لهم به فروي عن الامام محمد الباقر(ع) انه قال **((وأربع من كن فيه من المؤمنين أسكنه الله في أعلى عليين٠٠٠ ومن لم يخرق بمملوكه، وأعانه على ما يكلفه، ولم يستسعه فيما لا يطيق))**[٤٣] ومما نقل عن الإمام الباقر (ع) أنه كان يساعد خدمه في الاعمال الصعبة التي تثقل كاهلهم من دون ان يجد في ذلك حرجاً، إذ روي عن الامام الصادق انه قال **((كان أبى يأمرهم فيقول : كما أنتم فيأتي فينظر فإن كان ثقيلا قال : بسم الله ثم عمل معهم وإن كان خفيفا تنحى عنهم))**[٤٤].

كان المجتمع العربي قبل الاسلام قد اقر مجموعة من العادات والاعراف والتقاليد المتعلقة بالعبيد والاماء بما فيها من ظلم وحيف ومصادرة وألغاء لحريتهم وانسانيتهم، اذ تحولت تلك الاعراف الى مجموعة من القوانين التي لا يمكن تجاوزها او كسرها، فكانت نظرة المجتمع للموال نظرة استصغار ونظرة تدني باعتبارهم ينتسبون الى غير العرب الامر الذي ترتب عليه عزوف كثير من العرب عن تزويجهم وعلى الرغم من جهود الرسول (ص) وتاكيده على اللغاء تلك النظرة إذ عمل (ص) على التصدي بنفسه لظاهرة العزوف عن تزويج الموالي والعبيد[٤٥] غير اننا نجد تلك النظرة قد عادت لتبرز من جديد بعد وفاة

الرسول (ص) الأمر الذي دعا البعض إلى نسب احاديث للرسول (ص) تدعو الى التمايز والتفضيل بين البشر على اساس العرق والنسب فنسب الى رسول الله (ص) انه قال ((**العرب بعضها أكفاء لبعض، قبيلة بقبيلة، ورجل برجل، والموالي بعضها أكفاء لبعض، قبيلة بقبيلة، ورجل برجل**))[٤٦] وهذا الحديث منقطع السند ورواته ضعفاء[٤٧] ونسب كذلك للرسول (ص) انه قال ((**يا معشر الموالي ! شراركم من تزوج في العرب، ويا معشر العرب! شراركم من تزوج في الموالي**))[٤٨] ولاشك ان تلك الاحاديث تتعارض مع المنهج القرآني قال تعالى والمنهج النبوي القائم على اساس المساواة فروي عن رسول الله (ص): **أنه قال :((المؤمنون بعضهم أكفاء بعض، تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم))**[٤٩] وقال (ص) ((**إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه، فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض**))[٥٠] وعلى الرغم من ذلك فقد تجذرت تلك الاعراف والاعتبارات الاجتماعية الخاطئة بين العرب المسلمين لدرجة ان الموالي تقدموا الى الامام علي(ع) ليشكوا أليه ما أحل بهم من تمييز طبقي مجحف رفض العرب تزويجهم من بناتهم فقالوا:((**نشكو إليك هؤلاء العرب إن رسول الله (ص) كان يعطينا معهم العطايا بالسوية وزوج سلمان وبلالا وصهيبا وأبوا علينا هؤلاء وقالوا : لا نفعل، فذهب إليهم أمير المؤمنين (عليه السلام) فكلمهم فيهم فصاح الأعاريب أبينا ذلك يا أبا الحسن أبينا ذلك فخرج وهو مغضب يجر رداؤه وهو يقول : يا معشر الموالي إن هؤلاء قد صيروكم بمنزلة اليهود والنصارى يتزوجون إليكم ولا يزوجونكم ولا يعطونكم مثل ما يأخذون فاتجروا بارك الله لكم فاني قد سمعت رسول الله (ص) يقول : الرزق عشرة أجزاء تسعة أجزاء في التجارة وواحدة في غيرها**))[٥١] ويبدو من خلال هذا الموقف ان الامام (ع) قد وجه الموالي الى معالجة تلك المشكلة من خلال توجيههم للسعي الى تحسين اوضاعهم المادية عن طريق التجارة بعد ان يأس من اقناع العرب بالعزوف هذه الاعراف الجاهلية البالية، لقد دعا اهل البيت لكسر كل القيود والجواجز التي تقف في وجه انسانية الانسان لذلك نجد الامام علي (ع) يبين هذا المفهوم حينما سُئل ((**أيجوز تزويج الموالي من العربيات؟ فقال: أتتكافأ دماؤكم، ولا تتكافأ فروجكم!؟**))[٥٢] ولا شك ان مثل تلك الظاهرة لا يمكن كسرها وتحطيمها ما لم يقدم اهل البيت (ع) على كسرها بانفسهم حتى يكونوا قدوة للمجتمع يقتدى بهم لذلك نجد اقدام كثير من أئمة أهل البيت على الزواج من الموالي وغير العرب، فروي ان الامام الحسين (ع) تزوج من شهربانويه بنت كسرى وكانت من سبي فارس وقد ولدت له الامام زين العابدين[٥٣] ولا شك ان في اقدام الامام الحسين (ع) على الزواج من غير العرب انما فيه درس للمجتمع للتوجه الى الزواج من غير العربيات وعدم الحط من منزلة تلك الاقوام لا سيما ان زواج الامام الحسين (ع) لم يكن للتسري وانما كانت أم لإمام معصوم هو الامام السجاد (ع)، وروي إن الامام السجاد (ع) أعتق جارية له ثم تزوجها فكتب عبد الملك بن مروان إلى الامام السجاد (ع) يعاتبه ويعنفه على تزويجه بتلك الجارية، إذ جاء في كتابه للامام ((**أما بعد فقد بلغني تزويجك مولاتك وقد علمت أنه كان في أكفائك من قريش من تمجد به في الصهر وتستنجبه في الولد فلا لنفسك نظرت**

ولا على ولدك أبقيت والسلام))[٥٤] فاجابه الامام (ع) بكتاب جاء فيه ((**أما بعد فقد بلغني كتابك تعنفني بتزويجي مولاتي وتزعم أنه كان في نساء قريش من أتمجد به في الصهر واستنجبه في الولد وأنه ليس فوق رسول الله (ص) مرتقا في مجد ولا مستزاد في كرم وإنما كانت ملك يميني خرجت متي أراد الله عز وجل مني بأمر ألتمس به ثوابه ثم ارتجعتها على سنة ومن كان زكيا في دين الله فليس يخل به شئ من أمره وقد رفع الله بالاسلام الخسيسة وتمم به النقيصة وأذهب اللؤم فلا لؤم على امرء مسلم إنما اللؤم لؤم الجاهلية والسلام))**[٥٥] وعند التامل في مضامين تلك الرواية يتبين لنا امرين مهمين الامر الاول حجم النظرة الطبقية والاستعلاء التي انهجتها سياسة بني امية في التمييز بين البشر والتعالي على الناس من جهه، ومن جهة اخرى نلاحظ موقف الامام (ع) المقوم لتلك النظرة الخاطئة وسعيه لاحياء النهج الاسلامي القويم من خلال التاسي بسنة رسول محمد (ص) في المساواة بين الناس وعدم التمييز بينهم بسبب الاعراق والاجناس واعلانه المعارضة لسياسة بنو أمية التي تمثل النعرات الجاهلية البغيضة وكشفه انحراف تلك السياسة عن سنة الرسول (ص) واننا لنجد ان زوجات ستة من ائمة اهل البيت (ع) بدئاً من الامام الصادق (ع) كن من الجواري المملوكات وانهن اصبحن امهات لستة من الائمة المعصومين(ع)[٥٦] ولا ريب ان اقبال ائمة اهل البيت (ع) على الزواج من نساء غير عربيات مملوكات بعد عتقهن هو خير دليل على ايمانهم (ع) بعدم التمييز العنصري بين البشر ووحدة الخلق لا سيما وان هؤلاء النساء اصبحن امهات لائمة وليس للتسري وان اقبال اهل البيت على مثل تلك المصاهرات ما هو الا وسيلة من وسائل كسر المعايير الاجتماعية الخاطئة التي وضعت للتقليل من مكانة الانسان والتفاخر بالانساب والاحساب بين البشر ٠

المبحث الثاني: مع اهل الذمة

حضي أهل الذمة في فكر وتعامل اهل البيت بالمساواة والاحترام إذ رفض اهل البيت الحط من منزلتهم وكرامتهم لمجرد كونهم ينتمون الى طبقة اجتماعية مختلفة او لكونهم ينتسبون الى دين غير الاسلام فكان تعامل اهل البيت مع أهل الكتاب قد امتاز بالتعامل الانساني إذ لم يميز اهل البيت بينهم وبين غيرهم من الناس في منحهم حقوقهم وممارسة حياتهم وتمتعهم بحريتهم ما لم يخلوا بشروط عهد الذمة الذي بينهم وبين المسلمين فقد جاءت احاديث اهل البيت لتؤكد على مكانة اهل الذمة بين المسلمين وعدم ايذائهم فروي عن رسول الله (ص) انه قال ((**ألا من ظلم معاهدا أو كلفه فوق طاقته أو انتقصه أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفسه فأنا حجيجه يوم القيامة))**[٥٧] تاكيداً على حماية ورعاية حقوق اهل الذمة كما روي عن رسول الله (ص) انه قال ((**الا واني والله قد امرت ووعظت ونهيت عن أشياء انها لمثل القرآن او اكثر وان الله عز وجل لم يحل لكم ان تدخلوا بيوت اهل الكتاب الا بأذن ولا ضرب نسائهم ولا اكل ثمارهم اذا اعطوكم الذي عليهم))** [٥٨] لذلك جاءت وصايا وتعاليم اهل البيت لاتباعهم تعزز هذا الاتجاه وتؤكد على رعاية حقوق اهل الذمة من الاضطهاد والظلم إذ أوصى الامام علي (ع)

ولاته بضرورة احترام اهل الذمة والرفق معهم كمواطنين لهم حقوقهم كعنصر من عناصر المجتمع ليس بينهم وبين المسلمين أي تمايز فقد جاء في وصيته (ع) لمالك الاشتر حينما ولاه على مصر ((**وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم. ولا تكونن عليهم سبعا ضاريا تغتنم أكلهم، فإنهم صنفان إما أخ لك في الدين وإما نظير لك في الخلق**))[٥٩] ولا ريب إن هذه الوصية تشير برنامج قائم على أساس الشمولية والعمومية في العدل والرفق مع جميع الرعية من دون استثناء أو التمييز بين اهل الذمة وباقي المسلمين في السياسة، وان وصفه (ع) لجميع الطبقات بالرعية يشير الى معنى سامي فهم في ضوء فكر ونظرة الامام لا يتعدون ان يكونوا صنفان اما ان ينظر لهم على انهم اصحاب ديانة سماوية واهل كتاب ومن ثم يكونون اخوان للمسلمين في الدين باعتبار ان جميع الاديان تدعو الى توحيد الله عز وجل وعبادته ونبذ عبادة غيره او يكونوا نظراء في الخلق من خلال نظرة انسانية فالرعية على اختلافها وتنوع مللهم ونحلهم جميعهم بشر تربطهم رابطة الانسانية المشتركة كما اوصى الامام (ع) بضرورة احترام اهل الذمة وعدم القسوة عليهم في امر الخراج وجمع الضرائب، ولا شك ان اكثر أهل مصر هم من الاقباط إذ جاء في نفس الوصية ((٠٠٠**وتفقد أمر الخراج بما يصلح أهله فإن في صلاحه وصلاحهم صلاحا لمن سواهم، ولا صلاح لمن سواهم إلا بهم لأن الناس كلهم عيال على الخراج وأهله٠٠٠فإن شكوا ثقلا أو علة أو انقطاع شرب أو بالة أو إحالة أرض اغتمرها غرق أو أجحف بها عطش خففت عنهم بما ترجو أن يصلح به أمرهم**))[٦٠] إذ يشير (ع) إلى ضرورة مراعاة الرعية على اختلافها الديني والعقدي في جمع الضرائب وان لا يكون ذلك هم الوالي وانما يجب ان يراعوا الظروف الاستثنائية التي قد يمر بها المجتمع والتي قد تتسبب في ضعف الانتاج كما أكد (ع) على مراعاة جميع الرعية بما فيهم أهل الذمة في استحصال الضرائب وان لا يرهقوا او يجحفوا في استحصالها اذ ربما تعسر البعض عن دفع تلك الضرائب، فقد روي ان الامام علي (ع) وجه بكتاب الى عمال الخراج جاء فيه ((**من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى أصحاب الخراج أما بعد٠٠٠ فألنصفوا الناس من أنفسكم. واصبروا لحوائجهم فإنكم خزان الرعية ووكلاء الأمة وسفراء الأئمة٠٠٠ولا تبيعن للناس في الخراج كسوة شتاء ولا صيف، ولا دابة يعتملون عليها ولا عبدا، ولا تضربن أحدا سوطا لمكان درهم، ولا تمسن مال أحد من الناس مصل ولا معاهد**))[٦١] إذ يشير (ع) الى برنامج عمل متكامل في التعامل مع جميع الرعية بما فيهم اهل الذمة في مداراتهم في جمع الضرائب وعدم الاجحاف بهم او التضييق عليهم خاصة اذا لم يتمكنوا من دفع الخراج الامر الذي يلقي بضلاله على استشعار اهل الذمة لتلك العدالة الانسانية التي من شأنها ان تجعلهم يشعرون بوجودهم الانساني في ظل الحكومة الاسلامية من دون تمييز او اضطهاد الامر الذي يحقق للجميع حفظ كرامتهم الانسانية٠

وقد بين الامام علي (ع) ان المجتمع بتعدد طبقاته هو أمر طبيعي لا يمكن تجاوزه اذ لا غنى لطبقة عن الاخرى فجاء في وصيته لمالك الاشتر ((**واعلم أن الرعية طبقات لا يصلح بعضها إلا ببعض،**

ولا غنى ببعضها عن بعض٠٠٠ ومنها أهل الجزية والخراج من أهل الذمة ٠٠٠))[٦٢] إذ يشير (ع) الى ان الظلم والحيف الذي قد يلحق بطبقة دون اخرى قد يتسبب بسوء العلاقة بين تلك الطبقاء إذ من اخطر مظاهر التمييز الطبقي بين طبقات المجتمع هو الحقد الذي قد ينشئ والذي من شأنه ان يؤثر على التعايش السلمي بين طبقات المجتمع لذلك كانت وصايا الامام لولاته تؤكد على منهج الرفق في التعامل مع اهل الذمة واحترام كرامة الذمي وعدم احتقاره او القسوة عليه في مجال اخذ الجزية التي هي حق شرعي يدفعه اهل الذمة للمسلمين مقابل الدفاع عنهم وان لا تبتدع ضرائب جديدة تثقل كاهلهم إذ جاء في وصية للامام علي (ع) لواليه على مصر محمد بن ابي بكر **((٠٠٠أن يجبي خراج الأرض على ما كان يجبى عليه من قبل، ولا ينقص منه ولا يبتدع فيه))**[٦٣] كما أمره الإمام **((بتقوى الله في السر والعلانية وخوف الله عز وجل في الغيب والمشهد وباللين على المسلمين وبالغلظة على الفاجر وبالعدل على أهل الذمة وبإنصاف المظلوم وبالشدة على الظالم وبالعفو عن الناس وبالاحسان ما استطاع والله يجزي المحسنين))**[٦٤] ونلاحظ ان الامام يوصي بالعدل مع اهل الذمة ولا شك ان العدالة هي أساس جميع الحقوق الانسانية، وأمره بالشدة على الظالم سواء كان مسلم او ذمي من دون تمييز لان الظلم في نظر الامام واحد سواء بدر من مسلم ام ذمي كما اوصى (ع) قادة جيشه بضرورة رعاية اهل الذمة وعدم تحقيرهم، كما حذر (ع) من الاعتداء عليهم او المساس بمصالحهم فقد جاء في وصيته لجارية بن قدامة[٦٥] عندما بعثه الى الحجاز إذ قال(ع) **:((اتق الله الذي اليه تصير ولا تحتقر مسلما ولا معاهدا ولا تغصبن مالاً ولا ولدا ولا دابة وان حفيت وترجلت))**[٦٦] تأكيداً من الامام على احترام وحماية كرامة اهل الذمة٠

ان أئمة اهل البيت (ع) على الرغم من عدم توليهم السلطة السياسة بعد الإمام الحسن (ع)، الا انهم لم يغفلوا جانب التوجيه والوعظ للناس من اجل احترام ورعاية حقوق أهل الذمة، إذ أكد الإمام زين العابدين (ع) على الأسس الكلية المتعلقة بحقوق أهل الذمة في رسالته المعروفة برسالة الحقوق حيث جاء فيها: **((وأما حق أهل الذمة فالحكم فيهم أن تقبل منهم ما قبل الله وتفي بما جعل الله لهم من ذمته وعهده وتكلهم إليه فيما طلبوا من أنفسهم وأجبروا عليه وتحكم فيهم بما حكم الله به على نفسك فيما جرى بينك [وبينهم] من معاملة وليكن بينك وبين ظلمهم من رعاية ذمة الله والوفاء بعهده. وعهد رسول الله صلى الله عليه وآله حائل فإنه بلغنا أنه قال : من ظلم معاهدا كنت خصمه، فاتق الله ولا حول ولا وقوة إلا بالله))**[٦٧] ونلاحظ ان الامام ربط حقوق اهل الذمة مع طاعة الله عز وجل وان يكون منهج التعامل معهم وفق المنهج القرآني الذي يؤكد على احترام كل البشر ويرفض الظلم ويجعل الامام ترك ظلم اهل الذمة بمثابة الوفاء لعهد الله عز وجل، بل اننا نجد الامام الباقر(ع) يبعث برسالة الى أحد خلفاء بني امية يبين له فيها حق أهل الذمة وضرورة احترامهم وعدم تحميلهم فوق طاقتهم، جاء فيها **((٠٠٠ومن أقر بالجزية لم يتعد عليه ولم تخفر ذمته وكلف دون طاقته٠٠٠))**[٦٨] ولا شك ان

بعث الامام الباقر (ع) بتلك الرسالة الى الخلافة الاموية انما ينم عن الاهتمام الكبير الذي كان يوليه لحماية اهل الذمة ورعاية حقوقهم من جانب، ومن جانب آخر ان الامام (ع) يعمل على اصلاح الاوضاع من خلال التوجه الى السلطة نفسها التي مارست الاضطهاد ضد اهل الذمة[٦٩].

لقد اكد اهل البيت على حرية اهل الذمة وعدم استعبادهم لكونهم اقلية في المجتمع لدرجه اننا نجد الامام علي (ع) يرفض كل مظاهر الاستعباد التي كان يعيشها اهل الذمة قبل مجيئ الاسلام فروي ان الامام علي (ع) حينما كان متوجهاً الى صفين مر بالانبار فاستقبله بعض دهاقين الفرس وكانت طريقة استقبالهم تنم عن الخضوع والتذلل وكانوا يقدمون بين ايديهم انواع الدواب واصناف الطعام ليقدموه لجيش الامام فقال (ع):((**ما هذه الدواب التي معكم ؟ وما أردتم بهذا الذي صنعتم ؟**))[٧٠] فقالوا :((**أما هذا الذي صنعنا فهو خلق منا نعظم به الأمراء. وأما هذه البرازين فهدية لك. وقد صنعنا لك وللمسلمين طعاما، وهيأنا لدوابكم علفا كثيرا**))[٧١] فرفض (ع) طريقتهم بالاستقبال لما تحمله من اذلال لانفسهم وتحط من كرامتهم كما رفض ان ياخذ أي شيء مما قدموه للامام إذ قال لهم (ع) :((**أما هذا الذي زعمتم أنه منكم خلق تعظمون به الأمراء فوالله ما ينفع هذا الأمراء، وإنكم لتشقون به على أنفسكم وأبدانكم، فلا تعودوا له. وأما دوابكم هذه فإن أحببتم أن نأخذها منكم فنحسبها من خراجكم أخذناها منكم. وأما طعامكم الذي صنعتم لنا فإنا نكره أن نأكل من أموالكم شيئا إلا بثمن**))[٧٢] غير انهم ألحوا على الامام بان ياخذ ما قدموه له ولجيشه من هدايا إذ قالوا للامام ((**يا أمير المؤمنين فإن لنا من العرب موالي ومعارف ، فتمنعنا أن نهدي لهم وتمنعهم أن يقبلوا منا ؟**))[٧٣] فقال(ع) :((**كل العرب لكم موال، وليس ينبغي لأحد من المسلمين أن يقبل هديتكم. وإن غصبكم أحد فأعلمونا. قالوا: يا أمير المؤمنين، إنا نحب أن تقبل هديتنا وكرامتنا. قال لهم: ويحكم، نحن أغنى منكم. فتركهم ثم سار**))[٧٤]

ان الرواية تبين رفض الامام القاطع لاستقبال هدية اهل الذمة ولكن هذا الرفض لا يقوم على اساس التحريم التشريعي انما يبدو ان الامام كان يريد من وراء ذلك ان لا تكون سنة لمن ياتي بعده من قادة وجيوش ان يقدم لهم الهدايا من قبل اهل الذمة اقتداءً بسياسته وسيرته فضلاً عن تاكيد الامام على جانب حمايتهم مما قد يلحق بهم بسبب اكراههم على دفع مثل تلك الهدايا ولربما وجد الامام ان اهل الذمة وعوائلهم احق بهذه الهدية التي تقدم للمسلمين ولعل الرواية تكشف لنا عن بعد اخر اوسع بكثير إذ يمكن ان نعد تعامل الامام مع اهل الذمة كوسيلة لتصحيح المنظومة الفكرية لهم والتي تنبع من داخلهم والتي تستهدف تحريرهم من الاعراف والتقاليد البالية التي كانوا قد اعتادوا عليها في ظل حكومات مستبدة كانت تمتهن حريتهم وتستعبدهم لذلك رفض (ع) مبالغتهم في استقباله وتعظيمه لان ذلك يحط من منزلتهم ويشعرهم بالذلة فضلاً عن رفضه اخذ ما قدموه للامام من هدايا وهذا ما يسعى اليه منهج أهل البيت(ع).

كما اكد اهل البيت على التعايش السلمي مع اهل الذمة واظهار الاحترام والتوقير لهم بصرف النظر عن الاختلاف العقائدي والطبقي بينهم وبين المسلمين لا سيما ان الانقباض والانعزال عن الناس

يسبب العداوة إذ روي عن الامام الباقر (ع) انه قال ((**الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة**))[٧٥] فكان ائمة اهل البيت يتعاملون مع اهل الذمة بطريقة انسانية مبتعدين عن كل ما من شأنه ان يدعوا الى التقاطع والبغضاء معهم فروي عن الامام الصادق (ع) ((**ان علياً عليه السلام صاحب رجلا ذميا، فقال له الذمي: أين تريد، يا عبد الله ؟ قال : أريد الكوفة. فلما عدل الطريق بالذمي عدل معه علي، فقال له الذمي: أليس زعمت تريد الكوفة؟ قال: بلى. فقال له الذمي: فقد تركت الطريق! فقال له: قد علمت. فقال له: فلم عدلت معي وقد علمت ذلك؟ فقال له علي: هذا من تمام حسن الصحبة أن يشيع الرجل صاحبه هنيهة إذا فارقه، وكذلك أمرنا نبينا. فقال له: هكذا ؟ ! قال: نعم فقال له الذمي: لا جرم إنما تبعه من تبعه لأفعاله الكريمة، وإنما أشهدك اني على دينك. فرجع الذمي مع علي، فلما عرفه أسلم**))[٧٦] ولعل تلك الرواية تكشف لنا بعض الابعاد المهمة التي عمل اهل البيت على ترسيخها في المجتمع فالاحترام والتوقير من خلال حسن الصحبة الذي جسده الامام (ع) في تعامله مع الرجل الذمي انما يجسد السيرة العطرة للرسول محمد (ص) والدين الاسلامي، ولعله أراد ان يبعث عبر هذا الموقف رسالة الى اهل الذمة مفادها ان تعاليم الاسلام وسيرة الرسول هي تحترم وتقدر اهل الذمة وما وقع في التاريخ من تهميش واحتقار لهم انما هو لا يمت لتعاليم الاسلام ولا لنهج وسيرة الرسول (ص)، هذا من جانب ومن جانب آخر ان التعامل الاخلاقي والتعايش السلمي مع اهل الذمة أنما يكون تاثيره ابلغ في النفوس من أي أمر آخر، فالرواية تشير الى اسلام الرجل الذمي بعد ان تعرف على خلق الاسلام من خلال شخصية الامام علي وتعامله معه فضلاً عن حجم الاحترام الذي كان يحضى به أهل الذمة في حكومة الامام علي (ع) والعلاقة الطيبة معهم٠

وقد أكد اهل البيت على التعايش السلمي مع أهل الذمة واحترامهم من خلال التاكيد على حسن الصحبة والمجالسة مع غير المسلم واحترامه وتوقيره فروي عن الامام الصادق (ع) انه قال ((**٠٠٠وإن جالسك يهودي فأحسن مجالسته**))[٧٧] وقد جسد ائمة اهل البيت بتعاملهم اجمل صور التعايش السلمي وحسن التعامل مع اهل الذمة إذ روي ان اسقف نجران وفد على الامام علي (ع) في خلافته فاوسع له في مجلسه فقال له أحد المسلمين مستنكراً من تعامل الامام مع الذمي ((**توسع لهذا النصراني يا أمير المؤمنين ؟ فقال على : إنهم كانوا إذا اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أوسع لهم**))[٧٨] وروي ان نصرانياً عطس في مجلس الامام الصادق فقال له القوم : ((**هداك الله، فقال أبو عبد الله (عليه السلام): [فقولوا] : يرحمك الله، فقالوا له : إنه نصراني؟ ! فقال: لا يهديه الله حتى يرحمه**))[٧٩] وروي عن الامام الرضا (ع) انه **قال** ((**قيل لأبي عبد الله (ع) كيف ادعو لليهودي والنصراني قال تقول له بارك الله لك في دنياك**))[٨٠] ولا شك ان هذه الروايات تشير الى حجم الاحترام الذي كان يبديه اهل البيت لاهل الذمة في تعاملهم الانساني وعدم الحط من كرامتهم ٠

ولا شك ان سيرة الرسول (ص) في تعامله مع أهل الذمة كانت قد تجسدت في اهل بيته لذلك نجد السيدة الزهراء (ع) قد حضر مناسبة عرس لدى جيرانها من اليهود[٨١] وكان لحضورها اثر في اسلام بعض نساء اليهود لما شاهدن من تواضعها وخلقها الرفيع (عليها السلام) ولا شك ان حضور السيدة الزهراء (ع) في تلك المناسبة بموافقة الرسول (ص) والامام علي (ع) انما يشير الى حجم العلاقة الطيبة التي كانت تجمع أهل البيت وأهل الكتاب المبنية على اساس انساني بعيداً كل البعد عن احتقارهم او الحط من منزلتهم في المجتمع ٠

كذلك أكد أهل البيت حرية ممارسة أهل الذمة لعاداتهم وتقاليدهم الاجتماعية بكل حرية، من خلال اقرارهم بحريتهم في احياء بعض اعيادهم مثل عيد النوروز، إذ روي انه أتي للإمام علي (ع) بهدية النيروز فقال: ((**ما هذا ؟**))[٨٢] فقالوا له: ((**يا أمير المؤمنين اليوم النيروز**))[٨٣]، فقال(ع) : ((**اصنعوا لنا في كل يوم نيروزاً**))[٨٤]٠

وتاكيداً على احترام أهل الكتاب والتعايش السلمي معهم، فقد دعا اهل البيت الى الاستعانة بهم في مجال اختصاصهم، وان لا يكون الاختلاف العرقي والعقائدي سبباً للتقاطع معهم، لا سيما انهم عرفوا ببراعتهم في مجال الطب، فروي عن عبد الرحمن بن الحجاج[٨٥] قال: ((**قلت لأبي الحسن (ع) أرأيت ان احتجت إلى المتطبب وهو نصراني أسلم عليه وأدعو له قال: نعم**))[٨٦] بل اننا نجد شواهد كثيرة تشير الى تعامل أهل البيت (ع) مع اهل الذمة والاستعانة بهم في مجال الطب كالاستعانة بأثير بن عمرو بن هاني السكوني، لعلاج الامام علي من الجرح الذي تسبب له من ضربة عبد الرحمن بن ملجم والذي توفي على اثره[٨٧] إذ كان أثير السكوني متطببا وصاحب كرسي يعالج الجراحات في الكوفة، كما روي ان الامام الجواد (ع) استعان بطبيب نصراني ليفصد له عرقاً في جسده الشريف واعطاه الامام أجراً مقابل عمله ذلك[٨٨] ولعل استعانة اهل البيت (ع) تبين حجم العلاقة الطيبة فيما بينهم وبين اهل الذمة القائمة، إذ لو كانوا موضع ريبة وشك لما استعان بهم في هذا المجال٠

لقد أكد أهل البيت (ع) على احترام النسيج الاسري لاهل الذمة وعدم الاساءة له باي شكل من الاشكال، إذ يرى اهل البيت (ع) ان الاختلاف العقائدي بين افراد الاسرة الكتابية ليس مدعاة للتقاطع والتنافر بين افرادها، وهذا ما اشار اليه الامام الصادق (ع) للنصراني الذي اسلم على يدي الامام وبقيت عائلته على النصرانية فامره الامام ان لا يقاطعهم وان لا يعتزلهم وان يبرهم[٨٩]٠

ان تاكيد اهل البيت على احترام كرامة الذمي داخل الاسرة انما يشير الى ترسيخ مفهم التعايش السلمي بين افراد المجتمع بأسره، إذ روي ان جارية نصرانية كانت تعمل في بيت الامام الرضا (ع) وحينما سُئل من قبل احد اتباعه عن جواز عملها في بيت الإمام وهي لا تزال على ديانتها النصرانية لم يرى الامام أي ضرر في ذلك[٩٠] ولعل وجود تلك الجارية في بيت الامام (ع) انما ينم عن هدف اراد (ع)

(ع) من خلاله ارسال رسالة الى مجتمعه تؤكد على احترام الطقوس العبادية لاهل الذمة باعتبار الامام (ع) يمثل قدوة لمجتمعه ويمكن ان يقتدى بسيرته في التعامل مع اهل الذمة.

وفي ضوء احترام الكرامة الانسانية والرفق باهل الذمة أكد اهل البيت (ع) على مبدأ الضمان الاجتماعي، وعدم وجود فرق بين المعوز والمحتاج من المسلمين وأهل الذمة، فروي ان الامام علي (ع) مر بشيخ كبير السن مكفوف فسأل عنه فقيل له انه نصراني فقال (ع) ((**استعملتموه حتى إذا كبر وعجز منعتموه !! انفقوا عليه من بيت المال**))[٩١] وعلى الرغم من ان الرواية تشير الى دور ومسؤولية الدولة في رعاية وحماية اهل الذمة وضمان معيشتهم، لكن لا شك ان ذلك الاهتمام من الإمام سوف ينعكس بدوره على تعامل المجتمع مع اهل الذمة الذين يحتاجون الى مثل تلك المساعدة، ولاهمية هذا الجانب فقد اكدت مدرسة اهل البيت على دور المجتمع في حماية اهل الذمة وتكفل سد احتياجاتهم ورعايتهم اذا كانوا محتاجين[٩٢].

لقد اكد اهل البيت على صيانة اعراض أهل الذمة من أي دنس او اعتداء قد يلحق بهم، ولم يفرق بينهم وبين المسلمين في حكم مرتكب جريمة الزنى بحق نساء اهل الذمة، فروي ان محمد بن ابي بكر كتب الى الامام علي (ع) يسأله عن رجل مسلم زنا بأمرأة يهودية فكتب اليه الامام (ع) : ((**إن كان محصنا فارجمه وإن كان بكرا فاجلده مائة جلدة ثم انفه، وأما اليهودية فابعث بها إلى أهل ملتها فليقضوا فيها ما أحبوا**))[٩٣].

لقد أكدت مدرسة اهل البيت على أحترام اهل الذمة وتحريم اهانتهم او قذف اعراضهم فروي عن الامام الصادق (ع) أنه قال :((**لا ينبغي ولا يصلح للمسلم أن يقذف يهوديا ولا نصرانيا ولا مجوسيا بما لم يطلع عليه منه، وقال : أيسر ما في هذا أن يكون كاذبا**))[٩٤] وكان (ع) يتصدى للمواقف التي يتعرض لها اهل الذمة للانتقاص والقذف حتى وان لم يحضر ذلك الشخص، فروي ان الامام الصادق (ع) قال لاحد أصحابه :((**ما فعل غريمك ؟ فقال: ذلك ابن الفاعلة، فنظر إليه أبو عبد الله (ص) نظرا شديدا، فقال: جعلت فداك، إنه مجوسي نكح أخته، قال: أو ليس ذلك في دينهم النكاح؟**))[٩٥].

ولا شك ان موقف أهل البيت (ع) من أهل الذمة الموقر لهم والمحامي عن حقوقهم يكشف لنا عن الدور الكبير الذي عمل أهل البيت على تحقيقه من أجل خلق مجتمع يؤمن بالتعددية العرقية والعقائدية والعيش جنباً إلى جنب مع مختلف فئآته.

المبحث الثالث: مع عامة المسلمين

شهدت سيرة أئمة اهل البيت (ع) الدعوى الى احترام كرامة جميع المسلمين والتعايش السلمي معهم سواء مع من يوالي مذهب اهل البيت او مع عامة المسلمين على اساس مبدأ الاخوة في الدين الواحد ونبذ جميع المظاهر الاجتماعية التي من شأنها ان تحط من كرامة الانسان وتعكر صفو العيش داخل المجتمع وتؤدي الى التكتل والانغلاق المجتمعي وقد اشار الامام علي (ع) الى هذا المعنى في وصيته لمالك

الاشتر بان الناس ((**صنفان إما أخ لك في الدين وإما نظير لك في الخلق**))[٩٦] وفي ضوء هذا النص يمكن القول ان الامام (ع) يقيم قاعدة التعامل الاجتماعي داخل الدين الواحد على اساس رابطة الاخوة وهي من اقوى الروابط التي يمكن اشاعتها داخل المجتمع والذي من شأنه ان يحقق نظاماً اجتماعياً يؤدي الى تحقيق التعايش السلمي بين الناس.

فقد اكد أئمة اهل البيت (ع) على ان الاختلاف في الاراء والعقائد ليس مدعاة للقطيعة والجفاء والتباعد بين ابناء المجتمع، وانما الاختلاف ينبغي ان يؤسس لقاعدة التسامح وتقبل الآخر والتعايش معه، وجاء تأكيد أئمة اهل البيت على هذا المفهوم من خلال وصاياهم لاتباعهم، إذ جاء في وصية للإمام الصادق (ع) لاتباعه وشيعته ((**عليكم بالصلاة في المساجد وحسن الجوار للناس وإقامة الشهادة وحضور الجنائز إنه لا بد لكم من الناس إن أحدا لا يستغني عن الناس حياته والناس لا بد لبعضهم من بعض**))[٩٧] إذ يبين (ع) ان التعايش المجتمعي أمر ضروري لا يمكن الاستغناء، لا سيما وان الامام يستعمل لفظة الناس للدلاله على تنوع مستوياتهم وأتجاهاتهم وطبقاتهم الاجتماعية، ولعل المجتمع في تلك الفترة كان يعي مشكلة الاختلاف وطبيعته الامر الذي يتسبب بالقطيعة، لذلك نجد هناك من يتوجه للامام الصادق ليسأله عن طبيعة تلك العلاقات، وكيفية التعايش مع الناس، فقد روي ان معاوية بن وهب[٩٨] قال للإمام الصادق((**كيف ينبغي لنا أن نصنع فيما بيننا وبين قومنا وبين خلطائنا من الناس ممن ليسوا على أمرنا؟**))[٩٩] ومن خلال الرواية نلاحظ ان السؤال الذي سأله معاوية بن وهب للإمام يشتمل على قسمين القسم الاول يخص اسلوب وطريقة التعامل بين اتباع اهل البيت مع بعضهم البعض والقسم الثاني يشمل اسلوب وطريقة التعامل مع الاخر ممن لا يتبع مذهب اهل البيت (ع) فقال له الامام (ع) ((**تنظرون إلى أئمتكم الذين تقتدون بهم فتصنعون ما يصنعون فوالله إنهم ليعودون مرضاهم ويشهدون جنائزهم ويقيمون الشهادة لهم وعليهم ويؤدون الأمانة إليهم**))[١٠٠] ونلاحظ من خلال جواب الامام على سؤال معاوية بن وهب ان الإمام لم يفصل في جوابه بين القسم الاول والقسم الثاني من السؤال وانما جاء جوابه واحد لشطري السؤال، وهذا يشير الى ان نظرة الإمام لا تختلف حيال جميع المجتمع، إذ بين (ع) في جوابه الاسلوب والمنهج الاجتماعي الصحيح الذي يجب ان يتبع في التعامل مع هذين القسمين من الناس وقرن ذلك الاسلوب او المنهج باسلوب ائمة اهل البيت في التعامل مع اتباعهم او مخالفيهم باعتبارهم يمثلون المنهج الاسلامي الصحيح الذي يجب الاقتداء به، إذ يشير (ع) الى جمله من الجوانب الاخلاقية التي ينبغي تحقيقها من اجل تحقيق التعايش المجتمعي، من خلال عيادة المرضى ومد يد العون لهم والحضور في المناسبات الاجتماعية ذات الطابع الانساني كمجالس العزاء ومواساة الآخر، فضلاً عن الالتزام بحفظ حقوقهم من خلال اقامة الشهادة لهم وعليهم، واداء الامانة ولا شك ان القيام بمثل تلك الاعمال لكفيل في إن يبعث في خلق جو للإمن والسلام بين المجتمع.

لقد دعا اهل البيت شيعتهم واتباعهم إلى اعداد جيل يؤمن بحرية الفكر لحفظ كرامة الآخر من خلال التواضع والورع والعمل الصالح من دون ان ينظر لنفسه نظرة تعالي تجعله يرى نفسه اعلى مرتبه من غيره بسبب انتمائه لمذهب اهل البيت (ع) إذ روي ان الامام الباقر (ع) قال لجابر بن يزيد الجعفي[١٠١] **((يا جابر، أيكتفي من انتحل التشيع أن يقول بحبنا أهل البيت؟ فوالله ما شيعتنا إلا من اتقى الله وأطاعه، وما كانوا يعرفون- يا جابر- إلا بالتواضع، والتخشع، وكثرة ذكر الله، والصوم، والصلاة، والتعهد للجيران من الفقراء وأهل المسكنة والغارمين والأيتام، وصدق الحديث، وتلاوة القرآن، وكف الألسن عن الناس إلا من خير، وكانوا امناء عشائرهم في الأشياء. فقال جابر: يا بن رسول الله، لست أعرف أحدا بهذه الصفة. فقال (عليه السلام): يا جابر، لا تذهبن بك المذاهب، أحسب الرجل أن يقول أحب عليا وأتولاه! فلو قال : إني أحب رسول الله، ورسول الله خير من علي، ثم لا يعمل بعمله ولا يتبع سنته، ما نفعه حبه إياه شيئا، فاتقوا الله واعملوا لما عند الله، ليس بين الله وبين أحد قرابة، أحب العباد إلى الله وأكرمهم عليه أتقاهم له وأعملهم بطاعته، والله ما يتقرب إلى الله جل ثناؤه إلا بالطاعة، ما معنا براءة من النار، ولا على الله لأحد من حجة، من كان لله مطيعا فهو لنا ولي، ومن كان لله عاصيا فهو لنا عدو، ولا تنال ولايتنا إلا بالورع والعمل))**[١٠٢]

وقد اكد اهل البيت على التغافل عن اساءة الاخر كمنهج للتعايش السلمي بين الناس فروي عن الامام الصادق (ع) انه قال **((صلاح حال التعايش والتعاشر ملء مكيال ثلثاه فطنة وثلثه تغافل))**[١٠٣] وبذلك يضع الامام الصادق (ع) قاعدة في التعامل الاجتماعي مبنية على ركنين اساسيين هما الفطنة والتغافل، والفطنية هي المعرفة الحقيقية للحقوق والواجبات الاجتماعية في التعامل مع ابناء المجتمع الواحد واما الركن الاخر فهو التغافل عن الإساءة التي قد تصدر من الاخر الذي يخالفك في الرأي والاعتقاد داخل المجتمع وبعبارة اخرى هو التغافل عن كل ما يتسبب في الفرقة والقطيعة داخل المجتمع ويكدر صفوة التعيش، وقد جسد ائمة اهل البيت بسلوكهم العملي تلك المفاهيم وتغافلوا عن اساءة الغير لهم على الرغم من مكانتهم الاجتماعية في المجتمع، فروي ان رجلاً شاميا رأى الامام الحسن (ع) فجعل يلعنه والامام ساكت لا يرد عليه، فلما فرغ أقبل الامام الحسن عليه ضاحكاً وقال : **((أيها الشيخ أظنك غريبا ولعلك شبهت فلو استعتبتنا أعتبناك ولو سألتنا أعطيناك ولو استرشدتنا أرشدناك ولو استحملتنا حملناك وإن كنت جائعا أشبعناك وإن كنت عريانا كسوناك وإن كنت محتاجا أغنيناك وإن كنت طريدا آويناك وإن كان لك حاجة قضيناها لك فلو حركت رحلك الينا وكن ضيفنا إلى وقت ارتحالك كان أعود عليك لان لنا موضعا رحبا وجاها عريضا ومالا كبيرا، فلما سمع الرجل كلامه بكى ثم قال: أشهد انك خليفة الله في أرضه الله أعلم حيث يجعل رسالته وكنت أنت وأبوك أبغض خلق الله إلي والآن أنت أحب خلق الله إلي، وحول رحله إليه وكان ضيفه إلى أن ارتحل وصار معتقدا لمحبتهم))**[١٠٤] ولعل هذه الرواية تبين كيف ان التجاوز عن اساءة الاخر ومقابلته بالخلق الحسن يلعب دوراً في تصحيح نظرة

الاخر واشاعة التعايش السلمي بدلاً من العداء والبغضاء لا سيما وان الامام الحسن (ع) يمثل خلق القرآن والنهج النبوي الصحيح، وشهدت سيرة الامام السجاد(ع) التجاوز عن اساءة الغير على الرغم من مكانته بين المجتمع، فروي ان رجلاً اعترض طريق الامام وسبه فسكت (ع) ولم يجبه فقال ((**إياك أعني، فقال –الامام–: وعنك أغضي**))[١٠٥] لقد بلغ من تجاوز اهل البيت عن اساءة ومعانديهم ان رفض الامام السجاد (ع) الاقتصاص من هشام بن اسماعيل والي المدينة الذي كان شديد الاساءة على الإمام السجاد في ايام امارته على المدينة إذ روي ان الوليد بن عبد الملك(٨٦هـ–٩٦هـ) بعد ان أمر بعزله أمر ان يوقف أمام الناس ليستوفوا منه حقوقهم فكان هشام يقول ((**ما اخاف الا من علي بن الحسين**))[١٠٦] غير ان الإمام السجاد توجه الى خاصته وامرهم بعدم النيل من هشام ولو بكلمة واحدة فكان هشام يقول:((**الله اعلم حيث يضع رسالته**))[١٠٧] .

ان المنظومة الاخلاقية التي شرعها أئمة اهل البيت (ع) من خلال تاكيدهم على الرفق والعفو عن الاساءة والقول الحسن والالفة مع الناس وحفظ الكرامة الإنسانية انما هي من قبيل التاسيس لحرية الفكر من خلال التعايش السلمي المجتمعي، ومما لا شك فيه إن هذه المنظومة سوف ينصرف تاثيرها على جميع مفاصل الحياة الاخرى .

الخاتمة

ختاماً لابد لنا من إن نذكر أهم ما توصلت اليه الدراسة، إذ أكد منهج أهل البيت على أحترام الكرامة الإنسانية لجميع البشر على اختلاف اعراقهم وطبقاتهم وتنوع أديانهم ومذاهبهم العقدية، إذ أكد أهل البيت على ضرورة احترام الموالي والعبيد واعتبارهم بمنزلة الابناء والعمل على حتقيق مجتمع يكفل لهم حسن المعاملة بالرفق والمساواة مع باقي عناصر المجتمع، كا أكد منهج أهل البيت على ضرورة أحترام أهل الذمة داخل المجتمع الاسلامي وتوقيرهم وعدم الحط من منزلتهم بسبب انتمائهم إلى عقيدة اخرى غير الاسلام فضلاً عن التأكيد على حقهم في اقامة طقوسهم الاجتماعية بما يتناسب مع عقيدتهم التي يؤمنون بها على إن لا تسيء لباقي الاديان والمعتقدات،كما جاء منهج أهل البيت ليؤكد على وحدة الخلق في التعامل مع جميع المسلمين بالحسنى وعدم الانغلاق بسبب الاختلاف المذهبي والعقائدي حنى مع من لا يؤمن بإمامة أهل البيت وفق مبدأ الاخوة في الدين الواحد.

هوامش البحث

(١) الإمام علي، نهج البلاغة، ٨٤/٣

(٢) اليعقوبي، تاريخ،١٨٣/٢

(٣) الكليني، الكافي، ٨/ ٣٦٢

(٤) شرح نهج البلاغة،١٩٧/٢

(٥) المصدر نفسه، ١/ ٧٥

(٦) المصدر نفسه والجزء والصفحة.

(٧) الكوفي، الغارات، ١/ ٧٠

(٨) الكليني، الكافي، ٦٣٧/٢

(٩) الاشعث بن قيس الكندي بن معد يكرب أمير كندة في الجاهلية وفي الاسلام وفد على النبي (ص) هو وجماعة من قومه ودخل في الاسلام وشارك في معركة اليرموك وذهبت عينه فيها، وبعد وفاة الرسول (ص) ارتد عن الاسلام فلما اسر وقدم إلى ابي بكر عفى عنه وزوجه من أخته أم فروة كان قد شهد مع الإمام علي معركة صفين وتولى على آذربيجان كانت وفاته في الكوفة سنة ٤٠هـ. ينظر:الجاحظ،البرصان،٥٦٦؛اليعقوبي،تاريخ،٢٠٠/٢؛ابن حجر =،الاصابة،٢٣٩/١

(١٠) الكوفي، الغارات، ٢/ ٤٩٩

(١١) المصدر نفسه والجزء والصفحة.

(١٢) طاووس بن كيسان الخولاني الهمداني أبو عبد الرحمن من كبار التابعين عرف بورعه وزهده وجرأته بوعظ الخلفاء، يعد من اصحاب الإمام السجاد (ع) عرف بعلمه وتفقهه بالدين وكان من رواة الحديث . ينظر: خليفة بن خياط، تاريخ،٢٦٣؛ الطوسي، رجال الطوسي، ١١٦ .

(١٣) الامام زين العابدين ، الصحيفة السجادية، ١١٧

(١٤) المصدر نفسه والصفحة.

(١٥) ابن حمدون،التذكرة الحمدونية،٣٩٠/٣

(١٦) بلغت ظاهر التمييز بين الموالي والعرب ذروتها بين المجتمع الاسلامي الأمر الذي ترتب عليه إن يأخذ ذلك التمييز طابعاً فكرياً فأقيمت على أساسه الاحكام الشرعية والاعتبارات الفقهية لدى بعض الفقهاء، مثل سفيان الثوري الذي ((كان يرى التفريق إذا نكح المولى عربية، ويشدد فيه))ينظر: الصنعاني، المصنف،١٥٤/٦ . وروي إنه كان يقول ((لو أن رجلاً أتي قوماً فقال : إني عربي، فتزوج إليهم، فوجدوه مولى، كان لهم أن يردوا نكاحه٠٠٠))ينظر: المصدر نفسه والجزء والصفحة.

(١٧) ابن شهرآشوب، مناقب آل ابي طالب، ٣٠٠/٣

(١٨) المصدر نفسه والجزء والصفحة.

(١٩) الصدوق، عيون اخبار الرضا، ٢/ ١٥٦

(٢٠) الغازي،مسند الرضا(ع)،١٦٠

(٢١) الكليني، الكافي، ٨/ ٢٣٠

(٢٢) المصدر نفسه والجزء والصفحة.

(٢٣) الحراني، تحف العقول، ٤١٣ ؛ المجلسي، بحار الانوار، ٧٥/ ٣٢٦

(٢٤) عقبة بن بشير الاسدي الكوفي من كبار قومه وكان عريفاً في قومه لمكانته بينهم كان من اصحاب الإمام السجاد والباقر(عليهما السلام) روي الحديث عن الائمة. ينظر: الطوسي، رجال الطوسي،٤٥٩/٢.

(٢٥) الكليني، الكافي،٣٢٨/٢

(٢٦) المصدر نفسه ،٢٣٤/٨؛ الصدوق، الخصال،١٨

(٢٧) ينظرللمزيد : حسين، الموالي الصحابة،٥٣

(٢٨) ابن طاووس، إقبال الا عمال، ١/ ٤٤٤

(٢٩) المصدر نفسه والجزء والصفحة.

(٣٠) المصدر نفسه والجزء والصفحة.

(٣١) ينظر: ابن طاووس، إقبال الا عمال ،٤٤٣/١-٤٤٤

(٣٢) ينظر للمزيد: ابن عساكر ،تاريخ دمشق،٣٩٤/٤١ -٣٩٦ ؛المجلسي،بحار الانوار،٩٩/٤٦-١٠٠

(٣٣) الجلالي،جهاد الإمام السجاد،١٤٨

(٣٤) آل عمران: ١٣٤

(٣٥) السورة نفسها والآية.

(٣٦) السورة نفسها والآية.

(٣٧) الصدوق، الأمالي،٢٦٩ ؛ القاضي النعمان،شرح الاخبار٢٥٩/٣

(٣٨) الصدوق، الأمالي، ٤٥٣

(٣٩) ابن عساكر، تاريخ دمشق،٣٩٤/٤١؛ ابن الجوزي،النتظم،٣٢٧/٦ ؛المزي،تهذيب الكمال،٣٩٧/٢٠

(٤٠) المصدر نفسه والجزء والصفحة؛ المصدر نفسه والجزء والصفحة؛ المصدر نفسه والجزء والصفحة.

(٤١) الكليني، الكافي، ٢/ ١١٢

(٤٢) البرقي، المحاسن، ٢/ ٤٢٤

(٤٣) المفيد الامالي، ١٦٧

(٤٤) الكوفي، الزهد، ٤٤

(٤٥) روي ان رسول الله (ص) زوج المقداد بن الاسود وهو من موالي لبني كندة من ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب. ينظر: الكليني ،الكافي،٣٤٤/٥

(٤٦) البيهقي،السنن الكبرى،١٤٣/٧

(٤٧) ينظر: البيهقي، السنن الكبرى،١٤٣/٧؛ ابن حجر ، الدراية في تخريج أحاديث الهداية،٦٣/٢

(٤٨) المتقي الهندي، كنز العمال،٣١٩/١٦

(٤٩) الطوسي، الخلاف،٢٧٢/٤

(٥٠) الترمذي، سنن الترمذي،٢٧٤/٢

(٥١) الكليني، الكافي ، ٥/ ٣١٨

(٥٢) الكوفي، الغارات،٨٢٨/٢

(٥٣) الطبري، دلائل الامامة، ١٩٥

(٥٤) الكليني، الكافي،٥/ ٣٤٥؛ ابن شهرآشوب ، مناقب آل ابي طالب ، ٣/ ٣٠٠

(٥٥) المصدر نفسه والجزء والصفحة؛ المصدر نفسه والجزء والصفحة.

(٥٦) تزوج الامام الصادق (ع) من حميدة المصفاة المغربية وقد اشتراها الامام الصادق وكانت عنده بملك اليمين وكذلك تزوج الامام الكاظم من جارية تسمى تكتم وقد انجبت الامام الرضا (ع) وتزوج الامام الرضا (ع) من جارية اسمها سبيكة النوبية، وولدة له الامام محمد الجواد وتزوج الامام محمد الجواد من جارية تسمى سمانة المغربية وانجبت له =الامام علي الهادي وقد تزوج الامام علي الهادي من جارية اسمها سليل او حدث وانجبت له الامام الحسن العسكري

وقد تزوج الامام الحسن العسكري من جارية تسمى نرجس من الروم وانجبت له الامام محمد المهدي (عج) ينظر للمزيد: الصدوق، عيون اخبار الرضا، ١/ ٢٤ ؛ روضة الواعظين، النيسابوري، ٢٥١ ؛الاربلي، كشف الغمة،٣/ ١٤٣؛ المجلسي، بحار الانوار، ٥٠/ ١،١١٤،٢٣٦ ؛ الشيرازي، امهات المعصومين، ٢٤٦-٢٧٣

(٥٧) ابو داود،سنن أبي داود،٤٥/٢

(٥٨) المصدر نفسه والجزء والصفحة.

(٥٩) الإمام علي،نهج البلاغة،٨٤/٣

(٦٠) المصدر نفسه،٩٦/٣

(٦١) المصدر نفسه،٨٠/٣-٨١

(٦٢) الإمام علي، نهج البلاغة،٨٩/٣

(٦٣) الكوفي، الغارات،٢٢٤/١

(٦٤) الطبري، تاريخ، ٣/ ٥٥٦ ؛ الحراني، تحف العقول ،١٧٦

(٦٥) جارية بن قدامة التميمي السعدي روى عنه اهل المدينة والبصرة وكان من اصحاب الامام علي(ع) وشارك في حروبه وبعثه الى البصرة لملاقاة عبد الله الحضرمي الذي بعثه معاوية الى البصرة ،كما وجهه الامام علي الى اهل نجران عندما ارتدوا عن الاسلام.ينظر: ابن سعد،الطبقات الكبرى،٥٦/٧؛الطوسي،رجال الكشي،٣٢٢/١؛المازندراني،منتهى المقال،٣٢٢/٢

(٦٦) الكوفي، الغارات،٢٢٣/٢؛ الكوفي، الفتوح،٤/ ٢٣٨.

(٦٧) الحراني، تحف العقول، ٢٧١

(٦٨) الكليني، الكافي، ٥/ ٣

(٦٩) روي إن قوماً من بني ثعلبة دخلوا على الخليفة عمر بن عبد العزيز فقالوا: ((يا أمير المؤمنين إنا قوم من العرب أفرض لنا، فقال : نصارى، قالوا: نصارى، قال : ادعوا إلي حجاماً فجز نواصيهم وشق من أرديتهم حزماً يحتزمون بها وأمرهم أن لا يركبوا بالسروج)). ينظر : الأبشيهي، المستطرف، ١٩٩/١

(٧٠) المنقري، وقعة صفين، ١٤٤

(٧١) المصدر نفسه والصفحة.

(٧٢) المصدر نفسه والصفحة.

(٧٣) المنقري، وقعة صفين، ١٤٤

(٧٤) المصدر نفسه والصفحة.

(٧٥) الكليني، الكافي، ٦٣٨/٢

(٧٦) القمي، قرب الاسناد، ١٠-١١

(٧٧) الصدوق، الأمالي، ٧٢٧

(٧٨) المتقي الهندي، كنز العمال،٣٧٦/١

(٧٩) الكليني، الكافي،٦٥٦/٢

(٨٠) المصدر نفسه، ٢/ ٦٥٠ ؛ السبزواري، ذخيرة المعاد، ١/ ٣٦٦

(٨١) الراوندي، الخرائج والجرائح،٥٣٨/٢؛ المجلسي، بحار الانوار،٣٠/٤٣

(٨٢) الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ٣/ ٣٠٠ ؛ العاملي، وسائل الشيعة، ٢٨٨/١٧

(٨٣) المصدر نفسه والجزء والصفحة؛ المصدر نفسه والجزء والصفحة.

(٨٤) المصدر نفسه والجزء والصفحة؛ المصدر نفسه والجزء والصفحة.

(٨٥) عبد الرحمن بن الحجاج البجلي الكوفي من أصحاب الإمام الصادق والكاظم والرضا(عليهم السلام) ومن رواة حديثهم الثقاة أتهم بالكيسانية لكنه رجع إلى الحق، توفي في أيام إمامة الإمام الرضا(ع) . ينظر : البرقي، الرجال،٢٤؛ النجاشي، رجال النجاشي،٢٢٧ .

(٨٦) القمي، قرب الاسناد، ٣١١

(٨٧) ابو الفرج الاصفهاني ، مقاتل الطالبيين،٢٣؛ ابن عبد البر،الاستيعاب،١١٢٨/٣

(٨٨) ابن شهرآشوب، مناقب آل ابي طالب،٤٩٥/٣؛ البحراني، مدينة المعاجز،٣٨٩/٧

(٨٩) الكليني، الكافي، ٢/ ١٦٠ ؛ العاملي، وسائل الشيعة، ١٢/ ١٢٦

(٩٠) الطوسي، تهذيب،٣٩٩/١؛ العاملي، وسائل الشيعة،٤٢٢/٣

(٩١) المصدر نفسه، ٦/ ٢٩٣؛ المصدر نفسه،٦٦/١٥

(٩٢) الكليني، الكافي، ٤/ ١٤

(٩٣) الطوسي، تهذيب، ١٠/ ١٥

(٩٤) القاضي النعمان، دعائم الإسلام، ٤٦٠/٢

(٩٥) المصدر نفسه، ٢/ ٤٥٨

(٩٦) الامام علي، نهج البلاغة،٨٤/٣

(٩٧) المصدر نفسه ،٦٣٥/٢

(٩٨) معاوية بن وهب البجلي الكوفي ويكنى ابو الحسن من اصحاب الامام الصادق (ع) ويعد من الثقاة في رواية الحديث روى كثير من الاحاديث عن الامام الصادق والامام الكاظم (عليهما السلام).ينظر : النجاشي، رجال النجاشي،٤١١؛ابن أبي داود، رجال ابن داود،١٩١؛التستري،قاموس الرجال،١٤٢/١٠

(٩٩) الكليني، الكافي، ٦٣٦/٢

(١٠٠) الكليني، الكافي، ٦٣٦/٢

(١٠١) جابر بن يزيد الجعفي يكنى ابو عبد الله كوفي الاصل من اصحاب الامام الباقر والصادق (عليهما السلام) له كتاب في تفسير القرآن مدحه الامام الصادق في كثير من الاحاديث يعد من الثقاة في رواية الحديث عن ائمة اهل البيت توفي سنة ١٢٨هـ .ينظر:الطوسي،الفهرست،٩٥؛الغضائري،رجال ابن الغضائري،١١٠

(١٠٢) الصدوق، الأمالي،٧٢٥

(١٠٣) الحراني، تحف العقول، ٣٥٩

(١٠٤) ابن شهرآشوب،مناقب آل أبي طالب،١٨٤/٣

(١٠٥) المصدر نفسه،٢٩٦/٣

(١٠٦) الطبري، تاريخ،٢١٧/٥

(١٠٧) المصدر نفسه والجزء والصفحة٠

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : المصادر الاولية

- **القرآن الكريم**
- **الأبشيهي، شهاب الدين محمد بن أحمد (ت ٨٥٢هـ /١٤٤٨م)**

١المستطرف في كل فن مستظرف، تحقيق بلا، ط١، دار ومكتبة الهلال،(بيروت– لبنان، ٢٠٠م)

- **الأربلي ، أبي الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح (ت ٦٩٣هـ / ١٢٩٣م)**

٢- كشف الغمة في معرفة الأئمة ، ط٢، دار الاضواء ، (بيروت .١٩٨٥م).

- **أبن أعثم الكوفي، أبي محمد أحمد (ت : ٣١٤هـ / ٩٢٦م)**

٣- كتاب الفتوح، تحقيق علي شيري ، ط١ ، دار الأضواء ، (بيروت ، ١٩٩١م)

- **البحراني ، هاشم بن سليمان بن إسماعيل بن السيد ناصر الحسيني (ت : ١١٠٧هـ / ١٦٨٧م)**

٤- مدينة معاجز الأئمة الأثني عشر ودلائل الحجج على البشر، تحقيق تحقيق : الشيخ عزة الله المولائي الهمداني، ط١، نشر مؤسسة المعارف الإسلامية، (قم، ١٤١٣هـ).

- **البرقي، أبي جعفر أحمد بن محمد بن خالد (ت : ٢٧٤هـ / ٨٨٧م)**

٥- الرجال، د٠ط ، انتشارات دانشگاه تهران، (د٠م، د٠ت)

٦- المحاسن ، تحقيق السيد جلال الدين الحسيني ، ط١ ، نشر دار الكتب الإسلامية ، (طهران ، ١٣٧٠ش) .

- **البيهقي، أحمد بن الحسين (ت٤٥٨هـ/ ١٠٦٥م)**

٧- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، تحقيق عبد المعطي قلعجي، ط١، دار الكتب العالمية، (بيروت، ١٩٨٥م) ٠

٨ – السنن الكبرى، د٠ط، دار الفكر، (د٠م، د٠ت)

- **الترمذي، أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت : ٢٧٩هـ / ٨٩٢م)**

٩- سنن الترمذي ، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، ط٢ ، دار الفكر ،(بيروت ،١٩٨٣م) .

- **الجاحظ، أبي عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ / ٨٦٨م)**

١٠- البرصان والعرجان والعميان والحولان، تحقيق: عبد السلام محمد هارون،ط١، دار الجيل، (بيروت، ١٩٩٠م) ٠

- **أبن الجوزي، جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي (ت : ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م)**

١١- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق : محمد عبد القادر عطا و مصطفى عبد القادر عطا ، ط١ ، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٩٩٢م)

- **أبن حجر العسقلاني ، شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي (ت : ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م)**

١٢- الإصابة في تميز الصحابة ، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت . ١٤١٥هـ) .

١٣- الدراية في تخريج أحاديث الهداية،تحقيق : عبد الله هاشم اليماني المدني، دار المعرفة، (بيروت ، د٠ت)

- **أبن أبي الحديد ، عز الدين أبي حامد المدائني (ت : ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م)**

١٤- شرح نهج البلاغة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط٢ ، دار أحياء الكتب العربية ، (د٠م، ١٩٥٩م).

- **الحراني ، أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة (من أعلام القرن الرابع الهجري)**

١٥- تحف العقول عن آل الرسول، تحقيق: علي أكبر الغفاري ، ط٢، مؤسسة النشر الإسلامي، (قم ، ١٤٠٤هـ)٠

- **ابن حمدون، محمّد بن الحسن بن محمّد بن علي(ت ٥٦٢هـ / ١١٦٦م)**

١٦ التذكرة الحمدونية، تحقيق: احسان عبّاس و بكر عبّاس،ط١، دار صادر للطباعة والنشر،(بيروت، ١٩٩٦م)

- **خليفة بن خياط ، أبي عمرو العصفري (ت : ٢٤٠هـ / ٨٥٤م)**

١٧- تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق: سهيل زكار، د٠ ط ، دار الفكر،(بيروت ،د٠ت)

- **أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني(٢٧٥هـ /)**

١٨- سنن أبي داود، تحقيق: سعيد محمد اللحام،ط١، دار الفكر، (د٠م، ١٩٩٠م)

- **- أبن أبي دينار(ت ٢٨١هـ / ٨٩٤م)**

١٩- مكارم الأخلاق، تحقيق : مجدى السيد إبراهيم،مكتبة القرآن، (القاهرة، د٠ت)

- **الراوندي، قطب الدين أبي الحسين سعيد بن هبة الله (ت ٥٧٣هـ/١١٧٧م)**

٢٠- الخرائج والجرائح، تحقيق: محمد باقر الموحد الأبطحي،ط١، مؤسسة الإمام المهدي، (قم، ١٤٠٩هـ) **الإمام زين العابدين،على بن الحسين بن على بن ابي طالب (عليهم السلام) (ت٩٤هـ/٧١٢م)**

٢١- الصحيفة السجادية الكاملة،تحقيق :عبد الرحيم أفشاري زنجاني،مؤسسة النشر الإسلامي،(قم، ١٤٠٤هـ)٠

- **أبن سعد ، محمد بن سعد بن منيع الزهيري (ت : ٢٣٠هـ / ٨٤٤م)**

٢٢- الطبقات الكبرى ، د٠ط ، دار صادر ، (بيروت ،د٠ت) .

- **أبن شهر أشوب ، أبي جعفر محمد بن علي السروي المازندراني (ت : ٥٨٨هـ / ١١٩٢م)**

٢٣- مناقب آل أبي طالب ، الحيدرية ، (النجف، ١٩٥٦م)

- **الصدوق ، أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ / ٩٩م)٠**

٢٤- الأمالي،تحقيق: قسم الدراسات الاسلامية – مؤسسة البعثة ، ط١، مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، (طهران، ١٤١٧هـ)

٢٥- الخصال ، تحقيق علي أكبر الغفاري ، بلا . ط ، مؤسسة النشر الإسلامي،(قم . ١٤٠٣هـ)

٢٦- عيون أخبار الرضا(ع)، تحقيق: الشيخ حسين الأعلمي ، مؤسسة الاعلمي، (بيروت ، ١٩٨٤م)٠

- **الصنعاني،أبي بكر عبد الرزاق بن همام (٢١١هـ/٨٢٦م)**

٢٧- المصنف، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، د٠ط، (د٠م، د٠ت)

- **أبن طاووس، رضي الدين أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر بن محمد (ت : ٦٦٤هـ / ١٢٦٥م)**

٢٨- إقبال الأعمال ، تحقيق: جواد القيومي الأصفهاني، ط١، مكتب الأعلام الإسلامي،(د٠م، ١٤١٤م)

- **الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير بن رستم (ت: أوائل القرن الرابع الهجري)**

١٣٨- دلائل الإمامة ، تحقيق ونشر قسم الدراسات الإسلامية ، ط١، مؤسسة البعثة ، (قم ، ١٤١٣هـ) .

- **الطوسي، أبي جعفر محمد بن الحسن (ت : ٤٦٠هـ / ١٠٦٧م)**

٢٩- اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي)، تحقيق السيد مهدي الرجائي ، بلا . ط ، نشر مؤسسة آل البيت(ع) لإحياء التراث، (قم . ١٤٠٤هـ).

٣٠- تهذيب الأحكام ، تحقيق حسن الموسوي الخرسان، ط٣ ، دار الكتاب الإسلامي ، (طهران . ١٣٦٤ش)٠

٣١- الخلاف، د٠ط، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين،(قم،١٤٠٧هـ)

٣٢- رجال الطوسي ، ط١، المكتبة الحيدرية ، (النجف . ١٩٦١م) .

- **العاملي، محمد بن الحسن الحر العاملي(ت١١٠٤هـ/١٦٩٢م)**

٣٣- وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة،تحقيق: مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث،ط٢،مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث (قم ،١٤١٤هـ)٠

- **أبن عساكر ، أبي القاسم علي بن الحسن (ت : ٥٧١هـ / ١١٧٥م)**

٣٤- تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق علي شيري ، د٠ط ، دار الفكر ، (بيروت ،١٤١٥هـ) .

- **الإمام علي بن أبي طالب (ع) (٤٠هـ/ ٦٦٠م)**

٣٥- نهج البلاغة، تحقيق : شرح : الشيخ محمد عبده،ط١، دار الذخائر،(قم، ١٤١٢هـ)

- **أبن عنبة ، جمال الدين أحمد بن علي الحسيني (ت : ٨٢٨هـ / ١٤٢٧م)**

٣٦- عُمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب ، تحقيق: محمد حسن آل الطالقاني ، ط٢، منشورات المطبعة الحيدرية، (النجف الأشرف، ١٩٦١م)

- **الغازي، داود بن سليمان (ت ٢٠٣هـ/٨١٨م)**

٣٧- مسند الرضا(ع) ،تحقيق : محمد جواد الحسيني الجلالي،ط١، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي،(د٠ت، ١٤١٨م)

- **الغضائري،أحمد بن الحسين الواسطي البغدادي(من أعلام القرن الخامس الهجري)٠**

٣٨- رجال أبن الغضائري، تحقيق: السيّد محمّد رضا الحسينيّ الجلالي، ط١، دار الحديث، (قم ،١٤٢٢م)

- **أبو الفرج الأصفهاني(ت٣٥٦هـ/٩٧٥م)**

٣٩- مقاتل الطالبيين،تحقيق: كاظم المظفر،ط٢،منشورات المكتبة الحيدرية(النجف الأشرف،١٩٥٦م)

- **القاضي النعمان،أبي حنيفة النعمان بن محمد المغربي (ت٣٦٣هـ/٩٧٣م)**

٤٠- دعائم الإسلام، تحقيق : آصف بن علي أصغر فيضي،د٠ط، دار المعارف،(القاهرة،١٩٦٣م)

٤١- شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار،تحقيق : السيد محمد الحسيني الجلالي،ط٢،مؤسسة النشر الإسلامي،(قم،١٤١٤هـ)

- **القمي، أبي العباس عبد الله بن جعفر الحميري(ت ٣٠٤هـ/٩٤٦م)**

٤٢- قرب الأسناد،ط١، مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث، (قم،١٤١٣هـ)٠

- **الكليني ، أبي جعفر محمد بن يعقوب الرازي (ت : ٣٢٩هـ / ٩٤٠م)**

٤٣- الكافي ، تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري ، ط٥ ، دار الكتب الإسلامية ، (طهران . ١٣٦٣ش)

.

- **الكوفي، لأبي إسحاق إبراهيم بن محمد الثقفي(ت٢٨٣هـ/٨٩٦م)**

٤٤- الغارات، تحقيق : السيد جلال الدين الحسيني،د٠ط،مطابع بهمن،(د٠م،د٠ت)

- **الكوفي، حسين بن سعيد (من أعلام القرن الثالث الهجري)**

٤٥- الزهد، تحقيق : ميرزا غلام رضا عرفانيان، المطبعة العلمية، (قم،١٣٩٩هـ) المجلسي ، محمد باقر (ت : ١١١١هـ / ١٦٨١م)

٤٦- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار ، ط٢ ، مؤسسة الوفاء ، (بيروت ، ١٩٨٣م)

- **المزي، جمال الدين أبو الحجاج يوسف (ت : ٧٤٢هـ / ١٣٤٢م)**

٤٧- تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، تحقيق بشار عواد معروف ، ط٤ ، نشر مؤسسة الرسالة ،(بيروت . ١٩٨٥م) .

- **المفيد ، محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (ت : ٤١٣هـ / ١٠٢٢م)**

٤٨- الأمالي ، حقيق : حسين الأستاد ولي، علي أكبر الغفاري، ط٢،دار المفيد ، (بيروت ،١٩٩٣م)

- المنقري، نصر بن مزاحم (ت ٢١٢هـ/)

٤٩- وقعة صفين، تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون، ط٣، المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع (مصر، ١٣٨٢هـ)

- **النجاشي ، أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن العباس الأسدي الكوفي (ت : ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م)**

٥٠- رجال النجاشي ، تحقيق السيد موسى الشبيري الزنجاني ، ط٥ ، نشر مؤسسة النشر الإسلامي ، (قم ، ١٤١٦هـ).

- **النيسابوري، الفتال النيسابوري(٥٠٨هـ/١١١٤م)**

٥١- روضة الواعظين، تحقيق : السيد محمد مهدي السيد حسن الخرسان، منشورات الشريف الرضي ،(قم، د٠ت)٠

- **اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن واضح (ت : ٢٩٢هـ / ٩٠٥م)**

٥٢- تاريخ اليعقوبي، د٠ط، دار صادر ، (بيروت،د٠ت).

ثانياً : المراجع الثانوية

- **الجلالي، محمد رضا**

٥٣- جهاد الإمام السجاد (ع) ،ط١، مؤسسة دار الحديث الثقافية،(د٠م،١٤١٨هـ)٠

- **السبزواري، محمد باقر**

٥٤- ذخيرة المعاد في شرح الارشاد،د٠ط، مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث،(د٠م،د٠ت)٠

- **الشيرازي، محمد الحسيني**

٥٥- أمهات المعصومين (عليهم السلام)،ط١، مركز الجواد،(بيروت،٢٠٠٣م)٠

- **المازندراني، محمد بن إسماعيل**

٥٦- منتهى المقال في أحوال الرجال،ط١، مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التّراث،(قم،١٤١٦هـ)

ثالثاً: الرسائل والاطاريح الجامعية

- **حسين، سليمة كاظم**

٥٧- الموالي الصحابة ودورهم في الحياة العامة حتى نهاية العصر الراشدي ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة البصرة ، كلية التربية (١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م)

اصلاح الوزير علي بن عيسى لميزانية الخلافة العباسية

The reformation of the vizier Ali bn. Isa to the Abbaside balance

أ.د.جاسم صكبان علي

اصلاح الوزير علي بن عيسى لميزانية الخلافة العباسية

أ.د.جاسم صكبان علي

١. المقدمة:

توزعت موارد الجباية الاسلامية على عدد كبير من السكان ليصرفوا منها ما يحتاجونه ، فتؤمن لهم دخلاً يمكنهم من معيشة اعتيادية لائقة. وكان هذا بدوره يساعد على تطور الصناعة والتجارة وخاصة مع الامصار التي استقر فيها المقاتلة العرب.

وعند مجيء الامويين ظلت الحاجة قائمة لتوسيع حدود الدولة وتأمين الامن والنظام فيها وانتشار الاسلام في المشرق والمغرب فأرتفع مستوة المعيشة وازداد الاهتمام بالرفاه المادي.

وفي نهاية القرن الثالث الهجري بدأت الدولة تعاني عجزاً مالياً كبيراً فولى الخليفة المقتدر (٢٩٥هـ ٣٢٠هـ/٩٠٧م ٩٣٥م) الوزارة علي بن عيسى سنة ٣٠١هـ/٩١٣م . أعد في السنة نفسها قائمة بجباية الدولة ومواردها وخرجها ومصروفاتها وفق التعديلات التي اقترحها . وهذه هي القائمة الثالثة التي وصلتنا عن جبايات الدولة ايام الخلفاء العباسيين وسبقتها اثنان هما :- قائمة ابي الوزير عمر بن المطرف ، وقائمة ابن خرداذبة.

٢. الخلاصة : نظراً لما كان يمتع به علي بن عيسى من مقدرة على ادارة الدواوين ، فأنه عمل جاهداً لاصلاح الخلل واعادة تنظيم ميزانية الخلافة . فأهتم بالزراعة وقدم قروضاً للفلاحين . واصدر كتباً الى الولاة يدعوهم فيها الى الاقتصاد في الانفاق مع الرفق بالرعية . وخفض مصاريف القصر وكذلك رواتب كبار الموظفين . لكنه اصطدم بعدم موافقة الخليفة والوزراء.وكثرت الشكاوي ضده، فعزل من المنصب ونفي الى خارج العراق ثم استدعى لتصحيح الاوضاع المالية فقدم بغداد وباشر مهامه. لكن العقبات كانت ضده. فعزل نفسه.

٣. الخلاصة الانكليزية :

The Summary:

Ali Ibn Isa with his integrity and foresight stands out from the prevailing villainy of the age as excellence "the good vizier". So he did his best to repair the damage and he organize it again.

He gave his intention to agriculture to organize it, and gave the farmers interest – free loan. He wrote many orders to the governors of the state in order

to economize in their expenditure. And they have to be very kind with the citizens.

He also reduce the expenditure of palace, and also the salaries of the viziers and the senior officers. But he clashed with the caliph and the viziers, so he discharged of his office and deported to Al – Yaman.

Then he had been called to find a salvation for the economic unsolved question. He returned to Baghdad and started his expertness, but the difficulties standed in his way so he resigned himself.

We doubt wither more is to be discovered about any other minster of the caliphs. For though numerous works on the lives of the viziers were composed in early Abbisid times, little of them remains, and of one of the most detailed, Hillal as – sab's Kitab Al – Wazara, only that part survives that is concerned with the doings of Ibn Isa and of his chief rival in office. No period of the caliphate, moreover, is more abundantly chronicled them that in which he lived nevertheless Ali Ibn Isa has not received much attention know European writers. Von Kramer used the Kitab Al Wuzara in his urber das Einnahmebdget des Abbasidenreicbs, but he was concerned in that monograph chiefly with Ali Ibn Isa states- man ship, only secondarily with him himself. Certainly Ibn Al- Furat had more vigours than Ali Ibn Isa and owned the effrontery he lacked.

٤. تفاصيل البحث

أ-نبذة عن حياته :

علي بن عيسى هو ابو الحسن علي بن عيسى بن داوود بن الجراح. ولد في دير قنى ، وهي مدينة صغيرة نمت حول الدير الواقع الى ميل شرق دجلة وحوالي ٤٠ ميلاً شرق بغداد، من اسرة فارسية، في جمادى الاولى ٢٤٥هـ / اب ٨٥٩م ، لقد امتلك ارضاً في الصافية المجاورة . وقد عوقب هو واخوته بسببها بقسوة[١] ولكنها كانت جذابة له لكونه ولد في بغداد حيث يوجد البلاط. وكان ابوه في خدمة الحكومة، ولكن رغم انه جاء في نص[٢] يشير الى انه كان كأحد رؤساء السكرتاريين. مات الاب عندما كان علي لا يزال طفلاً او رجلاً شاباً ، وبالتأكيد فأنه مات قبل ان يكون علي وزيراً لاول مرة . خدم جده واسمه داوود بطريقة مماثلة في لسكرتارية ايام المتوكل[٣](٢٣٢هـ-٢٤٧هـ/٨٤٧م-٨٦١م) وقد ارتقى الى الوزارة اثنان من ابناء عمه، الحسن وصاعد، وهم اولا مخلد بن جراح[٤] . وسمع علي حديثاً مع الحسين بن محمد الزعفراني واحمد بن شعيب النسائي[٥] وقرأ وألف مجموعة من الكتب.

اشتغل ايام المعتضد (٢٧٩ هـ - ٢٨٩هـ/٨٩٢م - ٩٠١م) في ديوان المغرب فذاعت شهرته. فعرض عليه المكتفي (٢٨٩هـ - ٢٩٥هـ/٩٠١م - ٩٠٧م) اعمال الوزارة لكنه اعتذر وفضل الاستمرار في الدواوين[٦] المالية.

عرف هذا الرجل بقدراته الاستثنائية في ادارة الازمات المالية الخانقة التي مرت بها الخلافة العباسية. فاصبح وزيراً سنة ٣٠١ هـ – ٣٠٤ هـ / ٩١٣ م – ٩١٧ م وكانت العناصر المنتفعة من هذه الازمة ابعدته عدة مرات من منصب الوزير ونسبت اليه تهماً خطيرة كالانتماء للحركة القرمطية. ولذا فأنه نفي عدة مرات خارج بغداد الى اليمن ، الشام ومكة التي كان يفضلها على الغير من الولايات. وقد رفض الرجوع اذا كان القصد ان يكون وزيراً، لكنه وافق ان يكون نائباً للوزير سنة ٣٠٦ هـ / ٩١٨ م ونفذ ميزانية الدولة العباسية في السنة نفسها(٧). وثم اصبح وزيراً لعدة مرات ومات عن عمر ناهز ٨٩ عاماً.

ب- مشكلة الميزانية:

لا شك في الحقيقة من غير الممكن ان تفاقم الصعوبات علي اكثر من مشكلة الميزانية. لقد ارعبته حالتها ورأى انه ما لم يتمكن بسرعة ان يحسنها، يجب عليه الانهماك فيها بسرعة لحل الارتباك المالي، مثلما كان قد اهتدى الى الانصراف بالرجوع الى وزيرين سبقاه من قبل.

وكان سبب الكارثة على نحو مضاعف اي بصورة مضاعفة وهو ان العائدات المالية للميزانية كانت محدودة وكان معدل الصرفيات عالياً جداً. وعند مقارنته بالدخل المقدر والمصروفات التخمينية ينكشف العجز في الميزانية. اما النسبة العالية من الانفاق فترجع الى تبذير الوزيرين الاثنين السابقين ، الخاقاني وابن الفرات، والخليفة المقتدر نفسه. فقد كان الوزير والخاقاني قد سار مرة اكثر من الوزير ابن الفرات بصرف زيادة عامة في اجور الخدام المدنيين،وافراد حاشية القصر(٨). ان سبب هذا التقلص في الدخل الحكومي يرجع الى انه يبحث مؤخراً على الاقل، وهنا بالفعل على ابن الفرات جلب دليل في المتناول، ومنذ كان تحت امارة فارس المحلية التي اصبحت مرة اخرى خاضعة له، فأن الحروب الاهلية والثورات في المئة الاخيرة من السنين والتي كانت مسؤولة بشكل رئيسي ، عن ذلك التقليص في بعض الامور كان كثيراً جداً. وان مقاطعات معينة قرب بغداد على سبيل المثال ظهرت بأنها اسهمت الان بشكل طفيف فقط . انه اكثر من جزء من الثلاثين – ما كان ، قد اسهموا في قرن اقدم. وكانت الضرائب على نظام الزراعة عرضه للتعسف والمفاسد . في احسن الاوقات، وعندما كان كما هو في السنين الحديثة من الفوضى اذ كان الوكلاء في الغالب احراراً بشكل تام في الاشراف بواسطة الحكومة، انها اصبحت بسهولة وسيلة للاستبداد المحلي. وقد عمل الفلاحون بصعوبة لكثرة الضرائب على ارضهم ودخلها المرتفع وكانت المعاملة قاسية بواسطة الاشخاص المشاركين في الحروب ، وظلم جباة الضرائب واجورهم ، ثبط هممهم وعوقهم في النهاية. واخيراً اصبحت اراضي واسعة خارج الحراثة اي غير مستغلة بالزراعة.

ومن الصعوبة بمكان ان يعمل علي اكثر لأعادة الميزان السنوي للدخل والانفاق، لتحقق الضرائب واجباتها. واصبح لا يستطيع ببساطة من قلب سياسة ابن الفرات التي كانت قد عملت الكثير لغرض افساد نظامها. وليصرف النظر عن كل قضايا جعفر الجديدة الملازمة : فقد كان بشكل واضح خارج السؤال، لالغائها ، وابطالها سوية. لان الاذى والازعاج سيزدادان بأستخدام مبالغاً مالية فتنزل على رأسه

لعنات القصر كله. وقبل تحمل هذا بشجاعة فأنه صمم على تنظيم جمع الضرائب في توقعات زيادة غلة المحصول.

ان سوء حكم الولاة في فارس قد افضى الى انتشار الهجرة الواسعة للفلاحين ولنتيجة انخفاض في الريع الناشيء من الارض. لسد نقص ضياع التكملة، او الضرائب الاضافية لذلك كان "استناداً الى اله فارس القديم" فأنهم فرضوا ضرائب على اولئك الذين بقوا في الارض. وكانت هذه الضرائب قد فرضت عليهم ثقيلة جداً. والاكثر من ذلك، فأن حدوثها كان غير عادل وكان بعض الفلاحين اقوياء لدرجة انهم رفضوا دفع جزء من مستحقات الاداء. ولما وجب على الاخرين تغيير هذا النقص ايضا ، لاعادة اخضاع فارس رغم انها كانت قد تمردت بواسطة الثوار.

وقد جلبت المسألة الى علي بتقرير موجز. وكانت قد اقترحت على علي بأن البديل للتكملة متوفر بتقرير في الضرائب القديمة على اشجار الفواكه التي كانت عاطلة لأكثر من قرن سابق بواسطة الخليفة المهدي (١٥٨هـ - ١٦٩هـ/٧٧٤ م – ٧٨٥م). وقد جاء مجموعة من الزراع الى بغداد لأثبات هذا الامر. انهم جاءوا بنماذج من القمح الفاسد والفواكه الجافة التي ينتجوها وغير متوقعة من عبيدهم، وعرضوها على المجتمعين لتوضيح معارضتهم، وفي نهاية الاجتماع سمعت القضية وحكم لمصلحة ضرائب الفواكه. ان زراع الفواكه بعد ذلك قاموا بمعارضة متأخرة وانهم منذ ان الغيت اتلضرائب بواسطة الخليفة فأن احيائها كان غير عادلاً. اجاب علي على هذه المسألة بأنها الان يجب اعادتها بأمر من الخليفة المقتدر (٢٩٥هـ - ٣٢٥هـ / ٩٠٧م – ٩٣٢م) فقط. وان امر خليفة واحد كان جيداً كجودة امر الخليفة الاخر. بالأضافة الى التكملة، فقد حاول علي اعادة للتحريك تبعاً لبعض الواجبات الاخرى خصوصاً ضرائب"المكس" بالقوة في مكة. وحذر من عادات رسوم الموانئ في المد والجزر في مصب نهر الدجيل[٩] وضرائب الخمر في ديار ربيعة[١٠] ومن الجائز انها في علاقة واتصال مع تحقيقاته وتدقيقاته في امور فارس المالية الذي كان علي قد نظمه "اذ كأنه قد عمل في ذلك في الحقيقة" الكتاب الصغير في جغرافية ذلك الاقليم والذي ينسب اليه[١١].

ج- معاقبة المخالفين:

لتعديل القواعد. اتخذ علي عقوبات شديدة وقدم روحا جديدة الى طرق ادارتها. في دورته الاولى للحكومة المحلية بدأ بنشر افكاره بلغة لا تقبل التسوية وانه لم يتجاهل احداً دون محاكمة ولكن حذرهم بأن الدمار والاختلاس سوف لن يلق تسامحاً. واذ احتاجوا فلهم مهلة لتغيير طرقهم. ولكن اولئك الذين سيوجدون ينتظرون حتى نهاياتها سوف لن يتوقعوا ان يحتفظوا بمواقعهم. انه كتب "لا يوجد تساهل مني في ذلك: ولا انا مشجع اي نقصان في حقوق امير المؤمنين. سوف لن الغي درهماً من امواله ولا اتجاوز في القرابه او الغرابه على اي عيب او نقص في الشؤون الحكومية". ومع هذا ، كما لم يعمل

على اصلاح طرقهم. انه كان جيداً ككلامه، وعندما انتهت فترة الاختبار فانه عمل عدة تغييرات في الدوائر وفي التعيينات المحلية(١٢).

د-الغاء الرشوة:

كانت الرشوة تبدو بشكل عام بأنها قد سمح بها الوزير طالما انها كانت متوسطة (مقداراً وحجماً)، ولذا فأن الموظفين من الجائز ان يأخذوها كما لو كانت عطية او منحة. انها مسموح بها استناداً الى الروايات الحكومية(١٣) . ولكن في نفس الوقت تبدو انها ظلت تقنياً جريمة واثم واهانة بأعطائها او اخذها، وقد اتهم الوزراء المتنافسون على سبيل المثال بعضهم بعضاً في ممارسة التخريب عن طريق الرشوة. وقد عمل علي وجهة نظره في القضية بشكل تام وواضح. مع ذلك فقد كان احد الموظفين على الاقل، وقحاً وجريئاً لدرجة انه عرض على علي نفسه رشوة. واخر "كما ساروي ذلك بأختصار" نجح في هدفه في الحقيقة وان يكن تحت ظروف خاصة في جعله يقبل ذلك. كان السابق قد تخلف في دفع ضرائب الفلاح والذي كان قد سمع الوزير موضحاً الرغبة في ان يرى الاترج من مناطق خاصة، يرسل له بسلال مليئة، كما هو في الوقت الحالي، وقد افرغ ما في داخله عدة اترجات حتى النفاذ. وحشى كل واحدة في حقيبة مخملية صغيرة تحوي الف دينار. وكان علي على كل حال قد وقف ضد اي اغواء قاسي موجع، وعلى كل حال فقد حضر ببراعة وكان فقط قد قاد الى الفشل بضرائب الفلاحين التي ضلت محل نقاش الاختلاس. كيف كانت افكاره صارمة في مسألة واضحة من رفض رخصته ان يحفظ الاعتبارات لدوره في الصفقات "انه احضر السلة". " وانا لا اتجرأ قبول اي شيء" قال هو(١٤).

واصدر علي اوامر الغي بموجبها الرشوة التي بها ابعد الوسطاء خارج الادارة وكانوا قد اعتادوا استرخاء الارفع مقاماً. رغم انه في نهاية المرحلة شكلت الرشاوي مصدراً للدخل والذي عد شرعياً بأي نسبة بواسطة ابن الفرات وقد حكم علي بأنه في النهاية ان اخمادهم سوف لن يكون فقط للمعنويات ولكن كذلك للفائدة المادية للحكومة : "الرشوة" كما صرح علي هي "تقود الى ضياع القوانين" الى مساوئ الاصلاح كانت كما وجدها علي تعود الى حسابه ذلك ما لا يرد بعد دفعه وخاصة الرسوم الكمركية تعاد حالاً الى دافعها عند تصدير السلع ثانية. انها فعاليات تحتاج الى وقت لظهورها"(١٥) وقد الغى علي بن عيسى ببخل الحضر ومنح السيطرة القصيرة(١٦).

هـ-الحث على العدالة

نصح علي الولاة على حث المتقين والمجتهدين الى حقوق كل الطلبات ضد القرارات والاحداث التي تتعلق بجباة الضرائب ومخمنيها و بقية الموظفين. لان الناس من المحتمل ان يظهروا اخلاصهم بقوة العدالة. وعندما كان يؤكد على الاهمال او عدم الشرف للموظفين كان قد تحرك نحو العنف والانتقام. وجدت مجموعة من مخمني الضرائب بانها وقعت في الخطأ في قياس حقل، اذ روي انه لما

"وصلت رسالة من علي ابن عيسى مع ما يشبه قصف الرعد مع سخط ونقمة..." كان الناس متحمسين بأستغلال محاسن علي في نزعته الى الخير. وبالفعل فأن الحكام تبين انهم بين الفينة والفينة الاخرى يرتعشون على سلطتهم. وقد سمح علي بسجن ووضع القيود بأيدي المدينين للدولة. ولكنه لم يطل معاملتهم السيئة، واحتج احد الوكلاء اذا كانت يداه قد ساعدت على التغلب على هذه الصعوبة بهذه الطريقة فأن كل الحكام سينتهون. وبالتالي فلا دخل يمكن ان يأتي. ان تنبئاته لم تثبت النجاح على كل حال. بدأ الفلاحون يشعرون بأن الفائدة العادلة ستكون ضماناً لهم. "الظلم وعدم العدالة" قالوا هم "كانت قد زالت". وفي السنوات القادمة فأن هذا الدخل المحدود جداً سيزداد على نحو هائل وكذلك فأنها سيزداد في كل مكان من الاقليم"[١٧].

وقد حمل علي بالتأكيد نظامه الاقتصادي الى الاحسن بكل الجهود المستطاعة ومرة على الاقل، اذ كنا نحن نعتقد من غير انقاص للاسم او السمعة لرواية الراوي ، فأنهم كثيراً ما يدافعون عن نهاياتهم، واذا اعتبرنا ابن الفرات كان قد سمح كثيراً بأصلاح السداد واستمر يتنافس مع هذا حتى استقر في ارض يمسكها المستأجرون بالخمس، يجب عليه نفسه ان يتحمل التكاليف. وكانت النتيجة عندما جاء الفيضان ان انهارت السداد لانها لم تلقى اهتماماً على الاطلاق : لان المبالغ المخصصة لأدامة السداد في بعض الاحيان لا تقتصر على علي الذي عليه صرفها في اصلاح المنطقة التي غرقت[١٨].

و- تقليص النفقات:

وكان علي مقتنعاً بأن تقليل النفقات اصبح ضرورياً فقط في القضايا الصغيرة كما هو في الكبيرة، لقد قضى وقتاً طويلاً على سبيل المثال في فحص غذاء لحم البط المجهز للبلاط. واعتقد بأن افضل خبز هو الشعير وهو جيد جداً لهم والح على الموظفين المسؤولين باطعامهم الشعير الذي كان مبتلاً بالماء بسبب وقوعه في قعر بوارج النقل. ان التقليد الرسمي في خصوصيات علي كان سرياً. وبظهوره الى العلن اكتشف بأن مرتب الوزير للساعة الواحدة هو اكثر من المبلغ المساوي لمجموعة التي من الممكن ان تدخره. ولكن علياً عند سماعه ذلك اثير استغرابه وتأكد له بان كفة ميزان الصفقات التجارية اثر بشكل عام على التي يمكن ان تتعامل على الاطلاق[١٩] وخلال المساءات الصغيرة في الصيف قلل علي مرة اخرى تجهيز الزيت والشموع التي تقدم الى خدم القصر. عارض المسؤول الرسمي ذلك لانها كانت من الاقتصاد الفغير مرغوب به. اجاب علي بانه اذا احتاج الخدم المزيد فأنهم يطلبونه وسيصلهم بسرعة ولذلك فعندما ظهرت فرصة نقص الشموع فانها اعطيت لهم بسرعة[٢٠].

بينما كان علي مغادراً الحضرة الملكية ناداه جعفر الى الوراء . "مخبراً اياه بأنه فرض عليه ضرائب مع العزم على تقليل التجهيز، وعلى علي ان يقبل انها كانت حقيقة. فضحك الخليفة قائلاً ارغبتك انت" قال هو "ان النقود من المحتمل تصرف لمختلف المناسبات وقد استقبلت بعض الناس منفعتين. انا لا ارغب انك توقعها"[٢١].

ز- مهارة علي في اساليب التقنية.

حصل علي على شهرة واسعة في نهاية الاثناعشر شهراً في الوزارة . وقد خلقت اساليبه التقنوية بدون شك انطباعاً مفضلاً. وبمهارته الحاذقة، كان بالتأكيد يستحق الاكثر بواسطة المزارعين والفلاحين الذين استفادوا من اصلاحاته. انه كان مباركاً عظيماً. لكن تخفيضه للنفقات ذهبت الى اتجاه اخر، الى رغبات عدة اخرين "وكانوا اكثر قوة" ولذا فالذين في عيونهم الطهارة والعفه، كان عندهم بالضبط الاسلوب في التفوق على الخصوم.

ان الانتقاد العنيف الموجه لعلي هو بخله الشديد وكان متهماً ايضاً بعدم الرحمة بعزل الموظفين وللتدقيق فانه فشل في ضبط الاموال المطلوبة بفضل العرف لا بالقانون منهم – ومثل لهذه المبالغ يجب ان تدفع من الجيوب الخاصة[٢٢]. لذلك كانت ضربة قاسية. ان هدف علي من هذا الضرف لم يكن معروفاً ولا تقليديا كافياً. "سوف لن استعمل الخونة في اي مؤسسة اثق بها" كان عليه القول[٢٣].

ومن المحتمل ان لهذا الاتهام في الحقيقة بعض المألوف، وبالتأكيد فهناك مدونات مماثلة في الحال، لاعذار علي والصفح عنه لتخلفه في المثول رسمياً لدفع دينه للدولة. وقلق الرجل فقط على خباز الخبز في بيته اذ انه اعتاد ان يأحذ بعضاً من الخبز خارجاً ليأكله في وجبة طعامه في منتصف النهار. وعند تدقيق حساباته، سقطت قطعتا خبز صغيرتين بالصدفة خارجا عن غطاء الذراع والتي من المفروض على علي ان يكون قد اشار اليها لكنه يفقر وحزن طالب الشفقة والرحمة منها[٢٤].

لحد الان فان اي شخص يحق له انتقاد علي على حساب حرمان الخليفة من الاموال الحقيقية له. بوضوح لم تكن عند ابن الفرات طريقة للاعفاء من دفع الغرامات، وعلى النقيض انه فضل ضبطها ومتابعة مسخدميه. ان هذا هو كل ما عمله مع الاجزاء الكبرى من المبالغ الكثيرة من انصار ابن المعتز ٢٩٥ هـ/ ٩٠٧ م. انه هرب مكشوفاً بواسطة حسن الظن بكل اصحاب الاعمال، ليس موظفي الخزانة ولكن لاثنين من صرافي المال اليهود وكانوا قد احضروا المجموع في حساب الخزينة مثل $\frac{1}{10}$ فقط من ما حسبه رؤساء الدواوين، انه في الحقيقة قد جمع . كان الصرافان يدفعان هذا المبلغ بناء على الطلب. لكن علياً عندما جاء الى السلطة صمم على استرجاع ما يمكن استرجاعه من البقية. وتحت الضغط فأن يهوديين اقرا الوصول الى مبلغ كبير كمبلغ لفوائدهم على كل الصفقات ولم يفرض علي عليهم، على كل حال ، فانهما تخلفا عن هذا المبلغ بالجملة . وبدلا عنه فقد عمل معهم علي اتفاقية ادارية ملائمة جداً، ووفقاً لذلك فانه عليهم في بداية كل شهر تجهيز الوزير بنوع متقدم من النوع الذي يمكن ان يفئ بالمرام ومؤكد بانه غالي الثمن وان يعيد لهم ما كان قد دفعوه، عبيداً، رغم انه بدون الفائدة المعتادة " من جزء من انتاج الاحواز وواسط"[٢٥].

بدأ علي يمارس اعماله من القصر في عهد المقتدر سنه ٣١٠ هـ/ ٩٢٢ م –٩٢٣م بغياب الوزير ومواصلة حملته الاقتصادية والتي حددها منذ عودته للسلطة، ولم يسمح له بالعمل لفترة طويلة بسلام(٢٦).

ان مقاييس علي فيما يخص الاقتصاد والاصلاحات التي اثارت له العداء الذي كان محتوماً ومتعذراً اجتنابه. وحالاً بعد استلامه السلطة في وزارة حامد في سنة ٣٠٦ هـ/٩١٨ م فانه دفع تقريراً مالياً اخر للوضع الاقتصادي مشابهاً لذلك الذي كان قد عمله قبل خمس سنوات(٢٧) واضعاً ارقامه الايرادية على مردودات السنة الاخيرة . بالضبط سنة ٣٠٤ هـ/٩١٦ –٩١٧ م. وتلك هي للمصروفات في ميزان الحساب الجاري. ان مقدار العجز في الميزانية كان اكثر من مليوني دينار او حوالي $\frac{1}{7}$ من ميزان الدخل الكلي.

وكان ذلك لغرض ما يجب اعتبارها سنة اعتيادية . ولكن فيما يخص الانفاق، في السنوات الثلاث الاولى من وزارة حامد كان بعيداً جداً من الامر العادي. ومن اجل تنفيذ هذا اجبر علي مرة اخرى على حسم الزيادة العامة للدفع، التي حددها ابن الفرات عند رجوعه الى الوزارة(٢٨).

ان همهمات عدم اقتناعه بزيادة ابن الفرات ، بناء على ذلك، جعلت نفوس الكثيرين بسرعة تعارض ذلك. وكان الهاشميون بشكل خاص بدأوا يمتعضون ويستاؤون من انقاص نصيبهم اذ خصص المبلغ الماخوذ من نصيبهم للجيش. في احد الايام وباسرع ما يمكن عام ٣٠٦ هـ/ ٩١٨–٩١٩ م، عندما كان علي قادماً من مداولة ومشاورة مع حامد ((لانهم كانوا لازالوا في مزاج جيد في ذلك الوقت)) وكان الهاشميين قد صمموا على الذهاب اليه وشتمه. فكان لهم ما ارادوا. لقد جذبوه من حصانه بالقوة ومزقوا سترته. وقد منعوا فقط من جرحه جسدياً بتدخل بعض الضباط. لم يكن ذلك لانهم اعتقدوا ان اي حارس خاص وشخصي لعلي كرجل وليس كوزير ممكن ان يمنعهم . علماً فأن لديهم كل الاسباب فيما يتصل بذلك مع الاقرار بالفضل وعرفان الجميل للعديد من الهدايا الخيرية التي قام بها كانت مشاكلهم اقتصادية واضحة. انهم ازعجوا ابن الفرات بنفس الطريقة خلال وزارته الاخيرة(٢٩). وبعد ذلك فأن الخليفة انتزع اعتذاراً من ممثلية العائلة باستثنائهم مؤقتاً من البلاط. ولكنه لجأ الان الى المقاييس الصارمة:– وضع الاثمون في الاغلال والقيود، والجلد، ثم ارسلوا الى باخرة السجن للنفي المحدود في البصرة، حيث انهم اصبحوا موضع استهزاء وهم على الحمير_ وكانت الحقيقة هي ان شعور التبجيل والتوقير والانحناء لعائلة النبي (صلى الله عليه وسلم) كان شديداً جداً_ ولكن في بعض الاحيان ان بعض اعضائها كانوا يسيؤون لامتيازات مراكزهم.

د– <u>مقاييس علي الجديدة في التغلب على المشاكل المالية:</u>

ان المرحلة التي كان على علي مواجهتها، كانت في الحقيقة شديدة. ولغرض التغلب عليها فقد رأى مرة انه لايوجد شيء يمكنه من ذلك سوى القبول بها، وكان قد تبنى مقاييس شديدة . وكل اولئك

الذين كانوا جالسين معه في المساء في ٥ من صفر سنة ٣١٥ هـ/١١ نيسان ٩٢٧م هم يحكمون دوائر الحكومة . قرر ان التقارير المالية يجب تسليمها اسبوعياً بدلاً من شهرياً، وان الحسابات يجب ان توازن يومياً. وخفضت كل منحة حكومية او مرتب حكومي بشكل دقيق. وان اي شيء يخص الايصال والذي هو السبب الجيد لا يمكن ان يكون قد ذكر كان قد حسم سوية. وهناك الكثير من المعارضين له، اذ كان السكرتاريون انفسهم يعملون اكثر، لقاء اقل كثيراً من المال المدفوع لهم. ووجد الخصيان، المغنون، المهرجون، الطباخون، مجموعة رافضي التخلي عن كل وصف يكون مندفعاً مع البلاط، وجدوا ان ايامهم المصيرية قد وصلت الى النهاية. وفقد علي حالاً، كالعادة شعبيته الى اقصى حد، وكان الخصيان قد سبوه في الاجتماعات العامة وقد سخر منه شعراء البلاط الذين كان قد تجاهلهم. لكن علياً لم يهتم بذلك وفي هذا كانت قوته.ان السرعة التي تجرد بها من الكراهية ومشقة الوزارة كانتا المكان الامر الذي شاءه واحبه.

وكانت البنايات في قصر التاج ايام المقتدر (٢٩٥هـ-٣٢٠ هـ/ ٩٠٧م-٩٣٢ م) عرفت بأسم الاترج، اي العشب العطر، كالكواكب السيارة والقبة الحمراء[٣٠]، وان الاحتفال بمعرض مجموعة الحيوانات الوحشية الذي لعب كثيراً في زخرفة جزء منه في المناسبة والذي كان قد دمر. واكتشف علي بأن صرف الرواتب كان في الحقيقة قد حفظهم مقبوضا عليهم بواسطة نصيبهم من الراتب ومن الممكن ان يستولي على مبلغ كبير لنفسه. وانه غرم صارف الرواتب كثيراً، طارداً اياه وموظفيه من الخدمة، واجداً طمأنينة للتعاون النسبي لانجاز الوعود . ليسمح له في اختيار المناطق ذات المدخولات التي يمكن الحصول عليها . لكن الحدث قاده لفحص معظم قضايا الدفع للعسكر. وقد وجدوها جميعاً مرتفعة ومقلقة[٣١].

وفي هذا الوقت كان علي في حالة يأس على تدبير الامور المالية، ان اغلب المقاييس القاسية تبدوا غير نافعة ولا مفيدة لرأب الصدع لثلاث سنوات، واهمل ما كان قد تقدم عليه من حيث الزمان من فترته في الوزارة . وقد ثبت استحالة قطع حصة السيدة، الحريم، واسر اهل البيت، اضافة الى ذلك، فان نصر كان دائما يروي وقوع النفور والكره والاستياء، انه كان غيوراً من احترام علي بن عيسى لمؤنس، ويشعر نفسه بانه تافه ومهمل، ولذا فعندما سمع علي بدفعة جديدة من الاموال المراد صرفها وكانت اكثر ما يمكن تحمله لكثرة اعماله وتعاظم المسؤولية فكتب للخليفة متذرعاً اليه ان يسمح له بالتقاعد لانه كان كبيراً في السن جداً ولا يستطيع ان يكون على مستوى الجهود المالية المطلوبة فكان له ما اراد. ولكن بعد فترة دبرت له مؤامرة فالقي القبض عليه في ظهر ١٥رجب الاول ٣١٦هـ/ ٨ مايس ٩٣٨ م.

هـ- **مساهمة بعض الخلفاء العباسيين في محاولة حل الازمة**

القى الخليفة العباسي القبض على مسؤول مصادر موارد الفلاحين في واسط والحدود المعروفة باسم ري الفرات، ونادي الخصيبي الذي اصبح وزيراً بان لا تكون لديه سلطة في تلك الاقاليم. ولكنه الح ان على علي ان يستلم باليد الدخول الاجمالية الحكومية. ويقوم الخليفة بنفسه بأخذ مدخولاتها[٣٢]. وفي هذا الوقت فليس على علي ان يعترض، ولكن كالعادة في مناسبات مغادرته بغداد، نحن نسمع الان بمحدودية صغيرة من اعماله. وهذا هو اكثر مما تعلمنا ، على اي حال ، فأن اهالي الكوفة ناشدوه مع النجاح ضد استبداد جامع ضرائبهم، والذي بحث زيادة فوائده بمسك محاصيل الفاكهة التابعة لهم وبضمنها اسعارها وهي واجبة الاداء في ارض الخراج، في حين انهم فضلوا الدفع استنادا الى نظام اخر وهو نسبة ثابتة من المحصول بالنوع[٣٣]. وكذلك اخبرنا انه بشكل عام غير الضرائب في المناطق ذات "الرخاء الاقتصادي ". ولكن كم من الزمن انه ظل هناك، وماهي بالضبط الامورالتي كان قد امن بوضعها . لقد ظلت غير مؤكدة. وكل الذي اخبرنا به في بعض الاوقات تلك، مبكراً في ٣٢٢هـ/٩٣٤م او قبل ولكن من المحتمل قليلاً جداً قبل ابعاده، تعهد القائم بضرائب واسط ، بمقدار ثلاثة عشر مليون درهم، الى موظف اسمه ابو عبدالله البرادي "والذي كان بعد ذلك بمدة قصيرة اصبح رديء السمعة" وقد شهد على توقيع العقد، ولكن فيما اذا، كان قد عمل مثل ذلك ام لا، فهو لا يعرف ، انه بعدها ترك واسط، وانه كذلك غير مسجل وبالتاكيد فانه رجع الى بغداد في وقت عزل الخليفة، لانه في الحوادث التي رافقته بسرعة ادى دوراً بارزاً بموهبته وكفاءته. ولكن في مكان اخر[٣٤] فانه روي انه فقط عمل رسمياً بانه انسحب من عمل ضرائب محاصيل واسط الزراعية. ولذا فمن المحتمل انه استمر، حتى بعد صفقته مع البرادي لانجاز بعض الواجبات ذات العلاقة بها[٣٥].

ان اول عمل قام به الراضي ٣٢١هـ-٣٢٩هـ/٩٣٣م-٩٤٠م هو ارساله الى علي والطلب منه ان يكون وزيراً، واعتذر علي كما فعل من قبل وفي الغالب فانه رفض لانه كبير السن وضعيف، لكنه اقترح اذا كان اخوه عبدالرحمن يمكن ان يعمل كوزير فانه سيوجهه كما وجه سليمان للمقتدر. وقبل الراضي الحل الوسط. واعلن في بيان ان عبد الرحمن اصبح يسمى الوزير.

ثم انتخب علي وزيراً في عهد الراضي لعدم وجود شخص بكفاءته[٣٦]، لقد ثقلت عليهم المسؤوليات بالفعل، منذ البداية فان مهمتهم كانت في الحقيقة غير مضمونة. وخلال الثمانية اشهرالقادمة فانهم واحفادهم ووحتى مواهب علي كانت غير مساوية لهذه المشكلةالتي تؤدي عبثالاستقبال المتطلبات العادية للانفاق . ان نطاق سلطة الخليفة التي كانت قد تمددت على سعة الامبراطورية، هي الان قد انحصرت الى المناطق المجاورة مباشرة لبغداد. ولكن مع هذا التقلص في الحدود فان النفقات التي فيها المدخولات من الامبراطورية السابقة قد انقطعت عن تحمل النفقات وكانت بطريقة غير عقلانية انقصت راس المال. لان البلاط كان دائماً يعيق فضل القيمة((الفرق بين قيمة

العمل المنجز او السلعة المنتجة وبين الاجور التي يدفعها رب العمل الى العمال)) التي ترسل من مختلف المقاطعات بواسطة العقود، بعد الاتفاق على الاحتياجات المحلية. اذ كان توازن الميزانية غير قائم على اساس وطيد ومتقلقل منذ تسع سنوات قبل ان يكون علي اخر وزير. والان فان قائمتها تسير بوضوح الى الافلاس فوق كل الاحتمالات(٣٧).

وكان المتقى ٣٢٩هـ-٣٣٣هـ/٩٤٠م-٩٤٤م متاثر عاطفياً بوقار وهيئة علي بن عيسى المشرف في بلاط الاستئناف (في العادة واجب الوزير) وكان سليمان بن الحسن هو الوزير. انتشرت المجاعة في بغداد واضطر الناس الى اكل الحشائش. وانتشرالطاعون بشكل عنيف وشديد جداً ولذا فان الكثير كانوا في موت جماعي وقد دفنوا بالجملة (٣٨).

في مثل هذه الظروف فان قائد الاحسان علي بن عيسى بدأ بتوزيع الصدقات على المحتاجين في بيت الدار، كونه الح على هذا العمل الجيد بواسطة النفاري والذي كان لعدة سنوات يعمل كنائب عند غياب الوزراء ((بظمنهم البريدي نفسه(٣٩) وكذلك هيأ علي المدافن خلال الغضب الشديد اثناء مرض الطاعون، بسبب موت الوزير الذي لا يمكن معرفته بين الفقراء والغرباء وقد كان قد وضع حتى ضمن الضروريات لجلب المبالغ الكبيرة لسد هذه النفقات(٤٠).

وفي اخر مناسبة والتي حمل فيها علي بن عيسى عبئ الوزارة وهو الان قد كبر بشكل واهن. وحتى جهود الحضور في الاجتماعات السرية فانها بدأت باتعابه واصبحت غير ملائمة له وفي بعض الاحيان فانه اجبر الان على استعمال النصيحة ضد الاجهاد العصبي. واصبح عليه الجلوس علانية وعلى رؤوس الاشهاد امام الجدار في حديقة .

النتائج:

تمتع علي بن عيسى بشخصية ناضجة قادرة على تحدي الازمات المحيطة بالامة الاسلامية، وقد وقف ضده اولئك المستفيدون من هذه الازمات كبعض الخلفاء ورجال البلاط والحاشية وخدمهم اضافة الى المستفيدين من اصحاب المصالح الاخرى.

وكانت ميزانية الخلافة العباسية تعاني من صعوبات ومشاكل حتى انها اصبحت عاجزة عن سد نفقات المصروفات المختلفة، فكثرت التمردات والانفصالات عن جسم الخلافة الاسلامية، مما شجع الاحزاب المختلفة على الثورة والتمرد ضد الخلافة العباسية.

وان تدهور الوضع الزراعي دفع الفلاحين الى الهجرة الى المدن مما اثر على الضرائب الزراعية، فأضطر علي الى ارجاع الضرائب الملغاة مثل ضرائب التكملة وضرائب المكس وفرض عقوبات على المخالفين.

وحاول اعادة الميزان السنوي للدخل والانفاق ليتحقق جمع الضرائب المستعصية منذ عهود سابقة، كما حاول محاربة الرشوة وهي جريمة واثم واهانة، وكان الوزراء هم المتهمون الاوائل في ذلك ولذا فأنه اصدر الاوامر بألغائها وأبعد الوسطاء خارج الادارة.

كما قرر الاقتصاد في الانفاق واختيار المواد الغذائية الرخيصة غذاءً للموظفين المسؤولين وقلل تجهيز الزيت والشموع المقدمة لخدم القصر.

لقد استحقت اعماله التقدير من المزارعين والفلاحين الذين استفادوا منها لانه انصفهم، كما عزل الموظفين الذين اساءوا استعمال صلاحيتهم، وبدأ الهاشميون يمتعضون منه بشكل خاص لانقاصه من نصيبهم، وقد اخذ المبلغ المأخوذ من نصيبهم للجيش، مما دفعهم للذهاب اليه وشتمه وتمزيق سترته، واستعمل علي وسائل جديدة في التغلب على المشاكل، اذ اصبحت التقارير المالية تسلم له اسبوعياً بعد ان كانت شهرياً، وان الحسابات تسلم يومياً وخفض المرتبات الحكومية وتذمر منه السكرتاريون لانهم كانوا يعملون اكثر لقاء اجور اقل، وقد عاش في عهده الخصيان والمغنون والمهرجون والطباخون حياة قاسية ووجدوا ان ايامهم المصيرية قد وصلت الى النهاية، ولذا فأنه فقد شعبيته الى اقصى حد وقد سبه الخصيان في الاجتماعات العامة وسخر منه الشعراء الذين كان قد تجاهلهم.

كما انه غرم صارف الرواتب اموالا كثيرة، طارداً اياه وموظفيه من الخدمة بعد ان كشف غشهم، وقد وجد ان هناك تعاوناً نسبياً لانجاز ما كان مخططاً له لاختيار المناطق ذات المدخولات التي يمكن الحصول عليها، وقد قادته الاحداث للتدقيق في معظم قضايا الدفع وقد وجدها تقريباً مرتفعة ومقلقة.

وقد برز خليفتان عباسيان في حركة الاصلاح، اولهما المقتدر الذي امر بالقبض على مسؤول مصدر دخل الفلاحين في واسط والحدود المعروفة بأسم ري الفرات. وامر الخصيبي، الذي اصبح وزيراً بان لاتكون له سلطة في تلك الاقاليم ولكنه الح على ان يقوم علي باخذ الدخول الاجمالية للحكومة ويسلمها للخليفة، والخليفة الثاني هو الراضي الذي انتخب علي وزيراً وقد ثقلت عليهما الامور والمسؤوليات بالفعل منذ البداية لان مهمتهم لم تكن مضمونة لصعوبة المشكلة بحيث لم يتمكنوا من التغلب لاستقبال المتطلبات العادية للانفاق لان سلطة الخليفة هي الان انحصرت الى المناطق المجاورة لبغداد مباشرة ومع ذلك فقد ظلت النفقات غير عقلانية لدى البلاط كان دائماً يعيق فضل القيمة ((الفرق بين قيمة العمل المنجز او السلعة المنتجة وبين الاجور التي يدفعها رب العمل الى العمال)) التي ترسل ترسل من مختلف المقاطعات بواسطة العقود بعد الانفاق على المنتجات المحلية، واذا كان توازن الميزانية غير قائم على اساس وطيد ومتقلقل منذ تسع سنوات قبل ان يكون علي أخر وزير والان فأن قائمتها تسير بوضوح الى الافلاس فوق كل الاحتمالات .

انتشرت المجاعة في بغداد واضطر الناس لاكل الحشائش وانتشر الطاعون بشكل عنيف ولذا فقد تعرض الكثيرون للموت الجماعي ودفنوا بالجملة. وبرز علي بن عيسى في هذه الضروف بتوزيع

الصدقات على المحتاجين في بيت الدار وقد الح على هذا العمل الجيد بواسط النفاري الذي كان يعمل لعدة سنوات كنائب عند غياب الوزراء وكذلك قام علي بتهياة المدافن اثناء مرض الطاعون.

ز- الهوامش والمصادر والمراجع

١- الصابي، هلال (ت٤٤٨هـ/١٠٥٦م) كتاب الوزراء، نشر اميدروز(القاهرة،١٩٠٨م)ص ص ١٣٤ ، ١٦٥ مسكويه ، ابو علي احمد (ت ٤٢١هـ/١٠٣٠م) تجارب الامم ، تحقيق اميدروز ومرغليوث، ترجمة مرغليوث(لندن،١٩٢٠م/١٩٢١م) ص ص ٢٢١ ، ٣٢٥

٢- سبط بن الجوزي ت ٦٥٤هـ / ١٢٥٦م مرآة الزمان، مخطوطة المتحف البريطاني تحت رقم ٤٦١٩ ص ١٣٧ب

٣- الصفدي، صلاح الدين خليل، (ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م) الوافي بالوفيات في مخطوطة ظهر منها في المصادر (pairs Arabe 2564) مخطوط ص ٤٠ أ ، قطعة طبعت في كتاب مسكويه، تجارب الامم حـ ١ ص ١٠٠، التنوخي ، ابو علي المحسن، (ت ٣٨٤ هـ/٩٩٤م) كتاب الفرج بعد الشدة (القاهرة ١٩٠٣ – ١٩٠٤) حـ١، ص٥٠ ،ابو الفداء عماد الدين اسماعيل (ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م ، تاريخ ابي الفداء (القاهرة ١٩٠٧) ص ١٢٨.ت

٤- الطبري، محمد بن جرير، (ت٣١٠هـ / ٩٢٢م) تحقيق دي غوية واخرون (لايدن١٨٧٩م/١٩٠١م) حـ٣ ص ص ١٩١٥ ١٩٢٦ ١٩٢٧

ابن الطقطقي، محمد بن علي كان حياً في ٧٠٩ هـ / ١٣٠٩م الفخري في الادب السلطانية تحقيق اهل ورده،(باريس،١٨٩٥م) ص ٢٩٧.

الحبابي، هلال ، المصدر السابق، ص ٧١.

٥- ابن تغري بلدي، ابو المحاسن، (ت ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩م) النجوم الزاهرة، نشر جوني (لايدن،١٨٥٥م) حـ٢ ، ص٣١٢.

٦- على سبيل المثال انظر :- الذهبي، شمس الدين محمد (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م) تاريخ الاسلام مخطوطة المتحف البريطاني، رقم ٤٨، عمود ٣٦.

ابن الجوزي، المصدر السابق مخطوط رقم ٤٦١٩ ص ٥٩

عريب، ابن سعد القرطبي ت ٣٦٦هـ / ٩٧٧م صلة تاريخ الطبري طبقه دي غوية (بيدن ١٨٩٧م) ص ٣٨

٧- كان المستشرق النمساوي فون كريمر اول من نشر هذه الميزانية في كتابه:-

Ueber das Ennahmebdget des Abbaside Reiches Vom Jaker 306 H(918- 919)

الصادر في ليدن في ١٨٨٧ معتمداً على نسختين من مخطوط التذكرة الحمدونية، ومن بعده جرجي عريدان في تاريخ المتمدن الاسلامي ، دار مكتبة الحياة (بيروت ١٩٦٧) ص ١٠٦ ، واعتمد عليها عبد العزيز الدوري في تاريخ العراق الاقتصادي، منشورات مركز دراسات الوحدة العربية الطبعة الثالثة (بيروت١٩٦٥م) ص ص ١٨٦ – ١٨٨ وغيداء خزنة الكاتبي، في كتابها الخراج منذ الفتح الاسلامي حتى اواسط القرن الثالث الهجري منشورات مركز دراسات الوحدة العربية (بيروت ١٩٦٧م) ص ص ٣٧٢ – ٣٨٢. وصالح احمد العلي، الخراج في العراق في العصور الاسلامية ، منشورات المجمع العلمي العراقي (بغداد ، ١٩٩٠م) ص ص ٣٤٠ – ٣٥٠ والزهراني، ضيف الله ، الوزير العباسي علي بن عيسى ، منشورات ، جامعة ام القرى (مكة

١٩٩٤م) ص ٥٧، وخلوف ، عماد عبد الكريم ، آل الجراح ودورهم في سياسة الدولة العباسيه، ٢٤٧هـ ٨٦١/٣٣٤م – ٩٤٥، جامعة آل البيت (المغرب ٢٠٠٠ م) ص ص ٢٧٢– ٢٧٥، الزيديين ، محمد سلمان، الوزير العباسي، علي بن عيسى، دراسه في حياته وعصره (الكرك ٢٠٠٣م) ص ص ١٢٣ – ١٢٨ وهناك بحثاً كتبه كل من يوسف احمد بني ياسين وعصام مصطفى عقله وعنوانه:– قائمة علي ابن عيسى بن الجراح (٣٠٦هـ /٩١٨م – ٩١٩ وقد نشراه في المجلة الاردنية للتاريخ والاثار ، المجلد ٢/ العدد ٢ لسنة ٢٠٠٨ م ص ص ٣١ – ٦٠ .

٨– ابن مسكوية، المصدر السابق ، جـ١ ص٢٩ ، عريب ، المصدر السابق ص ٤١.

٩– القرآن والحديث.

١٠– ابن مسكوية، المصدر السابق، جـ١ ص٢٩، ابن حوقل، ابو قاسم النصيبي (ت ٣٦٧هـ/٩٧٩م) ، كتاب صورة الارض ، نشر دي غوية (لايدن،١٩٣٨م) ص٢١٧ ، الاصطخري ، ابن اسحق ابراهيم (ت القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، كتاب المسالك والممالك، طبعة دي غوية (لايدن،١٩٢٧م) ص١٥٨ ، البلخي ، ابو زيد بن سهل (ت٣٢٢ هـ / ٩٣٣م) فارس نامة ، تحقيق لسترانج ونيكلسون ، ص١٧١.

١١– حاج خليفة ، مصطفى عبد الله ، (ت ١٠٦٧ هـ / ١٦٥٦ م) كشف الظنون ، نشر فلوكل(لايبزك،١٨٣٧م) ، جـ٥ ، ص ص ٥٠٩– ٥١٠.

١٢– ابن مسكوية ، المصدر السابق، جـ١ ص ص ٢٧ – ٢٨.

١٣– الصابي ، هلال ، المصدر السابق ص ص ١٦٨ – ١٦٩.

١٤– المصدر نفسه ، ص ص ٣١٨ – ٣١٩.

١٥– المصدر نفسه ، ص٢٩١.

١٦– عريب ، المصدر السابق ص١٠٩.

١٧– الهمداني ، محمد بن عبد الملك ، (ت ٥٢١هـ / ١١٢٧م) تكملة تاريخ الطبري . مخطوطة باريس ص ١٢ أ. ابن مسكوبة ، المصدر السابق جـ١ ص ص ٣٠ – ٣١ ، ابن الجوزي ، سبط ، المصدر السابق ص ٥٦ ب.

١٨– الصابي ، هلال ، المصدر السابق ، ص ٢١٧.

١٩– المصدر نفسه ص ٣٥١.

٢٠– المصدر نفسه ص ٣٥٣.

٢١– المصدر نفسه ص ص ٣٣٢ – ٣٣٣.

٢٢– المصدر نفسه ص ٧٩.

٢٣– مسكوبة ، المصدر السابق ، ط ، ص٤٣.

٢٤– الصابي ، هلال ، المصدر السابق ص ص ١٤٨ – ١٤٩.

٢٥– المصدر نفسه ص ص ٧٩ – ٨١

٢٦– Harold, Bowen, The life and the times of Ali bin Isa " The good vizier"(cambridhe,1928) P.197.

٢٧– الصابي ،هلال ، المصدر السابق ، ص٣٢٥، ابن حوقل، المصدر السابق ص ١٢٨.

٢٨– الصابي، هلال ، المصدر السابق ص ٢٩١.

٢٩- عريب ، المصدر السابق، ص٦٢.
٣٠- تبدو وكأنها برج يشبه منارة الملوية في سامراء مع التواء حلزوني بحيث يتمكن الحمار الصغير من صعودها.
٣١- حمزة الاصفهاني ، ابو نعيم (ت٤٣٠هـ/١٠٣٨م) دوريات الكتاب العاشر. ترجمة ونشر كوت ولدت، حـ١ ص ص٢٠٤ – ٢٠٥ ، ابن الاثير ، عز الدين ابي الحسن (ت٦٠٦هـ/١٢٠٩م)، الكامل في التاريخ، حـ٨ (بولاق ١٢٩٠ هـ) ص٦١.
٣٢- ابن مسكويه ، المصدر السابق ، حـ١ ص٢٧١.
٣٣- الصابي، هلال ، المصدر السابق ص ٣٥٩.
٣٤- المهمداني ، محمد بن عبد الملك (ت ٥٢١هـ/١١٢٧م) تكملة تاريخ الطبري، مخطوطة باريس ،ص٥٦أ.
٣٥- ابن مسكويه ، المصدر السابق ، حـ١ ص٢٧٤.
٣٦- المصدر نفسه والجزء ص ص ٣٢٠، ٣٢٩ – ٣٣١ – ٣٣٦ ابن الاثير المصدر السابق (بولاق) حـ٨ ص ص١٠٨ – ١٠٩.
٣٧- ابن مسكويه ، المصدر السابق ، حـ١ ص ص ٣٢٣ ، ٣٢٦ – ٣٢٧.
٣٨- المصدر نفسه ، حـ٢ ص٨ ابن الاثير ، المصدر السابق (بولاق) حـ٨ ص١٣٣، سبط ابن الجوزي، مخطوطة المتحف البريطاني، عمود ١٢٣، ابن تغري بلدي، المصدر السابق، ص٢٩٣.
٣٩- ابن مسكويه ، المصدر السابق ، حـ١ ص ص ٣٦٨، ٤٠٩.
٤٠- المصدر نفسه حـ٢ ص٨ ، الحموي ياقوت (ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م) ارشاد الاديب (معجم الادباء) تحقيق مرغليوث ، الطبعة الثانية،(لندن،١٩٢٣م) حـ٥ ص٢٨٠.

هـ- المصادر والمراجع

أ- المصادر العربية:
١- ابن الاثير، عز الدين ابي الحسن (ت٦٠٦هـ/١٢٠٩م) الكامل في التاريخ، طبعة تورنبرغ (لايدن ١٨٥١م – ١٨٧٦م) وطبعة بولاق ١٢٩٠ هـ / ١٨٧٣م.
٢- ابن تغري بلدي ، ابو المحاسن (ت٨٧٤ هـ/١٤٦٩م) النجوم الزاهرة ، نشر جون بول (لايدن ،١٨٥٥م)
٣- ابن حوقل، ابو القاسم النصيبي (ت ٣٦٧ هـ / ٩٧٩م) كتاب المسائل والممالك ، نشر دي غوية (لايدن ١٩٣٨م)
٤- ابن الطقطقي ، محمد بن علي (كان حياً سنة ٧٠٩ هـ/ ١٣٠٩م) الفخري في الاداب السلطانية ، تحقيق اهل ورده ، ثم حققه ديرن بورع (باريس ١٨٩٥م)
٥- ابو الفداء، عماد الدين اسماعيل ، (ت ٧٣٢ هـ /١٣٣١م) تاريخ ابي الفداء (القاهرة،١٩٠٧م)
٦- الاصطخري ، ابن اسحق ابراهيم (ت القرن ٤ هـ /١٠م)، كتاب المسائل والممالك، طبعة دي غوية (لايدن ،١٩٢٧م).
٧- ابن البلخي ، ابو زيد بن سهل (ت ٣٢٢ هـ/ ٩٣٣م) فارس نامة تحقيق لسترانج ونيكلسون، ثم حققه ونشره بالعربية يوسف الهادي.
٨- التنوخي ، ابو علي المحسن (ت ٣٨٤هـ /٩٩٤م) كتاب الفرج بعد الشدة (القاهرة ،١٩٠٣ – ١٩٠٤)

٩- حمزة الاصفهاني، ابو عبد الله الحسن (ت ٤٣٠ هـ / ١٠٣٨ م) دوريات الكتاب العاشر ترجمة ونشر كوت ولدت.
١٠- الحموي، ياقوت (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م) ارشاد الاديب تحقيق مرغليوث ، الطبعة الثانية (لندن ١٩٢٣)
١١- حاج خليفة، مصطفى عبد الله، (ت١٠٦٧ هـ / ١٦٥٦ م) كشف الظنون، تحقيق فلوكل (لايزك ١٨٣٧م) و(لندن ١٨٤٢م).
١٢- الذهبي ، شمس الدين محمد (٧٤٦ هـ/١٣٤٥م) تاريخ الاسلام، مخطوطة المتحف البريطاني رقم ٤٨، ثم نشرت في القاهرة سنة ١٣٦٧ هـ - ١٣٦٩ هـ / ١٩٤٧م - ١٩٤٩ م.
١٣- سبط ابن الجوزي (ت ٦٥٤هـ / ١٢٥٦م) مرآة الزمان ، مخطوطة المتحف البريطاني تحت رقم ٤٦١٩ ثم طبع بثمانية أجزاء بقسمين بمطبعة دار المعرف الثمانية بحيدر اباد الدكن في سنة ١٣٧٠ هـ - ١٣٧١ هـ /١٩٥١م - ١٩٥٢م.
١٤- الصابي - هلال ، (ت ٤٤٨هـ /١٠٥٦م) كتاب الوزراء ،نشرأميدروز وحققه عبد الستار محمد خراج (القاهرة ١٩٠٨)
١٥- الصفدي - صلاح الدين خليل (٧٦٤ / ١٣٦٢م) الوافي بالوفيات ، مخطوطة ظهر منها في المصادر Pairs Arabe 2564 مخطوط ٤٠أ ، قطعة طبعت في كتاب مسكويه ، تجارب الامم حـ١ ص ١٠٠
١٦- الطبري - محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ / ٩٢٢م) تاريخ الطبري، تحقيق دي غوية وآخرين (ليدن ١٨٧٩ - ١٩٠١)
١٧- عريب - ابن سعد القرطبي (ت ٣٦٦ هـ / ٩٧٧م) صلة تاريخ الطبري طبعه دي غوية، (ليدن ١٨٩٧م)
١٨- مسكويه، ابو علي احمد، (ت٤٢١ هـ/ ١٠٣٠م) تجارب الامم، تحقيق اميدروز ومرغليوث. ترجمة مرغليوث (لندن ١٩٢٠-١٩٢١).
١٩- الهمداني- محمد بن عبد الملك (ت٥٢١هـ/١١٢٧م) تكملة تاريخ الطبري، مخطوطة باريس. عربي رقم ١٤٦٩. ثم حققه ونشره أ.ج. كنعان(بيروت١٩٦١).

ب- المراجع الاجنبية

1- Harold Bowen , The life and the times of Ali ibn Isa "The good vizier"(Cambridge ,1928)
2- Kremer , joseph van, Ueber das Einnahmebdget des Abbasiden – Roiches vom Jaher 306H(918 – 919) (Lyden, 1887)

موقف القوى الدولية من الحرب الاثيوبية الصومالية
(١٩٧٧-١٩٧٨)

أ.م.د. نصيرخيرالله محمد
جامعة تكريت / كلية الآداب

موقف القوى الدولية من الحرب الاثيوبية الصومالية (١٩٧٧-١٩٧٨)

أ.م.د. نصيرخيرالله محمد

الملخص

استحوذت عملية توحيد الاقاليم الصومالية مع الصومال على اهتمام كبير من حكومات الصومال بعد الاستقلال عام ١٩٦٠، وأدت الوحدة بين الشمال والجنوب الى تعزيز الآمال بإمكانية استعادة باقي الاقاليم المفقودة. وبما ان منطقة القرن الافريقي منطقة استراتيجية مهمة للاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الامريكية طيلة سنوات الحرب الباردة في إطار صراعهما الاستراتيجي في تلك السنوات، فقد كانت القوى الدولية والكيان الصهيوني تحاول استغلال الصراع الاثيوبي الصومالي الذي اندلع في ايلول عام ١٩٧٧ حول إقليم اوغادين لتحقيق مصالحها الخاصة فدخلت الى الحرب بشكل مباشر وغير مباشر وكان لها مواقف سياسة وعسكرية منها.

Abstract

The process of uniting the Somali regions with Somalia has attracted considerable attention from the post-independence Somali governments in 1960. North-South unity has raised hopes that the rest of the lost territories can be restored. As the Horn of Africa was an important strategic region for the Soviet Union and the United States during the Cold War years as part of their strategic conflict in those years, the international powers and the Zionist entity were trying to exploit the Ethiopian-Somali conflict that broke out in September 1977 over the Ogaden region for its own interests. The war directly and indirectly had political and military positions.

المقدمة

عد الصراع الاثيوبي الصومالي من اعقد صراعات القارة الأفريقية واطولها عمراً، اذ تمتد جذوره الى القرون الوسطى عندما وصل الاسلام الى تلك المنطقة واعتنقه الصوماليين، فمنذ ذلك الحين ظهر الصراع وأخذ اشكالاً متعددة، فكانت الحروب التي قامت بين الصوماليين والاحباش سجالاً، الى ان دخل الاستعمار الاوربي الى القرن الافريقي ووقف الى جانب الحبشة، وبالتالي تم تقسيم شعب الصومال بين أربع دول، بريطانيا وفرنسا وايطاليا فضلاً عن الحبشة.

تطلع الصومال الى استكمال وحدته عندما حصل على استقلاله السياسي في تموز عام ١٩٦٠ باتحاد الشمال والجنوب، وظلت الحكومة الصومالية طيلة مدة ما بعد الاستقلال تتبنى مبدأ الطعن في شرعية تعيين الحدود بينها وبين كل من اثيوبيا وكينيا، ورفضت الاعتراف بالمعاهدات التي ابرمها

الاستعمار لتعيين حدود الصومال. اما أثيوبيا فقد تصدت لمواقف الصومال بمنتهى العنف والشدة منذ البداية، وارتكزت سياستها على ادعاء أنه لم يثبت من الناحية التاريخية وجود دولة صومالية، وأن الصومال كلها كانت تاريخيا جزءا من اثيوبيا وليس العكس، فضلاً عن توظيف منظمة الوحدة الافريقية لدعم الموقف الاثيوبي.

كانت تلك المشكلة سبباً في مواجهات عسكرية عديدة بين الجانبين على الحدود في عام ١٩٦٤، عندما اشعلت جبهة تحرير الصومال الغربي الحرب ثم تحولت الى مواجهات مفتوحة بين البلدين. وعقب تلك المواجهة القصيرة وقع انقلاب عسكري في الصومال أطاح بالحكومة المدنية، وسرعان ما انتقلت العدوى الى اثيوبيا، اذ حدث انقلاب عسكري فيها عام ١٩٧٤ أطاح بالحكم الامبراطوري.

ظل التدهور بين الطرفين يزداد بمعدلات متسارعة بحلول شهر تموز عام ١٩٧٧، اذ تطورت من اشتباكات بين الجيش الاثيوبي وجبهة تحرير الصومال الغربي المدعومة من الحكومة الصومالية الى حرب نظامية، كان طرفاه الاساسيان الجيش الاثيوبي المدعوم من الاتحاد السوفيتي، وكوبا والمانيا الشرقية وليبيا واليمن الجنوبي والجيش الصومالي وجبهة تحرير الصومال الغربي من ناحية اخرى.

هدفت الدراسة الى بيان العوامل الاساسية للصراع الاثيوبي الصومالي بين عامي (١٩٧٧ – ١٩٧٨) وبيان مواقف دول المعسكرين الشرقي والغربي من ذلك الصراع وفقاً لمصالحهما السياسية والاقتصادية والاستراتيجية في منطقة القرن الافريقي بشكل عام. تم تقسيم الدراسة الى مبحثين أساسين كما يأتي:

- اولاً. موقف القوى الاشتراكية: وتضمن موقف الاتحاد السوفيتي وكوبا والمانيا الشرقية.
- ثانيا. موقف القوى الغربية: وخصص لبيان موقف الولايات المتحدة الامريكية ودول اوربا الغربية.
- ثالثاً: موقف الكيان

استخدم الباحث عدداً من المصادر أغنت مباحث الدراسة وكان في مقدمتها كتاب (الصراع في القرن الافريقي) للباحث (بيركيت هابتي سيلاسي) وكتاب (الصومال وجذور المسألة الراهنة) للباحث (علي الشيخ واحمد ابو بكر)، فضلاً عن البحوث المنشورة في أعداد مجلة الدراسات الدولية ومنها بحث (الاطماع الصهيونية في القرن الافريقي) للباحث (منى الشاذلي)، وبحث (السياسة الامريكية في القرن الافريقي) للباحث (سوسن حسين). فضلاً عن الموسوعة البريطانية التي افادت الباحث بتعريف الشخصيات التي ورد ذكرها في مباحث الدراسة.

تمهيد:

كانت القوى الدولية تطمح للسيطرة على منطقة القرن الافريقي باعتبارها نقطة التقاء إستراتيجية مهمة، اذ انها مثلت مجالاً حيوياً للمصالح الامريكية والدولية لارتباطها بخطوط الملاحة الدولية وتداخلها

مع منطقة الشرق الاوسط والمحيط الهندي وشبه الجزيرة العربية، وتطل على الضفة الغربية من مضيق باب المندب، كما يتحكم بجزء من خليج عدن والمحيط الهندي. ومثلت منطقة استراتيجية مهمة للاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الامريكية طيلة سنوات الحرب الباردة، اذ انهما ارادا توظيف وتكييف كافة الصراعات الاقليمية والداخلية في العديد من مناطق العالم في اطار صراعهما المركزي بما يخدم استراتيجية كل منهما، خاصة فيما يتعلق بكسب الحلفاء والاصدقاء واقامة مناطق النفوذ واستبعاد القوى الاخرى وحرمانها من الحصول على موطئ قدم في تلك المناطق، وكانت القوى الغربية متمثلة بدول غرب اوربا اسبق في امتلاك النفوذ في القرن الافريقي بحكم سيطرتها الاستعمارية السابقة في المنطقة، كما دخلت الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتي على الخط بعد الحرب العالمية الثانية، ولذلك اصبحت هذه المنطقة "منطقة ساخنة"، وفيما يلي نرصد دور هذه المنطقة وموقفها من الحرب على النحو الاتي:

اولاً. موقف القوى الاشتراكية:

يقصد بالقوى الاشتراكية الدول الثلاث وهي الاتحاد السوفيتي، وكوبا والمانيا الديمقراطية، آنذاك والتي كانت متورطة في الحرب الصومالية الاثيوبية، حيث ساندت تلك الدول طرفاً دون اخر، وكانت تلك الدول تنسق فيما بينها في تلك الحرب، وعلى الرغم من صعوبة وصف تلك العلاقة نظراً لتعقيدها الا إنه يمكن ان يطلق عليها علاقة شبه تحالف او تنسيق، اذ نلاحظ ارتباط وجود السلاح السوفيتي والقوات الكوبية، والفنيون والمدربون الالمان الشرقيون فيها، وفيما يلي موقف كل دولة على حدة:

- **موقف الاتحاد السوفيتي:**

تميز موقف الاتحاد السوفيتي بالوضوح، اذ أرادت القيادة السوفيتية قبيل اندلاع الحرب النظامية التصدي لنشوب حرب اقليمية بين الصومال واثيوبيا، وذلك عن طريق التوفيق بين الصومال واثيوبيا لإنهاء النزاع الذي كان يفتح الطريق امام التدخل الامريكي[١]، ولذلك بذل الاتحاد السوفيتي بمساعدة كوبا جهوداً جبارة شملت زيارات ولقاءات مع قيادات البلدين لمنع وقوع تلك المواجهة، وكان مؤتمر عدن ابرز تلك الجهود، حين قام فيدل كاسترو[٢] (Fidel Castro) رئيس جمهورية كوبا بزيارة سريعة لكل من اثيوبيا والصومال، وعقد اجتماع سري في مدينة عدن في مارس ١٩٧٧ مع محمد سياد بري[٣] رئيس جمهورية الصومال، ومنغستو هيلا مريام[٤] (Mengistu Haile Mariam) رئيس جمهورية أثيوبيا بحضور سالم ربيع علي رئيس جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية (اليمن الجنوبي)، طرح فيدل كاسترو خلال الاجتماع مبادرة حث من خلالها الدول الماركسية في المنطقة لنبذ خلافاتهم القومية والانخراط في اتحاد اقليمي لا يضم الصومال واثيوبيا فقط، بل تنضم اليه الجمهورية الديمقراطية الشعبية لليمن وجيبوتي، على ان تكون اوغادين وارتيريا سبب الصراعات الرئيسية في المنطقة وحدات مستقلة ذاتية

الحكم ضمن ذلك الاتحاد[٥]، ولكن لن يخرج الاجتماع بنتيجة تذكر، نتيجة عمق الخلافات بين الصومال واثيوبيا[٦].

بعد فشل مؤتمر عدن، مارس السوفييت ضغوطاً على الصومال لعدم شن الهجوم على اثيوبيا وذلك عندما قام محمد علي سمتر النائب الاول للرئيس الصومالي بزيارة موسكو، فقد حذروه من ان تستغل القوى الاستعمارية الغربية فرصة اندلاع الحرب لتحقيق مصالحها، لان ذلك سيؤدي الى نتائج خطيرة تنقلب ضد الصومال [٧].

قام الرئيس السوفيتي نيقولا بدجوني[٨] (Nikolai Podgorny) بزيارة الى الصومال، وطلب من القيادة الصومالية بأن تبذل جهودها لمنع وقوع حرب شاملة بين الصومال واثيوبيا، واقناع كلا الطرفين بضرورة ضبط النفس والعودة الى طاولة المفاوضات لحل الخلاف، كما اجرى السفير السوفيتي في اثيوبيا محادثات مع منغستو هيلا مريام رئيس جمهورية أثيوبيا حول الاوضاع السياسية للقرن الافريقي، وطالب السفير بعقد اجتماع بين الصومال واثيوبيا على مستوى الخبراء لحل المسائل العالقة بين البلدين، لكن منغستو رفض ذلك رفضاً قاطعاً طالما ان القوات الصومالية متورطة في القتال في اوغادين، وطالب منغستو بانسحاب القوات الصومالية من ذلك الاقليم شرطاً لانعقاد المفاوضات بين البلدين[٩].

تلاشت امال الاتحاد السوفيتي بحل المشكلة بين الصومال واثيوبيا عندما بدأت الصومال بهجومها على القوات الاثيوبية في اقليم اوغادين في تموز عام ١٩٧٧، فوجد الاتحاد السوفيتي نفسه في مأزق حقيقي تمثل بكيفية الاحتفاظ بنفوذه ووجوده في الدولتين، اذ ان السوفييت حاولوا اقامة علاقات جيدة ووثيقة مع نظامين العداء بينهما مطلق ومصيري، وهو ما يمكن ان ينتهي الى فقدان النظاميين معاً، فاذا ما سقط منغستو بانقلاب عسكري وهو احتمال كان على درجة عالية من التوقع او اذا ما هزمت قوته المسلحة، فأن من يأتي بعده، قد لا يعتبر ان الارتباط بالسوفييت هو افضل طريقة لاستعادة حدود الامبراطورية التي تفككت اوصالها، اما بالنسبة للصومال فأنه ليس من المحتمل ان تضع اية حكومة صومالية ثقتها مرة ثانية في دولة اتجهت على نحو مفاجئ الى مساعدة اكثر الدول اعداء لها. وبذلك انتهت الجهود السوفيتية للتوسط بين النظامين بالفشل [١٠].

اعتقد محمد سياد بري بأن السوفييت القوا خلف العدو التقليدي للصومال، وانهم شجعوا بقوة النزعة العسكرية الاثيوبية، بهدف الهجوم على الصومال وبالتالي وصلت القيادة الصومالية في ذلك الوقت الى حتمية الخيار العسكري، وبدأ التصعيد بين الجانبين الصومالي والاثيوبي في آيار عام ١٩٧٧، عندما تحولت المواجهة من مجرد اشتباكات متفرقة على جبهتي اوغادين وأرتيريا الى صدام واسع النطاق [١١].

في تلك الاثناء كثفت الحكومة الاثيوبية حملاتها الدبلوماسية لتشويه الثورة الصومالية في الرأي العام الاشتراكي، فقد قال برهانو بابيه (Berhanu Bayeh) وزير الخارجية الاثيوبي اثناء لقاء القائم بأعمال السوفيتي في اديس ابابا "**ان الثورة الصومالية ليست اشتراكية وسياد بري شخص براغماتي وليس**

مخلصاً للاشتراكية، وان الدبلوماسية الاثيوبية نجحت في استمالة كاسترو وحصل على دعم القوى العربية الرجعية، وان الدول الاشتراكية ينبغي ان تقطع علاقاتها مع النظام الصومالي"[١٢].

منذ شهر تموز الذي بدأت فيه حرب اوغادين بين اثيوبيا والصومال قرر الاتحاد السوفيتي وقف كافة الاسلحة عن الصومال، فلم يزود الجيش الصومالي بأي سلاح بعد ذلك، علماً بأن الصومال، لم يكن له مصدر اخر للسلاح منذ استقلاله غير السوفييت، وتلك الخطوة كانت بداية ازمة الصومال من حيث مصادر السلاح، فبينما تأزمت العلاقات بين الصومال والاتحاد السوفيتي، كان من الواضح في الصومال ان الاتحاد السوفيتي يتحول بصورة تدريجية الى اثيوبيا في الصراع الذي بدأ بين الدولتين [١٣]، وبنفس الوقت تدفقت الاسلحة السوفيتية الى اثيوبيا بكميات هائلة وذلك ما جعل المسؤولين الصوماليين يحتجون لدى الاتحاد السوفيتي شفهياً اعراباً عن انزعاجهم من الموقف الجديد لصديقهم القديم[١٤].

القى سكرتير الحزب الشيوعي ليونيد بريجنيف[١٥] (Leonid Brezhnev) في ٢٨ ايلول عام ١٩٧٧ خطبة حول الصراع القائم في القرن الافريقي، ومما جاء فيه : " **يحاول البعض من خلال الصراعات المسلحة تغيير الحدود الدولية الحالية، والمثال على ذلك القتال الدائر بين الصومال واثيوبيا، ولاشك ان حل المشكلات القائمة بين الاطراف المتصارعة لن يأتي الا عن طريق الثقة المتبادلة والصداقة وحسن الجوار ومراعاة امن وتقدم شعوب المنطقة**" [١٦].

مثل خطاب بريجنيف تعبيراً دقيقاً عن السياسة السوفيتية في المرحلة المقبلة، تلك السياسة التي ظهرت بعد الخطاب مباشرة، كما كان تهديداً مبطناً موجهاً الى الصومال، وخلال شهر واحد من خطاب بريجنيف تدفقت القوات السوفيتية والكوبية الى اثيوبيا، اذ اشارت التقديرات الى وصول اعداد الكوبيين الى حوالي ٢٥ ألف جندي، بينما تراوح عدد الخبراء السوفييت ما بين ١٥٠٠ الى ٢٠٠٠خبير، كما وصل نفس العدد من المانيا الشرقية [١٧].

مع تلك التطورات أقدم محمد سياد بري في ١٣ تشرين الثاني عام ١٩٧٧ على خطوة خطيرة ظناً منه بأنه سيحصل على تأييد الولايات المتحدة الامريكية المطلق، اذ اتخذت اللجنة المركزية للحزب الاشتراكي الثوري الصومالي القرارات التالية:

- الغاء اتفاقية الصداقة الصومالية السوفيتية اعتباراً من ساعة صدور القرارات، والغاء كافة التسهيلات البحرية والبرية للاتحاد السوفيتي في جمهورية الصومال الديمقراطية.
- مغادرة جميع الخبراء والمستشارين السوفييت عسكريين او مدنيين جمهورية الصومال الديمقراطية في ظرف سبعة ايام.
- تطالب الحكومة الصومالية الحكومة السوفيتية بتخفيض عدد الموظفين في سفارتها بمقديشو وفروعها الى عدد مساو لعدد الموظفين والدبلوماسيين في السفارة الصومالية بموسكو وفروعها[١٨].

انقلبت موازين التحالفات الى مشاكل سياسية وعسكرية واقتصادية خطيرة للصومال وارتيريا بشكل خاص، ففي البداية فقد الطرفان المعونات الاقتصادية والعسكرية الكبيرة التي كانا يأخذانها من الاتحاد السوفيتي مقابل اضافة المزيد من هذه المعونات الى جانب اثيوبيا، اذ تولت دول المعسكر الاشتراكي بزعامة الاتحاد السوفيتي وبمبادرة سريعة من كوبا والمانيا الديمقراطية مهمة اعادة بناء الجيش الاثيوبي وتحديثه ومدّه بالأسلحة الحديثة والمعقدة ابتداء من الصواريخ الى الطائرات الميج ٢١ –٢٣، الى الدبابات الثقيلة، فضلاً عن قيامهم ببناء تنظيم عسكري موازٍ للجيش وهو ميليشيا الشعب الثورية التي بلغ عددها في فترة من الفترات ربع مليون جندي مسلح [١٩].

- **موقف كوبا:**

كانت كوبا هي القوة الاكثر تأثيراً في الحرب الصومالية الاثيوبية، وخاصة بعد اخفاق مؤتمر عدن الذي نظمه الرئيس الكوبي فيدل كاسترو، ويتضح ذلك من خلال التقرير الذي قدمه كاسترو الى رئيس المانيا الشرقية إريش هونيكر [٢٠] (Erich Honecker) وحدد اتباع الخطوات التالية:

- دعم الثورة الاثيوبية الباسلة لمبادئ الشيوعية أكثر من الثورة الصومالية.
- معالجة الخلل في التوازن العسكري بين البلدين الصومال واثيوبيا على امل ان تقتنع الصومال في النهاية بالأمر الواقع.
- مواصلة الضغوط على الرئيس الصومالي ومحاولة اقناعه بأن يتعاون مع الثورة الاثيوبية ومع الدول الشيوعية عموماً.

ومن خلال تلك النقاط يتبين لنا ان كوبا قررت الوقوف الى جانب اثيوبيا بسبب عدم انصياع الرئيس الصومالي لنصائح كاسترو فيما يتعلق بأنشاء اتحاد فيدرالي بين الصومال واثيوبيا.

عند نشوب الحرب الصومالية الاثيوبية عام ١٩٧٧ اقحمت كوبا نفسها فيها، واشتركت القوات الكوبية بصورة مباشرة في الحرب واخذت مواقعها، وقُدر عدد القوات الكوبية وحدها ٢٥ الف مقاتل، وكانت مهماتها متعددة سواء كطيارين مقاتلين او في اسلحة المدفعية او المدرعات، كما شاركوا ايضاً في مهمات تدريب الجيش الاثيوبي، وبدأت الضربة النهائية الكوبية في اوائل شهر شباط عام ١٩٧٨بالتعاون مع القوات الاثيوبية وقوات اليمن الجنوبية، مما ادى الى تراجع القوات الصومالية الى مدينة جككجا بعد ان تقدمت الى مدينة هرر، وبدأت القوات الكوبية بغارات مكثفة على المواقع الصومالية تمهيداً للهجوم الكاسح، ثم بدأ الهجوم بواسطة الفرقة العاشرة الاثيوبية المدعومة من قبل اللواء الكوبي المسلح بدبابات تراوح عددها ما بين ٦٠ الى ٧٠ دبابة، لم يوجه ذلك الهجوم الى ممر كارامرطا حيث تتمركز القوات الصومالية بل تجاوزها عن طريق نقل القوات جواً والدبابات كذلك وراء الخطوط الصومالية مع دعم بطائرات ميج التي يقودها الكوبيون، مستخدمين اسلحة سوفيتية جديدة لم تستخدم في اي معارك قبل ذلك،

فلم يصمد الصوماليون اكثر من ثلاثة ايام، واستعادت اثيوبيا السيطرة على جكجكا في ٥ آذار عام ١٩٧٨ بفضل القوات الكوبية المتفوقة على القوات الصومالية في العدد والعتاد[٢١] .

وقد اشار كارلوس رافائيل (Carlos Rafael) عضو المكتب السياسي في الحزب الشيوعي الكوبي الحاكم الى ان الهجوم المضاد الذي قامت به القوى الاممية قد تم تحضيره منذ ٢٥ تشرين الاول عام ١٩٧٧، وان الهجوم قد تسبب بخسائر فادحة للجيش الصومالي، اذ قتل حسب زعمه ٣٠٠ جندي وأكد ان هناك خلاف بين الاثيوبيين والكوبيين فيما يتعلق بأسرى الحرب، اذ لا يبقي الاثيوبيين الاسرى وانما يفضلون القتل والاعدام، وذكر ايضاً أنهم استولوا على اسلحة من حلف الشمالي الاطلسي اثناء الهجوم وتوقع رافائيل ان تحسم المعركة خلال شهر آذار[٢٢]، وقد اعترفت الحكومة الكوبية بمقتل مئات من جنودها في تلك المعركة [٢٣].

- **موقف المانيا الشرقية:**

بدأت علاقات الصومال مع المانيا الشرقية بعد قيام الثورة الصومالية عام ١٩٦٩، اذ اقامت علاقات دبلوماسية معها عرضتها لانتقادات لاذعة من قبل الدول الغربية، وقد قامت المانيا الشرقية بتنظيم وتدريب اعضاء جهاز أمن الدولة الصومالي وهو جهاز اقرب في تشكيله الى اجهزة المخابرات، وظلت العلاقات بين البلدين جيدة الى ان قامت الحرب الصومالية الاثيوبية عام ١٩٧٧، اذ تطابق موقف المانيا الشرقية مع موقف الاتحاد السوفييتي، اذ بعث زعماء الحزب الشيوعي الالماني الشرقي رسالة تهنئة الى الرئيس محمد سياد بري بمناسبة الاحتفال بالذكرى الثامنة لقيام ثورة ٢١ تشرين الاول ١٩٧٨ وكان ما جاء فيها تلميحاً اكثر من كونه تهنئة، حمل في طياته معانٍ عن بداية القطيعة مع الكتلة الشرقية، ولم تتطرق الرسالة الى القتال الدائر في اقليم الصومال الغربي ولكنها نصت على ان استمرار الصداقة والتضامن بين البلدين متوقف على النضال المشترك ضد الامبريالية الغربية. وردّ الرئيس محمد سياد بإن تكدس الاسلحة السوفيتية في اثيوبيا هو الذي يعرض العلاقات للخطر وعبر عن رفض بلاده للتنازل عن دعم الثوار في اقليم الصومال الغربي وارتيريا، واتهم الاتحاد السوفيتي بمساندة اديس ابابا لأسباب استراتيجية ذات علاقة بالصراع بين العمالقة على مناطق النفوذ في افريقيا واسيا، ودعا الى ايقاف تدفق الكوبيين الى اثيوبيا [٢٤].

قامت المانيا الشرقية أثناء مدة الحرب بتدريب الميليشيات التي جمعها منغستو، وقامت بدور استخباراتي، وقد وصل الى اثيوبيا في اواخر عام ١٩٧٧ أكثر من ٣٠٠ خبير من المانيا الشرقية اقاموا ورشاً لقطع الغيار لإصلاح الاسلحة، كما قدمت المانيا الشرقية مشروعاً للسلام بين اثيوبيا والجبهات الارتيرية حتى تتفرغ الاخيرة للحرب الصومالية الاثيوبية في اوغادين [٢٥]. وعلى الرغم من جود مصالح واهداف مشتركة بين المانيا الشرقية وكوبا في افريقيا تختلف عن الاهداف والمصالح السوفيتية، الا انه لم يكن من الممكن لهما ان يعملا منفصلين في القارة لانهما لا يملكان الامكانيات الضخمة للعمل بصفة

مستقلة، وعلى الرغم من مقدرة المانيا الشرقية على ارسال مستشارين عسكريين وجنود الى افريقيا، لكنها كانت تنقصهما الامكانيات لنقل وحدات عسكرية وارسال شحنات ضخمة من الاسلحة والمعدات الحربية لا تتوفر الافي الدول الكبرى[٢٦]، فضلاً عن افتقارهما للموارد الاقتصادية الكافية لممارسة تأثير ملموس على الوضع العام في قارة افريقيا لتحقيق اهدافها الخاصة وممارسة درجة اكبر من التأثير السوفييتي بصفة عامة. ويلاحظ ان جهود الدول الثلاث (الاتحاد السوفيتي، المانيا الشرقية، كوبا) والتنسيق بينهم في افريقيا كان نوعا من تقسيم العمل الدولي، فالاتحاد السوفيتي قام بدور المورد الرئيسي للسلاح للدول وحركات التحرر الافريقية، وكوبا مثلت المورد الرئيسي للقوات العسكرية والمدنية، واما المانيا الشرقية فقد كانت وظيفتها الرئيسية في مجال الامن والمخابرات والتدريب العسكري [٢٧].

ثانيا. موقف القوى الغربية:

نبع اهتمام الدول الغربية بمنطقة القرن الافريقي من كونها تشرف على البحر الاحمر ومضيق باب المندب فضلاً عن قربها من الخليج العربي والمحيط الهندي، وهي المسارات التي يتدفق من خلالها النفط العربي الى اوربا الغربية والولايات المتحدة الامريكية عبر البحر المتوسط، ولذلك أولت الدول الغربية تلك الحرب اهتماماً كبيراً وتفاوتت الآراء والرؤى بين الداعم لأثيوبيا ومتردد ومساند للصومال خفية، وفيما يلي نستعرض المواقف المختلفة لتلك الدول على النحو الاتي:

- **الولايات المتحدة الامريكية:**

أثارت السياسة الامريكية في القرن الافريقي تساؤلات كثيرة واحاطت بها علامات الاستفهام من كل جانب، ذلك ان تلك السياسة اثارت زوبعة سياسية كبيرة بسبب ما اكتنفها من غموض محير وتناقض صارخ، وقد بذلت الحكومة الصومالية جهوداً كبيرة لجذب الولايات المتحدة الامريكية الى جانبها، فطردت الاتحاد السوفيتي واغلقت قواعده في الصومال، ومع ذلك لم تتحرك الولايات رغم تعرضها لضغوط هائلة من قبل اصدقائها في الشرق الاوسط وخاصة من قبل ايران والمملكة العربية السعودية، للتصدي للنفوذ السوفييتي في القرن الافريقي وامداد الصومال بالسلاح والعتاد[٢٨].

في منتصف شهر حزيران عام ١٩٧٧ اجتمع السفير الصومالي في واشنطن مع الرئيس الامريكي جيمي كارتر [٢٩] (Jimmy Carter) لتقديم طلب مستعجل للمساعدة العسكرية، ورد كارتر بأن الولايات المتحدة الامريكية ترى انه من الممكن مساعدة الصومال طريق حلفائها. وابدى كارتر استعداد بلاده لتحدي الاتحاد السوفيتي بشدة في الكثير من مناطق العالم، وفي القرن الافريقي تحديداً، وأعلن انه جاهز لتجهيز الصومال ببعض الاسلحة الدفاعية بالاشتراك مع عدد من دول الاخرى، وفي ٢٧ حزيران من العام نفسه العام صرح وزير الخارجية الامريكي ساويرس فانس [٣٠](Cyrus Vance) بأنه يمكن للصومال الوصول الى مصادر اسلحة غير المصادر السوفيتية، وأعتقد البعض ان ذلك التصريح شجع الصوماليين في المضي قدماً في حربهم ضد اثيوبيا. ولكن الذي حدث بعد ذلك يثير تساؤلاً، فرغم

الاشارات الخارجة من البيت الابيض والخارجية الامريكية بمساندة الصومال ومساعدتها عسكرياً، فقد تحفظت الولايات المتحدة الامريكية حينما نشب القتال، اذ وصل بلاغ من الخارجية الامريكية للسفير الصومال في واشنطن في ٤ آب عام ١٩٧٧ ان الولايات المتحدة الامريكية لا تستطيع ان تقدم لبلاده الاسلحة طالما كانت القوات الصومالية متورطة في اوغادين [٣١]. وان الحظر يشمل الاسلحة الامريكية الصنع والتي تملكها السعودية وإيران [٣٢].

وقفت الولايات المتحدة الامريكية موقفا متخاذلا تماما من النزاع الصومالي الاثيوبي، واصيب الصومال بخيبة امل كبيرة من جراء ذلك المتخاذل، فقد ظنت ان قطعيتها مع السوفييت ستجعل منها طفل الغرب المدلل الذي يأمر فيطاع، وفي الواقع لم تكن الولايات المتحدة الامريكية تستطيع ان تساعد دولة تعد عدتها من اجل انتهاك أحد المبادئ الاساسية شبه المقدسة في ميثاق منظمة الوحدة الافريقية، كما انها لم تتخذ موقفاً حازماً من ادانة الصومال عندما حررت معظم اراضي اوغادين وذلك رداً على موقف اثيوبيا منها وارتمائها في احضان السوفييت [٣٣].

والظاهر الولايات المتحدة الامريكية كانت تبحث عن رد لوقف التقدم السوفيتي في افريقيا، ولكن دون ان يؤدي ذلك الى مواجهة صريحة ومباشرة معه، وكان تسليح الصومال او الوعد بذلك يحقق لها تلك المصلحة، اذ كانت تمثل تحذيرا لأثيوبيا من ان تدعيم علاقتها أكثر بالسوفييت خصوصاً بعد بداية وصول الاسلحة والمستشارين العسكريين اليها سوف يؤدي لحصول الصومال الخطر الخارجي الاول على اثيوبيا على اسلحة امريكية مما يزيد المخاطر التي يتعرض لها النظام الحاكم في اثيوبيا. ولكن مع قيام الصومال بغزو اوغادين فأن الاستمرار في دعم الصومال سوف يعتبر دعماً للجانب المعتدي حسب النظرة الامريكية خصوصاً مع دعم منظمة الوحدة الافريقية لموقف اثيوبيا، مما كان يهدد بخسارة كبيرة للسياسة الامريكية في افريقيا، لذلك اتخذت الحكومة الامريكية قرارها بالتراجع بعد ان ادى الهجوم الصومالي في اوغادين الى المزيد من دعم العلاقات السوفيتية الاثيوبية [٣٤].

فضلاً عن ذلك أن الولايات المتحدة الامريكية كانت تدرك قدرة الجيش الصومالي على اختراق منطقة اوغادين وهزيمة القوات الاثيوبية الموجودة بها، اذ كان الجيش الصومالي يعد من اقوى الجيوش الافريقية من ناحية التسليح والتدريب، ومن تلك الامور يمكن استنتاج ان هدف الولايات المتحدة الامريكية من التلميح للصومال بإمكانية مساندتها ضد اثيوبيا لم يكن يقصد به التدخل الصومالي بذلك الحجم ، انما كانت تسعى فقط لإفشال الخطط السوفيتية لتسوية الصراع بين الصومال واثيوبيا، ولقطع الطريق امام اي محاولة اخرى لإقامة اتحاد من اي نوع على غرار ما حدث في اذار عام ١٩٧٧، وكذلك لزيادة المشاكل بين الدولتين المتصارعتين لإبعاد الصومال اكثر عن الاتحاد السوفيتي ولوضع الاخير في موقف حرج بين حليفيه بسبب عدم قدرته على انصاف جانب على اخر، مما قد يؤثر على علاقاته مع دول العالم

الثالث بأسرها، وكذلك يؤثر على ثقة كل من الصومال واثيوبيا في قدرته على مساندته في وقت حاسم ومصيري، وبالتالي امكانية تحقيق الولايات المتحدة الامريكية لمكاسب دون ان تتدخل بصورة مباشرة [٣٥].

ويرى الباحث ان هدف الولايات المتحدة الامريكية كان دفع الجمهورية الصومالية الى دخول نزاع مسلح مع اثيوبيا وذلك لأضعاف القوتين الاشتراكيتين اقتصادياً وعسكرياً وارهاقهما فيما لا طائل منه، ثم لتسهيل صيدهما في الوقت المناسب الى دائرة التبعية الامريكية، ويؤكد ذلك التصميمات والتأكيدات التي وردت من السفارة الصومالية في واشنطن عن سلامة الموقف الامريكي، وبعد خمسة أشهر من ذلك التاريخ اي قبل نهاية عام ١٩٧٧ اتضح جلياً بأن ادارة كارتر تسعى فقط الى تسجيل نقطتين في القرن الافريقي هما:

- توريط الصومال في حرب التحرير في اوغادين.
- اخراج الروس وحلفائهم من منطقة القرن الافريقي أو على الاقل تقليل دائرة نفوذهم.

وفي واقع الامر يمكن تفسير الموقف الامريكي الذي قد يبدو متناقضاً على السطح استناداً الى مجموعة من العناصر أهمها ان لأثيوبيا اهمية استراتيجية وتاريخية من العلاقات القوية مع الولايات المتحدة الامريكية، وعدم رغبة الولايات المتحدة الامريكية بقطع حبل الاتصالات معها بل على العكس ترغب في عودة العلاقات، فرغم طرد اثيوبيا للبعثة العسكرية الامريكية في نيسان عام ١٩٧٨ وانهاء جميع التسهيلات الامريكية، الا ان السفير الامريكي بقي في اديس ابابا [٣٦].

بينما تم فصم عرى العلاقات الصومالية السوفيتية، الان السياسة الامريكية ظلت تتطلع الى استعادة اثيوبيا وتصحيح العلاقات معها، ومن ناحية اخرى فأن الولايات المتحدة الامريكية رفضت تماماً ان توافق على خطط الصومال التحررية الوحدوية الرامية الى توحيد القطاعات الطبيعية من الاراضي المتحدة عرقياً وتاريخياً وتنتمي الى وحدات سياسية مختلفة. ويمكننا القول ان ذلك الموقف الامريكي المعادي لحق تقرير المصير ولتصحيح المظالم التاريخية الاستعمارية، قد استند على سؤال بسيط: ماهي الاخطار المتصورة من وجهة نظر المصالح الامريكية؟

في حالة وجود صومال متحدة قوية ومنتصرة في نفس الوقت واساس ذلك تحرير اقليم اوغادين يعني في حقيقته انتصار منطق الصومال المؤيد لحق تقرير المصير في مواجهة مبدأ قدسية الحدود الافريقية من ناحية، وان الخطوة التالية ستكون جيبوتي وكينيا من ناحية اخرى، وقد ضاعفت من اهمية هذه الاعتبارات امام عملية صياغة السياسة الامريكية، ان الصومال تريد السلاح لكي تحارب من اجل مصلحتها الخاصة بها، وقبل اي اعتبار اخر انها كانت تريد سلاحاً تشتريه وتستخدمه، لا سلاحاً يشتريها ويستخدمها وبتعبير آخر، السلاح المطلوب لم يكن في جوهره ضد الشيوعية، لان الحرب الدائرة في جوهرها من اجل الوحدة[٣٧].

كانت الولايات المتحدة الامريكية تدرك انه إذا انتصرت الصومال في الحرب، فأن ارتيريا ستصبح دولة مستقلة ومنحازة الى الدول العربية، وتلك الدول ستتمكن عندئذ من السيطرة على كل جانبي باب المندب الاستراتيجي وبالتالي يمكن ان تتأثر الملاحة الصهيونية في البحر الاحمر والمحيط الهندي، فضلاً عن التخوف على مصير الحليف الاساسي في المنطقة وهو كينيا، ذلك ان للصومال ادعاءات مماثلة في اقليم انفدي في كينيا [٣٨].

كل تلك العوامل جعلت الولايات المتحدة الامريكية تقف موقفاً محايداً مما جرى في القرن الافريقي واحياناً منحازاً الى اثيوبيا، فقد اعلنت ادارة الرئيس الامريكي كارتر انها ستقطع المعونات العسكرية وليس المبيعات المقدمة لأثيوبيا، على اساس مبادئ حقوق الانسان، وتبنت الولايات المتحدة الامريكية بحذر سياسة تقوم على المحافظة على العلاقات مع اثيوبيا وعدم قطع المعونة الاقتصادية بل تخفيض مستواها، ولم تكن تلك السياسة قاصرة على السلطة التنفيذية ، فقد قام عضوان من الكونجرس الامريكي بزيارة لأثيوبيا وقابلا السلطة الحاكمة في تشرين الثاني عام ١٩٧٧، واعلنت الولايات المتحدة الامريكية في اواخر شباط عام ١٩٧٨ انها ستقوم بتزويد اثيوبيا ببعض سيارات الجيب وقطع الغيار كجزء من صفقة عسكرية قيمتها ٤٠ مليون دولار عقدت في آيار عام ١٩٧٧، وان لم يمنع كل ذلك الولايات المتحدة الامريكية من ادانة الدور السوفيتي والكوبي في القرن الافريقي [٣٩].

وباختصار فأن الموقف الامريكي رغم كل شيء يؤكد مدى الحرص على الاحتفاظ بعلاقة قوية مع اثيوبيا من الناحية العملية، اذ استمر التعاون الاقتصادي عن طريق وكالة التنمية الدولية (AID) والبنك الدولي. وسعت الولايات المتحدة الامريكية لتحسين تلك العلاقات، فقد أعلن الامريكيون في اوائل شهر أيلول عام ١٩٧٧ عن استعدادهم لمواصلة تقديم المعونات الاقتصادية [٤٠].

يرجع بعض المحللين السياسيين الفضل للولايات المتحدة بانسحاب القوات الصومالية نتيجة لضغطها على الرئيس الصومالي، لكن ذلك لا يعني بالضرورة تجاهل الموقف الحرج للقوات الصومالية على ارض المعركة، فالتدخل السوفيتي الكوبي بالقوات والخبراء والاسلحة والمعدات وعمليات الانزال الجوي لعناصر المدرعات خلف خطوط الدفاع الصومالية شرقي مدينة جكجكا عرض القوات الصومالية لعملية حصار وابادة. فاستسلم محمد سياد بري للضغط الامريكي ووافق على سحب قواته في ٨ اذار عام ١٩٧٨ وبعد عشرة ايام وصل مساعد وزير الخارجية الامريكي للشؤون الافريقية ريتشارد سوس (Richard Seuss) الى مقديشو لبحث امكانية تقديم مساعدات امريكية الى الصومال وكان الدافع الاساسي للزيارة الحصول على ضمانات مؤكدة من الحكومة الصومالية بعدم تهديد اثيوبيا، وعدم المطالبة بأية اقاليم خاضعة لأثيوبيا وكينيا وجيبوتي مقابل المساعدات الامريكية وهو مالم تحصل عليه واشنطن بصورة مؤكدة ولذا كان كل ما قدمه سوس هو صفقة مساعدات اقتصادية بقيمة ٧ ملايين دولار [٤١].

- **موقف دول اوربا الغربية:**

اذا تتبعنا موقف اوربا الغربية منذ تصاعد الاخطار في منطقة القرن الافريقي بسقوط الحكم الامبراطوري في اثيوبيا واستيلاء منغستو والنظام العسكري الجديد على زمام الامور، اخذت اوربا الغربية تفقد مركزها القوي هناك تاريخياً، وخاصة حين مع تشدد منغستو في مواجهة المصالح الغربية وتوطيد علاقاته مع الاتحاد السوفيتي، فأدى ذلك بالمقابل الى سعي الغرب الى تحسين علاقاته مع الصومال مستفيداً من الاثار السلبية للموقف السوفيتي وذلك بهدف انتزاع الصومال من دائرة العلاقات مع السوفييت، وقد سارت الاحداث سريعة في ذلك الاتجاه حتى وصلت المواجهة السوفيتية الصومالية الى درجة حادة مع الغاء الصومال معاهدة الصداقة وطرد الخبراء السوفييت من الصومال، وازاء ذلك لم يكن امام الصومال سوى اللجوء الى الغرب، في الوقت الذي تصاعدت فيه حدة النزاع الصومالي الاثيوبي في منطقة اوغادين، فاتجهت الحكومة الصومالية الى طلب الدعم العسكري من اوربا الغربية والالحاح في ذلك لمواجهة تدفق المساعدات العسكرية السوفيتية على اثيوبيا، غير ان موقف دول اوربا الغربية لم يكن ايجابياً تجاه المطالب الصومالية حيث اتسم بالحذر والخوف من التورط في النزاع، واتضح ذلك من خلال تردد فرنسا وبريطانيا والمانيا الغربية في امداد الصومال بالأسلحة [٤٢].

أيدت دول اوربا الغربية في نهاية عام ١٩٧٧ الولايات المتحدة الامريكية وشاركتها في قرار حظر ارسال الاسلحة الى الصومال وتأكد ذلك الموقف في اجتماع الدول الغربية في واشنطن في كانون الثاني عام ١٩٧٨ والذي صدر في نهايته بيان يعبر بوضوح عن حرص الدول الغربية على عدم التورط في النزاع والرغبة في إحالة القضية برمتها الى منظمة الوحدة الافريقية لتتولى معالجتها [٤٣].

بادرت دول غرب اوربا بالإعلان عن قلقها بشأن هذا الهجوم، وبررت ذلك الموقف بأنه يمكن ان يؤدي الى تزايد الصراع بين الدولتين لسنوات طويلة. وزعمت ان موقفهم من الصراع الصومالي الاثيوبي يستند الى مبدأ منظمة الوحدة الافريقية في قدسية الحدود، وبالتالي قررت تلك الدول ان انسحاب الصومال من اوغادين هو امر حتمي، وانه لن يكون هناك امدادات بالأسلحة للجانبين في ظل الصراع القائم بين الدولتين، كما كثفت تلك الدول من ضغوطها على الصومال لحملها على قبول جهود الوساطة التي ابدتها منظمة الوحدة الافريقية، بل وحاولت الحصول على تعهد صومالي بالانسحاب، وشجعت اطرافاً عديدة منها نيجيريا، وهيئة الامم المتحدة ومنظمة الوحدة الافريقية، ودول عدم الانحياز على التوصل لحل سلمي لإيقاف الحرب وقد ادت الضغوط الغربية والتدخل السريع والكثيف للقوات السوفيتية والكوبية في الحرب الى جانب القوات الاثيوبية الى انسحاب الصومال [٤٤].

عملت الدول الاوربية على عرض مشكلة القرن الافريقي على مجلس الامن بشرط ان يصدر الرئيس الصومالي تصريحا بأنه ليست له اطماع اقليمية حتى اذا اقترن ذلك التصريح بمطالبته بحق تقرير المصير للمنطقة المتنازع عليها بين الصومال واثيوبيا، وانه اذا صدر مثل هذا التصريح، فأن دول اوربا

الغربية مستعدة للذهاب فوراً الى مجلس الامن لمطالبة جميع الدول المعنية بالتوقف عن التدخل وارسال الاسلحة الى المنطقة، اما اذا عرض الامر على مجلس الامن دون التصريح، فأنه لن يتوصل الى نتيجة، وخاصة ان الصومال تبدو كدولة معتدية لان قواتها هي التي عبرت الحدود ، مما يتيح للسوفييت الادعاء بأنهم يساهمون في الدفاع عن اثيوبيا بوصفها ضحية للعدوان[٤٥] .

مع ذلك الموقف قامت بعض دول اوربا الغربية بتقديم المساعدات الى الصومال، فقد ذكرت الصحف الامريكية ان ايطاليا وفرنسا واسبانيا زودت الصومال بالأسلحة، وان السعودية هي التي تدفع ثمن تلك الاسلحة، وقد اسفرت اجتماعات سرية في روما عن شحن ثلاث واربعين طائرة مروحية من طراز كوبرا من ايطاليا عبر مدريد، فضلاً عن صفقة اخرى من صواريخ مضادة للطائرات [٤٦].

لم يكن موقف اوربا الغربية على وتيرة واحدة، اذ خرجت فرنسا على حدود ذلك الموقف باعتبار ان المصالح الاستراتيجية الفرنسية في منطقة القرن الافريقي ترتب عليها نوعاً من الخصوصية، لان فرنسا هي الدولة الاوربية الغربية الوحيدة التي تملك وجوداً بحريا فعليا في المنطقة، فضلاً عن وجودها العسكري الرمزي في جيبوتي. لذلك كان لها دوراً مباشراً في معظم الازمات والصراعات الافريقي، وكان ذلك واضحا في زائير وتشاد [٤٧].

ثالثا. <u>موقف الكيان الصهيوني:</u>

رغم ان الكيان الصهيوني ليس من القوى العظمى وليس كياناً افريقياً الا انه اطل برأسه في الصراع الصومالي الاثيوبي حول القرن الافريقي، نظرا لأهمية المنطقة لوسائل المواصلات الصهيونية البحرية عبر البحر الأحمر، ولذلك اتصل الكيان بأثيوبيا عام ١٩٥٥ واقام معها علاقات دبلوماسية وتجارية وعسكرية، اذ نشأ بينهم عدد من المشاريع المشتركة، واحتكر بعضها التعامل في بعض المنتجات الاثيوبية، كما حدث تعاون واسع في مجالات التدريب والتجارة وأقام مدارس للتدريب على مقاومة حرب العصابات في اثيوبيا، كما قام بتدريب كثير من الكوادر العسكرية في ارضها، وكذلك اقام مركزاً للتجسس في مدينة اسمرة، وكان يزود اثيوبيا ايضاً بكميات كبيرة من الاسلحة الصهيونية الخفيفة[٤٨] .

استطاع عدد كبير من الضباط الصهيونيين اقامة علاقات صداقة مع القادة والضباط في الجيش الاثيوبي ، وبدأ العمل على تحقيق وجود عسكري حقيقي في المنطقة منذ عام ١٩٧١ ، حين قام حاييم بارليف (Haim Bar-Lev) رئيس الاركان الصهيوني في ذلك الوقت بزيارة سرية الى اثيوبيا، اجرى خلالها محادثات مع قائد القوات البحرية الاثيوبية، ثم اقترح على الحكومة تزويدها بشبكة رادار تقام على شواطئ ارتيريا لمراقبة عمليات تهريب السلاح للثوار عن طريق جمهورية اليمن الشعبية، كما عرض تزويد البحرية الاثيوبية بعدد من زوارق الطوربيد والصواريخ على ان يقوم ضباط وجنود البحرية الصهيونية بتشغيل محطات الرادار والزوارق لحين اتمام تدريب الاثيوبيين عليها، وعلى اثر ذلك قامت بعثة من الخبراء الصهيونيين بتفقد جزيرتي دهلك وحالب، اذ قاموا برسم خرائط مفصلة تمهيدا لإقامة مطار وقاعدة

بحرية ومحطة رادار، كما استمرت القطعات البحرية الصهيونية في القيام بعمليات المراقبة في المنطقة [٤٩]. ولذلك تعتبر العلاقات مع اثيوبيا بالتحديد هي اهم التحالفات الصهيونية في افريقيا وخاصة من الناحية السياسية والاستراتيجية، فالكيان الصهيوني كان يرى ان اثيوبيا حليفاً استراتيجياً يريد المحافظة على العلاقات معه بأي ثمن، وفي ظل اية ظروف [٥٠].

وعلى ذلك فقد عمل الخبراء والمستشارين الصهيونيون بجانب القوات الاثيوبية في اوغادين، واشرفوا على تدريب الفرقة السابعة في الجيش الاثيوبي التي تحارب في ارتيريا منذ بداية شهر تموز عام ١٩٧٧، كما ان الطيارين الصهيونيين كانوا يقودون الطائرات الاثيوبية في المنطقة الشمالية من اثيوبيا فضلاً عن استمرار معسكر التدريب الصهيوني الواقع في منطقة اواش على بعد مائة وخمسين ميلاً شرق اديس ابابا والذي كان يديره عقيد من الجيش الصهيوني واثني عشر ضابطاً اخرين، وكان الكيان الصهيوني يقدم كافة المعدات والاسلحة المستخدمة في التدريب والتي كان قد استولى عليها خلال حرب حزيران عام ١٩٦٧ [٥١].

وبخصوص الموقف الرسمي للكيان الصهيوني من مسألة الدعم لأثيوبيا، تحدث وزير الدفاع الصهيوني ارئيل شارون [٥٢] (Ariel Sharon) بذلك الخصوص قائلاً: "**في عام ١٩٧٧، نشب نزاع على الحدود بين اثيوبيا والصومال، وكانت اديس ابابا قد طلبت من قبل ذلك منحها مساعدة عسكرية، كنت ارى ان علينا قبول ذلك الالتماس، ولكن لابد من ان نطالب لقاء ذلك بترحيل يهود الفلاشا الى اسرائيل، بعد اجتماع مجلس الوزراء الاسرائيل، تبادل منغستو وبجحن رسائل تناولت شروط ترحيل اليهود الذي سيتم بالتنسيق مع الحكومة الاثيوبية**" [٥٣].

قدم الكيان الصهيوني منذ اوائل كانون الثاني عام ١٩٧٨ الدعم الفني للقوات الاثيوبية لمساعدتها على الاستمرار في تشغيل المعدات والاسلحة الامريكية وقد اعلنت عن تلك المساعدات رسمياً على لسان وزير الخارجية موشيه دايان[٥٤] (Moshe Dayan) في شباط من العام نفسه، مما اوقع اثيوبيا في حرج كبير جعلها تصف تصريح دايان بأنه "عمل شرير"، ورداً على ذلك، انهت الحكومة الاثيوبية علاقاتها التجارية مع اسرائيل وقامت بطرد المستشارين الصهيونيين، وامرت سفيرها في لندن بنشر تصريح يوضح موقف الحكومة الاثيوبية وان قبولها الاسلحة من اسرائيل جاء بعد توقف امدادات الاسلحة الى اثيوبيا بشكل متعمد مما جعل الحكومة الاثيوبية ترسل مندوبيها الى دول اوربا واسيا وامريكا اللاتينية والشرق الاوسط للبحث عن مصادر الاسلحة، وكانت اسرائيل هي الدولة الوحيدة التي عرضت تزويد اثيوبيا بعدد محدود من الاسلحة والذخيرة وقطع الغيار [٥٥] .

وعلى الرغم من توتر العلاقات بين البلدين بسبب تصريح دايان الا انه لا يمكن القول بأن تلك النكسة المؤقتة شكلت تحولاً حاسماً في العلاقات بين البلدين، فبالنسبة لأثيوبيا، فأن حاجتها الى المساعدات الصهيونية ظلت قائمة في ذلك الوقت، اما بالنسبة للكيان الصهيوني فأن الاولويات لم تتغير

وظل الاهتمام الصهيوني بحسن العلاقات مع اثيوبيا وبمحاربة ثورة ارتيريا والصومال كما كان، ولعل ابلغ دليل على ذلك ما اثارته تصريحات دايان وما ترتب عليها من استياء شديد ضده داخل الكيان الصهيوني واستغلال المعارضة الصهيونية لذلك في مهاجمة السياسة الخارجية للحكومة والتشهير بها، وأكد ذلك الاتجاه ردود الفعل المبتهجة في الصحافة الصهيونية بعد انتصار اثيوبيا في حربها مع الصومال حول اقليم اوغادين، ولعل الفقرات التالية من مقال نشرته صحيفة يديعوت احرونوت (Yedioth Ahronoth) الصهيوني في شهر اذار عام ١٩٧٨ اي بعد انتهاء الحرب بشهر واحد، بعنوان (تحسين العلاقات مع اثيوبيا امر حيوي) ، ألقى المقال الضوء على موقف الكيان الصهيوني من قضايا القرن الافريقي ورؤيتها لمستقبل التحالف في المنطقة، وجاء فيه: "**ان انتصار اثيوبيا على الصومال قد يعزز من قوتها الداخلية ويحسن قدرتها على الصمود في ضوء ظهور الصراع العربي بداخل الدولة نفسها في منطقة ارتيريا، ونتيجة لذلك الانتصار ستزداد سيطرة اثيوبيا على البحر الاحمر، ان هذا الحسم له اهمية كبيرة لأثيوبيا وايضا إسرائيل اذ ان خطوط الملاحة في الجنوب قد تكون اكثر ضماناً لإسرائيل اذا لم يقع البحر الاحمر تحت سيطرة عربية كاملة**"

وضحت دراستنا عن الحرب الصومالية الاثيوبية ١٩٧٧–١٩٧٨ وموقف القوى الدولية منها بعض الحقائق والاستنتاجات ويمكن تلخيصها كالآتي:

- ان الصراع الصومالي الاثيوبي تمتد جذوره الى القدم، ولم تكن الحروب التي قامت بين الطرفين بعد رحيل المستعمر الاوربي دينية فقط، وانما تتمثل في المواجهة بين القوميات، فالمشكلة الاساسية تتمثل في حقيقة كون الصومال بالاستقلال ترفض مفهوم الدولة القومية الجزئية التي فرض اطارها الاستعمار ووضع رمزها وتعتبر نفسها النواة الاساسية لتحقيق امل الصوماليين المنتشرين في منطقة القرن الافريقي في القومية الكلية.
- اصطدمت القومية في الصومال بالقومية الاثيوبية التي فرضت نفسها وهدفت الى بناء دولة في ظل حدودها القائمة، ولذلك لم تتحقق على الرغم من ان تحقيقها يدعمه تجانس واضح في ظل امبراطورية تضم العديد من القوميات، وارتبط باعتبارات اقتصادية تدعم المصالح المصيرية، ومنها طبيعة الاقتصاد نفسه وهو اقتصاد رعوي والامكانيات الاقتصادية المنتشرة لمنطقة الصومال الغربي بالذات سواء الزراعية او النفطية التي أعلن عن توافرها في عام ١٩٧٢.
- ان الدبلوماسية الاثيوبية كانت اقوى واشد تأثيرا من الدبلوماسية الصومالية حديثة العهد ، اذ استطاع الامبراطور الاثيوبي ان يجعل مقر منظمة الوحدة الافريقية في اديس ابابا، وان ينتزع قرار من المنظمة اعتبر الحدود الموروثة عن العهد الاستعماري ثابتة وغير قابلة للتغير او التعديل في مسعى لإحباط القضية الوطنية الصومالية وحرمانها اي شرعية افريقية او دولية ، وبالتالي عندما قامت الحرب الصومالية الاثيوبية عام ١٩٧٧ في الصومال الغربي ، اعتبرت

بعض القوى الاقليمية والدولية ذلك التصرف احتلال وخرق للقانون الدولي، اذ ان اثيوبيا بحكم عضويتها في الامم المتحدة ذات حدود معترف بها بناء على اتفاقيات دولية ، وان اي دولة لا تملك المساس بها لأنها تعتبر من وجهة نظر القانون الدولي دولة غازية ومعتدية الامر الذي يوجب المساءلة وادانة المجتمع الدولي وبالتالي فرض عقوبات عليها.

- وضعت الحرب الصومال في حرج بالغ، اذ تخلى عنها بعض الحلفاء التي عولت عليهم، لكنه كان يستطيع ان يحقق هدفه السياسي لو ساند جبهة تحرير الصومال الغربي دون مشاركة جيشه في تلك الحرب بشكل مباشر، وذلك لان الجبهة لا تعتبر من منظور القانون الدولي دولة، وبالتالي غير خاضعة لأحكامها.
- ان الصومال ورطت نفسها في دوامة صراع القوى الاعظم دون تقدير لقدراته وحجمه، وأصبح ضحية لمؤامرة الغرب الذي كان يسعى للسيطرة على القرن الافريقي واسقاط النظم السياسية الثلاث في كل الصومال واليمن الجنوبي واثيوبيا، واقصاء السوفييت منها ولم يكن اطلاقا يعترف بتغيير الحدود او بحق تقرير المصير للشعب الصومالي الذي يركز تحت الامبراطورية الاثيوبية.

قائمة المصادر والمراجع:

الكتب العربية:

– ابراهيم عبد الله محمد، تحفة الاوفياء لمسيرة التحرير والتعريب في القرن الافريقي، دولة الامارات المتحدة، ٢٠٠١.

– ابراهيم نصر الدين، الديناميات السياسية في اثيوبيا من نظام الحكم الامبراطوري الى ممارسات الدرج، اعمال الندوة الدولية للقرن الافريقي، جامعة القاهرة، معهد البحوث والدراسات الافريقية، ١٩٨٧.

– احمد ابراهيم محمود، الصومال بين انهيار الدولة والمصالحة الوطنية، مركز الاهرام للدراسات السياسة والاستراتيجية، القاهرة، ٢٠٠٥.

– بيركيت هابتي سيلاسي، الصراع في القرن الافريقي، ترجمة عفيف الرزاز، مؤسسة الابحاث العربية، بيروت، ١٩٨١.

– جلال يحيى ومحمد نصر مهنا، مشكلة القرن الافريقي وقضية شعب الصومال، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨١.

– حلمي عبد الكريم الزغبي، مخاطر التغلغل الصهيوني في افريقيا، كاظمة للنشر والتوزيع، ١٩٨٥.

– سلوى محمد لبيب، دبلوماسية القمة الافريقية والعلاقات الافريقية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠.

– صادق عبده علي قائد، التدخل اليمني في القرن الافريقي ١٩٦٧–١٩٧٨، ج٢، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء، ٢٠٠٤.

– صلاح الدين حافظ، صراع القوى العظمى حول القرن الافريقي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٤٩، يناير ١٩٨٩.

– عبد الحميد البطريق، التيارات السياسية المعاصرة والصراعات الدولية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، العدد ١٣٣، ١٩٨٩.

– عبد الرحمن الصالحي، الصومال في المنظمات الدولية، محمد عبد الغني السعودي (محرر)، المسح الشامل لجمهورية الصومال الديمقراطية، معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد، ١٩٨٢.

– علي الشيخ واحمد ابو بكر، الدعوة الاسلامية المعاصرة في القرن الافريقي، دار امية للنشر والتوزيع، اليمن، ١٩٨٨.

– عبد الله المحسن، البحر الاحمر والصراع العربي الصهيوني، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٢.

– علي محمود علي معيوف، تاريخ حركة الجهاد الاسلامي الصومالي ضد الاستعمار، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٢.

– فاطمة الزهراء وعلي الشيخ احمد، السياسات الامريكية تجاه الصومال، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠٠٨.

– مجدي حماد، العلاقات العربية الافريقية في المنظور الغربي والسوفيتي، مركز الدراسات الوحدة العربية، بدون تاريخ.

–_____، القضية الاريترية ادوار كل من اسرائيل وكوبا، عبد الملك عودة (محرر)، ارتيريا دراسة مسحية شاملة، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٩٦.

– محمد علي حامد، الحرب الاهلية في الصومال اسبابها ونتائجها، مطابع الاهرام التجارية، مصر، ١٩٩١.

– محمد احمد شيخ علي، التدخل الدولي في الصومال، الاهداف والنتائج، مركز الراصد للدراسات، الخرطوم، ٢٠٠٥.

– محمد الطيب محمد بن يوسف، اثيوبيا والعروبة والاسلام عبر التاريخ، ج٢، المكتبة الملكية، جدة، ١٩٩٣.

– محمد عبد الغني السعودي وعبد الرحمن محمد يوسف، المراحل المختلفة التي مرت بها تجارة الصومال عبر التاريخ، المسح الشامل لجمهورية الصومال الديمقراطية، معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد، ١٩٨٢.

– محمود علي توراي، قضية القرن الافريقي على ضوء القانون الدولي، مقديشو، ١٩٩٦.

– محمد فريد السيد حجاج، صفحات من تاريخ الصومال، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٣.

الكتب الاجنبية:

- Peter Duignan, The Horn of Africa in, Politics and Government in Africa States (1960-1985), California 1986.
- J. Drysdale, The Somalia Dispute, London 1988.
- Robert H. Donaldson, The Soviet Union in Third Word the West View Press, London1981.
- Peter Woodward, The Horn of Africa Politics and International Relations. New York 1996.

الدوريات العربية:

– ابراهيم احمد نصر الدين، الديناميات السياسية في اثيوبيا من نظام الحكم الامبراطوري الى ممارسات الدرج، محمد عبد الغني سعودي (محرر) اعمال الندوة الدولية للقرن الافريقي، جامعة القاهرة، معهد البحوث والدراسات الافريقية، ١٩٨٧.

– امال الشاذلي، الاطماع الصهيونية في القرن الافريقي، مجلة السياسة الدولية، العدد٥٤، شباط ١٩٧٨.

– جهاد عودة، السياسة المصرية في القرن الافريقي، مجلة السياسة الدولية، العدد٥٤، شباط ١٩٧٨.

– سوسن حسين، السياسة الامريكية في القرن الافريقي، مجلة السياسة الدولية، العدد٥٤، شباط ١٩٧٨.

– عواطف عبد الرحمن، السياسة الصومالية وثورة اكتوبر، مجلة السياسة الدولية، العدد ٢٢، تشرين الاول ١٩٧٠.

– فاروق كامل عز الدين، الصراع في منطقة القرن الافريقي وأثره على افريقيا المجلة الجغرافية العربية، الجمعية الافريقية، العدد الثالث عشرة، ١٩٨١.

– مجدي حماد، الحرب والسلام في افريقيا، مجلة السياسة الدولية، العدد ٥٢، نيسان ١٩٧٨.

الرسائل الجامعية:

– احمد كامل الخطيب، اسرائيل والبحر الاحمر، رسالة ماجستير، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٨٨.

– السيد محمد السيد عمر، منازعات الحدود في افريقيا العربية مع التمثيل خاصة بحدود بلاد شرق افريقيا، رسالة ماجستير، كلية الاقتصاد والعلوم السياسة جامعة القاهرة، ١٩٨١.

– سمر ابراهيم محمد، السياسة الخارجية الصهيونية تجاه منطقة القرن الافريقي منذ عام ١٩٩٠ حتى عام ٢٠٠١، رسالة ماجستير، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، ٢٠٠٦.

– محمد عبد المؤمن محمد، التنافس الامريكي السوفيتي في اثيوبيا، رسالة ماجستير، كلية الاداب، جامعة عين شمس.

الموسوعات:

Encyclopedia Britannica Library (C.D), Chicago, 2014.

الهوامش:

(١) محمد علي حامد، الحرب الاهلية في الصومال اسبابها ونتائجها، مطابع الاهرام التجارية، مصر، ١٩٩١، ص ٥٤.

(٢) عسكري وسياسي كوبي ولد عام ١٩٢٦ جنوب شرق كوبا لأبوين مزارعين، درس الابتدائية والثانوية في المدارس الكاثوليكية بين سانتياغو وهافانا ودرس الحقوق في جامعة هافانا، أصبح عضو في الحزب الإصلاحي الكوبي عام ١٩٥٠، قاد تمردا ضد الحكومة الكوبية عام ١٩٥٣وحكم بالسجن ١٥ عام وحصل على عفو سياسي بعد عامين. أصبح رئيس وزراء كوبا عام ١٩٥٩ وترأس الحزب الشيوعي منذ عام ١٩٦٥. وأصبح عام ١٩٧٦ رئيس مجلس الدولة الكوبية. توفي عام ٢٠٠٨.

Encyclopedia Britannica Library (C.D), Chicago, 2014.

(٣) عسكري وسياسي صومالي ولد عام ١٩١٩ في مدينة شيلابو في إقليم اوغادين، انخرط في صفوف الشرطة الإيطالية عام ١٩٤٠ وبالمدرسة العسكرية الايطالية عام ١٩٥٠، أصبح قائد للجيش الصومالي عام ١٩٦٠ واستولى على السلطة عام ١٩٦٩ وترأس مجلس السيادة العسكري، توفي عام ١٩٩١.

Ib.Id.

(٤) عسكري وسياسي اثيوبي ولد عام ١٩٣٧، تلقى التدريب العسكري بين هوليتا والولايات المتحدة الامريكية، شارك بانقلاب ضد الحكومة الاثيوبية عام ١٩٧٤ وسيطر على منصب رئيس الدولة الاثيوبية وأطلق حملة قضى فيها على معارضيه، وضع دستور جديد لأثيوبيا عام ١٩٨٦. استقال من منصبه عام ١٩٩١، حكم بالمؤبد عام ٢٠٠٦ ثم الإعدام عام ٢٠٠٨ بتهمة الإبادة الجماعية.

Ib.Id.

(٥) جلال يحيى ومحمد نصر مهنا، مشكلة القرن الافريقي وقضية شعب الصومال، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨١، ص٦٨.

(4) Peter Duignan, The Horn of Africa in: Politics and Government in African States (1960-1985), California, 1986, p.56.

(1) J. Drysdale, The Somalia Dispute, London 1988, p.123.

(٢) سياسي سوفييتي ولد عام ١٩٠٣ في أوكرانيا ودرس في المعهد التكنلوجي لصناعة الأغذية. أصبح السكرتير الأول للحزب الشيوعي السوفييتي في خاركوف عام ١٩٥٠ وأوكرانيا عام ١٩٥٧، وعضو في المكتب السياسي عام ١٩٦٠ وأمين اللجنة المركزية عام ١٩٦٣ ورئيس مجلس السوفييت الأعلى عام ١٩٦٥ ورئيس مجلس الدولة عام ١٩٧٧. توفي عام ١٩٨٣.

Encyclopedia Britannica Library (C.D).

(٩) ابراهيم نصر الدين ، الديناميات السياسية في اثيوبيا من نظام الحكم الامبراطوري الى ممارسات الدرج ، اعمال الندوة الدولية للقرن الافريقي ، جامعة القاهرة ، معهد البحوث والدراسات الافريقية، ١٩٨٧ ، ص ٤٠.

(٤) مجدي حماد، المواجهة العسكرية على الحدود الصومالية الاثيوبية ، مجلة السياسة الدولية العدد ٥٠ ، تشرين الاول ،١٩٧٧، ص ١٨٦.

(١) احمد ابراهيم محمود، الصومال بين انهيار الدولة والمصالحة الوطنية، دار الانجلو، القاهرة، ١٩٨٠، ص١٤٨.

(٢) بيركيت هابتي سيلاسي، الصراع في القرن الافريقي، ترجمة عفيف الرزاز، مؤسسة الابحاث العربية، بيروت، ١٩٨٨، ص١٣١.

([13]) Robert H. Donaldson, The Soviet Union in The Third World, London,1982, P.13.

[٤] علي الشيخ واحمد ابو بكر، الصومال وجذور المسألة الراهنة، دار اميمة للنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٩٥، ص٤٣.

[٥] سياسي سوفييتي ولد عام ١٩٠٦ في أوكرانيا، درس في المعهد المعدني في كامينسكوي عام ١٩٣١، أصبح سكرتيرا في الحزب الشيوعي السوفيتي عام ١٩٣٩ وجنرالاً سياسياً في الجيش الأحمر عام ١٩٤٣، ورئيس اللجان الإقليمية في أوكرانيا عام ١٩٥٠ ورئيس الإدارة السياسية في زارة الدفاع عام ١٩٥٤ ورئيس مجلس السوفييت الأعلى عام ١٩٦٠ ورئيس الاتحاد السوفيتي عام ١٩٦٤. توفي عام ١٩٨٢.

Encyclopedia Britannica Library (C.D).

[١] علي الشيخ واحمد ابو بكر، المصدر السابق، ص ٢٠٠١.

[٢] بيركيت هابتي سيلاسي، المصدر السابق، ص ٣٧١.

(٣) محمود علي توراي، قضية القرن الافريقي على ضوء القانون الدولي، مقديشو، ١٩٩٦، ص ١٢٨.

(٤) صلاح الدين حافظ، صراع القوى العظمى حول القرن الافريقي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٤٩، يناير ١٩٨٢، ص ١٥٧.

[١] سياسي الماني ولد عام ١٩١٢، انضم الى حركة الشباب الشيوعيين في الرابعة عشر من عمره وأصبح عضو في الحزب الشيوعي عام ١٩٢٩، سجن عام ١٩٣٣ لممارسته اعمال الشغب ضد النازيين وأطلق سراحه عام ١٩٤٥، أصبح عضو في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي عام ١٩٤٦. أصبح زعيم المانيا الشرقية عام ١٩٦٧ ورئيس الحزب الاشتراكي الديمقراطي عام ١٩٧١. استقال عام ١٩٨٩ وتوفي عام ١٩٩٣.

Encyclopedia Britannica Library (C.D).

(٢) مجدي حماد، الاتحاد السوفيتي، كوبا والقرن الافريقي، مجلة السياسة الدولية، العدد ٥٤، شباط ١٩٧٨، ص ٣٥.

(١) محمد عبد الغني سعودي، مشكلة الاراضي المقتطعة والحدود الصومالية، معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد، ١٩٨٢، ص ٦٠٩.

(2) Peter Woodward, The Horn of Africa; Politics, and International Relations, New York, 1996, p.134.

[٣] فاروق كامل محمد عز الدين، الصراع في منطقة القرن الافريقي وأثره على افريقيا، المجلة الجغرافية، العدد الثالث عشر، ١٩٨١، ص ١٤٤.

[١] محمد الطيب محمد يوسف، اثيوبيا والعروبة والاسلام عبر التاريخ، ج٢، المكتبة الملكية، جدة، ١٩٩٦، ص ١٩.

(٢) صادق عبده علي قائد، التدخل اليمني في القرن الافريقي ١٩٦٧–١٩٧٨، ج٢، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء، ٢٠٠٤، ص٤.

[٣] علي محمود علي معيوف، تاريخ حركة الجهاد الاسلامي الصومالي ضد الاستعمار، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٢، ص ٢٣.

([٢٨]) سوسن حسين ، السياسة الامريكية في القرن الافريقي ، مجلة السياسة الدولية، العدد٥٤، شباط ١٩٧٨، ص٣٦.

(٢) سياسي امريكي ولد عام ١٩٢٤ في جورجيا، درس في مدرسة بليز الثانوية عام ١٩٣٧ والتحق بالأكاديمية البحرية الامريكية عام ١٩٤٣، وعمل في برنامج الغواصة النووية الامريكية عام ١٩٥٣. شغل عدد من المناصب أهمها عضواً في مجلس الشيوخ عن ولاية جورجيا عام ١٩٦٣ وحاكم الولاية عام ١٩٧١ والرئيس التاسع والثلاثين للولايات المتحدة الامريكية عام ١٩٧٧.

Encyclopedia Britannica Library (C.D).

(٣) سياسي أمريكي ولد عام ١٩١٧ في ولاية فرجينيا الغربية، درس الحقوق في جامعة ييل وتخرج منها عام ١٩٤٢، أصبح مستشار في وزارة الدفاع عام ١٩٦٠ ووزيراً للجيش عام ١٩٦٢ ونائب وزير الدفاع عام ١٩٦٣، شارك في محادثات السلام في باريس بشأن فيتنام عام ١٩٦٨، تقلد منصب وزير الخارجية عام ١٩٧٧ وله دور في سياسة الانفراج بين الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتي بعد عام ١٩٧٩، توفي عام ٢٠٠٢. Ib. Id

(٤) محمد عبد الغني سعودي، مشكلة الاراضي المقتطعة والحدود الصومالية، المسح الشامل لجمهورية الصومال الديمقراطية، معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد، ١٩٨٢، ص ٦٠٩.

(٥) محمد عبد المؤمن محمد، التنافس الامريكي السوفيتي في اثيوبيا، رسالة ماجستير، كلية الاداب، جامعة عين شمس، ص١٧٥

(١) سوسن حسين، المصدر السابق، ص ٣٨.

(٢) محمد عبد المؤمن محمد، المصدر السابق، ص ١٧٥.

(٣) ابراهيم عبد الله محمد، تحفة الاوفياء لمسيرة التحرير والتعريب في القرن الافريقي، الامارات العربية، ٢٠٠١، ص١٩٠.

(١) محمد عبد الغني سعودي، مشكلة الاراضي المنقطعة والحدود الصومالية، المصدر السابق، ص ٦١٠.

(٢) مجدي حماد، الحرب والسلام في افريقيا، مجلة السياسة الدولية، العدد ٥٢، نيسان ١٩٧٨، ص ١٣٣.

(١) عواطف عبد الرحمن، السياسة الصومالية وثورة اكتوبر، مجلة السياسة الدولية، القاهرة، العدد ٢٢، تشرين الأول ١٩٧٠، ص ١١.

(٢) السيد محمد السيد عمر، منازعات الحدود في افريقيا العربية مع التمثيل خاصة بحدود بلاد شرق افريقيا، رسالة ماجستير، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، ١٩٨١، ص ٣٨٣.

(٣) علي الشيخ واحمد ابو بكر، الصومال وجذور المأساة الراهنة، المصدر السابق، ص ٢٠٤.

(١) سوسن حسين، المصدر السابق، ص ٤٠.

(٢) جلال يحيى وحمد نصر مهنا، المصدر السابق، ص ٦٥.

(٣) امال الشاذلي، الاطماع الاسرائيلية في القرن الافريقي، مجلة السياسة الدولية، العدد ٥٤، شباط ١٩٨٧، ص ٥٤.

(١) السيد محمد السيد عمر، المصدر السابق، ص٣٨٣.

(٢) فاطمة الزهراء وعلي الشيخ احمد، السياسات الامريكية تجاه الصومال، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٨، ص١٧٢.

(٣) جهاد عودة، السياسة المصرية في القرن الافريقي، مجلة السياسة الدولية، العدد٥٥، تشرين الاول ١٩٨٨، ص ٦٧،

(٤) محمد فريد السيد حجاج، صفحات من تاريخ الصومال، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٣، ص١٢٣.

(١) عبد الله المحسن، البحر الاحمر والصراع العربي الاسرائيلي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٢، ص ١٨٣.

(٢) مجدي حماد، القضية الارتيرية، ادوار كل من اسرائيل وكوبا، مركز دراسات الوحدة العربية، القاهرة، ١٩٧٨، ص ٦٦.

(٣) احمد كامل الخطيب، اسرائيل والبحر الاحمر، رسالة ماجستير، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٨٨، ص ٢٥.

(٤) سمر ابراهيم محمد، السياسة الخارجية تجاه القرن الافريقي منذ عام ١٩٩٠ حتى عام ٢٠٠١، رسالة ماجستير كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، ٢٠٠٦، ص ٦٣.

(١) عسكري وسياسي من الكيان الاسرائيلي ولد عام ١٩٢٦ في أحد قرى فلسطين، درس العلوم الشرقية في الجامعة العبرية في القدس والحقوق في جامعة تل أبيب، اشترك في حرب عام ١٩٤٨ في الاردن وأصبح رئيس احدى الوحدات العسكرية الاسرائيلية عام ١٩٥٣ وقاد غارات ضد الفلسطينيين، كان من السياسيين الذين عارضوا بناء خط بارليف، أصبح عضو في الكنيست الاسرائيلي عام ١٩٧٣ ووزيرا للزراعة عام ١٩٧٧، أصبح رئيساً لوزراء الكيان الإسرائيلي عام ٢٠٠١. توفي عام ٢٠١٤.

Encyclopedia Britannica Library (C.D).

(٢) حلمي عبد الكريم الزغبي، مخاطر التغلغل الصهيوني في افريقيا، كاظمة للنشر والتوزيع، الصومال، ١٩٨٥، ٢٥.

(٣) عسكري وسياسي من الكيان الإسرائيلي ولد عام ١٩١٥ في أحد المستوطنات الإسرائيلية في فلسطين، بدأ نشاطه العسكري عام ١٩٣٧ بمشاركته ف حرب العصابات الإسرائيلية ضد الفلسطينيين، شارك في حرب عام ١٩٤٨ في الأردن وبمفاوضات السلام عام ١٩٤٩، أصبح رئيس اركان الجيش عام ١٩٥٣ وعضو في الكنيست الإسرائيلي عام ١٩٥٩ ووزيراً للدفاع عام ١٩٦٧ وللخارجية عام ١٩٧٧. توفي عام ١٩٨١.

Encyclopedia Britannica Library (C.D).

(٤) احمد كامل الخطيب، المصدر السابق، ص ٢٧.

نصوص التنبؤ والفأل للآلهة عشتار الأربيلية:

مصدراً لدراسة تأريخ أربيل في العصر الآشوري الحديث

الملك آسرحدون أنموذجاً

أ.د. أبتهال عادل ابراهيم

altaiem940@gmail.com

كلية الآداب /جامعة كركوك

د. زيار صديق رمضان

Zhyar.Sadiq@uod.ac

كلية العلوم الانسانيه/جامعة دهوك

نصوص التنبؤ والفأل للآلهة عشتار الأربيلية: مصدراً لدراسة تأريخ أربيل في العصر الآشوري الحديث الملك آسرحدون أنموذجاً

أ.د.أبتهال عادل ابراهيم

د. زيار صديق رمضان

كلمات مفتاحية :تأريخ قديم ؛أربيل ؛العصر الآشوري ؛الآلهة عشتار ؛نصوص التنبؤ والفأل

ملخص البحث :كان للملك آسرحدون أهتمام كبير بالتعاويذ ونصوص الفأل "Omen Texts" وطلب أستشارات الآلهة "Oracles" وأرسال من يجمعها له من مختلف معابد جنوب العراق ووسطه ويشهد الأدب الديني من عصرهذا الملك أحياء للتقاليد القديمة والولع في أستنساخ أدعية موغلة في القدم وقد وجد الكثير منها من هذه النسخ وعليها أسم آسرحدون في الحاشية . ويمكننا تأسيساًعلى ما تقدم تقسيم البحث الى محورين يسبقهما مدخل تأريخي:

المحورالأول التعريف بالنصوص والقائمين على تفسيرها .

والمحور الثاني: يتناول مضامين نصوص الفأل والتنبؤ لكهنة معبد الآلهة عشتار الأربيلية

Abstract : King Asarhadon had a great interest in the "Omen"
Texts" and asked for the advice of the gods "Oracles" and sent from the collection of him from various temples in southern Iraq and Central and attests to the religious literature of this era of the king of ancient traditions and the desire to reproduce the supplications of the past and found many of these Copy and the name of Asarhadon in the footnote.

We can establish the division of research into two axes preceded by a historical entrance:

The first axis is the definition of texts and those who interpret them. The second axis deals with the contents of the texts of omen and the prediction of the priests of the temple of the gods Ishtar of Arbiliy.

مدخل تأريخي:

أهتم سكان بلاد الرافدين بالظواهر الطبيعية التي تلاحظ في السماء وخاصة حركات الكواكب ؛القمر والتبدلات التي تطرأ في طول النهار والليل وتركزت الأسباب وراء بزوغ نجم الرافدينيين في علم الفلك ودفعهم نحو الأمام رغبتهم الذاتية في الأهتمام بدراسة حركة النجوم بقصد أرشاد السفن والقوافل في سفرها

والتنبوء بالمستقبل ؛مصير الملوك والبلاد وما يخبئه الغيب من خير أو شر كما كان لتقدم علم الرياضيات أثره في دفع علم الفلك خطوة حاسمة للأمام وقد وجدت الرياضيات في الفلك ميداناً رحباً للتطبيق.

تعد مدينة أربيل[١] من المقاطعات الأدارية الرئيسيةالآشورية المهمة وقد أشتهرت بكونها مركزاًلعبادة الآلهة عشتار[٢] التي كانت من أهم الآلهة عند الآشوريين كما أنها أصبحت في العصر الآشوري الحديث ٩١١-٦١٢ق.م مركزا للتنبؤ والتكهن [٣]وكانت مدينة قابرا التي تقع شرق نهر دجلة مركزاً لمقاطعة أربيل[٤].

وقد علا شأن مدينة اربيل وتحولت الى مركز مهم للاشوريين الى درجة ان الآلهة عشتار الأربيلية أصبحت تلعب دوراً كبيراً في عالم اللاهوت الآشوري وقد اعيد بناء معبدها والذي يقع قرب مدينة ملقيا Milgia[٥] مرتين ، الاولى في عهد اسرحدون بعد فتحه لمصر سنة ٦٧١ق. م والمرة الثانيةفي عهد اشور –يان–ايلاي بعد الحملتين الناجحتين على عيلام وكامبو Gambulu[٦٨] سنة ٦٥٣ ق. م . ونقرا في رسالة ترجع الى عهد الملك اسرحدون ومؤرخة في شهر ايلول يناقش فيها المرسل مشكلة تتعلق باسبقية دخول مدينة اربيل اهو الملك ام الالهة اثناء تقدم الموكب جاء فيها "غدا ستغادر ملقيا "اما"الآلهة عشتار وتدخل مدينة اربيل مبكراًقبل الملك وعندئذ سيدخل الملك او ان الملك سيدخل المدينة اولا ثم تدخلها عشتار بعد ذلك. دع الملك سيدي يكتب أي طريق يكون مفضلا الى الملك سيدي . وربما ستنطلق عشتار من ذلك الاتجاه وينطلق الملك من هذا الاتجاه وكيف سيقدم الملك سيدي نفسه امام عشتار ؟". [٦]

وقد اشتهر هذا المعبد بكونه مركزا للتنبؤ والفأل والعرافة لاسيما عن طريق فحص كبد الحيوان الذي بلغت اوج نشاطها في عهد السلالة السرجونية وكثيرا ما قصدها الملوك للاستشارة والاستخارة[٧] حيث يذكر فلكيوا الملك باستمرار المراصد التالية :

١- مرصد اربيل .

٢- ومرصد أشور .وعلى ما يبدو فان مرصد اربيل كان المرصد الرسمي للسلالة السرجونية ولعل اختيار اربيل كان سببه المكانة الدينية المتميزة لها والمتاتية من الالهة عشتار ويفترض ان يتم الارصاد في الطابق العلوي من الزقورة فقد نسب الى برج بابل علو قدره أشارت النصوص الى بناء الزقورة مع المعبدمن عهد الملك شلمنصر الأول[٨].

أحد العدسات التي عثر عليها في زقورة النمرود والتي يعتقد أنها كانت تستخدم في عملية رصد الأجرام السماوية؛أعتمدت النصوص التبؤية على الأرصادات الفلكية أو الجداول الرياضية ذات الأغراض الفلكية عن طريقها يتم التنبؤ بمستقبل الملك ؛البلاد وما يرتبط بهما من أمور تشغل أهتمام الناس وتكون محور أحاديثهم [٩]ولم يكن من السهل دائماً رؤية الهلال الجديد

بسبب ظهور الغيوم والغبار والعواصف الرملية من وقت لآخر في سماء البلاد ولما كانت السنة القمرية أقصر من السنة الشمسية بأحد عشر يوماً تقريباً فقد كان التفاوت يبلغ مدة فصل كامل بمرور كل تسع سنوات [١٠].

المبحث الأول :التعريف بالنصوص والقائمين على تفسيرها

ولهذه النصوص الأهمية كبيرة بوصفها مصدرا تأريخيا مهما لا يمكن التقليل من شأنه فسنوات حكم الملك آسرحدون كانت معظمها عمليات عسكرية مستمرة وحولياته لا تخبرنا بكل مجريات الأمور لكن من أستفسارته للآلهة [١١]وخصوصا عشتار الأربيلية زودتنا بمعلومات غاية في الدقة والأهمية عن أحداث التفاصيل الدقية لعهده كما تلقي الضوء على شخصية الملك وقلقه والأجواء المحيطة به كما تشير بصورة غير مباشرة الى الجو السياسي العام .[١٢]

وتدخل نصوص التنبؤ والفأل من ضمن صنوف العرافة في بلاد الرافدين وكان لها شأن كبير في حياة عامة الناس وحياة الملوك وشؤون دولتهم بشكلا خاص [١٣]فكان الأعتقاد السائد أنه بالأمكان التعرف على أرادة الآلهة ومشيئتها وما قدرته و تقدره من أقدار بوسائل وطرق مختلفة [١٤] .ويتولى عملية تفسير تلك النصوص كهنة متخصصون[١٥] منهم البارو "المراقبون"الذين كان لهم تأثير على الدولة ومجريات أمورها لما يقدمونه للملوك ورجال الدولة من نصائح وأرشادات ويرافقون الملوك في حملاتهم العسكرية وهناك مراقبو الطيور "الداجيل أصصوري"كوسيلة من وسائل التكهن والفأل ؛الشائيلو والشائيلتو "مفسروا الأحلام ؛الزاقيقو""المنبيء الى جانب هؤلاء كان هناك في كل معبد خاص بالألهة عشتار عدد من النساء اللواتي نذرن أنفسهن لمطالب الألهة عشتار ويطلق عليهن أسم عشتاريتو وهم على ثلاثة درجات "كسريتي "الحبيسات ؛الشمخاتي "بنات الهوى و"الخريماتي "العاهرات ومقر كاهنتهن والمسؤولة عنهن في مدينة الوركاء حيث معبد الآلهة عشتار الرئيس هناك [١٦] .

وكان معظم العاملين من نساء ورجال على دراية كاملة ومعرفة جيدة في عملهم أستنادا الى السوابق البابلية في هذا المجال [١٧]والجدير بالملاحظة والأهتمام أن الكاهنات في معبد الآلهة عشتار الأربيلية كانت نسبتهم الأغالبيةالتي أخذت على عاتقهم مهمة تفسير نصوص الفأل والتنبؤ للملوك الآشوريين فالنصوص المتوفرة عن هذا الموضوع واحد منها وليس كلها تنسب الى ذكر بالأسم أما غالبيتها فأنها تحمل أسماء نساء أو الملهمات اللواتي عرفن ب"النواحي"[١٨]ومضمون تلك النصوص يوحى أنهن أعتبرن بمثابة وسائط لرسائل من الآله الى الملوك . وقد ظهر في بلاد اشور بعد عام ٧٠٠ ق . م نوع مما كانوا يعرفون بلقب raggiimu المنادون و ragimtu المناديات اللواتي كن يخدمن الالهتين مليسو Mullisu في اشور وعشتار في اربيل ، وكان الناس يولون اهتماما كبيرا بالاقوال الصادرة عن تلك الالهة وقام الكتبة بتجميع اقوالهن وتدوينها على رقم ضخمة.[١٩]

ولما كان الملك الاشوري هو الكاهن الاعلى فكانت تقع على عاتقه واجبات دينية على اعتبار ان الملك هو الناطق باسم الالهة وممثلها على الارض ويقوم بدور الوساطة ما بين الالهة والناس الذين خلقتهم لخدمتها[٢٠]. فكان من اولى واجبات الملك تجاه الالهة ترجمة رغبات الالهة التي يعلن الملك انها اوحتها اليه اما عن طريق الرؤى او الاحلام او من خلال الكهنة عن طريق العرافة حيث ان وحي الاله يرد عن الازمات التي يطلب السائل مساعدة الاله في حلها وكانت هذه المساعدة تتمثل بالاسئلة التي يرد الجواب عليها في العلامات التي تظهر على كبد الحيوان المضحى به[٢١].

كان للملك آسرحدون حماسة شديدة وولع وأهتمام كبير بنصوص الفأل "Omem Texts"[٢٢] وطلب نبؤات الآلهة عشتارالأربيلية "Oracles" وأرساله من يجمعها له من مختلف معابد ومدن جنوب العراق فهناك رسالة من عشتار –شوم–أيرش يخبر الملك فيها أن اللوح الذي قرأه لا يذكر "أية لعنة كما سأل الملك "فالواضح أن الملك آسرحدون كان لديه لوح من عصر مبكر أرسله مع رسالة الى عشتار –شوم– أيرش للقرأة وأخرى من أدد –كولا يظهر أنها تشير الى أنه وأخرين قد أرسلوا للتفتيش عن الواح من أجل أستنساخها ،ويشهد الأدب الديني من عصر هذ ا الملك أحياء للأراء القديمة والولع في أستنساخ أدعية موغلة في القدم وقد وجد الكثير منها من هذه النسخ وعليها أسم آسرحدون في الحاشية [٢٣].

فالرسائل الكثيرة الموجهة الى الملك [٢٤]من الموظفين في مختلف أرجاء البلاد تدل على علامات الضعف والتدهور الداخلية والخارجية وعلى عهده تحققت نبؤات وأنجازات فلكية عديدة فقد جرت أعمال لرصد القمر والنجوم لتحديد أوقات الصلاة وتعاليم العبادة فكان رجال الدين "رجال النجوم"المتخصصون والذين أوعزوا له أن سرقوته ونجاحه وقدرته ومرضه وسعادته مرهون بما تقرره الآلهة [٢٥].وعندما يقرر بناء عاصمته الجديدة بوحي من الآلهة التي تأمره بذلك فأنه لايغتصب الأراضي من أصحابها ولم يصادرها فهو من الملوك القلائل ممن يشتري الأراضي من أصحابها وبأسعار عالية ومن لم يقبل بالبيع فأنه يعوض بسخاء بإراضي بديلة تساوي أرضهوربما أكثر في بعض الأحيان حيث نقرأ:"لقد منحت بعض مالكي الأراضي ٩٥ دونما بالقرب من نينوى أما بالنسبة لأولئك الذين لا يقبلون تبديل أراضيهم فسيكون الدفع نقداً"[٢٦]وهذا ما أضطر الملك آسرحدون الى الأخذ بنصائح الآلهة وخاصة الآلهة عشتار الأربيلية ويطلب منها العون والمساعدة لدرء الأخطار المحدقة به وأن أدعية هذا الملك وأسئلته التي وصل الينا منها الكثير أن دلت على شيء فأنما تدل على الوضع الذي آلت اليه أوضاع البلاد على عهده وقلقه المتزايد منها [٢٧].

تميزت حقبة الإلف الأول قبل الميلاد وخصوصا العصر الآشوري الحديث بكونه من أغنى الحقب التاريخية من ناحية التوثيق التاريخي ، هذا اذا ما أخذنا بنظر الاعتبار ان الكتابات المسمارية، هي كتابات ملكية يشرف عليها كتبة متخصصون ويقيمون في القصر الملكي وهناك تدقيق على كل ما

يكتبونه فضلا عن ذلك كان يتم عرض الرسائل على الملك شخصيا للإطلاع عليها قبل إيداعها او خزنها في المكتبة الملكية؛يمكن استنباط معلومات كثيرة من الإشارات العرضية في مراسلات الملك مع موظفيه في المقاطعات. فلا يمكنا تجاهل وإغفال الأهمية الكبيرة للمعلومات التاريخية التي تزودنا بها الرسائل حيث تبين لنا الوضع السائد العام وشكل الجهاز الحكومي المتبع في المملكة الآشورية آنذاك واهتمام المسؤولين بأحاطة الملك الآشوري باعتباره يقف على قمة الجهاز الإداري للدولة وهو المسؤول عن الإحداث والمتغيرات صغيرها وكبيرها[٢٨].

فالرسائل إذن تستحق ان تسمى سجلا ملكيا تم إنجازه في العاصمة نينوى (تل قوينحق) وقد عثر على أكثر من ٢٠٠ رسالة من خلال النقيبات التي أجريت في العواصم الآشورية القديمة كلخ (النمرود) ، وفي كوزانا (تل حلف) على نهر الخابور وان حوالي ٢٠٠ من هذه الكتابة عثر عليها في كلخ ومعظمها يعود إلى الحقبة السرجونية (٧٢٢- ٦١٢ ق.م) ومعظم هذه الرسائل كانت موجها الى الملك وليست مكتوبة من قبله فهناك رسائل قد أرسلت إلى الملك سرجون الآشوري"شروكينّ" (٧٢١-٧٠٥ق. م) وللملك اسرحدون(٦٨٠-٦٦٩ ق.م) بينما ليست هناك ايت رسالة منها تعود إلى الملك سنحاريب"سن-أخي – آريبا" (٧٠٥- ٦٨٠ ق.م) وان معظم تلك الرسائل وجدت مكتوبة اما من قبل الملك أشور بانيبال"آشور- بان –آبلي" (٦٦٩-٦٢٦ ق.م) او أنها حررت إليه وتكون هذه الرسائل على نوعين: النوع الأول يضم رسائل من خبراء الملك في التنبؤ" التكهن "السحر والفأل ، إمام النوع الثاني فيظم القسم الكبير من رسائل الدولة وهي تلك الرسائل ألموجهة إلى الملك من الموظفين الإداريين وحكام الأقاليم وأمراء الحاميات.[٢٩]

وبشكل عام فأنه بالأمكان تقسيم نصوص التنبؤ والفأل الى ثلاثة مجموعات المجموعة الأولى :فؤول الأستفسار "حيث يذكر الغرض والسؤال الذي يريد الأجابة عنه وهنا تكمن القيمة التأريخية المهمة لتلك النصوص لتركيزها الملحوظ على الأحداث الجارية ؛المجموعة الثانية الفأل نفسه وبطبيعة الحال فأنه غير موجود لأن الكاهن أ و الكاهنة للمعبد هما من يقومان بتسجيل الملاحظات والمجموعة الثالثة تكون الخاتمة للفأل وتذكر المكان الذي وقعت ودونت فيه الملاحظات والتأريخ [٣٠]

المبحث الثاني : مضامين نصوص الفأل والتنبؤ للآلهة عشتار الأربيلية

أذن شهدت نصوص التنبؤ"التكهن" والفأل تطورا ملحوظا في العصر الآشوري الحديث وهي تدخل ضمن الخطاب الإستشاري وهي رسائل موجهة للآلهة يتم أستشارتها وأخذ رأيها وتتعدد أسباب الأستشارة منها للتعين ولي عهد أو وزير أو موظف ؛الدخول في الحروب ؛للسؤال عن مدى مصاقية الطرف الثاني عند عقد المعاهدات وأخيرا الأمور الشخصية التي تتعلق بالملك وعائلته والتي يعجز عن العثور على أجابة محددة ومرضية وتتم عملية معرفة رغبة الآلهة عن طريق الفأل والتنجيم التكهن حركات الحيوانات والطيور وأكبادها أو عن طريق سؤال الآلهة عن أمور محددة وتكون الأجابة أم بنعم أو لا وهذه الصيغة

هي التي تغلب على أستلام جواب الخطاب الأستشاري من الآلهة [٣١]فكانت الدولة بحاجة الى التقارير المنظمة لضمان الفأل الحسن لرفاهية للدولة[٣٢] .

فكان هناك أعداد من المختصين ذو الخبرة العالية يقدمون تقاريرهم المنتظمة الى الملك وكانت تلك النصوص لها علاقة أيضا بأفراد العائلة الحاكمة وكان الوصول لتلك التنبؤات تعتمد على الأحداث المألوفة في السماء الكسوف الخسوف والهالات حول القمر أو مواقع الكواكب وقد يرد الرعد والهزات الأرضية ضمن هذا الصنف. [٣٣] اليهم وهم في الغالب من النساء أدعوا أنها رسائل الى الملك من الآله أما نصوص الفأل فأنها رسائل من خبراء الملك في مجال السحر والعرافة[٣٤] وقد فسر هؤلاء المتعلمون الفأل للملك وأخبروه متى عليه أن يعمل أو لا يعمل شيئا معيناً [٣٥]ونصوص موضوع الدراسة عبارة عن رسائل مقدمة من أشخاص موحى كانوا على درجة من العلم والثقافة وكانوا بارعين في الأدب البابلي. [٣٦]

تشمل نصوص الفأل والتنبؤ في المراحل الأولى لتوليه العرش فبعد أغتيال الملك آسرحدون دخلت البلاد في أزمة سياسية حادة نتيجة للصراعات داخل السلالة الملكية وقد فتح الباب نحو الحرب الأهلية [٣٧] مثل الطرف الأول الملك آسرحدون الذي كان والده الملك سنحاريب قد عهد اليه بولاية العهد ليحكم البلاد وهو أبن زوجته الثانية الآرامية نقية "زاكوتو" [٣٨] في حين مثل الطرف الثاني أخوة الملك آسرحدون من زوجته الثانية ناشميتوم–شرات ومؤيدهم فقد تزامنت عملية أغتيال الملك سنحاريب في مدة أبعاده عن العاصمة فقد كان متواجدا في شمال أرمينيا عندما جاءته الأخبار بمقتل والده وكان قد أضطر الى ترك البلاد نتيجة للدسائس والمؤامرات من قبل أخوته مما أضطره الى ترك البلاد واللجؤ الى كيلكيا أو تابال [٣٩] وبعد سماعه بما حدث أضطر الى الرجوع وهو على رأس جيشه وقد حصل الملك على دعم والدته عندما كان في منفاه والتي لم تفقد الأمل في رؤية ولدها ملكاً على بلاد آشور حتى وأن بدأهذا الأمر غير محتملا وأصبح واضحاً في نبؤة الكاهنة Ahak–abisa في أربيل التي تلقتها الأم نقية عندما بسط أخوة الملك آسرحدون سيطرتهم على البلاد فكان بأمكانه العودة الى البلاد دون توقف الإ بعد أستشارة الآلهة عشتار الأربيلية عن طريق الفأل وسماعه الجواب الأيجابي فقد أعطت الآلهة عشتار الأربيلية وحيها وجعلت منا فسيه بجيوشهم يقفون الى جانبه [٤٠]كالآتي :

رسالة من كاهن متنبىء خادم الآلهة عشتار في أربيل :

"أنا سيدة أربيل

الى آسرحدون الذي يملأه صدر

عشتارأربيل بالرعاية والأحسان

هل بأمكانك عدم الرد

على الألفاظ السابقة التي تحدثت بها عليك !

والأن يمكنك الرد على هذا التلفظ الأخير أيضاً

أشكرني "أثني علي "!

عندما يزول النهار ودعهم يمسكون المشاعل

أمدحني أمامهم !

سوف أبعد الرجفة من قصري

ستأكل الغذاء الأمين

وسوف تكون بأمان في قصري

وسوف يحكم أبنك وحفيدك كالملوك "[٤١]

كما يشير الملك اسرحدون الى دور الالهة ومن ضمنها عشتار اربيل في اختياره وليا للعهد ، ففي احد نصوصه يذكر تآمر إخوته ضد أبيهم سنحاريب وقتله في بابل وقد جاء الأختيار عن طريق الفأل ليكون الملك ووريث للعرش في حياة أبيه وانه تربى في قصر خاص تم إعداده فيه ليكون ملكا[٤٢] حيث نقرا: "كنت اصغر إخوتي ولكن أبي الذي ولدني وكرمني في مجلس إخوتي بامر الآلهة أشور ، شمش ، مردوك ، نبو ، عشتار نينوى وعشتار اربيل بقوله هذا هو خليفي لقد سأل الالهين شمش وادد بواسطة الفأل فاجابا بالموافقة انه هو الذي ينبغي ان يكون خليفتك"[٤٣]

ونقرأ :

"آيه آسرحدون ،لن تخف أنه أنا الرب الذي يتحدث اليك .راقب أعماق قلبك مثل أمك التي أعطتك الوجود .يقف الى جانبي ستون ألهاً عظيماً لحراستك الآله سين عن يمينك والآله شمش عن شمالك ستون الهاً عظيماً تقف حولك متمنطقة بالأعصار لا تضع ثقتك بأنسان دع عينيك نحوي حدق بي أنا عشتار أربيل لقد منحك الآله آشور الخير عندما كنت وكانت قبيلتها قد أخضعها الملك سرجون صغيراً حملتك لا تخف أحترمني "[٤٤].

وفي نفس المضمون نقر :

"من فم رموت–آليت

ملك مدينة داراهويا في وسط الجبال

لا تخاف يا آسرحدون

فأن بل تكلم معك

فأنا أراقب دواخل قلبك

مثل أمك التي أنجبتك

.ستون اله يقفون حولك

مجهزين للمعركة

لا تعتمد على البشر

أجعل عيناك نصبي

لا تخف أذكرني بتبجيل ووقار "

هذا النص للتنبؤ يوضح فيه المصطلح الفني للمرأة التي من خلالها جاء الأيحاء لم يعطى رغم أن عدداًمن المقاطع لمثل هؤلاء الأشخاص معروفة وأكثرها شيوعاً غي عموم بلاد الرافدين Sailtu بمعنى السائل مع شريك ذكري sailu وظهر عند الآشوريين أيضا مصطلح ragint للمرأة التي تتولى مهمة تفسير الفأل والتنبؤ "الأيحاء أو الوحي أو الألهام"فهي وسائل ترسل الكلمات لمثل هذه المرأة الى الملك :"وفي أحدها هناك أقتباس لوحي يقول :"سأدحر أعداء مليكي

وسوف لا أعطي العرش

الإ للملك سيدي "

وهذا الكلام يبين حسب أعتقاد القوم بأن كلام الألهة قد أوحى به للكاهنات وأن هذه الأيحاءات كانت ترسل على شكل رسائل الى الملك من معبد الآلهة عشتار الأربيلية [٤٥]

وجاء أيضاً:"أنا سيدة أربيلا .أم الملك .لأنك نا شدتني ،قائلة :"لقد وضعت أؤلئك على يمين ويسار (الملك)في كنفك ،لكنك جعلت ذريتي تطوف في السهوب"،الأن لاخوف !المملكة لك وأنت الملك!"[٤٦]

فالنص يشير الى مسألة مهمة فعبارة تطوف في السهوب تذكرنا بملحمة كلكامش وتشير الى أختباء الملك آسرحدون عن أخوته في مكان سري "أشار نيصيرتي"لأنه كان متخوفاًمن أخوته من قيامهم بهجوم أو تدبير مؤامرة عليه وعبارة موضع أخوته على يمين ويسار الملك مقدمة أياهم بوضوح كخلفاء وتتضمن سيطرتهم عليه في اللحظة التي طلبت بها نقية وساطة الآلهة عشتار الأربيلية وتسمية آسرحدون كملك يشير الى الأعتقاد بالتحضيرات الى ما يسمى بولاية العرش من قبل الملك سنحاريب وزوجته الملكة نقية اللذان حظيا بالدعم الآلهي لذلك العمل وموقف النبؤة تجاه تطلع الأخوة للسلطة ينسجم مع ما مخطط له فقد "أصيبوا بالجنون وفعلوا أي شيء ليس جيداًأمام الآلهة والبشر وتعبر عنه نبؤة da"ini_ Issar_beli للملكة نقية خير تعبير :" سأقطع الماكرين المتآمرين وأرميهم أمام قدميه .أنت أنت الملك ملكي "

وهناك نبؤة أخرى للملكة نقية تحتفظ بها جزئياًاللوحة SAA95 وتعود الى وقت المعركة التي حدثت ما بين الأخوة وتتضمن مناشدة الملكة الأم نقية الآلهة عشتار الأربيلية مرة أخرى لصالح أبنها الذي وجد نفسه يخوض حربا ونغمة الوساطة الآلهية اخطيرة تشير بلا شك الى خطورة الوضع حيث نقرأ:

"كلمة عشتار في أربيلا .ركبتاي محنية لأن موليسوا قد سمع صهصةعجلها .طوق أسودك ! آسرحدون ملك آشور ننورتا سيكون على اليمين وعلى اليسار سيضع أعدائه تحت قدميه ...سأذهب الى قصر Steppeسأعطي الأمان الى آسرحدون ملك آشور "والنص يشير الى الذهاب الى القصر الملكي في Steppeالى الأقامة المؤقتة لعشتارأربيلا في معبدها في مدينة ملقيا المجاورة لقصره أثناء غياب الملك آسرحدون. [٤٧]

وهناك رسالة لكبير كهنة المدعو نابو–نادان –شومي الذي تولى مهام عمله بعد مردوك شاكان–شومي والذي خدم الملكين آسرحدون وآشوربانيبال وقد كتب خمس عشرة رسالة محفوظة (SAA10273–288)وهذه الرسالة تتعلق بشخص ولائه مشكوك فيه للملك ويعتبركبير الكهنة جريمته هذه قاسية والعقوبة التي تنتظره تكون بالنفي ويستند الكاهن في نقاشه وتحليلاته الى كلمات التنبؤات للآلهة في معبد عشتار نينوى وعشتار أربيل ولسؤ الحظ فأن الأسطر المهمة التي تشير الى أسم المتهم أضافة الى المشكلة المرتبطة قد كسرت لذلك لا يمكننا معرفة شيء عن الظروف التي صاحبت كتابة الرسالة ويجعل تأريخها مستحيل حيث نقرأ:"الى الملك خادمك نابو–نادان شومي .تحية طيبة للملك ! نابو ومردوك يباركان الملك ؛أذا زادت مشاكله 'فليتحول الوجه المبجل للملك عنه وكما قالت عشتار نينوى وعشتار أربيل:سنقتلع من آشور أولئك غير المخلصين ،ملكنا !سينفى بالكامل من آشور ". [٤٨] فمن الواضح في هذا النص أن الشخص غير معروف والمتهم مهما كانت تهمته لم يتم القاء القبض عليه وتعبير نابو– نادان –شومي شرطي في حالة ثبوت قيامه بالمشاكل فأن" وجه الملك الملك المبجل أي لن يحظى بتفضيل الملك يجب أن يتحول عنه" وهناك أشارة مهمة الى عدم التساهل مع المجرمين "الخونة" بالنفي والأجلاء دون عقوبة الأعدام .

ونقرأ أيضاً نبؤات الكاهنات في معبد الآلهة عشتار في أربيل فقد جاء الوحي الآلهي لتشجيع الملك آسرحدون

Issar–La–tasiyat"اسم لكاهنة "

آسرحدون ،ملك الأراضي لا تخف !

ما الريح التي ثارت ضدك ،أي جناح لم أكسره !سيتدحرج أمام قدميك كالتفاح الناضج

أنا السيدة العظمى ؛أنا عشتار أربيلا التي رمت بأعدائك أمام قدميك ما الكلمات

التي تكلمت بها لك حتى أنك لم تعتمد عليها !

أنا عشتار أربيلا .سأسلخ جلود أعدائك وأعطيها لك .

أنا عشتار أربيلا .سأمضي أمامك ووراءك .

لا تخف ! أنت مشلول لكن في منتصف الرعب سأنهض وأجلس (بجانبكم)[٤٩].

وجاء في نبؤات مماثلة على لسان كاهنة أخرى في معبد الآلهة عشتار مانصه:

Sinqisa-Amur

ملك آشور لا تخف ! سأسلم عدو ملك آشور للذبح سأجعلك في أمان وأجعلك

عظيما في قصر نسلك

أنا السيدة العظمى .أنا عشتار أربيلا

.... من منتصفه

ماذا .... لم أسبب الخوف لك ![الأعداء ...] تابعون سأهزم أعدائك في مواجهة واحدة

منحتك الأيمان أنا لست ساكتة "[٥٠]

وهناك نص لنبؤة الكاهنة ريموتا التي طمأنته بشأن تحقيق الأنتصار

Remutti- Allati"

أبتهج مع آسرحدون ،ملكي ! أربيلا تبتهج !

على لسان ريموتا من Dera-ahuya مدينة في الجبال "[٥١]

Baya"

لا تخف ،آسرحدون !

أنا بيل .حتى عندما أتكلم معك ،أراقب أشارات قلبك

عندما ولدتك أمك وقف ستون من الآلهة معي لحمايتك .كان سين على يمينك وشمش على يسارك !

ووقف ستون من الآلهة الكبار حولك وطوقوا أسودك .

لأ تثق بالأنسان .أرفع عينيك ،أنظر الي !أنا عشتار أربيلا صالحت آشور معك .

عندما كنت صغيرا ،أخذتك الي .لا تخف !أمتدحني !

أي عدو هاجمك وبقيت ساكنة .سيكون المستقبل كالماضي .أنا نابو ،اله القلم أمتدحني !

على لسان المرأة Baya أبنة أربيلا "[٥٢].

Ilussa-Amur"

سأ[.....]ست[.....]

أنا مو[ليس....]

على لسان المرأة Ilussa-Amur من المدينة الداخلية "[٥٣]"

"رسول غير معروف

أنا عشتار [أربيلا]

آسرحدون ،ملك [آشور]في المدينة الداخلية ،نينوى ،كلخ ،وأربيلا سأمنح أياما طويلة

سنوات دائمية لآسر حدون ،ملكي .

أنا قابلتك العظيمة ، أنا ممرضتك الممتازة .لأيام طويلة وسنوات مستمرة أنشأت عرشك تحت السموات العظيمة .

أراقب في الغرفة الذهنية وسط السموات أجعل مصباح الكهرمان مشعا أمام آسرحدون

ملك آشور وأرقبه كتاج رأسي .

لا تخف ملكي تكلمت معك لم أكذب عليك منحتك الأيمان ولن ألحق العار بك أصطحبتك عبر النهر .

آسرحدون ،الوريث الصحيح ،أبن موليسوا مع خنجر غاضب بيدي سأنهي أعداءك

يا آسرحدون ،ملك آشور كوب ممتلىء

آسرحدون! سأمنحك أياما طويلة وسنين دائمية في المدينة الداخلية .يا آسرحدون سأمنحك مأوى عظيما في أربيلا

آسرحدون الوريث [الشرعي]،أبن موليسوا] !أنا أفكر بك وأحببتك كثيراً

الملك [هو]أقو[ى]على [.....][٥٤].

ونقرأ في نص آخر على لسان أحدى الكاهنات

"Issar–Beli –Daini(أسم الكاهنة)

[.....]لن يتلقى [....]منه .سأقطع خيوط المؤامرة وأرميها بين قدميك.

أنت أنت .الملك ملكي

على لسان المرأة Issar–Beli –Daini.منذورة للملك "[٥٥].

وفي نص آخر على لسان الكاهنة كانت قد وجهت وحيها ونبؤتها الى والدة الملك

"Ahat –Abisa

أنا سيدة أربيلا

الى والدة الملك

لأنك أستخدمتيني قائلة:"وضعت على يمين الملك ويسار طرف ثوبك ،لكني جعلتيني أبرز عن المنحدرب

الآن لا تخف ملكي !الملك لك ملكك هو القوة

على لسان المرأة Abisa– Ahat من أربيلا"[٥٦].

وهناك عدد من نصوص الوحي والنبؤات المتعلقة بأستقرار الحكم في مدينة بابل كانت موجهة الى والدة الملك حيث نقرأ:

" Hussanni – [Nabu]

(تبدأ النبؤة بطريقة متقطعة)

[.....تك]لم[.....أصبح] قوياً

[....]لهم [....]سأمنح

[.....أنا]الخالقة

سأضع [...]بتناغم وتضامن [عرشآسر]دون

[....]نحن الآلهات [....ف]ي أساكيلا

آسرحدون ،ملك آشور !سأمسك [أعدائك]وأدوس[هم تحت قدمي]

[لا تخافي]أم الملك

على لسان Nabu-Hussanniمن المدينة الداخلية" [٥٧].

ونقرأ أيضا نفس المضمون عللا لسان أحد المتنبئين غير المعروفيين ما نصه:

"رسول غير معروف

كل شيء على ما يرام مع آسرحدون ،ملك آشور

عشتار أربيلا خرجت الى الوادي وأرسلت وحيا جيداً لأبنها في المدينة "[٥٨]

وجاء أيضا على لسان أحدى الكاهنات :

La- Dagil-Ili"

[أنا سيدة أر]بيلا

[يا آسرحدون] الذي غمرتك [عشتار] أربيلا بالفضل !الإيمكنك الأعتمادعلى ما نطقت به سابقاًعندما تكلمت معك ؟الآن يمكنك الأعتماد على هذا الأخير أيضاً .

أمتدحني ! عند مغيب نهارك ،دعهم يوقدون المصابيح !أمتدحني أمامهم !

سأقصي الأرتجاف عن قصرك .ستأكل بسلام وتشرب الماء بسلام ،وستكون سالماًفي قصرك .سيحكم أبنك وحفيدك كالملوك الى جانب الآله ننورتا

على لسان:La-dagil-ili في أربيلا"[٥٩].

ونقرأ أيضاً:

"Baya(أسم كاهنة)

[لا تخف]آسرحدون !

[مثل] طير ماهر سأوجه [السفينة]الى ميناء جيد .[المستقبل] [س]يكون كالماضي ![سأكون] حولك وأحميك

[مراقبة الأراضي قوية.[ستون الهاً يقفو على يميني] ،ستون الهاً على يساري .

آسرحدون ،ملك آشور !سأمحي أعداءك .

[.....]أنا الآله

[....من] يدي تلقوا

[.....] منحوني القوة

[.....] آسرحدون

[....]السماء

[....]زمن قديم

[.....]سأجعله يضي

[.....]سأدمج

[....سأ]ضى

[.....]س[.....]

على لسان Babaمن أربيلا"[٦٠].

وفي نبؤة أخرى لأحدى كاهنات معبد الآلهة عشتارنقرأ نبؤة مماثلة للنصوص السابقة ولكن في هذا النص أشارة مهمة لتولي ولده العرش بأعطائه التطمينات :

La-Dagil"

[أنا] سيدة أربيلا [آسرحدون ملك] آشور ،[لا تخف]

(فاصلة)

[سأمحو] أعداءك .بالنسبة لك[لازم]قصرك!س[أصلح] آشورمعك

سأحميك في النهار والفجر و[أدمج]عرشك

وكطير مجنح [فوق أفراخه]سأطير حولك وأمضي بحلقات حولك.وكأسد جميل سأركض في قصرك وأكتشف أعداءك

سأبقيك آمنا في قصرك !

سأجعلك تتغلب على القلق والخوف سيحكم أبنك وحفيدك ملوكا أمام نينورتا.

سأمحو حدود كافة الأراضي وأمنحها لك .

.....أنا من يقول ويفعل .سأشم ،وأمسك وأعطيك البنت المزعجة.

بالنسبة لك ،أمتدحني !أجمع كلماتي من أربيلا

الهة أساكيلا تضعف في منحدر الشر الممتزج .

أرسل بسرعة أثنين من القرابين ودعها تمضي وتعلق وجودك"[٦١].

وفي نبؤة أخرى تطمئن الملك عن السعي الجاد في البحث عن المتآمرين نقرأ وجاء في نص نبؤة لأحد كهان معبد الآلهة عشتارالأربيلية ما نصه:

Urkitu-Sarrat"

وهكذا تجيب اللا مخلصين !

كلمة عشتارأربيلا ،كلمة الملكة موليسو:
سأنظر ،سأصغي ،سأبحث عن اللامخلصين ،
وسأضعهم أمام الملك سأتكلم للمديات
أسمع ،شروق الشمس وغروب الشمس !سأخلق [.....]
كلمة عشتار [أربيلا] الى [.....]
(فاصلة)
كن محترساً[.....]
العراف[.....]
أنا نفسي[.....]
سأدور العديد [.....]
سأختاروأمسك[.....]
أنا[.....]
كيف ،كيف (أجابة)أولئك الذين يقولون
متى سيحدث تغير في البر ؟
دعنا لا نبقى في كلخ ونينوى!
بالنسبة لك كن صامتاً آسرحدون!
سأختار مبعوثين لعيلام .
سأختم كتابات Uratian .....سأقتطع ....Mugallu
من هو الوحيد؟ من هو المخطىء؟
لا تخف !محمي جيداً آسرحدون ملك آشور "[٦٢]
وفي نبؤة أخرة نقرأ نفس المضمون
Sinqisa-Amur"
آسرحدون،لا تخف !سأرتب آشور وأعقد صلحاًمع الآلهة الغاضبة على آشور
سأزيل غطاء أعدائك وأريق دم أعداء ملكي .سأحمي ملكي !سأضع الأعداء في عنق الزجاجة وأرميهم أمام ملكي .
أنا والدك ووالدتك .
ربيتك بين أجنحتي !سأشاهد نجاحك .
لا تخف آسرحدون !سأضعك بين ذراعي .
بالرعب سأهزم أعداء ملكي ،ستحكم آشور ."[٦٣]

يتضح لنا مما تقدم الدور الكبير الذي لعبتها الآلهة عشتار الأربيلية متمثلة بنؤات وتكهن كهنتها وبالتحديد كاهناتها في المراحل الحرجة لتولي الملك آسرحدون مقاليد الحكم في المملكة الآشورية وتكمن أهمية تلك النصوص في تركيز الضوء على تفاصيل تغفل عن ذكرها المصادر والدراسات الآشورية فيما يتعلق بالقلق والخوف الذي كان يشعر به الملك ووالدته؛ كما تؤشر الى مرحلة من الأضطراب والفوضى السياسية التي سبقت توليه الحكم وجاءت نبؤات كهنة معبد الآلهة عشتار لتعطي التأكيدات والتطمينات وعدم القلق والخوف من مصير الملك الأصغر سناً والمرشح من قبل والده

ومؤامرات أخوته الكبار وعزم الآلهة عشتار الأربيلية على مساعدته وتذليل الصعاب والقضاء على كل المتآمرين الذين يدبرون الدسائس للملك هذا من جانب ومن جانب آخر فأن نصوص الفأل والتكهن تؤكد على المكانة الدينية التي تمتعت بها مدينة أربيل ومعبد الآلهة عشتار الأربيلية وكهنتها على عهد السلالة السرجونية فهي بذلك تشكل مصدرا تأريخياًمهماً لدراسة تأريخ مدينة أربيل على عهد الملك آسرحدون .

الهوامش:

[1] .وردت تسميتها بصيغة أوربيلم :"u rbil"m, ,أو ربيل urbel أربيل ةأرابيلا ,Arbela, Arbilوتعني أربعة آلهة ينظر :باقر طه :جولات تاريخية بين مواطن الآثار في شمالي العراق" مجلة المجمع العلمي الكردي. م٣ ، ع٤ ، (بغداد-١٩٧٥)، ص ٦٣٤-٦٣٥.

[2] .تعد الآلهة عشتارمن الآلهة السومرية والتي وردت في النصوص السشومرية بصيغة Innin,Innana إنانا مشتقة من الصيغة lin-ana وتعني سيدة السماء ويقابله باللغة الأكدية istar عشتار وربما كان تطورا للأسم الآلهة السورية عطار ومركز عبادتها في بيت السماء أو بيت الأعالي إيانا الذي هو لها وللإله آن في جنوب العراق في مدينة الوركاء ولها صفات متباينة فتعد الآلهة للحب والجنس والهى للحرب والقتال وتمثلها كوكب الزهة "فينوس"وزوجها االآله تموز :ينظر سامي سعيد الأحمد :المعتقدات الدينية في العراق القديم ،المركز الأكاديمي للأبحاث ،بيروت-٢٠١٣،ص٣٢ ؛صسن ليكي إنيني:ملحمة جلجامش هو الذي رأى .نظم وترميم وتعليق جرجس ناصيف،مكتبة لبنان ،ناشرون وموزعون ،ط٢،بيروت-٢٠١٠،ص١٧٩؛أدزارد وأخرون:المصدر السابق،ص٨٩-٩٢.Journal of Near Eastern Studies –"The Name of Gods Innin" ،Gelb.J., Vol.19- chicago-1960. p72

[3] .وتظهر الآلهة عشتار بأسماء مدن أو معابد عديدة كعشتار كيش ؛عشتار أكد عشتار نوزي ؛عشتار نينوى وعشتار أربيل ينظر :د.أدزارد؛م.هـ.بوب ؛ف.رولينغ:قاموس الآلهة والأساطير في بلاد الرافدين السومرية والبابلية في الحضارة السورية الأغاوريتية والفينقية ،تعريب محمد وحيد خياطة ،دار الشرق العربي ،بيروت-حلب -دون تأريخ،ص٨٧-٨٨.

[4] .فاتن حميد قاسم:المراسلات الإدارية للإمبراطورية الآشورية الحديثة ٩١١-٦١٢ق.م تجاه حكام المقاطعات ،أطروحة دكتوراه غير منشورة ،كلية الآداب جامعة بغداد-٢٠١٦،صص٤٩-٥٠؛

Eidem,J., "News From The Eastern Front :The Evidence From Tell Shemshara"Iraq ,1985,vol.47,p.83.

[5] . ملقيا Milgia:تل باستام حاليا على بعد ٢٧ كم الى الشمال -الغربي من مدينة أربيل على الضفة اليسرى لنهر الزاب الأعلى عند أسكي كللك حاليا. حنون،نائل :مدن قديمة ومواقع أثرية دراسة في الجغرافية التاريخية للعراق ا لشمالي خلال العصور الآشورية،ط١،دمشق-٢٠٠٩،ص٢٦٤.

[6] . Pongratz . B., Leiten R. M,: The interplay of Military strategy & Cultic In Assyrian Politicl, ed. Parpola , s& whiting, Helsinkey-1997, p.249

[7] . الأحمد:المعتقدات الدينيةالمصدر السابق ،ص٣٤.

[8] .حنون :مدن قديمة المصدر السابق، ص٢٤٨.

[٩] .هيثم أحمد حسين عبو الجواري :نصوص الفأل البابلية في ضوء المصادر المسمارية ،رسالة ماجستير غير منشورة 'كلية الآداب ،جامعة للموصل-٢٠٠٥،ص١٤-١٥

[١٠]سامي سعيد الأحمد:"لماذا سقطت الدولة الآشورية "،مجلة سومر ،م٢٧،،بغداد-١٩٧١،ص١٢١.

[١٠].المصدر السابق ،ص١١٢.

[١١] الأحمد :تأريخ العراق المصدر السابق ،ص٢٧٩

[١٢] .المصدر نفسه ،ص٢٨٠

[١٣] Saggs,H.W., "The Assyrian "In The People Of The Old Testament ,editer Wismen ,G.,Oxford-. 1975,p.169.

[١٤].ميز الباحثون من خلال قراءتهم لنصوص العرافة والفأل نوعين من العرافة فهناك العرافة العملية أو المقصودة والعرافة السحرية أو غير المقصودة النوع الأول أعتمدت على وسائل عملية من أجل الأتصال بالآلهة ومعرفة مشيئتها كضرب القداح ؛سكب الزيت في الماء وتصاعد الدخان أما النوع الثاني فهو العرافة السحرية أو غير المقصودة والتي أعتمدت على أمور لا دخل للأنسان فيها وتعتمد على التنجيم ؛حركة الطيور والحيوانات الدبيبة ؛الولادات المشوهة البشرية والحيوانية وأخيرا قراءة كبد وأحشاء القرابين المقدمة للآله عن هذا الموضوع ينظر عامر سليمان :العراق في التأريخ القديم "موجز التاريخ الحضاري ":،دار الكتب للطباعة والنشر ،الموصل-١٩٩٣،ج٢،ص١٢٨-١٣١.

[١٥] .جدير بالذكر أن الكهنة في المعابد العراقية كانوا على أربعة أقسام منهم أصحاب المراتب العليا ؛كهنة القداس في الأحتفالات ؛كهنة التطهير والتنظيف وتلاوة التراتيل والأناشيد الدينية والصنف الرابع وهم المعنيون في موضوع الدراسة المتخصصون بالأسرار الإلهية عن هذا اللموضوع ينظر الأحمد :المعتقدات الدينية المصدر السابق،ص٥٠-٥٣.

[١٦].سامي سعيد الأحمد :"المظاهر الدينية في العراق القديم "،المجلة التأريخية ،العدد ٤،بغداد-١٩٧٥،ص٢٠٣-٢٠٥؛ الأحمد :المعتقدات الدينية المصدر السابق،ص٥٢-٥٣.

[١٧] Nejat،N. DailyLife in Mesopotamia ،Hendrickson 2002. p.215.

كان على العراف أن يدرس السوابق في مجال عمله لمدة طويلة وأن يكون حليق الرأس كله أو أن يحلق أم رأسه على الأقل لكي يكون مؤهلا لعمله وتوجب عليهم أن يكونوا في حالة أستعداد لتفسير أي شيء يطلب منهم تفسيره أو يلزمهم الحضور فور أستدعائهم وعليهم أداء قسم معين بأعتبارهم موظفين فنجد أحد الموظفين يذكر الملك باليوم المحدد لأداء القسم الذي يتضمنه أمر حضور الكتاب والعرافين والأطباء ومراقبي الطيور وموظفي القصر وكانوا يتوارثون مهنتهم ينظر الأحمد :المعتقدات الدينية المصدر السابق،ص٧٩؛جورج كونتينو:الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور ،ترجمة وتعليق سليم طه التكريتي وبرهان عبد التكريتي ،دار الشؤون الثقافية العامة ،ط٢،بغداد-١٩٨٦،ص٤٦٥-٤٦٦.

[١٨].النواحي :تعد نوعا من نصوص التكهن لمعرفة الغيب وهي عبارة عن رسائل موجهة من الآلهة عن طريق بعض الأشخاص وتكون غالبيتهم من النساء الى الملك لإبلاغه أمراًمعينً ينظر ساكز:قوة آشور ،ص٤١٣

[١٩] .الاحمد، سامي سعيد:الحضارة العراقية في الاديان والمعتقدات الاصالة والتاثير، في العراق في موكب الحضارة ، بغداد-١٩٨٨ ج١ ص١٧٤؛الطائي:أربيل ومكانتها الدينية المصدر السابق .

[٢٠]. كونتينو: المصدر السابق ص٢١٢-٢١٣ .

[٢١]. الطعان. عبد الرضا:الفكر السياسي في العراق القديم –بغداد ١٩٨١ ص٤٧٧.

[٢٢]. .جدير بالذكر أن العراقيون القدماء قد قسموا الظواهر السماوية التي كانت تعد فألا حسناًأم سيئاًالى مجاميع منها فؤول القمر؛الشمس ؛الكوكب الأخرى ؛البرق ؛الرعد ؛الأمطار والزلازل وعلاقة تلك الظواهر السماوية بحياة الأنسان .وللأستزادة في المعلومات عن هذا الموضوع ينظر الجواري : المصدر السابق،ص١٥ وما بعدها

[٢٣] سامي سعيد الأحمد :تأريخ العراق في القرن السابع ق.م "ترجمة "،ط١ ،بيت الحكمة ،بغداد-٢٠٠٣،ص٢٩٦.

[٢٤]. الأحمد: لماذا سقطت الدولة المصدر السابق ،ص١١٢.

[٢٥].نبيل نور الدين حسين::أثر الأعتقاد الديني على شخصية الملك شو-أوكن الثاني سرجون الآشوري"،مجلة جامعة الأنبار للعلوم الأنسانية ،العدد٢،الأنبار-٢٠١٠،ص٢٤١-٢٤٢.

[٢٦].عامر سليمان:"منطقة الموصل خلال الألف الأول قبل الميلاد"،موسوعة الموصل الحضارية ،م١،موصل-١٩٩٠،ص٩٦.

[٢٧]**Ancient Records of Assyrian and Babylonian (ARAB) :Luckenbill.D.D ،Chicago-1926 ،VOL2.P,618**

[٢٨].للمزيد من التفاصيل ينظر :أبتهال عادل أبراهيم :"مدينة اربيل في رسائل منتخبة من العصر الآشوري الحديث ٩١١-٦١٢ ق. م"،مجلة التربية والعلم ،م١٩،الموصل -٢٠١٢.

[٢٩]. هاري: قوة آشور المصدر السابق ، ص ٣٩٠-٣٩١.

[٣٠].الأحمد :تأريخ العراق المصدر السابق ،ص٢٨٦.

[٣١] حسين سيد نور جلال الأعرجي :الخطاب السياسي في العراق القديم ،رسالة ماجستير غير منشورة ،كلية التربية 'جامعة واسط ،٢٠٠٥،ص١٦٧.

[٣٢]. هاري ساكز :قوة آشور،ترجمة عامر سليمان ،المجمع العلمي العراقي ،بغداد-١٩٩٩،ص٣٨٨.

[٣٣].ساكز :قوة آشور المصدر السابق ،ص٣١٣.

[٣٤].وقد أرتبط الملك بالسحر وتسلمه التقارير من السحرة والمنجمين من مدن بابل الرئيسية جعله يتأثر ببلد بابل ويعجب بثقافتها فارس عجيل جاسم الخالدي :التطورات الداخلية في بلاد بابل من ٨٥٨-٦١٢ق.م ،رسالة ماجستير غير منشورة ،كلية الآداب ،جامعة البصرة -٢٠٠٥،ص١٠١.

[٣٥].ساكز :قوة آشورالمصدر السابق ر ،ص٣٨٨-٣٩٠.

[٣٦] GWENDOLYN,Leick:Mesopotamia the Invention of the City ,London-2004,p.٢٣٧،.

[٣٧] Saggs:Op.cit,p.169.

[٣٨] .نقية هو صيغة لأسمها الجزري الغربي أما زاكوتو فهو صيغة لأسمها الآشوري وهذه عادة معروفة في أعطاء الأسم الآشوري الى جانب الأحتفاظ بالأسماء الأصلية للمجموعات المرحلة الثاني وقد أثرت تلك الملكة في أدارة حكم البلاد وقد أثبتت قوتها ونفوذها في البلاط الملكي وتمكنت من مساعدة أبنها في توليه العرش كما أن الملك سنحاريب كان يستشيرها في أمور البلاد وأخذ تأثيرها يزداد بدليل أنها كانت تتولى تصريف شؤون الأقاليم الشرقية والجنوبية الشرقية من الأمبراطورية وكانت تتسلم التقاريرمن حكام هذه المقاطعات وقد أتخذت من مدينة لاخيرو مقراً رسميا لها وقد عاصرت ثلاثة من الملوك الآشوريين وهم سنحاريب زوجها والملك آسرحدون أبنها وحفيدها الملك آشوربانيبال والذي يؤكد أهميتها ظهور هذه الملكة الى جانب أبنها آسرحدون على مسلة مصنوعة من البرونز "محفوظة في متحف اللوفر "وهو من الأمور النادرة في المنحوتات الآشورية أذا لم يصلنا سوى نموذجين لتصوير الملكة الآشورية أولهما الملكة نقية والأخرى زوجة الملك آشوربانيبال .عن هذا الموضوع ينظر :ماجدة حسو منصور :الصلات الآشورية الآرامية ،رسالة ماجستير غير منشورة ،كلية الآداب ،جامعة بغداد -١٩٩٥،ص٢٣٢-٢٣٤.للمزيد من التفاصيل عن الملكة زاكوتو (نقية) ينظر : هبة حازم محمد مصطفى : نساء القصر الآشوري ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة الموصل ٢٠٠٢ ، ص١١٠-١١٧ ؛ Lewy,H.,"Nitokris-NAQIA"Journal of Near Easteran Studies ,1952,Vol.21,p.273

[٣٩].جورج رو:العراق القديم ،ترجمة ،ص٤٣٣؛سعدون عبد الهادي الأمير:الأزمات السياسية الداخلية في العراق القديم ،رسالة ماجستير غير منشورة ،كلية التربية ،جامعة واسط -٢٠٠٥،ص٢٠٧-٢٠٨

[40].Saggs:Op.cit,p.165

op.cit,p.237. [41]Leick

[٤٢].جدير بالذكرؤ هنا أن بعد أختياروليِ العهد ينتقل من قصر والده ويدخل الى قصر خاص به يطلق عليه بيت ريدوتي "ل-Bit roduti"يعني قصر الخلافة ويقع على نهر الفرات في مكان من شريف خان حالياً وفي هذا القصر يتم أعداده لتولي مهامه الملكية والمستقبلية ؛عن هذا الموضوع ينظر أحمد أمين سليم:حضارة العراق القديم ،دار المعرفة الجامعية ،،الأسكندرية – ٢٠١١،ص٢٠٠-٢٠١.

[٤٣]op.cit,p.237-238

[٤٣]Leick

[٤٤].ساكز :قوة آشور المصدر السابق ،ص٣٨٩.

[٤٥] Sagg s : Op.cit ,p. ١٧٠

[٤٦] Martti, Nissinen:References To Prophecy In Neo-AssyrianSourcesSAA,H elsinki-1998,Vol.7,p022-23

[٤٧]. ,

Nissinen:op.cit ,p.23

[٤٨]Nissinen:op.cit, ,p.١٠٣-١٠٢

[٤٩]. . Giovann,B.Lanfranchi:Letters From The Northern and Northe astern Povinces SAA,Helsi -1990,Vol.5,n. 1.1

[٥٠]Ibid:n.1.2.

[٥١]Ibid:n.1.3.

[٥٢]Ibid:n.1.4.

[٥٣]Ibid:n.1.5.

[٥٤]Ibid:n.1.٦.

[٥٥]. Ibid:n.1 .٧

[٥٦]Ibid:no1.8.

[٥٧]Ibid:no1.٢

[٥٨]Ibid:no1.9.

[٥٩]Ibid:no1.٠.

[٦٠]Ibid:no2.2.

[٦١]Ibid:no.3.2.

[٦٢]Ibid:no4.2.

[٦٣]Ibid:no5.2.

ابن شهر اشوب ومنهجه وموارده في كتابة معالم العلماء

أ.م.د.كاظم شاروخ محسن
الجامعة المستنصرية / كلية السياحة وادارة الفنادق
قسم السياحة

ابن شهر اشوب ومنهجه وموارده في كتابة معالم العلماء

أ.م.د.كاظم شاروخ محسن

المقدمة :

الكتابة عن التراجم والسير ، تكاد تكون من أوائل الموضوعات التي تناولها الرواة والمحدثون والباحثون في التاريخ الإسلامي ، ونستطيع القول أن كتب التراجم أكثر ما ورثناه من تراثنا الثقافي والحضاري المدون ، حتى فاق حد الحاجة ، ومع هذا لم تتوقف الكتابة في هذا المضمار ، فلازالت المكتبة الإسلامية تشرق علينا من حين إلى أخر بشعاع بارق من المؤلفات في علم تراجم الرجال ، فعلم التراجم والسير لازال يتجدد ، ويكسب حيويته من اعتزاز الشعوب بأعلامهم ورموزهم السياسية والدينية والفكرية والثقافية على اختلاف أممهم ، ويحق لكل مسلم ان يفتخر بحضارة الإسلام ورجالها العظماء ، الذين أسهموا في بناء تراثها العلمي والثقافي ، كانت لهم اليد الطولى في أغناء تراثها الفكري والحضاري ، وتحملهم الصعاب ليتركوا لنا ارثاً حضاريا شامخاً تفتخر به الإنسانية طول السنين .

لذا كانت عناية الباحثين وطلاب العلم بدراسة سيرهم وما خلفوه من نتاج فكري السمة الغالية لخدمة هذا التراث النفيس ، فكانت هذه الدراسة المتواضعة هي ترجمة لأحد أعلام الفكر الإسلامي الذي أثرى المكتبة الإسلامية بمصنفاته القيمة وهو (الشيخ رشيد الدين محمد بن علي بن شهر أشوب)، ودراسة منهجه لأحد مؤلفاته المهمة ، وهو كتابه الموسوم ب(معالم العلماء) الذي هو فهرست كتب الشيعة وأسماء المصنفين منهم قديماً وحديثاً ، وهو تتمة لكتاب الفهرست للشيخ الطوسي كما صرح بذلك المؤلف.

لذا اقتضت هذه الدراسة تقسيمها على عدة مباحث ، تطرقنا فيها : لاسمه ونسبه ونشأته ، وتاريخ ولادته ووفاته رحمه الله ، ثم تحدثنا عن مكانته العلمية بما وصفوه أصحاب السير والتراجم واثنوا عليه ثناءً عطراً بينت مكانته العلمية والثقافية بين علماء عصره ، ثم تكلمنا على مشايخه الذين تلقى العلم عنهم حيث تتلمذ على أساطين علماء عصره ، و تناولنا الحديث عن تلامذته ومن روى عنه وتلقى العلم ، و نتاجه الفكري وعدد مؤلفاته ، والحديث عن نشأة علم الرجال عند الشيعة وذكر مصنفاتهم ، وكذلك تطرقنا إلى منهجه في كتابه معالم العلماء ، ذكرنا أسلوبه في عرض المادة ، وطول الترجمة وقصرها ، وذكر مصطلحاته في التوثيق والتضعيف.

اسمه ونسبه :

هو الحافظ رشيد الدين[١] (ابو جعفر) محمد بن علي بن شهر اشوب بن كياكي [٢]بن ابي نصر بن ابي الجيش [٣]، السروي [٤] ، المازندراني ، الطبرسي ، البغدادي الشيعي ، من دعاة الشيعة ، ومن فقها الامامية ، الفقيه ، المحدث ، المفسر، المحقق ، والأديب البارع الجامع لفنون الفضائل ، أحد

الأئمة الأعلام والمشايخ العظام والمجمع على جلالته أهل الإسلام نادرة الدهر وأعجوبة العصر نشأ في حجر العلم ودب ودرج في وكره ورضع أفاويق دره ورث الفضائل عن أبيه عن جده ، وأكملها في الغاية بسعيه وجده كل الألسن عن وصفه بما يليق وشهد له البعيد والقريب والعدو والصديق ، وقد مدحه الفريقان .

ولادته ووفاته:

لم تسعفنا جميع المعاجم وكتب الرجال التي ترجمت له بمكان ولادته وتاريخها ، غير ان كل من ترجم له ذكر انه توفي في شعبان سنة ٥٨٨ هـ وله من العمر تسع وتسعون سنة وشهران ، فتكون ولادته على ذلك في جمادى الثانية سنة ٤٨٩ هـ ، وقبره خارج مدينة حلب في الشام في جبل جوشن[٥] قرب قبر محسن السقط بن الامام الحسين (عليه السلام)[٦]

نشأته:

نشأ نشأة صالحة وسعى لطلب العلم من صغره فبرع في علوم الحديث والاصول وعلا صيته وبرزت مكانته بين علماء عصره لذا خافه والي مازندران ، فأمره بالخروج منها فذهب الى بغداد[٧] ووعظ على المنبر أيام المقتفي العباسي (٥٣٢-٥٥٥هـ) فاعجبه وخلع عليه وأثنى عليه كثيراً[٨] وعظمت منزلته ، ثم انتقل الى الموصل[٩] وبعدها انتقل الى مدينة الحلة (حلة الجامعين)[١٠] وقرأ بها في سنة ٥٦٧هـ عن جده شهر اشوب عن الفقيه الكبير ابي جعفر الطوسي . وفي اخريات ايامه هاجر من العراق وسكن حلب من بلاد سوريا وذلك في عهد امراء ال حمدان الاماميين[١١] وفي مدة اقامته في حلب الى ان توفي فيها كان مشغولا بالتاليف والوعظ والارشاد[١٢] .

مكانته العلمية:

يتمتع الشيخ محمد بن شهر اشوب بمكانة علمية متميزة بين علماء عصره ، أهلته لان ينال لقب (شيخ الطائفة) وهذا اللقب لم يحظَ قَبلَه به غير الشيخ ابي جعفر الطوسي (ت ٤٦٠ هـ) ، وهذه المكانة العلمية الجليلة لتغني عن وصفه وإظهار قدره وعظيم منزلته العلمية والاجتماعية لماتعنية هذه المرتبة العلمية السامية .

لذا اجمع العلماء وأرباب معاجم التراجم على جلالة قدره وتبرزه في العلوم العقلية والنقلية ، وما من أحد من الرواة عنه أو المترجمين له الا وأشاد بذكره بعبارات تدل على عظمته وسمو مكانته وكانت هذه المكانة ملازمة له أينما حل ونزل وكان فضلاً عن مقامه العلمي الرفيع على جانب كبير من الأدب والأخلاق الرفيعة.

وما يؤيد مكانته العلمية ماتركه من المؤلفات القيمة التي تكل الالسن عن وصفها ويقصر البيان عن مدحها وتعريفها حيث اصبحت مراجع مهمة يعتمد عليها في مختلف المجالات العلمية دلت على علمية نادرة ومنهجية صحيحة ودقيقة ، انتفعت منها ألاجيال اللاحقة وكانت موضع عناية العلماء حتى

العصر الحاضر ومن هنا جاءت مكانة ابن شهر اشوب بين علماء عصره ومن جاء بعدهم مدحاً وثناءً وتوثيقاً.

وقد اثنى عليه عدد من العلماء كان في مقدمتهم: ابن أبي طي حيث كان معاصراً له وتلميذه وقد تربى في حجره ، الذي نقل عنه شمس الدين الذهبي[١٣]، بقوله: محمد بن علي بن شهر آشوب بن أبي نصر ، أبو جعفر السروري ، المازندراني ، رشيد الدين الشيعي ، أحد شيوخ الشيعة. قال ابن أبي طيء في تاريخه : نشأ في العلم والدراسة وحفظ القرآن وله ثماني سنين ، واشتغل ، بالحديث ، ولقي الرجال ، ثم تفقه وبلغ النهاية في فقه أهل البيت ، ونبغ في علم الأصول حتى صار رحلة . ثم تقدم في علم القرآن ،والقراءات ، والغريب ، والتفسير ، والنحو ، وركب المنبر للوعظ . ونفقت سوقه عند الخاصة والعامة . وكان مقبول الصورة ، مستعذب الألفاظ مليح الغوص على المعاني . حدثني قال : صار لي سوق بمازندران حتى خافني صاحبها ، فأنفذ يأمرني بالخروج عن بلاده ، فصرت إلى بغداد في أيام المقتفي ، ووعظت ، فعظمت منزلتي واستدعيت ، وخلع علي ، وناظرت ، واستظهرت على خصومي ، فلقبت برشيد الدين ، وكنت ألقب بعز الدين . ثم خرجت إلى الموصل ، ثم أتيت حلب . قال : وكان نزوله على والدي فأكرمه ، وزوجه ببنت أخته ، فربيت في حجره ، وغذاني من علمه ، وبصرني في ديني. وكان إمام عصره ، وواحد دهره . وكان الغالب عليه علم القران والحديث ، كشف وشرح ، وميز الرجال ، وحقق طريق طالبي الاسناد ، وأبان مراسيل الأحاديث من الآحاد ، وأوضح المفترق من المتفق، والمؤتلف من المختلف ، والسابق من اللاحق ، والفصل من الوصل ، وفرق بين رجال الخاصة ورجال العامة . يعني بالخاصة الشيعة ، وبالعامة السنة . حدثني أبي قال : ما زال أصحابنا بحلب لا يعرفون الفرق بين ابن بطة الشيعي من ابن بطة الحنبلي بالفتح ، والشيعي بضمها . وكان عند أصحابنا بمنزلة الخطيب للعامة ، وكيحيى بن معين في معرفة الرجال . وقد عارض كل علم من علوم العامة بمثله ، وبرز عليهم بأشياء حسنة لم يصلوا إليها . وكان بهي المنظر ، حسن الوجه والشيبة ، صدوق اللهجة ، مليح المحاورة ، واسع العلم ، كثير الفنون ، كثير الخشوع والعبادة والتجهد ، لا يجلس إلا على وضوء . توفي ليلة سادس عشر شعبان سنة ثمان وثمانين وخمس مئة ، ودفن بجبل جوشن عند مشهد الحسين عيه السلام.

ويكفي في جميل ذكره إن آية الله العلامة جمال الملة والدين الحسن بن علي بن يوسف بن مطهر الحلي[١٤] رئيس الأمامية وشيخهم عده من مشايخه واستند إليه حيث قال في ترجمة الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني " قال شيخنا[١٥] محمد بن علي بن شهرآشوب ، أنه عامي المذهب الا ان له: كتاب منقبة المطهرين ومرتبة الطيبين وما نزل من القران في امير المؤمنين عليه السلام"[١٦].

وذكره الصفدي [١٧] قائلاً: "محمد بن علي بن شهر اشوب ابو جعفر السروي المازندراني رشيد الدين الشيعي احد شيوخ الشيعة حفظ القران وله ثمان سنين وبلغ النهاية في اصول الشيعة كان يرحل اليه من

البلاد ثم تقدم في علوم القران والغريب والنحو ، ووعظ على المنبر أيام المقتفي ببغداد فاعجبه وخلع عليه واثنى عليه كثيراً ".

وقد أطراه ابن حجر العسقلاني[١٨]بكل ماهو جميل من المدح والثناء واكبار واعظام ، قائلاً بعد ذكر اسمه " اشتغل بالحديث ولقي الرجال ثم تفقه وبلغ النهاية في فقة اهل البيت ونبغ في الاصول ثم تقدم في القراءات والقران والتفسير والعربية ، وكان مقبول مليح العرض على المعاني وصنف في المتفق والمفترق والمؤتلف والمختلف والفصل والوصل ، وفرق بين رجال الخاصة ورجال العامة يعني اهل السنة والشيعة كان كثير الخشوع ، مات في شعبان سنة ٥٥٨ هـ " .

وخير ما وصفه بما هو من سعة العلم والفقة ونبوغه في اصول الدين واشتهاره في علوم الحديث والقران ، جلال الدين السيوطي[١٩]بقوله: " محمد بن علي بن شهر اشوب احد شيوخ الشيعة ، اشتغل بالحديث ولقي الرجال ثم تفقه وبلغ النهاية في فقه أهل مذهبه ونبغ في الاصول حتى صار رحلة ، ثم تقدم في علوم القران والقراءات والتفسير والنحو ، وكان امام عصره وواحد دهره أحسن الجمع والتأليف ، وغلب عليه علم القران والحديث ، وهو عند الشيعة كالخطيب البغدادي لاهل السنة في تصانيفه وتعليقات الحديث ورجاله ومراسيله ومتفقه ومتفرقه الى غير ذلك من انواعه ، واسع العلم كثير الفنون مات في شعبان سنة ٥٨٨هـ" .

وامتدحه التفريشي[٢٠]فقال:" رشيد الدين شيخ هذه الطائفة وفقيهها وكان شاعراً بليغاً منشئاً ، روى عنه ، محمد بن عبد الله بن زُهرة، وروى عن محمد وعلي ابني عبد الصمد ، له كتاب الرجال، وكتاب أنساب ابي طالب عليهم السلام.

ويقول فيه محمد علي الاردبيلي[٢١] " محمد بن علي بن شهر شوب المازندراني رشيد الدين شيخ هذه الطائفة وفقيهها وكان شاعراً بليغاً منشياً ، روى عنه محمد بن عبد الله بن زهرة ،وروى عن محمد وعلي ابني عبد الصمد ، له كتب منها الرجال ، أنساب ابي طالب عليهم السلام" .

و يصفه الشيخ الحر العاملي[٢٢] بغزارة العلم والوثاقة ومعرفته بالرجال والأخبار ، مشيراً الى ما متاز به من العلوم بانه كان اديباً وشاعراً له مصنفات جليلة ، حيثُ يقول " رشيد الدين محمد بن علي بن شهر اشوب المازندراني السروي ، كان علماً فاضلاً ثقة محدثاً محققاً عارفا بالرجال والاخبار اديباً شاعراً جامعاً للمحاسن ، له كتب منها : مناقب ال ابي طالب ، كتاب مثالب النواصب ، كتاب المحزون والمكنون في عيون الفنون ، كتاب أعلام الطرائف في الحدود والحقائق ، كتاب فائدة الفائدة ، كتاب المثال في الأمثال ، كتاب الأسباب والنزول على مذهب ال الرسول صلى الله عليه واله ، وكتاب الحاوي ، كتاب الأوصاف ، كتاب المنهاج ، وغير ذلك .

وقال فيه السيد الطباطبائي[٢٣]"شيخ جليل من أجلاء علمائنا ، أثنى عليه الكثير من علماء الرجال قيل : انه كان على طهارة دائما عمر مائة سنة توفي في ليلة الجمعة ٢٢ شهر شعبان المعظم عام

٥٨٨هـ ودفن خارج مدينة حلب في الشام في جبل جوشن قرب قبر محسن السقط المنسوب إلى الإمام الحسين (عليه السلام).

وأثنى عليه الشيخ علي النمازي[٢٤] ثناءً عطراً بقوله " فخر الشيعة ومحيي الشريعة واثار المناقب والفضائل العلوية ، شيخ مشايخ الأمامية صاحب كتاب المناقب والمعالم وغيرها ، توفي في شعبان سنة ٥٨٨هـ ، ونقلاً عن الفيروز أبادي " انهُ كان واسع العلم كثير العبادة دائم الوضوء ، ثم قال انهُ عاش مائة سنة الا عشر أشهر ومات سنة ٥٨٨هـ"، وبالجملة وثاقته وجلالته ، متفق عليه بين العامة والخاصة ، وجده شهر اشوب شيخ فاضل محدث جليل ، من تلامذة الشيخ الطوسي.

ووصفه الشيخ عباس القمي[٢٥] باجمل الأوصاف وأثنى عليه أجمل ثناءً ذاكراً مشايخه من اساطين علماء عصره الذين تتلمذ عليهم حيث يقول " رشيد الدين أبو جعفر محمد بن علي بن شهر اشوب السروي المازندراني ، فخر الشيعة ومروج الشريعة محيي أثار المناقب والفضائل والبحر المتلاطم الزاخر الذي لا يساجل ، هو النجم لابل دونه النجم رتبة هو الدر لا بل دون منطقه الدر هو العالم المشهور في الدهر والذي به بين ارباب النهى افتخر الدهر هو كامل الاوصاف في العلم والتقى ، فطاب به في كل قطر الذكر محاسنه جلت عن الحصر وازدهى بأوصافه نظم القصائد والنثر ، شيخ الامامية صاحب المناقب والمعالم ، وغيرها وكفى في فضله اذعان فحول اعلام اهل السنة بجلالة قدره وعلو مقامه ...وبعد ذكر اقوال العلماء وأطرائهم له ..يقول وقبره خارج حلب على الجبل جوشن عند مشهد السقط ، يروى عن جماعة كثيرة من المشايخ العظام منهم: ابو منصور الطبرسي صاحب الاحتجاج [٢٦]ووالده الشيخ علي بن شهر اشوب[٢٧]، ومنهم الشيخ الجليل الرازي[٢٨] صاحب المناظرات مع المخالفين، وامين الدين الطبرسي[٢٩] صاحب مجمع البيان ، والشيخ ابو الفتوح الرازي[٣٠] والقطب الراوندي[٣١] والسيد ناصح الدين الامدي[٣٢] الفاضل العالم المحدث الامامي الشيعي والفتال النيسابوري[٣٣] والسيد ضياء الدين الراوندي[٣٤] وغيرهم ، رضوان الله عليهم اجمعين .

واطراه السيد بحر العلوم[٣٥]بقوله " الحافظ رشيد الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن شهر اشوب بن كياكي ، الملقب بابي نصر ، ابن ابي الجيش السروي ، نسبه الى سارية مدينة بطبرستان المازندراني ، الفقيه والمحدث والمفسر والمحقق والاديب البارع الجامع لفنون الفضائل . المولود سنة ٤٤٩ هـ والمتوفي في ٢٢ شعبان ٥٨٨هـ عن عمر يبلغ تسعا وتسعين سنة ، صاحب كتاب (معالم العلماء) الذي هو فهرست كتب الشيعة وأسماء المصنفين منهم قديماً وحديثاً ، وتتمة كتاب (الفهرست) للشيخ الطوسي كما صرح بذلك في اوله .

وذكره الزركلي [٣٦]" بقوله "محمد بن علي بن شهر اشوب الطبرسي ، الشيعي ، ابو جعفر ، عالم مشارك في بعض العلوم ، وعظ على المنابر أيام المقتفي ببغداد ، فأعجبه وخلع عليه ، توفي في شعبان ، من تصانيفه :(الأسباب والنزول على مذهب ال الرسول) ،و (اعلام الطرائف في الحدود والحقائق) ،

و(المخزون والمكنون في عيون الفنون) ، و(مائدة الفائدة) ، و(المثالب والنواصب) ،و(ايضاح المكنون) ،و(الفصول في النحو)، و(أسباب نزول القران)، و(متشابه القران)، وغير ذلك .

شيوخه:

نشأ ابن شهر اشوب في أسرة علمية ، حيث طلب العلم من الصغر ، وبانت على محياه طلائع الفطنة والذكاء ، وصفاء الذهن والقريحة منذ نعومة أضفاره، فقد كان (رحمه الله) عالي الهمة ، مجدا مثابرا على الدرس والتحصيل ، فأصبح مضرب المثل لعصره في إحراز فضيلتي الذكاء والجد في مواصلة الدراسة ، حتى أشير إليه بالبنان من بين أولي الفضل والعلم بالتفوق والتقدم.

تلقى علومه على أيدي كبار العلماء وأساتذة علوم الفقه والحديث في مازندران ، ثم رحل لطلب العلم فجال البلدان ، وسمع من جماعة كثيرة من اعلام الطائفة واخذ عنهم العلم والآثار وروى عنهم الأحاديث والكتب والأصول والمصنفات ، ولاشك ان من العسير إحصاء جميع شيوخ ابن شهر أشوب الذين سمع منهم ، وقد بذلنا غاية الوسع في تدوين اكبر عدد من شيوخه ، وفي مقدمتهم والده علي بن شهر اشوب وجده شهر اشوب ن وكان منهم:-

١- والده الشيخ علي بن شهر اشوب ، العالم الفاضل الفقيه المعروف ، قال الحر العاملي[٣٧]:" فاضل عالم يروي عنه ولده محمد ، وكان فقيهاً محدثاً وقد سمع من ابيه في صغره ،على ما ذكره هو للسيد حيدر بن محمد بن زيد بن الحسين الراوي عنه وذكره السيد حيدر في اجازته سنة ٦٢٩هـ لتلميذه الشيخ حسن ابن محمد بن يحيى .

٢- جده الجليل شهر اشوب كما نص عليه في أول كتابه المناقب [٣٨]، وجده هذا يروي عن الشيخ الطوسي شيخ الطائفة محمد بن الحسن المتوفى(سنة ٤٦٠هـ) ، وعن الشيخ أبي المظفر عبد الملك السمعاني صاحب كتاب الفضائل المشهور .[٣٩]

٣- فخر خوارزم جار الله محمود بن عمر الزمخشري المعتزلي المولود سنة ٤٦٧هـ والمتوفى سنة ٥٣٨هـ ، فقد قرأ عليه مؤلفاته التي منها (تفسير الكشاف) و(الفائق في غريب الحديث) و(ربيع الابرار) وقد أجازه أستاذه المذكور برواية هذه الكتب .[٤٠]

٤-الشيخ ركن الدين أبو الحسن علي بن علي بن عبد الصمد السبزواري التميمي الفاضل العالم المحدث ، وهو الذي تنتهي اليه رواية حرز الامام الجواد عليه السلام المشهور ، ذكره الحر العاملي[٤١] قائلاً(الشيخ ابو الحسن علي بن عبد الصمد النيسابوري التميمي ، فاضل عالم يروي عنه ابن شهر اشوب) .

٥- الشيخ الجليل محمد بن علي بن عبد الصمد النيسابوري العالم الفاضل ، وقد اثنى عليه الحر العاملي[٤٢] قائلاً(فاضل جليل من مشايخ ابن شهر اشوب ويروي عن هذا ايضاً عماد الدين الطبري

صاحب(بشارة المصطفى) وروايته عنه بنيشابور في شوال سنة ٥١٤ هـ عن ابيه علي بن عبد الصمد عن ابيه عبد الصمد بن محمد التميمي .

٦- الشيخ الامام جمال الدين أبو الفتوح الحسين بن علي بن محمد بن احمد الخزاعي الرازي النيسابوري ، المفسر الاديب الكامل ، المعروف بابي الفتوح الرازي ، والمنتهي نسبه الى عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي ، الذي كان ابوه من الصحابة. وهو صاحب التفسير الكبير ، ويقال ان الفخر الرازي أخذ جملة من تفسيره من هذا التفسير ، وهو ما لا نظير له في وثاقة التحرير وعذوبة التقرير ودقة النظر ، يقول العلامة النوري :" انه لم يحقق تاريخ وفاته الا ان قبره الشريف في صحن السيد حمزة ابن موسى بن جعفر عليهما السلام في مزار السيد عبد العظيم الحسني رحمه الله خارج بلدة طهران من ايران[٤٣]"

٧- الشيخ العالم الرشيد أبو سعيد عبد الجليل بن عيسى بن عبد الوهاب الرازي ، المتكلم الفقيه ، استاذ الائمة في عصره ، وله مقامات ومناظرات مع المخالفين مشهورة ، له تصانيف اصولية ، منها(مراتب الافعال) ، و(نقض كتاب التصفيح لابي الحسين) .[٤٤]

٨- القاضي السيد ناصح الدين ابو الفتح عبد الواحد بن محمد المحفوظ ابن عبد الواحد بن محمد بن عبد الواحد التميمي الامدي ، عالم محدث فاضل امامي شيعي ، ذكره ابن شهر اشوب قائلاً " الفقيه عبد الواحد بن محمد بن عبد الواحد الامدي التميمي له (غرر الحكم ودرر الكلم يذكر فيه امثال امير المؤمنين عليه السلام وحكمه)".[٤٥]

٩- السيد أبو الفضل الداعي بن علي بن الحسن الحسيني ، وقد يعبر عنه بابي الفضل الداعي ، وكان علماً فاضلاً ، قرأ كتاب (تفسير التبيان) للشيخ الطوسي على الشيخ أبي الوفاء عبد الجبار بن عبد الله بن علي الرازي ، فاجازه كمايلي : (قرأ علي هذا الجزء وهو السابع من التفسير الى اخر سورة (لقمان) ولدي ابو القاسم علي بن عبد الجبار ، وأجزت له روايته عني، مصنفه الشيخ السعيد ابي جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي رحمة الله عليه ، وسمع قراءته السيد الموفق أبو الفضل الداعي بن علي بن الحسن الحسيني ادام الله توفيقهما .[٤٦]

١٠- ابو عبد الله محمد بن احمد النطنزي العامي المذهب ، صاحب كتاب (الخصائص العلوية على سائر البرية والماثر العقلية لسيد الذرية) وقد ترجمه ابن شهر اشوب في (معالم العلماء) وترجم له العلامة الحلي (رضي الله عنه) في القسم الثاني من (الخلاصة) وترجم له ابن داود بعنوان محمد بن احمد النطنزي (بالنونين بينهما طاء مهملة بعدها الزاي) موصوفا بانه عامي المذهب ولم يذكر كتابه (الخصائص العلوية) ، ونقل عن الخصائص السيد رضي الدين علي بن طاووس المتوفى سنة ٦٦٤هـ[٤٧]

١١- الشيخ عفيف الدين محمد بن الحسين الشوهاني عالم جليل فاضل نبيل وهو من أجلة علمائنا الاقدمين وفقهائنا الاكرمين ، ومن كبار أهل العلم والحديث يروي عن جماعة من المشايخ منهم شيخة الفقيه علي بن محمد القمي تلميذ المفيد عبد الجبار الرازي الراوي عن الشيخ الطوسي ومنهم الشيخ ابو الفتوح الرازي ومنهم السيد ابو الرضا الراوندي ومنهم محمد ابن ابي القاسم الطبري .[٤٨]

١٢-الشيخ ابو جعفر محمد بن علي بن المحسن الحلبي ، فقيه ، صالح ، ادرك الشيخ ابا جعفر الطوسي وروى عنه وعن ابن البراج ، وقرأ عليه السيد الامام أبو الرضا والشيخ الامام قطب الدين أبو الحسن الراوندي ، قال الشيخ الحر العاملي " كان فاضلا ماهراً من مشايخ ابن شهر اشوب "[٤٩]

١٣- الشيخ ابو عبد الله الحسين بن احمد بن الطحال المقدادي ، روى عنه محمد بن علي بن شهر اشوب وابن نما ، وهذا الشيخ فقيه ، صالح عالم جليل ، قرأ على الشيخ ابي جعفر الطوسي . [٥٠]

١٤-السيد عماد الدين ابو الصمصام وابو الوضاح ذو الفقار بن محمد بن معبد بن الحسن بن ابي جعفر احمد الملقب بحميدان أمير اليمامة ابن اسماعيل قتيل القرامطة بن يوسف بن محمد بن يوسف الاخيضر ابن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن السبط الزكي الحسن بن علي عليهما السلام ، المروزي ، ذكره السيد علي خان واثنى عليه ومما قال[٥١] : " انه كان فقيهاً عالماً متكلماً ، وكان ضريرا " وقال الشيخ منتجب الدين[٥٢] انه :" عالم دين يروي عن السيد الاجل المرتضى أبي القاسم علي بن الحسن الموسوي ، والشيخ الموفق أبي جعفر محمد قدس الله روحهما".[٥٣]

١٥- الشيخ الجليل أبو منصور أحمد بن علي بن ابي طالب الطبرسي ، عالم ، فاضل ، فقيه ، محدث ، ثقة ، ، صاحب (الاحتجاج على اهل اللجاج) حسن كثير الفوائد ، يروي عن السيد العالم العابد ، ابي جعفر مهدي بن ابي حرب الحسني المرعشي ، عن الشيخ الصدوق ابي عبد الله جعفر بن محمد بن احمد الدوريستي ، عن ابيه عن الشيخ ابي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي ، قال تلميذه ابن شهر اشوب " احمد بن ابي طالب الطبرسي له (الكافي) في الفقه حسن ، و(الاحتجاج)،و(مفاخر الطالبية) ،و(تاريخ الائمة) ،و(فضائل الزهراء عليها السلام) وله طرق اخرى ومؤلفات اخرى". [٥٤]

١٦- السيد الجليل المنتهي بن أبي زيد بن كيابكي الكجي الجرجاني ذكره الشيخ الحر العاملي وفقال " الشيخ السعيد العالم التقي نجم الدين كمال الشرف ذو الحسب ابو الفضل المنتهي بن أبي زيد ابن كياكي الحسيني "[٥٥] وذكره ابن شهر اشوب في (المناقب) في ذكر طرقه الى كتب الشيخ الطوسي رحمه الله قائلاً :" وحدثنا به ايضاً المنتهي بن أبي زيد بن كياكي الحسيني الجرجاني ، ومحمد ابن الحسن الفتال النيشابوري ، وجدي شهر اشوب عنه ايضاً سماعا وقراءة ومناولة واجازة باكثر كتبه ورواياته عن ابيه ابي زيد عن السيد المرتضى والسيد الرضي "[٥٦]

١٧- ابو الحسن فريد خراسان علي بن ابي القاسم زيد بن الحاكم الامام أميرك محمد بن الحاكم ابي علي الحسين بن أبي سليمان الامام فندق ابن الامام أيوب بن الحسن بن أحمد بن عبد الرحمان بن عبيد الله بن عمر بن عمر بن الحسن بن عثمان بن أيوب بن خزيمة بن عمر بن خزيمة بن ثابت ذي الشهادتين صاحب رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ابن الفاكه بن ثعلبة بن ساعدة بن عامر بن عنان بن عامر بن خطة بن جشم بن مالك بن الاوس ، هكذا ذكر نسبه في كتابه (مشارب التجارب) ، وكان ابن شهر اشوب قد اخذ من استاذه هذا كتاب حلية الاشراف تاليف والده زيد بن محمد بن الحسين البيهقي المذكور ، ، وقد توفي أبو الحسن فريد خراسان سنة ٥٦٥هـ .[٥٧]

١٨-أبو القاسم زيد البيهقي والد الشيخ أبي الحسن السابق ذكره قال ابن شهر اشوب :" القاسم زيد ابن الحسين البيهقي له (حلية الاشراف) ، هي في أن أولاد الحسين (ع) أولاد النبي صلى الله عليه واله وسلم وقد توفي ابو القاسم هذا اخر شهر جمادى الثانية سنة ٥١٧هـ كما ذكر ذلك ولده ابو الحسن فريد خرسان في كتابه (التجارب)، وقال ابن شهر اشوب في اول كتابه (المناقب) في أثناء أسانيده الى كتب الخاصة : " وناولني ابو الحسن البيهقي (حلية الاشراف) ، وقد ذكر أبو الحسن علي المذكور نسبه في اول كتابه (تاريخ بيهق) كما يلي:" ابو الحسن علي بن الامام شمس الاسلام ابي القاسم زيد بن شيخ الاسلام جمال القضاء والخطباء ابي سليمان أميرك محمد ابن الامام المفتي فخر القضاء ابي علي الحسن بن عبد الرحمان بن القاضي احمد بن عبيد الله بن عمر بن الحسن بن عثمان بن ايوب بن خزيمة ابن محمد بن عمارة بن خزيمة بن ثابت ذي الشهادتين صاحب رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وقد أنهى نسبه الى نبي الله ادم ابي البشرية عليه السلام ، فيكون ماذكر في بعض التراجم من نسبه زيد الى الحسن نسبه الى الجد ، وهو شايع اما ما ذكره الشيخ منتجب الدين[٥٨] بعنوان :" الشيخ ابو الحسن زيد بن الحسن بن محمد البيهقي فقيه صالح ، فمن غلط النساخ فان أبا الحسن فريد خراسان في كتابه تاريخ بيهق ومشارب التجارب وغيرها ، ذكر اسم جده الحسين مصغراً وان كنية والده (ابو القاسم) . [٥٩]

١٩-الشيخ الجليل أبو الفتوح أحمد بن علي الرازي ، كان علماً فاضلاً فقيهاً. روى عنه ابن شهر اشوب . وذكره في (معالم العلماء) في باب الكنى قائلاً" شيخي ابو الفتوح بن علي الرازي ، عالم ، له (كتاب روض الجنان) و (روح الجنان) في تفسير القران فارسي الا انه عجيب ، و(شرح الشهاب). [٦٠]

٢٠- الشيخ الامام أبو الحسين سعيد بن هبة الله بن الحسن الراوندي المعروف بالقطب الراوندي ، العالم المتبحر المفسر، والفقية المحدث المحقق صاحب المؤلفات الشيقة التي منها (الخرائج والجرائح) و(قصص الانبياء) و(فقه القران) ، و(لب اللباب)، و(الدعوات) ، و(شرح نهج البلاغة) المسمى(بالمعراج) ، وله شعر لطيف في اهل البيت عليهم السلام ، وكان تلميذ السيد ابي السعادات

المعروف بابن الشجري النحوي المتوفي سنة ٥٢٢ هـ ، قال ابن شهر اشوب[٦١] " شيخي ابو الحسين سعيد بن هبة الله الراوندي له كتب منها :كتاب (ضياء الشهاب)، و(مشكلات النهاية) ، و(جني الجنتين في ذكر ولد العسكريين)" ، وتوفي الراوندي يوم الاربعاء الرابع من شوال سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة و دفن في الجانب الغربي من الصحن الكبير للسيدة المعصومة (عليها السلام) بقم المقدسة ، مقابل الباب الغربي للصحن .[٦٢]

٢١- السيد العالم مهدي بن ابي حرب الحسيني شيخ الطبرسي ، صاحب (الاحتجاج)، صرح هو بذلك في المناقب .[٦٣]

٢٢-الفتال[٦٤] : هو الشيخ الاجل السعيد الشهيد أبو علي محمد بن الحسن بن علي بن احمد النيسابوري المعروف بابن الفارسي الحافظ الواعظ صاحب كتاب(روضة الواعظين) و(التنوير) في التفسير ، كان من علماء المائة السادسة ومن مشايخ ابن شهر اشوب ، يروي عن الشيخ الطوسي وعن ابيه الحسن بن علي عن السيد المرتضى رضي الله تعالى عنه قال ابن داود في حقه[٦٥] " متكلم جليل القدر فقيه عالم زاهد ورع ، قتله ابو المحاسن عبد الرزاق رئيس نيسابور الملقب بشهاب الاسلام" .[٦٦]

٢٣- الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي ، المفسر الفقيه الجليل ، صاحب تفسير (مجمع البيان) الذي عكف عليه المفسرون ،و(الوسيط في التفسير) ، و(الوجيز) ، و(اعلام الورى باعلام الهدى) ، و(تاج المواليد)،و(الاداب الدينية للخزانة المعينية) ، و(غنية العابد ومنية الزاهد) ، قال التفريشي[٦٧] :" انه رحمه الله انتقل من المشهد الرضوي الى سبزوار سنة ٥٢٣هـ ، وانتقل منها الى دار الخلود سنة ٥٤٨هـ ، وكانت وفاته في ليلة النحر من السنة المذكورة ثم نقل نعشه من سبزوار الى المشهد الرضوي المقدس ودفن به في المقبرة المعروفة بقتلكاه ، وقبره معروف يزار ويتبرك به . [٦٨]

تلامذته:

ويظهر من كتب التراجم ان المترجم له (رحمه الله) كان من أكابر العلماء ومن جملة المشايخ العظام الذين كانوا قدوة الامامية ورؤساء الشيعة ، بهم يقتدى و بأقوالهم يستدل ، حيث ضرب ابن شهر أشوب بسهم وافر من العلوم والآداب ، وسائر المعارف الإسلامية المعروفة في ذلك العصر.

وقد ذكرت كتب التراجم ان ابن شهر اشوب كان منكبا على التدريس والتأليف ، لذا فانه ما حل ببلد يقيم بها الا وانثال عليه لفيف من أفاضلها وطلاب العلم والمعرفة ،فتعقد له حلقات الدرس ، ويستقون من نمير علمه ويرتوون من عباب فضله ، وأفادوا من علمه الفياض واستجازوا منه الرواية ، الا انه من المؤسف ان كتب التراجم أهملت جميع من تخرجوا عليه في ما زندران وبغداد والموصل والحلة ، كما انها

قصرت في ضبط الكثير من أولئك الجموع الذين تخرجوا عليه في مقره الأخير في حلب وقد لبث فيها زعيما مدرسا ، فلم تطلعنا على تلاميذه والمجازين منه الا على نزر يسير منهم.

وقد ذكرهم أرباب المعاجم فمن مشاهيرهم :-

١- العلامة الشهير نجم الدين أبو حامد السيد محمد بن ابي القاسم عبد الله بن علي بن زهرة الحسيني الحلبي المتوفى بعد سنة ٥٨٥هـ ، وهو صاحب (كتاب الاربعين) الذي ألفه في حقوق الاخوان ، ومنه نقل الشهيد الثاني(رحمه الله) في رسالته (كشف الريبة)و(رسالة الامام الصادق عليه السلام الى النجاشي) والي الاهواز ، وكانت امه بنت الفقيه محمد بن ادريس الحلي صاحب (السرائر) رحمه الله ، وبنو زُهرة الحلبيون بيت جليل لهم مكانه سامية في العلم والتاليف ، ذكروا في المعاجم الرجالية وقد كتب العلامة الحلي رحمه الله لخمسة منهم اجازة الرواية عن مشايخه والاجازة كبيرة مبسوطة تاريخها في الخامس والعشرين من شعبان سنة ٧٢٣هـ حكاها العلامة المجلسي رحمة الله في الاجازات .[٦٩]

٢- السيد كمال الدين حيدر بن محمد بن زيد الحسيني ، عالم فاضل ، يروي عن ابن شهر اشوب ، يقول الحر العاملي[٧٠] :" ورايت في نسخة كتاب المجالس والاخبار للشيخ الطوسي ، وهي نسخة مولانا عبد الشهيد بخطه نقلاً عن نسخة حيدر بن محمد ابن زيد بخط ابن شهر اشوب ما هذا لفظه : قرأ علي هذا الجزء وهو الجزء الثاني من (الامالي) من أوله الى آخره السيد العالم الاجل النقيب كمال الدين جمال السادة فخر العترة شمس العلماء ، حيدر بن محمد بن زيد بن محمد بن عبد الله الحسيني قراءة صحيحة مرضية ، وأخبرته أني قرأته على الامام الاجل أبي الفضل الداعي بن علي الحسيني السروي وأخبرني به عن الشيخ المفيد أبي الوفاء عبد الجبار المقرىء الرازي عفي عنهم في سنة ٥٧٠هـ ، وكتب ذلك محمد ابن علي بن شهر اشوب المازندراني بخطه حامداً لربه ومصلياً على النبي محمد واله .[٧١]

٣- يحيى بن ابي طي حميد بن ظافر بن علي بن الحسين بن علي بن محمد بن الحسن ابن صالح بن علي بن سعيد بن ابي الخير الطائي أبو الفضل البخاري الحلبي ، ولد بها سنة خمس وسبعين وقرأ القرآن ثم جرد رواية أبي عمرو واكثر رواية نافع وتعانى صنعة التجارة مع والده وكان مقدماً فيها ثم نظم الشعر ومدح الظاهر بن السلطان صلاح الدين واستقر في شعرائه واخذ في غضون ذلك الفقه عن ابي جعفر محمد ابن علي بن شهر اشوب المازندراني وكان بارعاً في الفقه على مذهب الأمامية ، وله مشاركة في الأصول والقرآت وله تصانيف ، ثم ترك صناعته ولزم تعليم الأطفال في سنة سبع وتسعين الى ما بعد الست مائة وتشاغل بالتصنيف فاتخذ رزقه منه ، وذكر من تصانيفه (معادن الذهب في تاريخ حلب) كبير و(شرح بهجة البلاغة) في ست مجلدات و(فضائل الأئمة) في اربع مجلدات و(خلاصة الخلاص في آداب الخواص)

في عشر مجلدات و(الحاوي في رجال الامامة) و(سلك النظام في اخبار الشام) والى غير ذلك ، وكان حياً بعد سنة تسع عشر بحلب وتاخرت وفاته بعد ذلك .[٧٢]

مؤلفاته:

كان من ثمار جهاد ابن شهر اشوب (رحمه الله) الطويل في طلب العلم ، منذ صغره ، وسعيه الحثيث وراء الاعلام ليتحمل عنهم ، ويسمع منهم ، ان جمع هذا العلم الوافر الغزير وصبه في تأليفه القيمة ، فأبانت مصنفاته عن عظيم العلم الذي تمكن من تحصيله وجمعه ، واكثر مؤلفاته مبتكرة وجديدة في موضوعاتها ، وقد سدت فراغا واضحا بين كتب الشيعة ، تدل على قابلية في التاليف وصبر على البحث والتتبع ، وعلى علم غزير ، وكانت مؤلفاته الثمينة وكتبه القيمة خالية من التعقيد والالتواء ، حتى ان سلاسة كلماته وروعتها ذائعة على الالسن وهي تستقطب الجميع وتستلهم كل قاريء ويتحتم ان يكون كذلك ، لان تلك الكتب صيغت على الاخلاص التام ، والصفاء الكامل والعزم الراسخ ، وعذوبة القلم وعمق المطلوب والحاجة الماسة اليها ، فكانت عامة كتبه تدور حول الموضوعات التي يحتاج الناس اليها، وكان لها اليد الطولى في سوق الناس ، ملحوظ فيها جانب التشويق على الدوام .وقد أولى مؤلفاته فائق العناية من اجل تلبية ما تحتاجه الأمة وملئ الفراغات الثقافية والعلمية والفقهية والروائية والكلامية ، وإيجاد الحلول لما تواجهه من مشكلات ، لذا كانت ولم تزل مؤلفاته محط أنظار العلماء، بأنوارها يستضيئون ومنها يقتبسون وعليها يعتمدون ، لامتيازها بدقة النظر وعمق المغزى وجزالة التعبير وحسن الأسلوب، فانها من الأصالة ، والعمق والاستيعاب ، بل كل ماكتب أنيق رقيق، رفيع عميق ، يجمع بين سمو الفكر وترف اللفظ .

مؤلفاته أوردها هو رحمة الله عليه التي كان قد الفها قبل (معالم العلماء) في ترجمة نفسه في (باب الميم) من المعالم [٧٣] وهي :-

١- مناقب ال ابي طالب[٧٤] ، هو في أحول الأئمة عليهم السلام إلى الإمام العسكري (ع) ، ويقال: ان المناقب يتضمن أحوال الحجة محمد بن الحسن عليه السلام ، ولكن يبدو ان هذا الباب من احوال الامام قد فقد ، وقال العلامة الميرزا محمد حسين النوري[٧٥] رحمه الله مانصه: " لم نعثر على أحوال الحجة عليه السلام منه ، وربما يتهم انه لم يوفق لذكر أحواله عليه السلام الا انه قال في (معالم العلماء)[٧٦] في ترجمة الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان أنه لقبه به صاحب الزمان عليه السلام (اي بالشيخ المفيد) ، قال ابن شهر اشوب وقد ذكرت ذلك في مناقب ال ابي طالب والظاهر انه كتبه في جملة أحوال الحجة عليه السلام وهذا الباب سقط من هذا الكتاب ، ولم يظهر من اخر أجزائه ما يشعر بختام وهذا ما يؤيد ان له باباً اخر في أحوال الحجة محمد بن الحسن عليه السلام ، وهذا الكتاب من أنفس كتب المناقب .[٧٧]

٢- (المخزون المكنون في عيون الفنون) ذكره لنفسه في معالم العلماء [٧٨] وكذلك في بعض إجازاته بخطه ، وقال اغا بزرك الطهراني [٧٩](وقد حكى في العبقات عن الفيروز ابادي في كتابه " البلغة في أئمة النحو واللغة انه عبر عن هذا الكتاب بالمكنون والمخزون وأورد فيه الخطبة الخالية من الإلف والخطبة الخالية من النقط من إنشاء أمير المؤمنين (ع) كما ذكره ابن شهر اشوب في (المناقب)[٨٠] في باب علمه عليه السلام ، وقد أورد العلامة المجلسي[٨١] ما أورده ابن شهر اشوب في (المناقب) في باب علم أمير المؤمنين عليه السلام ، وان المؤسسين للعلوم ينتمون بعلمهم إلى أمير المؤمنين عليه السلام – الى قوله : " ومنهم الخطباء ، ثم يذكر اسم بعض خطبه منها الخطبتان الخاليتان من النقط والالف – الى قوله : " وقد أوردتهما في (المخزون والمكنون)[٨٢].

٣- مثالب النواصب ، قال الشيخ الطهراني في الذريعة[٨٣] (القسم المخطوط) :" توجد نسخته المخطوطة في خزانة السيد ناصر حسين الهندي ، وهي بحجم مناقبه – نسخة آخرى مخطوطة في طهران في مكتبة السيد محمد المحيط ، على ما في بعض الفهارس .[٨٤]

٤- كتاب معالم العلماء[٨٥]

٥- الطرائف في الحدود والحقائق ، ذكره الشيخ آغا بزرك الطهراني بعنوان (اعلام الطرائف في الحدود والحقائق)[٨٦].

٦- مائدة الفائدة ، ذكره مؤلفه في بعض اجازاته .[٨٧]

٧- المثال في الامثال ، ذكره مؤلفه في بعض اجازاته [٨٨]

٨- متشابه القرآن .[٨٩]

٩- أبو طالب حامي الرسول [٩٠]

١٠-كتاب الاسباب والنزول على مذهب آل الرسول صلى الله عليه واله.[٩١]

١١-كتاب الحاوي .[٩٢]

١٢- كتاب الاوصاف .[٩٣]

١٣-كتاب المناهج.[٩٤]

١٤-انساب ال ابي طالب .[٩٥]

١٥- نخب الاخبار .[٩٦]

نشأة علم الرجال عند الشيعة و ذكر مصنفاتهم:

يذكر ابن شهر أشوب في مقدمة كتابه معالم العلماء ، ان نشأة علم الرجال عند الشيعة الامامية كانت تقوم على الأصول الأربعمائة التي ذكرها الشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ) بقوله " صنف الأمامية من عهد امير المؤمنين علي عليه السلام الى عهد ابي محمد الحسن العسكري (عليهم السلام) أربعمائة كتاب تسمى الأصول [٩٧]"

ومن المعلوم ان مصنفات الأمامية في تلك المدة تزيد على ذلك بكثير كما يشهد به من تتبع كتب الرجال ، لذلك نرى كثيراً ما يستعمل لفظ (الكتاب) و(الاصل) و(النوادر) في كتب الرجال فيقال فلان له كتاب، وفلان له اصل، وله نوادر ، والفرق بين الكتاب والاصل ان الاصل في اصطلاح المحدثين من الشيعة بمعنى الكتاب المعتمد الذي لم ينتزع من كتاب اخر ، قيل وليس بمعنى مطلق الكتاب، فانه قد يجعل مقابلاً له، فيقال: له كتاب وله أصل [٩٨].

فالأصول هي الأربعمائة التي ألفت كما قال ابن شهر اشوب اعلاه فالأصل اخص من الكتاب ويشترط في صدق الاصل عدم الانتزاع من كتاب وان تكون الأحاديث المجموعة فيه مأخوذه عن المعصوم أو عن الراوي ، واما الكتاب فتكون أحاديثه ماخوذه من الأصل ، فالفرق بين الاصل والكتاب ان الاصل هو مجمع الاحاديث غير المنتزع من غيره مع كونه معتمداً ، والكتاب اعم وعلى ماذكره المفيد يكون الاصل اسماً لكل من الاصول الاربعمائة [٩٩].

وقيل ان الاصل ما كان مجرد كلام المعصوم ، والكتاب ما كان فيه كلام مصنفه ايضاً .

واما النوادر فهو ما اجتمع فيه احاديث متفرقة لا تنضبط في باب لعلة ما ، يمكن جمعه في باب واحد بان يكون واحداً أو متعدداً لكن يكون قليلاً جداً ومن هذا قولهم في الكتب المتداولة نوادر الصلوة ونوادر الزكوة .

ويعد علم التراجم من اجل العلوم التاريخية ولاسيما تراجم علماء الاسلام ومنهم تراجم علماء الشيعة وذكر مصنفاتهم ، لذا نرى عناية العلماء الاوائل بالتاليف والتصنيف في هذا العلم الجليل ، ونجد اقدم فهرست عام لكتب الشيعة [١٠٠] هو فهرس الشيخ احمد بن الحسين بن عبيد الله ابن الغضائري (ت ٤١١هـ) ، ابو عبد الله ، شيخ النجاشي والطوسي ولهما منه اجازة ، ذكره الطوسي قائلاً:"(ابو عبد الله كثير السماع بالرجال ، له تصانيف ذكرناها في الفهرست سمعنا منه وأجازلنا بجميع رواياته)[١٠١].

نعم ان فهرس أبي الفرج محمد بن اسحاق المعروف بابن النديم المتوفي ٣٨٥هـ وان كان أقدم من فهرس ابن الغضائري ، لكنه غير مختص بكتب الشيعة ، وانما يضم بين دفتيه الكتب الاسلامية وغيرها ، وقد أشار الى تصانيف قليلة من كتب الشيعة[١٠٢] .

ثم قام بعده أبو العباس احمد بن علي بن العباس بن محمد بن عبد الله بن ابراهيم النجاشي ، ثقة معتمد عليه ، مصنف ، له عدة كتب ، منها كتاب الرجال الذي يعد من كتب الرجال المهمة لدى الشيعة ، ولد سنة ٣٧٢ هـ ، توفي في مطر اباد في جمادى الاولى ٤٥٠ هـ)[١٠٣]، وقد سار النجاشي في ترتيب كتابه على حروف الهجاء ، لم يقتصر على ذكر الرجال حسب ، وانما ذكر تآليفهم ، فكتابه فهرست لكتب الشيعة .

ثم ياتي شيخ الطائفة ، محمد بن الحسن بن علي ابو جعفر الطوسي[١٠٤] ولد سنة ٣٨٥ هـ وتوفي سنة ٤٦٠ هـ ، قال ابن حجر[١٠٥] : " محمد بن الحسن بن علي ، ابو جعفر الطوسي ، فقيه الشيعة ، له

مصنفات كثيرة في الكلام على مذهب الامامية ، وجمع تفسير القران ، احرقت كتبه بمحضر من الناس في رحبة جامع القصر واستتر هو خوفاً ، له مصنفات كثيرة منها : كتاب (الرجال) المشهور ، وكتاب (التهذيب) وكتاب (الاستبصار) ، وكتاب (المفصح) وكتاب (المبسوط في الفقة) وغيرها ، وهي من الكتب المعتمدة لدى الشيعة .

ألف فهرسه المعروف حول كتب الشيعة ومؤلفاتهم بأمر استاذه المفيد الذي توفي سنة ٤١٣هـ وفي حياته كما أشار الى ذلك في أول الفهرست وهذا يعني انه قد فهرس لكتب الشيعة حتى نهاية القرن الرابع الهجري أو بداية القرن الخامس الهجري .

وقد نهج الشيخ الطوسي نهج النجاشي في ترتيب كتابه على حروف الهجاء ايضاً ، وهو في مؤلفي الشيعة الامامية ، ذكر فيه حوالي تسعمائة اسم من مصنفي الكتب ، كما اشار الى ما قيل فيهم من الجرح والتعديل ، والتعويل على روايتهم او عدمه[١٠٦] .

وبعد الشيخ الطوسي ، ظهر فهرست الشيخ الجليل منتجب الدين بن الحسن بن الحسين بن بابويه القمي[١٠٧] (ت ٦٠٠هـ) (أخي الشيخ الصدوق قدس سره) كان فاضلا عالما ثقة صدوقا محدثا حافظا راوية علامة ، له كتاب الفهرس في ذكر المشايخ المعاصرين للشيخ الطوسي والمتاخرين الى زمانه ، وقد ألفه للسيد الجليل أبي القاسم يحيى بن الصدر السعيد المرتضى باستدعاء منه حيث قال السيد له : " ان شيخنا الموفق السعيد أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي رفع الله منزلته قد صنف كتابا في اسامي مشايخ الشيعة ومصنفيهم ، ولم يصنف بعده شيء من ذلك)[١٠٨] فأجبه الشيخ منتجب الدين بقوله : " لو أخر الله أجلي وحققت أملي ، لاضفت اليه ما عندي من أسماء مشايخ الشيعة ومصنفيهم ، الذي تأخر زمانهم عن زمان الشيخ أبي جعفر " ثم يقول :" وقد رتبت هذا الكتاب على حروف المعجم اقتداءً بالشيخ أبي جعفر رحمة الله وليكون أسهل مأخذا ومن الله التوفيق "[١٠٩]، وكلامه هذا ينبيء عن انه لم يصل اليه تأليف معاصره الشيخ محمد بن علي بن شهر اشوب ، الذي كتب كتابه الموسوم ب (معالم العلماء) تكملة لفهرس الشيخ ، ولاجل ذلك قام بهذا العمل من غير ذكر لذلك الكتاب .

وقد أورد الشيخ منتجب الدين في فهرسه هذا ، من كان في عصر الشيخ المفيد الى عصره الذي زاد عن مائة وخمسين سنة ، يشتمل على أسامي المؤلفين ومؤلفاتهم واحداً بعد واحد ، فجاء بترجمة كثير من شخصيات الشيعة ، يناهز عددهم ٥٤٠ شخصية علمية وحديثية من دون ان يذكر لهم أصلاً وتصنيفاً ، ومن ذكر لهم كتاباً لا يتجاوز حدود مائة شخص .[١١٠]

ثم الشيخ ابن شهر اشوب صاحب كتاب (معالم العلماء) الذي نحن بصدد دراسته :حيث يذكر ان كتابه هذا فهرست لكتب الشيعة وأسماء المصنفين قديماً وحديثاً ، وانه تتمة لفهرست الشيخ الطوسي حيثُ يذكر في مقدمة الكتاب قوله " هذا كتاب (معالم العلماء) في فهرست كتب الشيعة وأسماء المصنفين قديماً وحديثاً ، وان كان جمع شيخنا أبو جعفر الطوسي رضي الله عنه في ذلك العصر ما لا نظير له الا ان

هذا المختصر فيه زوائد وفوائد ، فيكون تتمة له ، وقد زدت فيه نحواً من ستمائة مصنف واشرت الى المحذوف من كتابه ، وان كانت الكتب لا تعد ولا تحد "[١١١]

ثم يشير ابن شهر اشوب في مقدمته الى اول من صنف في الاسلام بقوله " قال الغزالي ، أول كتاب صنف في الاسلام كتاب ابن جريج الاثاره وحروف التفسير عن مجاهد ، وعطاء بمكة ، ثم كتاب معمر بن راشد الصنعاني باليمن ، ثم كتاب الموطأ بالمدينة لمالك ابن أنس ، ثم جامع سفيان الثوري " [١١٢]

فيعقب ابن شهر اشوب على قول الغزالي بقوله " بل الصحيح ان اول من صنف فيه امير المؤمنين عليه السلام جمع كتاب الله جل جلاله ، ثم سلمان الفارسي رضي الله عنه ، ثم أبو ذر الغفاري رحمه الله، ثم الاصبغ بن نباته ، ثم عبيد الله بن أبي رافع ثم الصحيفة الكاملة عن زين العابدين عليه السلام".[١١٣]

منهج ابن شهر أشوب في كتابه معالم العلماء

تنظيم الكتاب وأساليب عرضه:

يبدأ ابن شهر اشوب كتابه بمنهجية في غاية الوضوح حيث ابتدأ بمقدمة بينا اهميتها في الصفحات السابقة ثم قسم كتابه معالم العلماء على ٢٨ باباً حسب حروف الهجاء مبتدئاً بالهمزة وختمها بالياء اخر الحروف ، وضمن الباب الواحد فصل في اسماء شتى .

وتضمن كتابه ١٠٢١ ترجمة ، وفي أخره باب جامع ، ضمن هذا الباب فصلان : فصل فيمن عرف بكنيته ، وفصل اخر فيمن عرف بلقب أو قبيلة أو بلد [١١٤].

وذكر في اخر كتابه باباً خصه في بعض شعراء اهل البيت عليهم السلام وجعلهم أربعة طبقات : المجاهرون ، والمقتصدون ، والمتقون ، والمتكلفون ، ومراده بالمجاهرين اي في حب أهل البت عليم السلام [١١٥].

وفي أثناء دراسة سيرة ابن شهر اشوب ومكانته العلمية يمكن القول بانه كان عالما بالعربية وعلومها وآدابها ، وتستطيع ان تلمس ذلك من مؤلفاته سابقة الذكر .

لذا تميز ابن شهر اشوب باسلوب علمي دقيق ، اتصف بالقوة والرصانة ، باختيار العبارات المناسبة والالفاظ الدالة على مبتغاه من تاليف الكتاب ، وهذا أمرٌ طبيعي بالنسبة لابن شهر اشوب لأن للتعبير واللفظ عنده بمكانة سامية ، فيختار العبارة المناسبة للتعبير عما يريد بصورة ملائمة ودقيقة .

وكان ابن شهر اشوب صاحب منهج علمي بدأ في غاية الدقة والوضوح في تراجم مصنفي الشيعة وذكر مصنفاتهم ، فأنه لم يخرج عن موضوع هو بصدد بحثه ، فلم نجد في كلامه استطراداً في التراجم ، وانما كان يوصل الى هدفه من الترجمة مباشرة بكل اختصار ودقة. [١١٦]

تختلف المعلومات في تراجم الرجال حسب طبيعة المترجم له ومكانتة العلمية والادبية فضلاً عن كثرة مصنفاته .

وقد لا نستطيع أن نتبين سوى:١- اسم المترجم له ٢-واسم ابيه ٣-واسم وجده ٤-ولقبه ٥-وكنيته مع ذكر ٦-مصنفاته في الترجمة البالغة القصر ، في الوقت ذاته نلاحظ تنظيماً داخل الترجمة المختصرة .

طول الترجمة وقصرها

وصف ابن شهر اشوب كتابه بالمختصر حيث يقول في مقدمته " ان هذا المختصر فيه زوائد وفوائد "[١١٧] لذا نراه قد سار على منهجه الذي اختطه في الاختصار والايجاز وقد حافظ على هذا المنهج في صفحات كتابه كلها ، فقد كانت ترجمته للمصنف ترتكز على العناصر الاساسية للترجمة التي ذكرناها انفاً فلا يتجاوزها لذا نرى ان غالب تراجمه تتراوح بين سطر الى خمسة اسطر وقد تطول او تقصر ، نورد منها امثلة (احمد بن فارس بن زكريا له كتاب : المايش ، الكسب ، الميزة ، كتاب ما جاء في اخلاق المؤمن)[١١٨]و وقوله (ابو القاسم سعد بن عبد الله بن ابي خلف القمي ، ثقه ، من كتبه : كتاب الرحمة مشتمل على كتب جامعة كالطهارة والصلاة والزكوة والصوم والحج وجوامع الحج، وكتاب الضياء في الامامة ، مقلات الامامة ، مناقب رواة الحديث، فضل قم والكوفة ، كتاب في فضل أبي طالب وعبد المطلب وعبد الله ، وبصائر الدرجات و كتاب المنتخبات نحو من ألف ورقة ، فهرست كتب ما رواه)[١١٩]

وعلى الرغم من ان الاختصار هو المنهج السائد لكتاب ابن شهر اشوب الا أنا نراه يختصر ويوجز الى ابعد من ذلك بحيث لا تكاد الترجمة تتعدى اسم المترجم وابيه وما صنفه ، والحقيقة ان هذا الاختصار الدقيق راجع الى امر واحد وهو ذكر اسماء مصنفي كتب الشيعة وذكر مصنفاتهم ، وهو الغاية من تأليف الكتاب ومن الامثلة على ذلك (زكريا بن اويس ، أبو جعفر القمي ، له كتاب)[١٢٠] وقوله (سعيد بن غزوان ، له اصل)[١٢١] ونلاحظ على الرغم من ان الاختصار و الايجاز هو الطابع العام للمنهج السائد على اغلب تراجم الكتاب ، الا انا نرى ابن شهر اشوب يطيل في بعض التراجم اطالة نسبية اذ ما قورنت بالمنهج السائد للكتاب ونلاحظ هذه الاطالة في حالتين احدهما عندما تكون لصاحب الترجمة مصنفات كثيرة فيذكرها كلها فتطول الترجمة لتتعدى الصفحة او الصفحتين مثل ترجمة (احمد بن محمد بن خالد الكوفي : سكن برحبة قم مصنفاته : كتاب المحاسن والابلاغ التراجم والتعاطف ، أدب النفس ، المنافع ، أدب المعاشرة ، المعيشة المكاسب ، الرفاهية ، المعاريض ، السفر ، السنن ، الامثال ، الشواهد من كتاب الله ، النجوم ، الزينة ، الاركان ، الري ، الطلاق ، اختلاف الحديث الطيب ، الماكل ...الخ)[١٢٢]

وفي الحالة الثانية تطيل الترجمة لأهمية صاحب الترجمة وكثرة مصنفاته ، فمثلاً يستطرد في ترجمة الشريف المرتضى بقوله (الشريف أبو القاسم ، علي بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن ابراهيم بن موسى بن جعفر عليه السلام المرتضى علم الهدى مقدم في العلوم ، مولده في رجب سنة خمس وخمسين وثلاثمائة ، وتوفي رضوان الله عليه في شهر ربيع الاول سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة ، عاش ثمانين سنة وثمانية اشهر واياما وله ديوان شعري يزيد على عشرين الف بيت اختاره من شعره ،

كتبه منها : الشافي في الامامة حسن ، الملخص في الاصول لم يتمه حسن الذخيرة في الاصول ، جمل العلم والعمل ، الضرر والدرر...الخ)[١٢٣]

وبعد ان يذكر اسم الراوي كاملاً ، نراه يحرص على ذكر جوانب أخرى تخص الراوي مثل ذكر لقبه وكنيته ، والغالب على منهج ابن شهر اشوب ذكر كنية المترجم له بعد ذكر لقبه مثل (اسماعيل ابن علي بن زريق بن عثمان الخزاعي أبو القاسم ابن اخي دعبل ...الخ)[١٢٤]

ونراه في اخرى يقدم الكنية قبل الاسم مثل (ابو عبد الله احمد بن ابراهيم بن اسماعيل الكاتب النديم ..الخ)[١٢٥] وغيرها كثير .

ثم يأتي بعد ذلك بالنسبة حيث يبدأ المؤلف بذكر نسبة المترجم الى القبيلة كقوله (الفزاري)[١٢٦] و(المخزومي)[١٢٧] و (الخثعمي)[١٢٨] و (البجلي)[١٢٩] و (الجعفي)[١٣٠] و(السلولي)[١٣١] و(الديلمي)[١٣٢] ولا يكتفي بهذا بل يعرف بالقبيلة اذا كانت غير مشهورة فقال في (عبد الله بن محمد البلوي ، من بلى قبيلة من اهل مصر)[١٣٣] وكذلك في ترجمة (احمد بن هلال العبرنائي كان غاليا ، وعبرتا قرية بناحية اسكاف ست)[١٣٤]

ولايقتصر أهتمامه بالقبائل دون مواليهم ، او الموالي بشكل عام وما لذلك من أهمية في نقد الرجال والتعريف بهم .

فابن شهر اشوب يذكر المولى تارة من دون نسبة فيقول عنه (مولى)[١٣٥]

او ينسبه الى قبيلة معينة او شخص معلوم ، فيقول في النسبة الى القبيلة (مولى بني أسد)[١٣٦] و (مولى ال طلحة)[١٣٧] وهكذا .

وفضلاً عن الجوانب التي ذكرناها تراه يُعنَى بجانب أخر لايقل أهمية عن ما تقدم من الجوانب وهو نسبة المترجم الى المدينة كقوله عنه (كوفي)[١٣٨] و(بغدادي)[١٣٩]و(اصفهاني)[١٤٠] ...الخ

فالمصنفون عنده منسبون الى مدنهم بياء النسبة كما مر، او ان يقول في الواحد منهم (من اصفهان)[١٤١] و(سكن مصر وولده بها)[١٤٢] و(نزيل الري)[١٤٣] .

ثم ذكر بعد ذلك بعض الصفات المادحة والدالة على مكانته العلمية او الدينية مثل (الكاتب)[١٤٤] و (الفقيه)[١٤٥] و (الشيخ)[١٤٦] و (الاديب)[١٤٧] و (الشاعر)[١٤٨] و (الفيلسوف)[١٤٩] وغيرها كثير ، وقد تجمع في المترجم له اكثر من صفة من الصفات التي ذكرنها مثل (الكاتب والمحتسب)[١٥٠] و (كان شاعراً منجماً متكلماً)[١٥١] .

وهناك من الالفاظ الدالة على المناصب الدينية والدنيوية مثل (القاضي)[١٥٢] و(الوزير)[١٥٣] و(الامير)[١٥٤] و(الرئيس)[١٥٥] و(الملك)[١٥٦] و(الشريف)[١٥٧] .

ثم يأتي بعد ذلك بالنسبة الى الحرفة او الصنعة والمهنة التي اشتهر بها مثل (العطار)[١٥٨] و(الفراء)[١٥٩] و (الخياط)[١٦٠] و (الصائغ)[١٦١] و(الوراق)[١٦٢] و(الصيرفي)[١٦٣] و(البزاز)[١٦٤] وغيرها كثير .

ويشير بختصار الى انتساب المصنف الى الصنعة او الحرفة والمهنة بصيغ تدل عليها بقوله (بياع الزطي)[١٦٥] و(بياع السابري)[١٦٦] و(بياع القصب)[١٦٧]و(بياع اللؤلؤ)[١٦٨] و(وكان حداداً او نحاساً)[١٦٩] ومنهم من اشتهر بمهنة فلحقت باسمه مثل (حسن العطار)[١٧٠] و(محمد بن عمر الزيات)[١٧١] و(ناصح البقال)[١٧٢] و(ابو عبد الله القزاز)[١٧٣].

وبعد ذلك يذكر ابن شهر اشوب الصفات او العاهات الجسمانية للمصنف فيقول (الضرير)[١٧٤] و(الاحول)[١٧٥] و(الاعور)[١٧٦] و يلصق صفته باسمه كقوله (ثابت الضرير)[١٧٧] و (ابو عثمان الاحول)[١٧٨] و(ربيع الاصم)[١٧٩] و(الفضل الاعور)[١٨٠] و (قتيبة الاعشى)[١٨١] .

واغفل ابن شهر اشور في تراجمه تاريخ مولد المصنف وتاريخ وفاته الا القليل النادر .....

مصطلحاته في التوثيق والتضعيف:

على الرغم من ان الغاية من تأليف ابن شهر اشوب لكتابه معالم العلم هو فهرست لمصنفي كتب الشيعة ، الا انا نجد ابن شهر اشوب يشير الى ما قيل فيهم من مصطلحات الجرح والتعديل ، والتعويل على روايتهم او عدمه ،حيث يحظى علم الرجال عند الامامية ، باهتمام بالغ لا انهم لا يعتمدون الا على ما يقوله الائمة المعصومون (عليهم السلام) الذين اخذوا العلم عن النبي (صلى الله عليه واله وسلم) . فلابد لهم والحالة هذه من التأكيد والتوثيق وتعرف الطريق الموصل الى أئمتهم ، لما يترتب على ذلك من اهمية كبيرة تتعلق بضبط الاحكام الشرعية الضرورية .

ويقول الامام الصادق (عليه السلام) [١٨٢]" اعرفوا منازل الرجال منا على قدر روايتهم عنا "

ويبين العلامة الحلي ذلك بقوله " ان العلم بحال الرواة من اساس الاحكام الشرعية ، وعليه تبنى القواعد السمعية ، ويجب على كل مجتهد معرفته وعلمه ، ولا يسوغ له تركه وجهله اذ اكثر الاحكام تستفاد من الاخبار النبوية والروايات عن الائمة المهدية ، عليهم افضل الصلاة واكرم التحيات ، فلابد من معرفة الطريق اليهم ، حيث روى مشايخنا رحمهم الله عن الثقة وغيره ، ومن يعمل بروايته ومن لايجوز الاعتماد على نقله "[١٨٣].

لذا نرى ابن شهر اشوب اخضع رجاله لمصطلحات الجرح والتعديل وبما ان كتابه فهرست لرجال الشيعة الامامية نجده يسكت عن الكثير منهم لايذكر لهم لفظاً من الفاظ الجرح والتعديل لان الغالب عنده الوثاقة والعدول ، لكن في البعض الاخر يعرضهم على مصطلحات والفاظ الجرح والتعديل من حيث الوثاقة والعدالة او من حيث الجرح والتضعيف مما سنعرض تفسير معناه الاصطلاحي عند الرجاليين[١٨٤]مبتدئين باصطلاحات التوثيق ونؤخر المجروحين والضعفاء .

حيث يصف بعض رواته بانهم (ثقة) [١٨٥]ولتأكيد وثاقته مصاحبته احد الائمة عليهم السلام مثل قوله(من اصحاب زين العابدين عليه السلام) [١٨٦] و (من الصحاب ابي عبد الله عليه السلام)[١٨٧] ومن امارات المدح و الوثاقة والقوة بل من اسباب قبول الرواية كونه من اصحاب احد الائمة عليهم السلام مثل قوله (من اصحاب الصادق)[١٨٨]، و(من اصحاب ابي عبد الله عليه السلام)[١٨٩] ومما يزيد من قوة وثاقته مصاحبته لاكثر من امام مثل قوله (من اصحاب امير المؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام)[١٩٠]او قوله (ثقة خصيصا بالرضا عليه السلام)[١٩١].

وتتعدى امارات قبول الرواية للقياه احد الائمة المعصومين عليهم السلام مثل (لقي زين العابدين عليه السلام)[١٩٢] وقوله في ترجمة (عمار بن موسى الساباطي لقي الصادق عليه السلام)[١٩٣]و(لقي الرضا عليه السلام)[١٩٤] وكذلك قوله لمن لقي اكثر من امام (لقي السجاد والباقر والصادق عليهم السلام)[١٩٥].

بل ان من اهم الامارات المذكورة ان يكون الراوي من اصحاب الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) او من اصحاب الامام علي عليه السلام او بقية الائمة عليهم السلام ، مثل قوله (جندب بن جنادة أبو ذر الغفاري رحمه الله ، له خطبة يشرح فيها الامور بعد النبي صلى الله عليه واله وسلم)[١٩٦] وكذلك يشير الى من روى عن الائمة من اهل البيت عليهم السلام جاعلها ايضاً من اسباب الوثاقه والعدالة وقبول الروايه ، كقوله (روى عن الباقر عليه السلام)[١٩٧] و (ويروي عن الصادق عليه السلام)[١٩٨] .

ويتعدى قبول الرواية كون الراوي روى عن مشايخ المذهب وثقاته ومن رجاله مثل قوله (روى عن الكليني وعن ابن عقدة)[١٩٩] و(قرأ على الشيخ المفيد)[٢٠٠]و (كان شيخ اصحابنا في عصره)[٢٠١]او (من تلامذة المرتضى قدس الله روحه)[٢٠٢] وقوله (من غلمان المرتضى رضي الله عنه)[٢٠٣] وقوله (من غلمان العياشي)[٢٠٤]

كما انه يحرص على ذكر تغيير الراوي لمذهبه ولا سيما اذا كان التغيير الى المذهب الامامي كقوله في احد الرواه (كان عاميا ثم استبصر)[٢٠٥]

ما مصطلحات الجرح الخاص بمن ترد روايتهم لضعفهم مثل لفظة (ضعيف)[٢٠٦] و(مطعون)[٢٠٧] و (مطعون فيه جداً)[٢٠٨]و (قد طعن فيه)[٢٠٩].

ويُعنى ابن شهر اشوب بمذهب المصنف لما له من الاهمية في معرفة المصنفين لان غاية ابن شهر اشوب من تاليفه كتابه هو كما قلنا سابقاً هو فهرست لمؤلفي الشيعة وذكر مصنفاتهم ، لذا نراه يذكر بعض المصنفين من غير المذهب الشيعي وذلك لكونهم صنفوا كتباً مما يوافق مذهب الامامية ويدعم بعض العقائد التي يتبناها المذهب .

كقوله (ليس بامامي وكتبه حسان)[٢١٠] و (عامي المذهب كتبه حسنة منها السيرة في مقتل الحسين عليه السلام)[٢١١]و (عامي المذهب له مسألة في المسح على الرجلين)[٢١٢] وكذلك (عامي

المذهب الا ان له كتاب مغنية المطهرين ومرتبة الطيبين وما نزل من القران في امير المؤمنين)[٢١٣] (واقفي من اصحاب الامام الكاظم عليه السلام)[٢١٤] و (ثقه الا انه فطحي)[٢١٥]و (ثقة من اصحاب الامام الصادق عليه السلام وكان فطحياً) [٢١٦] و (زيدي)[٢١٧]و يعرف بالجارودية من خلال ترجمة (أبو الجارود زياد بن المنذر كوفي تابعي زيدي واليه تنسب الجارودية)[٢١٨]و (الاشعري)[٢١٩]و (المعتزلي)[٢٢٠]و (غالياً)[٢٢١] و (متهم بالغلو)[٢٢٢] و (مختلط)[٢٢٣] و (ثم خلط واظهر مذهب الخمسة وصنف في الغلو والتخليط)[٢٢٤] و (قيل انه من الناوسية)[٢٢٥].

الهوامش:

[١] –ينظر ترجمته في : ابن شهر اشوب ، محمد بن علي (ت ٥٨٨هـ) ، معالم العلماء ، النجف ،المطبعة الحيدرية ، سنة ١٣٨٠هـ ، اذ ترجم لنفسه في ص ١٥٥ ، الصفدي ، صلاح الدين خليل بن ايبك (ت ٧٦٤ هـ) ، الوافي بالوفيات ، تحقيق : جمعية المستشرقين الألمانية ، استانبول ، سنة ١٩٣٠م : ج١٦٤/٤، ابن حجر ، احمد بن علي بن محمد العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) ، لسان الميزان ، طبعة (الاوفست) على طبعة حيدر اباد الدكن ، ١٣٢٩ هـ ، بيروت ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، سنة ١٩٧١م : ج٥/ ٣١٠ ، السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن (ت ٩١١هـ) ، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، مصر ، مطبعة السعادة ، سنة ١٣٢٦هـ ، ٧٧، الاردبيلي ، محمد بن علي (ت ١١٠١هـ) جامع الرواة وإزاحة الشبهات عن الطريق والإرشاد ، قم ، مكتبة المحمدي ، سنة ١٣٠٤هـ : ج١٥٥/٢، الحر العاملي ، محسن بن الحسين بن علي ، (ت ١١٠٤هـ) ، امل الأمل ، تحقيق : السيد احمد الحسني ، قم ، دار الكتاب الإسلامي ، سنة ١٤٠٢ هـ : ج٢٨٥/٢ ، حاجي خليفة ، مصطفى بن عبد الله الرومي (ت ١٠٦٧هـ) كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، سنة ١٤١٣هـ : ٧٧ و ١٢٦٩ و ١٥٨٤ ، التفريشي ، مصطفى ، السيد ، (ت ق ١١هـ) نقد الرجال ، تحقيق : مؤسسة ال البيت عليهم السلام لاحياء التراث ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ : ج٢٧٦/٤، الخوانساري ، محمد باقر الموسوي الاصفهاني (ت ١٣١٣هـ) روضات الجنات في احوال العلماء والسادات ، صححه وفهرسه : محمد علي الروضاني الاصبهاني ، إيران ، طبع حجر ، الطبعة الثانية ، سنة ١٣٦٧هـ : ٥٧٥ ، بحر العلوم ، السيد محمد بحر العلوم (ت١٣١٣هـ) الفوائد الرجالية (رجال السيد بحر العلوم ، تحقيق : السيد محمد صادق بحر العلوم ، طهران ، مكتبة الصادق ، المطبعة افتاب ، الطبعة الأولى : ج١١٧/٤ ، القمي ، عباس الشيخ (ت ١٣٣٣هـ) الكنى والألقاب ، صيدا ، مطبعة العرفان ، سنة ١٩٣٩م : ج٣٣٢/١، العاملي ، محمد بن عبد الكريم الامين (ت ١٣٧٢هـ) أعيان الشيعة ، بيروت ، دار المعارف للمطبوعات ، سنة ١٢٠٦ هـ : ج٨٢/١ ، الطهراني ، محمد محسن المعروف باغا بزرك ، (ت ١٣٨٩هـ) ، الذريعة الى تصانيف الشيعة ، بيروت ، نشر دار الأضواء ، الطبعة الثانية ، سنة ١٠٤٣ هـ : ج٢٣١/٢٠، عمر رضا كحالة ، معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية ، بيروت ، دار احياء التراث العربي : ج١٦/١١، الزركلي ، خير الدين ،(ت ١٩٧٦م) ،(الاعلام) قاموس تراجم لاشهر الرجال والنساء من العرب و المستعربين والمستشرقين ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ط٥ ، ١٩٨٠م : ج٢٧٩/٦.

[٢] –ابن حجر ، لسان الميزان : ج٣١٠/٥.

[٣] – البغدادي ،–اسماعيل باشا ، (ت ١٣٣٩هـ)، هدية العارفين اسماء المؤلفين واثار المصنفين ، بيروت ، مكتبة المثنى ، (د.ت) : ج١٠٢/٢–١٠٣.

[٤] –السروي و الساري : بفتح السين المهملة وفي اخرها الراء هذه النسبة الى سارية ، وهي من بلاد مازندران من طبرستان ، السمعاني ، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي (ت ٥٦٢هـ) ، الانساب ، الهند ، حيدر اباد الدكن ، ١٩٦٤م : ج١٩٧/٣.

[٥] – جَوشَن : بالفتح ثم السكون ، وشين معجمة ، ونون ، والجوشن الصدر ، والجوشن الدرع ، جوشن : جبل مطل على حلب في غربيها ، في سفحه مقابر ومشاهد للشيعة ، وقد أكثر شعراء حلب من ذكره جدا ، فقال منصور بن المسلم بن أبي الخرجين النحوي الحلبي من قصيدة :

عسى مورد من سفح جوشن ناقع فإني إلى تلك الموارد ظمآن

وما كل ظن ظنه المرء كائن يحوم عليه للحقيقة برهان

في ديوان شعر عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي عند قوله :

يا برق طالع من ثنية جوشن حلبا وحي كريمة من أهلها واسأله هل حمل النسيم تحية منها

فإن هبوبه من رسلها ولقد رأيت فهل رأيت كوقفة للبين يشفع هجرها في وصلها ؟

ثم قال : جوشن جبل في غربي حلب ، ومنه كان يحمل النحاس الاحمر وهو معدنه ، ويقال : إنه بطل منذ عبر عليه سبي الحسين بن علي ، عليه السلام ، ونساؤه ، وكانت إحدى زوجات الحسين عليه السلام حاملا فأسقطت هناك فطلبت من الصناع في ذلك الجبل خبزا وماء فشتموها ومنعوه ، فدعت عليهم ، فمن الآن من عمل فيه لا يربح ، وفي قبلي الجبل مشهد يعرف بمشهد السقط ويسمى مشهد الدكة ، والسقط يسمى محسن ابن الحسين ، عليه السلام . ياقوت الحموي ، شهاب الدين بن عبدالله الحموي ، (ت ٦٢٦هـ) ، معجم البلدان ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، (د.ت): ج ٢ / ١٨٦ .

[٦] –عباس القمي ، الكنى والالقاب : ج٣٣٢/١ ، الطباطبائي ، السيد محمد حسين ، سنن النبي (ص)، تحقيق : الشيخ محمد هادي الفقهي ، المطبعة : مؤسسة النشر الإسلامي ، سنة ١٤١٦هـ : ١٩.

[٧] –الزركلي ، الاعلام : ج٢٧٩/٦.

[٨] –الصفدي ، الوافي بالوفيات : ج١٦٤/٤.

[٩] –الزركلي ، الإعلام : ج٢٧٩/٦.

[١٠] –حلة الجامعين : قال الحموي (كذا يقولونه بلفظ المجرور المثنى : هو حلة بني مزيد بارض بابل على الفرات بين بغداد والكوفة ، وهي الان مدينة كبيرة أهلة ، وقد أخرجت خلقاً كثيراً من اهل العلم ولادب ينسبون الحلي ، معجم البلدان :٢٩٤/٢ .

[١١] – وكان انتقاله إلى حلب من جهة كونها في ذلك الزمان محط رحال علماء الامامية ، بل كون الغالب على عامتها المماشاة مع الإمامية الحقة في طريقهم وسلوكهم لكون مملكتهم إذ ذاك بأيدي آل حمدان الإماميين ومن المشهور أن الناس على دين ملوكهم ما يشهد أن حلب كان من البلاد القديمة التشيع.

[١٢] –خير الدين الزركلي ، الإعلام ، ج٢٧٩/٦، السيد الطباطبائي ، سنن النبي (ص) :١٩ .

[١٣] – الذهبي ، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن احمد (ت ٧٤٨ هـ) ، تاريخ الإسلام ، تحقيق، عمر عبد السلام تدمري ، بيروت ، دار الكتاب العربي : ج ٤١ / ٣٠٩ – ٣١٠.

[١٤] – العلامة الحلي، الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر الحلي ، المعروف بالعلامة (ت ٧٢٦هـ) ، خلاصة الاقوال في معرفة الرجال ، النجف ، المطبعة الحيدرية ، الطبعة الثانية ، ١٣٨١هـ : ٣٢٤ .

[١٥] – و العلامة ضاعف الله قدره وأعلى مقامه لم يرد بقوله شيخنا على الحقيقة ، فإنه لم يدرك زمانه بل هو من معاصري ابن إدريس قدس سره ويروي عن الشيخ بواسطتين وربما يروي عنه بواسطة واحدة كما ذكره في إجازته الكبيرة لأولاد بني زُهرة وغيره ، وكيف كان فهو شيخ الطائفة لا يطعن في فضله ، صرح بذلك جملة من المشايخ ، نتيجة المقال:٣٤.

[١٦] –ابن شهر اشوب ، معالم العلماء : ٦١.

[١٧] –الوافي بالوفيات : ج١٦٤/٤.

[١٨] –لسان الميزان : ج٣١٠/٥ .

[١٩] – طبقات المفسرين ، بيروت ، دار الكتب العلمية : ٩٦.

[٢٠] –نقد الرجال : ج٢٧٦/٤.

[٢١] –جامع الرواة :ج١٥٥/٢.

[٢٢] –أمل الامل :ج٢١٥/٢ .

[٢٣] –سنن النبي :١٩.

[٢٤] – الشيخ علي النمازي الشاهرودي، (ت ١٤٠٥هـ) مستدرك سفينة البحار، تحقيق: الشيخ حسن بن علي النمازي، قم المشرفة ، مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدريسن ، سنة ١٤١٩هـ : ج٩٣/٦.

[٢٥] –الكنى والالقاب :ج٣٣٢٠/١.

[٢٦] – ينظر ترجمته ، ص ١٣.

[٢٧] –ينظر ترجمته ، ص ٩.

[٢٨] – ينظر ترجمته، ص ١٥.

[٢٩] –ينظر ترجمته ، ص ١٧.

[٣٠] – ينظر ترجمته ، ص١٥.

[٣١] –ينظر ترجمته ،ص ١٥.

[٣٢] –ينظر ترجمته ، ص١١.

[٣٣] –ينظر ترجمته ، ص١٦.

[٣٤] –ينظر ترجمته ، ص١٦.

[٣٥] –الفوائد الرجالية : ج١١٧/٤.

[٣٦] –الاعلام : ج١٥٧/٧.

[٣٧] ينظر ترجمته في : الحر العاملي، امل الامل : ج١٩٠/٢.

[٣٨] – ابن شهر اشوب، محمد بن علي (ت ٥٨٨هـ) ، مناقب ال ابي طالب، تحقيق: لجنة من الاساتذه ، النجف الاشرف ، المطبعة الحيدرية ، سنة ١٣٧٦هـ : ج١٠/١-١٣

[٣٩] – ينظر ترجمته قي : ابن شهر اشوب ، مناقب ال أبي طالب ، ج١٠/١-١٣ ، الحر العاملي ، امل الأمل ، ج٢/ ١٣٣، الميرزا النوري (ت ١٣٢٠هـ) ، خاتمة المستدرك ، تحقيق: مؤسسة ال البيت عليهم السلام لاحياء التراث ، قم ، مطبعة :سيد الشهداء ، ط١، سنة ١٤١٥هـ : ج٦٦/٣، السيد الخوئي ، ابو القاسم الموسوي ، (ت١٤١٣هـ) ، معجم رجال الحديث : ج٦٥/١٣ .

[٤٠] – ينظر ترجمته في : الاردبيلي ، علي بن عيسى بن ابي الفتح ، (ت ٦٩٣هـ) ، كشف الغمة في معرفة الأئمة ، لبنان، بيروت ، دار الأضواء ، الطبعة الثانية ، سنة ١٤٠٥هـ :ج٢٥/١ ، المجلسي ، محمد باقر المجلسي ، (ت ١١١١هـ) ، بحار الأنوار، بيروت ، لبنان، مؤسسة الوفاء ، الطبعة الثانية ، سنة ١٤٠٣هـ : ج٢٣/ ١١٠، الطهراني، الذريعة : ج٣١٦/٢٢.

[٤١] – امل الأمل : ج١٩٢/٢، وينظر : الاميني، الشيخ عبد الحسين ، (ت ١٣٩٢هـ) ، الغدير، بيروت ، لبنان ، مطبعة دار الكتاب ، الطبعة الرابعة ،سنة ١٣٩٧هـ : ج٣٨/٥، والميرزا النوري ، خاتمة المستدرك : ج٢٨١/٢، والخوئي ، معجم رجال الحديث : ج١٤/ ٧٦.

[٤٢] – امل الامل :ج٢/٢٨٧ وينظر: البروجردي ، السيد علي اصغر الجابلقي ، (ت ١٣١٣هـ) طرائف المقال ، تحقيق : السيد مهدي المرعشي ، قم ، مكتبة اية الله العظمى المرعشي النجفي ، سنة ١٤١٠هـ : ج١/١١٦، و السيد الخوئي ، معجم رجال الحديث : ج١٧/ ٢٢٦.

[٤٣] – خاتمة المستدرك : ج٣/ ٧٢،وينظر: المجلسي ، بحار الانوار : ج١٠٢/ ٢٠٥، التفريشي ، نقد الرجال : ج٢/ ١٠٦،البروجردي، طرائف المقال : ج١/ ١١٧، الابطحي ، السيد محمد علي الموحد ، (معاصر) تهذيب المقال في تنقيح كتاب الرجال ، قم ، مطبعة سيد الشهداء ع، الطبعة الاولى ، سنة ١٤١٢هـ : ج١/ ١٤١.

[٤٤] – ينظر ترجمته في : ابن شهر اشوب ، معالم العلماء ١٤٥، منتجب الدين، الشيخ منتجب الدين علي بن بابويه الرازي ، (ت٥٨٥هـ) ، الفهرست ، تحقيق : سيد جلال الدين محدث ارموي ، قم ، كتابخنه عمومي ايه الله المرعشي النجفي ، الطبعة الاولى ، سنة ١٣٦٦هـ : ٧٧، الحر العاملي ، امل الامال : ج٢ / ١٤٤ ، المجلس ، بحار الانوار : ج١٠٢ /٢٤٢ النوري ، خاتمة المستدرك : ج٢/ ٦٧. التفريشي ، نقد الرجال : ج٣/ ٣٢. ، الطهراني ، الذريعة : ج٢٠/ ٢٩.

[٤٥] – معالم العلماء : ٨١ ، وينظر: الشيخ عباس القمي ، الكنى والالقاب : ج١/ ٣٣٣ الزركلي ، الاعلام : ج٤/١٧٧.

[٤٦] – ينظر ترجمته في الحر العاملي ، امل الامل: ج٢/١١٣ ، النوري ، خاتمة المستدرك : ج٣/ س٦٧، السيد الخوئي ، معجم رجال الحديث ، ج٨/٩٢.

[٤٧] – معالم العلماء :١٥٤ ، وينظر: العلامة الحلي، خلاصة الاقوال، ٤٠٥، ابن داود الحلي ، تقي الدين الحسن بن داود الحلي (ت ٧٠٧هـ) ، الرجال ، النجف الاشرف، المطبعة الحيدرية ، سنة ١٣٩٢هـ : ٢٦٩ ، التفريشي ، نقد الرجال : ج٤/١٢٧، عمر كحالة ، معجم المؤلفين : ج٩/ ٢٦، السيد الخوئي، معجم رجال الحديث : ج١٦/ ٦٤.

[٤٨] – ينظر ترجمته في :ابن حمزة الطوسي (ت ٥٦٠هـ) الثاقب في المناقب ، تحقيق: الاستاذ نبيل رضا علوان ، قم المقدسة ، مطبعة الصدر ، الطبعة الثانية ، سنة ١٤١٢هـ ، الشيخ منتجب الدين ، الفهرست : ٥٩ ، المجلسي ، بحار الانوار : ج١٠٢ / ١٧١ ، الحر العاملي ، امل الامل : ج٢/٢٥٩. الاردبيلي ، جامع الرواة : ج٢/ ١٠٠، السيد الخوئي ، معجم رجال الحديث : ج١٧/ ٢٠.

[٤٩] –امل الامل،ج٢/٢٨٩ ،وينظر: ابن البراج ، القاضي ، (ت ٤٨١هـ) ، المهذب ، تحقيق : الشيخ السبحاني ، قم ، نشر : جامعة المدرسين ، سنة ١٤٠٦هـ : ج١/٩، المحقق النوري ، خاتمة مستدرك الوسائل : ج٣/٦٢، السيد الخوئي ، معجم رجال الحديث: ج١٨/٢٥.

[٥٠] – ينظر ترجمته في : منتجب الدين ، الفهرست :٤٨ ، السيد علي البروجردي ، طرائف المقال : ج١/١١٣، السيد الخوئي ، معجم رجال الحديث: ج٦/٢٩٩.

[٥١] – السيد علي خان ، صدر الدين السيد علي خان المدني الشيرازي الحسيني، (ت ١١٢٠هـ) ، الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة ، طبعة الثانية ، سنة ١٣٩٧ : ٥١٩.

[٥٢] – الفهرست :٦٢.

[٥٣] – ينظر ترجمته في : الشريف المرتضى ، (ت ٤٣٦هـ) ، مسائل الناصريات ، تحقيق: مركز البحوث والدراسات الاسلامية ، طهران ، الطبعة الاولى ، سنة ١٤١٧هـ :٢٢ ، فضل الله ، السيد الامام ضياء الدين ابي الرضا فضل الله ، (ت ٥٧١هـ) كتاب النوادر ، تحقيق : سعيد رضا علي عسكري ، دار الحديث ، الطبعة الاولى ، سنة ١٤٠٧: ٢٢، السيد علي خان ، الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة : ٥١٩ ، منتجب الدين ، الفهرست :٦٢، الاردبيلي ، جامع الرواة : ج١، ١١٦، التفريشي ، نقد الرجال : ج٢، ٢٢٩ ، المجلسي ، بحار الانوار : ج١٠٤ ، ٩٥ ، الشيخ الاميني ، الغدير : ج٥، ٢٨٠.

[٥٤] – معالم العلماء ،٦١ ،وينظر: الشيخ عباس القمي ، الكنى والالقاب : ج٢/ ٤٤٤، البروجردي ، طرائف المقال ، ج١/ ١١٦، البغدادي، هدية العارفين : ج١، ٩١، عمر كحالة ، معجم المؤلفين ، ج٢/ ١٠ ، سركيس ، يوسف اليان سركيس ،(ت

١٣٥١هـ) معجم المطبوعات العربية والمعربة ، قم ، سنة ١٤١٠هـ : ج٢/١٢٢٨ ،الطهراني، الذريعة : ج١/٢٨١، السيد الخوئي ، معجم رجال الحديث: ج٢/١٦٥.

[٥٥] - الحر العاملي ، امل الامل : ج٢/ ٣٢٦.

[٥٦] – ينظر ترجمته في : ابن شهر اشوب ، المناقب : ج٣/٣٢٨، ، الميرزا النوري ، خاتمة المستدرك : ج٣/ ٩٠ ، الاميني ، الغدير : ج٤/١٨٥.

[٥٧] – ينظر ترجمته في : الشيخ عباس القمي ، الكنى والالقاب : ج٣/ ٢٨، النوري ، خاتمة المستدرك : ج١/١٨٤، الطهراني ، الذريعة : ج٤/ ١٤٩، السيد الخوئي ، معجم رجال الحديث : ج٨/ ٣٥٢.

[٥٨] – الفهرست ٦٦.

[٥٩] – ينظر ترجمته في : ابن شهر اشوب ، معالم العلماء : ٨٦ ، والمناقب: ١٤ ، منتجب الدين ، الفهرست : ٦٦، الحر العاملي ، امل الامل : ج٢/ ١٢٢، الطهراني ، الذريعة :ج٢/ ٢٥٤، السيد الخوئي ، معجم رجال الحديث : ج٨/ ٣٥٢.

[٦٠] – ينظر ترجمته في : ابن شهر اشوب ، معالم العلماء : ٨٧ ، و المجلسي ، بحار الانوار: ج ١٠٥ / ٤٥ و الحر العاملي ، امل الامل : ج٢/ ١٨ و البروجردي ، طرائف المقال : ج١/ ١١٥ و النوري ، خاتمة المستدرك : ج٣/ ٦٦و السيد الخوئي ، معجم رجال الحديث : ج٧/ ٥٣ .

[٦١] – ابن شهر اشوب ، معالم العلماء : ٩٠ .

[٦٢] – ينظر ترجمته في ، ابن شهر اشوب ، معالم العلماء : ٩٠ ، و المجلسي ، بحار الانوار : ج١٠٥/ ٢٣٥ ، والطباطبائي ، سنن النبي (ص) : ٢٩ ، والعلامة النوري ، مستدرك الوسائل : ج٣/ ٤٨٩ ، الميرزا ابو القاسم القمي ، (ت ١٢٢١هـ) غنائم الايام في مسائل الحلال والحرام ، تحقيق: عباس تبريزان ، خراسان ، المطبعة : مكتب الاعلام الاسلامي ،الطبعة الاولى ، سنة ١٤١٧هـ : ج١/ ٣٤.

[٦٣] – ينظر ترجمته في : عباس القمي ، الكنى والالقاب : ج٢/ ٢٣٣. ، والمجلسي ، بحار الانوار : ج٣٧/٢٠١ ، والميزا النوري ، خاتمة المستدرك ، ج٣/ ٣٩، والحر العالملي ، امل الامل : ج٢/١٧، البروجردي ، طرائف المقال : ج١/ ١٢١.

[٦٤] – الفتال : من اسماء البلبل ، ولعله لقب به لطلاقة في لسانه في الخطابة والوعظ ، الشيخ عباس القمي، الكنى والالقاب : ج٣/١٢.

[٦٥] – ابن داود الحلي ، الرجال : ١٦٣.

[٦٦] – ينظر ترجمته في : ابن شهر اشوب ، معالم العلماء: ١٥١ ،و ابن داود الحلي ، الرجال : ١٦٣، والنمازي ، مستدرك سفينة البحار : ج٨/١١٧، والطباطبائي ، سنن النبي: ٢٨، والاردبيلي ، جامع الرواة: ج٢/ ٦٢، والحر العاملي ، امل الامل : ج٢/ ٢٤٢، والسيد الخوئي، معجم رجال الحديث : ج١٦/ ١٩.

[٦٧] – التفريشي ، نقد الرجال : ١٩.

[٦٨] – ينظر ترجمته في ، ابن شهر اشوب ، معالم العلماء : ١٦٩، الاردبيلي ، جامع الرواة : ج٢/٤.

[٦٩] – ينظر ترجمته في الحر العاملي ، امل الامل : ج٢/١٦٢، والبروجردي ، طرائف المقال : ج١/١١٠، والميرزا النوري ، خاتمة المستدرك : ج٣/٧، والطباطبائي ، السيد علي الطباطبائي ،(ت ١٢٣١هـ) رياض المسائل ، تحقيق : مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم ، الطبعة الاولى ، سنة ١٤١٢هـ : ج٢/٦٥.

[٧٠] – الحر العاملي ، امل الامل : ج٢/١٦٢.

[٧١] – ينظر ترجمته: في الحر العاملي ، امل الامل : ج٢/١٠٨ ،و الطهراني ، الذريعة : ق١ ج٩/ ٢٢والسيد الخوئي ، معجم رجال الحديث : ج٧/٣٣٠.

[٧٢] ابن حجر ، لسان الميزان :ج٦/٢٦٣، والذهبي ، (ت ٧٤٨هـ) ، سير اعلام النبلاء ، تحقيق : شعيب الارنؤوط ، محمد نعيم العرقسوسي ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة التاسعة ، سنة ١٤١٣هـ : ج١٧/٣٤٤و البغدادي ، هدية العارفين ، ج٢/٥٢٣، و الطهراني ، الذريعة ،١٣٥/١٤.

[٧٣] –ابن شهر أشوب ، معالم العلماء : ١٥٤.

[٧٤] – طبع كتاب المناقب أولاً في بمبي ، سنة ١٣١٣هـ في اربعة أجزاء طبعة رديئة جداً ، ثم طبع في ايران مرتين في جزءين سنة ١٣١٧هـ طبعة غير خالية من الاغلاط ، ثم طبعه الشيخ محمد كاظم الكتبي فجدد طبعه بمطبعته الحيدرية في ثلاثة اجزاء طبعة متقنة ، قام بتصحيحه وشرحه ومقابلته على نسخ خطية لجنة من اساتذة النجف الاشرف ، وذلك سنة ١٣٧٥ هـ سنة ١٩٥٦م.

[٧٥] – خاتمة المستدرك :٥٨.

[٧٦] – معالم العلماء :١٤٧.

[٧٧] – ذكره كل من ، الصفدي في الوافي بالوفيات : ج ٤ ، ١٥٤ ، والشيخ عباس القمي في الكنى والألقاب : ج ١ ، ٣٣٢ ، والحر العاملي في تذكرة المتبحرين :٥٠٤ ، والعلامة الخوانساري في روضات الجنات : ج ٦ / ٢٩٠ ، وقال : " وهو كتاب ضخم واسع الإنتشار عند الإمامية ، لا تكاد تخلو منه مكتبة من مكتباتهم " ، والشيخ آغا بزرك الطهراني في الذريعة : ج ٢٢ / ٣١٨ ، وخير الدين الزركلي في الأعلام : ج ٧ / ١٦٧.

[٧٨] – معالم العلماء: ١٤٧.

[٧٩] –الذريعة : ج٢٠/٢٣١ .

[٨٠] – ابن شهر اشوب ، المناقب : ج٣/ ٦٨.

[٨١] – المجلسي ، بحار الانوار : ج٤٠/ ١٦٢.

[٨٢] – وقد ذكره كل من :الصفدي في الوافي بالوفيات : ج ٤ / ١٦٤ ، والعلامة الخوانساري في روضات الجنات : ج ٦ / ٢٩٠ ، والحر العاملي في تذكرة المتبحرين :٥٠٤ ، والشيخ آغا بزرك الطهراني في الذريعة : ج ٢٠ / ٢٣١ ، وإسماعيل باشا البغدادي ، هدية العارفين :ج١٠٣/٢، عمر كحالة، معجم المؤلفين : ج١٦/١١.

[٨٣] – الطهراني ، الذريعة : ج ٧٦/١٩.

[٨٤] – ذكره كل من: الصفدي في الوافي بالوفيات : ج ٤ / ١٦٤ ، والحر العاملي في تذكرة المتبحرين :٥٠٤ ، والعلامة الخوانساري في روضات الجنات : ج ٦ / ٢٩٠ ، والشيخ آغا بزرك الطهراني في الذريعة إلى تصانيف الشيعة : ج ١٩ / ٧٦ ، المجلسي، بحار الانوار : ج٧٦/١٠٥، اسماعيل باشا البغدادي ، هدية العارفين : ج٢٣٩/٢، عمر كحالة ، معجم المؤلفين : ج١٦/١١.

[٨٥] – ذكره كل من : الشيخ عباس القمي في الكنى والألقاب : ج ١ / ٣٣٢ ، والشيخ آغا بزرك الطهراني في الذريعة : ج ٢١ / ٢٠١ ، وقال : " هو فهرست كتب الشيعة وأسماء مصنفيهم ، جعله تتمة لفهرست شيخ الطايفة (الطوسي). وطبع هذا الكتاب في المطبعة الحيدرية بالنجف الأشرف ، وفي إيران (طهران) سنة ١٣٥٢هـ . ولكتاب المعالم المذكور حاشيتان هما : ١ – حاشية الشيخ حسن بن زين الدين الشهيد (سنة ٩٦٦ هـ) ينقل عن هذه الحاشية صاحب " الرياض " ، أنظر الذريعة : ج ٦ / ٢١١ . ٢ – حاشية الشيخ البهائي محمد بن الحسين الحارثي المتوفى (سنة ١٠٣١ هـ) ينقل عن هذه الحاشية صاحب " الرياض " أيضا ، أنظر المصدر أعلاه . وهو موضوع دراستنا.

[٨٦]– ، ذكره كل من: العلامة الخوانساري في روضات الجنات : ج ٦ / ٢٩٠ ، والحر العاملي في تذكرة المتبحرين :٥٠٤ ، والشيخ آغا بزرك الطهراني في الذريعة : ج٢٠/ ٢٣٩ ، واسماعيل باشا البغدادي ، هدية العارفين : ج١٠٢/٢ ، وعمر كحالة ، معجم المؤلفين : ج١٦/١١.

[٨٧] – ذكره كل من : الصفدي في الوافي بالوفيات : ج ٤ / ١٦٤ ، والعلامة الخوانساري في روضات الجنات : ج ٦ / ٢٩٠ ، والحر العاملي في تذكرة المتبحرين : ٥٠٤ ، والشيخ آغا بزرك الطهراني في الذريعة إلى تصانيف الشيعة : ج ١٩ / ١٠ ،

وسماه : " المائدة العائدة (أو الفائدة) " ، وقال : " ذكره مع بقية تصانيفه في كتابه معالم العلماء :١٥٤ ، وكذا في بعض إجازاته بخطه ، واسماعيل باشا البغدادي ، هدية العارفين : ج٢/١٠٢ ، وعمر كحالة ، معجم المؤلفين : ج١١/١٦.

[٨٨] – ذكره كل من: الحر العاملي في تذكرة المتبحرين : ٥٠٤ ، والعلامة الخوانساري في روضات الجنات : ج ٦ ، ٢٩٠ ، والشيخ آغا بزرك الطهراني في الذريعة إلى تصانيف الشيعة : ج ١٩ / ٧٣ ، وقال : " ذكره في ترجمة نفسه في " معالم المعالم : ١٥٤" وكذا في بعض إجازاته بخطه " ، والبغدادي ، هدية العارفين : ج٢/ ١٠٣ .

[٨٩] – ذكره الطهراني في الذريعة : ج ١٩ /٦٢ ، وهو نفس كتابه " تأويل متشابهات القرآن " الذي ذكره صاحب الذريعة أيضا : ج ٣ / ٣٠٦ ، فقد قال صاحب الذريعة في : ج ١٩ / ٦٢ ، ما يلي : " متشابه القرآن ، وما إختلف العلماء فيه من الآيات ، كما عبر به مؤلفه في " معالم العلماء : ١٥٤" وكذا في بعض إجازته بخطه ، وهو كتاب عجيب ينبئ عن طول باعه ، وقد طبع بإيران أخيرا ، وتوجد نسخ مخطوطة منه في المكتبة التسترية [في النجف الأشرف] ، ومكتبة الشيخ علي آل كاشف الغطاء [في النجف الأشرف] ، وفي مكتبة المولى محمد باقر السبزواري بمشهد خراسان نسخة كتابتها جمادى الأول سنة ١٠٨٧ هـ ، وإن النسخة منه التي أهداها المحدث الحر العاملي إلى العلامة المجلسي وعليها خط يديهما ، كانت عند شيخ النوري ، أوله بعد الحمد وذكر إسمه : " سألتم وفقكم الله للخيرات إملاء كتاب بيان المشكلات من الآيات المتشابهات ، وما إختلف العلماء فيه من حكم الآيات ، لعمري إن لهذا التحقيق بحرا عميقا . . . فأسأل الله المعونة على إتمامه"، البغدادي ، هدية العارفين : ج٢/ ١٠٢.

[٩٠] – البغدادي ، هدية العارفين : ج٢/١٠٢.

[٩١] – ذكره كل من: الصفدي بالوافي : ج ٤ / ١٦٤ ، والعلامة الخوانساري في روضات الجنات : ج ٦ / ٢٩٠ ، والحر العاملي في تذكرة المتبحرين : ٥٠٤ ، والشيخ آغا بزرك الطهراني في الذريعة : ج ٢ / ١٢ ، البغدادي ، هدية العارفين : ج٢/١٠٢ ، وخير الدين الزركلي في الأعلام : ج ٧ / ١٦٧ ، وسماه : أسباب نزول القرآن ، عمر رضا كحالة ، معجم المؤلفين : ج١١/١٦.

[٩٢] –، ذكره كل من: العلامة الخوانساري في روضات الجنات : ج ٦ / ٢٩٠ ، والحر العاملي في تذكرة المتبحرين : ٥٠٤ ، والشيخ آغا بزرك الطهراني في الذريعة : ج ٦ / ٢٣٦ ، وقال : " ذكره في " معالم المعالم : ١٥٤ " في ترجمة نفسه في آخر المحمدين بعنوان الحاوي ، واستظهر بعض المشايخ أنه " الحاوي للفتاوي " ، و البغدادي ، هدية العارفين : ج٢/١٠٢.

[٩٣] – آغا بزرك الطهراني في الذريعة إلى تصانيف الشيعة : ج ٢ ، ٣٩٥ ، والبغدادي ، هدية العارفين : ج٢/١٠٣.

[٩٤] – ذكره كل من :العلامة الخوانساري في روضات الجنات : ج ٦ ، ٢٩٠ ، والحر العاملي في تذكرة المتبحرين : ٥٠٤ ، والشيخ آغا بزرك الطهراني في الذريعة : ج ٢٣ ، ١٥٤ ، و البغدادي ، هدية العارفين : ج٢/١٠٣.

[٩٥] – ذكره العلامة الخوانساري في روضات الجنات : ج ٦ ، ٢٩٠ ، والحر العاملي في تذكرة المتبحرين : ٥٠٤ ، والشيخ آغا بزرك الطهراني في الذريعة : ج ٢ ، ٣٧٨ و
لبغدادي ، هدية العارفين : ج٢/١٠٣.

[٩٦] – ذكره العلامة الخوانساري في روضات الجنات : ج ٦ ، ٢٩٣ و البغدادي ، هدية العارفين : ج٢/١٠٣.

[٩٧] – ابن شهر اشوب ، معالم العلماء : ٣٨ نقلاً عن المفيد ، وانظر الطريحي ، فخر الدين النجفي ، (ت ١٠٨٩هـ) جامع المقال فيما يتعلق باحوال الحديث والرجال ، تحقيق : محمد كاظم الطريحي ، مطبعة حيدري ، طهران ، (د.ت) : ٣٥.

[٩٨] – المحقق النراقي، الشيخ احمد النراقي ، (ت ١٢٤٥هـ) ، عوائد الايام ، مطبعة الغدير بقم ، الطبعة الثالثة ، سنة ١٤٠٨هـ : ٢١١.

[٩٩] – المصدر نفسه : ٢١١و ٢١٢ و ٢١٣.

[١٠٠] السبحاني ، كليات في علم الرجال :١٠٣

[١٠١] – الطوسي ، ابو جعفر محمد بن الحسن ، (ت ٤٦٠هـ) ، الرجال ، تحقيق: محمد صادق بحر العلوم ، النجف ، المطبعة الحيدرية : ٤٧.

[١٠٢] –السبحاني ، كليات في علم الرجال : ١١٠ .

[103] ينظر ترجمته في الطوسي ، الرجال : ٤٤٦، ابن داود الحلي ، الرجال :٤٠.

[104] – انظر ترجمته في ، ابن شهر اشوب ، معالم العلماء : ١١٤ ، وابن داود الحلي ، الرجال : ٨٥،و الصفدي ، الوافي بالوفيات :٣٢٩/٢ ،و حاجي خليفة ، كشف الظنون : ٢٦٤/١.

[105] – ابن حجر ، لسان الميزان : ١٤٥/٥.

[106] – السبحاني ، كليات في علم الرجال : ١١٣.

[107] –الحر العاملي ، أمل الامل : ج١٩٤/٢.

[108] –السبحاني ، كليات في علم الرجال : ١١١.

[109] – الشيخ منتجب الدين ، الفهرست :٦.

[110] – السبحاني ، كليات في علم الرجال : ١١٢.

[111] – ابن شهر اشوب ، مقدمة كتابه معالم العلماء :٣٩.

[112] – المصدر نفسه

[113] – المصدر نفسه

[114] – ابن شهر اشوب ، معالم العلماء ، ١٨٠.

[115] – المصدر نفسه

[116] –ينظر: جميع صفحات كتاب معالم العلماء لابن شهر اشوب .

[117] –ابن شهر اشوب ، معالم العلماء : ٣٨.

[118] –المصدر نفسه : ٥٨ .

[119] –المصدر نفسه : ٩٠ .

[120] – ابن شهر اشوب ، معالم العلماء : ٨٨.

[121] –المصدر نفسه :٨٩.

[122] –المصدر نفسه : ٤٧–٤٨.

[123] –المصدر نفسه : ١٠٥–١٠٦، وانظر ايضاً تراجم مطوله ٤٠ و ٤٥.

[124] –المصدر نفسه : ٤٥، ٥٠ ، ٥٢ ،٥٣، ٧٠، ٧٥، .

[125] – المصدر نفسه : ٥٢.

[126] –المصدر نفسه : ٤٢، ٥٨ ،٥٩.

[127] –المصدر نفسه : ٤٥.

[128] –المصدر نفسه : ٦١.

[129] –المصدر نفسه : ٦٣.

[130] –المصدر نفسه : ٦٩.

[131] –المصدر نفسه : ٧٧.

[132] –المصدر نفسه : ١٧٠.

[133] – المصدر نفسه : ١١٠.

[134] –المصدر نفسه : ٥٧.

[135] –المصدر نفسه : ٤٩.

[136] – المصدر نفسه : ٤٩.

[137] – المصدر نفسه : ٥٠.

[١٣٨] –المصدر نفسه ، ينظر الصفحات :٤٧و ٥٠ و٦٣ و٦٦ و٧٠ و٧٧ و٨٧و ٩٧ و٩٩ و١٣٨ وهكذا اغلب صفحات الكتاب ، وقد يتكرر في الصفحة الواحدة عدة مرات كما انه ينسب الى الكوفة بتعابير اخرى كقوله من

[١٣٩] – المصدر نفسه : ٤٥ و ٧٠ و ٧٤ و ٩٨ و١٤٨ .

[١٤٠] – المصدر نفسه : ٦و ٦٢ و ١٢٦.

[١٤١] – المصدر نفسه : ٢٤.

[١٤٢] – المصدر نفسه : ٤٤.

[١٤٣] – المصدر نفسه: ١١٧.

[١٤٤] – المصدر نفسه:٤٠ و ٥٣ و ٦٠ و ٧٠ و ٨٢ و ١٣٣ و ١٤٤و ١٦٧.

[١٤٥] – المصدر نفسه:١٧١ و ١٧٢ .

[١٤٦] – المصدر نفسه:٦٢ و (شيخي) ٩١و (شيخ اهل اللغة) ٥٣.

[١٤٧] – المصدر نفسه: ١٨٦ و ١٨٤ و ١٠٧ .

[١٤٨] – المصدر نفسه:١٨٣.

[١٤٩] – المصدر نفسه:٦٩.

[١٥٠] – المصدر نفسه :١٨٤.

[١٥١] – المصدر نفسه: ١٨٤.

[١٥٢] – المصدر نفسه : ٨٠ و ١٤٥و ١٦٢ و ١٧٦ و ١٨٤ و (القاضي ببغداد) ص ١٦٣ .

[١٥٣] – المصدر نفسه :٧٣ و ١٨٣ و ١٨٤ و ١٨٦ .

[١٥٤] – المصدر نفسه : ١٨٣ و ١٨٤ و ١٨٦.

[١٥٥] – المصدر نفسه : ٧٨و ١٨٣.

[١٥٦] – المصدر نفسه :١٨٤و ١٨٥.

[١٥٧] – المصدر نفسه : ١٠٦.

[١٥٨] – المصدر نفسه : ١٤٢.

[١٥٩] – المصدر نفسه :١٤٢.

[١٦٠] – المصدر نفسه :٧٣.

[١٦١] – المصدر نفسه : ١٠٢.

[١٦٢] – المصدر نفسه : ٩١.

[١٦٣] – المصدر نفسه :١٣٩و ١٤٥.

[١٦٤] – المصدر نفسه : ١٦٣.

[١٦٥] – المصدر نفسه : ٦٤.

[١٦٦] – المصدر نفسه : ٩٤.

[١٦٧] – المصدر نفسه :١٢٥.

[١٦٨] – المصدر نفسه : ٦٢.

[١٦٩] – المصدر نفسه : ١٦١.

[١٧٠] – المصدر نفسه : ٦٠

[١٧١] – المصدر نفسه : ١٣١.

[١٧٢] – المصدر نفسه : ١٦٣.

[173] – المصدر نفسه : ١٦٨.

[174] – المصدر نفسه : ١٧٤.

[175] – المصدر نفسه : ١٣١

[176] – المصدر نفسه : ١٣٥.

[177] – المصدر نفسه : ١٠٧و (ياسين الضرير) ١٦٨.

[178] – المصدر نفسه : ١٧٤ و وابن الاحول ٨١.

[179] – المصدر نفسه : ٨٦.

[180] – المصدر نفسه : ١٢٧.

[181] – المصدر نفسه : ١٢٩.

[182] –الكشي ، محمد بن عمر بن عبد العزيز (ت ٣٦٩هـ) ، رجال الكشي ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، كربلاء (د.ت) : ٩.

[183] –العلامة الحلي ، خلاصة الاقوال في معرفة الرجال :٢.

[184] –اعتمدنا في معرفة الاصطلاحات على فوائد الوحيد البهبهاني ، وهو محمد باقر بن محمد اكمل البهبهائي الحائري (ت ٦١٢هـ) فوائد الوحيد البهبهائي ، النجف ، مطبعة الاداب ، ١٩٦٨.

[185] –والمقصود به انه عدل امامي او عدل ثبت (الوحيد البهبهائي ١٨) وانظر ابن شهر اشوب ، معالم العلماء : ٤٤، ٥٠ ، ٥١، ٥٣، ٥٥، ٦٣، ٧٣، ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٩٠، ٩٢، ٩٨، ٩٩، ١٠٧، ١٠٨، ١٢١، ١٦٠، وانظر اغلب صفحات الكتاب .

[186] – المصدر نفسه : ٦٦.

[187]– المصدر نفسه : ٦٤.

[188] – – المصدر نفسه : ١٠٨ و ١١٥ و ١٣١ .

[189] – المصدر نفسه : ٦٤ .

[190] – المصدر نفسه :١٢٩.

[191] – المصدر نفسه : ٧٠.

[192] – المصدر نفسه : ٨٥.

[193] – المصدر نفسه : ١٢٣ و ١٢٨ و ١٦٣ و ١٦٤.

[194] – المصدر نفسه : ٤٨ و ٥١.

[195] – المصدر نفسه : ٦٣.

[196] – المصدر نفسه : ٦٩.

[197] – المصدر نفسه : ١٣٠.

[198] – المصدر نفسه : ٦٧ و ١٦٧.

[199] – المصدر نفسه :٦٧.

[200] – المصدر نفسه : ١٥٠ .

[201] – المصدر نفسه :٥٥.

[202] – المصدر نفسه : ٦٦.

[203] – المصدر نفسه : ١١٦.

[204] – المصدر نفسه : ٦١.

[٢٠٥] – المصدر نفسه : ٥٩.

[٢٠٦] – يطلق الضعيف على من يروي من الضعفاء ويرسل الاخبار (الوحيد البهبائي ص ٣٧) انظر ابن شهر اشوب في معالم العلماء عمن قال عنه ضعيف او صفه بالضعف ٩٣ و ١١٢ و ١٣٧ و ١٧٦ .

[٢٠٧] – المصدر نفسه : ١٧٩.

[٢٠٨] – المصدر نفسه : ١٧٩ .

[٢٠٩] – المصدر نفسه :١٣٨.

[٢١٠] – المصدر نفسه : ١٦٢ و مثله (عامي المذهب وله كتاب) ص ٩٧.

[٢١١] – المصدر نفسه : ١٠٧.

[٢١٢] – المصدر نفسه : ١١١ .

[٢١٣] – المصدر نفسه : ٦٢.

[٢١٤] – المصدر نفسه : ١١٥.

[٢١٥] – المصدر نفسه : ١١٣.

[٢١٦] – المصدر نفسه : ٦٣ و ١٢٣.

[٢١٧] – المصدر نفسه : ١٠٧ و ١٧٦.

[٢١٨] – المصدر نفسه : ٨٨.

[٢١٩] – المصدر نفسه : ١٢٤ و ١٧٩.

[٢٢٠] – المصدر نفسه : ١٦٨.

[٢٢١] – المصدر نفسه : ٥٨ و كذلك يصف الراوي بانه (غال) ، ٩٧.

[٢٢٢] – المصدر نفسه : ٥٥ و ١٣٢ و كذلك (يرمى بالغلو) ، ١٣٧ .

[٢٢٣] – المصدر نفسه : ١٥٧ و (مختلط الامر) : ٤٦.

[٢٢٤] – مذهب الخمسة : ومعنى ذلك ان الغلاة ، لعنهم الله يقولون ان الخمسة هم الموكلون بمصالح العالم وهم سلمان الفارسي والمقداد وعمار وابو ذر وعمرو بن أمية الضميري ، البروجردي ، طرائف المقال : ٢/ ٢٤٣ ، ابن شهر اشوب ، معالم العلماء ، : ٩٩.

[٢٢٥] – الناوسية : من فرق الشيعة زعموا ان الصادق عليه السلام حي بعد ولم يمت حتى يظهر امره ويظهر ، وهو القائم المهدي وان عليا عليه السلام مات وستشق الارض قبل يوم القيامة فيملا الارض عدلاً ، البروجردي ، طرائف المقال :٢/ ٢٤٤، انظر ابن شهر اشوب ، معالم العلماء: ١١١.

المصادر والمراجع

الاردبيلي ، علي بن عيسى بن ابي الفتح ، (ت ٦٩٣هـ) .

١-كشف الغمة في معرفة الائمة ، دار الاضواء ، بيروت ، لبنان، ط٢، سنة ١٤٠٥.

الاردبيلي ، محمد بن علي (ت ١١٠١هـ)

٢-جامع الرواة وإزاحة الشبهات عن الطريق والإرشاد ، مكتبة المحمدي ، قم ، ١٣٠٤هـ .

الاميني ، الشيخ عبد الحسين الاميني ، (ت ١٣٩٢هـ)

٣-الغدير ، مطبعة دار الكتب العربية ، بيروت ، ط٤، ١٣٩٧.

بحر العلوم ، السيد محمد بحر العلوم (ت١٣١٣هـ)
٤-الفوائد الرجالية (رجال السيد بحر العلوم)، تحقيق : السيد محمد صادق بحر العلوم ، مكتبة الصادق ، المطبعة افتاب ، طهران ، ط١.
ابن البراج ، القاضي ، (ت ٤٨١هـ)
٥-المهذب ، تحقيق ، الشيخ السبحاني ، نشر : جامعة المدرسين ، قم ، سنة ١٤٠٦. البروجردي ، السيد علي اصغر الجابلقي ، (ت ١٣١٣هـ)
٦- طرائف المقال ، تحقيق : السيد مهدي المرعشي ، مكتبة اية الله العظمى المرعشي النجفي ، قم ، سنة ١٤١٠هـ .
البغدادي ،-اسماعيل باشا ، (ت ١٣٣٩هـ)
٧- هدية العارفين في اسماء المؤلفين واثار المصنفين ، مكتبة المثنى ، بيروت ، (د.ت) .
التفريشي ، مصطفى ، السيد ، (ت ق ١١هـ)
٨- نقد الرجال ، تحقيق : مؤسسة ال البيت عليهم السلام لاحياء التراث ، ط١ ، ١٤١٨هـ.
حاج خليفة ، مصطفى بن عبد الله الرومي (ت ١٠٦٧هـ)
٩- كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٣هـ ،
ابن حجر ، احمد بن علي بن محمد العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)
١٠- لسان الميزان ، طبعة (الاوفست) على طبعة حيدر اباد الدكن ،١٣٢٩ هـ ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ١٩٧١م.
الحر العاملي ، محمد بن الحسين بن علي ، (ت ١١٠٤هـ)
١١-امل الامل ، تحقيق : السيد احمد الحسني ، نمونة ، قم ، سنة ١٤٠٢ هـ ، دار الكتاب الاسلامي.
ابن حمزة الطوسي (ت ٥٦٠هـ)
١٢- الثاقب في المناقب ، تحقيق: الاستاذ نبيل رضا علوان ، مطبعة الصدر ، قم المقدسة ، ط٢ ، سنة ١٤١٢.
الخوانساري ، محمد باقر الموسوي الاصفهاني (ت ١٣١٣هـ)
١٣- روضات الجنات في احوال العلماء والسادات ، صححه وفهرسه : محمد علي الروضاني الاصبهاني ، طبع حجر ، الطبعة الثانية ، ايران ، سنة ١٣٦٧هـ .
ابن داود الحلي ، تقي الدين الحسن بن داود الحلي (ت ٧٠٧هـ)
١٤- الرجال ، النجف، المطبعة الحيدرية ، ١٣٩٢هـ،
الذهبي ، شمس الدين ابو عبد الله محمد بن احمد بن عثمان، (ت ٧٤٨هـ) ،
١٥- تاريخ الإسلام، تحقيق، عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي، بيروت.
١٦- سير اعلام النبلا ، تحقيق : شعيب الارنؤوط ، محمد نعيم العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ،الطبعة التاسعة ، سنة ١٤١٣.
الزركلي ، خير الدين ،
١٧-(الاعلام) قاموس تراجم لاشهر الرجال والنساء من العرب و المستعربين والمستشرقين ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٥ ، ١٩٨٠م .
سركيس ، يوسف اليان سركيس ،(ت ١٣٥١هـ)
١٨- معجم المطبوعات العربية والمعربة ، قم ، سنة ١٤١٠.

السمعاني ، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي (ت ٥٦٢هـ)
١٩-الانساب ، حيدر اباد الدكن ، الهند ١٩٦٤م .
السيد الخوئي، ابو القاسم الموسوي ، (ت١٤١٣هـ) ،
٢٠-معجم رجال الحديث،
السيد علي خان ، صدر الدين السيد علي خان المدني الشيرازي الحسيني، (ت ١١٢٠هـ)
٢١- الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة ، طبعة الثانية ١٣٩٧ .
السيد محمد حسين .
٢٢-سنن النبي (ص)، تحقيق : الشيخ محمد هادي الفقهي ، المطبعة :مؤسسة النشر الاسلامي ،سنة ١٤١٦هـ.
السيد محمد علي الموحد ، (معاصر)
٢٣-تهذيب المقال في تنقيح كتاب الرجال ، مطبعة سيد الشهداء ع ، قم، ط١ ، سنة ١٤١٢ .
السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن (ت ٩١١هـ) .
٢٤-بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، مطبعة السعادة ، مصر ،١٣٢٦هـ .
الشريف المرتضى ، ابو القاسم علي بن الحسين الموسوي ، (ت ٤٣٦هـ).
٢٢-مسائل الناصريات ، تحقيق: مركز البحوث والدراسات الاسلامية ، طهران ، الطبعة ، ١٤١٧هـ.
ابن شهر اشوب، محمد بن علي (ت ٥٨٨هـ) .
٢٦- معالم العلماء ، المطبعة الحيدرية ، النجف ، سنة ١٣٨٠هـ،
٢٧-مناقب ال ابي طالب، تحقيق: لجنة من الاساتذه ، المطبعة الحيدرية، النجف الاشرف ، سنة ١٣٧٦هـ.
الصفدي ، صلاح الدين خليل بن ايبك (ت ٧٦٤ هـ) .
٢٨- الوافي بالوفيات ، تحقيق : جمعية المستشرقين الالمانيين ، استانبول ، ١٩٣٠م .
الطباطبائي ، السيد علي الطباطبائي ،(ت ١٢٣١هـ)
٢٩- رياض المسائل ، تحقيق : مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم ، الطبعة الاولى ، سنة ١٤١٢هـ .
الطريحي ، فخر الدين النجفي ، (ت ١٠٨٩هـ)
٣٠-جامع المقال فيما يتعلق باحوال الحديث والرجال ، تحقيق : محمد كاظم الطريحي ، مطبعة حيدري ، طهران ، (د.ت).
الطهراني ، محمد محسن المعروف باغا بزرك ، (ت ١٣٨٩هـ) .
٣١- الذريعة الى تصانيف الشيعة ، نشر دار الاضواء الطبعة الثانية ، بيروت ، سنة ١٠٤٣.
الطوسي ، ابو جعفر محمد بن الحسن ، (ت ٤٦٠هـ) .
٣٢- الرجال ، تحقيق: محمد صادق بحر العلوم ، المطبعة الحيدرية، النجف ،سنة ١٣٨٠هـ.
العاملي ، محمد بن عبد الكريم الامين (ت ١٣٧٢هـ).
٣٣- أعيان الشيعة ، دار المعارف للمطبوعات ، بيروت ، ١٢٠٦ هـ .
العلامة الحلي، الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر الحلي المعروف بالعلامة (ت ٧٢٦هـ)
٣٤-ايضاح الاشتباه ، تحقيق: الشيخ محمد الحسون ، المطبعة مؤسسة النشر الاسلامي ، قم ،الطبعة الاولى ، سنة ١٤١١هـ.
٣٥- خلاصة الاقوال، المطبعة الحيدرية،النجف ، الطبعة الثانية ، ١٣٨١هـ .

عمر رضا كحالة ، الدكتور .
٣٦- معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية ، دار احياء التراث العربي ، بيروت .
فضل الله ، السيد الامام ضياء الدين ابي الرضا فضل الله ، (ت ٥٧١هـ) .
٣٧-كتاب النوادر ، تحقيق : سعيد رضا علي عسكري ، دار الحديث ، ط١، سنة ١٤٠٧،.
القمي ، عباس الشيخ (ت ١٣٣٣هـ) .
٣٨-الكنى والالقاب ، مطبعة العرفان ، صيدا ، ١٩٣٩م .
الكشي ، محمد بن عمر بن عبد العزيز (ت ٣٦٩هـ)
٣٩- رجال الكشي ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، كربلاء ،(د.ت).
الشيخ علي النمازي الشاهرودي، (ت ١٤٠٥هـ) .
٤٠- مستدرك سفينة البحار، تحقيق: الشيخ حسن بن علي النمازي، مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدريسن ، قم المشرفة.
المحقق النراقي، الشيخ احمد النراقي ، (ت ١٢٤٥هـ) .
٤١-عوائد الايام ، مطبعة الغدير، بقم ، الطبعة الثالثة ، سنة ١٤٠٨هـ
المجلسي، محمد باقر المجلسي ، (ت ١١١هـ) .
٤٢-بحار الانوار، مؤسسة الوفاء ن بيروت ، لبنان ، ط٢، سنة ١٤٠٣هـ ،
منتجب الدين، الشيخ منتجب الدين علي بن بابويه الرازي ، (ت٥٨٥هـ) .
٤٣- الفهرست ، تحقيق : سيد جلال الدين ارموي ، كتابخنه عمومي ايه الله المرعشي ، النجفي ، قم ، ط١سنة ١٣٦٦.
الميرزا القمي ، الميرزا ابو القاسم القمي ، (ت ١٢٢١هـ) .
٤٤-غنائم الايام في مسائل الحلال والحرام ، تحقيق: عباس تبريزان ، المطبعة : مكتب الاعلام الاسلامي ، خراسان ، ط١ ، سنة ١٤١٧هـ.
الميرزا النوري (ت ١٣٢٠هـ) .
٤٥- خاتمة المستدرك ،تحقيق: مؤسسة ال البيت عليهم السلام لاحياء التراث، مطبعة :سيد الشهداء، قم ،ط١،سنة ١٤١٥هـ.
الوحيد البهبهاني ، محمد باقر بن محمد اكمل البهبهائي الحائري (ت ١٢١٢هـ) .
٤٦-فوائد الوحيد البهبهائي ، مطبعة الاداب ، النجف ، ١٩٦٨.
ياقوت الحموي ،شهاب الدين بن عبدالله الحموي ، (ت ٦٢٦هـ)
٤٧-معجم البلدان ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، (د.ت).

الحُلِيّ في ضوء المصادر المدونة

Ornaments in The Light of Written Sources

بروج فالح مهدي الياقوت

أ.م. د. فيحاء مولود علي

جامعة بغداد / كلية الآداب / قسم الآثار

bobosabah@yahoo.com

الحُلِيّ في ضوء المصادر المدونة
Ornaments in The Light of Written Sources

بروج فالح مهدي الياقوت
أ.م. د. فيحاء مولود علي

الملخص

ترك لنا سكان بلاد الرافدين العديد من النصوص المسمارية المدونة على ألواح الطين والحجر وغيرها من المواد وجدت مطمورة في التلول الأثرية، وقد قسمت هذه النصوص إلى نصوص أدبية شملت (الاساطير والملاحم والقصائد والاناشيد)، والرقى والتعاويذ ونصوص سياسية (رسائل ومراسلات ملكية)، ونصوص قانونية فضلاً عن نصوص أخرى شملت (نصوص عقد الزواج ونصوص إدارية خاصة بالمعبد ونصوص اقتصادية). هذه مكنت الباحثين من الكشف عن الحياة الروحية لسكان بلاد الرافدين. وقد كشفت النصوص أن التزين بالحُلِيّ له أغراض متعددة، ويعتمد الغرض فيها على فكرة الكاتب في النص الأدبي، إذ لوحظ أن الحُلِيّ كانت جزءاً من طقس ديني ترمز فيه إلى المرتبة الكهنوتية أو السلطة الدينية وفي الوقت نفسه كانت الحُلِيّ واحدة من طرائق التجمل للعروس إحتفاءً بعريسها ولا ريب أن مكانة العريس تؤثر في حجم ونوع هذه الزينة، أو إنها قدمت بوصفها هدايا بين المحبين، فضلاً عن استعمال الحُلِيّ في الاستعارة اللغوية والتشبيه.

Abstract

The inhabitants of Mesopotamia left many cuneiform texts inscribed on clay tablets, stone and other materials, which found buried in the archaeological mounds. These texts were divided into literary texts that included (legends, epics, poems, and chants), incantations, exorcisms and political texts (royal letters), and legal texts In addition to others like (the texts of the marriage contract, administrative texts specific to the temple and economic texts). These texts enabled researchers to reveal the spiritual life of Mesopotamia. The texts revealed that adorning the jewelry with multiple purposes, the purpose of which depends on the idea of the writer in the literary text, as it was noted that the jewelry was part of a religious ritual in which it symbolized the priestly rank or religious authority, and at the same time the jewelry was one of the ways of beautification of the bride to celebrate her bride and not There is no doubt that the groom's position affects the size and type of this adornment, or that it was presented as gifts between the lovers, as well as the use of jewelry for linguistic metaphor and simile.

النصوص الأدبية [١]:

تعد النصوص الأدبية واحدة من المصادر المهمة التي تساعدنا في رسم صورة واضحة عن طبيعة الحياة بكل تفاصيلها في بلاد الرافدين فجاءت هذه النصوص الأدبية ترسم الخطوط العريضة لأفكار وممارسات وسلوكيات الإنسان وقيمه ومزاجه، مبلوراً بذلك عاداته وتقاليده واعرافه، ومن هنا نجدها تحظى بأهمية بالغة في صنوف المصادر المدونة. ولقد اجمع الباحثون في تأريخ الحضارات القديمة أنَّ أدب حضارة بلاد الرافدين أقدم أدب أنتجه الإنسان، والذي كان أولى المحاولات للتعبير عن الحياة وقيمها بأسلوب أدبي[٢]. ويرقى تاريخ أقدم النصوص الأدبية إلى أواسط الألف الثالث ق.م، بحدود ٢٤٠٠ ق.م [٣]. وقد تناولت النصوص السومرية والبابلية الأدب بنوعيه الشعر والنثر مواضيع عديدة مثل الأساطير المتعلقة بخلق الكون والإنسان والظواهر الطبيعية وأساطير الموت والعالم السفلي وملاحم البطولة وتآليف لها طابع الحكمة كالأمثال والنصائح والمناظرات الفلسفية، كما كتبوا التراتيل والأدعية والصلوات فضلاً عن مجموعة من قصص الغزل والفكاهة وغيرها من مجالات الأدب المعروفة التي يصعب حصرها [٤].

وفيما يأتي إشارة إلى المواضع التي ذكرت فيها الحُلِيّ والمجوهرات واستعمالاتها في هذه النصوص.

أ. الأساطير [٥]:

يعد الأدب الأسطوري صفة مميزة لأدب بلاد الرافدين، ولقد آلت ألينا أساطير كثيرة تعكس تأملات وحكمة الإنسان كونها وسيلة للتعبير عن المواقف والأفكار التي تعالج مشكلاته مع الطبيعة [٦].

ومن الأساطير التي ورد فيها ذكر الحُلِيّ والمجوهرات:-

أولاً: أسطورة الخليقة [٧]

تصف الأسطورة في الجزء الخاص المسمى عرس الأرض والسماء، تزين الأرض كعاشقة تنتظر حبيبها، مكتسية بأبهى حللها، للاستعداد للاقتران بعريسها العالم السماوي[٨]. إذ نقرأ:

"الأرض الفسيحة المسطحة لبست تألقها،

جملت ببهجة جسدها.

الأرض العريضة، **بالمعدن الثمين واللازورد**

زينت جسدها

تبرجت بالينع والعقيق الأحمر البراق

زينت السماء رأسها بأوراق الشجر

وظهرت، كأنها الاميرة." [٩]

ثانياً: اسطورة نزول اينانا / عشتار إلى العالم السفلي [١٠]

أدت الحُلِيّ دوراً بارزاً، كما جاء في هذه الأسطورة، إذ تصف زينة الالهة اينانا/عشتار التي اشتهرت بها والقائمة على النواميس المقدسة السبعة، فتزينت بها استعداداً للهبوط إلى العالم السفلي، والتي

أخذت تتجرد منها تدريجياً عند كل بوابة من البوابات السبع، وعندما سألت اينانا/عشتار عن سبب تجريدها من حُليها فكان الجواب بأنها قوانين العالم السفلي، إذ يجب أن تدخل من دون زينة[١١]. كما جاء في النص:

"امسكت الصولجان اللازوردي بيدها
وربطت حول عنقها أحجاراً صغيرة من اللازورد
الأحجار المتلألئة وضعتها على صدرها
ووضعت سواراً من الذهب في معصمها"[١٢]

وعند وصولها إلى العالم السفلي تطلب من الحارس فتح بوابة اللاعودة، فيستشير الحارس سيدته ايرشكيكال، فتأمره بفتح البوابة على أن تعامل على وفق نظام العالم السفلي، وعند دخول اينانا/عشتار إلى بوابات العالم السفلي يبدأ بتجريدها من حُلِيّها[١٣]، إلى ان تصبح عارية تماماً عند البوابة السابعة (الأخيرة)، وإنَّ نواميس العالم السفلي تحرم على من ينزل إليه ارتداء الثياب والتزين بالحُلِيّ واستعمال الطيب [١٤]، كما جاء في النص (النسخة السومرية)

" وعند دخولها الباب الثالث انتزعت منها **أحجار اللازورد الصغيرة التي تربط عنقها**
لم فعلت هذا؟
يا (انانا) لقد نفذت مراسيم العالم الأسفل كما ينبغي
يا (انانا) لا تجادلي في شعائر العالم الأسفل
وعند دخولها الباب الرابع انتزعت منها **الأحجار المتلألئة التي وضعتها على صدرها**
لم فعلت هذا؟
يا (انانا) لقد نفذت مراسيم العالم الأسفل كما ينبغي
يا (انانا) لا تجادلي في شعائر العالم الأسفل
وعند دخولها الباب الخامس انتزع **السوار الذهبي من معصمها**
لم فعلت هذا؟
يا (انانا) لقد نفذت مراسيم العالم الأسفل كما ينبغي
يا (انانا) لا تجادلي في شعائر العالم الأسفل" [١٥]... البوابة السابعة

أما النسخة البابلية من الأسطورة [١٦] فهي على غرار النسخة السومرية في خطوطها العامة ومعظم تفاصيلها، إذ إنَّ النص البابلي يقتبس حرفياً الكثير من مقاطع النص السومري، إلا أن النص البابلي اقصر بكثير ويختصر الكثير من التفاصيل، أما الفرق الأساس بين النصين تكشف عنه النسخة البابلية وهو سبب هبوط اينانا / عشتار إلى العالم السفلي وذلك لتحرير زوجها الأسير (دموزي) وتعيده إلى

الحياة، في حين لم تظهر النسخة السومرية سبب نزولها، بينما كان من نتائج الهبوط والصعود هو ارسال زوجها إلى العالم الأسفل لينوب عنها.[١٧] وفيما يأتي جزء من النص الذي ورد فيه ذكر الحُلِيّ:-

" ولما تركها تعبر البوابة الثانية انتزع **الاقراط** من أذنيها.

لماذا يا حارس البوابة نزعت **الاقراط** من اذني؟

" ادخلي سيدتي فهذه شرائع هذه الأرض"

ولما تركها تعبر البوابة الثالثة، انتزع عن جيدها **عقد اللآلئ**

" لماذا يا حارس البوابة انتزعت عن جيدي **عقد اللآلئ**؟"

" ادخلي سيدتي فهذه شرائع ربة هذه الأرض"

ولما تركها تعبر البوابة الرابعة نزع عن صدرها **الحُلِيّ**

"لماذا يا حارس البوابة نزعت عن صدري **الحُلِيّ**؟"

" ادخلي سيدتي فهذه شرائع ربة هذه الأرض "

ولما مر بها عبر البوابة الخامسة نزع من خصرها حزام أحجار الولادة.

" لماذا يا حارس البوابة نزعت عن خصري حزام أحجار الولادة؟"

" ادخلي سيدتي فهذه شرائع ربة هذه الأرض ".

ولما تركها تعبر البوابة السادسة نزع عن **رسغيها وقدميها الأساور**.

" لماذا يا حارس البوابة نزعت عن رسغي وقدمي **الأساور**؟"

" ادخلي سيدتي فهذه شرائع ربة هذه الأرض"... البوابة السابعة. [١٨]

وعند تهيء الالهة انانا / عشتار للخروج من العالم السفلي والعودة إلى مملكتها في السماء (في كلتا النسختين السومرية والبابلية)، تمر بالبوابات السبع التي دخلت منها، إذ يعاد اليها عند كل بوابة ما أُخذ منها من حُلي وثياب [١٩]، ومن الجدير بالذكر أن الآلهة عشتار نعتت بأم القلادات والحُلِيّ [٢٠].

ثالثاً: أسطورة ننورتا وطائر الأنزو (أمدكود)[٢١]

من الحُلِيّ المعروفة تاج السيادة للإله إنليل التي سرقها حاجب القاعة الداخلية الطائر انزو مع ألواح القدر طمعاً في السلطة المطلقة على الطبيعة والآلهة عندما كان الإله غافلاً عنها وهو يستحم بالماء المقدس كما ورد في النص:-

فرأت عينا انزو **حُلي** سلطة إنليل ورموزها،

رأى تاج السيادة وثوب القداسة، وألواح القدر بين يديه[٢٢].

رابعاً: أساطير اينانا ودموزي

اينانا بين الفلاح والراعي:

هذه الأسطورة تمثل أنموذجاً آخر لقصة (قابيل وهابيل) [٢٣]، وهي إحدى التآليف السومرية التي دونت بهيئة حوار في النصف الأوّل من الألف الثاني ق.م، ذكر الأديب الحوار ما بين الالهة اينانا وبين أخيها أوتو عندما حاول أن يقنعها بالزواج من الراعي (دموزي) الذي تقدم لخطبتها بدلاً من الفلاح انكيميدو [٢٤].

يا انانا ! تزوجي من الراعي دموزي، انت التي تتزين **بالأحجار الكريمة** " **انو**" و "**شوبا**" [٢٥] لمَ ترفضينه ؟ انت حامية الملوك، لمَ ترفضيه ؟

وفي موقع آخر (أوتو) إلى (اينانا) قائلاً: يا (انانا)، ان (دموزي) الذي يملك الشي الكثير.... لديه **الجواهر** الكثيرة **والأحجار الكريمة** فلماذا تصدين عنه ؟ [٢٦]

وقد استعملت الحُلِيّ في الاستعارة اللغوية، ففي أسطورة قصاص بستاني انكي الذي اغتصب اينانا التي تعود إلى الثلث الأوّل من الألف الثاني ق.م، والذي وصلنا على لوحين[٢٧]، اللوح الثاني من هذه الأسطورة الغراب وخلق شجرة النخيل السطر (٨٢) يُشَبّه الكاتب تمر النخلة الذي سيوضع بوصفه قرابين في المعابد بالأقراط قائلا[٢٨]:

مُبارك هو وجودها في الأرض الملكية: سعفها سترافق التنسيقات الملكية

واقراط تمورها بين سعفها الكثيفة سوف توضع كتقدمات

ب. الملاحم [٢٩]:

تعد الملاحم الصنف الثاني من النصوص الأدبية، وهي القصص والملاحم الخاصة بالبطولة والابطال، وكانت من المواضيع البارزة في أدب بلاد الرافدين[٣٠]، وقد ورد ذكر الحُلِيّ في بعض هذه الملاحم ومنها:

أولاً: ملحمة كلكامش [٣١]

تعد من الملاحم التي وضعها الباحثون ومؤرخو الأدب بين شوامخ الأدب العالمي والتي عرفت بـ أوديسا العراق الخالدة، وهي أقدم نوع من أدب الملاحم البطولية في تأريخ جميع الحضارات[٣٢]، ونقرأ بين ثنايا هذه الملحمة إشارات عن استعمال الحُلِيّ، بدايةً عندما يعزم كلكامش وصديقه انكيدو على قتل الوحش خمبابا في غابة الأرز، فيقرر كلكامش أن يأخذ نصيحة والدته ننسون[٣٣] فيقول لانكيدو: "ننسُن حكيمة وعارفة بجميع الأمور ستضع اقدامنا على الخطى الصحيحة بنصحها" [٣٤]، وعندما يخبرها بما عزم يطلب منها أن تشفع له وتصلي من أجله عند "شمش"، كما جاء في النص الاشوري العمود الثالث:-

" وإذا دخلت " ننسون " حجرتها وارتدت حِلة تليق بجسمها **وازينت بحلى** تليق بجسمها

ووضعت على رأسها تاجها ثم ارتقت إلى السطح وتقدمت إلى " شمش" واحرقت البخور " [٣٥]

ومن النص السابق نرى أحد أوجه التزين والتحلي التي تخص العبادة، إذ تهيأت والدة كلكامش للمثول أمام الاله شمش للتضرع والدعاء، وهي بأحلى وأبهى منظر.

وعند انتهاء ننسون تضرعها للإله تدعو انكيدو إليها وتكلمه مذكرة إياه بأنه ليس من رحمها ولكن من تلك اللحظة يكون بمنزلة كلكاكش وتعلق حرزاً على رقبته [٣٦]. يوثق تبنيها له ابناً، كما جاء في العمود الرابع من اللوح السادس في النص الاشوري:

" ودعت اليها انكيدو وأوصته قائلة:

يا انكيدو القوي، الذي ليس من رحمي، قد اتخذتك من الان ولداً

ثم قلدت عنقه بقلادة جواهر لتكون موثقاً منه

وقالت له:- ها انني ائتمنتك على ولدي فأرجعه الي سالماً" [٣٧]

وهنا تتجلى انبل أشكال الحب الذي لا يصدر إلا عن نفس جليلة والذي يعبر عن مغزى عميق ورفيع والذي جعل لكلكامش أخاً لم تلده أمه [٣٨].

أما الموضع الآخر الذي ورد فيه ذكر الحُلِيّ من ملحمة كلكامش اللوح السابع من النسخة الاشورية، حينما ندم انكيدو على كيل اللعنات للبغي فبدلها بركات [٣٩]، كما جاء في النص:

" سيحبك الملوك والامراء والعظماء ولن يضرب أحد فخذه مستعيباً اياك

ومن اجلك سيهز الشيخ لحيته وسيحل الشباب احزمتهم من اجلك

(وسيقدمون) لك اللازورد والذهب والعقيق" [٤٠]

وهذا يبين أنَّ التزين بالحُلِيّ والهدايا المقدمة لم تقتصر على الآلهات والملكات وانما شمل أيضا بنات البغاء[٤١].

ثانياً: ملحمة الطوفان:

كما ورد ذكر الحُلِيّ في ملحمة الطوفان في جزءٍ من ملحمة كلكامش، عندما رفعت الالهة العظيمة عشتار الحُلِيّ وأعلنت[٤٢]، يجب أن لا أنسى عقد اللازورد الخاص بي، سوف أتذكر وبالتأكيد لن أنسى (هذه الأيام)[٤٣] كما جاء في النص:

" شهرت **عقد** "**الذبابات**"[٤٤] العظيم الذي وضعه لها آنو أيام المداعبات

(وأعلنت): أيها الآلهة الحاضرون هنا: كما انني لا أنسى قط **أحجار اللازورد هذه التي في جيدي،**

سأظل اتحسس إلى الابد هذه الأيام المشؤومة: ولن أنساها! " [٤٥]

وهنا جعلت الالهة عشتار قلادتها التي صنعها لها والدها " آنو " بمثابة العهد أو الموثق تتذكر به كارثة الطوفان فلا يتكرر. ومن الجدير بالذكر أن مقتنيات المقبرة الملكية في أور كشفت عن عقد ذي خرز على هيئة الذباب.

جـ. القصائد والاناشيد:

وهي القصائد والأناشيد التي تدور أغلب مواضيعها عن شعائر الزواج الإلهي أو الزواج المقدس (sacred marriage) [٤٦] أي الزواج بين إله وآلهة الخصب وقيام الحاكم أو الملك وكاهنة عليا لتمثيل الالهة بالاقتران الذي ينتج من خلاله إحلال الخصب والخير للبلاد، ويقام الاحتفال سنوياً في موسم الربيع[٤٧]. وقد صيغت هذه القصائد غالباً على هيئة حوار مصاحب بعزف موسيقي، إنَّ غالبية هذه القصائد تعود إلى اينانا ودموزي [٤٨]. وبعض آخر من الأناشيد جاءت على شكل أناشيد دينية وتراتيل، وفيما يأتي عرض للأناشيد أو القصائد التي ورد فيها ذكر الحُلِيّ.

أولاً: أناشيد الزواج المقدس

في نشيد غنائي يصف موافقة اينانا بالزواج من الراعي (دموزي) والحصول على موافقة والديها على اختيارها، وحين يأتي دموزي لزيارة اينانا نرى تشجيع والدتها نينجال لإدخال العريس وعندئذ تستعد اينانا لاستقبال حبيبها بناءً على أمر أمها، إذ تستحم وتعطر جسدها وتمشط شعرها واخيراً تتزين بالجواهر والحُلِيّ، وهنا يظهر أثر هاجس حب الجواهر في عملية تزيين الالهة في قصائد الحب، وعلى وفق ما جاء بالنص:

وإنانا بناءً على أوامر أمها استحمت ودلكت جسدها بدهون ناعمة
لبست الرداء الملكي الكريم، اخذت الـ... من بائنتها؛
ووضعت حول عنقها **(عقداً) من اللازورد** كما اطبقت بيدها على ختمها [٤٩]

وفي ليلة العرس الموعودة يأتي دموزي محملاً بهدايا الزواج النفيسة بينما اينانا تتهيأ وتضع زينتها على وفق النص الأتي:

كحلت عيني بالأثمد وصففت شعري؛ ووضعت **سوار فضة** في معصمي، **وطوقت عنقي بعقد خرز صغير** [٥٠]

وفي حوار بين الحبيبين وبين الحبيبة ومرافقاتها، وهي تتحدث عن شوقها للقاء الحبيب (العريس)، تصف لنا اينانا وتعدد تفاصيل استعدادها بالاستحمام والتبرج والتمشيط ووضع المجوهرات للقاء الحبيب.[٥١] كما ورد في النص:-

مشطت خصل شعري غير المرتبة:
انا اعرف **المشبك ودبوس الشعر** اللذين يعجبانه، على رأسي، رطبت شعري المجعد
وجملت جدائلي المشتته، لكي تغطي نقرتي ولبست في معصمي **أساور من فضة**
كما ربطت حول عنقي **عقداً من اللآلئ الصغيرة** وأصلحت في مقدمة رقبتي موضع **الجوهرة المتدلية**[٥٢]

وتصف النصوص المسمارية استقبال الكاهنة زوجها الملك وهي في أجمل الثياب وأبهى الزينة وأغلى الحلل، إذ كانت تستعد فتغتسل بالماء والصابون وتتطيب وتتعطر وتتزين بالكحل ثم ترتدي الثياب النفيسة وتلبس الأساور والخواتم والقلائد المصنوعة من الذهب والأحجار النفيسة[٥٣]. ففي احدى أغاني مراسيم الزواج المقدس والتي كانت جزءاً من سلسلة من الطقوس، هناك وصف بتفصيل كبير للحُلِيّ المختلفة التي تزين إنانا أجزاء مختلفة من جسدها قبل مقابلة عريسها دموزي، وهي جزء من الهدايا المقدمة من العريس:[٥٤] حبات للأرداف ورأسها، وحجارة اللازورد اللاصقة على مؤخرتها، والحُلِيّ الذهبية على شعرها، وخواتم الانف والاقراط، وغير ذلك[٥٥].

"اختارت **اينانا اللازورد لتزين صدرها**

واللؤلؤ البيضوي لتزين راسها وردفيها، **وأحجار اللازورد** لعقيصة شعرها،

واقراط ذهبية لاذنيها... **وحجر من المرمر** اللماع لسرتها و.... لفرجها" [٥٦]

يتضح مما سبق أن التزين بالحُلِيّ كان من أساسيات مراسيم الزواج المقدس الذي مثلته الالهة عشتار أو احدى الكاهنات البديلة لإضفاء الطابع الجمالي وجذب الحبيب والظهور بأبهى صورة فتضع العروس على جسدها مختلف الأنواع من الأحجار النفيسة والمجوهرات والحُلِيّ واللآلئ استعداداً لزفافها وهذا التقليد سائد في الاعراس إلى وقتنا الحاضر. وفي أغنية تنشدها الملكة للملك شو – سن، نرى الاستعارة اللغوية، فتقول انت دبوس عمامتي وهنا أدبياً بمعنى الذي يسترني، ومن ثم تشبهه وتقارنه بالجواهر والحُلِيّ التي صنعت من حرفي ماهر، كما جاء في النص:

أنت **دبوس** عمامتي، **وذهبي** الذي ارتديه،

وحليتي التي صممها حرفي ماهر، عملت حلية بلدي من قبل حرفي مبدع! [٥٧]

وفي تأليف أدبي آخر وهو عبارة عن رسالة من شخص يدعى (لو – دينكيرا lú – dingira) إلى والدته عن طريق احد السعاة[٥٨]، ويتكون هذا التأليف الأدبي من خمسة مقاطع تدور بشأن وصف ام لو–دينكيرا فيصفها ويشبهها بالحُلِيّ والجواهر دليل على جمالها ونقائها ولطفها[٥٩]، وجاء في المقطع الثاني:

"دعني اعطيك وصفاً اخر لأمي

نجمة الصبح تشرق حتى وقت المساء عقيق احمر ثمين هي توباز[٦٠] من... marhasi[٦١]

هي **مجوهرات** مملوءة بالجمال هي ختم اسطواني من حجر nir هي **حلية** مثل الشمس

هي **سوار** من القصدير من حجر atasura هي كتلة من ذهب لامع" [٦٢]

كما أعطيت الجواهر والحُلِيّ بوصفها هدايا في مناسبات معينة [٦٣]، ففي أحد أناشيد الحب والغزل يقدم الملك شو–سين هدايا نفيسة إلى الكاهنة المنذورة كوباتم ku-ba-tum [٦٤] تكريماً على امتداحه

بأغنية عذبة [٦٥]، وتبدأ أغنيتها بتمجيد ميلاده، ثم تخاطب ملكها وتذكر لنا الهبات والهدايا النفيسة التي أغدقها عليها من القلائد والاختام[٦٦]:

" لأنني فهت بها، لأنني قلتها، أكرمني المولى بهبته،

لأنني أنشدت اغنية الـ " الاري "، خصني المولى بهبة.

قلادة من الذهب، وخاتم من اللازورد، اعطاني المولى هدية،

حباني المولى **بخاتم من الذهب، وخاتم من الفضة**،

يا سيدي أن هباتك ملأى بـ.. ارفع وجهك إليَّ – أيها المولى.. أيها المولى.. " [٦٧]

ثانياً: إنشودة إلى عشتار

ومن الأناشيد قطعة غنائية تعود إلى العصر البابلي القديم بحدود ١٦٠٠ ق.م، نظمت زمن الملك ايمي – ديتانا[٦٨]، وتعدّ من الأناشيد الدينية لتمجيد الآلهة عشتار[٦٩]. وربما ان الترتيلة كانت تغنى أمام الحضور لأنها تنتهي ببيتين من الشعر كان الحاضرون يرددونها جماعياً [٧٠]، وفي مقطع منها يصف الالهة بمظهرها المتألق وزينتها وجواهرها كما جاء في النص:- ((بمظهرها تتفتح الضحكات، أنها مزينة بأبهة، وتستريح **الجواهر** على رأسها، ألوانها جميلة، عيناها تدغدغان بألق، يا للإلهة ! انما المشورة بقربها. تمسك بيدها حظ جميع الأشياء)) [٧١].

ثالثاً: ارتقاء عشتار[٧٢]

وفي إنشودة أخرى للآلهة عشتار عرف بنشيد الارتقاء، يروي كيف أنَّ الآلهة إنليل وأيا منحوا عشتار صلاحياتهم وجعلوها تحكم إلى جانب كل منهم، وأشاد النشيد بمزايا الالهة الحربية والقتالية فضلاً عن تمجيدها: ((زين شخصها بثوب الالوهية المتألق بشعاع سين اللامع جعلها تتلألأ مثل النهار بزينات رائعة وبحلى إلهية))[٧٣].

الرقى والتعاويذ:

يطلق عليه في النصوص المسمارية مصطلح الرقى أو التعاويذ (incantation)[٧٤]، وكانت التعاويذ تتلى في اثناء اجراء العمليات السحرية المصاحبة للتبخير وسكب الماء المقدس ورشِّه، كما ان الكثير من هذه النصوص كانت تنقش بهيئة تعاويذ أو حروز من الحجر تعلق بهيئة دلايات في الرقبة، وخصص جزء منها للأطفال لدرء خطر أضرار الشياطين [٧٥]. كما تشير النصوص إلى أن بعض الحُلِيّ تمتلك خصائص سحرية فعلى سبيل المثال النساء الحوامل يرتدين تميمة الشيطان بازوزو لحماية الجنين.[٧٦]

النصوص السياسية (رسائل ومراسلات ملكية):

للرسائل أهمية كبيرة في تسليط الضوء على العديد من جوانب الحياة المهمة للناس وفي المجالات كافة، فمنها رسائل شخصية كثيراً ما تحمل شكاوي من المواطنين إلى الملوك، وأخرى رسمية تتضمن

توجيهات الملوك إلى حكام المدن والمقاطعات بخصوص قضايا متعددة منها الاقتصادية للدولة كالغنائم والضرائب والجبايات والهدايا والنذور وغيرها[٧٧]. ولقد وردت العديد من الرسائل الرسمية التي جاء فيها ذكر للحُلِيّ والجواهر، إذ قدمت وتبادلت بوصفها هدايا بين ملوك بلاد الرافدين، لتوطيد العلاقات الدبلوماسية بين البلدان، كما قدمت مهراً للزواج في المصاهرات (الزيجات) السياسية[٧٨].

– **رسالة من بورا بورياش**[٧٩] **ملك بلاد (كردونياش) إلى امنحتب الرابع (نبخريا) ملك مصر** يذكره بالعلاقات الحسنة القديمة بين المملكتين، ويعاتبه على التوقف عن تبادل الهدايا، ورداءة الذهب المرسل إليه، ويطلب منه ارسال تمثال له بسرعة، ويُلَمح إلى اعجابه بأبنته مياتي،[٨٠] ويرسل إليها هدية عبارة عن **عقد من الجعلان**،[٨١] كما جاء في النص: ((ارسل اليك كهدية سلام ٢ مانا من اللازورد. أما ابنتك مياتي فقد سمعت بها، وارسل اليها كهدية سلام **عقداً** من الجعلان (المصنوعة) من اللازورد، عددها ١٠٤٨ (جُعلاً)))[٨٢].

وفي رسالة أخرى من بورنا بورياش، ملك بابل إلى امنحتب الرابع، ملك مصر، لقد أرسلت إلى اخي **٤ مناً من اللازورد الجميل** كهدية روتينيه كذلك أرسل أخي ٥ فرق من الخيول [٨٣].

ومن ضمن الرسائل قائمة تتضمن ذكر مواد متنوعة أرسلت مع الاميرة البابلية العروس (ابنة بورنا بورياش) بوصفها تجهيزات نذكر منها ما يتعلق بالحُلِيّ [٨٤].

عقود بهيئة قطع البلح، من العقيق الأحمر، (مع؟) خرزات من نوع ziminzu [٨٥].

... [بهيئة] ورقة نبات ذهبية، من اللازورد الجبلي و[حجر muššāru] [٨٦].

مشابك من العاج، مشبك منها من خشب الابنوس.

وفي قائمة هدايا أرسلت من (نبخوريا) ملك مصر إلى بورنا بورياش ملك بابل تبين أنواع عديدة من الحُلِيّ... خواتم كبيرة، من الذهب،..... خواتم مغطاة بالذهب،..... أساور من الذهب، مرصعة اسمها Puati، ١٩ خاتماً، من الذهب للأصابع، ٣ (ازواج) من الأحذية، من الذهب، ١٠ أساور واسعة بها حجارة معلقة اسمها mahda، ٣ (ازواج) من الخلاخيل الذهبية، بها حجارة معلقة[٨٧].

وفي رسالة من آشور أوبلط (الأوّل) [٨٨] ملك بلاد آشور إلى امنحتب الرابع ملك بلاد مصر، يعبر فيها عن رغبته في توثيق العلاقة بالبلاط المصري، أملاً في كسب شريك قوي لمواجهة الحثيين، ويرسل إليه هدية سلام، عربة خشبية جميلة، حصانين، **خرزة بهيئة البلح من حجر اللازورد الأصلي**[٨٩].

وفي رسالة كتب شمشي – أدد [٩٠] خطاباً إلى ابنه يسمخ ادد يوصيه بإتمام متطلبات الخطوبة وتقديم المهر وحلقة الخطوبة لابنة ملك قطنا، جاء فيها قائلاً:–

"تعطى أربع حمولات فضة هدية زواج ابنة أشخي – أدو، من الأربع حمولات فضة، مقابل (قيمة) حمولة واحدة (من) الفضة... لائم سيخرج لك. وانا (سوف) أعطي ثلاث حمولات فضة (و) أشخي – أدو عارف (بالتقاليد)، أربع حمولات فضة هدية زواج ابنته أعطيت خمس حمولات فضة من

عشر حمولات فضة (كـ)ـهدية، أنا من هذه الهدية استلمت كل الأقمشة، (و) ولن تكون انت (من) سيستلمها ثلاث حمولات (فضة)، اثنان وخمسون مانا[٩١] (و) عشرة شيقلات فضة (سوف) أعطي... **أصنع خاتم الخطوبة (حلقة فضة) هناك التي سيذهب (بها) لمدينة قطاتم ويستلمها (اشخي أدو)**" [٩٢]

ومما ورد في النص يتبين أن شمشي- أدد قد اكثر وبالغ في كمية المهر والهدايا المقدمة لوالد الفتاة ليعبر عن اهتمامه بالمصاهرات السياسية، وكانت الحُلِيّ والجواهر من ضمن الهدايا المميزة والمهمة في هذه المصاهرات، لاتمام مراسيم الزواج ومتطلباته ودفع المهر والاشراف على إعداد تلك المراسيم، ويبدو أن الموافقة استحصلت من والد الفتاة ومن ثم أدت إلى كتابة هذه الرسالة لاتمام متطلبات الخطوبة وتقديم المهر وأرسال حلقة الخطوبة [٩٣].

ولم يقتصر تقديم الحُلِيّ والمجوهرات بوصفها هدايا بين الملوك للأغراض السياسية الخارجية فقط، وانما قدمت ايضاً بوصفها نوعاً من المحبة في مناسبات سياسية داخلية، كما جاء في نص يتضمن هدية عبارة عن أساور ذهبية وعاجيه وتاج من الذهب وخواتم مقدمة من سنحاريب إلى ابنه اسرحدون في أثناء مراسيم تعيينه ولياً للعهد[٩٤]، ويبين النص أن اسم اسرحدون قد تغير إلى اسم آخر[٩٥]، وفيما يأتي النص:

"سنحاريب، ملك الكون، ملك آشور- **أساور ذهبية وعاجية، وتاج الذهب، وقلادة ذهبية، حلقات من اعلى الذراع** (الزنادي)، واتم كل تلك **المجوهرات المطعمة بالعقيق**... والعقيق الأبيض تزن ½ ١ مانا و ½ ٢ شيقل، اعطيته إلى اسرحدون، ولدي، الذي من الان فصاعداً يسمى آشور- اتل- ايلاني- موكن- ابلا Aššur-etil-ilani-mukin-apli كرمز للمحبة" [٩٦].

النصوص القانونية[٩٧]:

عرف سكان بلاد الرافدين القدماء الكتابة ودونوا اخبارهم ومعاملاتهم الاقتصادية والقضائية والإصلاحات الاجتماعية وهذا يدل على أنهم عرفوا ما ينظم شؤونهم على وفق قوانين محددة، وهم بهذا سبقوا بقية شعوب الشرق الأدنى القديم في هذا المجال[٩٨].

وفيما يتعلق بموضوع الحُلِيّ، فتكاد تخلو القوانين القديمة من مادة قانونية لاسيما تلك المتعلقة بالزواج وهدايا العريس التي تتناول الحُلِيّ باستثناء القوانين الاشورية في العصر الاشوري الوسيط [٩٩] الوحيدة من بين كل النصوص المسمارية القانونية في بلاد الرافدين التي تطرقت إلى موضوع الحُلِيّ وحقوق ملكيتها، إذ ورد ذكرها في أربع مواد قانونية فقط هي (٢٥) و (٢٦) و (٣٨) و (٤٣). لقد بينت الدراسات أن الاحكام والمبادئ القانونية العامة الواردة في نصوص العصر الاشوري الوسيط تذكرنا بما يشابهها من حيث الجوهر في القوانين العراقية القديمة ولاسيما القوانين الواردة في شريعة حمورابي مع بعض التعديلات والاضافات التي اقتضتها أوضاع العصر الاشوري، وفيما يأتي المواد القانونية التي وردت فيها مفردة الحُلِيّ:

تبين المادة (٢٥) حقوق الاخوة في تركة أخيهم المتوفى، فإذا توفي شخص وكانت زوجته في بيت أهلها تعيش ولم يكن له أولاد، فللأخوة الحق في استعادة الحُلِيّ التي أعطاها اخوهم لزوجته، فإن كانت الزوجة قد تصرفت بقسم منها، فلهم الحق في ان يقيموا دعوة ضدها وليس عليهم اللجوء إلى الاختبار النهري أو أداء القسم. [١٠٠] كما جاء في النص:- " إذا كانت امرأة تعيش في بيت أبيها وزوجها ميت، واخوة زوجها لم يقتسموا (التركة) ولم يكن لها ولد، فلأخوة زوجها، طالما لم يقتسموا التركة. ان يأخذوا **الحُلِيّ** غير المفقودة التي كان زوجها قد أعطاها (إياها). وعليهم ان يضعوا كل ما تبقى أمام الآلهة، (و) يثبتوا (و) يأخذوا ولا يضبطوا (للاختبار) النهري أو القسم".[١٠١]

أما المادة (٢٦) فأنها تبين إذا كان للزوج أولاد وكانت زوجته تعيش في بيت ابيها ثم توفي فسيأخذ الأولاد **الحُلِيّ** التي أعطاها للزوجة، أما إذا لم يكن له أولاد، فأن الزوجة تأخذ **الحُلِيّ** نفسها. [١٠٢] وفيما يأتي النص القانوني:

" اذا كانت امرأة لا تزال تعيش في بيت والدها وقد مات زوجها، فإذا كان للزوج أولاد فلهم ان يأخذوا جميع **الحُلِيّ** التي أعطاها إياها زوجها، واذا لم يكن لزوجها أولاد، تأخذها هي ".[١٠٣]

في حين إن المادة (٢٧) تعطي الحق للزوج باسترداد المنحة التي أعطاها لزوجته التي تعيش في بيت أبيها وكان يتردد عليها، ويفهم من ذلك أن المقصود هو استرداد **الحُلِيّ** بعد وفاة الزوجة أو طلاقها[١٠٤].

أما المادة (٣٨) فقد بينت ان من حق الزوج أن يسترد **الحُلِيّ** التي قدمها إلى زوجته في حال انها كانت تعيش في بيت والدها وطلقها، إلا أن المهر يعود للزوجة [١٠٥] كما مبين في ادناه:

" اذا كانت امرأة تعيش في بيت ابيها وطلقها زوجها، له ان يأخذ **الحُلِيّ** التي منحها هو إياها وليس له أن يقرب هدية الزواج التي جلبها فهي خاصة للمرأة" [١٠٦].

المادة (٤٣) تبين أن من ضمن هدايا الخطوبة والزواج المقدمة هي الأحجار النفيسة التي غالباً ما استعملت حُلياً:

" إذا صبَّ رجل الزيت على الرأس (أي رأس خطيبة ابنه) أو قدم هدايا الزواج، ثم مات أو اختفى الابن الذي اختيرت له الزوجة، يكون باستطاعة (الرجل الذي صب الزيت) أنْ يعطي الفتاة إلى من يريد من أولاده الآخرين من أكبرهم حتى أصغرهم الذي عمره عشر سنوات. أما إذا توفي الاب وابنه الذي عينت الزوجة له، وكان للابن المتوفي ابن (من زواج آخر) عمره عشر سنوات، فله أنْ يتزوجها، أما إذا كان عمر الاحفاد اقل من عشر سنوات، فيحق لوالد الفتاة إذا شاء أنْ يعطي ابنته (لواحد منهم) وله ايضاً إذا شاء أنْ يرد (لبيت الخطيب) ما يعادل هدايا الزواج. أما إذا لم يكن هناك ابن، فعليه أنْ (يرد) بقدر ما استلم من **أحجار كريمة** وكل شيء لا يمكن اكله، ولكنه لا يرد المأكولات " [١٠٧].

توضح القوانين الاشورية طبيعة هدايا (الخطوبة والزواج)، إذ كان على الشاب أنْ يصب على رأس خطيبته وزوجته المقبلة العطور والزيت، [١٠٨] ويقدم لها الهدايا التي هي غالباً ما كانت تتألف من الفضة والنحاس والأحجار النفيسة والمواد الغذائية، وقد ساعدت هذه الإشارة في معرفة هذه الهدية وقيمتها المادية، فضلاً عن مصاريف الاحتفالات والولائم وبعض الحُلِيّ والنقود التي تسلم للزوجة [١٠٩].

نصوص اخرى:

أ- نصوص عقود الزواج:

تعد عقود الزواج من اكثر النصوص أهمية، لقلة ما عُثِرَ عليه مقارنة بأنواع النصوص الأخرى، إذ إن عملية الزواج كانت بالتوافق بين الطرفين ولم تكن تحتاج إلى كتابة عقد الا في حالات نادرة وذلك للمكانة الاجتماعية للزوجة ولضمان حفظ مهرها لاسيما اذا كان كمية كبيرة من الفضة والذهب [١١٠]. ورد في لوح من مدينة النمرود (كلخو قديماً) يعود تاريخه إلى حدود ٦٥٦ ق.م، يبين اللوح تفاصيل عقد مهر العروس[١١١]، جاء فيه: " قامت شاكنتو Šakintu بتزويج ابنتها إلى امات اصطارتي مسؤولة حريم القصر الجديد في كالخو، صوبو اعطتها إلى (ملكي رامو ابن ابدي اياشوزي) وقدمت الام لابنتها هدايا من الحُلِيّ والاثاث والملابس والأدوات المنزلية، وفي حالة عدم انجاب (صوبتو) اطفالاً فلزوجها الحق بأن يتزوج من أمةَ على شرط ان أطفال الامة يعودون إلى (صوبتو)" [١١٢].

ويبين النص المسماري أنواع الحُلِيّ المقدمة بوصفها هدية زفاف، وهي عبارة عن حُلِيّ، اربعة خواتم فضية، ٢ (dašanni) [١١٣] من الفضة،(qūlu) [١١٤] من الفضة، سلسلتان للرقبة من الفضة، ٢٠ (qudāši) [١١٥] من الفضة، ١٦ مُهر من الفضة (خاتم)، وكذلك (ما وزنه؟)، ٢ مانا و ٤ شيقل من الفضة المشغولة [١١٦].

ب. نصوص إدارية خاصة بالمعبد

من الأمور المهمة والصفات المميزة للديانة الرافدينية كما هو معروف الملابس الطقسية وزينة تماثيل الالهة ويفترض ان المجوهرات التي دونت ضمن القوائم الخاصة بالمعابد قد استعملت لتزيين تماثيل الالهة في مناسبات احتفالية طقوسية أو إنَّها قدمت بوصفها قرابين إلى الالهة أو ربما كانت مخصصة للكاهنة التي تقوم بدور عشتار في مراسيم الزواج المقدس.

في رقيم من العصر البابلي القديم [١١٧]، يعود تاريخه إلى الملك البابلي سمسو ايلونا[١١٨] مؤرخ في السنة التي صنع فيها العرش لمعبد الالهة ننكال، ورد فيه ذكر أصناف الملابس والحُلِيّ الخاصة بالآلهة عشتار والتي كانت موجوده في احدى المعابد البابلية، وتتضمن الموجودات خاتمين من الذهب؛ و حلية من الذهب على هيئة الفرج[١١٩]، تسع عشرة قطعة ذهبية تمثل أنواعاً من الفاكهة؛ قطعتان من الذهب لزينة الصدر؛ قرطان من الفضة؛ خرزة من العقيق على هيئة الفاصوليا أو الكلى، أربع خرز من اللازورد، ستة أختام (؟) ؛ سلك واحد من سبيكة معدنية صفراء، وست قطع من حلي الثدي من العاج،

وحلقة كبيرة من العقيق، وغيرها من المواد[١٢٠]، ومن المحتمل هذه الأشياء مخصصة لاستعمال الكاهنة عندما تقوم بدور الالهة عشتار في الزواج المقدس[١٢١].

وفي لوح وجد في تل حداد[١٢٢] في منطقة مشروع انقاذ سد حمرين (مي – توران) القديمة، النص هو قائمة جرد لمجوهرات واشياء ثمينة تعود إلى الالهة أدد، الطبقة التي اكتشف فيها اللوح تحتوي على ألواح مؤرخة من عهد ملوك اشنونا نزولاً إلى عهد الملك سيلي – سن. المجوهرات والمواد الثمينة العائدة لأدد في مي– توران تتضمن أنواعاً مختلفة من الأحجار النفيسة مطعمة بالذهب أو الفضة أو البرونز مع كثير من القصدير. [١٢٣].

ومما يجدر الإشارة اليه أنَّه وردت في قوائم مدينة قطنا احياناً (علامة PN ša بعد بعض المدخولات) [١٢٤] التي قد تعني تحديد هوية الأشخاص الذين كرسوا القلادة أو الحُلِيّ، ومن ثمَّ فهي جزء ثمين من ممتلكات المعبد سواء من حيث قيمتها المادية أم من حيث الذين قدموها، وهي إشارة واضحة إلى اخلاص العديد من المتعبدين المشخصين (معروفين). [١٢٥]

وفي لوح غير مكتمل من نيبور مؤرخ في السنة الخامسة من حكم الملك نازي–ماروتاش،[١٢٦] وهو عبارة عن قائمة (كنز ذهبي) تضم أكثر من ١٢٥ حلية من الذهب والاحجار النفيسة والعقيق وقلائد وأساور وغير ذلك مصنفة في صناديق مغلقة بأقفال ذهبية جلبت من نيبور ودوركوريكالزو الى اردي – بليت Ardi – Bêlite، وعلى مايبدو ان آخر مكانين تم تحديدهما كانا جزءاً من مدينة نيبور، وربما كان يتم الحفاظ على الكنز الملكي داخل المعبد. اللوح لا يوضح أسباب نقل الكنز، إلا أنه على ما يبدو أن المعبد خضع في تلك المرحلة الى اصلاح شامل وازالة المجوهرات وتخزينها في مكان آمن في اردي – بليت Ardi – Bêlite احتياطاً في الأيام المضطربة. [١٢٧]

جـ. نصوص اقتصادية وورش صناعة الأدوات والحُلِيّ الملكية

ذكرت الحُلِيّ في بعض النصوص الاقتصادية، ففي نص وردنا من العصر البابلي القديم يبين طلب الملكة إلتاني [١٢٨] من أختها لاماساني التي كانت تعيش في آشور ان تبحث لها عن قلادة من حجر اللازورد، وربما أن لامساني كانت وكيلة ايليتاني في تجارة النسيج في بلاد آشور التي كانت تتمتع بتجارة رائجة مع اسيا الصغرى، فضلاً عن امتلاكهم العديد من المراكز التجارية هناك، فقد كتبت لاماساني تقريراً إلى اختها ايلتاني عن وصول رحلات القوافل المنتظمة، وانها ما زالت تبحث عن قلادة اللازورد، وانها سوف ترسل خادمه معها [١٢٩]، كما جاء في نص الرسالة:

" هكذا اكلم ايليتاني، اختي، انا لاماساني، انا بخير. والقافلة تأتي بأنتظام، انت لم تكتبي لي قط لتخبريني عن حالك، انا مازلت ابحث عن **قلادة من اللازورد** التي كتبت لي عنها وسوف ارسل لك خادمة (معها)،..." [١٣٠]

اعتدن نساء العوائل الملكية طلب حليهن إما بوساطة أعضاء من عائلتهن، كما ورد سابقاً عندما طلبت ايلتاني من اختها، أو بوساطة موظف القصر، كما جاء في رسالة من بيلاتوم إلى رئيس الصاغة (؟). ايلي – ايدينام. " هكذا اكلم ايلي ايدينام، انا بيلاتوم، انت تتصرف كأننا لم يكلم احدنا الاخر ويعقد اتفاقاً! اعطيتك شهراً لتشتري قلادة، ولكنك لم تشترها لي. واعطيتك قبل اربع سنوات فضة، وهكذا فأن الصائغ قد أخذ الان فضة وذهباً، ومع ذلك فأن هذه الحُلِيّ لم تصنع حتى الان..." [١٣١].

وفي رسالة من والدة الملك زمري – لم المدعوة ادد – دوري إلى mukannišum وهو احد المسؤولين في القصر بخصوص قطع الحُلِيّ الفضية [١٣٢].

" إلى موكنوشوم، قل; لقد أعادت ادو – دوري الصندوق المحمول للملك، لا يوجد على الاطلاق، ٢٠ سوار مقابل ٤ شيقلات، ألان حينما أجلب لك ١٠ شيقلات من الفضة، لتصنع ٢؟ سوار؟ فضة مقابل ٤ شيقلات فضة" [١٣٣].

ويبين هذا النص اهتمام نساء قصر ماري بالأحجار النفيسة والاشراف المباشر على مخازنها والتأكيد على الورش الصناعية وتزويد الصناع بالمواد الأوّلية، فضلاً عن مسؤولية تسليم المعادن إلى المسؤولين التابعين للقصر أو الحرفيين وذلك لصناعة الحُلِيّ العائدة للعائلة الملكية أو الالهة[١٣٤].

وفي لوح من العصر البابلي الحديث (الكلداني) يضم قوائم جرد بالحلي*(Šukuttu)* المرسلة الى الصائغ *(kutimmu)* لغرض تنظيفها او إصلاحها،[١٣٥] ويعود تأريخه الى زمن اميل – مردوخ [١٣٦] النص يتضمن "حليتين تمثل اسوداً قرباناً للملك بهيئة حلقتين ذهبيتين تعودان الى سيدة الوركاء موضوعة في علبة لغرض تصليحها، مع حليتي الصدر التي جلبت من معبد ايساكيلا وسلكين ذهبيين مفصولين عن اختام اسطوانية موضوعة في صندوق مجوهرات خاص بـ (نانا)، وسبعة حلقات من اللازورد من ختم اسطواني خاص من حجر *lamassu* مربوط بسلكين ذهبيين، جلبت من المعبد (ايساكيلا)، تعود هذه الثلاثة الى تمثال الالهة. ثلاثة حلقات ذهبية ازيلت على شكل اسد ذهبي وست حلقات ازيلت من قطعتي مجوهرات مربوطة بسلك ذهبي وموضوعة في حاوية للتصليح، في شهر اذار، اليوم الأول من سنة حكم الملك البابلي اميل– مردوخ، ... " [١٣٧].

ويتضح من هذا النص ان ورش العمل الخاصة بالحُلِيّ لم تقتصر على تصنيعها وانما شملت ايضاً تصليح الحُلِيّ وتنظيفها.

كما ورد في النصوص المسمارية ذكر أسماء اشهر صاغة الحلي في بلاد الرافدين، ومنهم بيل – ابني وابنه كودا ، إذ ذكرت اعمال هذا الصائغ من الصباح وحتى المساء، ابتداءً من تسلمه كمية من الذهب من احد اداريي المعبد لعمل خواتم وحلقات وخلاخل لتزيين التمثال الجديد للإله مردوخ، ومن ثم التوجه إلى دكانه في سوق الصاغة، وقد هيّأ ابنه كودا الفرن واشعل النار اللازمة، وتلا الاب والابن تعاويذ خاصة بالصاغة، ويبين النص عملية اعداد القوالب وسكب الذهب فيها، ومن ثم اخراج الحُلِيّ منها

وتنظيفها وجليها باستعمال المبرد والازميل والمطارق الخفيفة، ومن ثم تكفيت الذهب بالفضة والنقش بالزخارف[١٣٨] ، وفيما يأتي بعض من أجزاء النص:

"... **ان يوم بيل – ابني بدأ في نحو الخامسة صباحاً بتوقيتنا... وتلا بيل – ابني وابنه دعاء تراثياً قصيراً يرفعانه همساً باسم الاله حامي صاغة الذهب، ثم وضع الذهب في بودقة من الطين النضيج، ونقل البودقة تدريجياً إلى اسخن جزء من الفحم... واخرج بيل – ابني القوالب المناسبة من الصندوق الطيني... ونصبها في اناء مملوء بالرمل وعرض الجميع إلى الحرارة لئلا يصدع المعدن الذائب والقوالب... فتناول بيل – ابني ملقطاً ورفع البودقة من النار وصب محتوياتها الذائبة في القوالب بعناية... وتستخرج الحُلِيّ من قوالبها. وبمساعدة المبارد والازاميل والمثاقب والمطارق الخفيفة واسلاك الذهب والفضة واللحام والحرارة المستعملة بحكمة من المنفاخ، يحول بيل – ابني وولده المواد المصبوبة بشكل بسيط إلى نماذج جميلة من الحُلِيّ المزينة بزخارف بارزة وغائرة واعمال مخرمة...**"[١٣٩]

الاستنتاجات:

تعد الحُلِّي احدى الفنون التي أبدع فيها انسان بلاد الرافدين شأنها شأن الفنون الأخرى، وارتبطت ارتباطاً وثيقا بالمجتمع دينياً واقتصادياً، فقد استمدت اشكالها ومضامينها من الدلالات الرمزية التي ارتبطت بالمعتقدات الفكرية للمجتمع ذات الطبيعة الدينية والقيم الاجتماعية، فضلاً عن العناصر الطبيعية الموجودة ضمن البيئة المحلية. ومن خلال دراسة الحلي في المصادر المدونة تبين مايأتي:

١. ارتدى الحُلِيّ في بلاد الرافدين الآلهة والملوك والبشر إناثاً وذكوراً وأطفالاً. وتزينت بها جميع طبقات المجتمع والملوك، وشملت أيضا بنات البغاء.
٢. قدمت الحُلِيّ بوصفها هدايا بين المحبين، كما إنها كانت جزءاً من مراسيم الزواج، إذ انها قدمت للعروس مهراً، وكانت جزءاً مهماً ضمن مراسيم الزواج المقدس.
٣. قدمت بوصفها نوعاً من القرابين لغرض تزيين تماثيل الالهة في المعبد أو جزءاً من مقتنيات المعبد التي تستعمل في مراسيم الزواج المقدس.
٤. جرى تقديم الحلي وتبادلها بوصفها هدايا بين الملوك، لتوطيد العلاقات الدبلوماسية بين البلدان، كما قدمت مهراً للزواج في المصاهرات (الزيجات) السياسية.
٥. تشير النصوص إلى أن بعض الحُلِيّ تمتلك خصائص سحرية وانها كانت تنقش بهيئة تعاويذ أو حروز من الحجر تعلق بهيئة دلايات في الرقبة، وخصص جزء منها للأطفال لدرء خطر أضرار الشياطين.
٦. كما تبين المصادر المدونة استعمال الحلي والجواهر في الاستعارة اللغوية والوصف والتشبيه.

٧. تعد القوانين الاشورية في العصر الاشوري الوسيط الوحيدة من بين كل النصوص المسمارية القانونية في بلاد الرافدين التي تطرقت إلى موضوع الحُلِيّ وحقوق ملكيتها، إذ ورد ذكرها في أربع مواد قانونية فقط هي (٢٥) و (٢٦) و (٣٨) و (٤٣).

٨. ذكرت النصوص اشهر صاغة الحلي واعماله وعملية اعداد القوالب، والأدوات المستعملة في صناعة الحلي، وعمليات النقش والتكفيت.

الهوامش:

(١) وهي النصوص الكتابية التي لا تتعلق بتدوين شؤون الحياة الاعتيادية كالمعاملات التجارية والقانونية والرسائل والشؤون الإدارية. يُنظر: طه باقر، مقدمة في أدب العراق القديم، (بغداد: ١٩٧٦)، ص ٣٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٢.

(٣) فاضل عبد الواحد علي، "الأدب"، حضارة العراق، ج١، (بغداد: ١٩٨٥)، ص ٣٢٠.

(٤) عامر سليمان، العراق في التاريخ القديم موجز التأريخ الحضاري، ج٢، (الموصل: ١٩٩٣)، ص ٢٧١.؛
- Black, J. and Others, The Literature of Ancient Sumer, (Oxford:2004), p. xix ff.

(٥) الأساطير: هي قصة تحكمها مبادئ السرد القصصي من حبكة وعقدة وشخصيات رئيسة من الالهة، حافظت على ثباتها لمدة طويلة، إذ تناقلتها الأجيال منذ ازمان بعيدة، وأضافت الطابع الجماعي الذي تتقنع فيه. للمزيد يُنظر: الحيالي، فيحاء مولود علي، الأساطير والملاحم المنفذة في فنون بلاد الرافدين (دراسة مقارنة)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم الآثار، (بغداد:٢٠١٦)، ص ٣٧ – ٣٩.

(٦) الفؤادي، عبد الهادي، " رحلة ايانا إلى اريدو"، مجلة سومر، مجلد ٢٧، (بغداد: ١٩٧١)، ص ٥٣.

(٧) للمزيد حول تفاصيل اسطورة الخليقة يُنظر: الحيالي، فيحاء مولود علي، الأساطير والملاحم...، ص ٥٥ وما بعدها.؛
- Pritchard, J. B., Ancient Near Eastern Texts Relating Old Testament, (Princeton:1969), PP.60 ff.

(٨) الشواف، قاسم، ديوان الأساطير سومر وأكاد وآشور – الآلهة والبشر، ك٢، ط١، (بيروت: ١٩٩٧)، ص٣٨.

(٩) الشواف، قاسم، ديوان الأساطير سومر وأكاد وآشور – أناشيد الحب السومرية، ك١، ط١، (بيروت:١٩٩٦)، ص ٢١. كذلك يُنظر:
- Longdon, S., The Babylonian Epic Creation, (oxford: 1923), p.12. ;
- Talon, Philippe, " The Standard Babylonian Creation Myth Enūma Eliš " , SAACT, Vol. IV, (Finland: 2005), p. 33.

(١٠) وجدت روايتان في النصوص المسمارية عن اسطورة نزول عشتار/إنانا إلى العالم السفلي، احدها مدونة باللغة السومرية ويعود تأريخها إلى العصر البابلي القديم في النصف الأوّل من الألف الثاني ق.م، واكتشفت في مدينة (نفر) في محافظة القادسية جنوب العراق، أما الرواية الثانية فهي مدونة باللغة الأكدية، واكتشف منها نسختان الأوّلى عُثِرَ عليها في (اشور) العاصمة الاشورية القديمة والتي ربما يعود تاريخها إلى أوائل الألف الأوّل ق.م، أما النسخة الثانية فعثر عليها في تل قوينجق في العاصمة الاشورية نينوى، ويعود تاريخ هذه النسخة إلى نحو منتصف القرن السابع ق.م. للمزيد يُنظر: نائل حنون، نصوص مسمارية تأريخية وأدبية، ط١، (بيروت:٢٠١٥)، ص ٢٢٢.

(١١) انتصار أحمد حسن، "ذكر الأحجار الكريمة في نصوص أدب الغزل السومرية"، مجلة سومر، مجلد ٥٧، (بغداد: ٢٠١٢)، ص ٥٥٤.

([12]) Kramer, S. N., Sumerian Mythology A Study of Spiritual and literary Achievement in the Third Millennium B.C., (New York: 1961), p. 88. ؛

– كريمر، صموئيل نوح، الأساطير السومرية دراسة في المنجزات الروحية والأدبية في الألف الثالث قبل الميلاد، تر: يوسف داود، (بغداد:١٩٧١)، ص ١٣٦.

[١٣] الشواف، قاسم، ديوان الأساطير سومر واكاد واشور – الموت والبعث والحياة الأبدية، ك٤، ط١، (بيروت:٢٠٠١)، ص ١٣١– ١٣٢.

[١٤] فاضل عبد الواحد علي، الأدب...، ص ٣٥٤.

[١٥] كريمر، صموئيل نوح، الأساطير السومرية...، ص١٤٠ –١٤١. ؛

- Kramer. S. N., Sumerian Mythology …, p. 91-92.

[١٦] يعود النص البابلي إلى المرحلة الانتقالية ما بين الألف الثاني والالف الأوّل قبل الميلاد (١١٠٠–٩٠٠)، الا ان الباحثين يعتقدون ان اصوله ترجع إلى العصر البابلي القديم. للمزيد يُنظر: الشواف، قاسم، ديوان الأساطير...، ك٤، ص ١٢٧.

[١٧] السواح، فراس، مدخل إلى نصوص الشرق القديم، (دمشق: ب.ت)، ص ١٩٦ وما بعدها.

[١٨] المصدر نفسه، ص ١٩٨– ١٩٩.

[١٩] فاضل عبد الواحد علي، الأدب...، ص ٣٥٦.

[٢٠] روثن، مرغريت، علوم البابليين، تعريب وايضاحات: يوسف حبي، (بغداد:١٩٨٠)، ص ٧١.

[٢١] وهو مخلوق مركب ذي شكل غريب بهيئة طائر النسر له وجه ورأس أسد، أطلق عليه في اللغة السومرية الطائر أمدوكود (IMDUGUD) ويعني الضباب أو الضباب الذي في السماء، وذكر بعض الباحثين ان معناه الحمار الوحشي للسماء، أما في الأكدية فقد اطلق عليه أنزو (anzu) أو زو (zu) ويعني الغيمة المجسدة في السماء على شكل الطائر. وتصفه الأسطورة بأنه طير العاصفة أو الريح المسرعة. للمزيد عن تفاصيل الأسطورة يُنظر: الحيالي، فيحاء مولود علي، الأساطير والملاحم...، ص ٩٢ وما بعدها. ؛

- Annus, A., " The God Ninurta in the Mythology and Royal Ideology of Ancient Mesopotamia", SAAS, vol.XIV, (Helsinki,2002), p. 124.؛
- Jacobsen, Th., "Sumerian Mythology: A Review Article", JNES, vol.V, (London: 1946), p. 143.; CAD, A/2, P. 153

[٢٢] السواح، فراس، مدخل إلى نصوص...، ص ١٦٦.

[٢٣] كريمر، صموئيل نوح، الأساطير السومرية...، ص ١٥١..

[٢٤] فاضل عبد الواحد علي، عشتار ومأساة تموز، (بغداد: ١٩٧٣)، ص ٨٦.

[٢٥] (unu) و(šhuba): تسميتان لحجرين كريمين لم يمكن التعرف إليهما. وهنا تأكيد أن عشتار ذات مكانة رفيعة والدليل هو تزينها بالأحجار النفيسة مما يوجب عليها الاقتران بالراعي الذي هو ارفع مكانة اجتماعية من الفلاح. ولا يخفى على دارسي التاريخ أن مهنة الرعي هي أسمى من مهنة الزراعة في المفهوم البشري على الرغم من شظف الحياة في الأوّلى ورغدها في الثانية وهذا راجع إلى ان أول من امتهن الرعي هو هابيل ابن ادم وأول من امتهن الفلاحة هو قابيل أخاه ولا يخفى على أحد ما ورد في النص القرآني من ان الله قد تقبل من الراعي قربانه ولم يتقبل قربان الفلاح مما أسهم في إرساء أفضلية الراعي على الفلاح من خلال منظور بشري ضيق. للمزيد يُنظر: الشواف، قاسم، ديوان الأساطير...، ك١...، ص ١١٠.

(٢٦) كريمر، صموئيل نوح، الأساطير السومرية...، ص ١٥٢. ؛

- Kramer, S. N., Sumerian Mythology …, p. 101.

(٢٧) الشواف، قاسم، ديوان الأساطير...، ك١...، ص ٨٥.

(٢٨) المصدر نفسه، ص ٨٩.

(٢٩) الملاحم: نوع من النصوص الأدبية ذات الطابع الشعري القصصي البطولي الذي يتميز بالبناء الكامل، من ناحية الحجم العددي للأبيات الشعرية التي تبلغ الالاف أحياناً. للمزيد يُنظر: الحيالي، فيحاء مولود علي، الأساطير والملاحم...، ص ٨.

(٣٠) طه باقر، مقدمة في أدب...، ص ٩٩.

(٣١) للمزيد عن تفاصيل الملحمة يُنظر: جورج، اندرو، " الجديد في ملحمة كلكامش"، تر: عبد العزيز حميد، مجلة سومر، مج ٥١، ج١-٢، (بغداد:٢٠٠١-٢٠٠٢)، ص ٩٠.؛

George, A.R., The Babylonian Gilgamesh Epic, vol. II , (Oxford:2003), p.898.

(٣٢) طه، باقر، مقدمة في أدب...، ص ١٠٠.؛

- Black, J. and Others, The literature …, p.31.

(٣٣) ننسون: هي احدى آلهات الامومة ووالدة كلكامش وتقوم بدور الناصحة والمرشدة لكلكامش ومفسرة أحلامه، وإن معنى اسم الالهة هو البقرة الوحشية وهذه التسمية هي كناية شعرية عن القوة، كما أطلق عليها جاموسة السور، والسور هنا يبدو أنه يعني مدينة أوروك. للمزيد يُنظر:

- الحيالي، فيحاء مولود علي، الأساطير والملاحم...، ص ١٤١.؛
- طه باقر، ملحمة كلكامش أوديسة العراق الخالدة، (بغداد: ١٩٨٠)، ص ٥.؛
- ديكانوف و ترافيموف، جماليات ملحمة كلكامش، تر: عزيز حداد، ط١، (بغداد:١٩٧٣)، ص٢٠٧.

(٣٤) الموسوي، أنور غني، ملحمة كلكامش سين ليقي أونيني، ط١، (بابل:٢٠١٦)، ص ٤٢.

(٣٥) طه باقر، ملحمة كلكامش، ط٤، (بغداد: ١٩٨٠)، ص ١٠٣.

(٣٦) نائل حنون، ملحمة كلكامش، ط٢، (بغداد:٢٠١٧)، ص ٤٠.

(٣٧) طه باقر، ملحمة كلكامش...، ص ١٠٤. ؛

Kavacs, M.G., The Epic of Gilgamesh, (USA:1989), p.xxi.

(٣٨) حامد سرمك حسن، " الحب في ملحمة جلجامش ((محور جلجامش – عشتار))"، مجلة القادسية في الاداب والعلوم والتربوية، مجلد (٧)، العددان (٣ – ٤)، (القادسية:٢٠٠٨)، ص ١٤٧.

(٣٩) السواح، فراس، جلجامش ملحمة الرافدين الخالدة، (سوريا: ب. ت)، ص ١٥٧. ؛

Albright, W.F., " Gilgames and Engidu, Mesopotamia Genii of Feaindity" , JAOS, vol. 40, (USA: 1920), pp.313 ff.

(٤٠) طه باقر، ملحمة كلكامش...، ص ١٢١ – ١٢٢.

(41) Bahrani, Z. " Jewelry and Personal Arts in Ancient Western Asia", CANE, vol.3, (New York:1995), P. 1640.

(42) CAD, N/2, p. 83.

(43) Pritchard, J. B., Ancient Near …, p.42-44.; CAD. A1. P 219.

(٤٤) قد يكون المقصود بعقد الذباب الكبير، مجموعة ضحايا البشر الطافين على وجه الماء كالذباب وقد ارادت نينتو (عشتار) أن يتحولوا إلى عقد من اللازورد على جيدها لتتذكر. يُنظر: الشواف، قاسم، ديوان الأساطير...، ك٢، ص

٢٧١. أو أن الذباب هنا كناية عن قلادة أحجار اللازورد التي كانت تتحلى بها عشتار ويحتمل أن تلك الأحجار كانت على هيئة الذباب، يُنظر: طه باقر، ملحمة كلكامش، ... ص ٢٤٠.

(٤٥) الشواف، قاسم، ديوان الأساطير، ك٢،...، ص ٢٩٧ – ٢٩٨

(٤٦) للمزيد عن الزواج المقدس يُنظر: فاضل عبد الواحد علي، "اعراس الآلة تموز ومأساته في طقوس الزواج المقدس والحزن الجماعي"، مجلة سومر، مجلد ٢٨، ج١-٢، (بغداد:١٩٧٢)، ص ٥٣.

(٤٧) طه باقر، مقدمة في أدب...، ص ١٨٧-١٨٨. ؛ فاضل عبد الواحد علي، "أناشيد الزواج المقدس لتموز ونشيد الانشاد لسليمان"، مجلة سومر، مجلد ٣٤، ج١-٢، (بغداد:١٩٧٨)، ص ١٧.

(٤٨) الأسود، حكمت بشير، أدب الغزل ومشاهد الاثارة في الحضارة العراقية القديمة، ط١، (دمشق: ٢٠٠٨)، ص ٩.

(٤٩) الشواف، قاسم، ديوان الأساطير...، ك١...، ص ١١٥.؛ ولكشتاين، دايان و كريمر، صموئيل نوح، اينانا ملكة الأرض والفردوس اسطورة بلاد مابين النهرين، تر: شاكر الحاج مخلف، ط١، (بغداد:٢٠٠٨)، ص ١٠٤.

(٥٠) السواح، فراس، مدخل إلى نصوص...، ص ٣٩.

(51) Bahrani, Z. " Jewelry and Personal …, p.1640.

(٥٢) الشواف، قاسم، ديوان الأساطير ك١،...، ص ١٣٢-١٣٣. كذلك يُنظر:

Sefati, Y., Love songs in Sumerian literature, (Israel:1998), p.133&136. ; Alster, B. "Sumerian Love Song", RA , vol.79 , No.2 , (France:1985), 148 ff.

(٥٣) فاضل عبد الواحد علي، عشتار ومأساة...، ص ١٤٩ – ١٥٠.

(54) Black, J., and Others, The Literature …, pp. 252-253.

(55) Sefati, Y., Love songs …, p.95.

(٥٦) الشواف، قاسم، ديوان الأساطير ك١،...، ص ٢٠٨. (١٢- التقديم).

(1) Jacobsen, Th, The harps that once … , (London: 1987), p. 91.

(2) Civil, M., " The Message of Lú- Dingir- ra to His Mother", and a Group of Akkado-Hittite "Proverbs", GNES, Vol. 23, No. 1, (Chicago:1964), PP. 1-3.; Westenhollz, J. G., " Love Lyrics From The Ancient Near East ", CANE, vol. 4, (New York : 1995), p. 2474.

(٥٩) انتصار أحمد حسن، "ذكر الأحجار...، ص ٥٥١.

(٦٠) حجر التوباز: نوع من الأحجار النفيسة الشبيهة بالياقوت وعادة يكون اصفر اللون. للمزيد يُنظر: المصدر نفسه، ص ٥٤٤.

(61) marḫušu (marḫaṣu , marḫašu) نوع من الحجارة; CAD, M/1, p.281.

(٦٢) الأسود، حكمت البشير، أدب الغزل...، ص١٨.

(63) Bahrani, Z. " Jewelry and Personal …, p.1640.

(٦٤) كوباتم: تعني "الثقيلة"، وهي كاهنة منذورة من صنف lukur ويقابلها بالأكدية naditu، وتبين من مضمون القصائد العاطفية بأنها شاركت الملك في مراسيم الزواج المقدس ونالت استحسانه إذ أصبحت فيما بعد احدى نساء قصره، وقد عُثِرَ على عقدها الذي يعود لأربعة الاف سنة مضت في معبد " أي – أنا" في الوركاء، كتب على احدى خرزات العقد كوباتم، الكاهنة (ناديتو) محبوبة شو- سن. للمزيد يُنظر: ثلما ستيان عقراوي، المرأة دورها مكانتها في حضارة وادي الرافدين، (بغداد:١٩٧٨)، ص ٢٣٦ – ٢٣٧.

(٤) كريمر، صاموئيل نوح، "طقس الزواج المقدس ونشيد الانشاد"، تر: بديعة أمين، آفاق عربية، ع ٢، (بغداد:١٩٧٩)، ص ٦٨ – ٦٩.

(5) Jacobsen, Th, The harps …, p 95.

(٦٧) كريمر، صموئيل، من ألواح سومر، تر: طه باقر، ط١، (بغداد:٢٠١٠)، ص ٤١٨. ؛
- Sefati, Y., Love songs …, p.95.

١.(٦٨) امي – ديتانا (١٦٨٣ – ١٦٤٧ ق.م.) الملك التاسع من سلالة بابل الأوّلى. يُنظر: طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج١، ط ١، دار الوراق، (بغداد:٢٠٠٩)، ص٤٩١.

(٦٩) طه باقر، مقدمة في أدب...، ص ٢٠٣.

(٧٠) لابات، رينيه، المعتقدات الدينية في بلاد وادي الرافدين – مختارات من النصوص البابلية –، تر: الاب البير ابونا، ط٢، (بغداد:٢٠٠٤)، ص ٣٥٠.

(٧١) المصدر نفسه، ص ٣٥٠.

(٧٢) وهو نص ثنائي اللغة، يتألف من نص سومري يليه سطرٌ أكدي، ويتبين من أسلوب وصيغ اللغة السومرية المستعملة أن التأليف جرى خلال مدة بعدت فيها اللغة السومرية عن التداول اليومي وأصبحت لغة التقاليد الدينية، ويرجع إعادة التأليف إلى العصر البابلي الحديث (الكلداني) خلال حكم نابو– كودورو– أوصر (نبوخذنصر الأوّل ١١٤٦– ١١٢٣ق.م.). للمزيد يُنظر: الشواف، قاسم، ديوان الأساطير سومر وأكاد وآشور– الحضارة والسلطة، ك٣، ط ١، (بيروت: ١٩٩٩)، ص٢٨٤ – ٢٨٩.

(٧٣) لابات، رينيه، المعتقدات الدينية...، ص ٣٥٨.

(٧٤) يطلق على الرقى والتعاويذ بالسومرية (EN) وفي الأكدية (šiptu)، وكانت توضع لطرد الأرواح الشريرة المؤذية والشياطين التي تسبب الامراض الجسدية والعقلية، كما يقصد منها ابطال اثر سحر السحرة. للمزيد يُنظر: طه باقر، مقدمة في أدب...، ص ٢٠٧– ٢٠٨.

(٧٥) المصدر نفسه، ص ٢٠٨.

(76) Bienkowski, P. & Millard, A., Dictionary of the Ancient Near East, (USA:2000),P. 162.

(٧٧) فاضل عبد الواحد علي، سومر اسطورة وملحمة، ط٢، (بغداد:٢٠٠٠)، ص ٢٧٨. ؛ الزيباري، اكرم سليم، أهمية الرسائل والمراسلات في العهد البابلي القديم، (بغداد:١٩٧١)، ص٣–٤.

(٧٨) فاضل عبد الواحد علي، سومر اسطورة...، ص ٢٧٨.

١.(٧٩) بورا بورياش الثاني Burna-Buriash II (١٣٦٤–١٣٤٧ ق.م)، اسم كاشي، أصل الجزء الأوّل منه بورنا " الحماية الإلهية" وهو مركب، يعني " الحماية الإلهية لسيد البلدان"، وهو الملك الثامن عشر من ملوك السلالة الكيشية، عاصر فرعون مصر امنوفس الرابع (اخناتون)، وتميز بحسن العلاقات مع مصر ولكنها اضطربت قليلاً في أواخر عهده، وكان صهر الملك الاشوري آشور – أوبلط. ارسل ست رسائل إلى مصر (العمارنة ٦–١١) واستلم واحدة (العمارنة ١٤). للمزيد يُنظر: النجفي، حسن، معجم المصطلحات والاعلام في العراق القديم، ط١، (بغداد:١٩٨٢)، ص ٣٤ و ١١٨. ؛ فاروق إسماعيل، مراسلات العمارنة الدولية وثائق مسمارية من القرن ١٤ ق.م، ط١، (دمشق:٢٠١٧)، ص ٨٠– ٨١. ؛ طه باقر، مقدمة في تاريخ...، ص ٥٠٦.

(٨٠) مَياتي: هو الصيغة البابلية لأسم الاميرة مريت أتن " محبوبة الإله آتون" كبرى بنات امنتحتب الرابع. يُنظر: فاروق إسماعيل، مراسلات العمارنة...، ص٩٣.

(٨١) الجِعلان وردت في الأكدية (tibbuttu , timbuttu) أو الجعران كما عرف في الدراسات المصرية القديمة، حيوانات صغيرة جداً كالخنفساء شاع تصويرها في الفن المصري القديم، اعتقاداً بأنها رمز الحياة الجديدة، ورمز للخلق الذاتي وشكل من أشكال إله الشمس. يُنظر: المصدر نفسه، ص٩٣.

(82) Cochavi- Rainy, Z., Royal Gift in the late Bronze Age Fourteenth to Thirteen Centuries B.C.E.,(Israel:1999), EA 10:43-47, p.169.؛
(83) Ibid , 7:56-58, pp.166-167.

(٨٤) فاروق إسماعيل، مراسلات العمارنة...، ص ١٠٠.

(٨٥) zimizzu, ziminzu : نوع من الجواهر . يُنظر: AHw , p.1528.

(٨٦) muššāru (نوع من الجواهر). يُنظر: AHw, p. 685.

(٨٧) فاروق إسماعيل، مراسلات العمارنة...،ص١٠٦. العمارنة ١٤: عمود ١- سطر (٧٢-٧٨).
Cochavi- Rainy, Z., Royal Gift …, EA 14: I 72-78, P. 10-12.

(٨٨) آشور أوبلط الأوّل Aššur uballit I (١٣٦٥-١٣٣٠ ق.م)، أول ملوك العهد الاشوري الوسيط، حكم ٣٦ سنة، ابرز إنجازاته قضاؤه على الدولة الميتانية التي أسسها مع الحوريين في اربخا (كركوك حالياً) وضمها إلى مملكته، وكانت له علاقات مع فرعون مصر (اخناتون)، وكان تأثيره نافذاً على بلاد بابل. يُنظر: النجفي، حسن، معجم المصطلحات...، ص ٢٥.

(٨٩) فاروق إسماعيل، مراسلات العمارنة...، ص١١٦. ؛
Cochavi- Rainy, Z., Royal Gift …, EA 15:12-15, p.169.

(٩٠) شمشي- أدد الأوّل Shamshi Adad I (١٨١٣-١٧٨١ ق.م)، أشهر الملوك الاشوريين، حكم ٣٣ سنة وهو من أصل أموري، بسط نفوذه على جميع مدن شمال العراق وسوريا ولبنان، وكان معاصراً للملك البابلي حمورابي وخصماً عنيداً له، معظم المعلومات وردتنا عنه من السجلات الملكية في مدينة (ماري). للمزيد يُنظر: ساكز، هاري، قوة آشور، تر: عامر سليمان، (بغداد:١٩٩٩)، ص ٤٥.؛ النجفي، حسن، معجم المصطلحات...، ص ١٨٩.

(٩١) مانا: وحدة قياس الأوزان بالسومرية MA.NA 1 ويرادفها بالأكدية *manu* ما يعادله قديماً GIN 60 (الشيقل)، ويعادله حديثاً ٥٠٥ غم. يُنظر: النجفي، حسن، معجم المصطلحات...، ص٢٤٠.

(٩٢) الدليمي، وصال فيصل حمادي، المصاهرات السياسية في العراق القديم في ضوء المصادر المسمارية المنشورة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، كلية الآداب، قسم الاثار القديمة، (الموصل:٢٠٠٩)، ص ٣٩. ؛
- Dossin, G., "Correspondance De Šamši-Addu", ARM , vol.1, (Paris:1950) , p.102 , No.46: 31-33.

(٩٣) الجبوري، سالم يحيى خلف، المضامين السياسية والاقتصادية في رسائل العصر البابلي القديم، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الموصل، كلية الآداب، قسم الاثار القديمة، (الموصل:٢٠٠٦)، ص ٥٩.

(٩٤) للمزيد عن ولاية العهد ومراسيمها، يُنظر: الفتيان، أحمد مالك، نظام الحكم في بلاد وادي الرافدين الإمبراطورية الاشورية نموذجاً، ط١، (بغداد:٢٠١٨)، ص ٣٠٣ ومابعدها.؛
- الجحيشي، سالم أحمد يونس، ولاية العهد في العصر الاشوري الحديث (٩١١-٦١٢ ق.م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، كلية الآداب، قسم التاريخ القديم، (الموصل:٢٠١١).

(٩٥) الفتلاوي، أحمد حبيب سنيد، اسرحدون ٦٨٠ – ٦٦٩ ق.م، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة واسط، كلية التربية، قسم التاريخ القديم، (واسط: ٢٠٠٦) ص٣٤- ٣٥.

(٩٦) المصدر نفسه، ص ٣٥. ؛
- Kataja, L. and Whiting, R., "Grants decrees gifts of the Neo-Assyrian" SAA, vol. XII, (Helsink:1995), No.88, p.109.

(٩٧) وهي النصوص المسمارية ذات العلاقة بالقانون، وتكون صادرة عن الملك أو الحاكم أو بأمر منه، وتضمنت هذه النصوص الإصلاحات الاجتماعية والاقتصادية، والمراسيم الملكية، الا ان أهمها هي القوانين. يُنظر: عامر سليمان، العراق في التاريخ...، ج٢، ص ١٩٢.

(٩٨) للمزيد عن القوانين العراقية القديمة وتفاصيل موادها القانونية يُنظر: فوزي رشيد، الشرائع العراقية القديمة، ط ٣، (بغداد:١٩٨٧)، ص ٢٥ وما بعدها.

(٩٩) كشفت عنها جمعية الشرق الألمانية في اثناء تنقيباتها (١٩٠٣– ١٩١٨)، في قلعة الشرقاط – آشور القديمة وهي تسعة ألواح مسمارية، حالتها تالفة جداً، وترجع بتاريخها إلى العصر الاشوري الوسيط (١٣٦٥–١٩١٠ ق.م)، وهي محفوظة حالياً في المتحف الوطني في برلين، ومن خلال دراسة هذه الألواح تبين ان تاريخها يعود إلى (١٣٥٠–١٢٥٠ ق.م)، ويعد الباحث المسماري "شردو" أول من استنسخ هذه النصوص. للمزيد يُنظر: فوزي رشيد، القوانين في العراق القديم، سلسلة الموسوعة التاريخية الميسرة، ط١، (بغداد:١٩٨٨)، ص ٩٣.

– الهاشمي، رضا جواد، "القانون والاحوال الشخصية"، حضارة العراق، ج٢، (بغداد:١٩٨٥)، ص٨٣.

(١٠٠) عامر سليمان، القانون في العراق القديم دراسة تأريخية قانونية مقارنة، (بغداد: ١٩٨٧)، ص٢٨٥.

(١٠١) عامر سليمان، نماذج من الكتابات المسمارية، ج١، (بغداد:٢٠٠٢)، ص ٢٤١. ؛

- Roth, M.T., Law Collections from Mesopotamia and Asia Minor, vol.6 , 2nd, (Atlanta:1997), p. 162.

(١٠٢) عامر سليمان، القانون في...، ص٢٨٦.

(١٠٣) فوزي رشيد، الشرائع العراقية...، ص ١٩٠. ؛ عامر سليمان نماذج من...، ص ٢٤١. ؛

- Roth, M.T., Law Collections…, p. 163.

(١٠٤) عامر سليمان، القانون في...، ص٢٨٦.

(١٠٥) المصدر نفسه، ص٢٨٧.

(١٠٦) عامر سليمان، نماذج من...، ص ٢٤٧. ؛

- Roth, M.T, Law Collections…, p. 167.

(١٠٧) فوزي رشيد، الشرائع العراقية...، ص ١٩٦.

(١٠٨) الراوي، فاروق ناصر، " الأوضاع الاجتماعية " موسوعة الموصل الحضارية، ج١، ط١، (الموصل:١٩٩١)، ص ٢٦٨.

(١٠٩) سهيل قاشا، المرأة في شريعة حمورابي، (الموصل:١٩٨٦)، ص ٨٣. كذلك يُنظر: الهاشمي، رضا جواد، نظام العائلة في العهد البابلي القديم، (بغداد:١٩٧١)، ص ٧٦–٧٧.

(١١٠) الهموندي، آرام جلال حسن، نصوص مسمارية غير منشورة من مدينة بيكاسي في العصر البابلي القديم، ط١، (دمشق: ٢٠١٧)، ص٦٤.

(١١١) ثلما ستيان عقرأوي، المرأة دورها...، ص ٦٧.؛ خالد علي خطاب، " هدايا الزواج في العصر الاشوري الحديث في ضوء المصادر المسمارية "، مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، ع ٢٨، ج ٢، جامعة تكريت، (تكريت:٢٠١٨)، ص ٤٢١ – ٤٢٤.

(١١٢) الأغا، وسناء حسون، المرأة في حضارتي العراق ومصر القديمتين، أطروحة دكتوراه، جامعة الموصل، كلية الآداب، قسم تاريخ قديم، (الموصل:٢٠٠٩)، ص ٢٢. ؛ حسين ظاهر محمود، "تعدد الزوجات في المجتمع العراقي القديم"، آداب الرافدين، ع ٣٢، (الموصل:١٩٩٩)، ص٢٠.

(١١٣) dašannu: حُلية أو قطعة حلي، وردت في العصر الاشوري الحديث. ؛ الجبوري، علي ياسين، قاموس اللغة الاكدية – العربية، ط١، (أبو ظبي:٢٠١٠)، ص ١٠٨.

(١١٤) quiiu / qūlu: جهاز معدني للتثبيت ورد في العصر البابلي القديم. المصدر نفسه، ص ٤٧٥.

(١١٥) qudāši: حلقة أو خاتم. يُنظر:

- Oppenhein, A. Leo, The Colden Garmnts of The Gods, JNES, vol.8, No.3 (Chicago:1949), p. 177.

(116) Parker, B. " The Nimrud Tablets, 1952 Business Documents", IRAQ, vol.16, (London:1954) p. 37-38 ND.2307.

(١١٧) جرى الحصول عليه من سوق التحفيات وقد يعود مكان وجوده إلى العصر البابلي الوسيط، يسجل قائمة مجوهرات وملابس خاصة بعشتار التي كانت مخزونة في معبد ايشار-كديشو، وهو معبود ثانوي من حاشية عشتار والمعروف أن لديه معبداً في نفر، ويقترح ليمنس أن اللوح يعود إلى مدينة lagaba على الاغلب ولكن اقتراحه يقوم على عدد من الاقتراحات غير المثبتة. للمزيد يُنظر:

- AL-Rawi, Farouk, N. H. And Black, J.A. "The Jewels of Add" SUMER, vol. 39. No.1-2, (Baghdad: 1983), p.137.

(١١٨) سمسو – ايلونا (١٧٤٩–١٧١٢)، الملك السابع من سلالة بابل الأوّلى، وهو ابن الملك حمورابي. ؛ طه باقر، مقدمة في تاريخ...، ص ٤٩١.

(١١٩) في ترنيمة للإلهة عشتار ذكر انه قدمت حلية ذهبية زينةً لرأسها، وعلى ما يبدو أنها ارتدت هذه الحُلِيّة على رأسها بمناسبة بعض الطقوس، ومن الجدير بالذكر فان دير مير يشير إلى وجود بعض القبائل في الحبشة تستعمل هذه العادة لاسيما مع الكهنة المتمثلة بارتداء "kallatsha " على الجبين مع رمز رمزي من النحاس أو العاج في المناسبات الخاصة. للمزيد يُنظر:

- Leemans, W. F., Ishtar of Lagaba and Her Dress, (London:1952), PP. 4-5.

(120) Ibid. , pp.1-2.

(١٢١) فاضل عبد الواحد علي، عشتار ومأساة...، ص ١٥٠؛

- Leemans, W. F., Ishtar of Lagaba …, p. 1.

(١٢٢) يقع التل إلى الجنوب الغربي من ناحية جلولاء بمسافة ٢٠ كم، وهو من المواقع المهمة غرب نهر ديالى، ويبعد عن النهر تقريبا ثلاثة كيلومترات ويعد اكبر تل في منطقة بردان. للمزيد يُنظر: برهان شاكر سليمان، " تل حداد/ حمرين تقرير موجز عن اعمال التنقيب في الطبقة الأوّلى من تل حداد"، مجلة سومر، مجلد ٤٠، ج ١–٢، (بغداد:١٩٨٤)، ص ٩٣.

(١٢٣) لمراجعة النص بالكامل، يُنظر:

- AL-Rawi, Farouk, N. H. And Black, J.A. "The Jewels of …, p. 138.

(124) (*Kišādu* ***ša*** **PN** 3 ME 3 NA_4.MEŠ *šikinšu babbānu.* CAD, A 1, P. 58.

(125) AL-Rawi, Farouk, N. H. And Black, J.A. "The Jewels of …, p. 138.

(١٢٦) نازي– مارتاش Nazimaruttash (١٣٢٣ – ١٢٩٨) وهو الملك الثالث والعشرين من ملوك السلالة الكاشية حكم ٢٦ عام. للمزيد يُنظر: النجفي، حسن، معجم المصطلحات...، ص ١١٨.

(127) Legrain, Leon, " Historical Fragments" PBS, Vol. 13, (Philadelphia:1922), pp. 102-106

(١٢٨) الملكة إلتاني: زوجة الملك أقبُ – خُم ملك مدينة كارانا (التي تقع شمال العراق جنوب تلعفر بحوالي ١٧كم)، وهي كاهنة من صنف ناديتوم، وكانت تمتلك مساحات كبيرة من الحقول، بل وكانت تستأجر حقولاً وتقوم باستغلالها، تميزت بإدارة النشاط الاقتصادي داخل البلاد وخارجه والاشراف عليه، إذ تذكر النصوص المسمارية اشرافها على الشؤون التجارية وتبادل السلع المتنوعة. للمزيد يُنظر: امل عبد الله أحمد، دور الملكات والاميرات في الحياة العامة في العراق القديم في ضوء النصوص المسمارية المنشورة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، كلية الآداب، قسم الاثار القديمة، (الموصل:٢٠٠٩)، ص ٦١.؛

– وصال فيصل حمادي، "حرفة الخياطة في العراق القديم"، مجلة التربية والعلم، مجلد ٢٠، ع ٤، (الموصل:٢٠١٣)، ص ١٢٤.؛

– ميادة كيالي، المرأة والالوهة المؤنثة في حضارات وادي الرافدين، ط١، (بيروت:٢٠١٥)، ص ٢١٩.

(١٢٩) ستيفاني دالي، ماري وكارانا (مدينتان بابليتان قديمتان)، تر: كاظم سعد الدين، (بغداد:٢٠٠٨)، ص ١٦٢.

(130) Dalley, s., Mari and Karana two old babylonion cites, (London & New York: 1984), p. 104.

(١٣١) ستيفاني دالي، ماري وكارانا...، ص ١٦٧.

(١٣٢) أمل عبد الله أحمد، دور الملكات...، ص ٧٢.

(133) Dossin, Georges, " Correspondance Féminine", ARM, vol. 10, (Paris: 1978) , pp.98-99, No. 61:1-11.

(١٣٤) أمل عبد الله أحمد، دور الملكات...، ص ٧٢– ٧٣.

(135) Sack, Ronald, H., " Some Remarks on Jewelry Inventories from Sixth century B.C. Erech", ZA, Band, 69, (Berlin:1979), p. 41.

(١٣٦) اميل – مردوخ Amel-Marduk (٥٦٢–٥٦٠) وهو ثالث ملوك العصر البابلي الحديث الكلداني حكم لمدة عامين. للمزيد يُنظر: النجفي، حسن، معجم المصطلحات ...، ص ١٤٨.؛ طه باقر، مقدمة في تاريخ ...، ص ٦٠٢.

(137) Sack, Ronald, H., " Some Remarks on …, PP. 42- 43.

(١٣٨) الراوي، فاروق ناصر، "جوانب من الحياة اليومية"، حضارة العراق، ج٢،(بغداد:١٩٨٥)، ص ٣٧٧–٣٧٨.

(١٣٩) ساكز، هاري، الحياة اليومية في العراق القديم بلاد بابل و آشور، تر: كاظم سعد الدين، ط٢، (بغداد:٢٠١٧)، ص ٢٨١–٢٨٦.

المصادر

١. الأسود، حكمت بشير، أدب الغزل ومشاهد الاثارة في الحضارة العراقية القديمة، ط١، (دمشق: ٢٠٠٨).
٢. الأغا، وسناء حسون، المرأة في حضارتي العراق ومصر القديمتين، أطروحة دكتوراه، جامعة الموصل، كلية الآداب، قسم تاريخ قديم، (الموصل:٢٠٠٩).
٣. امل عبد الله أحمد، دور الملكات والاميرات في الحياة العامة في العراق القديم في ضوء النصوص المسمارية المنشورة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، كلية الآداب، قسم الاثار القديمة، (الموصل:٢٠٠٩).
٤. انتصار أحمد حسن، "ذكر الأحجار الكريمة في نصوص أدب الغزل السومرية"، مجلة سومر، مجلد ٥٧، (بغداد: ٢٠١٢).

٥. برهان شاكر سليمان، " تل حداد/ حمرين تقرير موجز عن اعمال التنقيب في الطبقة الأوّلى من تل حداد"، مجلة سومر، مجلد ٤٠، ج ١-٢، (بغداد:١٩٨٤).

٦. ثلما ستيان عقراوي، المرأة دورها مكانتها في حضارة وادي الرافدين، (بغداد:١٩٧٨).

٧. الجبوري، سالم يحيى خلف، المضامين السياسية والاقتصادية في رسائل العصر البابلي القديم، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الموصل، كلية الآداب، قسم الاثار القديمة، (الموصل:٢٠٠٦).

٨. الجبوري، علي ياسين، قاموس اللغة الاكدية – العربية، ط١، (أبو ظبي:٢٠١٠).

٩. الجحيشي، سالم أحمد يونس، ولاية العهد في العصر الاشوري الحديث (٩١١-٦١٢ ق.م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، كلية الآداب، قسم التاريخ القديم، (الموصل:٢٠١١).

١٠. جورج، اندرو، " الجديد في ملحمة كلكامش"، تر: عبد العزيز حميد، مجلة سومر، مج ٥١، ج١-٢، (بغداد:٢٠٠١-٢٠٠٢).

١١. حامد سرمك حسن، " الحب في ملحمة جلجامش ((محور جلجامش – عشتار))"، مجلة القادسية في الاداب والعلوم والتربوية، مجلد (٧)، العددان (٣ – ٤)، (القادسية:٢٠٠٨).

١٢. حسين ظاهر محمود، "تعدد الزوجات في المجتمع العراقي القديم"، آداب الرافدين، ع ٣٢، (الموصل:١٩٩٩).

١٣. الحيالي، فيحاء مولود علي، الأساطير والملاحم المنفذة في فنون بلاد الرافدين (دراسة مقارنة)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم الآثار، (بغداد:٢٠١٦).

١٤. خالد علي خطاب، " هدايا الزواج في العصر الاشوري الحديث في ضوء المصادر المسمارية "، مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، ع ٢٨، ج ٢، جامعة تكريت، (تكريت:٢٠١٨).

١٥. الدليمي، وصال فيصل حمادي، المصاهرات السياسية في العراق القديم في ضوء المصادر المسمارية المنشورة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، كلية الآداب، قسم الاثار القديمة، (الموصل:٢٠٠٩).

١٦. ديكانوف و ترافيموف، جماليات ملحمة كلكامش، تر: عزيز حداد، ط١، (بغداد:١٩٧٣).

١٧. الراوي، فاروق ناصر، " الأوضاع الاجتماعية " موسوعة الموصل الحضارية، ج١، ط١، (الموصل:١٩٩١).

١٨. --------، "جوانب من الحياة اليومية"، حضارة العراق، ج٢،(بغداد:١٩٨٥).

١٩. روثن، مرغريت، علوم البابليين، تعريب وايضاحات: يوسف حبي، (بغداد:١٩٨٠).

٢٠. ساكز، هاري، الحياة اليومية في العراق القديم بلاد بابل و آشور، تر: كاظم سعد الدين، ط٢، (بغداد:٢٠١٧).

٢١. --------، قوة آشور، تر: عامر سليمان، (بغداد:١٩٩٩).

٢٢. ستيفاني دالي، ماري وكارانا (مدينتان بابليتان قديمتان)، تر: كاظم سعد الدين، (بغداد:٢٠٠٨).

٢٣. سهيل قاشا، المرأة في شريعة حمورابي، (الموصل:١٩٨٦).

٢٤. السواح، فراس، جلجامش ملحمة الرافدين الخالدة، (سوريا: ب. ت).

٢٥. --------، مدخل إلى نصوص الشرق القديم، (دمشق: ب.ت).

٢٦. الشواف، قاسم، ديوان الأساطير سومر واكاد واشور – الموت والبعث والحياة الأبدية، ك٤، ط١، (بيروت:٢٠٠١).

٢٧. --------، ديوان الأساطير سومر وأكاد وآشور – الآلهة والبشر، ك٢، ط١، (بيروت: ١٩٩٧).

٢٨. --------، ديوان الأساطير سومر وأكاد وآشور – الحضارة والسلطة، ك٣، ط ١، (بيروت: ١٩٩٩).

٢٩. --------، ديوان الأساطير سومر وأكاد وآشور – أناشيد الحب السومرية، ك١، ط١، (بيروت:١٩٩٦).

٣٠. طه باقر، مقدمة في أدب العراق القديم، (بغداد: ١٩٧٦).

٣١. --------، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج١، ط ١، دار الوراق، (بغداد:٢٠٠٩).

٣٢. --------، ملحمة كلكامش أوديسة العراق الخالدة، (بغداد: ١٩٨٠).

٣٣. --------، ملحمة كلكامش، ط٤، (بغداد: ١٩٨٠).
٣٤. عامر سليمان، العراق في التاريخ القديم موجز التأريخ الحضاري، ج٢، (الموصل: ١٩٩٣).
٣٥. --------، القانون في العراق القديم دراسة تأريخية قانونية مقارنة، (بغداد: ١٩٨٧).
٣٦. --------، نماذج من الكتابات المسمارية، ج١، (بغداد:٢٠٠٢).
٣٧. فاروق إسماعيل، مراسلات العمارنة الدولية وثائق مسمارية من القرن ١٤ ق.م، ط١، (دمشق:٢٠١٧).
٣٨. فاضل عبد الواحد علي، "اعراس الآلة تموز ومأساته في طقوس الزواج المقدس والحزن الجماعي"، مجلة سومر، مجلد ٢٨، ج١-٢، (بغداد:١٩٧٢).
٣٩. --------، "الأدب"، حضارة العراق، ج١، (بغداد: ١٩٨٥).
٤٠. --------، "أناشيد الزواج المقدس لتموز ونشيد الانشاد لسليمان"، مجلة سومر، مجلد ٣٤، ج١-٢، (بغداد:١٩٧٨).
٤١. --------، سومر اسطورة وملحمة، ط٢، (بغداد:٢٠٠٠)، ص ٢٧٨. ؛ الزيباري، اكرم سليم، أهمية الرسائل والمراسلات في العهد البابلي القديم، (بغداد:١٩٧١).
٤٢. --------، عشتار ومأساة تموز، (بغداد: ١٩٧٣).
٤٣. الفتلاوي، أحمد حبيب سنيد، اسرحدون ٦٨٠ – ٦٦٩ ق.م، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة واسط، كلية التربية، قسم التاريخ القديم، (واسط: ٢٠٠٦).
٤٤. الفتيان، أحمد مالك، نظام الحكم في بلاد وادي الرافدين الإمبراطورية الاشورية نموذجاً، ط١، (بغداد:٢٠١٨).
٤٥. الفؤادي، عبد الهادي، " رحلة اينانا إلى اريدو"، مجلة سومر، مجلد ٢٧، (بغداد: ١٩٧١).
٤٦. فوزي رشيد، الشرائع العراقية القديمة، ط ٣، (بغداد:١٩٨٧).
٤٧. --------، القوانين في العراق القديم، سلسلة الموسوعة التاريخية الميسرة، ط١، (بغداد:١٩٨٨).
٤٨. كريمر، صاموئيل نوح، "طقس الزواج المقدس ونشيد الانشاد"، تر: بديعة أمين، آفاق عربية، ع ٢، (بغداد:١٩٧٩).
٤٩. --------، الأساطير السومرية دراسة في المنجزات الروحية والأدبية في الألف الثالث قبل الميلاد، تر: يوسف داود، (بغداد:١٩٧١).
٥٠. --------، من ألواح سومر، تر: طه باقر، ط١، (بغداد:٢٠١٠).
٥١. لابات، رينيه، المعتقدات الدينية في بلاد وادي الرافدين – مختارات من النصوص البابلية –، تر: الاب البير ابونا، ط٢، (بغداد:٢٠٠٤).
٥٢. الموسوي، أنور غني، ملحمة كلكامش سين ليقي أونيني، ط١، (بابل:٢٠١٦).
٥٣. ميادة كيالي، المرأة والالوهة المؤنثة في حضارات وادي الرافدين، ط١، (بيروت:٢٠١٥).
٥٤. نائل حنون، ملحمة كلكامش، ط٢، (بغداد:٢٠١٧).
٥٥. --------، نصوص مسمارية تأريخية وأدبية، ط١، (بيروت:٢٠١٥).
٥٦. النجفي، حسن، معجم المصطلحات والاعلام في العراق القديم، ط١، (بغداد:١٩٨٢).
٥٧. الهاشمي، رضا جواد، "القانون والاحوال الشخصية"، حضارة العراق، ج٢، (بغداد:١٩٨٥).
٥٨. --------، نظام العائلة في العهد البابلي القديم، (بغداد:١٩٧١).
٥٩. الهموندي، آرام جلال حسن، نصوص مسمارية غير منشورة من مدينة بيكاسي في العصر البابلي القديم، ط١، (دمشق: ٢٠١٧).
٦٠. وصال فيصل حمادي، "حرفة الخياطة في العراق القديم"، مجلة التربية والعلم، مجلد ٢٠، ع ٤، (الموصل:٢٠١٣).
٦١. ولكشتاين، دايان و كريمر، صموئيل نوح، اينانا ملكة الأرض والفردوس اسطورة بلاد مابين النهرين، تر: شاكر الحاج مخلف، ط١، (بغداد:٢٠٠٨).

62. Von Soden, W., Akkadisches Handwörterbuch, (Wiesbaden), AHW.
63. Albright, W.F., " Gilgames and Engidu, Mesopotamia Genii of Feaindity" , JAOS, vol. 40, (USA: 1920).
64. AL-Rawi, Farouk, N. H. And Black, J.A. "The Jewels of Add" SUMER, vol. 39. No.1-2, (Baghdad: 1983).
65. Alster, B. "Sumerian Love Song", RA , vol.79 , No.2 , (France:1985).
66. Annus, A., " The God Ninurta in the Mythology and Royal Ideology of Ancient Mesopotamia", SAAS, vol.XIV, (Helsinki,2002).
67. Bahrani, Z. " Jewelry and Personal Arts in Ancient Western Asia", CANE, vol.3, (New York:1995).
68. Bienkowski, P. & Millard, A., Dictionary of the Ancient Near East, (USA:2000).
69. Black, J. and Others, The Literature of Ancient Sumer, (Oxford:2004).
70. Gelb and Others , Chicago Assyrian Dictionary: The Assyrian Dictionary of the Oriental Institute, University of Chicago. CAD.
71. Civil, M., " The Message of Lú- Dingir- ra to His Mother", and a Group of Akkado-Hittite "Proverbs", GNES, Vol. 23, No. 1, (Chicago:1964).
72. Cochavi- Rainy, Z., Royal Gift in the late Bronze Age Fourteenth to Thirteen Centuries B.C.E.,(Israel:1999).
73. Dalley, s., Mari and Karana two old babylonion cites, (London & New York: 1984).
74. Dossin, G., "Correspondance De Šamši-Addu", ARM , vol.1, (Paris:1950).
75. ----------, " Correspondance Féminine", ARM, vol. 10, (Paris: 1978).
76. George, A.R., The Babylonian Gilgamesh Epic, vol. II , (Oxford:2003).
77. Jacobsen, Th, The harps that once … , (London: 1987).
78. ----------., "Sumerian Mythology: A Review Article", JNES, vol.V, (London: 1946).
79. Kataja, L. and Whiting, R., "Grants decrees gifts of the Neo-Assyrian" SAA, vol. XII, (Helsink:1995).
80. Kavacs, M.G., The Epic of Gilgamesh, (USA:1989).
81. Kramer, S. N., Sumerian Mythology A Study of Spiritual and literary Achievement in the Third
82. Leemans, W. F., Ishtar of Lagaba and Her Dress, (London:1952).
83. Legrain, Leon, " Historical Fragments" PBS, Vol. 13, (Philadelphia:1922).
84. Longdon, S., The Babylonian Epic Creation, (oxford: 1923).
85. Millennium B.C., (New York: 1961) .
86. Oppenhein, A. Leo, The Colden Garmnts of The Gods, JNES, vol.8, No.3 (Chicago:1949).
87. Parker, B. " The Nimrud Tablets, 1952 Business Documents", IRAQ, vol.16, (London:1954).
88. Pritchard, J. B., Ancient Near Eastern Texts Relating Old Testament, (Princeton:1969).
89. Roth, M.T., Law Collections from Mesopotamia and Asia Minor, vol.6 , 2nd, (Atlanta:1997).
90. Sack, Ronald, H., " Some Remarks on Jewelry Inventories from Sixth century B.C. Erech", ZA, Band, 69, (Berlin:1979).
91. Sefati, Y., Love songs in Sumerian literature, (Israel:1998).
92. Talon, Philippe, " The Standard Babylonian Creation Myth Enūma Eliš " , SAACT, Vol. IV, (Finland: 2005).
93. Westenhollz, J. G., " Love Lyrics From The Ancient Near East ", CANE, vol. 4, (New York : 1995).

موقف الصحف العراقية من فكر الحركة الشيوعية ١٩٣٣ .١٩٤٥

حيدر علي طوبان

أ.د.موسى محمد ال طويرش

الجامعة المستنصرية / كلية التربية

موقف الصحف العراقية من فكر الحركة الشيوعية ١٩٣٣ ـ١٩٤٥

حيدر علي طوبان

أ.د.موسى محمد ال طويرش

المقدمة :

حظيت الحركة الشيوعية العالمية باهتماما بالغ من قبل الأوساط العالمية ، لما حققته من انتصارات واضحة أبرزها تكوين الاتحاد السوفيتي الذي وصل بفضل هذه الحركة الى ان يتقاسم السيطرة على العالم مع الولايات المتحدة الامريكية، كنتيجة من نتائج الحرب العالمية الثانية ، فضلا عن تحقيق الحركة الشيوعية انجازات تمثلت بتكوين انظمة في دول عدة من ابرزها الصين. وقد تناولت الرسائل والأطاريح الجامعية وكتب عدة جوانب مختلفة عن الحركة الشيوعية الامر الذي دعانا الى التطرق الى جانب مهم يتعلق بموقف الرأي العام العراقي من هذه الحركة العالمية المهمة وكيف تناولت الصحف العراقية خلال العهد الملكي هذه الحركة وكيف قيمتها. اذ كان هذا الموضوع مهما لقياس توجهات القوى السياسية المختلفة في العراق ومواقفها وتحليل تلك المواقف. لا بل ان مؤسس الاتحاد السوفيتي (لينين) كان يركز على دور الصحافة ويعتبرها اللسان الناطق للحركة الشيوعية العالمية .ومن هنا جاء اختيار الموضوع ليؤرخ لموقف الصحافة العراقية من الحركة الشيوعية خلال ١٩٣٣-١٩٤٥.

صنف البحث الصحف الى ثلاثة فئات الاولى هي الصحف المعارضة وشملت الصحف ذات التوجه الوطني المناهض لعمل الحكومة ولكن لم يكن معارض للنظام الملكي فضلا عن الصحف التي تعاطفت مع النهج الشيوعي اذ كانت ترغب بثورة ضد النظام القائم آنذاك .اما الفئة الثانية فشملت الصحف القومية، المدعومة من شخصيات ذات توجه قومي عربي معروف فضلاً عن ما صدر عن منظمات واحزاب قومية . اما الفئة الاخيرة فهي صحف حكومية او ممولة من قبل الحكومة فكانت لسان حال الحكومة ومعبره عن الموقف الرسمي للحكومة.

١. موقف الصحافة القومية

من المعلوم بان الصحافة الحزبية هي انعكاس فكري لايديولوجية الحزب وتطلعاته ، وبالتالي فان الاحزاب القومية ناصبت الشيوعيون العداء لانهم كانوا يدرك زيف ادعائات الحركة الشيوعية القائلة:" بان واجب الدفاع عن المصالح القومية ،يعد واجبا وطني واخلاقي " ، كون ان الهدف الاسمى للشيوعي هو الدفاع عن الطبقة العاملة بغض النظر عن الانتماءات القومية بالمعنى الذي يؤمن به القوميون في العراق[١].

ومن هذا المنطلق، بينت الصحف القومية(مساوئ الشيوعية)،حسب اعتقادها، من خلال مقالات عدة ، ففي عدد الصادر في ٢٧ كانون الاول بينت جريدة الاستقلال ماوصفته حربا للحركة الشيوعية على الدين من خلال جمعية الإلحاد في روسيا استأنفت الحملة الشيوعية على الدين اسوة في الاعوام التي سبقت عام ١٩٣٣ وان الشيوعية الدولية قد كلفت احد اساتذة جامعة موسكو لالقاء سلسلة محاضرات للاديان ودحضها على اعتبار هذا منسجم مع الفكر الشيوعي[٢].

وفي السياق ذاته اكدت مجلة "المثنى" بان محاربة الاديان من أولى مبادئ الشيوعية و القضاء التام على الأديان التي هي في" الحقيقة المانع الرئيسي للبشر عن ارتكاب الموبقات". ولاجل ان تصل الشيوعية الى هدفها هذا فهي لم تكفيها أعمال العنف والاضطهاد التي قامت وتقوم بها تجاه الروحانيين على مختلف عقائدهم ، بل اخترعت بدعة جديدة تؤثر بها على "عقول البسطاء والسذج "وهي استخدام العلم لتبيان مؤثرات قد تبدوا للعامة انها اعمال خارقة من اجل محاولة تسفيه ما جاء من معجزات سماوية في العالم. وذلك من خلال تهيئة هيئة علمية روسية وعمل التجارب امام الجمهور من القرويين[٣]. وهذا العمل يدل على دهاء المخططين للحركة الشيوعية العالمية لمكامن قوة المجتمعات لاسيما الدينية من اجل وخبثهم وتجاوزهم للخطوط الحمراء التي تكفل حرية ممارسة الاديان وليس محاربتها من خلال تسخير طاقات البلد في ذلك.

وفي الجانب الفكري ايضا قالت مجلة "المثنى" ان الشيوعية تمارس نوعا من " الحجر على التفكير في البلدان التي تسيطر عليها. اما ما" يروج حاليا من حرية الفكر ، ما هو الا تزييف للحقائق" كون ان الفكر الشيوعي لايقبل بغير ماركس وطروحاته وطروحات خلفائه من قادة الفكر الشيوعي ومفكريه[٤]. كما قالت صحيفة قومية اخرى بان النزعة السياسية للفكر الشيوعي هو نزعة استعمارية[٥]. لان الاتحاد السوفيتي يسعى الى ايجاد اتحاد عالمي تحت العقيدة الشيوعية ، وهذا ماطبقه عقب تأسيسه الدولة وتوسيع نفوذه ليشمل دول خارج ذلك الاتحاد السوفيتي.

وفي مقال مهما اخر بينت مجلة "المثنى" بان الفرق بين الاشتراكية التي يؤمن بها التيار القومي وبين الاشتراكية الشيوعية ،فالمبادئ الاشتراكية العالمية او الشيوعية فهي على النقيض من الفكر القومي ولا يجتمعان على اي ناحية من نواحي الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية اذ ان الشيوعية تستهدف القضاء على كافة الفوارق الاجتماعية الموجودة بين الأمم والشعوب بينما الاشتراكية تقضي بإقرارها وتوثيقها هذا من جهة .اما من جهة أخرى ان الشيوعية تبني فلسفتها في الحياة على اساس المادة فقط ولا يعنون بالمعنويات .اما معتنقو القومية يعادلون بين الاثنين[٦].

وأخيرا خلص المقال الى ان الشيوعية ترجع كل الشرور والويلات الى وجود العصبيات القومية والوطنية من جهة ومطامع الطبقات الارستقراطية والرأسمالية من جهة اخرى الذين يغذون هذه العصبيات وينمونها الى اقصى حد ممكن في سبيل اشباع جشعهم الاستعماري ، ولذلك يريدون الغاء تلك العصبيات واعتبار

العالم وطنا واحدا. لكن المقال قال بان القوميون يخالفون رجال الحركة الشيوعية ويقولون بان فقدان العدالة بين الأمم(٧).

ان هذا المقال كتبه سياسي عراقي وهو مهدي كبه واراد من خلاله ان يقول بان المادية فقط هي من تحكم الحركة الشيوعية ،ولكن الجانب المعنوي له مكانته ايضا لدى الشيوعيون والدليل احياء الاحتفالات لذمرى شخوص وتكريم الشخوص وغيرها من الممارسات تدل على اهتمام الشيوعيون بالجانب المعنوي ايضا،لابل ان المحرك الذي حرك الشيوعية هي الجانب المعنوي لدى الطبقة العاملة.

٢. موقف الصحف الحكومية

كتبت الصحف الحكومية في هذه المدة عن الحركة الشيوعية وابرز شخوصها لاسيما شخصية زعمائها اذ قالت بان ما حلت الشيوعية ارضا الا وحلت معها بذور الفساد والتفسخ ، لان الواقع الذي لايقبل الاعتراض ولا يدع مجالا للجدل اثبت ان الشيوعية فكرة هدامة بعيدة كل البعد عقائد البشر وانها فكرة مبنية على الهدم والتخريب. ثم ساقت دليلا على عدم صلاحية الفكر الشيوعي اذا ما طبقت على الارض الواقع "وهو ذلك الكفاح العنيف الذي تلاقيه في اكثر ممالك العالم المتمدنه ، فلو كانت فكرت الشيوعية صالحة ترمي الى التقدم ، لوجدت لها انصارا ، واعوان بدلا من ان تجد لها خصومة شديدة من الكل وفي كل بقاع الارض .

وهنا نقف قليلا لنقول بان هذه الحجة ليست بالدليل على سؤ الفكر الشيوعي لان الامام علي عليه السلام قال لاتستوحشوا طريق الحق لقلة سالكيه .

كما اشرات الجريدة في المقال ذاته إلى القول ان الشيوعية تفننت بالدعاية الشيوعية ولكنهم ممها تفننوا بالدعاية او حاولوا تحبيبها الى عقول البشر وتصويرها وفق طرق خاصة على انها تتفق وشرائع الدين او طبائع البشر ،" فان كل فنون الدعاية لن تستطيع ان تحجب مقاصدهم" الهدامة الخبيثة "وذلك لان العالم قد اكتشفها" والدليل ان حتى عام ١٩٣٥ من حاول ان يصور روسيا جنة هي جحيم العالم(٨).

وفي مقال فكري معنون " موقف الاشتراكيين من الانتصار الهتلري" تناولت جريدة العراق في عددها الصادر في ٢٩ كانون الثاني عام ١٩٣٥ عقب انتصار هتلر في حسم مسألة السار لصالحة قالت فيه ان الانتصار في السار يعد بمثابة فصل من المعارك السياسية في المانيا خاصة والعالم الاوربي عامة .ويبشر بمزيد من التقهقر جديد للشيوعية .اذ سحق هذا المبدأ سحقا واضمحل هذا المبدأ .وللعمل فان اصحاب المبادئ الشيوعية قالوا بان الديمقراطية والاشتراكية تماشيان تماما في حلبة واحدة ، في حين ان اختبارات هذا العصر تدل عكس ذلك تماما . ولا مهرب من القول بان الشيوعية تتحمل شطرا كبيرا من المسؤولية في انكسار الحريات لانها هي من عملت على "توجيه الطعنات للديمقراطية وتلبس قناعا ليس بقناعها" .لان الماركسية التي اساس الشيوعية ودستورها المقدس مبدأ قائم على القوة . حتى ان اغلب

اعضاءه فيها واشدهم رغبة للسلام ينزعون الى العنف كلما كان الامر في غير صالحهم .ولا سيما اذ انتصرت واستولت على الحكم تنزع قناعها وتتجه الى العنف.

تسعى الشيوعية لتفكيك عرى الراوبط الوطنية والقضاء على تكاتف الطبقات الذي هو اساس كل ديمقراطية مكتفية بطبقة العمابل .والشيوعية هي تبشير بدولية لا انسانية لانها لاتستند الا الى تحاد الطبقات من العمال على اختلاف بلدانهم. واهم غايات الشيوعة انشاء ديكتاتورية على هذه الحرب الاجتماعية(٩).

وفي مقالة بعنوان "لماذا اعلن الارهاب في روسيا الحمراء "لجريدة "العراق" في ١٤ شباط ١٩٣٥ قالت فيه بان الشيوعية واجهت خطرا شديدا بل ضرب صميم المعتقد الشيوعي اثر قيام بعض زعماء الحزب الشيوعي في وجه ستالين واخذهم عليه ما قام به من اصلاحات اجتماعية والسماح بمظاهر الرخاء وجمع المال .واكدوا ان ماقاموا بان هذا الرخاء في العيش وانتشار الملاهي ووفرة المال في ايدي الشعب يتبعها تثقيف اصلاح وافكار الطبقة البرجوازية تمام المطابقة .والمقابل انه نلك تناقض مع المبادئ الشيوعية. ولكن خلص المقال الى ان حكم ستالين له القدرة على المحافظة على الشيوعية وذلك لانه يسيطر على الاتحاد السوفيتي بشكل اكبر من هتلر وموسوليني (١٠).

كتبت جريدة "العراق" في ١٤ اب ١٩٣٦ مقاللا بعنوان(الثورة العالمية).قالت بان الشيوعية سببت الدمار في البلدان التي اعتنقت مبادئها والدليل على ذلك ان اليونان قد دفعت الى اعتناق الدكتاتورية(١١) وبتائيد الجيش اليوناني للتخلص من الشيوعية وحل البرلمان لنفس السبب وقالت بان ما يجري في اليونان جرى في اسبانيا اي صراع بين الشيوعية الزاحفة والفاشية الصامدة وان الحرب الاهلية في اليونان اتيه لا ريب لا بل ان الحر ب الاهلية ستنطلق في فرنسا وبلجيكا لنفس الاسباب .ان الثورة الشيوعية سوف تهدد العالم اجمع بقيام الثورة العالمية تزول بوجودها الديمقراطية المعتلة التي اوجدتها الثورة الفرنسية .كما حمل المقال الشيوعية مسؤولية نشؤ الفاشية اذ قالت بان الفاشية هي الدواء للداء الشيوعي واقوى مبدأيصلح لمقاومة الشيوعية وتفرعاتها" ولكن ذلك جر العالم الى الانقسام الى ثلاثة اقسام كتلة شيوعية وكتلة فاشية وكتلة مترددة بين الاثنين وان العالم سائر الى ان يكون كتلتين فقط ممثلة بالفاشية ومركزها روما وشيوعية وعاصمتها موسكو.وبالتالي فان الشيوعية ستؤدي الى نشؤ حربا عالمية جديدة حيث ان ذلك من اهم مبادئها التي قالت بان الحياة بدأت بصراع بين الافراد وتطور ليصبح بين عوائل وطوائف ودول(١٢).

وهذا التفسير غير دقيق لان العالم الرأسمالي كان ولايزال له الدور المحوري في احداق ومسارات العالم والتاريخ .

فيما كتبت جريدة" العراق" في عددها الصادر في ٢٢ شباط عام ١٩٣٥ بان الشيوعية ماهي الا اشتراكية متطرفة بل يمكن لنا القول بان من مهام الصحافة ان تبين اللبس بين الاشتراكية والنظام

الشيوعي الذي يختلف في عدة امور لان الاشتراكية عكس الشيوعية في عدم ارغام الناس وفرض الثورة على الناس اذ اكد ماركس على ان الاصلاح من غير ثورة امرا مستحيل [١٣].

ونقلت جريدة "العراق" عن جريدة جورنا لدي جنيف " السويسرية بان هتلر له الفضل في كشف الصراع المستتر بين الاشتراكية والشيوعية وان هذا النزاع سوف يؤدي الى حربا عالمية ليس للاشتراكية دورا فيها وانما سببها الاساسي هو الشيوعيون لعدم تغييرهم مبدأ الثورة العالمية لا بل جعلوا منه موسكو مراكزا لانطلاقهم وازداد هذا النشاط في العالم واوروبا كما شاهدنا في اسبانيا او اليونان [١٤].

وفي مقال اخر ذا صلة بما نشر في المقالات السابقة نشرت جريدة البلاد مقالا بعنوان " لانازية ولا شيوعية " سلطت جريدة العراق على مبادئ قالت بان صحف اوروبا اعتبرت ان في العالم قوتين تتنازعان النفوذ والسيطرة بمبادئها على العالم وهما الشيوعية والنازية. وان محاربة اجتماعي ملائم للحياة .وازالة التبلبل السائد في مرافق اوروبا الاقتصادي والاجتماعية .واجابت الصحيفة بالقول ان الشيوعية ليست مبدأ اجتماعي صحيح ولا يملك نظاما قويا ليقوم مقام النظام الديمقراطي الدستوري الحر" والمحافظة على الحقوق الفردية والملكية الخاصة.

ثم وصفت الجريدة بان اعظم ثورة هي الثورة الروسية التي حدثت في شباط ١٩١٧التي اوجدت لكي تفك قيود الرق والعبودية .لكنها سرعنما انهارت وتحولت مبادئها الى الفردية..

وساقت دليلا على ذلك هو انقلاب ستالين الذي وصفته" بالحازم الجبار" ومن لف لفه عن المبادئ الشيوعية التي جاء بها ثورة لينين والتي سار بها عن طريق كارل ماركس. وبذلك فقد وبذلك فقد نادت الماركسية اللينية " ان الشيوعية بمعناها العام محو الملكية الفردية واذابة الفردية في بوتقة الجماعة"والذي لايمكن للطابع البشر ان يتقبله .

كما قال بان الدستور السوفيتي قد تغير وتناقض للفكر الشيوعي. ثم عاد وامتدح الزعيم السوفيتي (ستالين) بكونه ذا فكر ثاقب وانه من عرف بان مبادئ ماركس لايمكن تطبيقها بحذافيرها [١٥].

وقالت جريدة "الدفاع" بان ستالين قد خان الشيوعية وخان العمال وبدد تراث لينين ، واتبع سياسة رأسمالية وانه اقام نظام ارهابي شامل. كما انهى تروتسكي قوله "ان الثورة قد غدر بها القائمون بالأمر ألان في روسيا" ولكن لم تسحق نهائيا وبان السياسة الشيوعية الان في روسيا تقوم على أساس الإرهاب وتدبير المؤامرات. ثم ان لاريب تروتسكي هو اليوم أعظم حجة في شؤون روسيا السوفيتية وقالت بان لديه مستندات هامة تلقي الضوء على أعمال العصبة التي تسيطر على مصائر روسيا ومن معهم [١٦].

ومثل عام ١٩٣٧ عام دموي مارسته الحركة الشيوعية للوسط الحاضن له . بنظر الصحافة الحكومية . اذ قالت بان المارشال مارشال وسبعة من القواد الحرفيين نفذ فيهم حكم الإعدام .والقي القبض على ٩٠٠ جندي في كييف في أوكرانيا و٣٠٠ جندي اخر في جاركوف وسوف يلاقون المصير نفسه، اي الاعدام[١٧].

وفي عام ١٩٣٨ اتهمت الصحف المعارضة الحركة الشيوعية ان ستالين قد اعدم جميع التروتسكيين وان المحاكمات التي جرت الى بعض التروتسكيين امام الناس ما هي الا مجرد ممثلين وهي بدعة من قبل السوفيت وذلك لرباطة جاش المتهمين وسرعة الاعتراف رغم " ان اعترافهم قد يؤدي الى الاعدام .لكن الجريدة قالت بانها على يقين بان المتهمين الحقيقين اعدموا سلفا وما هؤلاء الا كومبارس [١٨].

في شان اخر ذا اهمية قصوى كون ان الفكر الشيوعي له رأيا خاصا في الدين فقد بينت الجريدة نقلا عن جريدة الاوسرفاتوري رومانو لسان حال الفاتيكان التي قالت بان الكاردينال دريبي رئيس اللجنة التي شكلت للنظر في حالة الدين وعلاقته بالنظم الشيوعية والأساليب .قالت بانه لا يعلم اذا كانت محاربة الشيوعية للدين هي وسيلة ام غاية للثورة الشيوعية .وقالت بان محاربة الدين من قبل الشيوعية كان خفيا وغير ظاهر حتى عام ١٩٣٠ اذ انكشف وتحول الى شيء علني [١٩].وخير دليل تأسيس الجمعية الإلحاد عام ١٩٣٠ التي أسستها حكومة السوفيت لغرض محاربة الدين وتسيير الدعوة اللادينية التي تنشرها الشيوعية خير قيام وأسهل لانها لم تقاومها كشدة مقومة دعاة الشيوعية غم أنها تهدف إلى تعضيد الشيوعية وقالت بان الجمعية وضعت هدفا إستراتيجيا وهو محوا الدين في روسيا عام ١٩٣٧.وهو هدف الحركة الشيوعية باستثناء كالينين وأنصاره. وتقوم الجمعية بالعمل بجد في هذا السبيل وهي تجند دعاتها من الشباب الذين لم يتجاوزون الرابعة عشر من العمر وترسخ عقيدة الالحاد في نفوسهم ثم تنطلق وقد قامت في عام ١٩٣٣ بتجنيد مئتين شاب زنجي لزجهم في إفريقيا والى قبائل السود ليحثوا على الكفر والإلحاد والاتحاد [٢٠] .

وفي عام ١٩٣٨ قالت جريدة "العراق" بان على الرغم من انقضاء عشرين سنة لكن الشيوعيون مازالوا يضطهدون رجال الدين المسيحي ويهدمون الكنائس وسائر بلاد السوفيت اذ قلص عدد الكنائس من ٤٠٠ كنيسة في موسكو قبل الثورة الى ٢٨ كنيسة فقط حتى ان المصلين باتوا يصلون في الشوارع بسبب هذا النقص والهدم الممنهج طوال عشرين سنة [٢١].

اما في عام ١٩٣٨ صورت جريدة الميزان الحركة الشيوعية بشكل حوار هزلي بين داعية شيوعي وفلاحا بسيط" اذ قالت بان الداعية قال الشيوعية معناها ان جميع الاشياء مشاعة لجميع الناس.

فساله الفلاح "كيف ذلك؟

الداعية: اذ كان عندك بدلتان من الملابس فاعط واحدة منهما.

اجابه الفلاح "والذي لاتوجد عنده بدلة؟ وانا لا املك الا بدلة واحدة.

الداعية"واذا كان عندك بيتان فأعط واحد لمن لابيت عنده.

الفلاح"انا لا املك الا بيتا واحدا.

الداعية الشيوعي"اذا كان عندك بقرتان فاعط واحدة. اجابه الفلاح انا شيوعي اذا استثنيت البقرات لان البقرتان افنيت عمري عليها [٢٢].

وقالت جريدة "العراق" في عددها الصادر في ١٢ كانون الثاني عام ١٩٣٧ في عنوان الشيوعية مبدأ هدام ان الكنائس الكاثوليكية قد اصدرت منشورا يخص الشيوعية ويعتبرها " مبدأ هداما للانسانية والحضارية وعاملا من عوامل الكفر والالحاد " كما نقلت وجهة نظر الكنيسة الارذوكسية اليوغسلافية قولها بالشيوعية " ان الشيوعية سما زعافا يفعل مفعوله في قتل الروح الانسانية ويؤدي الى هدم الحضارة الحديثة .وهذا السم يتناول بمفعوله النظام العائلي فيقضي عليه بمعولها الهدام على الشعب والدولة" [٢٣] .

فيما بين مقال لاحد الصحف الحكومية ماهي أهداف الشيوعية من نشر دعايتهم اذ قالت الجريدة البلاد" ان الشيوعيون يضعون العنف في تجارتهم اينما حلوا ، فهم لا يفقهون للسيطرة على اداة الحكم او الظفر بصولجان السياسة الا أساليب العنف الملطخة بالدماء وهم يثيرون القلاقل ويبثون الفتن كلما سنحت لهم فرصة هم يرغبون بالدمار .والدليل حصول اضطرابات حديث في هالرلم بنيويورك قيل بانه سبب البعض على احد العبيد[٢٤].

واسائتهم معاملته فما هي هذه الفرصة حتى استفاد منها الشيوعيون وانتهزوا الفرصة ويستخدموا" بعضهم فيصبحون سادة الموقف ورجال الساعة". وهذه الفكرة يحملها الشيوعيون وان هذه الأهداف ماهي الا أحلام فاشلة واوهام سخيفة وخيال مشوه يدركه الرجل العادي.وقالت بان "هؤلاء المشاغبين يجب التخلص منهم حالا" [٢٥] .

وفي ايار من عام ١٩٤٠ قالت جريدة "العراق" ان هنالك ادلة على ان تغييرات ستحدث في العالم وان الشيوعية ستزول بعد اربع سنوات او خمس سنوات ويفقد ستالين مكانته وتصبح الشيوعية حلما من احلام الماضي[٢٦].

والملاحظ ان المدة التي اعلنت الاتحاد السوفيتي انضمامه الى الحلف الامريكي الفرنسي البريطاني ضد المانيا شهد انتعاش فكري وحرية كبيرة لانتشار الافكار الشيوعية والتمجيد بانجح تجربة للحركة الشيوعية المتمثل في الاتحاد السوفيتي .فنشرت الكثير من المؤلفات والعناوين التي تمجد بالحكة بصيغ مختلفة .ومنها مقاله التي عنونت " حليفنا الاتحاد السوفيت الذي اثنى على قرار الرأسمالية لتحالفهم مع الشيوعية لمحاربة الافكار النازية من اجل " مجتمع ثابت الاركان " وهذه دعوة صريحة لان تقول للراي العام ان الشيوعية مبدأ عالمي يمكن ان يقوي اركان العالم وليس العكس كما كان ينشر [٢٧] .

٣. موقف صحف المعارضة

دأبت صحف المعارضة على بيان جوانب الفكر الشيوعي وتوضيح بعض الخفايا فبينت جريدة الراي العام ان يوم واحد ايار هو يوم للبروليتاريا اي يوم شيوعي "وان لم تنطقها صراحة، يكون مخصص للمنظمات البروليتارية" والتي تدعوا الى التخلص من الرق ضد المبادئ الراسمالية وحتى الدول التي لا تعطى حق التظاهر في هذا االيوم فان واحد ايار يمثل متنفس اصحاب المبادئ التواقة للحرية وهنا يقصد بها الشيوعية وقامت الجريدة بتوصيفات " الاتحاد السوفيتي العظيم والجيش الاحمر المظفر" وهكذا [٢٨]

كما بينت مجلة "عالم الغد" الشيوعية التوجه بان ما يجري بين العالم حاليا صراعا فكريا وعقائديا وهي حرب مبادئ واراء اذ وصفت ما يجري في ايطاليا وبولندة وبلجيكا بين الرجعية الرأسمالية وبين القوى اليسارية الشيوعية التي تريد انزالة المنافع الخاصة والامتيازات الموروثة بشكل جذري .وان الاشكال بعدم تقبل الشيوعية بسبب مواقف الدول العظمى وليس للمجتمعات اذ ان روسيا السوفيتية تريد تطبيق مبدأ العدالة الاجتماعية بشكلا كامل الى اقصى حدوده .واكد المقال الى ان الاقطار العربية الواحدة تلو الاخرى بدأت تظهر بجلاء في الاقطار العربية لاسيما لبنان وسوريا ثم العراق ومصر ولافائدة من شكوى فئة من الناس من انتشار الشيوعية لان العالم يواجه نظرة جديدة .ودعى بصراحة الى اعتناق الشعب العراقي مبدأ العدل الاجتماعي وهو بذلك دعوة شيوعية [٢٩] .

من المعلوم بان صحف المعارضة لاسيما الصحف اليسارية كانت تعاني من الحظر وهذا الامر قد جعل تناول المبادئ والفكر الشيوعي من امور الصعبة التحقيق.

من خلال الاطلاع على دور ومواقف الصحافة العراقية بكافة توجهاتها وميولها خلال العهد الملكي من الحركة الشيوعية العالمية وتاثيرها على المحيط الاقليمي والعربي والعراقي يمكننا التوصل الى عدة استنتاجات نجملها بما يلي:

– لعبت الصحف العراقية بصورة عامة دورا هاما في نقل الافكار الشيوعية واهم تطبيقات ذلك الفكر عندما تحول على ارض الواقع متجسدا بتجربة الاتحاد السوفيتي او الصين الشيوعية او الثورات الشيوعية في، المانيا و اسبانيا و اليونان وغيرها، الى المجتمع العراقي متخذتا مواقف غير موحدة بناءاً على عقيدة تلك الصحف فتارة توصف معتنقي الفكر الشيوعي ثوار وتارتا أخرى أصحاب المبادئ الهدامة وأخرى توصف الحركة الشيوعية بالحياد من الجبهتين المعادية للشيوعية او مؤيدة لها. ولكن الصحف العراقية كانت توفر معلومات تخص الحركة الشيوعية وتقدمها للراي العام، حتى اصبحت مثل تلك الاخبار صفة ملازمة لاي صحيفة.

– ان الصحافة العراقي صحافة رأي وليس صحافة خبر كون اغلب كتابها هم من كبار الشخصيات السياسية او الأدبية او اصحاب المناصب السيادية كوزراء وغيرهم وكانت مساهمتها في نشر المقالات المترجمة ذات المضامين الفكرية التي تخص الفكر الشيوعي ورغم ان بعض المقالات كانت تنم عن دراية كاتبها واحاطته بالفكر الشيوعي ومراميه الا ان مقالات اخرى يشعر المتتبع وكأنها قد لقنت للكاتب .و لكن مثل هكذا مقالات لاقت رواجا بين الطبقة المثقفة لاسيما وان الشيوعية كانت الشغل الشاغل للناس آنذاك.

– ورغم وجود قانون المطبوعات ١٩٣١ وعقوبات وصلت حد الإعدام الا ان الصحف تجاوزت ذلك القانون وقامت في كثير من الاحيان بالتبشير بالفكر الشيوعي وتجاوز القانون .والمتتبع لثنايا الاطروحة سيجد الكثير من الامثلة على مثل هكذا قول.

– وردت كلمة "الشيوعية الهدامة "في جميع الصحف الحكومية او الموالية للحكومة او القومية أو حتى الصحف الشيوعية بصيغة مقاربة لهذه الكلمة، ويبدوا إن هذه العبارة جاءت لوصف يراد به وصم هذه الحركة بصفات ذميمة ،ولكن الحق أن هذه العبارة هي روح الحركة الشيوعية وهدفها الأسمى اذ أن هدم النظام القديم الذي عانة منه جميع طبقات المجتمع ،وبناء مجتمع لا طبقات فيه ، هو ما ترمى اليه الحركة الشيوعية .وبذلك وجدت الدعاية الشيوعية آذان صاغية لدى الرأي العام في محاولة لقلب الوضع القائم. وهذا ما جعل الصحف عنصر دعم في نشر الشيوعية لا العكس.

الهوامش:

١. فلادون كوبريو، العلاقة الجدلية بين القومية والاممية، "دراسات اشتراكية"(مجلة)، جامعة الكويت، السنة العاشرة ، العدد ١٠، ١٩٧٢، ص ص ١٢٤ –١٢٦.
٢. لاستقلال" ، العدد ٢٠٥٧ ، ٢٧ كانون الاول ١٩٣٣.
٣. "المثنى" ، العدد١٤ ، ٢٨ تشرين الثاني ١٩٣٦.
٤. المثنى"، العدد ١٥ ، ٥ كانون الأول ١٩٣٦
٥. الاستقلال" ، العدد ٢٨٨٩ ، ٢ تشرين الاول ١٩٣٦.
٦. مهدي كبه،حركتنا القومية بين الحركات ، "المثنى" ، العدد٣ في ١٠ ايلول ١٩٣٦
٧. المصدر نفسه.
٨. "العراق" ، العدد ٣٨٠٥ ، ٢ شباط ١٩٣٥.
٩. " العراق" ، العدد ٣٨٠١ ،٢٩ كانون الثاني ١٩٣٥.
١٠. في انتخابات ١٩٣٦ التي جرت في اليونان كادت مقاعد الجمهوريين النيابية ان تتساوى مع مقاعد الملكيين ،وبذلك اصبح تحقيق التوازن بيد الشيوعيين اليونان الذين حصلوا على ١٥ مقعدا من اصل ثلاثمئة مقعدا ، ونتيجة لذلك سمح الملك جورج للجنرال جونيس ميتاكساس ، بتكوين حكومة عسكرية استبدادية ، وحل البرلمان في ٤ اب ١٩٣٦ ولم يدعو الى اجراء انتخابات لتستمر دكتاتوريته العسكرية حتى وفاته عام ١٩٤١ .للمزيد ينظر: ويكيبيديا ،الموسوعة الحرة.
١١. " العراق "، العدد ٣٨٠٦ ، ١٤ شباط ١٩٣٥.
١٢. العراق" ، العدد ٤٢٥٦ في ١٤ اب ١٩٣٦.
١٣. "العراق" ، العدد ٣٨١٢ ، ٢٢ شباط ١٩٣٥ .
١٤. العراق" ، العدد ٤٢٨٩ ، ٢٤ ايلول ١٩٣٦.
١٥. العراق" ، العدد ، ٤٣٣٧ ، ٨ كانون الاول ١٩٣٦.

١٦. الدفاع"، العدد ١ ، ٣٠ حزيران ١٩٣٧.
١٧. "البلاد" العدد ٨٩٥ ، ١٦ حزيران ١٩٣٧.
١٨. الدفاع" العدد ٢ ، ٥ نيسان ١٩٣٨.
١٩. "صدى العهد"(جريدة)،بغداد ، العدد ٧٠٠ ، ٥ كانون الثاني ١٩٣٣ .
٢٠. بغداد"، العدد ١٥ ، ٦ اذار ١٩٣٥.
٢١. العراق "، العدد ٥٤١٧ ، ٢٩ اب ١٩٣٨.
٢٢. الميزان"(جريدة) ،بغداد ،العدد ٦ ، ٦ شباط ١٩٣٨.
٢٣. العراق" ، العدد ٤٣٦٣ ، ١٢ كانون الاول ١٩٣٧.
٢٤. العربي"(جريدة)،بغداد، العدد ١ ،١٩ اب ١٩٣٩.
٢٥. " العربي"(جريدة)،بغداد، العدد ١ ،١٩ اب ١٩٣٩.
٢٦. العراق" العدد ٥٨٨٦ ، ٢٤ ايار ١٩٤٠.
٢٧. "العراق"، العدد٦٤٢٣ ، ٩ تشرين الاول ١٩٤٣.
٢٨. " الراي العام"، العدد ٩٩٧ ، ا ايار ١٩٤٤.
٢٩. موقفنا من التيارات الاجتماعية ،" عالم الغد"(مجلة)، العدد ٢ ، ١٦ كانون الاول ١٩٤٤.

العلاقات التجارية بين الدولة المصرية القديمة ومدينة جبيل الفينيقية (٣١٠٠-٢١٨٠ ق.م)

م.د. بشرى عناد محمد

جامعة بغداد/ كلية الاداب/ قسم التاريخ

العلاقات التجارية بين الدولة المصرية القديمة ومدينة جبيل الفينيقية (٣١٠٠-٢١٨٠ ق.م)

م.د. بشرى عناد محمد

ملخص الدراسة:

الغاية من البحث هو مناقشة طبيعة العلاقات التجارية بين الدولة االمصرية القديمة ومدينة جبيل الفينيقية خلال الحقبة (٣١٠٠-٢١٨٠ ق.م)[1]، والحقيقة ان هذه الحقبة المبكرة يعتريها بعض من الغموض لقلة المصادر، فحاولنا قدر المستطاع تتبع اصول التجارة المصرية القديمة مع مدينة (جبيل) الفينيقية في عصورها المبكرة من اللقى الاثرية والنصية التي اشارت الى تلك العلاقات التجارية.

واعتمدت هذه الدراسة على المصادر المصرية الاثرية والنصية التي كشفت تلك العلاقة التجارية المصرية- الفينيقية، وقسمت الى قسمين، الاول: حوليات التجار المصريون القدماء اللذين كانوا لديهم نشاط تجاري في المدن الفينيقية، ولاسيما مع مدينة (جبيل)، والقسم الثاني: نصوص الاهرام أو متون الأهرام هي (مجموعة من النصوص الدينية المصرية القديمة التي ترجع لعصر الدولة القديمة، نقشت هذه النصوص باللغة الهيروغليفية على جدران الأهرام والتوابيت الحجرية والخشبية) التي ذكرت عن العلاقات التجارية المصرية بفلسطين وسورية لا يمكن التغاظي عنها، فضلا عن اللقى الاثرية الاخرى، منها: الاواني الفخارية والخزر والتمائم والكتابات النصية التي وجدت في مصر وفينيقية.

من هنا تاتي اشكالية البحث لتسلط الضوء على العلاقات التجارية المصرية الفينيقية؛ فالمعروف ان مصر القديمة كانت تحتاج الى العديد من السلع والمواد الخام ومنها؛ الاخشاب التي كانت تدخل في نطاق بناء المعابد وصناعة السفن التجارية والحربية على حد سواء، ولاسيما ان الاشجار في مصر لا تنفع ادخالها في صناعة السفن، والزيوت النادرة التي استوردوها من فينيقية التي كانت لها اثر مهم في عملية التحنيط وطقوس الجنائزية والتطهير المتعلقة بالكهنة، ويمكن لنا ان نطرح مجموعة من الاسئلة، منها: ما هي الامكانيات الطبيعية المصرية والفينيقية التي اسهمتا في ازدهار نشاطهم التجاري؟ والى اي مدى نجحت تلك العلاقات التجارية في تحقيق اهدافها المنشودة؟ كيف المصريين القدماء تمكنوا من الوصول الى سواحل فينيقية؟ مع الاخذ مدينة (جبيل) الفينيقية التي توسعت تجارتها مع مصر؟

المقدمة:

تعد التجارة البحرية المصرية القديمة احد ابرز مقومات الاقتصاد للبلاد، ساعدها على ذلك موقعها الجغرافي المتميز والمطل على البحر المتوسط الذي سهل امكانية التواصل مع الساحل الفينيقي، واسفر ذلك عن علاقات تجارية بينهما وجلب كل ما تحتاجه مصر من سلع ومواد خام ولعل اهمها:

الاخشاب الصلبة الذي تزايد الطلب عليه في السوق المصري القديم لاستخدامه في بناء المعابد والقصور الملكية وصناعة السفن التجارية والحربية والاثاث الجنائزي وغيره[٢].

لم يقتصر نشاط التجارة البحرية على مصريين القدماء، بل عرفه الفينيقيون وارتبط اسمهم في بداية مشوار تاريخهم بالملاحة والتجارة، اذ كان لهم درايه بالنجم القطب الشمالي ونجحوا في تحديد الطرق البحرية والمسالك التي سلكوها بمراكبهم ليلاً[٣]؛ واعتبروا اولى الشعوب التي هيات لهم البيئة االجغرافية الملائمة لنشوء اكبر محطات تجارية في العالم القديم؛ فاستغلوا مواردهم الطبيعية واستخدام الخامات في الصناعات المحلية ذات القيمة التجارية وتسخيرها بالمعاملات التجارية الداخلية والخارجية[٤]، وبالمقابل لم ينجحوا الفينيقيون من تكوين قوة سياسية كبرى بالمنطقة الشرق الادنى القديم ويعود السبب الى عدم وجود طبقة حاكمة منظمة تنظيما كافيا تستطيع لم شملهم[٥]، فضلا عن موقعهم الواقع في مركز استراتيجي الذي امتد المناطق الساحلية من شمال فلسطين ولبنان الى جنوب سوريا، وهذا جعلها نقطة التقاء بين اكبر واقوى الحضارات في الشرق الادنى القديم المتمثلة بحضارتين بلاد الرافدين وبلاد النيل[٦]، مع وجود الاراميين في سوريا والعبرانيين في فلسطين[٧]، ولهذا انقسمت فينيقية الى مدن صغيرة ومحصنة بأسوار وابراج عالية لصد الهجمات من الدول المجاورة[٨].

وعند بداية انطلاق الفينيقيون في مجال التجارة الخارجية اتبعوا خطة محكمة وهي انشاء الموانىء الاصطناعية والمحطات البحرية على سواحلها، وعملوا على انشاء مراكز تجارية واسواق على سواحلها يبعون فيها بضاعهم وبضائع البلدان الاخرى، وذلك لدعم العلاقات التجارية مع بلدان بعيدة عنهم والدخول في منافسة تجارية حرة وبمرور الوقت اتسعت دائرة الاسواق التجارية، وهذا جعل مركزها المطل على البحر المتوسط اشعاع حضاري تنبثق منه تيارات فكرية وثقافية، وهذا فسح المجال لتآثر الفينقيين في مجال العمارة[٩] وعادات الدفن المصري القديم[١٠].

ولعل من الاهمية الاشارة ان اولى العلاقات التجارية المصرية بدأت بالساحل الفينيقي في عصر قبل الاسرات، وظهر ذلك جليا في استيراد المصريون القدماء المنتجات والسلع الفينيقية الا ان سياسة مصر تغيرت فيما بعد عندما تمكن المصريون القدماء من طرد الغزاة (الهكسوس)[١١] بنحو سنة (١٥٨٠ق.م) من البلاد ودخول مصر عصر جديد تمثلت بالدولة الحديثة (١٥٨٠-١٠٨٥ ق.م)؛ فتحولت تلك العلاقة من تجارية الى احتلال عسكري الذي رافقه النفوذ السياسي المصري، وبذلك اصبحت فينيقية تمثل حدودا امامية للدفاع عن مصر ضد المهاجمين الخارجيين الذين كانوا يسلكون الطريق التجاري عبر الساحل الفينيقي للدخول الى مصر[١٢].

اولا: <u>مقدمة جغرافية</u>:

نظرا للاهمية القصوى التي لعبتها البيئة في حياة سكان فينيقية، من الواجب اعطاء نبذه مختصرة عن التكوين الجغرافي والظروف الاجتماعية التي جعلت الفينيقين يمتهنون مهنة التجارة البحرية؛ فموقعها

الجغرافي المطل على الساحل الشرقي للبحر المتوسط[١٣] عد بداية انطلاقها نحو توسيع المحطات التجارية على سواحل الغربية للبحر المتوسط التي تحولت بمرور الزمن الى مستوطنات تجارية[١٤].

شكلت فينيقية (تشمل اليوم شمال فلسطين ولبنان والساحل السوري شمال لبنان) رقعة ساحلية، اذ تقع في غرب قارة اسيا وتطل على الساحل الشرقي للبحر المتوسط لا يزيد عرضها عن (٤٠كم٢) وطولها (٣٠٠كم٢)، وتحيط بسوريا من جهات الشمال والشرق والجنوب الشرقي وفلسطين من جهة الجنوب[١٥]، اذ امتدت على طول الساحل السوري ابتداء من جبل الكرمل جنوبا وحتى مصب نهر العاصي شمالا ومن الناحية الشرقية تحده سلسلة جبال لبنان ومن الغرب البحر المتوسط[١٦].

اعطى هذا الموقع الجغرافي اهمية حضارية كبرى، التي دفعت الفينيقيون الى تأسيس مدنهم على سواحل البحر المتوسط، ومن اهم مدنهم هي: جبيل وارواد وصيدا وصور[١٧]، وبمرور الزمن تطورت هذه المدن الساحلية الى مراكز تجارية وذلك لوقوعها على البحر المتوسط وقربها الجبال الغنية بالاشجار[١٨] واغلب هذه المدن الساحلية سكنها الفينيقيين[١٩]، وتم تحصينها باقلاع قوية واسوار عالية يصعب على الغزاة اقتحامها[٢٠].

ومن اهم المدن التجارية التي لعبت دورا مهماً في العلاقات الفينيقية المصرية التجارية هي جبيل، وتعد من اقدم المدن الفينيقية[٢١] وشملت الساحل الذي يبدا من جنوب عكا ويستمر باتجاة السفوح الجبلية حتى نهر الكلب (في الوقت الحاضر) تقع على بعد (٤٠كم) شمال بيروت وعدت المنفذ الرئيس الذي استخدمه المصريون القدماء طوال تاريخهم، لم تعرف مدينة (جبيل) على مدى تاريخها كقوة عسكرية واجهت الأعداء والغزاة وإنما بنت شهرتها على تجارتها البحرية وكان لهم دور كبير في تسويق تجارة[٢٢]، فقد ورد اسم هذه المدينة في المصادر الاكدية باسم (جُبلة) وفي المصادر البابلية وردت باسم جبُلا (Goubla)والاشورية جُبلي ((Goubli) وجاء ذكرها في رسائل تل العمارنة كبني (kipni) او كبن (kbn)[٢٣]، ثم أطلق اليونان عليها اسم بيبلوس (Byblos) والتي تعنى الورق او الورق المكتوب، وذلك لريادتها في تجارة ورق البردي المصري منذ القرن الثالث عشر قبل الميلاد، ثم أصبح بالعربية (جبيل)[٢٤].

ثانيا: <u>اصول فينيقية</u>:

ان البحث في اصل كلمة (فينيقية)، بالتحديد يصعب معرفة اصولها لانه يحيطها بعض الغموض، على العموم ان مدلول (فينيقي) هو الاسم مشتق من اليونانية فوكينيكس (phoinix) اطلقوه اليونانيون عليهم بحكم علاقتهم التجارية معهم، ويقصد به (البلد الارجواني) اشارة الى صناعة الالوان الذي اشتهرت بها الفينيقيين، وهي نوع من الصبغة التي كانت تستخرج من كائنات بحرية تسمى (الميوركس) وانتشرت بشكل واسع على سواحل الفينيقية[٢٥]، بناءً على ذلك فهناك من المؤرخين يرجح ان الفينيقيين من اصول يونانية[٢٦].

وبالمقابل هناك اختلاف حول اصول (فينيقية) و(كنعان)؛ فالتوراة اطلقت على المناطق التي شملت فلسطين وفينيقية (لبنان) باسم (كنعان)، وهناك من المؤرخين[٢٧] يرى ان أصول الكنعانيون ينتمون الى عائلة الشعوب السامية، نزحوا من سواحل الخليج العربي واستقروا في اراضي جنوب سوريا وفلسطين وأطلقت هذه الاراضي فيما بعد باسم (ارض كنعان) والسبب الدافع لهذا الراي هو تشابه اسماء المدن خليج العربي قديما مع اسماء المدن الكنعانية في بلاد الشام.

كلمة (الفينقيين) وجدت في اللغة الاكدية بصيغة (كناخي)، اما (كناجي) او (كناخني) ((kinakhni) دونت في الوثائق البابلية، وفي الوثائق المصرية القديمة كتبت كلمة (فنخو) وتعني (بناة السفن) ويقصد به الفينيقيين، و(كنع) تعني باللغات السامية الارض المنخفضة والمعنى نفسه بالمعاجم العربية[٢٨]، ومعنى جميع هذه التسميات هو (البلد الارجواني)[٢٩].

ونجد ان الوثائق المصرية التي ترجع الى عصر الدولة القديمة (٣١٠٠- ٢١٨٠ ق.م) دونت مناطق سوريا وفلسطين ولبنان التي كانت لهم صلة بالعلاقات التجارية باسم عامو (ᶜamw)[٣٠]، ومعناها "اصحاب الاشرطة" وذلك ما تميز به تلك الشعوب من ربط شعورهم بشريط ومن الاسماء الاخرى التي أطلقت على اراضي سورية وفلسطين اسم (جاهي)، اما في الدولة الوسطى (٢٠٦٠-١٧٨٥ ق.م ق.م)، جاء ذكرهم في الوثائق المصرية باسم (رتينو) او (خورو) ويقصدون به (سورية الشمالية)، اما عهد الدولة الحديثة جاؤء بصيغة (رمن- RMNN) ويقصد به المنطقة الواقعة على السهل الساحلي لفلسطين الى الشمال من عكا[٣١].

ثالثا: <u>جذور العلاقات التجارية الفينيقية-المصرية</u>:

اغلب بلدان الشرق الادنى القديم عملت على توسيع علاقاتها بمصر القديمة من اجل المصالح التجارية، وفي مقدمتها فينيقية التي كانت تسعى في استمرار العلاقات الودية بينهما، وذلك لان مصر كانت تتطلع الى فتح اسواق لتصدير منتجاتها واستيراد ما تحتاجه من سلع مدن الشرق الادنى القديم؛ فوجدت فينيقية ان محطاتها التجارية الرئيسة تبدأ بسواحلها المطلة على البحر المتوسط هي الغاية المنشودة لنجاح تسويق منتجاتها[٣٢].

ولعل من الاهمية ان المصريين القدماء سعوا الى بناء علاقات تجارية بين بلدان العالم القديم، اذ كشفت التنقيبات الاثرية عن مواقع اثرية ترجع الى عصر قبل الاسرات على وجود علاقات تجارية بين مصر وبلدان فينيقية وسوريا وفلسطين، وهذه العلاقة نجد آثارها واضحة على سكان فلسطين وتآثرهم بالعادات الدفن المصري القديم؛ فقد تم اكتشاف طريقة الدفن في حضارة (مرمدة بني سلامة ٥٠٠٠ ق.م)[٣٣] هي الطريقة نفسها المتبعة عند سكان اريحا بفلسطين، وكما استخدموا البلاط الارضي المصنوع من الكوارتز المصري[٣٤] الذي كان يستخدم في حضارة (مرمدة بني سلامة)، وبالمقابل تم العثور في مقابر حضارة (البداري ٤٠٠٠ ق.م)[٣٥] على القطع من الخشب السدر المستورد من فينيقية[٣٦].

وبناء على هذا وجد في مدينة (جبيل) بعض من القطع الفنية مصرية الصنع تنسب الى حضارة (البداري)، وبناءاً على ذلك تم العثور في حضارة (البداري) على ادوات منزلية من اوعية وكؤوس ترجع صناعتها الى فينيقية[٣٧]، كما نجد وصول السلع الرانتج من بلاد سوريا الى سكان (نقادة الاولى ٤٠٠٠ ق.م)[٣٨]، وهناك شواهد اثرية اخرى تثبت تطور العلاقات التجارية بين مصر ومدينة (جبيل)، اذ عثرت البعثة الالمانية في (بوتو)[٣٩] على مجموعة من الادوات والالات الحجرية والفخار ترجع صناعتها الى مدينة (جبيل)[٤٠].

رابعا: <u>الطرق التجارية</u>:

لو تتبعنا الطرق التجارية بين مصر وفينيقية نجدها اتجهت بطريقين:

اولاً: <u>الطرق البرية</u>: وهو الطريق الذي سلكه المصريون القدماء في عصر قبل الاسرات؛ باستخدامه الحيوانات التي عدت وسيلة لنقل المنتوجات والسلع المتبادلة مع البلدان المجاورة، ومن اهم الطرق التي اتبعها المصريين القدماء هو طريق أطلق عليه (طريق حورس)، ويبدا من دلتا مصر بامتداد الاتجاه الشرقي لحد شبه جزيرة سيناء ومن ثم منطقة القنطرة[٤١] ثم بعد ذلك مدينة رفح ومدينة غزة[٤٢].

وكما وجد طريق شمالي يصل الى نقطة جبل الكرمل وانقسم الى فرعين: الاول يتجه الى الساحل الفلسطيني ومن ثم الى مدن صور وصيدا وجبيل[٤٣]، اما الفرع الثاني يتجه نحو الجنوب الى وادي (نهر الليطاني) ومن ثم الى منطقة البقاع، وبعد ذلك يلتقيان هذين الفرعين عند مدينة قادش[٤٤] ويتبع هذا الطريق التجاري بعد وصوله شمال سوريا الى جبل (امانوس) ويتفرع شمال الغربي ليصل الى اسيا الصغرى، واعتبر هذا الطريق البري من اهم الطرق التجارية في العالم القديم بين مصر وفلسطين عبر سيناء ومنها الى (وادي الطميلات) والى الدلتا، ويستغرق هذا الطريق مسيرة (٩٠) ميلا من القنطرة ومن ثم يصل الى رفح، وهذا الطريق حفر فيه آبار لتزويد المسافرين التجار بالماء[٤٥].

وبطبيعة الحال ان هذا الطريق التجاري المهم انشأت فيه محطات واقلاع في الاماكن ذات المواقع المتحكمة بالطرق، لحماية القوافل التجارية من اللصوص[٤٦]، واشهر تلك الحصون هي (عين بيصور) الذي يقع في فلسطين؛ فقد كشفت التنقيبات الاثرية فيه عن وجود ثلاثة طبقات ترجع تاريخه الى عصر البرونز البكر، اما الطبقة الرابعة كشفت ان تجار المصريين القدماء قاموا بتشييدها في عهد الاسرة الاولى (٣١٠٠-٢٩٠٠ ق.م) والاسرة الثانية (٢٩٠٠-٢٦٨٦ ق.م)، ووجدت محطتان كان يسكنها تجار المصريين القدماء، الاولى أطلق عليها محطة (اشيلكون) والثانية (تل جاث)[٤٧]، وبالمقابل كان الفينيقيين قد اقاموا محطات عند مصبي فرع رشيد وفرع دمياط لقربهما من شاطىء البحر المتوسط، كما تمركزوا في محطة تجارية تحمل اسم (حي الصوريين) في منف[٤٨].

ومن المحطات التجارية الاخرى المهمة التي تقع على الحدود المصرية هي محطة تل (اراد)، ومحطة تل (ماعاز) حيث شكلتا حلقة التبادل التجاري بين مصر وفينيقية[٤٩]، وكانت هذه المحطات

التجارية هي استراحة للتجار وتقديم الخدمات من المأكل والمسكن، وعدت مقراً لأشراف على الاعمال التجارية بين كبار تجار المصريين والفينيقيين[٥٠].

ثانياً: <u>الطريق البحري</u>: كان البحر المتوسط يمثل حلقة الاتصال بين دول الشرق الادنى القديم، وقد بنى على طول سواحله العديد من المرافئ والاحواض لصناعة السفن[٥١]، وقد وجدت نماذج كثيرة لقوارب ومراكب وسفن مصنوعة من الفخار واشكال هذا السفن مرسومة على الاواني الفخارية، كما وجدت كذلك مرسومة على جدران المقابر الملكية في عصر الدولة القديمة (٢٦٩٠-٢١٨٠ ق.م)[٥٢].

على ما يبدو ان المصريين القدماء سلكوا الطريق البحري للاتصالهم بالساحل الفينيقي اكثر من الطريق البري لانها قريبة من البحر واقل تكلفة واسهل، فضلا عن انه آمن لنقل السلع القابلة للكسر التي تحمل المواد السائلة من الخمور والزيوت تم تعبئتها بالاواني الفخارية[٥٣].

ويعد ميناء مدينة (جبيل) هو المركز الرئيس الذي يتم فيه عمليات شحن البضائع والسلع الفينيقية والسورية والفلسطينية الى مصر[٥٤] عن طريق البحر؛ بحكم موقعه على ساحل البحر المتوسط[٥٥].

وعن عمق هذه العلاقات التجارية بين مصر ومدينة (جبيل)؛ نجد في الميثولوجيا والاساطير الدينية المصرية اسطورة عن الاله (اوزيريس) الذي قتل على يد اخيه الاله (ست) ووضعه في الصندوق وبعد ذلك القاه في النهر؛ فجرفه التيار الى شواطئ الفينيقي وعند مدينة (جبيل) استقر هذا الصندوق داخل جذع الشجرة؛ فنمت هذه الشجرة بشكل كبير واعطى الملك (جبيل) الاوامر بقطع هذه الشجرة للاستخدامها في بناء قصره، ولما وصلت هذه الاخبار الى الالهة (ايزيس) الزوجة والاخت للاله (اوزيريس) رحلت الى مدينة (جبيل) واخذت العمود الذي كان يحوي صندوق جثة الاله (اوزيريس)[٥٦].

فضلا عن ذلك تآثر الفينقيين بالعمارة المصرية القديمة؛ فقد عثر على معبد مصري قديم في مدينة (جبيل) في عهد الملك الملك خوفو (٢٥٨٩-٢٥٦٦ ق.م) من الاسرة الرابعة (٢٦١٣-٢٤٩٤ ق.)، وتشير الادلة الاثرية ان الجالية المصرية التي كانت تراعي المصالح التجارية المصرية الخارجية في عصورها المبكرة هي اقامت هذا المعبد[٥٧].

وكشفت التنقيبات الاثرية عن هذا المعبد وجود خبيئة اسفل بلاطه مصنوعا محليا في فينيقية، وهي عبارة عن عدد كبير من الاختام الاسطوانية والجعارين[٥٨]، كما وجد آنية فخارية كبيرة مخباة فيها الحلي والمجوهرات[٥٩]، فضلا عن آنية من المرمر منقوش عليه اسم الملك (خوفو) وآنية اخرى نقش عليه اسم الملكة (مريت آتيس) زوجة الملك (خوفو)[٦٠]، كما عثر على ختم اسطواني الشكل لحاكم جبيل نقش عليه كتابة باللغة الهيروغليفية، تنص على ما يأتي:

((رازمس ابن الزعيم جبيل ايبلميك الذي يعطي الحياة الابدية محبوب الالهة حتحور، الاله رع في البلاد الاجنبية))[٦١].

هنا يبدا التساؤلات حول هذا الختم، هل هي محاولة اهل الجبيل استخدام الكتابة الهيروغليفية؟ ام هل هذا الختم تم صنعه في مصر وثم ارسل الى جبيل او انه منح هدية؟ وما الغاية من صنعه؟

يبدو ان العلاقات التجارية بين مصر ومدينة (جبيل) كان لها بعد مدى، لاسيما ان وجود اسم الالهة (حتحور) والالة (رع)، وهذا يؤكد تآثير الديانة المصرية على الفينيقيين، كما تم العثور في المعبد على آواني قرابين نقشت عليها اسم الملك خع سخموري (٢٨٩٠-٢٦٨٦ ق.م) من الاسرة الثانية (٢٨٩٠-٢٦٨٦ ق.م)، واختام اسطوانية ترجع الى عهد الاسرة الثالثة (٢٦٨٦-٢٦١٣ ق.م)[٦٢]، ويرجح ان هذه الاواني والاختام الاسطوانية تخص الجالية المصرية التي استقرت في فينيقية أو ربما جلبها الفينيقيون عند ترحالهم الى مصر للتبادل السلع والمنتوجات.

هناك دلائل اثرية اخرى تبرهن على وجود العلاقات التجارية بين مصر ومدينة (جبيل)، هو استيراد اخشاب الارز من (جبيل) الذي جلب لاستخدامه في بناء سقف مقبرة الملك (خع سخموي)[٦٣]، واشار حجر (بالرمو)[٦٤] ان مصر استوردت الكثير من اخشاب الارز لاستخدامه في بناء القصور الملكية والاثاث الملكي[٦٥]، حيث ذكر في حجر (بالرمو) من عهد الاسرة الرابعة ان الملك سنفرو (٢٦١٣-٢٥٨٩ ق.م) أرسل اسطولا بحريا مؤلفة من أربعين سفينة لاستيراد اخشاب الارز من مدينة (جبيل) التي جاءت بصيغة (جبله) في حجر (بالرمو) من اجل بناء هرمه في دهشور وما زالت تلك الاخشاب في حالة جيدة[٦٦].

خامسا: <u>السلع والمنتجات المستوردة من فينيقية</u>:

ان البحر المتوسط اهمية حضارية كبيرة المدن الواقعة عليه ويمثل حلقة الوصل بين بلدان الشرق الادنى القديم، فهو اقليما متجانسا بحضارته وثقافته بكل مراحل تاريخه؛ فاستغل هذا الارتباط بإقامة المرافئ والاحواض لصناعة السفن، واهم السلع التي اهتم بها المصريون استيراداها من فينيقية بصورة عامة هي الاخشاب؛ فمصر لم تكن تمتلك سوى اشجار السنط واشجار النخيل والجميز، وكانت هذه الاشجار لا تصلح لعمل الاعمال الانشائية الكبرى مثل صناعة السفن، لذلك كان يتطلب استيراد الاخشاب من فينيقية ومن الاخشاب المهمة التي تم استيرادها هي خشب البلوط وخشب الارز والسرو وخشب العرعر والصنوبر[٦٧].

واما السلع والمنتوجات التي استوردها المصريين القدماء من فينيقية هي؛ الزجاج الشفاف لقد عثر على قلادة ترجع الى (عصر قبل الاسرات ٣٢٠٠ ق.م)[٦٨] مصنوعة من الزجاج الاخضر والازرق والاصفر في أبيدوس[٦٩]، وعلى صندوق يرجع للاسرة الاولى (٣١٠٠-٢٨٩٠ ق.م) مرصعة بالزجاج (محفوظ في الوقت الحاضر في متحف الاشموليان باكسفورد)، فضلا عن مجموعة من الخزر والتمائم الصغيرة المطعمة بالزجاج ترجع الى عهد الاسرة السادسة (٢٣٤٥-٢١٨١ ق.م) تم العثور عليها في

(جبلين)[٧٠] وكما استورد المصريين القدماء الخمور والثياب الارجوانية اللون المشهورة الصيت في فينيقية، وبالمقابل كان الفينيقيين يستوردون من مصر الذهب والمعادن واوراق البردي[٧١].

كانت اخشاب الارز من المواد التجارية المهمة التي تبادلتها فينيقية مع شعوب العالم القديم ومن ضمنها مصر[٧٢]؛ فقد وردت في الهيروغيلفية بصيغة (سش) كانت تستخدم في بناء السفن وصناعة الابواب والتوابيت والاثاث الجنائزي في عهد الاسرات المبكرة الاولى والثانية، وجاء ذكر هذا النوع من الخشب في صنع المباخر[٧٣]، كما استخدام خشب الارز في حجرة الدفن كل من ملكات الآسر الاولى (مريت نيت) والملكة (مرس كا)[٧٤].

ومن الاخشاب التي تم استيرادها هو خشب (مرو) الذي استخدم في بناء السفن في عهد الملك (عحا) من الاسرة الاولى جاء ذكره على بطاقات الملوك، ونقش على احدى الاواني الفخارية ان الملك (نعرمر) من الاسرة الاولى تم صنع سفنتين من خشب (مرو) في عهده، وخشب (مرو) من الاخشاب العطرية الذي استخرجه المصريين القدماء منه الزيوت واستخدموه في عملية التحنيط[٧٥].

وأشهر الزيوت التي استوردها المصريين القدماء من مدينة (جبيل)، هي زيوت (زيت الارز)، كان هذا الزيت يتساقط من الاشجار نتيجة لشدة الحرارة في الصيف لونه كان بني فاتح واستخدم هذا الزيت في الاقمشة التي كانت تلف بها المومياوات الملكية المصرية، ومن الزيوت التي دونت على جدران مقابر الدولة القديمة هو زيت (عنو) المستخرج من خشب العرعر[٧٦].

واهم الزيوت التي جاء ذكرها في نصوص الاهرام، زيت (المورنجا) الذي كان يستخرج من شجرة البندق، واستخدم في صناعة العطور[٧٧]، ومن الزيوت المهمة الاخرى التي لا يستغنى عنها المصريين القدماء في عملية التحنيط هي الزيوت (الرانتج)[٧٨] وزيت (سفث) وزيت (عج) المستخرج من اشجار الصنوبر، فقد تم الاشارة اليه من خلال لوحة القرابين التي ترجع لعهد الاسرة الثانية [٧٩]، والمرجح ان زيت (عج) ونشارته كانت من المواد الضرورية عند المصريين القدماء، لاستخدامها في عملية التحنيط[٨٠].

اما المواد الضرورية التي استوردها المصريين القدماء هي مادة مركبات (الانتيجون)، وهي عبارة عن مواد التي تدخل مع مادتي (الملخيت) و(الجالينا)؛ لصناعة الكحل، فضلا عن استيراد مادة (اللادن) من فينيقية منذ عهد الاسرة الاولى، وهي عبارة عن مادة مطاطية سوداء اللون تستخرج من اغصان خشب (سيستوس)[٨١].

ومن المواد الاخرى التي استوردها المصريين القدماء من فينيقية النبيذ وعسل[٨٢]، كانت هذه البضائع تصل الى مصر محفوظة باواني فخارية[٨٣]، اذ كشفت هذه الاواني التي عثر عليها في مصر في مقابر أبيدوس من عهد الاسرتين الاولى والثانية[٨٤] وهي بأشكال أواني فخارية طويلة ذات مقابض[٨٥].

ومن الجدير بالذكر ان البلاط الملكي المصري كان يقوم بارسال البعثات التجارية، فقد وجد في مقبرة الملك (بر ايب سن) احد ملوك الاسرة الثانية على نقش: ((اينو سثت)) بمعنى (منتجات البلاد الاجنبية)[٨٦]، وعثر في مدينة (جبيل) على آنية حجرية تحمل اسم الملك نفسه[٨٧].

وشملت هذه العلاقات التجارية في الاسرة الخامسة (٢٤٩٤-٢٣٤٥ ق.م)، اذ وجدت آثار للملك (اوسر كاف) من اواني حجرية تحمل اسمه في مدينة (جبيل)، كما توسعت العلاقات التجارية مع خليفته الملك (ساحو رع) (٢٤٤٤-٢٤٣٣ ق.م)؛ فنجد على جدران معبده في (أبي صير)[٨٨] رسوم ونقوش تظهر سفن بحرية القادمة من مدينة (جبيل) واستقبال الملك (ساحو رع) وحاشيته الملكية هذه السفن[٨٩].

هناك الكثير من التفسيرات حول هذه الرحلة التجارية التي انطلقت في عهد الملك (ساحو رع) المحملة بالبضائع الى مصر، ويرجح[٩٠] انها رحلة علاقات دبلوماسية بين مصر وفينيقية، اذ وجد على جدران المعبد نقش يحمل اسم (نفرت) وهي اميرة من مدينة (جبيل) تم ارسالها الى مصر لزواجها من الملك (ساحو رع) وان البضائع المحملة على هذه السفن هي الهدايا التي جلبتها الاميرة من بلدها، بينما يرجح من الباحثين[٩١] ان هذه الرحلة البحرية كانت في الاساس هجرة سكان مدينة (جبيل) من بلدهم الاصلي واستقرارهم في مصر السفلى (دلتا).

عل ما يبدو ان العلاقات التجارية بين مصر وبلدان المجاورة لها استمرت في نهجها التي اصطبغت باغراض تجارية او سياسية بهدف تامين حدودها الشمالية الشرقية[٩٢]، ففي عصر الاسرة السادسة (٢٣٤٥-٢١٨١ ق.م) وجد مجموعة من اللقى الاثرية في معبد مدينة (جبيل) ومنها، آنيه من المرمر نقش عليه آلقاب الملك تيتي (٢٣٤٥-٢٣٢٣ ق.م)[٩٣] السطر الاول: ((حورس مري تاوي محبوب الارضين))، اما السطر الثاني :((السيدتان وحورس الذهبي)) وعلى السطر الثالث :((ملك مصر العليا والسفلى)) والسطر الرابع:((منح السيادة للابد، ومنح الحياة والسيادة للابد))[٩٤] وهذا الى الكشف عن حجر الجيري (محفوظ الآن في مركز ثقافة الشرق الاوسط في اليابان)، وينسب لموظف ملكي اسمه (آني) من الاسرة السادسة في عهد الملك بيبي الاول (مري رع) دون في تقريره عن اللازورد[٩٥]، الذي وجده في مدينة (جبيل)[٩٦].

ما ورد في نقش "آني"، يذكر: ((سافرت الى جُبيل في عهد حكم جلالة الملك "مري رع" وعدت بأمان وجلبت معي ثلاثة سفن كبيرة محملة باللاَّزَوَرد والرصاص والقصدير والفضة الزيت وكل منتج ثمين وتم منحي المكافأت الذهبية من الملك عرفاناً بجهودي))[٩٧].

وفي المقابل كانت مصر تزود مدينة (جبيل) بالعسل والحبوب والذهب والحبال واواني حجرية[٩٨] والمنسوجات الكتانية المصرية الشهيرة الصيت[٩٩]، ولاسيما كانت فينيقية مشهورة بالغزل والمنسوجات الارجوانية اللون لا يقدر على اقتنائها الا من الطبقات العليا، وذلك لامتلاكهم الصبغة الارجوانية اللون المستخرجة من اصداف البحرية المنتشرة بشكل واسع على سواحلها التي استخدوها في صبغ

المنسوجات[١٠٠]، وهناك صبغة اخرى عرفها الفينيقيين استخرجها من حشرات كانت تعيش على اشجار السنديان كانوا يجففون هذه الحشرات مع اضافة بعض من الاحماض مكونة اللون الارجواني[١٠١]، وعرفت هذه الصبغة بارتفاع اسعارها مع تزايد الاقبال عليها[١٠٢].

يبدو ان العلاقات التجارية بين الدولة المصرية القديمة ومدينة جبيل الفينيقية توقفت نوعا ما في عهد الاضمحلال الذي اعقب الاسرة السادسة المصرية في نهاية الدولة القديمة، اذ جاء في احد النصوص المصرية ان خشب الارز لم يعد يصل الى مصر[١٠٣]، الا ان هذا لم يستمر سرعان ما نشطت التجارة المصرية- الفينيقية في عهد الدولة الوسطى (٢٠٦٠-١٧٨٥ ق.م)، ولاسيما مع مدينة (جبيل) الفينيقية حيت تشير النصوص المصرية القديمة قصة (سنوهي)[١٠٤] في عهد الملك امنمحات الاول (١٩٨٥-١٧٩٥ ق.م)[١٠٥].

من هذا كله يمكن القول:

١. ان الامكانيات الطبيعية المصرية- الفينيقية كان لها اثر في ازدهار نشاطهم التجاري؛ فالاراضي المصرية- الفينيقية الواقعتان على سواحل البحر المتوسط كان لها دوراً مهماً في تأسيس مدن ساحلية تجارية ومنها، مدينة (جبيل) التي اسهمت بدورها على انشاء شبكة من التواصل الحضاري والتاريخي بين البلدين، اذ عملت مدينة (جبيل) تأسيس مؤانى تجارية على مرافها؛ لترسوا فيها السفن التجارية والحربية، فضلاً عن تبادل السلع والمنتجات عند مرافها.
٢. كما نشاهد ان مدينة (جبيل) لعبت دورا رئيساً في العلاقات الفينيقية- المصرية، حيث استقر فيها جالية مصرية ونجحت في تنظيم العلاقات التجارية ويعزز هذا الرأي الأثار المتبقية من جدران المعبد المصري الذي عثر عليه في مدينة (جبيل) الذي ساعد على نشر الثقافة والديانة المصرية- الفينيقية والتعرف على عادات وتقاليد كل من البلدين.
٣. ان العلاقات التجارية المصرية ومدينة (جبيل) نرى انها نجحت في تحقيق اهدافها المنشودة في عهد الدولة القديمة التي كشفت مدى العلاقات بين البلدين الذي اسفر عنه فتح آفاق عصر نهضة التجارة، مما ساعد على فتح اسواق تجارية للتبادل السلع هو ميناء (جبيل)؛ فمن هذا الميناء كانت مصر تستورد كل ما تحتاجه من السلع وبالمقابل كانت مدينة (جبيل) تستورد من مصر الذهب والمصنوعات المعدنية وورق البردي التي اشتهرت بتوزيعه بعد استيراده من مصر لبلدان الشرق الادنى القديم.
٤. اسفرت هذه العلاقات التجارية المصرية- الفينيقية عن انشاء محطات تجارية على مفارق الطرق التجارية وحصنت هذه المحطات باسوار عالية وذلك لصد الهجمات عليها من اللصوص، كما عدت مقراً لسكن القوافل التجارية لمبيت من مشقة السفر وتوفرت فيها خدمة المأكل والشرب للتجار،

وبذلك أصبحت فينيقية تمثل حدودا أمامية للدفاع عن مصر ضد الهجمات الخارجية التي كانت تسلك الطريق التجاري عبر الساحل الفينيقي للدخول الى مصر وتهدد أمنها وسلامتها.

الهوامش:

[١] تم اقتباس سنوات الحكم للأسر المصرية القديمة وسنوات حكم ملوك المصريين القدماء، (انظر: يوسف، أبو مسلم: موسوعة حكام مصر، (الاسكندرية: مركز الاسكندرية للكتاب، ٢٠٠٦م)؛ الشماع، بسام: حكام مصر القديمة "من العصور الحجرية القديمة الى الاسكندر الاكبر"، (القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٩م).

[٢] الساحلي، سميرة الجعراني: "رحلة حتشبسوت الى بلاد نوبت ١٤٩٦ ق.م"، مجلة (القلعة)، ع٩، (الرياض: بلا.ت)، ص٣١١.

[٣] علي، عبده رمضان: الشرق الادنى وحضارته، (القاهرة: دار النهضة الشرق، ٢٠٠٢م)، ج٢، ص٩٥؛ حتي، فيليب: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، (بيروت: مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر، ١٩٥٨م)، ص١٠٥.

[٤] صقر، جوزف: قصة وتاريخ الحضارات العربية، (بيروت: بلا.مط،١٩٩٠)، ج١، ص٥٧.

[٥] مهران، محمد بيومي: المدن الفينيقية "تاريخ لبنان القديم"، (بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٩٤م)، ص٨.

[٦] من المعروف ان (فينيقية) سقطت بيد الاشوريين سنة (٨٤٢ ق.م)، وبعد نهاية حكم الاشوريين سنة (٦١٢ ق.م) خضعت (فينيقية) لحكم البابليين، (انظر: ديوب، ابتسام: العلاقات التجارية بين مصر وسورية القديمة منذ عصور ما قبل التاريخ حتى عصر الدولة الوسطى "من خلال اللقى الأثرية"، مجلة (دراسات تاريخية)، ع١٢٥-١٢٦، (دمشق: مطبعة جامعة دمشق، ٢٠١٤م)، ص٢٨.

[٧] غانم، محمد الصغير: التوسع الفينيقي في غربي البحر المتوسط، (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،١٩٨٢م)، ص٤٨.

[٨] احمد، امين احمد: دراسات في تاريخ الشرق الادنى القديم "مصر وسورية"، (الاسكندرية: بلا.مط، ١٩٩١م)، ص٢٤٤.

[٩] علي، الشرق الادنى، ص٩٥.

[١٠] عثر في فينيقية على توابيت آدمية الشكل مشابهة لتوابيت المصرية القديمة، وزينت هذه التوابيت بنقوش وكتابات دينية ومنها تمثل النقش الجنائزي بما فيه من النساء النائحات ونقوش تصب اللعنات على من يحاول الاعتداء على التوابيت، كما عثر مع هذه التوابيت ادوات الزينة والاسلحة مشابهة لعادات الدفن في مصر، (انظر: عصفور، محمد ابو محاسن: المدن الفينيقية، (بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٨١م)، ص١٦٦).

[١١] الأراء متضاربه بين المؤرخين حول أصل الهكسوس وموطنهم الاصلي؛ فهنالك رأي يرجح انهم قبائل عربية وجدت في سوريا وفلسطين وبلاد الجزيرة العربية وهاجروا إلى مصر في نهاية عهد الدولة الوسطى، ورأي آخر يرجح انهم خليط من عدة أقوام استقرت في سوريا وفلسطين وبعد تعرض منطقة الشرق الأدنى القديم إلى هجرات الأقوام الهندية الأوربية للمنطقة تركوا سوريا وفلسطين ونزحوا إلى مصر بسبب ما اصاب بهم من ظلم حكام الأقوام الهندية وضغط الآريين من جهة أخرى، ويبدو أن الهكسوس من أصل عربي جزيري والتي نزحت من الجزيرة العربية إلى بلاد الشام؛ فأصبح الهكسوس جزءاً من الكنعانيين واتحدوا مع الآموريين وسكنوا بلاد الشام في جزءها الجنوبي، ومما يدعم هذا الرأي ما جأء في أسماء الهكسوس التي وجدت في مصر وسوريا وفلسطين وجزيرة كريت هي أسماء عربية نقشت على الالواح التي تركها ملوكهم ومنهم: يعقوب، أبوفيس، عبد، نحمان، بنون، سلاطيس، أباخنان، فضلاً عن دخول أسماء للآلهة غير مصرية بل عربية مثل الإلهة "عشتروت" والإله "بعل" وكما اتخذ الهكسوس عند دخولهم مصر عاصمتهم "اواريس" على أطراف الصحراء الواقعة شرق الدلتا، وهي ميزة أمتازت بها العواصم العربية عبر عصورها التاريخية ومن المحتمل أن سيطرة الهكسوس على مصر حدث في نهاية سنة (١٧٨٠ ق.م)، (انظر: الفتيان، أحمد مالك وعامر، سليمان: محاضرات في التاريخ القديم، (بغداد: مطبعة وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، ١٩٧٨م)، ص٢٧١-٢٧٧)؛ وللإطلاع على تفاصيل أثر احتلال الهكسوس في مصر، (أنظر: محمد، عادل السيد عبد العزيز: دراسة

تاريخية للمجتمع المصري في عصر الانتقال الثاني، رسالة ماجستير غير منشورة- قسم التاريخ، (الاسكندرية: جامعة الإسكندرية - كلية الآداب، بلا.ت)، ص٢٠٠-٢٠٦).

[١٢] غانم، التوسع الفينيقي، ص٤٣.

[١٣] كان البحر المتوسط معروفا عند المصريين القدماء باسم (واج ور) اي بمعنى (الاخضر العظيم)، اما البابليين اطلقوا على البحر المتوسط (امورو العظيم)، (انظر: مهران، المدن الفينيقية، ص١٧).

[١٤] للاطلاع على تفاصيل مراكز والمستوطنات التجارية التي انشاها الفينيقيون في الالف الاول قبل الميلاد على سواحل الغربية والشرقية في البحر المتوسط في الالف الثاني قبل الميلاد، (انظر: الهذال، حصة تركي: المراكز والمستوطنات التجارية الفينيقية فى غرب البحر المتوسط قبل تأسيس قرطاجة، مجلة (جامعة بن سعود – العلوم الإنسانية والاجتماعية)، ع٤١، (الرياض: جامعة بن سعود الإسلامية، ٢٠١٦م)، ص١٤٨-١٥٨).

[١٥] بريتشارد، جيمس: نصوص الشرق الادنى القديمة المتعلقة بالعهد القديم، ترجمة: عبد الحميد زايد، (القاهرة: هيئة الاثار المصرية، ١٩٦٩م)، ج١، ص٢٤٣.

[١٦] غانم، التوسع الفينيقي، ص١٢.

[١٧] حتي، فيليب: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، (بيروت: مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر، ١٩٥٨م)، ص١٠٧؛ بريتشارد، نصوص الشرق الادنى، ص٢٤٧.

[١٨] عبد العزيز، محمد دسوقي حسن: العلاقات السياسية بين مصر والمدن الفينيقية منذ أقدم العصور وحتى منتصف الالف الثاني قبل الميلاد، رسالة ماجستير غير منشورة- قسم التاريخ والاثار المصرية، (الاسكندرية: جامعة الاسكندرية- كلية الاداب، ٢٠٠٢م)، ص٣٢؛ علي، الشرق الادنى، ص٨٦.

[١٩] الهذال، المراكز والمستوطنات التجارية، ص١٣٧.

[٢٠] غانم، التوسع الفينيقي، ص٥١.

[٢١] المصدر نفسه، ص٢٤٠٢٥.

[٢٢] جوزف، قصة وتاريخ الحضارات العربية، ص٥٧.

[٢٣] **رسائل تل العمارنة:** وهي الرسائل الدبلوماسية التي تبادلها ملوك بلدان الشرق الادنى القديم بينهما في عصر الدولة الحديثة (١٥٨٠- ١٠٨٥ ق.م) في عهد الملك امنحوتب الثالث (١٤٠٨- ١٣٧٢ ق.م) والملك امنحوتب الرابع (اخناتون) (١٣٧٢-١٣٥٤ ق.م)، دونت هذه الرسائل باللغة الاكدية والخط المسماري، كشفت بالصدفة سنة (١٨٧٧م) بين انقاض مدينة (تل العمارنة)، (انظر: بكر، محمد ابراهيم: صفحات مشرقة من تاريخ مصر القديم، (القاهرة: مطابع هيئة الاثار المصرية، ١٩٩٢م)، ص٢١٦).

[٢٤] عبد العزيز، العلاقات السياسية، ص٧٢.

[٢٥] حتي، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ص٨٥؛ علي، الشرق الادنى، ص٨٤؛ عصفور، المدن الفينيقية، ص١٥٨.

[٢٦] المحيسن، زيدون حمد: الفينيقيون "البونيقيون" بشمال افريقيا في الضوء البحث الاثري، مجلة (السعودية)، ع١٣، (الرياض: بلا. مط، ٢٠٠٦م)، ص٧٣.

[٢٧] مهران، المدن الفينيقية، ص١٢٥.

[٢٨] غانم، التوسع الفينيقي، ص٢١.

[٢٩] فرح، نعيم: مؤجز تاريخ الشرق الادنى القديم (دمشق: دار الفكر، بلا.ت)، ص١٧؛ علي، الشرق الادنى، ص٨٥؛ عصفور، المدن الفينيقية، ص١٣.

[٣٠] عبد العزيز، العلاقات السياسية، ص٥-٦.

[٣١] المصدر نفسه، ص٧.

[٣٢] احمد، دراسات في تاريخ الشرق الادنى، ص١١٨؛ مهران، المدن الفينيقية، ص٢١٤.

[٣٣] **مرمدة بني سلامة:** وهي قرية صغيرة موقعها الآن في جنوب غرب الدلتا على بعد (٥١كم٢) شمال غرب القاهرة، يرجح انها ترجع بنحو (٥٠٠٠ ق.م) وكشفت الدلائل الاثرية في هذه القرية على صوامع ورحى لخزن وطحن الحبوب، وهذا يدل على ان سكان مرمدة كانت مهنتهم الزراعة وتدجين الحيوانات، كما عرفوا صناعة النسيج وادوات التزيين من الحلي وبناء منازلهم كان عبارة عن بناء من الطين بيضوية الشكل تم بناؤه في حفرة بحيث يكون جزء من السكن تحت الارض، وذلك لتقويه اسس اركان البناء وشيدوها على جانبي الطريق الرئيس مستقيم ويرجح ان هذا اقدم تخطيط للقرية. (انظر: نور الدين، عبد الحليم: تاريخ وحضارة مصر القديمة "منذ بداية الاسرات وحتى نهاية الدولة الحديثة"، (القاهرة: بلا مط، ٢٠١١م)، ج١، ص٨٨).

[٣٤] صالح، عبد العزيز: مصر والعراق "الشرق الادنى القديم"، (الاسكندرية: بلا. مط، بلا.ت)، ج١، ٩٧؛ دياب، العلاقات التجارية بين مصر وسورية القديمة، ص٣٥.

[٣٥] **حضارة البداري:** تقع هذه القرية في الوقت الحاضر في محافظة (اسيوط)، وهذه الحضارة اكثر تطورا من حضارة "مرمدة بني سلامة"، وهو العصر الذي عرف المصري القديم استخدام النحاس ما تميز هذا العصر صناعة الفخار؛ فكانت الاواني محروقة بصورة جيدة ودقيقة في الصنع، كما ظهرت بوادر الفن في صنع التماثيل المصنوعة من الطين والعاج وصنع ادوات التزيين مثل الاساور والخواتم وامشاط من العاج، كما عثر على الرصاص في مقابرهم استخدموا لكحل العين، (انظر: السوداني، امينة عبد الفتاح: المناجم والحاجر في مصر القديمة "منذ بداية الدولة القديمة وحتى نهاية الدولة الحديثة، رسالة ماجستير غير منشورة – قسم التاريخ، (طنطا: جامعة طنطا، كلية الاداب، ٢٠٠٠م)، ص٩.))

[٣٦] بكر، صفحات مشرقة من تاريخ مصر القديم، ص٤٤.

[٣٧] عبد العزيز، العلاقات السياسية، ص١٤٠؛ دياب، العلاقات التجارية بين مصر وسورية القديمة، ص٥٣.

[٣٨] **نقادة الاولى:** تقع الآن في محافظة (قنا)، كشف اثارها في الشمال والجنوب مصر، وحدد بدايتها نحو سنة (٤٠٠٠ ق.م)، تميز فخارها الاحمر ذو حافة سوداء باشكال هندسية ونباتية وحيوانية منها، رسوم الفيل والزرافة وفرس النهر، ومساكنهم عبارة عن اغصان الاشجار التي كست بالطين، اما مقابرهم عبارة عن حفر بيضوي الشكل كان الموتى يدفن في وضع القرفصاء ويلف بجلد الماعز، ((انظر: السعدي، حسن محمد محي الدين: المعالم الريئسية لتاريخ مصر الفرعونية، (القاهرة: دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٧م)، ص٣١؛ ابو بكر، عبد المنعم: محاضرات في التاريخ المصري القديم، (القاهرة: مطبعة كلية اصول الدين، ١٩٣٩م)، ص١٠٠)).

[٣٩] **بوتو:** موقعها الآن "تل الفراعين" على بعد (٢ كم) الى الشمال الغربي من مدينة "كفر الشيخ"، اشتهرت مدينة "بوتو" بمكانتها الدينية والسياسية طوال تاريخ مصر القديم، وعدت الالهة "واجيت" معبودة مدينة "بوتو" التي اتخذت على هئية افعى وصاغها الفنان المصري القديم على شكل تاج من الذهب ووضعها الفراعنة على رؤوسهم، للاعتقادهم انها تكسبهم شرعية الحكم وتحميهم من الاعداء؛ بناءً ما جاء في ميثولوجيا المصرية القديمة مفادها ان الالهة "ايزيس" تركت ابنها الاله "حورس" في رعاية وحماية الالهة "واجيت" من بطش عمه الاله "ست"، (انظر: نور الدين، عبد الحليم: تاريخ وحضارة مصر القديمة، (القاهرة: بلا.مط، ٢٠١١م)، ج١، ص١٠٨-١٠٩).

[٤٠] عبد العزيز، العلاقات السياسية، ص١٤٣.

[٤١] **القنطرة:** جاءت في النصوص المصرية القديمة بأسم "ثارو" كانت من اقوى الحصون الواقعة في شمال سيناء، (انظر: نور الدين، عبد الحليم: مواقع الآثار المصرية القديمة "منذ اقدم العصور وحتى نهاية الاسرات المصرية القديمة"، (القاهرة: الخليج العربي للطباعة والنشر، ٢٠٠٩م)، ج٢، ص٤٧٨).

[٤٢] عبد العزيز، العلاقات السياسية، ص١١٢؛ دياب، العلاقات التجارية بين مصر وسورية القديمة، ص٣١.

[٤٣] غانم، التوسع الفينيقي، ص١٣.

[٤٤] عبد العزيز، العلاقات السياسية، ص١١٢.

[٤٥] احمد، محمود عبد الحميد: الصلات التجارية بين مصر وسورية "منذ عصور ما قبل التاريخ حتى نهاية الدولة القديمة ٤٠٠٠-٢٢٨٠ ق.م"، (دمشق: بلا.مط، بلا. ت)، ص١٩٥.

[٤٦] المصدر نفسه، ص١٩٥.

[٤٧] سليم، احمد امين وعبد اللطيف، سوزان عباس: مصر منذ التاسيس وحتى بداية عصر الدولة الحديثة، (القاهرة: دار المعرفة الجامعية،٢٠٠٠م)، ص١١٢؛ عبد العزيز، العلاقات السياسية، ص١١٥.

[٤٨] **منف:** تحمل مدينة "منف" منذ نشأتها اسم "أنب حج" أي "الجدار الأبيض" وأبتداء من الأسرة السادسة اتخذت المدينة اسم "من نفر" أي (ثابت وجميل) ثم اطلق عليها اسم آخر أبتداء من الدولة الحديثة "١٥٨٠- ١٠٨٥ ق.م" هو اسم "ميت رهنت" أي طريق الكباش. وللإطلاع على الدور الديني لمدينة "منف"، (أنظر: الشرقاوي، باسم سمير: منف "مدينة الأرباب في مصر القديمة"، رسالة ماجستير غير منشورة- قسم التاريخ المصري القديم، (القاهرة: جامعة عين الشمس- كلية الآداب، ٢٠٠٧م)، ص١-٤٣؛ نور الدين، تاريخ وحضارة، ج١، ص١٦٤-١٦٦).

[٤٩] عبد العزيز، العلاقات السياسية، ص١١٥.

[٥٠] المصدر نفسه، ص١١٧.

[٥١] عصفور، المدن الفينيقية، ص١١٦.

[٥٢] السويفي، المختار: مراكب خوفو حقائق لا اكاذيب، (القاهرة: الدار المصرية، ١٩٨٩م)، ص٣١.

[٥٣] سليم وعبد اللطيف، مصر، ص١٢١.

[٥٤] دياب، العلاقات التجارية بين مصر وسورية القديمة، ص٣١.

[٥٥] عبد العزيز، العلاقات السياسية، ص١٠٨

[٥٦] بدوي، مهران: في موكب الشمس، (القاهرة: بلا. مط، ١٩٤٦م)، ج١، ص٧١؛ مهران، المدن الفينيقية، ص٢٠٣.

[٥٧] احمد، الصلات التجارية، ص١٩٧.

[٥٨] **الجعارين:** عُبد المصريين القدماء حشرة الجعارين "الخنفساء" باسم الإله "خبري"، ارتبط عبادته بالإله "رع" واستعملت الجعارين بمثابة تعاويذ، كما استعملت الجعارين في اغراض عدة منها؛ استعمالها اختاماً وتسجيل القاب الملوك وذلك تسجيل وثيقة الزواج للملوك؛ كزواج الملك "أمنحتب الثالث" من الملكة "تي" وكانت الجعارين تصنع من الفيروز والعقيق الأحمر والذهب والفيانس الارزق وحجر اليشب الأحمر. وللمزيد من التفاصيل، (أنظر: متولي، أحمد: الكتابات المعماة في الحضارة المصرية القديمة، (الإسكندرية: مكتبة الإسكندرية، ٢٠٠٩م)، ص١٧١-١٧٥).

[٥٩] عبد العزيز، العلاقات السياسية، ص١٦٧؛ دياب، العلاقات التجارية بين مصر وسورية القديمة، ٣٨.

[٦٠] سليم وعبد اللطيف، مصر، ص٢٤٧.

[٦١] عبد العزيز، العلاقات السياسية، ص١٧٠.

[٦٢] سليم وعبد اللطيف، مصر، ص١٢٢؛ مهران، مصر، ص٨٩؛ احمد، الصلات التجارية، ص١٩٦.

[٦٣] السعدي، حسن محمد محيي الدين: المعالم الريئسية لتاريخ مصر الفرعونية، (الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٧م)، ص٤٢؛ عصفور، المدن الفينيقية، ص٣٠.

[٦٤] **بالرمو:** لوحة تذكارية كبيرة تعرف باسم "الحوليات الملكية للدولة القديمة"، وهي من البازلت الاسود كانت في الاصل الطول (٢٢٠سم)، والعرض (٦١سم)، والسمك(٦,٥) ، الا انها تحطمت الى عدة اجزاء بقي منها سبعة قطع، القطعة الرئيسة موجودة في متحف بالرمو بصقلية منذ سنة (١٨٧٧م)، وتوجد خمسة أجزاء في المتحف المصري، اما الجزء السابع في متحف بتري للآثار المصرية في كلية لندن الجامعية، ويرجع تاريخ هذا الحجر الى آواخر الاسرة الخامسة في عهد الملك (جد كارع-اسيسي)، وضع هذا الحجر في ساحة المعبد بمدينة منف، وكانت مقامه في مكان عام من أجل مشاهدتها وحجر بالرمو هو الجزء الأكبر من سبعة أجزاء متبقية التي تحتوي على قائمة ملوك مصر من عصر الأسرة الأولى إلى بداية عصر الأسرة الخامسة هذا الحجر يمثل

اهم السجلات التي دونت الحوليات الملكية من عصر قبل الاسرات، وهم الملوك حكموا مصر قبل الاسرة الاولى والمعروفين باتباع الالة (حورس) منتصف عصر الاسرة الخامسة، (انظر: فخري، احمد: مصر القديمة "موجز تاريخ مصر منذ اقدم العصور حتى عام (٣٣٢) قبل الميلاد"، (القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، ٢٠٠٨م)، ص٥١).

[٦٥] انجلباخ، ر: مدخل الى علم الاثار المصرية، تر: احمد محمود موسى، (القاهرة: وزارة الثقافة المجلس الاعلى للاثار، ١٩٨٨م)، ص٣٤؛ مهران، المدن الفينيقية، ص٢٠٢؛ دياب، العلاقات التجارية بين مصر وسورية، ص٣٦.

[٦٦] مري، مرجرت: مصر ومجدها الغابر، تر: محرم كمال، (القاهرة: الالف الكتاب الثاني، ١٩٩٨م)، ص٨٣؛ عصفور، المدن الفينيقية، ص٣١-٣٠.

[٦٧] لوكاس، الفريد: المواد والصناعات عند قدماء المصريين، تر: زكي اسكندر ومحمد زكريا غنيم، (القاهرة: بلا. مط، ١٩٤٥م)، ص٦٩٤.

[٦٨] وهو مصطلح اطلق على الحقبة التي سبقت قيام الاسرات المصرية الحاكمة بنحو سنة (٣٢٠٠ ق.م)، وعدت تمهيداً لقيام الحضارة المصرية القديمة وتميزت هذه الحقبة استخدام النحاس والكتابة وانقسام مصر اقليماً الى مصر العليا (الصعيد) ومصر السفلى (الدلتا)، (انظر: سليم، احمد امين: تاريخ الشرق الادنى القديم "مصر وسورية"، (الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية، بلا، ت)، ص٤٧-)٤٨.

[٦٩] **أبيدوس:** عرفت في النصوص المصرية القديمة "أبجو" و"أبدو" وعرفت باليونانية باسم "أبيدوس"، وهي العاصمة الدينية للإقليم الثامن من أقاليم مصر العليا ومعبود المدينة الإله "أوزيريس"، (أنظر: O'Connor, D. : Abydos Egypt's First pharaohs and the cult of Osiris, (Cairo: the American university in Cairo Press, p.31؛ نور الدين، عبد الحليم: مواقع ومتاحف الآثار المصرية، (القاهرة: بلا.مط، ٢٠٠٧م)، ص٢٢٣-٢٢٥).

[٧٠] عبد الحليم، نبيلة محمد: معالم التاريخ المصري الحضاري والسياسي في مصر الفرعونية، (الاسكندرية: المعارف، بلا.ت)، ص٢٢١-٢٢٢.

[٧١] رشاد، احمد: دراسات في تاريخ مصر الاقتصادي، (القاهرة: المجلس الاعلى للاثار، ١٩٩٨م)، ص١٦٣؛ دياب، العلاقات التجارية بين مصر وسورية القديمة، ص٤١.

[٧٢] غانم، التوسع الفينيقي، ص١٧؛ مري، مصر ومجدها الغابر، ص١٥.

[٧٣] عبد الله، ماجدة احمد: المباخر في مصر القديمة، رسالة ماجستير غير منشورة- قسم التاريخ والاثار المصرية والاسلامية، (الاسكندرية: جامعة الاسكندرية- كلية الآداب، ١٩٩١م)، ص١٣٤.

[٧٤] عبد العزيز، العلاقات السياسية، ص١٥٠-١٥١.

[٧٥] المصدر نفسه، ص١٢٨-١٢٩.

[٧٦] سليم وعبد اللطيف، مصر، ص١٢٠؛ انجلباخ، مدخل الى علم الاثار المصرية، ص٤٠٣.

[٧٧] لوكاس، المواد والصناعات، ص٥٤٥.

[٧٨] شيمي، محمد عبد الحميد: العطور ومعامل العطور في مصر القديمة، (القاهرة: المجلس الاعلى للثقافة، ٢٠٠٥م)، ص١٨٣.

[٧٩] سليم وسوزان، مصر، ص٢٥٣.

[٨٠] عصفور، المدن الفينيقية، ص١٦١.

[٨١] لوكاس، المواد والصناعات، ص١٤٣.

[٨٢] سليم وعبد اللطيف، مصر، ص١١٠؛ احمد، الصلات التجارية، ص١٩٥.

[٨٣] مهران، محمد بيومي: مصر "منذ قيام الملكية حتى قيام الدولة الحديثة"، الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٣)، ج٢، ص٨٨؛ لوكاس، المواد والصناعات، ص١٣٣.

[٨٤] مهران، المدن الفينيقية، ص٢٠١.

[٨٥] عبد العزيز، العلاقات السياسية، ص١٣٦.

[٨٦] شاهين، علاء الدين عبد المحسن: العلاقات المصرية الليبية في العصور البرونزية من الألف الثالث إلى نهاية الألف الثاني قبل الميلاد، (الكويت: بلا.مط، ٢٠١٦م)، ص٢٣.

[٨٧] سليم وعبد اللطيف، مصر، ص١١٦؛ عبد العزيز، العلاقات السياسية، ص١٥٦؛ غانم، التوسع الفينيقي، ص٤٣.

[٨٨] **أبي صير**: تقع الى الجنوب من (الجيزة)، جاء اشتقاق اسم (ابو صير) من (بو- اوزيريس) اي معناه (مقر اوزيريس)، وتضم (ابو صير) مجموعة من الاهرامات ترجع للاسرة الخامسة (٢٤٩٤-٢٣٤٥ ق.م)، (انظر: نور الدين، عبد الحليم: مواقع الاثار المصرية القديمة "مواقع مصر السفلى". (القاهرة: مطبعة الخليج العربي للطباعة والنشر، ٢٠٠٩م)، ص٩٦).

[٨٩] السعدي، المعالم الريئسية، ص٥٦؛ عبد العزيز، العلاقات الساسية، ص٣٧٠؛ دياب، العلاقات التجارية بين مصر وسورية القديمة، ص٣٩.

[٩٠] بدار، وفاء أحمد السيد: دراسة مقارنة للزواج السياسي في مصر القديمة والعراق، أطروحة دكتوراه غير منشورة- قسم التاريخ والآثار المصرية والإسلامية، (الاسكندرية: جامعة الإسكندرية- كلية الآداب، ١٩٦٩م)، ص٦٢.

[٩١] شاهين، العلاقات المصرية الليبية، ص٢٦.

[٩٢] المصدر نفسه، ص٢٥.

[٩٣] احمد، الصلات التجارية، ص١٧٠؛ سليم وسوزان، مصر، ص٢٥١.

[٩٤] سليمان، مروة عبد الحميد حامد: عهد الملك بيبي الاول، أطروحة دكتوراه غير منشورة- قسم التاريخ والاثار المصرية والاسلامية، (الاسكندرية: جامعة الإسكندرية- كلية الآداب، ٢٠٠٩م)، ص١٢٥.

[٩٥] عرف اللازورد في النصوص المصرية القديمة بصيغة "hsbd"، يتكون من تركيب كيميائي من سليكات الألمنيوم وسليكات الصوديوم مع كبريتور الصوديوم؛ وهو حجر ذو لون ازرق قاتم به عادة نقط أو عروق بيضاء وأحيانا تكون به حبيبات دقيقة صفراء تشبه رقائق الذهب، استخدمه المصري القديم في صناعة الحلي والتمائم والجعارين، أما مصدره الأصلي فهو من مقاطعة "بدخشان" في شمال شرق (أفغانستان)، (انظر: عبد الحليم، نبيلة محمد: معالم التاريخ المصري الحضاري والسياسي في مصر الفرعونية، (الاسكندرية: دار المعارف، بلا.ت)، ص٢١٣؛ حسن، سليم: مصر القديمة "السيادة العالمية والتوحيد"، (القاهرة: الهيئة العامة المصرية للكتاب ،١٩٩٢م)، ج٥، ص٣١).

[٩٦] ابو العز، محي الدين النادي: تجارة اللازورد وأثرها على علاقات مصر بممالك شرق البحر المتوسط حتى نهاية الدولة القديمة، ع ١٨، مجلة الاتحاد العام للاثاريين العرب، (القاهرة: الاتحاد العام للاثاريين العرب، ٢٠١٧م)، ص٦٢٧.

[٩٧] المصدر نفسه، ص٦٤٧.

[٩٨] احمد، الصلات التجارية، ص١٩٥.

[٩٩] ابو العز، تجارة اللازورد، ص٦٥٠.

[١٠٠] مهران، المدن الفينيقية، ص١١.

[١٠١] عصفور، المدن الفينيقية، ص١٦٠.

[١٠٢] الهذال، المراكز والمستوطنات التجارية، ص١٥٦؛ حتي، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ص١٠٢.

[١٠٣] عصفور، المدن الفينيقية، ص٣١.

[١٠٤] **سنوهي**: كان سنوهي يعمل وزيراً في البلاط الملكي المصري القديم في عصر الدولة الوسطى (٢٠٦٠-١٧٨٥ ق.م) عهد الملك (امنمحات الاول)، (انظر: لشتهايم، مريام: الادب المصري القديم في عصري الدولتين القديمة والوسطى، تر: طارق فرج، (القاهرة: مؤسسة الطويل للنشر والدراسات، ٢٠١٥م)، ص٣٩٤).

[١٠٥] عصفور، المدن الفينيقية، ص٣١؛ مري، مصر ومجدها الغابر، ص١٧.

منهج الإمام الالوسي (ت ١٢٧٠هـ) (رحمه الله) في تفسيره لسورة العلق من تفسير روح المعاني في تفسير القران العظيم والسبع المثاني

بشرى هادي علوش خضير
دائرة التعليم الديني والدراسات الإسلامية \الوقف السني
Bushra.alndawe@gmail.com

منهج الإمام الالوسي (ت ١٢٧٠هـ) (رحمه الله) في تفسيره لسورة العلق من تفسير روح المعاني في تفسير القران العظيم والسبع المثاني

بشرى هادي علوش خضير

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف خلق الله أجمعين ،نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) وعلى اله وصحبه الطيبين الطاهرين .

و بعد :

إن مباحث العلوم تتفاضل، وان من اجلها مكانة وأعلاها شرفا علم تفسير القران الكريم ،لأنه موصول بكلام الرحمن ، إذ إن شرف العلم من شرف المعلوم ،وعلم التفسير من اجل العلوم وارفعها شأنا ،لذلك اجتهد العلماء (رحمهم الله)من عصر الصحابة (رضوان الله عليهم) إلى زمننا الحاضر بتفسير كتاب الله والعناية بفهم ألفاظه وبيان معانيها مستندين في هذا بمعرفة اللغة العربية التي هي لغة القرآن ، ومن هؤلاء الذين اعتنوا بتفسير كتاب الله الإمام الجليل (أبو الثناء الالوسي) صاحب تفسير (روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني) الذي اعتبره العلماء موسوعة تفسيرية مهمة ذكر فيها العدد الكبير من اختلاف العلماء لاسيما في اللغة العربية ، وضم في تفسيره الخلافات الفقهية والعقائدية ومناقشتها وإبداء رأيه بها ومن ثم ترجيح إلى مايميل إليه من الأقوال لذلك كان تفسيره يعد من التفاسير المهمة التي تعطي للرأي أهمية كبيرة، لذلك صنفه العلماء من ضمن التفسير بالرأي ،ولقد ضم في تفسيره اللغة العربية فاعتنى بالإعراب والبلاغة واستدل بالأبيات الشعرية الكثيرة ، ومن ثم ذكر القراءات القرآنية بنوعيها الصحيحة والشاذة ، وذكر اختلاف العلماء في أدق مسائل العقيدة والفقه والقضايا الأخرى ، لذلك اعتبر من الموسوعات التي أفادت العالم الإسلامي بالعموم ،وطلاب العلم بالخصوص ، ولهذا فقد اخترت من تفسيره (سورة العلق) لعظم هذه السورة وكونها أول سورة نزلت على النبي الأكرم (صلى الله عليه وسلم)وهي تحث على القراءة والتعلم ، ونبذ الجهل بكل أنواعه ، لذلك كررها جبريل عليه السلام ثلاث مرات ،وعرض هذه السورة في منهج الإمام الالوسي (رحمه الله) وكيف فسرها ، ابتداءاً باللغة العربية ، والقراءات القرءانية ، ومعرفة سبب النزول ومقاصد السورة وكل مايدور بها من أهمية التعلم بالقراءة والكتابة وأهمية موضوع السجود وكيفية التقرب فيه إلى الله سبحانه وتعالى .

أسباب اختيار الموضوع :-

١- لان كتاب الله عز وجل اشرف كتاب على الإطلاق واشرف ماصرفت عليه الهمم ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ،وسبب اختياري لسورة العلق هو عزوف أكثر الناس عن القراءة وسيادة الجهل بين

عامة الناس ،وتخلف أكثر الدول الإسلامية في الوقت الحاضر ، وكل سبب ذلك ترك تعاليم الإسلام وعدم التفكر في آياته والتي من ضمنها الحث على القراءة والتعلم الوارد ذكره في سورة العلق .

٢-معرفة منهج الإمام الالوسي (رحمه الله) في تفسير هذه السورة .

أهداف البحث :-

١- بيان منهج الإمام الالوسي (رحمه الله).

٢-أهمية القراءة والتعلم للإنسان .

٣- بيان اثر السجود في كونه اقرب عبادة لله .

وملخص البحث :-يتكون من مقدمة وأربعة مباحث :-

المبحث الاول :- نبذة عن حياة الإمام الالوسي .

المطلب الاول :- اسمه ، كنيته ،نسبه.

المطلب الثاني :- ولادته ،نشأته ،وفاته.

المطلب الثالث :- ذكره لاقوال العلماء بالسورة .

المبحث الثاني :- مايتعلق بسورة العلق .

المطلب الاول :- اسمها ،عدد أياتها ، ومايتعلق بها .

المطلب الثاني :- الاحاديث الواردة في سورة العلق .

المطلب الثالث :- اسباب النزول في السورة .

المبحث الثالث :-منهج الامام الالوسي في تفسير السورة .

المطلب الاول :-استدلاله باللغة العربية .

المطلب الثاني :- استدلاله بالقراءات القرانية .

المطلب الثالث :- استدلاله بالابيات الشعرية .

المبحث الرابع :- اهميةالكتابة والقراءة في الاسلام .

المطلب الاول:-اهمية اهميةالكتابة القراءةوذكر اصولها عند الامام الالوسي.

المطلب الثاني :- اهمية السجود والتقرب الى الله فيه .

المبحث الاول :- نبذة عن حياة الامام الالوسي .

المبحث الاول :- **نبذة عن حياة الإمام الالوسي** .

المطلب الاول- اسمه،كنيته، نسبه.

اسمه: – هو فحل البلاغة وأمير البيان[١] العلامة محمود بن عبد الله الحسيني الالوسي[٢]- [٣].

كنيته: – شهاب الدين أبو الثناء.[٤]

نسبه: – تنسب هذه الأسرة إلى (آلوس)بالقصر على الأصح وهي قرية على الفرات قرب عانة وحديثة والالوسيون سادة أَشراف وهم– على ثبوت نسبهم– من ابعد الناس عن التفاخر بالأنساب[٥].

المطلب الثاني :- **ولادته ،نشأته ،وفاته.**

ولادتــه: - ولد أبو الثناء محمود بن عبد الله الحسيني الالوسي في بغداد في شهر شعبان سنة (١٢١٧هـ).[٦]

نشأته: - نشأ في بيت علم وفضل فأبوه واحد من كبار علماء بغداد وكان بيته كعبة للعلماء والطلاب حيث تعقد جلسات العلم وتطرح مسائل وقضايا العلم المختلفة في الفقه والحديث والتفسير والنحو والبلاغة والبيان وغيرها من العلوم .

وفي هذا الجو العلمي نشأ الصبي الصغير وتعلقت عيناه بابيه وهو يراه يتصدر تلك الحلقات مناقشا ومحاورا ومعلما ،ويلقى من الحاضرين أسمى آيات التقدير والإعجاب، وسمت نفس الصبي إلى طلب العلم وتحصيله، وكان في نفسه استعداد عظيم للعلم وحافظة قوية تلتهم ما تقرأه ، وهمة عالية في المثابرة على المذاكرة ولم تمض عليه سنوات قليلة حتى كان قد أتم حفظ المتون في الفقه والنحو والعقيدة والفرائض قبل أن يتم الرابعة عشرة من عمره.[٧]

وفاته:-

توفي رحمه الله في يوم الجمعة الخامس والعشرين من ذي القعدة سنة (١٢٧٠هـ)ودفن مع أهله في مقبرة الشيخ معروف الكرخي في الكرخ .[٨]- [٩]فرضي الله عنه لما قدمه من خدمة للإسلام والمسلمين.

المطلب الثالث :- **ذكره لاقوال العلماء في السورة** .

ذكر الامام الالوسي(رحمه الله)اقوال الكثير من العلماء في تفسيره واستفاض في ذلك في مختلف المجالات ' كاللغة العربية 'واصول الفقة ، والامور العقائدية ،وغيرها من العلوم ،ففي سورة العلق اقتصر على عدد من العلماء منهم :–

١–ابو عبيدة[١٠]حيث نقل عنه الامام الالوسي في تفسيره فقال :–(قوله تعالى بِاسْمِ رَبِّكَ على أن الباء زائدة كما قال أبو عبيدة وزعم أن المعنى اذكر ربك، بل هي أصلية ومعناها الملابسة وهي متعلقة بما عندها أو بمحذوف وقع حالا كما روي عن قتادة)[١١].

٢-جلال الدين السيوطي :حيث نقل عنه الامام الالوسي فقال:(وقال الجلال السيوطي: إن هذا القول لا يعد عندي قولا برأسه فإنه من ضرورة نزول السورة نزول البسملة معها فهي أول آية نزلت على الإطلاق وفيه منع ظاهر كما لا يخفى)[١٢].

٣-الامدي: حيث نقل عنه في بيان جواز تاخير البيان فقال :(قال الآمدي عند ذكر أدلة جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب الذي ذهب إليه جماعة من الحنفية وغيرهم....)[١٣]

٤-الطبري:نقل عن الامام الطبري فقال :(أخرجه ابن جرير وغيره من طريق الضحاك عن ابن عباس أنه قال:.....)[١٤].

٥-الزمخشري:نقل عن الامام الزمخشري فقال :(وعن الزمخشري أن المناسب أن يراد خلق الإنسان بعد الأمر

بقراءة القرآن تنبيها على أنه تعالى خلقه للقراءة والدراية كما أن ذكر خلق الإنسان عقيب تعليم القرآن أول سورة الرحمن لنحو ذلك)[١٥]

٥- الجبائي[١٦] : حيث قال الامام الالوسي في نقله عنه :(قال الجبائي إن اقْرَأْ الأول أمر بالقراءة لنفسه وقيل مطلقا والثاني أمر بالقراءة للتبليغ)[١٧]

٦- ابن عطية :نقل عنه الامام الالوسي فقال: (ولم يختلف المفسرون كما قال ابن عطية في أن العبد المصلي هو رسول الله صلّى الله عليه وسلم، والناهي هو اللعين أبو جهل)[١٨].ولقد ذكر الامام الالوسي الكثير من اقوال العلماء في تفسيره الا انني اقتصرت على قسم منهم خوفا للاطالة .

المبحث الثاني :- مايتعلق بسورة العلق .

المطلب الاول :- اسمها ،عدد اياتها ،مايتعلق بها .

اولا :- اسمها

١-سورة العلق :سميت بالمصاحف ومعظم التفاسير(سورة العلق)لوقوع لفظ(العلق)في اوائلها ،وكذلك سميت في بعض كتب التفسير .[١٩]

٢-سورة اقرأ :اشتهرت هذه السورة في عهد الصحابة والتابعين بأسم (أقرأ باسم ربك)وبذلك عنونها الترمذي في سننه (أقرأ باسم ربك)[٢٠].

٣-سورة القلم : لاحتواء السورة على القلم من قوله تعالى(الذي علم بالقلم ..)وعنونها ابن عطية وابو بكر العربي (سورة القلم).[٢١]

٤- سورة اقرا والعلق : وَسَمَّاهَا الْكَوَاشِيُّ فِي «التَّخْلِيصِ» «سُورَةَ اقْرَأْ وَالْعَلَقِ».[٢٢]

ثانيا :- عدد اياتها .

قال الامام الالوسي في تفسيره لسورة العلق :(لا خلاف في مكيتها وإنما الخلاف في عدد آيها ففي الحجازي عشرون آية، وفي العراقي تسع عشرة، وفي الشامي ثماني عشرة، وفي أنها أول نازل أو لا فذهب كثير إلى أنها أول نازل)[٢٣]

ثالثا :-**مايتعلق بالسورة من علم المناسبة** .

ذكر الامام المراغي ان لسورة العلق مناسبة تتعلق بم قبلها من سورة التين حيث قال :(مناسبتها لما قبلها- أنه ذكر هناك خلق الإنسان فى أحسن تقويم، وذكر هنا خلق الإنسان من علق، إلى أنه ذكر هنا من أحوال الآخرة ما هو كالشرح والبيان لما سلف)[٢٤]. وذكر الامام الالوسي (رحمه الله)مناسبة السورة بما بعدها من سورة الانشراح فقال :(وقيل: خص هذا الطور تذكيرا له عليه الصلاة والسلام لما وقع من شرح الصدر قبل النبوة وإخراج العلق منه ليتهيأ تهيئا تاما لما يكون له بعد فكأنه قيل الذي خلق الإنسان من جنس ما أخرجه من صدرك الشريف ليهيئك بذلك لمثل ما يلقى إليك الآن وبهذا تقوى مناسبة هذه السورة لسورة الشرح قبلها أتم مناسبة لا سيما على تفسير الشرح بالشق فتدبره)[٢٥].

المطلب الثاني :- **الاحاديث الواردة في سورة العلق** .

١-قد ورد حديث بدء الوحي المروي عن عائشة من أصح الأحاديث وفيه فجاءه الملك فقال اقرأ فقال قلت «ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد»[٢٦]

٢-فقد أخرج أحمد ومسلم والنسائي وغيرهم عن أبي هريرة أن أبا جهل حلف باللات والعزى لئن رأى رسول الله صلّى الله عليه وسلم يصلي ليطأن على رقبته وليعفرن وجهه، فأتى رسول الله عليه الصلاة والسلام وهو يصلي ليفعل فما فجأهم منه إلّا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه، فقيل له: ما لك؟ فقال: إن بيني وبينه لخندقا من نار وهولا وأجنحة. فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: «لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوا عضوا»[٢٧] وأنزل الله تعالى كَلَّا إِنَّ الْإِنْسانَ إلى آخر السورة.[٢٨]

٣- وفي صحيح مسلم وغيره من حديث أبي هريرة مرفوعا: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء»[٢٩]

٤- في الصحيح وغيره أيضا من حديث ثوبان مرفوعا: «عليك بكثرة السجود فإنه لا تسجد لله تعالى سجدة إلّا

رفعك الله تعالى بها درجة وحط عنك بها خطيئة»[٣٠].

المطلب الثالث :- **أسباب النزول في السورة** .

ذكر الإمام الالوسي (رحمه الله) أسباب النزول الواردة في سورة العلق ،فكان منهجه واضحا في كل سورة من سور القران في بيان سبب نزول كل أية ،وبيان الخلاف بين العلماء فيها وإعطاء الرأي الراجح من بين الآراء ، ومن بين تلك الآيات مايأتي :-

١-قوله تعالى (اقرأ باسم ربك الذي خلق)[٣١]

كانت هذه السورة أول مانزل من القران بمكة المكرمة ،في غار حراء وقد ذكرها الإمام الالوسي (رحمه الله)في تفسيره.[٣٢]

٢- قوله تعالى(إِنَّ الْإِنْسانَ لَيَطْغى)[٣٣]

قال الامام الالوسي :(نزل في أبي جهل بعد زمان من نزول الآيات السابقة وهو الظاهر)[٣٤]

٣-{فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ، سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ} عن ابن عباس قال: كان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يصلي فجاء أبو جهل فقال ألم أنهك عن هذا؟ ألم أنهك عن هذا؟ فانصرف النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فزبره١ فقال أبو جهل إنك لتعلم ما بها ناد أكثر مني فأنزل الله تبارك وتعالى {فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ، سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ} قال ابن عباس لو دعا ناديه

لأخذته ربانية الله. هذا لفظ الترمذي[٣٥].

المبحث الثالث :-منهج الإمام الالوسي في تفسير السورة.

المطلب الأول :-استدلاله باللغة العربية .

من المعلوم ان المفسر لايستغني عن اللغة العربية في تفسيره لكتاب الله ،وخاصة من يعترض تفسيره بالرأي لان كل لفظة من القران الكريم لها ذوقا بلاغيا ،وسرا بيانيا،وإعرابا أو موقعا من الإعراب ،وكل ذلك له دور في التفسير ،والإمام الالوسي اهتم اهتماما كبيرا في اللغة ومنها النحو والإعراب ،فانك لاتقرا اية في تفسيره إلا وتجد شرحا مفصلا فيه بالنحو والإعراب ،ليس هذا فحسب إنما يعرض أقوال أهل اللغة العربية واختلافاتهم ويعرض القول الراجح ويبين رأيه بكل صراحة ومثال ذلك في تفسيره كثير جدا منها:-

١- بين الإمام الالوسي (رحمه الله)إعراب قوله تعالى فقال :(وقوله سبحانه أَنْ رَآهُ اسْتَغْنى مفعولا من أجله أي يطغى لأن رأى نفسه مستغنيا على أن جملة اسْتَغْنى مفعول ثان لرأى لأنه بمعنى علم ولذلك ساغ كون فاعله ومفعوله ضميري واحد نحو علمتني فقد قالوا إن ذلك لا يكون في غير أفعال القلوب وفقد وعدم، وذهب جماعة إلى أن رأى البصرية قد تعطى حكم القلبية في ذلك ....)[٣٦].

٢-تقديم الجاروالمجرور:بين الإمام الالوسي نوعا أخر من الإعراب وهو تقديم الجار والمجرور فقال:(والمراد أيضا تهديد الطاغي وتحذيره ولعله الأظهر نظرا إلى الخطابات قبله والرجعى مصدر بمعنى الرجوع كالبشرى والألف فيها للتأنيث، وتقديم الجار والمجرور عليه للقصر أي إن إلى ربك رجوع الكل بالموت والبعث لا إلى غيره سبحانه استقلالا أو اشتراكا فترى حينئذ عاقبة الطغيان)[٣٧].

٣-ذكر الإمام الالوسي صفة الرفع في كلمة (سندع)والاختلاف الذي حصل فيها فقال :(والظاهر أن سَنَدْعُ مرفوع لتجرده عن الناصب والجازم ورسم في المصاحف بدون واو لإتباع الرسم للفظ فإنها محذوفة فيه عن الوصل لالتقاء الساكنين أو لمشاكله فَلْيَدْعُ وقيل إنه مجزوم في جواب الأمر وفيه نظر)[٣٨].

٤-ويذكر الإمام الالوسي بدل الاشتمال[٣٩] فيقول: (وقوله تعالى عَلَّمَ الْإِنْسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ بدل اشتمال من علم بالقلم أي علمه به وبدونه من الأمور الكلية والجزئية والجلية والخفية ما لم يخطر بباله...)[٤٠].

٥-تكرار فعل الامر[٤١] : حيث قال الإمام الالوسي :(ثم كرر جل وعلا الأمر بقوله تعالى اقْرَأْ أي افعل ما أمرت به تأكيدا للإيجاب وتمهيدا لما يعقبه من قوله تعالى: وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ إلخ فإنه كلام مستأنف وأراد لإزاحة ما بيّنه صلّى الله عليه وسلم من العذر بقوله عليه السلام لجبريل عليه الصلاة والسلام حين قال له اقرأ فقال: «ما أنا بقارئ»)[٤٢].

المطلب الثاني :-استدلاله بالقراءات القرآنية .

لقد اهتم الإمام الالوسي (رحمه الله)بذكر القراءات القرآنية[٤٣] ،فلو تتبعت تفسيره لوجدت جميع أنواع القراءات القرآنية ،المتواترة [٤٤]منها والشاذة [٤٥]،فقد اعتمد في ذلك على بالرجوع إلى المصادر الأصلية للتفاسير والكتب المؤلفة في ذكر هذه القراءات ،فنراه دائما ينسب القراءة إلى القراء السبعة ،فهو في الغالب ينسب القراءات إلى أصحابها ،وقليلا مايجعلها غير منسوبة ، ومنا مايرجح قول معين من أقوال العلماء ،ومنا مايعرض أنواعا للقراءات بدون ترجيح ،وغالبا ماينسب القراءة إلى الجمهور ،وهو في ذلك لديه ضوابط ومقاييس هي نفسها التي اعتمد عليها العلماء في القراءة المقبولة وهي ثلاثة:ضبط السند وهي أن تكون متواترة الإسناد ،موافقة لرسم المصحف ،وضبط اللغة العربية [٤٦]،وقد ذكر الإمام الالوسي في سورة العلق أنواع مختلفة من القراءات ،لابل ذكر كل أوجه القراءات الواردة في السورة ومنها :-

١-القراءة الأولى التي ذكرها الإمام الالوسي (رحمه الله)في تفسيره قوله تعالى ا ن رأه فقال : (وقرأ قنبل[٤٧] بخلاف عنه «أن رأه» بحذف الألف التي بعد الهمزة وهي لام الفعل وروى ذلك عنه ابن مجاهد وغلطه فيه وقال: إن ذلك حذف لا يجوز وفي البحر ينبغي أن لا يغلطه بل يتطلب له وجها وقد حذفت الألف في نحو من هذا قال:

وصاني العجاج فيمن وصني يريد وصاني فحذف الألف وهي لام الفعل وقد حذفت في مضارع رأى في قولهم أصاب الناس جهد لو تر أهل مكة، وهو حذف لا ينقاس لكن إذا صحت الرواية وجب القبول فالقراءات جاءت على لغة العرب قياسها وشاذها)[٤٨].

٢- وذكرالامام الالوسي (رحمه الله)قراءة أخرى بين فيها قراءة ابن مسعود (رضي الله عنه)وقراءة الجمهور في حال الوقف والابتداء فقال: (وقرأ محبوب[٤٩] وهارون [٥٠]كلاهما عن أبي عمرو[٥١] «لنسفعنّ» بالنون الشديدة. وقرأ ابن مسعود «لأسفعن» كذلك مع إسناد الفعل إلى ضمير المتكلم وحده، وكتبت النون الخفيفة في قراءة الجمهور ألفا اعتبارا بحال الوقف فإنه يوقف عليها بالألف تشبيها لها بالتنوين وقاعدة الكتابة مبنية على حال الوقف والابتداء ومن ذلك قوله:

ومهما تشأ منه فزارة تمنعا ....)[٥٢].

٣-ومن القراءات الأخرى التي ذكرها الإمام الالوسي (رحمه الله)فقال :(وقرأ أبو حيوة[٥٣] وابن أبي عبلة [٥٤]وزيد بن علي «ناصية كاذبة خاطئة» بنصب الثلاثة على الشتم والكسائي[٥٥] في رواية برفعها أي هي ناصية إلخ فَلْيَدْعُ نادِيَهُ النادي

المجلس الذي ينتدي فيه القوم أي يجتمعون للحديث ويجمع على أندية...)[٥٦]

٤- وذكر كلمة "سيدعى"في تفسيره لسورة العلق فقال :(وقرأ ابن أبي عبلة «سيدعى» الزبانية بالبناء للمفعول ورفع «الزبانية» كَلَّا ردع لذلك اللعين بعد ردع وزجر له إثر زجر لا تُطِعْهُ أي دم على ما أنت عليه من معاصاته وَاسْجُدْ وواظب غير مكترث به على سجودك وهو على ظاهره أو مجاز عن الصلاة وَاقْتَرِبْ وتقرب بذلك إلى ربك)[٥٧].

المطلب الثالث :-**استدلاله بالابيات الشعرية** .

استدل الإمام الالوسي (رحمه الله)بالأبيات الشعرية في تفسيره بصورة عامة ،وتجده أيضا في سورة العلق بسورة خاصة،وقد استعمل الأبيات الشعرية لإغراض مختلفة في تفسيره ،ففي بعض الآيات نلاحظ انه (رحمه الله)قد بين معاني البيت الشعري بالتفصيل ، بما ذلك معنى الكلمات الموجودة فيه ومثال ذلك :-

١-من الابيات الشعرية التي ذكرها الإمام الالوسي (رحمه الله)في بيان معنى الناصية في بيت معد بن يكرب فقال:(قال عمرو بن معد يكرب:

قوم إذ كثر الصياح رأيتهم ... ما بين ملجم مهره أو سافع

وقال مؤرج[٥٨]: السفع الأخذ بلغة قريش. والناصية شعر الجبهة وتطلق على مكان الشعر وأل فيها للعهد...)[٥٩]

٣- وبين معنى كلمة زبانية من خلال البيت الشعري فقال :(قوله:

مطاعم في القصوى مطاعين في الوغى ... زبانية غلب عظام حلومها

وسمي ملائكة العذاب بذلك لدفعهم من يعذبونه إلى النار)[٦٠].

٣- وذكر الامام الالوسي (رحمه الله)الابيات الشعرية لاغراض المدح فقال :(وحكى أيضا أنها كانت تصلى جماعة وهي أول جماعة أقيمت في الإسلام وأنه كان معه عليه الصلاة والسلام أبو بكر وعلي رضي الله تعالى عنهما فمر أبو طالب ومعه ابنه جعفر فقال له: يا بني صل جناح ابن عمك، وانصرف مسرورا وأنشأ[٦١] يقول:

إن عليا وجعفرا ثقتي ... عند ملم الزمان والكرب

والله لا أخذل النبي ولا ... يخذله من يكون من حسب

لا تخذلا وانصرا ابن عمكما ... أخي لأمي من بينهم وأبي

٤- ومن الابيات التي ذكرها الامام الالوسي (رحمه الله)قال :(قال جرير أو ذو الرمة[٦٢]:

لهم مجلس صهب السبال أذلة ... سواسية أحرارها وعبيدها

وقال زهير[٦٣]:

وفيهم مقامات حسان وجوههم ... وأندية ينتابها القول والفعل

المبحث الرابع :أهمية القراءة والكتابة في الاسلام .

المطلب الاول :-اهمية الكتابة والقراءة وذكر اصولها عند الامام الالوسي .

ذكر الامام الالوسي (رحمه الله) اهمية سورة العلق من حيث ان الباري عز وجل انزل اول سورة في الاسلام تحث على القراءة والكتابة ،لما لها اثر واضح على تطور الفرد والمجتمع وازدهار الامم يكون بها ،وخير دليل على ذلك مافعله الرسول (صلى الله عليه وسلم)في اسرى الحرب من الكفار في تعليمهم للمسلمين القراءة والكتابة مقابل اطلاق سراحهم ،حيث قال رسول الله (صل الله عليه وسلم)".. قَالَ : وَبَلَغَ فِدَاءُ أَهْلِ بَدْرٍ يَوْمَئِذٍ أَرْبَعَةَ آلاَفٍ فَمَا دُونَ ذَلِكَ ، حَتَّى إِنْ كَانَ الرَّجُلُ يُحْسِنُ الْخَطَّ فَفُودِيَ عَلَى أَنْ يُعَلِّمَ الْخَطَّ..."[٦٤].

-وبين الامام الالوسي (رحمه الله) في تفسيره ، ان الكتابة حادثة في الجزيرة العربية فقال :(وظاهر الآثار أن الكتابة في الأمم غير العرب قديمة وفيهم حادثة لا سيما في أهل الحجاز، وذكر غير واحد أن الكتابة نقلت إليهم من أهل الحيرة وأنهم أخذوها من أهل الأنبار، وذكر الكلبي والهيثم بن عدي أن الناقل للخط العربي من العراق إلى الحجاز حرب بن أمية وكان قد قدم الحيرة فعاد إلى مكة به، وأنه قيل لابنه أبي سفيان ممن أخذ أبوك هذا الخط؟ فقال: من أسلم بن أسدرة. وقال: سألت أسلم ممن أخذت هذا الخط؟ فقال: من واضعه مرامر بن مرة. وقيل: كان لحمير كتابة يسمونها المسند منفصلة غير متصلة وكان لها شأن عندهم فلا يتعاطاها إلّا من أذن له في تعلمها، وأصناف الكتابة كثيرة..)[٦٥].

- ونبه الامام الالوسي في تفسيره على اول من كتب بالقلم فقال :(وقال الضحاك هو إدريس عليه السلام وهو أول من خط. وقال كعب: هو آدم عليه السلام وهو أول من كتب. وقد نسبوا لآدم وإدريس عليهما السلام نقوشا مخصوصة في كتابة حروف الهجاء الذي يغلب على الظن عدم صحة ذلك، وقد أدمج سبحانه وتعالى التنبيه على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة ونيل الرتب الفخيمة ولولاه لم يقم دين ولم يصلح عيش ولو لم يكن على دقيق حكمة الله تعالى ولطيف تدبيره سبحانه دليل إلّا أمر القلم والخط ...)[٦٦].

المطلب الثاني:- اهمية السجود والتقرب الى الله به .

بين الله سبحانه وتعالى عبادة اخرى مهمة للتقرب فيها اليه سبحانه وتعالى ، وهذه العبادة هي السجود ،حيث ذكر سبحانه وتعالى ايات كثيرة يحث بها على السجود العبادة التي اغاظت

الشيطان وبينت مدى تكبره واستعلاءه بدون حق على رب العزة ،فمن افضال السجود :-

-ماروي عن النبي (صل الله عليه وسلم)في حديث طويل في وصف يوم القيامة واهوال اهل النار من صحيح البخاري ".... وَكَلاَمُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ، وَفِي جَهَنَّمَ كَلاَلِيبُ [ص:١٦١] مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، هَلْ رَأَيْتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ؟ " قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: " فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ غَيْرَ أَنَّهُ لاَ يَعْلَمُ قَدْرَ عِظَمِهَا إِلَّا اللَّهُ، تَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يُوبَقُ بِعَمَلِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُخَرْدَلُ ثُمَّ يَنْجُو، حَتَّى إِذَا أَرَادَ اللَّهُ رَحْمَةَ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، أَمَرَ اللَّهُ المَلاَئِكَةَ: أَنْ يُخْرِجُوا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ، فَيُخْرِجُونَهُمْ وَيَعْرِفُونَهُمْ بِآثَارِ السُّجُودِ، وَحَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ، فَيَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ، فَكُلُّ ابْنِ آدَمَتَأْكُلُهُ النَّارُ إِلَّا أَثَرَ السُّجُودِ..."[٦٧]

-ماروي في صحيح مسلم عن النبي (صل الله عليه وسلم)عن احد الصحابة" قَالَ: كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ فَقَالَ لِي: «سَلْ» فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ. قَالَ: «أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ» قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ. قَالَ: «فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ»[٦٨]

ماروي في صحيح ابن خزيمة عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِذَا قَرَأَ ابْنُ آدَمَ السَّجْدَةَ فَسَجَدَ اعْتَزَلَ الشَّيْطَانُ يَبْكِي، وَيَقُولُ: يَا وَيْلَهُ أُمِرَ ابْنُ آدَمَ بِالسُّجُودِ فَسَجَدَ فَلَهُ الْجَنَّةُ، وَأُمِرْتُ بِا لسُّجُودِ فَأَبَيْتُ فَلِيَ النَّارُ "[٦٩]. ولاهمية السجود في عبادات المسلم شرعت سجود التلاوة في القران الكريم ،لعدد من الايات التي يذكر فيها السجود لله تعالى والتي يبلغ عددها خمسة عشر سجدة على الصحيح ،والشرح عن السجود واثاره كثيرة جدا ،لم اذكر الكثير خوف الاطالة .

الخاتمة:-

الحمد الله الذي بنعمته تتم الصالحات ،وبتوفيقه تدرك الغايات ،فلقد توصلت من خلال هذا البحث بعدة نتائج منها :-

١-بيان منهج الامام الالوسي (رحمه الله)في تفسيره لسورة العلق ، ومنه انه اعتنى باللغة العربية واسهب في اعراب الايات القرانية وبيان اقوال العلماء واختلافهم في اعرابها .

٢-ذكره للقراءات القرانية بكل انواعها ، الشاذة منها ،والمتواترة ،وبيان اقوال القراء فيها .

٣-ذكرة للشعر العربي وهوعنده نوع من انواع الاستدلال باللغة العربية ،لان العرب كانت تستعمل الشعر في استدلالاتها .

٤-بيان مناسبة السورة لما قبلها من الايات ، ومعرفة الترابط بما قبلها وما بعدها .

٥- التنبيه على مدح العلم والتعلم وبيان اهمية القراءة والكتابة ، وبيان اصولها ومن اين جاء بها العرب .

٦- اهمية العبادات للفرد المسلم ومعرفة ذلك من السورة نفسها ، واهم هذه العبادات هي السجود وبيان اثره والحث عليه .

٧ – التشنيع على من ينكر حقيقة الصلاة والنهي عنها ،ويتبين ذلك من فعل ابو جهل في نهيه للرسول (صل الله عليه وسلم)واصحابه وعاقبة ذلك .

٨–التهديد والوعيد من عاقبة الطغيان ،وفي السورة حكم عام لكل طاغ متكبر لم ينتهي عما نهى الله عنه.

المراجع والمصادر:-

١. أسباب نزول القرآن: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي ت(٤٦٨هـ)المحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدان،: دار الإصلاح – الدمام، الطبعة: الثانية، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م

٢. الأعلام ، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي ت (١٣٩٦هـ) دار العلم للملايين ط١٥–٢٠٠٢م

٣. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (ت٧٦١هـ)، تحقيق :يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، .

٤. البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدُّرة – القراءاتُ الشاذةُ وتوجيهها من لغة العرب،: عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي (ت: ١٤٠٣هـ) دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان.

٥. تاريخ بغداد: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ)، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢ م،

٦. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس،١٩٨٤ هـ.

٧. تفسير المراغي: أحمد بن مصطفى المراغي (ت١٣٧١هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ – ١٩٤٦ م.

٨. التفسير والمفسرين، محمد السيد حسين الذهبي ت (١٣٩٨هـ) مكتبة وهبة القاهرة (د٠ط٠ت)

٩. التيسير في القراءات السبع: عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (ت٤٤٤هـ)، تحقيق: اوتو تريزل ،دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٤هـ –١٩٨٤م.

١٠. الجامع الكبير – سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت٢٧٩هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف ، دار الغرب الإسلامي – بيروت،: ١٩٩٨ م

١١. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر : دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ .

١٢. حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك: أبو العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي (ت١٢٠٦هـ) دار الكتب العلمية بيروت–لبنان، الطبعة: الأولى ١٤١٧ هـ –١٩٩٧م

١٣. الحجة في القراءات السبع: الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله (ت٣٧٠هـ)، تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم، دار الشروق – بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤٠١ هـ.

١٤. حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، للشيخ عبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الميداني الدمشقي ت (١٣٣٥هـ) تحقيق محمد بهجت البيطار نقلا عن محمد بهجت الأثري، دار صادر بيروت (١٤١٣هـ-١٩٩٣م) ط٢
١٥. السبعة في القراءات: أحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر بن مجاهد البغدادي (ت٣٢٤هـ)، تحقيق: شوقي ضيف ، الطبعة: الثانية، ١٤٠٠هـ،١/٨٥.
١٦. شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ) تحقيق: علي عبد الباري عطية ، دار الكتب العلمية – بيروت ،ط١ ، ١٤١٥ هـ:
١٧. صحيح ابن خزيمة: أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري (ت٣١١هـ) تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي – بيروت.
١٨. صحيح المسند من أسباب النزول: مُقْبِلُ بنُ هَادِي بنِ مُقْبِلِ بنِ قَائِدَةَ الهَمْدَاني الوادعِيُّ ت(١٤٢٢هـ)، مكتبة ابن تيمية – القاهرة، الطبعة: الرابعة ، ١٤٠٨هـ .
١٩. الطبقات الكبير: محمد بن سعد بن منيع الزهري ،ت:(٢٣٠ هـ)، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة الخانجي – القاهرة، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١ م.
٢٠. فتح القدير: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت: ١٢٥٠هـ) : دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٤ هـ.
٢١. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد ،: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ:.
٢٢. مدخل في علم القراءات :السيد رزق الطويل ت(١٤١٩هـ)،المكتبة الفيصلية ، الطبعة الاولى (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م) .
٢٣. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٢٤. معجم المؤلفين، عمر رضا بن محمد بن عبد الغني كحالة الدمشقي ت (١٤٠٨هـ): مكتبة المثنى –بيروت– دار إحياء التراث العربي (د٠ط٠ت)
٢٥. منجد المقرئين ومرشد الطالبين: شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت: ٨٣٣هـ) ،دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -١٩٩٩م.
٢٦. النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين، محمد رجب البيومي، دار القلم – الدار الشامية، ط١(١٤١٥هـ-١٩٩٥م)
٢٧. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت٦٨١هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت .

الهوامش:

(١) ينظر: – حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، للشيخ عبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الميداني الدمشقي ت (١٣٣٥هـ) تحقيق محمد بهجت البيطار نقلا عن محمد بهجت الأثري، دار صادر بيروت (١٤١٣هـ-١٩٩٣م) ط٢-١/١٤٥٠.

[٢]ينظر: – معجم البلدان ياقوت الحموي (٢٤٦/١) وآلوسة بلد على الفرات قرب عانة وقيل فيه الوس بغير مد، معجم البلدان:٥٦/١.

[٣] وقد يختلط مسمى عائلة الالوسي على الكثيرين حيث انه قد نبغ علمان آخران إلى جانب الالوسي الكبير أبي الثناء وهما:

(أ)الالوسي (نعمان) نعمان بن محمود بن عبد الله أبو البركات وهو ابن أبي، الثناء واعظ فقيه باحث ولد سنة (١٢٥٢هـ) ولقب برئيس المدرسين وتوفي ودفن في بغداد سنة (١٣١٧ هـ) ينظر: الأعلام ، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي ت (١٣٩٦هـ) دار العلم للملايين ط١٥–٢٠٠٢م (٤٢/٨).

(ب) الالوسي (ابو المعالي) محمود شكري بن عبد الله بن شهاب الدين محمود الالوسي حفيد الالوسي الكبير الملقب بابي المعالي، عالم وأديب ومؤرخ ولد في بغداد سنة (١٢٧٣هـ) وهو صاحب مصنفات جليلة ومنها بلوغ الإرب في أصول العرب ت (١٣٢٤هـ).وينظر: الاعلام للزركلي :١٤٢/٧ .

[٤] ينظر: التفسير والمفسرين، محمد السيد حسين الذهبي ت (١٣٩٨هـ) مكتبة وهبة القاهرة (د٠ط٠ت)، (٢٥١/١).

[٥]) ينظر معجم البلدان لياقوت الحموي : ٢٤٦/١ .

[٦]ينظر: معجم المؤلفين، عمر رضا بن محمد بن عبد الغني كحالة الدمشقي ت (١٤٠٨هـ): مكتبة المثنى –بيروت– دار إحياء التراث العربي (د٠ط٠ت) ١٧٥/١٢.

[٧]النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين، محمد رجب البيومي، دار القلم – الدار الشامية، ط١(١٤١٥هـ–١٩٩٥م)، (٣٣/٢).

[٨]الكرخ: بالفتح ثم السكون وخاء معجمة ، وهي نبطية يقولون كرخت الماء وغيره من البقر والغنم الى موضع كذا جمعته فيه في كل موضع وهي بالعراق ، معجم البلدان (٤٤٧/٤).

[٩]ينظر: معجم المؤلفين (١٧٥/١٢)، والأعلام للزركلي (١٧٦/١).

[١٠]) وهو ابو عبيدة محمدبن المثنى التيمي بالولاء البصري النحوي ،ت(٢٠٩هـ) كان ابوه يهوديا ،وهو اديب ، وعالم لغة ، من اهل البصرة وله (كتاب مجاز القران) المشهور ، ينظر : سير اعلام النبلاء ، للذهبي ٤٤٥/٩.

[١١]) روح المعاني في تفسير القران العظيم والسبع المثاني : شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ) تحقيق: علي عبد الباري عطية ، دار الكتب العلمية – بيروت ،ط١ ، ١٤١٥ هـ:٤٠٠/١٥.

[١٢])روح المعاني للامام الالوسي :٤٠١/١٥.

[١٣]) المصدر نفسه .

[١٤]) روح المعاني لامام الالوسي :٤٠٠/١٥.

[١٥]) روح المعاني للامام الالوسي :٤٠١/١٥.

[١٦])عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب بن سلام بن خالد بن حمران بن أبان مولى عثمان بن عفان، وهو أبو هاشم بن أبي علي الجبائي المتكلم، شيخ المعتزلة ومصنف الكتب على مذاهبهم، سكن بغداد إلى حين وفاته ت(٣٢١)، ينظر: تاريخ بغداد: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ)، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢ م،٣٢٧/١٢.

[١٧])روح المعاني للامام الالوسي :٤٠٢/١٥.

[١٨])روح المعاني للامام الالوسي :٤٠٤/١٥.

(١٩)المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد ،: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ:٥٠١/٥.

(٢٠)الجامع الكبير – سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت٢٧٩هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف ، دار الغرب الإسلامي – بيروت،: ١٩٩٨ م،٣٠٠/٥،باب من سورة اقرا باسم ربك ،رقم (٨٤).

(٢١)التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس،١٩٨٤ هـ،٤٣٣/٣٠.

(٢٢) التحرير والتنوير لابن عاشور :٤٣٣/٣٠.

(٢٣) روح المعاني للامام الالوسي :٣٩٩/١٥. ينظر:فتح القدير: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت: ١٢٥٠هـ) : دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٤ هـ،٥٧٠/٥.

(٢٤)تفسير المراغي: أحمد بن مصطفى المراغي (ت١٣٧١هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ – ١٩٤٦ م،١٩٧/٣٠.

(٢٥) روح المعاني للإمام للالوسي :٤٠٢/١٥.

(٢٦) روح المعاني للامام الالوسي :٤٠٠/١٥.ينظر: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر : دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ ،٧/١ باب بدءالوحي رقم (٤).

(٢٧)المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت،كتاب صفة القيامة والجنة والنار ،باب قوله "ان الانسان ليطغى" ،٢١٥٤/٤رقم (٢٧٩٧).

(٢٨)روح المعاني للإمام للالوسي :١٥ /٤٠٤.

(٢٩)صحيح مسلم : باب ما يقال في الركوع والسجود،٣٥٠/١،رقم (٢١٥-٤٨٢).

(٣٠) صحيح مسلم :باب فضل السجود والحث عليه ، ٣٥٣/١،رقم الحديث ٢٢٥-(٤٨٨).

(٣١) سورة العلق : اية (١)

(٣٢)أسباب نزول القرآن: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي ت(٤٦٨هـ) المحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدان،: دار الإصلاح – الدمام، الطبعة: الثانية، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م باب القول اول مانزل من القران ،١٠/١

(٣٣) سورة العلق :اية (٦).

(٣٤) روح المعاني للامام الالوسي :٤٠٣/١٥.

(٣٥)لصحيح المسند من أسباب النزول: مُقْبلُ بنُ هَادِي بنِ مُقْبِلِ بنِ قَائِدَةَ الهَمْدَاني الوادعِيُّ ت(١٤٢٢هـ)، مكتبة ابن تيمية – القاهرة، الطبعة: الرابعة ، ١٤٠٨هـ- ١٩٨١،١/٢٣٦.

(٣٦) روح المعاني للامام الالوسي :٤٠٣/١٥.

(٣٧) روح المعاني للامام الالوسي :١٥/٤٠٤.

(٣٨) روح المعاني للالوسي :١٥/٤١٠.

(٣٩)البدل :هو التابع المقصود بالحكم بلا واسطة ،ينظر :أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (ت٧٦١هـ)، تحقيق :يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،٣/٣٦٢.

(٤٠) روح المعاني للإمام الالوسي :١٥/٤٠٢.

(٤١)هو اللفظ الدال على الطلب :ينظر:حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك: أبو العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي (ت١٢٠٦هـ) دار الكتب العلمية بيروت–لبنان، الطبعة: الأولى ١٤١٧ هـ –١٩٩٧م،١/٦٨.

(٤٢) روح المعاني للإمام الالوسي :١٥/٤٠٢

(٤٣) القراءات:هو علم يعرف به كيفية النطق ب الكلمات القرآنية وطريق ادائها اتفاقا واختلافا مع عزو كل وجه إلى ناقله ،ينظر: البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدُّرة – القراءاتُ الشاذةُ وتوجيهها من لغة العرب،: عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي (ت: ١٤٠٣هـ) دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان،١/٧.

(٤٤) كل قراءة وافقت العربية مطلقا ،ووافقت احد المصاحف العثمانية ولو تقديرا وتواتر نقلها ،ينظر : منجد المقرئين ومرشد الطالبين: شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت: ٨٣٣هـ) ،دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ –١٩٩٩م،١/١٨.

(٤٥)القراءة الصحيحة ما وافق العربية وصح سنده، وخالف الرسم كما ورد في صحيح من زيادة ونقص وإبدال كلمة بأخرى، ونحو ذلك مما جاء عن أبي الدرداء وعمر وابن مسعود وغيرهم، فهذه القراءة تسمى اليوم شاذة؛ لكونها شذت عن رسم المصحف المجمع عليه، وإن كان إسنادها صحيحا فلا تجوز القراءة بها لا في الصلاة، ولا في غيرها،ينظر:منجد المقرئين ومرشد الطالبين،لابن الجزري :١/١٩

(٤٦) ينظر :مدخل في علم القراءات :السيد رزق الطويل ت(١٤١٩هـ)،المكتبة الفيصلية ، الطبعة الاولى (١٤٠٥هـ–١٩٨٥م)،١/٤٨.

(٤٧)وقنبل هُوَ مُحَمَّد بن عبد الرَّحْمَن بن مُحَمَّد بن خَالِد بن سعيد بن جرجة المكى المخزومى ويكنى أبا عمر ويلقب قنبلا وَيُقَال هم أهل بَيت بِمَكَّة يعْرفُونَ بالقنابلة وَتوفى بِمَكَّة (سنة ٢٨٠هـ) ،ينظر: التيسير في القراءات السبع: عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (ت٤٤٤هـ)، تحقيق: اوتو تريزل ،دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٤هـ–١٩٨٤م،١/٤.

(٤٨)روح المعاني للإمام الالوسي :١٥/٤٠٤ .ينظر: الحجة في القراءات السبع: الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله (ت٣٧٠هـ)، تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم، دار الشروق – بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤٠١ هـ،١/٣٧٣.

(٤٩) وهو محبوب بن الحسن ،احد تلاميذ أبو عمربن العلاء ،ينظر: السبعة في القراءات: أحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر بن مجاهد البغدادي (ت٣٢٤هـ)، تحقيق: شوقي ضيف ، الطبعة: الثانية، ١٤٠٠هـ،١/٨٥.١

(٥٠) وهو هارون بن موسى الاعور ،احد تلاميذ ابو عمروا بن العلاء ، ينظر :السبعة في القراءات ،لأبي بكر بن مجاهد ١/٨٤.

(٥١)أبو عمرو بن العلاء بْن عمار بن الْعُرْيَان بن عبد الله بن الْحصين بن الْحَارِث بن جلهمة بن خزاعي بن مَازِن بن مَالك بن عَمْرو بن تَمِيم وَقيل ابْن جلهمة بن حجر بن خزاعي، احد القراء المشهورين ينظر :السبعة في القراءات ،لأبي بكربن مجاهد ١/٧٩.

(٥٢) روح المعاني للإمام الالوسي :١٥/٤٠٩.

(٥٣)هو شريح بن يزيد أبو حيوة الحضرمي الحمصي، صاحب القراءة الشاذة ومقرئ الشام، روى القراءة عن الكسائي وغيره، وروى عنه قراءته ابنه حيوة، وروى أيضًا عنه قراءة الكسائي، توفي سنة ٢٠٣،ينظر: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح

عنها: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت٣٩٢هـ)، وزارة الأوقاف–المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، الطبعة: ١٤٢٠هـ–١٩٩٩م،١٦٣/١.

([٥٤])إبراهيم ابن أبي عبلة بسكون الموحدة واسمه شمر بكسر المعجمة ابن يقظان الشامي يكنى أبا إسماعيل ثقة من الخامسة مات سنة اثنتين وخمسين،ينظر: تقريب التهذيب: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني ت(٨٥٢هـ)، تحقيق: محمد عوامة، دار الرشيد – سوريا ، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ – ١٩٨٦،١/٩٢برقم (٢١٣).

([٥٥])وهو أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله بن بهمن بن فيروز الكوفي النحوي، مولى لبني أسد، ينظر :الإقناع في القراءات السبع،: أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري الغرناطي، أبو جعفر، المعروف بابن البَاذِش (ت: ٥٤٠هـ): دار الصحابة للتراث،٤٣/١.

([٥٦])روح المعاني للإمام الالوسي :٤٠٩/١٥. وينظر: معاني القرآن: أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (ت: ٢٠٧هـ) تحقيق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، الطبعة: الأولى،٢٧٩/٣.

([٥٧]) روح المعاني للإمام الالوسي :٤١٠/١٥.

([٥٨])ابو فيد مؤرج بن عمرو بن الحارث بن ثور بن حرملة بن علقمة بن عمرو بن سدوس بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة، السدوسي النحوي البصري؛ أخذ العربية عن الخليل بن أحمد، وروى الحديث عن شعبة بن الحجاج وأبي عمرو ابن العلاء وغيرهما،ت(١٩٥هـ)ينظر:وفيات الاعيان ،لابن خلكان ٣٠٤/٥.

([٥٩]) روح المعاني للإمام الالوسي :٤٠٨/١٥.

([٦٠]) روح المعاني للإمام الالوسي :٤١٠/١٥.

([٦١]) روح المعاني للامام الالوسي :٤٠٥/١٥

([٦٢])أبو الحارث غيلان بن عقبة بن بهيش بن مسعود بن حارثة بن عمرو بن ربيعة بن ساعدة بن كعب بن عوف بن ربيعة بن ملكان بن عدي بن عبد مناة ابن أد بن طانجة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، الشاعر المشهور المعروف بذي الرمة، أحد فحولة الشعراء ت(١١٧) ينظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت٦٨١هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت ١١/٤.

([٦٣]) وزهير بن أبي سلمى، واسم أبي سلمى ربيعة بن رياح بن قرط بن الحارث بن مازن بن ثعلبة بن ثور بن هذمة بن لاطم بن عثمان بن عمرو بن أد.ينظر : تاريخ اليعقوبي ،لليعقوبي ١٠٣/١.

([٦٤])الطبقات الكبير: محمد بن سعد بن منيع الزهري ،ت:(٢٣٠ هـ)، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة الخانجي – القاهرة، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١ م،٢٤/٢.

([٦٥])روح المعاني للامام الالوسي :٤٠٣/١٠.

([٦٦])روح المعاني للامام الالوسي :٤٠٣/١٥.

([٦٧]) صحيح البخاري ،فضل الاذان ،باب فضل السجود ١٦٠/١، رقم الحديث (٨٠٦).

([٦٨]) صحيح مسلم ،فضل السجود والحث عليه ،٣٥٣/١،رقم الحديث (٤٨٩).

([٦٩]): صحيح ابن خزيمة: أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري (ت٣١١هـ) تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي – بيروت،باب فضل السجودعندقراءةالسجدةوبكاء الشيطان ودعائه بالويل لنفسه،٢٧٦/١رقم الحديث (٥٤٩).

مسجد مدينة باجة (ميرتولا)

في البرتغال

MESQUITA DE BEJA
(IGREJA MATRIZ DE MÉRTOLA)

أ.د. رفاه جاسم حمادي
ايمان سفاح كوري
كلية الاداب جامعة بغداد
قسم الآثار

مسجد مدينة باجة (ميرتولا) في البرتغال

أ . د . رفاه جاسم حمادي

ايمان سفاح كوري

مقدمة عن تاريخ بناء المسجد

تعد مدينة باجة أقدم مدن الأندلس بنياناً وأولها اختطاطاً وإليها انتهى يوليش جاشر وهو أول من تسمى قيصر وهو سماها باجة، وتفسير باجة في كلام العجم الصلح، وحوز باجة وخطتها واسعة ولها معاقل موصوفة بالمنعة والحصانة وتعد باجة من أقدم مدائن الاندلس لأنها بنيت في أيام الأقاصرة، وبينها وبين قرطبة مائة فرسخ، وهي من الكور المجندة نزلها جند مصر وكان لواؤهم في الميسرة بعد جند فلسطين،[١] اما مسجدها فيقع في حصن مارتلة وهو حصن منيع ومنه إلى طليطلة مرحلة ويقع على نهر بطليوس[٢] بجزيرة الأندلس ومارتلة حالياً مدينة صغيرة في جنوب البرتغال.[٣] مِيرْتُلَةُ او مارتلة حصن من أعمال باجة وهو أحمى حصون المغرب وأمنعها من الأبنية القديمة على نهر آنا[٤] حصن منيع ومنه إلى طليطلة مرحلة[٥]، خارطة(١) كما اشار اليه ابن عذارى المراكشي في احداث سنة ٢٦٢هـ " عبد الملك بن أبي الجواد، اقتعد مدينة باجة وملكها، وتحصن بحصن مارتلة، وله حظ من المنعة تشييدا وعدة. وكان معاقدا لابن مروان، صاحب بطليوس في هذا التأريخ، وابن بكر صاحب أكشونبة؛ فكانوا متأبين على من خالفهم. وعبد الرحمن بن مروان المعروف بالجليقي، اقتعد مدينتي بطليوس وماردة قد ابتنى في بطليوس حصنا"[٦] وعبد الملك هذا موالي لابن مروان الذي بنى مدينة بطليوس وبنى مسجداً داخل الحصن وفقاً لرواية الحميري حيث يذكر" بطليوس بالأندلس من إقليم ماردة بينهما أربعون ميلاً، وهي حديثة بناها عبد الرحمن بن مروان المعروف بالجليتي بإذن الأمير عبد الله له في ذلك، فأنفذ له جملة من البناة وقطعة من المال فشرع في بناء الجامع باللبن والطابية وبنى صومعته خاصة بالحجر واتخذ مقصورة وبنى مسجداً خاصاً بداخل الحصن وابتنى الحمام الذي على باب المدينة وأقام البناة عنده حتى ابتنوا له عدة مساجد، وكان سور بطليوس مبنياً بالتراب، وهو اليوم مبني بالكلس والجندل وبني، في سنة إحدى وعشرين وأربعمائة"[٧]، ولاسيما انه اتخذ من مدينة باجة مقراً لحكمه وتحصن في مارتلة وحسب رواية ابن عذارى السابقة الذكر وبناءاً عليه يمكن القول ان المسجد المقصود بمسجد مارتلة هو احد تلك المساجد التي بناها ابن مروان قبل سنة ٢٦٢هـ. خارطة (٢)

بينما يحدّد باحثون مثل ليوبولدو توريس بالباس Leopoldo Torres Balbás [٨] وكريستيان إيويرتChristian Ewert[٩] تاريخ بناء الجامع في هذه المرحلة دخول الموحّدين للمدينة في سنة ٥٥٣هـ/ ١١٥٨م، ميرطولا Mértola، اليوم مدينة صغيرة في جنوب البرتغال ، في مقاطعة ألينتيخو

Alentejo، تقع على بعد ٥٢ كم. جنوب باجة Beja، عند ملتقى غواديانا,Guadiana، التي تبعد بمقدار ٥٥ كم بعيدا باتجاه جنوب شرق المحيط الأطلسي ، وكان نهر اورياس الصغير Ojeras، مع منطقة جوليا مارتاليس Julia Myrtilis كانا يشكلان مكانا هاما لمقاطعة لوسيتان الرومانية[١٠] اما المسجد تم تحويله الى كنيسة سنة ١٢٣٨م سميت Igreja Matriz de Mértola (الكنيسة الام) ولكنه بقي محتفظاً بالعديد من عناصره العمارية وحتى دكة المذبح الرئيسي تتجه إلى الجدار الجنوبي الشرقي وهو اتجاه القبلة في مسجد الاسلام ويتم استخدام بعض اعمدة المنقولة من معبد روماني[١١]. وقد تم المحافظة على الجدران الخارجية للمبنى من هذا المسجد القديم و أبوابه الأربعة.

تخطيط وعمارة المسجد

شكل المسجد شبه منحرف (انظر مخطط١)، طول جدار القبلة ١٩,٠٦ م الجدار المقابل له ١٨,١٣م الجانب الشمالي الغربي ١٥,٩٢م والجدار الجنوبي الغربي١٣,٥ م وقد ادى هذا الانحراف البسيط والبناء غير الدقيق للقبلة ، والذي لم يكن مستقيماً تقاطع الزاوية اليمنى للجدارين الجانبيين مع جدار القبلة هذا. تسبب بأنحراف قليل اذ يضيق المسجد في الجانب الشمالي. وينقسم المسجد كله إلى خمس بلاطات، اوسعها بلاطة المحراب. واضيقها البلاطة الجنوبية أضيق قليلا في أقصى الحدود مقابل القبلة، واربعة اساكيب[١٢] وبدون صحن.

هناك بروز، يمتد بمقدر ٥,٥٠ متر، خارج الواجهات الجنوبية الشرقية والشمالية الغربية، وهنا يجب أن نميز الارتفاع الأصلي لجدران المسجد والتي أضيفت في القرن السادس عشر. أرتفاع الجدار الاصلي ٤,١٠م في أعمال الترميم لجدار المسجد تم الكشف عن ثلاثة مداخل ضيقة يتراوح عرض كل منها من ١,١٥م إلى ١,٣م، يتوج كل منها بعقد مدبب على شكل حدوة فرس، ويتراوح ارتفاعها الحالي ٢,٧٩ إلى ٢,٨٨م. توجد هذه المداخل الجانبية على مسافات متفاوتة، دون أدنى علاقة بتوزيع اكتاف بيت الصلاة التي على الاغلب أنها اصلية. مخطط (٢)

يبلغ عرض بعض الاكتاف ٠,٨١م فقط وارتفاعها ٢,٧٠م. وفتحت ثلاثة مداخل في الجدار المقابل لها. اما المدخل الرئيسي فيقع في الجدار المقابل للمحراب، وعلى نفس محور عمق بلاطة بيت الصلاة، و تم الحفاظ على عضادات المداخل الإسلامية بالكامل تقريبًا، تظهر عضاداتها مجموعة مختلطة من الكرانيت والآجر. اما العتبة ترتفع حوالي ٠,٨٠م من على الأرض كتلة من الجرانيت الرمادي كأداة تقويم وتوضع عليها، بالتناوب مع صفين أو ثلاثة صفوف من الآجر، وثلاثة صفوف من الحجر الجيري اصغر حجماً. وفي العضادة الجنوبية الشرقية استخدم حجر مربع ابعاده٠,٢٧م. لوحة (١)

يوضع العقد الصخري المرمم جزئياً، بشكل حدوة الفرس المدبب مباشرة على صخور مختلفة الارتفاع المرتبة بشكل افقي، الشائعة في الإنشاءات الإسبانية من الحجر والآجر، مفقودة في الجزء السفلي من

القوس، يتم وضع الآجر ذي الحواف المتوازية بدون مراعاة الترتيب، كما هو معتاد ، مع فواصل بعرض مختلف وبدون الحفاظ على الاتجاه الشعاعي تمامًا.

ومن ناحية أخرى لم تعد المداخل الإسلامية الاصلية على الجدار الشمالي الشرقي ظاهرة ويجب أن تفكر أنه سيكون هناك أيضًا مداخل جانبية إسلامية في الجدار الجنوبي الغربي. [١٣].مخطط (٣)

لازال المسجد يحتفظ ببعض زخارفه الإسلامية لاسيما المحيطة بالمحراب بشكل شرفات متداخلة، والتي تعود إلى الشرق القديم، هي بلا شك إسلامية. يظهر موثقة مرارا وتكرارا في مسجد قرطبة وفي مدينة الزهراء.[١٤] قبل أن نضع لتحليل العناصر الهيكلية في بيت الصلاة ودراسة جدرانها الخارجية التي يمكن اعتبار أصلها الإسلامي أمراً مؤكداً. تم الحفاظ على المخطط شبه مربّع مع عرض أكثر بقليل من العمق، منحرف قليلاً في شكل شبه منحرف في جانبه الجنوبي، يتكون بيت صلاة من خمس بلاطات، مع أربعة صفوف من العقود بأتجاه القبلة. تتكون الأعمدة في أغلبيتها من قطعتين او ثلاثة قطع، لم تبقى اعمدة ودعامات بيت الصلاة على شكلها الاصلي فقد كان لا بد من تعزيز نظام الدعامات إلى حد كبير عند بناء الأقبية القوطية، ومن نظام الدعائم الخارجية الإسلامية، تم الكشف عن جزء من اثنين من الدعامات في زاوية مقابلة أمام المحراب، والتي ربما تم دمجها في دعامات، اما دعامات الجوانب الشمالية الشرقية تم اكتشافها حتى ارتفاع يصل إلى حوالي ٤.١٥ متر، بعض الدعامات الجنوبية الغربية تم ازالتها[١٥].لوحة(٢) يعتقد توريس بالباس أنه قبل بناء قبو قوطي ، تم هدم الأعمدة الآجرية في بيت الصلاة الموحدي واستبدلت بالأعمدة الحجرية التي لا تزال محفوظة حتى اليوم[١٦].لوحة(٣) بينما يفترض سانتوس أن أعمدة المسجد أعيد استخدامها في الكنيسة ، بنفس القواعد. ومع ذلك، فإن بعض المؤشرات تجعل الافتراض بأن الأعمدة الإسلامية ماتزال في الموقع[١٧] كما تم الكشف عن دعامة اسلامية يبلغ ارتفاع المتبقي منها ٤٨،٠م وعرضها ٥٠،٠م في المنطقة الشمالية الشرقية من بيت الصلاة تتطابق جوانبها الاربعة تمامًا وهي الدعامة الإسلامية الوحيدة التي تم الحفاظ عليها بالكامل مع قاعدتها، اما الاعمدة تسعة من الأعمدة الاثني عشر، قواعدها تشكل هيئة متجانسة يتراوح ارتفاعا بين (٣٥،٠ إلى ٤١،٠ م)[١٨].

المـــحراب

يقع المحراب في الجدار الجنوبي الشرقي بإتجاه القبلة مخططه مستطيل، بعرض يتراوح بين ١,١٥ إلى ١.٢٠ متر ، وفي عمق تشويهها الحالي، حوالي ٠.٧٥ في العمق. ويغطي مكانه، غرفه الخارجية مشطوفة، قبو من دورات الاجر المرتب افقياً، يتم الحفاظ على جزء من الزخرفة الجصية ، بشكل شرائط مسطحة متداخلة، وهو في حالة سيئة للغاية لوحة(٤)، تعلوه نصف قبة بنيت كلها بالآجر تم تغطيتها بالجص مرة اخرى بعد عملية الترميم[١٩] مخطط(٤) بينما يعطي Ewert وصفاً آخر للمحراب "يتكون من دخلتين يتراوح عرضه بين ٣.٥٤م الى ٣.٥٥م وعمقه ٠.٩٩ إلى ١م" [٢٠] تعلو مربعة المحراب قبة

قائمة على عقود حديوية، نصف قطر القبة ٣.٤٠ متر تقريبًا، وارتفاعها ٤,٢٦م فوق الرصيف، استبدلت القبة بقبو على الطراز القوطي بعد تحويل المسجد الى كنيسة وعندما تم رفع القبة، لوحظ أن القبة، كانت في وضع خطر وتم تعزيزها بالدعامات. وعلى اليمين، بجانب المحراب، تم إنشاء غرفة صغيرة، كما هو معتاد في المساجد الإسلامية في الغرب، للحفاظ على المنبر المتنقل وهي مغطاة حالياً [٢١] فتحة مدخلها واسعة نسبياً، كما هو الحال عادة من باب حجرة المنبر في شبه الجزيرة الأيبيرية، تم توثيق حجرة مشابهة لها في المسجد الرئيسي في قرطبة وفي المرية لتخزين المنبر المتنقل، الموجود بجوار المحراب مباشرة[٢٢] في الطرف الشمالي لجدار القبلة، توجد مدخل ضيق ذات مساحة من الطوب غير مضاءة على شكل حدوة فرس عندما تم إجراء إصلاحات في الآونة الأخيرة في الكنيسة، في وسط الجدار الجنوبي الغربي لها، في الجزء السفلي من الجزء الذي يغطيه قبو ضيق، خلف مذبح جانبي، ظهرت بقايا المحراب. اذاً كان هذا جدار القبلة في مسجد ميرتولا. تقع زخرفته المشوهة، إنها تشكل سلسلة من العقود الزخرفية المتتالية المفصصة. لوحة (٥)

إلى الاسفل من العقود ذات الأهمية الكبيرة التي فقد معظمها والتي تستند على أعمدة شبه أسطوانية، تسمح خصائص ما تبقى من المحراب الظاهر للتأكيد على أنه ينتمي إلى مسجد الموحد المتواضع الذي بني بعد(٥٥٢-٥٥٣هـ/١١٥٧-١١٥٨م)، وهو التاريخ الذي استولى فيه الموحدين على ميرتولا، وقبل٦٣٦هـ/١٢٣٨م. يمكن مقارنة زخرفته مع المسجد الكبير في المرية وتخطيط جامع تنمال في المغرب. وفي عهد Sancho II سنة ١٢٣٨م، تم تحويل المسجد الى الكنيسة المسيحية الرئيسية، ووضع المذبح الرئيسي بجانب قوس المدخل[٢٣]. يحتفظ المتحف الوطني للآثار في لشبونة بقطعة من شريط زخرفي من الغرانيت، لاتزال تحمل سطرين من كتابة. وحسب نيكل، فإن هذه الكتابة تعود لتلك التي تحدث عنها إيستاسيو دا فيغا في "ذكريات عن الآثار القديمة في ميرطولا *Memórias das Antiguidades de Mértola* »". استطاع آرنادور دو لوس ريوس أن يفكك ضمن كلمات السطر السفلي بداية الآية ٢٨ من السورة ٣٦ من القرآن(سورة يس): ﴿ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ مِن بَعْدِهِ (مِن جُندٍ)﴾. لوحة(٦) ومعنى النص، بالإضافة إلى كونه محفوراً على واجهة المحراب، يؤكد صلته بمسجد ميرطولا. [٢٤]

المئذنة

تقع المئذنة في الزاوية الغربية للجدار الجنوبي (جدار القبلة) البدن الرئيسي المكعب تماما هو سمة للمئذنة في الغرب الإسلامي. المربعة المقطع .و تقسم إلى قسمين، مكعبين يعلو أحدهما الاخر، وفي القمة مجموعة العقود والتي ربما كانت من الاجر ولها من الداخل درج لولبي يؤدي الى غرفة المؤذن [٢٥]، لوحة (٧)

وتبلغ نسبة العرض إلى الارتفاع تقريباً ١: ٤ إلى ١: ٥. يبلغ طول ضلعها ٤-٥م بينما يبلغ ارتفاعها على الاغلب ١٥ الى ٢٠م بفعل تحويل الجزء العلوي منها الى برجاً للأجراس، يتم تغطية أقل بقليل من الثلث العلوي بشريط أفقي، ويبدو أنه شريط وسطي، يبرز عن سمت الجدار وينتهي في الجانب الجنوبي الغربي. بنيت على قاعدة التي أقيمت عليها بالتأكيد في العصور الإسلامية، كما هو الحال دائمًا في هذا النوع من مآذن الغرب الإسلامي، والجزء العلوي غرفة المؤذن، كهيئة معمارية صغيرة مستقلة، تتراجع من جميع الجوانب، والتي تتوج البرج.

وفي وصف القرن السادس عشر، لا توجد إشارة إلى وجود سقيفة أمام المدخل الرئيسي المفترض للمسجد[٢٦]. لوحة (٨)

المصادر العربية والاجنبية

- الحِميرى، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت: ٩٠٠هـ) الروض المعطار في خبر الأقطار،المحقق:إحسان عباس الناشر:مؤسسة ناصر للثقافة – بيروت دار السراج ، ط٢، ١٩٨٠ م عدد الأجزاء:١ .
- الحموي شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي ت: ٦٢٦هـ، معجم البلدان، دار صادر، بيروت ط٢ ، ١٩٩٥ م عدد الأجزاء:٧.
- الادريسي، محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني الطالبي، المعروف بالشريف الادريسي، ت ٥٦٠هـ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت ط١، ١٤٠٩ هـ عدد الأجزاء٢.
- ابن عذارى المراكشي، أبو عبد الله محمد بن محمد (ت: نحو ٦٩٥هـ ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب المؤلف(:تحقيق ومراجعة:ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت – لبنان ، ط٣، ١٩٨٣ م، عدد الأجزاء:٢.
- Torres Balbás, L., « El Mihrab almohade de Mértola », in Revista Al-Andalus, XX, 1955.
- Ewert, Christian., « La Mezquita de Mértola (Portugal) », in Cuadernos de La Alhambra,1987.
- Según L. Chaves, Mértola Cristá Arquivo de Beja 1, 1944,
- MACIAS, Santiago; Torres, Cláudio; BOIÇA, Joaquim; BARROS, Maria de Fátima (2002): Mértola mesquita/Igreja Matriz, Mértola, Edição do Campo Arqueológico de Mértola.
- Gómez-Moreno, Ars Hisp. III, Madrid, 1951, Fig. 68.
- R. dos, Santos (o estilo manuelino, Lisboa 1952).
- L. Torres Balbás, Al-And.v: 18.
- F. Hernández Giménez, Al And.v: 24.
- L. Torres Balbás, EL Mlf.IRAB ALMOHADE DE MERTOLA PORTUGAL, *CRÓNICA ARQUEOLÓGICA DE LA ESPAÑA MUSULMANA, XX XVI*.
- Barros, Boiça e Gabriel, 1996: p212, 318.
- Nykl, A. R., "Arabic inscriptions in Portugal", *Ars Islamica*, XI-XII, 1946.

المخططات والاشكال

خارطة (١) تبين موقع ميرتولا بالنسبة لمدينة باجة وباقي مدن الاندلس
مؤتمر Susana Gómez Huesca2007

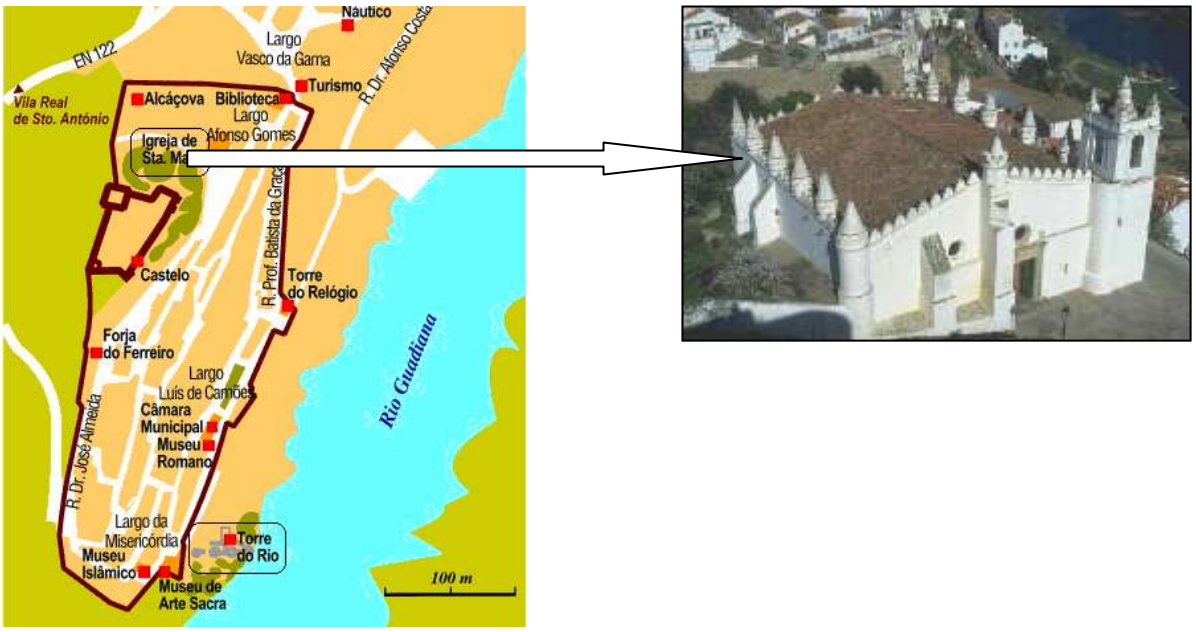

خارطة (٢) موقع السجد بمدينة باجة
LNEC para 2005-2008

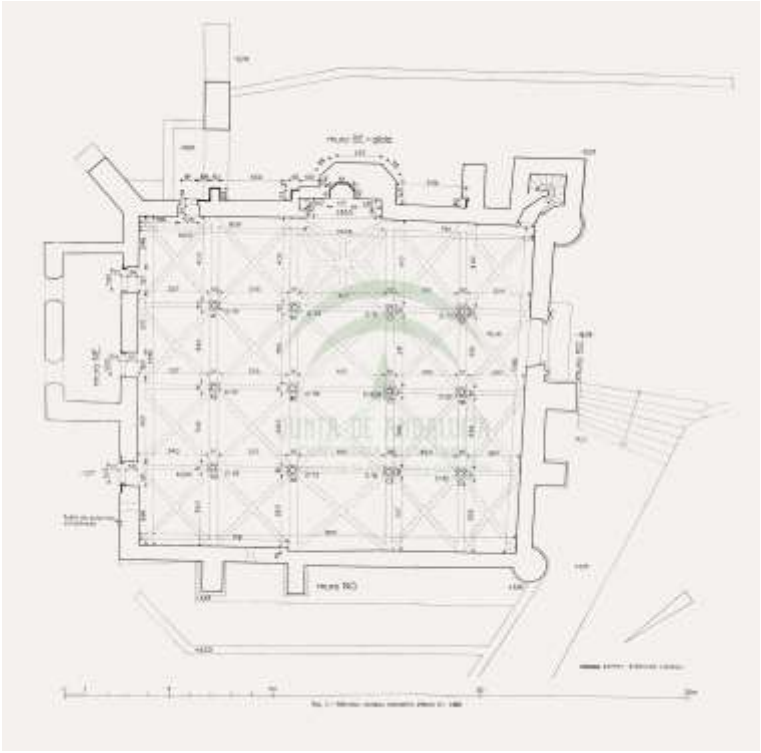

مخطط (١) مسقط ارضي للمسجد بعد تحويله الى كنيسة ***EWERT 1973***

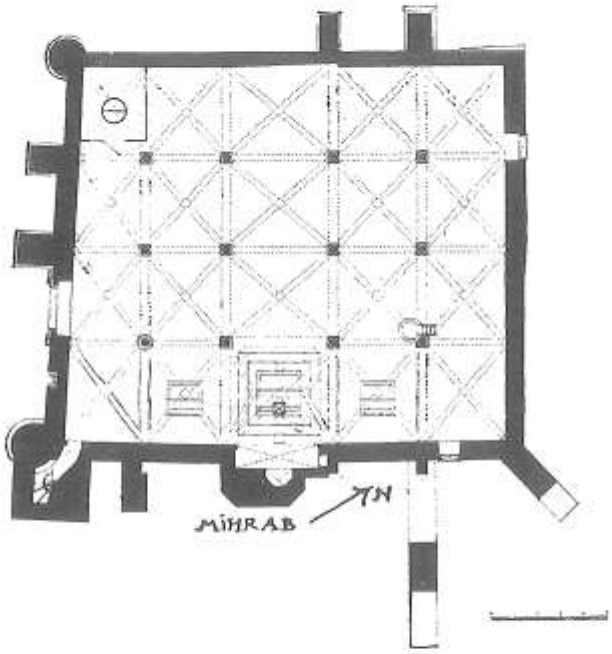

Mértola (Portugal). — Planta de la iglesia mayor, antes mezquita.

مخطط (٢) مسقط ارضي للكنيسة الحالية
Torres

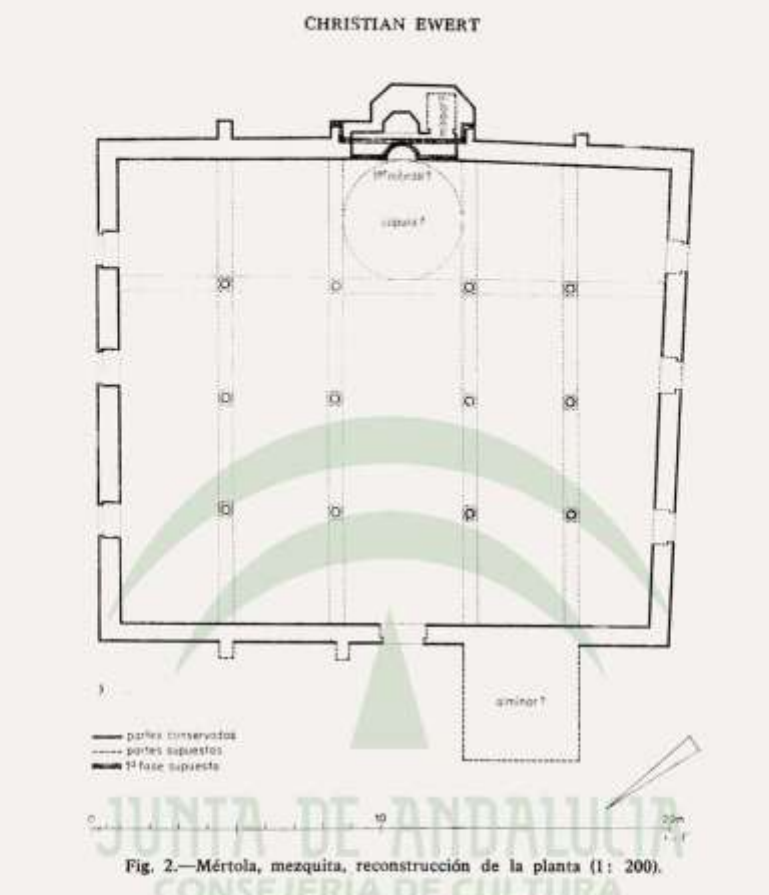

مخطط (٣) مسقط ارضي للمسجد قبل التحويل
EWERT

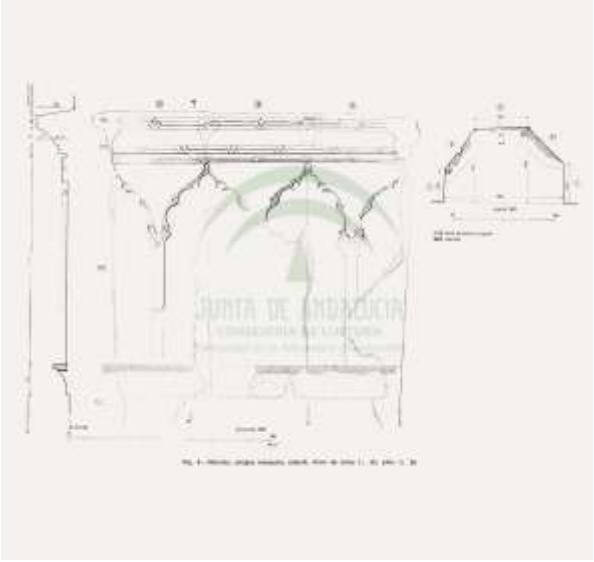

مخطط (٤) مخطط ارضي للمحراب وزخارفه
EWERT

-

ب-

لوحة (١) أ- المدخل الشمالي للمسجد
ب- جدار القبلة

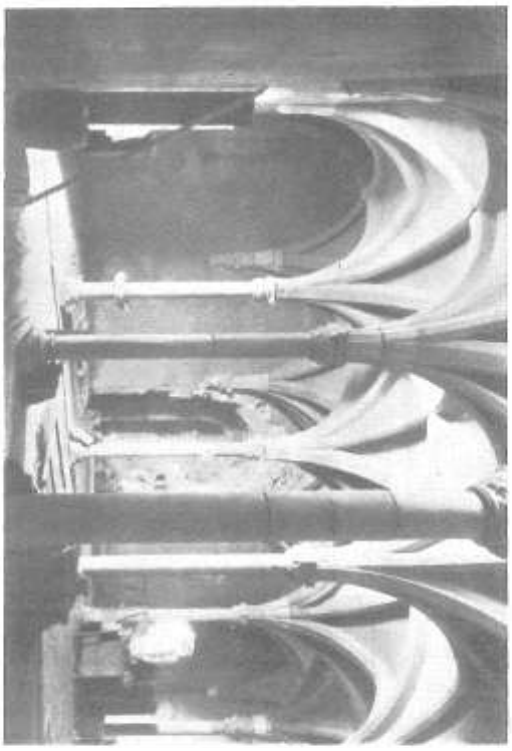

لوحة(٢) بيت الصلاة Torres

لوحة (٣) اعمدة بيت الصلاة *Ewert*

Mértola (Portugal).— Mihrāb almohade en la iglesia mayor.

لوحة (٤) محراب بيت الصلاة Torres

لوحة (٥) زخارف المحراب (سانتياغو ماسياس)

﴿ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ مِن بَعْدِهِ (مِن جُندٍ) ﴾ سورة يس الآية (٢٨)

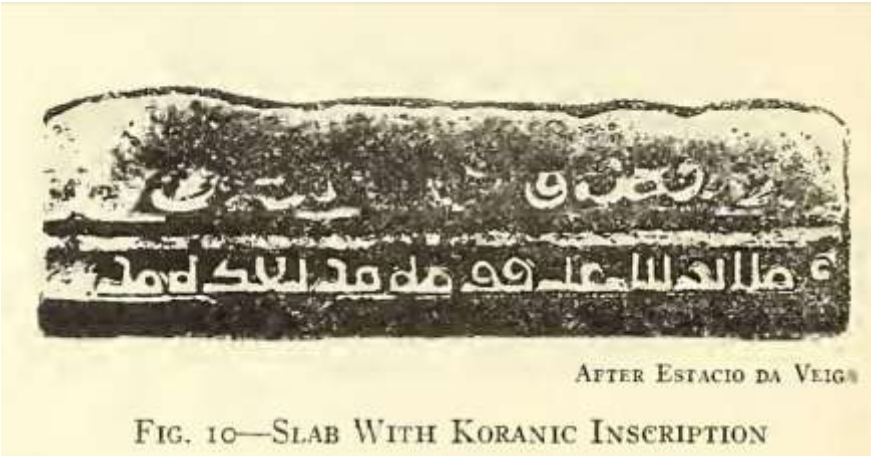

After Estacio da Veiga

Fig. 10—Slab With Koranic Inscription

لوحة (٦) الشريط الكتابي الغرانيتي

Nykl

لوحة (٧) المئذنة
Susana Gómez
مؤتمرHuesca2007

لوحة (٨) المسجد من الخارج
Susana Gómez
مؤتمرHuesca2007

الهوامش:

[١]) الحِميرى، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (المتوفى: ٩٠٠هـ) الروض المعطار في خبر الأقطار،المحقق:إحسان عباس الناشر:مؤسسة ناصر للثقافة – بيروت – طبع على مطابع دار السراج ،الطبعة:الثانية، ١٩٨٠ م عدد الأجزاء:١ ص٧٥.

[٢]) ومدينة بطليوس (Badajos) بفتحتين، وسكون اللام، وياء مضمومة، وسين مهملة: مدينة كبيرة بالأندلس من أعمال ماردة على نهر آنة غربي قرطبة ، وهي مدينة جليلة في بسيط الأرض وعليها سور منيع وكان لها ربض كبير أكبر من المدينة في شرقيها فخلا بالفتن وهي على ضفة نهر يانة وهو نهر كبير ويسمى النهر الغؤور لأنه يكون في موضع يحمل السفن ثم يغور تحت الأرض حتى لا يوجد منه قطرة فسمي الغؤور لذلك وينتهي جريه إلى حصن مارتلة ومن مدينة بطليوس إلى مدينة قرطبة على الجادة ستة مراحل،حصن مارتلة فيصب في البحر المظلم ومن قلعة رباح إلى قلعة ارلية يومان، ومن مدينة شلب إلى بطليوس ثلاث مراحل وكذلك من شلب إلى حصن مارتلة أربعة أيام ومن مارتلة إلى حصن ولبة مرحلتان خفيفتان، ومن بطليوس إلى اشبيلية ستة أيام ومنها إلى قرطبة ست مراحل وبطليوس من إقليم ماردة بينهما أربعون ميلاً، وهي حديثة بناها عبد الرحمن بن مروان المعروف بالجليتي(الجليقي) بإذن الأمير عبد الله له في ذلك. الحموي شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي ت: ٦٢٦هـ، معجم البلدان: دار صادر، بيروت ط٢ ، ١٩٩٥ م عدد الأجزاء:٧، ج١، ص٤٤٧.، الادريسي، محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني الطالبي، المعروف بالشريف الادريسي ،ت ٥٦٠هـ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، .(الناشر:عالم الكتب، بيروت ط١، ١٤٠٩ هـ عدد الأجزاء٢، ج٢، ص٥٤٤-٥٤٥، الحِميرى المصدر السابق، ص٩٣.

[٣]) الحِميرى المصدر السابق ، هامش١، ص٥٢١

[٤]) الحموي، المصدر السابق، ج٥، ص٢٤٢.

[٥]) الادريسي، المصدر السابق ، ج٢، ص٥٤٤

[٦]) ابن عذاري المراكشي، أبو عبد الله محمد بن محمد (المتوفى: نحو ٦٩٥هـ ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب المؤلف(:تحقيق ومراجعة:ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال الناشر:دار الثقافة، بيروت – لبنان الطبعة: الثالثة، ١٩٨٣ م، عدد الأجزاء:٢ ج٢، ص١٣٥.

[٧]) الحِميرى المصدر السابق ، ص٩٣.

[8]) Torres Balbás, L., « El Mihrab almohade de Mértola », in Revista Al-Andalus, XX, 1955, p. 188-195

[9]) Ewert, Christian., « La Mezquita de Mértola (Portugal) », in Cuadernos de La Alhambra,1987, nº 9, 1973, p. 3-36.

[10]) Según L. Chaves, Mértola Cristá Arquivo de Beja 1, 1944, p100. & Ewert, op .cit. p7.

[11]) MACIAS, Santiago; TORRES, Cláudio; BOIÇA, Joaquim; BARROS, Maria de Fátima (2002): Mértola mesquita/Igreja Matriz, Mértola, Edição do Campo Arqueológico de Mértola. P; 13

[12]) Ewert, op .cit. p12.

[13]) Ewert, op .cit. p12-13.fig. 2

[14]) Gómez-Moreno, Ars Hisp. III, Madrid, 1951, Fig. 68.

[15]) Ewert, op .cit. p15.

[16]) Torres Balbás, Al-And.p 20.

[17]) R. dos, Santos (o estilo manuelino, Lisboa 1952), p:164.

[18]) Ewert, op .cit. p17.

[19]) L. Torres Balbás, Al-And. 20,.

[20]) Ewert, op .cit. p28.

[21]) L. Torres Balbás, Al-And. 18, p418.

[22]) F. Hernández Giménez, Al And. 24, 381.

[23]) L. Torres Balbás, EL Mlf.IRAB ALMohade de Mertola Portugal, Crónica Arqueol de LA Espaňa Musulmana, XX XVI, p26-29.

[24]) Nykl, A. R., "Arabic inscriptions in Portugal", *Ars Islamica*, XI-XII, 1946, pp. 167.fig; 9

[25]) Barros, Boiça e Gabriel, 1996: p212, 318.

[26]) Ewert, op .cit. p33.

رحلات الآلهة الى المدن في العراق القديم على ضوء النصوص المسمارية والأعمال الفنية

د. سروود طالب محمد طاهر

قسم الاثار/ جامعة صلاح الدين-أربيل

رحلات الآلهة الى المدن في العراق القديم على ضوء النصوص المسمارية والأعمال الفنية

د. سروود طالب محمد طاهر

Summary

The 'journeys of the gods in Mesopotamia' is a topic that has a noticeable area in the Sumerian and Akkadian literature. These textual sources inform us that the gods used to make journeys and transportation to various destinations in the Mesopotamia and also in the universe. There are texts bearing the titles of the journeys, they tell the story of each journey in detail. This kind represents the rituals of the gods visit to other cities, and named "ritual journeys", and the purpose of these visits was for demanding the prosperity and the protection of the cities. This kind is not all, what we have about gods' journeys, but other kinds of the god's transportation is considered as a journey: the descent to Netherworld, the New Year celebrations when the god's statue is carried from the temple of the god to Bit Akiti in the exterior of the city by boat, there is also the captivity of the god's statues while the attacks is an exile of the gods in the foreign regions. The iconographic sources complement our work, there the cylinder seals scenes show us the "gods' journeys". They interesting because the provide additional details. Moreover, there are other dimensions that are equally important, such as the actual preparations for these journeys (almost by the kings, and sometimes by the gods themselves).

التقديم:

رحلات الالهة من المواضيع التي احتلت حيزا ملحوظا بين النصوص الأدبية السومرية والأكدية عبر فترات تأريخ بلاد الرافدين من الألف الثالث الى الألف الاول ق.م. تشير تلك النصوص الى ان الالهة كانت تقوم برحلات وتنقلات الى وجهات مختلفة في البلاد وفي الكون، عبر السماء، عبر الماء وعبر أراضي المدن. هناك نصوص مخصصة لسرد تلك الرحلات بالتفصيل، حيث نجد التركيز على طقوس زيارة الالهة للمدن الأخرى والمسماة بالرحلات الطقوسية، وقد اثار موضوع تلك النصوص انتباه بعض الباحثين الى تناول موضوع رحلات الالهة الى بعض المدن، واغلب الدراسات اكتفت بذكر هذه الرحلات وجذب الانتباه اليها والهدف الأساسي وراء بعض منها. من أوائل الباحثين الذين تناولوا الموضوع الباحث سورين[1] في عام ١٩٦٩ وأيضا الدكتور عبد الهادي الفؤادي الذي قام بدوره بذكر رحلات الالهة ودراسة نص رحلة انكي الى نيبور من خلال أطروحة الدكتوراه المقدمة لجامعة بنسلفانيا[2].

رغم وجود بعض الدراسات عن بعض النصوص المخصصة لرحلات الالهة، الا ان الموضوع تحتاج الى دراسات أكثر، وهنا لابد من توضيح نقطة مهمة، وهي ان رحلات الالهة لم تكن مقتصرة فقط على النصوص المخصصة للرحلات الطقوسية وزيارات الالهة الى المدن المقدسة ومراكز العبادة، بل هناك تنقلات أخرى للآلهة تعتبر رحلات للآلهة، تفسر بعض منها ظواهر "كونية" كتلك التي تتعلق بالشمس والقمر او النجوم، وأخرى تتعلق بوجود تصورات معينة عن الحياة أو الموت في معتقدات سكان بلاد الرافدين، فيتم حبك القصة على شكل رحلة إله او إلهة الى العالم الاخر. عدا النصوص المدونة، هناك مصدر اخر يكمل عملنا، وهو الأعمال فنية التي تحتوي مشاهد من رحلات الالهة، الربط بينها وبين النصوص ضروري بهدف المقارنة والمطابقة، تزودنا ايضا بتفاصيل اضافية. فضلا عن ذلك، هناك ابعاد أخرى لا تقل اهمية، كالتحضيرات الفعلية لتلك الرحلات من قبل الملوك، وأحيانا من قبل الالهة أنفسهم. من الجدير بالذكر هنا، ان هناك نصوص عن رحلات الملوك الى المدن او البلاد وأحيانا الى العالم الاخر، نتطلع الى دراستها في وقت لاحق.

١.التحضيرات الفعلية للرحلات الطقوسية للآلهة

تعد التحضيرات الفعلية من واجبات الملوك تجاه آلهتهم، وتظهر بمختلف انواعها في النصوص الملكية أكثر، كما يشار اليها في أسماء السنوات في النصوص الإدارية لاسيما من فترة اور الثالثة. أن الرحلات الطقوسية والزيارات هي في الواقع عملية نقل تماثيل الالهة الى معابد المدن الاخرى في سياق طقوس واحتفالات معينة، (ربما يعاد تمثيل الحدث واداء النص الأدبي كلما تحين تلك المناسبات). يرجح ان يعود تأريخ طقوس رحلات الالهة الى بدايات الالفية الثالثة على أقل تقدير، يعتقد الباحث سورين ان موضوع رحلات لآلهة تشهده النصوص ومشاهد الاختام من الفترة السومرية القديمة[٣]. وقد تكون من البديهي ان تقع تلك التحضيرات على عاتق الملك حتى لو لم نجد النصوص التي تشهد على ذلك، بحكم دوره المزدوج في ادارة الدولة وكونه ممثلا للإله في البلاد.

مبدئيا، هناك عنصرين أساسيين لابد من وجودهما كتحضير لطقوس رحلات الالهة: صنع تماثيل الالهة وبناء أو ترميم المعابد. ومن أقدم النصوص السومرية التي تذكر تصميم تمثال الالهة، هو نص للملك أور–نانشه Ur–Nanše الذي يذكر انه صمم التمثال للإلهة نانشة Nanše[٤] . اما بناء أو ترميم المعابد، والذي يشكل جزء أساسي من نشاطات الملك، النصوص التي تذكر بناء أو ترميم المعابد من قبل ملوك بلاد الرافدين في مجمل فتراتها الحضارية، تكاد تكون لا تحصى في هذا المجال (ولا يسعنا ذكرها). يتم تقديم تقرير بانتهاء معبد جديد من قبل إله هذا المعبد عن طريق زيارته لمعبد إله آخر حيث يقام احتفال، وعدا ذلك، تعتبر المعابد مقرات الالهة التي تستقبل زيارات الالهة الأخرى والاحتفال بمناسبات مختلفة.

تقدم لنا نماذج من النصوص إشارات واضحة وصريحة عن دور الملك في رحلات الالهة، نبدأ بنص أدبي كامل يحمل عنوان "شولكي وقارب ننليل" يتكلم عن بناء قارب طقوسي للإلهة ننليل Ninlil من قبل الملك شولكي ŠulgiŠكتحضير لرحلة ننليل: تروي الابيات الأربعة الأولى الكلمة أو الأمر الالهي لبناء القارب، يقرر انكي مصيرا جيداً لبناء القارب، انليل ينظر اليه، وننليل تأمر شولكي ببنائه. ثم يأتي النص الى وصف عظمة ذكاء شولكي وجهوده الدؤوبة لجلب اخشاب الأرز لبناء القارب، ويستمر النص في وصف القارب بلغة شعرية[٥].

في فترة لاحقة، نجد رسالة من العصر البابلي القديم، مرسلة من الملك سمسوايلونا Samsu–iluna (ابن الملك حمورابي) (١٧١٢–١٧٥٠ ق.م) الى المدعو خاياب Ḫaiab يطلب منه تنفيذ رحلة الإلهة انونيتوم Anunitum الى سيبار–ايدينا Sippar–edina:

"الى خاياب، هكذا قال سمسو ايلونا: بخصوص رحلة الالهة انونيتوم الى سيبار–ايدينا، لقد ارسلت موظفا، اسمح فورا لانونيتوم بالذهاب الى سيبار– أيدينا".[٦]

في عصر البابلي الحديث، جاء في رسالة[٧] مرسلة من ريموت Rimut الى اثنين من الموظفين من أي–انا É–anna في اوروك Uruk : "أرسلا لي حصيرة جلدية وخمس قرب من جلد الماعز للسفينة الخاصة بسيدة أي–انا بواسطة الجنود الذين ينقلون لي أجزاء السفينة لكي تسافر سيدة أي–انا نحو اعلى النهر الى بابل على الفرات"[٨]. هذه الرسالة تخص الفترة التي تسبق الغزو الاخميني على بابل ومخاوف البلاد من سرة الهتهم، فيقوم الملك آنذاك بجمع جميع تماثيل الالهة في بابل، وسناتي على ذكر ذلك لاحقا في هذا البحث.

وكما ذكرنا من قبل، ان بناء أو ترميم المعابد على مر العصور القديمة، شكل موضوع العديد من النصوص الملكية. في العصر الآشوري الحديث، شارك الملك اسرحدون Esarhaddun (٦٨١–٦٦٩ ق.م.) بإنجازات عمرانية عديدة في معابد معظم المدن المهمة في بلاد الرافدين، وفقا لما جاء في النصوص المؤرخة في عهده، قام بترميم خزانات معبد ايساكيلا–É sagila (معبد الاله مردوك Marduk في مدينة بابل)، كما رمم شارع الموكب وهو الطريق الذي يمر منه موكب الالهة

اثناء احتفالات رأس السنة اكيتو Akitu . في اشور Aššur، قام برعاية العمل في معبد أي-كاشان-كالاما É-kašan-kalamaوهو معبد عشتار Ištar في أربيل Arbela ، وبيت-اكيتي bīt-akiti (حيث يتم منه نقل تمثال الاله ويبدآ منه رحلته الى معبده الرئيسي مرورا بشارع الموكب) المجاور في مدينة ميلكيا Milkya[٩] .

وجد على بعض الطوب من بابل مختومة عليه كتابة تنص على ان الملك اسرحدون قام بتبليط شارع الموكب لمعبد ايساكيلا من اجل الاله مردوك، وجعله يلمع:

1) ana ^{d}AMAR.UTU UMUN-šú	من اجل الإله مردوخ سيده
2) ^{m}AN.ŠÁR-PAP-AŠ	اسرحدون
3) MAN ŠÚ MAN KUR aš-šur	ملك العالم، ملك بلاد آشور
4) MAN KÁ. DIŠ.DIŠ	(و) ملك بلاد بابل
5) ina a-gur-ri	من الآجر
6) UDUN KÙ-tim	من الفرن النقي
7) tal-lak-ti	طريق الموكب
8) é-sag-gíl	(لمعبد) ايساكيل
9) ù KÁ. DINGIR.MEŠ	وبوابة الالهة
10) ZÁLAG-ir[١٠]	(جعله) يلمع

نص آخر مماثل مختوم على الاجر، ينص على ان الملك اسرحدون قام بتجديد معبد ايكور للإله انليل Enlil في نيبورNippur وجعل طريق الموكب يلمع كضوء النهار[١١]. هذا العمل انما يهدف لإظهار قيام الملك بواجباته تجاه الالهة، وهو وسيلة لإرضاء الالهة؛ ولا نجد نصوص أخرى من هذا النوع أي الذي يتحدث عن إعادة بناء وتبليط طريق الموكب من قبل الملك.

بالإضافة الى النصوص الملكية، نجد التحضيرات الفعلية ضمن نشاطات الملك المذكورة في اسماء السنوات والتواريخ المدونة على النصوص الادارية، فمثلا في عصر سلالة أور الثالثة، نجد ان السنة الثامنة من حكم الملك شوسين u-suenŠهي السنة التي بنى فيها الملك السفينة الالهية ماكور $Má-gur_8$ للإله انليل والالهة ننليل[١٢]. يتفقان الباحثين بلاك وجرين ان طقوس ربما تكون قد توقفت بعد فترة سلالة اور الثالثة لأنه لا توجد اسماء سنوات تذكر بناء او صيانة المراكب الالهية[١٣]. ولا يبدو ان هذه الفرضية موفقة تماما لأننا نجد رغم ذلك في بعض النصوص الملكية التحضيرات الفعلية لرحلات الالهة، والتي ذكرناها والتي تعود بتاريخها للعصر البابلي القديم والاشوري الحديث.

٢. عن وسائل النقل في رحلات الالهة

يبدو من القطع الأدبية المخصصة للرحلات ان الالهة تنقلوا من مدينة الى أخرى على القوارب، وكان ذلك واقع الحال في الحياة اليومية لسكان بلاد الرافدين، حيث كانت وسائل النقل المائي بالفعل الاكثر استخداما بسبب طبيعة ارض جنوب بلاد الرافدين التي تغطيها شبكة من القنوات المائية المتفرعة والمتشعبة والتي كانت تحول دون استخدام النقل البري.

بالإضافة الى النصوص الملكية التي تنص على نشاطات الملك في مجال بناء واعداد السفن الإلهية الضخمة، القوارب الإلهية هي من المواضيع المفضلة في الأدب السومري، وخاصة في القصائد التي تحتفل بالرحلات الإلهية. بعض الاساطير تسرد تولي الالهة مهمة تحضير الرحلة لنفسها، فنجد الاله سين Suen إله القمر هو من يقوم بهذه المهمة، في "رحلة نانا-سوين الى نيبور" التي هي من ضمن القطع الادبية المخصصة لرحلات الالهة، قبل الدخول في تفاصيل سرد الرحلة، يتم وصف بناء السفينة التي يسافر الاله نانا-سين Nnna-Suenعلى متنها بل وكيفية التخطيط لها وكيف ان

الإله نانا–سوين، أرسل عددًا من الرجال لجمع المواد اللازمة من مختلف المدن والمناطق والغابات، لبناء السفينة –Má gur$_8$، وهذه المواد هي الخشب، القصب والقار[١٤]. ويبدو مؤكدا ان رحلات إله القمر كانت جميعها على القارب، ونستشهد ذلك أيضا من بعض الشواهد الفنية التي ترينا القارب الذي يشبه شكل رمزه وهو الهلال. في المشهد السفلي من طبعة ختم يعود الى عصر فجر السلالات من مدينة أور، يظهر الاله المتوج بالتاج المقرن وهو جالس على عرشه ورافعا يده اليمنى، يمضي في رحلته النهرية وسط الحشائش والقصب أي في منطقة الاهوار في الجنوب:

الشكل ١: الاله الجالس في قاربه وسط شخصان يقودان القارب، عصر فجر السلالات من اور، من:
Legrain,1936, pl.28 :492

ويستدل من وجود الاله نانا (سين) إله مدينة أور الرئيسي في المشاهد الفنية، أحيانا من شكل القارب الهلالي الذي يدل على الهلال رمز الاله المذكور. يعيد هذا الشكل من القارب الى الاذهان نموذج القارب المصنوع من الفضة والذي عثر عليه ضمن الموجودات في مقبرة أور الملكية، يعتقد بوتس انه يعطي بعض الأفكار حول الشكل الذي يمكن أن تبدو عليه قارب الاله نانا، فيبدو وكأنه القمر في مرحلته المتنامية التي شوهدت في ليالي العراق، القارب له جوانب محدبة ومنحنى كبير في المقدمة والمؤخرة، يبدو انه يمثل القارب Má–gur$_8$ المذكور في النصوص[١٥].

من هنا، من المهم التركيز على وضعية الاله في القارب، لأنها قد تفسر مغزى الرحلة. بناء على تلك الفكرة، لعل المشهد الذي رأيناه (الشكل١)، يمثل الشاهد المرئي لأسطورة "رحلة نانا سوين الى نيبور" التي تعود بتاريخها للألف الثاني ق.م، ودليل على مد جذور هذه الأسطورة الى الالف الثالث ق.م في فترة فجر السلالات، ان الاله الجالس والذي يرجح ان يكون نانا Nanna ، بوضعيته الدينية ورفع يده اليمنى، قد يشير الى المضمون الديني والطقوسي لرحلته الى نيبور والتمثيل امام إله اعلى مرتبة منه، وهو والده انليل.

في مشهد من ختم ربما من العصر الأكدي، يظهر إله جالس على عرشه، وهو يمسك بكلتا يديه مجذاف القيادة. يرجح ان يكون هذا الاله هو سين، ويمثل بذلك القمر الذي يبحر في السماء. وفي نفس المشهد يظهر بطل عاري وهو يقاتل ثورًا برأس إنساني يتعرض لهجوم من قبل أسد على الجانب الآخر[١٦].

الشكل ٢: الاله سين في قاربه على مشهد ختم من العصر الاكدي : Ward, 1910, p. .43– fig.110a

يبدو ان الاله سين في هذا المشهد في جولته المعتادة في السماء، ولا يبدو انه في رحلة طقوسية، لأنه يقود القارب بنفسه، من الممكن ان يكون هذا التصور هو التقليد الشائع في فكر سكان بلاد الرافدين. ما تشير الاساطير اليه حول صورة القمر

في معتقدات سكان بلاد الرافدين، هو انه في تجول دائم في السماء، يسافر على قارب يشبه القفة عبر السماء ويجلب الضوء لسماء اللازورد المظلمة. صغار النجوم منتشرين حوله مثل الحبوب، بينما الكبار منها (ربما الكواكب) تتجول حوله مثل الثيران البرية[١٧].

بطريقة او بأخرى، نجد في بعض القصص الأدبية، تدخل الاله انكي Enki في القوارب الإلهية، فهو من يملك "قارب السماء" الإلهي الذي تأخذه انانا في اسطورة "انانا وانكي"، تخاطب إينانا Inanna المقدسة وزيرتها ننشوبور Ninšubur : "اليوم أحضرت قارب السماء إلى بوابة الفرح، إلى أونوج- كولابا Unug-kulaba. سيمر على طول الشارع بشكل رائع. يجب أن يقف الناس في الشارع مليئة بالرهبة"[١٨]. كريمر يربط بين هذا المشهد من الأسطورة وبين مشهد من ختم من تل بيلا من فترة وركاء-جمدة نصر، يظهر قارب يقترب من مزار المدينة، المحاط من الجانبين بحزمتي القصب رمز الالهة اينانا:

الشكل ٣: قارب يتجه الى بوابة اونوك، من Wolksteine & Kramer, 1983, p.183: N.25

وتستمر الأسطورة لترينا محاولة الاله انكي لاسترجاع "القارب السماوي"، مرسلا وزيره ايسمود Isimud الى اينانا ليطلب ذلك: لقد تحدث سيدي معي، قال لي انكي: " قد تسافر إنانا إلى أونوج Unug ، لكن عليك أن تعيد قارب السماء إلى إريدو Eridu من أجلي". نجد في مشهد من اختام عصر فجر السلالات صورة قارب ربما يمثل "القارب السماوي"، يقف الإله انكي في قاربه وتيارات الماء تخرج من كتفيه، بين ملاحين يدفعان القارب من خلال نهر أو قناة، وعلى جانب من المشهد هناك القصب والخنزير البري:

الشكل ٤: الاله انكي على قارب ("قارب السماء"؟) عصر فجر السلالات. من: Ward,1910, p.40-Fig.102

الاله يقف في القارب في وضعية تعبدية مع ظهور مفصل لرموزه المتمثلة بالتيارات المائية والاسماك التي تتحرك عكس التيار المائي. يتشابه المشهد مع مشهد الاله نانا الجالس في قاربه في وضعية دينية. وهذا قد يشير أيضا الى اسطورة "رحلة انكي الى نيبور" لطلب البركة من انليل لمعبده.

ويظهر دور الاله انكي أيضا في بناء قارب الالهة ننليل، في القطعة الأدبية التي تحمل عنوان "شولكي وسفينة ننليل"، نجد ان بناء السفينة جاء بقرار من الاله انكي، ووافق عليه الاله انليل بتكليف من الالهة ننليل، وبقيادة الملك شولكي، تم بناء السفينة للإلهة ننليل بطريقة أكثر اسرافا[١٩].

هوية ووظيفة الأشخاص الموجودين برفقة الالهة في القوارب، موضوع يثير الاهتمام، ربما يمثلون وزراء الالهة أو مستشاريهم، ونستدل على ذلك بفقرة من اسطورة "انليل وننليل"، التي تنص على ان وزير الاله انليل المسمى نوسكا، احضر انليل عن طريق القارب، وأبحر باتجاه التيار النهري[٢٠].

وهناك العديد من مشاهد الاختام التي تشكل "الالهة داخل القوارب" المشهد الرئيسي فيها، وقد تنوعت ظهور القوارب الإلهية على مشاهد الاختام، بالإضافة الى قارب الاله نانا على هيئة هلال، و "القارب السماوي" الخاص بالإله انكي، تظهر القوارب التي تشكل نصفها جسم الانسان، وقد اشتهر هذا النوع بين الباحثين باسم "الرجل القارب" او "الاله القارب"[٢١].

يظهر "الاله القارب" في مشاهد رحلات الالهة المصورة على الاختام منذ فترة عصر فجر السلالات، خلال هذه الفترة، يأخذ "الرجل القارب" شكل إنساني في المقدمة، كما لو كان نصف رجل، وينتهي بذيل سمكة أو ثعبان. جاءتنا نماذج عدة من تلك المشاهد من مختلف المدن، ترينا بصورة عامة الاله المتربع على عرشه ويمسك بمجذاف، وهو على متن قاربه الذي يقوده الاله القارب، ونجد الأخير ايضا متوج بالتاج المقرن وهو رمز للألوهية ويمسك بيده المجذاف او السارية لقيادة القارب:

الشكل ٥: مشاهد لرحلة إله (إله الشمس؟) على طبعة ختم من مدينة كيش يعود لفترة فجر السلالات

Carter, 2012, p.256, Fig.9.

مشهد الاله القارب من عصر فجر السلالات من تل سليمة. من : Amiet, 1997, p.101, Fig.14

يظهر في المشهد العلوي لختم من عصر فجر السلالات، الاله المقرن الجالس في القارب الذي يمثله الرجل القارب، وهو يتجول وفي مواجهته الاله الطائر الذي يظهر في تلك الفترة نصفه رجل ونصفه السفلي طائر.

الشكل ٦: الاله المتجول على الاله القارب، ختم من فترة فجر السلالات، من : Majchrzaki, 2018, p.226

هناك من يجد ان الاله الطائر يرتبط ارتباط وثيق برحلات الاله شمش Šamaš الى العالم السفلي، ولكن التحليلات التي تمت للمشاهد المذكورة بينت ان هذا الإله لم يكن موجودًا إلا في حوالي ٣٠٪ من المشاهد[٢٢].

ان مشاهد رحلات الالهة برفقة "الاله القارب" منتشرة بكثرة على اختام فترة فجر السلالات، إلا انه من الصعب التعرف بصورة منتهية على هوية الالهة، لغياب رموزهم في اغلب الأحيان، ولكن إذا كانت فرضية ارتباط الرجل القارب باله الشمس (التي سنراها لاحقا) في الفترة الاكدية تصلح أيضا لفترة فجر السلالات، فلنا ان نفترض ان الاله الذي يظهر برفقة الاله القارب على مشاهد اختام تلك الفترة، يمثل الاله اوتو Utu (شمش).

ويستمر ظهور مشهد رحلات الالهة على متن القارب المتمثل ب "الاله القارب" في الفترة الاكدية، حيث نجد هيئة الاله القارب أكثر واقعية وأقرب الى الانسان من حيث تفاصيل الجسم والعضلات، وهو ما يميز الفن الاكدي بصورة عامة[٢٣].

هنا يظهر الاله القارب في وضعية الصعود بساق مرفوعة على مجرى النهر، ويمسك بيديه ما قد يكون سارية لقيادة القارب، في هذين النموذجين من اختام تل أسمر، يظهر الاله شمش جالسا على عرشه في القارب ويتولى أيضا قيادة القارب بالمجذاف:

الشكل ٧: مشاهد من اختام الفترة الأكدية من تل اسمر، من: Woods, 2005, p.19

ثبت وجود ارتباط الإله القارب بالنقوش التي تجسد رحلات الاله شمش، ويعتبر هذا المشهد الأسطوري شائعا في أختام الفترة الاكدية، والتوزيع الجغرافي لهذه الأختام يقتصر على منطقة شمال بلاد ما بين النهرين، من ماري Mari إلى منطقة ديالى[٢٤].

في مشهد من ختم أسطواني لا نعرف مصدره، نجد الاله الجالس يخرج من كتفيه اشعة والتي تؤكد لنا هوية الاله شمش، يمسك المجذاف لتحريك القارب الذي يشكل مقدمته الاله القارب. هذا المشهد مميز عن باقي مشاهد الاله القارب التي نشهدها في العصر الاكدي: لا يظهر الاله القارب في الشكل الواقعي المعتاد الذي نراه في الفترة الاكدية، ولا يظهر مسؤولا عن قيادة القارب، بل يحمل رمزا كأنه يؤدي وظيفة مختلفة، ويتقدمه الهان اخران لهما ذيل الطائر، يحمل كل منهما غصنين نباتين في كلتا يديه، والمشهد يركز أيضا على وفرة السمك في النهر ومناظر الحيوانات المحيطة.

الشكل ٨: الاله المتجول على الاله القارب، ختم من العصر الاكدي، من : Majchrzaki, 2018, p.226

في هذا المشهد يثير انتباهنا أيضا فيما يتعلق باتجاه سير القارب: الاله الجالس يقود القارب بمجذافه ولا يقوده الاله القارب، الذي يظهر في اغلب اختام فترة فجر السلالات متوجها نحو اليسار، بينما اغلب اختام عصر الاكدي يظهر فيها الاله القارب يبحر نحو اليمين ماعدا المشهد الأخير. نتساءل إذا كان لاتجاه الإبحار على تلك المشاهد أهمية في تحديد وجهة الرحلة. ان في جميع المشاهد التي يظهر فيها الاله القارب، يمسك إله الشمس أيضا بالمجداف لقيادة القارب، ولا يظهر في

وضعية دينية معينة، وهذا ربما يؤكد نظريتنا بشأن كون الرحلات التي يقود فيها الاله الجالس قاربه بنفسه، من الرحلات اليومية والمعتادة له أي انها تمثل دوران الشمس اليومي في الواقع، ولا تمثل رحلة طقوسية الى مدينة اخرى لغرض معين.

في مشهد ختم أسطواني من عصر البابلي القديم، نجد لأول مرة ما يسمى "الاله القارب" له طرفين بشريين ويسير على نهر تنتهي طرفيه بهيئتين بشريتين في وضعية الجلوس تشكلان ما يشبه سفينة ايضا، هذا الاله يعرف باله النهر. يظهر الاله القارب بشكل مختلف تماما، فللسفينة هيئتين كما أسلفنا، وهما لا يساهمان في قيادة السفينة بشيء، بل يسندان عرش الاله المحمول على حيوانين، فيبدو ان من وظيفة الاله النهر المكون على هيئة الاله القارب ان يتولى تسهيل السير. ويظهر عمق القارب وتفاصيله الخارجية بوضوح أكثر في هذا المشهد. وما يلفت الانتباه أكثر ان أسفل القارب نجد موجات النهر واضحة والتي لها نهايتين بشريتين، وهما أيضا يمثلان إله النهر بحسب الباحث وود[٢٥]. والارجح ان الاله الجالس هو الاله شمش، حاملا بيده اليمنى الحلقة والصولجان رمز السلطة، وهي نفس الهيئة التي ظهر بها على مسلة حمورابي. نتساءل إذا ما كانت الرحلة لها مغزى "دبلوماسي" ذات صلة بتسليم السلطة من الاله شمش:

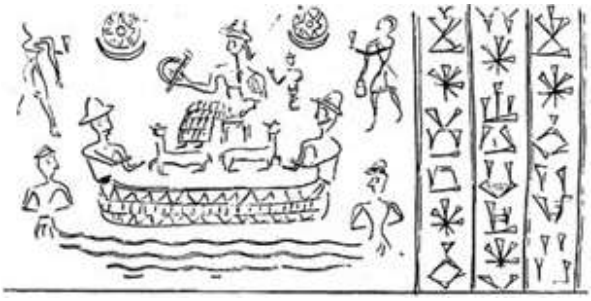

الشكل ٩: قارب ذو نهايات بشرية يحمل الاله الجالس (شمش؟) ، من: Woods, 2005, p.15

من خلال عدة مشاهد اختام من ماري من العصر البابلي القديم، نجد مرة أخرى رحلات الاله انكي، ولكن هذه المرة ليست على قارب السماء، ولا على الاله القارب، بل نجد الاهتمام المرئي والتركيز على وجود إله النهر المنتهي من الطرفين بأشكال بشرية، لدرجة انه يأخذ شكل القارب ويحل محله الاله القارب تماما، ويكون هو نفسه وسيلة لنقل الاله:

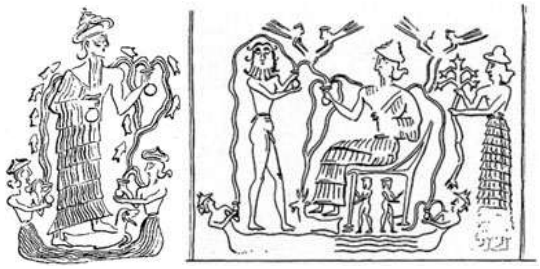

الشكل ١٠: الاله انكي ينتقل بواسطة إله النهر المصور على شكل القارب، اختام من ماري، من: Woods, 2005,p.15

ومن بين النماذج القليلة من الاختام الاسطوانية التي وصلتنا من موقع اليشار هويوك Alishar–huyuk في تركيا، مشهد من عصر البابلي القديم، إله جالس على عرشه في قارب لا يتعدى سمكه سمك حزمة بسيطة من القصب المصنوع منه القارب. يحمل الاله بيده اليمنى رمز الصاعقة، ويقترح ان يمثل هذا الاله نركالNergal ، القارب في رحلة نهرية ولا يشكل الشخصين الذين يقفان على نهايتي القارب جزءا من القارب، بل هما ملاحين يتوليان قيادة القارب بالسارية التي يحملها كل منهما. هنا يظهر إله النهر مرة أخرى، حيث ينتهي النهر من كلا طرفيه بالنصف العلوي لرجل ملتح متوج بتاج مقرن، ولا يظهران في وضعية الجلوس كما رأينا في نماذج اختام ماري (الشكل ٩ و١٠)، بل مستلقيين يشكلان نهايتي أمواج النهر، يستخدم كل منهما ذراعه لتحريك القارب، أحدهما يدفع جسم القارب من جانبه بذراعه الايسر، والأخر يسحب

الطرف الاخر بذراعه الأيمن، محاولين بذلك تحريك القارب، عدا عن ذلك، فان حركة الملاحين برفع الساق توحي بالسيطرة على الأمواج وقوة التيار المائي. ويظهر في المشهد على متن القارب إلهين واقفين على جانبي الاله الجالس (نركال)، لها النصف العلوي من البشر والأخر السفلي جسم الثور. تحت قدمي الاله الجالس نجد ما يشبه رمز حيواني برأس إله:

Woods, 2005, p.15 الشكل ١١: مشهد من اليشار هويوك من عصر البابلي القديم، من:

وبالرغم من كثرة استخدام القوارب في رحلات الالهة وفقا لما نجده في النصوص ومشاهد الاختام، الا ان بعض من تلك الشواهد تشير الى استخدام المركبة او العربة أحيانا في رحلات وتنقلات الالهة. ويبدو ان استخدام المراكب ارتبطت أكثر بالحملات الحربية كوسيلة لنقل الالهة المحاربة. تخص النصوص الأدبية بالذكر عدد من الالهة المحاربة، والاله الذي اشتهر بمركبته الحربية هو الاله نينورتا Ninurta . تذكر اسطورة "عودة نينورتا الى نيبور" رحلة نينورتا من الجبل[٢٦] الى ايكور (معبد انليل في نيبور)، وانتصاره على الوحوش التي قبض عليهم بعد ذلك ثم اقتادهم مهزومين على عربته المتألقة الى نيبور:

gišgigir za-gìn-na ní huš gùr-ru-na [٢٧] على مركبته المضيئة، التي تلتهم الرعب الرهيب

اما عن شكل المركبة الالهية، فلابد من حيوان يجرها، بعض مشاهد الاختام من عصر الأكدي، ترينا تسخير التنين[٢٨] في عربة ذات أربع عجلات التي يركبها الإله. لدينا مشهدين واضحين لتنقل الالهة بالعربات الالهية من اختام عصر الاكدي (شكل ١٢): في المشهد الأول، نجد إله ملتحي يقود عربته ويضرب بسوطه التنين لاستمرار حركة العربة، بينما تقف إلهة عارية (عشتار) على ظهر التنين بين جناحيه، أمامهم يقف شخص يقدم قربان (سكيبة) للآلهة. هناك من يفسر مشهد الإلهة العارية التي تظهر وهي تحمل في كلتا يديها رمز الصاعقة وتقف على ظهر التنين، بانه يمثل شكلاً من الاشكال الأسطورية للظواهر المرئية للمطر والبرق والرعد، ووجود الالهة العارية تعبير عن الهة المطر او الرعد او طائر الرعد انزو Anzu[٢٩].

في المشهد الثاني نجد إلهة تقف في العربة الرباعية يسحبها تنين مجنح، لا نجد التاج المقرن رمز الالوهية وليس هناك ما يساعد على التعرف على هوية الالهة في هذا المشهد، بينما يظهر رمز الاله سين بين جناحي التنين الذي يقوده:

Ward,1910, pp.48-49: fig.127 & 128 الشكل ١٢: رحلات الالهة بواسطة المراكب من:

بالإضافة الى وسائل النقل التي ذكرناها، هناك بعض الاساطير والقطع الأدبية لا تذكر وسيلة النقل المستخدمة للرحلة، كما هو الحال في رحلة ايانا الى العالم السفلي، رغم انها مرت بسبعة مدن حسب الأسطورة. نتساءل ان كانت الأسطورة تشير الى المشي على الاقدام. نعود بأذهاننا الى صور للإلهة عشتار العارية المجنحة، منها الإلهة المجنحة العارية على لوح

طيني مفخور من الفترة البابلية القديمة أو إيسين لارسا[٣٠]، وكذلك صور اينانا على مشاهد الاختام أبرزها مشهد خروج إله الشمس من بوابة السماء من العصر الاكدي (الشكل ١٥) ومشاهد عشتار المجنحة على الاختام الاشورية الحديثة كإلهة حرب[٣١]. تلك النماذج قد تشير الى إمكانية استخدامها لأجنحتها وطيرانها عبر سماء المدن، خلال رحلتها الأسطورية الى العالم السفلي. أما ما يمكن فهمه من اسطورة "انليل وننليل"، بعد قصة حمل ننليل وملاحقة انليل الى العالم الأسفل عبر البوابة ودخولها الى هذا العالم، ان تلك الرحلة كانت مشيا على الاقدام، حيث تردد الأسطورة في كل مرة عبارة: "انليل ذهب، ننليل تبعته، نونامير ذهب، العذراء لاحقته"[٣٢].

٣. زيارات الآلهة الى معابد المدن

كانت علاقات المدن والتبادل فيما بينها يتم عن طريق زيارات الولاء والتكريم وسط احتفالات ومآدب سلمية، وكان الغرض من الزيارات الالهية هو لطلب الرخاء لمدينتهم، تلك كانت الصورة المبسطة يوم كان الآلهة هم الذين يتبادلون فيما بينهم نقل اسس الحضارة ويسهرون هم بأنفسهم على مصلحة المدينة وبالتالي على مصلحة الملك، وكان دور الملك تكريم الاله ورعاية الشعب بتكليف من الإله[٣٣]. ويصنف الباحث عبد الهادي الفؤادي نوعين من تلك الزيارات، النوع الأول الذي يشمل السعي وراء الغنائم أو هدايا، مثل رحلة اينانا الى اريدو، ويطلق على تلك النوع من الزيارات اسم "رحلات الاستعطاف"، اما النوع الثاني يمكن تسميته "الرحلات الاشعارية" وهي زيارة لإشعار الالهة رسميا بالانتهاء من بناء المعابد الجديدة والاحتفال بتلك المناسبة[٣٤]. في الحالتين الغرض من زيارات الالهة هو تقوية الصلة الدينية وتقديم الولاء للإله الأكثر نفوذا، وفي الحالتين يتم تقديم الهدايا والقرابين من قبل الاله الذي يقوم بالرحلة، بالمقابل يقوم الاله الذي يستقبل الزيارة بعمل وليمة في إطار الاحتفال بقدوم الاله الاخر.

هذا النوع من الرحلات، يشكل موضوع رئيسي للعديد من القطع الأدبية، وان أكثر المدن التي خصصت لزيارتها رحلات الالهة، هي نيبور، وهي مدينة الاله انليل، وتعتبر المركز الديني خلال عدد من الفترات التاريخية لاسيما في الالف الثالث ق. م[٣٥]. القطع الأدبية التي تحتوي الرحلات الإلهية الى نيبور هي: رحلة نانا–سوين الي نيبور، رحلة انكي الى نيبور، رحلة ننسينا الى نيبور، رحلة بابيلساكا الى نيبور.

نبدأ ب"رحلة نانا سوين الى نيبور"، وهو نص يعود تأريخه الى الالف الثاني ق. م[٣٦]، وهو نص يتحدث عن زيارة نانا–سوين لوالده إنليل في مقره أي–كور. كانت الرحلة، كما ذكرنا، عن طريق قارب مصمم خصيصًا لهذا الغرض، وقد تم إحضار كل عنصر من مكوناته من أراضي بعيدة: قصب من توممالTummal، القار من ابسو Absu، والنباتات من دواشاكا Duašaga، أنواع خاصة من الخشب من مختلف الغابات. كان القارب محمل بالعديد من الحيوانات، ثم تبدآ الرحلة مروراً بمدن إنيجير Enegi ولارسا Larsa وأوروك Uruk وشوروباك Šuruppak وتوممال Tummal . تصل إلى ميناء نيبور حيث تقدم الهدايا إلى معبد إنليل. وبعد الوليمة التي يقدمها إنليل إلى نانا–سوين، يطلب الأخير منه البركة والخصب لمدينته (أور)، مثل السمك الوفير في النهر وغير ذلك، يقبل إنليل الطلب، ويعود نانا سوين إلى موطنه[٣٧].

اما "رحلة انكي الى نيبور"، فكانت بمناسبة تشييد معبد أي–اينكور É–engur المشيد حديثا للإله انكي في مدينته اريدو، تصف القصة بناء المعبد وتقديم المديح له من قبل وزيره ايسمود Isimud ، وبعد ذلك يتجه الاله انكي على متن قاربه "قارب السماء" الى نيبور لتقديم القرابين بوفرة كوليمة للإله انليل، لينال بركة الأخير لمعبده[٣٨]. وهي بذلك رحلة استشعارية لإخبار انليل بانتهاء معبد انكي في مقره اريدو.

فيما يخص زيارة الالهة ننسينا Ninisina (كولا Gula) وقرينها الاله بابيلساكا Pabilsaga الى نيبور، هناك نصين ادبيين منفصلين يسردان رحلة كل منهما. نص أحادي اللغة وهي السومرية، يعود تاريخه الى عصر البابلي القديم، يسرد رحلة

الالهة نينسينا الى نيبور، ولم يتبقى من النص للأسف الا عدة سطور[٣٩]، بالإضافة الى نسختين ثنائي اللغة (السومرية والاكدية) من العصر الاشوري الوسيط والذي قام بنشرهم الباحث فاكنسونر[٤٠]. تبدأ الأسطورة بتقديم المديح للالهة ننسينا، وتبدأ الرحلة بترك مركز عبادتها مدينة ايسن مع قرينها وحاشيتها. في البداية تسير ننسينا وسط الالهة الحامية وعلى يسارها نونامير Nunamir (انليل) على طول شارع الرئيسي في موكب يقوده ابنه (وابن زوجها بابيلساكا) المسمى سوماخ–Su maḫ، ويرافقها أيضا سكان المدينة. بعد ذلك يبدأ القارب يسير على نهر الفرات باتجاه نيبور ويدخل الميناء ثم تدخل الالهة للتمثيل امام انليل وتقديم القرابين، ثم يقرر الأخير لها "المصير الجيد"، والباقي من النص مفقود[٤١]. أما بالنسبة لرحلة بابيلساكا الى نيبور، فهناك نص سومري يبدأ تقديم المديح للإله (الثور البري) بابيلساكا ومعبده لاراك Larak ، ويذكر ان مسقط رأس هذا الاله هو نيبور، تذكر الاسطورة ان الاله ينطلق الى نيبور (للتمثيل امام انليل وتقديم الهدايا له)، وفي طريق رحلته يلتفت امام معبد في ايسن Isin ، تخرج سيدة ايسن فتتبهر بمظهر الاله بابيلساكا، ثم تطلب منه ان يطلبها للزواج من إنليل الأب. بعض من سطور النص مفقودة لكنه يستمر ليعلمنا بزواج الاله بابيلساكا والالهة ننسينا في جدول نهري، وباقي النص مفقود[٤٢]. العامل المشترك بين نصوص الرحلات الطقوسية التي ذكرناها، هو الزيارة الطقوسية من اجل طلب البركة والمصير الجيد والحماية للإله ومعبده ومدينته، وبالتالي للملك.

تذكر وثائق فترة اور الثالثة احتفالات مدينة تومال[٤٣]، يذكر ان انليل وننليل يقومان برحلة خلال الاحتفال على متن قارب من مدينة نيبور الى تومال ويقام الاحتفال الديني وربما طقوس الزواج المقدس. وذلك قد يعيد الى الاذهان قصة أسطورة (انليل وننليل) الذي يسرد نفي الاله انليل من المدينة، ثم اقترانه لاحقا خارج المدينة بالإلهة ننليل، وهو متنكر[٤٤].

القطعة الأدبية المعروفة باسم "رحلة اينانا الى اريدو" تمثل نوع من "رحلات الاستعطافية" التي قامت بها اينانا الى مدينة اريدو مقر انكي، لطلب الرخاء. تبدأ الأسطورة بتعبير اينانا عن شعورها بالابتعاد عن الثقافة والإهمال من قِبل قرينها، فتقرر ترك منزلها في أوروك والذهاب إلى إريدو لتقديم الصلاة للإله إنكي في مسكنه (أبزو Abzu). وفي وقت لاحق تقاسم اينانا الاله انكي وقت ممتع للأكل وشرب النبيذ، وتحت تأثير الخمر، الاله يعطي اينانا جميع مقومات الحضارة (عددها ٩٤ حسب الأسطورة)، فتحملها اينانا على "قارب السماء" وتأخذها الى اوروك. وعندما يفيق انكي يندم على تصرفه ويرسل وزيره والعفاريت لاسترجاع "قارب السماء" بما عليه، فترفض اينانا غاضبة وبمساعدة وزيرها، تتغلب على العفاريت المرسلة من قبل انكي، وتنجح في إيصال كل المقومات الحضارية والازدهار الى اوروك[٤٥]. تسلب اينانا من انكي قاربه "قارب السماء" وجميع عنصر الحضارة. وغالبا ما يتم تفسير هذه القطعة الأدبية السومرية على انها عملية انتقال معالم وفنون الحضارة من مدينة اريدو (مقر الاله انكي) الى اوروك (مدينة الالهة اينانا)[٤٦].

عدا القطع الأدبية التي تسرد زيارات الالهة للمدن، تعتبر احتفالات السنة الجديدة (آكيتو Akitu)، نوع من الرحلات الطقوسية للآلهة، من خلالها يتم نقل تمثال الاله من معبده في المدينة الى خارج المدينة وبالتحديد الى بيت الاحتفالات مرورا بالشارع الموكب. في عصر البابلي الحديث، كانت احتفالات رأس السنة تقام في مدينة بابل من الاول الى الثاني عشر من شهر نيسانو Nisanu ، في الشهر الاول من السنة الجديدة التي توافق تقريبا موسم الاعتدال الربيعي، وان موكب السنة الجديدة من مدينة بابل الى معبد آكيتو كان يقام في اليوم الثامن من شهر نيسانو[٤٧]. وفقا لنص التقويم[٤٨] هناك عدة مواكب، كان يتم نقل تماثيل جميع الالهة من معبد مردوك Marduk بواسطة العربات الى الميناء ومن ثم عن طريق السفن الى بيت–اكيتي، ثم كان استقبال وتتويج الاله نابو Nabu ونقل تمثاله من مدينته بورسيبا Pursippaواحضاره الى بابل بالموكب الالهي تمثل أحد الطقوس التي اختصت بها احتفالات رأس السنة البابلية[٤٩].

ان دخول نابو الى بابل مرتين خلال اعياد رأس السنة في شهر نيسان يمكن ان يكون مرتبطا برحلات الاله نينورتا: فالمرة الاولى في الرابع من نيسان دخل الى بابل كمدينة إريدو، وهذا الحدث الطقوسي تقع في خلفيته رحلة نينورتا الى اريدو[٥٠]،

بالإضافة الى ذلك، هناك بعض سمات الاله نينورتا لدى الاله نابو إله الكتابة في بعض التقاليد في الفترات البابلية المتأخرة[٥١]. فلرحلة نينورتا الى اريدو وزيارة الاله انكي، خلفية طقوسية، وليست مرتبطة بالمعارك (كما هو الحال في اسطورة عودة نينورتا الى نيبور). تصف هذه الرحلة اكتساب نينورتا صلاحيات في ابزو (منزل الاله انكي) وهو عمل يربط ارتباطا وثيقا بملكيته[٥٢]. وبعد ذلك نجد يستعرض مسيرته من الشجاعة في معبد أي-خورساك-تيلا É-ḫursag-tilla في مهرجان يتوافق مع معركة نينورتا في الجبال. ففي الحادي عشر من نيسان دخل نابو مرة اخرى الى بابل هذه المرة دخل بابل كمدينة نيبور، لآن احداث الحادي عشر من نيسان توافق عودة نينورتا الى نيبور، وهي طقوس التتويج في الاعياد البابلية وتعظيم نابو[٥٣].

ونجد في حوليات الملك اسرحدون معلومات عن عدم اجراء احتفالات رأس السنة وبالتالي توقف الالهة عن الرحلات الطقوسية خلا فترة محددة: "لمدة ثماني سنوات (في عهد) سنحاريب Sinharib (٧٠٥-٦٨١ ق.م.)، لمدة اثني عشرسنة (في عهد اسرحدون) -عشرون عاما (تماما)- بقي الاله بيل Bēl في بالتيل Baltil (آشور Aššur) ولم تتم احتفالات آكيتو. لم يأتي الاله نابو من بورسيبا لموكب الاله بيل. في شهر كيسليمو kislīmu (الشهر الرابع) اعتلى آشوربانيبال Aššurbanipal (٦٦٩-٦٣١ ق.م.) (ابن اسرحدون) العرش في آشور"[٥٤].

٤. رحلات الالهة للعالم السفلي

هناك عددا من الالهة من لهم صلة بالعالم السفلي، منهم من يحكم هذا العالم، كالإله نركال Nergal كلك العالم السفلي وزوجته ايرشكيكال Ereškigal ، ملكة هذا العالم، عدا عن ذلك الالهة الذين ينزلون الى العالم السفلي (والذين سناتي على ذكرهم). تأتي قصص نزول الالهة ومرورهم بالعالم السفلي على شكل رحلة، ولا سيما ان هذا العالم له موقع جغرافي معين في المعتقدات الرافدينية. يشير "kur" (الجبل) إلى العالم السفلي، باعتباره دار للأرواح، تذهب اليه اشباح الموتى من البشر عادة، ويمثل المكان الفارغ بين الارض و "البحر الاول"، ولكنه غالبًا ما يقع في السماء، فوق الأفق. وتشير الكتلة السومرية المسماة "السماء الداخلية" بالتناوب الى الجزء الأعلى من السماء والى "العالم السفلي" الذي تمر عبره الشمس والقمر والكواكب عند الشفق[٥٥].

المعروف ان الالهة تتميز بصفة الخلود، ومع ذلك نجد نزول الالهة الى العالم السفلي في الاساطير، وبعضهم يبقون هناك كأموات من البشر. ونعلم ان انانا من اخترعت النزول الى العالم السفلي والخروج منه في جملة على لسان انكي مخاطبا انانا، في "اسطورة انانا وانكي":

19. kur èd-dè ba-e-de — لقد أحضرت معك النزول إلى العالم السفلي.

20. kur èd-da [ba-e-de$_6$] [٥٦] — وقد أحضرت معك الخروج من العالم السفلي

وتختلف قصص رحلات الالهة الى هذا العالم، فنجد اغلبهم يذهبون اليه رغما عنهم وهم معاقبون، بينما هنالك قصص اخرى تسرد رحلات الالهة اليه بمحض اختيارهم فنجدهم يستعدون لذلك. ففي النسخة السومرية من قصة نزول اينانا الى العالم السفلي، ان اينانا هي من قررت الذهاب لهذا العالم:

٢٦. ^{d}inana kur-šè i-im-gen — الى العالم السفلي اينانا ذهبت

٢٧. sukkal-a-ni ^{d}ga-ša-an-šubur-ra eger-a-na i-im-gen[٥٧]

ووزيرها كاشان-شوبور ذهب وراءها

وفي تفاصيل رحلتها، نجد ان الإلهة تقوم برحلة طقوسية من اوروك الى كوثا، تبدأ من مدينتها أوروك، و تمر بسبعة مدن أخرى صعودا للاتجاه الشمالي و هي على التوالي : اوروك Uruk ، بادتبيرا Bad-tibira، زبالامZabalam ، اداب Adab، نيبور Nippur، كيش Kiš، أكد Agade، و أخيرا مدينة كوثى Gudua :

7. unug^{ki}-ga é-an-na mu-un-šub kur-ra ba-e-a-èd هجرت أي-انا في اوروك، و نزلت الى العالم الأسفل

8. bàd-tibira^{ki}-a é-mùš-kalam-ma mu-un-šub kur-ra ba-[e-a]-èd هجرت أي-موش-كالام في بادتبيرا، نزلت للعالم الأسفل

9. zabalam^{ki}-a gi-gun$_5$^{ki}-na mu-un-šub kur-ra ba-e-a-èd هجرت كيكونا في زبالام، و نزلت للعالم الأسفل

10. adab^{ki}-a é-šár-ra mu-un-šub kur-ra ba-e-a-èd هجرت أي-شارا في ادب و نزلت للعالم الأسفل

11. nibru^{ki}-a barag-dúr-gar-ra mu-un-šub [kur-ra ba-e-a-èd هجرت بارا-دور-كارا و نزلت للعالم الأسفل

12. kiš^{ki}-a hur-sag-kalam-ma mu-un-šub kur-ra ba-e-[a-èd] هجرت خورساك-كالاما في كيش و نزلت للعالم الأسفل

13. a-ga-dè^{ki}-a é-ul-maš^{ki} mu-un-šub kur-a ba-e-a-èd[٥٨]

هجرت أي-اولماش في اكد، و نزلت للعالم الأسفل

رحلة اينانا عبر المدن تنتهي في مدينة كوثى، لأنها تعتبر هي المدخل للعالم الأسفل، بتعبير ادق، معبد الاله نركال (أحد الهة العالم السفلي) المسمى أي-ميسلام، يمثل المدخل الحقيقي لهذا العالم[٥٩]. وهناك من يضع احتمالية كون تلك الأسطورة هي مجرد رحلة طقوسية لمدينة كوثى[٦٠].

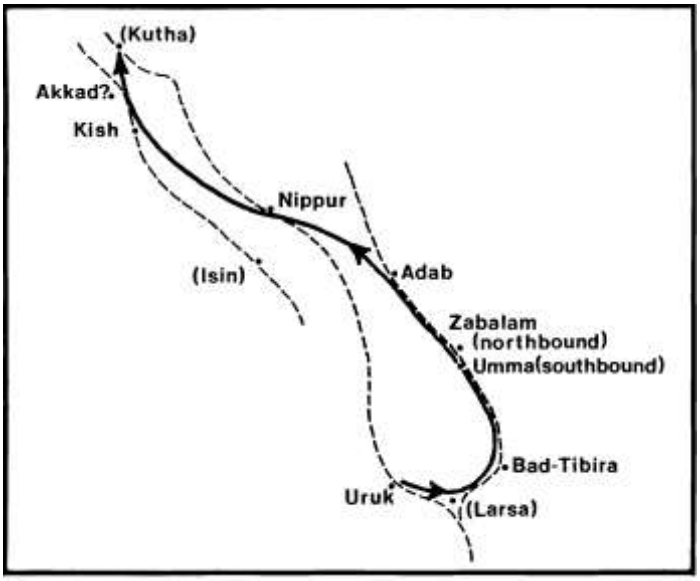

الشكل ١٣: خارطة توضح مسيرة الالهة انانا للعالم السفلي من اوروك الى العالم السفلي، من: Buccellati, 1982, p.4

يقدم ولكنسين وكريمر مشهد ختم من الفترة الاكدية تم تفسيره بانه ربما يشير الى مشهد دخول اينانا الى بوابة العالم السفلي: في الجهة اليمنى من المشهد يقف إله مقرن يخرج من كتفيه اشعة ويمسك بذيل ثور واقف، والهة ربما اينانا تظهر في الوسط بكامل ملابسها وحليها ممسكة بالحلقة وتشع من كتفيها شعاع، وتتجه نحو اليسار حيث تخرج من جهة الجبال شعاع يشبه السنة النار، يمكن ان تدل على العالم اسفلي:

الشكل ١٤: مشهد من دخول (ربما) اينانا للعالم السفلي، من: Wolksteine & Kramer, 1983, p.94

دعنا ننتقل من الجانب الخرافي لهذه رحلة الى الظاهرة الواقعية التي قد تكمن وراء القصة: ان رحلة اينانا الى العالم الاسفل، يمكن ان تشير الى حدث او ظاهرة ما، لا سيما ان نجمة الزهرة المشعة ترمز للالهة اينانا وجمالها، فمن المحتمل ان تكون قصة رحلة نزول اينانا الى العالم الاسفل تعبر في حقيقة امرها عن ظاهرة كونية لاختفاء نجمة الزهرة خلال فترة معينة. ويمكن لنا ان نربط بين اسطورة "نزول اينانا الى العالم السفلي" و عدد من نصوص الفأل والرصد الفلكي يؤكد اختفاء الزهرة و ظهورها، اقدم تلك النصوص يعود للعهد البابلي القديم، تليها نصوص من الالف الاول ق.م من العهد الاشوري الحديث و البابلي الحديث، نفهم من تلك النصوص ان الفلكيين كانوا مدركين لظاهرة اختفاء و ظهور الزهرة وانها ظاهرة دورية. يذكر نص رقم ٦٣ من "اينوما آنو انليل" (Enuma Anu Enlil) و هو سلسلة من سبعين نص تقريبا، يعتبر كتقارير مرسلة الى ملوك آشور عن كشف الطالع و الأرصاد الفلكية:

"في الشهر الحادي عشر، اليوم الخامس عشر، اختفى كوكب الزهرة في الغرب، وضل في السماء لمدة ثلاثة أيام، وفي الشهر الحادي عشر، يوم الثامن عشر، أصبح كوكب الزهرة في الشرق مرئية، الينابيع ستتدفق، أدد يجلب مطره، ويجلب فيضانه، ورسائل الملك الى الملك، سترسل"[٦١].

نستنتج مما ورد اذا، ان رحلة اينانا للعالم السفلي ربما هي في الحقيقة اختفاء كوكبها كوكب الزهرة في الغرب، و بظهورها مرة اخرى من الشرق، ستعود مظاهر الحياة الى الأرض كتدفق الينابيع و عودة الامطار و فيضان الماء و بدء العمل.

في الاسطورة، نجد تصور الالهة اينانا مريضة و ضغيفة، وهي الحالة التي ربما تعبر عن اختفاء نجمة الزهرة التي اصبحت خافتة و لا شعاع لها، حين تنتقل من السماء الى العالم الاسفل –عالم اختها ايرشكيكال Ereškigal – يطلب من اينانا في كل بوابة من البوابات السبعة خلع قطعة من ملابسها أو مجوهراتها. بمجرد وصولها الى العالم السفلي، تصبح عاجزة بدون ملابسها و مجوهراتها ، تشعر بالضعف و المرض و يبدو ان عليها البقاء هناك كجثة هامدة:

171. munus tur_5–ra uzu níg–sìg–ga–šè ba–an–ku_4 تحولت المرأة المريضة الى جثة

72. uzu níg–sìg–ga giškak–ta lú ba–da–an–lá[٦٢] كانت الجثة معلقة على مسمار

رحلة اخرى من رحلات الالهة الى العالم السفلي، هي رحلة اله الشمس في المعتقدات السومرية، حيث انهم يعتبرون غروب الشمس، رحلة يواصلها الاله اوتو (شمش) اله الشمس عبر العالم السفلي ليلًا، اي ان غروب الشمس و شروقها مرة أخرى تفصلها رحلة يقوم بها اله الشمس كل يوم، يمر خلالها فوق بلدان الارض و اسفلها ويشع نوره كي تعم العدالة على كل البلدان كونه اله العدالة. جاء في نص ترنيمة الاله شمش: "ذهب مسكياكاشر Mes–ki–ag–ga–še–er، ابن اوتو، الى البحر وخرج (منه) الى الجبال"[٦٣]. ان رحلة ميسكياكاشر هذه، تعكس بوضوح موجز رحلة الشمس اليومية. في المساء تغرب الشمس في البحر في الغرب، خلال الليل تسير تحت الارض، وفي الصباح تنطلق الى الجبال في الشرق، ثم تظهر مرة اخرى الى العالم[٦٤]. تفاصيل أكثر عن رحلة شمش اليومية تشير اليها انشودة الاله شمش: عليه عبور البحر الشاسع والعميق، الذي لا يستطيع اختراق حدوده حتى الالهة ايجيجي Igigi . في عبوره العظيم عبر السماء كان يتجول في جميع البلدان حتى ابعدها، يقرأ أسرار جميع اللغات ويتابع تحركات جميع المخلوقات الذين يعترفون بسيادة سلطته[٦٥].

تعكس المشاهد الفنية على الاختام الاسطوانية، فكرة خروج الاله اوتو (شمش) من ابواب السماء، الذي يواصل رحلته اليومية عبر السماء، ثم يدخل "قلب السماء" ثم يخرج من البوابات المتوازية للأفق الغربي. يعتبر خروج شمش من بوابة السماء، من المشاهد الشائعة جدا على الاختام الاسطوانية من العصر الأكدي، اما وضعية الخروج فهي نفسها في جميع المشاهد، يضع الاله قدمه على اعالي الجبال بين أبواب السماء وأحيانا هناك الهين يفتحان ابواب السماء ليخرج اوتو وسط الجبال[٦٦].

في أحد المشاهد (الشكل ١٥)، يظهر الاله انكي ومن كتفيه ينفجر مجاري المياه، بينما ينبعث إله الشمس اوتو من أعماق الجبل ماسكا سيفه المنشار، وفي الهواء تحوم الالهة إينانا المجنحة. وهكذا يجمع المشهد عدة مناظر وقت شروق الشمس وسط الطبيعة بهالتها الأسطورية:

الشكل ١٥: مشاهد اختام العصر الاكدي، يظهر مشهد خروج اوتو من بوابة السماء، من:
Frankfort, 1939, Pl. XVIIIa &XIX

جدير بالذكر ان في اسطورة ادابا Adapa ، يمثل دوموزي Dumuzi وننكشزيدا Ningišzidaحراس لبوابة السماء، بينما في اسطورة نركال وايرشكيكال أسماءهم ليست مذكورة[٦٧].

يقودنا مفهوم "السماء الداخلية" إلى توقع أن للقمر أيضًا كانت رحلة عبر العالم السفلي، وكان يقيم هناك في أوقات الخفاء، حيث ان هذه المنطقة تقع تحت آفاق أشعة الشمس. نستنتج إذا ان السومريين اعتقدوا بأن الشمس، بعد الغروب، يستمر رحلتها عبر العالم السفلي ليلا، وأن الإله نانا (سين) إله القمر يقضي له "يوم السكون" في العالم السفلي خلال النهار. جاء حول رحلة إله القمر الى العالم السفلي في كتابة ملكية تعود الى الملك شو–ايليشو Šu–ilišu من فترة ايسن–لارسا: "نانا ... السيد الذي يمر وحده (من) السماء إلى العالم الآخر نيابة عن الآلهة"[٦٨].

هنالك رحلات أخرى للآلهة الى العالم الأسفل مرتبطة بفكرة الاختفاء والبعث من جديد في الطبيعة، يجد جاكوبسون ان مثل تلك الاساطير القديمة تشكل رمزا لدورة الموت الموسمية ونهضة الطبيعة حيث تعتمد عودة كل شخصية من العالم السفلي على حياة شخص آخر، فبعد وفاة دوموزي تسمح لاينانا بالبقاء على قيد الحياة، ثم توافق اخته كشتينانا Geštinanna على الموت من اجل السماح لأخيه بان يولد من جديد[٦٩].

من أشهر تلك الرحلات هي نزول دوموزي للعالم السفلي، وخطفه من قبل العفاريت رغم طلبه النجدة من اخيه الاله شمش. اينانا كانت قد اتخذت الراعي دوموزي حبيبا وزوجا لها، وبعد نزول الالهة اينانا الى العالم الأسفل وعدم تمكنها من العودة دون وجود من يحل محلها، يتم اختطاف دوموزي من قبل العفاريت ليحل محل اينانا وتعود اينانا لعالم الحياء. وهكذا يقضي دوموزي نصف حياته (ستة أشهر) في العالم الأسفل مع ايرشكيكال، والنصف الاخر تحل محله الإلهة كشتنانا Geštinanna اخت دوموزي، وينبعث ليتزوج اينانا (الزواج المقدس) وبذلك، يحل فصل الربيع والخصب وتنمو الأعشاب[٧٠]. هنا لابد لنا ان نشير الى نقطة مثيرة، وهو ان بالرغم من كون دوموزي من أشهر الالهة الميتة والمرتبطة

بالعالم الاسفل في المعتقدات الرافدينية، الا انه لا توجد لرحلته الى هذا العالم قصة ولا تفاصيل، والسبب على الارجح هو أن رحلته لم تكن بناء على قراره، بل تم اختطافه عنوة.

أما ما يتعلق برحلة الاله ننكشزيدا الى العالم الأسفل، فهناك قطعة أدبية تحمل نفس العنوان، وتشير الى ان ننكشزيدا هو "سيد المراعي والحقول"، يقوم قبل حلول الشتاء برحلة الى العالم السفلي، لينهض بعد الشتاء ويجلب معه نمو العشب، ويوفر الاكل والشرب للقطعان والخرفان. وفقا للاساطير الرافدينية، يعتبر الاله ننكشزيدا ابن الاله نيناز و Ninazu ملك العالم السفلي وهو ابن الالهة ايرشكيكال ملكة العالم السفلي، فهو اذن يعتبر من الهة العالم السفلي ورمزه هو الثعبان رمز الحياة والشفاء[٧١]. وهكذا يشترك كل من دوموزي وننكشزيدا في ميزة واحدة، وهي رحلة الاختفاء خلال الشتاء، ثم الانبعاث من جديد في الربيع، وهكذا يرتبط كل منهما برحلة سنوية الى لعالم الأسفل.

٦. آلهة في المنفى

تشير النصوص أحيانا الى وجود الهة خارج مقر عبادتها أو خارج بلادها، اغلب تلك النصوص هي الكتابات الملكية وأحيانا نصوص أدبية، نفهم منها ان الالهة تم نفيها، وربما تم اخذها عنوة كنوع من السبي لتماثيل الالهة الى البلاد المنتصرة، وقت الحروب والهجمات. قد لا تذكر النصوص بصورة جليّة السبب وراء وجود الآلهة في تلك المنطقة، ولكنه في الغالب سببه الحروب وسلب تمثال الاله.

من النصوص التي تعود الى فترة مبكرة جدا من تاريخ بلاد الرافدين، نص ادبي من أبو صلابيخ Abu-Salabikh يشير الى ان "اينانا سيدة بلاد سومر تقطن مدينة أوروازا Uruaza العيلامية"، يمكن ان تكون نتيجة لحملة عسكرية او رحلة الهية[٧٢]. ويصف نص ادبي آخر من أبو صلابيخ كيف أعاد لوكالاندا Luagalanda ملك أوروك عروسته الالهة ننسون Ninsun الى أوروك من مدينة أوروازا العيلامية حيث كان الزواج المقدس حسب الاسطورة:

21. ^{d}amar (KAL) Nin-sún-(ke$_4$) Lugal-bàn-da (-ar) ننسون الملاك للوكالاندا

22. inim mu-(ub)-gi$_4$-gi$_4$ (-e) قال (أجابه)

23. en-ra Unug-šè الى أوروك

24. ga (-e)-da-zi[٧٣] دعني انطلق معك

وهناك عدد من النصوص السومرية والاكدية يتحدث عن اخذ تمثال الاله، وتكثر الأمثلة خاصة في الفترتين الاشورية الحديثة والبابلية الحديثة. ان من أكثر الالهة الذين ضلوا في المنفى هو الاله مردوك، ونعلم ذلك من النص المعروف ب "نبوءة مردوك"[٧٤]. يتحدث النص على لسان مردوك، عن المرات الثلاث التي هجر فيها الإله مردوك مدينة بابل غضبا من شعبها ويتبين من حديثه انه هو من اختار البلد الاجنبي ليقيم فيه، والنص يبدأ بجملة: "الآن وقد أصبحت مستعدًا لرحلة، سأخبرك باسمي"[٧٥]. ويتحدث عن رحلته الأولى الى بلاد خاتي Ḫati وتثبيت عرشه هناك حيث بقي لمدة أربعة وعشرين سنة، ويخبرنا بعودته بعد ذلك إلى بابل. هذا الحدث يطابق مهاجمة الحثيين مدينة بابل وانهاء السلالة الأولى الحاكمة (١٥٩٥ ق.م) واخذ تمثال الاله مردوك معهم، الذي يتم اعادته بعد ذلك على يد الكاشيين وتسميته باسم كاردونياش Karduniaš[٧٦].

بعد ثغرة طويلة نسبيا في النص، يشير الإله إلى أنه كان يقيم في بالتيل Baltil (وهو اسم بديل لمدينة آشور) وانه كان السبب في حل البركة في مدينة اشور طوال ١٢ عاما، ومن المرجح ان يشير هذا القسم إلى الصراع بين الملك الآشوري توكولتي-نينورتا الأول Tukulti-Ninurta I (١٢٤٣-١٢٠٧ ق.م.) والملك الكاشي كاشتيلياش الرابع Kaštiliaš IV (١٢٣٢-١٢٢٥ ق.م.)، حيث تم نقل تمثال مردوك إلى آشور، وأعاد التمثال إلى بابل الملك الآشوري نينورتا توكولتي-آشور Tukulti-Ninurta-Aššur(١١٣٣-؟)[٧٧].

أما الرحلة الثالثة للإله مردوك، فهي إلى بلاد عيلام Elam، على يد الملك كودور–ناخونتى Kudur–Naḫunti(١١٥٥–١١٥٠ ق.م)، حين قام بإخضاع بابل. وقد تسبب هذا الغياب حالة فوضى في بابل، والنبوءة تصف مجيء ملك جديد في بابل وهو الذي يعيد النظام اليها ويعيد مردوك الى مكانه الصحيح. والحدث هنا يطابق هزيمة بلاد عيلام على يد نبوخذنصر الأول Nabukudurussar I (١١٢٥–١١٠٤ ق.م)[٧٨].

وهناك العديد من الأمثلة التي تشير الى اخفاء تماثيل الالهة واخذهم من المعابد وقت الغزو خوفا من سرقتها، وأحيانا يهربون السكان تماثيل آلهتهم معهم الى مخابئ مثل الجبال والاهوار، او يتم ارسال التماثيل الى أماكن أكثر أمنا. في الفترة البابلية الحديثة، مدينة بابل كانت تمثل أحد تلك المخابئ، واصبحت قبيل الغزو الاخميني مستودعا لتماثيل الالهة التي يتم رعايتها وتنظيم الشعائر والطعام لها من قبل رجال الدين والعديد من الاشخاص، فبدون تلك الأشياء تعتبر تماثيل الآلهة بلا قدسية ومهملة، وفي تلك الحالة تهجر الالهة مراكزها وتتخلى عن الأرض، وبالتالي تحل الفوضى في البلاد[٧٩]. وتلك كانت محاولات اخر ملوك البابليين نبونائيد Nabnaid (٥٥٦–٥٣١ ق.م.) في الدفاع عن تماثيل الالهة في بلاد سومر وأكد من الهجوم الاخميني بقيادة كورش Cyrus (٥٧٦–٥٣٠ ق.م.) الذي لم يسرق هذه التماثيل بعد انتصاره ودخوله بلاد بابل، بل اعادها الى مراكز في بلاد سومر واكد[٨٠].

ومن الشواهد الفنية التي ترينا نقل تماثيل الالهة، هي منحوتة من فترة حكم تجلات–بلاسر الثالث Tiglat–Pileser III (٧٤٤–٧٢٧ ق.م.)، من القصر الجنوبي الغربي في نمرود (Kalḫu) ترينا أربعة تماثيل للآلهة محملة على اكتاف الجنود الاشوريين الذين اخذهم كغنيمة في مشهد ينقل لنا انتصار الاشوريين[٨١]:

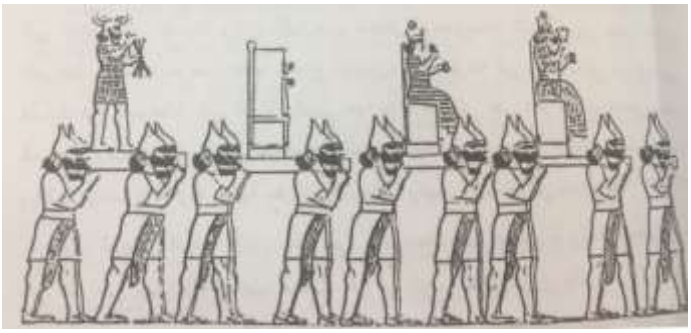

الشكل ١٦: تماثيل الالهة المحملة على اكتاف جنود تجلات–بلاسر، من: Potts, 1997, p.191

في النصوص الأدبية والاساطير، يعتبر عالم الأسفل بمثابة منفى للآلهة: ففي اسطورة (انليل وننليل) يتم استبعاد الاله انليل وطرده من أرض ديلمون (بيت الالهة) الى العالم الاسفل، وذلك عقابا لاغتصابه فتاة صغيرة (ننليل)، وتستمر الأسطورة بوصف رحلة مفصلة تبعته الالهة ننليل ووضع مولودها الاول الاله ننا (سين) إله القمر، وبعد ان أصبح بالثلاث شخصيات خارقة في العالم السفلي، سمح للإله االنليل بالعودة الى أرض دلمون حسب الأسطورة[٨٢].

بعد النفي للعالم السفلي، يتم الاعتداء أحيانا على الالهة من قبل الكائنات المركبة والوحوش التي تقطن هذا العالم. يذكر جزء من نص "كلكامش، انكيدو والعالم السفلي"، رحلة الاله انكي إلى العالم الأسفل (kur)، رغم ان النص لا يوضح سبب الرحلة وظروفها، الا ان القصة مذكورة على لسان اينانا وهي تخاطب كلكامش Gilgameš : عندما تم تحديد القدر، وعندما أعطي العالم السفلي للإلهة إيريشكيكال كهدية؛ وعندما أبحر الأب إلى العالم السفلي على متن القارب، تعرض للاعتداء من عاصفة الحجارة والضربات والكدمات[٨٣].

ونجد على مشهد ختم من نوزي Nuzi ربما من عصر فجر السلالات، مشهد اختطاف الاله دوموزي من قبل العفاريت واقتياده الى العالم الأسفل، وهو مكبل ومسلوب الإرادة، ويهاجم عليه كائنات وعفاريت هذا العالم.

الاله دوموزي مخطوف ومكبل في العالم الأسفل، مشهد ختم من نوزي: British Museum 2011a p.38, cat.8

الشكل ١٤:

الخلاصة:

لا يمكن لنا تخيل وجود آلهة بلا حركة وتنقل في معتقدات بلاد الرافدين، ببساطة لان الالهة تأخذ جميع الميزات البشرية عدا الموت، لذا كان لابد لها ان تتنقل وتثبت نفوذها، تتفاوض وتتعارك، تنتقم، تنظم الكون، تحقق العدل وتجلب الخير لمعابدها ومراكزها، تضحي او يضحى بها، ويمكن ان يتم معاقبتها ونفيها أحيانا. في كل تلك القصص والسرد لابد من الحركة والرحلة، لها تفاصيلها. وهكذا اخذت رحلات الالهة من مركزه الى مكان اخر، ظروف وأسباب مختلفة وعدة اشكال. فتحركات وحدوث ظواهر طبيعية معينة توحي للفرد فكرة تنقل إله او اختفاء إله والتي ترتبط بشكل رئيسي بالعالم الاسفل، مثل فكرة الغروب والشروق المتمثلة برحلة إله الشمس الى العالم الأسفل، ودورة القمر المتمثلة برحلة القمر المستمرة في السماء، وربما اختفاء نجمة الزهرة تمثله قصة نزول اينانا للعالم الاسفل.

ومن الرحلات ما تحمل فكرة تمني وطلب الرخاء والحماية والنفوذ لمدينة معينة عن طريق زيارة إله تلك المدينة الى معبد الى اخر يكون أكثر نفوذا وأكبر مقاما، والامثلة على تلك الفكرة عديدة وتشمل جميع القطع الأدبية المخصصة لرحلات الالهة، واغلب الرحلات موجهة الي نيبور نظرا لأهمية نيبور الدينية في عالم الالهة، والقدسية التي تمتعت بها كل من المدينة والهها الرئيسي (انليل) في واقع الفكر الرافديني. تمثل احتفالات السنة الجديدة (لاسيما خلال الفترات المتاخرة من تاريخ بلاد الرافدين) جزء من رحلات الهة من خلالها يتم نقل التمثال من معبد الاله الى بيت-اكيتي حيث يقام الاحتفال. تدخل ضمن رحلات الالهة ايضا فكرة تنقلات الالهة المحاربة وشن هجومها على مناطق اخرى بدافع القضاء على القوى المعادية وبالتالي لتحقيق العدالة وتنظيم الكون. كما يمكن اعتبار عملية السبي لتماثيل الالهة وسرقتها كنوع من الغنائم في ظل وجود هجمات وحروب على المدن، نوع من نفي الآلهة الى مناطق بعيدة.

وما يزيد من أهمية الموضوع، هو انه بالإضافة الى القطع الأدبية التي تسرد لنا قصص تنقلات ورحلات الالهة بمختلف أنواعها ودوافعها وتفاصيلها، تصور الشواهد الفنية (والتي تمثل جميعها تقريبا مشاهد من اختام اسطوانية) من مختلف فترات تاريخ بلاد الرافدين، مشاهد من تلك الرحلات، فنجد بعض من ابطال تلك الرحلات وتفاصيلها وظروفها (التي وصلتنا من القصص والاساطير)، بصورة مرئية تساهم في توضيح الصورة واضافة تفاصيل أخرى مختلفة من تلك الرحلات.

الملاحظات:

1. Sauren, H., ''Besuchsfahrten der Gotter in Sumer'', *Or NS* 38(1969), p.232f.
2. Al-Fuaadi, Abdul-Had, Enki's Journey to Nippur: The Journeys of the Gods, PhD dissertation presented to the University of Pennsylvania, 1969.
3. Sauren, 1969, p. 217.
4. للمزيد عن تماثيل الالهة وصنعها وعن المواد المستخدمة في صياغتها وعن استخداماتها في مختلف الطقوس والشعائر في بلاد الرافدين:

Hallo, W.,''Cult Statue and Divine Image: A Priliminary Study'', in: *Scripture in Context II*: More Essays on the Comparative Method, Perdue, L. Moyer, J. Hallo, W. (eds), Eisenbrauns, 1983, pp.1-18.

5. Šulgi and Ninlil's barge: a tigi (?) to Ninlil (Šulgi R): *ETCSL* 2.4.2.18.
6. Johns, C. H. W., *Babylonian and Assyrian Laws, Contracts and Letters*, BoD – Books on Demand, 2018, p. 227.
7. YOS 3 145.
8. Potts, 1997, 191.
9. Leichty, E., The Royal Inscriptions of Esarhaddon, King of Assyria (680–669 BC), *RINAP* 4, Eisenbrauns, 2011, p.3.
10. Leichty, *RINAP* 4: Esarhaddon 119, p.250.
11. Leichty, *RINAP* 4: Esarhaddon 131, p.267.
12. Sigrist, M. & Gomi, T., *The comprehensive catalogue of published Ur III tablets*, CDL Press, 1991, p.327.
13. Black, J. & Green, A., *Gods, demons, and symbols of ancient Mesopotamia*: an illustrated dictionary, British Museum Press, 2004, 112.
14. Ferrara, A*., Nanna-Suen's Journey to Nippur*, Gregorian Biblical BookShop, 1973, p.37ff.
15. Potts, D. T., *Mesopotamian Civilization*: The Material Foundations, Cornell University Press, 1997, p.122.
16. Ward, W. H., *The seal cylinders of western Asia*, Рипол Классик, 1910, p.43: fig.110a.
17. Kramer, S. N., *Sumerian Mythology*: A Study of Spiritual and Literary Achievement in the Third Millennium B.C, University of Pennsylvania Press, 1972, p. 41.
18. Inanna and Enki: *ETCSL* t.1.3.1, 218-223.
19. Klein, J., "The Royal Hymns of Shulgi King of Ur: Man's Quest for Immortal Fame", *TAPS* 71/7, 1981, p.9.
20. Black, J. & others, *The Literature of Ancient Sumer*, Oxford University Press, 2004, p.104: Lines 41-43.
21. Ward, 1910, p.41.
22. Majchrzak, D., '' Remarks on the Iconographic Motif of the Birdman in Mesopotamian Glyptic Art of the Third Millennium BC'', *Études et Travaux* XXXI (2018), p.223-224.
23. Kantor, H. J., "Landscape in Akkadian Art'', *JNES* 25/3, 1966, p.146.
24. Woods, Ch., "On the Euphrates", *ZA*, Bd. 95, Walter de Gruyter, 2005, p.29.
25. Woods, 2005, p.15.
26. تشير الأسطورة ان نينورتا "ولد في الجبل (كور)" وهو ابن الاله انليل والالهة نينتو، ووصف بالثور القوي للجبل"، يراجع:

Cooper, J., *The return of Ninurta to Nippur*: An-gim dím-ma, Analecta orientalia 52, Pontificium institutum biblicum, 1978, p.105.

27. Ninurta's return to Nibru: a šir-gida to Ninurta, ETCSL, 1.6.1: 52.
28. يتكون التنين من رأس وجسد الأسد، وأجنحة وساقان الخلفيتان للنسر، ويرفع ذيلاً وافر الريش، إنه اذن، نصف أسد ونصف نسر، يراجع:

    Black & Green, 2004, p.71.
29. Wolksteine, D. & Kramer, S., *Inanna Queen of Heaven and Earth*: Her Stories and Hymns from Sumer, HarperCollins, 1983, p.194: N. 94.
30. Albenda, P., "The "Queen of the Night" Plaque: A Revisit", *JAOS* 125/2, 2005, pp.171-190.
31. Black & Green, 2004, p.108.
32. Enlil and Ninlil, ETCSL 12.1: 63-64.
33. الشواف، قاسم، ديوان الاساطير: الالهة والبشر، الكتاب الثاني، بيروت، ١٩٩٧، ١٠٣-١٠٤
34. الفؤادي، عبد الهادي، "رحلة اينانا الى اريدو"، سومر ٢٧، ١٩٧١، ص٥٣-٥٤.
35. Meade, W., Road to Babylon: Development of U.S. Assyriology, Brill Archive, 1974, p.48.
36. Ferarra, 1973, p.30.
37. Nanna-Suen's journey to Nibru, *ETCSL*. section1/c151.
38. Enki's journey to Nibru: *ETCSL*. section1/c114.
39. Ninisina's journey to Nibru: a šir-namšub to Ninisina, Ninisina C :c.4.22.3.
40. Wagensonner, K., '' Nin-Isina(k)s Journey to Nippur A bilingual divine journey revisited'', *WZKM* 98, 2008, p.277.
41. Wagensonner, 2008, pp.280-286.
42. Pabilsaĝ's journey to Nibru, *ETCSL*. 1.7.8.
43. توجد حاليا ١٣ نص اداري من فترة اور الثالثة تتعلق بالتقدمات المنتظمة للالهة ننليل في مدينة تومال، تعود جميع هذه النصوص الى مدينة دريهم، من فترة حكم شولكي ٤٢ الى السنة الثانية من حكم شوسين، يراجع

    Changyu, L., "A Note on the Regular Offering to Ninlil at Tummal", *CDLN* 2014:17, p.1.
44. Frayne, D., *The Royal Inscriptions of Mesopotamia Early Period* (*RIME)*: Pre-Sargonic Period (2700-2350 BC), Vol.1, University of Toronto Press Incorporated 1998, p.55: E1.7.22.
45. Inana and Enki, *ETCSL*, Sigment B: t.1.3.1.
46. Kramer, S.N., & Maier, J., *Myths of Enki, the crafty god*. Oxford University Press, 1989, pp.57-68.
47. Linssen, J.H., *The cults of Uruk and Babylon*: the temple ritual as evidence for Hellenistic cult practices, Brill. Styx, 2004, p.68.
48. SBH III /BRM 4, 25.
49. Black & Green, 2004, pp.112, 137.
50. Annus, 2002, pp. 31-ff.
51. Black & Green, 2004, p.133.

52. Annus, A., *The God Ninurta in the Mythology and Royal Ideology of Ancient Mesopotamia*, Eisenbrauns, 2002, p.24.
53. Annus, 2002, pp. 31-ff.
54. *RINAP* 4: 31-34, p.8.
55. Heimple, 1986, p.146.
56. Inanna and Enki: Segment I, 19-20.
57. Inana's descent to the nether world: *ETCSL* c.1.4.1: 26-27.
58. Inana's descent to the nether world: *ETCSL* c.1.4.1:7-13.
59. Black & others, 2004, p. 155.
60. Buccellati, G., ''The Decsent of Inanna as a Ritual Journey to Kutha?'', *SMS* 4/3, 1982, pp.3-7.
61. De Jong, T. &Foertmeyer, V., ''A new look at the Venus observations of Ammisaduqa: traces of the Santorini eruption in the atmosphere of Babylon?'', *Ex Oriente Lux*, 42, 2010, p.141-157.
62. Inana's descent to the nether world: c.1.4.1: 171-172.
63. AS II, pp.85-06, III 1-6 .
64. Alster, B., '' Early Pattern in Mesopotamian Literature'', in: Alter Orient und Altes Testament Veroffendichungen zur Kultur und Geschichte des Alten Orients und des Alten Testaments, Eichler, B., Heimerdinger, J., & Sjoberg, A. (eds), 1976, p.23: n.52.
65. Heimple, W.,'' The Sun at Night and the Doors of Heaven in Babylonian Texts'', *JCS* 38/2, 1986, pp. 127-151.
66. Frankfort, H., Cylinder Seals. A. documentary essay on the art and religion of the Ancient Near East, London, 1939, p.99-100.
67. Black & Green, 2004, p.86.
68. Steinkeller, P., "Nanna/Suen, the Shining Bowl", in: *Libiamo ne' lieti calici*: Ancient Near Eastern Studies Presented to Lucio Milano on the Occasion of his 65th Birthday by Pupils, Colleagues and Friends, Corò, P. and others (eds.), Münster, 2016, p.622.
69. Thorkild J., *The Treasures of Darkness*: A History of Mesopotamian Religion, Londres, Yale University Press, 1976, p. 259.
70. Wolksteine & Kramer, 1983, p.168.
71. Black & Green, 2004, p.138.
72. Frayne, *RIME* 1, p.39.
73. Jacobsen, Th., ''Lugalbanda and Ninsuna'', JCS 41/1, 1989, p.70-72.
74. تم اكتشاف ثلاثة نسخة من نص "نبوءة مردوك" في اشور ونينوى، ويخمن ان تاريخه يعود للعصر الاشوري الحديث، يراجع:

    Finn, J., *Much Ado about Marduk*: Questioning Discourses of Royalty in First Millennium Mesopotamian Literature, *SANER* 19, Walter de Gruyter GmbH & Co KG, 2017, pp.37-38.

75. Foster, B. R., *From Distant Days*: Myths, Tales, and Poetry of Ancient Mesopotamia, Pennsylvania State University Press, 1995, p.219.
76. Postgate, N., Early Mesopotamia: Society and Economy at the Dawn of History, Taylor & Francis, 2017, p.254.
77. Finn, 2017, p.38.
78. Nielsen, J., ''Marduk's Return: Assyrian Imperial Propaganda, Babylonian Cultural Memory, and the *akītu* Festival of 667 BC.'', in: Memory and Urban Religion in the Ancient World, Bommas, M. (ed.), A&C Black, 2012, p.12.
79. Potts, 1997, p.192.
80. Schaudig, H., '' The Text of the Cyrus Cylinder'', in: M. Rahim Shayegan (ed.), Cyrus the Great: Life and Lore. Ilex Series 21 (Harvard University Press 2019), p.24: Lines 33-34.
81. Oman, T., *The Triumph of the Symbol: Pictorial Representation of Deities in Mesopotamia and the Biblical Image Ban*, Saint-Paul, 2005, p.94.
82. Black, & others, 2004, p.105: Lines 91-143.
83. Gilgamesh, Enkidu and the nether world: *ETCSL*. section1/1.8.1.4: 91-113; Kramer, S.N., *Gilgamesh and the Huluppu-Tree*: A Reconstructed Sumerian Text, University of Chicago Press, 1938, p.37ff.

المصادر والمراجع:

- http://etcsl.orinst.ox.ac.uk/
- https://www.britishmuseum.org/

المراجع العربية:

١. الشواف، قاسم، ديوان الاساطير: الالهة والبشر، الكتاب الثاني، بيروت، ١٩٩٧.

٢. الفؤادي، عبد الهادي، "رحلة اينانا الى اريدو"، سومر ٢٧، ١٩٧١.

المراجع الأجنبية:

1. Al-Fuaadi, Abdul-Had, Enki's Journey to Nippur: The Journeys of the Gods, PhD dissertation presented to the University of Pennsylvania, 1969.
2. Alster, B., '' Early Pattern in Mesopotamian Literature'', in: Alter Orient und Altes Testament Veroffendichungen zur Kultur und Geschichte des Alten Orients und des Alten Testaments, Eichler, B., Heimerdinger, J., & Sjoberg, A. (eds), 1976.
3. Amiet, P. "Quelques Observations à propos des Sceaux Cylindres de Tell Suleimeh (Hamrin), *RA* 91/2, 1997, pp.97-108.
4. Annus, A., The God Ninurta in the Mythology and Royal Ideology of Ancient Mesopotamia, Eisenbrauns, 2002.
5. Black, J. & Green, A., *Gods, demons, and symbols of ancient Mesopotamia*: an illustrated dictionary, British Museum Press, 2004.
6. Black, J. & others, *The Literature of Ancient Sumer*, Oxford University Press, 2004.

7. Buccellati, G., ''The Decsent of Inanna as a Ritual Journey to Kutha?'', *SMS* 4/3, 1982, pp. 3-7.
8. Carter, R.A, "Watercraft", in: *A Companion to the Archaeology of the Ancient Near East* I, 2012, p.347-372.
9. Cooper, J., *The return of Ninurta to Nippur*: An-gim dím-ma, Analecta orientalia 52, Pontificium institutum biblicum, 1978.
1. De Jong, T. & Foertmeyer, V., ''A new look at the Venus observations of Ammisaduqa: traces of the Santorini eruption in the atmosphere of Babylon?'', *Ex Oriente Lux*, 42, 2010, pp.143-59.
2. Ferrara, A., *Nanna-Suen's Journey to Nippur*, Gregorian Biblical BookShop, 1973.
3. Finn, J., *Much Ado about Marduk*: Questioning Discourses of Royalty in First Millennium Mesopotamian Literature, *SANER* 19, Walter de Gruyter GmbH & Co KG, 2017.
4. Foster, B. R., *From Distant Days*: Myths, Tales, and Poetry of Ancient Mesopotamia, Pennsylvania State University Press, 1995.
5. Frayne, D., The Royal Inscriptions of Mesopotamia Early Period (RIME): Pre-Sargonic Period (2700–2350 BC), Vol.1, University of Toronto Press Incorporated 1998.
6. Hallo, W.,''Cult Statue and Divine Image: A Priliminary Study'', in: *Scripture in Context II*: More Essays on the Comparative Method, Perdue, L. Moyer, J. Hallo, W. (eds), Eisenbrauns, 1983, pp.1-18.
7. Heimple, W.,'' The Sun at Night and the Doors of Heaven in Babylonian Texts'', *JCS* 38/2, 1986.
8. Hunger, H., State Archives of Assyria, Astrological reports to Assyrian kings, Vol. 8, Helsinki University Press, 1992
9. Johns, C. H. W., *Babylonian and Assyrian Laws, Contracts and Letters*, BoD – Books on Demand, 2018.
10. Kantor, H. J., "Landscape in Akkadian Art'', *JNES* 25/3, 1966, pp. 145-152.
11. Klein, J., "The Royal Hymns of Shulgi King of Ur: Man's Quest for Immortal Fame", *TAPS* 71/7, 1981.
12. Kramer, S.N., *Gilgamesh and the Huluppu-Tree*: A Reconstructed Sumerian Text, University of Chicago Press, 1938.
13. Kramer, S. N., *Sumerian Mythology*: A Study of Spiritual and Literary Achievement in the Third Millennium B.C, University of Pennsylvania Press, 1972.
14. Kramer, S.N., & Maier, J., *Myths of Enki, the crafty god*. Oxford University Press, 1989.
15. Legrain, L., *Archaic Seal-Impressions*, (Ur Excavations III), New York, 1936.
16. Leichty, E., The Royal Inscriptions of Esarhaddon, King of Assyria (680–669 BC), *RINAP* 4, Eisenbrauns, 2011.

17. Linssen, J.H., The cults of Uruk and Babylon: the temple ritual as evidence for Hellenistic cult practices, Brill. Styx, 2004.
18. Majchrzak, D., '' Remarks on the Iconographic Motif of the Birdman in Mesopotamian Glyptic Art of the Third Millennium BC'', *Études et Travaux* XXXI (2018), pp. 219–234.
19. Meade, W., Road to Babylon: Development of U.S. Assyriology, Brill Archive, 1974.
20. Nielsen, J., ''Marduk's Return: Assyrian Imperial Propaganda, Babylonian Cultural Memory, and the akītu Festival of 667 BC.'', in: Memory and Urban Religion in the Ancient World, Bommas, M. (ed.), A&C Black, 2012.
21. Oman, T., *The Triumph of the Symbol: Pictorial Representation of Deities in Mesopotamia and the Biblical Image Ban*, Saint-Paul, 2005.
22. Postgate, N., Early Mesopotamia: Society and Economy at the Dawn of History, Taylor & Francis, 2017.
23. Potts, D. T., *Mesopotamian Civilization*: The Material Foundations, Cornell University Press, 1997.
24. Sauren, H., ''Besuchsfahrten der Gotter in Sumer'', *Or NS* 38(1969), p. 214-236.
25. Schaudig, H., '' The Text of the Cyrus Cylinder'', in: M. Rahim Shayegan (ed.), Cyrus the Great: Life and Lore. Ilex Series 21 (Harvard University Press 2019), pp.16-25.
26. Sigrist, M. & Gomi, T., *The comprehensive catalogue of published Ur III tablets*, CDL Press, 1991.
27. Steinkeller, P., "Nanna/Suen, the Shining Bowl", in: *Libiamo ne' lieti calici*: Ancient Near Eastern Studies Presented to Lucio Milano on the Occasion of his 65th Birthday by Pupils, Colleagues and Friends, Corò, P. and others (eds.), Münster, 2016, pp.615-625.
28. Wagensonner, K., '' Nin-Isina(k)s Journey to Nippur A bilingual divine journey revisited'', *WZKM* 98, 2008, pp. 277-294
29. Ward, W. H., *The seal cylinders of western Asia*, Рипол Классик, 1910.
30. Wolksteine, D. & Kramer, S., *Inanna Queen of Heaven and Earth*: Her Stories and Hymns from Sumer, HarperCollins, 1983.
31. Woods, Ch., '' On the Euphrates'', *ZA*, Bd. 95, Walter de Gruyter, 2005, pp. 7–45.

مظاهر العنف ضد المراة عند العرب قبل الاسلام

أ.م.د. حميد مصطفى ناجي الياسري

جامعة الكوفة – كلية الآثار

Email:hameedm.alyasiri@uokufa.edu.iq

مظاهر العنف ضد المراة عند العرب قبل الاسلام

أ.م.د. حميد مصطفى ناجي الياسري

الملخص

تبجث هذه الدراسة موضوعا نضن بأنه على درجة من الاهمية ، وبالاخص الناحية الثقافية والفكرية والاجتماعية ، حيث عانت المراة العربية على مر العصور من جوانب متناقضة في التعامل مها من قبل المجتمع العربي قبل الاسلام ، نتيجة نظرة المجتمع المتناقضة والسلبية تجاة المراة وبالاخص (الأم) ، فعلى الرغم من المكاننة السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي حضيت بها المراة قبل الاسلام في مراحل تأريخية كثيرة ، الاَ أن نظرة المجتمع لها في كثير من الاحيان كان سلبياً ، بسبب التراكمات القبلية التي رسّخَتْ العادات والتقاليد القديمه ، ومنعت المرأة من كثير من حقوقها المادية والمعنوية ، وموورست ضدها بعض الممارسات التي يمكن أن نقول إنها كانت بالغة العنف إذا ماقيست بالمفاهيم الدالة على مفهوم او (مصطلح العنف) .

Abstract

This study discusses a topic that we think is of a degree of importance, especially in terms of cultural, intellectual and social aspects, where Arab women have suffered throughout the ages from contradictory aspects in dealing with them by Arab society before Islam, as a result of society's contradictory and negative view towards women, especially (the mother). In spite of the political, social, and economic standing in which women lived before Islam in many historical stages, the society's view of them was often negative, due to the tribal accumulations that established old customs and traditions, and prevented women from many of their material and moral rights, and practiced against them some Practices that we can say were extremely violent if measured by concepts denoting the concept or (term of violence).

المقدمه

فرضية البحث وأهداف الدراسة : إن الهدف الاساس من خوض هذه الدراسة ، هو الاطلاع على ماهية العنف وبحثها بطريقة تتناسب مع المفهوم الذي اصطلح لأجله ، وللتعرف بعد ذلك على مايعنيه هذا المصطلح ، وكفية التعامل معه في الحقبة الزمنية التي تسبق الاسلام ، كظاهرة اجتماعية ، لاتختلف عن بقية الظواهر التي مورست في ظل عدد من المحددات القبلية الثقافية الموروثة ، ومن هذه الفرضية نحاول إيجاد العلاقة بين ممارسة ظاهرة العنف في اطارالعقلية العربية ، وبحث أهم الاسباب والمبررات التي دعت اليها ، وموقف المجتمع القبلي منها ، فضلا عن أهم تأثيراتها على كيان المجتمع العربي عموما ، والمرأة خصوصا .

إشكالية البحث : ان اهم اشكالية تواجه بحثنا هذا ، هو محاولة دراسة مصطلح قد يبدو حديثا ، بالقياس الى المفاهيم والنظم الاجتماعية التي إعتادت عليها النظم والافكارالاجتماعية السابقة للاسلام ، على الرغم من وجود ممارسات عديدة تدل في معظمها ، على حقيقة وجودها ، ناهيك عن صعوبة المنطق الذي يبرر للمجتمع ممارسة العنف ، بغض النظرعن العادات والتقاليد التي الفوا عليها ، في القيام ببعض العادات التي من شأنها تكرس للعنف بقصد أو من دون قصد ، ناهيك عن صعوبة فهم كثير من الافكار والعادات ، بسبب تعقيدها وإرتباطها بالافكار والمعتقدات القديمة ، ولأجل فهم جدلية العلاقة بين ممارسة

العنف ضد المرأة واستجابة المجتمع لها يستلزم إعادة النظر في فهم تلك الجدلية بشكل أكثر واقعية من خلال النصوص المتنوعة ، لـتأكيد وجود ظاهرة العنف من عدمه .

منهجية البحث : تعتمد منهجية البحث في هذه الدراسة على المنهج التأريخي المبني على الإفادة من النصوص التأريخية وغيرالتأريخية التي أغنت البحث ، من خلال عرض مادة البحث بأسلوب يتيح مراعاة التسلسل التـأريخي ، والابتعاد قدر الامكان عن التعقيدات التي تجزأ الافكار وتشتت الذهن ، والحرص على عرض النصوص من مصادرها الاولية للحفاظ على فكرة البحث مثل النصوص القرآنية وتفسيرها ، فضلا عن النصوص الادبية ، بما يعزز الموضوع .

أهم الدراسات السابقه: مما لا شك فيه ، إن أية دراسة علمية ، لايمكنها الاستغناء عن الدراسات السابقة ، لأنها تحمل في طياتها معلومات وأفكار جديدة تعزز البحث وتمده بمعلومات جديدة ، ومن باب العرفان أن نشير الى أهم تلك الدراسات التي أفدنا منها ، ولعل في مقدمتها كتاب الاستاذ علي الهاشمي (المرأة في الشعر الجاهلي) ، وهو في الاصل كتاب مختص في الدراسات الادبية ، وتحديدا الشعر ، الا أننا وجدنا ظالتنا في بعض الجوانب الاجتماعية التي تطرق اليها الهاشمي ، مما سمح لنا تسخير جزءا من تلك الجوانب في طيات البحث . أما كتاب (المفصل في تأريخ العرب قبل الاسلام) للمرحوم د.جواد علي ، فقد كان ملازما للبحث لسعة المواضيع وشمولها ، وبالاخص الاحداث المتعلقة بالجانب الاجتماعي والديني ، ولو أنها كانت تعتمد في أساسها على تحليلات مصادر التراث العربي الاسلامي ، وبعض الدراسات والابحاث الاستشراقية التي كتبت في حضارة العرب قبل الاسلام . ولقد وفرت مصادر التراث العربي والاسلامي معلومات ذات قيمة تأريخية لايمكن إغفالها ، ومنها على سبيل المثال ، لا الحصر: مصادر التفسير التي اهتمت بتفسير آيات القرآن الكريم وأسباب نزولها ، مما سهل من تكوين قيمة تحليلات ذات صلة بظاهرة (الوأد) ، وغيرها من الظواهر الاجتماعية والدينية الاخرى ، مثل تفسير الطبري (ت٣١٠هـ) المسمى: (جامع البيان في تفسير القرآن) ، وتفسير القرطبي (ت٦٧١هـ) المسمى (الجامع لاحكام القرآن) ، وتفسيرالآلوسي(ت١٢٧٠هـ) المسى:(روح المعاني في تفسير القرن العظيم والسبع المثاني) وغيرها . أما بالنسبة لمصادر اللغة والادب ، فقد كانت حاضرة واستقنا منها كثير من الاحداث التي احتوتها فضلا عن قيمتها اللغوية والادبية ، مثل كتاب المبرد(ت٢١٥ هـ) المعروف بأسم :(الكامل غي اللغة والادب) ، وكتاب إبن قتيبة الدينوري(ت ٢٧٦هـ)المعروف بأسم(الشعر والشعراء) ، وكتاب (لسان العرب) إبن منظور(711هـ) ، وكتب الدواوين وشروحاتها التي استشهدنا في توثيق الاحداث والظواهر التي تخص المرأة والتي تعد لسان حال يمكن الإعتداد به .

الإطار النظري

المبحث الاول :أوضاع المرأة ومعاناتها فى المجتمعات السابقة للاسلام

حظيت المرأة بمكانة متذبذبة في الحضارات القديمة ، لكن الصورة السلبية لها بقيت عالقة في أذهان بعض المجتمعات السابقة للاسلام ، وبحسب طبيعتها الفكرية والاجتماعية ، فإنخفض مركز المرأة الاجتماعي مُقارنة بمكانتها في الحضارتين السومرية والبابلية ، ففي عهد الدولة الكلدانية (٦٢٦-٥٣٩ق.م) ، عانت المرأة أوضاعاً صعبة ، تمثلت بحق زوجها في ان يبقيها في بيته متى شاء ، كونها ملكا له ، أو أن يهبها عوضا عن دين مستحق عليه ، او التخلص منها عندما لايراها مناسبة له في أي حال من الاحوال ، اوطلاقها متى ما رغِب ، بمجرد قوله لها : أنت لست زوجتي ، وفي بعض الاحيان تعاقب بالغرق او تقديمها عارية الى من يفترسها[١]، ناهيك عن الاعباء الحياتية التي كانت تقوم بها وتحمل مشقتها من رعاية اطفال ، وطحن الحبوب واعداد الطعام والغزل ، وما الى ذلك من أعباء مجهدة للبدن طيلة بقاءها مع الرجل[٢] ، وعلى العموم لم يكن للمراة في بلاد وادي الرافدين قاعدة ثابتة ، وذلك نتيجة للتغيرات السياسية والقانونية التي كانت تتحكم في مكانة المرأة في المجتمع ، فقد تكون جزء من مكانة رفيعة وتحتل مكانة مرموقة على المستوى الديني والسياسي والقانوني[٣].

وسرعان ماتدهورت الامور في العصر الاشوري الوسيط (١٥٢١-٩١١ق.م) حيث اتبع الآشوريون عادات أحطت بشخصية المرأة وباتت الفتاة متى ما بلغت من النضوج الجسمي ، تُعرض على الشباب الراغبين بالزواج ويبدا المزاد على واحدة منهن ، بعد إجلاسهن في مكان ما من من ساحات الهيكل

المقدس، ثم ياتي الغرباء يلقون المال عليهن ، فيتقدس بالمال ، ولذا لايمكنهن رفضه ، كونه مقدسا[٤] ، وبهذا تكون مُلكاً للرجل ، ولهُ الحق في أن يُحرمها من كل ما تملك ، ويُطلقها متى ما أراد ، فضلا عن ذلك ، كان الآشوريون من أقدم الشعوب التي أخضعت النساء للحجاب المتضمن ستر الرأس والوجه ، والامرلايتعلق بالحجاب نفسه بقدر ما يتعلق الامر بطريقة فرضه القسرية ، بحيث يُسمح للمرأة الحُرة من إرتدائه ، بينما الجواري كن يرتدين الحجاب عند خروجهنْ مع أسيادهن ، وهذا ما أكدتهُ الحفريات المُكتشفة ، حيث تم العثور على لوحات طينية تتكلم بشكل تفصيلي عن الحجاب وقوانين أخرى تفرض على النساء اللواتي لا يرتدينْ الحجاب [٥]. التي تشير الى ان الحجاب بات لزاما على النساء الحرائر من دون الاماء غير المرغوب فيهن ، بحيث كن يمنعن من ارتداء الحجاب[٦] ، وتدل قوانين آشور على إن الحجاب كان عادة للسيدات ذوات المكانة العالية والنساء المتزوجات في تلك المنطقة خلال الألف الأول بل قبله [٧]، ولكنه كان محرما على الإماء والعاهرات وإذا ما إرتدينه وقعن تحت طائلة عقوبات شديدة[٨].

ويبدو ان النظرة الدونية للمراة هي وليدة المجتمعات منذ القدم ، وقد وردت بها عبارات الفلاسفة القدماء ، ولم تكن بمنأى عن التاثر بمفاهيم المجتمع السائدة ، فكثير من اؤلئك قد وصفوا المرأة بانها رمز للخطيئة واصل السيئة والفجور، وينبوع المعاصي ، بل عدَوها بابا من أبواب جهنم ، وحسبُها ندامة وخجلا انها امرأة ، وينبغي أن تستحي من حسنها وجمالها ، لانها في نظر تلك المجتمعات سلاح إبليس الذي لايوزيه سلاحا آخر [٩]، واعطي للمرأة دورا اسطوريا شريرا على الاغلب ، حتى ان اسطورة (باندورا) [١٠] ، كانت تروي كيف ان المرأة هي رمز الغواية والانتقام وجلب اللعنة للبشرية[١١] ، كما عدها (المرأة) افلاطون دون الرجل في الدرجة لا في النوع ، فاذا ما أرادت ان تتساوى مع الرجل ، فعليها أن تتخلى عن العاطفة ، اما الاطفال ، فلا يسمح لها برؤيتهم[١٢] ، أما (ارسطو) فيجعل المهمة الاساسية للمرأة هي طاعة زوجها والمحافظة على أمواله [١٣].

فمعاملة المراة عند الاغريق تتفاوت بين مملكة واخرى ، ففي مدينتي اثينا وايونيا مثلا ، لم يسمح للنساء بمغادرة البيت أو مجالسة الرجال وكن محرومات من القراءة والثقافة العامة ، ومحرومات من المزايا الاقتصادية ، كالارث ، وعدهُن الاثينيون من الممتلكات الخاصة ، ورجسا من عمل الشيطان ، ولم يسمح لنسوة مدينة قرطاجة ان يظهرن في الاماكن العامة ، الاَ وهن محجبات[١٤] ، حيث يصف المؤرخ(ديكايرش) حجاب نساء مدينة طيبة اليونانية ، قائلا : ((انهن كن يلبسن ثوبهن حول وجههن بطريقة يبدو معها وكأنه غطي بقناع ، فلم يكن ير منهن الاَ العينين))[١٥] ، ومع تدهور الحضارة الاغريقية وتعرض أثينا للمخاطر من كل حدب وصوب ، اجبرت المراة على التحجب ، وعزلت في ركن من أركان المنزل ، حتى لاتتعرض لمخاطر السبي ، واوقف العبيد والكلاب المدربة لحراستها ، وربما تزامن هذا مع انتشار الملكية الخاصة التي أكدت على تحجب المراة وتقوقعها في المنزل حفاظا عليها كملك خاص لايجوز الاعتداء على حرمته ، ضمانا لنقاء سلالة الاولاد الذين سيصبحون ملاَك المستقبل ومن مقتنيات والدهم وأراضيه وعبيده ونسائه [١٦]، وهكذا باتت المراة في المجتمع اليوناني جزءا من مقتنيات الاشخاص والحفاظ عليها لايتعدى الحفاظ على تلك الملكية وانجاب الاولاد المحاربين واصحاب النفوذ . وهذا ما اكده (فردريك انجلز) في كتابه : (اصل العائلة والملكية الخاصة والدولة) ، حيث عُدت النساء والعبيد جزءا من ممتلكات الدولة ، حتى ان هذه الحقبة من الزمن قد وردت في أشعار (هوميروس Homeros [١٧] ووردت فيها كثير من الاحداث والتفاصيل التي تروي احداث تلك الفتره.

ولعل مايبرر التضييق على النساء في تلك الفترة راجع الى شيوع الانحطاط الاخلاقي ، فكانت الفتاة لاتغادر منزلها حتى يتم زفافها ، ولايسمح لها بمشاهدة زوجها ، الاَ ليلة زفافها ، وقد اندهش (كلوريتيوس) احد مؤرخي الحضارة اليونانية والرومانية، ان رجال الاغريق كانوا يشعرون بالعار ، اذا اصطحب الزوج زوجته الى مادبة طعام [١٨]، ويمكن القول ان ترسيخ المفهوم الطبقي وعدم سيادة الامن والاستقرار وما ينتج عنهما من سبي للنساء في الحروب ، كانت من اهم الاسباب التي دعت الى الهبوط بكانة المراة في الآشوري أوالمجتمع اليوناني .

المبحث الثاني:العنف في اللغة والاصطلاح :

تنحدر كلمة العنف من الكلمة اليونانية (Violence) والتي تدل على سمات العنف والوحشية والقوة ومشتقة من من الفعل (Violare) التي تعني الحاق الاذى والانتهاك وما الى ذلك[١٩] .

ويعرف (باص) العنف بانه السلوك الذي يصدره الفرد لفظيا أو بدنيا اوماديا ، صريحا او ضمنيا ، مباشر او غير مباشر ، ويترتب على هذا السلوك الحاق اذى بدني او مادي للشخص نفسه او للآخرين . اما (برترام) ، فانه يرى بانه سلوك يصدر من فرد او جماعة[٢٠] . علما ان العدوان لايعد مفهوما طبيعيا مكتسبا في فطرة الانسان ، كما أشاع ذلك بعضا من علماء التحليل النفسي والتربوي ، بل ان عوامل التنشئة الاجتماعية والتربوية في بيئة النسان هي المسؤولة عن تعزيز ونمو تلك الظاهرة وغيرها من الظواهر التي تبعث على تاصيل عوامل العنف لدى الفرد ([٢١]) . والعنف هو ضد الرفق ، والخرق بالامر وقلة الرفق به ، ويعطي على الرفق ما لايعطي على العنف ، وعنفته تعنيفا ، غيرته ولمته ووبخته بالتقريع ، والعنيف من لارفق له ، وقيل هو الذي لايحسن الركوب ، وقيل : هو الذي لاعهد له بركوب الخيل ، قال امرؤ القيس [٢٢] :

يُزِلُّ الغُلامَ الخِفَّ عَنْ صَهَواتِهِ ويُلْوي بأَثوابِ العَنيفِ المُثَقَّلِ

اي لم يركبوا الخيل الا بعدما هرموا ، فهم ثقال على اكتافها دلالة على العنف، فالعنيف : الشديدُ من القول ، قال الأصمعي: معنى الشطر الثاني من البيت الشعري اعلاه : ويلوى بأثواب العنيف ، يرمى بثيابه ، أي يذهبها ويبعدها ، والعنيف: الذي ليس برفيق والمثقل: الثقيل ، وان هذا الفرس يرمي بثياب الرجل العنيف من على ظهره لثقل وزنه[٢٣] .

والعنف هو الشدة والمشقة (وعنَف تعنيفا : عامله بشدة ، ولامه وشده ، وعتب عليه[٢٤] ، والعنيف اذا اخذ الشيء بعنف ، وهذه إبل معنفة ، اذا كانت في بلد لايوافقها ، والتعنيف : التعيير واللوم ، [٢٥] . وقد ورد إن النبيَّ ﷺ قَالَ : ((إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفقَ، وَيُعْطِي على الرِّفق ما لا يُعطي عَلى العُنفِ، وَما لا يُعْطِي عَلى مَا سِوَاهُ)) [٢٦] وأَنَّه ﷺ قَالَ : ((الرِّفقَ لا يَكُونُ في شيءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلا يُنْزَعُ مِنْ شَيءٍ إِلَّا شَانَهُ)) [٢٧] و((إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ)) [٢٨] .

فالعنف إذاً سلوك مشوب بالقسوة والعدوان والقهر والاكراه وهو عادة بعيد عن سلوك التحضر والتمدن ، ويمكن ان يكون العنف فرديا أوجماعيا ، ويرى(للالاند) في موسعته الفلسفية ، ان مفهوم العنف يرتربط احيانا بالانتقام أو الثار ، كردة فعل من الضمير الاخلاقي المهان ، وهو ايضا قد يتسبب بالقتل أو التشويه أو الجرح [٢٩]، وهو الاستخدام غير الشرعي للقوة والتهديد باستخدامه لالحاق الاذى بالآحرين ، [٣٠] سواء كان ذلك بالاشخاص او بالممتلكات من اجل تحقيق اهداف غير قانونية مرفوضة اجتماعيا ([٣١]) ويرى (حجازي) ، ان العنف مرتبط بالعجز عن الحوار ، او لغة التخاطب الممكنة مع الآخرين ، حين يحس المرء بالعجز عن ايصال صوته ، بوسائل الحوارالعادي ، وحين تترسخ القناعة لديه بالفشل في اقناع الطرف المقابل ، للاعتراف بكيانه او قيمته [٣٢] .

العنف هو الاستعمال المتعمد للقوة المادية او القدرة سواء بالتهديد او الاستعمال المادي الحقيقي ضد الذات او شخص او ضد مجتمع بحيث يؤدي الى الاضرار او احتمال حدوث اصابة ، او موت أو ضرر نفسي او سوء نمو او حرمان [٣٣] ويرى العقاد ، ان العنف هو استجابة سلوكية تتميز بصفة انفعالية شديدة قد تنطوي على تنطوي على انخفاض في مستوى التفكير والبصيره [٣٤] اما (البشري) فيعرفه بأنه : السلوك الذي يتضمن استخدام القوة في الاعتداء على شخص دون ارادته ، او الاتيان او الامتناع عن فعل او قول من شأنه ان يسيئ الى ذلك الشخص ، ويسبب له ضررا نفسيا او اجتماعيا [٣٥] ، ام(سلفيا) فيري العنف ، هو تهديد أو محاولة استخدام القوة بشل فعلي مما يؤدي الى الاذى البدني وغير البدني[٣٦] .

والعنف ايضا هو استخدام القوة ووسائل الضبط بشكل غير مشروع وغير مطابق للقانون ، من شانه التأثير على ارادة الفرد[٣٧] .

مصطلحات ذات صلة بالعنف :

(العدوان Aggression): لقد ورد لفظ العدوان في القرآن الكريم في في مواضع عديدة ، وبحسب دلالاتهها ومناسباتها االتي وردت فيها ، وكيفما يكم من امر ، فأنها جميعا تدل على أن العدوان امر قبيح نهى عنه القرأن الكريم جملة وتفصيلا ، سواء ماكان منه بالاعتداء اللفظي أو المادي أو المعنوي [٣٨].

ويعرف (شابلين) (العدوان) على انه هجوم او ردة فعل موجهة نحو شخص ما او شيئ ما ، كما يعني الرغبة في الاعتداء على الآخرين أو ايذائهم او الاستخفاف بهم او السخرية منهم باشكال مختلفة لغرض انزال أضرار او عقوبة بهم ، او اظهار التفوق عليهم [٣٩] .

اما (الغضبanger): فقد ورد في ثلاثة وعشرين موضعا في القرأن الكريم [٤٠]، وعموما فإنه يشير الى عدم الرضا عن شيئ ما وقد تأتي بمعنى العقوبة والانتقام [٤١]، وهنا يفرق الباحثون بين السلوك العدواني والغضب ، بقولهم : ان الافراد العدوانيين يمضون في عدوانيتهم حتى يصبحون خطرا ، ويتمثل في سلوكهم العنف الخطير ، أمما الغضب فينتهي بأنتهاء الموقف الذي أحدثه [٤٢] .

ويرى (البرت باندروا) ، ان السلوك العدواني والعنف الاجتماعي ، ياتي من محاكات (Imitation) الناس المحيطين به من خلال التقليد ، او الاقتداء بسلوك الأخرين [٤٣] . وويرى (بولاهايمن) انه في حال القسوة العليا يحدث نوعا من الكارثة النزوية ، حيث تستيقظ نزوة الموت داخل االشخص ، الى درجة قصوى ، من دونن امكانية تلطيفها بنزوة الحياة [٤٤] . أما (هارمور) فيرى أن العنف يرتبط بالعدوان وأنه نشاط تجريبي يتضمن عنفاً في حد ذاته ، و يعرف (صمويل) العدوان بأنه سلوك القصد منه إحداث الضرر الجسمي أو النفسي لشخص آخر أو يسبب التلف المادي لشيئ ما، أما (باندورا) فيعرف العدوان بأنه سلوك يؤدي إلى الضرر الشخصي وتدمير الممتلكات ويري حجازي أن العنف (هو الجانب النشط من العدوانية وفي هذه الحال تنفجر العدوانية صريحة مذله في شدتها واجتياحها لكل الحدود)[٤٥] .

المبحث الثالث: ابرز أشكال العنف

ان للعنف اشكالاً منها :

اولا : العنف اللفظي والنفسي :

يعد العنف اللفظي او النفسي واحدا من اخطر مظاهر العنف التي تترك بثارا سية وبالغة على المرأة ، وهو مايتوقف عند حدود الكلام ، مثل الشتم او السباب ، او وصف المراة بصفات سيئة ، او مناداتها بما تكره او اهانتها بسوء او مخاطبتها بصوت صارخ [٤٦] ، مما يجعل المراة تشعر بالإحباط والدونية والرغبة في رد العنف بعنف مضاد ، حتى بات ان بعض العادات والتقاليد المتبعة تعد دونية المرأة ، أمراً ايجابيا للمحافظة على الاسرة ، ومبررا لاستخدام العنف ضد المرأة [٤٧] ، وهذ النوع من العنف لايرافق معه عنف جسدي ، فقد يكون متمثلا بالاهمال والهجر والامتناع عن فعل ، كالحرمان من إمتياز او شيئ مرغوب فيه ويدخل في العنف اللفظي ، كالشتم والتهديد والنعت بالقبح من صفات الحقير [٤٨] .

ويعطينا الادب العربي نماذج حية مما يمثل بحد ذاته العنف النفسي ، ففي وصف البنت جسميا ومعنويا ، نلاحظ التباين الاجتماعي واختلاف النظرة للطفلة (البنت) دون الذكر ، في نظرة خطابية تعبر عن تدني مكانة البنت او المراة عموما في نظرة المجتمع اليها ، عبر منظور ال(الجنس) (الانثى) الذي يجعل من المرأة مجرد وعاء للشهوة ، أو الرغبة ، وأسوأ ما في هذ الخطاب أنه يصدر من الاب تجاه ابنته [٤٩] ، يقول الراجز لأبنته [٥٠]:

جارِيَةٌ أَعْظَمُها أَجَمُّها قد سمنتها بالسويق امها
فبدت الرجل فما تضمها فهي تَمَنَّى عَزَباً يَشُمُّها

فهذا الخطاب للبنت لا يحمل عطفا ، ولا اعجابا ، بل هجاءً للإبنة والام ، وتغيب معه روابط القلب والاسرة معا بين الاب والابنة والزوجة ، وكأن الانثى باتت شيئاً مادياً مجرداً ، حيث يصف الطفلة الاثى بالجارية ، أجمها ، سمنتها بالسويق ، وقوله : فهي تمنى عزبا يشمها أي : تواقة للزواج باي طريقة [٥١].

ثانيا : العنف الجسدي : ويقصد به استخدام القوة الجسدية ضد المرأة ، بغية ايذائها او الحاق الضرر الجسمي فيها كليا أو عضويا ، او عن طريق الضرب أو الخنق اوالعنف والاذى الجنسي [٥٢] ، وهو ايضا الحاق الاذى او الضرر بالموضوع الذي يمارس عليه العنف في البدن او في الحقوق او المصالح أو الامن

، سواء بالوسائل المادية التي تلحق الاذى الجسمي ، باساليب التهديد والاجبار على الخضوع بما يمس حياة جسم المعتدى عليه ، وتهدد حق الحياة لدى الفرد والجماعة ، ويمكن ان تص الى حد القتل ، [٥٣] وتعد القوة الجسدية التي يمتلكها الرجل الوسيلة الاخيرة التي يلجأ اليها بعد فشل محاولة إسترداد شيئ ما عن طريق القوة البدنية اوالانفعالية [٥٤] .

المبحث الرابع: نماذج من ظواهر وممارسات العنف ضد المرأه

اولا : ظاهرة الوأد وآثارها السلبية على المرأة (الام)

لقد اكدت امهات المصادر التأريخية وغير التاريخية بحقيقة حادثة وأد البنات ، كظاهرة اجتماعية ، او دينية ، ناهيك عن ذكرها في القرن الكريم ، واذ ليس من مضمون البحث التدقيق والتأكيد على اثبات ماهو مثبت ، او الاسهاب فيه ، بقدر مايهمنا دراسة مايستلزمه بحثنا ، من خلال ما يصاحب هذه الظاهرة ومايانتج من تداعيات هذه الممارسة من مظاهر العنف النفسي والمعنوي والجسدي في آن واحد ، وليس أدل من ذلك مماذكره القرآن الكريم بهذا الشأن في عدة مناسبات .

واذ يرى المرحوم الدكتور جواد علي ، ان حمل العرب الجاهليين على واد البنات او قتل الاولاد ، هو من بقايا الشعائر الدينية التي كانت في العالم القديم ، وتقديم الضحايا البشرية الى الآلهة الهدف منه بحسب معتقداتهم هو خير المجتمع وصلاحه وارضاء تلك الآلهة ، وإنه ليس من المستبعد ان الوأد أو قتل البنات هو من بقايا تلك الشعائر ، والغريب انه يكون بالدفن ، بينما العادة في تقديم الضحايا للآلهة ، الذبح او الطعن ، كي يسيل الدم من الضحية ليبرد غضبها ، وهو الغاية ، لانه مخصص للآلهة ، وعموما مها يكن من ممارسة تلك الاضاحي ، فأنها عبادة معروفة لدى الامم الاخرى لأرضاء الآلهة والاستجابة لمطاليبها [٥٥] . حيث حاول الرجل في المجتمعات القديمة وابالاخص بعد مرحة تدجين الحيوانات ، ان يظم الرجل المراة والاولاد الى ممتلكاته وان تشبع غرائزه الجنسية فقط ، حتى بات يغار من الاطفال ، لانهم يشغلون المرأة عنه ، فتضطر المراة مجبرة وكارهة على غفطام أطفالها ، او يقدم الاب على قتل الاطفال ، او ان يستخدم بعض الذكور لأعمال السخرة كعبيد ، والاناث لأشباع غرائزه الجنسية [٥٦] .

ولم ينفرد العرب قبل الاسلام بهذه الظاهرة ، بل نجد ذلك عند غيرهم من الامم الاخرى ، مثل المصريين القدماء واليونان والرومان ، وقد حملهم على ذلك عوامل عديدة ، منها اقتصادية كالخشية من الفقر ، او دينية ، مثل الاعتقاد بحلول الارواح ، ومنها صحية ، كأن يكون المولود ضعيفا او كسيحا فيقضي عليه الوالدان [٥٧] .

وفي حياة العرب قبل الاسلام ظواهر وحوادث عديدة تدلل على ذلك ، فقد روي عن ابن عباس (رضي الله عنه) ، ان المراة الحامل كانت اذا قربت ولادتها فمخضت على راس حفرة ، فاذا ولدت بنتا ، رميت في تلك الحفرة ، وردت التراب عليها ، واذا ولدت ولدا حبسته ([٥٨]) وفي ذلك قال الراجز [٥٩]:

سميتها اذا ولدت تموت والقبر صهر ضامن زميت

ويتجلى قساوة المعنى الذي يتمناه الراجز هنا، الذي يسمي وليدته الجديدة (يموت) تيمنا بموتها الذي نعته بالصهر (القبر) فهو ، بضنه ، خير (ضامن) وأكثر سكنا ووقار ، وهذا مادلت عليه كلمة (زميت) [٦٠] ، مما يدل على إحتقار المجتمع الجاهلي للمرأة وجود الفقر الشديد في تلك الحقبة الزمنية، والمرأة كانت مستهلكة غير منتجة، فضلا عن عدم اشتراكها في الغارات التي تقوم بها القبيلة لتوفير لقمة العيش والخوف من وقوع النساء أسارى في شباك الأعداء، نتيجة للمعارك التي كانت دائرة على الدوام بين القبائل، لأنّ في هكذا أسر جرح للشرف وإذلال شديد ، فتجمعت هذه الأسباب فضلا عن أسباب أخرى فأدت إلى ظهورعادة (الوأد) الوحشية بين بعض أفراد القبائل [٦١] .

وكان الوأد مستعملا لدى بعض من القبائل ، العربية قبل الاسلام ، من امثال بكربن وائل ، وكنده ، وتميم ، وقيس ، وهذيل ، واسد ، وخزاعة ، وكنانة ، وغيرها [٦٢] ، وتذكر بعض المصادر ، أن أول من سن الوأد في العرب، هو "قيس بن عاصم المنقري والظاهر أن وأد "قيس" لبعض من بناته ، ووجوده في تميم خاصة بسبب شيوعه عندهم أكثر من بقية القبائل الاخرى، حمل أصحاب الأخبار على إرجاع أصله وأساسه إلى "قيس"، مع أنهم يذكرون حوادث عن الوأد، مثل ما ذكروه عن "سودة بنت زهرة" الكاهنة، تتقدم في الزمن على "قيس" [٦٣]. فالموُءودة عند العرب البنت المدفونة حيَّة خوف الفقر وخوف أسرها في

عمليات الغزو والسطو، والحمية كعامل اجتماعي مفاده الخشية من لحوق العار بالمرأة من السبي والغزوات ، والمرأة بالاسر تكون فريسة لآسريها وهي ليست بقادرة كالرجل على اعانة نفسها ، لذلك صارت البنت هدفا للوأد اكثر من الرجل [٦٤] ، او خوف الفقر والاملاق كما اشار الى ذلك القرآن الكريم ((وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُم إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْءًا كَبِيرًا)) [٦٥] . وممن فعل ذلك قيس بن عاصم المنقري وكان من وجوه قومه ومن ذوي المال وكان سبب ذلك أن النعمان بن المنذر أغزاهم جيشا فسبوا ذراريهم فأناب القوم وسألوه فيهم فقال النعمان كل امرأة اختارت أباها ردت إليه وكل من اختارت صاحبها تركت معه فكلهن اخترن آبائهن إلا ابنة لقيس بن عاصم ، فإنها اختارت صاحبها عمرو بن الجموح ، فنذر قيس أن لا يولد له ابنة إلاَّ قتلها فكان يقتلهن بعد ذلك [٦٦] .

وقد ورد ان قيسا بن عاصم التميمي ، جاء الى النبي ((صلى اله عليه وآله وسلم)) فقال : اني وأدت ثلاث بنات كن لي في الجاهلية ، قال : ((فأعتق عن كل واحدة منهن رقبة))[٦٧] .

فالمرأة في الجاهلية إذا حملت فحان أوان ولادتها حفرت حفرة فتمخضت على رأس تلك الحفرة، فان ولدت بنتاً رمت بها في تلك الحفرة ، وإن ولدت غلاماً حبسته [٦٨] . وقد يتخذ الوأد أشكالا اخرى مثل الدس في التراب ، او يهلكه بأمر آخر بأن يلقيه من شاهق [٦٩] ، وكان بعضهم يغرقها ، وبعضهم يذبحها [٧٠] .

وقد ورد في تفسيرالآية القرآنية الكريمة : ((قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ))[٧١] انها نزلت فيمن يئد البنات من قبيلتي ربيعة ومضر ، وكان الرجل يشترط على امرأته ان تستحيي جارية وتئد اخرى ، فاذا كانت الجارية التي توأد ، غدا الرجل او راح من عند امرأته ، وقال لها : انت علي كظهر امي ان رجعت اليك ولم تأديها ، فتخد لها في الارض خدا وترسل الى نسائها فبجتمعن عندها ، ثم يتداولنها حتى اذا ابصرته راجعا دستها في حفؤتها ثم سوت علها التراب [٧٢] .

وروي ان رجلا أتى الى النبي ((صلى اله عليه وآله وسلم)) فقال : يارسول الله ، اني اذنبت ذنبا في الجاهلية فاخاف ألاَّ يغفر الله لي وان اسلمت ، فقال له: أخبرني عن ذنبك، فقال: يا رسول الله، إني كنت من الذين يقتلون بناتهم، فولدت لي بنت فتشفعت إلي امرأتي أن أتركها فتركتها حتى كبرت وأدركت، وصارت من أجمل النساء فخطبوها، فدخلتني الحمية ولم يحتمل قلبي أن أزوجها أو أتركها في البيت بغير زواج، فقلت للمرأة: إني أريد أن أذهب إلى قبيلة كذاوكذا في زيارة أقربائي فابعثيها معي، فسرت بذلك وزينتها بالثياب والحلي، وأخذت علي المواثيق بألا أخونها. فذهبت إلى رأس بئر فنظرت في البئر ففطنت الجارية أني أريد أن ألقيها في البئر فالتزمتني، وجعلت تبكي وتقول: يا أبت إيش تريد أن تفعل بي ؟ فرحمتها، ثم نظرت في البئر فدخلت علي الحمية، ثم التزمتني وجعلت تقول: يا أبت لا تضيع أمانة أمي، فجعلت مرة أنظر في البئر ومرة أنظر إليها فأرحمها حتى غلبني الشيطان فأخدتها وألقيتها في البئر منكوسة، وهي تنادي في البئر: يا أبت، قتلتني. فمكثت هناك حتى انقطع صوتها فرجعت. فبكى رسول الله صلى الله عليه وآله وأصحابه، وقال: ((لو أمرت أن أعاقب أحدا بما فعل في الجاهلية لعاقبتك)) [٧٣].

وتشيرالآية الكريمه : ((وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ، يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ)) [٧٤]، وفي هذه الآية وصف للحالة النفسية التي كانت تعتورالأب عند إخباره بميلاد بنت له، وشرح لبعض الأسباب التي كانت تحمل الآباء على وأد البنات. ويروى أن بعض الجاهليين يتوارى في حالة الطلق، فإن أُخبر بمولود ذكر ابتهج ، أو بأنثى حزن، وبقي متواريًا أيامًا يدبر ما يصنع أيتركه ويربيه على ذل، أم يدسه في التراب، بأن يئده ويدفنه حيًّا حتى يموت، أم يهلكه بأمر آخر، بأن يلقيه من شاهق . وروي أن رجلًا قال: يا رسول الله، والذي بعثك بالحق ما أجد حلاوة الإسلام منذ أسلمت. وقد كانت لي في الجاهلي بنت وأمرت امرأتي أن تزينها وأخرجتَها فلما انتهيت إلى وادٍ بعيد القعر ألقيتها، فقالت: يا أب قتلتني! فكلما ذكرت قولها لم ينفعني شيء. فقال الرسول (صلى الله عليه وأله وسلم): ((ما في الجاهلية فقد هدمه الإسلام، وما في الإسلام يهدمه الاستغفار)) [٧٥] .

ولعل من سوء حظ المرأة اذا كانت ممن تلد البنات ولم تلد البنين ، مما يؤدي الى هجرة زوجها لها وفراره منها ،ويروى أن بعض الجاهلية يتوارى في حال الطلق فإن أخبر بذكر ابنته أو بأنثى حزن وبقي

متواريا أياما يدبر فيها ما يصنع أَيُمْسِكُهُ أيتركه ويربيه عَلى هُونٍ أي ذل ، ومن النساء من تكون خصبة في ولادة البنات، فيجلب لها هذا الخصب هجر زوجها لها وفراره منها ومن رؤية بناته. يحدثنا الأصمعي أن امرأة ولدت لرجل بنتًا سمتها (الذلفاء) ، فكانت هذه البنت سببًا في هرب الرجل من البيت، فقالت [٧٦]:

ما لأبي الذلفاء لا يأتينا يظل في البيت الذي يلينا؟
يحرد أن لا نَلِدَ البنينا وإنما نأخذ ما يعطينا

ومثل تلك المرأة المسكينة كثير من النساء هجرهن أزواجهن لكثرة ما كن يلدن لهم من البنات، ولسان حالهن يكرر كلمات أم الذلفاء. ويذكر ان ابا نُخيلة الشاعرالمخضرم ، كان قد تزوج بامرأة من عشيرته ، فولدت له بنتا فغمه ذلك ، فطلقها ، ثم ندم على ذلك ، ولما عاتبه قومها ، فرجع اليها ، وسمع صوت ابنته وامها تداعبها فحركه ذلك والهب مشاعره بالحنين اليها ، فقام اليها ، فأخذها وجعل يزينها بابيات يفوح منها الألم والحزن وحرقة القلب [٧٧] ، ويتكرر مشهد هجران الوالد للزوجة التي تلد البنات وكانها ارتكبت كبيرة، الاَ ان بعض الآباء والامهات يحاولون تعزية انفسهم ببعض الفوائد المرتجاة من البنات ، وذكر بعض الخصال التي يتميزن بها عن الذكور ، ومن ذلك مارجزه ابو النخيلة لابنته التي رق قلبه لها ، بعد ان كان قد هجر أمها ، لانها ولدت بنتا قائلا [٧٨]:

يا بنت من لم يكُ يهوى بنتا
ما كنت الا خمسة او ستا حتى حللت في الحشى وحتى
فتتِّ قلبي من جوى فانفتّا لأنت خيرٌ من غلام أنتا

حيث رقّ لها ، بعد ان يعترف ان حبها استوطن قلبه ، وانها ما أن بلغت الخامسة او السادسة ، إلاَ وقد فتت حبها الجوي في قلبه ، والاخطر من ذلك اعترافه بأن حب البنت عادةً موجود لدى الجميع فعبر عن ذلك بقوله : من لم يم يهوى بنتا ؟ مبديا عدم القدرة عن التغاضي عن حب البنت والشفقة عليها [٧٩].

وبمكة جبل يقال له "أبو دلامة" كانت قريش تئد فيه البنات وذكر أن هذا الجبل يطل على "الحجون" [٨٠] ، وذكر المؤرخون أن بعضا من العرب بالغ في ظلم البنات وإهانتهن، فمنهن من كان إذا ولدت له بنت ألبسها جبة من صوف أو شعر وأرسلها في البادية ترعى إبله ، وإن أراد أن يقتلها تركها، حتى إذا بلغت من العمر ست سنوات، قال لأمها: طيبيها وزينيها حتى أذهب بها إلى أحمائها، وقد حفر لها بئراً في الصحراء، حتى إذا بلغها قال لها: "انظري فيها" ثم يدفع من خلفها ويهيل عليها التراب، حتى تسوّى البئر بالأرض، ومنهم من كان يفعل ما هو أنكى من ذلك وأقسى وقد ذهب في هذا الوأد ضحايا كثيرات من الإناث البريئات، حتى جاء الاسالم ونهى عن ذلك [٨١] .

ونتيجة لشدة الآلام النفسية والبدنية العنيفة التي يتركها الوأد في بعض ذوي القوب الرقيقة ، نرى ان بعض الموسورين سعوا لأفتداء البنات من القتل بدفع تعويض الى اهلها واخذهن لتربيتهن ، فكان صعصعة بن ناجية ، جد الفرزدق الشاعر المعروف ، ومن اشراف تميم ، يشتري البنات ويفديهن من القتل ، كل واحدة منهن بناقتين عشراوين وجمل ، حتى اذا ما جاء الاسلام وعنده ثلاثون موؤدة [٨٢] ، وقد اشار الفرزدق مفتخراً بصنع جدِه صعصعة بن ناجية قائلاً [٨٣]:

وجدي الذي منع الوائدات واحيا الوئيد فلم يوأد

كما كان عمر ابن الطفيل يحي الموؤودة من الاملاق ، ويقول الرجل اذا اراد ان يوأد البنات : لاتفعل ذلك أنا أكفيك مؤونتها ، فيأخذها ، فاذا ترعرعت وعاشت قال لأبيها : ان شئت دفعتها اليك ، وان شئت كفيتك مؤونتها ، حتى قيل في ذلك لذا قال الفرزدق متباهيا [٨٤]:

ومنا من أحيا الوئيد وغالب وعمرو ومنا حاملون ودافعوا

وهكذا كان كثير من العرب يكرهون بناتهم ، ويرون ان ولادتهن مصيبة عليهم ، أنفة من العار ، وهربا من مؤونتهن وتربيتهن ، وقد سأل أحدهم عن ولده ، فقيل له : كم ولدك ؟ قليل خبيث . فقيل له : كيف ؟ قال: لا أقل من واحد ، ولا أخبث من أنثى ، وقال آخر في ابنته التي تبالغ في بره واكرامه : [٨٥] ، وفي ذلك يقول لإسحاق بن خلف ، في بنت أخت له تسمى أميمة كان حدِباً عليها كلِفاً بها[٨٦] :

لولا أَمَيْمَةُ لم أجْزَعْ من العَدَمِ ولم أُقاسِ الدُّجى في حِنْدِسِ الظُّلَمِ
وزادَني رَغْبَةً في العَيْشِ مَعْرِفتي ذُلَّ اليتيمةِ يجفُوها ذَوُو الرَّحِمِ

أُحاذِرُ الفَقْرَ يوْماً أنْ يُلِمَّ بها فيَهْتِكَ السِّتْرَ عن لَحْمٍ على وَضَمِ
تَهْوَى حَياتي وأَهْوَى مَوْتَهَا شَفَقاً والمَوْتُ أَكْرَمُ نَزَّالٍ على الحُرَمِ
أخْشَى فَظَاظَةَ عَمٍّ أوْ جَفَاءَ أَخ وَكُنْتُ أُبْقِي عَلَيْهَا مِنْ أَذَى الكَلِمِ

يقول هي راغبة في أن أعيش لها وأنا أود موتها خوفا من أن أراها في هذه الحال التي تقاسي منها الذل والفقر والموت للنساء خير لهن من تلك الحال
أخشى فظاظة والفظاظة الغلظة وسوء الخلق ، أو جفوة أخ تلحقها وما كنت أسمعها كلمة تؤذيها فضلا عن الغلظة والجفاء[٨٧] .

وكان الجاهليون يفضلون من المواليد البنين على البنات، وقد دعاهم إلى ذلك عوامل عديدة ؛ فالأولاد يصبحون في المستقبل محاربين، تعتمد عليهم القبيلة في الدفاع عن حماها وفي الكسب، بينما تكون البنت عبئًا ثقيلًا تحتاج إلى حماية، أو قد تجلب العار إلى قبيلتها فيما إذا تعرضت للسبي [٨٨] .

ثانيا : الاكراه والاجبار والاستضعاف:

ان استخدام الضَّغط أو القوَّة استخدامًا غير مشروع من شأنه التَّأثير على إرادة فرد ما ، وكره الشيء كرهاً وكراهة وكراهية: خلاف أحبه فهو كريه ومكروه ، وأكرهه على الأمر: قهره عليه، وكره إليه الأمر، صيره كريهاً إليه، والمكره : ما يكرهه الإنسان ويشق عليه، وجمعه مكاره ،حمل الغير على أمر يمتنع عنه، بتخويف يقدر الحامل على إيقاعه، ويصير خائفاً من دون رضى ، إذا أكرهته عليه، قال ابن سيده: الكره الإباء والمشقة تحتملها من غير أن تكلفها [٨٩] وما يعد في صدق عنوان الإكراه ، أن يكون ما توعّد به مضرّاً بالمكرَه في نفسه أو من يجري مجراه من والديه وولده وأقاربه، من قتل أو جرح أو ضرب شديد أو حبس أو شتم أو أخذ مال مضرّ به، ويختلف ما عدا القتل والجرح باختلاف طبقات الناس ومراتبهم ، وكان الرجل منهم من يتهم أزواجه بالزنا ويرميهن بالفاحشة ، لأسباب عديدة ، منها الرغبة في التخلص منهن ، او انتقاما لأهلهن ، او عضلا لهن ، فلايتزوجن ويحبسن في البيوت ، حتى يتوافاهن الموت [٩٠] .

وعلى الرغم من استهجان ورفض الزنا والبغاء عند العرب ، إلَّا ان بعضهم كان ممن يكره جاريته على الزنا بدليل تفسير الاية القرانية الكريمة : ((ولاتُكْرِهُوا فتياتِكُمْ علي البغاءِ إنْ أردنَ تحصُّناً))[٩١]، حيث راى فيها المفسرون انها نزلت في معاذة ومسيكة ، جاريتي عبد الله بن ابي المنافق ، كان يكرهها على الزنا لضريبة يأخذها منها وكذلك كانوا يفعلون قبل الاسلام بأن يؤاجرون اماءهم ، [٩٢] وقد قال مقاتل : ان هذه الآية نزلت في ست جوار لعبد الله ابن ابي كان كان يكرههن على الزنا وياخذ أجورهن وهن : معاذة ، ومسيكة ، واميمة ، وعمرة ، وأروى ، وقتيلة ،[٩٣] فجاءت احداهن ذات يوم بدينار ، وجاءت اخرى بدونه ، فقال لهما : أرجعا فازنيا ، فقالنا : والله لا نفعل ، فقد جاء الله بالاسلام وحرم الزنا فأتيا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وشكتا اليه ، فأنزل الله تعالى تلك الآيه[٩٤]، مما يدل على أن هذه الظاهرة كانت فعلاً موجودة ، وقد تكون على نطاق ضيق .

طبيعة الزواج :

ان من انوع الزواج عند العرب ما يسمى بالخلع ، وهو الطلاق على ماتدفعه الزوجة عادة ، أي ماتدفعه المتوفى عنها زوجها الى ابنه الاكبر[٩٥] ، الذي له الحق في ان يتزوجها من دون مهر بعد وفاة ابيه ، وله ان يتركها بلا زواج حتى تتوفى [٩٦] ، فإن لم يكن للزوج اخ ورثها، واذا ما رفض الزواج منها وجب ان ينصب نفسه ولياً اقرب الرجال الى الزوج نسبا عليها وتختلف هذه العادة باختلاف القبائل والجهات [٩٧] .

وهناك ايضا الزواج بالعضل ، وقد كان شائعا عند قريش بكة ، فكان الرجل ينكح امرأة شريفة ذات يسار، فأن لم توافقه عضلها ، اي فارقها ، وليس لها أن تتزوج ، الاَ برضاه ، فهي تضطر لانتدفع له مالا لارضائه ليسمح لها بالزواج ، والاَ ابقاها ،معضولة [٩٨] .

ذلك لأن غالب أحوالهن أن يكنّ مجبورات على ذلك ، إذ كان أولياء زوجها أحق بها من أولياء نفسها ،وقد يُمسَكْنَ من دون تزويج حتى يمتن فيرثون أموالهن ، أويمسكن في حجرة يتيمة لها مال فيكره أن يزوجها غيره [٩٩] تمنعوهن من الزواج حتى يضجرن ؛ فيفتدين ببعض مالهن [١٠٠] ، ((وكان الرجل يقع على أمَة قوم ، فيبتاع ولدها فيرغب فيدعيه ويشتريها فيتخذها امرأة)) [١٠١] . وقد ذكرت مصادر الحديث والسنة الشريفة نماذج من الاحاديث التي تشير الى وجود ظاهرة الاجبار او العضل في الزواج ، فقد ورد عن ابن

عباس (رضي الله عنه) : ان جارية بكرا اتت الى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فذكرت ان أباها زوجها وهي كارهة ، فخيرها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) [١٠٢] .

ولما كان في ذلك ضررا ماديا ومعنويا يلحق بالمراة ، فقد حرمه الاسلام استنادا الى قاعدة ((لا ضرر ولا ضرار)) ([١٠٣]) .

ولما كان اصل الطلاق بيد الرجل ، فقد كان له ان يطلق زوجته ، ان راى ذلك ، من دون ان تكون الزوجة قد اجرمت او فعلت شيئا مشينا ، وانما بسبب اختلاف طبيعي في طباع احدهما كما اشار الى ذلك الاعشى [١٠٤]:

ابا جارتي بيني فأنك طالقة كذاك امور الناس غاد وطارقة
وما ذاك من جرم عظيم جنيته ولا ان تكوني جئت فينا ببائقة

والظاهران ايقاع الطلاق لم يكن يتطلب شروطا او قيودا ، بل كان فيه اجحاف بحقوق الزوجة في احيان كثيرة ، وكان الطلاق عندهم يعقبه ندم في احيان كثيرة ، يقول عروة بن الورد في ذلك [١٠٥]:

أطَعتُ الآمِرينَ بصَرْمِ سَلمى فطاروا في عراه اليستعور
سَقَوْني النَّسءَ، ثم تكنّفوني عُداةُ اللَّهِ من كذِبٍ وزُورِ
وقالوا ليس بعد فداء سلمى بمُغْنٍ، ما لديكَ، ولا فقير
ولا وأبيك لو كاليوم أمري ومن لكَ بالتَدَبُّرِ في الأمورِ
إذاً لمَلَكْتُ عِصْمةَ أُمّ وَهْبٍ على ما كان من حسك الصدور
فيا للناس كيف غلبت نفسي على شيءٍ، ويكرهُهُ ضميري
ألا يا ليتَني عاصَيتُ طَلْقاً وجباراً ومن لي من أمير

ويظهر من تلك الابيات ان خلافا ما كان بينه وبين زوجته ، او انه كان في ضيق ، الاَ ان ذلك لم يك يستوجب طلاقا ، لكن بعض المغرضين والواشين زينوا له الطلاق بعد أن سقوه خمراً ، أذهب رشده ، فأخذ على يده فطلق ، ثم ندم ندما شديدا [١٠٦] ، وعلى الرغم من ان العرب كانوا يختارون الازواج الاكفاء ، الاَ أن ذلك لايعني ان كثير منهن كن يكرهن على زواج رجال غير أكفاء ، وذلك نجده في الحزن الشديد الذي عبر عنه المهلهل التغلبي ، عندما وافق على زواج ابنته من رجل غير كفئ لها من بلاد اليمن ، ونجد ذلك في قول الشاعر[١٠٧] :

لقد فرح الواشون ان نال ثعلب شبية ضبي مقلنا وجيدها
اضَربها فقد الولى فأصبحت بكف لئيم الوالدين يقودها

وقول الشاعر :

هم جعلوها حيث ليست بحرة وهم طرحوها في الاقاص الاباعد

ويبدو ان النظام العائلي للمجنمع العربي قبل الاسلام ، ون لم يك ذلك لدى جميع الاسر ، الاَ انه على الاقل في كثير منها وبالاخص الاسر البسيطة ، كانت غالبا ما تجعل من مهور بناتها ثمنا او صفقة ، بحيث يحاول الاب ان يرفع قدر مايتمكن ، بحيث يصل الى ثلاثة أو عشرة من الابل وبطريقة تشبه نظام البيبع والشراء ، ولم يكن للبنت رأي في ذلك ، على الرغم من ان استئذان البنت في الزواج كان متعارفا عليه لدى الاشراف فقط [١٠٨] ، ولذلك لم يرفع قدر البنت في الاسر العريقة ، حيث يحكمها النظام الابوي الذي تكون البنت فيه ملكا لأبيها ، أو أخيها الاكبر [١٠٩] فقد جاء في كتاب (المحبر)، ان العرب كانت تزوج نساء آبائها ، وهو اشنع ماكانوا يفعلون ، فالذي يقال للذي يخلف على امرأة ابيه (الضيزن) ، وكان الرجل اذا مات ، قام اكبر ولده ألقى ثيابه على امرأة أبيه [١١٠]، فورث نكاحها ، فان لم يكن له حاجة فيها تزوجها بعض اخوته ، بمهر جديد ، وكان (محصن بن ابي قيس)ألقى ثوبه على امرأة أبيه كبيشة بنت معن ، من بني خطمة ، فورث نكاحها ، ثم تركها لاينفق عليها فأتت الى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم شكياة اياه ، فقالت : ((تركني لاينفق علي ولا يخلي سبيلي فألحق بأهلي)) [١١١] ، حتى نهى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ونهى عن ذلك بدلالة الآية القرأنية الكريمه ((وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا)) [١١٢] وقوله تعالى ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَعَاشِرُوهُنَّ

بِالْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا) [١١٣] ، قال المفسرون في ذلك: لايحل للرجل اذا نكح امرأة ولم يردها أوكرهها ، أن لايطلقها ، ويعضلها ، أى يحبسها ويقول لها حتى ترد ما أخذت منه ، فنهى الله عن ذلك الا ان يأتين بفاحشة مبينة ، وقد كان في العرب قبائل قد اعتادت أن يخلف ابن الرجل على امرأة أبيه. وكانت هذه السيرة في قريش مباحة ، فنهى الله المؤمنين عما كان عليه آباؤهم من هذه السيرة [١١٤].

ومما كان السائد عند العرب قبل الاسلام ، كما رد في المحبر لأبن حبيب ، زواج (الرهط) [١١٥]، وفيه يتزوج عدد من الرجال دون العشرة من امرأة واحدة ، فأن جاء اثنان فوافياها في طهر واحد ، الزم الولد باحد أقرب الرجال شبها له بعلامات معينة ، يحددها (القافه) ، وهم جماعة ممن يعرفون شبه الولد بالرجل من خلال ملاحظة بعض السمات والعلامات الدالة [١١٦].

وقد ندم عبد الله بن العجلان القضاعي على طلاق زوجته هند ، وهي من بني نهد ، لان اباه اكرهه على طلاقها ، لأنها كانت عاقرا غير ولود ، وهو يريد الولد حتى يرث الرياسة والزعامة ، فحزن عبد الله لطلاقها ومات حزناً وكمدا عليها ، وكانت هندا زوجته من احب الناس اليه ، ، فمكثت معه سنين سبعاً او ثمانياً لم تلد ، فقال له ابوه : ((انا لا ولد لي غيرك ، ولا ولد لك ، وهذه المرأة عاقر ، فطلقها وتزوج غيرها ، فأبى ذلك عليه ، فآلى ألاّ يكلمه أبدا حتى يطلقها ، فأقام على امره)) حتى مات أسفا عليها [١١٧] ، فهام عبد الله بن عجلان على وجهه ، حتى جف بريق عينيه، ونحل عوده، وسقم بدنه، ولا يملك زيارة محبوبته بسب سوء العلاقات بين قبيلته وقبيلة محبوبته ، فتقطع قلبه حزنًا ولوع ، وكان من قوله فيها [١١٨]:

فَارَقتُ هِنداً طَائِع فَنَدِمتُ عِندَ فِرَاقِهَا
فَالعَينُ تُذرِي دَمعَهَ كَالدُّرِّ مِن آماقِهَا
مُتَحَلِّباً فَوقَ الرِّدَاءِ يُجُولُ مِن رَقراقِهَا
خَودٌ رَدَاحٌ طَفلةٌ وَأُسَرُّ عِندَ عِنَاقِهَا

ومما يذكر ايضا ان مثل هذا الالم والحسرة ظهرت عند عبد الله بن ابي بكر الصديق (رض) ، اذ امره ابوه ان يطلق عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل ، وهي ابنة عم عمربن الخطاب (رض) ، لانه أحبها حبا شديدا حتى غلبت عليه وشغلته عن مغازيه ، فعزم ابو بكر على عبد الله أن يطلقها ، فقال بعد طلاقه لها [١١٩]:

اعاتك لا انساك ماذر شارق وما ناح قمرى الحمام المطوق

وقال ايضا:

لها خلق جزل وراي ومنصب وخلق سوى في الحياء ومصدق

ثالثا: المبالغة في الجزع والحزن

كانت النساء قبل الاسلام يبالغن في اظهار الحزن أو الجزع لموت عزيز او فقد حبيب ، مما يُعنف النفس ويؤلمها ، ولوكان باختيارها ، من خلال نواحها ، اورثائها لزوجا أو احد اقاربها الاعزاء ، ممن يُكرم عندها حزنا وبكاء ونوحا ، وقد يصل ذلك الحزن والجزع الى حد فيه شيء من المبالغة ، وتعرف المرأة التي ترفع صوتها ب (النياحة) و (الصالقة)، اي التي تحلق شعرها عند نزول المصيبة ، اما التي تشق جيبها فتعرف ب(الشاقة) ، فقد ذكروا ان طرفة بن العبد خاطب ابنة أخيه (معبد) بهذا البيت : ويوصيها بشق الجيب قائلا[١٢٠]:

فان مت فانعيني بما أنا اهله وشقي عليّ الجيب يا أبنتة معبد

كما كانوا يوصون بخمش الوجوه وحلق الشعور ، وذرالتراب في الرماد ، واظهار اكثرمايمكن من مظاهر الحزن والتوجيع والتألم ، ويلطمن خدودهن بايديهن ، ويلطخن رؤووسهن بالطين ويسرن حافيات ، وهن يولولن ويندبن ، وترافقهن النادبات والمولولات وهن يسرن مع الجنازة [١٢١] ، وإن ذلك يُعد من سيماء القدر والاحترام للميت ، ودلالة على شدة تألمهن لذهاب فقيدهن ، وانهن لايبالين في ايلام انفسهن وتوجيع اجسامهمن وهلاكها في سبيل المتوفى [١٢٢] ، ومن ذلك ايضا وصية لبيد لأبنته لما حضرته (طرفة بن العبد) الوفاة قائلا [١٢٣]:

تَمَنّى اِبنَتايَ أَن يَعيشَ أَبوهُما وَهَل أَنا إِلّا مِن رَبيعَةَ أَو مُضَر

***

فَقوما فَقولا بِالَّذي قَد عَلِمتُما وَلا تَخمِشا وَجهاً وَلا تَحلِقا شَعَر

وذكر عن الخنساء انها شوهدت بعد مقتل اخيها صخر تطوف بالبيت حليقة الرأس ، وهي تبكي وتلطم خدها ، وقد علقت نعل صخر في خمارها ، فلما عوتبت في ذلك ونهيت عنه قالت ابياتا منها [١٢٤]:

ولكني رأيت الصبر خيرا من النعلين والرأس الحليق

وقد علق المبرد في ان معان ودلالة حمل النعلين ، هو ان المرأة كانت اذا اصيبت بحميم لها ، جعلت في يدها نعلين تصفق بهما في وجهها وصدرها ، ولهذا أشار عبد مناف بن ربيع الهذلي الى شدة تعنيف المرأة لنفسها بقوله [١٢٥] :

ماذا يغيرابنتي دمع عويلهما لاترقدان ولا بؤسي لمن رقدا
اذا تجاوب نوح قامتا معه ضربا اليما بسبت يلعج الجلدا

ويفهم من بعض الروايات ان من عادة العرب قبل الاسلام ،حجز المراة عند وفاة زوجها في بيت صغير ، يبنون خيمة او بناء يسمونه (الحفش) ، لتقضي فيه مدة العدة ، فاذا كانت في هذا البيت ، لبست شر ثيابها ، وامتنعت عن الطيب والتزين مدة عام ، وكانت لاتغتسل ولاتمس ماء ولا تنتف من وجهها شعرا ، ثم تخرج بعد الحول بأقبح منظر ، ثم تفتض بطائر ، وتنبذه فلا يكاد يعيش بعد ذلك[١٢٦].

المبحث الثالث : الاختطاف والاسر

كان وقوع المرأة في الاسر امر مهينا بالنسبة للمغلوبين ، وكسب بالنسبة للغالبين ، وكان الصعاليك[١٢٧] يعدون الغزو والنهب وسيلة للكسب والارتزاق ، وكانت الشريفات من النساء اللواتي يوصفن ب(بيض الخدور) هن موضع سلب ، لانهن أفضل من سائر المتاع والاموال عندما يشتد وطيس الحرب ، وقيل انه لما نشبت حرب البسوس اعتزلها الحارث بن عبّاد البكري ، وهو جدّ طرفة ابن العبد ، وكان من أحد سادات بكر بن وائل وفرسانها. وكان الحارث بن عبّاد أيضا من أنجاد العرب (شجعانهم) ، فقال سعد بن مالك تلك الابيات يعيّره قعوده عن الحرب(حرب البسوس بين قبيلة تغلب وأحلاف قبيلة بكر بن وائل) [١٢٨] ، وقد صرح بذلك طرفة بن العبد [١٢٩] :

وَتَسَاقَطُ الأَوْشَاظُ وَالذَّنَبَاتُ إِذْ جُهِدَ الْفِضَاحُ
وَالْكَرُّ بَعْدَ الْفَرِّ إِذْ كُرِهَ التَّقَدُّمُ وَالنِّطَاحُ
كَشَفَتْ لَهُمْ عَنْ سَاقِهَا وبَدَا مِنَ الشَّرِّ الصُّرَاحُ
فَالْهَمُّ بَيْضَاتُ الْخُدُورِ هُنَاكَ لاَ النَّعَمُ الْمُرَاحُ
بِئْسَ الْخَلاَئِفُ بَعْدَنَا أَوْلاَدُ يَشْكُرَ وَاللَّقَاحُ
مَنْ صَدَّ عَن نِيرَانِها فأَنَا ابْنُ قَيْسٍ لاَ بَرَاحُ

يراد به ما يهتم له في ذلك الوقت: الحرم والنساء المخدرات اللاتي كأنهن بيضٌ مكنونٌ صيانةً وجمالاً، لا الإبل المراحة من مراعيها، ويجوز أن يكون المعنى ما يهم به النساء لا الإبل، والمراد أنهم كانوا يغتنمون سباء النساء وإلحاق العار بسبيهن ، لا اغتنام الأموال ، وتشبه المرأة بالبيض اي بيضة الخدر وهي المخدرة الجميلة [١٣٠] . والشريفة اذا أحست انها توشك أن تقع في الاسر ، كشفت عن وجهها وتظاهرت بمظهر الإماء عسى ان يحميها من السبي او الاسر [١٣١] ، والمؤسف ان بعض القبائل تخاطر في بذل قصارى جهدها في سبيل جلب عدد اكبر من النساء ليلدن المحاربين لهم فيزدادوا منعة ، بل ان غلاء المهور عندهم جعل من الحرب وسيلة فاعلة ومستدامة للحصول على الزوجات ، وغالبا ماتكون الاسيرة زوجة لآسرها [١٣٢] . وهذا يدل على ان زواج المرأة بتلك الطريقة كان يتم بالحرب او الغزو ، وكل هذه المفردات تعبر عن القوة والإجبار والقسر .

واذا لم تفتدى الاسيرة أو يمن عليها ، فيخلى سبيها ، دخلت في ملكية آسرها كغنيمة [١٣٣] ، فتصبح أمة يستخدمها ان شاء ، او يبيعها ، أو يتزوج منها ، فأن تزوج منها لا يجوز بيعها ، وله أن يطلق سراحها ، فيعود حقه قاصرا على معاملتها ليحصل منها على الاولاد[١٣٤] .

وكان بعض النساء ممن يتعرضن للخطف او الاسر او السبي ، لجمالهن او لصفات محمودة فيهن ، ولنا في ذلك مثل لاحدى النسوة اللاتي وصفن بالحياء والجمال والعفة ، من امثال (ليلى بنت لكيز) الملقبة ب(العفيفة) ، وكانت تامة الحسن كثيرة الادب ، خطبها كثيرون من اشعار العرب ، الا انها ابت الزواج ، وصادف ان سمع بها (كسرى) ملك الفرس ، فبعث في اختطافها وحملها اليه ، وأرادها على التزوج به ، فجعل يضيق عليها ويضربها ، وهي لاتزداد منه الاّ تصونا ، فاستنجدت وبإخوتها ، حتى استنقذها ابن عمها وخطيبها (البرّاق بن روحان البكريّ) ، فقالت عن ابن كسرى لما اراد ان ينال منها[١٣٥] :

لَيتَ لِلبَرّاقِ عَيناً فَتَرى ... ما أُقاسي مِن بَلاءٍ وَعَنا
يا كُلَيباً يا عُقَيلاً وَيلَكُم ... يا جُنَيداً ساعِدوني بِالبُكا
عُذِّبَت أُختُكُمُ يا وَيلَكُم ... بِعَذابِ النُكرِ صُبحاً وَمَسا
يَكذِبُ الأَعجَمُ ما يَقرُبُني ... وَمَعي بَعضُ حِساساتِ الحَيا
قَيِّدوني غَلِّلوني وَاِفعَلوا ... كُلَّ ما شِئتُم جَميعاً مِن بَلا
فَأَنا كارِهَةٌ بُغيَتُكُم ... وَمَريرُ المَوتِ عِندي قَد حَلا

والفتيات العربيات اذا وقعن في الاسر ما كن يسمحن لأنفسهن بالتنازل عما كن يشعرن به من فخر وسمو وبخاصة اذا كان آسرهن من غير العرب ، ولما كانت (ليلى بنت لكيز) ذات جمال بارع ، علم بها كسرى ملك الفرس ، فأخذها من أبوها عنوة وأراد الزواج بها ، فابت وأمتنعت عليه ، وأرسلت تستنجد بأهلها بأبيات من الشعر[١٣٦] :

ليت للبراق عيناً فترى ... ما ألاقي من بلاء وعنا
يا كليباً وعقيلاً إخوتي ... يا جنيداً أسعدوني بالبكا
عذبت أختكم يا ويلكم ... بعذاب النكر صبحاً ومسا
غللوني، قيدوني، ضربوا ... ملمس العفة مني بالعصا
يكذب الأعجم ما يقربني ... ومعي بعض حشاشات الحيا
فأنا كارهة بغيكم ... ويقين الموت شيء يرتجى
فاصطبار أو عزاء حسن ... كل نصر بعد ضر يرتجى

الى قولها:

احذروا العار على أعقابكم ... وعليكم مابقيتم في الدنيا

وكانت هذه الابيات سببا ألهب شعور قومها للحرب مع الفرس ، حتى اذا انتهت الحرب ، كانت الفتيات تشترك في البكاء على القتلى وتظهر حزنا وحرارة شديدة ، وهن يخرجن من خدورهن حاسرات الرؤوس يخمشن وجوههن ويبكين القتلى وفي ذلك يقول المهلهل بن ربيعه [١٣٧] :

كُنَّا نَغَارُ عَلَى الْعَوَاتِقِ أَنْ تُرَى ... بِالْأَمْسِ خَارِجَةً عَنِ الْأَوْطَانِ
فَخَرَجْنَ حَيْثُ ثَوَى كُلَيْبٌ حُسَّرًا ... مُسْتَيْقِنَاتٍ بَعْدَهُ بِهَوَانِ
فَتَرَى الْكَوَاعِبَ كَالظِّبَاءِ عَوَاطِلًا ... إِذْ حَانَ مَصْرَعُهُ مِنَ الْأَكْفَانِ
يَخْمِشْنَ مِنْ أَدَمِ الْوُجُوهِ حَوَاسِرًا ... مِنْ بَعْدِهِ وَيَعِدْنَ بِالْأَزْمَانِ
مُتَسَلِّبَاتٍ نَكْدَهُنَّ وَقَدْ رَوَى ... أَجْوَافَهُنَّ بِحُرْقَةٍ وَوَرَانِي
وَيَقُلْنَ مَنْ لِلْمُسْتَضِيفِ إِذَا دَعَا ... أَمْ مَنْ لَخَضْبِ عَوَالِيَ الْمُرَّانِ
أَمْ لِاتِّسَارِ بِالْجَزُورِ إِذَا غَدَا ... رِيحٌ يُقَطِّعُ مَعْقِدَ الْأَشْطَانِ

المبحث الرابع : النظرة الى الإماء والاختلال الطبقي:

وكثير من النساء كن يجلبن بالاسر او الشراء من اللواتي عرفن ب(الإماء) ، المملوكات ، خلاف المرأة الحرة او المعبوده ، او الجارية ، التي تمتهن الخدمة، وكذلك (القينة) اي المغنية التي تمتهن الغناء ، حيث

كانت الاماء الغانيات موضع استهجان وقبح لدى كثير من القبائل العربية ، لما ينشرنه من اساءة للاخلاق والاسفاف المزري بأنوثة المرأة ؛ لذا أخذت الطبقات الاجتماعية المحافظة المتمسكة بالاخلاق تحاذر من الاختلاط بتلك الاماء وأوصت ذويها بذلك ، وقد أوصى دريد بن الصمة قومه بقوله : ((ايكم وفضيحة النساء)) [١٣٨] ، اذ كانوا يرون ان بيوت اللهو بما فيها من غناء وعبث مفسدة للمروءة واضاعة للكرامة [١٣٩] ، وكونها مملوكة ، تأخذ سبية من القبائل الاخرى ، فأصبحن يؤلفن طبقة كبيرة من المجتمع العربي قبل الاسلام ، لكثرة الحروب والغزوات ، فراجت أسواق النخاسة في المدن الكبرى بخاصة ، بحيث يتجر الناس في الاماء والعبيد الذين كانوا يعدون سلعة من أهم السلع [١٤٠] .

وكانت الاماء طبقة ذات مستوى ادنى ، وهن على عدة طبقات ، فمنهن الروميات ، والفارسيات ، والهنديات ، وتقع على عاتقها الاعمال المرهقة التي تحتاج الى مجهود بدني ومادي كبير، والاعمال المضنية والخدمات المنزلية ورفع الاحمال وانزالها كخالات السليك الذي الذي كان يراهن برفعهن الاحمال وسط الرجال ([١٤١]) ،وهذه الاهانة والاحتقار ينتقلان الى الابناء ، فابناء الاماء ينقلونها الى الابناء بالولادة ، اي من خلال التنشئة التربوية التي يعتاد عليا المجتمع وتصبح قانونا اجتماعيا متوارثا ، وقد اشار السليك ابن السلكة ، الذي كانت أمه حبشية ، وهو منسوب اليها بقوله [١٤٢]:

أَشابَ الرَأسَ أَنّي كُلَّ يَومٍ أَرى لي خَالَةً وَسطَ الرِجالِ
يَشُقُّ عَلَيَّ أَن يَلقَينَ ضَيماً وَيَعجِزُ عَن تَخَلُّصِهِنَّ مالي

وكان ابن الامة غير مرغوب في تزويجه ، ولاترغب فيها الحرائر ، وان كان من قبيلتهن ، فهو ليس بكفئ لهن ، وسرعان ما يتم رفضه من قبل نساء القبيلة ، مثلما حصل مع شقيق ابن السليك [١٤٣] ، الذي خطب امراة من قومه فردته ، فلم يستطع أن بفعل شيئا الاّ ان يدعوا لها بالنصب في حياتها ، وبالعقم اذا تزوجت ، من غيره ، والالم يحز في قلبه ، وهو يقول [١٤٤]:

ونُبِّئتُها حرَمَتْ قومَها لتَنكحَ من معشرٍ آخَرينَا
فإنَّ البعيدَ لَيُحظِينَهُ تلادَ القريب من العالَمينَا
ولكنْ لعلَّكِ أنْ تَنكحي لئيمَ المركَّب خَبّاً بَطينَا
فإمَّا نكحتِ فلا بالرِّفاء ولا بالسُّرور ولا بالبَنينَا
وزُوِّجتِ أشمطَ في غربةٍ تُجَنُّ الحَليلةُ منه جُنونا
خليلَ إماءٍ تَقَسَّمنَهُ وللمُحصنات ضَروباً مُهينَا
يُريكِ الكواكبَ نصفَ النَّهار وتلقَين من بغضِ الأثْوَرينَا
كأنَّكِ من بغضِهِ فاقدٌ تُرجِّع بعد حَنينٍ حَنينَا
مُعِدٌّ بلا زَلَّةٍ تَفعلين لظَهركِ بالظُّلم سَوطاً مَتينَا
كأنَّ المساويكَ في شدقِهِ إذا هُنَّ أُكرهنَ يقلعنَ طِينا
وقَلَّبتِ طرفِكِ في مارِدٍ تظلُّ الحمامُ عليه وُكونا
فأبعدكِ اللهُ مِن جارةٍ وألزَمَكِ اللهُ ما تكرهينَا

ومن مظاهر احتقار ابن الامة ، ان بيته لم يكن مصونا مكرما كسائر بيوت الناس ، بل كانت امرأته تزار رضيّ بالزيارة هو أم لم يرض ، فيلج الناس عليه بيته من دون ان يحسبوا له حسابا ، وهو ان اراد ان يزور بيتا للناس لايسمح له ، إلاّ اذا شاء أهل ذلك البيت، ويتحدث الناس الى زوجته رغم ارادته ، وقد قال السليك ابن السلكة ، وقد وجد قوما يتحدثون الى زوجته وهم من بني عمها ، فقال[١٤٥]:

يزورونها ولا أزور نساءهم ألهفي لأولاد الإماء الحواطب

وقد تتعرض كرامة المرأة الى التجريح او الإساءة من خلال الالفاظ التي تطلق على إبنها مما يسيئ اليها ويؤثر على نفسيتها ، فضلاً عن إبنها ، ومن تلك الالفاظ ما اطلقت على بعض الابناء مثل (الهجين) ، وهو غير كريم الام ، اما (المقرف) ، فهو غير كريم الاب ، و الذي لاتُوَرِثُه العرب في جاهليتها ، وقد بقي عنتر بن شداد يُعرف الى فترة طويلة ب(ابن زبيبه) ،وحد أنْ أغار بعض أحياء العرب على قومه من بني عبس ، فقاتلوهم وفيهم عنترة ، فقال له ابوه : كر ياعنتره ، فقال : العبد لايحسن الكر ، انما يحسن الحلاب والفر ، قال : كر وانت حر ، فقاتلهم وأبلى في قتالهم ، واستنقذ مافي أيديهم من الغنيمة ، فادعاه أبوه عند

ذاك وحرره ، فألحقه قومه بهم في النسب ، فصار يدعى عنترة بن شداد العبسي ، اما اخوته من امه فقد بقوا عبيدا [١٤٦]. ونجد من أمثال عنتره ، (خفاف بن ندبه السلمي) ([١٤٧])، التي كانت أمه سوداء نسب اليها [١٤٨] ، وهو من شعراء بني سليم الذين عرفوا بأمهاتهم ([١٤٩]) .

وقد تعرضت كثير من النساء الى العنف ومظاهره المتنوعة ، اذ أشار القرآن الكريم الى كثير من التصرفات التي أخلت في ميزان العدل الاجتماعي في مجتمع شبه الجزيرة العربية وفي تلك البيئة الصحراوية التي تتعرض الى ظروف اقتصادية قاهرة ، اثرت في المعايير الاجتماعية والاقتصادية والدينية ، فشاع الربا الذي يؤخذ اضعافا مضاعفة ، وقيام بعض شبان مكة من التعرض لنساء البدو عندما يفدن الى الحج او لقضاء بعض الحاجات ، وغالبا ماكانت النساء تتحمل تبعات تلك المشاحنات والصراعات التي تنجم فيما بين القبائل [١٥٠]، كما حصل في حرب الفجار [١٥١] .

وقد صاربعضهم يكره إمائه على البغاء طلبا للمال، بدليل ما ورد في الآية الكريمة: ((وَلا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاء إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)) [١٥٢]

المبحث الخامس : حرمان المرأة من الارث

أما من حيث الارث ، فلم تكن الزوجة ترث قبل البعثة ، بل على العكس كانت تصير مملوكة للابن الاكبر لزوجها في بعض الاحيان ، وقد تلجا المرأة الى أهلها اذا اسيئ اليها وهم يحمونها ويعطفون عليها ، [١٥٣] ، وعلى الرغم من العطف الذي تتلقاه المرأة ، في امور كثيرة الاّ انهم كانت من عاداتهم الاّ يورثونها ، كما لايورثون الاولاد ، إلاّ من حملة السلاح منهم ، اما الصغار والبنات فلايصيبهم شيئا من الإرث ، حتى انهم اغتاضوا لما نزل الوحي باشتراك البنات في الميراث لقوله تعالى : ((يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ))[١٥٤] ، فكان توريث الذكور دون الاناث[١٥٥] ، وقد ذهب أحدهم الى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قائلا له: ((يارسول لله اتعطي الجارية نصف ماترك أبوها ، وليس تركب الفرس ولاتقاتل القوم ، ونعطي الصبي الميراث ، وليس يغني شيئا؟)) وفي رواية اخرى : ((أنعطي الجارية نصف ما ترك أبوها ، وليست تركب الفرس ، ولا تقاتل القوم))([١٥٦]) ، ويعطونه الأكبر فالأكبر[١٥٧] والحق فأنه ليست جميع القبائل العربية تحرم البنت من الارث ([١٥٨])، انما هذه القاعدة السائدة [١٥٩] .

ويستنتج من بعض الروايات معاناة بعض النساء من حرمنهن من المال بسبب منعهن من أن يرثْنَ ، فقد روي أن امراة تدعى (ام كحة) جاءت الى النبي تشتكي من حرمانها وبناتها من الإرث قائلة : ((لقد مات بعلي فأنتقل الميراث الى أخيه ، وبقيت بناته بدون مال ، ولكن أنّى للبنات أنْ يتزوجن اذا لم يكن لديهن مال ؟)) ، ذلك بان حرمان المراة قبل الاسلام من الميراث لم يمكن قاعدة مطرة او قانونا عاما ، وهذا ما ذهب إليه المستشرق الهولندي (ويلكن) في ((ان تلك العادة كانت محصورة في بعض القبائل لاغير ، بل كانت من قبيل الشواذ عندهم وليس من العادات الشاملة لكل القبائل)) [١٦٠].

والانكى من ذلك ان المهر أو الصداق كان حق من حقوق الزوج ، يسترجعه عند الفرقة بالطلاق او الموت ، ولهذا كانت الزجة تدخل في ملكية الرجل ، يرثه عنه بنوه والمقربون منه ، ولهم ان يتزوجوا منها من دون مهر ، بل أن لهم ان يتزوجوها ويأخذوا مهرها ، ولهم (عضلها) أي بقائها من دون زواج مدى الحياة ، وهذا ما ابطله الاسلام بطبيعة الحال ، فبات المهر من حق الزوجة لا يورث الاّ بعد الموت او الطلاق [١٦١].

تعنيف المرأة من قبل إبنها

يتجلى العنف الموجه من الابن الى الام من خلال ماكانت تصرح به الام علنا او ضمنا من خلال الشعر حال لسان المجتمع العربي قبل الاسلام ، فقد هجا الحطيئة أمه لأنها تزوجت من رجال كثيرين ، ولما سألها عن أبيه خلطت عليه وقالت : انك لست من أب واحد ، وانما أنت من اباء كثيرين فغضب وتبرم وأنشد قائلا [١٦٢]:

تَقولُ لِيَ الضَراءُ لَستَ لِواحِدٍ ... وَلا اِثنَينِ فَانظُر كَيفَ شِركُ أولَئِكا
وَأنتَ اِمرُؤٌ تَبغي أَباً قَد ضَلَلتَهُ ... هَبِلتَ أَلَمّا تَستَفِق مِن ضَلالِكا

ثم وصل به المقام إلى أن يهجوها قائلا:

أراح الله منك العالمينا تنحي فاقعدي مني بعيداً
ولكن لاأخالكِ تعقلينا ألم أوضح لك البغضاءَ مني
وكانوناً على المتحدثينا أغربالاً إذا استودعت سراً
ولقاك العقوق من البنينا جزاك الله شراً من عجوز
وموتُكِ قد يسرُّالصالحينا حياتكِ ماعلمت حياةُ سوء

فالام تشعر بانها أحق من بولدها ، لأتعابها الجسيمة ، وتريد منه أن يخلص لها كما خلصت له ، وقد صور هذه الجدلية عروة بن الورد حينما قال [١٦٣]:

فَإِنّي وَإِيّاكُم كَذي الأُمِّ أَرهَنَت لَهُ ماءَ عَينَيها تُفَدّي وَتَحمِلُ
فَلَمّا تَرَجَّت نَفعَهُ وَشَبابَهُ أَتَت دونَها أُخرى حَديداً تُكَحِّلُ
فَباتَت لِحَدِّ المِرفَقَينِ كِلَيهِما تُوَحوِحُ مِمّا نابَها وَتُوَلوِلُ
تُخَيَّرُ مِن أَمرَينِ لَيسا بِغِبطَةٍ هُوَ الثُكلُ إِلّا أَنَّها قَد تَجَمَّلُ

حيث راى عروة بن الورد ان الام خاب أملها ، لوجود زوجته مصورا شدة تألم الام لذلك ، وما كانت تتمناه منه عندما يشتد ساعده [١٦٤] :

وقد تحرم الام من خير ولدها في بعض الاحيان ، فتنال منه غلضة وجفاء وخشونة ، وهذا مما يحز في قلبها ويؤلمها أشد الايلام ونجد صورة ذلك في وصف امْرَأَة من (بني هزان) وهم بطن من عنزة يُقَال لَهَا (أم ثَوَاب) فِي ابْن لَهَا عقّها [١٦٥] :

رَبَّيْتُهُ وَهْوَ مِثْلُ الفَرْخِ أَعْظَمُهُ أُمُّ الطَّعامِ تَرَى في جِلْدِهِ زَغَبا
حتى إِذَا آضَ كَالفُحَّالِ شَذَّبَهُ أَبّارُهُ وَنَفَى عَنْ مَتْنِهِ الكَرَبا

الى قوله :

أَنْشَا يُمزِّقُ أَثْوَابي يُؤَدِّبُني أَبَعْدَ شَيْبِيَ عِنْدِي يَبْتَغي الأَدَبا
إِنّي لأُبْصِرُ فِي تَرْجِيلِ لَمَّتِهِ وَخَطّ لِحْيَتِهِ فِي خَدِّهِ عَجَبَا
قالت له عِرْسُه يومًا لتُسمعَني رِفقًا فإن لنا في أمِّنا أرَبا
ولو رأتنيَ في نارٍ مسعَّرةٍ من الجحيم لزادت فوقها حطبا

الخاتمه

إن مما يمكننا استنتاجه من هذه الدراسة يمكننا إجماله على النحو الآت :

اولا : إن ظاهرة ممارسة العنف ضد المرأة قبل الاسلام ، لم تكن ظاهرة تختص بها المجتمعات القبلية العربية قبل البعثة فحسب ، إنما هي جزء من الموروث الإجتماعي الذي يمثل بعدا قيميا يرجع الى فترات تأريخية بعيدة ، ولدى حضارات متعددة ، مثل الحضارة الآشورية والكلدانية واليونانية وغيرها من الحضارات الاخرى التي اشتركت وترسخت لديها النظرة الدونية للمرأة ، كونها – بحسب معتقداتهم – أقل شأنا من الرجل ، وهذا راجه الى إشاعة النظرية الانثربولوجية التي تذهب الى اشاعة تفوق العنصر الذكوري لأسباب لها ما يبررها في الحقب التي عاشتها تلك المجتمعات ، نتيجة صعوبة الظروف البيئية والحياتية ، وكثرة الحروب والغزوات ، كما هو الحال في الفترة الاشورية التتي قيدت فيها حرية المراة الى درجة التشدد والممبالغة في ممارسة العقوبات الموجهة ضد النسوة (الاحرار) من دون النساء الإماء ، اللاتي يخرجن من دون محرم لها ، وكذلك لاسباب أخلاقية وانحطاط بعض المجتمعات ، مما يعرض المرأة الى الخطر ، كما هو الحال في المجتمعات الاغريقي .

ثانيا : ان المجتمع العربي قبل الاسلام لم يكن بمنأى عن المجتمعات الاخرى ، وكانت له مبرراته في التعامل مع المرأة ، فلم يكن الغزو والسبي ظاهرة طبيعية بالمعنى الذي يمكن أن يؤدي الى التعاطف في التعامل مع المراة التي كانت تتعرض لمختلف اساليب التعنيف ، من قبيل الاجبار على الزواج من قبيلة

غير قبيلتها التي تنتمي اليها ، بعد أخذها سبية ، وما يترك ذلك عليها من آلام الغربة والفراق بعيدا عن الاهل والاحبة .

ثالثا : إن مفهوم العنف والتعنيف بحسب ما تشير إلية المصادر اللسانية ومراجع علم الاجتماع والانثروبولوجيا ، تتفق بان جميع اشكال العنف الممارس ضد المرأة قد يكون مباشرا ضدها مثل العنف المادي الجسدي ، او الحرمان من الممتلكات ، كما كانوا يفعلون في عضل المرأة واجبارها على الزواج من رجل آخر بعد وفاة زوجها ، وحرمانها من صداقها ، وحرمانها من الارث ، ودخولها في ملكية الرجل ، أوعنفا لفظيا يترك آثارا بالغة السوء ، أكثر من العنف الجسدي ، وهذا ما خلص اليه البحث ، وهو أن العنف المعنوي واللفظي ، كان له وقعا شديدا ، الى درجة الاشارة الى تلك الممارسات العنيفة في القرأن الكريم ، مثل حوادث وأد البنات وما تترك من أثر نفسي على الام عند حرمانها من بنتها مهما كانت مبررات الوأد التي أشرنا اليها ، وكذلك الحال في العنف الحاصل نتيجة هجاء أوعقوق الإبن لأمه ، من خلال ماكانت تصرح به الأم علنا او ضمنا ، بالشعر ، حيث هجا الحطيئة أمه لأنها تزوجت من رجال كثيرين ، ولم يكن يعرف أباه الصريح .

رابعا : على الرغم من كثرة المظاهر التي تدخل من باب العنف ضد المرأة ، الاَ اننا نلاحظ إن المجتمع العربي قبل الاسلام شهد حوادثا يشار اليها بالبنان ، مثل افتداء البنات الموؤدة من قبل (صعصعة) جد الشاعر الفرزدق ، وغيرها من الحوادث والدلائل التي تشير الى مكانة المراة العربية قبل الاسلام وقيمتها المعنوية بين كثير من القبائل وحوادث التأريخ من هذا القبيل كُثْر.

خامسا : قد يتخذ العنف اشكالا اخرى ، مثل العدوان والظلم والقهر والإجبار وما الى ذلك من الفاظ تؤدي بالنتيجة الى الى حدوث ضرر تجاه الشخص الموجه اليه او الواقع عليه تأير تلك الممارسات ، فحرمان المرأة من وليدتها الانثى ووؤدها ، يحمل في طياته منتهى أشكال العنف الجسدي والمعنوي ، لكل من المرأة (الأم) والمولود الانثى (الموؤدة) على حد سواء .

هوامش البحث:

(١) قاشا ، سهيل ، المرأة في شريعة حمورابي ، منشورات جامعة الموصل – العراق ،١٩٨٥ ،ص١١٩-١٢٢ .

(٢) عقراوي ، ثلماستيان ، المراة ومكانتها في حضارة بلاد وادي الرافدين ، وزارة الثقافة والفنون – الجمهورية العراقية ، ١٩٧٨ ، ص٢٥

(٣) متي ، أفرام ، المراة عبر التأريخ ، بلا مكان ولا سنة طبع ، ص١٢-١٣.

(٤) بيهم ، محمد جميل : المرأة في التاريخ والشرائع ،بيروت ١٩٢١ ، ص١٦.

(٥) مظلوم ، طارق ، النحت الآشوري ، موسوعة حضارة العراق ، بغداد-١٩٨٠ ، ج٤ ، ص٧٣ ٠). ساكز، هاري ، عظمة آشور، ترجمة :خالد أسعد عيسى واحمد غسان سبانو، دار ومؤسسة رسلان ، دمشق - ٢٠٠٨ ، ٢٠١٢ ، ص٢٢ ، ١٢٢ .

(٦) كيال ، باسمه ، تطور المرأة عبر التأريخ ، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر ، بيروت – ١٩٨١ ، ص٣١

(٧) سبتينو، موسكاتي ، الحضارات السامية القديمة ، ترجمة : السيد د. يعقوب بكر، مراجعة د. محمد القصاص ، دارالكتاب العربي للطباعة والنشر، دار الرقي ، بيروت- ١٩٨٦ ، ص٩٨ .

(٨) سليمان ، عامر ، القانون في العراق القديم دراسة تاريخية قانونية مقارنة ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد-١٩٨٧ ، ص٢٨٧ .

(٩) هدلة ، سناء حسين ، النظريات الفلسفية حول العنف ضد المرأة في المنظور الاسلامي ، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات ، ع٣٥، (٢) شباط ، ٢٠١٥ ، ص١٨٥ .

(١٠) ورد في الاساطير اليونانية (الاغريقية) ان زيوس أمر ابنه هيفيستوس بخلق المرأة باندورا كجزء من العقوبة على البشرية وقد حملت معها مايعرف ، (بصندوق باندورا) ، الذي يحمل كل الشرور والاحقاد والكراهية وغيرها من الصفات غير المحمودة . شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) https://ar.wikipedia.org/wiki

(١١) متي ، أفرام ، المراة عبر التأريخ ، ص٩ .

(١٢) جمهورية افلاطون ، ترجمة : منا خباز ، دار القلم ، بيروت(د.ت)، ص١٤٦-١٥٨

(١٣) وانظر: العقاد ، عباس ، المرأة ذلك اللغز ، دار الكتاب العربي ، بيروت – ١٩٧٠ ، ص٣١ ، ميخائيل ، يوسف: المراة والحرية ، بغداد - ١٩٧٧، ص٧٠-٧١ ، داكو، بيير، بحث في سايكولوجية الاعماق ، ترجمة: وحيد أسعد ، مطبعة

الرساله ، سوريا، ١٩٨٦ ، ص٥١ ، كرم ، ميديا ، دراسات في تاريخ الفلسفة ، ط٥ ، دار صادر، بيروت-١٩٧٩م ، ص٣٤ ، هدلة : النظريات الفلسفية ص١٨٥ .

(١٤) ابو دية ، ايوب ، الحجاب في التاريخ ، الفارابي ، عمان ،الاردن ، ص٦٠). وانظر :

Peter Clayton , Great Figuers of mythology , 1st edition ,Magno Books ,Engilish , 1990 ,p.66

() ١٥ابو دية ، الحجاب في التاريخ ، وانظركل من:

Larousse Encyclopedia of mythology , 5th edition , London , Paul Hamlyn , 1964. 113.

امام ، عبد الفتاح : الفيلسوف والمراة ، افلاطون والمرأة ، ط٢ ، مكتبة مدبولي ، القاهره- ١٩٩٦م،ص٨.

(١٦) ابو دية ، الحجاب ، ص٧٢-٧٣ .

(١٧) وهو أكبر شاعر عرَفته الحضارة الإغريقية، وصاحب «الإلياذة» و«الأوديسة». كانت حياته مَثَارَ جدل كبير بين مؤرِّخي الحقبة الكلاسيكية، حيث قال هيرودوت: إن هوميروس سبقه بأربعمائة عامٍ أي حوالي ٨٥٠ق.م، وتُرجِّح مصادر قديمة أخرى أنه عاش في فترة قريبة من حرب طروادة التي وقعت بين عامي (١١٩٤–١١٨٤ق.م) وبينما يَعُدُّهُ القدماء شخصية تاريخية، يُشكِّك الباحثون والعلماء المعاصرون في وجوده التاريخي أصلًا، حيث لا توجد ترجمات موثوقة من الحقبة الكلاسيكية تتحدث عن سيرته، وقد اصطلح المؤرِّخون فيما بينهم على تسمية هذا الجدل الكبير حول هوميروس بالمسألة الهوميرية(The Homeric Question) انها تمثل بداية سيادة النظام الابوي الذكوري . للمزيد انظر : البستاني ، سليمان(ترجمة) الياذة هوميروس ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهره-٢٠١٢ م، ص٨-٢٦ .

(١٨) ابو ديه ، الحجاب في التاريخ ، ص٢٧٣

[19] Lenore E.Walker: Psychology & domestic violence around the world, American Psychological Association, Vol-54.NO.1,January,1999,PP.21-29 , Williams , R,Soual: Sources of violence & deterrence, Journal of marriage & the family, 54.Aug ,1992 ,pp620-622.

(٢٠) مختار ، وفيق صفوت ، مشكلات الاطفال السلوكية ، الاسباب وطرق العلاج ، دار العلم للثقافة ، القاهره-١٩٩٩م، ص ٥٠-٥٥

(٢١) انظر: مختار ، المصدر نفسه، ص٥١ .

(٢٢) أمرؤ القيس ، ابو الحارث بن حجر الكندي (ت ٥٤٠هـ) (شرح الديوان) ، المطبعة الخيرية ، القاهرة – ١٣٠٧هـ ، ص ٣٥ .

(٢٣) الزوزني ، حسين بن احمد بن حسين(٤٨٦ هـ) ، شرح المعلقات السبع ، دار الكتب العلمية ، بيرت- ١٩٧١، ص٢٨ .

(٢٤) ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي (711هـ): لسان العرب ، مادة (عنف) ، دار صادر، بيروت-٢٠٠٣م ،

(٢٥)الزبيدي، محمد بن محمد (ت: ١٢٠٥هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، بيروت – بلا سنة طبع ، (مادة عنف) .

(٢٦) النيسابوري ، ابو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري (ت٢٦١هـ) : الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم ، دار الجيل بيروت ودار الآفاق ، بيروت ، بلا سنة طبع ، ٢٢/٨ -٢٣ ، وانظر:طبعة أخرى بتصحيح وتحقيق : محمد فؤواد عبد الباقي ، دار احياء التراث العربي – بيروت بلا سنة طبع ، باب فضل الرفق ، ٢٠٠٢/٤ ، ، البيهقي ، احمد بن الحسن (ت ٤٥٨هـ): السنن الكبرى ، مكتبة دار الباز ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، ط٣ ، دار الكتب العلمية ، بيروت – ٢٠٠٢م ، ١٩٣/١٠ .

(٢٧) شرح الإمام النووي(ت٦٧٦ هـ) ، في كتاب البر والصلة والآداب ، باب (فضل الرفق) رقم الحديث ٢٥٩٢ ، دار الحديث ، ٢٠٠١م ، ٣٩١/٨ .

(٢٨) ابن حجر العسقلاني ، ابو الفضل احمد بن علي (ت٨٥٢ هـ): فتح الباري في شرح صحيح البخاري ، دار المعرفه ، بيروت -٢٧٩ه ٤٤٩/١٠ ، والباب الخامس والثلاثون من كتاب الأدب - الكتاب الثامن والسبعين، ترقيم الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي ، طبعة دار الحديث ، ٢٠٠٤م ، ٥٠٦/١٠ ، القحطاني ، سعيد علي بن وهب : فقه الدعوة في صحيح الامام البخاري ، الرئاسة العامة لأدارة البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد ، ١٤٢١هـ ، ٤٦١/١ .

(٢٩) لالاند ، اندريه ، موسوعة لالاند الفلسفية ، منشورات عويدات ، بيروت – باريس – ١٩٩٦م ، م٣ ، ١٥٥٤ .

(٣٠) ابن دبيل ، سرحان ، ظاهرة العنف السياسي في الجزائر ، مجلة العلوم الاجتماعية ، ع٤ ، م٢٨ ، ٢٠٠٠م ، ص٤٨ ، شكور ، جليل ويع ، العنف والجريمه ، الدار العربية للعلوم ، بيروت – ١٩٩٧ ، ص٣١ .

(٣١) شكور ، العنف والجريمة ، ص٣١ .

(٣٢) حجازي ، مصطفى ، العنف والتخلف الاجتماعي ، معهد الانماء العربي - بيروت – ١٩٧٦م ، ٢٦٣ .
(٣٣) تقرير منظمة الصحة العالمي حول العنف ، ٢٠٠٢م، ص٥ .
٣٤العقاد، عصام عبد اللطيف ، سايكولجية العدوان وترويضها منحى علاجي معرفي جديد ، دار قريب للطباعة والنشر والتوزيع ، ٢٠٠١ م، ص١٠٠ .
(٣٥) عبد المحمود ، عباس ابو شامه ، ومحمد امين البشري ، العنف الاسري في ظل العولمه ، مركز الدراسات والبحوث ،٢٠٠٥م ، مقدمة الكتاب .
(36)Silvia. S. Etal, Impacts of violence presentation program for middle school .Collaborative Academic , social and emotional learning , UAS .2011 , p2.
(٣٧) بدوي ، احمد زكي ، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية ، مكتبة لبنان ، بيروت -١٩٨٧م، ص٢٤١ .
(٣٨) انظرعلى سبيل المثال الأيات الكريمة : البقره/٨٥ ، المائدة/٢ ،٦٢ ، المجادله٩/٨ .
(٣٩) طه ، فرج عبد القادر ، موسوعة علم النفس والتحليل النفسي ، دار االصباح ، الكويت ، ١٩٩٣م ،ص ٤٨٠ ، ت.ا ، وسكونلر، ج ، علم النفس الاجتماعي التجريبي ، ترجمة عبد الحميد صفوت ، (جابر ، جابر عبد الحميد) ، نظريات الشخصية والبناء والديناميك ، النمو وطرق البحث ، دار النهضة العربية ، القاهرة-١٩٩٠م ،(مقدمة الكتاب).
(٤٠) انظرعلى سبيل المثال الأيات الكريمة من سورة البقرة : الاية /٩٠ ، سورة الاعراف / الآيه : ١٥٨ .
(٤١) هليز ، ديانا وروبرت: العناية بالعقل والنفس ، ترجمة عبد الحميد الجسماني ، الدارالعربية للاعلام ، بيروت- ١٩٩٩ ، ص٢١٨
(٤٢) أنسكو ، ت. أ ، و ج. سكوبلر: علم النفس الإجتماعي التجريبي ؛ ترجمة :عبد الحميد صفوت إبراهيم ، مطابع جامعة الملك سعود ، الرياض ، 1993 م ، ص٣٠-٣٢ .
٤٣فونتاتا، ديفيد، الشخصية والتربية ، ترجمة ، عبد الحميد يعقوب ، واخرون ، مطابع التعليم العالي ، دار اربيل ، - العراق ، ١٩٨٦م ، ص١٥٦ .
٤٤الكرخي ، سمير، العنف واللاعنف جدلية الصراع الانساني ، مجلة النبا ، العددان ٦٧-٦٨ ، ٢٠٠٢م ، بحث منشور على الموقع الالكتروني ، annaba.org .
٤٥مجامد ، د.علي إسماعيل تحليل ظاهرة العنف وأثره على المجتمع ، ص٦ ، على الموقع الالكتروني https://www.google.com
(٤٦) كيمه ، ايت جموده ، وآخرون : مظاهر وأسباب العنف في المجتمع الجزائري ، من منظر الهيئة الجامعية ، جامعة الجزائر ، ديسمبر ،٢٠١١ م ، ص١٦،١١ .
(٤٧) هدلة ، النظريات الفلسفية ، ص١٨٥ ، العواوده ، أمل سالم ، العنف ضد الزوجة ، جامعة البلقان الاردن ، ٢٠٠٢ ، ص٣٥ ، عبد الكريم ، طقوس ، العنف السياسي ، ٢٤-٢٥
(٤٨) فتال ، اخلاص ، العنف ضد المرأة ، ٢٠٠٢ م ، ص١٨٩ وانظر: عبد الكريم ، محفوظ وعيسى ، طقوس ، العنف السياسي ، فلسفته ، اصوله ، أبعاده ، دار الشروق للطباعة بيروت-١٩٨٦م .
Paul .H. etaal , child development personality, seven edition ,Harber and Raw publiers , new York USA. 1990 ,p. 467.
(٤٩) العموش ، د. خلود ابراهيم ، اشعار ترقيص الاطفال في التراث العربي القديم في ضوء علم اللغة الاجتماعي ، الجامعة الهاشمية ، بحث منشور في شبكة المعلومات الدولية، ص٣٥ ، https://www.google.com
(٥٠) ابن منظور ، لسان العرب، مادة: وأد .
(٥١) العموش ، ترقيص الاطفال في التراث العربي القديم ، ص٣٥ .
(٥٢) هدلة : النظرات الفلسفية ، ص١٨٩، العيسى ، وفاء ، دورالاسرة التربوي في بناء سلوك الفتيات الاجتماعي ، ١٩٩٩م ، ص١٧٨ .
(٥٣) نبيله ، يسلي :العنف ضد المرأة ، بين واقع التربية والرجله ، رسالة ماجستيرغير منشوره ، جامعة الجزائر ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ، ٢٠٠٨-٢٠٠٩ م ، ص٦٥ ، عبد الكريم ، العنف السياسي ، ص١٤١ .
(٥٤) هدلة ، النظريات الفلسفية ، ص١٨٧ .
(٥٥) علي ،د. جواد: المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ط٢ ، ساعدت جامعة بغداد على طبعه ، ١٩٩٣م ،٥/٩٧-٩٨ .
(٥٦) متي ، أفرام ، المراة عبر التأريخ ، بلا مكان ولا سنة طبع ، ص١١، وانظر : موسى ، سلامة ، المرأة ليست لعبة الرجل ، الشركة العربية ، القاهرة ، ١٩٥٦م ، ص١٩-٢٠ ، السعداوي ، نوال ، دراسات عن الرجل والمرأة في المجتمع العربي ، ط٢ ،المؤسسة العربية لدراسات والنشر ، ١٩٩٠م ، ص١٧٨-١٨٤ .
(٥٧) علي ، المفصل : ٥/ ٩٨ ، ط٢ ، ١٩٩٣ م.
(٥٨) علي ، المصدر نفسه : ٥/٩٠ ، ط٢ ، ١٩٩٣ م .

([٥٩]) والزميت : الوقود لزَّمِيتُ والزِّمِّيتُ الحليم الساكن القليل الكلام كالصِّمِّيتِ وقيل الساكتُ انظر كل من : ابن منظور: لسان العرب: مادة (زمت) و(زميت) ، والزبيدي : تاج العروس ، مادة (زمت) و(زميت) ، الجوهري ، أبو نصر إسماعيل بن حماد (ت٣٢٣ه): الصحاح في اللغة ، دار العلم للملايين ، بيروت-١٩٩٠م ، مادة (زمت) و(زميت) .

([٦٠]) العموش ، ص٣٢ .

([٦١]) الشيرازي ، ناصر مكارم : الامثل في تفسير كتاب الله المنزل ، (د.ت)، ٤٥١/١٩ .

([٦٢])علي ، المفصل : ٥/ ٩١ ، ط٢ ، ١٩٩٣ م.

([٦٣]) القرطبي : ابو عبد الله محمد بن أحمد بن فتح الانصاري (ت٦٧١هـ) : الجامع لأحكام القرآن ، تحقبق هشام سعيد البخاري ، دار عالم الكتب ، الرياض – ٢٠٠٢ م، ١٩/ ١٦٥ .

([٦٤]) ويلكن ، جورج الكسندر : الامومة عند العرب ، ترجمة : بندلي صليبا الجوزي ، مؤسسة هنداوي سي آي سي ، المملكة المتحدة- ٢٠١٧ ، ص٢٠ ، علي :المفصل ، ٩٦/٥-٩٧ ، ط٢ ، ١٩٩٣ م .

([٦٥]) سورة الاسراء، آيه :٣١ ، وانظر تفسير ذلك في كل من : النحاس ، ابو جعفر (ت٣٣٨ هـ) : معاني القرآن الكريم (د.ت) ، ٤/ ١٤٦ ، الاسكافي ، ابو عبد الله محمد بن عبد الله (ت٢٤٠هـ): درة التنزيل وغرة التأويل ، دراسة وتحقيق : د. محمد مصطفى آيدين ، جامعة ام القرى – مكة المكرمه ، ٢٠٠١ م، ٢/ ٥٦١) ،الزركشي ، ابو عبد الله بدر الدين (ت٧٩٤هـ) : البرهان في علوم القرآن ، تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار احياء التراث العربي ، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه ، دار المعرفة – بيروت ، (د.ت) ، ٣٩/٣ ، ٢٨٥/٣ .

([٦٦]) القلقشندي ، احمد بن علي (ت ٧٥٦هـ): صبح الاعشى في صناعة الانشا ، تحقيق : د. يوسف علي الطويل ، دار الفكر ، دمشق – ١٩٨٧م ، ٤٦٠/١ ، النويري ، احمد بن عبد الوهاب (ت١٤٢٢هـ) : نهاية الارب في فنون الادب ، دار الكتب العلمية ، ١/ ٢٨٦ .

([٦٧]) القرطبي : الجامع لأحكام القران ، ١٩/ ١٦٥ م .

([٦٨]) العاملي ، السيد مرتضى (ت١٤٤١ هـ) : الصحيح من سيرة النبي الاعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) ، المركز الاسلامي للدراسات ، ٨/١ ، ٥٩/١ ، الابشيهي ، شهاب الدين ابو الفتح (ت٨٥٢هـ) : المستطرف من كل فن مستظرف ، باب : اديان العرب في الجاهلية ، عالم الكتب ، بيروت – ١٤١٩هـ ، ٣٢٩/١ .

([٦٩])الآلوسي ، شهاب الدين محمد بن عبد الله (ت١٢٧٠هـ) : روح المعاني في تفسير القرن العظيم والسبع المثاني ، دار الكتب العلمية ، بيروت – ١٤١٥هـ ، ٤٠٨/٧ .

([٧٠]) النيسابوري ، نظام الدين الحسن بن محمد (ت٨٥٠هـ) : غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، تحقيق الشيخ زكريا عميرات ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٦م ، ٢٧١/٤ ، سورة النحل /٥٨ ، تفسير الطبري ١٤/ ٨٣ ، المفصل :٩٢/٩ دار الصافي ، ط٤ ، ٢٠٠١ .

([٧١]) سورة الانعام : الآية :١٤٠

([٧٢]) الطبري ، محمد بن جرير (٣١٠هـ) : جامع البيان في تفسير القرآن ، تحقيق: احمد محمد شاكر ، بلا مكان طبع ، ٢٠٠٠، ٣٨/٨ .

([٧٣])السمرقندي ، ابوالليث نصر بن محمد (ت ٣٧٣هـ) : بحرالعلوم ، تحقيق : د. محمود مطرجي ، دار الفكر، بيروت- بلا سنة طبع ٥٠٦/١ ،الخلوتي ، اسماعيل حقي مصطفى (ت١١٢٧هـ) : تفسير روح البيان ، دار احياء التراث العربي - بيروت ، بلا سنة طبع ، ٨٥/٣ ، ٩٧/٧ ، ٨٥/٧ ، العسكري ، السيد مرتضى (١٤٢٨هـ) : احاديث ام المؤمنين عائشه ، ط٥ ، التوحيد للنشر، مطبعة حيدر، ١٩٩٤م ، ١٩/١ ، علي ، المفصل : ط٢ ، ١٩٩٣م ، ٩٣/٥ ، و ط/٤ ، دار الصافي – ٢٠٠٤ م، ٩٣/٩ .

([٧٤]) النحل، الآية: ٥٨ .

([٧٥]) الطبري ، جامع البيان في تفسير القرآن ، ٢٢٧/١٧-٢٢٨ ، ابن كثير ، عماد الدين أبو الفدا اسماعيل (ت٧٧٤هـ) : تفسير القرآن العظيم ، تحقيق : مصطفى السيد ، وآخرون ، موسسة قرطبة ، مؤسسة اولاد الشيخ للنشر والطباعة ، الجيزه – ٢٠٠٠ ، ٤٥٣/٥ ، ٢٨٢/٦ ، القرطبي : الجامع لاحكام القرآن ، ١١٦/١٠، الآلوسي : روح المعاني ، ٥٣/١٣ ، المجلسي ، محمد باقر(١١١١ هـ) : بحار الانوار، بيروت- لبنان (د.ت)٢٩/٩ ، ٨٩/١٠١ ، ٣٢٠/٨ ، ٦١/١٢ ، ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي بن محمد (٥٩٧هـ) : زاد المسير في علم التفسير، المكتب الاسلامي ، بيروت – ١٤٠٤هـ ، ٤٥٧/٤ ، الرازي ، فخر الدين محمد بن عمر (ت٦٠٤هـ) : التفسير الكبير ، دار الكتب العلمية ، بيروت – ٢٠٠٠ م ، ٦٤/٣ ، ١٤٨/٨، ابن حبان الاندلسي ، محمد بن يوسف (٧٤٥هـ) : تفسير البحر المحيط ، تحقيق ، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، وآخرون ، دارالكتب العلمية – بيروت،٢٠٠١ ، ٤٨٧/٥ .

([٧٦]) الالوسي ، روح المعاني ، ٤٠٨/٧ ، علي ، المفصل ، ط٢ ، ١٩٩٣ م ، ٩٤/٥ ، دار الصافي ، ط٤ ، ٢٠٠١ ، ٩٤/٩ .

([٧٧]) الاصبهاني ، ابو الفرج علي بن الحسين (ت ٣٥٦هـ) : الاغاني ، دار الثقافة ، بيروت – ١٩٥٧ ، ٣٧٩/٢ .

([٧٨]) العموش ، أشعارترقيص الاطفال في التراث العربي القديم ، ص٣١ .

(٧٩) العموش، المصدر ننفسه ، ص٣ .
(٨٠) الحَجُون :الغزوة المَورَّى عنها، يُظهِر أنه يغزو جِهَةً ويُضمِر غيرها ، وقيل انه موضع بمكة ، وهو ايضا : حجون من السير أو نحوه البعيد الطويل، انظر: الفيروزآبادي ، مجد الدين ابي طاهر(ت٨١٧ه) : القاموس المحيط ، الهيئة المصرية ، ١٩٨٠م ، مادة : حجن وحجون ، ابن منظور: لسان العرب ، مادة: حجن وحجون . وقد ورت في اشار كثيرة للعرب بحسب المعنى المراد من الكلمة ، ومنها ماورد في شعر لأبي طالب (عليه السلام) بقوله :

جزى الله رهطا بالحجون تتابعوا على ملأ يهدي لحزم ويرشد
قعودا لدى حطم الحجون كأنهم مقاولة بل هم أعز وأمجد

انظر:إبراهيم ، د. محمد حمزه ، شعراء مكة قبل الاسلام دراسة وتحقيق ، دار الكتب العلمية ، بيروت – ١٩٧١م ، ٣٧٩ .
(٨١)علي ، المفصل ٥/ ٩١-٩٩، ط٢ ، ١٩٩٣ .

(٨٢) علي ، المصدر نفسه، ٩٦/٥ ، ط٢ ، ١٩٩٣ م .
(٨٣) الفرزدق ، (شرح الديوان) ، ضبط معانيه وشرحه ، : إليا الحاوي ، دار الكتب العلمية ، ومكتبة المدرسة ، بيروت – ١٩٨٢ م ، ٢٩١/١-٢٩٢ النويري ، احمد بن عبد الوهاب (ت١٤٢٢هـ) : نهاية الارب في فنون الادب ، دار الكتب العلمية، ١٢١/١٣ ، ٢٢٦/١٣ ، و دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة – ١٤٢٢هـ ، ١٢٦/٣ ، ٢١٦/٣١ ، المفصل ٩٧/٥ ، ط٢ ، ١٩٩٣م .
(٨٤) الفرززدق ، المصدر نفسه ، ٧١/٢ .
(٨٥) الزيات ، حبيب ، المراة في الجاهلية والاسلام ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهره- ٢٠١٢، ص١١ .
(٨٦) النويري ، المصدر نفسه ، ١٢٦/٣ ، ٢١٦/٣١ .
(٨٧) التبريزي ، يحيى بن علي بن محمد الشيبانيّ أبو زكريا (ت ٥٠٢هـ) : شرح ديوان الحماسة ، اختاره أبو تمام حبيب بن أوس ت ٢٣١ هـ) دار القلم – بيروت ، ١٠١/١ .
(٨٨) برو ، توفيق ، تاريخ العرب القديم ، ط٢ ، دار الفكر – بيروت ، ٢٠٠١م ، ٢٦٩/١ .
(٨٩) ابن منظور : لسان العرب ، مادة (كره) .
(٩٠) علي ، المفصل ١٣٩/٥، دار الصافي ، ط٤ ، ٢٠٠١ م .
(٩١) سورة النور الايه ٣٢
(٩٢)علي، المفصل ١٣٦/٥، دار الصافي ، ط٤ ، ٢٠٠١ م .
(٩٣) النووي ، ابو زكريا يحيى بن شرف(٦٧٦ هـ) : المنهاج شرح صحيح مسلم ، ط٢ ، دار احياء التراث العربي ، بيروت-١٢٩٢ ، ١٦٣/١٨.
(٩٤) الطبري: جامع البيان في تفسير القرآن ، طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت -٢٠١٣ م ، ٣١٩/٩ ، الخازن ، الامام علاء الدين علي بن محمد بن ابراهيم (ن٧٢٥هـ) : تفسير الخازن المسمى لباب التاويل في معاني التنزيل، ضبط وتصحيح : عبد السلام محمد علي شاهين ، دار الكتب العلمية ، بيروت- ١٩٩٥ ، ٤٣١/٧ ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ضبط وتصحيح : حسين بن ابراهيم زهران ، دار الفكر العربي للطباعة والنشر والتوزيع ، (د.ت) ، ٣١٩/٣ ، النووي ، شرح النووي على صحيح مسلم بن الحجاج ، (باب التفسير) ، دار احياء التراث العربي – بيروت(د.ت) ،١٦٣/١٨ ، الطوسي ، أبو جعفر محمدبن الحسن ، التبيان في تفسير القرآن ، تحقيق : أحمد حبيب قصير العاملي ، بلا مكان ولاسنة طبع ، ٤٢٤/٧ ، الالوسي : روح المعاني ، ٣٥٠/٦
(٩٥) الهاشمي، د.علي : المراة في الشعر الجاهلي ، دار المعارف ، بغداد-١٩٦٠م ، ص ١٧١ .
(96) Smith , Kinship& Marriage .p.92
(٩٧) جمعة ، محمد محمود النظم الاجتماعية عند قدماء العرب الساميين ، القاهرة ، م٥٩ ، ص ١٩٤٩ .
(٩٨) الهاشمي ، المراة في الشعر الجاهلي ، ص١١٧-١٧٢ .
(٩٩) ابن حيان الاندلسي ، محمد بن يوسف (ت ٧٤٥هـ) : تفسير البحر المحيط ، تحقيق : الشيخ احمد عبد الموجود ، وآخرون ، بيروت ، ٢٠٠١ م، ٣١١/٣.
(١٠٠) السمعاني ، ابو مظفر منصور بن عبد الجبار(ت٤٨٩هـ) : تفسير القرآن ، تحقيق : ياسر بن ابراهيم ، وغنيم بن عباس ، دار الوطن ، الرياض-١٩٩٧ م ، ٤٠٩/١ .
(١٠١)ابن حبيب ، ابو جعفر محمد بن حبيب (ت٢٤٥هـ): المحبر، اعتنت بتصحيحه : د. ايلزه ليحتن شتيتر، مطبعة جمعية دارئرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن – ١٩٤٢م ، ص٣٤٠ .
١٠٢ابو داوود، سلمانبن الاشعث السجستاني(ت٢٧٥هـ) : سنن أبي داوود ، كتاب النكاح ، باب ، رقم الحديث(٢٠٩٦) تحقيق : محمد ناصر الدين الالباني ، اعتناء: ابو عبيده مشهور بن حسان آل سلمان ، مكتبة المعارف للنشر ، الرياض (د.ت) ،

(١٠٣) ابن حنبل ، احمد ابو عبد الله الشيباني (ت ٨٥٥ هـ) ، مسند الامام احمد بن حنبل ، مؤسسة قرطبة ، القاهره – د.ت ، رقم الحديث (٢٢٨٣٠) ، ٣٢٦/٥ ، وانظر الطبعة /٢ المحققة ب : د. شعيب الارناؤوط ، وآخرون ، مؤسسة الرساله ، ١٩٩٩م ، ٤٣٨/٣٧ ، بدر الدين العيني ، ابو محمد محمود بن احمد (ت٨٥٥هـ) : عمدة القارئ في شرح صحيح البخاري ، دار احياء التراث العربي – بيروت – ٥٩/٩ ، ابن الجوزي ، جمال الدين ابو الفرج عبد الرحمن ،(ت٥٩٧هـ) ، تحقيق : د. عبد المعطي امين القلعجي ، دار احيار الكتب العلمية ، بيروت – ١٩٥٨ ، ٨/٢ ، الفخر الرازي ، محمد بن عمر بن الحسين (ت ٩٢٥هـ) : تفسير الرازي ، دار صادر ، التراث العربي ، ١٦٢٨/١ . الاصبهاني ، ابو نعيم أحمد بن عبد الله (ت٤٣٠هـ) : معرفة الصحابة ، تحقيق ، عادل بن يوسف العزاوي ، دار الوطن للنشر ، الرياض – ١٩٩٨م ، ٤٩٠/١ ، مالك بن أنس بن عامر (ت١٧٩هـ) : موطأ الامام مالك ، تحقيق : بشار عواد معروف ، و محمود خليل ، مؤسسة الرساله ، ١٤١٢هـ ، ٤٦٧/٢ .

(١٠٤) الاعشى ، ميمون بن قيس (ت٧هـ) : الديوان ، بلا تأريخ ولامكان نشر، رقم ٤١ ، ص٢٦٣، (الانباري ، ابو بكر محمد بن القاسم (ت٣٢٨هـ) : الزاهر في معاني كلمات الناس ، مؤسسة الرصافة ، بيروت ، ١٩٩٢م ، ١٣٧/٢ ، وانظر الطبعة المحققه بتحقيق : د. حاتم صالح الضامن ، ١٦٨/٢ ، الاغاني ، ٨٠/٢

(١٠٥) عروة بن الورد ، (الديوان) دراسة وشرح وتحقيق : اسماء ابو بكر محمد ، دار الكتب العلمية ، بيروت – ١٩٩٨م ، ص٦٣-٦٤

(١٠٦) الهاشمي ، المرأة في الشعر الجاهلي، ص١١٧-١٧٢ ، ٢٤١

(١٠٧) المبرد ، ابو العباس محمد بن يزيد (ت٢٨٦هـ) :الكامل للمبرد ، المطبعة الخيرية ، القاهرة- ١٣٠٨هـ ، ٢٨١/١

(١٠٨) علي ، المفصل ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٧١م، ٦٣٦/١

(١٠٩) على ، المصدر نفسه ، ٦٣٦/١ ، العموش ، ترقيص الاطفال في التراث العربي القديم ، ص٤١

(١١٠) ويلكن ، الامومة عند العرب ، ص٥١

(١١١) ابن حبيب : المحبر، ص٣٢٥-٣٢٧

(١١٢) سورة النساء آية :٢٢

(١١٣) سورة النساء ، آيه : ١٩

(١١٤) الطوسي ، التبيان في تفسير القرآن ، ١٨٠/٢

(١١٥) رهط الرجل : هو قومه وقبيلته ، وقيل هو عدد يمع من ثلاثة الى عشرة ، وقيل : هو مادون العشرة من الرجال . للمزيد انظر : ابن منظور: لسان العرب ، مادة (رهط) ، دار صادر، بيروت-٢٠٠٣م ، ٢٤٥/٦ .

(١١٦)ابن حبيب : المحبر ، ص٣٤٠ ، الهاشمي ، المراة ، ص٢٦٨-٢٦٩ ، يذهب (ويلكن): الامومة عند العرب ، ص٢٥ .ان هذا هو النوع الرابع من النكاح حيث يجتمع كثير من الناس على امرأة لاتمنع ممن جائها ، حيث يلحق ولدها بالذي يراه القافة .

(١١٧) إبن قتيبة الدينوري ، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ): الشعر والشعراء ، تحقيق : احمد محمد شاكر، القاهره- ١٩٦٦ م ، ٢/ ٧١٦ ، الاغاني ، المؤسسة المصرية العامه ، القاهرة – بلا سنة طبع ، ٢٣٧/٢٢-٢٤١ ، السراج ، جعفر بن أحمد بن الحسين القاري البغدادي، (ت ٥٠٠هـ) السراج ، مصارع العشاق ، تحقيق : محمد حسن محمد حسن إسماعيل ، أحمد رشدي شحاته ، دار صادر ، بيروت ، بلا سنة طبع ، ودار الكنب العلمية – بيروت-١٩٩٨، ٢٧/٢ .

(١١٨) النهدي :عبد الله بن العجلان ، (الديوان) ، جمع وتحقيق ، ابراهيم صالح ، هيئة ابو ضبي للثقافة والتراث ، دار الكتب الوطنية ، ابو ضبي – ٢٠١٠ م، ص٣٩ .

(١١٩) ابن الأثير ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري (ت ٦٣٠هـ): اسد الغابة ، دار الفكر ، بيوت-١٩٨٩م ، /٤ ٤٩٧- ٤٩٨ .

(١٢٠) تاج العروس ٢٤٣/٢ ، المفصل ١٥٣/٥ ، دار الصافي ، ط٤ ،٢٠٠١ م.

(١٢١)علي، المفصل، ١٥٣-١٥٦ ، دار الصافي ، ط٤ ، ٢٠٠١ م.

(١٢٢) المفصل ٥/ ١٩٣، المفصل ١٥٣/٥ ، دار الصافي ، ط٤ ، ٢٠٠١ م.

(١٢٣) الديوان ، وزارة الثقافة والاعلام ، الكويت-١٩٨٤م ، ص٢١٢-٢١٣ . شراب ، محمد بن محمد حسن ، شرح الشواهد الشعرية في امهات الكتب النحوية ، مؤسسة الرساله ، بيروت-٢٠٠٧ م،٣٨١/١

(١٢٤) المبرد : الكامل في اللغة والادب ، ٤٦/٤ ، السعدي ،عيسى ابراهيم الحنساء ينت همر من شواهد العرب ، دار المعتز، عمان الاردن (د.ت) ، ص١٤١ .

(١٢٥) المبرد ، الكامل في اللغة والادب ،ط٣، تحقيق : محمد ابو الغضل ابراهيم ، دار القكر العربي، القاهرة – ١٩٩٧ ، ١٢٠/٢،ابن سيده ، ابو الحسن علي ين اسماعيل(ت ٤٥٨ هـ) ، المحكم والمحيط الاعظم ، تحقيق : د. عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية – بيروت-٢٠٠٠م ، ٣٢٩/١

(١٢٦) النويري ، نهاية الارب في معرفة احوال العرب ، ٥٠/٢ ، الزبيدي : تاج العروس ، تحقيق مجموعة من المحققين ، دار الهداية ، ١٩٤/١٨ ، مادة : (فضض)، ط/٣ ، ١٤٠١هـ ، ٢٠٦/٧ ، مادة : فض ، منصور ، محمد بن احمد (ت٢٧٠

هـ) : تهذيب اللغه ، دار احياء التراث العربي ، بيروت -٢٠٠١ ، باب الضاد والفاء ، ٣٢٦/١١ ، المقدم ، محمد احمد ، عودة الحجاب ، دار ابن الجوزي القاهره-٢٠٠٧ م، ٦٢/٢ ، علي ، المفصل ، دار الصافي ،٢٠٠١م ، ١٧٣/٩ .

(١٢٧) الظاهرة المهمة التي تلفت النظر في حياة صعاليك العرب الاجتماعية هي فقد الإحساس بالعصبية القبلية التي كانت قوام المجتمع الجاهلي، وتطورها في نفوسهم إلى "عصبية مذهبية". وهي ظاهرة من السهل تعليلها بعدما فهمنا الظروف الاجتماعية التي وجد فيها هؤلاء الصعاليك، فأما الخلعاء والشذاذ فقد تخلت قبائلهم عنهم، وسحبت منهم "الجنسية القبلية"، فكان من الطبيعي أن يفقدوا إيمانهم بكل معاني القبلية، وأن يكفروا بتلك العصبية القبلية التي لم يعد لها قيمة في حياتهم، بل قد ينقلبون انقلابا تاما فتصبح صلتهم بقبائلهم صلة عداوة، فيوجهون غزواتهم إليها، كما فعل قيس بن الحدادية لما خلعته قبيلته، فلم يكن هناك إذن ما يوجب حرصهم على تلك العصبية القبلية لأنها مرفوضة من جانب القبيلة ، انظر: خليف ، يوسف : الشعراء في العصر الجاهلي ، ط٤ ، دار المعارف ، (د.ت) ، ١١٧/١ ، شوقي ، احمد ، تاريخ الادب في العصر الجاهلي ، دار المعرف (د.ت)،١/ ٦٧ .

(١٢٨) ياقوت الحموي ، شهاب الدين (ت٦٢٦ هـ) : معجم البلدان ، ط٢ ، دار صادر ، بيروت-١٩٩٥م ، ٦٣/١ . علي ، المفصل ، دار الصافي ، ٢٠٠١م ، ٨٦/٨ .

(١٢٩) ابن دريد ، ابو بكر محمد بن الحسن (ت٢٢١ هـ) ، الاشتقاق ، تحقيق : محمد عبد السلام هارون ، دار الجيل ، بيروت-١٩٩١م ، ٢٧٩/١ ، الهاشمي ، المرأة في الشعر الجاهلي ، ص١٩٣ ، فرّوخ ، عمر : تأريخ الأدب العربي ، ط٤ ، دار المعارف ، بيروت-١٩٨١م ، ١٠٦/١-١٠٧ .

(١٣٠) ابي تمام ، شرح ديوان الحماسة ١/ ١٣-١٣٩ .

(١٣١) الهاشمي ، المراة في الشعر الجاهلي ، ص٢٥٤ .

(132)Smith, William Robertson:The kinship and marriage ,: Cambridge printed by:C. G. clay, M. A. & son, at the university press ,١٨٨٥, p. 123.

١٣٣الهاشمي ، المرأة في الشعر الجاهلي ص٢٠ .

134 Levey ،Reuben.: An Introduction to The Sociology of Islam VI , London,1930, p.133

١٣٥الزيات ، المرأة في الجاهلية والاسلام، ص٣٠ .

ص١١٧ ، الهاشمي ،٢٢١ .

(١٣٧) عدي بن ربيعة بن الحارث بن مرة (ت٥٣١ هـ) ، الديوان ، شرح وتقديم : طلال حرب ، (د.ت) ص٨٣ ، وَقِيلَ ان المهلهل هو امْرُؤُ الْقَيْسِ، وَهُوَ خَالُ امْرِئِ الْقَيْسِ بْنِ حُجْرٍ الْكِنْدِيِّ وَإِنَّمَا لُقِّبَ مُهَلْهِلًا لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ هَلْهَلَ الشِّعْرَ وَقَصَّدَ الْقَصَائِدَ، وَأَوَّلُ مَنْ كَذَبَ فِي شِعْرِهِ، فَإِنَّهُ لَمَّا صَحَا لَمْ يَرُعْهُ إِلَّا النِّسَاءُ يَصْرُخْنَ . انظر: ابن الاثير ، ابو الحسن علي بن ابي الكرم ، عزالدين الجزري (ت٦٣٠هـ) : الكامل في التاريخ ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، بيروت-١٩٩٧م ، ٤٧٧/١ ، شيخو، رزق الله بن يوسف بن عبد المسيح : شعراء النصرانية ، مطبعة الآباء المرسلين واليسوعيين ، بيروت – ١٨٩٠م ،١٦٢/١ ، شمس الدين ، ابراهيم ، ايام العرب في الجاهلية والاسلام ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت-٢٠٠٢ م،ص٢٩.

١٣٨ الهاشمي ، المرأة في الشعر الجاهلي ، ص٢٥٢ .

(١٣٩) ابن حبيب : المحبر، ص٢٣٩ ، ابن قيم الجوزيه ، شمس الدين ابي عبد الله (ت٧٥١هـ) : أخبار النساء ، تحقيق: د. نزار رضا ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت – ١٩٨٢م ، ص١٦٨-١٧٢ .

(١٤٠)الهاشمي ، المرأة في الشعر الجاهلي ، ص٢٤٦ ، الزيات ، المراة ، ص١١ .

(١٤١) الهاشمي ،المصدر نفسه ، ٢٤٥ .

(١٤٢) المبرد ، الكامل في اللغة والادب ، تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم ، ط٣ ، دار الفكر العربي ، بيروت -القاهره – ١٩٩٧م ، ٨٩/٢ ، قتيبة الدينوري ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن (ت ٢٧٦هـ) :الشعر والشعراء ، تحقيق : احمد شاكر، دار المعارف ، القاهره(د.ت) ٢٥١/١، ٣٦٥ ، خليف ، الشعراء الصعاليك ، ٢٨٦/١.

(١٤٣) الخالديان ، ابو بكر محمد بن هاشم (ت٢٨٠هـ) ، وأبوعثمان سعيد بن هاشم (ت٢٧١ هـ) ابو جعفر محمد بن حبيب (ت٢٤٥هـ): حماسة الخالديين بالاشباه والنظائر من اشعارالمتقدمين والجاهليين والمخضرمين ، تحقيق : د. محمد علي دقه وزارة الثقافة ، الجمهورية العربية السورية ، ١٩٩٥م ، ٩٨/١ ، البرقوقي ، عبد الرحمن ، دولة النساء ، معجم ثقافي اجتماعي لغوي عن المرأة ، دار ابن حزم ، ١٩٤٥م ، ص٥٥٢ ، الهاشمي ، المرأة في الشعرالجاهلي ص٢٤٧ .

(١٤٤) الحميري ، نشوان بن سعيد (ت ٥٧٣هـ) ، شمس العلوم ، دار الفكر، المطبعة العلمية ، دمشق -١٤٢٩، ١٧٨/٢ .الفارابي ، ابراهيم ابن اسحق بن ابراهيم (ت٣٥٠ هـ): ديوان الادب (ميزان اللغة ومعيار الكلام) ، تحقيق : محمد السيد عثمان ، دارالكتب العلمية ، بيروت-٢٠١١م ، ١/ ٤٩١ ، الفيفي ، ابراهيم بن مسعود بن قاسم ، التفسير اللغوي في شرح الحماسة وايجازلفظها ، رسالة دكتوراه غير منشوره ، جامعة ام القرى ، ١٤٢٤هـ ،ص٣٥٧ ، ابن سيده الاندلسي (ت٤٥٨ هـ)، المخصص ، تحقيق : د. عبد الحميد احمد يوسف هنداوي ، دار الكتب العلمية – بيروت – ١٩٧١م ، ٧١٢/٦ .

(١٤٥) الأصفهاني ، الاغاني ، ، تحقيق : سمير جابر، ط ٢، دار الفكر – بيروت ، ٣٩٧/٢٠ .

(١٤٦) الآلوسي ، محمود شكري : بلوغ الارب في معرفة احوال العرب ، شرح وتصحيح وضبط : محمد بهجت الاثري ، دار الكتب العلمية ، بيرون-١٩٧١م ، ١٢٤/٢ ، وجاء في مجمع الامثال للميداني : ((لاَ يُحْسِنُ العَبْدُ الكَرَّ إلاَ الحَلَبَ والصَّر)) يضرب لمن يكلَّف مالاً يطيق ، أبو الميداني، الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت ٥١٨هـ) المحقق: محمد محيى الدين عبد الحميد الناشر: دار المعرفة – بيروت(د.ت) ،٢٤٤/٢ .

(١٤٧) هو خفاف بن الحارث بن الشريد السلمي ، كان من فرسان وشعراء العرب المعدودين ، ادرك الاسلام ، وسمي ايضا بإبن ندبه ، وندبه أُمهُ ، وكانت سوداء ، فنسب اليها ، انظر: .القيسي ، د. نوري حمودي القيسي (جمع وتحقيق) ، شعر خفاف بن ندبه السلمي ، مطبعة المعرف ، بغداد- ١٩٩٧ ، ص٧-٨ ، وكذلك انظر: السلمي ، خفاف بن ندبه : (شرح الديوان) ، دارالفكر العربي - ٢٠٠٢م ، مقدمة الكتاب ، زيدان ، جرجي ، تاريخ آداب اللغة العربية ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهره-٢٠١٢، ص١٣٨-١٣٩ .

١٤٨الحرة اذا ولدت تسمى : ام (البنين) ، والأَمَة ، اذا ولدت ، تسمى : (أم ولد) الهاشمي ، ص٢٤٨ .

(١٤٩) ابن حبيب ، القاب الشعراء ومن يعرف بأمه (ضمن سلسلة نوادر المخطوطات) ، تحقيق : عبد السلام هارون ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ١٩٠٠م ، ص٣١١ .

(١٥٠) الهاشمي ، ص٢٥٠

(١٥١) يذكر المؤرخون : أن حربا قد قامت بين قيس من جهة ، وقريش وكنانة من جهة أخرى في الاشهر الحرم - وهي أشهر الحج ، ورجب ، معها - ولذلك سميت حرب الفجار ، وروي أنه كانت للعرب حروب اربع سميت بالفجار، لما استحل فيها من المحارم : فالفجار الاول : كان بين كنانة وهوازن وكان السبب فيه : ان بدرإبن معشر الكناني كان حدثا منيعا في نفسه ، فحضر سوق عكاظ ومعه حى من كنانة ، وعقد لنفسه مجلسا يفتخر فيه فتصدى له الاحيمر بن مازن ومعه حى من بني هوازن ، فكادت الحرب ان تقع ثم رأوا ان الخطب يسيرفتراجعوا عن الحرب وحيث كان سوق عكاظ في رجب الحرام سميت الحادثة (فجارا) . انظر: ابن سعد ، ابو عبد الله محمد (ت ٢٢٠هـ) : الطبقات الكبرى ، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ، دارالكتب العلمية ، بيروت- ١٩٩٠، ١٠١/١ ، ابن حبيب ، المحبر : تحقيق : ايلزه ليختن شنينر، دار الافاق الجديده- بيروت (د.ت) ،١٩٦/١م ، ابن كثير، ابو الفدا اسماعيل بن عمر(ت٧٧٤هـ) ، البداية والنهاية ، دار الفكر ، بيروت – ١٩٨٦م ، ٢٨٦/٢ .

(١٥٢) سورة النور، الآيه:٣٣ ، وانظر تفسيرذلك في : الآلوسي : روح المعاني ، ٣٥١/٩ .

(١٥٣) الهاشمي ، المرأة في الشعر الجاهلي ،ص٧٧ .

(١٥٤) سورة النساء/ ١٧٦ ، الآلوسي : روح المعاني ، ٢٠٤/٢ ، الطبرسي / مجمع البيان، ٢٢٨/٢ ، .

(١٥٥) ابن حبيب ، المحبر ، ص٣٣٠

(١٥٦) الزمخشري ، جاد الله محمود بن عمر(ت٥٣٨ هـ) ، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ٨/٣٢ ، بيروت ٤٧٦/١-٤٧٧ .

(١٥٧) الطبري : جامع البيان ، بتحقيق: د. عبدالله عبد المحسن التركي ، دار هجر للطباعة -٢٠٠١م ، ٥٤٦/٧.

(١٥٨) والملاحظ ان زواج الأخ بأرملة أخيه لم تكن عند العرب وحدهم ، حيث يوجد عند أقوام آخرين يلزمون الأخ بالزواج بأرملة أخيه ، فالتوارة تفرض على معتنقيها ذلك لكي يحافظ على أموال أخيه ضمن الأسرة ولا يجعلوها تذهب الى رجل أجنبي ، هذا من الجانب الاقتصادي ، اما من الجانب الاجتماعي فعلى الأخ ان يحميل اسم أخيه من خلال تسمية أول ولد له من أرملة أخيه باسم المتوفي ، اما اذ اعدل عن الزواج منها فكان على الأرملة ان تنتصف منه أمام الرأي للعام ، حيث تنزع نعلها وتضربه أمام الناس وتصرخ بأن هذا لم يحافظ على اسم أخيه. الكتاب المقدس (العهد العتيق) ، بيروت- ١٩٨٣م ، سفر التثنية ، الإصحاح الخامس والعشرون ، الآية : ٥-٦ .

(١٥٩) ابن حبيب :المحبر ، ٢٣٦ ، ويلكن ، الامومة عند العرب ، ص٦٥- ٦٦ ،الهاشمي ، ص٢١٨ .

(١٦٠) ويلكن : الامومة عند العرب ، ص٥٠ .

(161) Smith , Kinship& Marriage p.76

(١٦٢) الاصفهاني ، الاغاني ، ١٣٣/٢ .

(١٦٣) عروة بن الورد : (الديوان) ، ص٩٢-٩٣ .

(١٦٤) الهاشمي ، المراة في الشعر الجاهلي ، ص٢١١ .

(١٦٥) المبرد : الكامل في اللغة والادب ، ط٣ ، دار الفكر العربي ، بيروت – ١٩٩٧م ، ١٩٣/١ ، ابن طيفور، ابو الفضل احمد بن ابي طاهر(ت٢٨٠): بلاغات النساء ، شرح وتصحيح: احمد الالفي ، مطبعة مدرسة والدة عباس الاول – القاهره- ١٩٨١م ، ٢٠٢/١ ، المرزوقي ، ابوعلي احمد بن محمد بن الحسن (ت٤٢١ هـ) : شرح ديوان الحماسه ، تحقيق : غريد الشيخ ، دار الكتب العلمية ، بيروت – ٢٠٠٢م ، ٥٧٣/١ ، الفارسيّ ، أبو القاسم زيد بن علي (المتوفى: ٤٦٧ هـ) تحقيق : د. محمد عثمان علي الناشر: شرح كتاب الحماسة للفارسي ، مطبوع مع: شروح حماسة أبي تمام دراسة موازنة في مناهجها وتطبيقها ، دار الأوزاعي (د.ت) بيروت ، ٣٦٠/٢ ، التبريزي ، يحيى بن علي (ت ٥٠٥هـ): شرح ديوان الحماسه ، دار القلم – بيروت (د.ت) ، ٣١٦/١ ، ، ابن صعيد الاندلسي ، ابو الحسن نور الدين (ت٦١٠ هـ): نشوة الطرب في تأريخ

جاهلية العرب ، تحقيق: د. نصرت عبد الرحمن ، مكتبة الاقصى ، عمان – الاردن ، (د.ت) ، ٦٥٤/١ ، البوسي ، نور الدين الحسن بن محمد ابو علي (ت١١٠٢هـ) : زهر الاكم في الامثال والحكم ، تحقيق : د. محمد حجي ، د. محمد الاخضر ، الشركة الجديده ، دارالثقافه ، الدارالبيضاء ، المغرب- ١٩٨١م ، ٢٤١/١ ، بشير ، يموت : شاعرات العرب في الجاهلية والاسلام ، وكالة الصحافة العربية ، - ٢٠١٩م ، ص١٠٣ ، وطبعة المكتبة الاهلية ، ص١٠٤/١ .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

الكتاب المقدس (العهد العتيق) ، بيروت- ١٩٨٣م

١. ابن الأثير ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري (ت ٦٣٠هـ): اسد الغابة ، دار الفكر ، بيوت-١٩٨٩م.
٢. ابن قيم الجوزيه ، شمس الدين ابي عبد الله (ت٧٥١هـ) : أخبار النساء ، تحقيق: د. نزار رضا ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت – ١٩٨٢م .
٣. ابن حبيب ، ابو جعفر محمد بن حبيب (ت٢٤٥هـ): المحبر، اعتنت بتصحيحه : د. ايلزه ليحتن شتيتر، مطبعة جمعية دارئرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن – ١٩٤٢م .
٤. ابن حبيب ، القاب الشعراء ومن يعرف بأمه (ضمن سلسلة نوادر المخطوطات) ، تحقيق : عبد السلام هارون ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ١٩٠٠م .
٥. ابن حجر العسقلاني ، ابو الفضل احمد بن علي (ت٨٥٢ هـ): فتح الباري في شرح صحيح البخاري ، دار المعرفه ، بيروت -١٣٧٩هـ ، والباب الخامس والثلاثون من كتاب الأدب - الكتاب الثامن والسبعين، ترقيم الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي ، طبعة دار الحديث ، ٢٠٠٤م .
٦. القحطاني ، سعيد علي بن وهب : فقه الدعوة في صحيح الامام البخاري ، الرئاسة العامة لأدارة البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد ، ١٤٢١هـ .
٧. ابن حنبل ، احمد ابو عبد الله الشيباني (ت ٨٥٥ هـ) ، مسند الامام احمد بن حنبل ، مؤسسة قرطبة ، القاهره – د.ت ، و الطبعة /٢ المحققة من قبل : د. شعيب الارناؤوط ، وآخرون ، مؤسسة الرساله ، ١٩٩٩م .
٨. بدر الدين العيني ، ابو محمد محمود بن احمد (ت٨٥٥هـ) : عمدة القارئ في شرح صحيح البخاري ، دار احياء التراث العربي – بيروت .
٩. ابن الجوزي ، جمال الدين ابو الفرج عبد الرحمن ،(ت٥٩٧هـ) ، تحقيق : د. عبد المعطي امين القلعجي ، دار احيار الكتب العلمية ، بيروت – ١٩٥٨م .
١٠. الفخر الرازي ، محمد بن عمر بن الحسين (ت ٩٢٥هـ) : تفسير الرازي ، دار صادر ، التراث العربي .
١١. الاصبهاني ، ابو نعيم أحمد بن عبد الله (ت٤٣٠هـ) : معرفة الصحابة ، تحقيق ، عادل بن يوسف العزاوي ، دار الوطن للنشر ، الرياض – ١٩٩٨م .
١٢. بن أنس ، مالك بن عامر (ت١٧٩هـ) : موطأ الامام مالك ، تحقيق : بشار عواد معروف ، و محمود خليل ، مؤسسة الرساله ، ١٤١٢هـ .
١٣. ابن حيان الاندلسي ، محمد بن يوسف (ت ٧٤٥هـ) : تفسير البحر المحيط ، تحقيق : الشيخ احمد عبد الموجود ، وآخرون ، بيروت ، ٢٠٠١ م .
١٤. ابن دبيل ، سرحان ، ظاهرة العنف السياسي في الجزائر ، مجلة العلوم الاجتماعية ، ع٤ ، م٢٨ ، ٢٠٠٠م ، ص٤٨ ، شكور .
١٥. جليل ويع ، العنف والجريمه ، الدار العربية للعلوم ، بيروت – ١٩٩٧ .
١٦. ابن دريد ، ابو بكر محمد بن الحسن (ت٢٢١ هـ) ، الاشتقاق ، تحقيق : محمد عبد السلام هارون ، دار الجيل ، بيروت-١٩٩١م .
١٧. فرّوخ ، عمر : تأريخ الأدب العربي ، ط٤ ، دار المعارف ، بيروت-١٩٨١م .

١٨. إبن قتيبة الدينوري ، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ): الشعر والشعراء ، تحقيق : احمد محمد شاكر، القاهره- ١٩٦٦ م .
١٩. الاغاني ، المؤسسة المصرية العامه ، القاهرة – بلا سنة طبع .
٢٠. السراج ، جعفر بن أحمد بن الحسين البغدادي، (ت ٥٠٠هـ) : مصارع العشاق ، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٩٩٨ م ، ودار صادر – بيروت – بلا سنة طبع .
٢١. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي (711هـ) : لسان العرب، طبعة دار الفكر، بيروت ، دار صادر، بيروت-٢٠٠٣م .
٢٢. ابو داود، سلمانبن الاشعث السجستاني(ت٢٧٥هـ) : سنن أبي داوود ، كتاب النكاح ، باب ، رقم الحديث(٢٠٩٦) تحقيق : محمد ناصر الدين الالباني ، اعتناء: ابو عبيده مشهور بن حسان آل سلمان ، مكتبة المعارف للنشر ، الرياض (د.ت) .
٢٣. ابو دية ، ايوب : الحجاب في التاريخ ، الفارابي ، عمان ،الاردن -٢٠١١ .
٢٤. الاصبهاني ، ابو الفرج علي بن الحسين (ت ٣٥٦هـ) : الاغاني ، دار الثقافة ، بيروت – ١٩٥٧ .
٢٥. الأصفهاني ، الاغاني ، ، تحقيق : سمير جابر، ط ٢ ، دار الفكر – بيروت (د.ت) ، وطبعة المؤسسة المصرية العامه ، القاهرة – بلا سنة طبع .
٢٦. الاعشى ، ميمون بن قيس (ت٧هـ) : الديوان ، بلا تأريخ ولامكان نشر .
٢٧. الانباري ، ابو بكر محمد بن القاسم (ت٣٢٨هـ) : الزاهر في معاني كلمات الناس ، مؤسسة الرصافة ، بيروت ، ١٩٩٢م .
٢٨. الزمخشري ، جاد الله محمود بن عمر(ت٥٣٨ هـ) ، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، بيـروت(د.ت).
٢٩. الآلوسي ، شهاب الدين محمد بن عبد الله (ت١٢٧٠هـ) : روح المعاني في تفسير القرن العظيم والسبع المثاني ، دار الكتب العلمية ، بيروت – ١٤١٥هـ .
٣٠. الآلوسي ، محمود شكري : بلوغ الارب في معرفة احوال العرب ، شرح وتصحيح وضبط : محمد بهجت الاثري ، دار الكنب العلمية ، بيرون-١٩٧١م .
٣١. الميداني ، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت ٥١٨هـ) المحقق: محمد محيى الدين عبد الحميد الناشر: دار المعرفة – بيروت(د.ت) .
٣٢. امام ، عبد الفتاح : الفيلسوف والمراة ، افلاطون والمرأة ، ط٢ ، مكتبة مدبولي ، القاهره- ١٩٩٦ م.
٣٣. أمرؤ القيس ، ابو الحارث بن حجر الكندي (ت ٥٤٠هـ) :(شرح الديوان) ، المطبعة الخيرية ، القاهرة – ١٣٠٧هـ .
٣٤. أنسكو ، ت. أ ، و ج. سكوبلر: علم النفس الإجتماعي التجريبي ، ترجمة :عبد الحميد صفوت إبراهيم ، مطابع جامعة الملك سعود ، الرياض ، 1993 م .
٣٥. انظر:إبراهيم ، د. محمد حمزه ، شعراء مكة قبل الاسلام دراسة وتحقيق ، دار الكتب العلمية ، بيروت – ١٩٧١م .
٣٦. بدوي ، احمد زكي : معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية ، مكتبة لبنان ، بيروت -١٩٨٧م .
٣٧. برو ، توفبق ، تاريخ العرب القديم ، ط٢ ، دار الفكر – بيروت ، ٢٠٠١م .
٣٨. بيهم ، محمد جميل : المرأة في التاريخ والشرائع ،بيروت ١٩٢١ .
٣٩. .
٤٠. التبريزي ، يحيى بن علي بن محمد الشيبانيّ أبو زكريا (ت ٥٠٢هـ) : شرح ديوان الحماسة ، اختاره أبو تمام حبيب بن أوس ت ٢٣١ هـ) دار القلم – بيروت ، ١٠١/١ .
٤١. تقرير منظمة الصحة العالمي حول العنف ، ٢٠٠٢م .

٤٢. جمعة ، محمد محمود النظم الاجتماعية عند قدماء العرب الساميين ، القاهرة ، ١٩٤٩ .
٤٣. جمهورية افلاطون ، ترجمة : منا خباز ، دار القلم ، بيروت(د.ت) .
٤٤. حجازي ، مصطفى : العنف والتخلف الاجتماعي ، معهد الانماء العربي - بيروت – ١٩٧٦م .
٤٥. الفيروزآبادي ، مجد الدين ابي طاهر(ت٨١٧ه) : القاموس المحيط ، الهيئة المصرية ، القاهرة- ١٩٨٠م .
٤٦. الحميري ، نشوان بن سعيد (ت ٥٧٣هـ) ، شمس العلوم ، دار الفكر، المطبعة العلمية ، دمشق - ١٤٢٩هـ .
٤٧. الفارابي ، ابراهيم ابن اسحق بن ابراهيم (ت٣٥٠ هـ): ديوان الادب (ميزان اللغة ومعيار الكلام) ، تحقيق : محمد السيد عثمان ، دارالكتب العلمية ، بيروت-٢٠١١م .
٤٨. الفيفي ، ابراهيم بن مسعود بن قاسم ، التفسير اللغوي في شرح الحماسة وايجازلفظها ، رسالة دكتوراه غير منشوره ، جامعة ام القرى ، ١٤٢٤هـ .
٤٩. ابن سيده الاندلسي (ت٤٥٨ هـ)، المخصص ، تحقيق : د. عبد الحميد احمد يوسف هنداوي ، دار الكتب العلمية – بيروت – ١٩٧١م.
٥٠. الخالديان ، ابو بكر محمد بن هاشم (ت٢٨٠هـ) ، وأبوعثمان سعيد بن هاشم (ت٢٧١ هـ): ابو جعفر محمد بن حبيب (ت٢٤٥هـ): حماسة الخالديين بالاشباه والنظائر من اشعارالمتقدمين والجاهليين والمخضرمين ، تحقيق : د. محمد علي دقه وزارة الثقافة ، الجمهورية العربية السورية ، ١٩٩٥م .
٥١. البرقوقي ، عبد الرحمن ، دولة النساء ، معجم ثقافي اجتماعي لغوي عن المرأة ، دار ابن حزم ، بيروت – ١٩٩٤٥م .
٥٢. ابن العبد ، طرفة : الديوان ، وزارة الثقافة والاعلام ، الكويت-١٩٨٤م.
٥٣. شراب ، محمد بن محمد حسن ، شرح الشواهد الشعرية في امهات الكتب النحوية ، مؤسسة الرساله ، بيروت-٢٠٠٧ .
٥٤. الزبيدي، محمد بن محمد (ت: ١٢٠٥هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، بيروت – بلا سنة طبع ، (مادة عنف) .
٥٥. الزوزني ، حسين بن احمد بن حسين(٤٨٦ هـ) : شرح المعلقات السبع ، دار الكتب العلمية ، بيرت- ١٩٧١ .
٥٦. الزيات ، حبيب ، المراة في الجاهلية والاسلام ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهره- ٢٠١٢ .
٥٧. سبتينو، موسكاتي ، الحضارات السامية القديمة ، ترجمة : السيد د. يعقوب بكر، مراجعة د. محمد القصاص ، دارالكتاب العربي للطباعة والنشر، دار الرقي ، بيروت- ١٩٨٦.
٥٨. سليمان ، عامر ، القانون في العراق القديم دراسة تاريخية قانونية مقارنة ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد-١٩٨٧ .
٥٩. السمرقندي ، ابوالليث نصر بن محمد (ت ٣٧٣هـ) : بحرالعلوم ، تحقيق : د. محمود مطرجي ، دار الفكر، بيروت- بلا سنة طبع .
٦٠. الخلوتي ، اسماعيل حقي مصطفى (ت١١٢٧هـ) : تفسير روح البيان ، دار احياء التراث العربي - بيروت ، بلا سنة طبع .
٦١. العسكري ، السيد مرتضى (١٤٢٨هـ) : احاديث ام المؤمنين عائشه ، ط٥ ، التوحيد للنشر، مطبعة حيدر، ١٩٩٤م.
٦٢. السمعاني ، ابو مظفر منصور بن عبد الجبار(ت٤٨٩هـ) : تفسير القرآن ، تحقيق : ياسر بن ابراهيم ، وغنيم بن عباس ، دار الوطن ، الرياض-١٩٩٧ م .

٦٣. سورة الاسراء، آيه :٣١ ، وانظر تفسير ذلك في كل من : النحاس ، ابو جعفر (ت٣٣٨ هـ) : معاني القرآن الكريم (د.ت) ، ٤/ ١٤٦ ، الاسكافي ، ابوعبد الله محمد بن عبد الله (ت٢٤٠هـ): درة التنزيل وغرة التأويل ، دراسة وتحقيق : د. محمد مصطفى آيدين ، جامعة ام القرى – مكة المكرمه ، ٢٠٠١ م .
٦٤. الزركشي ، ابو عبد الله بدر الدين (ت٧٩٤هـ) : البرهان في علوم القرآن ، تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار احياء التراث العربي ، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه ، دار المعرفة – بيروت ، (د.ت) .
٦٥. الشيرازي ، ناصر مكارم : الامثل في تفسير كتاب الله المنزل ، (د.ت)، ٤٥١/١٩ .
٦٦. ص١١٧ ، الهاشمي ،٢٢١ .
٦٧. الطبري : جامع البيان ، بتحقيق: د. عبدالله عبد المحسن التركي ، دار هجر للطباعة -٢٠٠١م ، ٥٤٦/٧.
٦٨. ابن كثير ، عماد الدين أبو الفدا اسماعيل (ت٧٧٤هـ) : تفسير القرآن العظيم ، تحقيق : مصطفى السيد ، وآخرون ، موسسة قرطبة ، مؤسسة اولاد الشيخ للنشر والطباعة ، الجيزه – ٢٠٠٠ .
٦٩. المجلسي ، محمد باقر(١١١١ هـ) : بحار الانوار، بيروت- لبنان (د.ت)٩.
٧٠. ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي بن محمد (٥٩٧هـ) : زاد المسير في علم التفسير، المكتب الاسلامي ، بيروت – ١٤٠٤هـ .
٧١. ، الرازي ، فخر الدين محمد بن عمر (ت٦٠٤هـ) : التفسير الكبير ، دار الكتب العلمية ، بيروت – ٢٠٠٠ م .
٧٢. ابن حبان الاندلسي ، محمد بن يوسف (٧٤٥هـ) : تفسير البحر المحيط ، تحقيق ، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، وآخرون ، دارالكتب العلمية ، بيروت –٢٠٠١ .
٧٣. الطبري ، محمد بن جرير(٣١٠هـ) : جامع البيان في تفسير القرآن ، تحقيق: احمد محمد شاكر ، بلا مكان طبع ، ٢٠٠٠م .
٧٤. الطبري: جامع البيان في تفسير القرآن ، طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت -٢٠١٣ م .
٧٥. الخازن ، الامام علاء الدين علي بن محمد بن ابراهيم (ن٧٢٥هـ) : تفسير الخازن المسمى لباب التاويل في معاني التنزيل، ضبط وتصحيح : عبد السلام محمد علي شاهين ، دار الكتب العلمية ، بيروت- ١٩٩٥ .
٧٦. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ، ضبط وتصحيح : حسين بن ابراهيم زهران ، دارالفكر العربي للطباعة والنشر والتوزيع ، (د.ت) .
٧٧. النووي ، شرح النووي على صحيح مسلم بن الحجاج ، (باب التفسير) ، دار احياء التراث العربي – بيروت(د.ت) الطوسي ، أبو جعفر محمدبن الحسن ، التبيان في تفسير القرآن ، تحقيق : أحمد حبيب قصير العاملي ، بلا مكان ولاسنة طبع .
٧٨. طه ، فرج عبد القادر ، موسوعة علم النفس والتحليل النفسي ، دار االصباح ، الكويت ، ١٩٩٣م .
٧٩. جابر ، جابر عبد الحميد ، نظريات الشخصية والبناء والديناميك ، النمو وطرق البحث ، دار النهضة العربية ، القاهرة-١٩٩٠م .
٨٠. خليف ، يوسف : الشعراء في العصر الجاهلي ، ط٤ ، دار المعارف ، (د.ت) .
٨١. شوقي ، احمد ، تاريخ الادب في العصر الجاهلي ، دار المعارف (د.ت) .
٨٢. العاملي ، السيد مرتضى (ت١٤٤١هـ) : الصحيح من سيرة النبي الاعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) ، المركز الاسلامي للدراسات .
٨٣. الابشيهي ، شهاب الدين ابو الفتح (ت٨٥٢هـ) : المستطرف من كل فن مستظرف ، باب : اديان العرب في الجاهلية ، عالم الكتب ، بيروت – ١٤١٩هـ .

٨٤. عبد المحمود ، عباس ابو شامه ، ومحمد امين البشري ، العنف الاسري في ظل العولمه ، مركز الدراسات والبحوث ،٢٠٠٥م .
٨٥. عدي بن ربيعة بن الحارث بن مرة (ت٥٣١ هـ) ، الديوان ، شرح وتقديم : طلال حرب ، (د.ت) .
٨٦. ابن الاثير ، ابو الحسن علي بن ابي الكرم ، عزالدين الجزري (ت٦٣٠هـ) : الكامل في التاريخ ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، بيروت-١٩٩٧م .
٨٧. شيخو، رزق الله بن يوسف بن عبد المسيح : شعراء النصرانية ، مطبعة الآباء المرسلين واليسوعيين ، بيروت – ١٨٩٠م .
٨٨. شمس الدين ، ابراهيم ، ايام العرب في الجاهلية والاسلام ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت-٢٠٠٢ م .
٨٩. عروة بن الورد ، (الديوان) دراسة وشرح وتحقيق : اسماء ابو بكر محمد ، دار الكتب العلمية ، بيروت – ١٩٩٨م ، ص٦٣-٦٤
٩٠. العقاد، عصام عبد اللطيف : سايكولجية العدوان وترويضها منحى علاجي معرفي جديد ، دار قريب للطباعة والنشر والتوزيع ، ٢٠٠١ م .
٩١. عقراوي ، ثلماستيان ، المراة ومكانتها في حضارة بلاد وادي الرافدين ، وزارة الثقافة والفنون – الجمهورية العراقية ، ١٩٧٨ .
٩٢. علي ، د. جواد: المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ط٢ ، ساعدت جامعة بغداد على طبعه ، ١٩٩٣م ،٥/٩٧-٩٨،وطبعة دار الصافي ، ط٤ ،٢٠٠١ م .
٩٣. فتال ، اخلاص ، العنف ضد المرأة ، ٢٠٠٢ م .
٩٤. عبد الكريم ، محفوظ وعيسى ، طقوس : العنف السياسي ، فلسفته ، اصوله ، أبعاده ، دار الشروق للطباعة بيروت-١٩٨٦م .
٩٥. الفرزدق ، (شرح الديوان) ، ضبط معانيه وشرحه : إليا الحاوي ، دار الكتب العلمية ، ومكتبة المدرسة ، بيروت – ١٩٨٢ م .
٩٦. النويري ، احمد بن عبد الوهاب (ت١٤٢٢هـ) : نهاية الارب في فنون الادب ، دار الكتب العلمية ، و دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة – ١٤٢٢هـ .
٩٧. فونتاتا، ديفيد، الشخصية والتربية ، ترجمة ، عبد الحميد يعقوب ، واخرون ، مطابع التعليم العالي ، دار اربيل ، العراق ، ١٩٨٦م .
٩٨. قاشا ، سهيل : المرأة في شريعة حمورابي ، منشورات جامعة الموصل – العراق -١٩٨٥ ،ص١١٩-١٢٢ .
٩٩. القرطبي : ابو عبد الله محمد بن أحمد بن فتح الانصاري (ت٦٧١هـ) : الجامع لأحكام القرآن ، تحقيق هشام سعيد البخاري ، دار عالم الكتب ، الرياض – ٢٠٠٢ م .
١٠٠. القلقشندي ، احمد بن علي (ت ٧٥٦هـ): صبح الاعشى في صناعة الانشا ، تحقيق : د. يوسف علي الطويل ، دار الفكر ، دمشق – ١٩٨٧م .
١٠١. النويري ، احمد بن عبد الوهاب (ت١٤٢٢هـ) : نهاية الارب في فنون الادب ، دار الكتب العلمية.
١٠٢. كيال ، باسمه ، تطور المرأة عبر التأريخ ، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر ، بيروت – ١٩٨١ .
١٠٣. كيمه ، ايت جموده ، وآخرون : مظاهر وأسباب العنف في المجتمع الجزائري ، من منظر الهيئة الجامعية ، جامعة الجزائر ، ديسمبر ،٢٠١١ م .
١٠٤. لالاند ، اندريه ، موسوعة لالاند الفلسفية ، منشورات عويدات ، بيروت – باريس – ١٩٩٦م .

١٠٥. السعدي ،عيسى ابراهيم الحنساء ينت همر من شواهد العرب ، دار المعتز، عمان الاردن (د.ت) .
١٠٦. ابن طيفور، ابو الفضل احمد بن ابي طاهر(ت٢٨٠): بلاغات النساء ، شرح وتصحيح : احمد الالفي ، مطبعة مدرسة والدة عباس الاول – القاهره- ١٩٨١م .
١٠٧. المرزوقي ، ابوعلي احمد بن محمد بن الحسن (ت٤٢١ هـ) : شرح ديوان الحماسه ، تحقيق : غريد الشيخ ، دار الكتب العلمية ، بيروت – ٢٠٠٢م .
١٠٨. الفارسيّ ، أبو القاسم زيد بن علي (المتوفى: ٤٦٧ هـ) تحقيق : د. محمد عثمان علي الناشر: شرح كتاب الحماسة للفارسي ، مطبوع مع: شروح حماسة أبي تمام دراسة موازنة في مناهجها وتطبيقها ، دار الأوزاعي (د.ت) بيروت .
١٠٩. التبريزي ، يحيى بن علي (ت ٥٠٥هـ): شرح ديوان الحماسه ، دار القلم – بيروت (د.ت) .
١١٠. ابن صعيد الاندلسي ، ابو الحسن نور الدين (ت٦١٠ هـ): نشوة الطرب في تأريخ جاهلية العرب ، تحقيق: د. نصرت عبد الرحمن ، مكتبة الاقصى ، عمان – الاردن ، (د.ت) .
١١١. البوسي ، نور الدين الحسن بن محمد ابو علي (ت١١٠٢هـ) : زهر الاكم في الامثال والحكم ، نحقيق : د. محمد حجي ، د. محمد الاخضر ، الشركة الجديده ، دارالثقافه ، الدارالبيضاء ، المغرب- ١٩٨١م ، ٢٤١/١ ، بشير ، يموت : شاعرات العرب في الجاهلية والاسلام ، وكالة الصحافة العربية ، - ٢٠١٩م ، وطبعة المكتبة الاهلية.
١١٢. المبرد ، ابو العباس محمد بن يزيد (ت٢٨٦هـ): الكامل في اللغة والادب ، المطبعة الخيرية ، القاهرة- ١٣٠٨هـ ، والطبعة المحققة من قبل: تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم ، ط٣ ، دار الفكر العربي ، بيروت -القاهره – ١٩٩٧م .
١١٣. والطبعة /٣، تحقيق : محمد ابو الغضل ابراهيم / دار الفكر العربي ، القاهرة – ١٩٩٧ .
١١٤. ابن سيده ، ابو الحسن علي ين اسماعيل(ت ٤٥٨ هـ) ، المحكم والمحيط الاعظم ، تحقيق : د. عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية – بيروت-٢٠٠٠م .
١١٥. قتيبة الدينوري ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن (ت ٢٧٦هـ) : الشعر والشعراء ، تحقيق : احمد شاكر، دار المعارف ، القاهره(د.ت).
١١٦. موسى ، سلامة ، المرأة ليست لعبة الرجل ، الشركة العربية ، القاهرة ، ١٩٥٦م .
١١٧. السعداوي ، نوال ، دراسات عن الرجل والمرأة في المجتمع العربي ، ط٢ ،المؤسسة العربية لدراسات والنشر ، ١٩٩٠م .
١١٨. متي ، أفرام : المراة عبر التأريخ ، بلا مكان ولا سنة طبع .
١١٩. مختار ، وفيق صفوت : مشكلات الاطفال السلوكية ، الاسباب وطرق العلاج ، دار العلم للثقافة ، القاهره-١٩٩٩م .
١٢٠. مظلوم ، طارق ، النحت الآشوري ، موسوعة حضارة العراق ، بغداد- ١٩٨٠ .
١٢١. ساكز، هاري ، عظمة آشور، ترجمة : خالد أسعد عيسى واحمد غسان سبانو، دار ومؤسسة رسلان ، دمشق - ٢٠٠٨.
١٢٢. نبيله ، يسلي :العنف ضد المرأة ، بين واقع التربية والرجله ، رسالة ماجستيرغير منشوره ، جامعة الجزائر ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ، ٢٠٠٨-٢٠٠٩ م .
١٢٣.
١٢٤. النهدي :عبد الله بن العجلان ، (الديوان) ، جمع وتحقيق ، ابراهيم صالح ، هيئة ابو ضبي للثقافة والتراث ، دار الكتب الوطنية ، ابو ضبي – ٢٠١٠ م .
١٢٥. النووي (ت٦٧٦ هـ) شرح الإمام النووي في كتاب البر والصلة والآداب ، باب (فضل الرفق) رقم الحديث ٢٥٩٢ ، دار الحديث ، ٢٠٠١م .

١٢٦. النووي ، ابو زكريا يحيى بن شرف(٦٧٦ هـ) : المنهاج شرح صحيح مسلم ، ط٢ ، دار احياء التراث العربي ، بيروت-١٢٩٢هـ .
الزبيدي : تاج العروس ، تحقيق مجموعة من المحققين ، دار الهداية ، ط/٣ ، ١٤٠١هـ .
١٢٧. منصور ، محمد بن احمد (ت٢٧٠هـ) : تهذيب اللغه، دار احياء التراث العربي ، بيروت - ٢٠٠١ ، باب الضاد والفاء ، ٣٢٦/١١ ، المقدم ، محمد احمد ، عودة الحجاب ، دار ابن الجوزي القاهره-٢٠٠٧ م .
١٢٨. النيسابوري ، ابو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري (ت٢٦١هـ) : الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم ، دار الجيل بيروت ودار الآفاق ، بيروت ، طبعة أخرى بتصحيح وتحقيق : محمد فؤواد عبد الباقي ، دار احياء التراث العربي – بيروت بلا سنة طبع .
١٢٩. البيهقي ، احمد بن الحسن (ت ٤٥٨ هـ): السنن الكبرى ، مكتبة دار الباز ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، ط٣ ، دار الكتب العلمية ، بيروت – ٢٠٠٢م .
١٣٠. النيسابوري ، نظام الدين الحسن بن محمد (ت٨٥٠هـ): غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، تحقيق الشيخ زكريا عميرات ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٦م .
١٣١. الهاشمي، د.علي : المراة في الشعر الجاهلي ، دار المعارف ، بغداد-١٩٦٠م .
١٣٢. العيسى ، وفاء ، دورالاسرة التربوي في بناء سلوك الفتيات الاجتماعي ، ١٩٩٩م .
١٣٣. العواوده ، أمل سالم ، العنف ضد الزوجة ، جامعة البلقان الاردن ، ٢٠٠٢م .
١٣٤. هدلة ، سناء حسين : النظريات الفلسفية حول العنف ضد المرأة في المنظور الاسلامي ، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات ، ع٣٥، (٢) شباط ، ٢٠١٥ .
١٣٥. هليز، ديانا وروبرت: العناية بالعقل والنفس ، ترجمة عبد الحميد الجسماني ، الدارالعربية للاعلام ، بيروت- ١٩٩٩ .
١٣٦. القيسي ، د. نوري حمودي القيسي (جمع وتحقيق) ، شعر خفاف بن ندبه السلمي ، مطبعة المعرف ، بغداد- ١٩٩٧.
١٣٧. : السلمي ، خفاف بن ندبه : (شرح الديوان) ، دارالفكر العربي - ٢٠٠٢م .
١٣٨. زيدان ، جرجي ، تاريخ آداب اللغة العربية ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهره-٢٠١٢ .
١٣٩. الجوهري ، أبو نصر إسماعيل بن حماد (ت٣٢٣ه): الصحاح في اللغة ، دار العلم للملايين ، بيروت-١٩٩٠م.
١٤٠. العقاد ، عباس : المرأة ذلك اللغز ، دار الكتاب العربي ، بيروت – ١٩٧٠ .
١٤١. ميخائيل ، يوسف: المراة والحرية ، بغداد – ١٩٧٧.
١٤٢. داكو، بيير، بحث في سايكولوجية الاعماق ، ترجمة: وحيد أسعد ، مطبعة الرساله ، سوريا، ١٩٨٦ كرم ، ميديا ، دراسات في تاريخ الفلسفة ، ط٥ ، دار صادر، بيروت-١٩٧٩م.
١٤٣. البستاني ، سليمان(ترجمة) الياذة هوميروس ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهره-٢٠١٢ م .
١٤٤. ويلكن ، جورج الكسندر : الامومة عند العرب ، ترجمة : بندلي صليبا الجوزي ، مؤسسة هنداوي سي آي سي ، المملكة المتحدة- ، ٢٠١٧م .
١٤٥. ياقوت الحموي ، شهاب الدين (ت٦٢٦هـ) : معجم البلدان ، ط٢ ، دار صادر ، بيروت-١٩٩٥م . .
١٤٦. ابن سعد ، ابو عبد الله محمد (ت ٢٢٠هـ) : الطبقات الكبرى ، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ، دارالكتب العلمية ، بيروت- ١٩٩٠.

١٤٧. ابن حبيب ، المحبر : تحقيق : ايلزه ليختن شنينر، دار الافاق الجديده- بيروت (د.ت) ،١٩٦/١م
، ابن كثير، ابو الفدا اسماعيل بن عمر(ت٧٧٤هـ) ، البداية والنهاية ، دار الفكر ، بيروت – ١٩٨٦م .

المراجع الاجنبية

1-Larousse , Paual Hamlyn , Encyclopedia of mythology , 5th edition , London , 1964 .
2-Lenore E.Walker: Psychology & domestic violence around the world, American Psychological Association, Vol-54.NO.1,January,1999,PP.21-29 , Williams , R,Soual: Sources of violence & deterrence, Journal of marriage & the family, 54.Aug ,1992 ,pp620-622.
3-Levey ،Reuben.: An Introduction to The Sociology of Islam VI , London,1930, p.133
4-Paul .H. etaal , child development personality, seven edition ,Harber and Raw publiers , new York USA. 1990.
Peter Clayton , Great Figuers of mythology , 1st edition ,Magno Books
5 -,Engilish , 1990
6 -Silvia. S. Etal, Impacts of violence presentation program for middle school collaborative Academic , social and emotional learning , UAS .2011.

7-Smith, William Robertson: The kinship and marriage,: Cambridge printed by:C. G. clay, M. A. & son, at the university press ,١٨٨٥.

شبكة المعلومات الدولية

١. شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) https://ar.wikipedia.org/wiki٢
٢. مجامد ، د.علي إسماعيل تحليل ظاهرة العنف وأثره على المجتمع ، على الموقع الالكتروني https://www.google.com
٣. العموش ، د. خلود ابراهيم : اشعار ترقيص الاطفال في التراث العربي القديم في ضوء علم اللغة الاجتماعي ، الجامعة الهاشمية ، بحث منشور في شبكة المعلومات الدولية ، https://www.google.com
٤. الكرخي ، سمير: العنف واللاعنف جدلية الصراع الانساني ، مجلة النبا ، العددان ٦٧-٦٨ ، ٢٠٠٢م ، بحث منشور على الموقع الالكتروني ، annaba.org .

مراكز الحركة الفكرية والعلمية في العراق في العصر البويهي

م.م.إيمان عبد الجبار محمود التميمي

مراكز الحركة الفكرية والعلمية في العراق في العصر البويهي

م.م.إيمان عبد الجبار محمود التميمي

الملخص

شغلت مراكز الحركة الفكرية في العراق في عصر التسلط البويهي حيزاً ملموساً على أرض الواقع، فقد سعى ارباب الدولة واكابرها وعلمائها لابراز ادوار هذه المراكز وتطويرها من خلال جهودهم التي ما انفكت تستمر في التطور ليخدم أرض الواقع التي نشأت عليه، وكانت الكتاتيب أولى هذه الأماكن، وعلى الرغم من أن بداياتها الأولى كانت بسيطة، حيث كانت تختص بتعليم الصغار المراحل الأولى للقراءة والكتابة، الا أنها تطورت وتوسعت لتنتقل إلى زوايا المسجد لتحتل حيزاً أكبر وتنتشر في الاماكن الأخرى كالمساجد والجوامع التي كان يتزاحم فيها الطلبة، فضلاً عن حلقات العلم التي كان يديرها العلماء في هذه المساجد والجوامع، كما كانت منازل العلماء التي ويحضرها الطلبة وتعقد فيها المناظرات أحدى هذه المراكز التي شجعت على نشر العلم والمعرفة آنذاك، فضلاً عن الأماكن الأخرى التي كان يؤمها العلماء والأدباء على مختلف مراحل دراساتهم وأبحاثهم كالاسواق وحوانيت الوراقين والمكتبات العامة والخاصة، والتي كانت من الملتقيات الكبرى والتي تمثل منتديات ثقافية لهؤلاء حيث تتم حينها تبادل الثقافات المختلفة بين هؤلاء والتي كانت تعج بنفائس الكتب التي تنقل اليها من كل حدب وصوب والتي يكون بعضها بخطوط مؤلفيها أو بخط النساخين في حوانيت الوراقين أو على ايدي طلبة الشيوخ، الذين يقومون بتأليفها، وهذه الكتب لاقت رواجاً كبيراً من قبل مقتنيها خاصة في اسواق بيع وشراء هذه الكتب، فضلاً عن وجود المكتبات الضخمة التي كان ينشئها الخاصة والعامة وتكون متاحة للجميع للتزود بالعلم والمعرفة، وتشجيع السلاطين والأمراء والوزراء البويهيين على الحركة العلمية في هذا العصر.

Abstract:

The centers of intellectual movement in Iraq in the era of the domination of Buayyhi occupied a concrete space on the ground, The heads of state and their scholars and scientists sought to highlight the roles of these centers and develop them through their efforts, which did not continue to evolve to serve the ground on which it arises, It was simple, as it was concerned with the education of young people; the early stages of reading and writing, But it developed and expanded to move to the corners of the mosque to occupy more space and spread in other places such as mosques and mosques, which was crowded with students, As well as the seminars of science, which was administered by scientists in these mosques and mosques, As were the homes of scientists attended by students and hold debates, is one of these centers that encouraged the dissemination of science and knowledge as well, As well as other places that

were guided by scientists and writers on the various stages of their studies and research, such as markets and shops Alorakin public and private libraries, Which was one of the major forums that represent cultural forums for these, Where the exchange of different cultures between those who were full of the benefits of books that are transferred to it from every corner, some of which are in the handwriting of the authors themselves or the line of women in the shops of the Warkin or by the students of the elders who are writing it, And these books have been very popular by their owners, especially in the markets of buying and selling these books, As well as the existence of large libraries that were created by private and public and are available to all to provide science and knowledge, And to encourage the sultans, princes and ministers of the Buayyhi to the scientific movement in this era.

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير المرسلين محمد النبي صلى الله عليه وسلم وآلة اجمعين، وبعد ..

شهدت بغداد في عصر التسلط البويهي نهضة علمية شاملة في كل ميادين الحياة، حيث ارتكزت سياسة البويهيين على بناء حضارة اسلامية قائمة على تشجيع العلم والثقافة وينشرهما كدعامة اساسية للدولة، حيث أولى بني بويه اهتماماً كبيراً بهما فأسسوا المكتبات الضخمة واستقطبوا العلماء والفقهاء والادباء والشعراء والمفكرين من الفلاسفة والفلكيين والأطباء وغيرهم، مما جعل بغداد غاية لكل ما يتمناه المثقفون في كل الانحاء.

كان من أهم عوامل ازدهار الحركة العلمية والفكرية في هذا العصر هو وجود مراكز لهذه الحركة يؤمها القاصي والداني من مختلف الاجناس والطبقات من الطلبة والمثقفين والعلماء، فضلاً عن اهتمام السلاطين والأمراء البويهيين بهذه الطبقة وتقريبها من البلاط البويهي واغداق الهدايا والعطايا على المتميزين منهم، وكان من نتاج هذا الاهتمام نشوء المكتبات الضخمة واحتوائها على نفائس الكتب بعضها بخطوط مؤلفيها، وتشجيع المؤلفين على التأليف، كما انشرت عادة اهداء الكتب إلى الأمراء والوزراء من قبل مؤلفيها، أو تكليف المؤلفين من قبل الأمراء والوزراء بتأليف هذه المؤلفات، إما طمعاً في المال من قبل المؤلفين وكذلك لنيل الخطوة لديهم، أو لنيل الشهرة، كما زخرت الاسواق بالكتب النفسية التي كانت تجلب إلى اسواق بغداد من كل حدب وصوب، ولاقت رواجاً كبيراً من قبل مقتنيها من الفئات المثقفة وطالبي العالم.

اهتم بني بويه بنشر العلم وتقريب الأطباء والفلاسفة والمفكرين والفلكيين فكان انشاءهم للبيمارستانات كجانب من اهتمامهم بنبوغ الطب وتشجيع الطلبة على الاهتمام بهذا العلم، وانشاء العمائر

الطبية التي كانت تخدم بالدرجة الأولى منشئيها وحاشيتهم ومن ثم المرضى من العامة، وكذلك لنيل الشهرة، ولعلنا لا نبالغ لوقلنا ان ثمرة ازدهار هذه الحركة العلمية والفكرية في هذا العصر، والذي تغلغلت فيه الثقافة والمعرفة في جميع اوساط وفئات المجتمع العباسي، وبروز صفوة من العلماء والادباء والمفكرين قادت هذه الحركة بما يدعم حضارتنا الانسانية العريقة، وما احدثه هؤلاء من علوم وكتبوه من مؤلفات وما نظموه من اشعار خلدت تاريخهم عبر العصور.

أولاً : الكتاتيب :

الكتاتيب هي جمع كُتّاب ومفردها المكتَب ، وهي موضع تعلم الكتابة والمكتب موضع التعليم، والمكتب : المعلم، والكتَاب : الصبيان.[١]

تعد الكتاتيب من أقدم واول المراكز التعليمية عند المسلمين، وقد عرفه العصر قبل الإسلام منذ العصر الجاهلي، وأنه كان يهدف إلى تعليم الصبية القراءة والكتابة[٢].

لما جاء الإسلام داعياً إلى طلب العلم في أول آية نزلت على رسول الهدى محمد صلى الله عليه وسلم : ((اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ*خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ*اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ*الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ*عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ))[٣].

كان الغرض الاساسي من الكتُاب هو تعليم الصبيان القرآن الكريم ،وما يتصل به من علوم اللغة والادب،[٤] الا ان الناشئ عادة يبدأ بالتعلم في هذه الكتاتيب، مبادئ القراءة والكتابة وبعض السور القرآنية، وشيئاً من الحساب وبعض الاشعار والأمثال،[٥] الا ان بعض معلمي هذه الكتاتيب يعلمون الناشئة أيضاً بعض السنن والفرائض والنحو والعروض غيرها،[٦] كما كانوا يؤثرون تعليم البنات وتحفيظهن القرآن الكريم وخاصة سورة النور. [٧]

كان هؤلاء الطلبة الناشئين يكتبون على ألواح من خشب الابنوس أوالخشب العادي، وكلما فرغو من درس محوه، وأثبتوا مكانه درساً أخراً،[٨] وكان على معلميهم ان يرفقوا بهم وان يقدموا لهم النصح والمشورة، غير ان الرفق بهم ليس معناه الميوعة والاستسلام، فالتربية الحق هي التي تبني الشخصية ،وتنشط الذهن، وتمكنه من الابداع بدون حرية مطلقة، لأن الحرية المفرطة تؤدي الى الفوضى، فلابد من الترهيب ان لم ينفع الترغيب ،[٩] لذا كان المعلمين يؤدبونهم بالجلد والضرب والحبس أحياناً،[١٠] وهذ العقاب يكون اذا تثاقل التلميذ عن الاقبال الى المعلم ،او تباطأ في حفظه، او اكثر من الخطأ، وغيرها من الاخطاء ،فعليه ان ينبهه اكثر من مرة قبل توجيه العقاب له ،فان تغافل يؤنَب بالعقاب كالضرب الذي يجب ان لايزيد عن ثلاث ضربات .[١١]

كان الاباء يتشددون في اختيار أولئك المعلمين لأبنائهم،[١٢]الذين كانوا يتقاضون اجوراً زهيدة، لا تتجاوز أحياناً بعض رغفان الخبز التي كانت تختلف احجامها وانواعها باختلاف احوال اباء طلابهم

المعيشية من غنى وفقر،[١٣] بيد أنه يجب عليهم ان لا يفرقوا في التعليم بين غني وفقير،على حد قول ابن سحنون :((يجب العدل في التعليم، ولا يفضل بعضهم على بعض ولوتفاضلوا في الجُعل...)) [١٤]،وان كان بعضهم يكرم بالهدايا. [١٥]

بجانب معلمي اولاد العامة في هذه الكتاتيب معلمون لأبناء الخاصة، كان منهم اللغوي والاخباري والفقيه والمحدث والمقرئ، وكان هؤلاء أحسن حالاً من معلمي العامة،[١٦] الا أن البعض من هؤلاء المعلمين لم يكونوا يتقاضون أي اجور، وكان تدريسهم لهؤلاء الطلبة احتساباً لله تعالى وطلباً للأجر،[١٧] في حين إذا كان المعلم قاصراً ولم يستفد منه الطلبة او المتعلمون مما اشترط عليه الاباء أو الأولياء فأنه لا يعطى من الأجرة المتفق عليها معه،[١٨] أما من يعلم ابناء الخلفاء والوزراء في البيت العباسي والقادة فقدعرفوا (بالمؤدبين)، [١٩] وكانت تصرف لهم رواتب كبيرة، جعلهم يعيشون في خفض من العيش وسعة من الرزق، ومنهم المفضل الضبي[٢٠]، معلم الخليفة المهدي العباسي،[٢١] والكسائي[٢٢]، معلم الخليفة الرشيد وابنيه الأمين والمأمون.[٢٣]

فلا غرو أن كانت تلك الكتاتيب محل العناية من الكبراء والاعيان والاغنياء، فهي المرحلة التمهيدية الأولى التي تهيء الصبيان لمرحلة الدراسة في المسجد،[٢٤]والتي لم يكن لها سن معين في الدخول اليها ،بل كان الامر متروكاَ الى اباء هؤلاء التلاميذ، بيد انهم غالباَ مايرسلون في سن (٥-٧)سنوات . [٢٥]

كان الكُتّاب على مدى العصر عبارة عن بناء بسيط في الغالب على هيئة البيت مربع أو مستطيل، لم يكن يُعتنى بتأثيثه عناية كبيرة، ويكون مفروشاً بحصير عادية يجلس عليها الصبيان متربعين حول المعلم الذي يجلس على كرسي مرتفع أو ربما دكة عريضة أو سرير ليس عليها سوى فراش بسيط،[٢٦]وكان بعضها يبنى على الاغلب بجانب المسجد، وبعضها الاخر مفصولاً عنها، وربما كانت في بيوت المؤدبين حرصاَعلى النظافة وابعاد التلاميذ الصغار عن المساجد كون الصبيان لايتحرزون من النجاسات . [٢٧]

ومما تقدم دليل على ان للكُتّاب دور عملي مهم ، حيث كانت شاملة التربية والتعليم في الوقت ذاته، وإن الدولة تبنت قيام الكتاتيب عبر العصور وأدامت الانفاق عليها، فانتشرت في المحلات والارباع في المدن لتقدم خدماتها لأبناء المسلمين عامة دون تمييز، وقد قدمت كتب الحسبة[٢٨]، صورة واضحة عما ينبغي ان يقدم للناشئة من مبادئ العلوم في هذه الكتاتيب، والتي كانت تحت رقابة المحتسب وعرفاءه، الذي يتولى مسؤولية الاشراف على ما يقدم إلى هؤلاء الصبيان والفتيات في هذه الكتاتيب،[٢٩] كما يظهر ذلك جلياً من اهتمام الخلفاء بالمعلمين والمؤديين، ومدى تأثير الحسبة في أعمال الرقابة على مؤدبي الصبيان، بيد أن البعض ينكر مهمة هذه الكتاتيب وينعتها بأنها طريقة أدت إلى جمود التعليم وعدم تطوره،[٣٠] بحجة أن العاملين في هذه الكتاتيب اقتصروا في غايتهم على تحفيظ القرآن للنشء

وتلقينهم اصول الدين والبعد عن المسائل الدنيوية مما ادى الى الجمود وعدم قدرة المتعلمين على الخوض في العلوم العقلية التي تدور أحياناً حول الأمور الدينية.[٣١]

ولعلنا بذلك نظلم معلمي هذه الكتاتيب الذين تخّرج على أيديهم اغلب علماء المسلمين الذين نالوا شهرة كبيرة وخاضوا في العلوم العقلية والذين كانوا قد درسوا بدءاً في هذه الكتاتيب.

ثانياً : المساجد والجوامع :

تعد المساجد من اكبر معاهدة الدراسة، ولم تكن للعبادة وحدها، ولكن كانت تؤدى فيها اعمال مختلفة، فهي مكان للعبادة تقام فيها الصلوات الخمسة، وتخطب فيها الخطب، ومحكمة للتقاضي،[٣٢]واذا اقيمت فيها صلاة الجمعة اطلق عليه اسم مسجد جامع .[٣٣]

كانت تلك المساجد معاهد للثقافة ولدراسة القرآن الكريم والحديث الشريف والفقه واللغة وغيرها من العلوم، فقد قامت هذه المساجد بعمل حيوي وكبير في الحياة الثقافية،[٣٤] وكانت ساحات تلك المساجد هي ساحات العلم الكبرى، فهي لم تكن بيوتاَ للعبادة فحسب، بل من اكبر الاماكن لتعليم الشباب،[٣٥] فاذا ماأتم الطفل دراسته في الكُتَاب ينتقل الى المرحلة الثانية من الدراسة ،وهي الحلقة في المسجد ،[٣٦]حيث يتحلقون فيه حول الاساتذة يكتبون ما يقولونه هؤلاء الشيوخ أو ما يملونه على طلبتهم، حيث كان الاستاذ يستند إلى اسطوانة في المسجد ثم يأخذ في القاء محاضراته أو املائها،[٣٧] في حين كان بعض العلماء يعرف بأحد المساجد باسمه،[٣٨] كمسجد عبدالله بن المبارك[٣٩]، الذي يأتيه القاصي والداني ليقرأ عليه.[٤٠]

برزت في هذه المساجد ظاهرة نشوء طائفة من العلماء والادباء الذين تنوعت معارفهم تنوعاَ واسعاً، ولم يكتفوا بالانضمام إلى حلقة واحدة بل مضوا يختلفون إلى جميع الحلقات آخذين بطرف من كل لون من الوان المعرفة،[٤١] لعل ذلك ما يدعنا إلى تسميتهم بالموسوعيين، الا أنه كان يطلق عليهم اسم المسجديين، حيث كانت لهم حلقات خاصة بهم في المساجد يسوقون بها فنونا من الجدال والحوار في أي شيء يعرض لهم،[٤٢] وفي ظل هذه الظروف كانت المساجد مكاناً رائعاً لعقد المناظرات[٤٣] التي يحضرها خلق كثير من علية القوم واكابرهم ، والتي لم تكن مقتصرة على علوم الدين بل كانت في علم الكلام وعلوم اللغة وغيرها،[٤٤]وكان يشد ازر تلك المناظرات الشغف بالعلم وعطايا الخلفاء والامراء ،الذين يشتركون في الرأي، وكان العلماء يستعدون لهذه المناظرات، ويتسلحون لها رغبة في الشهرة وذيوع الصيت،[٤٥] ولعل ذلك السبب ما دعى خلفاء بني العباس إلى الحرص على مراقبة تلك المساجد، للوقوف على الافكار المعارضة لهم ومكافحتها، وهو أيضاً ما دفعهم لتعزيز سلطتهم واشرافهم على المساجد، فيذكر التنوخي: انهم منعوا التدريس بها الا بعد موافقة الخليفة،[٤٦] فلا غرو من قولنا أن هذه المساجد كانت وسيلة لتبليغ الافراد اوامر الدولة وتعليماتها وانظمتها، واظهار شرعية الولاة والموظفين وتبعيتهم وطاعتهم للخلافة العباسية، فهي فضلاً عن معاهد الدراسة وتلقي العلم هي مراكز للعبادة، والمكان الذي يؤمه الخليفة لاقامة الصلاة، ويلقي فيه خطبته الأولى، التي يبين فيها سياسة حكمه.

اتخذ العلماء من المساجد مقراً لهم ،[٤٧] وشكلت علوم الشريعة الاسلامية اساس مواد الدراسة في تلك المساجد، خاصة علوم القرآن كالتفسير، والقراءات ،وعلوم الحديث ،والفقه والكلام، بالاضافة الى العلوم الاخرى المختلفة كاللغة والادب وبعض علوم الطب والفلسفة والمنطق،[٤٨] في حين اختصت بعض هذه الحلقات بموضوع واحد،[٤٩] كما ضمت هذه المساجد حلقات التدريس ضمت حلقات الفتوى للمذهب الحنفي والشافعي والمالكي والحنبلي،[٥٠] وقد تعاقب على هذه الحلقات كبار علماء كل مذهب من هذه المذاهب، وتنوعت اساليب التدريس في هذه الحلقات واشكال النقاش فيها ،اما بالشرح والمناقشة او بالاملاء، والتي كانت تفيد الطالب في التعلم وتعوده على التفكير والاستنتاج،[٥١] وكانت تعقد حلقات للحديث النبوي الشريف، ومجالس الوعظ،[٥٢] وكان الفقهاء فيها يملون على تلاميذهم من علوم القرآن والحديث والفقه واللغة، وقد عرف عن ابي حامد الاسفراييني[٥٣] أنه كان يحاضر بعلوم الفقه الشافعي في مسجد عبد الله بن المبارك ببغداد، وكان يحضر مجلسه ما بين (٣٠٠-٧٠٠) فقيه وطالب علم.[٥٤]

شهدت بغداد في تلك الفترة نشاطاً صوفياً كبيراً، تحالف فيه كبار رجال التصوف مع الخلافة العباسية، وسمح لهم بعقد الحلقات العلمية والمناظرات في المساجد ليدافعوا عن السنة امام التشيع الذي كان منتشراً في عصر التسلط البويهي[٥٥]، ونحن لسنا بصدد الخوض في موضوع التصوف المتشعب والواسع ومؤسساته التي تعد من ضمن المراكز العلمية والفكرية في ذلك العصر، كوننا افرزنا بحثا خاصاً للتصوف تحدثنا به عن ذلك.

على أن لا يفوتنا أن نذكر ان التعلم في تلك المساجد كان حر حرية مطلقة فليس هناك موعد محدد لحضور الطلبة او لانصرافهم، وليس الطالب مقيداً بالاستماع إلى استاذ معين أو دراسة علم معين، كما ان الشيخ نفسه ليس مقيداً بمنهج ثابت،[٥٦] ولم يكن يشترط للحضور في هذه حلقات الدرس هذه أي شرط سوى الرغبة في الاسماع، والتي كانت مباحة للجميع، مماهيأ لهذه الظاهرة كثرة العلماء المتخصصين في كل علم وفن،[٥٧]وكان لكل فرع من المعرفة حلقته الخاصة به وكان الكثيرون يتحلقون حول حلقات اللغويين والنحاة، ويقال أنه بلغت حلقات أحدهم مائة شخص،[٥٨]كما كانت هناك حلقات اخرى علمية غير تخصصية يحضرها من شاء من الناس. [٥٩]

بمرور الزمن ازداد عدد المساجد والجوامع زيادة كبيرة وتطورت وظيفته، ولعلنا لا نبالغ لو قلنا انه نتيجة لتلك الحرية المطلقة في التعليم في المساجد وازدياد اعدادها كانت هناك حلقات خاصة للشعراء ينشدون فيها اشعارهم،[٦٠] بيد ان كل مسجد احتفظ بدوره كمركز علمي،وكان الجامع المعروف بجامع المنصور[٦١] ،الذي شيده الخليفة وعرف باسمه بجانب قصره في المدينة المدورة، اصبح من اشهر مراكز التعليم والحركة الفكرية في العصر العباسي،[٦٢]والذي كان قبلة انظار الاساتذة والمدرسين،[٦٣]والذي احتوى مكتبة كبيرة تحوي الالاف الكتب المتنوعة في كل العلوم والفنون والتي كانت في متناول يد

الجميع،[٦٤] وتنوعت فيه حلقات النحو والشعر المختلفة،[٦٥]حتى إن احدى قباب جامع المنصور كان يطلق عليها قبة الشعراء، يجتمعون تحتها يتداولون الشعر. [٦٦]

خلاصة القول ان وجود تلك الحرية في التعلم التي اتاحتها المساجد والجوامع للمتعلمين من حيث عدم اقتصاره على اداء الصلاة والعبادة، وقراءة القرآن الكريم وحفظه، وتطور دورها في عقد الحلقات الدراسية العلمية والفكرية والمناظرات العقائدية، فليس من شك ان هذا الصنيع هو احد اسباب ازدهار الحركة العلمية في العصر البويهي .

ثالثاً :منازل العلماء

لجأ بعض العلماء عند الضرورة الى التعليم في منازلهم، مع ان المسلمين اعتبروها لاتصلح للتعليم لافتقارها لابسط مستلزمات الراحة والسكون ،الا انها كانت منذ وقت مبكر مكانا لالتقاء المسلمين ،وحتى قبل وجود المسجد،[٦٧]فقد كان الرسول عليه الصلاة والسلام يلتقي بالمسلمين في بيته بمكة.

اتخذ بعض علماء المسلمين من بيوتهم مكانا للتعليم، ومنها منزل الشيخ الرئيس ابن سينا[٦٨]،الذي كان يجلس فيه للتدريس في الليل،[٦٩]ومن المنازل المشهورة في العصر البويهي والتي كان العلماء يتزاحمون فيها هي دار المرزباني[٧٠]،والتي يذكر ان عضد الدولة البويهي كان يقف ببابه الى ان ينزل ويسلم عليه . [٧١] لعلنا بذلك يمكننا القول ان بيوت العلماء كانت احدى مراكز الحركة الفكرية في العصر البويهي .

رابعاً :خزائن الكتب والمكتبات العامة والخاصة :

الخزانة كلمة معروفة، وهي اسم الموضع الذي يخزن فيه الشيء،[٧٢] وفي قوله تعالى : ((**قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللّهِ**))[٧٣]،فقد استعملت هذه الكلمة للدلالة على المكان الذي تخزن فيه الكتب،[٧٤] فقد كان للكتب دور كبير في الحياة العلمية، وقد اعتنى بها المسلمون عناية كبيرة، وكان لها أثر واضح في نشر الثقافة والتعلم وتشجيع الطلاب على استمرار الدراسة والبحث العلمي،[٧٥] فكثرت المكتبات التي تزخر بالكتب الدينية والعلمية والأدبية، واصبحت فيما بعد هذه المكتبات من أهم مراكز الثقافة الإسلامية،[٧٦]وتشير المصادر التاريخية إلى أن خزانة بيت الحكمة التي أنشاها الخليفة العباسي الرشيد(١٧٠-١٩٣هـ/٧٨٦-٨٠٩م)، [٧٧] هي أولى الخزائن التي عرفت ببغداد والتي كان يعمل فيها علماء مختلفوا الثقافات والألسن كاليونانية والفارسية والسريانية وغيرها.[٧٨]

ان من المفيد ان نذكر ان بيت الحكمة كان مؤثث بأفخر الاثاث من حيث الرفوف والسجاد والستائر،[٧٩] وهو يتكون من طابقين يضم الطابق السفلي منه قاعات خاصة بخزائن الكتب ،واقسام الترجمة، والنسخ، والتأليف، والتجليد، والمطالعة، والدراسة بكل مجالات المعرفة والعلوم ،في حين خصص الطابق العلوي لاقامة المؤلفين والمترجمين والدارسين والعاملين وغيرهم. [٨٠]

اما طرق الحصول على الكتب الى بيت الحكمة فكانت متنوعة،فهي اما عن طريق الكتب التي يجلبها المسلمين من البلاد المفتوحة،او عن طريق الشراء،او الهدايا ،ولكن المصدر الرئيسي لها عن طريق التأليف اوالترجمة اوالنسخ داخل حدود الدولة الاسلامية بشكل عام وداخل المكتبة بشكل خاص،[٨١] ولهذا كان فيها مالايعد ويحصى من الكتب ، ويبدو جلياً أن ذلك أدى إلى تنوع موضوعات الكتب التي احتوتها، وقد بقيت خزانة بيت الحكمة حتى مجيء المغول سنة (٦٥٦هـ/١٢٥٨م) إلى بغداد وخربت على ايديهم وأحرقوا كتبها يقول القلقشندي : ((لم تزل على ذلك إلى أن هاجم التتر بغداد وقتل ... أخر الخلفاء ... فذهبت خزانة الكتب بما فيها وذهبت معالمها...)) [٨٢].

كان انتشار الكتب والمكتبات العامة والخاصة في هذا العصر ما يدعو للاعجاب، حيث كان لكل جامع من الجوامع مكتبة كبيرة، إذ كان من عادة العلماء ان يوقفوا كتبهم إلى الجوامع، وكان لكل امير مكتبة عظيمة يفتخر بها ويسعى إلى تنميتها، كما كان للوزراء مكتبات ضخمة حوت الالاف الكتب والمجلدات، وقد كانت كتب أحدهم تحمل على اربعمائة جمل أو أكثر، وتقع فهارسها في عشرة مجلدات هذا غير اهتمام العلماء بالكتب الذي فاق كل وصف،[٨٣] حيث كانوا يتخذون في بيوتهم مكتبات تجمع مؤلفاتهم أو غيرها من المؤلفات[٨٤].

يشير التنوخي إلى ان ابن المنجم[٨٥] كانت له ضيعة نفيسة، وقصر جليل فيه خزانة كتب عظيمة يسميها "خزانة الحكمة فكان يقصدها الناس من كل بلد يقيمون فيها ويتعلمون منها صنوف العلم مبذولة لهم في ذلك والصيانة مشتملة، والنفقة في ذلك من مال علي بن يحيى"[٨٦].

ومن المكتبات العجيبة التي عرفت في ذلك العصر هي مكتبة شيراز[٨٧]التي أقامها عضد الدولة البويهي في قصره، والتي كان المقدسي يتردد عليها للإطلاع على الكتب والمخطوطات الموجودة فيها، وليس يبالغ المقدسي بوصفها حين قال أن عضد الدولة : ((خرق فيها الانهار ونصب عليها القباب واحاطها بالبساتين والاشجار وحضر فيها الفياض وجمع فيها من المرافق والعدد، وكان فيها ثلاثمائة وستون حجرة وداراً، ولكل حجرة وكيل وخازن ومشرف من عدول البلد، ولم يبقى كتاب في وقته من أنواع العلوم كلها الا حصله فيها، وكان يلصق على ابواب الخزائن اسماء الكتب التي فيها ومقسمة حسب موضوعاتها.[٨٨]

ويذكر التنوخي اسماء للكثير من الكتب المتنوعة بعلومها والتي انتشرت في ذلك العصر، لعل اشهرها كتاب الأغاني لابي الفرج[٨٩]الاصبهاني الذي نال حظوة كبيرة مع مؤلفه عند عضد الدولة، ويذكر التنوخي أن الاصبهاني اجازهُ له أيضاً.[٩٠]

أما مكتبة بهاء الدولة التي بشيراز أيضاً فقد كانت مكتبة كبيرة كان خازنها ابن البواب صاحب الخط الجيد المشهور، ولكبر حجمها استغرق ابن ابواب فترة طويلة للبحث فيها عن جزء مفقود للقرآن بخط الوزير،[٩١] ابن مقلة[٩٢]كذلك الكاتب الوزير ابن العميد[٩٣]،الذي قال عنه ابن خلكان : " ان الكتابة

ابتدأت بعبد الحميد وانتهت بابن العميد "[٩٤] ،كانت له مكتبة رائعة اشرف عليها المؤرخ المشهور مسكويه، فيها من الكتب مايزيد على حمل مائة وقر.[٩٥]

ان من الجدير بالذكر انه لم يكن احد من علماء بغداد يخلو بيته من مكتبة أو خزانة لكتب، ولربما تكون في اكثر من موضع في العلم، وليس في نفس العلم، ويذكر الخطيب البغدادي: ان المؤرخ ابا بكر الصولي[٩٦] (ت٣٣٥هـ/٩٤٦م) كان يمتلك بيتاً كبيراً مملوء بالكتب، وكانت كلها من سماعه وقد رتبها صفوفاً بحسب لون جلودها ((كل صف من الكتب لون، صف أحمر، وآخر أخضر، واخر أصفر، وغير ذلك)) [٩٧].

كما تمتع الوزراء والأمراء والوجهاء باقتناء مكتبات ضخمة في بيوتهم حوت الالاف الكتب والمجلدات فالوزير الصاحب[٩٨] بن عباد (ت٣٨٥هـ/٩٩٥م) كان عنده من الكتب ما احتاج إلى نقلها حمل اربعمائة جمل.[٩٩]

ومن المكتبات العامة التي اشتهرت في هذا العصر هي دار العلم التي أنشاها الوزير سابور بن اردشير سنة (٣٨١هـ/٩٩١م) في محلة الكرخ، والتي تعتبر من اهم دور العلم، والتي حوت من كل علم وفن،[١٠٠]ويصفها ياقوت بانه: ((لم يكن في الدنيا أحسن كتباً منها، كانت كلها بخطوط الأئمة المعتبرة، وأصولهم المحررة)) [١٠١]، وقد زارها الشاعر ابو العلاء المعري[١٠٢] عندما قصد بغداد وتعرف على محتوياتها والعلماء والادباء الذين كانوا يرتادوها، وظل المعري يتردد عليها حتى صارت بينه وبين العاملين فيها صحبة وصداقة ، وكان المشرف عليها انذاك الشريف المرتضى[١٠٣]، لعل من المفيد ان نذكر ان دار العلم بقيت عامرة حتى شبت فيها نار احرقت الكتب سنة (٤٥١م/١٠٤١م) .[١٠٤]

خامساً : حوانيت الوراقين :

كان أهم اسباب بلوغ الحركة العلمية ذروتها من النهضة الواسعة هو استخدام الورق، الذي أخذ يعم منذ مفتتح هذا العصر،[١٠٥] ولما نشطت حركة الترجمة والتأليف، وتقدمت صناعة الورق، تبع ذلك ظهور الكثير من الوراقين الذين يقومون بنسخ الكتب،[١٠٦] فالوراق :هو ذلك الرجل الذي يمتهن حرفة الوراقة.[١٠٧]

تمتعت هذه المهنة بازدهار كبير في هذا العصر نتيجة لهذه الحركة ولكثرة ما نقل ونسخ من الكتب والمؤلفات إلى جانب جودة النسخ والتصحيح والعناية بها، [١٠٨] فيذكر ابن خلدون : ((وجاءت صناعة الوراقين المعانين للانتساخ والتصحيح والتجليد وسائر الأمور الكتبية والدواوين...)) [١٠٩].

يبدو أن الحاجة دعت إلى ظهور عدد غير قليل من حوانيت الوراقين، وهذه الحوانيت هي الاماكن الخاصة ببيع الكتب ،وقد فتحت اصلاً لأغراض تجارية ،الا انها تحولت الى مسرح للثقافة والحوار العلمي، فلم يكن بائعوا الكتب هؤلاء مجرد تجار ينشدون الربح ،وانما كانوا على

و يذكر اليعقوبي أنه بلغ عدد هذه الحوانيت في بغداد في الربع الأخير من القرن الثالث الهجري أكثر من مئة حانوت،[١١٠] بل ان اسواقاً كاملة في بغداد تخصصت بهذه المهنة، وتحولت هذه الدكاكين إلى مراكز للثقافة في حين شكل الوراقون جزء من الهيكل التنظيمي لمراكز الحركة الفكرية في بغداد في هذا العصر،[١١١] فلاعجب أن يتخذها العلماء والأدباء اماكن يجتمعون فيها للتزود من العلم والادب .

ومهنة الوراقة من المهن المهمة التي يصفها السبكي[١١٢] :بأنها من أجود الصنائع، لما فيها من الاعانة على كتابة المصاحف والوثائق التي كتبت بين الناس[١١٣]، فلا غرو حين يصفها ابن خلدون بانها من امهات الصنائع الشريفة ويشببها بالطب بقوله : ((واما الشريفة بالموضوع كالتوليد والكتابة والوراقة و ... والطب)) [١١٤].

وكنتيجة للنهضة العلمية والفكرية في هذا العصر، مضى الكثير من العلماء يتخذون لأنفسهم وراقين ينقلون عنهم كتبهم، ويذيعونها بين الناس، وأخذ كثير من الأفراد يعنون باقتناء المكتبات ويوظفون فيها الوراقين للنسخ،[١١٥] مما حدى ببعض الوراقين أن ينشأ لهم دكاكين كبيرة ملئوها بالكتب يتجرون فيها، وكان بعض المثقفين من الشباب وغيرهم يغدون إلى هذه الدكاكين لا ليشتري الكتب فحسب، بل ليقرأ ما لذ وطاب من صنوف الآداب لقاء أجر بسيط يتقاضاه من صاحبها ،[١١٦] يبدو ذلك يشبه مبدأ استعارة الكتب من المكتبات الخاصة الان، ولا يفوتنا أن نذكر ان البعض من هؤلاء الوراقين أو النساخين بلغ من عنايتهم بعملهم أن موه بعض كتاباته بالذهب.[١١٧]

لاجرم في قولنا أن ذلك يعلل ما ذكره ياقوت عن الجاحظ من أنه كان ملازماً لدكاكين الوراقين يبيت فيها ويكتريها.[١١٨]

كانت تجري في تلك الحوانيت المناظرات الادبية بين العلماء والادباء ،الذين كانوا يتناقشون في العديد من الامور العلمية والادبية ولاهمية تلك اللقاءات يذكر ابن طباطبا :وصية المهلب[١١٩] بن ابي صفرة لبنيه " يابني اذا وقفتم في الاسواق ،فلا تقفوا الاعلى من يبيع سلاح او يبيع كتب " . [١٢٠]

أن من الملفت للنظر ولأهمية حوانيت الوراقة وفوائدها العلمية والثقافية أن الخليفة المنصور عند بناءه اسواق بغداد جعل فيها سوقان للوراقة احدهما في الجانب الغربي، وهو الكرخ والذي ذكره اليعقوبي عندما تحدث عن بغداد بقوله : ((اسواق كثيرة وأكثر من فيه في هذا الوقت الوراقون، اصحاب الكتب فأن به أكثر من مئة حانوت للوراقين،[١٢١] ويصف ابن الجوزي هذه الحوانيت بانها : ((سوق كبيرة هي مجالس العلماء والشعراء ....))، [١٢٢] و دعيت هذه السوق بسوق الوراقين نسبة اليهم.[١٢٣]

ويبدو واضحاً أن هذه الاسواق التي بينت خارج اسوار بغداد احتوت الكثير من الحوانيت الا ان اليعقوبي يذكر انهما سوقان للوراقة الاول الواقع في الجانب الغربي،[١٢٤]في حين يذكر عنه ابن النديم أنه اقدم هذه الاسواق،[١٢٥] و يشير التوحيدي إلى السوق الثاني للوراقين الذي يقع في الجانب الشرقي من الرصافة، والذي ذكر أنه التقى به ((بحمزة الوراق))، [١٢٦] الذي يبدو أنه أحد كبار الوراقين

المشـــهورين،على ان لايفوتنـــا ان نـــذكر ان اشـــهر مـــن عمـــل فـــي هـــذا المجـــال هـــوابن النديم(ت٣٨٠هـ/٩٩٠م)صاحب كتاب الفهرست،وياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م)صاحب المعجمين.

ولعلنا بذلك نستخلص اهتمام الدولة العباسية بأصحاب هذه المهنة وبناء اسواق فيها الحوانيت الكثيرة منها حوانيت للوراقين، لما لهذه المهنة واصحابها من تأثير كبير في الحياة الثقافية واعتبارها مراكز لتطور الحركة العلمية في العراق البويهي.

سادساً :الأسواق :

يذكر ابن منظور : ان السوق هو موضع البياعات، أي الذي تتم فيه عمليات البيع والشراء، وجمعه اسواق، ويقال : تسوق القوم إذا باعوا واشتروا،[١٢٧] ولأهمية الاسواق فقد ذكرت في القرآن الكريم في قوله تعالى : ((إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ))[١٢٨].

ارتبط السوق بحياة الناس منذ القدم في جميع النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية والدينية، ويمكن أن نعرف الوعي الثقافي لشعب ما في هذا العصر إذا ما نظرنا إلى حالة السوق من الناحية العمرانية،[١٢٩] فلا غرو أن نرى أن الخليفة المنصور العباسي قد راعى عند بناءه مدينة بغداد، وكعاصمة للخلافة العباسية أن تكون اسواقها تتناسب مع طريقة بناء المدينة، الذي يعد آية من آيات الفن الإسلامي، والتي سجلها اجدادنا العراقيون القدماء بأيديهم،[١٣٠] وكلنا يعرف كيف طلب الخليفة المنصور من الذين رسموا له خارطة المدينة أن يخططوها بالحجر، ليعرف الرسم قبل البناء، وكيف اختار موقعها واسباب اختياره وانشاؤها مدورة، وهذا ما فصله الخطيب البغدادي عندما تحدث عن بناء المنصور لمدينته المدورة.[١٣١]

ان من المهم ان نذكر أن طريقة بناء الأسواق كانت أول الأمر داخل اسوار بغداد، الا أن الخليفة المنصور أخرجها خارج الاسوار بناء على انتقاد احد الموفدين الروم له في مكان وضعها.[١٣٢]

ان من المفيد أن نذكر انه على الرغم من كثرة الاسواق التي اختصت ببضائع معينة، فأن نشاط سوق الوراقين فاق الاسواق الأخرى في بغداد، لما كان يرتاده من صفوة القوم من المجتمع البغدادي والمثقفين، ومن العلماء والأدباء والشعراء من كل الارجاء، ويمكن للمرء أن يشاهد يومياً في هذه الأسواق هؤلاء الصفوة الذين يقفون عند أحد دكاكين الوراقين، أو احدى الحلقات التي ينادى فيها على بيع الكتب،[١٣٣]فقد جرت العادة ان تباع كتب العالم بعد موته خاصة اذاكان اولاده او ورثته لايعرفون قيمة هذه الكتب ،او لايحبون الكتب او العلم فيستغلون جهل البائع بقيمة الكتاب فيشتريه بابخس الاثمان،على ان مايحدد اسعار تلك الكتب هو جودة خطها ونسبتها الى مؤلفها،وشهرة المؤلف. [١٣٤]

يذكر ياقوت ان من اشهر رواد هذه الاسواق هو علي بن يحيى المنجم صاحب الخزانة العظيمة التي بناها في ضيعته وسماها خزانة الحكمة،[١٣٥] والتي تطرقنا اليها مسبقاً.

ومن الرواد المشهورين في هذه الاسواق التي تحتوي على حوانيت الوراقين هو ابو الفرج الاصبهاني، والذي قيل عنه أنه كان شبه مقيم في هذا السوق، وله نوادر وحكايا فيه،[١٣٦]ولا نريد الخوض في الاسماء الكثيرة التي أوردها ابن النديم في فهرسه عن مرتادي هذا السوق،[١٣٧] بيد أننا نعرج على من جالسهم التوحيدي في اسواق الوراقة هذه كونه شاهد عصر ، منهم الخوارزمي الكاتب، والنحوي أبو سعيد السيرافي، وابو محمد العروضي السمرقندي، وعلي بن عيسى الرماني، والطبيب نظيف الرومي[١٣٨]، وغيرهم،[١٣٩] وكلهم من مشاهير علماء ذلك العصر، على أن لا يفوتنا أن نذكر قول التوحيدي أنه وزملاءه من هؤلاء اللغويين والكتاب والنحويين والاطباء، كانوا يتناقشون في مختلف المواضيع التي كانت تشمل اغلب الفنون الأدبية والعلمية، والتي لم تنحصر في الفلسفة وعلوم المنطق وحدها، بل كان لكل فرد صناعته الخاصة به.[١٤٠]

ولما كانت هذه المواضيع العلمية والثقافية تطرح في هذه الاسواق المختصة بالوراقة ووجود تجمعات هؤلاء فيها لا غرو ان نقول إن ثقافة ذلك العصر كانت منهلاً من تلك الاسواق، وإن هذه الاسواق كانت أحد المراكز الثقافية الهامة التي انتشرت في هذا العصر والتي شجعت العلم والكتابة والتأليف لحضور هذه الفئات من الناس وغيرهم من الاجناس الأخرى من كل حدب وصوب لتبادل العلم والثقافات في بغدادنا الحبيبة حاضرة الخلافة العباسية.

سابعاَ: البيمارستانات :

البيمارستانات كلمة فارسية مكونة من شقين الأول (بيمار) وتعني المريض، والثاني (ستان) وتعني الموضع أو المكان والكلمة مجتمعة تعني مكان المريض، أو دار المريض ثم اختصرت في الاستعمال فصارت مارستان،[١٤١] وعلى الرغم من أصل هذه الكلمة الفارسي الا أن المسلمين اقتبسوا فكرة البيمارستان عن السريان الذين تفوقوا في مهنة الطب في العصر العباسي الأول.[١٤٢]

كانت البيمارستانات أحدى المنشآت العلمية والعمائر كالمساجد والجوامع التي شيدها الخلفاء والسلاطين والامراء، وأهل الخير على العموم صدقة وخدمة للإنسانية، وتخليداً لذكراهم على الأخص، ولم تكن هذه البيمارستانات قاصرة على مداواة المرضى، بل كانت في الوقت نفسه معاهد علمية ومعاهد لتعلم الطب يتخرج منها المتطببون والجراحون (الجرائحيون) والكحالين كما يتخرجون من مدارس الطب اليوم،[١٤٣] فقد حرص العباسيون على نشر العلوم الطبية، ودعوا إلى عقد المؤتمرات الطبية التي كان يجتمع فيها الأطباء من كل حدب وصوب.[١٤٤]

أنشأت في العصر البويهي العديد من البيمارستانات،[١٤٥]وكان الطلبة يتلقون العلوم الطبية على يد اساتذتهم في هذه البيمارستانات، والتي تهيأ لهم فيها ايوانات خاصة معدة، ومجهزة بالالات، والكتب احسن تجهيز، فيقعدون بين يدي معلميهم بعد أن يتفقدوا الرضى، وينتهون من علاجهم، وأن بعضاً من مشايخ الطب وكبار رؤوسهم كان يجعل له مجلساً عاماً لتدريس صناعة الطب للمشتغلين عليه.[١٤٦]

يذكر ابن أبي اصيبعة إن الفيلسوف ابي الفرج بن الطيب كان يقرئ صناعة الطب في البيمارستان العضدي،[١٤٧]الذي أنشاه عضد الدولة بن بويه وعرف باسمه سنة (٣٧٢هـ/٩٨٢م) [١٤٨]، والذي يعد من اشهر بيمارستانات العهد البويهي، وعلى الرغم من اهتمام بني بويه بالبيمارستانات وبتجهيزها ،الا انها لم تصل إلى شهرة البيمارستان العضدي،[١٤٩]الذي يقع في الجانب الغربي ببغداد، وان عضد الدولة صرف عليه مالا كثيراً لاعداده، وجهزه بالالات ما يقصر الشرح عن وصفه، ورتب فيه من الاطباء والخدم، ونقل اليه من الأدوية والاشربة والعقاقير شيء كثير،[١٥٠] وكان يعالج فيه المرضى،[١٥١] وان ابراهيم بن بكس الطبيب كان يدرس صناعة الطب في هذا البيمارستان، وكان له منه ما يقوم بكفايته،[١٥٢] فضلاً عن الاطباء الأخرين الذين عرفوا بشهرتهم ومهارتهم الطبية في ذلك العصر، ومنهم الطبيب جبرائيل[١٥٣] بن بختشيوع، ونظيف الرومي وغيرهم.[١٥٤]

لعل من المفيد أن نذكر إلى جانب اهتمام البويهيين في انشاء هذه البيمارستانات، هواهتمامهم باختيار العلماء ومن يشرف ويقوم على امر هذه البيمارستانات فيذكر التوحيدي:

ما قاله له ابن سعدان[١٥٥] الوزير البويهي في احدى لقاءاتهم :((سألت عنك مرات شيخنا ... نذكر أنك مُراعِ لأمر البيمارستان من جهة، وانا أربا بك عن ذلك، ولعلي اعرضك لشيء انبه من هذى واجدى ...))[١٥٦].

لعل تلك المحادثة تبين اهتمام اكابر دولة بني بويه بالاشخاص الذين يريدونهم ان يتولوا مسؤولية ادارة مرفق مهم من انشاءاتهم ،كما يبدو جلياً تكرار اهتمام التوحيدي بالحضور إلى البيمارستان، بيد أن الوزير يرى أنه قد يرشحه لمكان اجدى وانفع.

ولاعجب من قولنا أنه كان على المتعلمين الحصول على اجازات لممارسة مهنة الطب، وكان أول من نظم ذلك، وقيدها بنظام خاص لمصلحة الناس هو الخليفة العباسي المقتدر بالله ،ففرض على من يريد معاناة التطبيب تأدية امتحان للحصول على اجازة تخوله هذا الحق بين الناس، وسبب ذلك أن الطبيب سنان[١٥٧] بن ثابت، أخبر الخليفة عن حصول خطأ طبي من احد الأطباء، الذي اخطأ في تطبيب رجل من العامة أدت إلى موته، فأمر بمنع سائر المتطببين من التصرف، الا بعد ان يتحنه الطبيب سنان بن ثابت، ويكتب له رقعة بذلك.[١٥٨]

من الواضح الدور الفعال الذي قامت به البيمارستانات ،كأحد مراكز الحركة العلمية ، فضلاً عن تطبيب المرضى، كونها احدى المراكز المهمة لتعلم صناعة الطب وتخريج الاطباء في ذلك العصر.

المصادر و الهوامش

---

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم الخزرجي الانصاري (ت٧١١هـ/١٣١٣م)، لسان العرب، تح : عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، د.ت، مج٥، ص٣٨١٧؛ أمين، أحمد، ضحى الإسلام، ط٧، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٣٣م، ج٢، ص٥٠.

(٢) حسن، حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام الديني والسياسي والثقافي والاجتماعي، ط٧، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٧م، ج٤، ص٤٢٤؛ ينظر: محاسنة، محمد حسين ،أضواء على تاريخ العلوم عند المسلمين ،دار الكتاب الجامعي ،العين ،٢٠٠١م، ص١٣٢.

[٣] سورة العلق، الآيات : (١-٥).

[٤]القابسي ،ابو الحسن علي بن محمد بن خلف المعافري(ت٤٠٣هـ /١٠١٢م)،الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين واحكام المعلمين والمتعلمين ،تح وتعريب عن الفرنسية: احمد خالد، الشركة التونسية للتوزيع،تونس،١٩٨٦م،ص ٣١٢.

[٥] الجاحظ، عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ/٨٦٨م)، البيان والتبيين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٨م، ج٢، ص١٨٠.

[٦] الجاحظ، البيان والتبيين، ج٢، ص٢١٩.

[٧] الجاحظ، البيان والتبيين، ج١، ص١٨١.

[٨] ابن سحنون، ابو عبد الله محمد بن عبد السلام (ت٢٥٦هـ/٨٦٩م)، آداب المعلمين، تح : محمد العروسي المطوي، مطبعة المنار، تونس، ١٩٧٢م، ص٥٢-٥٣.

[٩]القابسي الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين واحكام المعلمين والمتعلمين ، ص٤٣-٤٤.

[١٠] ابن سحنون، آداب المعلمين، ص٥٢-٥٣.

[١١]القابسي الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين واحكام المعلمين والمتعلمين ، ص١٢٨.

[١٢] ابن سحنون، آداب المعلمين، ص٤٧.

[١٣]القابسي الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين واحكام المعلمين والمتعلمين ، ص١٢٩.

[١٤] أداب المعلمين، ص٤٩.

[١٥]القابسي الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين واحكام المعلمين والمتعلمين ، ص ١٣١.

[١٦] الجاحظ، البيان والتبيين، ج١، ص٤٠٣.

[١٧] أمين، ضحى الإسلام، ج٢، ص٥٠.

[١٨] ابن سحنون، آداب المعلمين، ص٥٠.

[١٩] الجاحظ، البيان والتبيين،ج١،ص١٤٠-١٤١.

[٢٠] المفضل هو أبو عبد الرحمن بن محمد احد الادباء والنحاة كان من اكابر علماء الكوفة عالماً بالأخبار والشعر والعربية. للمزيد ينظر: ابن الانباري، نزهة الالباء، ص٣٧.

[٢١] ابن النديم، الفهرست، ص٧٥.

[٢٢] الكسائي هو علي بن حمزة بن عبد الله أحد أئمة القراءة والنحو واللغة واحد اشهر القراء السبعة اصحاب القراءات المشهورة وهو من اهل الكوفة استوطنه بغداد توفي سنة (١٨٩هـ/٩٠١م)، للمزيد ينظر : ابن النديم، الفهرست، ص٧٢؛ الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة السلام، ج١١، ص٤٠٣.

[٢٣] ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ج٣، ص١٠٠.

[٢٤] الجاحظ،البيان والتبيين،ج١،ص١٤٠-١٤١؛الأهواني، أحمد فؤاد، التربية في الاسلام، مطبعة دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٧م، ص٨٣-٨٦.

[٢٥]الاهواني، التربية في الاسلام، ص٦٠.

[٢٦]ابن سحنون، أداب المعلمين، ص٥٥.

[٢٧]الشيزري ،ابو النجيب عبد الرحمن بن نصر بن عبدالله (ت٧٧٤هـ/١٣٧٥م)،نهاية الرتبة في طلب الحسبة،دار الثقافة،بيروت،١٩٦٩م،ص١٠٤

(٢٨) هي وظيفة جليلة رفيعة الشأن، تقوم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتعمل على الأخذ على يد الخارج عن طريق الاصلاح في معيشته وصناعته. ينظر: القلقشندي، أبو العباس احمد بن علي (ت٨٢١هـ/١٤٢٢م)، صبح الأعشى في صناعة الا نشا، المطبعة الاميرية، القاهرة، ١٩١٤م، القاهرة، ١٩٢٣م، ج٤، ص٣٧.

(٢٩) شلبي، احمد، التربية الإسلامية، ط٤، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٢٣م، ص٢٦٠.

(٣٠) أمين، ضحى الإسلام، ج٢، ص٥٠.

(٣١) الأهواني، التربية في الإسلام، ص٨٣-٨٤.

(٣٢) أمين، ضحى الإسلام، ج٢، ص٥٢.

(٣٣) معروف ،بشارعواد،التربية والتعليم ،حضارة العراق،بغداد،١٩٨٤م،ج٨،ص٣٥؛الدرديري،فاتن آدم الزين،الحياة الثقافية في العصر العباسي ،بحث منشور في جامعةالخرطوم،كليةالاداب،قسم التاريخ،٢٠١٣م،ص٢٥.

(٣٤) حسن، تاريخ الإسلام، ج٤، ص٤٢١-٤٢٢.

(٣٥) ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأولى، ج٣، ص١٠٠.

(٣٦)المقدسي ،احسن التقاسيم،ص١٧٩،محاسنة،اضواء ،ص١٣٥.

(٣٧) ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأولى، ج٣، ص١٠٠؛شلبي،التربية والتعليم،ص١١٢.

(٣٨)ابن الجوزي، المنتظم، ج١٥، ص١١٣.

(٣٩) هو أحدى مساجد بغداد المهمة الكائن في محلة الربيع في منطقة الكرخ يعود إلى عبد الله بن المبارك أحد أئمة المسلمين الذي عاش في القرن الثاني الهجري وكان يلقى في هذا الجامع الدروس التي تتضمن فقرات عديدة. للمزيد عنه ينظر : الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة السلام، ج٥، ص١٣٢؛ اليافعي ،ابي محمد عبدالله بن اسعد بن علي (ت٧٦٨هـ /١٣٦٩م)،مرآة الجنان وعبرة اليقظان في مايعتبر من حوادث الزمان ،تح:خليل المنصور،دار الكتب العلمية ،بيروت،١٩٩٧م،ج١،ص٢٩٤.

(٤٠) التنوخي، المحسن بن علي (ت٣٨٤هـ/٩٤٤م)، نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة، تح : عبود الشالجي، ط٢، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م، ج٨، ص١٨٦.

(٤١) ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، ج٣، ص١٠٢.

(٤٢) الجاحظ، عمر بن بحر (ت٢٥٥هـ/٨٦٨م)، البخلاء، تح : طه الحاجري، ط٥، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ج١، ص٢٩.

(٤٣) المناظرات : هي المقابلات ويقال دور فلان يقابل دور آل فلان أي بإزائها ومقابلة لها، والمناظرة: ان تناظر أخاك في أمر ما إذا نظرتما فيه معا كيف تأتيانه. ينظر : ابن منظور، لسان العرب، مج٦، ص٤٤٦٥-٤٤٦٦.

(٤٤) التنوخي، نشوار المحاضرة، ج٨، ص١٨٦.

(٤٥)محمود،حسن احمد واحمدابراهيم الشريف،العالم الاسلامي في العصر العباسي الاول، دار الفكر ،القاهرة،١٩٩٥م،ص٢٠٤-٢٠٥.

(٤٦) التنوخي، نشوار المحاضرة، ج١، ص١١١.

(٤٧) حسن، تاريخ الاسلام، ج٤، ص٤٢١-٤٢٤.

(٤٨) محاسنة،اضواء،ص١٣٦.

[٤٩] شلبي،التربية والتعليم،ص٤٥؛محاسنة،اضواء،ص١٣٦.

[٥٠] ياقوت، أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٦م)، ارشاد الاريب في معرفة الأديب، المعروف بمعجم الأدباء ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج١، ص٣٩٥.

[٥١]محاسنة،اضواء،ص١٣٦.

[٥٢] ياقوت، بمعجم الأدباء ، ج١، ص٣٩٥.

[٥٣] الاسفراييني هو أحد فقهاء الشافعية المشهورين ممن كان يحضر للتدريس في مسجد عبد الله بن المبارك عاش في بغداد ومات بها سنة (٤٠٦هـ/١٠١٦م). للمزيد عنه ينظر : ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص٥٨؛ الذهبي، العبر، ج٢، ص٢١١.

[٥٤] السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن عبد الكافي (ت٧٧١هـ/١٣٧٠م)، طبقات الشافعية، تح : محمد محمود الطناحي، دار احياء الكتاب العربي، عيسى البابي الحلبي ،١٩٦٤م، ج٣، ص٢٥.

[٥٥] التنوخي، نشوار المحاضرة، ج١، ص٩٩.

[٥٦] الاهواني، التربية في الاسلام، ص١٦-١٧.

[٥٧] ياقوت، معجم الادباء، ج٩، ص٢٣٨.

[٥٨] القفطي، جمال الدين علي بن يوسف (ت٦٢٤هـ/١٢٢٤م)، انباه الرواة على انباء النحاة، تح : محمد ابو الفضل إبراهيم، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٨٦م، ج٣، ص١٣٠.

[٥٩] شلبي،التربية والتعليم،ص١١٢.

[٦٠] ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، ج٣، ص١٠١.

[٦١] جامع المنصور : هو من اكبر جوامع بغداد، واشهر مركز للتعلم في الدول الإسلامية في العصر العباسي. للمزيد ينظر : متز، أدم، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، تح: عبد الهادي أبو ريدة، ط٣،بيروت ،١٩٦٤م ، ج١، ص٣١٤.

[٦٢] متز، ج١، ص٣١٩.

[٦٣] الكاشف، سيدة اسماعيل ،مصرفي عهدالاخشيديين، مطبعة جامعة فؤادالاول،القاهرة،١٩٥٠م،ص٣٠٦.

[٦٤] متز، ج١، ص٣١٩.

[٦٥] الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة السلام، ج١، ص١٠٨؛ ابن الانباري، نزهة الالباء، ص٤٢-٤٣.

[٦٦] التنوخي، نشوار المحاضرة، ج٧، ص٣٠.

[٦٧] محاسنة،اضواء،ص١٤٤.

[٦٨] هو ابو الحسن علي بن الحسين بن عبدالله عالم وطبيب وفيلسوف اتصف بالذكاء الخارق والعبقرية ساهم في نهضة العلوم في بلاده بشكل كبير وألف اكثر من ٢٤٠ مؤلف، سماه الغرب امير الاطباء وابو الطب وارسطو الاسلام اصله من بخارى ولد بها وتوفي في همدان سنة(٤٢٧هـ/١٠٣٧م).للمزيد ينظر:ابن خلكان،وفيات الاعيان،ج٢،ص١٥٨؛ابن ابي اصيبعة،عيون الانباء في طبقات الاطباء،ص٤٣٧-٤٥٨.

[٦٩] محاسنة،اضواء،ص١٤٤.

(٧٠)هو محمد بن عمران بن موسى بن عبيد الله صاحب اخبار يستقبل الاشياخ ليتدارسوا في بيته روى عن البغوي وابن دريد توفي سنة(٣٨٤هـ/٩٩٤م).للمزيد ينظر :ابن الاثير،الكامل،ج٧،ص٤٦٩؛ابن كثير،البداية والنهاية،ج١١،ص٣٣٥.

(٧١) محاسنة،اضواء،ص١٤٤.

(٧٢) ابن منظور، لسان العرب، مج٢، ص١١٥٤.

(٧٣) سورة الانعام، الآية : ٥٠ .

(٧٤) أمين، ضحى الإسلام، ج٢، ص٦٤ .

(٧٥) متز، الحضارة الإسلامية، ج١، ص٢٤٦.

(٧٦) حسن، تاريخ الإسلام، ج٤، ص٤٣٠.

(٧٧) الخطيب البغدادي،تاريخ مدينة السلام،ج١٤،ص٨؛ابن كثير،البداية والنهاية،ج١٠،ص٢٢٤.

(٧٨) ابن النديم، الفهرست، ص٣٣٣؛ القفطي، أخبار العلماء، ص١٦٨-١٦٩.

(٧٩) عليان ،ربحي مصطفى،المكتبات في الحضارة العربية الاسلامية ،دارصفاء للنشر والتوزيع ،عمان ،١٩٩٩م،ص١٣٥.

(٨٠) الدرديري، الحياة الثقافية في العصر العباسي الاول، ص ٣٠.

(٨١) عليان ،ربحي مصطفى،المكتبات في الحضارة العربية الاسلامية ،دارصفاء للنشر والتوزيع ،عمان ،١٩٩٩م،ص١٣٥.

(٨٢) صبح الأعشى، ج١، ص٤٦٦.

(٨٣) متز، الحضارة الإسلامية، ج١، ص٢٤٦.

(٨٤) التنوخي، نشوار المحاضرة، ج٣، ص٢٨٩.

(٨٥) هو أبو الحسن علي بن يحيى كان أبوه يحيى أول من خدم الخلفاء من آل المنجم نادم أبو الحسن هذا الخليفة المأمون ومن بعده إلى ايام المعتمد العباسي وكان شاعراً وراوياً وعلامة توفي سنة (٢٧٥هـ/١٨٨٥م)، للمزيد ينظر : ابن النديم، الفهرست، ص١٦٠؛ ياقوت، معجم الأدباء، ج٥، ص٨٨ .

(٨٦) نشوار المحاضرة، ج٤، ص٦٦.

(٨٧)تقع هذه المدينة في بلاد فارس وهي من اعظم المدن فيها تحمل اليها البضائع من كل الجهات ،وبها مدفن جماعة من التابعين. للمزيد عنها ينظر: ياقوت ،معجم البلدان،ج٣،ص٣٨٠ .

(٨٨) المقدسي، شمس الدين محمد بن احمد (ت٣٨٠هـ/٩٩٢م)، احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م، ص٤٤٩.

(٨٩) هو علي بن الحسين بن محمد من الشعراء المخضرمين ويعتبر كتاب الاغاني من اشهر مؤلفاته واكثرها رواجاً قال انه جمعه في خمسين سنة، ولم يكتبه الامرة واحدة هي المرة التي اهداه فيها الى سيف الدولة الحمداني توفي سنة(٣٥٦هـ /٩٦٦م).للمزيد ينظر: الذهبي العبر،ج٢،ص٩٨؛ابن الوردي، زين الدين عمرو بن مظفر(ت٧٤٩هـ /١٣٤٩م)،تاريخ ابن الوردي، مطبعة دار الكتب العلمية،بيروت،١٩٩٦م،ج١،ص٢٨٤.

(٩٠) الفرج بعد الشدة، ج٣، ص٨٢.

(٩١) ياقوت، معجم الأدباء، ج٥، ص٤٤٥-٤٤٦.

(٩٢) هو ابو علي محمد بن علي بن الحسن بن عبد الله من مشاهير الُكتّاب وخطه من اقوى الخطوط كان يتولى اعمال فارس وخراجها الى ان تولى الوزارة ، استوزر لثلاثة خلفاء اولهم المقتدرومن بعده القاهر ثم الراضي وتعرض للتعذيب

والمصادرة من قبلهم وقطع الاخير يده وحبسه ثم راضاه بالمال واعاده للوزارة الى ان توفي سنة(٣٢٠هـ/٩٣٠م).للمزيد ينظر: ابن كثير،البداية والنهاية،ج١٥،ص١٢٣ ؛ابن تغري بردي،النجوم الزاهرة،ج٣ ،ص٢٩؛ ابن طباطبا، محمد بن علي بن الطقطقي (ت٧٠٩هـ/١٣٠٩م) ،**الفخري في الاداب السلطانية والدول الاسلامية** ،منشورات الشريف الرضي،قم ،١٤١٤م،ص٢٧٠.

(٩٣) هو ابو الفضل محمدبن العميد وزير ركن الدولة البويهي والذي كانت له العديد من المؤلفات ،وله ديوان في الرسائل اشهرها كتاب البلاغات في المذهب.للمزيدعنه ينظر:ابن النديم، الفهرست، ص١٤٩؛ ياقوت، معجم الادباء، ج٣، ص١٠٣-١٠٩.

(٩٤) وفيات الاعيان،ج٥،ص١٠٣-١٠٩.

(٩٥) مسكويه،تجارب الامم،ج٣،

(٩٦) هو محمد بن يحيى البغدادي الأديب الاخباري صاحب التصانيف أخذ الدب عن المبرد وثعلب عاصر العديد من الخلفاء وكان نديمهم وعرف بالصولي إلى جده الأعلى أصول نديم الخلفاء وعرف أيضاً بالشطرنجي الكاتب. للمزيد ينظر: الذهبي، العبر، ج٢، ص٥٠؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٣، ص٣٣٩.

(٩٧) تاريخ مدينة السلام، ج٣، ص٤٣١ .

(٩٨) هو ابو القاسم اسماعيل بن عباد وعرف بالصاحب لانهُ كان يصاحب سلاطين بني بويه فخر الدولة ومؤيد الدولة، واحد وزرائهم الفضلاء، كان محباً للعلم والعلماء لم يجتمع بباب احد من الخلفاء والملوك مثلما كان يجتمع ببابه من العلماء والشعراء والفضلاء وكان يكرمهم ويغدق عليهم من العطايا والهدايا والخلع مالاتوصف له العديد من المؤلفات.للمزيد ينظر:ابن النديم ،الفهرست ،ص١٥٠؛الثعالبي ،ابي منصور عبد الملك النيسابوري(ت٤٢٨هـ/م)،يتيمة الدهرفي محاسن اهل العصر،تح:مفيد قميحة،دار الكتب العلمية، بيروت،١٩٨٣م،ج٣،ص٢٢٥-٢٢٩.

(٩٩)ياقوت، معجم الأدباء، ج٦، ص٢٥٩؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج١، ص٢٣١.

(١٠٠)ابن كثير، البداية والنهاية، ج٦، ص٤٧٨.

(١٠١) معجم البلدان، ج١، ص٥٣٤.

(١٠٢) هو احمد بن عبدالله بن سليمان القضاعي التنوخي شاعر وفيلسوف واديب ولغوي عاش في العصر العباسي لقب برهين المحبسين لانه كان اعمى واعتزل الناس في بيته بعد عودته من بغداد كانت ولادته في معرة النعمان ووفاته بها سنة (٤٤٩هـ/١٠٥٧م).للمزيد ينظر:الذهبي،العبر،ج٢،ص٢٩٣؛اليافعي،مرآة الجنان،ج٢،ص٦٦.

(١٠٣) هو ابو القاسم علي بن الحسين بن موسى بن ابراهيم ويرجع نسبه الى الامام علي بن ابي طالب عبرالامام موسى الكاظم عليهما السلام تولى نقابة اشراف الطالبيين في العصر البويهي بعد اخيه الشريف الرضي ،وكان لع العديد من المؤلفات في علم الكلام وعلوم كثيرة اخرى توفي سنة(٤٣٦هـ/١٠٤٤م).للمزيد ينظر:ابن الجوزي،المنتظم،ج١٥،ص٢٩٢-٣٠٠؛ابن الاثير،الكامل،ج٩،ص٥٢٦.

(١٠٤)عليان ،المكتبات في الحضارة العربية الاسلامية،ص١٣٩.

(١٠٥) ابن النديم، الفهرست، ص٨١؛ ضيف، تاريخ الأدبي العربي، ج٣، ص١٠٣.

(١٠٦) حسن، تاريخ الإسلام، ج٤، ص٤٣٠.

(١٠٧) ابن منظور، لسان العرب، مج٢، ص٤١٨٥.

(١٠٨) خير الله، سعيد، موسوعة الوراقة، ص٢٥٥.

(١٠٩) المقدمة، ص٤٢٨.

(١١٠) البلدان، ص٢٤٥.

(١١١) حسن، تاريخ الإسلام، ج٤، ص٤٣٠.

(١١٢) هو تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي مؤرخ عربي، وقاضي قضاة دمشق في وقته، وأحد فقهاء الشافعة فيها، انتقل اليها مع والده وعاش ومات فيها سنة (٧٧١هـ/١٣٧٠م)، للمزيد عنه ينظر : ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٨٦؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ج١، ص٣٢٨.

(١١٣) معيد النعم ومبيد النقم، تح : محمد علي النجار وآخرون، دار الكتاب العربين القاهرة، ١٩٤٨م، ص١٣١.

(١١٤) المقدمة، ص٤١٠.

(١١٥) ضيف، تاريخ الأدب العربي، ج٣، ص١٠٣.

(١١٦) الجاحظ، الحيوان، ج١، ص٥٥.

(١١٧) الجاحظ، الحيوان، ج١، ص٥٦.

(١١٨) معجم الأدباء، ج٤، ص١٠٩ ترجمة الجاحظ .

(١١٩) هوابو سعيد المهلب بن ابي صفرة الازدي احد ولاة الامويين على خراسان قام بفتوحات كثيرة في بلاد ماوراء النهر وافتتح جرجان وطبرستان وفرض سيطرة بني امية على تلك الاقسام اصله من دبا ووفاته في مروسنة(٨٢هـ/٧٠٢م) للمزيد ينظر :ابن الاثير ،الكامل،ج٤،ص٢٠٧؛الذهبي،العبر ،ج١،ص٧٠.

(١٢٠) الفخري،ص٦.

(١٢١) البلدان، ص٢٤٥.

(١٢٢) ابو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت٥٧١هـ/١١٧٣م)، مناقب بغداد، مطبعة دار السلام،١٩٦٩م ، ص٢٦.

(١٢٣) فهد، بدري محمد، العامة ببغداد في الفرات الرابع الهجري، مطبعة الارشاد، بغداد، ١٩٦٧م، ص١٥٨.

(١٢٤) البلدان، ص٢٤٥.

(١٢٥) الفهرست، ص١٦٩.

(١٢٦) ابي حيان علي بن محمد بن العباس (ت٤١٤هـ/١٠٢٣م)، الامتاع والمؤانسة، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠١٧م، ص١٦٧.

(١٢٧) لسان العرب، مج٣، ص٢١٥٤.

(١٢٨) سورة الفرقان، الآية : ٢٠ .

(١٢٩) خير الله سعيد، موسوعة الوراقة، ص٣٦٨.

(١٣٠) عثمان، محمد عبد الستار، المدينة الإسلامية، مطبعة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٧٨م، ص١٠٣.

(١٣١) تاريخ مدينة السلام، ج١، ص٧٧.

(١٣٢) الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة السلام، ج١، ص٧٨.

(١٣٣) فهد، بدري محمد، العامة ببغداد، ص٧٨.

(١٣٤) عليان ، المكتبات في الحضارة العربية الاسلامية،ص١٦٩.

(١٣٥) معجم الأدباء، ج١٥، ص١٤٤.

(١٣٦) ياقوت، معجم الأدباء، ج١٣، ص٩٤.

(١٣٧) ينظر : الفهرست، ص ١٧٠ .

(١٣٨) نظيف الرومي: كان طبيباً خبيراً باللغات وكان ينقل عن اليونانية إلى العربية ويعد من الفضلاء في صناعة الطب استخدمه عضد الدولة في بيمارستانه. للمزيد ينظر : ابن القفطي، أخبار العلماء باخبار الحكماء، ص٢٥١.

(١٣٩) الامتاع والمؤانسة، ج١، ص١٠٣.

(١٤٠) الامتاع والمؤانسة، ج١، ص٥٠-٥١.

(١٤١) دهمان، محمد أحمد، معجم الألفاظ التاريخية، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩٠م، ص٤١؛ شير، أدي، معجم الألفاظ الفارسية المصرية، ط٢، المطبعة الكاثوليكية للأباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٨م، ص٣٣.

(١٤٢) حسن، تاريخ الاسلام، ج٤، ص٤٢٦.

(١٤٣) عيسى، أحمد، تاريخ البيمارستانات في الاسلام، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٨١م، ص٣-٤.

(١٤٤) حسن، تاريخ الإسلام، ج٤، ص٤٢٦.

(١٤٥) احمد عيسى، تاريخ البيمارستانات في الإسلام، ص١٩٢.

(١٤٦) احمد عيسى، تاريخ البيمارستانات في الإسلام، ص٣٨.

(١٤٧) عيون الابناء في طبقات الأطباء، ج١، ص٢٣٩.

(١٤٨) الذهبي، العبر، ج٢، ص١٣٨؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٥، ص٤٠٩.

(١٤٩) احمد عيسى، تاريخ البيمارستانات في الإسلام، ص١٩٢.

(١٥٠) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٥، ص٤٠٩.

(١٥١) ابن ابي اصيبعة، عيون الانباء في طبقات الاطباء، ج١، ص٢٥٣.

(١٥٢) احمد عيسى، تاريخ البيمارستانات في الاسلام، ص١٨٧.

(١٥٣) جبرائيل بن بختشيوع كان طبيباً عالماً متقناً لصناعة الطب كان من اطباء المقتدر، ولامه في البيمارستان المقتدري، ثم بعد وفاة المقتدر انتقل إلى البيمارستان المعتضدي توفي في سنة (٣٩٦هـ/٩٩٧م)، للمزيد ينظر :ابن ابي اصيبعة،عيون الانباء،ص ١٨٧.

(١٥٤) أحمد عيسى، تاريخ البيمارستانات في الاسلام، ص١٩٤.

(١٥٥) هوابو عبدالله الحسين بن احمد وزير الأمير البويهي صمصام الدولة كانت له مجالس يجتمع فيها الكثيرمن العلماء والادباء وكتب مايدور في تلك المجالس ابوحيان التوحيدي والتي سميت الليالي توفي سنة(٣٧٤هـ/٩٨٤م).للمزيد عنه ينظر: ابن الجوزي،المنتظم،ج١٤،ص٣٠٦؛الامتاع والمؤانسة،ج١،ص ١٣٠.

(١٥٦) الامتاع والمؤانسة، ج١، ص١٩.

(١٥٧) ابو سعيد سنان بن ثابت بن قره الحراني، كان طبيباً مقدماً كأبيه عند الخليفة المقتدر العباسي وعظمت منزلته عنده وصار رئيساً على الأطباء في عصره توفي سنة (٣٣١هـ/٩٤١ م)، للمزيد ينظر : القفطي، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص١٤٨؛ابن كثير،البداية والنهاية،ج١٥،ص١٥٢.

(١٥٨) ابن ابي اصيبعة، عيون الانباء في طبقات الأطباء، ج١، ص٢٢٢.

قائمة المصادر والمراجع

١- المصادر :

❖ القرآن الكريم.

❖ ابن الاثير، ابوالحسن علي بن ابي الكرم محمد بن عبد الواحد الشيباني الجزري(ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م)

١- الكامل في التاريخ، تح: محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية ،بيروت ،١٩٨٧م.

❖ ابن ابي أصيبعة، موفق الدين أحمد بن القاسم بن خليفة السعدي (ت٦٦٨هـ/١٢٦٩م).

٢- **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، تح : د. نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٨٨٤م.

❖ التنوخي، المحسن بن علي (ت٣٨٤هـ/٩٤٤م)

٣- **نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة**، تح : عبود الشالجي، ط٢، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م.

❖ ابن تغري بردي، ابو المحاسن جمال الدين يوسف بن علي (ت٨٧٤هـ/م)

٤- **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م.

❖ التوحيدي، ابي حيان علي بن محمد بن العباس (ت٤١٤هـ/١٠٢٣م)

٥- **الامتاع والمؤانسة**، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠١٧م.

❖ الثعالبي ،ابي منصور عبد الملك النيسابوري(ت٤٢٨هـ/م)

٦- **يتيمة الدهر في محاسن اهل العصر**،تح:مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت،١٩٨٣م

❖ الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ/٨٩٥م)

٧- **البخلاء**، تح : طه الحاجري، ط٥، دار المعارف، القاهرة، د.ت.

٨- **الحيوان**، تح:عبدالسلام هارون ،ط٢،مطبعة مصطفى البابي الحلبي ،١٩٦٥م.

❖ ابن الجوزي، ابو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت٥٩٧هـ/١١٩٨م)

٩- **مناقب بغداد**، مطبعة دار السلام ،بغداد،١٩٦٩م.

١٠- **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، تح : محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا ،مراجعة :نعيم زرزور، مطبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م.

❖ ابن خلدون، أبو زيد ولي الدين عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت٨٠٨هـ/١٤٥٩م)

١١- **المقدمة**، دار الفكر للطباعة، بيروت، ٢٠٠٧م.

❖ ابن خلكان، ابي العباس احمد بن علي (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م).

١٢- **وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان**، تح : احسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م.

❖ الخطيب البغدادي، ابو بكر احمد بن علي بن ثابت (ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م).

١٣- **تاريخ مدينة السلام**، تح : بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠١م.

❖ الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م).

١٤- **العبر في خبر من غبر**، تح : أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥م.

❖ السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن علي (ت٧٧١هـ/١٣٧٠م).

١٥-**طبقات الشافعية**، تح : محمد محمود الطناحي، دار احياء الكتاب العربي، عيسى البابي الحلبي ،١٩٦٤م.

١٦-**معيد النعم ومبيد النقم**، تح : محمد علي النجار وآخرون، دار الكتاب العربين القاهرة، د.ت.

❖ ابن سحنون، ابو عبد الله محمد بن عبد السلام (ت٢٥٦هـ/٨٦٩م).

١٧-**آداب المعلمين**، تح : محمد العروسي المطوي، مطبعة المنار، تونس، ١٩٧٤م.

❖ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن (ت٩١١هـ/ ١٥١٢م).

١٨-**حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**، تح : محمد ابو الفضل ابراهيم، دار احياء الكتب العربية، ١٩٦٧م.

❖ الشيزري ،ابو النجيب عبد الرحمن بن نصر بن عبدالله (ت٧٧٤هـ/١٣٧٥م)،

١٩- **نهاية الرتبة في طلب الحسبة**،دار الثقافة،بيروت،١٩٦٩م.

❖ ابن طباطبا، محمد بن علي بن الطقطقي (ت٧٠٩هـ/١٣٠٩م)

٢٠- الفخري في الاداب السلطانية والدول الاسلامية ،(منشورات الشريف الرضي،قم ،١٤١٤م).

❖ القابسي ،ابو الحسن علي بن محمد بن خلف المعافري(ت٤٠٣هـ /١٠١٢م)،

٢١- **الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين واحكام المعلمين والمتعلمين** ،تح وتعريب عن الفرنسية: احمد خالد، الشركة التونسية للتوزيع،تونس،١٩٨٦م.

❖ القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (ت٦٤٦هـ/١٢٤٧م).

٢٢-**اخبار العلماء باختبار الحكماء**، تح : إبراهيم شمس الدين، مطبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م.

٢٣-**انباه الرواة على انباء ابناء النحاة**، تح :محمد ابو الفضل إبراهيم، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٨٦م.

❖ القلقشندي، ابو العباس احمد بن علي (ت٨٢١هـ/١٤٢٢م).

٢٤-**صبح الأعشى في صناعة الانشا**، المطبعة الاميرية، القاهرة، ١٩١٤م.

❖ ابن كثير، عماد الدين اسماعيل بن علي (ت٧٧٤هـ/١٣٧٣م).

٢٥-**البداية والنهاية**، تح : عبد الله عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر، ١٩٩٨م.

❖ المقدسي البشاري، شمس الدين محمد بن أحمد (ت٣٨٠هـ/ ٩٤٢م).

٢٦-**احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم**، مطبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م.

❖ ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم الخزرجي الانصاري (ت٧١١هـ/١٣١٣م).

٢٧-**لسان العرب**، تح : عبد الله علي الكبير وآخرون ، مطبعة دار المعارف، القاهرة، د.ت.

❖ ابن النديم، أبو الفرج محمد بن اسحاق الوراق (ت٣٨٠هـ/٩٩٠م).

٢٨-**الفهرست**، تح : رضا تجدد، طهران ،١٩٧١م.

❖ ابن الوردي، زين الدين عمرو بن مظفر(ت٧٤٩هـ /١٣٤٩م)،

٢٩- تاريخ ابن الوردي، مطبعة دار الكتب العلمية،بيروت،١٩٩٦م.

❖ اليافعي ،ابي محمد عبدالله بن اسعد بن علي (ت٧٦٨هـ /١٣٦٩م)

٣٠- **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في مايعتبر من حوادث الزمان** ،تح:خليل المنصور،دار الكتب العلمية ،بيروت،١٩٩٧م.

❖ ياقوت الحموي، ابي عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م).

٣١-**ارشاد الأريب إلى معرفة الأديب**،المعروف بمعجم الأدباء، تح : احسان عباس، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ١٩٩٣م.

٣٢-**معجم البلدان** ،دار صادر،بيروت،١٩٧٧م.

❖ اليعقوبي، أحمد بن اسحق بن جعفر بن وهب (ت٢٨٤هـ/٨٩٥م).

٣٣- **البلدان**، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م.

٢-المراجع العربية والمعربة :

❖ الأهواني، أحمد فؤاد،

٣٤-**التربية في الإسلام**، مطبعة دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٧م.

❖ أمين، احمد،

٣٥-**ضحى الإسلام**، مكتبة النهضة المصرية، ط٥، القاهرة، ١٩٦٥م.

❖ معروف ،بشار عواد

٣٦-**التربية والتعليم ،حضارة العراق**،بغداد،١٩٨٤م.

❖ حسن، حسن إبراهيم،

٣٧-**تاريخ الإسلام السياسي والديني والاجتماعي والثقافي**، ط٧، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٥م.

❖ دهمان، محمد أحمد،

٣٨-**معجم الألفاظ التاريخية**، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩٠م.

❖ سعيد، خير الله.

٣٩-**موسوعة الوراقة والوراقين في الحضارة العربية الإسلامية**، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ٢٠١١م.

❖ شير، أدي.

٤٠-**الألفاظ الفارسية المعربة**، المطبعة الكاثوليكية للأباء اليسوعيين،القاهرة،١٩٠٨م.

❖ شلبي، احمد

٤١-**التربية والتعليم في الفكر الإسلامي**،ط٤،مكتبة النهضة المصرية،القاهرة،١٩٦٩م.

❖ ضيف، شوقي

٤٢-**تاريخ الأدب العربي ، عدة اجزاء ،دار المعارف،القاهرة،١٩٦٦م.**

❖ عثمان، محمد عبد الستار

٤٣-**المدينة الإسلامية**، مطبعة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٧٨م.

❖ عليان ،ربحي مصطفى

٤٤-**المكتبات في الحضارة العربية الاسلامية** ،دارصفاء للنشر والتوزيع ،عمان ،١٩٩٩م.

❖ عيسى، أحمد

٤٥-**تاريخ البيمارستانات في الاسلام**، دار الرائد العربين بيروت، ١٩٨١م.

❖ فهد، بدري محمد

٤٦-**العامة ببغداد في القرن الرابع الهجري**، مطبعة الارشاد، بغداد، ١٩٦٧م.

❖ متز، أدم

٤٧-**الحضارة الإسلامية في القرن الهجري**، تعريب : محمد عبد الهادي ابو ريده، ط٤، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٧م.

❖ **محاسنة، محمد حسين**

٤٨-أضواء على تاريخ العلوم عند المسلمين ،دار الكتاب الجامعي ،العين ،٢٠٠١م،ص١٣٢.

❖ محمود،حسن احمد واحمدابراهيم الشريف

٤٩- **العالم الاسلامي في العصر العباسي الاول**، دار الفكر ،القاهرة،١٩٩٥م.

٣-البحوث الجامعية

❖ الدرديري، فاتن آدم الزين،

الحياة الثقافية في العصر العباسي ،بحث منشور في جامعةالخرطوم،كليةالاداب، قسم التاريخ،٢٠١٣م.

شارع الرشيد (١٩١٦-١٩٥٩) دراسة تاريخية

حيدر كامل عاجل

أ.د. كريم مراد عاتي

جامعة بغداد/ كلية التربية- ابن رشد للعلوم الانسانية

شارع الرشيد (١٩١٦-١٩٥٩) دراسة تاريخية

حيدر كامل عاجل

أ.د. كريم مراد عاتي

المستخلص

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الأمين المبعوث رحمة للعالمين، وعلى أل بيته الطيبين الطاهرين وأصحابه الغر الميامين.

ان أول من فكر في أنشاء شارع واسع وكبير في بغداد هو الوالي المصلح (مدحت باشا) ألا أنه لم يستطيع تحقيق ذلك بسبب انتهاء ولايته، وأعقبه في ذلك الوالي (حسين ناظم باشا)، الذي تم في عهده الخطوات الفعلية الاولى لأنشاء الشارع ، ألا ان المشروع توقف لعدة أسباب كان في مقدمتها معارضة الاهالي وعزله عن منصبه. ولم يجد الشارع من الولاة اللاحقين الذين خلفوه الرغبة في استكماله حتى مجيء الوالي خليل باشا بعد أن ادرك ضرورة وجود شارع عريض لنقل المعدات الحربية الى جبهات القتال اثناء معارك الحرب العالمية الاولى، ونجح في استكمال المشروع عام ١٩١٦. وقد مر الشارع بعدة مراحل تطويرية من تبليط وتوسيع وتعديل استقامته. وكان لافتتاح هذا الشارع أثر كبيراً على المدينة، أذ ضم بعد افتتاحه الدور السكنية ذات الطابع العمراني والتراثي ودور العبادة كالجوامع والكنائس، فضلاً عن تشجيعه للأهالي بفتح المحلات التجارية والمقاهي ودور السينما.

Al-Rasheed Street (1916-1959) Historical Study

ABSTRACT

The first to think of establishing a large and broad street in Baghdad is the reformed governor (Medhat Pasha), but he could not achieve it because of the end of his mandate, and was followed by the governor (Hussein Nazim Pasha), which was the first actual steps to establish the street, but The project stopped for several reasons, foremost of which was the opposition of the people and his removal from office. The street did not find the subsequent governors who wanted to complete it until the arrival of the governor Khalil Pasha after he realized the need for a wide street to transport the war equipment to the fighting fronts during the battles of World War I and succeeded in completing the project in 1916. The street passed several stages of development of paving Expand and adjust its integrity. The opening of this street has had a great impact on the city, which after the opening of the residential role of urban and heritage and houses of worship such as mosques and churches, as well as encouraging the people to open shops, cafes and cinemas.

المقدمة:

عد شارع الرشيد الشريان الحيوي لبغداد وواحداً من الشواهد التاريخية الذي احتضن وواكب أنشطة وأعمال النخبة الثقافية والسياسية في بغداد بنحو خاص والعراق بنحو عام، فهو الشريان الحيوي والقلب النابض لها، والمكان الذي جمع أنشطتها وفعاليتها وأماكنها المختلفة كالمقاهي ودور السينما وصحفها ومثقفيها والفعاليات الاخرى، ومنها مؤسسات العراق الاقتصادية، كالأسواق والبنوك والشركات والفنادق والمحلات التجارية التي كان لها دور في تنشيط حركتها الاقتصادية. ألا اننا لم نجد دراسة متخصصة تطرقت الى هذا الشارع بنحو خاص، في الوقت احتضن الشارع الاحداث السياسية المختلفة التي مر بها العراق في القرن العشرين.

اولاً:- بدايات فتح الشارع:

لم تكن في بغداد طرق واسعة، أذ كانت عبارة عن أزقة ملتوية ومتشابكة ذات ممرات ضيقة تتناسب مع المشاة والعربات التي تجرها الحيوانات، والتي تؤدي الى الأماكن المطلوبة كالأسواق والجوامع والمناطق الاخرى[١]. وقد شعر الوالي مدحت باشا(١٨٦٩ – ١٨٧٢) ضمن اهتماماته الاصلاحية بضرورة وجود طرق واسعة في المدينة، وحينها امر مهندسي الولاية برسم مخطط للطريق(الشارع) المزمع شقه. وبالفعل تم اعداد ذلك المخطط الا أنه بقي حبراً على الورق بعد ان ترك مدحت باشا ولايته وغادر بغداد عام ١٨٧٢[٢].

وبعد تعيين حسين ناظم باشا والياً على العراق عام١٩١٠. تطلعت الانظار تجاهه الى ما سيعمل، سيما أنه كان مزود بصلاحيات واسعة من قبل الحكومة[٣]. أذ جدد فكرة أنشاء طريق عريض في المدينة واعتمد على رسم خارطة (الشارع) التي وضعها مدحت باشا[٤].

وواجه المشروع عقبات عديدة، منها مسألة تعويض اصحاب الممتلكات، التي ستتعرض ممتلكاتهم للهدم لأعتراضها مسار الشارع، ويقال أن عمليات الهدم التي طالت الاملاك العامة جرت من دون مراعاة للقانون ولم تدفع التعويضات لهم[٥]. وعليه عندما اشيع بين الاهالي ان حكومة الولاية غير جادة في تعويضهم نظموا تظاهرة هتفوا فيها"**هذي الكاع وما ننطيها وناظم باشا حاكم بيها**"[٦]. وفي الوقت الذي كان الوالي مستعجلاً في عملية تهديم البيوت لشق الشارع الجديد في بغداد مهما كلف الثمن[٧].

وذكر السيد مصطفى نور الدين الواعظ[٨]. أنه في احد الأيام كان جالساً عند الوالي حسين ناظم باشا ودخل عليهما مأمور الوالي جواد بك واخبره بأن بعض الاهالي ناقمين عليه. سرعان ما ألتفت لي وقال: "**أن اهل بغداد ألان تشتمني لكن سيأتي يوم من الزمن تقرأ على روحي الفاتحة**"[٩].

كان لعزل ناظم باشا من منصبه في اذار ١٩١١، من الأسباب الرئيسية التي أدت الى تعثر مشروع الشارع الجديد والتوقف على المباشرة به في وقتها[١٠].

ثانياً:- فتح الشارع الجديد:

تـــزامن تعـــين خليـــل باشـــا واليـــاً علـــى العـــراق فـــي الثـــاني عشـــر مـــن كـــانون الثـاني ١٩١٦، مـع انتصـار الجـيش العثمـاني علـى الجـيش البريطـاني فـي معركـة (سـلمان بـاك)، ومحاصـرته فـي الكـوت[١١]. ولأشـتداد حـدة معـارك الحـرب العالميـة الاولـى، وبـروز الضـعف فـي طـرق المواصـلات بين الوحدات العسكرية، مما جعل الوالي خليل باشا يدرك أهمية العمل وبالسرعة الممكنة لتسهيل نقل المعدات الحربية من بغداد الى الجبهة. وقد إستعان خليل باشا برئيس البلدية رؤوف بك الجادرجي وضباط الركن الالمان الذين كانوا تحت امرته لتنفيذ المشروع[١٢].

كانت الصعوبات التي واجهة الاستمرار في شق الشارع تعويض اصحاب الاملاك التي تهدم جزئيا او كليا، وبعض من الصعوبات الهندسية التي تمثلت بالتباين في مستويات الشارع حيث بلغ من متر الى ثلاثة امتار، وكان لمعارضة رجال الدين لفكرة هدم الاملاك الوقفية مثل سوق الحيدر خانة[١٣]،سيما أن الكثير من اهالي بغداد اعتقدوا أن الشارع قد تكون فوائده قليلة، فضلاً عدم تصديقهم بمشاريع الولاة، وفي الأخير تقع عواقبه على كاهلهم[١٤].

إستعانت بلدية بغداد بمهندسين فرنسيين[١٥]لأجل حل مشكلة التباين في مستويات الشارع، اما مشكلة التعويضات تم الاتفاق مع اصحاب الاملاك على منح مبلغ اولي يعادل الايجار لسنة واحدة وان تدفع لهم بقية المبالغ بعد الحرب[١٦].

وذكر كامل الجادرجي بأن اخاه رئيس البلدية قد غادر بغداد قبيل سقوطها بيد البريطانيين الى الاستانة ومنها الى برلين بحجة الاطلاع على تنظيمات المدينة بصفته رئيساً لبلدية بغداد وتخلصاً من الوضع الذي نشأ من جراء فتح الشارع الجديد. ولم تعوض البلدية اصحاب الاملاك اموالاً نقدية بل اكتفت بإعطائهم سندات بقيت الى نهاية الحرب ديناً بذمتهم[١٧]. اما مشكلة هدم الاوقاف فقد تم هدم سوق الحيدرخانة ليلاً، بعد ان عجزت الإدارة العثمانية في ايجاد حلاً لها[١٨].

وذكر امين المميز بأن المعاول عملت ليلاً على هدم دور وحوانيت الحيدر خانة على رؤوس ساكنيها في مشهد يدمي القلوب، وليس هناك من يصغي الى شكاواهم[١٩]. وظلم الكثير منهم وجاروا على الضعيف، على عكس من الذين تمكنوا من أن يرشوا من بيده الأمر في عدم تهديم منازلهم[٢٠]. وفي مدة وجيزة تم إستكمال فتح الشارع بعرض ١٦ متراً وجرى الاحتفال بافتتاحه في ٢٣/تموز/ ١٩١٦، يوم اعلان الدستور[٢١]وحضره عدد من كبار الدولة[٢٢]. وقد أصبح الشارع ممراً عسكرياً للفيلق العثماني السادس على الرغم من عدم تبليطه[٢٣]. ومع دخول البريطانيين الى العراق دخلت معهم الأَفكار التخطيطية الغربية المتمثلة بشق الطرق وبناء الجسور حيث أكملت الإدارة البريطانية فتح الشارع واوصلته الى الباب الشرقي. اذ قامت سلطات الاحتلال بتسخير اعداد كبيرة من السجناء المحكومين

بالأحكام الشاقة والمؤبدة لتبليط أرضية الشارع بالحجارة والصخور وثم دقها (بالمدقات) لرصفها وتعديل مستوياتها، وذلك لتسهيل تنقل السيارات العسكرية من قلعة السراي الى القنصلية البريطانية[٢٤].

ثالثاً:- موقعه الجغرافي وأصل التسمية:

عد شارع الرشيد العامود الفقري بالنسبة لجانب الرصافة من بغداد، ويبدأ من منطقة باب السلطان (باب المعظم)، احد ابواب سور بغداد العباسية، ويمتد الى منطقة باب كلوذاي (باب الشرقي) حيث موضع اخر من ابواب سور بغداد. وبطول يبلغ ٣,١٢٠ متراً[٢٥].وعند افتتاح الشارع في٢٣/تموز/١٩١٦سمي بـ(جادة خليل باشا سي) وكتب على قطعة من الكاشي المزجج وثبتت على جدار جامع السيد سلطان علي[٢٦]. وأطلق عليه البغداديون أسم (الجادة العمومية) او(الشارع العام)[٢٧]. وكذلك سمي بشارع (هند نبرك) بمناسبة سقوط الكوت[٢٨].

بعد ان احتل البريطانيون بغداد في١١/آذار/١٩١٧اطلقوا عليه اسم (الشارع الجديد) أو (الشارع الكبير)[٢٩]. اما عن تسميته الاخيرة بـ(شارع الرشيد) فسمي تيمناً بالخليفة العباسي هارون الرشيد وذلك عام ١٩٣٢ بعد دخول العراق الى عصبة الامم[٣٠]. وكانت امانة العاصمة قد شكلت لجنة لأعاده تسمية الشوارع وكان من ضمنها شارع الرشيد واطلقت عليه تلك التسمية الاخيرة، وفي ٢٨/نيسان/ ١٩٣٢، قامت أمانة العاصمة بتعليق لوحات كتب عليها اسماء الشوارع الجديدة[٣١].

رابعاً: تطور شارع الرشيد:

مثل شارع الرشيد تاريخ بغداد الحديثة، وتميزت بنايته[٣٢]المطلة عليه بالشناشيل[٣٣] والمستندة على الرواق[٣٤] حيث كانت تمثل معمارياً العمارة العراقية منذ بداية القرن العشرين، ألا أن محلاته كانت ضيقة الأزقة وتغطيها الأتربة ومياه الأسنة[٣٥]. وكان الشارع في بداية تأسيسه غير معبد وفيه اعوجاجات كثيرة ولم يكن فيه أرصفة، وقد نظم الشاعر معروف الرصافي عن وضع الشارع غير الطبيعي(السيء) قصيدة بعنوان"**الشارع الكبير**" جاء في بعض منها.

نكب الشارع الكبير ببغداد ولا تمشي فيه ألا اضطراراً
شارع ان ركبت ثنيه يوماً تلقى فيه السهول والأوعارا
تترامى سنابك الخيل فيه ان تقحمن عشه والخيارا[٣٦].

بدأت الخطوات الاولى في تطوير الشارع الجديد في تشرين الأول١٩١٧، حيث عملت سلطات الاحتلال البريطاني على تأسيس منظومة الشبكة الكهربائية، التي انجزت بمدة قصيرة لم تتجاوز شهراً واحد حيث بدأت الإنارة تطل على الشارع الجديد[٣٧]، وقد اندهش المارة لرؤيتهم الأضواء المنتشرة على طول الشارع، فكان ذلك مثار حديث البغداديين واَعجابهم[٣٨].

بالرغم من ذلك بقيت حالة الشارع السيئة حتى بداية العقد الثاني من القرن العشرين، ووصفه ساطع الحصري بالقول: "**كان يوجد رصيف في طرفي الشارع، ولكن ما بين الرصيفين كان باقياً على**

الحالة الطبيعية من الترابية. وهذا التراب يتحول الى أوحال. واذا زادت الامطار، امتلأ الشارع بالمياه، فلم يبقى مجال لأنتقال من رصيف الى الرصيف الأخر الأ بالركوب على أكتاف العتالين"[٣٩]. وفي عام ١٩٢٤خصصت الحكومة العراقية(٦٦٥٨٦) روبية لتبليط أرصفة جانبي الشارع العام بالسمنت[٤٠]، وقبل تبليط الشارع العام بالأسفلت كانت امانة العاصمة تقوم برش الشارع بالمياه مرتين في اليوم لمنع تصاعد الأتربة [٤١]. وفي عام ١٩٢٦ شرعت بلدية بغداد بتعديل الشارع وتبليطه بالأسفلت[٤٢]. وقد اشرف على العمل المهندس علي رأفت والمهندس الانجليزي كابان(Kaban)، وتضمن إعمال التبليط مد اَنابيب المجاري فيه[٤٣]. الأمر الذي شجع اصحاب الدور المطلة على الشارع بفتح العديد من الدكاكين والمقاهي[٤٤].

ولأجل تزيين الشارع قامت امانة بغداد في عام ١٩٢٧ بنصب ساعتين فيه من اصل اربعة نصبت في بغداد، احدهما في الميدان والثانية في فسحة ميدان الصيارفة امام جامع مرجان[٤٥]. وفي عام ١٩٣٦وافق مجلس الوزراء على تخصيص (١٠,٠٠٠) دينار من القرض المخصص لأمانة العاصمة لغرض تبليط الشوارع[٤٦]. وقامت امانة العاصمة بإعادة تبليطه بعد تعكر مساره وتوسيعه من جهة (باب الشرقي) وتم تهديم ذلك الباب، وكما ارادت هدم واجهة جامع مرجان التي كانت تعترض مسار الشارع ألا أنه لم ينفذ القرار بسبب شدة المعارضة من قبل الاهالي، ولكن في عام ١٩٤٦، وللمباشرة بتعديل استقامته أمرت حكومة أرشد العمري وأمين العاصمة حسام الدين جمعة بتهديم واجهة جامع مرجان[٤٧]. وعن كيفية تهديم واجهة الجامع، فقد ذكرت روايتان بهذا الصدد الاولى أشارت: "**أن عمال الامانة عجزوا عن تهديم الواجهة فسلطوا الماء على أسسه لمدة طويلة لكي يتداعى البناء ويسهل تهديمه**". والثانية: "**أن ارشد العمري عمد الى أغراق المنطقة المجاورة للجامع حتى يتصدع بنائه ويهدمه ليتخذ من ذلك ذريعة لامتصاص سخط الاهالي الغاضبين على تهديم تلك الواجهة**"[٤٨]. ويذكر ان بناية الجامع كانت تصل الى منتصف الشارع، وكانت منارة الجامع ملاصقة لواجهته الامامية وتمتاز بشكل معماري جميل جداً [٤٩].

خامساً:- معالمه السكنية والحضارية:

١-المحلات السكنية :

أ- محلة الطوب:

تقع مقابل الباب الرئيسي لقلعة بغداد، وتضم (عقد قمر الدين، وعقد دلي عباس)، وكان فيها مدفع معد للدفاع عن سور بغداد الشمالي[٥٠]. سميت تلك المحلة بالطوب نسبة الى ذلك المدفع (طوب ابو خزامة)[٥١] وهو من مدافع العثمانيون[٥٢].

ب- محلة الميدان:

تمتد من باب السلطان(باب المعظم) الى نهاية سوق الهرج وفيها العديد من الاسواق الفرعية والخانات التجارية. وتضم(خان حسن بك، وخان احمد كهيه، وعقد البقجة، وعقد نجم الدين، وعقد المدرسة، وعقد انبار، وعقد المدرسة، وعقد الشريعة، وعقد كنج)[٥٣].

ج- محلة الصابونجية:

تقع بين محلة الميدان وقمر الدين، وسميت بهذا الاسم نسبة الى صناعة الصابون فيها[٥٤]. فقد كان في هذه المحلة الكثير من مصانع الصابون. وحينما نظمت البلديات المحلات عام ١٩٢٣، دمجت هذه المحلة مع محلة الميدان[٥٥].

د- محلة جديد حسن باشا:

تقع بين محلات الميدان والحيدر خانه والعاقولية وباب الاغا وسميت بهذا الاسم نسبة الى الجامع الذي جدد بناءه حسن باشا(١٧٠٤-١٧٢٣)[٥٦]. وتضم(عقد الجامع، وعقد مظفر أغا، وعقد الباب الصغير، وعقد حجي خليل، وعقد الجيبه جي، وعقد سروان باشي)[٥٧].

هـ- محلة الحيدر خانة:

تقع وسط محلات قنبر علي من الشرق والشمال ومحلة الميدان من الغرب والعاقولية وجديد حسن باشا من الجنوب[٥٨]. وسميت بهذا الاسم نسبة الى حيدر[٥٩]احد الأعيان في العصور التركية[٦٠]. وتضم (عقد الحيدرخانة، وعقد الجامع، وعقد أيمشي وعقد شفتالي، وعقد الخشالات)[٦١].

و- محلة العاقولية:

تقع بين قنبر علي شمالاً، والامام طه شرقاً، وجديد حسن باشا جنوباً، والحيدر خانة غرباً . وتعود تسميتها بالعاقولية نسبة الى العاقولي جمال الله عبد الله المتوفي عام ٧٣٨، الذي دفن في داره وتحول ذلك الدار الى جامع سمي بـ(العاقولي)[٦٢]. وتضم هذه المحلة (عقد رزاق حسين، وعقد آسطة محمود، وعقد الصخر، وعقد الربيع، وعقد أبي دبس، وعقد حمام كيجة جيه، وعقد الطاق)[٦٣].

ز- محلة باب الاغا:

تقع بين محلات جديد حسن باشا، وقنبر علي، والدهانة، وراس القرية. ويقال ان باب الاغا ينسب الى احد الاغوات الآنكشارية الذين لهم نفوذ واسع في بغداد أيام المماليك (١٧٥٠-١٨٣١ [٦٤]. وتضم (عقد الدشتي، وعقد باب الأغا، وعقد علوية الاغا، وعقد الضيق، وعقد المنارة المكطومة، وعقد حمام بنجه علي، وسوق باب الاغا، وسوق الحدادبين، وسوق الاسكنجبية)[٦٥].

ح- محلة الدشتي:

كانت في العصر العباسي تعرف بدرب فراشة. وتقع بين محلتي امام طه وباب الاغا. وهي احدى المحلات التي اقتطعها شارع الرشيد عند شقه[٦٦].

ط- محلة الامام طه:

يقع بين محلات الدشتي و العاقولية وباب الأغا وقمبر علي، اما سبب تسميتها بهذا الاسم نسبة الى جامع الامام طه، الذي يعود نسبه الى ال البيت الاطهار، الذي شيد مدرسة للشافعية في تلك المحلة والتي عرفت بالمدرسة الامامية(٦٧).

ي- محلة رأس القرية:

تقع هذه المحلة بين محلات باب الشيخ وسراج الدين والسنك والحاج فتحي والمربعة. وتسميتها العامية بـ(الكرية)(٦٨). وتضم (عقد السقاقي، وعقد الخاصكي، وعقد الكاوور، وعقد الكصيف، وعقد الروان، وعقد الحاج امين، وعقد الجنابيين، وعقد العمار، وعقد تكية البدي، وعقد الضيق، وعقد ابو يعقوب)(٦٩).

ك- محلة المربعة:

تقع وسط محلات سبع ابكار والحاج فتحي والسيد سلطان علي والسنك. والمربعة لفظة عربية تعني المنطقة المتكونة من شارعيين. وتضم (عقد الشريعة، وعقد عرموش، وعقد الفتال، وعقد ضريب، وعقد الشالجية، وعقد شفتالي)(٧٠).

ل- محلة سبع آبكار(العمار):

تقع محلة سبع آبكار بين شاطئ نهر دجلة ويحيط بها من الجهات الاخرى محلات رأس القرية، والقاطر خانة، والمربعة. وجاءت تسميتها نسبة الى سبع بكرات في بستان الحاج نعمان الباجه جي تستخدم لرفع الماء من نهر دجلة لسقي البساتين هناك(٧١).

م- محلة السنك:

تقع بين محلة المربعة، ورأس القرية، وباب الشيخ(٧٢). وتضم (عقد جامع عبد الفتاح وعقد الطاق، وعقد الشطية، وعقد الراعي، وعقد السادة، وعقد القصاصير، وعقد الدباغ خانة، وعقد الشريعة).

٢- <u>دور العبادة</u>

أ- <u>الجوامع:</u>

١- جامع مرجان:

يقع في شارع الرشيد عند مدخل سوق الشورجة شيده أمين الدين مرجان عبد الله بن عبد الرحمن ألاوليجايتي أيام حكم الشيخ أويس بن حسن الجلائري عام ١٣٥٦ (٧٣). فكانت عليها كتابات بديعة تمثل احسن ما وصل اليه الخط العربي من المهارة والجمال في اواسط القرن الثامن الهجري. وقد هدمتها الحكومة سنة ١٩٤٦، لتعديل استقامة شارع الرشيد ولتسهيل سير المركبات ووسائط النقل الاخرى(٧٤).

٢- جامع المرادية :

يقع هذا الجامع في شارع الرشيد وعلى يسار الداخل اليه من باب السلطان (المعظم) في الجهة المقابلة لجامع الأزبك، وقد بناه الوالي مراد باشا الذي كان واليا على بغداد في عام ١٥٧٠، وشيد فيه مدرسة علمية تدرس فيه العلوم العقلية والنقلية[٧٥].

٣-جامع الازبك:

يقع هذا الجامع عن يمين الداخل الى شارع الرشيد من جهة باب السلطان (باب المعظم)[٧٦]. شيد عام هذا الجامع ١٦٨٢[٧٧]. اما سبب تسميته بهذا الاسم نسبة الى الأزبكيين الذين اتخذوا من ساحة هذا الجامع زاوية يقيمون فيها [٧٨]. وقد جدد عمارته والي بغداد داود باشا[٧٩]عام ١٨١٨ [٨٠].

٤-جامع الخاصكي :

بناه الوالي محمد باشا الخاصكي والي بغداد(١٦٥٦ – ١٦٥٨) . وجعله جامعاً كبيراً وهو يقع بين شارع النهر وشارع الرشيد، ويكون اقرب الى الأخير[٨١].

هـ-جامع الاحمدية:

يقع هذا الجامع في ساحة الميدان بالقرب من جامع المرادية، وجاءت تسميته بالأحمدية نسبة الى احمد باشا والي سليمان باشا الصغير، الذي جمع اشهر المهندسين في عصره لبنائه [٨٢].

٦-جامع الحيدر خانه:

يقع في شارع الرشيد في محلة (الحيدر خانة)، بناه الوالي داود باشا عام ١٨٢٧، ويعد من آبرز معالم تلك المحلة وهو مربع البناء وله ثلاثة ابواب، وفيه ساحة واسعة، ومصلى شتائي، واخر صيفي[٨٣].

٧-جامع السيد سلطان علي :

يقع في محلة سبع آبكار، وينسب الى السيد سلطان علي ولي بغداد وتوفي فيها عام١٨٩٣. ولا يعرف بالضبط تاريخ بناء هذا الجامع، وقد جددت عمارته من قبل السلطان عبد الحميد خان العثماني وأنشأ فيه مدرستين لتعلم العلوم الفعلية والنفسية[٨٤].

ب-<u>الكنائس:</u>

١-كنيسة الآرمن الأرثوذكس:

تقع في محلة الميدان في المحلة ١١٢، زقاق ٤٥، رقم العقار ٧٤[٨٥]، وهي من اقدم الكنائس في بغداد شيدت عام ١٦٣٨، وكانت في الاصل للنساطرة الكلدان وقد أستولى عليها الآرمن الأرثوذكس في عام ١٧٤٤، وكانت تعرف بعدة أسماء منها (كنيسة مريم العذراء)[٨٦].

٢-كنيسة السريان الكاثوليك:

تقع في محلة رأس القرية محلة ١٠٨، ١٩٣ / ٥[٨٧]، شيدت عام١٨٤١ وتدعى باسم "**مريم العذراء المحبول بها بلا دنس**" [٨٨].

٣-كنيسة اللاتين:

تقع بالقرب من سوق الشورجة بدأ بناءها عام ١٨٦٦ وأكتمل في عام١٨٧١. وفيها أول ناقوس قرع في بغداد. ودفن فيها العالم اللغوي الكبير الأب أنستاس الكرملي[٨٩].

٤-كنيسة الكلدان:

تقع في محلة رأس القرية (محلة ١٠٨ ، زقاق ٦٩)[٩٠]. شيدت عام ١٨٩٨، وتعرف باسم كنيسة مريم العذراء (ام الاحزان) [٩١].

٥- كنيسة سنت جورج:

تقع بالقرب من باب كلوذاي(الباب الشرقي)[٩٢]، بناها البريطانيون بعد احتلالهم لبغداد في ١١/آذار/١٩١٧. واطلقت عليها عدة تسميات منها الكنيسة الانكليانية وكنيسة الحامية البريطانية[٩٣].

الهوامش:

[١] خالص الاشعب ، مدينة بغداد (نموها – بنيتها – تخطيطها)، دار الجاحظ للنشر، بغداد، ١٩٨٢، ص٣٥.

[٢] فخري الزبيدي، بغداد من ١٩٠٠ حتى سنة١٩٣٤، ج١، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٩٠، ص٢٠٢؛ الاتحاد (جريدة)، العدد٤٤٦، ٩تشرين الثاني٢٠٠٢.

[٣] عبد الكريم العلاف، بغداد القديمة، ط٢، دار العربية للموسوعات، بيروت، ١٩٩٩، ص ١٨٥.

[٤] صدى بابل(جريدة)، العدد ٩١، تموز ١٩١١.

[٥] من بين الأبنية التي هدمت ستة محلات ومخزن تعود لشركة (بيت لنج)، ومنزل احمد علي خان رئيس التجمع الهندي البريطاني في بغداد، ومنزل أبن شقيقته المدعو احمد علي خان، وحانوت يعود ملكيته الى السيد جي ثاودس (Mr.G.Thaddeus) وهومن الرعايا البريطانيون وكان يعمل محاسباً لدى المقيم البريطاني في بغداد. للمزيد من التفاصيل ينظر: الأرشيف الرقمي لمكتبة قطر الرقمية:

IOR,L/P&S/10/188,No. 776/42, consul – General Lorimer to Sir G. Lowther, dated September 5,1910.

البرقية المرسلة من قبل القنصل البريطاني في بغداد لوريمر الى السيد لوثر بتاريخ ٥/ايلول/١٩١٠ . وسيكتفي الباحث باستخدام الصيغة الانكليزية المختصرة في الاشارة الى هذه الوثائق في الصفحات القادمة.

[٦] فؤاد قزانجي، شارع الرشيد بين الاصالة والاعتزاز، التراث الشعبي (مجلة)، العدد الثاني، ١٩٨٨، ص٨٢.

[٧] ستيفن هيمسلي لونكريك، العراق الحديث من سنة ١٩٠٠ الى سنة ١٩٥٠(تاريخي، سياسي، اجتماعي، اقتصادي)،ج١، ت: سليم طه التكريتي، مطبعة الحسام، بغداد، ١٩٨٨،ص٩٣.

(٨) هو مصطفى محمد أمين الأدهمي الحسيني. ولد في بغداد عام ١٨٤٧، وهو مؤرخ، ومن فقهاء بغداد. عين مفتياً في الحلة والديوانية. وأنتخب نائباً في مجلس المبعوثان العثماني. وله عدة مؤلفات منها (الروض الأزهر في تراجم آل السيد جعفر) و(الدر النضيد في أحكام الاجتهاد والتقليد) و(تفسير مفردات القرأن). وتوفي عام١٩١٣. للمزيد ينظر: خير الدين الزركلي، الأعلام قاموس التراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج٧ ، ط٥، دار العلم للملايين، بيروت ،٢٠٠٢، ص٢٤٤.

(٩) مصطفى نور الدين الواعظ، المصدر السابق، ص٤٠١.

(4) IOR,L/P&S/10/188,Summary of events in Turkish Iraq during the month of June 1910. ملخص الاحداث في العراق لشهر حزيران عام ١٩١٠.

(١١) عبد الجبار محمود السامرائي، شارع الرشيد تأريخه وبعض تراثه مقترحات حول تأصيله، التراث الشعبي(مجلة)، العدد الثاني، ١٩٨٨، ص٢٣.

(١٢) ريجارد كوك، بغداد مدينة السلام ، ج٢، ت: فؤاد جميل و مصطفى جواد، مطبعة شفيق، بغداد، ١٩٦٧، ص١٩١.

(١٣) المصدر نفسه، ص١٩٢؛ احسان فتحي، شارع الرشيد شخصية معمارية، التراث الشعبي (مجلة)، العدد الثاني،١٩٨٨، ص ٥٤.

(١٤) عبد الجبار محمود السامرائي ، المصدر السابق، ص٢٤.

(١٥) استعانت دائرة البلدية الاولى بأحد المهندسين الاوربيين منذ أواخر القرن التاسع عشر حتى بداية العهد الدستوري وهو المدعو المسيو موزل(Musio Moselle)، ثم أرتفع عدد المهندسين ألأوربيين العاملين في تلك الدائرة من مهندس واحد قبل العهد الدستوري الى بضعة من المهندسين بعد حلول هذا العهد. وكان يرأس مهندسي البلدية الاولى مهندس اوربي ايضاً يدعى الموسيو فيوله(Musio fawalih)، وأستمر مهندسان يعملان فيها أبان الحرب العالمية الاولى، حتى احتلال بغداد من قبل الانكليز في عام ١٩١٧ وانهاء الحكم العثماني. للمزيد ينظر: جميل موسى النجار، الإدارة العثمانية في ولاية بغداد من عهد مدحت باشا الى نهاية الحكم العثماني ١٨٦٩-١٩١٧م، مكتبة مدبولي، القاهرة،١٩٩١، ص٢٦٥.

(١٦) ريجارد كوك ، المصدر السابق، ص١٩٢؛ احسان فتحي، المصدر السابق، ص٥٤.

(١٧) كامل الجادرجي، من اوراق كامل الجادرجي، دار الطليعة، بيروت، ١٩٧١، ص٥٠.

(١٨) ريجارد كوك ، المصدر السابق، ص١٩٢-١٩٣؛ احسان فتحي، المصدر السابق، ص٥٤.

(١٩) أمين المميز، بغداد كما عرفتها، دار أفاق عربية، بغداد، ١٩٥٨، ص٥٨.

(٢٠) عبد الكريم العلاف، المصدر السابق، ص ٢٥٧.

(٢١) في٢٣تموز ١٩٠٨، قرر السلطان العثماني عبد الحميد الثاني اعادة العمل بالدستور العثماني الذي أصدره عام ١٨٧٦، وعطله في عام ١٩٨٨، وذلك بعد نجاح الانقلاب الذي قامت به (جمعية الاتحاد والترقي). للمزيد من التفاصيل ينظر: اكمال الدين حسن أوغلى، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ت: صالح سعداوي، استانبول، ١٩٩٩، ص١١٨-١٢٨.

(٢٢) منهم اللواء محمد بك معن نيابتاً عن الوالي خليل باشا. انظر: حسين أمين ، بغداد صور من تراثها، بغداد، ١٩٨٦، ص٣٦ ؛ ينظر كذلك: فؤاد طه محمد، معالم بغدادية تاريخية على شارع الرشيد، التراث الشعبي(مجلة)،العدد الثاني، ١٩٨٨، ص١١٩؛ عبد الكريم العلاف، المصدر السابق، ص٢٥٨؛ عباس العزاوي، المصدر السابق، ص ٣٤٥.

(٢٣) ياسين النصير، شارع الرشيد عين المدينة وناظم النص، دار المدى للثقافة والنشر، بغداد، ٢٠٠٣، ص٥٠.

(٢٤) عزيز جاسم الحجية، بعض المعالم الترفيهية في شارع الرشيد قديماً، التراث الشعبي(مجلة)، العدد الثاني، ١٩٨٨، ص١٦؛ احسان فتحي، المصدر السابق، ص٥٤-٥٥.

(٢٥) أسامة ناصر النقشبندي، أطلالة تاريخية على شارع الرشيد، العدد الثاني، ١٩٨٨، ص٨؛ عبد الكريم العلاف، المصدر السابق، ص٢٥٨؛ سالم الالوسي ، المصدر السابق، ص٩؛ هناء حسن كاظم، مستقبل الشوارع التراثية في مركز مدينة بغداد ودورها في تنشيط السياحة الثقافية منطقة الدراسة(شارع الرشيد)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الادارة والاقتصاد، الجامعة المستنصرية، ٢٠١٤، ص٤٦.

(٢٦) يعقوب سركيس، مباحث عراقية في الجغرافية والتاريخ والأثار وخطط بغداد، ج٣، جمع وتعليق معن حمدان علي، دار الحرية للطباعة، بغداد،١٩٨١، ص١١٤؛ فخري الزبيدي، المصدر السابق، ص٢٠٤؛ خلود جاسم محمد، أمانة العاصمة في ذاكرة شارع الرشيد، الارشيف(مجلة)، العدد السادس والسابع، ٢٠١٢، ص٢٣٧؛ عباس العزاوي ، المصدر السابق، ص ٣٤٥.

(٢٧) عباس بغدادي، بغداد في العشرينيات، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠٠، ص٢٠٩.

(٢٨) جميل الجبوري ، شارع الرشيد محاولة لأسترجاع ماضيه القريب،التراث الشعبي(مجلة)، العدد الثاني، ١٩٨٨، ص١٠٠.

(٢٩) سالم الالوسي، المصدر السابق، ص٢٦؛ اقترح الجنرال مود(muod) اطلاق تسميات على بعض الشوارع والساحات في بغداد.وحملت بعض تلك التسميات أسماء للقادة البريطانيون من ضمن الاسماء المقترحة:(شارع مود، وشارع مارشال، وشارع كوكس، وساحة أجيرتون) وغيرهم. وقدم ذلك المقترح الى رئيس هيئة اركان الحرب في بلاد الرافدين. الإ أنه قوبل بالرفض وجعلت مسألة تسمية الشوارع والساحات من مسؤولية البلديات المحلية باستثناء بعض الحالات كما هو الحال في تسمية (جسر مود). للمزيد من التفاصيل ينظر: د.ك.و، الوحدة الوثائقية، وثائق الاحتلال البريطاني، الملفة ٢/٤٩٦، تسمية الشوارع والساحات والطرق في بغداد ١٩١٨-١٩١٩، المذكرة المرسلة من الجنرال مود الى المفوض المدني في بغداد بتاريخ ١٧/اذار ١٩١٨، و١، ص١؛ د.ك.و، وثائق الاحتلال البريطاني، الوحدة الوثائقية، الملفة ٢/٤٩٦ تسمية الشوارع والساحات والطرق في بغداد ١٩١٨-١٩١٩، المذكرة المرسلة من مكتب القائد العام في بغداد الى الجنرال مود بتاريخ ٨/ تموز/ ١٩١٩، و٤، ص٤.

(٣٠) يذكر علي الوردي "**روى احد البغداديون انه قد زار خليل باشا في اسطنبول، في اواخر عمره، فوجده ممتعضاً لحذف أسمه من الشارع وهو يعاتب البغداديين على ذلك**". للمزيد ينظر: اسامة النقشبندي، المصدر السابق، ص٧؛ الاتحاد(جريدة)، العدد٤٥٤، ١١ كانون الثاني٢٠٠٣؛ علي الوردي، المصدر السابق، ٣٥٢.

(٣١) فخري الزبيدي ، بغداد، المصدر السابق، ص٣٠٤.

(٣٢) يضم شارع الرشيد ٣٠٢ مبنى. وأن٤٣% من تلك البنايات شيدت في ثلاثينيات القرن الماضي. للمزيد ينظر: تقرير أمانة العاصمة(دراسة حول الحفاظ واعادة التطوير لمركز مدينة بغداد التاريخي)، في كانون الاول ١٩٨٤، ص٤٧.

(٣٣) عبارة عن شرفات في الطابق العلوي ، وتكون بارزة الى الخارج ذات أشكال غربية مثل أسنان المنشار وتصنع من الخشب أو الطين، وفائدتها حفظ جدران الطابق الارضي من اشعة الشمس. وتميز شارع الرشيد بالمباني التي تطل بواجهاتها المتميزة ذات الشناشيل التي تعد ميزة العمارة التراثية لمدينة بغداد. للمزيد ينظر:عبد الجبار محمود السامرائي، المصدر السابق، ص٣٢؛ نبيل عبد الحسين راهي ، المشربيات''الشناشيل'' في العمارة السكنية في

العراق خلال الحكم العثماني٩٤١-١٣٣٦هـ/١٥٣٤-١٩١٧م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب، جامعة بغداد، ٢٠٠٦,٥٧-٥٨؛ اعتماد يوسف القصيري، الخصائص التخطيطية والعمارية للبيت البغدادي خلال فترة الحكم العثماني، مؤسسة مصر مرتضى للكتاب، بغداد، ٢٠١٢، ص٥٩.

(٣٤) تميزت المباني المطلة على شارع الرشيد بمعمارها المميز المعتمد على ذلك الرواق المتسلسل المستند على أعمدة متشابهة التقنية والتي تبدو وكأنه مبنية وفق قطر محدد، وأن التطور الحقيقي في بغداد أختص فيه وشكلت فيه اولى لبنات الاعمدة التي ميزت بنايات ذلك الشارع والتي تعتبر من العناصر الاساسية التي وضعت من أجل تطوير جمالية المنطقة. ويمثل وجود الرواق المعمد بحدود ثلاثة أرباع ٧٥% من الأبنية المطلة على شارع الرشيد وبأكثر من ألف ومئتي عامود تمثل طرازاً معمارياً فريداً. وتكون تلك ألاعمدة مختلفة الاشكال منها المربع، والاسطواني والمضلع، ولها تيجان مختلفة الاشكال منها تيجان كأسية وتيجان كورنثية وتكون مزخرفة بزخارف مختلفة. وهو يحمي المارة من اشعة الشمس والمطر وانه يعطي وحدة ترابط بين جميع الابنية في هذا الشارع. للمزيد ينظر: امانة بغداد، تطوير= = شارع الرشيد، دراسة تاريخية مقدمة من شعبة التراث، آيلول ٢٠٠٤؛ تغلب الوائلي، مهندس بتخطيط المدن، اذاعة العراق الحر، برنامج حوارات، السبت ١٦ كانون الثاني ٢٠١٠؛ اعتماد يوسف القصيري، المصدر السابق، ص٦٠؛ العالم(جريدة)، العدد١٧٧٤، الثلاثاء ٢٠١٧.

(٣٥) وفاء أحمد سعيد، شارع الرشيد (شيخ شوارع بغداد)، وثائق بغداد، مركز أحياء التراث العلمي العربي، جامعة بغداد، العدد السابع، د.ر، اذار ٢٠١٠.

(٣٦) عبد الكريم العلاف، المصدر السابق، ص٢٥٨؛ سالم الالوسي ، المصدر السابق، ص٢٧.

(٣٧) كانت أنارة الأزقة تضاء بالفوانيس النفطية ويقوم بها عمال يطلق عليهم اللمبجية، وكان لكل واحد منهم سلم خشبي صغير وقطع من القماش لمسح زجاج الفانوس وعيدان (الثقاب). ويبدأ أشعال الفوانيس عادة في وقت أذان المغرب، ويأتي العامل لأطفائها وقت الفجر، وكان هؤلاء يتقاضون رواتبهم الشهرية من البلدية، علاوة على اكراميات سكان المحلة، و بانتشار الكهرباء اندثرت تلك المهنة. نهائياً. للمزيد ينظر: عباس بغدادي، المصدر السابق، ص٥٧-٥٨؛ عزيز جاسم الحجية، بغداديات(تصوير للحياة الاجتماعية والعادات البغدادية خلال مائة عام)، ج٦، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩١، ص٢٩-٣٠.

(٣٨) فخري الزبيدي، بغداد، المصدر السابق، ص١٢٧.

(٣٩) ساطع الحصري، مذكراتي في العراق ١٩٢١-١٩٤١، منشورات دار الطليعة، بيروت، ١٩٦٨، ص٨٦.

(٤٠) د.ك.و، الوحدة الوثائقية، وثائق وزارة الداخلية، الملفة ١٣٧٠ / ٣٢٠٥٠، شؤون تنظيم المياه ومجاريها والبلدية وتنظيم الشوارع ١٩٢١-١٩٢٤،الكتاب المرسل من وزارة الداخلية الى أمانة العاصمة في ٢٤/تشرين الثاني/١٩٢٤، و ١١،ص١٣.

(٤١) د.ك.و، الوحدة الوثائقية، وثائق وزارة الداخلية، الملفة ١٣٧٠ / ٣٢٠٥٠، شؤون تنظيم المياه ومجاريها والبلدية وتنظيم الشوارع ١٩٢١-١٩٢٤، الكتاب المرسل من امين العاصمة الى مهندس الامانة بتاريخ ١١/كانون الاول/١٩٢٤، و٩، ص٢١.

(٤٢) فؤاد قزانجي، المصدر السابق، ص٨٣؛ كانت عملية تبليط الشارع وتزفيته تتم باليد وهي(مرهقة وخطرة). أذ يغلي القار الصلب اولاً في براميل حتى يصبح شبه سائل وبعد ذلك ينقله العمال بأوعية (طاسات) شبيه بطاسات نقل مواد البناء (الجص والسمنت) ويطرح القار على الارض ويقوم (الأسطة) بتوزيعه وفرشه على مساحة من الأرض

بواسطة الشيبك. الذي هو عبارة عن اسطوانة من الخشب قطرها بمقبضين من الجانبين وطولها مع المقبضين حوالي، يدحرج الأسطة الشيبك مع الضغط عليه ليفرش القار على مساحة من الأرض قد لا تتجاوز النصف متر مربع وبسمك لا يزيد على الثلاثة أو الأربعة سنتمترات. للمزيد ينظر: عبدالرحمن بهجت نوري، المصدر السابق، ص٢٨.

(٤٣) عادل العرداوي، أراء في ولادة شارع الرشيد، التراث الشعبي(مجلة)، العدد الثاني، ١٩٨٨ ص٩٣؛ تمت عملية تبليط الشارع بطبقتين، الاولى بأستعمال الصخور التي جلبتها أمانة العاصمة من جبال حمرين حيث تم رصنها ومن ثم دقها. اما الطبقة الثانية فبلط بالأسفلت الذي وضع فوق الصخور. مقابلة أجراها الباحث مع الباحث في التراث الشعبي عادل العرداوي في دائرة أمانة العاصمة في بغداد بتاريخ ١٧/تموز/٢٠١٨.

(٤٤) عبد الستار البيضاني، شارع الرشيد إيقاعات بصرية، الموقف الثقافي (مجلة)، العدد ٣٣، ٢٠٠١، ص١٠٣.

(٤٥) عادل العرداوي ، المصدر السابق، ص٩٧.

(٤٦) د.ك.و، الوحدة الوثائقية، وثائق البلاط الملكي، الملفة ١٠٥٧/ ٣١١، قرارات مجلس الوزراء ١٩٣٦، و١٦، ص٢٠.

(٤٧) فؤاد قزانجي، المصدر السابق، ص٨٣.

(٤٨) رفعت مرهون الصفار، محلات بغداد القديمة في الذاكرة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠١٣، ص٧٤-٧٥.

(٤٩) مقابلة اجراها الباحث مع المهندس المعماري هشام المدفعي في داره في بغداد بتاريخ ١٤/ كانون الأول/٢٠١٧.

(٥٠) عماد عبد السلام رؤوف، الاصول التاريخية لمحلات بغداد، دار الكتب العلمية، بغداد، ٢٠١٣، ص١٤.

(٥١) جلبه السلطان مراد الرابع مع الحملة التي طرد فيها الفرس من العراق. وان لهذا الطوب منزلة لدى قلوب العراقيين، فهم يعتقدون بأنه ولي من اولياء الله لايخيب قاصده قط. والشائع عند السذج من البغداديين بأن الطفل لايعيش مالم تدخل أمه رأسه في فوهة هذا الطوب، وكذلك كانوا يزورونه للتبرك به وطلب المراد منه، وينذرون له النذور، ويعتقدون بأن له الفضل الأكبر في فتح بغداد من ايدي الفرس. وهو مصنوع من الصفر والنحاس الاصفر (برنج)، ويسمى ابو خزامة لما يشاهد من الخرق الموجود في فوهته. للمزيد ينظر: كاظم الدجيلي، طوب ابوخزامة، لغة العرب(مجلة)، ج٨، شباط ١٩١٤، ص٤١٤-٤١٥؛ السيد محمد رؤوف السيد طه الشيخلي، مراحل الحياة في الفترة المظلمة وما بعدها، ج١، مطبعة البصرة، بصرة، ١٩٧٢، ص٥٩؛ أمين المميز، المصدر السابق، ص١٠٩؛عبدالكريم العلاف، المصدر السابق، ص٨٣-٨٤.

(٥٢) ريجاد كوك، المصدر السابق، ص٢٧٠ ؛ راسم الجميلي، البغداديون ،ج١، مطبعة سليمة الزهراء ، بغداد، ١٩٨٢م، ص٥٣.

(٥٣) عماد عبد السلام رؤوف، الأصول التاريخية، المصدر السابق، ص١٨؛ ماجد شبر، كتاب خريطة بغداد المفصلة، دار الوراق للنشر، لندن، ٢٠٠٧، ص٣٨؛ جمال بابان، أصول أسماء المدن والمواقع العراقية ،ط٢، ج٢، دار الثقافة والنشر الكردية، بغداد، ٢٠١٣.، ص١٣٧.

(٥٤) السيد محمد رؤوف السيد طه الشيخلي، المعجم الجغرافي، المصدر السابق، ص١٧٤.

(٥٥) صادق حمودي، المصدر السابق، ص٦٤؛ عماد عبد السلام رؤف، الأصول التاريخية ، المصدر السابق، ص١٥.

(٥٦) عماد عبد السلام رؤوف، الأصول التاريخية، المصدر السابق، ص٣٩-٤٠

(٥٧) جلال الحنفي، وصف محلات بغداد قبل مئة عام، الفتح(مجلة)، العدد١٠، ١تموز١٩٣٩، ص٧؛ ماجد شبر، المصدر السابق، ص٣٢.

(٥٨) جمال بابان، المصدر السابق، ص٥٥.

(٥٩) يعتقد بأن حيدر جلبي الشاهبندر من معاصري محمد باشا الخاصكي الذي ولي بغداد عام ١٦٥٦. للمزيد ينظر: مصطفى جواد واحمد سوسة، دليل خارطة بغداد المفصل في خطط بغداد قديما وحديثاً، دار ميزوبوتاميا، بغداد، ٢٠١٢، ص٢٣٦.

(٦٠) ريجارد كوك، المصدر السابق، ص٢٧٢؛ فخري الزبيدي، بغداد، المصدر السابق، ص ١١٩.

(٦١) جلال الحنفي، وصف محلات بغداد قبل مئة عام، المصدر السابق، ص٧؛ راسم الجميلي، المصدر السابق، ص٥١؛ جمال بابان، المصدر السابق ص٥٥.

(٦٢) ريجاد كوك، المصدر السابق، ص٢٧٣؛ راسم الجميلي، المصدر السابق، ص٤٩؛ عماد عبد السلام رؤوف، الأصول التاريخية، المصدر السابق، ص٢٩.

(٦٣) جلال الحنفي، وصف محلات بغداد قبل مئة عام، المصدر السابق، ص٧؛ ماجد شبر ، المصدر السابق، ص٣٤؛ فؤاد طه محمد ، المصدر السابق، ص١١٢.

(٦٤) عماد عبد السلام رؤوف، الأصول التاريخية، المصدر السابق، ص٤٣؛ جمال بابان، المصدر السابق، ص٣٢؛ عباس عبود سالم، بغداد تبوح بأسرارها، دار الفراهيدي للنشر والتوزيع، بغداد، ٢٠١١، ص٢٠١٤.

(٦٥) راسم الجميلي، المصدر السابق، ص٤٩؛ ماجد شبر ، المصدر السابق، ص٣٣-٣٤؛جمال بابان ، المصدر السابق، ص٣٣.

(٦٦) عماد عبد السلام رؤوف ، الاصول التاريخية، المصدر السابق، ص٤٧؛ مصطفى جواد واحمد سوسة، المصدر السابق، ص٢٤٣؛ فؤاد طه محمد ، المصدر السابق، ص١١٢.

(٦٧) عماد عبد السلام رؤوف، الأصول التاريخية، المصدر السابق، ص٤٩؛ عماد عبد السلام رؤوف، معالم بغداد، المصدر السابق، ص٢٨.

(٦٨) اسامة ناصر النقشبندي، المصدر السابق، ص١٤؛ مصطفى جواد واحمد سوسة، المصدر السابق، ص٢٤٥؛ عماد عبد السلام رؤوف، الاصول التاريخية، المصدر السابق، ص٥٨؛ مذكرات القائد جيمس فيلكس جونز، بغداد في منتصف القرن التاسع عشر، تعليق معن حمدان علي، ت: عبد الهادي فنجان الساعدي، دار ومكتبة عدنان، بغداد، ٢٠١٤.، ص٤١.

(٦٩) جلال الحنفي، وصف محلات بغداد قبل مئة عام، المصدر السابق، ص٧؛ ماجد شبر، المصدر السابق ، ص٢٨؛ جمال بابان المصدر السابق، ص٦٦.

(٧٠) ماجد شبر، المصدر السابق، ص٥٣؛ عماد عبد السلام رؤوف، الاصول التاريخية، المصدر السابق، ص٥٥.

(٧١) رفعت مرهون الصفار، محلات بغداد القديمة في الذاكرة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠١٣، ص٦٠؛ جمال بابان ، المصدر السابق، ص٧١؛ عباس عبود سالم، المصدر السابق، ص٢١٨.

(٧٢) عماد عبد السلام رؤوف، الاصول التاريخية، المصدر السابق ، ص٥٩-٦٠.

(٧٣) بشير فرنسيس، بغداد تاريخها واثارها، مطبعة الرابطة، بغداد ، ١٩٥٩، ص١٥؛ السيد محمد رؤوف السيد طه الشيخلي، مراحل الحياة في الفترة المظلمة وما بعدها، ج١، مطبعة البصرة، بصرة، ١٩٧٢، ص٥٦؛ بغداد مدينة السلام (مساجد في بغداد) ، اصدار اللجنة الثقافية ليوم بغداد، دار الحرية للطباعة، د. م، ١٩٩٨، ص٤٤؛ عماد

عبد السلام، مساجد بغداد في كتابات الاجداد، مكتب الرجاء للطباعة، بغداد، ٢٠٠٦، ص٣٤؛ خالد خليل حمودي، المدرسة المرجانية في بغداد، دار الكتب العلمية، بغداد، ٢٠١٣، ص٦٨.

(٧٤) ليدي درور، في بلاد الرافدين صور وخواطر، ت: فؤاد جميل، مطبعة شفيق، بغداد، ١٩٦١، ص١٢٣؛ عبد المنعم كاظم عبود، بغداد بين الحاضر والماضي، الامانة(مجلة)، العدد١٣، تشرين الثاني١٩٧٧، ص١٢؛ عبد الحميد عبادة ، المصدر السابق، ص٣٦٥.

(٧٥) راسم الجميلي ، المصدر السابق، ص ١٠٥؛ عبد الرزاق الحسني وعبد العزيز الدوري، بغداد، دار الكتاب اللبناني مكتبة المدرسة، بيروت، ١٩٨٤، ص١٢٧؛ أسامة ناصر النقشبندي ، المصدر السابق، ص٩؛ حسين امين، بغداد منذ تأسيسها حتى الوقت الحاضر، مطبعة المجمع العلمي، بغداد، ٢٠٠٩، ص١٣٧.

(٧٦) السيد محمد رؤوف السيد طه الشيخلي ، المصدر السابق، ص٥٥؛ حسين أمين، المصدر السابق، ص١٣٦.

(٧٧) عبد الحميد عبادة، المصدر السابق، ص١١٤؛ شريف يوسف، تأريخ فن العمارة العراقية في مختلف العصور، دار الرشيد للنشر ، بغداد ١٩٨٢م ، ص٢٧٤ .

(٧٨) راسم الجميلي ، المصدر السابق، ص ١٠٥.

(٧٩) ولد عام ١٧٧٤، وهو من اسرة كرجية مسيحية ، من اب يدعى على الارجح بطرس. جاء الى بغداد في عام ١٧٨٠، وهو في العاشرة من عمره ، واشتراه سليمان باشا الكبير، فأدخله في نظام تربية المماليك، وكان داود حسن الصورة متقد الذكاء مولعاً بالعلوم، وتعلم على يد كبار علماء الآداب العربية والتركية والفارسية والرياضيات وظهر حذقه في الامور السياسية والادارية، وأسند اليه منصب الخزندار وصاهر الوالي فأحرز على فخر أمتاز به على اقرانه، وعندما تولي منصب الوالي قضى على أغلب خصومه ومعارضيه ، فصفى له الجو وتطلع الى الاستقلال واتخذ له اسبابه ونهض لمقارعة دولته. للمزيد ينظر: عبد العزيز سليمان نوار، داود باشا والي بغداد، اتحاد الناشرين العراقيين، بغداد، ٢٠١٣.

(٨٠) أسامة ناصر النقشبندي، المصدر السابق، ص٩؛ حسين امين، المصدر السابق، ص١٣٧؛ محمد سعيد الراوي، خير الزاد في تاريخ مساجد بغداد، دار الكتب العلمية، بغداد، ٢٠١٣، ص٤٠-٤١.

(٨١) محمود شكري الالوسي، تاريخ مساجد بغداد وأثارها، مطبعة دار السلام، بغداد، ١٣٤٦هـ، ص٣٧.

(٨٢) محمود شكري الالوسي، المصدر السابق، ص٧٣-٧٤؛ راسم الجميلي، المصدر السابق، ص١٠٥ – ١٠٦.

(٨٣) ريجارد كوك،المصدرالسابق،٢٧٢ ؛ عبد الحميد عبادة، المصدر السابق،ص٢٤١؛ مصطفى جواد وأحمد سوسة، المصدر السابق، ص٢٣٦؛ حسين امين، المصدر السابق، ص١٣٩.

(٨٤) عماد عبد السلام رؤوف، فهرس مخطوطات جامع السيد سلطان في بغداد، مركز أحياء التراث العلمي العربي- جامعة بغداد، بغداد، ١٩٨٥، ص١؛ محمود شكري الالوسي، المصدر السابق، ص٤١؛ محمد سعيد الراوي، المصدر السابق، ص ١٣٠.

(٨٥) الهيئة العامة للأثار والتراث، دائرة التراث، قسم التوثيق التراثي، الوثائق المحفوظة في حاسبات الدائرة، وأفاد منها الباحث على شكل نسخ ورقية.

(٨٦) رافائيل بابو أسحاق، كنائس نصارى بغداد في العهد العثماني، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ٢٠١٠، ص٩-١٠؛ كاظم فالح ال سيد حمد الموسوي، بغداد التاريخ والعلم والحضارة(١٩٠٠-١٩٦٠)، منشورات مؤسسة الضياء للثقافة والاعلام، بغداد، ٢٠١٤، ص٥٥.

(٨٧) الهيئة العامة للأثار والتراث، المصدر السابق.

(٨٨) علي هاشم خيري، بغداد تأريخها ومتاحفها وأثارها الشاخصة، بغداد، ١٩٧٢، ص١٤؛ رؤوف محمد علي الانصاري، السياحة في العراق ودورها في التنمية والاعمار، ط٢، اتحاد الناشرين العراقي، د.ت، ٢٠١٣ ، ص٢٢٩.

(٨٩) علي هاشم خيري، المصدر السابق، ص١٤؛ حسين علي رجب، المنظومة الاجتماعية للحياة البغدادية، بحث في كتاب ذاكرة بغداد الثقافية، دار الجواهري، بغداد، ٢٠١٣، ص٧٢.

(٩٠) الهيئة العامة للأثار والتراث، المصدر السابق.

(٩١) علي هاشم خيري، المصدر السابق، ص١٤؛ صباح جاسم محمد، دليل السياحة الدينية في العراق(المواقع)، مطبعة الوفاق، بغداد، ١٩٩٢، ص٧٩؛ رافائيل بابو أسحاق ، المصدر السابق، ص٣٧.

(٩٢) مصطفى جواد و احمد سوسة، المصدر السابق، ص١٦٢.

(٩٣) سالم الالوسي، المصدر السابق، ص١٠٥.

تأميم النحاس التشيلي عام ١٩٧١
وموقف الولايات المتحدة الأمريكية منه

م.م حسين علي عبد الله
أ.م.د مأمون شاكر أسماعيل
الجامعة المستنصرية
كلية التربية/قسم التاريخ

تأميم النحاس التشيلي عام ١٩٧١
وموقف الولايات المتحدة الأمريكية منه

م.م حسين علي عبد الله
أ.م.د مأمون شاكر أسماعيل

الملخص :

خشيت الولايات المتحدة الامريكية على مصالحها في تشيلي بعد وصول سلفادور الليندي الى منصب الرئاسة، لكون الأخير ينتمي الى ائتلاف يساري يضم احزاب شيوعية واشتراكية، ولكونهِ جاء الى السلطة وهو يحمل برنامج انتخابي يتضمن تأميم صناعة النحاس التي كانت تديرها شركات امريكية.ومن هذا المنطلق عملت الولايات المتحدة وشركاتها على محاولة منع الحكومة التشيلية اليسارية من المضي قدماً في برنامج التأميم، وقد استخدمت هي وشركاتها اوراق ضغط مختلفة على الحكومة التشيلية بغية منعها، او دفعها على منح الشركات المؤممة مبالغ تعويضية ، وهو ما سبب اشكالية لم يتوصل الجانبين الى حلها طيلة فترة حكم سلفادور الليندي في تشيلي التي امتدت للسنوات ١٩٧٠ –١٩٧٣

Abstract

The United States was concerned about its interests in Chile after Salvador Allende took office as the latter belonged to a left-wing coalition of communist and socialist parties and came to power with an election program that included the nationalization of the copper industry run by US companies. The United States and its companies have tried to prevent the left-wing Chilean government from proceeding with the nationalization program. It and its companies have used various pressure papers on the Chilean government to prevent them or to give nationalized companies compensatory amounts. It was dissolved during the reign of Salvador Allende in Chile, which lasted for the years 1970-1973.

المقدمة

شكل استثمار النحاس التشيلي احدى ابرز استثمارات الشركات الامريكية في قارة امريكا اللاتينية، كون تشيلي تعد ثالث منتج للنحاس في العالم ، ولكون الشركات الامريكية كانت تسيطر على ٨٠% من واردات تشيلي، إذ ان النحاس يشكل المورد الاساس في اقتصاد الأخيرة . وبعد وصول ائتلاف الوحدة الشعبية الى السلطة في تشيلي وقيامه بتأميم الشركات الامريكية العاملة في النحاس دون أية تعويضات، وقد عملت هذه الشركات مستعينةً بقوة الولايات المتحدة الامريكية على فرض ضغوط اقتصادية كبيرة على الحكومة الاشتراكية في تشيلي بغية منعها من تنفيذ برنامجها التأميمي، او على الأقل إجبارها على دفع تعويضات تكون مقبولة من وجهة نظر الشركات الامريكية ومن خلفها الولايات المتحدة الامريكية.

أولاً : إصلاحات حكومة الوحدة الشعبية الاقتصادية

أن الحديث عن تجربة اشتراكية لا يعني تغيير نظام سياسي حسب، بل يعني الحديث عن تغييرات اقتصادية عميقة في مفاصل الدولة، ينتج عنها خلق توازنات جديدة بين الطبقات الاجتماعية، وينتج عنها أيضاً تغييرات في طبيعة علاقات الدولة مع محيطها الدولي، تكون المصالح هي المحدد الأساس فيها، ولذلك فإن الاصلاحات الاقتصادية للنظام التشيلي الجديد، شكلت نقطة غاية في الأهمية بالنسبة للولايات المتحدة، كون الأخيرة كانت تراقب كل تحركات النظام الجديد بشكل دقيق.

وفي الواقع، أن عملية المضي قدماً في برنامج إصلاحي تحتاج إلى أموال كبيرة، وقد اسهم الميراث الذي تركته إدارة فري لحكومة سلفادور الليندي غوسنز[١] Salvador Allende Gossens والذي بلغ بحدود ٤٠٠ مليون دولار في تسهيل عمل الليندي، سيما ان الاخير كان عازماً على انفاق هذه الاموال لتعزيز برنامجه الاقتصادي، وتوطيد سيطرته السياسية وتعزيز شعبيته[٢]، ومعالجة قضية البطالة التي قدرت بحدود ٣٠٠ عاطل عن العمل[٣]. ونتيجة لذلك فإن الثمانية أشهر الأولى من حكم الليندي، شهدت توظيف الأموال الموروثة من حكومة ادوارد فري مونتالفا[٤] Eduardo Frei Montalva في دعم البناء السياسي[٥]، واشار الليندي في هذا السياق، إلى أن هدف حكومته هو استبدال الهيكل الاقتصادي الحالي للبلاد، وأنهاء قوة الرأسمالية الاحتكارية، والبدء في بناء الاشتراكية[٦].

تضمنت السياسة الاقتصادية لحكومة الوحدة الشعبية اجراء تغييرات عدة، منها زيادة الانفاق العام، واعادة توزيع الدخل ورفع القوة الشرائية لذوي الدخول المحدودة، سيما العمال والفلاحين، إذ تم رفع أجورهم بنسبة ٦٦%، وزادت قوتهم الشرائية بنسبة ٣٠%، كما فرضت الحكومة الاشتراكية رقابة على الأسعار وخفضت تكاليف المعيشة[٧]، ونجحت في تخفيض نسبة البطالة عن طريق تشجيع الصناعة المحلية، وقد أثمر ذلك عن ارتفاع الانتاج إلى ٨,٥% في بداية عام ١٩٧١ مقارنة بـ٣,١ في عام ١٩٧٠، فضلاً عن ذلك، أولت الحكومة التشيلية اهتماماً واضحاً في مجالي التعليم والصحة، عن طريق بناء المدارس والمستشفيات[٨].

وفي سياق متصل، عجلت حكومة الوحدة الشعبية بتنفيذ الاصلاح الزراعي الذي بدأه فري، ودعمت الفلاحين بشكل يسهل عليهم امتلاك الأراضي واحياؤها، وتم نزع كل الأراضي التي تزيد عن الحد الأقصى الذي حدده قانون الاصلاح الزراعي وهو ٨٠ هكتار، ووزعت على الفلاحين، حتى أن عام ١٩٧٢ شهد نهاية الاقطاعيات الكبيرة في تشيلي[٩].

قبل أنتهاء سنتها الأولى، كانت السياسة الاقتصادية لحكومة الوحدة الشعبية ناجحة إلى حد ما، حتى أنها لاقت ترحيباً وقبولاً من قبل الفقراء والطبقى الوسطى التي كانت تخشى أن يحول الليندي تشيلي إلى دكتاتورية شيوعية، وقد اسهم هذا النجاح في استقطاب كثير من الفئات المشككة، وهو ما تبين في

فوز ائتلاف الوحدة الشعبية في الانتخابات البلدية التي جرت في نيسان ١٩٧١، وقد فسر الليندي هذا الفوز على أنه أشارة لتسريع برامجه الاشتراكية(١٠).

وبحلول منتصف عام ١٩٧١، شعر الليندي بالفخر، كونه انجز الكثير من وعوده الانتخابية، واعلن لشعبه ان حكومته بصدد السيطرة على المشاريع الاستراتيجية الكبرى، وشهد الوضع المعيشي لطبقة الفقراء تحسناً ملحوظاً(١١)، وارتفع الدخل القومي للبلاد من ٥١% إلى ٥٩%(١٢) ، ودفعت هذه النجاحات كثير من المعجبين والمشككين بحكومة الليندي إلى المجيء إلى تشيلي ليشهدوا الانتقال الديمقراطي السلمي إلى الاشتراكية(١٣)، وأصبحت إصلاحات الليندي مصدر الهام في الدول النامية التي كانت ترنو إلى حدوث تغيير جوهري في الاقتصاد العالمي الذي تهيمن عليه الولايات المتحدة(١٤).

رغم أن حكومة الوحدة الشعبية تمكنت من تحقيق نجاحات بارزة في الوضع الاقتصادي للشعب التشيلي، إلا أن قضية تأميم مناجم النحاس التشيلية كانت هي المحدد الأساسي في استمرار الاستقرار الاقتصادي، كون غالبية هذه المناجم كانت مستثمرة من قبل شركات امريكية من جهة، ولكون الولايات المتحدة تعد الممول الأكبر للقروض والمساعدات التشيلية من جهة أخرى، وهذا ما سيتقاطع مع قضية تأميم النحاس، لأنه سيشكل ضربة للمصالح الأمريكية في الصميم.

- **تأميم النحاس التشيلي وموقف الولايات المتحدة :**

يقدر احتياطي النحاس العالمي بحدود ٢٧٥ مليون طن، ثلثه موجود في تشيلي، وتصديره يدر عليها ما يقرب من ٧٥% من مجموع ايراداتها العامة(١٥)، ونتيجة لذلك، شكل تأميم النحاس المفصل الرئيسي في برنامج الليندي الاشتراكي، إذ اعتبر الأخير تأميم الموارد الاساسية لبلاده مطلباً تاريخياً، واكد أنه لم يعد هناك مجالاً لابقاء ثروات تشيلي في أيدي مجموعة صغيرة من الشركات الاحتكارية، التي تضع دائماً مصالحها قبل مصالح البلدان التي تحقق فيها ارباحاً طائلة، لكونها ارهقت الاقتصاد التشيلي بديون أجنبية تزيد على ٤ مليار دولار تمثل فوائدها السنوية أكثر من ٣٠% من قيمة صادرات البلد، فضلاً عن تدخلها في القرارات السياسية والاقتصادية والعسكرية للبلدان التي تعمل فيها(١٦).

عندما وصل الليندي إلى السلطة، كانت هناك سيطرة أمريكية كبيرة على مختلف المؤسسات الاقتصادية التشيلية، كالتعدين والهاتف، وجزء كبير من التجارة الخارجية لتشيلي(١٧)، ورغم ان سياسة الليندي في الميدان الاقتصادي قامت على تأميم القطاعات الرئيسية في اقتصاد البلد، كالثروات الاساسية والبنوك وشركات التأميم والاحتكارات الأجنبية الكبرى، إلا أنه أعلن ان برنامجه يتضمن احترام الملكية الفردية، وبخاصة في المشاريع الصناعية الصغيرة التي تضمن مصالح عمالها، وافساح المجال لرأس المال الخاص للمشاركة في مشاريع القطاع العام الصناعية والزراعية، واتباع سياسة تنمية قومية تقلل من حدة الاعتماد على رؤوس الاموال الأجنبية(١٨).

بالنسبة لمناجم النحاس التشيلية، فإنها كانت خاضعة لسيطرة الشركات الأمريكية، ورغم التأميم الجزئي الذي حدث في زمن إدارة الرئيس فري، والذي أدى إلى زيادة حصة تشيلي من ارباح مبيعات النحاس، واعطاها حق ايجاد شركات مختلطة لتوزيع ارباح مشاريع النحاس، وضمان حرية اختيارها لأسواقها الخارجية، فأن ذلك لم يمنع استمرار الشركات الامريكية من خداع المساهمين التشيليين واستغلالهم، بدليل أن هذه الشركات جنت ارباحاً طائلة، فضلاً عن ارباح مبيعات النحاس، عن طريق مبيعات المنتجات الفرعية المستخرجة من مركبات النحاس كالذهب والملدنيوم والبزموث، إذ حصلوا من خلالها في عام ١٩٦٨ و ١٩٦٩ ما يقرب من ٨,٨ طن من المعادن الثمينة[١٩]، وقد بلغت قيمة استثمارات الولايات المتحدة المباشرة في تشيلي عام ١٩٧٠ بحدود ٨٠٠ مليون دولار، أكثرها في التعدين، وكان لشركتي كينكوتKennecott Company واناكوندا Anaconda Company الامريكيتين الصدارة في مجال صناعة النحاس[٢٠].

جاءت أولى خطوات التأميم التي قام بها الليندي في العشرين من تشرين الثاني ١٩٧٠، إذ أصدر أوامره بالاستيلاء على جمعيتين تشيليتين كانت تديرهما شركتي نورثرن انديانا براس[٢١] Northern Andiana Brass Co. ورالستون بيورينا[٢٢] .Ralston Purina Co الأمريكيتين، واتهم الليندي ادارتي هاتين الجمعيتين بعدم توظيف التشيليين[٢٣]، كما قام الليندي بتأميم مناجم الحديد المملوكة لشركة مناجم الحديد الأمريكية في آذار ١٩٧١[٢٤]، ثم أعقبها بتأميم ثلاث شركات أمريكية، وهي شركة السمن التجارية، ومصنع تشيلي لانتاج الاسمنت، وشركة صناعة الورق والسليلوز[٢٥]، وعلى العموم، استطاعت الحكومة التشيلية تأميم ٥٠٧ من الشركات الصناعية والتجارية، منها ٨٠ شركة ضخمة، كما امممت جميع المصارف الأجنبية[٢٦].

اعتبرت الولايات المتحدة أعمال التأميم التي تقوم بها تشيلي، اساساً لطبيعة العلاقات المستقبلية معها، وعزمت على اتخاذ مجموعة اجراءات في حال إقدام تشيلي على تأميم مناجم النحاس ومصادرة ممتلكات الشركات الأمريكية، وهي[٢٧]:

١- الحصول على تعويضات كاملة وفورية للشركات الأمريكية المصادرة.

٢- حماية ممتلكات الولايات المتحدة في أمريكا اللاتينية، خشية تأثرها بما يحدث في تشيلي.

٣- العمل بتعديل هيكنلوبر[٢٨] Amendment Hickenlooper الذي ينص على تعليق المساعدات لأي بلد يقدم على اجراءات سلبية ضد المستثمرين الأمريكيين.

ومع ذلك، خشت الولايات المتحدة أن يؤدي تطبيق النقطة الأخيرة (تعديل هيكنلوبر)، إلى ردود افعال عكسية، تحصل من خلالها تشيلي على تعاطف دول أمريكا اللاتينية، لكون التعديل يعد انتهاكاً للمادة ١٩ من ميثاق منظمة الدول الأمريكية، التي تحظر على الدول الأعضاء اتخاذ تدابير الاكراه الاقتصادي ضد الاعضاء الاخرين، فضلاً عن ذلك، فأن الولايات المتحدة أخذت

بعين الاعتبار الأثار السياسية للتأميم في أمريكا اللاتينية، ورد الفعل الذي يعتمد إلى حدٍ كبير على تطور الوضع في تشيلي، وعلى تحركات الولايات المتحدة، وكذلك ردود الافعال الداخلية في تشيلي، من حيث قبول الشعب لمصادرة الممتلكات الأجنبية وعدم الموافقة على التعويض في حال قررت الحكومة التشيلية ذلك، إذ أن فشل الولايات المتحدة في التصرف مع هكذا تطورات سيفسر في دول أمريكا اللاتينية، وخاصة بين المحافظين على أنه ضعف[٢٩].

ينبغي أن نشير هنا إلى، أن الحكومة التشيلية هي الأخرى، كانت قلقة من قيام الولايات المتحدة بردود أفعال انتقامية نتيجة تطبيق برنامج التأميم، سيما أن ٤٠% من الواردات التشيلية كانت تأتي عن طريق الولايات المتحدة، وأن ٩٠% من الواردات الخاصة بالتعدين وقطع غيار السيارات كانت تستورد أيضاً من الولايات المتحدة وقد يؤدي التأميم إلى حظرها أو الإقلال منها[٣٠]، ولذلك طلبت الخارجية التشيلية من دبلوماسيين تشيليين في واشنطن دراسة الأثار القانونية والسياسية لتاميم صناعة النحاس التشيلي، ودراسة ردود افعال واشنطن على برامج التأميم التي حدثت في المكسيك وايران وغواتيمالا والبرازيل وكوبا، وقد توصل هؤلاء الدبلوماسيين بعد انهاء دراستهم، إلى أن القانون الأمريكي طالب بتعويض كاف وفوري وفعال للشركات الأمريكية المصادرة في غضون ستة أشهر، كما اكدت دراستهم، أن واشنطن تعاملت مع كل حالة بشكل خاص، وفقاً لذلك، فقد كان من المستحيل التنبؤ بالقرارات التي ستتخذها واشنطن لحظة اعلان تشيلي تأميم صناعة النحاس[٣١].

في ظل هذه الأجواء المشحونة بالتوتر، عقدت (لجنة الاربعين) [٣٢] Committee 40 اجتماعاً في شباط ١٩٧١، نوقشت فيه موضوعات عدة، منها الذهاب إلى المفاوضات، ومدى تأثير المفاوضات في حال اجراءها على فرص الشركات في الحصول على تعويضات، ونوقشت أيضاً الأثار المترتبة في حال فشل المفاوضين الامريكان في الحصول على نتائج مرضية، وقضية فرض عقوبات اقتصادية في حال مضت تشيلي قدماً بعملية تأميم النحاس[٣٣].

كان الحوار هو الحل الأمثل للطرفين، ولذلك زار واشنطن في شباط ١٩٧١ وفداً من المسؤولين التشيليين برئاسة وزير الاقتصاد بيدرو فوسكوفيش[٣٤]، Pedro Voskovic ، طرحوا فيه قضية التأميم، ومدى ارتباطها باستمرار تدفق واردات تشيلي القادمة من الولايات المتحدة [٣٥]، وفي الواقع، لم يصل الطرفان إلى حل توفيقي في هذا الاجتماع، وقام ساسة واشنطن بإعطاء الوفد التشيلي تلميحات مبطنة تتعلق ببرنامج التأميم، وجاء رأي واشنطن الصريح بعد شهر واحد من الاجتماع، حين التقى السفير الامريكي في تشيلي ادوارد كوري[٣٦] Eduard Korry بوزير الخارجية التشيلي كلودوميرو الميدا[٣٧] Clodomiro Almeyda (١٩٧٠-١٩٧٣) في التاسع والعشرين من آذار ١٩٧١، واخبره بضرورة التوصل إلى حل مع مالكي شركات النحاس، مبيناً مسؤولية الإدارة الأمريكية عن حمايتهم، ومحذراً من العواقب التي تنجم في حال

اقدام تشيلي على التأميم، كما اخبر السفير الميدا ان الذهاب إلى التأميم سيؤدي إلى قطع الولايات المتحدة لالتزاماتها مع إدارة فري، التي نصت على الدفع الفوري لشراء حصة تشيلي من نحاس الشركات البالغة ٥١%[٣٨].

لم يعطِ الليندي أهمية لتلميحات وتهديدات واشنطن، ذلك لأنه كان يرى نفسه يخطو بالاتجاه الصحيح، معتمداً في ذلك، على القرار رقم ١٨٠٣[٣٩] للجمعية العامة في الأمم المتحدة، والذي ورد فيه "**أن التاميم الذي تقوم به الدول لاستعادة السيطرة على مواردها، هو تعبير عن سلطاتها السيادية**"، وقد اعتبر الليندي هذا القرار أطروحة الأمم المتحدة المقبولة، التي يمكن من خلالها حماية حقوق الضعفاء، ضد انتهاكات الأقوياء[٤٠].

أثار تمسك الليندي بقضية تأميم صناعة النحاس، غضب الرئيس ريتشارد نيكسون[٤١] Richard M.Nixon ما دفعه إلى استعداء سفيره في سانتياغو، ووجه اليه تعليمات بضرورة تذكير الحكومة التشيلية بما يلي[٤٢]:

١- استعراض العلاقات الاقتصادية للولايات المتحدة مع تشيلي، وتذكير الأخيرة بإن إعانات وقروض واشنطن لها، تعدت ملياري دولار ونصف، خلال العشر سنوات الأخيرة.

٢- ان يلفت السفير انتباه الليندي إلى التهديدات التي وجهها الأخير إلى المؤسسات الأمريكية، وما أثارته من قلق شديد.

٣- أن يبلغ السفير الليندي، أنه إذا كانت سياسته تعني مصادرة الممتلكات الأمريكية، فإن واشنطن تتوقع تعويضات سريعة، تدفع بالدولار الأمريكي، وإذا لم يتم ذلك، فأن الدوائر الرسمية الأمريكية ستتخذ إجراءات سريعة.

وتنفيذاً لتعليمات رئيسه، التقى السفير كوري بوزير الخارجية التشيلي الميدا في آيار ١٩٧١، وأخبره بضرورة تبني الحكومة التشيلية موقفاً أكثر مرونة في موضوع التأميم وتعديل بعض جوانب خطة التأميم، والتفاوض مع الشركات، قبل البت بالموضوع بشكل نهائي، واشار كوري إلى أن اجراءات تشيلي في هذا الموضوع ستضعف علاقتها مع الولايات المتحدة، ووصل به الأمر إلى ضرب الطاولة بيده، منبهاً الوزير الميدا إلى أن مصالح الشركات الأمريكية هي مصالح الولايات المتحدة، وأن الأخيرة ستتدخل في الموضوع[٤٣]، لكن الحكومة التشيلية لم تكترث لتحذيرات الولايات المتحدة، ومضت قدماً في تنفيذ خطوات برنامجها التأميمي لشركات النحاس.

بالنسبة لقضية التعويضات وقبل أن يعلن تاميم الشركات، كلف الليندي شركة النحاس التشيلية (كوديلكو) Codelco باجراء دراسة هدفها مقارنة ارباح شركات النحاس في تشيلي مع ارباحها في بقية دول العالم، وكانت نتيجة الدراسة هي اختيار نسبة ١٢% من القيمة الدفترية للشركات المؤممة كتعويض لهذه الشركات، وما فوق ذلك يتم اقتطاعه من قيمة التعويض، وقد اطلق على هذا القرار تسمية (الارباح

الزائدة) من قبل المؤسسات الرسمية التشيلية والامريكية[٤٤]، ووفقاً لهذا القرار، فأن الحكومة التشيلية، اعتزمت اجراء خصومات للشركات الأمريكية العاملة في تشيلي بأثر رجعي، إذ سيتم حجب مبلغ ٣٦٤ مليون دولار من شركة اناكوندا[٤٥]، لكونها كانت تجني ارباحاً سنوية تعادل ٢١,٥% من قيمتها الدفترية في المدة ١٩٥٥-١٩٧٠، في حين أنها كانت تجني ارباحاً سنوية قدرها ٣,٦% من قيمتها الدفترية سنوياً في بلدان أخرى، أما شركة كينيكوت، فسيحجب عنها مبلغ ٦٧٥ مليون دولار لكونها حققت ارباحاً خيالية في السنوات الأخيرة من حكم فري، بلغت بحدود ١٠٦% و ١١٣% و ٢٠٥% من قيمتها الدفترية للأعوام ١٩٦٧ و ١٩٦٨ و ١٩٦٩ على التوالي، في حين أنها كانت تجني أقل من ١٠% سنوياً في بلدان أخرى[٤٦].

بعد أن أنهت الحكومة التشيلية دراسة قضية التعويضات المستحقة لشركات النحاس، أرسل الليندي قرار التأميم إلى الكونغرس للمصادقة عليه، وفي حزيران ١٩٧١ وافق الكونغرس التشيلي بالاجماع على اجراء تعديل دستوري يسمح بتأميم خمسة مناجم كبيرة يمتلكها رأس المال الأجنبي، وهي تشيكوكاماتا Chuquicamata والسلفادور Elsalvador واكسوتيكا Exotica التابعة لشركة اناكوندا، ومنجم إيل تينيتيElTeniente التابع لشركة كينيكوت، ومنجم انديانا Indiana التابع لشركة سيرو دي باسكا Cero de pasca Company، وجميعها شركات أمريكية، وكانت كوديلكو تساهم بنسبة ٥١% في مناجم تشيكوكاماتا والسلفادور وايل تينيتي، وفي اكسوتيكا بنسبة ٢٥%، وفي انديانا بنسبة ٣٠%، أما الإدارة فكانت أجنبية تماماً[٤٧]، وكان تصويت الحزبين المعارضين، المسيحي الديمقراطي والوطني لجانب التأميم، هو التصويت الوحيد لجانب قرارات حكومة الليندي، طيلة فترة عمرها، إذ لم يسجل لهما التصويت لصالح مشاريع الحكومة الاشتراكية بعد ذلك[٤٨].

عقب التعديل الدستوري، وموافقة الكونغرس، أعلن الليندي في الخامس عشر من تموز ١٩٧١ تأميم صناعة النحاس التشيلي، في كافة أنحاء البلاد[٤٩]، واكد احتفاظ بلاده بحقها الذي لا يقبل النزاع فيما يتعلق بقضية تعويض الشركات الأجنبية[٥٠]، وأن البنى التحتية والحقوق المعدنية للشركات الأجنبية، أصبحت ملكاً للدولة التشيلية، وكلها ستدار من قبل شركة النحاس التشيلية التي أصبحت مسؤولة عن التنقيب والتطوير والاستخراج وانتاج وتسويق النحاس[٥١]، كما أكد الرئيس الليندي، أن الذي قامت به حكومته لا يعد سياسة عدوانية ضد الشعب الامريكي أو الإدارة الأمريكية، بل هو حق شرعي للشعب التشيلي في استغلال موارده الطبيعية، وقد لقي هذا القرار ترحيباً واسعاً من مختلف طبقات الشعب التشيلي، فضلاً عن كثير من الدول التي كانت تؤمن بالتحرر[٥٢].

ما أثار غضب ساسة الولايات المتحدة وشركاتها، هو إن مكتب المراقب التشيلي العام[٥٣] Comptroller General of Chile اشار إلى أن الشركات الأمريكية المؤممة وبعد تطبيق مبدأ الارباح الزائدة عليها، ستكون مدينة لتشيلي وليس العكس، أي أنها لن تتلقى أي تعويضات من الحكومة التشيلية،

كونها ارباحها تجاوزت قيمتها الدفترية بفارق كبير جداً[٥٤]، وقد بين الليندي ذلك في أحدى خطاباته بالقول : "**أن هذه الشركات اخذت من تشيلي ٤ مليار دولار خلال ٤٢ سنة الماضية، رغم أن قيمة استثمارها لم تتجاوز ٣٠ مليون دولار**"[٥٥].

ازاء هذه التطورات، اعرب ممثلوا شركة اناكوندا، في اجتماع جمعهم مع وكيل وزير الخارجية الامريكي جون ايروين الثاني[٥٦] John Irwin II الثاني في آب ١٩٧١، عن قلقهم العميق بسبب مصادرة ممتلكاتهم في تشيلي، وقال السيد جون بلاس[٥٧] John Place الرئيس التنفيذي لشركة اناكوندا "**أن الحالة خطيرة للغاية ضد مصالح اناكوندا في تشيلي**"، وطالب ممثلوا الشركة مسؤولي واشنطن بالتدخل، لأن التقاعس قد يلحق ضرراً يمتد على ممتلكات الشركة في أمريكا اللاتينية والعالم[٥٨].

في ظل تزايد الضغوط على الإدارة الامريكية باتخاذ قرارات حازمة تجاه تشيلي، من قبل ممثلي الشركات المتضررة، بدأ وزير الخزانة الامريكي جون كونالي[٥٩] John Connally بالتدخل في الموضوع، وأشار على الرئيس نيكسون بضرورة اتخاذ خطوات أكثر صرامة تجاه تشيلي، معتبراً مشروع التأميم الذي قامت به الأخيرة، جزءاً من اتجاه تعاظم مصادرة الملكية في امريكا اللاتينية والعالم، وطالب الرئيس نيسكون بضرورة القيام بأعمال "**انتقامية صارخة**"[٦٠] ، وقد أيد نيكسون ما ذهب اليه كونالي، وحذر تشيلي من اصرارها على التاميم دون تعويض، كون ذلك سيؤدي إلى حجب الدعم والقروض عنها[٦١]، وقد رد الليندي على هذا التحذير برسالة دعا فيها الرئيس نيكسون بالكف عن التدخل في الشؤون التشيلية عن طريق الاكراه الاقتصادي[٦٢].

في ايلول ١٩٧١، اجتمعت لجنة الاربعين لدراسة الخيارات المتاحة، والتي يمكن اعتمادها لمواجهة ما اقدمت عليه تشيلي من ضرب للمصالح الامريكية، وتوصل المجتمعون على أنه لم تكن هناك فرصة لإجبار حكومة الليندي على دفع تعويضات لشركات النحاس المؤممة، كما رفضوا إجراء مفاوضات مباشرة مع تشيلي، كونه يعزز صورة الحكومة الاشتراكية ويدعمها، واعتبروا خيار المواجهة خياراً خاطئاً كونه يدعم موقف تشيلي كقضية شعبية في امريكا اللاتينية والعالم الثالث[٦٣].

في ظل هذه الظروف، عمل مستشار الأمن القومي الامريكي هنري كيسنجر[٦٤] Henry Kissinger على تمويه الحكومة التشيلية، عن طريق اعطاءها انبطاعاً بإن واشنطن حريصة على حل الخلاف في أقرب وقت، وقد بدا ذلك واضحاً عند لقائه بالسفير التشيلي ليتليه في أيلول ١٩٧١، وأخباره بان واشنطن لا ترغب بأي حال من الاحوال التدخل في شؤون تشيلي الداخلية[٦٥]، وقد اعتقد السفير صدق ادعاء كيسنجر وأبرق إلى الوزير الميدا يخبره بإن اجتماعه مع كيسنجر كان أكثر ايجابية مما كان متوقعاً، وقد دفع ذلك الاجتماع الوزير الميدا إلى السفر إلى واشنطن في أيلول ١٩٧١ واللقاء بكيسنجر رغبة بحسم الموضوع بين الطرفين، فما كان من كيسنجر سوى استخدام نفس اسلوبه السابق مع السفير

التشيلي، وأخبر الميدا بأنه "**من غير المنطقي أن تجد الولايات المتحدة تفاهماً مع الصين الشعبية بعد سنوات من القطيعة، وتتعثر في ايجاد تفاهماً مع تشيلي** "[٦٦].

يبدو واضحاً، أن هدف كيسنجر من استخدامه لهذه الدبلوماسية، هو تظليل الحكومة التشيلية، بعدم حصولها على مؤشر دقيق لنوعية الاجراء الانتقامي الاميركي المزمع القيام به في ذلك الحين، وهو ما قوض قدرتها على تجنبه، كما أن الإدارة التشيلية اخطأت باعتمادها خطوة التأميم كمحدد أساسي لنهج إدارة نيكسون تجاهها، فرغم حرص الأخيرة على حماية استثمارات شركاتها في تشيلي، فإن مخاوفها الرئيسة كانت بالدرجة الأولى في تأثير الحكومة الاشتراكية على عدم الاستقرار في أمريكا اللاتينية[٦٧].

ازاء هذه التطورات، التي ضربت المصالح الاقتصادية الامريكية في تشيلي، في الصميم، لم تقف واشنطن مكتوفة الأيدي وعاجزة، بل انها قامت بإجراءات رادعة ضد الإدارة التشيلية، من أجل الحصول على تعويضات سريعة عن الضرر الذي لحق باحتكاراتها، وكان الضغط الاقتصادي احد أبرز الوسائل التي اتخذتها واشنطن في مواجهتها هذه، لعل هذا الضغط يؤدي إلى رضوخ الحكومة الاشتراكية الى الأمر الواقع فتضطر للموافقة على دفع التعويضات للشركات المؤممة، وخلاف ذلك فإن استمرار الضغط الاقتصادي سيؤدي الى انهيارها اقتصاديا، وبالتالي فشلها وسقوطها.

ثانياً: إجراءات الولايات المتحدة وشركاتها رداً على قرار تأميم النحاس

اعتبرت الولايات المتحدة تأميم النحاس التشيلي، أكبر ضربة وجهت إلى شركاتها في أمريكا اللاتينية، منذ قرارات التأميم التي اصدرها كاسترو في كوبا عام ١٩٦٠[٦٨]، وبناءً على ذلك عملت الإدارة الأمريكية على فرض ضغوط اقتصادية على تشيلي لإجبار حكومتها على تقديم تنازلات، أو على الأقل تقديم تعويضات تعتبرها واشنطن مقبولة، وكان احد أوجه هذه الضغوط هو تعليق قرض كان قد تم توقيعه قبل اعلان التأميم، بين تشيلي وبنك التصدير والاستيراد الأمريكي EX-IM Bank of US لشراء ثلاث طائرات من طراز بوينغ لصالح شركة الطيران التشيلية LAN-Chile، إذ تقدمت الحكومة التشيلية في ايار ١٩٧١ بطلب قرض بقيمة ٢١ مليون دولار[٦٩]، يقوم بنك التصدير والاستيراد بتقديم ٤٠% من قيمة القرض و ٤٠% من مجموع البنوك الأمريكية و ٢٠% من شركة الطيران التشيلية،وكان من المفترض ان تستلم تشيلي الطائرات الثلاث وهي : بوينغ 727-100c وبوينغ 707-320C وبوينغ 707-320B في تموز ١٩٧١ وآذار ١٩٧٢ وأيار ١٩٧٢ على التوالي[٧٠].

وفي الواقع، كانت وراء ايقاف منع قرض شراء الطائرات إلى تشيلي، اسباباً عدة، يأتي في صدارتها اصرارها على برنامج التأميم، وهو ما دفع إدارة نيكسون إلى ايقاف جميع المساعدات الثنائية والقروض وضمانات الاستثمار إلى تشيلي[٧١]، كما ان واشنطن خشيت من أن يؤدي تسليم الطائرات إلى توفير طريق جوي بين سانتياغو وهافانا، وهذا قد يسهم في انتشار "**عمليات التخريب**" في أمريكا اللاتينية على حد وصفها[٧٢]، وطبقاً لكلام موثق بين نيكسون وكيسنجر، فإن الأخير توقع أن الطائرات قد تستخدم

للرحلات إلى كوبا، وقد ايد نيكسون كلام كيسنجر وقال "**هذا صحيح؛ اعتقد اننا يجب أن نرفضها**"[٧٣]، واشارت وثيقة أخرى إلى، أن مسؤولي بنك التصدير والاستيراد ربطوا مصير القرض بقضية مفاوضات التأميم بين الشركات الأمريكية والحكومة التشيلية[٧٤]، ففي السابع من تموز ١٩٧١ ابلغ هنري كيرنز[٧٥] Henry Kearns رئيس بنك التصدير والاستيراد الممثلين التشيليين، بأن "**قرار البنك بشان قرض الطائرات يعتمد على برنامج التأميم**"، وقد امتعض التشيليون من ذلك، وحذر سفير تشيلي في واشنطن أورلاندو ليتليه[٧٦] Orlando Letelier كيسنجر من أن هذا الاجراء سيضر بالعلاقات بين واشنطن وسانتياغو[٧٧].

بعد مرور شهر واحد على اعلان تشيلي تأميم النحاس، اعلن بنك التصدير والاستيراد تعليق قرض شراء الطائرات، وازاء ذلك، عقد السفير التشيلي في واشنطن مؤتمراً صحفياً استنكر فيه هذا الاجراء، واعتبره محاولة سافرة للضغط على الحكومة التشيلية، وعلقت صحيفة نيويورك تايمز عن هذا الموضوع بالقول "**أن القرار كان يحمل بصمات سياسية**" [٧٨]، واعتبرت صحف اخرى أن هذا الاجراء، يعد أول تعبير عملي عن السياسة الصارمة الجديدة، التي وضعت خطوطها واشنطن بتأثير ضغوط الشركات الامريكية، والتي نصت على عدم اعطاء قروض لأي بلد يقدم على تأميم الممتلكات الأمريكية الخاصة، دون أن يقدم التزاماً باعتماد شروط مقبولة التعويض[٧٩].

من جانبه، نفى كيسنجر أمام السفير التشيلي ليتليه، أي علاقة له أو لإدارته بموقف البنك، مدعياً أن هذه الأمور لا تدخل ضمن مجال عمله، فاجابه ليتليه، بأن مسؤولي البنك اعترفوا صراحة بأن قرارهم كان سياسياً وليس مالياً، وهدد بأنه في حال عدم الحصول على القرض، سيتم التوجه إلى الاتحاد السوفيتي[٨٠].

على أية حال، لم تكن قضية تعليق قرض الطائرات سوى خطوة واحدة خطتها الإدارة الأمريكية في طريقها لمحاصرة تشيلي اقتصادياً، ففي تشرين الثاني ١٩٧١ اتخذت واشنطن مجموعة اجراءات صارمة لتحقيق هذه الغاية، أبرزها[٨١]:

١- تجميد المساعدات الاقتصادية والعمل بتعديل هيكنلوبر.
٢- تجميد ارصدة تشيلي في بنك التصدير والاستيراد.
٣- الادلاء ببيانات عامة تدين موقف تشيلي من قضية التأميم.
٤- السعي إلى عدم حصول تشيلي على أموال من مصادر أخرى.
٥- معارضة تشيلي في المحافل والمنظمات الدولية.
٦- وضع عوائق ضد الصادرات التشيلية إلى الولايات المتحدة وبلدان أخرى.
٧- منع تصدير المنتجات الامريكية إلى تشيلي.
٨- تشجيع بلدان أمريكا اللاتينية على مناوئة نظام الليندي.

٩- ثني بلدان العالم عن اتباع النموذج التشيلي وتحديد مساوئه.

١٠- اجبار نظام الليندي على فرض اقتصاد طارئ.

١١- الحفاظ على علاقات جيدة مع الجيش التشيلي.

في آذار ١٩٧٢، استخدمت الولايات المتحدة ورقة ضغط أخرى على الحكومة التشيلية، عن طريق العمل بما سمي (تعديل غونزاليس) Amendment Gonzalez [٨٢]، ونص هذا التعديل على التصويت ضد القروض للبلدان التي تقوم بعمليات تأميم ومصادرة دون منح الشركة المؤممة تعويضاً كافياً[٨٣]، وقد اثار هذا الاجراء امتعاض المسؤولين التشيليين، وعلق عليه السفير ليتليه بالقول "**أن الولايات المتحدة استبدلت دبلوماسيتها الحربية بالدبلوماسية الائتمانية كوسيلة للتدخل**" [٨٤].

هكذا، بدأت واشنطن حرباً اقتصادية على تشيلي، من أجل منع استقرار النظام الاشتراكي فيها، وقد ظن الليندي أن سيطرة الدولة على صناعة النحاس من شأنه أن يثري البلاد على نحو واسع، لكنه وجد نفسه محاطاً بحرب اقتصادية من قبل الولايات المتحدة، سيما أن الأخيرة رفضت تصدير المواد الاحتياطية الكفيلة باستمرار العمل في مناجم النحاس إلى تشيلي، كما غادر الخبراء الأمريكان تشيلي في خطوة تهدف إلى عرقلة صناعة النحاس[٨٥]، وزاد الأمور تعقيداً المحاولات الثأرية من جانب الشركات الامريكية المؤممة لمقاطعة النحاس التشيلي ومصادرته، فضلاً عن صعوبات ناجمة عن سياسة الحكومة في إدارة انتاج النحاس، وكذلك هبوط مبيعات النحاس من ٤٢٥,٦ مليون دولار في كانون الثاني ١٩٧١ إلى ٣٤٥,٨ مليون دولار في كانون الثاني ١٩٧٢ أي بنسبة ١٨,٨%[٨٦].

وعلى الرغم من تدخل الإدارة الأمريكية بشكل واضح في قضية تأميم النحاس التشيلي، فإن الشركات الأمريكية المؤممة لم تستكين وتأخذ دور المتفرج، بل كان لها دوراً واضعاً في المطالبة بتعويضات من ممتلكاتها المصادرة، مستخدمة في ذلك أساليب شتى، إذ رفعت شركات النحاس المؤممة دعاوى قضائية في الولايات المتحدة والدول الأوربية، تطالب فيها بتشديد الخناق على الحكومة التشيلية، وطالبت الدول الأوربية المستوردة للنحاس التشيلي بحظر دفع عوائد النحاس إلى تشيلي، وشعرت شركتي اناكوندا بالضغط وكينيكوت بالسخط تجاه ما جرى لممتلكاتها في تشيلي، ولذلك قامت شركة اناكوندا بالضغط على الحكومة التشيلية[٨٧]، وتمكنت في آذار من الحصول على تعويض عن حصتها التي تبلغ ٧٥% من منجم اكسوتيكا، لكون نسبة الخصومات المستحقة عليها لم تتجاوز القيمة الدفترية للشركة، وفقاً لمكتب المراقب العام التشيلي، ومع ذلك استمرت اناكوندا بالمطالبة بتعويضات عن ممتلكاتها في منجمي السلفادور وتشكويكاماتا[٨٨]، أما شركة كينيكوت فقد قدمت طلباً إلى المحكمة التشيلية بعد مصادرة ممتلكاتها من أجل الحصول على تعويض، لكن قرار المحكمة جاء في غير صالحها، فلجأت إلى ورقة جديدة وهي الضغط على الدول الأوربية بعدم شراء النحاس التشيلي[٨٩]، واعلنت أنها ستسعى مع الدول الأوربية لانصافها بخصوص أصولها المصادرة[٩٠].

وفي ذلك الحين، حاول الليندي التحول إلى أوربا الغربية لتصدير النحاس كبديل للولايات المتحدة، لكن شركة كينيكوت سعت لاحباط خططه في كل من فرنسا وهولندا والسويد وايطاليا، إذ حاولت الضغط باتجاه حظر مبيعات النحاس، ونجحت بالفعل، في تجميد تسويق بعض الشحنات في كل من فرنسا وهولندا، ولم تتمكن الحكومة التشيلية من الحصول على مبالغ هذه الشحنات، بسبب حكم المحاكم الأوربية لصالح كينكيوت، وقد ربطت الحكومة التشيلية تحرك كينيكوت بالإدارة الأمريكية، غير أن الأخيرة اكدت أن كينيكوت لم تخبرها بهذا التحرك، وفي الواقع، أن الأدلة اشارت إلى وجود اتصال بين الشركة والإدارة الأمريكية التي ساندتها في هذا الموضوع(٩١)، سيما أن تحركها كان مصاحباً لقيام سفراء الولايات المتحدة في البلدان الأوربية بزيارة وزراء خارجيتها، لتوضيح مصلحة الولايات المتحدة في ذلك الشأن وابلاغهم إلى أن إجراءات الحصار ضد النحاس التشيلي مدعومة من إدارة نيكسون(٩٢)، وقد اشارت إلى هذا الموضوع أيضاً، مجلة فوربس الأمريكية Forbes Magazine بالقول "**أن كينيكوت كانت على اتصال مع وزارة الخارجية الامريكية في تحركاتها الاخيرة**" ويقصد بذلك تحركاتها تجاه حظر النحاس التشيلي الذي يتم تصديره إلى أوربا(٩٣).

انتقد الليندي اجراءات شركة كينيكوت، كونها لم تمتثل لقرارات المحكمة التشيلية، وقيامها بحظر صادرات النحاس التشيلي إلى أوربا، مما أدى إلى الحاق اضرار جسيمة بالاقتصاد التشيلي وفقدان ملايين الدولارات، ولذلك أعلن الليندي عزمه على الدفاع عن مصالح بلاده ضد أي نزاع تتسبب به الشركات المؤممة(٩٤)، وقد نجح في مواجهة كينيكوت أثر محاولة احتجازها لشحنة نحاس تبلغ ٣٥٠٠طن متجهة إلى ألمانيا الغربية، وادعاءها بان لها الحق في الاستيلاء على شحنات النحاس التشيلي التي تذهب إلى أوربا، حيث اصدرت محكمة المانيا الغربية حكما يقضي بأن النحاس التشيلي لم يعد يخص شركة كينيكوت، وأن على المحاكم الاجنبية أن تقبل بوجه عام قرارات التأميم التشيلية(٩٥)، كما نجح الليندي في رفع الحظر عن النحاس التشيلي في فرنسا نهاية تشرين الأول ١٩٧٢ (٩٦).

وعلى الرغم من التباين والتقاطع الكبير في وجهات النظر بين البلدين، إلا أن الليندي كان راغباً في حل مشاكل بلاده مع الولايات المتحدة، حتى أنه عرض على الأخيرة الذهاب إلى معاهدة ثنائية بينهما تعود إلى عام ١٩١٤، تنص على "**أن أي مسائل تؤثر على الاستقرار أو المصالح الحيوية لأي من البلدين أو كلاهما، فلابد من اخضاعها للتحكيم**"، لكن نيكسون ومستشاروه تجنبوا قضية التحكيم الدولي، ولم يبدوا احتراماً لتلك المعاهدة(٩٧).

على أية حال، لم يتمكن الطرفان من التوصل إلى تسوية حاسمة لهذا الموضوع وبقيت القضية عالقة بينهما طوال فترة حكم الليندي، وهنا لابد من ذكر أن عمليات التأميم التي قامت بها الحكومة التشيلية لم تقتصر على صناعة النحاس، بل شملت مؤسسات حيوية مختلفة، منها مناجم الحديد والنترات وشركات التصدير والاستيراد الامريكية العاملة في تشيلي ومؤسسات

أخرى [٩٨]، لكن التركيز كان على قضية النحاس، لكونه يشكل عصب الاقتصاد التشيلي، سيما أن تشيلي تعد ثالث منتج للنحاس عالمياً بعد الولايات المتحدة وزامبيا كما أوردنا سابقاً، فضلاً عن ذلك فإن الولايات المتحدة ركزت كل اهتمامها على قضية تأميم النحاس، واما ألحقه بشركاتها من أضرار، ولم تبد اهتماماً واضحاً لباقي مؤسساتها، حتى أن المصادر لم تذكر تفاصيلاً واضحة عنها، واكتفت بمجرد ذكر اسماءها.

الخاتمة :

يتضح مما سبق، ان الولايات المتحدة الأمريكية عملت بكل جهودها من أجل منع عمليات التأميم التي قامت بها حكومة الوحدة الشعبية في تشيلي، وقد تنوعت الاساليب التي استخدمتها الادارة الامريكية ومن وراءها شركاتها الاحتكارية في ايذاء حكومة الوحدة الشعبية ، إذ شكل الضغط الاقتصادي ومنع القروض والمساعدات عن الحكومة التشيلية احدى أوجه هذه الضغوط وابرزها .وعملت الشركات الامريكية من جانب آخر على محاصرة شحنات النحاس التشيلي التي يتم توريدها الى بلدان اوربية بحجة ان النحاس المورد عائداً لها ، فضلاً عن قيام الإدارة الأمريكية بإيقاف تصدير المنتجات الامريكية الى تشيلي وتجميد ارصدتها والعمل بإجراءات عقابية لإجبار حكومة الوحدة الشعبية على فرض اقتصاد طارئ غير قادر على القيام بتنمية سياسية واقتصادية حقيقية في تشيلي.

الهوامش:

[١] سلفادور الليندي غوسنز: طبيب وسياسي تشيلي، ولد عام ١٩٠٨، اعتنق الفكر الاشتراكي منذ شبابه، انتخب نائباً في البرلمان عام ١٩٣٧، أسس الحزب الاشتراكي التشيلي عام ١٩٤٣،رشح للانتخابات الرئاسية للأعوام ١٩٥٢، ١٩٥٨، ١٩٦٤ ، لكنه لم ينجح، اصبح رئيساً لمجلس الشيوخ عام ١٩٦٦، واصبح رئيساً لتشيلي عام ١٩٧٠، اطيح به عن طريق انقلاب عسكري في ١١ أيلول ١٩٧٣. ينظر: سلفادور الليندي، تعريب: فارس غضوب، دار الفارابي، بيروت، ١٩٧٤؛

Thomas M.Leonard(Editor) ,Encyclopedia of the Developing world, Vol.1-3. Published in Routledge Taylor and Francis Group, 2006. P.P. 30-32.

[2] F.R.U.S, 1969-1976, Vol. E-16, Documents on Chile, Intelligency Memorandum ERIM71-30,Chile's Economic Vulnerabilities, Washington, February 1970, P.259

[3] F.R.U.S, 1969-1976, Vol. E-16, Documents on Chile, Joint intelligence Memorandum, An Assessment of Trends in Chile, 19 February to 18 March, Washington, Undated, P.291.

(٤) ادوارد فري مونتالفا: سياسي تشيلي ولد عام ١٩١١، امتهن المحاماة، تزعم الحزب الديمقراطي المسيحي عام ١٩٥٧، اصبح رئيساً لتشيلي للمدة(١٩٦٤-١٩٧٠)، توفي عام ١٩٨٠. ينظر:

Joseph Smith, Op.Cit,P.84; Salvatore Bizzarro , Op.Cit ,P.P.304-305.

(5)F.R.U.S, 1969-1976, Vol. E-16, Documents on Chile, Memorandum from Arnold Nachmanoff of The National Security Council Staff to The President's Assistant for National security Affairs (Kissinger), Chile, Washington, June 16, 1971, P.386.

(6)Paul E. Sigmund, The Invisible Blockade and The overthrow of Allende, Foreign Affairs (Journal), Vol.52, No.2, January 1974P.325 ; Leo Pyle, Chile : 1970-1973, New Black friars, (Journal), Vol.54, No.634, Published By : Wile Publications, New Jersey, December 1973, P.534; Stefan de Vylder, Chile 1970-1983 (The Political Economy of the Rise and Fall of The Undead Popular, Stockholm, 1974, P.8;

الثورة، (جريدة)، بغداد، العدد ٧٢٦، ٣١ كانون الأول ١٩٧٠.

(٧) جورجي تسكير، السنة الأولى للحكم الشعبي في تشيلي، "دراسات اشتراكية"، (مجلة)، العدد الأول، دار الهلال، القاهرة، كانون الثاني ١٩٧٢، ص٣٥.

(٨) المصدر نفسه، ص٣٥؛ حمدي عبد الجواد، تشيلي على طريق التحول الاشتراكي، "الطليعة"، (مجلة)، العدد الرابع، السنة التاسعة، القاهرة، نيسان ١٩٧٣، ص٩٢-٩٣؛ شريل باير، فخ القروض الخارجية – صندوق النقد الدولي والعالم الثالث، ترجمة : بيار عقل، ط١، دار الطليعة، بيروت، ١٩٧٧، ص١٨٨.

(٩) مايكل ريد، مايكل ريد، القارة المنسية – المعركة من اجل روح امريكا اللاتينية، ترجمة : احمد التيجاني ادريس، تحرير : محمد سالم الامين، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ابو ظبي، ٢٠١١، ص٢٢٥؛ حمدي عبد الجواد، المصدر السابق، ص٩٢-٩٣.

(10)U. S. Department of State, F.O.I.A., CIA, "Chile Collection", Chile Declassification Project, Sub : The Allende Regime in Chile : Growing Problems and Narrowing Options, January 28, 1972 at: https://foia.state.gov/searchapp/DDCUMENTS/PCAI3/0000915D.Pdf; Gabrielle Girald, Op. Cit, P.4.

(11)Lubna Z. Quershi, Nixon Kissinger and Allende : U.S. Involvement in The 1973 Coup in Chile, Lexington Book, Lanham, 2009, P.P.103-104.

(12)Joseph L. Nogee and John W. Sloan, Allende's Chile – Chile and Soviet Union : A Policy Lesson For Latin American Nations Seeking Autonomy, Inter American Studies and World Affairs, (Journal), Vol.21, No.3, Published by : Center for Latin American Studies at the University of Miami, August 1979, P. 344.

(13)Leonidas Montes, Friedman's two Visitts to Chile in Context,P.5 at:https:// Jepson .richmond .ed/conferences /summer- institute/Papers 2015 Lmontessl paper.Pdf.

(14)Arielle Schoenburg, Before The Coup : The Solidarity Movement in the U.S with Salvador Allende's Chile 1971-1973, Thesis of Bachelor of Arts With Honors of History, University of Michigan, 2016, P.57.

(١٥) التأخي، (جريدة)، بغداد، العدد ٩٢٤، ٢٩ كانون الأول ١٩٧١ .

(16)Salvador Allende, Speech to the United Nations, 4 December 1972. at : https://www.marxists.org/archive/allende/1972/december/04.htm

(17)Jorge Palacios, Chile : An Attempt at History Compromise The Real Story of Allende Years, Chicago, 1979, P.191.

(١٨) الثورة، (جريدة)، بغداد، العدد ٦٦٥، ٢٥ تشرين الأول ١٩٧٠.

(١٩) التأخي، (جريدة)، بغداد، العدد ٩٢٤، ٢٩ كانون الأول ١٩٧١ .

(20)F.R.U.S, 1969-1976, Vol. E-16, Documents on Chile, Memorandum from the Action Chairman of The Ad Hoc Interagency Working Group on Chile (Crimmins) to the President's Assistant for National Security Affairs (Kissinger), Washington, December 19, 1970, P.230.

(21) نورثرن انديانا براس : شركة أمريكية تعمل في تصنيع النحاس، أسست في تشيلي عام ١٩٦٧. ينظر : James F. Petras and Robert Laporte, Chile : No (canwedo Business with Radical Nationalists? (2), (Foreign Policy), No.7, (summer 1972), P.150.

(٢٢) رالستون بيورينا : شركة أغذية امريكية، مقرها في ولاية ميسوري، لها استثمارات في تشيلي، وتمتلك عائلة ادواردز التشيلية جزءاً من اسهمها. ينظر : =

Richard E. Ratcliff, Capitalist in Crisis : The Chilean Upper Class and The September 11 Coup, Latin American Perspectives, (Journal), Vol.1, No.2, Published by : (Sage Publications, Inc), Summer 1974, P.86.

(٢٣)مذكرات هنري كيسنجر، ترجمة:عاطف احمد عمران، ج١، ط١، عمان، ٢٠٠٥،، ص٦٠٧ .

(٢٤) الثورة، (جريدة)، بغداد، العدد ٧٩٠، ٣٠ آذار ١٩٧١ .

(٢٥) "السياسة الدولية"، (مجلة)، العدد ٢٧، السنة الثامنة، القاهرة، كانون الثاني ١٩٧٢، ص١٩٠.

(٢٦) مايكل ريد، المصدر السابق، ص٢٢٤.

(27)F.R.U.S, 1969-1976, E-16, Documents on Chile, Memorandum from the Action Chairman of The Ad Hoc interagency working Group on Chile (Crimmins) to the

President's Assistant for National Security Affairs (Kissinger), Washington, December 19, 1970, P.233-236.

(٢٨) تعديل هيكنلوبر : تم اقرار هذا التعديل عام ١٩٦٢ بمقترح من النائب الجمهوري بروك هيكنلوبر Bourke B. Hickenlopper ، ونص على قطع المساعدات عن الدول التي تقوم بمصادرة الممتلكات الامريكية دون تعويض سريع وعادل. وقد تم تطبيقه في سيريلانكا بعد فترة قصيرة من إقراره. ينظر :

U.S. Department of State, Report of Nationalization, Expropriation and others Taking of U.S. and Certain Foreign Property since 1960, international Legal Materials, (Journal), Published by : American Society of international Law, Vol.11, No.1, January 1972, P.87; Paul E. Sigmund, The overthrow of Allende..., P.131.

(29)F.R.U.S, 1969-1976, Vol. E-16, Documents on Chile, Memorandum from the Acting Chairman of the Ad Hoc Interagency Working group on Chile (Crimmins) to The President's Assistant of National Security Affairs (Kissinger), Washington, December 19, 1970, P.P233-236.

(30)S. Sideri (Editor), Chile 1970-1973 : Economic Development and its International Sitting, Institute of Social Studies, Series on The Development of Societies, Vol. IV, Netherlands, 1979, P.201.

(31)John Fleming, The Nationalization of Chile's Large Copper Companies in contemporary interstate Relation, Villanova Law Review, (Journal), Vol.18, iss.5, Published by : Villanove University Charles widger school of Law Digital Repository, P.593; Tanya Harmer, Allende's Chile and The inter-American Cold War, The University of North Carolina Press, P.86.

(٣٢) اللجنة (٣٠٣): وهي لجنة مختصة بقضايا الامن القومي، تم انشاؤها عام ١٩٤٨، وتضم في عضويتها مستشار الامن القومي ومدير وكالة المخابرات ونائب وزير الخارجية للشؤون السياسية ونائب وزير الدفاع ورئيس قيادة الاركان، هذه اللجنة مسؤولة عن العمليات السرية الحساسة التي تنفذها وكالة المخابرات المركزية، وقد تغير اسمها فيما بعد، واصبحت تسمى (لجنة الاربعين). ينظر:

"The New York Times",(News paper), January 19,1975;

مذكرات هنري كيسنجر في البيت الابيض، ج٢، ص٣٦٩.

(33)Tanya Harmer, Op. Cit, P.105.

(٣٤) بيدرو فوسكو فيش: خبير اقتصادي وسياسي تشيلي من أصل كرواتي، ولد عام ١٩٢٤، اكمل دراسته في إدارة الأعمال في جامعة تشيلي، أصبح عضواً في اللجنة الاقتصادية لأمريكا اللاتينية ومنطقة البحر الكاريبي عام ١٩٥٠، عين وزيراً للشؤون الاقتصادية

في الثالث من تشرين الثاني ١٩٧٠ وبقي في منصبه هذا حتى حزيران ١٩٧٢، نفي بعد انقلاب ١١ أيلول ١٩٧٣ إلى المكسيك، توفي عام ١٩٩٣. ينظر :

F.R.U.S, 1969-1976, Vol. E-16, Documents on Chile, Persons, P.XXXI ; Elpais, (News Paper), Madrid, 13 May 1993; https://en.wikipedia.org/wiki/pedro-vuskovic.

(35)James Petras and Morris Morley , The United States and Chile (imperialism and The Overthrow of Allende Government), Monthly Review press, New York and London, 1975, P.41.

(٣٦) ادوارد كوري: دبلوماسي امريكي، ولد عام ١٩٢٢، مارس العمل الدبلوماسي خلال إدارات الرؤساء كينيدي وجونسون، ونيكسون، عين سفيراً للولايات المتحدة في اثيوبيا للمدة (١٩٦٣-١٩٦٧)، ثم سفيراً لبلاده في تشيلي للمدة (١٩٦٧-١٩٧١)، توفي عام ٢٠٠٣. ينظر:

https://en.wikipedia.org/wiki/Eduard-M.-Korry.

(٣٧) كلوديمرو الميدا : دبلوماسي وسياسي ومحام تشيلي، ولد عام ١٩٢٣، انتمى إلى الحزب الاشتراكي وعمل استاذاً جامعياً، اصبح امين عام للحزب الاشتراكي وعضو في لجنته المركزية، شغل منصب وزير العمل للمدة (١٩٥٢-١٩٥٣)، اصبح وزيراً للتعدين عام ١٩٥٣، شغل منصب وزير الخارجية للمدة (١٩٧٠-١٩٧٣)، اعتقل بعد انقلاب ١١ أيلول ١٩٧٣، ثم سمح له بمغادرة تشيلي إلى رومانيا، توفي عام ١٩٩٧. ينظر :

Salvatore Bizzarro, Op. Cit, P.37.

(38)Armando Uribe, The Black Book of American Intervention in Chile, Translated from the Spanish by: Jonathan Casart, Published by : Beacon Press, Boston, 1975, P.105; Tanya Harmer, Op. Cit, P.105.

(٣٩) القرار رقم ١٨٠٣ : تم اقراره في الرابع عشر من كانون الأول ١٩٦٢، من قبل الجمعية العامة للأمم المتحدة، ونص على الآتي :

أ- حق الشعوب في السيادة الدائمة على ثرواتها ومواردها الطبيعية.

ب- استيراد رأس المال الأجنبي، يجب أن يكون متوافق مع قواعد الشعوب.

ج- انتهاك حقوق الدول في السيادة على ثرواتها الطبيعية يتناقض مع مبادئ ميثاق الأمم المتحدة.

د- التعاون الدولي من أجل التنمية الاقتصادية في البلدان النامية.

هـ- في حال منح ترخيص، فإنه يجب تقاسم الارباح بطريقة الاتفاق بين المستثمر والدولة.

و- يجب أن يكون التأميم لأسباب تتعلق بالمنفعة العامة أو الأمن أو فائدة المواطن.

ينظر : John Fleming, Op. Cit, P. 603-604.

(40)Tanya Harmer, Op. Cit, P.83.

(٤١) ريتشارد نيكسون: الرئيس السابع والثلاثون للولايات المتحدة، ولد عام ١٩١٣ ،درس القانون في جامعة دوكة Duke University، انتمى الى الحزب الجمهوري، أصبح عضواً في مجلس النواب عام ١٩٤٧، ثم في مجلس الشيوخ عام ١٩٥١، اصبح نائباً للرئيس دوايت ايزنهاور للمدة(١٩٥٣-١٩٦١)، اصبح رئيساً للولايات المتحدة

الامريكية للمدة (١٩٦٩-١٩٧٤)، اضطر للتنحي في بداية ولاياته الرئاسية الثانية بسبب ضلوعه في فضيحة ووترغيت، توفي عام ١٩٩٤. للمزيد من التفاصيل ينظر: عمر المختار علاء جاسم محمد الحربي، فضيحة ووترغيت وأثرها في السياسة الداخلية الامريكية ١٩٧٢-١٩٧٤، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد،٢٠١٧؛ اودو زاوتر، المصدر السابق، ص٢١٦-٢٩٦؛

Micheal A.Genovese(Editor), Encyclopedia of The American Presidency, New York, 2004, P.P.362-372

(٤٢) مجدي نصيف ، تشيلي الثورة والثورة المضادة، ط١، دار مأمون للطباعة، القاهرة، ١٩٧٦، ص١٩٦-١٩٧.

(43)Armando Uribe, Op. Cit, P.106.

(44)F.R.U.S, 1969-1976, Vol. E-16, Documents on Chile Airgram from The Embassy in Chile to the Department of state A310, The Copper Nationalization Law-Theory, Practicy, and Justification, Santiago, November 1, 1971, P.463; S. Sideri, Op. Cit, P.193.

(45)F.R.U.S, 1969-1976, Vol. E-16, Documents on Chile, Paper Prepared by The Ad Hoc Interagency Working Group on Chile, Washington, September 7, 1971, P.420 ; Luban Z. Qureshi, Op. Cit, P.87.

(46)Salvador Allende, Speech to The United Nations, Op. Cit; Lubna Z. Qureshi, Op. Cit, P.124.

(٤٧) مجدي نصيف، المصدر السابق، ص١٠٣-١٠٤؛

James Petras and Robert Laporte, Op. Cit, P. 133 ; U.S. Department of State, Report of Nationalization..., P.92.

(48)Ryan Wolf, B.A, The Overthrow of Chilean President Salvador Allende Gossens, Thesis Master of Arts, University of Texas, 2008, P.44; Fernando Coz Leniz, Histories on Nationalization and Privatization : The Cases of the Chliean and Zambian Copper industries, P.3 at :

www.eisourcebook.org/cms/histories%200f@20natonalization%20and%20privatization.pdf

(٤٩) الثورة، (جريدة)، بغداد، العدد ٨٨٢، ١٦ تموز ١٩٧١ .

(٥٠) التأخي، (جريدة)، بغداد، العدد ٩٢٤، ٢٩ كانون الأول ١٩٧١.

(51)Salvador Allende, Speech to the United Nations,Op.Cit.

(٥٢) التآخي، (جريدة)، بغداد، العدد ٩٢٤، ٢٩ كانون الأول ١٩٧١ .

(٥٣) مكتب المراقب التشيلي العام : انشئ هذا المكتب عام ١٩٢٧، وهو عبارة عن هيأة تشيلية مستقلة بموجب الدستور التشيلي، والمكتب مسؤول عن مراجعة القرارات واللوائح التي تصدر عن الحكومة قانونياً قبل نشرها بشكل رسمي. ينظر :

https://en.m.wikipedia.org/wiki/comptroller-general-of-chile

(54)Richard R. Fagen, The United States and Chile : Roots and Branches, Foreign Affairs, (Journal), Vol. 53, No. 2, Published by : Council on Foreign Relation, January 1975, P.307; Tanya Harmer, Op, Cit, P.P.112-113; James F. Petras and Robert Laporte, Op. Cit, P.140.

(55)Salvador Allende, Speech to The United Nations ,Op.Cit.

(٥٦) جون ايروين الثاني: سياسي ومحام وضابط أمريكي ولد عام ١٩١٣، اشترك في جبهة المحيط الهادي أثناء الحرب العالمية الثانية وكان حينها برتبة مقدم، شغل منصب وكيل وزارة الخارجية للمدة ١٩٧٠-١٩٧٢، ثم أصبح نائباً لوزير الخارجية للمدة ١٩٧٢-١٩٧٣، اصبح فيما بعد سفيراً لبلاده في فرنسا، توفي عام ٢٠٠٠. ينظر :

https://en-wikipedia.org/wiki/John-N.-irwin-II.

(٥٧) جون بلاس : رجل أعمال أمريكي من مواليد عام ١٩٢٦، ابتدأ حياته المهنية في بنك تشيس الوطني كمتدرب اداري عام ١٩٤٨، وتدرج في الوظائف حتى اصبح رئيساً لشركة اناكوندا عام ١٩٧١، وشغل بعد ذلك مناصب عدة حتى وفاته عام ٢٠١٥. ينظر :

www.themillbrookindependent.com/content/John-bm-place-1926-2015.

(58)F.R.U.S, 1969-1976, Vol. E-16, Documents on Chile, Draft, Memorandum of Conversation, Washington, August 11, 1971, P.413.

(٥٩) جون كونالي : سياسي امريكي ولد عام ١٩١٧، انتمى إلى الحزب الديمقراطي ثم انتقل إلى الحزب الجمهوري، شغل منصب الحاكم التاسع والثلاثين لولاية تكساس، عينه الرئيس نيكسون عام ١٩٧١ وزيراً للخزانة، توفي عام ١٩٩٣. ينظر :

https://en.wikipedia.org/wiki/John-connally

(60)Tanya Harmer, Op. Cit, P. 110; James F. Petras and Robert Laporte, Op. Cit, P.142-143.

(61)Lubna Z. Qureshi, Op. Cit, P.P.88-89.

(62)Quoted in : Tanya Harmer, Op. Cit, P.110.

(63)Ibid, P.110.

(٦٤) هنري كيسنجر: سياسي امريكي بارز من أصول يهودية، ولد في المانيا عام ١٩٢٣، هاجر مع عائلته الى الولايات المتحدة نتيجة اضطهاد النازيين لليهود، اكمل دراسته الجامعية عام ١٩٥٠، حصل على الدكتوراه عام ١٩٥٤، وشغل مناصب سياسية مختلفة أهمها مستشار الامن القومي ١٩٦٩-١٩٧٥ ووزير الخارجية ١٩٧٣-

١٩٧٧، للمزيد من التفاصيل ينظر: عبد الرزاق خليفة رمضان اللهيبي، هنري كيسنجر ودوره في الصراع العربي الإسرائيلي ١٩٢٣-١٩٧٧، أطروحة دكتوراه منشورة، كلية التربية، جامعة الموصل، ٢٠١٦؛ امين هويدي ، كيسنجر وإدارة الصراع الدولي، (فيتنام، الوفاق الدولي، أيلول الأسود، حرب أكتوبر ١٩٧٣)، ط٢، دار الموقف العربي للصحافة والنشر والتوزيع، ١٩٨٦، ص١٤-٧١.

(65)Quoted in : Tanya Harmer, Op. Cit, P.P 87-88.

(٦٦) شريل باير، المصدر السابق، ص١٨٣.

(67)Tanya Harmer, Op. Cit, P.87-88.

(٦٨) مجدي نصيف، المصدر السابق، ص١٠٣-١٠٤.

(69)Tanya Harmer, Op. Cit, P.P.110-111.

(70)F.R.U.S, 1969-1976, Vol. E-16, Documents on Chile, Paper prepared by the AD Hoc Interagency working Group on Chile, Washington, May 29, 1971, P.329.

(71)F.R.U.S, 1969-1976, Vol. E-16, Documents on Chile, Paper Prepared for Ad Hoc Interagency working Group of Chile, Washington, May 29, 1971, P.331; Jaechun Kim, Democratic Peace and Covert war : Acase study of The U.S. Covert War in Chile, International and Area Studies, (Journal), Vol. 12, No. 1, 2005, P. 34; Tanya Harmer, Op. Cit, P.89.

(72)F.R.U.S., 1969-1976, Vol. E-16, Documents on Chile, Minutes of meeting of the Senior Review Group, Chile, Washington, June 2, 1971, P.357; Tanya Harmer, Op. Cit, p.123.

(73)F.R.U.S., 1969-1976, E-16, Documents on Chile, conversation among President Nixon, Secretary of The National Security Affairs (Kissinger), Washington, June 11, 1971, P.376

(74) F.R.U.S, 1969-1976, Vol. E-16, Documents on Chile, Paper Prepared for The Senior Group, EX-IM Bank Position on loan to Lan-Chile, Washington, June 6, 1971, P.P.369-370.

(٧٥) هنري كيرنز : سياسي ورجل أعمال امريكي، ولد عام ١٩١١، التحق بكلية الهندسة بجامعة ولاية يوتا، عمل في وزارة التجارة أثناء رئاسة ايزنهاور، اصبح رئيساً لبنك التصدير والاستيراد في فترة إدارة الرئيس نيكسون، توفي عام ١٩٨٥. ينظر :

The New York Times, (News Paper), New York, June 1, 1985.

(٧٦) اورلاندو ليتليه: محام وسياسي ودبلوماسي تشيلي، ولد عام ١٩٣٢ في تشيلي، اكمل دراسته الجامعية في الحقوق ومن ثم في الاقتصاد عام ١٩٥٤، انضم إلى صفوف الحزب الاشتراكي عام ١٩٥٩، عين سفيراً لبلاده لدى واشنطن في المدة (١٩٧٠-١٩٧٣)، عينه الليندي في الأشهر الأخيرة من حكومته وزيراً للشؤون الخارجية والدفاع

على التوالي، اعتقل بعد انقلاب ١١ أيلول ١٩٧٣، واطلق سراحه في أيلول ١٩٧٤، استقر في الولايات المتحدة وعمل في معهد الدراسات السياسية في واشنطن، اغتيل عام ١٩٧٦ جراء انفجار سيارة مفخخة. ينظر : Salvatore Bizzarro, Op. Cit, P.P.427-428.

(77)Tanya Harmer, Op. Cit, P.P.110-111

(78) Paul E. Sigmund, The Invisible Blockade.., P.330; Jorge Palacios, Chile : an attempt at History Compromise – The Real Story of Allende years, Chicago, 1979, P.129 ; James Petras and Morris Morley, The United States and Chile..., P.93.

(٧٩) شريل باير، المصدر السابق، ص١٨٢-١٨٣.

(80)Lubna Z. Qureshi, Op. Cit, P.90.

(81)F.R.U.S, 1969-1976, Vol.E -16, Documents on Chile, Paper Prepared for The Senior Review Group by The Ad Hoc Interagency Working Group on Chile, Chile : Next Steps, Washington, November 23, 1971, P.P.482-483.

(٨٢) تعديل غونزاليس: وافق الكونغرس الامريكي على هذا التعديل في آذار ١٩٧٢، ويهدف إلى حث المؤسسات المالية على التصويت ضد منح قروض للبلدان التي حدثت فيها عمليات تأميم دون تعويض. ينظر :
Paul E. Sigmund, The Invisible Blockade .., P.326; Tanya Harmer, Op. Cit, P.P.156-157.

(83)James Petras and Morris Morley, The United States and Chile.., P.101; Paul E. Sigmund, The Invisible Blockade.., P.326.

(84)Tanya Harmer, Op. Cit, P.P.156-157.

(85)Lubna Z. Qureshi, Op. Cit, P.P. 89-91.

(٨٦) الثورة، (جريدة)، بغداد، العدد ١٣٤٥، ٩ كنون الثاني ١٩٧٣؛ مجدي نصيف، المصدر السابق، ص١٠٣-١٠٤.

(٨٧) شريل باير، المصدر السابق، ص١٧٨، ١٨٣ .

(88) John Fleming, Op. Cit, P.642

(89)Lunba Z. Qureshi, Op. Cit, P.124.

(90)F.R.U.S., 1969-1976, Vol. E-16, Documents on Chile, Memorandum from the Executives Secretary of The Department of State (Eliot) to the President Assistant For National Security Affairs (Kissinger),Kennecott suit in Paris against Chilean cooper shipment, Washington, October 12, 1972, P.630.

(91)F.R.U.S., 1969-1976, Vol. E-16, Documents on Chile, Memorandum from the Executive secretary of the Department of State (Eliot) to The President Assistant for

National Security Affairs (Kissinger), Kennecott suit in Paris Against Chilean copper Shipment, Washington, October 12, 1972, P.630; B. A. Landy and George R. Harper, Economic Development, Lawyer of The Americas, (Journal), Vol.5, No.1, Published by : University of Miami Inter – American Law Review, February 1973, P.166

(92) Armando Uribe ,Op.Cit ,P.108.

(93)Quoted in: Elzabeth Franswrth, More Than Admitted, Foreign Policy, (Journal), No.16, Published by : Washington Post, Autumn 1974, P.134

(94)Salvador Allende, Speech to The United Nations , OP.Cit.

(٩٥) الثورة، (جريدة)، بغداد، العدد ١٣٤٩، ٢٤ كانون الثاني ١٩٧٣.

(96)S. Sideri, Op. Cit, P.206.

(97)F.R.U.S, 1969-1976, Vol. E-16, Documents on Chile, Memorandum from Michael Kozak of the office of the Assistant Legal Adviser for Inter – American Affairs to the Assistant Legal Adviser for inter – American Affairs (Feldman), Chile Copper – Arbitration Procedures, Washington, April 14, 1972, P.563 ; Lubna Z. Qureshi, Op. Cit, P.117; Armando Uribe, Op. Cit, P.107.

(٩٨) مجدي نصيف، المصدر السابق، ص١١٧.

الاحاديث الصحيحة الواردة عن المهدي عليه السلام

د. مرفت نواف عبود

الجامعة العراقية/ كلية العلوم الإسلامية

الاحاديث الصحيحة الواردة عن المهدي عليه السلام

د. مرفت نواف عبود

Summary:

I chose to write about this topic first, curious to know the personality of Imam Al-Mahdi (peace be upon him), as I have little information about him when writing the research, especially when I completed the first topic, which is (Introduction to Mahdi). Frankly, I was amazed that the Islamic sects, with their different differences, spoke clearly about Imam Mahdi (peace be upon him)) And they all agreed that he is a savior at the end of times when injustice and injustice prevail over the whole world, and he saves them and saves them from injustice, sorrows and blood, and will fill the earth with fairness and justice, and there is no explanation other than (God's instinct with which man broke his fast) Glory be to God, and the second reason that made me write about this topic is the situation The current situation in our country, Iraq, and the turmoil of the countries around us, people talk and say that at the end of time there are children, women and men being killed everywhere, women being sold in the slave market? These are the teachings of our Islamic religion, and accordingly, they were published in

The first topic: - Definition of the Mahdi and the signs of his emergence in the form of two demands

The second topic: - Three educational implications in the form of three demands and they are Qur'an verses that indicated the time of the appearance of the Mahdi (peace be upon him) from our true religion and his teachings (doing good, enjoining good, forbidding evil and hope), and then I chose three noble hadiths in the third and final topic: - They are hadiths (in which knowledge disappears, the tongue is stronger than the sword, the attributes of men)

المقدمة

بسم الله والحمدلله والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وعلى اله الطيبين واصحابه .

اخترت الكتابة بهذا الموضوع أولا فضولا مني لمعرفة شخصية الامام المهدي (عليه السلام) حيث اني املك معلومات قليلة عنه عند كتابتي للبحث وخاصة عند اكمالي للمبحث الأول الذي هو (التعريف بالمهدي) صراحة دهشت ان الفرق الإسلامية باختلافها تكلمت بكل وضوح عن الامام المهدي (عليه السلام) واتفقت كلها على انه منقذ اخر الزمان عندما الظلم والجور يسود العالم كله وينقذهم ويخلصهم من الظلم والاحزان و الدماء وسيملأ الأرض قسطا وعدلا ولا يوجد تفسير غير (فطرة الله التي

فطر بها الانسان) سبحان الله ، والسبب الثاني الذي جعلني اكتب في هذا الموضوع هو الوضع الحالي الذي يشهده بلدنا العراق واضطراب الدول التي حولنا ، الناس تتكلم وتقول انه في اخر الزمان هناك قتل في كل مكان للأطفال والنساء والرجال ، نساء تباع في سوق الرق ؟ عجيب هل عدنا للجاهلية وقتل لأهل الذمة في بلاد المسلمين تلك البلدان التي هي امن وامان لكل انسان وهذه تعاليم ديننا الإسلامي وعليه أخرجت في

المبحث الاول :- التعريف بالمهدي وعلامات ظهوره على شكل مطلبين

المبحث الثاني:- ثلاث اثار تربوية على شكل ثلاث مطالب وهن آيات قرآنية اشارت لزمان ظهور المهدي (عليه السلام) من ديننا الحنيف وتعاليمه (عمل الخير والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والامل) ، وثم اخترت ثلاثة احاديث نبوية شريفة في المبحث الثالث و الأخير :- وهي احاديث (يزول فيها العلم ، اللسان فيها اشد من السيف، صفات الرجال)

المبحث الأول

المطلب الأول / اسمه ونسبه

اتفق المسلمون على ان المهدي المنتظر هو من اهل بيت النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) وانه من ولد السيد فاطمة الزهراء (عليه السلام) فعن ام سلمة (رضي الله عنها) قالت: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : ((المهدي من عترتي من ولد فاطمة) [١]

لكنهم اختلفوا في النسب اهو حسني ام حسيني لذا ارتأيت ان اصنف الفرق الإسلامية الى فرقتان

الفرقة الأولى قالت: (نسبه حسني) : فهو محمد بن عبد الله العلوي الفاطمي الحسيني ، اسمه كأسم الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) وابيه كاسم ابي النبي (صلى الله عليه وسلم)

فيكون اسمه – محمد او احمد – بن عبد الله ، وهو من ذرية فاطمة بنت محمد (صلى الله عليه وسلم) ثم من ولد الحسن بن علي (رضي الله عنهما) [٢]

والفرقة الثانية قالت : (نسبة حسيني) : فهو محمد بن الحسن العسكري بن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي السجاد بن الحسين بن علي بن علي بن ابي طالب ، وأضافت بذكر اسم امه وهي: ملكية ويقال لها "نرجس" بنت يشوعا ابن القيصر ملك الروم ، وجدها من جهة الام شمعون وصي المسيح عيسى بن مريم على نبينا واله والصلاة والسلام ، وكانت وحيدة على زمانها في الكمال والمزايا. [٣]

فهو ابن هاديها الامام (العسكري) ... وشبل (نرجس) التي كالدرر [٤]

صفاته

الصحيح في صفاته انه ادم ، ضرب من الرجال ربعة اجلى الجبهة ، اقلى الانف اشمه ازج ابلج، اعين اكحل العينين ، براق الثنايا ، افرقها في خده الأيمن خال اسود ، يضئ وجهه كانه كوكب دري ، كث اللحية في كتفه علامة النبي (صلى الله عليه وسلم) ، ابن أربعين سنة وفي رواية مابين الثلاثين الى الأربعين خاشع لله خشوع النسر يشبه النبي في الخلق [٥] عن ابي سعيد الخدري قال : قال رسول الله (صلى عليه وسلم): (المهدي مني من اجلى الجبهة ، اقنى الانف ، يملأ الأرض قسطا وعدلا ، كما ملئت جورا وظلما ، ويملك سبع سنين)) [٦]

وقالوا أيضا في صفاته (عليه السلام) : كان ابيض ، مشربا حمره ، اجلى الجبين ، اقنى الانف ، له نور ساطع ، بخده الأيمن خال افرق الثنايا و وجهه كالقمر الدري.

في خده الأيمن احلى خال كانه الكوكب الدري في الليال
اجلى الجبين افرق الثنايا ووجهه ينير كالمرايا
وشعره طال لمنكبيه ونوره يشرق من خديه[٧]

علامات ظهوره

للإمام المهدي (عليه السلام) علامات لظهوره الشريف تعددت الروايات عن علاماته لذا سآخذ المشابهة بين فرق المسلمين واخذتها على شكل فرقتين : –

الفريق الأول:– قالوا : ان علامات المهدي (عليه السلام) ثمانية:

وهي علامات اخر الزمان كما وردت في عدة احاديث صحيحة:

١– ينشق الفرات فينحسر عنه جبل من ذهب.

٢– ينكسف القمر اول ليلة من رمضان والشمس ليلة النصف منه وهذان لم يكونان منذ إن خلق الله السنوات والأرض.

٣– طلوع القرن ذي السنين .

٤– ظهور نجم له ذنب يضيء.

٥– ظهور نار عظيمة من قبل المشرق ثلاث ليال او سبع ليال .

٦– ظهور ظلمة من السماء.

٧– حمرة في السماء وتنتشر في افقها ليس كحمرة الأفق .

٨– نداء يعم اهل الأرض ويسمع كل اهل بلغتهم [٨]

اما الفريق الثاني : قال علامات ظهور هي خمسة :

١. اليماني.

٢. السفياني.

٣. المنادي ينادي من السماء.

٤. خسف البيداء.

٥. قتل النفس الزكية .[٩]

كما قال الشاعر :

- وقبل ذاك يظهر (السفياني) (الحسيني) الطهر و (اليماني)

وراية شرقية سوداء وبعد ذاك تخسف البيداء

وهذه بعض العلامات التي جاء بها النص باجلى صورة

وفي (الصحاح) جاءت الاخبار صادقة ينقلها الاخبار[١٠]

المطلب الثاني/ المهدي عند اهل الكتاب

وضعت هذا المطلب من ضمن بحثي كي اجعل الصورة واضحة خاصة التالي وأيضا كنت ذات فضول لمعرفة ماذا قال الانجيل والتوراة أي عند اهل الكتب السماوية : فلقد وضحت المهدي عند المسلمين من خلال المطلب الأول من البحث حقا قضية الامام المهدي اكثر شمولا واوسع من الذي ذكرته لكني وددت ان اشير الى الابجديات المتفق عليها بين الفرق الإسلامية ، وأيضا في هذا المطلب لن اتوسع فيه سأذكر العام من هاتين الديانتين المسيحية واليهودية ولذلك التجأت الى الانترنت في هذا المطلب لفقر معلوماتي عن كتب هاتين الديانتين لذا سأذكر الاسفار التي فيها إشارات واضحة عن المهدي:-

١- يتفقون معنا انه حاكم للعالم كله.

(ليحجم المساكين بالحق ويخلص البائسين ويسحق الظالم ... يخشونك مادامت الشمس وما انار القمر على مر الأجيال والعصور ... يشرق في أيامه الابرار ويعم السلام الى يوم يختفي القمر من الوجود ... ويملك من البحر الى البصر ومن النهر الى اقاصي الأرض ... يسجد له كل الملوك ، وتخدمه كل الأمم ...)[١١]

٢- عندهم زمان الفتن قبل ظهور الامام مثلنا.

(وقال لتلاميذه سيأتي زمان تشتهون فيه ان تروا ولو يوما واحدا من أيام ابن الانسان ولن تروا وسوف يقول بعضهم لكم : ها هو هناك او ها هو هنا ، فلا تذهبوا ولا تتبعوهم فكما ان الذي يلمع تحت السماء من احدى الجهات يضيء من جهة أخرى هكذا يكون ابن الانسان يوم يعود ولكن لا بدله أولا من ان يعاني الاما كثيرة وان يرفضه هذا الجيل وكما حدث في زمان نوح هكذا سوف يحدث في زمان ابن الانسان). [١٢]

٣- وكأن هذه الفقرة / مطابقة مع الحديث النبوي الشريف ((يملأ الأرض قسطا وعدلا ، كما ملئت جورا وظلما))

((يكون في اخر الأيام إن جبل بيت الرب يكون ثابتا في رأس الجبال ويرتفع فوق التلال وتجري إليه كل الأمم ، وتسير شعوب كثيرة ويقولون هلم نصعد الى جبل الرب الى بيت إله يعقوب فيعلمنا من طرقه ونسلك في سبله ، فيقضي بين الأمم وينصف لشعوب كثيرين فيطبعون سيوفهم سككا ورماحهم مناجل . لا ترفع امة على امة سيفا ولا يتعلمون الحرب فيما بعد.))[١٣]

ولقد بين المفسر محمد علي حسن الحلي[١٤] رحمه الله بأن : جبل بيت الرب تعني جبل عرفات في مكة ، و " بيت الرب" هو المسجد الحرام في مكة.

*كل هذه الإشارات تفسر انهم يؤمنون بالمهدي (عليه السلام) مع اختلاف التسميات له (عليه السلام) فعند اليهود يسمى: (المخلص) ، وعند النصارى يسمى : (المعزى) ، وعندنا (مسلمون) يسمى (المهدي) مع القاب الأخرى (كالمنتظر الموعود، القائم لقيامة الحق ، المصلح، المنقذ العالمي.....الخ).

* ويبدو ذلك واضح عندهم خاصة في افلامهم السينمائية فدائما يصورون ويجعلون حال العالم في اخر الزمان دمار وقتل وظلم (صورة مأساوية) فيأتي ذلك المنقذ باختلاف صورة لكن الفكرة واحدة فيقلب الأحوال واذا بالشمس تشرق تتغرد الاطيار ويحل الامن والسلام مع اختلاف سيناريوهات افلامهم لكننا من خلالها نجد انهم يؤمنون (بالمنقذ) ، وحتى أصحاب الديانات غير السماوية يؤمنون بالمنقذ آخر الزمان ! مثل(الهندوس، البوذ، والصينيون).[١٥]

المطلب الثالث

٤- هل المهدي حقيقة؟

سؤال واقعي منطقي يخاطب اهل العقول دائما ما يرد في ذهني ((هل المهدي حقيقة؟)) قبل ان ابدأ بالبحث كانت فكرة المهدي لدي محصورة فقط بالقران الكريم والاحاديث النبوية والروايات الصحيحة عنه (عليه السلام) وكنت أتساءل لو إني غير مسلمة وقرأت هذه الآيات والاحاديث والروايات هل يستوعبها عقلي؟ ولكن بعدما قرات عن المهدي في الكتب السماوية السابقة أي قبل الإسلام ايقنت ان فكرة المهدي حقيقية حيث ان الديانات السابقة أي قبل الإسلام ايقنت ان فكرة المهدي حقيقة حيث ان الديانات السابقة مؤمنة كل الايمان بفكرة المهدي وأصبحت لدي قناعة أن (المهدي عقيدة) ليس فقط فكرة فها هي الكتب السابقة تتحدث عنه بكل وضوح والقرآن الكريم و السنة المطهرة وأدلتي أولا ، القرآن الكريم: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾[١٦]

ثانيا: السنة المطهرة:- عن علي رضي الله تعالى عنه، عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: ((لو لم يبق من الدهر الا يوم ، لبعث الله رجلا من اهل بيتي يملؤها عدلا كما ملئت جورا)).[١٧]

وبما إن السنة المطهرة هي المصدر الثاني للتشريع الإسلامي حيث ان الاحاديث و الروايات جاء بها نبينا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وجب علينا أن نؤمن ونقر بقضية الامام المهدي (عليه السلام) ولعل قوله تعالى دليل على هذه الحقيقة:(﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١٣٦ ﴾ [١٨]

هذا بالإضافة الى ان اكثر من ثلاثين صحابي من الثقات رووا هذه الاحاديث أي انه حقيقة أخرى تؤكد حقيقة المهدي وهذا واضح في الكتب الستة...

ومنهم (علي بن ابي طالب[١٩]، جابر بن عبد الله[٢٠] ثوبان[٢١] ، ابن عباس [٢٢] ابي سعيد الخدري[٢٣]، ابي هريرة[٢٤]... وغيرهم كثر هذه حجة أخرى على حقيقة المهدي (عليه السلام) إضافة الى ان كبار العلماء والفقهاء قد افردوا كتب خاصة عنه (عليه السلام): مثل (القول المختصر في علامات المهدي المنتظر –لابن حجر المكي[٢٥] / المشرب الوردي في مذهب المهدي / للملا علي القاري[٢٦]/ كمال الدين للشيخ الصدوق[٢٧] / حياة المهدي – للشيخ باقر شريف القرشي)[٢٨]..

وهذا يعني لولا حقيقة المهدي عليه السلام لما صنفوا العلماء وافرد هذه الكتب ، قال الرسول محمد صلى الله عليه وسلم : (المهدي حق وهو من ولد فاطمة)[٢٩] وليس ببعيد عن هذا الكلام كله يسأل سائل: هل الله سبحانه وتعالى يترك هذا الكون ومن فيه واقصد الانسان هكذا قبل ان ينهي الحياة على وجه هذه الارض يدع هذا الكون ينتهي بنهاية عادية بسيطة ؟ ان الله حكيم ولم يخلقنا هكذا عبثا حاشاه اذا لابد ان يظهر الحق وينصف المظلوم ، وينصر المستضعف وتصل رسالة التوحيد لجميع البشر وكما نعلم انه الى الان هناك عباد او عبدة الاصنام والحيوانات والبشر والطبيعيون الذين يؤمنون بالطبيعة لابد ان يري الله حقه ووجوده وهو :-

الاله الواحد الاحد هو الخالق (فإن الانسان مكرم مسخر له مافي السموات والأرض، المستخلف في هذا الكون ، المكلف بتكاليف إلهيه هذا الانسان مهمته على ظهر هذه الارض بشكل موجز : هو الايمان بالله تمام الايمان ، والتطبيق لاحكامه وشرائعه تمام التطبيق ، كي يسعد في حياته الدنيوية ، وكي يتمكن فس نهاية المطاف من العودة الى جنة الخلد)[٣٠] قال تعالى : ﴿ أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ١١٥ ﴾ [٣١]

فهذا الخالق حاشاه ان يخلق هذا الكون عبثا هو الذي خلقه بكل تفاصيله الدقيقة من الذرة الى المجرة أي هذه الدقة هذا الكمال لا يكون الا من الجبار القوي المتين الله سبحانه وتعالى ، ويجب ان

يحق الحق كما في قوله تعالى ﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾ [٣٢] ، فالله سبحانه وتعالى سينفذ هذا الكون بالمهدي المنتظر (عليه السلام) بإرادته ومشيئته هكذا أراد الله ان تكون نهاية هذا الكون ، وهذا يعني ان المهدي (حقيقة) بدون أي شك.

المبحث الثاني : الاثار التربوية التي وردت في ابرز الايات القرانية التي اشارت لزمان ظهور الامام المهدي (عليه السلام)

المطلب الأول:سورة النور

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [٣٣]

تفسيرها

(وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ) يا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم (وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ) فيما بينهم وبين ربهم (لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ) بعضهم على اثر بعض (ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ) من بني إسرائيل يوشع بن نون وكالب بن يوقنا ويقال لننزلنهم ارض مكة كما انزلنا الذين من قبلهم من بني إسرائيل ارضهم بعدما اهلك عدوهم (وَلَيُمَكِّنَنَّ) ليظهرن لهم (دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ) رضي واختار لهم (وَلَيُبَدِّلَنَّهُم) بمكة (مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ) من العدو (أَمۡنٗا) بعد هلاك عدوهم (يَعۡبُدُونَنِي) لكي يعبدونني بمكة (لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗا) من الاوثان (وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ) التمكين والتبديل (فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ) العاصون. [٣٤]

الأثر التربوي المقتبس من الاية الكريمة هو (عمل الخير)

عمل الخير يشمل أنواع كثيرة ومتنوعة وفي بلدنا الحمد لله نرى من اعمال الخير مايسر لكن لو توج عمل الخير بالتنظيم وأعطاه لمن يستحق مع النية السليمة لكان افضل قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾ [٣٥]

ومن اعمال الخير:

١- **طاعة الله:** كما نعلم ان الصلاة والصوم والزكاة وقراءة القران كلها اعمال خير قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [٣٦]

وقال الشاعر: مهما كتبنا في علاك قصائدا خطت او دم الاجفان

فلأنت أعظم من مديحي كله واجل مما دار في الحسبان.[٣٧]

طاعة الله أي ذكر الله وبذكر الله تطمئن القلوب وتكون مملوءة بالرحمة والعطف والإحسان.

وبالتالي يعم الخير على الفرد والمجتمع، قال تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨ ﴾[٣٨]

٢- **طاعة الوالدين:** اكيد من اعمال الخير هي طاعة الوالدين والإحسان لهم والعطف عليهم وخفض الجناح لهما لما اعطى الله سبحانه وتعالى لهما من منزله وفرض علينا طاعتهم فجعل منزلتهما تاتي بالمرتبة الثانية من طاعته قال تعالى ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ٢٣ ﴾[٣٩]

وقال عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه): سالت رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، قلت يا رسول الله ، أي العمل افضل؟ قال (الصلاة على ميقاتها)، قلت ثم أي؟ قال ثم (بر الوالدين)، قلت: ثم أي؟ قال (الجهاد في سبيل الله). فسكت عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ولو استزدته لزادني[٤٠]، ومعنى بر الوالدين أي طاعة الله وبطاعة الله يكون الرضا وبالرضا ينتشر الخير على الفرد والمجتمع لطيفة العبارة التي تقول (بر الوالدين دين ودين فالأول يأخذك الى الجنة والثاني يرده لك ابنائك)

٣- **الصدقة:** ومن اعمال الخير هو الصدقة: وهي اما ان تكون: (معنوية او مادية)

المطلب الثاني : سورة الانعام

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَۗ يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرٗاۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ١٥٨ ﴾[٤١]

تفسيرها

(هَلۡ يَنظُرُونَ) ما ينتظر المكذبون (إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ) بالتاء والياء (ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ) لقبض ارواحهم (يَأۡتِيَ رَبُّكَ) أي امره بمعنى عذابه (أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَۗ) أي علاماته الدالة على الساعة (يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ) وهي طلوع الشمس من مغربها (رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ) الجملة صفة النفس (أَوۡ) نفسا لم تكن (كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرٗاۗ) طاعة ، أي لا ينفعها توبتها، (قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ) احد هذه الأشياء (إِنَّا مُنتَظِرُونَ) ذلك[٤٢]

الأثر التوبوي المقتبس من الاية الكريمة هو:

"الامر بالمعروف والنهي عن المنكر"

في هذه الأيام قلة من يعمل بـ (الامر بالمعروف والنهي عن المنكر)على الرغم من الأوضاع المخيفة التي نعيشها كثرة القتل ، والظلم ،والموت، وقله من يتعظ الم يأن الأوان لكي نتعظ الاية السابقة تكلمنا تحذرنا ، بان توبوا لله قبل فوات الأوان، فمتى نأمر بالمعروف وننهي عن المنكر ، قال تعالى:[٤٣] يبشر الله عباده (الطائعون) هنا بالجنة، "الذين اتقوا ربهم" يعني: وحدوا ربهم، واطاعوا ربهم، لهم غرف من فوقها غرف مبنية في الجنة وهي العلا غرف مبنية، مرتفعة بعضها فوق بعض، تجري من تحتها الأنهار وعد الله في القران لا يخلف الله الميعاد"[٤٤] يصف لنا الله عز وجل الجنة يرغبنا فيها يقول لنا هذه الدنيا دار بلاء دار زوال اعملوا لاخرتكم لتفوز بالجنة أي اطلعوني (امروا بالمعروف وانهوا عن المنكر) فأنا اعاهدكم بالجنة.

عن ابي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(ان الله يقول لأهل الجنة ،فيقولون : لبيك ربنا وسعديك : فيقول: هل رضيتم : فيقولون : مالنا لا نرضى وقد اعطيتنا مالم تعط أحدا من خلقك، فيقول : انا اعطيكم افضل من ذلك، قالوا: و أي شيء افضل من ذلك؟ قال : أحل رضواني فلا اسخط عليكم ابدا)[٤٥] أي ان الله يعطي اهل الجنة تلك الغرف المبنية المرتفعة والانهار التي تحتها ويعطيهم الخلود ومميزات كثيرة لأهل الجنة ورضى الله فما اجمل العيش في مكان يكون الله راضيا عنا لا نعصيه طرفة عين بصورة ازليه ولو اننا وضعنا هذه المرغبات صوب اعيننا قبل ان نقدم على أي شيء في حياتنا هل سنكون من الذين (يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) ولنسأل انفسنا (هل نريد ان نكون من اهل الجنة)؟

قال تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[٤٦]

جميلة الحكمة التي تقول

(ما اخدع الدنيا لكل عاقل .... ما اصرع الدنيا لكل جاهل)[٤٧]

اما النار فوعدها الله تعالى للذين يعصونه ومن اشكال العصيان هو (الامر بالمنكر والنهي عن المعروف)، قال تعالى :﴿ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾ ﴾[٤٨]

يصف لنا الله تعالى هنا نار جهنم يرهبنا بهذا الوصف (.... فيقول للخاسرين يوم القيامة في جهنم [من فوقهم ظلل من النار] أي كهيئة الظلل من النار ومن تحتهم من النار ما يعلوهم....، وقوله (ذلك يخوف الله به عبادة يا عباد فاتقون) هذا الذي اخبرتكم به أيها الناس ، مما للخاسرين يوم القيامة

من العذاب ، تخويف من ربكم لكم، يخوفكم به لتحذروه، فتجنبوا معاصيه وتتيبوا من كفركم الى الايمان به ،، وتصديق رسوله، (واتباع امره ونهيه)، فتنجوا من عذابه في الاخرة (فاتقون) يقول: فاتقوني بأداء فرائضي عليكم ، واجتناب معاصي، لتنجوا من عذابي وسخطي)[٤٩] وعن ابن عباس رضي الله عنه) " قال: ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لو ان قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا لأفسدت على اهل الدنيا معايشهم فكيف بمن يكون طعامه)[٥٠]

المطلب الثالث : سولارة القصص

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ۝٥ ﴾ [٥١]

تفسيرها

(وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ) هي جملة معطوفة على قوله (ان فرعون علا في الأرض) أي الاية التي سبقتها، لانها نظيره تلك في وقعوعا تفسيرا لنبأ موسى عليه السلام وفرعون اقتصاصا له، واللفظ في قوله (وَنُرِيدُ) للاستقبال ولكن اريد به حكاية ماضيه ويجوز ان يكون حالا من (يستضعف) أي يستضعفهم فرعون ونحن نريد ان نمن عليهم، فإن قيل كيف يجتمع استضعافهم وإرادة الله تعالى المن عليهم واذا أراد الله شيئا كان ولم يتوقف الى ثقت اخر؟ قلنا لما كانت منه الله عليهم بتخليصهم من فرعون قريبة الوقوع جعلت إرادة وقوعها كأنها مقارنة لاستضعافهم وقوله (وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ) أي متقدمين في الدنيا والدين وعن ترجمه مجاهد دعاة الى الخير وترجمة قتادة ولاه كقوله(وجعلكم ملوكا) ، (وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ) يعني وارثين للملك فرعون وارضه ومافي.[٥٢]

الأثر التربوي المقتبس من الاية هو (الامل)

بما ان شخصية الامام المهدي عليه السلام هو الامل لكل المستضعفين على الأرض والمظلومين وهو المنقذ الذي سيملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا كما روي عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال : قال ررسول الله صللى الله عليه وسلم : (لا تقوم الساعة حتى تملأ الأرض ظلما وعدوانا)[٥٣] طبعا هنا معنى الامل ليس ١لك المعنى غير المحمود في ديننا الإسلامي الذي نهانا عنه الله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، بل هو ان نأمل بالله خيرا وان نتأمل ونتفكر وان نصبر لم استخدم كلمه (الصبر) لان باعتقادي انها كلمه مستهلكة فأردت الخروج قليلا عن المألوف ، لذا اخترت قصة النبي عزيز عليه السلام، كقصة فيها عبرة لنا وفيها امل بان الله قادر قدير.

المبحث الثالث : (الآثار التربوية التي وردت في أبرز الاحاديث النبوية التي اشارت لزمان ظهور الامام المهدي (عليه السلام)

المطلب الأول / الحديث الأول

عن عبد الله عن ابي موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((بين يدي الساعة أيام الهرج، يزول فيها العلم ويظهر فيها الجهل)، قال أبو موسى:
والهرج: القتل بلسان الحبشة.[٥٤]

شرح الحديث

لقد نقل الحديث بأسانيد مختلفة ومتون متعددة وعليه اخترت ما يطابق الحديث أعلاه ففي لفظة الهرج أشار ابن خيثمة الى ترجيح قول الجماعة، قوله: الهرج بلسان الحبشة القتل ، وقال الكرماني: هو إدراج من ابي موسى ، وقيل إن، اصل الهرج في اللغة العربية الاختلاط، يقال: هرج الناس اذا خلطوا واختلفوا، وعن الكشميهني انه قال في لفظ ((لأياما)) بالفظا اخر لمتن الحديث ((لأياما)) بالفظا اخر لمتن الحديث (لاياما ينزل فيها الجهل ، ويرفع فيها العلم...) نزول الجهل تمكنه برفع في الناس برفع العلم، ورفع العمل بموت العلماء، وهو معنى قوله: ويرفع فيها العلم.[٥٥]

الأثر التربوي المقتبس من الحديث " فضيلة العلم"

ماذا يصنع العلم؟ وما دوره ؟ في حياتنا كمسليمن نرى الكثير من المتعلمين لكن قله منهم واعين عدم العلم أي تفشي الجهل يكثر القتل معادلة حسابية رائعة قدمها لنا الحبيب المصطفى " صلوات الله عليه واله وسلم" في الحديث السابق أي (علم بلا وعي= جهل متفشي= قتل بلا وعي) واذا اردنا ان نعكس المعادلة تكون (علم واعي= ازدهار فكري= اسلام حقيقي) وهذا ما نحتاجه اليوم فنرى لفضيلة العلم في الإسلام (شواهده من القران كثيرة قوله عز وجل:" شهد الله انه لا اله هو والملا[٥٦]
في الايه بدا الله سبحانه وتعالى بنفسه وثنى بالملائكة وثلث بأهل العلم، وهذا شرفا وفضلا لهم.

جعل العلم مقارنا لدرجة النبوة وحط رتبة العمل المجرد عن العلم ، وان كان العابد لا يخلو من علم بالعبادة التي يواظب عليها ولولا لم تكن عبادة، وقال: صلى الله عليه وسلم " (فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب)[٥٧]

ومن وصايا لقمان لأبنه " يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فإن الله سبحانه يحيي القلوب بنور الحكمة كما يحي الأرض بوابل السماء).[٥٨]

ومن اداب العلم والعلماء ان تكون: النية لله تعالى ، وان يكون متواضعا، وان يعمل بعملة أي يعلم ويفيد الاخرين ((وقد ضرب الله مثلا للذين لا يعلمون بالعلم والوحي الذي انزل الله على نبيهم فشبههم بالحمار ، قال تعالى:[٥٩] ، أي كلفوا الاهتداء بها فلم يهتدوا ولم يعملوا بمقتضاها ([٦٠] وهو لايفقه شيئا

منها لا يعرف الغاية من حملها وليس له منها الا ثقلها فهؤلاء شبههم الله بالحمار ، لانهم حجبوا عقولهم عن التفكير في ايات الله ، والتفقه في هدفها، وعما يطلب تحقيقه منها في ضمائرهم وسلوكهم وحياتهم لتكون مواقفة لها))[٦١]. اذن علينا بالعلم اذا اردنا النجاة.

المطلب الثاني/ الحديث الثاني

عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " تكون الفتنة تستنظف العرب قتلاها في النار اللسان فسها اشد من السيف"[٦٢]

شرح الحديث

قوله (تستنظف العرب) هو بالظاء المعجمة، أي تستوعبهم هلاكا(قتلاها في النار) مبتدأ وخبر ، وإنما كانوا في النار لأنهم ما قصدوا بالقتال إعلاء كلمة الله ودفع الظلم او إعانة اهل حق ، وإنما قصدوا التباهي والتفاخر وفعلوا ذلك طمعا في المال والملك (أشد) أي أكثر إيقاعا لها[٦٣]

الأثر التربوي- المقتبس من الحديث (حفظ اللسان)

اللسان سلاح ذو حدين أما يأخذنا للجنة او يجعلنا من اهل النار، والانسان مسؤول عن كل كلمه يتكلم بها ، قال تعالى[٦٤] عن ابي هريرة (رضي الله عنه) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال : ان العبد ليتلكم بالكلمة مايتبين مافيها يهوي بها في النار او بعدما يتبين المشرق والمغرب[٦٥] قوله: (ما يتبين مافيها) أي لا يتدبرها ولا يتفكر في قبح معناها،وما تؤدي اليه من شر او كفر ، كالكلمة عند ذي السلطة يرضيه بها فيما يسخط الله تعالى، او كلمة مكفرة وان لم يعتقد ذلك لمباشرته بلسانه الكفر)[٦٦] وحفظ اللسان من حسن الخلق احب الي من ان يصحبني عابد سيء الخلق)،[٦٧] (وان خطر اللسان عظيم ولا نجاة منه الا بالنطق بالخير ، فعن النبي(صلى الله عليه وسلم) انه قال: (لايستقيم ايمان العبد حتى يستقيم قلبه ، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه، ولا يدخل الجنة رجل لا يأمن جاره بوائقه)[٦٨] وقال (معاذ بن جبل) قلت (يارسول الله انؤاخذ بما نقول)؟ فقال :(يا ابن جبل وهل يكب الناس في النار على مناخرهم الا حصائد السنتهم)[٦٩] وكان (ابن مسعود) رضي الله عنه يقول: (يالسان قل خيرا تنعم واسكت عن شهر تسلم من قبل ان تندم) وعنه(صلى الله عليه وسلم) من كف لسانه ستر الله عورته، ومن ملك غضبه وقاه الله عذابه ، ومن اعتذر الى الله عذره)[٧٠]وقال صلى الله عليه وسلم (ومن كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليقل خيرا او ليسكت)[٧١] وعنه عليه الصلاة والسلام: (اخزن لسانك الا من حير فإنك بذلك تغلب الشيطان)[٧٢]....)[٧٣]

ومن جمل افات اللسان (الكذب ، النميمة، الكلام في ما لا يعني، وفضول الكلام ، وشهادة الزور، والقذف وهو من السبع الموبقات، والسب والشتم والسخرية بالمؤمنين، واللعن، والغيبة، والخوض بالباطل) كل هذه الافات مخيفة ولها عواقب وخيمة وكل واحدة لها ايات قرانية واحاديث نبوية ولكن ساكتفي فقط بافة (الخوض بالباطل) وهي افة خطرة جدا نرى ما نرى اليوم من هذه الافة ولقد سبق

الإشارة ولو بالقليل في المطلب الأول (فضيلة العلم) نحن حقيقة مبتلوم بهذه الافة (وهي الكلام في المعاصي كحكاية أحوال النساء ومجالس الخمر ومقامات الفساق وتكبر الجبارة ومواسمهم المذمومة واحوالهم المكروهه فإن ذلك مما لا يحل الخوض فيه... وأنواع الباطل لا يمكن حصرها ... الا بالاقتصار على ما يعني من مهمات الدين والدنيا وفي الحديث: " اعظم الناس خطايا يوم القيامة اكثرهم خوضا في الباطل"[٧٤] واليه الإشارة بقوله تعالى[٧٥]...[٧٦] وكما نرى اليوم بلدان أحرقت بكاملها بسبب (اللسان)!!!

المطلب الثالث/ الحديث الثالث

عن انس رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ما بعث نبي الا انذر امته الأعور الكذاب الا انه اعور وان ربكم ليس بأعور وان بين عينيه مكتوب كافر) [٧٧]

شرح الحديث

قوله صلى الله عليه وسلم (مكتوب بين عينيه كافر ثم تهجاها فقال ك ف ر يقرأ كل مسلم) هذا في إضافة لمتن اخر لنفس الحدبث أي (التهجئة) ،وفي رواية يقرأه كل مؤمن كاتب وغير كاتب الصحيح الذي عليه المحققون ان هذه الكتابة على ظاهرها وانها كتابة حقيقة جعلها الله اية وعلامة من جملة العلامات القاطعة بكفره وكذبه وابطاله ويظهرها الله لكل مسلم كاتب وغير كاتب ويخفيها عمن أراد شقاوته وفتنة و لا امتناع في ذلك وذكر القاضي فيه خلافا منهم من قال هي كتابة حقيقية ومنهم من قال هي مجاز وهذا مذهب ضعيف.[٧٨]

الأثر التربوي المقتبس من الحديث هو (التقوى)

اذا اردنا النجاة ومعرفة الدجال والمنافق الذي يعيش بيننا اذن علينا بالتقوى فلقد كثر الدجال وكثر النفاق وظهر الكثير ممن يدعون الإسلام وهم غير مسلمون مستترين بلباس الدين ، فقال تعالى:[٧٩]

وقال تعالى[٨٠] والتقوى هي الفوز قال تعالى [٨١]والتقوى هي الجنة، قال تعالى[٨٢]

والتقوى هي الرحمة قال تعالى [٨٣] وهي النصر قال تعالى: [٨٤] وهي اصلاح والإصلاح ، قال تعالى..([٨٥]

عن حذيفة، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الدجال اعمى العين اليسرى جفال الشعر معه جنة ونار . ناره جنه وجنته نار[٨٦]. اذا اردنا معرفة الدجال علينا بالتقوى ، قال تعالى [٨٧].. وحتى نكون متقين علينا بالدعاء والعفو والصفح ورفقة الصالحين وتعظيم شعائر الله والصدق والالتزام باوامر الله واجتناب معاصيه والعمل بالعلم كما اشرنا بالمطلب الأول وأيضا كف اللسان وحفظه من التقوى كما مر بالمطلب الثاني ومن التقوى الاتحاد ، (فالمؤمن يجمع ولا يفرق ، ويوحد ولا يعدد ، ويقرب ولا يبعد وييسر ولا يعسر ويمنع الاختلاف ويرفض التنازع ، ويترك التشديد ويهجر الافتراق ، وذلك لان الاعتصام

بحبل الله واجتماع الكلمة والبعد عن التفرقة والتنازع أساس التالف ولب النصر قلب العزة و عنوان القوة وطريق التقدم كما يقول تعالى.. [٨٨]

قال تعالى[٨٩]

ولان (جميع افراد المجتمع يربطهم مصير واحد الكل مصيرهم الى ربهم سيحشرهم اليه جميعا وليحاسبهم على كل أعمالهم ، وسيحكم بينهم في جميع خلافاتهم ، فهم يتقون ذلك اليوم الذي سيرجعون فيه الى الله) [٩٠]قال تعالى[٩١]

-الخاتمة-

١- ان المهدي عليه السلام : ليس قضية فقط ولا فكرة بل هو "عقيدة".

٢- دواءنا بايدينا نستطيع ان نتناوله ونشفى لكننا نحتاج الى إرادة الى رغبة حقيقية بالشفاء فنحن مسلمون ولدينا القران الكريم الكتاب الخالد الذي فيه علاج لكل مرض ولكل وضع لدينان الكثير من المشتركات فنحن شعب واحد ما ينقصنا هي الإرادة.

٣. (علماؤنا) هم بناء الوطن الحقيقيون فمتى اتحدوا وسخروا علمهم لمصلحة شعبنا علت اسوار البلاد وتماسكت.

٤. (المدرسة) لها حصة كبيرة في نهوض البلاد وازدهارها فهي تربي الأجيال نريدها ان تربيهم على الإخلاص في حب الوطن وعلى الاخلاق الحقيقية حسن الخلق والتقوى وحفظ اللسان وعلى العلم الواعي الحقيقي.

٥. (الاسرة) نواة المجتمع وصلاحه فمن النواة تكون البذرة ونهايتها تكون الثمرة نريد ثمار ناضجة محبة للخير والصلاح وتضحي للوطن وتسعى لعلوه وازدهاره.

هذا والحمد لله على توفيقه وعونه

المصادر

١- القران الكريم

٢- أصول الشيعه/ الميرزا موسى الاحقاقي الحائري/ المطبعة العلمية / النجف الاشرف ١٣٧٤ / الطبعة الأولى

٣- الاعلام/ لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس ، الزركلي الدمشقي / المتوفي ١٣٩٦/ هجري / دار العلم للملايين : ط ١٥

٤- الامثال السائرة من شعر المتنبي / الصاحب بن عباد/ تحقيق : الشيخ محمد حسن ال ياسين / مكتبة النهضة، بغداد سنة النشر ١٣٨٥ هجري/ الطبعة الأولى.
٥- تفسير بحر العلوم / لابو الليث نصر بن محمد السمرقندي / تحقيق/ محمد مطوجي ، دار الفكر ، بيروت.
٦- تنوير المقابس من تفسير ابن عباس / جمعة : مجد الدين الفيروز ابادي/ دار الكتب العلمية / لبنان.
٧- تفسير الجلالين / لجلال الدين السيوطي وجلال الدين المحلي/ دار الحديث القاهرة / الطبعة الأولى.
٨- التفسير الكبير ومفاتيح الغيب / للامام محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الرازي ٥٤٤-٦٠٤ هجري دار الفكر ، بيروت (م-١٢)
٩- تفسير جامع البيان / لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير ، أبو جعفر الطبري / تحقيق/ احمد محمد شاكر / مؤسسة الرسالة/ الطبعة الأولى ١٤٢٠ -٢٠٠٠م
١٠- اعلام الورى باعلام الهدى / لشيخ أي علي الفضل بن الحسن الطبرسي / مؤسسة ال البيت عليهم السلام" لاحياء التراث.
١١- التربية بالترغيب والترهيب/ عبد الرحمن النحلاوي/ دار الفكر بيروت
١٢- التربية بضرب الامثال / عبد الرحمن النحلاوي دار الفكر بيروت
١٣- التربية بالحوار / عبد الرحمن النحلاوي/ دار الفكر بيروت
١٤- التربية بالقصة/ عبد الرحمن النحلاوي/ دار الفكر بيروت
١٥- تعلم القيم وتعليمها/ ماجد زكي الجلاد/ دار المسيرة.
١٦- الجامع لاحكام القران/ تفسير القرطبي/ أبو عبد الله محمد بن احمد شمس الدين القرطبي المتوفي : ٦٧١ هجري / تحقيق / احمد البردوني وإبراهيم اطفيش / الطبعة الثانية / دار الكتب المصرية / القاهرة.
١٧- خلق المؤمن الدكتورمصطفى مراد / دار الفجر للتراث / كلية الدعوة – جامعة الازهر.
١٨- العقيدة الإسلامية / الدكتور مصطفى سعيد الخن والدكتور محيي الدين ديب مستو/دار الكلم الطيب.
١٩- رسائل جامعية / اشراط الساعة / يوسف بن عبد الله بن يوسف الوابل / دار ابن الجوزي.
٢٠- علم النفس والقيم (رؤية ديناميكية) طارق كمال / مؤسسة شباب الجامعة.
٢١- عمدة القاري شرح صحيح البخاري/ أبو محمد بدر الدين العيني / دار احياء التراث العربي، بيروت

٢٢- كتاب الأديان دراسة تاريخية مقارنه / شدى عليان وسعدون الساموك/ مكتبة الوقف الحديثة/ الطبعة الأولى.
٢٣- سنن أبو داوود الامام الحافظ ابي داوود سليمان بن الاشعث المتوفي ٢٧٥ هـ ، ضبط / محمد بن عبد العزيز الخالدي / دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان.
٢٤- سنن ابن ماجه: الحافظ ابي عبد الله محمد بن يزيد القزويني المتوفي ٢٧٥ هـ ضبط احمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان
٢٥- سنن الترمذي المتوفي ٢٩٧هـ ضبطه وصححه / خالد عبد الغني محفوظ / دار الكتب العلمية بيروت / لبنان
٢٦- صحيح البخاري / الامام ابي عبد الله محمد بن سماعيل بن إبراهيم ابن المغيرة بن برذزية البخاري / الجعفي/ المتوفي ٢٥٦هـ ، ضبط النص / محمود محمد محمود / دار العلمية – بيروت لبنان.
٢٧- صحيح مسلم : للامام ابي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري المنيسابوري المتوفي ٢٦١هـ دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان
٢٨- حاشية السندي على سنن ابن ماجة – كفاية الحاجة في سنن ابن ماجه / محمد نور الدين السندي – دار الجبل ، بيروت الطبعة الثانية.
٢٩- مؤطا مالك / لانس بن مالك النجاري الخزرجي / تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي / دار الاحياء التراث العربي.
٣٠- ١ المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج / لابو زكريا محيي الدين النوري/ دار احياء التراث العربي ، بيروت / الطبعة الثانية
٣١- المستدرك على الصحيحين للامام الحافظ ابي عبد الله الحاكم النيسابوري / دار الكتب العربي، بيروت لبنان.
٣٢- موسوعة الشعر العربي / جميعها واعدها . علي بن نايف الشحود
٣٣- ملحمة قوافل النور (ملحمة شعرية) في سير النبي واهل بيته / حسين بركه الشامي / دار السلام.
٣٤- المستفاد من قصص القران / عبد الكريم زيدان/ مؤسسة الرسالة.
٣٥- موعظة المؤمنين من احياء علوم الدين / الشيخ محمد جمال الدين القاسمي الدمشقي / تقديم وتحقيق عاصم بهجة اليبطار/ دار النفاس.
٣٦- سلسلة موسوعة الاخرة/ اشراط الساعة العلامات الكبرى / ماهر احمد الصوفي / المكتبة العصرية / صيدا بيروت.

٣٧- ذخائر من القران والسنة في التربية والتهذيب / عبد الحميد محمود طهماز – دار القلم ، دمشق.
٣٨- نهج البلاغة / الشريف الرضي/ تحقيق الشيخ فارس الحسون / اعداد الأبحاث العقائدية.
٣٩- نظم الال في الحكم والامثال/ عبد الله فكري"باشا" – شرحه/ عبد المعين الملوحي – المكتبة العربية / مطبعة ابن زيدون ١٣٤٧هـ
٤٠- القران العظيم – للامام الطبراني : سليمان بن احمد أيوب الشامي / أبو قاسم / دار الكتاب الثقافي بالأردن / الطبعة الأولى ٢٠٠٨م
٤١- الانترنت WWW.ENJEEL.COM, و WWW.DORAV-ALIRAQ.NET و الغوغل الموسوعة الحرة GOOGEL

الهوامش:

[١] سنن ابي داود / اول كتاب المهدي – (١١-٣٥٧) – (ح ٤٢٦٠٥)
ومستدرك الحاكم (٤- ٥٥٧) ، وقال : (هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه)

[٢] رسائل جامعية (١) اشراط الساعة / يوسف بن عبد الله بن بن يوسف الوابل / الفصل الأول / (٢١٥)
وسلسلة موسوعة الاخرة/ اشراط الساعة العلامات الكبرى / ماهر احمد الصوفي / (٢٩-٣٦).

[٣] أصول الشيعة / الميرزا حسن بن الميرزا موسى الاحقاقي الحائري / الامام المهدي (٧٧).

[٤] ملحمة قوافل النور (ملحمية شعرية) في سيرة النبي ةاهل بيته / حسين بركة الشامي / دار السلام (١٤/ ٦٩٧).

[٥]موسوعة الاخرة/ اشراط الساعة العلامات الكبرى ماهر احمد الصوفي / المكتبة العصرية / صدا – بيروت / (٣٦ -٣٧)

[٦] سنن ابي داود / اول كتاب المهدي / الباب الأول / رقم الحديث / (٤٢٨٥).

[٧] ملحمة قوافل النور (ملحمة شعرية) في سيرة النبي واهل بيته / حسين بركة الشامي / دار السلام (١٤/ ٧٠٤ – ٧٠٣)

[٨] سلسلة موسوعة الاخرة / اشراط الساعة العلامات الكبرى / ماهر احمد الصوفي / المكتبة العصرية / صيدا – بيروت / (٢٧).

[٩] كتاب اعلام الورى باعلام الهدى تاليف الشيخ ابي علي الفضل بن الحسن الطبرسي الباب الأول / الفصل الأول (ص- ٢٧٩)

[١٠] ملحمة قوافل النور (ملحمة شعرية) في سيرة النبي واهل بيته / حسين بركة الشامي (١٤/ ٧٢٤)

[١١]الكتاب المقدس – العهد القديم / المزامير / اصحاح (٧٢) (WWW.ENJEEL.COM)

[١٢] الكتاب المقدس – العهد الجديد – انجيل لوقا / اصحاح ١٧ (٢٢- ٢٦) نفس الواقع

[١٣]الكتاب المقدس /سفر اشعياء في الاصحاح /٢ ايه: (٢) انترنت الموقع السابق؟

[١٤]محمد علي حسين الحلي : وهو مفسر للقران والكتب السماوية ولد في الحلة ١٩٦٠ م / وتوفى في الحلة عام ١٩٩١ م / الانترنت (WWW.DORAR-ALIRAQ.NET)

[١٥] الهندوس : وهي من الديانات الطبيعية او الفطرية البدائية تعود للاقوام متاخرة منشأها في الهند.

الصينيون : ويشتركون مع الهند بالديانتان (الكونفوشيوسية والداوية): وهي من الديانات الطبيعية او الفطرية البدائية تعود للأقوام متأخرة.

- كتاب الأديان دراسة تاريخية مقارنة / القسم الأول الديانات القديمة /لدكتوران/ شدى عليان وسعدون الساموك / ط١/ مكتبة الوقف الحديثة.

[١٦] سورة الأنبياء :"اية (١٠٥).

[١٧] سنن ابي داوود / اول كتاب المهدي/ الباب الأول/ رقم الحديث (٤٢٨٣)

[١٨] سورة النساء : اية (١٣٦).

[١٩] علي بن ابي طالب:(٢٣ق هـ ٤٠ =٦٠٠-٦٦١م): وهو علي بن ابي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القريشي ، أبو الحسن: امير المؤمنين رابع الخلفاء الراشدين وهو احد العشرة المبشرين بالجنة وابن عم النبي وصهره، واحد الشجعان الابطال ومن اكابر الخطباء والعلماء.
الاعلام(٢٩٥/٤).

[٢٠] جابر بن عبد الله: (١٦ق.هـ – ٧٨هـ =٦٠٧-٦٩٧): وهو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الخزرجي الانصاري السلمي: صحابثي من المكثرين في الرواية عن النبي صلى الله عليه وسلم/ الاعلام (١٠٤/٢)

[٢١] ثوبان: ولد(٥٤هـ -٦٧٤م) هو ثوبان بن يجدد، أبو عبد الله مولى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ثم اعتقه/ الاعلام (١٠٢/٢٠)

[٢٢] ابن عباس : (٣ق هـ -٦٨هـ=٦١٩-٦٨٧م) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القريشي الهاشمي ، حبر الامة الصحابي الجليل ، ولد بمكة له ١٦٦٠ حديثا/ الاعلام (٤-٩٥).

[٢٣] ابي سعيد الخدري (١٠ ق هـ٧٤هـ=٦١٣-٦٩٣هـ):سعد بن مالك بن سنان الخدريالانصاري الخزرجي، أبو سعيد:صحابي جليل، كان من ملازمي النبي صلى الله عليه وسلم ، وروى عنه احاديث كثيرة وله ١١٧٠ حديثا توفي في المدينة /الاعلام (٣-٨٧).

[٢٤] ابي هريرة (٢١ ق.هـ – ٥٩ هـ= ٦٠٢-٦٧٩م): هو عبد الرحمن بن صخر الدوسي صحابي ، كان اكثر الصحابة حفظا للحديث ورواية له اسلم سنة ٧ فلزم صحبة النبي، وروي عنه ٥٣٧٤ حديثا. / الاعلام (٣-٣٠٨).

[٢٥] هو شهاب الدين احمد بن علي بن حجر الهيثمي ، الفقيه الشافعي صاحب المصنفات، توفي بمكة سنه (٩٧٣هـ) ، وقيل (٩٨٤ هـ) رحمه الله / الاعلام (٢٣٤/١).

[٢٦] هو علي بن سلطان محمد نوري الدين الهروي، فقيه حنفي، سكن بمكة ، وبها توفي رحمه الله ، وله عدة مصنفات / الاعلام (٥-١٢).

[٢٧] هو محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابوية ولد بقم سنة ٣٠٦ هـ يعتبر من اكابر محدثي الشيعة الامامية وبلغت مصنفاته فوق المئتين / الانترنت (GOOGEL) الموسوعة الحرة.

[٢٨] وهو باقر بن شريف بن ناصر القرشي (١٣٤٤ هـ – ١٤٣٣ هـ) رجل دين ومؤرخ عراقي ، هو العراقي الوحيد الذي خصص له جناح بمكتبة الكونغرس الأميركية ، وهو مؤسس مكتبة الامام الحسن العامة / الانترنت / وكيبيديا الموسوعة الحرة (GOOGEL).

[٢٩] سنن ابي داوود / (٤/ ١٠٧) رقم الحديث (٤٢٨٤).

[٣٠] كتاب العقيدة الإسلامية / د. مصطفى سعيد الخن / دار الكلم الطيب/ (٥١٣٠)

[٣١]سورة المؤمنون / اية (١١٥).

[٣٢] سورة يس / اية (٨٢).

[٣٣] سورة النور الاية (٥٥).

[٣٤] تنوير المقباس من تفسير ابن عباس لعبد الله بن عباس / ج- مجد الدين أبو طاهر الفيروز ابادي – دار الكتب العلمية – لبنان (١-٢٩٨).

[٣٥] سورة الاسراء : اية (٨٤).

[٣٦]سورة الحج: اية (٧٧).

[٣٧]موسوعة الشعر الإسلامي / جمعها واعدها- علي بن نايف الشحود (٤-١٣٥).

[٣٨] سورة الرعد: ايه (٢٨)

[٣٩] سورة الاسراء: ايه (٢٣)

[٤٠] صحيح البخاري/ كتاب الجهاد والسير – باب: فضل الجهاد والسير. رقم الحديث (٢٦٣٠).

[٤١] سورة الانعام : اية ١٥٨.

[٤٢]تفسير الجلالين :-لجلال الدين محمد بن احمد المحلي(المتوفي: ٨٦٤ هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي (المتوفي : ٩١١هـ)ط /١ ، دار الحديث – القاهرة (١-١٩١)

[٤٣] سورة الزمر : اية ٢٠

[٤٤]تفسير السمر قندي- بحر العلوم (١٨١-٣).

[٤٥] سنن الترمذي / أبواب صفة الجنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، باب ٢٦٨٠/١٧. رقم الحديث

[٤٦] سورة آل عمران: ايه ١٠٤

[٤٧] نظم اللآل في الحكم والامثال – عبد الله فكري – باشا- شرحة عبد المعين الملوحي – دمشق (١/٣٢).

[٤٨] سورة الزمر: ايه(١٦).

[٤٩]تفسير الطبري –جامع البيان- ط١/ت: احمد محمد شاكر- مؤسسة الرسالة (٢٧٢-٢١)

[٥٠] سنن الترمذي/ أبواب صفة جهنم / باب ماجاء في صفة شراب اهل النار/ رقم الحديث (١٧١١) هذا حديث حسن صحيح.

[٥١]سورة القصص :اية (٥).

[٥٢] ينظر لتفسير الكبير ومفاتيح الغيب للامام محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر(٥٤٤- ٦٠٤) هجري (١٢/ ٢٢٦) دار الفكر، بيروت.

[٥٣] مستدرك الحاكم / كتاب الفتن والملاحم رقم الحديث ٨٦٧٤.

[٥٤] صحيح البخاري / كتاب الفتن/ باب ظهور الفتن- رقم الحديث (٦٦٥٦)

- وصحيح مسلم/ كتاب العلم / (٥) باب رفع العلم وقبضة/ رقم الحديث (١٠) (٢٦٧٢)، وسنن الترمذي/ أبواب الفتن / عن رسول الله صلى الله عليه وسلم/ باب ٢٩ ماجاء في الهرج / رقم الحديث ٢٢٩٦.

[٥٥] عمده القاري شرح صحيح البخاري / لابو محمد بدر الدين العيني/ دار إحياء التراث العربي، بيروت / (٢٤/ ١٨٣- ١٨٤).

[٥٦] سورة آل عمران / اية : ١٨

[٥٧] رواه الترمذي من حديث قيس بن كثير.

[٥٨]موعظة المؤمنين من احياء علوم الدين / لشيخ محمد جمال الدين القاسمي الدمشقي/ تقديم وتحقيق عاصم بهجة البيطار / دار النفاس/ (٤٢-٤٣).

[٥٩]سورة الجمعة / اية ٥

[٦٠] سورة الجمعة / اية ٥

[٦١] التربية بضرب الامثال / لعبد الرحمن النحلاوي / دار الفكر ، بيروت ٩٤

[٦٢] سنن الترمذي / كتاب أبواب الفتن / باب ١٤ ماجاء في الرجل يكون في الفتن / رقم الحديث ٢٢٩٦

–وسنن أبو داوود// اول كتاب الفتن والملاحم / باب ٣ في كف اللسان / رقم الحديث ٤٢٦٥ وسنن ابن ماجه / كتاب الفتن / باب ١٢ في كف وسنن أبو داوود اللسان/ رقم الحديث(٣٩٦٧).

[٦٣]حاشية السندي على سنن ابن ماجه (كفاية الحاجة في سنن ابن ماجه). لمحمد نور الدين السندي دار الجبل–بيروت– ط٢ نفس صفحات الفكر (٢/٢٧–٤٧٢)

[٦٤] سورة ق/ ايه ١٨

[٦٥]صحيح مسلم/ في الزهد/ رقم الحديث ٢٩٨٨

[٦٦] ذخائر القران والسنة في التربيةوالتهذيب / لعبد الحميد محمود طهماز/ دار القلم–دمشق ٤٨

[٦٧] خلق المؤمن/ المصطفى مراد / كلية الدعوة – جامعة الازهر/ دار الفجر للتراث ١٨

[٦٨]اخرجه ابن ابي الدنيا في الصمت الخرائطي في مكارم الاخلاق.

[٦٩] سنن الترمذي / كتاب الايمان/ رقم الحديث ٢٦١٩

[٧٠] قال الحافظ العراقي: اخرجه ابن ابي دنيا من حديث عبد الله بن عمر بسند حسن.

[٧١]سنن ابن ماجه/ كتاب الفتن/ رقم الحديث ٣٩٧١

[٧٢] اخرجه الطبراني في مجمعه الصغير من حديث ابي سعيد.

[٧٣]موعظة المؤمنين من احياء علوم الدين / لشيخ محمد الدمشقي/ تحقق عاصم البيطار / دار النفاس ٢٨٢

[٧٤] قال الحافظ العراقي: اخرجه ابن ابي الدنيا من حديث قتادة مرسلا ورجاله ثقات.

[٧٥] سورة المدثر : ايى ٤٥

[٧٦]موعظة المؤمنين من احياء علوم الدين / لشيخ محمد الدمشقي/ تحقق عاصم البيطار /دار النفاس ٢٨٤

[٧٧] صحيح البخاري / كتاب الفتن/ باب ذكر الدحال رقم الحديث ٦٧١٢

- وصحيح مسلم / كتاب الفتن واشراط الساعة/ باب ٢٠ ذكر الدجال وصفته ومامعه رقم الحديث ٢٩٣٣

- وسنن الترمذي أبواب الفتن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم / باب ٤٦: ماجاء في الدجال / رقم الحديث ٤٣١٦

[٧٨] المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج / لابو زكريا محيي الدين النووي / دار احياء التراث العربي، بيروت ط٢ ١٨/ ٦٠–٦١)

[٧٩] سورة الفتح : اية ٢٦

[٨٠] سورة البقرة اية ٢١

[٨١]سورة الزمر اية ٦١

[٨٢] سورة الزمر : اية ٧٣

[٨٣] سورة يس اية ٤٥

[٨٤]سورة ال عمران اية ١٢٣

[٨٥]سورة الانفال اية ١

[٨٦] صحيح مسلم / كتاب الفتن واشراط الساعة باب ٢٠ ذكر الدجال وصفته ومامعه / رقم الحديث ١٠٤– ٤٩٣٤

[٨٧] سورة الطلاق اية ٢

[٨٨]حلق المؤمن / لمصطفى مراد / دار الفجر للتراث ٤٢٩

[٨٩]سورة المؤمنون اية ٥٢

[٩٠]التربية بالحوار / لعبد الرحمن النحلاوي/ دار الفكر ، بيروت ١٥١

[٩١]سورة ال عمران : اية ١٠٢

قلعة الموصل
بين مخاطر الاهمال والصراعات المسلحة

أ. د .نوال ناظم محمود
جامعة بغداد /كلية الآداب

قلعة الموصل بين مخاطر الاهمال والصراعات المسلحة

أ. د .نوال ناظم محمود

الملخص:

مدينة الموصل من مدن العراق المهمة وكان لها دور تاريخي وحضاري وعلمي في الدولة العربية الاسلامية .ومن اهم معالمها الحضارية قلعة الموصل –(باش طابيا)التي انشأت في القرن الثاني للهجرة.

وهي قديمة تقع في الجانب الايسر من مدينة الموصل على ضفة نهر دجلة الايسر ، وبنى حولها الحمدانيون سور في عام ١٨٠هـ /٧٩٦م ثم تعرضت إلى الهدم من قبل البساسيري في عام ٤٥٠هـ /١٠٥٨م ، واهتم بهذه القلعة الاتابكة حيث انها كانت الحصن الشرقي لدولتهم.

وتعتبر آثار القلعة من المواقع الاثرية في الموصل حيث تعتبر الجزء المتبقي من سور الموصل .

وتعرضت القلعة للاهمال وخاصة بعد ٢٠٠٣م حيث تعرض برج القلعة للسقوط .

وفي عام ٢٠١٥م تعرضت إلى القصف من قبل تنظيم داعش الارهابي مما ادى إلى اضرار في القلعة.

التسمية:-

يرجع اسمها الى اللغة التركية وتتألف من (باش – رئيسي) (طابيا – برج) ومعناها البرج او القلعة الرئيسية، لأنها تقع على أعلى نقطة في الموصل القديمة على ارتفاع ٧٥ قدماً من مستوى سطح البحر[١].

موقع القلعة:-

تقع في الجانب الايمن من مدينة الموصل على ضفة نهر دجلة الأيسر. ويعود تاريخها الى القرن الثاني للهجرة[٢].

الموصل في العصور الاسلامية الى ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨م

كانت الموصل وبقية بلدان الجزيرة واقعة تحت التسلط البيزنطي في فترة حروب التحرير للعراق والشام ولانتصار المسلمين في معركة القادسية في عام (١٥هـ/ ٦٣٦م). وتحرك الجيش البيزنطي بعد خوفهم الى تكريت ودخلوها[٣].

وعلم القائد سعد بن ابي وقاص (ت ٥٥هـ/ ٦٧٤م) وكتب الى الخليفة عمر بن الخطاب (١٣- ٢٣هـ/ ٦٣٤ – ٦٤٣م) يعلمه بأمر البيزنطيين، فكتب عمر (رض) لسعد بأن يرسل جيشاً بقيادة عبد الله[٤] بن المعتم.

وانتصر المسلمون على الروم، وارسل جيشاً الى الموصل بقيادة ربعي[٥] بن الأفكل العنزي، ودخلها عام ١٦هـ/ ٦٣٧م[٦]، ومن أجل ضمان الامن والاستقرار في المدينة وقد ولى امور الحرب الموصل ربعي بن الافكل وعلى الخراج عرفجة بن هرثمة[٧] (ت بعد ٣٤ هـ/ ٦٥٤م).

وقد مرت ادارة الموصل بمراحل متعددة وتطورات كثيرة في أثناء هذا العهد لاسيما كانت منطقتها مركزاً ادارياً مهماً منذ ازمان بعيدة، ولخطورة موقعها اصبحت مركزاً للفتوح. وامر عاملها عرفجة بتمصيرها واسكانها العرب[٨]. واصبحت مقراً ومركزاً لكثير من القبائل العربية[٩].

وازدادت اهمية الموصل في العهد الأموي وجعلت ادارتها الى كبار القادة والبارزين في البيت الاموي، وعين معاوية بن ابي سفيان (٤١ – ٦٠ هـ/ ٦٦١ – ٦٨٠م) عبد الرحمن بن عثمان الثقفي[١٠] وفي سنة (٦٦هـ/ ٦٨٥م) اصبحت تحت سلطة المختار الثقفي (ت ٦٧هـ/ ٦٨٦م).

وكان عامله على الموصل عبد الرحمن بن سعيد[١١] بن قيس الهمذاني[١٢]. وبعد القضاء على المختار وعلى مصعب بن الزبير[١٣] (ت ٧٢هـ/ ٦٩١م) اعطى عبد الملك بن مروان (٦٥- ٨٦هـ/ ٦٨٥- ٧٠٥م) الموصل الى اخيه محمد[١٤] بن مروان[١٥]. وبعد ذلك عين ابنه سعيد بن عبد الملك والياً عليها ليتفرغ محمد بن مروان الى ارمينية واذربيجان، واهتم بها الخليفة هشام بن عبد الملك (١٠٥ – ١٢٥هـ/ ٧٢٤ – ٧٤٣م) كثيراً ويعود الى انه كان مقيماً مع عمه واخيه سعيد وقد كانوا ولاة عليه[١٦] ، وفصلت الموصل عن ادارة ارمينيا واذربيجان (محمد بن مروان) ولكن في عام ١٢٦هـ /٧٤٣م رجعت الموصل إلى الادارة المركزية ضمن ولاية الجزيرة وارمينيا واذربيجان[١٧].

لقد كان اقليم الجزيرة الذاتية ومن ضمنها مدينة الموصل في حالة الاضطراب السياسي وعدم الاستقرار في اواخر عهد الامويين وشاركت القبائل الموصلية في الصراع ضد خلافة مروان بسبب سياسته القبلية. وقد فتحت الموصل ابوابها للعباسيين بقيادة عبد الله بن علي العباسي[١٨].[١٩] وعين العباسيين والياً على الموصل عام ١٣٣هـ/٧٤٩م هو محمد بن صول[٢٠]، وكان واليها خثعم. وقد امتعضت القبائل[٢١]. واستجاب الخليفة ابو العباس السفاح لرغبة أهل الموصل وعين اخاه يحيى بن محمد[٢٢] وأبقى ابن صول قائداً عسكرياً للموصل ففتك بأهلها[٢٣]. ووصل الخبر إلى الخليفة وولى عمه اسماعيل بن علي والياً على الموصل من سنة (١٣٤- ١٤٢هـ/٧٥٠ – ٧٦٠م)[٢٤].

وقد اصبح الخلفاء العباسيين حذرين في تعيين الولاة على الموصل، حيث أخذ الخلفاء اخيارهم من العباسيين الثقاة، وبعد سنة (٢٩٣هـ/ ٩٠٥م) حدثت تحولات سياسية اصابت وحدة الدولة وادت الى ظهور دويلات[٢٥]. ومنها ما قامت في الموصل منها حكم الحمدانيين (٢٩٣ – ٣٨١هـ/ ٩٠٥- ٩٩١م) وبنو عقيل عام (٣٨٠ – ٤٨٩هـ/ ٩٩٠ – ١٠٩٥م)، والسيطرة السلجوقية عام (٤٨٩ – ٥٢١هـ/ ١٠٩٥ – ١١٢٧م)، وعهد الدولة الاتابكية (٥٢١هـ- ٦٦٠هـ/ ١١٢٧ – ١٢٦٢م) [٢٦]. وأصبحت القلعة عاجزة لمواجهة الاحتلال المغولي سنة ٦٦٠هـ/١٢٦١م[٢٧]

بناء القلعة:-

انشئت القلعة في عام ١٢٦ – ١٢٨هـ / م، من قبل مروان بن محمد الاموي (ت ١٣٢هـ/ م)[٢٨]، وبقيت على بنائها حتى جاء الحمدانيون وبنوا سور للموصل في عام (١٨٠هـ/ م) [٢٩].

وقد تعرضت الى الهدم من قبل البساسيري[٣٠] في عام (٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م) عندما حاصرها اربعة أشهر واستولى عليها[٣١].

وقد اعيد اعمارها من قبل شرف الدولة العقيلي[٣٢] (٥٨٧هـ/ ١٠٨٥م).

ولم ترد بعد ذلك أي اشارة عن المادة بناء هذه القلعة خلال حكم بني عقيل[٣٣] (٣٨٥- ٤٨٩هـ/ ٩٩٠ – ١٠٩٥م) واغلب الظن القلعة اعيد بناؤها في العهد السلجوقي على يد الامير جكرمش[٣٤] الذي عرف بحرصه واهتمامه بتحصين الموصل وبناء الاستحكامات العسكرية، حيث شرع في تعمير السور وبناء فصيل عليه فضلاً عن قيامه بحفر الخندق[٣٥].عندما عمر الموصل في عام ٤٧٤هـ/ ١٠٨١م[٣٦].

واهتم الاتابكة بالقلعة في عهد السلطان عماد الدين زنكي[٣٧] (٥٤١هـ/ ١١٤٦م) وابنه نور الدين زنكي[٣٨] (ت ٥٦٩هـ/ ١١٧٤م) في القرن الخامس الهجري وكانت الحصن الشرقي للدولة الاتابكية[٣٩].

وأما وزير السلطان سيف الدين غازي بن قطب الدين مودود (٥٤٤هـ/ ١١٤٩م) فخر الدين[٤٠] عبد المسيح [٤١] (٥٦٣ – ٥٦٦هـ/ ١١٦٦- ١١٧١م) ممن اهتموا بعمارة القلعة فرمم سورها واحكم ابراجها وجدد ما تهدم من مرافقها[٤٢]. وقد بقيت القلعة عامرة حتى سنة (٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م) حيث حاصر الموصل سنداغو[٤٣] ونصب عليها المنجنيقات وتحصن في القلعة وشدد المغول الحصار ورموها بالاحجار والنار ففتحوا المدينة وهدموا قلعتها واصبحت خراباً[٤٤].

وصف القلعة:

تعد من أهم القلاع التي شيدت في مدينة الموصل وأقدمها ،وتقع شمال دار الامارة وتشرف على الميدان والبلد ونهر دجلة . وتعتبر مركز الدفاع للمدينة وقد بنيت من الاجر والجص (في العصر الاتابكي). وهي معقل للجيش ومستودع الذخيرة والبروج والعددوالخيول ولوازم الحرب. ويحيط بها سور محكم البنيان والبروج ، ويحيط السور خندق يفصل القلعة عما يجاورها من الاراضي. وللقلعة باب او اكثر تبعاً لسعتها، ولها باب رئيسي يفتح في النهار ويعد المدخل الوحيد للاتصال بحامية القلعة. وكان لها باب سري صغير يؤدي الى النهر ينزل فيه بدرجات تبنى داخل النفق وهو يقوم مقام الباب السري[٤٥].

وقد زارها ابن جبير سنة (٥٧٩هـ/ ١١٨٣م) وصف القلعة قائلاً: (وفي اعلى البلد قلعة عظيمة قد رص بناؤها، يحيط بها سور عتيق البنية مشيد البروج تتصل به دور السلطان)[٤٦] وهذا مما يدل على ان القلعة قريبة من قصر السلطان.

واصبحت في العهد الاتابكي، واسعة تتسع لكثير من الحيز فيها مخازن للمؤن والعتاد ولوازم الحرب، وكانت القلعة تمتد من باش طابية الحالية الى دور المملكة ولها ابواب اشهرها هو باب القلعة

المؤدي الى الميدان يقابل الغرب وباب السر المؤدي الى النهر من جهة عين كبريت وهو امنع ابوابها(٤٧).

اما الميدان يقع في المنطقة المحصورة بين السور العقيلي والسور الاتابكي وهو ارض واسعة خالية من العمارة اتخذت ميداناً لتدريب الجيش وفي وسطه كشك يشتمل على غرف يشرف منها الاتابك على اعداد الجيش، وفي المدينة شارع واسع يمتد بموازاة السور العقيلي ويفصل دور المملكة والقلعة عن البلد(٤٨).

وظيفة الدزدار (٤٩)(نائب الاتابك)

كان منصب الدزدراء من المناصب المهمة في ولاية الموصل فكانت تقع عليه عبء حماية المدينة والدفاع عنها في أوقات الخطر، فهي المركز الرئيسي للدفاع عن المدينة بعد الاسوار وما يكتنفها من ابراج، وما يحيط بها من خنادق. ولذا اصبح الدزدار (حامي القلعة) الشخصية الثانية بعد الامير تقع عليه مسؤولية حماية المدينة والاشراف المستمر على احكام تحصينها وتفقد منشآتها العسكرية وتهيئتها للدفاع عن المدينة(٥٠).

ولقد توسعت صلاحياته فأصبح يجمع بين النيابة (نائب الامير) وقيادة الجيش فضلاً عن جمع الضرائب وجباية الاموال مما دفع بعضهم الى الاستبداد بأمور الولاية والسيطرة عليها(٥١). وخاصة اذا ما توفي الامير وخلف ولداً صغيراً يبادر الدزدار بتنصيبه ليستأثر هو بالحكم الفعلي دونه(٥٢).

وكان الولاة يختارون لحراستها اكفأ امراء العسكر المعروفين بالشجاعة والدراية وشؤون الحرب، وكان يطلق عليه (دزدار القلعة)(٥٣).

من امراء قلعة الموصل:

١- عين عماد الدين زنكي سنة (٥٢١هـ/ ١١٢٧م) نصيرالدين دزدارية قلعة الموصل(٥٤).

٢- استثاب سيف ا لدين بقلعة الموصل مجاهد الدين قايماز(٥٥).

٣- وولى سيف الدين عام ٥٧٩هـ/ ١١٨٢م محمود زلفندار وابن ابي جبير حاجباً(٥٦).

٤- وعين عماد الدين زنكي قلعة الموصل (جاولي)(٥٧).

الإهمال والتخريب:

بالرغم من أهمية القلعة وبرجها الاثري في الركن الشمالي الشرقي منها الا ان الاهتمام بها من قبل دائرة الاثار لم يبال بتساقط اجزاء كبيرة منها، ويبدو ان واقع المدينة الان بعد سيطرة تنظيم داعش الارهابي عليها وهدمها بالكامل، وذكرت وزارة السياحة والآثار ان استهدافهم لبقايا القلعة الاثرية ليست بمزار او مرقد او تمثال يؤكد نهجهم الاجرامي ومشروعهم التخريبي لكل الموروث الحضاري.

الهوامش :

(١) الصائغ، القس سليمان، تاريخ الموصل، طبعة مصر، ١٩٢٣م، ج١، ص٦١- ٦٢.

(٢) موسوعة الموصل الحضارية، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل ١٩٩١م، ج٢،ص ٢ -٥ ،١٤٩.

(٣) الطبري، محمد بن جرير، (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م) تاريخ الرسل والملوك، ط٢، دار التراث، بيروت ١٣٨٧هـ، ج٤، ص٣٥.

(٤) عبد الله بن مالك العبسي وهو أحد التسعة الذين وفدوا على النبي (ص) من عبس وكان على احد المجنبتين يوم القادسية. ابن حجر، الاصابة في تمييز الصحابة، طبعة مصر ١٩٠٧م، ج٤، ص٥٢، رقم الترجمة (٤٩٣٦).

(٥) ربعي: فتح الموصل وتكريت وسيطر عليهما بمساندة القبائل العربية وتولى ولاية الموصل. ابن حجر، الاصابة، ج٢، ص٢٩، رقم الترجمة (٢٥٧١).

(٦) الطبري، تاريخ، ج٤، ص٣٦- ٣٧.

(٧) عرفجة، البارقي، وهو الذي جند الموصل ووالياها، الذي أمر عمر بن الخطاب به لعتبة بن غزوان لما ولاه ارض البصرة. الزركلي، خير الدين، الاعلام، دار العلم للملايين ٢٠٠٢م، ج٨، ص٨٢.

(٨) الطبري، تاريخ، ج٤، ص٣٧.

(٩) البلاذري، أحمد بن يحيى (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م)، فتوح البلدان، تحقيق: رضوان محمد رضوان، مطبعة السعادة، مصر ١٩٠٩م، ص٣٢٧.

(١٠) عبد الرحمن:- بن عبيد الله القرشي التميمي، وهو ابن أخ طلحة بن عبيد الله، اسلم يوم الحديبية وشهد اليرموك وكان من اصحاب الزبير بن العوام فقتل معه. ابن الاثير، عز الدين (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٠م)، اسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: علي محمد معوض وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ج٢، ص٧١.

(١١) من علية همذان وسلالة ملوكها وكان من كبار جيل التابعين وكان صاحب راية همدان في موقعة ا لجمل وصفين توفي سنة ٤٥ هـ. المسعودي، علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م)، مروج الذهب، اعتنى به كمال حسن مرعي، مكتبة لبنان ٢٠٠٥م، ص٢، ص٢٢.

(١٢) الطبري، تاريخ، ج٢، ص٦٣٥. الدينوري، أحمد بن داود، (ت ٢٨٢هـ/ ١٩٩٢م)، الاخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، دار احياء الكتب، القاهرة ١٩٦٠، ص٢٩٢.

(١٣) مصعب القرشي الاسدي، امير العراقين، لا رواية له، كان فارساً شجاعاً حارب المختار وقتله. الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٤، ص١٤١.

(١٤) بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، كان بطلاً شجاعاً داهية جباراً دوخ الخوارج في الجزيرة. الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٦، ص٧٥- ٧٧.

(١٥) البلاذري، فتوح البلدان، ص٣٢٨..

(١٦) الازدي، ابو زكريا يزيد بن محمد، (ت ٣٣٤هـ/ ٩٤٥م). تاريخ الموصل، تحقيق علي حبيبة، القاهرة ١٩٦٧م، ج٢، ص٢٤٠، ١٧٢، ٤٥٨.

(١٧) الازدي، تاريخ الموصل، ج٢، ص٥٦، الطبري، ج٣، ص١٨٧٢.

(١٨) عبد الله بن علي بن عبد الله، عم الخليفة ابو العباس والمنصور فتك بالامويين في معركة الزاب. طالب بالخلافة ايام المنصور فهزمه ابو مسلم الخراساني مات سجيناً توفي سنة ١٤٧هـ. ابن كثير، اسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م)، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت ١٩٩٠م، ج١٠، ص١٦٩.

(١٩) الازدي، تاريخ الموصل، ج١، ص١٣٣.

(٢٠) محمد بن صول، لا ترجمة له.

(٢١) الازدي، تاريخ الموصل، ج١، ص١٤٦.

(٢٢) يحيى بن محمد: امير عباسي اخو الخليفة السفاح والمنصور وقد ولاه اخوه السفاح على الموصل ثم على بلاد فارس توفي عام ١٣٥هـ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج٣، ص٩٢.

(٢٣) الازدي، تاريخ الموصل، ج١، ص١٤٥.

(٢٤) المصدر نفسه، ج١، ص١٧٧، ١٦٣.

(٢٥) ابو زكريا الازدي، تحقيق: علي حسين، القاهرة ١٩٦٧.

(٢٦) موسوعة الموصل، ج٢، ص٩٣، ١٠٢، ١٥٤.

(٢٧) ابن الفوطي ، الحوادث الجامعة ، ص٣٤٦ – ٣٤٧.

(٢٨) النعيمي، عبد الوهاب، مركز الدراسات الموصل، ص٥٠.

(٢٩) سيرة المؤيد في الدين، ص١٧٨ – ١٧٩.

(٣٠) البساسيري: ابو الحارث الملقب بالمظفر، ملك الامراء ارسلان التركي، من اهل نسا، خرج على الخليفة وكاتب الفاطميين وامدوه بالمال والسلاح واقام الدعوة بالعراق للفاطميين، قتل عام ٤٥١هـ. الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج١٨، ص١٣٢.

(٣١) حسين، محمد كامل، سيرة المؤيد في الدين، دار الكتاب المصري ١٩٤٩، ص١٧٨– ١٧٩.

(٣٢) شرف الدولة: مسلم بن قريش ابن ملك العرب كان صاحب الموصل وديار ربيعة وتعز. الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج١٨، ص٥٩٤.

(٣٣) بنو عقيل: سلالة حكام من بني عقيل من قبيلة عامر بن صعصعة، أحد فروع قبيلة هوازن القيسية المضرية، خدمت الحمدانيين وخلفتهم في حلب والموصل وقضى عليها السلاجقة.سعيد، عمر احمد، الامارة العقيلية في الموصل، مجلة دراسات موصلية، العدد ٣٩، ٢٠١٣م، ص٦٧.

(٣٤) جكرمش: هو حاكم الموصل وسبب عزله انه وعد السلطان بالخدمة والمال ولم يفي بوعده. ابن الأثير، الكامل، ج، ص٣١٩– ٣٢٠.

(٣٥) الديوه جي، سور الموصل، مجلة سومر، المجلد العاشر، ج١، ص١٠٠.

(٣٦) ابن الاثير، الكامل، ج١٠، ص٤٢٤.

([٣٧]) عماد بن الحاجب قسيم الدولة افتقر بن عبد الله التركي صاحب حلب، واصبح شحنكية بغداد في سنة ٥١٠هـ، كان بطلاً. الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٢٠، ص١٨٩- ١٩١.

([٣٨]) نور الدين، الملك العادل أبو القاسم محمود بن عماد الدين صاحب الشام وكان حامل راية العدل والجهاد. الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٢٠، ص٥٣٢ – ٥٣٣.

([٣٩]) ابن الاثير، علي بن ابي الكرم (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م)، الكامل في التاريخ، تحقيق ابو الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية ١٩٨٧، ج١٠، ص٤٢٤.

([٤٠]) فخر الين: عينه قطب الدين نائباً عنه في الموصل وحكمه في البلاد. ابن الاثير، الكامل، ج١١، ص٣٣١ – ٣٣٣، ابن الاثير الباهر، ص١٥٤.

([٤١]) سيف الدين بن عماد الدين الابن الاكبر خلف اباه في امارة الموصل، وكان صالحاً محباً للعلم مكرماً لاهله وبنى مدرسة في الموصل. الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٢٠، ص١٩٢- ١٩٣.

([٤٢]) موسوعة ا لموصل، ج٢، ص١٥٠.

([٤٣]) سنداغو: قائد مغولي الذي حاصر الموصل ودخلها وقتل اكثر اهلها. الخالدي، احمد، المدن والاثار الاسلامية في العالم، مطبعة دار المعتز، ص٨٤.

([٤٤]) موسوعة الموصل، ج٢، ص١٥٠.

([٤٥]) الديوه جي، سور الموصل، مجلة سومر، المجلد السابع والعاشر، ص١٠٠، موسوعة الموصل، ج٢، ص١٤٩.

([٤٦]) ابن جبير، محمد بن أحمد (ت ٦١٤هـ/ ١٢١٧م)، رحلة ابن جبير، تحقيق: حسين نصار، دار مصر للطباعة، ١٩٥٥م، ص٢١٠. ابن الأثير، الباهر، ص٧٧.

([٤٧]) الديوه، سعيد، الموصل في العهد الاتابكي، مطبعة شفيق بغداد، ١٩٥٨م، ص١١٨ – ١١٩.

([٤٨]) الديوه، سعيد، الموصل في العهد الاتابكي، ص١١٦- ١١٧.

([٤٩]) كلمة فارسية مكونة من مقطعين (دز) تعني القلعة و(دار) تعني الحافظ، فهي بذلك تطلق على محافظ القلعة. ابن خلكان، احمد بن محمد (ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م)، وفيات الاعيان، تحقيق: احسان عباس، دار صادر ١٩٧٢م، ج٣، ص٤٧٢.

([٥٠]) ابن الأثير، الكامل، ج١، ص٤٢٤. الجميلي، رشيد، امارة الموصل العصر السلجوقي، اطروحة دكتوراه غير منشورة، الاداب، القاهرة، ص٢٧٥.

([٥١]) ابن الفوطي، عبد الرزاق احمد (ت ٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م)، الحوادث الجامعة، تحقيق: مهدي النجم، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٢م)، ص٥٢. الجميلي، امارة الموصل، ص٢٧٦.

([٥٢]) ابن الاثير، علي بن ابي اكرم (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م)، التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية، تحقيق: عبد القادر احمد داليمات، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ص٩٠. الجميلي، امارة الموصل، ص٢٧٦.

([٥٣]) الديوجي، سور الموصل، ص١٠٠.

([٥٤]) الصائغ، تاريخ الموصل، ج١، ص١٦٣. ابن الاثير، الكامل، ج١٠، ص٢٤٥.

([٥٥]) الصائغ، تاريخ الموصل، ج١، ص١٨٤. ابن الاثير، الكامل، ج١١، ص١٨٩.

([٥٦]) الصائغ، تاريخ الموصل، ج١، ص١٩٠.

([٥٧]) ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج٣، ص٥١.

فتح الموصل ١٦ هـ

حملة القائد ربعي بن الافكل العنزي ١٦هـ

سور القلعة

برج القلعة

القلعة على ضفاف دجلة

قصف القلعة من قبل داعش٢٠١٥

المصادر والمراجع

المصادر:

١- ابن الاثير، علي بن ابي اكرم (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م) الكامل في التاريخ.

٢- ابن الاثير، علي بن ابي اكرم (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م)، التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية، تحقيق: عبد القادر احمد طليمات، دار الكتب الحديثة، القاهرة.

٣- ابن الاثير، علي بن ابي اكرم (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م) اسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت.

٤- الازدي، ابو زكريا يزيد بن محمد (ت ٣١٤هـ/ ٩٤٥م)، تاريخ الموصل، تحقيق: علي حبيبة، القاهرة ١٩٦٧.

٥- ابن حجر العسقلاني، احمد بن علي (ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م)، الاصابة في تمييز الصحابة، طبعة مصر ١٩٠٧م.

٦- ابن جبير، محمد بن أحمد (ت ٦٤١هـ/ ١٢١٧م)، رحلة ابن جبير، تحقيق: حسين نصار، دار مصر للطباعة ١٩٥٥م.

٧- البلاذري، احمد بن يحيى (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م)، فتوح البلدان، تحقيق: رضوان محمد، مطبعة السعادة، مصر ١٩٠٩م.

٨- ابن خلكان، أحمد بن محمد (ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م) وفيات الاعيان، تحقيق: احسان عباس، دار صادر، ١٩٧٢م.

٩- الدينوري، احمد بن داود (ت ٢٨٢هـ/ ٩٩٢م)، الاخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، دار احياء الكتب، القاهرة، ١٩٦٠م.

١٠- الذهبي، شمس الدين (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)، سير اعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٢م.

١١- الطبري، محمد بن جرير (ت ٣٠٠هـ/ ٩٢٢م)، تاريخ الرسل والملوك، ط٢، دار الفرات، بيروت ١٣٨٧هـ.

١٢- المسعودي، علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، اعتنى به: كمال حسن مرعي، مكتبة لبنان ٢٠٠٥م.

١٣- ابن كثير، اسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م)، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت ١٩٩٠م.

١٤- ابن الفوطي، عبد الرزاق احمد (ت ٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م) الحوادث الجامعة، تحقيق: مهدي النجم، دار الكتب العلمية، بيروت.

المراجع والدوريات

١- حسين، محمد كامل، سيرة المؤيد في الدين، دار الكتب المصرية ١٩٤٩م.

٢- الجميلي، رشيد، امارة الموصل في العصر السلجوقي، اطروحة دكتوراه غير منشورة، الاداب، القاهرة.

٣- الديوه جي، سعيد، الموصل في العهد الاتابكي، مطبعة شفيق، بغداد ١٩٥٨م.

٤- الديوه جي، سعيد، سور الموصل، مجلة سومر، المجلد العاشر.

٥- الصائغ، القس سليمان، تاريخ الموصل، طبعة مصر ١٩٢٣.

٦- سعيد، عمر احمد، الامارة العقيلية في الموصل، مجلة دراسات موصلية، العدد ٣٩، ٢٠١٣م.

٧- موسوعة الموصل الحضارية، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل ١٩٩١م.

كتابة التاريخ الاسلامي في المدينة والعراق

مقارنة بين مدرستين

Muslim Historiography at Al-Madina School and the School of Iraq

A Comparison between Two Schools

أ.م.د. طه جميل احمد النعيمي

كلية الآداب /جامعة بغداد

Dr. Taha Jameel Ahmed Al-Nuaimi
Assistant Professor, College of Arts-University of Baghdad

tahaabuanass@gmail.com

كتابة التاريخ الاسلامي في المدينة والعراق مقارنة بين مدرستين

أ.م.د. طه جميل احمد النعيمي

الملخص

ظهرت الكتابة التاريخية في وقت مبكر من التاريخ الاسلامي، واذا كان التدوين التاريخي ليس بجديد على الفكر العالمي قبل الاسلام ـ اذ عرفت كثير من الامم السابقة للاسلام ذلك النوع من الكتابة ـ فإن المسلمين فضلا عن تطويرهم لمناهج موجودة اصلا جاؤوا بمناهج جديدة ومواضيع وأنواع من الكتابة التاريخية لم تكن معروفة قبلهم، فعلى سبيل المثال كانت الكتابة التاريخية بحسب الطبقات مما ابدعه العرب ولم يسبقهم اليه غيرهم " وتقسيم الطبقات اسلامي اصيل، وقد يبدو انه اقدم تقسيم زمني وجد في التفكير التاريخي الاسلامي" ،وكذلك كانت كتب التراجم Biographical Dictionary " من نتاج العرب المسلمين وأهم مساهمة فكرية تقدموا بها... في علم التاريخ" وعلم التاريخ يمثل جزءا من الثقافة العربية فالمجتمع العربي ذو التكوين القبلي يفتخر بماضي آبائه وانسابهم وحروبهم ومكارمهم...، وعند ظهور الاسلام ظهرت نظرة جديدة للعالم فقد جاء القرآن " بنظرة عالمية للتاريخ تتمثل في توالي النبوات، وهي في الاساس رسالة واحدة بشر بها انبياء عديدون ، وكانت لهذه النظرة اثرها في التفات المسلمين للتاريخ وعنايتهم به، فالاسلام يدعو للتأمل فيما حدث للامم السابقة وهذا التأمل بحد ذاته هو نوع من الدراسة التاريخية الأمر الذي ترك الأثر الكبير في ظهور الكتابة التاريخية ومن ثم المدارس التاريخية Historical schools وكانت مدرستا المدينة Al–Madina ومدرسة العراق من اوائل تلكم المدارس، لذا اخترنا ان ندرس هاتين المدرستين لما لهما من اثر في ظهور وتطور عملية التدوين التاريخي Historiography في المراحل اللاحقة.

Abstract

Historical Writing emerged in early Islamic history, and if he historical blogging wasn't new to the world of thought before Islam -where many of nations pre Islam knew that kind of writing- Muslims have, in addition to their development of originally existing curricula; brought new curricula and themes and types of historical writing which were not known to them. For example, historical writing was done according to the classes created by the Arabs which weren't preceded by others " the division of classes is Islamic authentically, and it may sound like it is a chronological division found in the Islamic historical thinking ", and so the 'Biographical Dictionary' was a product of Arab Muslims and the most important intellectual contribution they have made in the s historiography ...".

الكلمات المفتاحية: التدوين التاريخي، المدينة المنورة، العراق، المدارس التاريخية، كتب التراجم

Key words: The historiography, Al-Madina, Iraq, Historical schools, Biographical Dictionary

المقدمة

ظهرت الكتابة التاريخية في وقت مبكر من التاريخ الاسلامي، واذا كان التدوين التاريخي ليس بجديد على الفكر العالمي قبل الاسلام ـ اذ عرفت كثير من الامم السابقة للاسلام ذلك النوع من الكتابة ـ فإن المسلمين فضلا عن تطويرهم لمناهج موجودة اصلا جاؤوا بمناهج جديدة ومواضيع وأنواع من الكتابة

التاريخية لم تكن معروفة قبلهم، فعلى سبيل المثال كانت الكتابة التاريخية بحسب الطبقات مما ابدعه العرب ولم يسبقهم اليه غيرهم " وتقسيم الطبقات اسلامي اصيل، وقد يبدو انه اقدم تقسيم زمني وجد في التفكير التاريخي الاسلامي"[١] ،وكذلك كانت كتب التراجم Biographical Dictionary " من نتاج العرب المسلمين وأهم مساهمة فكرية تقدموا بها... في علم التاريخ"[٢]، وعلم التاريخ يمثل جزءا من الثقافة العربية فالمجتمع العربي ذو التكوين القبلي يفتخر بماضي آبائه وانسابهم وحروبهم ومكارمهم...، وعند ظهور الاسلام ظهرت نظرة جديدة للعالم فقد جاء القرآن " بنظرة عالمية للتاريخ تتمثل في توالي النبوات، وهي في الاساس رسالة واحدة بشر بها انبياء عديدون "[٣]، وكانت لهذه النظرة اثرها في التفات المسلمين للتاريخ وعنايتهم به، فالاسلام يدعو للتأمل فيما حدث للامم السابقة وهذا التأمل بحد ذاته هو نوع من الدراسة التاريخية الأمر الذي ترك الأثر الكبير في ظهور الكتابة التاريخية ومن ثم المدارس التاريخية Historical schools وكانت مدرستا المدينة Al-Madina ومدرسة العراق من اوائل تلكم المدارس، لذا اخترنا ان ندرس هاتين المدرستين لما لهما من اثر في ظهور وتطور عملية التدوين التاريخي Historiography في المراحل اللاحقة.

وسنتناولنا في هذا البحث مجموعة من المؤرخين كنماذج تعبر عن هاتين المدرستين ولن ندخل في تفاصيل السير الذاتية لهذه النماذج إذ إن كثيراً من الباحثين كتبوا عنهم فضلاً عما جاء في كتب التراجم من كتابات تناولت حياتهم ونتاجاتهم وسنكتفي بالوقوف على المحطات البارزة والمهمة والتي شكّلت نقلات مفصلية في تكوينهم الفكري، كذلك سنحاول أن لا نثقل البحث بقائمة طويلة من المصادر والمراجع الا بقدر الحاجة اليها لأن هدف البحث معرفة منهج المدرستين وتحليل نتاجاتهما ونوعية ذلك النتاج، وسيتتبع البحث مرويات النماذج المختارة من خلال نقولات المؤرخين الكبار الذين ظهروا في زمن متأخر قياسا بمرحلة نشوء وتكون هاتين المدرستين وكذلك يهدف هذا البحث الى كشف العلاقة بين المدرستين ومدى تأثر احداهما بالأخرى والتعرف على نقاط الاختلاف بينهما وما اذا كان للبيئة الجغرافية والمرحلة الزمنية اثر في توجههما الوجهة التي استقرت كل منهما عليها، آملين التوصل الى نتيجة مُرْضية في نهاية البحث.

ـ مدرسة المدينة:

لعل من نافلة القول ان الدراسات الاسلامية المختلفة ومنها الدراسات التاريخية بدأت بجهود مشتركة من ذوي العلم، اذ كان المشايخ يجلسون في المساجد ويتحلق }يشكلون حلقة{ حولهم التلاميذ لينهلوا من علمهم وحيث ان المدينة المنورة كانت المكان الذي شهد بروز الاسلام كدين قوي وبروز المسلمين كأمة جديدة ودولة لها مؤسساتها فيما بعد لذا فأن الدراسات بدأت من هذا المكان وتفرعت فروعها منه، وفي كثير من الاحيان ينسب فضل نشوء وتأسيس هذه المدرسة الى الشخصية الشهيرة والمعروفة (عبد الله بن عباس) ابن عم الرسول.[٤]

ولقد اصبحت جملة من الموضوعات " في حقبة عصر الرسالة الشريفة ... في حكم الموضوعات الثابتة والمقبولة بل الراسخة في اذهاننا وفي كتاباتنا...".[٥]

ومن هذه الموضوعات ولا شك هو موضوع السيرة النبوية او ما عرف اصطلاحا بـ (المغازي) Al-Maghazi وهذا الموضوع او الميدان كان من الميادين التي ميزت هذه المدرسة التي قامت بدور اساس في نشأة وتطور علم التاريخ الاسلامي Islamic Historiography.

وحيث ان مدرسة المدينة هي مدرسة مغازي بأمتياز فقد اتصفت بمجموعة من السمات التي تركت اثرها البالغ على اتجاهات الكتابة التاريخية بقدر تعلق الامر بعصر الرسالة، ومن هذه السمات:

١- تمثل المدينة الارث الحضاري والفقهي للاسلام بما حفظته من اقوال وافعال واعمال الرسول وصحابته من مهاجرين وانصار وكان ذلك الارث القاعدة الواسعة لانطلاق مدارس نقل الحديث الشريف والسيرة والمغازي وعلوم القرآن وغيرها من العلوم.

٢- كانت المدينة وبناءً على ما تقدم الحاضنة الرئيسة للتدوين التاريخي لعصر الرسالة بما فيها من مرويات تخص سيرة ومغازي الرسول وما جرى فيها من احداث أعقبت وفاته لذا فإن التدوين التاريخي للسيرة النبوية والمغازي كان مديني الاصل في المادة والجمع والمرويات.

٣- تمثل مدرسة المدينة التاريخية امتداداً لمدرستها الفقهية المتمثلة بإجماع المسلمين وهي في الحقيقة تمثل رأي (أهل السنة والجماعة) تمثيلاً جيداً، اذ وافقت مروياتها التاريخية الأجماع السياسي الذي حدث بعد وفاة الرسول مباشرة وكان رواتها شخوص ذلك الأجماع.

نستطيع القول ان أثنين من رواد هذه المدرسة وهما عروة والزهري قد مَثّلا هذه المدرسة خير تمثيل والأول منهما هو عروة بن الزبير بن العوام (٢٢هـ -٩٤هـ/ ٦٤٢م-٧١٢م)[٦]، وهو أول من ألف في المغازي وتأتي أهميته من أنه أعتمد على مصادر لم يتسنَ لأحدٍ غيره الأعتماد عليها فهو أبن أخت السيدة عائشة وهو من آل الزبير تلك العائلة التي كان لها دورا مؤثرا في أحداث القرن الهجري الأول فكان لذلك اثره في نوعية المعلومات التي وفرها ومن ثم استقاها من بعده المؤرخون الكبار (خليفة بن خياط، البلاذري، والطبري...) وغيرهم من المؤرخين، ومن مميزات كتابات عروة خلوها من المبالغة والتعقيد، فرواياته بسيطة وصريحة، ولم يكن يُعنى بالسند (سلسلة الرجال) عناية كبيرة فكانت مروياته تُمَثّلُ حصيلة جهد جماعي في التحري عن اخبار الاسلام الأولى، ولقد أمضى عروة حياته بين الدرس والتدريس فكان يتتبع الحديث والعلوم وروى عن اعلام الحديث من رجال ونساء مثل السيدة عائشة واسامة بن زيد وعبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الله بن عباس وغيرهم، وكانت له صلات بالأمويين على الرغم من خلاف اخيه عبد الله معهم وتستوقفنا هذه النقطة بالتحديد فمن خلال العودة لسيرته نجده على علاقة طيبة بعبد الملك بن مروان ايام حكم معاوية ربما استثمرها بعد الصراع الذي نشب بين اخيه عبد الله وعبد الملك

على الخلافة " ولما قُتِل عبد الله بن الزبير خرج اخوه عروة بن الزبير هاربا من الحجاج حتى اتى الشام، فأستجار بعبد الملك فأجاره، وأظهر اكرامه وأقام عنده "، [٧]

وتناول عروة في مروياته حياة الرسول منذ بدء الوحي (بدء النبوة) وحتى وفاته، وقد أفاد من الوثائق المكتوبة والتي كانت لاتزال متوفرة في وقته، وكانت لمجهوداته الاثر البالغ في تكوين ونشأة الدراسات التاريخية وهو في الحقيقة أحد مؤسسيها.[٨]

وما نجده من مرويات في كتب المؤرخين الذي ظهروا في القرون التالية وتسند لعروة هي في الحقيقة أقدم ما وصل الينا من المدونات عن حياة النبي وأقدم ما كتب مما يمكن أن نسميه (تاريخ)، حيث جمع عروة أهم الحوادث التي حدثت للنبي وأرسلها كأجوبة لأسئلة لعبد الملك بن مروان ولقد أعتمد على الاسناد بشكله المبسط، وكثيراً مما نعرفه عن سيرة النبي اليوم نأخذ مادتها من مدوناته. [٩]

ويعتمد ابن خياط على عروة بن الزبير في تسعة مواضع يبدءها من هجرة النبي ووصوله الى المدينة[١٠] وينتهي بالرواية التي يتحدث فيها عروة عن عزل عمر بن الخطاب بعد توليه الخلافة لخالد بن الوليد عن الشام وتعيين ابو عبيدة عامر بن الجراح عليها.[١١]

اما البلاذري فما أخذه من روايات تاريخية عن عروة ينسجم مع منهجه في كتابه فتوح البلدان، حيث اقتبس عنه في احد عشرة موضعا بدءها بشكوى لرجل من الانصار قدمها للرسول يشتكي فيها له من الزبير بن العوام حول سقاية ارض زراعية[١٢]، وآخر رواية يأخذها عنه تتناول كيفية فتح مصر من قبل عمرو بن العاص.[١٣]

ويأخذ الطبري عنه اكثر من ستين رواية تتنوع في الطول والقصر ونوع المادة التاريخية التي تتضمنها وأول رواية يسندها الطبري لعروة تتناول عمر النبي عندما بُعِث،[١٤] وينتهي أخذه عن عروة برواية تتناول مقتل اخيه مصعب بن الزبير سنة ٧١هـ.[١٥]

ومن نظرة سريعة لمرويات عروة نرى انه تناول في معظم مروياته عصر الرسالة بشكل خاص ومن اعتمد عليه فيما بعد اهتم بأخذ ذلك العصر عنه لكون عروة كما هو معروف قريب للاحداث ولصانعيها الفاعلين، والمتفحص لمروياته برؤية يجده يذكر تفاصيلاً لم يستطع احد ممن جاء بعده الوصول اليها لا سيما اطلاعه على رسائلٍ ووثائق أُتلفت في العصور اللاحقة، لذا يُشكّل عروة علامة فارقة في تاريخ التدوين التاريخي وعمود رئيس من اعمدة مدرسة المدينة التاريخية.

وأما الثاني وهو أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري (٥٠هـ-١٢٤هـ/ ٦٧٠م-٧٤١م)[١٦]، فيعد مؤسس مدرسة المدينة التاريخية " إذ انه وضعها على اسس راسخة، ورسم وجهة الدراسة التاريخية فيها "[١٧]، ولقد أدرك الزهري أعلام المُحدّثين في عصره كأبان بن عثمان بن عفان وسعيد بن المسيب وغيرهما، وأخذ عنهم ولقد ساعدته ذاكرته القوية وكذلك قيامه بتدوين ما يسمعه على صحف في التفوق على ابناء جيله، اذ انه كان يكتب كل ما يتلقاه من شيوخه لذا فإنه يعد " أول مدوني التاريخ

الاسلامي كتب مغازي الرسول واعطى السيرة النبوية اطارها الذي نعرف الى اليوم وتناول عهد الراشدين ومطلع الايام الاموية بإسلوبٍ تقصى فيه الاخبار من اصحابها ".[١٨]

وعملية التدوين التي قام بها الزهري اعطته مكانة مرموقة بين الاخباريين حتى ان كثيرا من المحدثين اثنوا عليه ووثقوه " قال مالك بن انس ما ادركت فقيها محدثا غير ... ابن شهاب الزهري ... وقال سفيان مات الزهري يوم مات وليس أحد اعلم بالسنة منه ".[١٩]

ولقد ركز الزهري جهوده على السيرة النبوية والاحداث الاولى من التاريخ الاسلامي لا سيما عصر الخلفاء الراشدين وبدايات العصر الاموي، وصار كما يقول أحد المؤرخين البارزين: " مقدما في العلم بمغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبار قريش والانصار راوية لاخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه ".[٢٠]

وتمثل الروايات التي يقدمها الزهري الاتجاه العام في المدينة، واصبحت فيما بعد مصدرا اوليا للرويات التاريخية لدى المؤرخين الكبار، ومن خلال قيامه بتدوين ما يسمعه من شيوخه اضحى للكتابة التاريخية قيمة علمية في نظر علماء ذلك العصر كما انها حفظت لنا معلومات لم نكن لنعرفها لولا ذلك التدوين.

وتشير المعلومات المأخوذة من سيرته الى انه ارتحل هو الآخر الى دمشق وعاش في كنف الامويين لكنه مع ذلك كان قد " قضّى اعوام دراسته في المدينة، ووضع اساس ذلك العلم الذي أكسبه فيما بعد ... النفوذ العظيم في عاصمة الخلافة "[٢١]، وتكمن أهمية الزهري من انه دون ما كان يسمعه ولم يكتفِ بالتدوين بل جعل مدوناته في متناول الناس وكان منهجه انه يبدأُ بالاسناد ولكنه يهمله فيما بعد عند جمعه روايات متعددة عن حادثة واحدة ومن ميزات منهجه الاخرى ادخاله ما قاله المشتركون في الحوادث من ابيات شعرية.[٢٢]

ويأخذ ابن خياط اثنتا عشرة رواية عن الزهري كلها تتعلق بأحداث حدثت بعد هجرة النبي الى المدينة منها ستِ روايات لأحداث وقعت في عهد النبي تتضمن اسر المسلمين لأثنين من قريش قبل غزوة بدر[٢٣]، وبعض الأحداث الأخرى حتى وفاة النبي، وبعدها يأخذ عنه روايات تتعلق بجيش اسامة بن زيد[٢٤]، ويختتم أقتباساته عنه برواية عن أخذ معاوية البيعة لأبنه يزيد في سنة ٥١هـ.[٢٥]

ورواياته في فتوح البلدان للبلاذري لا تخرج عن اطار منهج الكتاب فهي تتعلق بطبيعة تعامل المسلمين مع الاراضي المفتوحة وكذلك عن بدايات تدوين الدواوين ومقدار ما حُدِد للمسلمين من عطاء، ومروياته عنه تقارب العشرين رواية منها رواية عن محاصرة النبي لبني النضير ومن ثم اجلاءهم[٢٦]، ورواية عن تدوين عمر للدواوين في المحرم من سنة ٢٠هـ[٢٧]، واخرها رواية عن مقدار العطاء الذي حدده عمر لأزواج النبي.[٢٨]

وتتجاوز مروياته عند الطبري المائة رواية يبدأُها برواية عن بدء الخلق وأن آدم قد خلق في يوم جمعة[٢٩]، ويستمر الطبري بالأخذ عنه بعد ذلك روايات اخرى تتعلق بأخبار الأمم السابقة للاسلام ورايات

عن الحوادث التي حدثت في الاسلام في عصري ارسالة والعصر الراشدي وكذلك روايات عن العصر الاموي منهيا أخذه عنه برواية عن وفاة الوليد بن عبد الملك في سنة ٩٦هـ. [٣٠]

لقد كان لعروة والزهري الدور الاساس في نشأة وتكون مدرسة المدينة التاريخية وتطورها بما قدماه من مادة صارت فيما بعد المصدر الرئيس لمادة التدوين التاريخي، ونظرا لمكانة المدينة المنورة من حيث كونها عاصمة الرسول والخلفاء الثلاثة الإول من بعده ومركز تجمع الرعيل الاول من المسلمين فقد اصطبغت هذه المدرسة بصبغة مميزة جعلتها تتوجه توجها معينا هو في اغلب الاحوال موافقا للتوجه السياسي الذي ساد خلال القرن الاول الهجري وهذا ما جعل بعض الكتاب يوجهون نقدهم لرجالاتها من خلال اتهامهم بعدم الحيادية وعدم الموضوعية[٣١]، وهذا النقد والاتهام لا يقلل شيئا من شأن هذه المدرسة فهي تبقى بشخوصها ورواتها أنموذجا للرواية التاريخية الاسلامية المبكرة.

ـ مدرسة العراق:

تمثل مدرسة العراق طورا اخر من اطوار تطور الكتابة التاريخية، فالعراق كان مهدا لمجموعة من الحضارات التي ظهرت عبر تاريخه الطويل وسيطرت عليه حضارات اخرى بفعل الغزو والاحتلال مما جعله ملتقىً لعدد من التيارات الثقافية، ومع بداية الاسلام كانت الثقافة الفارسية هي الثقافة المسيطرة بحكم السيطرة السياسية وفي الوقت نفسه لم يكن بعيدا عن الثقافة الهيلينية بحكم الموقع الجغرافي، ثم جاء الاسلام بثقافته الجديدة الامر الذي ادى ان " خمدت الثقافتان الأوليان أول الأمر وأفسحتا المجال للفكر الجديد القادم مع العرب المسلمين "[٣٢]. لكن هذا الخمود لم يكن الا خمودا مرحليا فالفكر المترسخ والثقافة التي تكونت عبر قرون عديدة لا يمكن محوهما بهذه السرعة، لذا نجد ان الفكر التاريخي الذي طبع مدرسة العراق التاريخية بدا واضحا تأثره بإجتماع تلكم الثقافات وتراكم ذلكم الأرث الحضاري الهائل الأمر الذي ميز هذه المدرسة عن سابقتها مدرسة المدينة المنورة.

ولقد برز في هذه المدرسة منذ نشأتها وحتى بلوغها أوج تطورها مجموعة كبيرة من المؤرخين سنقتصر على اثنين منهم لكونهما يمثلان هذه المدرسة خير تمثيل، الأول هو المدائني ابو الحسن علي بن محمد بن عبد الله ابن ابي سيف (١٣٥هـ-٢٢٨هـ/ ٧٥٢م-٨٣٨م)[٣٣]، ولد المدائني في البصرة وتوفي في بغداد والمدينتان كما هو معروف من كبريات المدن الاسلامية، وهو من مشاهير مؤرخي العراق ومن أغزرهم انتاجا في العصر الذي عاش فيه فقائمة مؤلفاته تزيد على المائتي كتاب ضمت ميادين متنوعة من مجالات الكتابة التاريخية ولقد صنف ابن النديم هذه المجالات في تسعة اصناف من بينها كتبه في اخبار النبي، وكتبه في اخبار قريش وكتبه في اخبار الخلفاء وكتبه في الفتوح وكتبه في الاحداث وكتبه في اخبار العرب[٣٤]، ومن خلال الاطلاع على تلك القائمة يمكن ملاحظة " اطلاع المدائني الواسع على التاريخ الاسلامي ... وقد رتبه على استخلاص الامور المتشابهة من خلال معلوماته الواسعة، وهي قدرة فريدة في بابها تعكس نوع الاهتمامات الثقافية السائدة في ذلك العصر".[٣٥]

ونجد المدائني ومن خلال انتاجه الضخم انه قد مال الى التخصص في كتاباته وذكر التفاصيل الدقيقة للحوادث من خلال رسائل قصيرة اقتصرت على معركة او على تراجم لبعض الافراد او وصف لعمل من الاعمال.[٣٦]

ويتسم منهج المدائني بالالتزام بمنهج اهل الحديث من حيث تشدده في ذكر مصادره ورواته وسلسلة أسانيده، كما انه اهتم اهتماما واضحا بمسألة تأريخ الاحداث التي يرويها اذ انه يذكر التوقيتات لتلكم الاحداث، واهتم كذلك بإيجاد رابطة بين الأنساب وحوادث التاريخ فضلا عن تتبعه اسماء قادة الحروب والمعارك وأنتماءاتهم القبلية وانجازاتهم العسكرية.[٣٧]

وهذه الدقة في إيراد الاسانيد وتتبع الحوادث أعطته نوعا من الثقة لدى الناس حتى عُدَّ من المحدثين عند بعضهم ووثَّقَهُ آخرون لا سيما اولئك الذين تصدوا لنقد الرجال فقال عنه يحيى بن معين: " ثقةٌ ثقةٌ ثقة ".[٣٨]

وكان لتنظيمه للمادة التاريخية المتوفرة لديه اثرا في قدرته على التألف التاريخي تلك القدرة التي لا يمكن ان تتكون الا من خلال الفكر المنظم المصحوب بسعة الأطلاع والصبر وتحمل مشاق البحث والتحري عن المادة الأولية وكل هذا جعل من المدائني " المصدر الرئيسي للمؤرخين التالين".[٣٩]

ولقد روى ابن خياط اكثر من ثمانين رواية عن المدائني شملت العصور الاسلامية من ولادة النبي[٤٠]، وحتى وفاة هارون الرشيد في مطلع جماى الآخرة من سنة ١٩٣هـ.[٤١]

ويعتمده البلاذري في اكثر من ثلاثين موضعا وكانت رواياته عنه موزعة على العصور المختلفة ويبدءها برواية عن نوسيع المسجد النبوي في عهد ابي جعفر المنصور في سنة ١٦٢[٤٢]، ورويات عن اساءة الحجاج للناس وأخذه اراضيهو بغير وجه حق[٤٣]، وأخرى تعريب الدواوين في العراق في عهد الحجاج ايضا.[٤٤]

وتقارب الرويات التي أخذها الطبري عن المدائني الثلاث مائة رواية، حيث يبدأ اخذه منه برواية عن إنفاذ ابو بكر لجيش أسامة بن زيد بعد وفاة النبي[٤٥]، وفي آخر رواية يقتبسها عنه يتحدث الطبري عن مجلس محمد الامين ابن هارون الرشيد قبل مقتله في سنة ١٩٨هـ.[٤٦]

والنموذج الثاني للمدرسة العراقية هو أبو عبيدة معمر بن المثنى (١١٠هـ – ٢١٣هـ/ ٧٢٨م – ٨٢٨م)[٤٧]، والذي أشتهر معرفته الواسعة بأخبار الجاهلية والاسلام، وكان يجمع معلوماته من الرواة والعلماء الذين يقدمون على المربد في البصرة وتمكن من خلال ذلك " أن يجمع من الروايات القبلية والمحلية والأسرية ما شمل حقل الروايات العربية الشمالية كاملة ".[٤٨]

ولقد ألف أبو عبيدة هو الآخر كماً هائلاً من الكتب تجاوز المائة كتاب[٤٩] واشتملت هذه الكتب على معارف مختلفة ففضلا عن اللغة والأدب اللذان عُرف بأهتمامه بهما فقد الف في مواضيع تاريخية متنوعة منها ايام العرب واخبارهم والفتوح والحروب المختلفة كحرب الجمل وصفين وغيرها وكذلك كتب كتابا عن

قضاة البصرة وأصبحت كتبه هذه مصدرا مهما لمن جاء بعده من المؤرخين اذ اعتمد عليه الطبري مثلا في كتابه التاريخ " اكثر من خمسين مرة".[٥٠]

ومن خلال تتبع مرويات ابو عبيدة نستطيع القول ان منهجه تميز بالحرص على ذكر سلسلة رواته ومصادره وبتحريه الدقيق عن اولئك الرواة الذين كانوا قريبي الصلة من الأحداث التاريخية، وكذلك كان حريصا على مسألة تحديد تواريخ الحوادث حيث كان يحرص على ذكر اليوم والشهر والسنة التي وقعت بها كل حادثة وهذا ما نجده في مروياته لدى الطبري في كتابه التاريخ (تاريخ الرسل والملوك)، ولم يكتفِ بهذا بل كان حريصا على تحديد اماكن الحوادث ومعالم تلك الاماكن من الناحية الجغرافية والعمرانية.

وتركز مرويات معمر في تاريخ خليفة بن خياط " على اخبار الفتوح في المشرق، كما تتناول بعض احداث البصرة وحركات الخوارج فيها، وهي مواضيع اهتم بها ابو عبيدة كثيرا وافرد لها مؤلفات خاصة".[٥١]

وفي فتوح البلدان ترد مجموعة من الروايات عن معمر منها مايتعلق بفتح البحرين " وقال معمر بن المثنى غزا العلاء بعبد القيس قرى ... في خلافة عمر بن الخطاب... "[٥٢]، وكل ما يرد من مروياتعنه تتعلق بهذا الجانب وهو الفتوح.

وروى عنه الطبري كما اسلفنا اكثر من خمسين رواية عن معركة ذي قار بين العرب والفرس[٥٣]، واخرى عن القبائل التي سكنت البصرة عند تمصيرها[٥٤]، وغيرها من الرويات.

وجملة القول فأن القارئ لما نقله الطبري وغيره من المؤرخين عن معمر بن المثنى يستطيع ملاحظة ان هذا المؤرخ يقدم معلومات تاريخية متماسكة ومتسلسلة وتتصف بوحدة الموضوع، وانه يهتم اهتماما بالغا في تحديد جغرافية الحوادث التي يقدمها للقارئ من حيث طبيعة الأرض ومناخها والمسافات بين المدن والمواقع المذكورة ضمن الحادثة التاريخية، وفي مواضيع الفتوح يحرص على ذكر طريقة فتح المدن هل فُتحت (صلحا أم عنوة)، لذا يمكن ان نقول ان ما يميز مرويات معمر بن المثنى الدقة في ايصال المعلومات التاريخية وهذه الدقة هي التي جعلت مؤرخين كبار مثل خليفة بن خياط والبلاذري والطبري وغيرهم من المؤرخين يعتمدون عليه وينقلون عنه في مواضع كثيرة.

ـ أوجه الشبه والاختلاف بين المدرستين:

من خلال استعراضنا لنموذجين أثنين من مدرسة المدينة التاريخية واثنين آخرين من مدرسة العراق التاريخية ومن خلال مقابلة تحليلية بين المدرستين نستطيع القول أن هناك مجموعة من المميزات التي جمعت بينهما وابرز هذه المميزات ان المدرستين قد تحرتا الدقة والمصداقية في ذكر الحوادث التاريخية ولكن كل بحسب وجهة نظره وفلسفته ورؤيته لتلك الحوادث، ومن نقاط الالتقاء حرص المدرستين والنماذج المختارة منهما (عروة، الزهري، المدائني، ومعمر) على ذكر سلسلة السند لكل حادثة أو رواية تاريخية وهو ما يعكس حرصهما على الظهور بمظهر الأمانة العلمية في نقل حوادث التاريخ الامر الذي يعزز

ثقة القارئ بما انتجته كل منهما من نتاج تاريخي كان المصدر الرئيس لكل معلوماتنا التاريخية التي لا زلنا نتداولها الى يومنا هذا.

أما عن اوجه الاختلاف فهي كثيرة وكثرتها تنبع من الفلسفة التي سارت عليها كلاً من المدرستين، فلقد سارت المدرستان في اتجاهين مختلفين " اتجاه اهل الحديث، والاتجاه القبلي "[٥٥]، ولقد كان للبيئة الجغرافية وللموروث الحضاري اثرهما في تميز هذين الاتجاهين، وفيما يخص المدينة المنورة فأننا نعلم قبولها للاسلام بسلاسة وترحيبها به وقتالها في سبيله من غير معارضة أو ممانعة أو جدال، وبعد وفاة النبي كان الاتجاه العام فيها لا يختلف كثيرا عما كان في عهده فقد تقبلت الواقع السياسي الجديد ودافعت عنه فظهر ما يعرف بـ (اهل السنة والجماعة)، وكان لهذا الاثر الواضح على هذه المدرسة ورجالاتها لذا نجد المرويات التاريخية التي يتبناها ممثلوا هذه المدرسة تتبع ذلك الاتجاه وهو اتجاه القبول وعدم المعارضة.

أما البيئة العراقية من حيث الجغرافية والسياسة والموروث الحضاري ناهيك عن التنوع القبلي المصاحب للفتوح والتنوع العرقي الموجود اصلا فهي تختلف اختلافا جذريا عن بيئة المدينة، فالعراق الذي كان موطنا لحضارات مختلفة وساحة لتجاذبات سياسية شتى كان لابد ان تترك اثرها على نوعية التفكير وطبيعة الكتابة التاريخية التي ظهرت فيه واذا ما أضفنا لذلك انه اصبح منطلقا لفتح مناطق اخرى نستطيع ان نفهم ان ما ألف من مادة تاريخية ستتلائم مع تلكم الاوضاع، لذا نجد اهتمام مدرسة المدينة التاريخية يتمحور حول السيرة النبوية بالدرجة الاساس وما تلاها من حوادث في محاولة منها لتبرير تلك الحوادث بشكل ينسجم مع الواقع السياسي ومع الاجماع الديني ومحاولة عدم اثارة ما يدعو لزعزعة ذلك الاجماع، في حين تتناول مدرسة العراق بالاضافة الى السيرة النبوية الفتوح والانساب والتراجم والطبقات وتواريخ المدن وغيرها من اشكال الكتابة التاريخية، وهذا التنوع الكبير في الانتاج التاريخي لهذه المدرسة وقلة انتاج مدرسة المدينة مقارنة به لا يعود الى عيب أو قصور في مدرسة المدينة بقدر ما ان هذه المدرسة لم تتح لها فرصة الاستمرار بفعل انتقال مركز الدولة الى الشام اولا ثم الى العراق في العصر العباسي هذا من ناحية ومن ناحية اخرى فإن مدرسة العراق قد افادت من وجود عدد ضخم من الكُتّاب والعلماء الذين ينتمون الى اصول مختلفة من ناحية الانتماء العرقي او السياسي او المذهبي وحتى الفلسفي واطلاع اولئك على ما انتجته الامم الاخرى سواء في مجالات التاريخ او غيره لا سيما بعد تصاعد وتيرة الترجمة خلال حكم المنصور والرشيد والمأمون الذي ازدهرت في عهده وبلغت اوجها وهذا جعل المؤرخين العراقيين ينظرون للماضي نظرة مغايرة لنظرة زملائهم مؤرخو المدينة، مضافا الى ذلك طبيعة الشخصية العراقية الميالة للجدل وعدم القبول والمعارضة لذا نجد ان المدرستين وان اجتمعتا حول صفات معينة تفترقان في كثير من الصفات.

ـ الخاتمة:

ان هذا البحث الذي عرضنا فيه لنموذجين من مؤرخي المدينة ونموذجين من مؤرخي العراق ما هو الا استمرار لجهود اساتذة كثيرون كتبوا في هذا الموضوع، وعلى الرغم من كثرة ما كُتب في هذا المجال فأن تطور الفكر التاريخي العربي وعلم التاريخ عند المسلمين لا يزال مجالا رحبا وارضا خصبة لمزيد من الدراسات والبحوث، و نستطيع القول ان بجثنا هذا يمكن ان يكون منطلقا لدراسة اكثر تفصيلا لهاتين المدرستين اذ تبين من خلاله وجود حاجة ملحة لتسليط الضوء على رجالات المدارس التاريخية الاسلامية وعلى نتاجاتهم الكثيرة والتي وصل الينا النزر القليل منها من خلال ما حفظته كتب المؤرخين الذين جاؤوا بعدهم.

ومن النتائج التي توصل اليها البحث ان هناك مجموعة من الميزات التي تميزت بها كل مدرسة عن غيرها وهذه الميزات تتبع طبيعة البيئة الجغرافية والحضارية والسياسية التي ظهرت كل مدرسة فيها، فمدرسة المدينة التاريخية كانت منسجمة مع بيئتها خاصة السياسية وهي لم تشأ الخروج عن الإجماع الذي عُرفت به المدينة ذلك الاجماع الذي جعلها نوعا ما بعيدة عن الحروب والثورات العنيفة واعطاها نوعا من الاستقرار والأزدهار والرخاء، اما البيئة العراقية الميالة للعنف والجدل فقد جعلت من مدرستها التاريخية انعكاسا لها فالعراق شهد جملة من الحوادث العنيفة والحروب الكثيرة والضنك الاقتصادي للسكان على الرغم مما يتوفر فيه من خيرات الأمر الذي انعكس على طبيعة التفكير والتأليف والكتابة التاريخية، ومن هذا نستطيع القول ان هاتين المدرستين يجب ان تحظيا بمزيد من البحث والدراسة.

لهوامش:

[١] – روزنتال، فرانز، علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة صالح احمد العلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٩م، ص ١٣٣.

[٢] – النقيب، مرتضى حسن، المؤرخ المبتدئ ومنهج البحث التاريخي، بغداد،١٩٩٩، ص٧٧.

[٣] – الدوري، عبد العزيز، نشأة علم التاريخ عند العرب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٧، ص١٧.

[٤] – مصطفى، شاكر، التاريخ العربي والمؤرخون _ دراسة في تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله في الاسلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط٣، ١٩٨٣،ج١، ص.ص ١٤٩-١٥١.

[٥] – ناجي، عبد الجبار، نقد الرواية التاريخية عصر الرسالة أنموذجا، منشورات الجمل، بغداد–بيروت، ٢٠١١،ص ١٠٣.

[٦] – ابن عساكر، ابو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله،(ت ٥٧١هـ/ ١١٧٥م)، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق محب الدين ابو سعيد عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، جـ ٤٠، ص.ص ٢٣٧-٢٨٦ ؛ابن خلكان، شمس الدين ابو العباس احمد بن محمد، (ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م)، وفيات الأعيان وانباء ابناء الزمان، تحقيق احسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧، جـ ٣، ص.ص ٢٥٥-٢٥٨؛ الصفدي، صلاح الدين خليل بن ايبك، (ت٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م)، الوافي بالوفيات، تحقيق احمد الارناؤوط وتركي مصطفى، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، جـ ١٩، ص.ص ٣٦١-٣٦٣.

[٧] – ابو حنيفة الدينوري، أحمد بن داود، (ت ٢٨٢هـ / ٨٩٥م)، الاخبار الطوال، تحقيق غبد المنعم عامر، سلسلة تراثنا، القاهرة، ١٩٥٩، ص ٣١٥.

[٨] – الدوري، نشأة علم التاريخ عند العرب، ص.ص ٥٣–٦٦؛ مصطفى، شاكر، التاريخ العربي والمؤرخون، جـ١، ص.ص ١٥٢–١٥٣.

[٩] – هورفتس، يوسف، المغازي الاولى ومؤلفوها، ترجمة حسين نصار، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٢، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، ص.ص ٣٨–٣٩.

[١٠] – ابن خياط، خليفة بن خياط العصفري، (ت ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م)، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق اكرم ضياء العمري، دار طيبة، الرياض، ط ٢، ١٤٠٥هـ/٢٠٠٥م، ص ٥٤،

[١١] – م.ن. ص١٢٢.

[١٢] – البلاذري، ابو العباس احمد بن يحيى بن جابر، (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م)، فتوح البلدان، تحقيق عبد الله انيس الطباع وعمر انيس الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص٢٠.

[١٣] – م.ن. ص٣٠٥.

[١٤] – ابو جعفر محمد بن جرير الطبري، (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط ٢، ١٩٦٨–١٩٧٦، جـ ٢، ص٢٩١.

[١٥] – م.ن. جـ٦، ص.ص ١٦٠– ١٦١.

[١٦] – ابن خلكان، وفيات الاعيان، جـ٤، ص.ص١٧٧–١٧٨؛ الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان بن قيماز (ت ٧٤٨هـ/١٣٧٤م)، سير اعلام النبلاء، تحقيق شعيب الارؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٢، جـ٥، ص.ص٣٢٦–٣٥٠؛ العواجي، محمد بن محمد، مرويات الأمام الزهري في المغازي، المدينة المنورة، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، جـ١، ص ص ٩٣–١٥٠.

[١٧] – الدوري، نشأة علم التاريخ عند العرب، ص ٦٧.

[١٨] – مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون، جـ١، ص ١٥٨.

[١٩] –ابن الجوزي، ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م)، صفة الصفوة، تحقيق طارق محمد عبد المنعم، دار ابن خلدون، الاسكندرية، بلا تاريخ، جـ١، ص٣١٧.

[٢٠]– الطبري محمد بن جرير، (٣١٠هـ/٩٢٢م)، المنتخب من ذيل المذيل، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ب.ت. ص ١٣١.

[٢١] – هورفتس، المغازي الاولى، ص ٧٦.

[٢٢] – م.ن. ص.ص ٨٠–٨٤.

[٢٣] – تاريخ خليفة بن خياط، ص ٦٣.

[٢٤] – ناريخ خليفة بن خياط، ص ١٠١.

[٢٥] – م.ن. ص٢١٣.

[٢٦]– فتوح البلدان، ص ٢٨.

[٢٧] – م.ن. ص٦٣١.

[٢٨] – م.ن. ص٦٣٨.

[٢٩] – تاريخ الرسلو والملوك، جـ ١، ص ١١٤.

[٣٠] – م.ن. جـ٦، ص ٤٩٥.

[٣١] – ينظر كتاب (نقد الرواية التاريخية – عصر الرسالة انموذجا – لمؤلفه د. عبد الجبار ناجي).

[٣٢] – مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون، جـ ١، ص ١٦٩.

[٣٣] – الطبري، تاريخ الرسل والملوك، جـ٩، ص ١٢٤؛ ابن النديم، محمد بن اسحق، (ت٣٨٥هـ/٩٩٥م)، الفهرست، تحقيق رضا- تجد، طهران، ١٩٧١، ص. ص١١٣-١١٧؛ الخطيب البغدادي، ابو بكر احمد بن علي بن ثابت، (ت٤٦٣هـ/ ١٠٧١م)، تاريخ مدينة السلام واخبار محدثيها وذكر قطانها العلماء من غير اهاها وواردیها، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، جـ ١٣، ص.ص ٥١٦-٥١٨.

[٣٤] – الفهرست، ص.ص ١١٣-١١٧.

[٣٥] – مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون، جـ ١، ص ١٨٨.

[٣٦] – روزنتال، علم التاريخ عند المسلمين، ، ص ١٠٠.

[٣٧] – ناجي، عبد الجبار، المدارس التاريخية الاسلامية – مدرسة البصرة انموذجا- بيروت، ٢٠١٣، ص ١٦٤.

[٣٨] – الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد مدينة السلام، جـ١٣، ص٥١٧.

[٣٩] – مصطفى التاريخ العربي، جـ ١، ص١٨٨.

[٤٠] – تاريخ خليفة بن خياط، ص ٥٢.

[٤١] – م.ن. ص ٤١٥.

[٤٢] – فتوح البلدان، ص ١٤.

[٤٣] – م.ن. ص٩٩.

[٤٤] – م.ن. ص.ص ٤٢١-٤٢٢.

[٤٥] – تاريخ الرسل والملوك، جـ ٣، ص ٢٤٠.

[٤٦] – م.ن. جـ ٨، ص.ص ٥٢٣-٥٢٤.

[٤٧] – ابن خلكان، وفيات الأعيان، جـ ٥، ص.ص ٢٣٥-٢٤٣؛ الذهبي، شمس الدين محمد بن احمدبن عثمان، (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٧٤م)، تذكرة الحفاظ، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد، ١٣٣٣هـ، جـ١، ص٣٣٨؛ الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، (ت ٨١٧هـ/ ١٤١٤م)، البلغة في تراجم أئمة النحاة واللغة، تحقيق محمد المصري، الكويت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص ٧٦.

[٤٨] – مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون، جـ ١، ص ١٩٨.

[٤٩] – ابن النديم، الفهرست، ص.ص ٥٨- ٦٠.

[٥٠] – مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون، جـ ١، ص ١٩٩.

[٥١] – العمري، اكرم ضياء، مقدمة التحقيق على كتاب تاريخ خليفة بن خياط، الرياض، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥، ص.ص ١٩-٢٠.

[٥٢] – البلاذري، فتوح، ص ١١٧.

[٥٣] – تاريخ الرسل والملوك، جـ ٢، ص ١٩٣.

[٥٤] – م.ن. جـ ٥، ص.ص ٥١٦- ٥١٨.

[٥٥] – الدوري، نشأة علم التاريخ عند العرب، ص ١٠٣.

المصادر والمراجع:

- البلاذري، ، ابو العباس احمد بن يحيى بن جابر، (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م)، فتوح البلدان، تحقيق عبد الله انيس الطباع وعمر انيس الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
- ابن الجوزي، ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م)، صفة الصفوة، تحقيق طارق محمد عبد المنعم، دار ابن خلدون، الاسكندرية، بلا تاريخ.
- ابو حنيفة الدينوري، أحمد بن داود، (ت ٢٨٢هـ / ٨٩٥م)، الاخبار الطوال، تحقيق غبد المنعم عامر، سلسلة تراثنا، القاهرة، ١٩٥٩.
- الخطيب الغدادي، الخطيب البغدادي، ابو بكر احمد بن علي بن ثابت، (ت٤٦٣هـ/ ١٠٧١م)، تاريخ مدينة السلام واخبار محدثيها وذكر قطانها العلماء من غير اهاها وورديها، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.
- ابن خلكان، شمس الدين ابو العباس احمد بن محمد، (ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م)، وفيات الأعيان وانباء ابناء الزمان، تحقيق احسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧.
- ابن خياط، ، خليفة بن خياط العصفري، (ت ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م)، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق اكرم ضياء العمري، دار طيبة، الرياض، ط ٢، ١٤٠٥هـ/٢٠٠٥م
- الدوري، عبد العزيز، نشأة علم التاريخ عند العرب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٧.
- الذهبي، الذهبي، شمس الدين محمد بن احمدبن عثمان، (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٧٤م)،
- تذكرة الحفاظ، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد، ١٣٣٣هـ.
- سير اعلام النبلاء، تحقيق شعيب الارؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٢.
- روزنتال، فرانز، علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة صالح احمد العلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٩م.
- الصفدي، صلاح الدين خليل بن ايبك، (ت٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م)، الوافي بالوفيات، تحقيق احمد الارناؤوط وتركي مصطفى، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
- الطبري، محمد بن جرير، (٣١٠هـ/٩٢٢م)،
- تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط ٢، ١٩٦٨-١٩٧٦.
- المنتخب من ذيل المذيل، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ب.ت

- ابن عساكر، ابو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله،(ت ٥٧١هـ/ ١١٧٥م)، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق محب الدين ابو سعيد عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.
- العواجي، ؛ العواجي، محمد بن محمد، مرويات الأمام الزهري في المغازي، المدينة المنورة، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.
- الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، (ت ٨١٧هـ/ ١٤١٤م)، البلغة في تراجم أئمة النحاة واللغة، تحقيق محمد المصري، الكويت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
- مصطفى، شاكر، التاريخ العربي والمؤرخون _ دراسة في تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله في الاسلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط٣، ١٩٨٣.
- ناجي، عبد الجبار،
- المدارس التاريخية الاسلامية – مدرسة البصرة انموذجا– بيروت، ٢٠١٣.
- نقد الرواية التاريخية عصر الرسالة أنموذجا، منشورات الجمل، بغداد–بيروت، ٢٠١١.
- ابن النديم، ابن النديم، محمد بن اسحق، (ت٣٨٥هـ/٩٩٥م)، الفهرست، تحقيق رضا– تجدد، طهران، ١٩٧١.
- النقيب، مرتضى حسن، المؤرخ المبتدئ ومنهج البحث التاريخي، بغداد،١٩٩٩.
- هورفتس، ، يوسف، المغازي الاولى ومؤلفوها، ترجمة حسين نصار، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٢، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

الاحكام الجنائية في الاديان السماوية الثلاثة

د. باسم محمد عبيس

الجامعة العراقية – بغداد

كلية العلوم الاسلامية

الاحكام الجنائية في الاديان السماوية الثلاثة

د. باسم محمد عبيس

Abstract:

The first topic, which was entitled "The Criminal Judgment in the Jewish Religion," included three demands. The first included "Definition of Judgment and Felony." In light of this requirement, I mentioned the definition of both judgment and felony. The second is "the definition of Judaism", in which it shows the definition of Judaism in language and convention, and the third is "examples of rulings mentioned in the Old Testament" and in it I dealt with some examples of the rulings mentioned in the Old Testament from the Bible.

The second topic, entitled "Models of Criminal Judgments in the Jewish Religion," and four demands. The first included "Legislation relating to the felony of theft and damage." The second: "Laws concerning the felony of retribution with punishment" In light of this requirement, she touched upon the most important texts contained in the Bible regarding the felony of retribution. The third "Laws Concerning the Felony of Punishment for the Adulterer", in which I dealt with the most important texts in the Bible regarding the felony of retribution for the adulterer.

The fourth "Execution of Punishments for the Perpetrator of Felonies", in which it states the penalties for the perpetrator of felonies in the Jewish religion.

Whereas the third topic, which was titled "Criminal Judgment in the Christian Religion", included two requirements, the first "Definition of Christianity", in which it mentioned the linguistic and idiomatic definition of Christianity. The second "Examples of judgments contained in the New Testament", in which I dealt with some of the provisions mentioned in the New Testament.

المقدمـــــــة :-

الحمد لله رب العلمين والصلاة والسلام على أشرف الانبياء والمرسلين نبينا وحبيبنا محمد بن عبد الله عليه وعلى آله وصحبه افضل الصلاة واتم التسليم احمد الله عز وجل وأسأل الله العظيم ان ينفعنا بما نقول ونسمع ...

أما بعد .

بحثي بعنوان " الاحكام الجنائية بين الاديان السماوية " وقد اقتضت طبيعة البحث ان اقسمه على ستة مباحث .

فأشتمل المبحث الاول والذي كان بعنوان " الحكم الجنائي في الديانة اليهودية " وعلى ثلاث مطالب الاول "تعريف الحكم والجناية" وذكرت في ضوء هذا المطلب تعريف كلاً من الحكم والجناية . والثاني "تعريف اليهودية" وبينت فيه تعريف اليهودية لغةً واصطلاحاً ، والثالث "نماذج من الاحكام الواردة في العهد القديم" وتناولت فيه بعض النماذج من الاحكام الواردة في العهد القديم من الكتاب المقدس .

في حين تضمن المبحث الثاني والذي حمل عنوان "نماذج من الاحكام الجنائية في الديانة اليهودية" وعلى أربعة مطالب الاول "شرائع تختص بجناية السرقة والضرر " وذكرت فيه اهم النصوص الواردة في الشريعة اليهودية فيما يخص جناية السرقة والضرر . الثاني "شرائع تختص بجناية القصاص بالجزاء" وتطرقت في ضوء هذا المطلب الى اهم النصوص الواردة في الكتاب المقدس بخصوص جناية القصاص بالجزاء . الثالث "شرائع تختص بجناية القصاص من الزاني" وتناولت فيه اهم النصوص في الكتاب المقدس فيما يتعلق بجناية القصاص من الزاني .

الرابع " تنفيذ العقوبات على مرتكب الجنايات " وبينت فيه العقوبات المترتبة على مرتكب الجنايات في الديانة اليهودية .

في حين اشتمل المبحث الثالث والذي حمل عنوان "الحكم الجنائي في الديانة المسيحية" على مطلبين ،الاول "تعريف المسيحية" وذكرت فيه التعريف اللغوي والاصطلاحي للمسيحية . الثاني "نماذج من الاحكام الواردة في العهد الجديد" وتناولت فيه بعض الاحكام المذكورة في العهد الجديد .

المبحث الأول : الحكم الجنائي في اليهودية

المطلب الأول : تعريف الحكم

الفرع الأول :- الحكم لغة :-

العلم والفقه والقضاء والعدل . وهو مصدر حكم يحكم . والحكم والقضاء وجمعه أحكام ، ولا يكسر على غير ذلك ، وقد حكم عليه بالأمر يحكم حكما وحكومة وحكم بينهم مصدر قولك حكم بينهم ، يحكم أي قضى ، وحكم له وحكم عليه[1] .

وحكم . الحاء والكاف والميم أصل واحد وهو المنع وأول ذلك الحكم هو المنع من الظلم[2]. والحكم والقضاء والعدل[3] .

الفرع الثاني :- الحكم اصطلاحا :-

بالضم وسكون الكاف يطلق بالاشتراك أو الحقيقة والمجاز على معان : منها

إسناد أمر الى آخر إيجابا أو سلبا . وهذا المعنى عرفي ، وحاصلة ان الحكم نفس النسبة الخبرية التي أدركها تصديق ، ايجابية كانت أم سلبية[4] .

إسنادا أمر إلى آخر إيجابا أو سلبا ، فخرج بهذا ماليس بحكم كالنسبة التعبيرية[5].

الفرع الثالث :- تعريف الجناية

/ أ / **الجناية لغة** : - الذنب والجرم وما يفعله الإنسان مما يوجب عليه العقاب او القصاص في الدنيا والآخرة .

والمعنى انه لا يطالب بجناية غيره من أقاربه وأباعده ، فإذا جني أحدهما جناية لا يطالب بها الآخر لقوله عز وجل[6] ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾[7]

/ ب / الجناية اصطلاحا هو كل فعل محظور يتضمن ضررا على النفس أو غيرها [٨] ، وهي الجريمة التي يعاقب عليها القانون أساسا بالإعدام أو الإشغال الشاقة المؤبدة ، أو الإشغال المؤقتة[٩] .

المطلب الثاني :- تعريف اليهودية

الفرع الأول :-

اليهودية :- أختلف العلماء في كلمة يهود فقال البعض انها عربية الأصل مشتقة من ألهود وهو الرجوع والتوبة . وقال تعالى:﴿ * إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ﴾ [١٠]

وقال البعض الآخر انها غير عربية وإنها منسوبة الى (يهوذا) التي كانت في فلسطين بعد سليمان (عليه السلام وهذا الرأي الأرجح لأن أسم (يهوذا) لم تذكره اليهود إلا في عزرا[١١] الذي يتحدث عن فترة سبي شعب اليهود إلى بابل [١٢] .

وهنا تعريف آخر لليهودية ، التوبة ، هاد يهود هودا ، أي تاب ورجع الى الحق ، قيل سمي بنو إسرائيل بذلك لرجوعهم عن عبادة العجل ، وقيل سموا بذلك لتهودهم أي تحركهم إثناء قراءة التوراة[١٣] .

الفرع الثاني :- <u>اليهودية اصطلاحا :-</u>

هي ديانة العبرانيين المعروفين بالأسباط من بني إسرائيل الذين أرسل الله تعالى إليهم نبي الله موسى عليه السلام مؤيدا بالتوراة ليكو لهم نبيا ، واليهودية ديانة يبدو انها منسوبة الى يهود الشعب ، وهذه بدورها قد اختلف في أصلها ، وقد تكون نسبة الى يهوذا أحد أبناء يعقوب (عليه السلام) وعممت على الشعب على سبيل التغليب [١٤]، ويطلق على الدين الذي يعتنقه بني اسرائيل ويعتقدون أنها منزلو من السماء على موسى عليه السلام وتلقى الشريعة على جبل سيناء بعد خروجه ببني إسرائيل من مصر [١٥].

المطلب الثالث :- نماذج عن الإحكام الواردة في العهد القديم

الفرع الأول :-

ما جاء في سفر التكوين أي إصحاح الثالث وفيه إحكام الله تعالى بحسب العهد القديم على آدم وحواء وإبليس على الشجرة بإغواء أيلبس لهم .

فقال الرب الإله للحية ((لأنك فعلت هذا فأنت ملعونة من بين جميع البهائم وجميع وحوش البر على بطنك تزحفين وترابا تأكلين طول أيام حياتك بينك وبين المرأة أقيم عداوة وبين نسلك ونسلها فهو يترقب منك الرأس وأنت تترقبين منه العقب))[١٦].

وقال للمرأة ((أزيد تعبك حيث تخبلين وبالأوجاع تلدين البنين ، الى زوجك يكون اشتياقك، وهو عليك يسود)) [١٧]

وقال لآدم ((لأنك كلام امرأتك فأكلت من الشجرة التي أوصيتك ان لا تأكل منها تكون الأرض ملعونة بسببك ، بكدك تأكل طعامك منها طول أيام حياتك شوكا وعوسجا تنبت لك ومن عشب الحقل تقتات بعرق جبينك تأكل جبرك حتى تعود الى الأرض لأنك منها أخذت فأنت تراب والى التراب تعود))[١٨]

الفرع الثاني :-

حكم الله على ما بين (قابيل) لقتله (هابيل) نجد في سفر التكوين الإجماع الرابع قولهم ((والآن فملعون أنت من الأرض التي فتحت فمها لتقبل دم أخيك من يدك فهي لن تعطيل خصبها إذا فتحتها طريدا شريدا تكون في الأرض))

فقال قابيل للرب ((عقابي أقسى من ان يتحمل طردتني اليوم على وجه الأرض وحجبت وجهك علي وطريدا شريدا صرت في الأرض وكل وجدني يقتلني)) ، فقال له الرب ((اذا كل من قتل قابيل فسبحه إضعاف ينتقم منه)) [١٩]

الفرع الثالث :-

ما جاء في حكم الرب لـ حام لأنه رأى عورة أبيه فقال ((ملعون كنعان عبدا ذليلا يكون لأخوته))

وقال ((تبارك الرب اله سام ويكون كنعان عبدا لـ سام ويزيد الله يافث فيسكن في خيام سام ويكون كنعان عبدا له[٢٠]

الفرع الرابع :-

افتراق إبرام ولوط :- وقعت خصومة بين رعاة ماشية أبرام ورعاة ماشية لوط فيما الكنعانيون والعزريون مقيمون في الأرض فقال إبرام للوط ((لا تكن خصومة بيني وبينك ولا بين رعاتي ورعاتك فنحن رجلان أخوان الأرض كلها بين يديك فأنفصل عني تذهب الى الشمال فأذهب الى اليمين أو الى اليمين فأذهب الى الشمال)) [٢١] .

الفرع الخامس :-

قسمة يوسف الزراعية :- حكم يوسف عليه السلام في مسألة الزرع الذي كان لأهل مصر تحقيقا للرؤيا إذ قال يوسف للشعب ((إنا اشتريتكم اليوم انتم وأراضيكم لفرعون فخذوا لكم بذارا تزرعونه في الأرض وعند الحصاد تعطون خمس حلالكم لفرعون والأربعة أخماس الباقية تكون لكم تزارا للحقول وطعاما لكم ولأهل بيوتكم وعيالكم)) فقالوا ((أنقذت حياتنا ، ليتنا تحظي برضاك ياسيدي ، فنكون عبيدا لفرعون)) فجعل يوسف هذا الإجراء فريضة على ارض مصر وهو ان يكون الخمس لفرعون ، ما عدا أراضي الكهنة وحدها لأنها لم تصر لفرعون[٢٢]

الفرع السادس :-

تعيين القضاة وجلوس موسى (عليه السلام) للقضاة : جاء سفر القضاة (جلس موسى في اليوم الثاني ليعطي للشعب فوقف الشعب أمامه من الصباح الى المساء فلما رأى يثرون[٢٣] كل ما كان على

موسى ان يفعله للشعب قال له ((ما هذا؟ وما بك جالس وحدك أتقضي لجميع الشعب وهم واقفون إمامك من الصباح الى المساء ؟)) فأجابه موسى ((يجيء الى الشعب ليعلموا إرادة الله اذا كانت لهم دهوي يجيئون فأقضي بين الفريقين وأعرفهم فرائض الله وشرائعه)) فقال يثرون لموسى : ((لا خير فيما تعمل فأنت تتعب نفسك وتتعب هذا الشعب معك لأن الحمل أثقل من ان تحمله وحدك والآن اسمع نصيحتي فيكون الله معك : كن أنت وسطا للشعب عند الله ترفع اليه دعاوي وتعلن لهم الفرائض والشرائع وتعرفهم الطريق الذي يسلكونه والنهج الذي يتهجوه وأختر من الشعب كله رجالا أكفاء يخافون الله وأمناء يكرهوا الرشوة ووليهم على الشعب رؤساء ألوف ومئات وخماسين وعشرات يقضون للشعب في كل وقت ويرفعون اليك كل أمر خطير فيحملون الحمل معك ويخففون عنك فأن نت عملت هكذا وأمرك الله به أمكنك الاحتمال ، وجميع هذا الشعب ينصرفون الىبيوتهم بسلام ، فسمع موسى من يثرون حمية وعمل بكل ما قال بله فأختار رجالا أكفاء من جميع بني إسرائيل وولاءهم على الشعب رؤساء ألوف ومئات وخماسين وعشرات فكانوا يقضون للشعب في كل وقت ، وكل دعوا صعبة يرفعوها إلى موسى ، وكل دعوى بسيطة يحكمون هم فيها ثم ودع يثرون موسى ورجع الى أرضه[٢٤] .

الفرع السابع :-

ورد أيضا في سفر اللاويين ، إصحاح ٢٤ مثل العقاب العادل جاء فيه أن رجل أمة إسرائيلية وأبوه مصري ويقيم فيما بين بني إسرائيل فخرج وخاصم في المحلة رجلا إسرائيليا وحذف على اسم الرب ولعنه فقادوه الى موسى ، وكان اسم امه شلومية بنت ديري من عشيرة دان – فألقوه في الاسجن حتى يتبين لهم ما يريد الرب فكلم الرب موسى فقال ((نخرج اللاعن خارج المحلة ونضع كل من سمعه أيديهم على رأسه ويرجمه كل الجماعة وقل لبني إسرائيل ((من لعن الهه تحمل عاقبة خطيئته ومن جدف على اسم الرب ، يقتل قتلا لا ترحمه كل الجماعة ، دخيلا كان أم أصيلا)) [٢٥] .

((من قتل أنسانا يقتل قتلا ومن قتل بهيمة يعوض مثلها رأسا بدل رأس ، الكسر بالكسر ، والعين بالعين ، والسن بالسن كالضرر الذي ينزله به كذلك كل ضرر ينزله الإنسان بالإنسان ينزل به مثله ، من قتل بهيمة يعوضها ومن قتل أنسانا يقتل حكم واحد يكون لكم جميعا للدخيل كما للأصيل ، أنا الرب إلهكم)) .

فلما أخبر موسى بني إسرائيل بهذا الكلام اخرجوا اللاعن الى خارج المحلة وأرجموه بالحجارة، كما أمر الرب موسى[٢٦].

الفرع الثامن :-

((الأرض لا تباع بيعا دائما ، فالأرض لي وأنتم غرباء مقيمون عندي بل في كل أرض تملكزنها تعطون للمالك الأصيل حق فكأنها إذا افتقر أخوك الإسرائيلي فباع من ملكه حق لأقرب أقرباءه أن يفك

بيعه فله إن يفكها هو بنفسه إذا تيسر في يده مقدار فكالها فيحسب عدد سنين البيع يدفع إلى المشتري ما يحق له عن السنين المتبقية الى سنة اليوبيل[٢٧].

ويرجع إلى ملكه وان كان مقدار ما عليه دفعه غير متيسر له يبقى مبيعه في يد مشتريه إلى سنة اليوبيل وفي سنة اليوبيل يخرج المشتري منه ويرجع إلى ملكه ، ومن باع بيت إقامة في مدينة لها سور ، فله ان يفكه في السنة الأولى من يوم بيعه وإلا ثبت البيت لمشتريه وورثته مدى أجيالهم))[٢٨]

الفرع التاسع :-

الرجل الذي خالف شريعة السبت ((وحين كان بنو إسرائيل في البرية وجدوا رجلا يحتطب حطبا في يوم السبت فقاده الذين وجدوه الى موسى وهارون وكل الجماعة فألقوه في السجن لان ما يفعلوه به لم يعلن لهم)) فقال الرب لموسى ((يقتل الرجل قتلا ، ترجمه كل الجماعة بالحجارة في خارج المحلة)) فأخرجته الجماعة كلها إلى خارج المحلة ورجموه بالحجارة فمات كما أمر الرب))[٢٩] .

الفرع العاشر :-

الدعوة للعدل في القضاء إذ قال النبي موسى عليه السلام حين تم تعيينه ليقضي بين اليهود ((اسمعوا دعاوي بني قومكم والنازلين بينكم ، واحكموا بالعدل بينهم ، لا تحابوا أحدا في إحكامهم واسمعوا للصغير سماعكم للكبير ، ولا تجوروا على احد ، لان الحكم لله وان صعب عليكم أمر فارفعوه الي حتى انظر فيه[٣٠].

الفرع الحادي عشر :-

أقيموا لكم قضاة وحكام في جميع مدنكم التي يعطيكم الرب إلهكم وبحسب أسباطكم يقضون فيما بين الشعب قضاء عادلا ، لا تجوروا في الحكم ولا تحابوا أحد ولا تأخذوا رشوة لأن الرشوة تعمي أبصار الحكماء وتحرف أقوال الصادقين[٣١] .

الفرع الثاني عشر :- الجرائم ضد الله

ان الجرائم التي نصت عليها الشريعة ضد الله كثيرة جدا ، واغلبها يتمثل في :-

الترتيبات الطقسية الموضوعة للخدمة الدينية في خيمة الاجتماع ثم بعد ذلك في أورشليم ، ومن أمثلة هذه الجرائم[٣٢] :-

١- التجديف على الله تعالى ، أي الكفر به أو توجيه عبارات السب إليه ، وعقوبة الجريمة هي الرجم[٣٣].

٢- عبادة الأصنام أو الإلهة الأجنبية من دون الله ، فإذا ارتكب شخص هذه الجريمة يرجم .

وإذا ارتكبها سكان مدينة بأسرها يقتلون بالسيف وتحرق مدينتهم[٣٤] .

٣- تدنيس السبت، وذلك بالقيام فيه بأي عمل ، إذ جاء في سفر الخروج: (٦فتحفظون السبت لأنه مقدس لكم، من دنسه يقتل قتلا. كل من صنع عملا في يوم السبت يقتل قتلا)[٣٥]. وكانت عقوبة القيام بأي عمل في يوم السبت هي الرجم[٣٦] .

٤- ترك عمل عيد الفصح ، أي عدم القيام بالطقوس المقررة في ذلك العيد ، اذ جاء في سفر العدد : ((من كان طاهرا وليس في سفر وترك عمل الفصح تقطع تلك النفس من شعبها لأنها لم تقرب قربان الرب في وقته) [٣٧].

٥- ذبح الذبائح بعيدا عن خيمة الاجتماع أو هيكل أورشليم ، إذ جاء في سفر اللاوين (كل إنسان من بيت إسرائيل ومن الغرباء الذين ينزلون في وسطهم يصعد محرقة أو ذبيحة ولا يأتي بها الى باب خيمة الاجتماع ليضعها للرب يقطع ذلك الإنسان من شعبه[٣٨] .

٦- السحر والعرافة واستخدام الجان والتدابع وما في حكم ذلك ، اذ جاء في سفر الخروج : لا تدع ساحرة تعيش[٣٩]

وجاء في سفر اللاوين (النفس التي تلتفت إلى الجان والى التوابع ... اجعل وجهي ضد تلك النفس واقطعها من شعبها إذا كان في رجل أو امراة أو تابعة فانه يقتل بالحجارة ويرجمونه[٤٠].

المبحث الثاني: نماذج عن الإحكام الجنائية في الديانة اليهودية .

المطلب الأول :- شرائح تختص بجناية السرقة والضرر .

اذا سرق الإنسان ثورا أو شاة فذبحه أو باعه يعوض المسروق منه الثور بخمسة ثيران والشاة بأربعة من الغنم ، ان مجد السارق وهو ينقب فضرب ومات فليس له دم . ولكن اذا اشرقت عليه الشمس فله د.

وان وجدت السرقة في يده حية ثورا كانت ام حمارا ام شاة يعوض المسروق منه بأثنين .

اذا رعى إنسان حقلا او كرما وسرح مواشيه فرعت في حقل غيره ، فمن اجود حقله واجود كرمه يعوض

وإذا خرجت نارا وأصابت شوكا فاحترقت أكداس او زرع او حقل ، فالذي أوقد الوقيد يعوض ان أعطى إنسان صاحبه فضة او أمتعة للحفظ فسرقت من بيت الإنسان فان وجد السارق يعوض باثنين ،

وان لم يوجد السارق يقدم صاحب البيت الى الله ليحكم هل لم يمد يده الى ملك صاحبه [٤١].

اذا وجد رجل قد سرق نفسا من إخوته بني إسرائيل واسترقه وباعه يموت ذلك السارق[٤٢] .

المطلب الثاني :- شرائع تختص بجناية القصاص بالجزاء :-

ذكر في العهد القديم الكثير من الشرائع التي تختص بالقصاص ، ونلخص منها ان القصاص يكون بمثل الذنب ، وهذا يعني إن العين بالعين والسن بالسن واليد باليد ، فمن ضرب أنسانا فمات فيقتل قتلا .

ومن ضرب أباه او أمه يقتل قتلا .وإذا تخاصم رجلان فضرب احدهما الأخر بحجر او بلكمة ولم يقتل بل سقط في الفراش فان قام وتمشى خارجا على عكازه يكون الضارب بريئا الا انه يعوض عطلته وينفق على شفاءه . واذا ضرب إنسان عبده او أمته بالعصا فمات تحت يده ينتقم منه . لكن اذا لأبقى يوما او يومين لا ينتقم منه لأنه ماله . واذا تخاصموا رجالا وصدموا امرأة حبلى فسقط ولدها ولم تحصل أذية يغرم المتسبب

وان حصلت أذية تعطي نفسا بنفس وعينا بعين وسنا بسن ويدا بيد ورجلا برجل . وكيا بكي وجرحا بجرح ورضا برض . واذا ضرب إنسان عين عبده او عين امته فأتلفها يطلقه حرا عوضا عن عينه .

وان اسقط سن عبده او سن امته يطلقه حرا عوضا عن سنه[٤٣].

اذا احدث إنسان في قريبه عيبا فكما فعل ، كذلك يفعل به كسر بكسر وعين بعين وسن بسن، كما احدث عيبا في الإنسان كذلك يحدث فيه[٤٥٤٤] .

المبحث الثالث: الحكم الجنائي في الديانة المسيحية .

المطلب الأول : تعريف المسيحية

الفرع الاول: تعريف المسيحية لغة : . أننا لا نجد تاريخاً محدداً يمكن اعتباره بدايه لنشاة المصطلح. الاما ظهر في أوائل القرن الثاني الميلادي[٤٦] .

فكلمة المسيح ، هذه اللفظة ترجمة للكلمة العبرية مشياحا الأرامية السريانية مشيحو ومعناها الممسوح اي الانسان المكرس بالمسح بالزيت[٤٧] .

والمسيح :. اسم مشتق من (المسح) وهو إمرار اليد على الشئ السائل مثل : مسح الرأس من الماء ، أو الجبين من العرق[٤٨] .

وهذه الكلمة (المسيح) كلمة يونانية تطلق على النبي ، العالم ، الملك ومعناها مجازاً المصطفى من الله لأداء رسالة مقدسة ، وكل الانبياء بني اسرائيل يطلق عليهم لقب (المسيح) وقد لقب عيسى ابن مريم ((عليه السلام)) بالمسيح لصدقه أو لانه كان سائحاً في الارض او لانه يمسح المريض فيبرأ بأذن الله ، او لأن زكريا (عليه السلام) مسحه بزيت البركة[٤٩] .

(والمسيحية) كلمة أطلقت على اتباع المسيح عليه السلام في القرن الثالث الميلادي في مجمع نيقيه سنة (٣٢٥) [٥٠] .

وقد وردت كلمة المسيح في القران الكريم في احد عشر موضعاً . وان المعتمد في العصر الحاضر استخدام كلمة (المسيحية) على حين أن نصوص القران والحديث لا تستعمل إلا كلمة (النصرانية) التي وردت في القران الكريم باشتقاقاتها في عشرين موضعا[٥١] .

الفرع الثاني : ـ تعريف المسيحية اصطلاحاً .

هي الدين الذي انحرف عن الرسالة التي نزلت على عيسى (عليه السلام) مكملة لرسالة موسى (عليه السلام) ومتممة لما جاء في التوراة . من تعاليم موجهة الى بني اسرائيل داعية الى التوحيد والفضيلة والتسامح .

وهذه الرسالة جابهت مقاومة واضطهاداً شديداً فسرعان ما فقدت اصولها . مما ساعد على امتداد يد التحريف اليها. فابتعدت كثيراً عن اصولها الاولى لامتزاجها لمعتقدات وفلسفات وثنية[٥٢].

ومن التعاريف الاخرى للمسيحية : هي ديانة محرفة وهي مجموعة التعاليم التي وضعها بولس سنة (٦٧م) والتي بنيت على التثليث الهندي ثم نسبت الى المسيح (عليه السلام) الذي جعل الهاً[٥٣] .

وهناك تعريف آخر :

هي تطلق على اتباع المسيح عليه السلام ، إلا انه لا ينبغي اطلاقها إلاعلى النصارى لأن هؤلاء في الواقع لا يتبعون المسيح عليه السلام ، ولذلك لم نجد في كتاب الله تعالى ولا في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم تسميتهم مسيحيين ، وقد أطلق عليهم القران انهم نصارى كما سماهم كذلك اهل الكتاب ، وأهل الأنجيل[٥٤] .

وان لقب (المسيحية) لم يطلق على الذين اتبعوا المسيح (عليه السلام) وانما اطلق لأول مرة في تاريخ هذه الديانة على الذين اتبعوا بولس من الوثنيين[٥٥] .

(المسيحيون) اطلق هذا الاسم (مسيحي christian) للدلالة على معتنقي عقيدة ألوهية المسيح التي أقرت في مجمع بيقة سنة (٣٢٥ هـ) وذلك في مقابل المسلمين الموحدين من النصارى الأوائل . المنكرين (ألوهية) المسيح . المؤمنين بنبوة وبشريته[٥٦] .

المطلب الثاني : نماذج من الاحكام الواردة في العهد الجديد

الفرع الاول : لقد صرح يسوع بوضوح انه يتمتع بصفات لا يملكها الا الله؟

عندما اتى رجل مشلول يريد من يسوع ان يشفيه ((أخبره يسوع)) يا إبني مغفورة لك خطاياك وقد أثر ذلك على القادة الدينيين الذين قالوا في قلوبهم لماذا يحدث هذا بهذهِ الطريقة أنه يجذف الله وحده يمكن أن يغفر الخطايا ؟

وفي لحظة حرجة عندما كانت حياة يسوع على المحك سأله أحد القادة الدينيين :- أأنت المسيح أبن الله ؟ فقال يسوع أنا هو وسوف تبصرون أبن الأنسان جالساً عن يمين القوة وآتياً في سحاب السماء فمزق رئيس الكهنه ثيابه وقال ما حاجتنا بعد الي .

قد سمعتم التجاذيف[٥٧] .

- ((فقالو له أين هو ابوك . أجاب يسوع لستم تعرفونني أنا ولا ابي لو عرفتموني لعرفتم أبي أيضاً))[٥٨]
- ((لوكنتم عرفتموني لعرفتم أبي أيضاً ومن الآن تعرفونه وقد رأيتموه))[٥٩] .
- ((والذي يراني يرى الذي أرسلني))[٦٠] .
- ((وها أنا ذا معكم زماناً هذه مدته ولم تعرفني يا فيليبس ، الذي رأني فقد رأى الآب فكيف تقول أنت أرنا الآب))[٦١]
- ((لا تضطرب قلوبكم أنتك تؤمنون بالله فآمنوا بي))[٦٢] .

- ((الذي يبغضني يبغض أبي أيضاً)) [٦٣] .
- ((من لايكرم الأبن لا يكرم الأب الذي أرسله)) [٦٤] .

الفرع الثاني : آيات الأحكام الواردة في القتل .

١- ((لا تظنوا اني جئت لأنقص الناموس أو ألأنبياء . ما جئت لانقص بل لأكمل فأني الحق أقول الحق أقول لكم)) [٦٥].

٢- ها أنا ألقيها في فراش والذين يزنون معها في ضيقه عظيمة إن كانوا لا يتوبون من أعمالهم (٢٣) وأولادها أقتلهم بالموت فتعرف جميع الكنائس اني أنا هو الفاحص الكلي والقلوب وسأعطي كل واحد منكم بحسب أعماله)) [٦٦] .

٣- لا تظنوا اني جئت لألقس سلاماً على الأرض . ما جئت لألقي سلاماً بل سيفاً)) [٦٧].

٤- فقال لهم لكن الآن من له كيس فليأخذه ومزود كذلك .ومن ليس له فليبيع ثوبه ويشتر سيفاً)) [٦٨].

٥- اما اعدائي أولئك الذين لم يريدوا أن املك عليهم فأتوا بهم هنا وأذبحوهم قدامي [٦٩]

٦- ان كان أحد يأتي إلي ولا يبغض اباه وامه وامرأته وأولاده وأخوانه حتى نفسه أيضاً فلا يقدر أن يكون لي يتلميذاً)) [٧٠] .

الفرع الثالث : آيات الأحكام الواردة في قتل النساء والأولاد والشيوخ .

١- أما أعدائي أولئك الذين لم يريدوا أن أملك عليهم ، فاتوا بهم إلى هنا وأذبحوهم قدامي)) [٧١].

٢- جئت لألقي ناراً على الأرض ، فماذا أريد لو اضطُرمَتِ ؟ اتظنون أني جئت لأعطي سلاماً على الأرض ؟ كلا أقول لكم بل انقساماً)) [٧٢].

٣- لا تظنوا اني جئت لألقي سلاماً على الأرض . ما جئت لألقي سلاماً بل سيفاً . فأني جئت لافرق الإنسان ضد أبيه .والابنة ضد أمها ، والكنة ضد حماتها [٧٣] .

الفرع الرابع : آيات الأحكام الواردة في تحريم الرشوة والمال الحرام :

١- ضرب يهوذا الأسخريوطي أبشع مثال كوسيلة من وسائل الشر ، فقد أرتضى أن يسلم الرب يسوع بثلاثين من الفضة مسلماً هو نفسه للشيطان)) [٧٤].

٢- بعد قيامه الرب يسوع من الأموات ، أجتمع قوم من الحرس مع يشوع اليهود وتشاوروا وأعطوا العسكر فضة كثيرة برشوتهم بها حتى يدعوا أن تلاميذ السيد المسيح فقد اتوا ايلا وسرقوه))[٧٥].

الفرع الخامس : آيات الأحكام الواردة في السرقة .

١- ((لا تقتل . لا تزن . لا تسرق . لا تشهد بالزور)) [٧٦].

٢- ((لاتزن . لا تقتل . لاتسرق . لا تشهد بالزور . لا تسب . أكرم أباك وأمك)) [٧٧].

٣- ((لاتزن . لاتقتل . لا تسرق . لا تشهد بالزور . أكرم أباك وأمك)) [٧٨].

٤- ((فأنت إذا الذي تُعلم غيرك، الست تعلم نفسك ؟ الذي تكرر: أن لا يسرق. أتسرق؟[٧٩].

٥- أن لا يزني ، أتزني ؟ الذي تستكرهُ ألأوثان ، أتسرق الهياكل)) [٨٠].

٦- ((لا تزن لا تقتل ، لا تسرق ، ولا تشهد بالزور لا تشته)) [٨١] .

الفرع السادس : آيات الأحكام الواردة في شرب الخمر ؟ .

١- ((ولا تسكروا بالخمر الذي فيه الخلابه بل امتلؤا بالروح القدس)) [٨٢] (٦) .

٢- لا تضلوا لا زناة ولا عبدة اوثان ولا فاسقون ..ولا سارقون ولا طماعون ولا سكيرون يرثون ملكوت الله)) [٨٣] (٧) .

٣- الواقع ان السيد المسيح قال عن نفسه في انجيل معلمنا يوحنا ((انا الكرمه الحقيقية)) [٨٤] (٨).

٤- انتم الاغصان)) [٨٥] (٩).

٥- ضمد جراحك وصب عليها زيتا وخمراً)) [٨٦] (١٠) .

الفرع السابع:- آيات الأحكام في تحريم الانتحار والشروع فيه ؟ ماذا يقول الكتاب المقدس عن الانتحار .

ماذا يقول الكتاب المقدس عن المسيحي الذي يقوم بالانتحار ؟ انا لا أومن ان المسيحي اذا اقدم على الانتحار سيفقد خلاصه ويذهب للجحيم ان تعاليم الكتاب المقدس تؤكد بانه عندما يؤمن الشخص بالمسيح فأن أبديته مضمونه[٨٧] .

وفقا للكتاب المقدس فأن المسيحيين يعلمون بدون أي شك ان لهم حياة ابدية مهما حدث ((كتبت اليكم انتم المؤمنين بأسم ابن الله لكي تعلموا ان لكم حياة ابديه ولكي تؤمنوا باسم ابن الله[٨٨].

لا يستطيع شيء ان يفصل المسيحي عن محبة الله ((فأني متيقن انه لا موت ولا حياه ولاملائكه . ولا رؤساء . ولا قوات . ولا أمور حاضره مستقبله ولا علو ولا عمت ولا خليقة اخرى تقدران تفصلنا عن محبة الله التي في المسيح يسوع ربنا)) [٨٩].

اذا كان لا يوجد شيء مخلوق يقدر ان يفصلنا عن محبه الله فحتى المسيح نفسه الذي يقدم على الانتحار وهو ((شيء مخلوق))لا يمكنه ان يفصلنا عن محبة الله . يسوع مات لاجل جميع خطايانا وان كان هناك مسيحي حقيقي قد اقدم على الانتحار في وقت ضعف او لأجلها . اننا لا نقول ذلك لنقلل من شان خطيئه الانتحار في نظر الله . وفقا للكتاب المقدس فان الانتحار هو قتل وهو خطيئه . أن لدي شك كبير في مصداقيه ايمان أي مسيحي يقدم على الانتحار . انه لا يوجد أيه ظروف يمكنها تبرير الانتحار وبصفخ خاصة للمسيحي . ان المسيحي مدعو ان يحيا حياته الله . ان قرار متى نموت هو في يد الله وحده . نجد سفر استير طريقة جيده لتوضيح الانتحار للمسيحي . ففي بلاد فارس كان هناك قانون ان من يأتي الى الملك بدون دعوه فانه يقتل مالم يأمر الملك بغير ذلك بمعنى اخر يرحمه . ان الانتحار في المسيحيه يمثل الاقدام على رؤية الملك بدون ان يدعوك لرؤيته انه سيمد يده لك بالرحمة ويضمن لك

الحياه الأبديه ولكن هذا لا يعني انه سر بما فعلته . بالرغم من الايه الاتيه لا تتحدث عن الانتحار بالذات ولكنها في الغالب صف تقريبي لما يحدث للمسيحي الذي يقدم على الانتحار .

((اما هو فسيخلص ، ولكن كما بنار)) [٩٠]

المبحث الرابع : نماذج من الاحكام الجنائية في الديانة المسيحية؟ .

المطلب الاول : شرائع تختص بجناية السرقة والضرر ؟

((ولما قربوا من اورشليم الى بيت فاجي وبيت عنيا عن جبل الزيتون ارسل اثنين من تلاميذه ، وقال لهما اذاهبا الى القرية التي امامكما فالوقت وانتما داخلان اليها تجدان جحشاً مربوطاً لم يجلس عليه احد من الناس فحلاه وأتيابه)[٩١]

٠فوقف زكا وقال للرب : ((ها انا يا رب اعطي نصف اموالي للمساكين وان كنت قد وشيت بأحد اراد أربعه أضعاف)) فقال له يسوع ((اليوم حصل خلاص لهذا البيت إذ هو ايضاً ابن ابراهيم . لأن ابن الانسان قد جاء لكي يطلب ويخلص ما قد هلك))

عندما قبل زكا دخول المسيح بيته كان رد الفعل الفوري هو اعترافه بخطيئته انه كان يأخذ من الناس بغير حق . لكنه تجرأ اكثر وبدا بإرجاع حقوق الآخرين عليه . والغريب في الامر انه سيرجع ما سلبه اربعه اضعاف : إذن الانجيل يعمل على الآتي[٩٢] .

١- ان تخلعوا من جهه التصرف السابق ، الانسان العتيق الفاسد بحسب شهوات الغرور[٩٣].

٢- وتلبسوا الانسان الجديد . المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق[٩٤].

٣- الاتجاه نحو العمل ومشاركة المحتاجين والفقراء أي ان السارق يتحول الى انسان يعطي الناس الفقراء : لا يسرق السارق فيما بعد بل بالحري يتعب عاملا الصالح بيديه ، ليكون له ان يعطي من له احتاج))[٩٥].

الرسول الاخر الذي كان عنده الكيس للسرقة . يهوذا الاسخربوطي الذي هو صاحب الكرامات والمعجزات واحد الحواريين (الانبياء) الذي هم اعلى منزله من موسى بن عمران وسائر الانبياء الأسرائيليين . على زعمهم . باع دينه[٩٦]. والهه[٩٧]، ونبيه بـ 30 درهم !

وصى بتسليم الهه بأيدي اليهود مقابل هذا المبلغ الزهيد ، مقابل عشر ثمن زجاجة (نادرين) (عطر)[٩٨].

لعل هذه المنفعه عنده كانت عظيمة لانه ايضاً على زعمهم كان صياداً مفلوكا لصاً ، وان كان رسولاً صاحب معجزات ايضاً على زعمهم[٩٩].

فثلاثون درهماً كانت احب عنده وأعظم رتبه من هذا الاله والمصلوب[١٠٠].

المطلب الثاني : شرائع تختص بجنايه القصاص بالجزاء .

تحرم جميع الرسالات السماوية القتل بدون حق في ميع الكتب السماوية لاسيما ما تبقى منها الى يومنا هذا . لذا نجد القتل محرم تحريماً قاطعا في المسيحية في ضوء الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد . كما نجده محرماً ايضاً في الاسلام في نصوص القران الكريم والسنة النبويه المطهرة وتفرض جميع هذه الرسالات السماوية حد القتل مساويا له . فقد نقل عن السيد المسيح تأكيده لحرمة القتل ولحد القتل ففي العهد الجديد نقراء ((قد سمعتم انه قيل للقدماء : لا تقتل ، ومن قتل يكون (مستوجب الحكم))[١٠١] .

ووفقاً للعهد الجديد لم يكتف السيد المسيح بتحريم القتل وانما حرم ما يؤدي غالباً الى أرتكابه جريمه القتل وهو الغضب واعتبره مستوجباً لحد القتل ففي العهد الجديد نقرأ ((واما انا فاقول لكم : ان كل من يغضب على اخيه باطلاً يكزن مستوجب الحكم ومن قال لأخيه رقا يكون مستوجب نار جهنم))[١٠٢].

على ذلك فان القصاص والاعداء فعقوبته لا تتناقض مع الايه السيدية ((رد سيفك الى غمده ، لأن كل الذين يأخذون السيف يهلكون))[١٠٣] .

المبحث الخامس / الحكم الجنائي في الديانة الإسلامية

المطلب الأول : تعريف الإسلام

الفرع الأول :_الإسلام في اللغة : هو الخضوع والابتعاد بمعنى قبول الاحكام والاذعان [١٠٤] ويؤيده قوله تعالى:﴿ مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٣٥ فَمَا وَجَدۡنَا فِيهَا غَيۡرَ بَيۡتٖ مِّنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ [١٠٥]

وجاء ان الاسلام في اللغة:– الانقياد المتعلق بالجوارح [١٠٦]. كما في قوله تعالى:﴿ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا ﴾ [١٠٧]

وأن أصل كلمة (الاسلام) : أسلم قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَفَغَيۡرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبۡغُونَ وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ ﴾ آل عمران: ٨٣ [١٠٨] و قَالَ تَعَالَىٰ:﴿بَلَىٰۚ مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَلَهُۥٓ أَجۡرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾[١٠٩] وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٣١ ﴾ [١١٠]

ومعنى اسلم : – استسلم لأمر الله [111] .

وقال ابن جرير الطبري[١١٢] رحمه الله في تفسيره : وأما قوله تعالى: ﴿بَلَىٰۚ مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ ﴾[١١٣] . انما يعني : بلى من اسلم لله بدنه ، فخضع له بالطاعة جسده ، وهو محسن في اسلامة له جسده فله اجره عند ربه . فاكتفى بذكر "الوجه" [١١٤].

وهناك تعريف آخر :– وهو مأخوذ من (سلم) السين واللام والميم معظم بابه من الصحة والعافية ، وسنة الاسلام هو الانقياد ، لانه يسلم من الإباء والإمتناع [١١٥].

الفرع الثاني : الاسلام في الاصطلاح :

اختلف العلماء فيه

١- انه الخضوع والانقياد للأوامر والنواهي بمعنى قبوله والاذعان له وعليه . فالإسلام والايمان مترادفان وهذا ماذهب اليه الجمهور واكثر الماتريدية . وبعض محققي الاشاعرة .

٢- ان مدلول الاسلام هو الامتثال للأوامر والنواهي ببناء العمل على ذلك الإذعان .

وهم ماذهب اليه اكثر الاشاعرة مع كثير من الماتريدية وبعض المعتزلة [١١٦]

وهناك تعريف آخر :- هو الخضوع والانقياد ، كما أخبر الرسول(صلى الله عليه واله وسلم) وفي الكشاف :- ان كل ما يكون الإقرار باللسان من غير مواطأة – القلب إسلام ، وبما واطأ فيه القلب اللسان، فهو ايمان. أقول هذا وذهب الشافعي وأما مذهب حنيفة فلا فرق بينهما[١١٧].

المطلب الثاني : نماذج من الأحكام الواردة في القرآن الكريم

الفرع الاول :-آيات الاحكام في القتل العمد والجرح العمد :-

أ- قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٧٨ ﴾ [١١٨]

ب- قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمٗا ٩٣ ﴾ [١١٩]

ت- قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ وَٱلۡأَنفَ بِٱلۡأَنفِ وَٱلۡأُذُنَ بِٱلۡأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٞ ﴾ [١٢٠]

ث- قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴾ [١٢١]

ج- قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٠ ﴾ [١٢٢]

الفرع الثاني :-القتل الخطأ :-

أ- قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٍ أَن يَقۡتُلَ مُؤۡمِنًا إِلَّا خَطَـٔٗاۚ وَمَن قَتَلَ مُؤۡمِنًا خَطَـٔٗا فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖ وَدِيَةٞ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُواْۚ فَإِن كَانَ مِن قَوۡمٍ عَدُوّٖ لَّكُمۡ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖۖ وَإِن كَانَ مِن قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞ فَدِيَةٞ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ

أَهۡلِهِۦ وَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖۖ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ تَوۡبَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا ﴾ [١٢٣]

الفرع الثالث :-آيات الاحكام في تحريم قتل النفس إلا بالحق :-

(أ) قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ۞ قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗاۖ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡۖ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ١٥١ ﴾ [١٢٤]

(ب) قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَمَن قُتِلَ مَظۡلُومٗا فَقَدۡ جَعَلۡنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلۡطَٰنٗا فَلَا يُسۡرِف فِّي ٱلۡقَتۡلِۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورٗا ٣٣ ﴾ [١٢٥]

الفرع الرابع :-آيات الاحكام في تحريم الانتحار والشروع فيه :-

(أ) قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ﴾ [١٢٦]

(ب) قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِۛ وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٩٥ ﴾ [١٢٧]

الفرع الخامس :-آيات الاحكام في تحريم قتل الاولاد :-

(أ) قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ وَإِيَّاكُمۡۚ إِنَّ قَتۡلَهُمۡ كَانَ خِطۡـٔٗا كَبِيرٗا ٣١ ﴾ [١٢٨]

الفرع السادس :-آيات الاحكام في جرائم الحدود / جريمة الزنا :-

(أ) قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا ٣٢ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَمَن قُتِلَ مَظۡلُومٗا فَقَدۡ جَعَلۡنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلۡطَٰنٗا فَلَا يُسۡرِف فِّي ٱلۡقَتۡلِۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورٗا ٣٣ ﴾ [١٢٩]

(ب) قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ٦٨ ﴾ [١٣٠]

(ت) قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعٗا مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا ١٥ ﴾

وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَاۖ فَإِن تَابَا وَأَصۡلَحَا فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابَا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾ ﴾ [١٣١]

الفرع السابع :-آيات الاحكام في جرائم الحدود / السرقة :-

(أ) قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلَا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٣٨﴾ ﴾ [١٣٢]

الفرع الثامن :آيات الاحكام في تجريم الرشوة والمال الحرام :-

(أ) قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحۡتِۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ وَإِن تُعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيۡـٔٗاۖ وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [١٣٣]

(ب) قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ وَتُدۡلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلۡحُكَّامِ لِتَأۡكُلُواْ فَرِيقٗا مِّنۡ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلۡإِثۡمِ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾ [١٣٤]

الفرع التاسع :-آيات الاحكام في جريمة إسقاط الحمل :-

(أ) قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ۞ قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗاۖ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡۖ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾ [١٣٥]

(ب)قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ ﴿٩﴾ ﴾ [١٣٦]

الفرع العاشر :-آيات الاحكام في تحريم شهادة الزور :-

(أ) قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمۡ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦۗ وَأُحِلَّتۡ لَكُمُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ ﴾ [١٣٧]

(ب) قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا ﴿٧٢﴾ ﴾ [١٣٨]

الفرع الحادي عشر :-آيات الاحكام في تحريم وأد البنات :-

(أ) قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوۡلَٰدَهُمۡ سَفَهَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفۡتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِۚ قَدۡ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ ﴾ [١٣٩]

(ب) قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [١٤٠]

(ت) قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ ﴾ [١٤١]

(ث) قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [١٤٢]

الفرع الثاني عشر :-جريمة الحرابة " قطع الطريق"

(أ) قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [١٤٣]

الفرع الثالث عشر :-آيات الاحكام في الخمر :-

(أ) قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ ﴾ [١٤٤]

(ب) قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا۟ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ ﴾ [١٤٥]

(ت) قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [١٤٦]

الفرع الرابع عشر :-آيات الحكم في البغي :-

(أ) قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴿٩﴾ ﴾ [١٤٧]

الفرع الخامس عشر :-آيات الاحكام في قذف المحصنات :-

(أ) قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥﴾ ﴾ [١٤٨]

(ب) قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [١٤٩]

(ت) قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٢٣﴾ يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ﴾ [١٥٠]

المطلب الثالث : مفهوم الجنايات في الاسلام :-

(١) **الجناية لغة :** – الذنب : هو اسم لما يجتنبه المرء من شر ، والجريمة والجناية اصل اشتقاقها من اجتناء ثمر باليد واستعملا في كل ما بكتسب مما يسؤ او يضر [١٥١].

(٢) **الجناية شرعاً :**– كل فعل محضور يتضمن ضرراً على النفس او غيرها [١٥٢].

(٣) **علاقة مفهوم الجريمة بمفهوم الجناية :**– الجناية والجريمة لفظان مترادفان عن اغلب العلماء ، فهما يمثلان الجناية على النفس والعقل او المال او النسب او العرض او جناية المحاربين والردة على الدين ، وحتى شتم الانسان وضربه ، وهذا ماعبر عنه الفقهاء في جرائم الحدود والقصاص والتعازير [١٥٣]. وبعضهم اطلق لفظ الجناية على الافعال الواقعة على نفس الانسان او اطرافه ، كالقتل والجرح والضرب ، نزولاً عند المعنى العرفي الذي خصها بالتعدي على الابدان ، ومهما

يكن من خلاف فأن الظاهر انهما معنيان مترادفان على وجه العموم فيهما معنى التعدي على الاخرين [١٥٤].

المبحث السادس / نماذج عن الاحكام الجنائية في الديانة الاسلامية

المطلب الاول : شرائع تختص بجناية السرقة والضرر

السرقة من الافعال المحرمة في الشريعة الاسلامية ويجب فيها قطع اليد والدليل على ذلك الكتاب والسُنة والاجماع ، أما الكتاب : ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ [١٥٥]

للسرقة حكم وضعي ، وحكم تكليفي : أما الحكم الوضعي فهو ان السرقة سبب في اقامة الحد ، وهو قطع اليد ، إذا استوفت الجريمة اركانها وشرائطها . وأما الحكم التكليفي فهو التحريم فالسرقة محرمة شرعاً وهي من الكبائر لأنها عدوان على مقصد ضروري من مقاصد الشريعة وهو المال الذي يكون به قوام الحياة : والدليل على حرمة السرقة الكتاب ، والسُنة والاجماع . اما الكتاب

فقد أمر الله سبحانه وتعالى بعقاب السارق بقطع اليد التي هي آلة حركته وكسبه ، ولذلك وصف الله سبحانه وتعالى هذه العقوبة بـ"النكال" ، وهذا يدل على بشاعة جرم السرقة وعظم ذنبه . وأما السنة فقد وردت احاديث كثيرة تدل على حرمة اخذ مال الغير دون حق – منها قوله (صلى الله عليه واله وسلم) فيما رواه الشيخان وغيرهما عن ابي بكر رضى الله عنه قال : "خطبنا النبي (صلى الله عليه واله وسلم) يوم النحر قال[١٥٦] : أتدرون أي يوم هذا ؟ قلنا الله ورسوله اعلم . فسكت حتى ضننا انه سيسميه بغير اسمه قال : " اليست بالبلدة الحرام ؟" قلنا بلى . قال فإن دماءكم واموالكم عليكم حرام ، كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا الى ان تلقوا ربكم الاهل بلغت ؟ قالو "نعم قال اللهم "اشهد فليبلغ الشاهد الغائب ، فرب مبلغ اوعى من سامع ، فلا ترجعوا بعدي كفاراً ، يضرب بعضكم رقاب بعض " .

ومنها قوله (صلى الله عليه واله وسلم) فيما رواه الشيخان وغيرهما عن ابي هريرة "رضى الله عنه" قال النبي(صلى الله عليه واله وسلم) لايزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا ينتهب نهبه يرفع الناس اليه فيها ابصارهم وحين ينتهبها وهو مؤمن" [١٥٧]

ومنها مارواه الشيخان وغيرهما عنه – ايضاً – قال : قال الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) " لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده " [١٥٨] .

ومنها مارواه احمد وغيره بسند صحيح عن سعيد بن زيد رضى الله عنه قال : قال رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) من قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون اهله فهو شهيد ، ومن قتل دون دينه فهو شهيد ، ومن قتل دون دمه فهو شهيد "[١٥٩]

وفي رواية لمسلم عن ابي هريرة رضى الله عنه قال جاء رجل الى رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) فقال : يا رسول الله : أرأيت ان جاء رجل يريد اخذ مالي ! فقال "فلا تعطيه مالك" قال : أرأيت ان قاتلني ؟ قال : "قاتله" . قال أرأيت ان قتلني ؟ قال :" فأنت شهيد" قال أرأيت ان قتلته ؟ قال :"هو في النار" [١٦٠].

هذا ، وقد اجتمعت الامة في عهد الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) الى يومنا هذا على حرمة السرقة ، وقام الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) والخلفاء الراشدون من بعده تنفيذ عقوبة السرقة دون تفرقة بين شريف ووضيع . [١٦١]

المطلب الثاني : شرائع تختص بجناية القصاص بالجزاء :-

القصاص ، المعنى الاصلي لكلمة القصاص هو المسآواة والتعادل ، والقصاص مأخوذ من قص الأثر وهو اتباعه فكان القاتل سلك طرقاً من القتل فقص أثره ومشي على أثر ذلك .

والاصل فيه﴿ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٧٩﴾ [١٦٢]

وقوله تعالى: ﴿ وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ وَٱلۡأَنفَ بِٱلۡأَنفِ وَٱلۡأُذُنَ بِٱلۡأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٞۚ ﴾ [١٦٣]

ويجب القصاص فيما تمكن فيه المماثلة بين المحلين في المنافع . ويكون ذلك في حالتين:

(١)في الجناية عمداً على النفس – أي القتل عمداً .

(٢)في الجناية عمداً على ما دون النفس فمن قلع عين انسان قلعت عينه بنفس الطريقة ومن قطع اذن انسان قطعت اذنه بنفس الطريقة مادام من الممكن المماثلة بين فعلين .

ويشترط الفقهاء لوجوب القصاص ان يكون القاتل عاقلاً بالغاً قاصد القتل مختاراً غير مكروه والا يكون المقتول جزء من القاتل أي من فرعه ولا ملكه ولا له فيه شبهه ملك والا يكون معدوم الدم مطلقاً فلا يقتل المسلم ولا الذمي بالكافر الحربي او بالمرتد وان يكون القتل مباشرة لا تسبباً .

واختلفوا في القصاص : قال بعضهم انه وان كان عقوبة مقدرة ولكنه يجب حقاً للعبيد فيه العفو والصلح . وقال البعض ان القصاص يسمى حداً ويسقط القصاص اذا فات محله بان مات من عليه القصاص أو إذا فات العضو بأي طريقة او بالعفو والصلح .

إن عمار هذا الكون متوقف على الانسان فاذا ما قل النسل او ادركه الفناء خربت الدنيا وتعطلت المنافع فيها ومثل هذا لا يريده الشارع الحكيم من اجل ذلك جعل العقوبة لمن يسعى في ايصال الاذى الى الناس في القتل صرامة شديدة حتى لا يتعد الناس بعضهم على بعض فيهم الفساد وتحرب البلاد . وجعلها على نوعين اما القتل والقصاص او المال اذا اصلحوا عليه .

اما حكمة القصاص بالقتل فهي لإقامة ميزان العدل بين الناس ليكون الجزاء من جنس العمل كما قال تعالى : ﴿ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ ﴾ وهذا الامر واقع حتى في الامم العريقة بالهمجية والامم التي لها قوانين وضيعة فان من اصول التشريع عندهم انه من قتل يقتل .

والحكمة عندنا ان القاتل اذا لم يقتل كان باعثاً على اضرام نار الحقد في نفوس اهل المقتول واولياء الدم لان دمه حق لهم وأداؤه هو اراقة دم القاتل فاذا لم يؤدي اليم انتقموا من القاتل بقتله فاذا ما قتلوه طلب اهلهُ بدمه فقتلوا من يصادفهم من اهل المقتول الاول ثم يسري القتل من الافراد الى العائلات الى القبائل والى العشائر ترفيعهم الكرب ويعظم الخطب واننا نرى في عصرنا هذا اكثر من حوادث القتل جزاء ما جنت يداه من الهيئة الحاكمة . وصدق الله العظيم حينما يقول ﴿ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٧٩﴾. [١٦٤]

ويقال الابن اذا قتل والده او والدته لعموم ادلة القصاص ، ولان الحاجة الى الزجر والردع في جانب الولد اشهر منها في جانب الوالد [١٦٥] .

ولو قتل مكلف رجلاً في داره وادعى انه دخلها لقتله او اخذ ماله او قصد اهله بسوء وانكر وليه وجب القصاص الا في معروف بالفساد لان الاصل عدم مايدعيه ، ورواه سعيد ابن منصور عن علي (رضى الله عنه) وان ثبت مايدعيه ببينه او قرار فلا قود ولا دية رواه سعيد ابن منصور عن عمر رضي الله عنه ومتى ورث القاتل او ولده شيئاً من دم المقتول سقط القصاص كما لو قتل رجل اخا زوجته فورثت اخته ، ثم ماتت فورثها ابنه منها ، إذ لا يجب القصاص لولد على ابيه . [١٦٦ ١٦٧]

الخاتمـــــــــة

بعد ان منَ الله سبحانه وتعالى عليَ بإتمام هذا البحث استطيع ان اوجز اهم ما توصلت اليه من نتائج فيما يأتي :

١. ان عقوبة سرقة المواشي في اليهودية هي ان يعوض بأثنتين عن كل واحدة سرقها في يده حية ، اما اذا كان ذبحها او باعها فكان عليه ان يعوض بخمسة من الثيران وباربعة من الغنم عن الشاة.
٢. تبين لي عقوبة الزنا في الكتاب المقدس هي القتل .
٣. توضح لي ان المسيحية ابطلت الحد والقصاص وابداله بالذل والخضوع للظالمين وتيسير الظلم بأن من لطم على خدك الايمن فأدر له انت الايسر في ظلمه وتعديه .
٤. ان الفطرة السليمة الطاهرة ترفض الزنا فالاصل في الرجل ان يغار على اهله فلا يفرقهم الفاحشة ولا يرضى لأمه ولا لأخته او بنته ان يفعل بهم هذه الفاحشة وكذلك ان يرفضها لنساء بلده ودينه

ونساء العالم كله لان فطرته تأبى ذلك وكذلك النساء الطاهرات العفيفات تأبى مثل هذا الفعل الفاحش .

٥. عد الاسلام جريمة الزنا الجريمة الاكبر والاعظم بعد الشرك بالله وقتل النفس بغير حق .

٦. توضح لي ان الاسلام فرض القصاص حتى لا تنتشر الفوضى والاضطرابات في المجتمع ولابطال ما كان عليه الجاهلون قبل الاسلام من حروب بين القبائل يموت فيها الابرياء الذين لا ذنب لهم ولا جرم فجاء الاسلام وبين ان كل انسان مسؤول عما ارتكبة من جرائم وان عليه العقوبة وحده لايتحملها عنه احد .

٧. جعلت فائدة القصاص عامة تشمل المجتمع كله ولم تقتصر على ولي الامر وحده (المجني عليه) فالقصاص ليس انتقاماً لفرد ولكن للمحافظة على حياة الجماعة والمجتمع المسلم كله .

٨. تبين لي ان اطلاق لفظ القصاص على العقوبة فيه حكمة ابلغ من العدالة لان القصاص يتضمن المساواة بين الجريمة والعقوبة مما يعد معه القصاص ماع قوي وسداً منيعا للجريمة وبذلك يحيا المجتمع حياة هادئة هانئة مستقرة وتنعدم الجريمة في المجتمع .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع

القرآن الكريم .

١. ابو داود ، ابو داود سليمان بن الاشعث بن اسحاق بن بشير بن شداد (ت:٢٧٥هـ) تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد / المكتبة العصرية ، صيدا –بيروت ، ١٨٨٨

٢. احاديث حد السرقة في ضوء اصول التحديث رواية ودراية ، د. سعد المرصفي ، مؤسسة الريان بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م

٣. الاستشراق في نطاق العلم وفي نطاق السياسة ، عمر فروخ ، دار المعرفة – جدة ، (١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م) .

٤. اصول الدين الاسلامي ، د.قحطان الدوري ، د.رشيد عليان ، ط٢ ، دار الفكر ، عمان ، ٢٠٠٢

٥. انظر الاركان المادية والشرعية بجريمة القتل العمد واجزيتها المقررة في الشريعة الاسلامية ،د.علي يوسف ، الناشر دار الفكر للنشر والتوزيع –عمان– الاردن –١٩٨٢هـ

٦. بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ، تاليف الكاساني ، الامام علاء الدين ابو بكر بن مسعود الحنفي الملقب بملك العلماء ٥٨٧هـ ط١ المكتبة الجسة باكستان ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م

٧. التعريفات السيد الشريف ابي الحسن علي بن علي بن محمد الجرجاني الحنفي ، التصنيف ، معاجم ، المحقق محمد باسل عيون السود ،ط(٣) ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان (٢٠٠٩م) .

٨. تهذيب اللغة ، ابي منصور محمد بن احمد بن الازهر الازهري الهرري ، ط(١) دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان (١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م) .
٩. جامع البيان في تأويل القرآن / محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الاملي ابو جعفر الطبري /ت:٣١٠هـ) تحقيق : احمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ط١ عام ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠ م
١٠. الحدود في الاسلام ، د . احمد فتحي بهنسي ، دار الشروق – القاهرة ، ط ٤ ، ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٨م
١١. الرهبانية المسيحية وموقف الاسلام منها ، احمد علي عجيبة ، دار الافاق العربية ، القاهرة ط(١) ، ٢٠٠٤م .
١٢. سنن ابن ماجة، ابو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ، ابن ماجة (ت: ٢٧٣هـ) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي / دار الفكر بيروت
١٣. سنن الترمذي ، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك الترمذي (ت: ٢٩هـ) تحقيق :- ابراهيم عطوة عوض شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ،ط٢ ، ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م
١٤. شبكة التراث الثقافية ، د. جمانة كثبي – مكة المكرمة ، ٢٠١١م .
١٥. صحيح البخاري الجامع الصحيح المختصر ، تأليف محمد بن اسماعيل ابو عبد الله البخاري الجعفي ، تحقيق : د مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير اليمامة – بيروت ،ط٣ ،١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م
١٦. صحيح مسلم ، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل الى رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) ، مسلم بن الحجاج ، ابو الحسن القشيري النيسابوري (ت:٢٦١هـ) تحقيق :- محمد فؤاد عبد الباقي ، دار احياء التراث العربي بيروت
١٧. العقيدة الدينية والنظم التشريعية عند اليهود كما يصورها العهد القديم ، د. الفت محمد جلال ، الناشر نكتبة سعيد رأفت، شارع الليث ، الزيتون ، ١٩٧٤هـ .
١٨. فتح الغدير ، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت:١٢٥٠هـ) دار ابن الكثير ، دمشق ، ط! عام ١٤١٤ هـ
١٩. فقه المعاملات والجنايات قسم المعاملات ، تأليف د.محمد رضا عبد الجبار العاني ، السيد ابراهيم فاضل الربو ، ط١ ، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م ،
٢٠. الفقه الميسر في ضوء الكتاب والسنة ، تم تنفيذ هذا الكتاب وطبعه في مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة ، بأشراف الشؤون الاسلامية والاوقاف والدعوة والارشاد ، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م

٢١. الفكر الديني اليهودي ، حسن ظاظا ، ط(٤) دار العلم – دمشق ١٩٩٩م .
٢٢. الكتاب المقدس ، تصدرها دار الكتاب المقدس في الشرق الاوسط ، ط(٤) ، ١٩٩٥م (بلا ت).
٢٣. كشاف اصطلاحات الفنون ، محمد علي بن علي بن محمد التهاوني والحنفي ،ط(٢) ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، (١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م) .
٢٤. لسان العرب ، جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور ، ط(٤) دار صادر – بيروت – لبنان (١٨٦٣هـ) .
٢٥. اللقاء بين الاسلام والنصرانية ، بين الدكتور احمد حجازي السقاو الانيا غرغور يوس ، دار النشر – القاهرة (بلا ت) .
٢٦. المجمع اليهودي ، زكي شنوده ، (بلا ط) ، مكتبة الخانجي – القاهرة ، بلا ت .
٢٧. المصباح المنير ، الفيومي ، احمد بن محمد بن علي المكتبة العلمية – بيروت – لبنان ، المحقق :- عبد العظيم الشناوي ، ٢٠١١ م
٢٨. معجم الحضارات السامية ، هنري ، عبود ، جروس برس –طرابلس – لبنان ط(٢) ، ١٤١١هـ – ١٩٩١م .
٢٩. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، محمد فؤاد عبد الباقي مؤسسة جمال للنشر – بيروت – (بلا ت)
٣٠. المعجم الوسيط قام باخراجه ابراهيم مصطفى ، احمد حسن الزيان حامد عبد القادر ، محمد علي النجار ، المكتبة الاسلامية للطباعة والنشر – تركيا .
٣١. معجم مقاييس اللغة ابو الحسن احمد بن فارس بن زكريا الرازي تحقيق عبد السلام بن هارز دار الكتب العلمية بيروت – لبنان (١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م)
٣٢. المغني ، لابن قدامة ابو محمد عبد الله بن احمد بن محمد ، الناشر : دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع – بيروت– لبنان ، ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣م
٣٣. الموسوعة البريطانية الجديدة ، روبرت كوين واخرون ، لندن ، ط(١٤) ، .
٣٤. الموسوعة الميسرة في الاديان والمذاهب والاحزاب المعاصرة اشراف د.مانع بن حماد الجهني ، ط(٥) دار الندوة العالمية – الرياض ، ٢٠٠٣م .
٣٥. الموسوعة ماذا تعرف عن الفرق والمذاهب ، د.احمد بن عبد العزيز الحصين ، ط(٣) ، دار عالم الكتب – الرياض .
٣٦. موقع نو الجمع الامم على الشبكة العنكبوتية للمعلومات العالمية : الساعة السابعة صباحاً على الرابط : – 10 – 03 – 04 – 2012 – General/19905 https//www.lfan.com
15 – 4

٣٧. ينابيع المسيحية ، خواجة كمال الدين تعريب : اسماعيل حملي البارودي ، منشورات لجنة المحقق ، لندن ، ١٩٩٩ م .
٣٨. عقوبة الزنا في الانجيل موقع منتديات اتباع المرسلين على الشبكة العنكبوتية للمعلومات العلمية . الساعة السابعة مساءاً على الرابط : http:wwwebnmaryam.com vb+2345.nitm
٣٩. دستور العلماء – جامع العلوم في اصطلاحات الفنون / القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري (ت:١٢هـ) ترجمة من الفارسية حسن هاني فحص ، دار الكتب العلمية ، لبنان – بيروت – ط١ عام ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠م .
٤٠. الكليات المعجم في المصطلحات والغروق اللغوية / ايوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي ، ابو البقاء الحنفي (ت:١٠٩٤هـ) تحقيق : عدنان درويش – محمد المصري مؤسسة الرسالة – بيروت.

الهوامش:

[١] لسان العرب ، جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور ، ط ٤ ، دار صادر بيروت ، لبنان (١٩٦٣ هـ) ع /١٨٦

[٢] معجم مقاييس اللغة ، احمد بن فارس بن زكريا الروازي ، تحقيق عبد السلام محمد هارون دار الكتب العلمية / بيروت – لبنان (١٤٢٩ هـ– ٢٠٠٨ م) ٣١١/١

[٣] تهذيب اللغة ، أبي منصور محمد بن احمد الأزهر الأزهري الصدري ، ط ١ (دار الكتب العلمية بيروت – لبنان)(١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م) ١٦٦/٣

[٤] كشاف اصطلاحات الفنون ، محمد بن علي بن محمد التهاوني الحنفي ، ط ٢(دار الكتب العلمية بيروت – لبنان) (١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦ م) ٥٠٩/٢

[٥] التعريفات / السيد الشريف ابا الحسن علي بن محمد علي الحسني الجرجاني الحنفي ،التصنيف ، معاجم ، المحقق محمد باسل عيون السود ، ط ٣ (دار الكتب العلمية بيروت – لبنان) (٢٠٠٩ م) ٩٦/١

[٦] لسان العرب ، ابن منظور ، ٢٢٢/٣

[٧] سورة الانعام ، الآية ١٦٤

[٨] التعريفات ، الجرجاني ، ص ٨٣

[٩] المعجم الوسيط ، قام باخراجه ابراهيم مصطفى ، احمد حسن الزيات ، حامد عبد القادر ، محمد علي النجار ، المكتبة الاسلامية للطباعة والنشر .تركيا ١٤١/١

[١٠] سورة الاعراف ، الآية ١٥٦

[١١] عزرا هو مشروع يهودي قديم ، يعد كاتب التوراة مع غيره من احبار اليهود، ينظر: آخر اسرار الهيكل ، بول سوسفان ، ترجمة : زينة جابر ، ط ١ الدار العربية للعلوم ، بيروت، (٢٠١٠ م ، ص ٤٠٦)

[١٢] شبكة التراث الثقافية ، د. جمانة كتبي – مكة المكرمة – ٢٠١١ م

[١٣] لسان العرب ، ابن منظور ، ٣ ، ٤٣٩

[١٤] الموسوعة الميسرة في الاديان والمذاهب والاحزاب المعاصرة ، اشراف د. مانع بن حماد الجهني، ط ٥ ، دار الندوة العالمية ، الرياض ، ٢٠٠٣ م ، ١ ، ٤٩٥

[١٥] الفكر الديني اليهودي ، حسن ظاظا ، ط ٤ ، دار القلم دمشق ، ١٩٩٩ م ، ص ١٥٢

[١٦] سفر التكوين ، الأصحاح الثالث ، (١٤-١٦)

[١٧] سفر التكوين ، الأصحاح الثالث (١٦)

[١٨] سفر التكوين ، الأصحاح الثالث (١٦-٢٠)

[١٩] سفر التكوين ، الاصحاح الرابع ، (١٥)

[٢٠] سفر التكوين ، الاصحاح التاسع ،(٢٧)

[٢١] سفر التكوين ، الاصحاح الثالث عشر ،(٧-١٣)

[٢٢] سفر التكوين ، الاصحاح ٤٧ ، (٢٣-٢٦)

[٢٣] يثرون :- اسم ميديانى معناه فضل هو كاهن مديان وحمو موسى (سفر الخروج الاصحاح ٣:١) ويدعى ايضا عموئيل (سفر الخروج ، اصحاح ٢٨ظك٢)

[٢٤] سفر الخروج ، اصحاح ١٨ : (١٣-٣٧)

[٢٥] سفر اللاوين ، اصحاح ٢٤ : (١٠-١٧)

[٢٦] سفر اللاوين ، اصحاح ٢٤ : (١٧-٢٣)

[٢٧] سنة اليوبيل : في العبرانية يوبل Yovel وترجع الى كلمة بيل بمعنى الكبش وقرن الكبش وكل قرن ينفع فيه وسميت بهذا الاسم لان اعلان بدئها كان بالنفخ في بوق مصنوع من قرن الكبش وذلك في اليوم العاشر من الشهر السابع أي في عيد الكفارة بعد الانتهاء من المراسيم ذكرها الكتاب في عدة مواضع منها قوله كانت سنة اليوبيل سنة راحة ، سخر اللاوين ، اصحاح ٥ ، اعياد الكتاب المقدس ،(قاموس الكتاب المقدس ، ص ٦٧٤)

[٢٨] سفر اللاوين ، اصحاح ٢٥ : (١٣-٣٠)

[٢٩] سفر العدد ، اصحاح ١٥ :(٣٢-٣٦)

[٣٠] سفر التثنية ، اصحاح (١) : (١٦-١٨)

[٣١] سفر التثنية ، اصحاح ى ١٦ : (١٨-٢٠)

[٣٢] المجتمع اليهودي ، زكي شنودة ، د.ط ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ،د. ت ، ص ٢١٩ .

[٣٣] سفر اللاوين ، الاصحاح ٢٤ / ١٠ -- ١٤

[٣٤] سفر العدد ، الاصحاح ٢٥ / ١-٥ ، سفر التثنية ، الاصحاح ١٣/ ٦-١٨ ، ٢/١٧-٧

[٣٥] سفر الخروج ، الاصحاح ٣١/ ١٢-١٧

[٣٦] سفر العدد ، الاصحاح ٣٢/١٥-٣٦

[٣٧] سفر العدد ، الاصحاح ١٣/٩

[٣٨] سفر اللاوين ، الاصحاح ٨/١٧-٩

[٣٩] سفر الخروج ، الاصحاح ١٨/٢٢

[٤٠] سفر اللاوين ، الاصحاح ٦/٢٠ و ٢٧

[٤١] سفر خروج ، ١/٢٢

[٤٢] سفر التثنية ، ٧٢/٤

[٤٣] سفر الخروج ، ٢١ / ١٢ / ٢٧

[٤٤] سفر اللاوين ، ٢٤ / ١٩ / ٢٠

[٤٥] النظم الدينية والنظم التشريعية في الديانة اليهودية ، د. الفت محمد جلال ، المطبعة الفنية الحديثة ، (بلا . ت)

[٤٦] الموسوعة البريطانية الجديدة ، روبرت كوين وآخرون ، لندن ، ط١٤ ، ص ١٤٨ .

[٤٧] معجم الحضارات السامية ، هنري ،عبود ، جروس برس ، طرابلس . لبنان ط٢ ، ١٤١١ هـ . ١٩٩١م ، ص٧٩٤ .

[٤٨] لسان العرب ، ابن منظور ، (١٣ ، ٩٨) . والقاموس المحيط

[٤٩] اللقاء بين الاسلام والنصرانية ، بين الدكتور أحمد حجازي السقا والأنبا غديغوريوس . دار البشر ، القاهرة (بلا . ت)ص١٧٣ . والموسوعة الميسرة في الاديان والمذاهب والاحزاب المعاصرة ، د. مانع بن حمد الجهيني ، دار الندوة العالمية ، الرياض ، ط٤ ج ٢/ ١٤٢٠ هـ ، ص ١١٤٥ . ١١٤٦ .

[٥٠] ينابيع المسيحية ، خواجة كمال الدين ، تعريب : اسماعيل حملي البارودي ، منشورات لجنة المحقق ، لندن ، ١٩١٩١م ، ص٧٤ .

[٥١] المعجم المفهرس لألفاظ القران الكريم ، محمد فؤاد عبد الباقي ، مؤسسة جمال للنشر . بيروت .(د . ت) ، ص٦٦٦ ، ٧٣٠ وما بعدها .

[٥٢] الموسوعة الميسرة في الاديان والمذاهب والاحزاب المعاصرة . د . مانع بن حماد الجهيني .

[٥٣] الاستشراق في نطاق العالم وفي نطاق السياسة ، عمر فروخ ، دار المعرفة ، جده ، (١٤٠٥هـ . ١٩٨٥ م) ، ص ١٢٥ ، ١٤٣ .

[٥٤] موسوعة ماذا تعرف عن الفرق والمذاهب ، د . أحمد بن عبد العزيز الحصين ، ط٣ ، دار عالم الكتب ، الرياض ، ت ، ص ٢٠١٧ . ٢٠١٨ .

[٥٥] الرهبانية المسيحية وموقف الاسلام منها ، أحمد علي عجيبة ، دار الأفاق العربية ، القاهرة ، ط١ ،(٢٠٠٤م) ص٤٩.

[٥٦] الموسوعة الميسرة في الاديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ، د . مانع بن حماد الجهيني ، ص١١٤٦ .

[٥٧] أنجيل مرقس ، ١٤ (٦١-٦٤) .

[٥٨] أنجيل يوحنا ، (١٨ - ١٩) .

[٥٩] أنجيل يوحنا ، (١٤ - ٧) .

[٦٠] أنجيل يوحنا ، (١٢- ٥٤) .

[٦١] أنجيل يوحنا ، (١٤- ٩) .

[٦٢] أنجيل يوحنا ، (١٤ - ٢٢) .

[٦٣] أنجيل يوحنا ، (١٥- ٢٣) .

[٦٤] أنجيل يوحنا ، (٥ - ٢٣) .

[٦٥] انجيل متى اصحاح الخامس، (١٧ . ١٩).

[٦٦] رؤى يوحنا ، (٢٢.٢).

[٦٧] انجيل متى ، (٣٤.١٠).

[٦٨] انجيل لوقا ،(٣٦.٢٢) .

[٦٩] انجيل لوقا ، (٢٧.١٩).
[٧٠] انجيل لوقا ،(٢٦.١٤).
[٧١] انجي لوقا ، (١٩ . ١٧) .
[٧٢] انجيل لوقا ،(١٢: ٤٩ ، ٥١) .
[٧٣] انجيل متى،(١٠: ٣٤، ٣٥) .
[٧٤] انجيل متى ،(٢٦ : ١٥) .
[٧٥] انجيل متى،(٢٨ : (١١. ١٥) .
[٧٦] إنجيل متى ، (١٩ : ١٨) .
[٧٧] إنجيل مرقس ، (١٠ :١٩) .
[٧٨] إنجيل لوقا ، (١٨ : ٢٠) .
[٧٩] رسالة بولس الرسول الى أهل رومية (٢: ٢١) .
[٨٠] رسالة بولس الرسول الى أهل رومية (٢: ٢٢) .
[٨١] رسالة بولس الرسول الى اهل رومية ، (١٣ : ١٩) .
[٨٢] بولس الرسول رسالة الى اهل افس (٥: ١٨) .
[٨٣] اكرونتوس (٦: ٩ ، ١٠) .
[٨٤] انجيل يوحنا (١٥: ١)
[٨٥] انجيل يوحنا (١٥: ٥).
[٨٦] انجيل لوقا (١٠:٣٤) .
[٨٧] انجيل يوحنا (٣:١٦)
[٨٨] انجيل يوحنا الاولى (٥ : ١٣)
[٨٩] روميه ((٨ : ٣٨ . ٣٩)
[٩٠] كورنتوس الاولى(٣ : ١٥)
[٩١] إنجيل مرقس ١١(٢.١) .
[٩٢] إنجيل لوقا ١٩ : (٨ . ١٠) .
[٩٣] أفسس (٤: ٢٢)
[٩٤] أفسس (٤: ٢٤)
[٩٥] أفسس (٤: ٢٨) .
[٩٦] إنجيل متى (٢٦ : ١٤ . ١٦) .
[٩٧] إنجيل متى (٢٧ : ٣. ٩) .
[٩٨] إنجيل مرقس (١٤ : ١٠ . ١١) .
[٩٩] انجيل لوقا (٢٢: ٣. ٦) .
[١٠٠] انجيل يوحنا (١٨ : ١. ٥).
[١٠١] انجيل متى ٥: ٢١)

[١٠٢] انجيل متى ٥: ٢٢)

[١٠٣] انجيل متى (٢٦ : ٥٢)

[١٠٤] دستور العلماء – جامع العلوم في اصطلاحات الفنون / القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري (ت:١٢هـ) ترجمة من الفارسية حسن هاني فحص ، دار الكتب العلمية ، لبنان – بيروت – ط١ عام ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠م ، ١٥٢/١ .

[١٠٥] سورة الذاريات ، الاية ٣٥-٣٦ .

[١٠٦] الكليات المعجم في المصطلحات والغروق اللغوية / ايوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي ، ابو البقاء الحنفي (ت:١٠٩٤هـ) تحقيق : عدنان درويش – محمد المصري مؤسسة الرسالة – بيروت ، ص١١٢ .

[١٠٧] سورة الحجرات ، من الاية / ١٤ .

[١٠٨] سورة اله عمران ، الاية ٨٣ .

[١٠٩] سورة البقرة ، الاية ، ١١٢ .

[١١٠] سورة البقرة / من الاية ١٣١ .

[١١١] فتح الغدير ، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت:١٢٥٠هـ) دار ابن الكثير ، دمشق ، ط! عام ١٤١٤ هـ ، ١١٩/٢ .

[١١٢] هو محمد بن جرير بن يزيد الطبري ، ابو جعفر : المؤرخ المفسر الامام ، ولد في اول طبرستان ، استوطن بغداد توفي بها . وعرض عليه القضاء فامتنع ولد سنة (٢٢٤ هـ) وطلب العلم بعد الاربعين ومئتين ، واكثر الترحال ولقى نبلاء الرجال ، وكان من افراد الدهر علما وكان ثقة صادقا حافظا أسا في التفسير ، اماما في الفقه والاجماع والاختلاف . الاعلام خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس ، الزركلي الدمشقي (ت :١٣٩٦ هـ) ، دار العلم للملايين ط ١٥ عام ٢٠٠٢ م ، ج ٦٩/٦ .

[١١٣] سورة البقرة من الاية /١١٢ .

[١١٤] جامع البيان في تأويل القرآن / محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الاملي ابو جعفر الطبري /ت:٣١٠هـ) تحقيق : احمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ط١ عام ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠ م ، ٥١٢/٢ .

[١١٥] معجم مقاييس اللغة ابو الحسن احمد بن فارس بن زكريا الرازي تحقيق عبد السلام بن هارز دار الكتب العلمية بيروت – لبنان (١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م) ، ٩٠/٣ .

[١١٦] اصول الدين الاسلامي ، د.قحطان الدوري ، د.رشيد عليان ، ط٢ ، دار الفكر ، عمان ، ٢٠٠٢ / ٢١ .

[١١٧] كتاب التعريفات ، الجرجاني ، ٢٧/٣ .

[١١٨] سورة البقرة:الاية : ١٧٨ .

[١١٩] سورة النساء: الاية : ٩٣

[١٢٠] سورة المائدة: الاية : ٤٥

[١٢١] سورة النحل: الاية : ١٢٦

[١٢٢] سورة الشورى: الاية : ٤٠

[١٢٣] سورة النساء: الاية : ٩٢

[١٢٤] سورة الأنعام: الاية : ١٥١

[١٢٥] سورة الإسراء: الاية : ٣٣

[١٢٦] سورة النساء: الاية :٢٩

[١٢٧] سورة البقرة: الاية ١٩٥

[١٢٨] سورة الإسراء: الاية ٣١

[١٢٩] سورة الإسراء: الاية ٣٢ – ٣٣

[١٣٠] سورة الفرقان: الاية ٦٨

[١٣١] سورة النساء: الاية ١٥ – ١٦

[١٣٢] سورة المائدة: الاية ٣٨

[١٣٣] سورة المائدة: الاية ٤٢

[١٣٤] سورة البقرة: الاية ١٨٨

[١٣٥] سورة الأنعام:الاية ١٥١

[١٣٦] سورة التكوير: الاية ٨ – ٩

[١٣٧] سورة الحج: الاية ٣٠

[١٣٨] سورة الفرقان: الاية ٧٢

[١٣٩] سورة الأنعام: الاية ١٤٠

[١٤٠] سورة النحل: الاية ٥٨ – ٥٩

[١٤١] سورة التكوير: الاية ٨ – ٩

[١٤٢] سورة الممتحنة: الاية ١٢

[١٤٣] سورة المائدة:الاية ٣٢ – ٣٤

[١٤٤] سورة البقرة:الاية ٢١٩

[١٤٥] سورة النساء:الاية ٤٣

[١٤٦] سورة المائدة: الاية ٩٠ – ٩١

[١٤٧] سورة الحجرات: الاية ٩

[١٤٨] سورة النور: سورة ٤ – ٥

[١٤٩] سورة النور: سورة ١٩

[١٥٠] سورة النور: سورة ٢٣ – ٢٥

[١٥١] المصباح المنير ، الفيومي ، احمد بن محمد بن علي المكتبة العلمية – بيروت – لبنان ، المحقق :- عبد العظيم الشناوي ، ٢٠١١ م ، ١٢٣/١

[١٥٢] التعريفات ، علي بن محمد الشرف الجرجاني ص ٧٠ .

[١٥٣] المغني ، لابن قدامة ابو محمد عبد الله بن احمد بن محمد ، الناشر : دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع – بيروت– لبنان ، ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣م .

[١٥٤] المغني لابن قدامه ، ٦٣٠/٧ ، انظر الاركان المادية والشرعية بجريمة القتل العمد واجزيتها المقررة في الشريعة الاسلامية ،د.علي يوسف ، الناشر دار الفكر للنشر والتوزيع –عمان– الاردن –١٩٨٢هـ ، ١٧/١–١٨.

[١٥٥] سورة المائدة:الاية ٣٨

[١٥٦] صحيح البخاري الجامع الصحيح المختصر ، تأليف محمد بن اسماعيل ابو عبد الله البخاري الجعفي ، تحقيق : د مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير اليمامة – بيروت ،ط٣ ،١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م ، ٢٥ . الحج رقم(١٧٤١) ، صحيح مسلم ، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل الى رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) ، مسلم بن الحجاج ، ابو الحسن القشيري النيسابوري (ت:٢٦١هـ) تحقيق :- محمد فؤاد عبد الباقي ، دار احياء التراث العربي بيروت ، ٢٨ ، القامة برقم(١٦٧٩) . وابو داود ، ابو داود سليمان بن الاشعث بن اسحاق بن بشير بن شداد (ت:٢٧٥هـ) تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد / المكتبة العصرية ، صيدا –بيروت ، ١٨٨٨ عون المعبود . سنن الترمذي ، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك الترمذي (ت: ٢٩هـ) تحقيق :-ابراهيم عطوة عوض شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ،ط٢ ، ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م (٣٠٨٧). سنن ابن ماجة، ابو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ، ابن ماجة (ت: ٢٧٣هـ) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي / دار الفكر بيروت ، (٣٠٥٥) ٣٠٧٤ ، واحمد ١ : ٢٣ ، ٣: ٨٠ ، ٣١٣ ، ٣٧١ ، ٤٨٥ ، ٤:٧٦ ، ١٦٨ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٣٧ ، ٥ : ٣٠ ، ٣٧ ، ٤٩ ، ٤٠-٤١ . ٤٩ ، ٦٨ ، ٧٢ ، ٤١ ، ٤١٢ ، فقد روى بعده روايات .

[١٥٧] البخاري :٤٦ – المظالم (٢٤٧٥) واللفظ له و(٥٥٧٨ ، ٦٧٧٢ ، ٦٨١٠) ومسلم : ١ – الايمان (٥٧) وابو دود (٤٦٨٩) والترمذي (٢٦٢٥) والنسائي ٨ : ٦٤ ، وابن ماجة (٣٩٣٦) والدارمي : ٢ : ٨٧ ،١١٥ ، والبهيقي : ١٠ : ١٨٦ ، وابن حبان : الاحسان (١٨٦ ، ٥١٧٢ ، ٥١٧٣) والحميدي (١١٢٨) ، والبغوي في شرح السنة (١٨٦ ، ٥١٧٢ ، ٥١٧٣) وابن ابي سيبة ٥ : ٥١ ، ٧ : ٢٢١ ، وانظر معنى الحديث في مسلم شرح النووي ٢ : ٤١ وما بعدها وفتح الباري : ١٢ : ٦١ وما بعدها واكمال اكمال المعلم : ١ : ١٦٥ وما بعدها وشرح السنة (٤٧) .

[١٥٨] البخاري : ٨٦ – الحدود (٦٨٧٧) ، ومسلم : ٢٩ – الحدود (٦٨٧) ، واحمد : ٢ : ٢٥٣ ، (٧٤٣٠) تحقيق احمد شاكر ، والنسائي : ٨ : ٦٥ ، وابن ماجة((٢٥٨٣) ، والحاكم : ٤ : ٣٧٨ ، والبهيقي : ٨ : ٢٥٣ ، والبنوي (٢٥٩٧ ، ٢٥٩٨) وابن حبان الاحسان (٥٧٤٨) وابن ابي ستيبية : ٦ : ٤٦٥ .

[١٥٩] احمد (١٦٥٢) تحقيق احمد شاكر ، والترمذي (١٤٢١) وابو داود (٤٧٧٢) والنسائي : ٧ : ١١٥ : ١١٦ ، وابن ماجة (٢٥٨٠) وابو يعلي (٩٤٩ ، ٩٥٣) والبهيقي : ٣ : ٢٦٦ ، ٨ : ٣٣٥ ، والحميدي (٨٣) وابن حبان :الاحسان (٣١٩٤) .

[١٦٠] رواه مسلم : ١ – الايمان (١٤٠) .

[١٦١] احاديث حد السرقة في ضوء اصول التحديث رواية ودراية ، د. سعد المرصفي ، مؤسسة الريان بيروت –لبنان ، ط١ ، ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م ، ١٣ – ١٤ .

[١٦٢] سورة البقرة:الاية ١٧٩

[١٦٣] سورة المائدة:الاية ٤٥

[١٦٤] الحدود في الاسلام، د . احمد فتحي بهنسي ، دار الشروق – القاهرة ، ط ٤ ، ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٨م ، ٣١/١

[١٦٥] انضر:بدائع الصنائع (٢٣٥/٧) وينظر في الشروط المذكوره المبدع (٢٦٢/٨-٢٧٧) الانصاف (٤٦٢/٩-٤٧٨) مغنى المحتاج (٢٥/٤) السراج الوهاج (٤٨٥/١) الذخيرة (٣٣١/١٢) فما بعدها ، بلغة السالك (١٦٠/٤-١٦٣)

[١٦٦] انظر : بدائع الصنائع (٢٥١/٧) فتاوي السغدي (٦٦٤/٢) شرح مختصر خليل للخرشي(٢٧/٨) حاشية الدسوقي (٢٦٢/٤) مغنى المحتاج (١٨/٤) الاشباه والنظائر للسيوطي ص(٤٨٤) الانصاف للمواوي (٤٧٤/٩) منار السبيل (٢٨٩/٢) .

[١٦٧] فقه السنة الميسر،قسم الجنايات ، د.عبد الله بن محمد المطلق ، دار كنوز اشبيليا للنشر والتوزيع ، ط١ ، (١٤٣٢هـ-٢٠١١م) ، ٢٣/٤ .